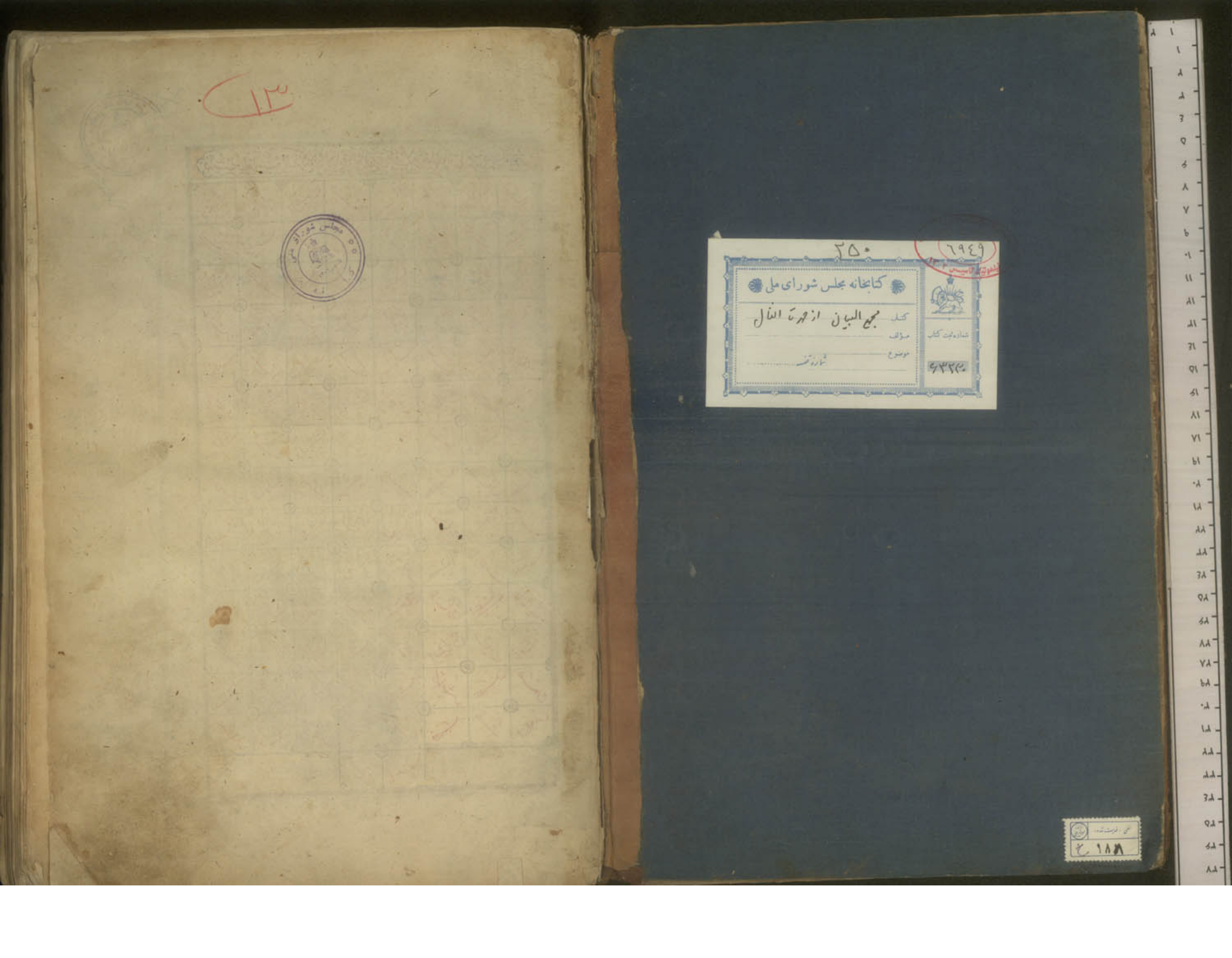
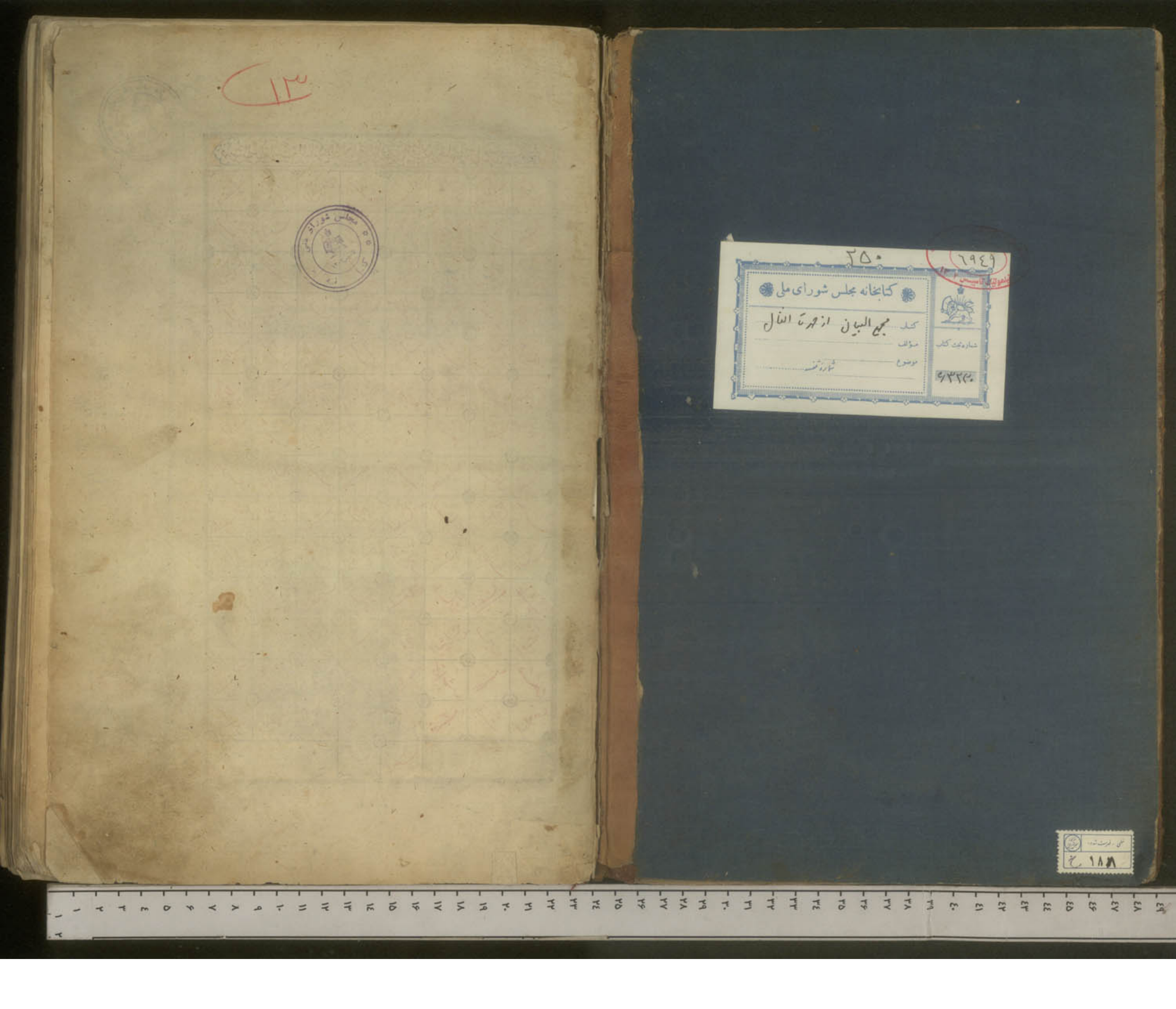
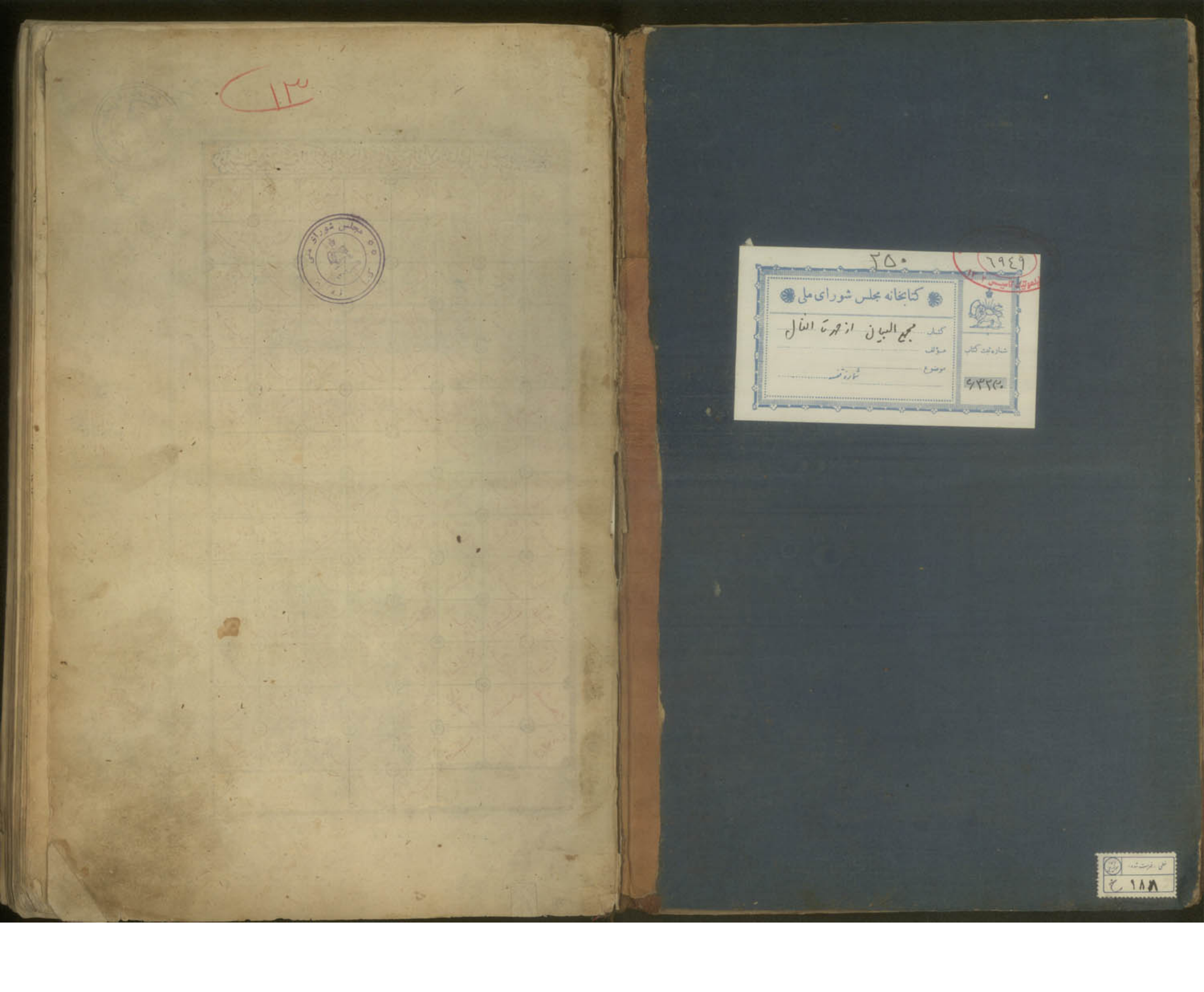




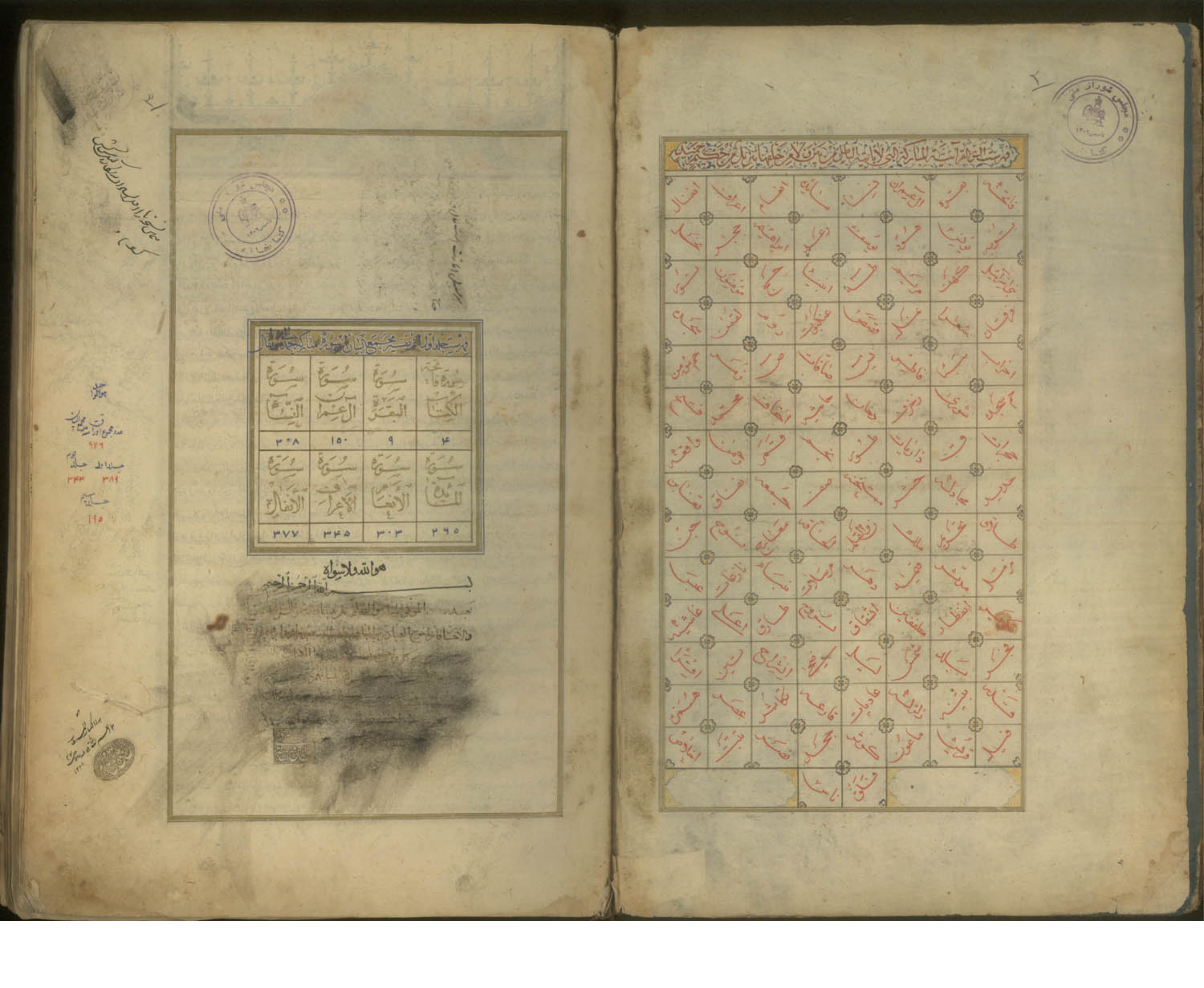
۲۵۰
۶۹۴۹
کتابخانه مجلس شورای ملی
مجمع البیان



۲۵۰
کتابخانه مجلس شورای ملی
مجمع البیان از جهرة الثال



کتابخانه مجلس شورای ملی
کتاب مجمع البیان از جهت تا النفال
مؤلف
موضوع
شماره نسخه
شماره ثبت کتاب



سورة فاتحة الكتاب	سورة البقرة	سورة آل عمران	سورة النساء
۴	۹	۱۵۰	۲۰۸
سورة المائدة	سورة الأنعام	سورة الأعراف	سورة الأنفال
۲۶۰	۳۰۳	۳۴۵	۳۷۷

هو الله ولا سواه

بسم الله الرحمن الرحيم

هو الفتاح العليم

بسم الله الرحمن الرحيم رب سهل لي الاتمام فان تيسير العسير عليك يسير

الحمد لله الذي ارتفعت عن معارج الفكر جلالته وجلت عن مطامح الهمم عزته وتعالت عن مشابهة الانام صفته واعجزت مدارك الافهام حكمته وفاقت مبالغ الاوهام عظمته الذي له في كل ما راته الابصار اللاحظة وذكرته الالسن اللافظة وبلغته القلوب الزاكية وعرفته العقول الواعية آيات واضحة بوحدانيته ودلالات ناطقة بربوبيته الواحد لا ثاني له في القدم المحدث للاشياء بعد العدم انشاها بلا روية آل اليها ولا قريحة غريزة اضمر عليها هو الظاهر عليها بسلطانه وقدرته الباطن لها بعلمه ولطيف صنعته الاول الذي لا يتقدم قبل والاخر الذي لا يتقيد بعد لا مانع لما اعطى ولا معطي لما منع ولا ينفع ذا الجد منه الجد احمده على آلائه المتوالية المتظاهرة ونعمه الباطنة والظاهرة حمدا يستدر شآبيب جوده الهاطلة ويمتري اخلاف فضله الحافلة حمدا يدوم ولا يبيد ويستدعي بمثله المزيد واشهد انه الواحد الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد واسأله باوضح بيان وافصح لسان ان يصلي على نبيه وصفيه وحبيبه ونجيه محمد سيد الانبياء والمرسلين وخير الاولين والاخرين المؤكد دعوته بالتاييد المخصوص شريعته بالتابيد فنسخت بها شرائع الماضين ولا تنسخ الى يوم الدين وعلى آله وعترته المنتجبين من بعده المستودعين حكمته الحافظين لشريعته اعلام الاسلام وائمة الانام ما اعقبت الليالي والايام واختلف الضياء والظلام ثم الحمد لله الذي انزل القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان نورا يتوقد مصابيحه وضياء لا يخبو صباحه ودليلا لا يخمد برهانه وحقا لا يخذل اعوانه وحبلا وثيقا عروته وجبلا منيعا ذروته وشفاء للصدور ليس وراءه شفاء ودواء للقلوب ليس مثله دواء واماما يقتدي به المقتدون وعلما يهتدي بهدايته المهتدون جعله سبحانه لافئدة الامم ربيعا ولحقوق ذوي الحاجات جنابا مريعا فيه رياض الحكم وانوارها وينابيع العلوم وبحارها واودية الحق وغيطانه ومراتع العدل وغدرانه وهو الكتاب العزيز الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد

وبعد فان احق الفضائل بالتعظيم واسبقها في استحقاق التقديم هو العلم اذ لا شرف الا وهو نظامه ولا كرم الا وهو ملاكه وقوامه ولا سيادة الا وهو ذروتها وسنامها ولا سعادة الا وبه حصولها وقوامها به يكتسب الانسان رفعة القدر وعلو الامر في حياته ويحوز جزيل الاجر وجميل الذكر بعد وفاته وهو الصديق اذا خان كل صديق والشفيق اذا لم يوثق بكل اخ وشفيق والعلماء ورثة النبيين وسادة المسلمين والدعاة الى الدين وقد صح عن النبي صلى الله عليه وآله فيما رواه لنا الثقات بالاسانيد الصحيحة مرفوعا الى امام الهدى وكهف الورى ابي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام عن آبائه سيد عن سيد وامام عن امام الى ان اتصل به عليه وآله السلام انه قال طلب العلم فريضة على كل مسلم فاطلبوا العلم في مظانه واقتبسوه من اهله فان تعلمه لله حسنة وطلبه عبادة والمذاكرة به تسبيح والعمل به جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقة وبذله لاهله قربة الى الله تعالى لانه معالم الحلال والحرام ومنار سبيل الجنة والمؤنس في الوحشة والصاحب في الغربة والوحدة والمحدث في الخلوة والدليل على السراء والضراء والسلاح على الاعداء والزين عند الاخلاء يرفع الله به اقواما فيجعلهم في الخير قادة تقتبس آثارهم ويقتدى بفعالهم وينتهى الى آرائهم ترغب الملائكة في خلتهم وباجنحتها تمسحهم وفي صلواتها تبارك عليهم يستغفر لهم كل رطب ويابس حتى حيتان البحر وهوامه وسباع البر وانعامه ان العلم حياة القلوب من الجهل وضياء الابصار من الظلمة وقوة الابدان من الضعف يبلغ بالعبد منازل الاخيار ومجالس الابرار والدرجات العلى في الاولى والاخرة الذكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام به يطاع الرب ويعبد وبه توصل الارحام ويعرف الحلال والحرام العلم امام العمل والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الاشقياء فطوبى لمن لم يحرمه الله منه حظه وفي امثال هذا من الاخبار كثرة لا تطول بذكرها ثم ان اشرف العلوم واسناها وافخرها وابهاها وافضلها وانفعها واكملها علم القرآن فانه العلم الاصل منه يتفرع افانينها والعماد عليه تبنى قوانينها وقد قال امير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن ابي طالب عليه السلام القرآن ظاهره انيق وباطنه عميق لا تفنى عجائبه ولا تنقضي غرائبه وروي عن عبد الله بن مسعود انه قال اذا اردتم العلم فاثيروا القرآن فان

فيه علم الاولين والاخرين وعن سعيد عن قتادة في قوله عز وجل ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا قال هو القرآن وعن رجاء بن حيوة قال كنا يوما انا وابي عند معاذ بن جبل فقال من هذا يا حيوة فقال هذا ابني رجاء فقال معاذ هل علمته القرآن قال لا قال فعلمه القرآن فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ما من رجل علم ولده القرآن الا توج ابواه يوم القيامة بتاج الملك وكسيا حلتين لم ير الناس مثلهما ثم ضرب بيده على كتفي فقال يا بني اذا استطعت ان تكسو ابويك يوم القيامة حلتين فافعل وروي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار وصح عن النبي من رواية العام والخاص انه قال اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي اهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض وانما حذفت اسانيد هذه الاحاديث ايثارا للتخفيف ولاشتهارها عند اصحاب الحديث وقد خاض العلماء قديما وحديثا في علم تفسير القرآن واجتهدوا في ابراز مكنونه واظهار مصونه والفوا فيه كتبا جمة غاصوا في كثير منها الى اعماق لججه وشققوا الشعر في ايضاح حججه وحققوا في تفتيح ابوابه وتغلغل شعابه الا ان اصحابنا رضي الله عنهم لم يدونوا في ذلك غير مختصرات نقلوا فيها ما وصل اليهم في ذلك من الاخبار ولم يعنوا ببسط المعاني فيه وكشف الاسرار الا ما جمعه الشيخ الاجل السعيد ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي قدس الله روحه من كتاب التبيان فانه الكتاب الذي يقتبس منه ضياء الحق ويلوح عليه رواء الصدق وقد تضمن من المعاني الاسرار البديعة واحتضن من الالفاظ اللغة الوسيعة ولم يقنع بتدوينها دون تبيينها ولا بتنميقها دون تحقيقها وهو القدوة استضيء بانواره واطأ مواقع آثاره غير انه خلط في اشياء مما ذكره فيه في الاعراب والنحو الغث بالسمين والخاثر بالزباد ولم يميز الصلاح مما ذكره فيه عن الفساد وادى الالفاظ في مواضع من متضمناته قاصرة عن المراد واخل بحسن الترتيب وجودة التهذيب فلم يقع لذلك من القلوب السليمة الموقع المرضي ولم يعل من الخواطر الكريمة المكان العلي وقد كنت في عهد ريعان الشباب وحداثة السن وريان العيش ونضارة الغصن كثير النزاع قوي التشوق شديد التشوق الى جمع كتاب في التفسير ينتظم اسرار النحو اللطيفة ولمع اللغة الشريفة ويفي بفوائد القراءات من وجوهها مع بيان حججها الواردة من جميع جهاتها ويجمع جوامع البيان في المعاني المستنبطة من معادنها المستخرجة من كوامنها الى غير ذلك من علومه الجمة المطهرة من الغث والاكمة فيعترض لذلك خوالج الزمان وعوائق الحدثان وواردات الهموم وهفوات القدر المحتوم الى الان وقد ذرف سني على الستين واشتعل الراس شيبا وامتلأت العيبة عيبا فحداني على تصميم هذه العزيمة ما رايته من عناية مولانا الامير السيد الاجل العالم ولي النعم جلال الدين ركن الاسلام مخلص الملوك والسلاطين سيد نقباء الشرق تاج امراء السادة فخر آل رسول الله ابي منصور محمد بن يحيى بن هبة الله الحسيني ادام الله علاه وكبت اعداه بهذا العلم وصدق رغبته في معرفة هذا الفن وقصر همه على تحصيل حقايقه والاحتواء على جلائله ودقائقه والله عز اسمه المسؤول فان يحرس للاسلام والمسلمين ربيع حضرته ويفيض على الفضل والفضلاء سجال سيادته ويمد على العلم والعلماء امداد سعادته ويبقي قباله في دولة سماء السماء لا يرتقى هضباتها ورفعة سامية السناء لا يبتغى جنباتها ويبقي اماله في ظلال مجد علو خلاله ظليل ظلاله وجلال فضل مزرورة عليه سرباله ويديم جماله في غبطة رفيعة الظلل وبسطة مريعة الطلل حتى يجوز من الحق غاياتها مستقيا جيد آياتها ويحوز بالآمال غير مدافع ستلو عليه سعة آياتها وتظل شمس المجد في ساحاته تجلو عليه جبهاتها باناتها فكل غاية في المجد ادنى درجات قدره وكل غاية في الشرف ادون طبقات فخره فاوجبت على نفسي اجابته الى مطلوبه واسعافه بمحبوبه واستخرت الله سبحانه ثم قصرت وهمي وهمتي على اقتناء هذه الذخيرة الخطيرة واكتساب هذه الفضيلة النبيلة وشمرت عن ساق الجد وبذلت غاية الجهد والكد واسهرت الناظر واتعبت الخاطر واطلت التفكير واحضرت التفاسير واستمددت من الله سبحانه التوفيق والتيسير وابتدات بتاليف كتاب هو في غاية التلخيص والتهذيب وحسن النظم والترتيب يجمع انواع هذا العلم وفنونه ويحوي فصوصه وعيونه من علم قراءته واعرابه ولغاته وغوامضه ومشكلاته ومعانيه وجهاته ونزوله واخباره وقصصه وآثاره وحدوده واحكامه وحلاله وحرامه والكلام على مطاعن المبطلين فيه وذكر ما ينفرد به اصحابنا رضي الله عنهم من الاستدلالات بمواضع كثيرة منه على صحة ما يعتقدونه من الاصول والفروع والمعقول والمسموع على وجه الاعتدال والاختصار فوق الايجاز دون الاكثار فان الخواطر في هذا الزمان لا تحتمل اعباء العلوم الكثيرة وتضعف عن الاجراء في الحلبات الخطيرة اذ لم يبق من العلماء الا الاسماء ومن العلوم الا الذماء وقدمت في مطلع كل سورة ذكر مكيها ومدنيها ثم ذكر الاختلاف في عدد آياتها ثم ذكر فضل تلاوتها ثم اقدم في كل آية الاختلاف في القراءات ثم ذكر العلل والاحتجاجات ثم ذكر العربية واللغات ثم ذكر الاعراب والمشكلات ثم ذكر الاسباب والنزولات ثم ذكر المعاني والاحكام والتاويلات والقصص والجهات ثم ذكر انتظام الآيات على اني قد جمعت في عربيته كل غرة لائحة وفي اعرابه

كل حجة واضحة وفي معانيه كل قول متين وفي مشكلاته كل برهان مبين فهو بحمد الله للاديب عمدة وللنحوي عدة وللمقرى بصيرة وللناسك ذخيرة وللمتكلم حجة وللمحدث محجة وللفقيه دلالة وللواعظ آلة وسميته كتاب مجمع البيان لعلوم القرآن وارجوا انشاء الله ان يكون كتابا كثير الدرر غزير الغرر متواصف السمات متناصف الصفات سيارا في الانجاد والاغوار طيارا في الآفاق والاقطار مهذب الترتيب مذهب التهذيب لاحكام الشريعة معانيه منوطة واعلام الحقيقة ببيانه مربوطة وبحبل الله اعتصم وبتوفيقه وعونه انتهض وختم واياه اسئل الهداية الى اقوم وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب وقبل ان نشرع في تفسير السور والآيات فنحن نصدر الكتاب بذكر مقدمات لا بد من معرفتها لمن اراد الخوض في علومه وهي فنون سبعة

الفن الاول في اعداد آي القرآن والفائدة في معرفتها اعلم ان عدد اهل الكوفة اصح الاعداد واعلاها اسنادا لانه ماخوذ عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام وتعضده الرواية الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال فاتحة الكتاب سبع آيات احديهن بسم الله الرحمن الرحيم وعدد اهل المدينة منسوب الى ابي جعفر يزيد بن القعقاع القارى وشيبة بن نصاح وهما المدني الاول والى اسمعيل بن جعفر وهو المدني الاخير وقيل المدني الاول هو الحسن بن علي بن ابي طالب عليه السلام وعبد الله بن عمر والمدني الاخير ابو جعفر وشيبة واسمعيل والاول اشهر وعدد اهل البصرة منسوب الى عاصم بن ابي الصباح الجحدري وايوب بن المتوكل لا يختلفان الا في آية واحدة في ص قوله فالحق والحق اقول عدها الجحدري وتركها ايوب وعدد اهل مكة منسوب الى مجاهد بن جبير والى اسمعيل المكي وقيل لا ينسب عددهم الى احد بل يوجد في حيز مصاحفهم على راس كل آية ثلث نقط وعدد اهل الشام منسوب الى عبد الله بن عامر والفائدة في معرفة آي القرآن ان القاري اذا عدها باصابعه كان اكثر ثوابا لانه قد شغل يده بالقرآن مع قلبه ولسانه وبالحري ان تشهد له يوم القيمة فانها مسؤلة ولان ذلك اقرب الى التحفظ فان القاري لا يامن السهو وقد روي عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال تعاهدوا القرآن فانه وحشي وقال عليه السلام لبعض النساء اعقدن بالانامل فانهن مسؤلات ومستنطقات وقال حمزة بن حبيب وهو احد القراء السبعة العدد مسامير القرآن

الفن الثاني في ذكر اسامي القراء المشهورين في الامصار ورواتهم اما المدني فابو جعفر يزيد بن القعقاع وليس من السبعة وذكر انه قرا على عبد الله بن عباس وعلى مولاه عبد الله بن عياش بن ابي ربيعة المخزومي وهما قرآ على ابي بن كعب وقرا ابي على رسول الله صلى الله عليه وآله وله رواية واحدة ونافع بن عبد الرحمن قرا على ابي جعفر ومنه تعلم القرآن وعلى شيبة بن نصاح وعلى عبد الرحمن بن هرمز الاعرج وقرا على ابن عباس وله ثلث روايات رواية ورش وهو عثمن بن سعيد ورواية قالون عيسى بن مينا ورواية اسمعيل بن جعفر واما المكي فهو عبد الله بن كثير لا غير وقرا على مجاهد وقرا مجاهد على ابن عباس وله ثلث روايات رواية البزي ورواية ابن فليح ورواية ابي الحسن القواس واذا اجتمع اهل مكة والمدينة قيل حجازي واما الكوفي فاولهم عاصم بن ابي النجود بهدلة وله روايتان رواية حفص بن سليمن البزاز ورواية ابي بكر بن عياش ولابي بكر بن عياش ثلث روايات رواية ابي يوسف الاعشى وابي صالح البرجمي ويحيى بن آدم ولحفص اربع روايات رواية ابي شعيب القواس وهبيرة التمار وعبيد بن الصباح وعمرو بن الصباح ثم حمزة بن حبيب الزيات وله سبع روايات رواية العجلي عبد الله بن صالح ورواية رجاء بن عيسى ورواية حماد بن احمد ورواية خلاد بن خالد ورواية ابي عمر الدوري ورواية محمد بن سعدان النحوي ورواية خلف بن هشام ثم ابو الحسن علي بن حمزة الكسائي وله ست روايات رواية قتيبة ابن مهران ورواية نصير بن يوسف النحوي ورواية ابي الحارث ورواية ابي حمدون الزاهد ورواية حمدون بن ميمون الزجاج ورواية ابي عمر الدوري ثم خلف ابن هشام البزاز وليس من السبعة وله اختيار فاما عاصم فانه قرا على ابي عبد الرحمن السلمي وهو قرا على علي بن ابي طالب عليه السلام وقرا ايضا على زر بن حبيش وقرا على عبد الله بن مسعود واما حمزة فقرا على جعفر بن محمد الصادق عليه السلام وقرا ايضا على الاعمش سليمن بن مهران وقرا الاعمش على يحيى بن وثاب وهو قرا على علقمة ومسروق والاسود بن يزيد وهم قرؤا على عبد الله بن مسعود وقرا حمزة على حمران بن اعين ايضا وهو قرا على ابي الاسود الدؤلي وهو قرا على علي بن ابي طالب عليه السلام واما الكسائي فقرا على حمزة ولقي من مشايخ حمزة ابن ابي ليلى وقرا عليه وعلى ابان بن تغلب وعيسى بن عمر وغيرهم واما البصري فابو عمرو بن العلا وله ثلث روايات رواية شجاع بن ابي نصير ورواية العباس بن الفضل ورواية اليزيدي يحيى بن المبارك ولليزيدي ست روايات رواية ابي حمدون الزاهد وابي عمر الدوري واوقية وابي نعيم غلام سجادة وابي ايوب الخياط وابي شعيب السوسي ومن البصرة يعقوب بن اسحق الحضرمي وابو حاتم سهل بن محمد السجستاني وليسا من السبعة فاما يعقوب فله ثلث روايات رواية روح وزيد ورويس واذا اجتمع اهل الكوفة والبصرة قيل عراقي واما الشامي فهو عبد الله بن عامر اليحصبي لا غير وقرا على المغيرة بن ابي شهاب المخزومي وقرا المغيرة على عثمن بن عفان وله روايتان رواية ابن ذكوان ورواية هشام بن عمار قالوا وانما اجتمع الناس على قراءة هؤلاء واقتدوا بهم فيها لسببين احدهما انهم تجردوا لقراءة القرآن واشتدت بذلك عنايتهم مع كثرة علمهم ومن كان قبلهم او في ازمنتهم ممن نسب اليه القراءة من العلماء وعدت قراءتهم في الشواذ لم يتجرد لذلك تجردهم وكان الغالب على اولئك الفقه والحديث او غير ذلك من العلوم والآخر ان قراءتهم وجدت مسندة لفظا او سماعا حرفا حرفا من اول القرآن الى آخره مع ما عرف من فضائلهم وكثرة علمهم بوجوه القرآن فاذ قد تبين ذلك فاعلم ان الظاهر من مذهب الامامية انهم اجمعوا على جواز القراءة بما تتداوله القراء بينهم من القراءات الا انهم اختاروا القراءة بما جاز بين القراء وكرهوا تجريد قراءة مفردة والشايع في اخبارهم ان القرآن في تاويله فاجرى قوم لفظ الاحرف على ظاهره ثم حملوه على وجهين احدهما ان المراد سبع لغات مما لا يغير حكما في تحليل ولا تحريم مثل هلم واقبل وتعال وكانوا مخيرين في مبتدأ الاسلام في ان يقرؤا بما شاؤا منها ثم اجمعوا على احدها واجماعهم حجة فصار ما اجمعوا عليه مانعا مما اعرضوا عنه والآخر ان المراد سبعة اوجه من القراءات وذكر ان الاختلاف في القراءات على سبعة اوجه احدها اختلاف اعراب الكلمة مما لا يزيلها عن صورتها في الكتابة ولا يغير معناها نحو قوله فيضاعفه بالرفع والنصب والثاني الاختلاف في الاعراب مما يغير معناها ولا يزيلها عن صورتها نحو قوله اذ تلقونه واذ تلقونه والثالث الاختلاف في حروف الكلمة دون اعرابها مما يغير معناها ولا يزيل صورتها نحو قوله كيف ننشزها وننشرها بالراء والزاي والرابع الاختلاف في الكلمة مما يغير صورتها ولا يغير معناها نحو قوله ان كانت الا صيحة والا زقية والخامس الاختلاف في الكلمة مما يزيل صورتها ومعناها نحو طلح منضود وطلع والسادس الاختلاف بالتقديم والتاخير نحو قوله وجاءت سكرة الموت بالحق وسكرة الحق بالموت والسابع الاختلاف بالزيادة والنقصان نحو قوله وما عملت ايديهم وما عملته ايديهم قال الشيخ السعيد ابو جعفر الطوسي قدس الله روحه هذا الوجه اصلح لما روي عنهم عليهم السلام من جواز القراءة بما اختلف القراء فيه وحمل جماعة من العلماء الاحرف على المعاني والاحكام التي ينتظمها القرآن دون الالفاظ واختلفت اقوالهم فيها فمنهم من قال انها وعد ووعيد وامر ونهي وجدل وقصص ومثل وروي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال نزل القرآن على سبعة احرف زجر وامر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وامثال وروى ابو قلابة عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال نزل القرآن على سبعة احرف امر وزجر وترغيب وترهيب وجدل وقصص ومثل وقال بعضهم ناسخ ومنسوخ ومحكم ومتشابه ومجمل ومفصل وتاويل لا يعلمه الا الله عز وجل

الفن الثالث في ذكر التفسير والتاويل والمعنى وتحرير جملة موجزة اليها ينساق اكثر الكلام فيما ياتي من الكتاب التفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل والتاويل رد احد المحتملين الى ما يطابق الظاهر والفسر البيان وقال ابو العباس المبرد التفسير والتاويل والمعنى واحد وقيل الفسر كشف المغطى والتاويل انتهاء الشيء ومصيره وما يؤل اليه امره والمعنى ماخوذ من قولهم عنيت فلانا اي قصدته وكان المراد بقولهم عنيت كذا قصد بالكلام كذا وقيل هو من قولهم عنيت بهذا الامر اي تكلفته واعلم ان الخبر قد صح عن النبي صلى الله عليه وآله وعن الائمة القائمين مقامه عليهم السلام ان تفسير القرآن لا يجوز الا بالاثر الصحيح والنص الصريح وروت العامة ايضا عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال من فسر القرآن برايه فاصاب الحق فقد اخطا قالوا وكره جماعة من التابعين القول في القرآن بالراي كسعيد بن المسيب وعبيدة السلماني ونافع وسالم بن عبد الله وغيرهم والقول في ذلك ان الله سبحانه ندب الى الاستنباط واوضح السبيل اليه ومدح اقواما عليه فقال لعلمه الذين يستنبطونه منهم وذم آخرين على ترك تدبره والاضراب عن التفكر فيه فقال افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها وذكر ان القرآن منزل بلسان العرب فقال انا جعلناه قرآنا عربيا وقال النبي عليه السلام اذا جاءكم عني حديث فاعرضوه على كتاب الله فما وافقه فاقبلوه وما خالفه فاضربوا به عرض الحائط فبين ان الكتاب حجة ومعروض عليه وكيف يمكن العرض عليه وهو غير مفهوم المعنى فهذا وامثاله يدل على ان الخبر متروك الظاهر فيكون معناه ان صح ان من حمل القرآن على رايه ولم يعمل بشواهد الفاظه فاصاب الحق فقد اخطا الدليل وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال ان القرآن ذلول ذو وجوه فاحملوه على احسن الوجوه وروي عن عبد الله بن عباس انه قسم وجوه التفسير على اربعة اقسام تفسير لا يعذر احد بجهالته وتفسير تعرفه العرب بكلامها وتفسير تعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه الا الله عز وجل فاما الذي لا يعذر احد بجهالته فهو ما يلزم الكافة من الشرائع التي في القرآن وجمل دلائل التوحيد واما الذي تعرفه العرب بلسانها فهو حقائق اللغة وموضوع كلامهم واما الذي يعلمه العلماء فهو تاويل المتشابه وفروع الاحكام واما الذي لا يعلمه الا الله عز وجل فهو ما يجري مجرى الغيوب وقيام الساعة واقول ان الاعراب اجل علوم القرآن فان اليه يفتقر كل بيان وهو الذي يفتح من الالفاظ الاغلاق ويستخرج من فحواها الاعلاق اذ الاغراض كامنة فيها فيكون هو المثير لها والباحث عنها والمشير اليها وهو معيار الكلام الذي لا يتبين نقصانه ورجحانه حتى يعرض عليه ومقياسه الذي لا يميز بين سقيمه ومستقيمه حتى يرجع اليه وقد روي عن النبي عليه السلام انه قال اعربوا القرآن والتمسوا غرائبه واذا كان ظاهر الكلام طبق المعنى فكل من عرف العربية والاعراب عرف فحواه وعلم ان المراد الله تعالى به قطعا هذا اذا كان اللفظ غير مجمل يحتاج الى البيان ولا محتمل لمعنيين ومعان

نزل بحرف واحد [illegible] القرآن على سبعة احرف [illegible] كاف اختلف

زقية

و ذلك مثل قوله ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق وقوله الحكيم الذي واحد وقوله ولا يظلم ربك احدا واشباه ذلك فاما ما كان مجملا لا ينبئ عن
المراد به مفصلا مثل قوله سبحانه اقيموا الصلوة واتوا الزكوة وآتوا حقه يوم حصاده فانه يحتاج فيه الى بيان النبي صلى الله عليه وآله ووحي من الله سبحانه
فيبين تفصيل اعيان الصلوات واعداد الركعات ومقادير النصب في الزكوات وامثالها كثيرة والشروع في بيان ذلك من غير نص وتوقيف ممنوع
ويمكن ان يكون الخبر الذي تقدم محمولا عليه واما ما كان محتملا لامور كثيرة او لامرين فلا يجوز ان يكون الجميع مرادا بل قد دل الدليل على انه لا يجوز ان يكون
المراد به الا وجها واحدا فهو من باب المتشابه لاشتباه المراد فيه بالبين او يحمل على الوجه الذي يوافق الدليل ويجوز ان يقال انه هو المراد وان كان اللفظ مشتركا
بين معنيين او اكثر ويمكن ان يكون كل واحد من ذلك مرادا فلا ينبغي ان يقدم عليه بجسارته فيقال ان المراد به كذا قطعا الا بقول نبي او امام معصوم
على صدقه بل يجوز ان يكون كل واحد مرادا على التفصيل ولا نقطع عليه ولا نقلد احدا من المفسرين فيه الا ان يكون التأويل مجمعا عليه فيجب اتباعه لانعقاد
الاجماع عليه فهذه الجملة التي لخصتها اصل يجب ان يرجع اليه ويعول عليه وتعتبر وجوه التفسير وما اختلف فيه العلماء من نزول القرآن والمعاني و
الاحكام الفن الرابع في ذكر اسامي القرآن ومعانيها القرآن معناه القراءة في الاصل وهو مصدر قرأت اي تلوت وهو المروي عن ابن عباس و
قيل هو مصدر قرأت الشيء اي جمعت بعضه الى بعض قال عمرو بن كلثوم ذراعي عيطل ادماء بكر هجان اللون لم تقرأ جنينا اي لم تضم جنينا
في رحمها وهو المروي عن قتادة وانما سمي بالمصدر وهو في الحقيقة المقروء كما سمي المكتوب كتابا والمحسوب حسابا ومن اسمائه الكتاب ايضا وهو
ماخوذ من الجمع ايضا يقال كتبت السقاء اذا جمعت الخرز ومن اسمائه الفرقان سمي بذلك لانه يفرق بين الحق والباطل بادلته الدالة على صحة الحق
وبطلان الباطل عن ابن عباس وقيل سمي بذلك لانه يؤدي الى النجاة والمخرج كقوله سبحانه يجعل لكم فرقانا ومن اسمائه الذكر قال سبحانه انا نحن
نزلنا الذكر وانا له لحافظون وهو يحتمل امرين احدهما ان يريد انه ذكر من الله لعباده بالفرايض والاحكام والاخر انه شرف لمن آمن به وصدق
بما فيه كقوله سبحانه وانه لذكر لك ولقومك فهذه اربعة اسماء وقد شاع في الخبر عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال اعطيت مكان التورية السبع الطول
ومكان الانجيل المثاني ومكان الزبور المئين وفضلت بالمفصل وفي رواية واثلة بن الاسقع واعطيت مكان الانجيل المئين ومكان الزبور المثاني
واعطيت فاتحة الكتاب وخواتيم البقرة من تحت العرش لم يعطها نبي قبلي واعطاني ربي المفصل نافلة والسبع الطول البقرة وآل عمران والنساء والمائدة
والانعام والاعراف والانفال مع التوبة لانهما تدعيان القرينتين ولذلك لم يفصل بينهما ببسم الله الرحمن الرحيم وقيل ان السابعة سورة يونس والطول
جمع الطولى تانيث الاطول وانما سميت هذه السور الطول لانها اطول سور القرآن واما المثاني فهي السور التالية للسبع الطول اولها سورة يونس
واخرها سورة النحل وانما سميت مثاني لانها تثنت الطول اي تلتها فكان الطول هي المبادي والمثاني لها ثواني واحدها مثنى مثل المعنى والمعاني وقال
الفراء واحدها مثناة وقيل المثاني سور القرآن كلها طوالها وقصارها من قوله تعالى كتابا متشابها مثاني وهو قول ابن عباس وانما سميت مثاني لان
الله سبحانه ثنى فيها الامثال والحدود والفرائض وقيل ان المثاني في قوله ولقد آتيناك سبعا من المثاني آيات سورة الحمد وهو المروي عن ائمتنا
عليهم السلام وبه قال الحسن البصري واما المئون فهي كل سورة تكون نحوا من مائة آية او فوق ذلك او دونه وهي سبع اولها سورة بني اسرائيل واخرها المؤمنون
وقيل ان المئين ما ولي السبع الطول ثم المثاني بعدها وهي التي تقصر عن المئين وتزيد على المفصل وسميت مثاني لان المئين مباديها واما المفصل
فما بعد الحواميم من قصار السور الى آخر القرآن سميت مفصلا لكثرة الفصول بين سورها ببسم الله الرحمن الرحيم الفن الخامس في اشياء من علوم القرآن
يحال في شرحها وبسط الكلام فيها على المواضع المختصة بها والكتب المؤلفة فيها من ذلك العلم بكون القرآن معجزا خارقا للعادة والاستدلال
به على صدق النبي صلى الله عليه وآله والكلام في وجه اعجازه وهل هو ما فيه من الفصاحة المفرطة او لما فيه من النظم المخصوص والاسلوب البديع
او الصرفة وهو ان الله تعالى صرف العرب عن معارضته وسلبهم العلم الذي به يتمكنون من مماثلته في نظمه وفصاحته وموضع ذلك اجمع كتب الاصول
وقد وفى مشايخ المتكلمين في كتبهم لا سيما السيد الاجل المرتضى علم الهدى ذو المجدين ابو القاسم علي بن الحسين الموسوي قدس الله روحه في كتابه
الموضح عن وجه اعجاز القرآن فانه فرع الكلام فيه هناك الى غاية ما يتفرع وغاه الى نهاية ما ينتهي فلا يبقى عنده غاية الا بلغها ابدا
فيه على الاسد ومن ذلك الكلام في زيادة القرآن ونقصانه فانه لا يليق بالتفسير فاما الزيادة فيه فمجمع على بطلانه واما النقصان منه فقد
روى قوم من اصحابنا وقوم من حشوية العامة ان في القرآن تغييرا ونقصانا والصحيح من مذهب اصحابنا خلافه وهو الذي نصره المرتضى قدس الله
روحه واستوفى الكلام فيه غاية الاستيفاء في جواب المسائل الطرابلسيات وذكر في مواضع ان العلم بصحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث

الكبار والوقائع العظام والكتب المشهورة واشعار العرب المسطورة فان العناية اشتدت والدواعي توفرت على نقله وحراسته وبلغت الى
حد لم يبلغه فيما ذكرناه لان القرآن معجزة النبوة ومأخذ العلوم الشرعية والاحكام الدينية وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وحمايته
الغاية حتى عرفوا كل شيء اختلف فيه من اعرابه وقراءته وحروفه وآياته فكيف يجوز ان يكون مغيرا او منقوصا مع العناية الصادقة والضبط الشديد وقال ايضا
قدس الله روحه ان العلم بتفصيل القرآن وابعاضه في صحة نقله كالعلم بجملته وجرى ذلك مجرى ما علم ضرورة من الكتب المصنفة ككتاب سيبويه والمزني فان
اهل العناية بهذا الشان يعلمون من تفصيلهما ما يعلمونه من جملتهما حتى لو ان مدخلا ادخل في كتاب سيبويه بابا في النحو ليس من الكتاب لعرف وميز وعلم انه ملحق وليس
من اصل الكتاب وكذلك القول في كتاب المزني ومعلوم ان العناية بنقل القرآن وضبطه اصدق من العناية بضبط كتاب سيبويه ودواوين الشعراء وذكر ايضا
رضي الله عنه ان القرآن كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله مجموعا مؤلفا على ما هو عليه الان واستدل على ذلك بان القرآن كان يدرس ويحفظ جميعه
في ذلك الزمان حتى عين على جماعة من الصحابة في حفظهم له وانه كان يعرض على النبي صلى الله عليه وآله ويتلى عليه وان جماعة من الصحابة مثل عبد الله بن مسعود
وابي بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبي صلى الله عليه وآله عدة ختمات وكل ذلك يدل بادنى تامل على انه كان مجموعا مرتبا غير منثور ولا مبثوث وذكر ان
من خالف في ذلك من الامامية والحشوية لا يعتد بخلافهم فان الخلاف في ذلك مضاف الى قوم من اصحاب الحديث نقلوا اخبارا ضعيفة ظنوا صحتها لا يرجع بمثلها
عن المعلوم المقطوع على صحته ومن ذلك الكلام في الناسخ والمنسوخ وحدودهما واقسام النسخ وشرائطه والفصل بينه وبين البداء والتخصيص وهل
يجوز نسخ العبادة قبل وقت فعلها وهل يجوز نسخ القرآن بالسنة وما يعرف به الناسخ ناسخا والمنسوخ منسوخا فان ذلك اجمع وان كان من العلوم المتعلقة بالقرآن
فان موضعها الكتب المؤلفة في اصول الفقه وسياقه فيما يليق بالتفسير في مظانه من الكتاب مستوفى ان شاء الله تعالى وحده الفن السادس في ذكر بعض ما جاء
من الاخبار المشهورة في فضل القرآن واهله انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله قال اهل القرآن هم اهل الله وخاصته وعنه انه قال افضل العبادة
قراءة القرآن وعنه انه قال صلى الله عليه وآله القرآن غنى لا غنى دونه ولا فقر بعده عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال اشراف امتي حملة القرآن واصحاب الليل
عبد الله بن مسعود عنه صلى الله عليه وآله قال ان هذا القرآن مأدبة الله تعالى فتعلموا مأدبته ما استطعتم ان هذا القرآن حبل الله وهو النور المبين والشفاء
النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن تبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد فاتلوه فان الله يأجركم على تلاوته بكل حرف
عشر حسنات اما اني لا اقول الم حرف ولكن الف عشر ولام عشر وميم عشر الحارث الاعور عن امير المؤمنين علي عليه السلام قال في حديث طويل سمعت رسول الله صلى الله
عليه وآله يقول انها ستكون فتن قلت فما المخرج منها يا رسول الله قال كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من
تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره اضله لا تزيغ به الاهواء ولا تشبع منه العلماء ولا يخلق عن كثرة رد ولا تنقضي عجائبه هو الذي
الله هو حبل الله المتين وهو الصراط المستقيم وهو الذي من عمل به اجر ومن حكم به عدل ومن دعا اليه دعا الى صراط مستقيم
ابن عمر عن علي عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ القرآن حتى يستظهره ويحفظه ادخله الله الجنة وشفعه في عشرة من اهل بيته كلهم قد
وجبت لهم النار عبد الله بن عمرو عنه عليه السلام قال يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلك عند آخر آية تقرأها وعنه انه
قال صلى الله عليه وآله من قرأ القرآن فرأى ان احدا اعطي افضل مما اعطي فقد حقر ما عظم الله وعظم ما حقر الله وعنه انه قال من قرأ القرآن فكأنما
ادرجت النبوة بين جنبيه الا انه لا يوحى اليه ابو سعيد الخدري عنه عليه السلام قال حملة القرآن في الدنيا عرفاء اهل الجنة يوم القيمة وقال امير المؤمنين عليه السلام
من دخل في الاسلام طائعا وقرأ القرآن ظاهرا فله في كل سنة مائتا دينار في بيت مال المسلمين ان منع في الدنيا اخذها يوم القيمة وافية احوج ما
يكون اليها وهذه الاخبار يسير من كثير وغيض من فيض ونذر من غمر اقتصرنا عليها ايثارا للاختصار الفن السابع في ذكر ما يستحب للقاري من تحسين اللفظ
وتزيين الصوت بقراءة القرآن البراء بن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله زينوا القرآن باصواتكم حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله
صلى الله عليه وآله اقرؤوا القرآن بلحون العرب واصواتها واياكم ولحون اهل الفسق واهل الكبائر وسيجيء قوم من بعدي يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء
والرهبانية والنوح لا يجاوز حناجرهم مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم علقمة بن قيس قال كنت حسن الصوت بالقرآن وكان عبد الله بن مسعود
يرسل الي فاقرأ عليه فاذا فرغت من قراءتي قال زدنا من هذا فداك ابي وامي فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ان حسن الصوت زينة
للقرآن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله ان لكل شيء حلية وحلية القرآن الصوت الحسن عبد الرحمن بن السائب قال قدم علينا سعد بن ابي وقاص
فاتيته مسلما عليه فقال مرحبا يا ابن اخي بلغني انك حسن الصوت بالقرآن قلت نعم والحمد لله قال فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ان القرآن

نزل بالحزن فاذا قرأتموه فابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وتغنوا به فمن لم يتغن بالقرآن فليس منا وتاول بعضهم تغنوا به بمعنى استغنوا به واكثر العلماء على انه
تزيين الصوت وتحزينه وهنا سياق الكلام في القصص ذلك الله جل جلاله ولي التسهيل والتيسير وعليه التكلان في كل الامور وهو حسبنا واليه المصير
فاتحة الكتاب مكية عن ابن عباس وقتادة ومدنية عن مجاهد وقيل انزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة اسماؤها فاتحة الكتاب سميت بذلك لافتتاح
المصاحف بكتابتها ولوجوب قراءتها في الصلوة فهي فاتحة لما يتلوها من سور القرآن في الكتاب والقراءة الحمد سميت بذلك لان فيها ذكر الحمد ام الكتاب سميت
بذلك لانها متقدمة على سائر سور القرآن والعرب تسمي كل جامع امر او متقدم لامر اذا كانت له توابع تتبعه اما فيقولون ام الرأس للجلدة التي تجمع الدماغ وام القرى
لان الارض دحيت من تحت مكة فصارت لجميعها اما وقيل لانها اشرف البلدان فهي متقدمة على سائرها وقيل سميت بذلك لانها اصل القرآن والام هي الاصل
وانما صارت اصل القرآن لان الله تعالى اودعها مجموع ما في السور لان فيها اثبات الربوبية والعبودية وهذا هو المقصود بالقرآن السبع سميت بذلك لانها
سبع آيات لا خلاف في جملتها المثاني سميت بذلك لانها تثنى بقراءتها في كل صلوة فرض ونفل وقيل لانها انزلت مرتين هذه اسماؤها المشهورة وقد ذكر في
اسمائها الوافية لانها لا تنتصف في الصلوة والكافية لانها تكفي عن سائرها ولا يكفي ما سواها عنها ويؤيد ذلك رواية عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله
عليه وآله ام القرآن عوض من غيرها وليس غيرها عوضا عنها والاساس لما روي عن ابن عباس ان لكل شيء اساسا وساق الحديث الى ان قال واساس القرآن
الفاتحة واساس الفاتحة بسم الله الرحمن الرحيم والشفاء لما روي عن النبي صلى الله عليه وآله فاتحة الكتاب شفاء من كل داء والصلوة لما روي عن النبي صلى الله عليه وآله
قال قال الله عز وجل قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدني عبدي واذا قال
الرحمن الرحيم يقول الله اثنى علي عبدي واذا قال العبد مالك يوم الدين يقول الله مجدني عبدي واذا قال اياك نعبد واياك نستعين يقول الله هذا بيني و
بين عبدي ولعبدي ما سأل فاذا قال اهدنا الصراط المستقيم الى آخرها قال هذا لعبدي ولعبدي ما سأل اورده مسلم بن الحجاج في الصحيح فهذه عشرة اسماء
فضلها ذكر الشيخ ابو الحسين الخبازي المقري في كتابه في القراءات اخبرنا الامام ابو بكر احمد بن ابراهيم والشيخ عبد الله بن محمد قالا حدثنا ابو اسحق ابراهيم بن
شريك قال حدثنا احمد بن يونس اليربوعي قال حدثنا سلام بن سليم المدائني قال حدثنا هرون بن كثير عن زيد بن اسلم عن ابيه عن ابي امامة عن ابي بن كعب قال
قال رسول الله صلى الله عليه وآله ايما مسلم قرأ فاتحة الكتاب اعطي من الاجر كانما قرأ ثلثي القرآن واعطي من الاجر كانما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة وروي من طريق آخر
هذا الخبر بعينه الا انه قال كانما قرأ القرآن وروى غيره عن ابي بن كعب انه قال قرأت على رسول الله صلى الله عليه وآله فاتحة الكتاب فقال والذي نفسي بيده ما
انزل الله في التورية ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها هي ام القرآن وهي السبع المثاني وهي مقسومة بين الله وبين عبده ولعبده ما سأل وفي كتاب
محمد بن مسعود العياشي باسناده عن النبي صلى الله عليه وآله قال لجابر بن عبد الله يا جابر الا اعلمك افضل سورة انزلها الله في كتابه قال فقال له جابر بلى بابي انت
وامي يا رسول الله علمنيها قال فعلمه الحمد ام الكتاب ثم قال يا جابر الا اخبرك عنها قال بلى بابي انت وامي فاخبرني فقال هي شفاء من كل داء الا السام والسام الموت وعن سلمة بن محرز
عن الصادق عليه السلام قال من لم يبرئه الحمد لم يبرئه شيء وروي عن امير المؤمنين عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان الله عز وجل قال لي يا محمد ولقد
آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم فافرد الامتنان علي بفاتحة الكتاب وجعلها بازاء القرآن وان فاتحة الكتاب اشرف ما في كنوز العرش وان الله تعالى خص
محمدا وشرفه بها ولم يشرك فيها احدا من انبيائه ما خلا سليمن عليه السلام فانه اعطاه منها بسم الله الرحمن الرحيم الا تراه يحكي عن بلقيس حين قالت اني القي الي
كتاب كريم انه من سليمن وانه بسم الله الرحمن الرحيم الا فمن قرأها معتقدا لموالاة محمد وآله منقادا لامرها مؤمنا بظاهرها وباطنها اعطاه الله عز وجل
بكل حرف منها حسنة كل واحدة منها افضل له من الدنيا بما فيها من اصناف اموالها وخيراتها ومن استمع الى قارئ يقرؤها كان له قدر ثلث ما للقاري
فليستكثر احدكم من هذا الخير المعرض له فانه غنيمة لا يذهبن اوانه فتبقى في قلوبكم الحسرة الاستعاذة اتفق القراء على التلفظ بالتعوذ قبل التسمية فيقول
ابن كثير وعاصم وابو عمرو اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ونافع وابن عامر والكسائي اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ان الله هو السميع العليم وحمزة
نستعيذ بالله من الشيطان الرجيم وابو حاتم اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم اللغة الاستعاذة الاستجارة فمعناه استجير بالله دون غيره
والعوذ والعياذ هو الملجأ والشيطان في اللغة كل متمرد من الجن والانس والدواب ولذلك جاء في القرآن شياطين الجن والانس ووزنه فيعال من شطنت
الدار اي بعدت وقيل هو فعلان من شاط يشيط اذا بطل والاول اصح لانه قد جاء في الشعر شاطن بمعناه قال امية بن ابي الصلت ايما شاطن عصاه عكاه ثم يلقى
في السجن والاغلال والرجيم فعيل بمعنى مفعول من الرجم وهو الرمي المعنى امر الله تعالى بالاستعاذة من الشيطان اذ لا يكاد يخرج من وسوسته الانسان
فقال فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله ومعنى اعوذ بالله الجأ الى الله من شر الشيطان الخبيث البعيد من الخير المفارق لاهل الخير الرجيم جنسه وقيل المبعد من رحمة الله الرجيم اي

المطرود

المطرود من السماء المرمي بالشهب الثاقبة وقيل المرجوم باللعن ان الله هو السميع لجميع المسموعات العليم بجميع المعلومات قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم
اتفق اصحابنا انها آية من سورة الحمد ومن كل سورة وان من تركها في الصلوة بطلت صلوته سواء كانت الصلوة فرضا او نفلا وانه يجب الجهر بها فيما يجهر فيه بالقراءة
ويستحب الجهر بها فيما يخافت فيه بالقراءة وفي جميع ما ذكرناه خلاف بين فقهاء الامة ولا خلاف في انها بعض آية من سورة النمل وكل من عدها آية جعل من قوله
صراط الذين الى آخر السورة آية ومن لم يعدها آية جعل صراط الذين انعمت عليهم آية وقال انها افتتاح للتيمن والتبرك واما القراء فان حمزة وخلفا ويعقوب
واليزيدي تركوا الفصل بين السور بالتسمية والباقون يفصلون بينها بالتسمية الا بين الانفال والتوبة فضلها روي عن علي بن موسى الرضا عليه السلام انه قال
ان بسم الله الرحمن الرحيم اقرب الى اسم الله الاعظم من سواد العين الى بياضها وروي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال اذا قال المعلم للصبي قل بسم الله الرحمن
الرحيم فقال الصبي بسم الله الرحمن الرحيم كتب الله براءة للصبي وبراءة لابويه وبراءة للمعلم وعن ابن مسعود قال من اراد ان ينجيه الله من الزبانية التسعة عشر
فليقرأ بسم الله الرحمن الرحيم فانها تسعة عشر حرفا ليجعل الله كل حرف منها جنة من واحد منهم وروي عن الصادق عليه السلام انه قال ما لهم قاتلهم الله عمدوا
الى اعظم آية في كتاب الله فزعموا انها بدعة اذا اظهروها وهي بسم الله الرحمن الرحيم اللغة الاسم مشتق من السمو وهو الرفعة واصله سمو بالواو لان جمعه
اسماء مثل قنو واقناء وحنو واحناء وتصغيره سمي قال الراجز باسم الذي في كل سورة سمه وسمه ايضا ذكرهما ابو زيد وغيره وقيل انه مشتق من الوسم والسمة والاول
اصح لان المحذوف الفاء نحو صلة وعدة ووعد لا يدخله همزة الوصل ولانه كان يجب ان يقال في تصغيره وسيم كما يقال وعيد ووصيلة في تصغير عدة
وصلة والامر بخلاف ذلك الله اسم لا يطلق الا عليه سبحانه وتعالى وذكر سيبويه في اصله قولين احدهما انه اله على وزن فعال فحذفت الفاء التي هي الهمزة وجعلت
الالف واللام عوضا لازما عنها بدلالة استجازتهم قطع هذه الهمزة الموصولة الداخلة على لام التعريف في القسم والنداء في نحو قولهم افالله لتفعلن
ويا الله اغفر لي ولو كانت غير عوض لم تثبت الهمزة في الوصل كما لم تثبت في غير هذا الاسم والقول الآخر ان اصله لاه ووزنه فعل فالحق به الالف واللام
يدل عليه قول الاعشى كحلفة من ابي رياح يسمعها لاهه الكبار وانما دخلت عليه الالف واللام للتفخيم والتعظيم فقط ومن زعم انها للتعريف فقد اخطأ
لان اسماء الله تعالى معارف والالف من لاه منقلبة عن ياء فاصله ليه لقولهم في معناه لهي ابوك قال سيبويه نقلت العين الى موضع اللام وجعلت اللام
ساكنة اذ صارت في مكان العين كما كانت العين ساكنة وتركوا آخر الاسم مفتوحا كما تركوا آخر اين مفتوحا وانما فعلوا ذلك حيث غيروه لكثرته
في كلامهم فغيروا اعرابه كما غيروا بناءه وهذه دلالة قاطعة لظهور الياء في لهي والالف على هذا القول منقلبة كما ترى وفي القول الاول زائدة
لانه الف فعال وتقول العرب ايضا لاه ابوك تريد لله ابوك قال ذو الاصبع العدواني لاه ابن عمك لا افضلت في حسب عني ولا انت دياني فتخزوني
اي تسوسني قال سيبويه حذفوا لام الاضافة واللام الاخرى ولا ينكر بقاء عمل اللام بعد حذفها فقد حكى سيبويه من قولهم الله لاخرجن يريد والله
ومثل ذا كثير يطول الكتاب بذكره فاما الكلام في اشتقاقه فمنهم من قال انه اسم موضوع غير مشتق اذ ليس يجب كل لفظ ان يكون مشتقا لانه لو
وجب ذلك لتسلسل هذا قول الخليل ومنهم من قال انه مشتق ثم اختلفوا في اشتقاقه على وجوه فمنها انه مشتق من الالوهية التي هي العبادة والتأله
التعبد قال رؤبة لله در الغانيات المده سبحن واسترجعن من تألهي اي تعبدي وقرأ ابن عباس ويذرك والاهتك اي عبادتك ويقال
اله الله فلان الهة كما يقال عبد عبادة فعلى هذا يكون معناه الذي يحق له العبادة ولذلك لا يسمى به غيره ويوصف فيما لم يزل بانه اله ومنها انه
مشتق من الوله وهو التحير يقال اله يأله اذا تحير عن ابي عمرو فمعناه انه الذي يتحير العقول في كنه عظمته ومنها انه مشتق من قولهم الهت الى فلان اي
فزعت اليه لان الخلق يألهون اليه اي يفزعون اليه في حوائجهم فقيل للمألوه اله كما يقال للمؤتم به امام ومنها انه مشتق من قولهم الهت اليه اي
سكنت اليه عن المبرد ومعناه ان الخلق يسكنون الى ذكره ومنها انه من لاه اي احتجب فمعناه انه المحتجب بالكيفية عن الاوهام الظاهر بالدلائل والاعلام
الرحمن الرحيم اسمان وضعا للمبالغة واشتقاقهما من الرحمة وهي النعمة الا ان فعلان اشد مبالغة من فعيل وحكي عن ابي عبيدة انه قال الرحمن ذو الرحمة
والرحيم هو الراحم وكرر لضرب من التأكيد واما ما روي عن ابن عباس انهما اسمان رقيقان احدهما ارق من الآخر فالرحمن الرقيق والرحيم العطاف على
عباده بالرزق والنعم فمحمول على انه يعود عليهم بالفضل بعد الفضل والنعمة بعد النعمة فعبر عن ذلك بالرقة لانه تعالى لا يوصف بالرقة وما حكي عن
ثعلب ان لفظة الرحمن ليست بعربية وانما هي ببعض اللغات مستدلا بقوله تعالى قالوا وما الرحمن انكارا منهم لهذا الاسم فليس بصحيح لان هذه اللفظة
مشهورة عند العرب موجودة في اشعارها قال الشنفرى الا ضربت تلك الفتاة هجينها الا قضب الرحمن ربي يمينها وقال سلامة بن جندل وما يشاء
الرحمن يعقد ويطلق الاعراب بسم الله الباء حرف جر واصله الالصاق والحروف الجارة موضوعة لمعنى المفعولية الا ترى انها توصل الافعال الى الا

وتوقعوا عليها فاذا قلت مررت بزيد اوقعت الباء المرور على زيد فالجالب للباء فعل محذوف نحو ابدأ او ابدأ باسم الله او قولوا باسم الله فمحله نصب لانه مفعول به
وانما حذف الفعل الناصب لان دلالة الحال اغنت عن ذكره وقيل ان محل الباء رفع على تقدير مبتدأ محذوف تقديره ابتدائي باسم الله فالباء على هذا متعلقة
بالخبر المحذوف الذي قامت مقامه اي ابتدائي ثابت باسم الله او ثبت ثم حذف هذا الخبر فافضى الضمير الى موضع الباء وهذا بمنزلة قولك زيد في الدار فلا يجوز ان
تتعلق الباء بابتدائي لانه مصدر واذا تعلقت به صارت من صلته وبقي المبتدأ بلا خبر واذا سئل عن تحريك الباء مع ان اصل الحروف البناء واصل
البناء السكون فجوابه انه حرك لتعذر الابتداء به ولا يمكن الابتداء بالساكن وانما حرك بالكسر لتكون حركته من جنس ما يعمله واذا الزم كاف التشبيه في كزيد
ان الكاف لا يلزم الحرفية وقد يكون اسما في نحو قوله يضحكن عن كالبرد المنهم فحملت عليه وبين الحروف التي لا تفارق الحرفية هذا قول ابي عمر الجرمي واصحابه
فاما ابو علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي فقال انهم لو فتحوا او ضموا لجاز لان الغرض التوصل الى الابتداء فاي حركة توصل اليه جاز وبعض العرب يفتح هذا
الباء وهي لغة ضعيفة وانما حذفت الهمزة من بسم الله في اللفظ لانها همزة الوصل تسقط في الدرج وحذفت هاهنا في الخط ايضا لكثرة الاستعمال ولم تحذف في
موضع سواه لانه لا يخاف فيه اللبس ولا تحذف في نحو قوله اقرأ باسم ربك لقلة الاستعمال وانما يغلظ لام الله اذا انفتح ما قبله او انضم تفخيما لذكره
واجلالا لمعبوده وليكون فرقا بينه وبين ذكر اللات الله مجرور بالاضافة والرحمن الرحيم مجروران لانهما صفتان لله المعنى بسم الله قيل المراد به تضمين
الاستعانة فتقديره استعينوا بان تسموا الله باسمائه الحسنى وتصفوه بصفاته العلى وقيل المراد به استعينوا بالله وليلتفت اليه قول ابي عبيدة ان الاسم صلة
والمراد هو الله كقول لبيد الى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر اي ثم السلام عليكما والاسم قد يوضع موضع المسمى لما كان المعلوم على
الاسم ذكرا او خطا معلقا على المسمى تقول رايت زيدا فتعلق الرؤية على الاسم وبالحقيقة تعلقها بالمسمى فان الاسم لا يرى فحسن اقامة الاسم مقام
المسمى وقيل المراد ابتدي بتسمية الله فوضع الاسم موضع المصدر كما يقال اكرمته كرامة اي اكراما واهنته هوانا اي اهانة ومنه قول الشاعر اكفرا
بعد رد الموت عني ٭ وبعد عطائك المائة الرتاعا ٭ اي بعد اعطائك وقال اخر ٭ فان كان هذا البخل منك سجية ٭ لقد كنت في طولي رجاءك اشعبا
اراد في اطالتي رجاءك فعلى هذا يكون تقدير الكلام ابتدائي قراءتي بتسمية الله او ابتدائي بتسمية الله وهذا القول اولى بالصواب لانا انما
امرنا بان نفتتح امورنا بتسمية الله لا بالخبر عن كبريائه وعظمته كما امرنا بالتسمية على الاكل والشرب والذبائح الا ترى ان الذابح لو قال الله ولم يقل باسم الله
لكان مخالفا لما امر به ومعنى الله والاله انه يحق له العبادة وانما يحق العبادة لانه قادر على خلق الاجسام واحيائها والانعام عليها بما يستحق به
العبادة وهو سبحانه اله للحيوان والجماد لانه قادر على ان ينعم على كل منهما بما معه يستحق العبادة فاما من قال معنى الاله المستحق للعبادة يلزمه ان لا يكون
الها في الازل لانه لم يفعل الانعام الذي يستحق به العبادة وهذا خطا وانما قدم الرحمن على الرحيم لان الرحمن بمنزلة الاسم العلم من حيث لا يوصف
به الا الله تعالى فوجب لذلك تقديمه على الرحيم لانه يطلق عليه وعلى غيره وروى ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله ان عيسى بن مريم قال
الرحمن رحمن الدنيا والرحيم رحيم الآخرة وعن بعض التابعين قال الرحمن بجميع الخلق والرحيم بالمؤمنين خاصة ووجه عموم الرحمن بجميع الخلق مؤمنهم
وكافرهم وبرهم وفاجرهم هو انشاؤه اياهم وخلقهم احياء قادرين ورزقه اياهم ووجه خصوص الرحيم بالمؤمنين هو ما فعله بهم في الدنيا
من التوفيق وفي الآخرة من الجنة والاكرام وغفران الذنوب والآثام والى هذا المعنى يؤول ما روي عن الصادق عليه السلام انه قال الرحمن اسم
خاص بصفة عامة والرحيم اسم عام بصفة خاصة وعن عكرمة قال الرحمن برحمة واحدة والرحيم بمائة رحمة وهذا المعنى قد اقتبسه من قول الرسول
ان الله عز وجل مائة رحمة وانه انزل منها واحدة الى الارض فقسمها بين خلقه فبها يتعاطفون ويتراحمون واخر تسعا وتسعين لنفسه يرحم بها عباده يوم
القيمة وروي ان الله قابض هذه الى تلك فيكملها مائة يرحم بها عباده يوم القيمة قوله عز وجل الحمد لله رب العالمين اية القراءة اجمع القراء على ضم
الدال من الحمد وكسر اللام من لله وروي في الشواذ بكسر الدال على اللام وبضم الدال واللام وبفتح الدال وكسر اللام واجمعوا على كسر الباء من رب وروي عن
زيد بن علي نصب الباء ويحمل على انه بين جواز ذلك لا انه قرأه اللغة الحمد والمدح والشكر متقاربة المعنى والفرق بين الحمد والشكر ان الحمد نقيض الذم كما ان
المدح نقيض الهجاء والشكر نقيض الكفران والحمد قد يكون من غير نعمة والشكر يختص بالنعم الا ان الحمد يوضع موضع الشكر فيقال الحمد لله شكرا فينصب شكرا على
المصدر ولو لم يكن الحمد في معنى الشكر لما نصبه فاذا كان الحمد يقع موقع الشكر فالشكر هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم ويكون بالقلب وهو
الاصل ويكون ايضا باللسان وانما يجب باللسان لنفي تهمة الجحود والكفران واما المدح فهو القول المنبئ عن عظم حال الممدوح مع القصد اليه واما الرب
فله معان منها السيد المطاع كقول لبيد ٭ واهلكن يوما رب كندة وابنه ٭ ورب معد بين خبت وعرعر ٭ اي سيد كندة ومنها المالك نحو قول النبي صلى الله عليه وآله

لرجل ارب غنم انت ام رب ابل فقال من كل ما آتاني الله فاكثر واطيب ومنها الصاحب نحو قول ابي ذويب ٭ قد ناله رب الكلاب بكفه ٭ بيض رهاب ريشهن مقزع
اي صاحب الكلاب ومنها المربي ومنها المصلح واشتقاقه من التربية تقول ربيته وربيته بمعنى وفلان يرب ضيعته اذا كان يحييها ولا يطلق هذا الاسم
الا على الله تعالى ويقيد في غيره فيقال رب الدار ورب الضيعة والعالمين جمع عالم والعالم جمع لا واحد له من لفظه كالنفر والجيش وغيرهما واشتقاقه
من العلامة لانه يدل على صانعه وقيل انه من العلم لانه اسم يقع على ما يعلم وهو في عرف اللغة عبارة عن جماعة من العقلاء لانهم يقولون جاءني عالم
من الناس ولا يقولون جاءني عالم من البقر وفي المتعارف بين الناس هو عبارة عن جميع المخلوقات وتدل عليه الآية قال وما رب العالمين قال رب السموات
والارض وما بينهما وقيل انه اسم لكل صنف من الاصناف واهل كل قرن من كل صنف يسمى عالما ولذلك جمع فقيل عالمون لعالم كل زمان وهذا قول اكثر
المفسرين كابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وغيرهم وقيل العالم نوع ما يعقل وهم الملائكة والجن والانس وقيل هم الجن والانس لقوله تعالى
ليكون للعالمين نذيرا وقيل هم الانس لقوله اتاتون الذكران من العالمين الاعراب الحمد رفع بالابتداء والابتداء عامل معنوي غير ملفوظ به وهو
خلو الاسم من العوامل اللفظية ليسند اليه خبر وخبره في الاصل جملة هي فعل مسند الى ضمير المبتدأ وتقديره الحمد حق او استقر لله الا انه قد استغني
عن ذكرها لدلالة قوله لله عليها فانتقل الضمير منها اليه حيث سد مسدها وسمي هذه جملة ظرفية هذا قول الاخفش وابي علي الفارسي واصل اللام
للتحقيق والملك واما من نصب الدال فعلى المصدر تقديره احمد الحمد لله او اجعل الحمد لله الا ان الرفع في الحمد اقوى وامدح لان معناه الحمد وجب لله
او استقر لله وهذا يقتضي العموم لجميع الخلق واذا نصبت الحمد فكان تقديره احمد الحمد كان مدحا من المتكلم فقط فلذلك اختير الرفع ومن كسر الدال فانه
اتبع حركة الدال حركة اللام ومن ضمهما اتبع حركة اللام حركة الدال وهذا ايسر من الاول لانه اتبع حركة البناء حركة الاعراب والاول اتبع حركة المعرب حركة
البناء واتبع الثاني الاول وهو الاصل في الاتباع والذي كسر اتبع الاول الثاني وهذا ليس باصل واكثر النحويين يكرهون ذلك لان حركة الاعراب غير لازمة فلا
يجوز لاجلها الاتباع ولان الاتباع في الكلمة الواحدة ضعيف نحو الحلم فكيف في الكلمتين وقال ابو الفتح ابن جني في كسر الدال او ضم اللام هنا دلالة على شدة
ارتباط المبتدأ بالخبر لانه اتبع فيهما ما في احد الجزئين ما في جزء الآخر وجعل بمنزلة الكلمة الواحدة نحو قولك اخوك وابوك واصل هذه اللام الفتح لان الحرف
الواحد لاحظ له في الاعراب ولكنه يقع مبتدأ في الكلام ولا يبتدأ بساكن فاختير له الفتح لانه اخف الحركات تقول ليت زيدا وعمرا مفتوحة فالواو من وعمرا
مفتوحة وكذلك الفاء من فعمرو الا انهم كسروها لانهم ارادوا ان يفرقوا بين لام الملك ولام التوكيد اذا قلت ان المال لهذا اي في ملكه وان المال
لهذا اي هو هو واذا ادخلوا هذه اللام على مضمر ردوها الى اصلها وهو الفتح فقالوا لك وله لان اللبس قد ارتفع وذلك ان ضمير الجر يخالف لضمير الرفع
اذا قلت ان هذا لك وان هذا لانت الا انهم كسروها مع ضمير المتكلم نحو لي لان هذه الياء لا يكون ما قبلها الا مكسورا نحو غلامي وثوبي وهذا كله قول سيبويه و
جميع النحويين المحصلين وليس من الحروف المبتدأ بها ما هو على حرف واحد حرف مكسور الا الباء وحدها وقد مضى القول فيه واما لام الجزم في ليفعل فانما كسرت
ليفرق بينها وبين لام التوكيد نحو ليفعل فاعلم ورب العالمين مجرور على الصفة والعامل في الصفة عند ابي الحسن الاخفش كونه صفة فذلك الذي يرفعه وينصبه
ويجره وهو عامل معنوي كما ان المبتدأ انما رفع لابتدائه وهو معنى عمل فيه واستدل على ان الصفة لا يعمل فيه ما يعمل في الموصوف لانك تجد في الصفات
ما يخالف الموصوف في اعرابه نحو يا زيد العاقل لان المنادى مبني والعاقل الذي هو صفته معرب ودليل ثان وهو ان في هذه التوابع ما يعرب باعراب
ما يتبعه ولا يجوز ان يعمل فيه ما عمل في موصوفه وذلك نحو اجمع وجمع وجمعاء فلما صح ووجب هذا فيها دل ان الذي يعمل في الموصوف غير عامل في الصفات
في انها تابعات وقال غيره من النحويين العامل في الموصوف هو العامل في الصفة ومن نصب رب العالمين فانما ينصب على المدح والثناء كانه لما قال الحمد لله
استدل بهذا اللفظ على انه ذاكر لله فكانه قال اذكر رب العالمين فعلى هذا لو قرئ في غير القرآن رب العالمين مرفوعا على المدح ايضا لكان جائزا على معنى هو
رب العالمين قال الشاعر ٭ لا يبعدن قومي الذين هم سم العداة وآفة الجزر ٭ النازلون بكل معترك والطيبون معاقد الازر ٭ قد روي النازلون والنازلين
والطيبون والطيبين والوجه في ذلك ما ذكرناه والعالمين مجرور بالاضافة والياء فيه علامة الجر وحرف الاعراب وعلامة الجمع والنون هاهنا عوض من الحركة
في الواحد وانما فتحت فرقا بينها وبين نون التثنية تقول هذان عالمان فتكسر نون الاثنين لالتقاء الساكنين وقيل انما فتحت نون الجمع وحقها الكسر لثقل الكسرة
بعد الواو كما فتحت الفاء من سوف والنون من اين ولم تكسر لثقل الكسرة بعد الواو والياء المعنى معنى الآية ان الاوصاف الجميلة والثناء الحسن كلها لله الذي

يحق له العبادة لكونه قادرا على اصول النعم و فاعلا لها ولكونه منشيا للخلق و مربيا لهم و مصلحا لشانهم و في الاية دلالة على وجوب الشكر لله على نعمه وفيها تعليم للعباد كيف يحمدونه قوله تعالى الرحمن الرحيم اية قد مضى تفسيرها وانما اعاد ذكر الرحمن الرحيم للمبالغة وقال علي بن عيسى الرماني في الاول ذكر العبودية فوصل ذلك بشكر النعم التي بها يستحق العبادة وههنا ذكر الحمد فوصله بذكر ما به يستحق الحمد من النعم فليس فيه تكرار قوله تعالى مالك يوم الدين اية القراءة قرا عاصم والكسائي وخلف ويعقوب الحضرمي مالك بالالف والباقون ملك بغير الف ولم يمل احد الف مالك وجر جميعهم الكاف وروي في الشواذ عن الاعمش انه نصبها وعن بعضهم تخفيف فيقول ملك يوم الدين بتسكين اللام الحجة اختلفوا في ان اي القراءتين امدح فمن قرا مالك قال ان هذه الصفة امدح لانه لا يكون مالكا للشيء الا وهو يملكه وقد يكون ملكا للشيء ولا يملكه كما يقال ملك العرب وملك الروم وان كان لا يملكهم وقد يدخل في الملك ما لا يصح دخوله في الملك يقال فلان مالك الدراهم ولا يقال ملك الدراهم فالوصف بالمالك اعم من الوصف بالملك والله تعالى مالك كل شيء وقد وصف نفسه بانه مالك الملك تؤتي الملك من تشاء فوصفه بالمالك ابلغ في الثناء والمدح من وصفه بالملك ومن قرا ملك قال ان هذه الصفة امدح لانه لا يكون الا مع التعظيم والاحتواء على الجمع الكثير واختاره ابو بكر محمد بن السري السراج فقال ان الملك الذي يملك الكثير من الاشياء ويشارك غيره من الناس في ملكه بالحكم عليه فكل ملك مالك وليس كل مالك ملكا وانما قال تعالى مالك الملك لانه تعالى يملك ملوك الدنيا وما ملكوا فمعناه انه يملك ملك الدنيا فيؤتي الملك فيها من يشاء فاما يوم الدين فليس الا ملكه وهو ملك الملوك يملكهم كلهم وقد يستعمل هذا في الناس يقال فلان ملك الملوك وامير الامراء يراد بذلك انه دونه ملوكا وامراء ولا يقال ملك الملك ولا امير الامارة لان امير وملك صفة غير جارية على فعل فلا معنى لاضافتها الى المصدر فاما اضافة ملك الى الزمان فكما يقال ملك عام كذا وملوك الدهر الاول وملك زمانه وسيد زمانه فهو في المدح ابلغ والاية انما نزلت بالثناء والمدح لله تعالى الى قوله رب العالمين والربوبية والملك متشابهان وقال ابو علي الفارسي يشهد لمن قرا مالك من التنزيل قوله والامر يومئذ لله لان قولك الامر له وهو مالك الامر بمعنى الا ترى ان لام الجر معناها الملك والاستحقاق وكذلك قوله تعالى يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله يقوي ذلك ويشهد لقراءة من قرا ملك قوله لمن الملك اليوم لان اسم الفاعل من الملك الملك فاذا قال الملك له ذلك اليوم كان بمنزلة قوله هو ملك ذلك اليوم وهذا مع قوله تعالى الملك الحق والملك القدوس وملك الناس اللغة الملك القادر الواسع المقدرة المنفرد بالسياسة والتدبير والمالك القادر على التصرف في ماله وله ان يتصرف فيه على وجه ليس لاحد منعه منه ويوصف العاجز بانه مالك من جهة الحكم يقال مالك بين الملك بضم الميم وما لك بين الملك والملك بكسر الميم وفتحها وضم الميم لغة شاذة ويقال طالت مملكتهم الناس ومملكتهم بكسر اللام وفتحها ولي في هذا الوادي ملك وملك وملك ذكرها ابو علي الفارسي وقال الملك للشيء اختصاص من المالك به وخروجه من ان يكون مباحا لغيره ومعنى الاباحة في الشيء كالاجماع وخلاف الحظر والقصر على الشيء الا تراهم قالوا باح السر وبحت الدار وقال ابو بكر محمد بن السري السراج الملك والملك يرجعان الى اصل واحد وهو الربط والشد كما قالوا ملكت العجين اي شددته بهذه اللطعة قال الشاعر ملكت بها كفي فانهرت فتقها يرى قائم من دونها ما وراءها يقول شددت بهذه الطعنة كفي ومنه الاملاك ومعناه ربط الرجل بالمراة والدين معناه في الاية الجزاء قال الشاعر واعلم يقينا ان ملكك زائل واعلم بانك ما تدين تدان وهو قول سعيد بن جبير وقتادة وقيل الدين الحساب وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلم وابن عباس في الطاعة قال عمرو بن كلثوم وايام لنا غر طوال عصينا الملك فيها ان ندينا والدين العادة قال الشاعر تقول وقد دانت لها وضينها اهذا دينه ابدا وديني والدين القهر والاستعلاء قال الاعشى هو دان الرباب اذ كرهوا الدين دراكا بغزوة وصيال ويدل على ان المراد به الجزاء والحساب قوله اليوم تجزى كل نفس بما كسبت واليوم تجزون بما كنتم تعملون الاعراب قوله تعالى مالك مجرور على الوصف لله تعالى وما جاء من النصب فعلى ما ذكرناه من نصب رب العالمين ويجوز ان ينصب رب العالمين ومالك يوم الدين على النداء كانك قلت لك الحمد يا رب العالمين ويا مالك يوم الدين ومن قرا ملك يوم الدين باسكان اللام فاصله ملك فخفف كما يقال فخذ وفخذ ومن قرا ملك يوم الدين جعله فعلا ناصبا ويوم مجرور باضافة ملك او مالك اليه وكذلك الدين مجرور باضافة يوم اليه وهذه الاضافة من باب يا سارق الليلة اهل الدار اتسع في الظرف فنصب نصب المفعول به ثم اضيف اليه على هذا الحد كما قال الشاعر انشده سيبويه ويوم شهدناه سليما وعامرا قليل سوى الطعن النهال نوافله فكانه قال هو ملك ذلك اليوم ولا يبقى احد الملك فيه كما اتاه في الدنيا فلا ملك يومئذ غيره ومن قرا مالك يوم الدين فانه قد حذف المفعول به من الكلام للدلالة عليه وتقديره مالك يوم الدين الاحكام والقضاء لا يملك ذلك ولا يليه سواه وانما خص

يوم الدين بذلك لتفرده تعالى بذلك في ذلك اليوم وجميع الخلق يضطرون الى الاقرار والتسليم فاما الدنيا فليست كذلك فقد يحكم فيها ملوك ورؤساء وليست هذه الاضافة مثل قوله تعالى وعنده علم الساعة لان الساعة مفعول بها على الحقيقة وليست مفعولا بها على السعة لان الظرف اذا جعل مفعولا على السعة فمعناه معنى الظرف ولو كان الساعة ظرفا لكان المعنى يعلم في الساعة وذلك لا يجوز لانه تعالى يعلم في كل وقت والمعنى انه يعلم الساعة اي يعرفها المعنى انه سبحانه لما بين ملكه في الدنيا بقوله رب العالمين بين ايضا ملكه في الاخرة بقوله مالك يوم الدين واراد باليوم الوقت وقيل اراد به امتداد الضياء الى ان يفرغ من القضاء ويستقر اهل كل دار فيها وقال ابو علي الجبائي اراد به يوم الجزاء على الدين وقال محمد بن كعب اراد يوم لا ينفع الا الدين وانما خص يوم القيمة بذكر الملك فيه تعظيما لشانه وتفخيما لامره كما قال رب العرش وفي هذه الاية دلالة على اثبات المعاد وعلى الترغيب والترهيب لان المكلف اذا تصور ذلك لا بد ان يرجو ويخاف قوله عز وجل اياك نعبد واياك نستعين اية اللغة العبادة في اللغة هي الذلة يقال طريق معبد اي مذلل بكثرة الوطء قال طرفة تباري عتاقا ناجيات واتبعت وظيفا وظيفا فوق مور معبد وبعير معبد اذا كان مطليا بالقطران ويسمى العبد عبدا لذلته وانقياده لمولاه والاستعانة طلب المعونة يقال استعنته واستعنت به الاعراب قال الزجاج موضع اياك نصب بوقوع الفعل عليه وموضع الكاف في اياك خفض باضافة ايا اليها وايا اسم للمضمر المنصوب الا انه ظاهر يضاف الى سائر المضمرات نحو قولك اياك ضربت واياه ضربت واياي حدثت ولو قلت ايا زيد حدثت كان قبيحا لانه خص به المضمر وقد روى الخليل عن العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب هذا كلام الزجاج ورد عليه الشيخ ابو علي الفارسي فقال ان ايا ليس بظاهر بل هو مضمر يدل على ذلك تغير ذاته وامتناع ثباته في حال الرفع والجر وليس كذلك الاسم الظاهر الا ترى انه يعتقب عليه الحركات في اخره ويحكم له بها في موضعه من غير تغيير نفسه فخالف الظاهر فيما وصفناه فدل على انه مضمر ليس بظاهر قال وحكى السراج عن المبرد عن ابي الحسن الاخفش انه اسم مضمر مفرد يتغير اخره كما يتغير اخر المضمرات لاختلاف اعداد المضمرين والكاف في اياك كالتي في ذلك وهي دالة على الخطاب فقط مجردة من كونها علامة للمضمر فلا محل لها من الاعراب واقول هذا الحكم في الياء في اياي والهاء في اياه واياها حروف علامات فالياء في اياي دليل على التكلم والهاء في اياه تدل على الغيبة لا على نفس الغايب ويجري التاكيد على ايا منصوبا تقول اياك نفسك رايت واياه نفسه ضربت واياهم كلهم عنيت فاعرفه ولا يجيز ابو الحسن اياك واياه زيد وتستقبح رواية من روى من العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب ويحملها على الشذوذ لان الغرض في الاضافة التخصيص والمضمر على غاية التخصيص فلا وجه لاضافته والاصل في نستعين نستعون لانه من المعونة والعون لكن الواو قلبت ياء لثقل الكسرة عليها فنقلت كسرتها الى العين قبلها فبقيت الياء ساكنة لان هذا من الاعلال الذي يتبع بعضه بعضا نحو اعان يعين وقام يقوم وفي شرحه كلام وربما ياتي مشروحا فيما بعد ان شاء الله وقوله نعبد ونستعين مرفوع بوقوعهما موقعا يصلح للاسم الا ترى انك لو قلت الا عابدك والا مستعينك لقام مقامه فهذا المعنى عمل فيه الرفع واما الاعراب في الفعل المضارع فلمضارعته الاسم لان الاصل في الفعل البناء وانما يعرب منه ما شابه الاسماء وهو ما لحقت اوله زيادة من هذه الزيادات الاربع التي هي الهمزة والنون والتاء والياء والمعنى قوله اياك نعبد واياك نستعين ادل على الاختصاص من ان تقول نعبدك ونستعينك لان معناه نعبدك ولا نعبد سواك ونستعينك ولا نستعين غيرك كما اذا قال الرجل اياك اعني فمعناه لا اعني غيرك ويكون ابلغ من ان يقول اني اعنيك والعبادة ضرب من الشكر وغاية فيه لانها الخضوع باعلى مراتب الخضوع مع التعظيم باعلى مراتب التعظيم ولا يستحق الا باصول النعم التي هي خلق الحيوة والقدرة والشهوة ولا يقدر عليه غير الله تعالى فلذلك اختص سبحانه بان يعبد ولا يستحق بعضنا على بعض العبادة كما يستحق بعضنا على بعض الشكر ويحسن الطاعة لغير الله تعالى ولا يحسن العبادة لغيره وقول من قال ان العبادة هي الطاعة للمعبود يفسد بان الطاعة موافقة الامر وقد يكون موافقا الامر ولا يكون عابدا له الا ترى ان الابن يوافق امر الاب ولا يكون عابدا له وكذلك العبد يطيع مولاه ولا يكون عابدا له بطاعته اياه والكفار يعبدون الاصنام ولا يكونون مطيعين لهم اذ لا يتصور من جهتهم الامر ومعنى قوله اياك نستعين اياك نستوفق ونطلب المعونة على عبادتك وعلى امورنا كلها والتوفيق هو ان يجمع بين جميع الاسباب التي يحتاج اليها في حصول الفعل ولهذا لا يقال فيمن اعان غيره وفقه لانه لا يقدر ان يجمع بين جميع الاسباب التي يحتاج اليها في حصول الفعل وانما كرر قوله اياك لانه لو اقتصر على واحد ربما توهم متوهم انه لا يتقرب الى الله تعالى الا بالجمع بينهما ولا يمكنه ان يفصل بينهما وهو اذا تفكر في عظمة الله تعالى كان عبادة وان لم يستعن به وقيل انه جمع بينهما للتاكيد كما يقال المال بين زيد وبين عمرو ولو اقتصر على واحد فقيل بين زيد وعمرو كان جائزا قال عدي بن زيد وجاعل الشمس مصرا لا خفاء به بين النهار وبين الليل قد فصلا وقال اعشى همدان بين الاشج وبين قيس باذخ بخ بخ لوالده وللمولود وهذا

القول فيه نظر لان التكرير انما يكون تاكيدا اذا لم يكن محمولا على فعل ثان واياك الثاني في الآية محمول على نستعين ومفعول له فكيف يكون تاكيدا وقيل انه
انه تعليم لنا في تجديد ذكره تعالى عند كل حاجة فان قيل ان عبادة الله تعالى لا تتاتى بغير اعانة منه فكان يجب ان يقدم الاستعانة على العبادة فلم قدم
انه قدم العبادة على الاستعانة لاجل الامالة وقد يتاتى بغير استعانة وايضا فان احدهما اذا كان مرتبطا بالاخر لم يختلف التقديم والتاخير كما يقال قضيت
حقي فاحسنت الي واحسنت الي فقضيت حقي وقيل ان السوال للمعونة انما يقع على عبادة مستانفة لا على عبادة واقعة منهم وانما حسن طلب المعونة وان كان
لا بد منها مع التكليف على وجه الانقطاع اليه تعالى كقوله رب احكم بالحق ولانه ربما لا يكون اللطف في ادامة التكليف ولا في فعل المعونة به الا بعد تقدم الدعاء
من العبد وقد اخطا من استدل بهذه الاية على ان القدرة مع الفعل من حيث ان القدرة لو كانت متقدمة لما كان لطلب المعونة وجه لان الرغبة الى الله
تعالى في طلب المعونة وجهين احدهما ان يسئل الله تعالى من الطافه وما يقوي دواعيه ويسهل الفعل عليه ما ليس بحاصل ومتى لطف له بان يعلمه ان له في
فعله الثواب العظيم زاد ذلك في نشاطه ورغبته والثاني ان يطلب بقاء كونه قادرا على طاعته المستقبلة بان يجدد له القدرة حالا بعد حال عند من لا يقول
ببقائها وان لا يفعل ما يضادها وينفيها عند من يقول ببقائها واما العدول عن الخبر الى الخطاب في قوله اياك نعبد الى اخر السورة فعلى عادة العرب
مشهور واشعارهم من ذلك مملوءة قال لبيد ؛ باتت تشكي الى النفس مجهشة ؛ وقد حملتك سبعا بعد سبعينا ؛ وقال ابو كبير الهذلي ؛ يا لهف نفسي كان
جدة خالد ؛ وبياض وجهك للتراب الاعفر ؛ فرجع من الاخبار عن النفس الى مخاطبتها في البيت الاول ومن الاخبار عن خالد الى خطابه في البيت الثاني
وقال الكسائي تقديره قولوا اياك نعبد او قل يا محمد هذا كما قال الله تعالى ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا ابصرنا وقال والملائكة يدخلون
عليهم من كل باب سلام اي يقولون سلام قوله عز وجل اهدنا الصراط المستقيم آية القراءة قرا حمزة باشمام الصاد الزاي الا العجلي وبرواية خلاد وابن سعدان
فيهما بالموضعين فقط وقرا الكسائي من طريق ابي حمدون باشمام السين ويعقوب من طريق رويس بالسين والباقون بالصاد الحجة الاصل في الصراط
السين لانه مشتق من السرط ومسترط الطعام ممره ومنه سرطراط والاخذ سريطا فمن قرا بالسين راعى الاصل ومن قرا بالصاد فلما بين الصاد والطاء
من المواخاة بالاستعلاء والاطباق ولكراهة ان يتسفل بالسين ثم يتصعد بالطاء في سراط فاذا كانوا قد ابدلوا من السين الصاد مع القاف في
صقب وصويق ليجعلوها في استعلاء القاف مع بعد القاف من السين وقرب الطاء منها فان يبدلوا منها الصاد مع الطاء اجدر من حيث كانت الصاد
الى الطاء اقرب الا ترى انهما جميعا من حروف طرف اللسان واصول الثنايا وان الطاء تدغم في الصاد ومن قرا باشمام الزاي فللمواخاة بين السين
والطاء بحرف مجهور من مخرج السين وهو الزاي من غير ابطال الاصل اللغة الهداية في اللغة الارشاد والدلالة على الشيء يقال لمن يتقدم القوم ويدلهم
على الطريق هاد خريت اي مرشد خاد للطريق للفتى عقد يعيش به حيث يهدي ساقه قدمه والهداية التوفيق قال فلا تعجلن هداك المليك فان لكل مقام
مقالا اي وفقك والصراط الطريق الواضح المتسع وسمي بذلك لانه يسرط المارة اي يبتلعها والمستقيم المستوي الذي لا اعوجاج فيه قال جرير امير المؤمنين على
صراط اذا اعوج الموارد مستقيم الاعراب اهد مبني على الوقف وفاعله الضمير المستكن فيه لله سبحانه والهمزة مكسورة لان ثالث المضارع منه مكسور وموضع النون
والالف من اهدنا نصب لانه مفعول به والصراط منصوب لانه مفعول ثان المعنى قيل في معنى اهدنا وجوه احدها ان معناه ثبتنا على الدين الحق لان
الله تعالى قد هدى الخلق كلهم الا ان الانسان قد يزل وترد عليه الخواطر الفاسدة فيحسن ان يسال الله تعالى ان يثبته على دينه ويديمه عليه ويعطيه
زيادات الهدى التي هي احد اسباب الثبات على الدين كما قال تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وهذا كما يقول القائل لغيره وهو ياكل كل اي دم
على الاكل وثانيها ان الهداية هي الثواب كقوله تعالى يهديهم ربهم بايمانهم فصار معناه اهدنا طريق الجنة ثوابا لنا ويؤيده قوله الحمد لله الذي
هدانا لهذا وثالثها ان المراد دلنا على الدين الحق في مستقبل العمر كما دللتنا عليه في الماضي ويجوز الدعاء بالشيء الذي يكون حاصلا كقوله تعالى قل رب
احكم بالحق وقوله حكاية عن ابرهيم ولا تخزني يوم يبعثون وذلك ان الدعاء عبادة وفيه اظهار الانقطاع الى الله تعالى فان قيل ما معنى المسئلة
في ذلك وقد فعله الله فجوابه انه يجوز ان يكون لنا في الدعاء به مصلحة في ديننا وهذا كما تعبدنا بان نكرر التسبيح والتحميد والاقرار لله تعالى باحمد
التوحيد وان كنا معتقدين لجميع ذلك ويجوز ان يكون الله تعالى يعلم ان اشياء كثيرة تكون اصلح لنا اذا سالناه واذا لم نسئله لا تكون مصلحة فيكون
ذلك وجها في حسن المسئلة ويجوز ان يكون المراد استمرار التكليف والتعريض للثواب لان ادامته ليس بواجب بل هو تفضل محض فجاز ان يرغب
اليه فيه بالدعاء وقيل في معنى الصراط المستقيم وجوه احدها انه كتاب الله وهو المروي عن النبي صلى الله عليه وآله وعن علي عليه السلام وابن مسعود وثانيها
انه الاسلام وهو المروي عن جابر وابن عباس والثالث انه دين الله الذي لا يقبل من العباد غيره عن محمد بن الحنفية والرابع انه النبي صلى الله عليه وآله

والائمة عليهم السلام القائمون مقامه وهو المروي في اخبارنا والاولى حمل الاية على العموم حتى يدخل جميع ذلك فيه لان الصراط المستقيم هو الدين
الذي امر الله تعالى به من التوحيد والعدل وولاية من اوجب الله طاعته قوله تعالى صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين
آية القراءة قرا حمزة عليهم بضم الهاء واسكان الميم وكذلك لديهم واليهم وقرا يعقوب بضم كل هاء قبلها ياء ساكنة في التثنية وجمع المذكر والمؤنث نحو
عليهما وفيهما وعليهم وفيهم وعليهن وفيهن وقرا الباقون عليهم ولديهم واليهم بالكسر وروي في الشواذ عليهمو قراءة ابن ابي اسحق وعيسى الثقفي وعليهمي قراءة
الحسن البصري وعمرو بن فايد وعليهم مكسورة الهاء مضمومة الميم بغير واو وعليهم مضمومة الهاء والميم من غير واو فهاتان مرويتان عن الاعرج فهذه
سبع قراءات ثم اختلفوا في الميم فاهل الحجاز وصلوا الميم بواو انضمت الهاء قبلها او انكسرت قالوا عليهمو وعلى قلوبهمو وعلى سمعهمو وعلى ابصارهمو الا
ان نافعا اختلف عنه فيه والباقون يسكنون الميم فاما اذا لقي الميم حرف ساكن فان القراء اختلفوا فاهل الحجاز وعاصم وابن عامر يمضون على كسر
الهاء ويضمون الميم نحو عليهم الذلة ومن دونهم امرأتين وابو عمرو يكسر الهاء والميم وحمزة والكسائي يضمان الهاء والميم معا وكل هذا الاختلاف في الهاء التي
قبلها كسرة او ياء ساكنة فاذا جاوزت هذين لم يكن في الهاء الا الضم وقرا صراط من انعمت عليهم عمر بن الخطاب وعمرو بن الزبير وروي ذلك عن
اهل البيت عليهم السلام وروي في الشواذ غير المغضوب عليهم بالنصب وقرا وغير الضالين عمر بن الخطاب وروي ذلك عن علي عليه السلام الحجة من قرا
عليهم بضم الهاء فانه رده الى الاصل لانها اذا انفردت من حروف يتصل بها قيل هم فعلوا بضم الهاء قال السراج وهي القراءة القديمة ولغة قريش واهل
الحجاز ومن حولهم من فصحاء اليمن وانما خص حمزة هذه الحروف الثلثة بالضم لان الياء قبلها كانت الفا مثل على القوم ولدى القوم والى القوم ولا يجوز
كسر الهاء اذا كان قبلها الف ومن قرا عليهمو فانه اتبع الهاء ما اشبهها وهو الياء وترك ما لا يشبه الياء والالف على الاصل وهو الميم ومن قرا عليهم
فكسر الهاء واسكن الميم فلانه امن اللبس اذ كانت الالف في التثنية قد دلت على الاثنين ولا ميم في الواحد فلما لزمت الميم الجمع حذفوا الواو واسكنوا
الميم طلبا للتخفيف اذا كان ذلك لا يشكل واما كسر الهاء مع ان الاصل الضم فللياء التي قبلها ومن قرا عليهمو فلانه الاصل لان هذه الواو في الجمع
مثل الالف في التثنية اعني في ثبات الواو كثبات الالف ومن قرا عليهمي فانه كسر الهاء لوقوع الياء قبلها ساكنة وكسر الميم كراهة الخروج من
كسر الهاء الى ضمة الميم ثم انقلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ومن كسر الهاء وضم الميم وحذف الواو فانه احتمل الضمة بعد الكسرة لانها غير لازمة
اذ كانت الف التثنية يفتحها الكسر فحذف الواو تفاديا من ثقلها مع ثقل الضمة ومن قرا عليهم فانه حذف الواو استخفافا واحتمل الضمة قبلها
دليلا عليها واما من ضم الميم اذا لقيها ساكن وكسر الهاء فانما يحتج بان يقول لما احتجت الى الحركة رددت الحرف الى اصله فضممت وتركت الهاء
على كسرها لانه لم تات ضرورة تحوج الى ردها الى الاصل ولان الهاء انما تبعت الياء لانها شبهتها ولم تتبع الميم لبعدها منه واحتج من كسر الميم والهاء
بان يقول اتبعت الكسر الكسر لثقل الضم بعد الكسر قال سيبويه الهاء تكسر اذا كان قبلها ياء او كسرة لانها خفيفة وهي من حروف الزيادة كما ان الياء
من حروف الزيادة وهي من موضع الزيادة الالف وهي اشبه الحروف بالياء وكما امالوا الالف في مواضع استخفافا كذلك كسروا هذه الهاء وقلبوا
الواو ياء لانه لا تثبت واو ساكنة وقبلها كسرة كقولك مررت بهي ومررت بدارهي قبل الاعراب صراط الذين صفة لقوله الصراط المستقيم ويجوز ان يكون
بدلا منه والفصل بين الصفة والبدل ان البدل في تقدير تكرير العامل بدلالة تكرير حرف الجر في قوله تعالى قال الذين استكبروا للذين استضعفوا
لمن امن منهم وليس كذلك الصفة فكما اعيدت اللام الجارة في الاسم فكذلك العامل الرافع او الناصب في تقدير التكرير فكانه قال اهدنا الصراط الذين
وليس يخرج البدل وان كان كذلك عن ان يكون فيه تبيين للاول كما ان الصفة كذلك ولهذا لم يجز سيبويه بي المسكين كان الامر ولا بك المسكين كما اجاز
ذلك في الغائب نحو مررت به المسكين والذين موصول وانعمت عليهم صلة وقد تم بها اسما مفردا يكون في موضع جر باضافة صراط اليه ولا يقال في موضع
الرفع اللذون لانه اسم غير متمكن وقد يحكى اللذون شاذا كما حكي الشياطون في حال الرفع واما غير المغضوب عليهم فيجري فيه ثلثة اوجه احدها ان يكون
بدلا من الهاء والميم في عليهم كقول الشاعر على حالة لو ان في القوم حاتما على جوده لضن بالماء حاتم فجر حاتم على البدل من الهاء في جوده وثانيها ان يكون
بدلا من الذين وثالثها ان يكون صفة للذين وان كان اصل غير ان يكون صفة للنكرة تقول مررت برجل غيرك كانك قلت مررت برجل اخر او برجل ليس بك
قال الزجاج وانما جاز ذلك لان الذين هنا ليس بمقصود قصدهم فهو بمنزلة قولك اني لامر بالرجل مثلك فاكرمه وقال علي بن عيسى الرماني انما جاز
ان يكون نعتا للذين لان الذين بصلتها ليست بالمعرفة الموقتة كالاعلام نحو زيد وعمرو وانما هي كالنكرات اذا عرفت نحو الرجل والفرس فلما كانت
الذين كذلك كانت صفتها كذلك ايضا كما يقال لا اجلس الا الى العالم غير الجاهل ولو كانت بمنزلة الاعلام لما جاز كما لم يجز مررت بزيد غير الظريف

بالجر على الصفة وقال ابو بكر السراج والذي عندي ان غير في هذا الموضع مع ما اضيف اليه معرفة لان حكم كل مضاف الى معرفة ان يكون معرفة وانما تنكرت
غير ومثل مع اضافتهما الى المعارف من اجل معناهما وذلك انك اذا قلت رأيت غيرك فكل شيء ترى سوى المخاطب هو غيره وكذلك اذا قلت رأيت مثلك
فما هو مثله لا يحصى فاما اذا كان شيء معرفة له ضد واحد واردت اثباته ونفي ضده وعلم ذلك السامع فوصفته بغير واضفت غير الى ضده فهو معرفة
وذلك نحو قولك عليك بالحركة غير السكون فغير السكون معرفة وهي الحركة فكانك كررت الحركة تاكيدا فكذلك قوله تعالى الذين انعمت عليهم غير المغضوب
عليهم فغير المغضوب هم الذين انعم عليهم فمتى كانت غير بهذه الصفة فهي معرفة فكذلك اذا عرف انسان بانه مثلك في ضرب من الضروب فقيل فيه قد جاء
مثلك كان معرفة اذا اردت المعروف بشبهك قال ومن جعل غير بدلا استغنى عن هذا الاحتجاج لان النكرة قد تبدل من المعرفة وفي نصب غير ثلاثة اوجه
ايضا احدها ان يكون نصبا على الحال من المضمر في عليهم والعامل في الحال انعمت فكانه قال الصراط الذين انعمت عليهم لا مغضوبا عليهم وثانيها ان يكون نصبا
على الاستثناء المنقطع لان المغضوب عليهم من غير جنس المنعم عليهم وثالثها ان يكون نصبا على اعني كانه قال اعني غير المغضوب عليهم ولم يجز ان يقال غير المغضوبين
عليهم لان الضمير قد خرج في عليهم فاستغنى عن ان يجمع المغضوب وهذا حكم كل ما تعدى بحرف جر تقول رأيت القوم غير مذهوب بهم استغنيت بالضمير المجرور في
بهم عن جمع المذهوب واما لا في قوله ولا الضالين فذهب البصريون الى انها زائدة لتوكيد النفي وذهب الكوفيون الى انها بمعنى غير وحجة البصريين انك اذا
قلت ما قام زيد وعمرو احتمل ان تريد ما قاما معا ولكن قام كل واحد منهما بانفراده فاذا قلت ما قام زيد ولا عمرو زال الاحتمال وعين معنى النفي لكل
واجازوا النحويون انت زيدا غير ضارب لانه بمنزلة قولك انت زيدا لا ضارب ولا يجيزون انت زيدا مثل ضارب لان زيدا من صلة ضارب ولا يتقدم
عليه وقال علي بن عيسى الرماني من نصب على الاستثناء جعل لا صلة كما انشد ابو عبيدة في بئر لا حور سرى ولا شعر في بئر هلكة وتقديره غير المغضوب
عليهم والضالين كما قال ما منعك ان لا تسجد يعني ان تسجد المعنى واللغة معنى الآية بيان الصراط المستقيم اي صراط من انعمت عليهم بطاعتك وهم الذين
ذكرهم الله تعالى في قوله ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين واصل النعمة المبالغة والزيادة
يقال دققت الدواء فانعمت دقه اي بالغت في دقه وهذه النعمة وان لم تكن مذكورة في اللفظ فالكلام يدل عليها لانه لما قال اهدنا الصراط المستقيم وقد بينا المراد
بذلك بين ان اهل الصراط من انعم عليهم به ولم يحتج الى اعادة اللفظ كما قال النابغة كانك من جمال بني اقيش يقعقع خلف رجليه بشن اي كانك من جمالهم جمل يقعقع
خلف رجليه واراد بالمغضوب عليهم اليهود عند جميع المفسرين الخاص والعام ويدل عليه قوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وهؤلاء
هم اليهود بدلالة قوله تعالى ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين واراد بالضالين النصارى بدلالة قوله تعالى
ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل وقال الحسن البصري ان الله تعالى لم يبرئ اليهود عن الضلالة باضافة الضلالة
الى النصارى ولم يبرئ النصارى عن الغضب باضافة الغضب الى اليهود بل كل واحد من الطائفتين مغضوب عليهم وهم ضالون الا ان الله تعالى يخص كل فريق
بسمة يعرف بها ويميز بينه وبين غيره بها وان كانوا مشتركين في صفات كثيرة وقيل المراد بالمغضوب عليهم والضالين جميع الكفار وانما ذكروا بالصفتين لاختلاف
الفائدتين واختار الامام عبد القاهر الجرجاني قول الاخير قال والحق اللفظ فيه ان يكون خرج مخرج الجنس كما تقول نعوذ بالله ان تكون حالنا حال المغضوب
عليهم فانك لا تقصد به قوما باعيانهم ولكنك تريد ما تريده بقولك اذا قلت اللهم اجعلني ممن انعمت عليهم ولا تجعلني ممن غضبت عليهم فلا تريد
ان هنا قوما باعيانهم قد اختصوا بهذه الصفة التي هي كونهم منعما عليهم وليس يخفى على من عرف الكلام ان العقلاء يقولون اجعلني ممن تديم له النعم
وهم يريدون ان يقولوا ادم علي النعمة ولا يشك عاقل اذا نظر الى قول عنترة: ولقد نزلت فلا تظني غيره مني بمنزلة المحب المكرم: انه لم يرد ان يشبهها
بانسان هو محب مكرم عنده او عند غيره ولكنه اراد ان يقول انك محبة مكرمة عندي واما الغضب من الله تعالى فهو ارادة انزال العقاب المستحق بهم و
براءته منهم واصل الغضب الشدة ومنه الغضبة الصخرة الصلبة الشديدة المركبة في الجبل والمغضوب الحية الخبيثة والناقة العبوس واصل الضلال
الهلاك ومنه قوله اذا ضللنا في الارض اي هلكنا ومنه قوله واضل اعمالهم اي اهلكها والضلال في الدين الذهاب عن الحق وانما لم يقل الذين انعمت
عليهم غير الذين غضبت عليهم مراعاة للادب في الخطاب واختيار الحسن اللفظ المستطاب وفي تفسير العياشي رحمه الله روى محمد بن مسلم
عن ابي عبد الله عليه السلام قال سألته عن قول الله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم قال فاتحة الكتاب يثنى فيها القول قال
وقال رسول الله صلى الله عليه وآله ان الله تعالى من علي بفاتحة الكتاب من كنز الجنة فيها بسم الله الرحمن الرحيم الآية التي يقول الله تعالى فيها و
اذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا والحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم دعوى اهل الجنة حين شكروا الله حسن الثواب

مالك

ومالك يوم الدين قال جبرئيل ما قالها مسلم الا صدقه الله واهل سمائه اياك نعبد اخلاص للعبادة واياك نستعين افضل ما طلب به العباد حوائجهم
اهدنا الصراط المستقيم صراط الانبياء وهم الذين انعم الله عليهم غير المغضوب عليهم اليهود ولا الضالين النصارى وروى محمد الحلبي عن ابي عبد الله
عليه السلام انه كان يقرأ ملك يوم الدين ويقرأ اهدنا صراط المستقيم وفي رواية اخرى يعني امير المؤمنين عليه السلام وروى جميل عن ابي عبد الله
عليه السلام قال اذا كنت خلف امام وفرغ من قراءة الفاتحة فقل انت من خلفه الحمد لله رب العالمين وروى فضيل بن يسار عنه عليه السلام
قال اذا قرأت الفاتحة ففرغت من قراءتها وانت في الصلوة فقل الحمد لله رب العالمين النظم وانما نظم هذه السورة فانه قال لما ان العاقل المميز اذا
عرف نعم الله سبحانه بالمشاهدة وكان له من نفسه بذلك اعدل شاهد ولصدق ما يرد ابتداء باية التسمية استفتاحا باسم المنعم واعترافا بالعبودية و
استرواحا الى ذكر فضله ورحمته ولما اعترف بالمنعم المفرد اشتغل بالشكر له والحمد فقال الحمد لله ولما رأى نعم الله تعالى على غيره واجدة كما
آثارها على نفسه لا يصح عرفانه رب الخلائق اجمعين فقال رب العالمين فلما رأى شمول فضله للمربوبين وعموم رزقه للمرزوقين قال الرحمن ولما
رأى تقصيرهم في واجب شكره وتعذيرهم في الانزجار عند زجره واجتناب نهيه وامتثال امره وانه تعالى يتجاوز عنهم بالغفران ولا يؤاخذهم
عاجلا بالعصيان ولا يسلبهم نعمه بالكفران قال الرحيم ولما رأى ما بين العباد من التباغي والتظالم والتكالم والتلاكم وان ليس بعضهم من شر بعض
بسالم علم ان لهم يوما ينتصف فيه للمظلوم من الظالم فقال مالك يوم الدين واذا عرف هذه الجملة فقد علم ان له خالقا رازقا رحيما يحيي ويميت
ويبدئ ويعيد وهو الحي لا يشبهه شيء والاله الذي لا يستحق العبادة سواه وبالصار الموصوف بهذا الوصف كالمدرك له بالعيان المشاهد
بالبرهان فتحول عن لفظ الغيبة الى لفظ الخطاب فقال اياك نعبد وهذا كما ان الانسان يصف الملك بصفاته فاذا رآه عدل عن الوصف الى
الخطاب ولما رأى اعتراض الاهواء والشبهات وتعاور الاهوال والمختلفات ولم يجد معينا غير الله تعالى سأله الاعانة على الطاعات بجميع الاسباب
لها والوصلات فقال واياك نستعين ولما عرف هذه الجملة وتبين انه بلغ من معرفة الحق المدى واستقام على منهج الهدى ولم يأمن العثرة لارتفاع
العصمة سأل الله تعالى التوفيق للدوام عليه والثبات والعصمة من الزلات فقال اهدنا الصراط المستقيم وهذا لفظ جامع يشتمل على مسألة
معرفة الاحكام والتوفيق لاقامة شرائع الاسلام والاقتداء بمن اوجب الله طاعته من ائمة الانام عليهم السلام واجتناب المحارم والآثام واذا علم ذلك علم
ان الله سبحانه عبادا اختصهم بنعمه واصطفاهم على بريته وجعلهم حججا على خليقته سأله ان يلحقه بهم ويسلك به سبيلهم وان يعصمه عن مثل احوال
الزائغين المزلين والضالين المضلين ممن عاند الحق وعمي عن طريق الرشد وخالف سبيل القصد فغضب الله عليه ولعنه واعد له الخزي المقيم والعذاب
الاليم او شك في واضح الدليل فضل عن سواء السبيل فقال صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين سورة البقرة مدنية كلها
الا اية منها وهي قوله واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله الاية فانها نزلت في حجة الوداع بمنى عدد آيها مائتان وست وثمانون اية في العدد
الكوفي وهو العدد المروي عن امير المؤمنين عليه السلام وسبع في العدد البصري وخمس حجازي واربع شامي خلافها احدى عشرة اية عد الكوفي الم اية و
عد البصري الاخرى اثنين وقولا معروفا بصري عذاب اليم شامي مصلحون عنهم يا اولي الالباب عراقي والمدني الاخير من خلاق الثاني غير المدني الاخير
يسئلونك ماذا ينفقون مكي والمدني الاول يعكفون كوفي شامي والمدني الاخير الحي القيوم مكي بصري والمدني الاخير من الظلمات الى النور المدني الاول
وروي عن اهل مكة ولا يضار كاتب ولا شهيد فضلها ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله قال من قرأها فصلوات الله عليه ورحمته واعطي من الاجر
كالمرابط في سبيل الله سنة لا تسكن روعته وقال لي يا ابي مر المسلمين ان يتعلموا سورة البقرة فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة
قلت يا رسول الله ما البطلة قال السحرة وروى سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان لكل شيء سناما وسنام القرآن سورة البقرة من
قرأها في بيته نهارا لم يدخل بيته شيطان ثلاثة ايام ومن قرأها في بيته ليلا لم يدخله شيطان ثلاث ليال وروي ان النبي صلى الله عليه وآله بعث بعثا
ثم تتبعهم يستقرئهم فجاء انسان منهم فقال ماذا معك من القرآن حتى اتى على احدثهم سنا فقال له ماذا معك من القرآن قال كذا وكذا وسورة
البقرة فقال اخرجوا وهذا عليكم امير قالوا يا رسول الله هو احدثنا سنا قال معه سورة البقرة وسئل النبي صلى الله عليه وآله اي سور القرآن افضل قال
البقرة قال اي آي البقرة افضل قال آية الكرسي وقال الصادق عليه السلام من قرأ البقرة وآل عمران جاء يوم القيامة تظلانه على رأسه مثل الغمامتين
او مثل الغيابتين تفسيرها بسم الله الرحمن الرحيم آية كوفي اختلف العلماء في الحروف المعجمة المفتتحة بها السور فذهب بعضهم الى انها من المتشابهات
التي استأثر الله تعالى بعلمها ولا يعلم تأويلها الا هو وهذا هو المروي عن ائمتنا عليهم السلام وروى العامة عن امير المؤمنين عليه السلام انه قال لكل كتاب

آلم

صفة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي وعن الشعبي قال لله في كل كتاب سر وسره في القرآن سائر حروف الهجاء المذكورة في اوائل السور وفسرها
الآخرون على وجوه احدها انها اسماء السور ومفاتحها عن الحسن وزيد بن اسلم وثانيها ان المراد بها الدلالة على اسماء الله تعالى فقوله الم معناه
انا الله اعلم والر معناه انا الله أرى والمص معناه انا الله اعلم وافصل والكاف في كهيعص من كاف والهاء من هاد والياء من حكيم والعين من
عليم والصاد من صادق عن ابن عباس وعنه ايضا ان الم الالف منه يدل على اسم الله واللام يدل على اسم جبرئيل والميم يدل على اسم محمد وروى ابو اسحق
الثعلبي في تفسيره مسندا الى علي بن موسى الرضا عليه السلام قال سئل جعفر الصادق عليه السلام عن قوله الم فقال في الالف ست صفات من صفات
الله عز وجل الابتداء فان الله تعالى ابتدأ جميع الخلق والالف ابتداء الحروف والاستواء فهو عادل غير جائر والالف مستو في ذاته والانفراد فالله
فرد والالف فرد واتصال الخلق بالله والله لا يتصل بالخلق وكلهم محتاجون الى الله والله غني عنهم وكذلك الالف لا يتصل بالحروف والحروف متصلة به وهو منقطع عن
غيره والله عز وجل باين بجميع صفاته من خلقه ومعناه من الالفة فكما ان الله عز وجل سبب الفة الخلق فكذلك الالف عليه تألفت الحروف وهو
سبب الفتها وثالثها انها اسماء الله تعالى مقطعة لو احسن الناس تأليفها لعلموا اسم الله الاعظم تقول الر وحم ون فيكون الرحمن وكذلك سائرها
الا انا لا نقدر على وصلها والجمع بينها عن سعيد بن جبير ورابعها انها اسماء القرآن عن قتادة وخامسها انها اقسام اقسم الله تعالى بها وهي من اسمائه
عن ابن عباس وعكرمة قال الاخفش وانما اقسم الله تعالى بالحروف المعجمة لشرفها وفضلها ولانها مباني كتبه المنزلة بالالسنة المختلفة واسمائه
الحسنى وصفاته العليا واصول كلام الامم كلها بها يتعارفون ويذكرون الله عز اسمه ويوحدونه فكانه اقسم بهذه الحروف ان القرآن كتابه و
كلامه وسادسها ان كل حرف منها مفتاح اسم من اسماء الله تعالى وليس فيها حرف الا وهو في آلائه وبلائه وليس فيها حرف الا وهو في مدة قوم وآجال
آخرين عن ابي العالية وقد ورد ايضا مثل ذلك في اخبارنا وسابعها ان المراد بها مدة بقاء هذه الامة عن مقاتل بن سليمان قال مقاتل حسبنا هذه الحروف
التي في اوائل السور باسقاط المكرر فبلغت سبعمائة واربعا واربعين سنة وهي بقية مدة هذه الامة قال علي بن فضال المجاشعي النحوي حسبت هذه
الحروف التي ذكرها مقاتل فبلغت ثلاثة الاف وخمسا وستين فحذفت المكررات فبقي ستمائة وثلث وتسعون والله اعلم بما فيها واقول قد حسبتها انا ايضا
فوجدتها كذلك ويروى ان اليهود لما سمعوا الم قالوا مدة ملك محمد قصير انما يبلغ احدى وسبعين سنة فلما نزلت الر والمر والمص وكهيعص اتسع
عليهم الامر هذه اقوال اهل التفسير وثامنها ان المراد بها حروف المعجم استغنى بذكر ما ذكر منها في اوائل السور عن ذكر بواقيها التي هي تمام الثمانية والعشرين
حرفا كما يستغنى بذكر قفا نبك عن ذكر باقي القصيدة وكما يقال ابني في الجد في ا ب ت ث ولم يذكروا باقي الحروف قال الراجز لما رأيت امرها في حطي
اخذت منها بقرون شمط وانما اراد الخبر عن المرأة بانها في ابجد فاقام قوله حطي مقامه لدلالة الكلام عليه وتاسعها انها تسكيت للكفار لان المشركين
كانوا تواصوا فيما بينهم ان لا يستمعوا لهذا القرآن وان يلغوا فيه كما ورد به التنزيل من قوله لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه الآية فربما صفروا وربما صفقوا
وربما لغطوا ليغلطوا النبي صلى الله عليه وآله فانزل الله تعالى هذه الحروف حتى اذا سمعوا شيئا غريبا استمعوا اليه وتفكروا واشتغلوا عن تغليطه فيقع
القرآن في مسامعهم ويكون ذلك سببا موصلا لهم الى درك منافعهم وعاشرها ان المراد بها ان هذا القرآن الذي عجزتم عن معارضته من جنس هذه
الحروف التي تتحاورون بها في خطبكم وكلامكم فاذا لم تقدروا عليه فاعلموا انه من عند الله لان العادة لم تجر بان الناس يتفاوتون في القدر هذا
التفاوت العظيم وانما كررت في مواضع استظهارا في الحجة وهو المحكي عن قطرب واختاره ابو مسلم محمد بن بحر الاصفهاني. اللغة اجود هذه الاقوال
القول الاول المحكي عن الحسن لان اسماء الاعلام منقولة عن اصولها للتفرقة بين المسميات فيكون حروف المعجم منقولة الى التسمية ولهذا في اسماء العرب
نظير قال اوس بن حارثة بن لام الطائي ولا خلاف بين النحويين انه يجوز ان يسمى بحروف المعجم كما يجوز ان يسمى بالجمل نحو تأبط شرا وبرق نحره وكل
كلمة لم تكن على معنى الاصل فهي منقولة الى التسمية للفرق نحو جعفر اذا لم يرد به معنى النهر لم يكن الا منقولا الى العلمية وكذلك اشباهه
ولو سميت بالم لحكيت جميع ذلك واما قول ابن عباس انه اختصار من اسماء يعلم النبي عليه السلام تمامها فنحو قول الشاعر: نادوهم ان الجموا الاتا
قالوا جميعا كلهم الافا يريد الا تركبون قالوا الا فاركبوا وقول الآخر قلنا لها قفي لنا قالت قاف لا تحسبي انا نسينا الايجاف يريد قالت انا واقفة
الاعراب اما موضع الم من الاعراب فمختلف على حسب اختلاف هذه المذاهب اما على مذهب الحسن فموضعها رفع على اضمار مبتدا محذوف كانه قال
هذه الم واجاز الرماني ان يكون الم مبتداء وذلك الكتاب خبره وتقديره حروف المعجم ذلك الكتاب وهذا فيه بعد لان حكم المبتدا ان يكون هو الخبر
في المعنى ولم يكن الكتاب حروف المعجم ويجوز ان يكون الم في موضع نصب على اضمار فعل تقديره اتل الم واما على مذهب من جعلها قسما فموضعها نصب

باضمار

باضمار فعل لان حرف القسم اذا حذف يصل الفعل الى المقسم به فينصبه فان معنى قولك بالله اقسم بالله ثم حذفت اقسم فبقي بالله فلو حذفت
الباء لقلت الله لافعلن واما على مذهب من جعل هذه الحروف اختصارا من كلام او حروفا مقطعة فلا موضع لها من الاعراب لانها بمنزلة
قولك زيد قائم في ان موضعه لا حظ له في الاعراب وانما يكون للجملة موضع اذا وقعت موقع المفرد كقولك زيد ابوه قائم وان زيدا ابوه
قائم لانه بمنزلة قولك زيد قائم وان زيدا قائم وهذه الحروف موقوفة على الحكاية كما يفعل بحروف التهجي لانها مبنية على السكت كما ان العدد
مبني على السكت يدل على ذلك جمعك بين ساكنين في قولك لام ميم وتقول في العدد واحد اثنان ثلثة اربعة فتقطع الف اثنين والف اثنين الف وصل
وتذكر الهاء في ثلثة واربعة ولولا انك تقدر السكت لقلت ثلثة بالتاء ويدل عليه قول الشاعر: اقبلت من عند زياد كالخرف: تخط رجلاي بخط
مختلف: تكتبان في الطريق لام الف: كانه قال لام الالف ولكنه القى حركة همزة الالف على الميم ففتحها واذا اخبرت عن حروف الهجاء او اسماء الاعداد
اعربتها لانك ادخلتها بالاخبار عنها في جملة الاسماء المتمكنة واخرجتها بذلك من حيز الاصوات كما قال الشاعر: كما بينت كاف تلوح وميمها: وقال
آخر اذا اجتمعوا على الف وياء وواو هاج بينهم جدال وتقول هذه كاف حسن وهذه كاف حسنة من ذكر فعلى معنى الحرف ومن انث فعلى معنى الكلمة
قوله تعالى ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين آية القراءة قرأ ابن كثير فيهو هدى بوصل الهاء بياء في اللفظ وكذلك كل هاء كناية قبلها ياء ساكنة
فان كان قبلها ساكن غير الياء وصلها بالواو ووافقه حفص في قوله فيه مهانا وقرأ قتيبة في قوله فملاقيه وساصليه والباقون لا يشبعون واذا تحرك ما قبل
الهاء فهم مجمعون على الاشباع الحجة اعلم انه يجوز في الهاء في فيه اربعة اوجه فيهو وفيهي وفيه وفيه والاصل فيهو كما قيل لهو مال وكثير فيه ونحو
مع ان الاصل الضم وانما جعل الياء او الكسرة قبل الهاء والهاء تشبه الالف لكونهما من حروف الحلق ولما فيهما من الخفاء كما نحي بالالف نحو الياء بالامالة لاجل
الكسرة والياء كذلك كسر الهاء للكسرة او الياء ليتجانس الصوتان ومن ترك الاشباع فلكراهة اجتماع المتشابهة فان الهاء حرف خفي فاذا اكتنفها
ساكنان من حروف اللين كان كان الساكنين التقيا لخفاء الهاء فالضم لم يعتد بها حاجزا في نحو فيهي وخذوهو كما لم يعتد بها في نحو ردها من اتبع الضم
الضم اذا وصل الفعل بضمير المؤنث فقال ردها بالفتح لا غير ولم يتبع الضم الضم وجعل الدال كانها لاقت الالف واما من اشبع واتبعها الياء فقال انها
وان كانت خفية فليس يخرجها ذلك من ان تكون كغيرها من حروف المعجم التي لا خفاء فيها فاذا كان كذلك كان يجرها بين الساكنين كجري غيرها من الحروف
التي لا خفاء فيها اللغة ذلك لفظ يشار بها الى ما بعد وهذا الى ما قرب والاسم من ذلك ذا والكاف زيدت للخطاب ولا حظ لها من الاعراب
واللام تزاد للتوكيد وكسرت لالتقاء الساكنين وتسقط مع هاء تقول ذاك وذلك وهذاك ولا تقول هذا لك والكتاب مصدر وهو بمعنى
المكتوب كالحساب قال الشاعر: بشرت عيالي اذ رأيت صحيفة: اتتك من الحجاج يتلى كتابها: اي مكتوبها واصل الجمع من قولهم كتبت القربة اذا خرزتها
والكتبة الخرزة وكتبت البغلة اذا جمعت بين شفريها بحلقة ومنه قيل للجند كتيبة لانضمام بعضهم الى بعض والريب الشك وقيل هو اسوء الشك وهو
مصدر رابني الشيء من فلان يريبني اذا كنت مستيقنا منه بالريبة فاذا اساءت به الظن ولم تستيقن بالريبة منه قلت ارابني من فلان امر ارابة
واراب الرجل اي صار صاحب ريبة كما قيل الام اي استحق ان يلام والهدى الدلالة مصدر هديته وهو قليل في المصادر قال ابو علي يجوز ان يكون فعل
مصدرا لاختصاص المعتل وان لم يجئ في الصحاح كما كان كينونة ونحوه لا يكون في الصحيح والفعل منه يتعدى الى الثاني منهما بحرف جر الى واللام
كقوله اهدنا الى سواء الصراط والحمد لله الذي هدانا لهذا وقد يحذف منه حرف الجر فيصل الفعل الى المفعول نحو اهدنا الصراط المستقيم اي دلنا
عليه واسلك بنا فيه وكانه استعجال لما وعدوا به في قوله يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام اي سبل دار السلام والاصل في المتقين
الموتقيين مفتعلين من الوقاية فقلبت الواو تاء وادغمت في التاء التي بعدها وحذفت الكسرة عن الياء استثقالا لها ثم حذفتها لالتقاء
الساكنين فبقي متقين والتقوى اصله وقوى قلبت الواو تاء كالتراث فاصله وراث واصل الاتقاء الحجز بين الشيئين يقال اتقاه بالترس
اي جعله حاجزا بينه وبينه قال الشاعر: فالقت قناعا دونه الشمس واتقت: باحسن موصولين كف ومعصم: ومنه الوقاية لانها تمنع
رؤية الشعر الاعراب ذلك في موضع رفع من وجوه احدها ان يجعل خبرا عن الم كما مضى القول فيه وثانيها ان يكون مبتدا والكتاب
خبره وثالثها ان يكون مبتدأ والكتاب عطف بيان او صفة له او بدل منه ولا ريب فيه جملة في موضع الخبر ورابعها ان يكون مبتدا
وخبره هدى ويكون لا ريب فيه في موضع الحال والعامل في الحال معنى الاشارة وخامسها ان يكون لا ريب فيه وهدى جميعا خبرا بعد خبر
كقولك هذا حلو حامض اي جمع الطعمين ومنه قول الشاعر: من يك ذا بت فهذا بتي: مقيظ مصيف مشتي: وسادسها ان يكون خبر مبتدا

محذوف تقديره هذا ذلك الكتاب واذا حملت على هذا الوجه او على انه مبتداء ولاريب الخبر او على انه خبر الم او على ان الكتاب خبره كان قوله هدى في موضع نصب على الحال اى هاديا للمتقين والعامل فيه معنى الاشارة او الاستقرار الذى يتعلق به فيه وقوله لاريب فيه قال سيبويه لا تعمل فيما بعدها فتنصبه بغير تنوين وقال غيره من حذاق النحويين جعل لا مع النكرة الشايعة مركبا فبنوا لكون تضمين الاسم معنى الحرف لان رجل جواب لاذ بلا الله انك تضيف اليه مجموعا يدخل عليه حرف الجر فتقول جيئتك بلا مال ولا زاد فلما صار كذلك بنى على الفتح وهما جميعا فى موضع الرفع على الا فى موضع خبر موضوع خبر المبتداء وعلى هذا يجوز ان يجعل فيه خبرا ويجوز ان يجعله صفة فان جعلته صفة اضمرت الخبر وان جعلته خبرا كان موضعه رفعا فى قياس قول سيبويه من حيث يرتفع خبر الابتداء وعلى قول ابى الحسن الاخفش موضعه رفع والموضع للظرف نفسه لا لما كان يتعلق به لان الحكم لا من حيث ما كان يكون الظرف متعلقا به فى الاصل الا ترى ان الضمير قد صار فى الظرف واما قوله هدى فيجوز ان يكون فى موضع رفع من ثلثة اوجه غير الوجه الذى ذكرنا احدها وهو ان يكون خبرا عن ذلك الثانى ان يكون مبتداء وفيه الخبر على ان تضمر للاريب خبرا كانك قلت لاريب فيه هدى وعلى هذا الوجه يكون على قوله لاريب ويبتدى فيه هدى للمتقين وان شئت جعلت فيه هذا الظاهر خبرا عن لاريب واضمرت لهدى خبرا كانك قلت لاريب فيه فيه هدى والوقف على هذا الوجه على قوله لاريب فيه ويبتدى هدى للمتقين والوجه الثالث ان يكون خبرا عن الم على قول من جعله اسما للسورة والوجه الثالث ان يكون خبر المبتداء محذوف تقديره هو هدى المعنى المراد بالكتاب القرآن وقال الاخفش ذلك بمعنى هذا لان الكتاب كان حاضرا وانشد لخفاف بن ندبة اقول له والرمح يأطر متنه تأمل خفافا اننى انا ذلكا اى انا هذا وهذا البيت يمكن حمله على ظاهره اى انى ذلك الرجل الذى سمعت بشجاعته واذا اجرى المشى ذكره يجوز ان يقول السامع هذا كما قلت وذلك كما قلت وتقول انفقت ثلثه وثلثه فهذا ستة او فذلك ستة وانما يقول هذا القريب بالاخبار عنه وتقول ذلك لكونه ماضيا وقيل ان الله وعد نبيه ان ينزل عليه كتابا لا يمحوه الماء ولا يخلق على كثرة الرد فلما انزل القرآن قال هذا القرآن ذلك الكتاب الذى وعدتك عن الفراء وابى على الجبائى وقيل معناه هذا القرآن ذلك الكتاب الذى وعدتك به فى الكتب السالفة عن المبرد ومن قال ان المراد بالكتاب التورية والانجيل فقوله فاسد لانه وصف الكتاب بانه لاريب فيه وانه هدى ووصف ما فى ايدى اليهود والنصارى بانه محرف بقوله يحرفون الكلم عن مواضعه ومعنى قوله لاريب فيه انه بيان وهدى وحق ومعجز فمن هيهنا استحق الوصف بانه لا شك فيه لانه خبر الاخبار بنفى شك الشاكين وقيل انه على الحذف كانه قال لا سبب شك فيه لان الاسباب التى توجب الشك فى الكلام هى التلبيس والتعقيد والتناقض والدعاوى العارية من البرهان وهذه كلها منفية عن كتاب الله تعالى وقيل ان معناه النهى وان كان لفظه الخبر اى لا ترتابوا ولا تشكوا فيه كقوله تعالى لا رفث ولا فسوق واما تخصيص المتقين بان القرآن هدى لهم وان كان هدى لجميع الناس فلانهم هم الذين انتفعوا به واهتدوا بهداه كما قال انما انت منذر من يخشيها وان كان عليه السلام منذر الكل مكلف لانه انما انتفع بانذاره من يخشى نار جهنم على انه ليس فى الاخبار بانه هدى المتقين ما يدل على انه ليس بهدى لغيرهم وبين فى اية اخرى انه هدى للناس فصل فى التقوى والمتقى روى عن النبى صلى الله عليه واله انه قال جماع التقوى فى قوله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان الاية وقيل المتقى الذى اتقى ما حرم عليه وفعل ما اوجب عليه وقيل هو الذى يتقى بصالح اعماله عذاب الله وسال عمر بن الخطاب كعب الاحبار عن التقوى فقال هل اخذت طريقا ذا شوك فقال نعم قال فما عملت فيه قال حذرت وتشمرت فقال كعب ذلك التقوى ونظمه بعض الناس فقال خل الذنوب صغيرها وكبيرها فهو التقى واصنع كماش فوق ارض الشوك يحذر ما يرى لا تحقرن صغيرة ان الجبال من الحصى وروى عن النبى صلى الله عليه واله انه قال انما سمى المتقون لتركهم ما لا باس به حذرا للوقوع فيما به باس وقال عمر بن عبد العزيز التقى ملجم كالمحرم فى الحرم وقال بعضهم التقوى ان لا يراك الله حيث نهاك ولا يفقدك حيث امرك قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون اية القراءة قرء ابو جعفر وعاصم فى رواية الاعشى عن ابى بكر يترك كل همزة ساكنة مثل يومنون ويأكلون ويوتون وبئس ونحوها ويترك كثيرا من المتحركة مثل يؤيد ولا يواخذكم ويؤيد بنصره ولابى جعفر فيه تفصيل يطول ذكره واما ابو عمرو فيترك كل همزة ساكنة الا ان يكون سكونها علامة الجزم مثل ننسأها وتسوءكم ويهيئ لكم ومن يشاء وانبئهم واقرأ كتابك ونحوها فانه لا يترك الهمزة فيها وروى عنه الهمز فيها ايضا فى الساكنة ونافع فيترك كل همزة ساكنة ومتحركة اذا كانت فاء من الفعل نحو يؤمنون ولا يؤاخذكم فاختلف قراءة الكسائى وحمزة ولكل واحد منهم مذهب فيه يطول ذكره فالهمزة على الاصل وتركه للتخفيف اللغة والاعراب الذين جمع الذى والذى واللاتى جمع التى وتثنيتهما اللذان واللتان فى حال الرفع واللذين واللتين فى حال الجر والنصب وهو من الاسماء التى لا تتم بصلة فما يجىء من وما واى وصلاتها لا تكون الا جملا خبرية يصح فيها الصدق والكذب ولا بد ان يكون فيها ضمير يعود الى الموصول فاذا استوفت

صلاتها كانت فى تاويل اسم مفرد مثل زيد وعمرو ويحتاج الى جزء آخر تصير به جملة فقولنا الذين موصول يؤمنون صلته ويحتمل ان يكون محله نصبا وجرا ورفعا فالنصب على المدح تقديره اعنى الذين يؤمنون واما الجر فعلى انه صفة للمتقين واما الرفع فعلى المدح ايضا كانه لما قيل هدى للمتقين قيل منهم فقيل هم الذين يؤمنون بالغيب فيكون خبر مبتداء محذوف ويؤمنون معناه يصدقون والواو فى موضع الرفع بكونه ضمير الفاعلين والنون علامة الرفع والاصل فى يفعل يؤفعل ولكن الهمزة حذفت لانك اذا انبات عن نفسك قلت انا أؤفعل فكانت تجتمع همزتان فاستثقلتا فحذفت الهمزة الثانية فقيل افعل ثم حذفت من الصيغ الاخرى نحو نفعل وتفعل ويفعل كما ان باب يعد حذفت منه الواو لوقوعها بين ياء وكسرة اذ الاصل يوعد ثم حذفت فى نعد واعد وتعد ليجرى الباب على سنن واحد قال الازهرى اتفق العلماء على ان الايمان هو التصديق قال الله تعالى وما انت بمؤمن لنا اى ما انت بمصدق لنا قال ابو زيد وقالوا ما آمنت ان اجد صحابة اى ما وثقت فالايمان هو الثقة والتصديق قال الله تعالى الذين آمنوا باياتنا اى صدقوا ووثقوا بها وقال الشاعر انشده ابن الانبارى ومن قبل آمنا وقد كان قومنا يصلون للاوثان قبل محمدا معناه امنا محمدا اى صدقناه ويجوز ان يكون آمن من قياس ضله فاعل تقول امنته فامن مثل كسبته فاكتسب والامن خلاف الخوف والامانة خلاف الخيانة والامون الناقة القوية كانها يؤمن عثارها اى كلالها ويجوز ان يكون آمن بمعنى صار ذا امن على نفسه باظهار التصديق نحو اجرب واعاه واصح واسلم صار ذا اسلم اى خرج عن ان يكون حربا هذا فى اصل اللغة اما فى الشريعة فالايمان هو التصديق بكل ما يلزم التصديق به من الله وانبيائه وملائكته وكتبه والبعث والنشور والجنة والنار واما قولنا فى وصف القديم تعالى المؤمن فانه يحتمل تاويلين احدهما ان يكون من امنت المتعدى الى مفعول فنقل بالهمزة فتعدى الى مفعولين فصار من آمن زيد العذاب فامنته العذاب فمعناه المؤمن عذابه من لا يستحقه من اوليائه ومن هذا وصفه سبحانه بالعدل كقوله قائما بالقسط وهذا الوجه مروى فى اخبارنا والاخر ان يكون معناه المصدق اى يصدق الموحدين على توحيدهم اياه يدل عليه قوله شهد الله انه لا اله الا هو لان الشاهد مصدق لما يشهد به كما انه مصدق من يشهد له فاذا شهد بالتوحيد فقد صدق الموحدين واما الغيب فهو ما غاب عنك ولم تشهده وقوله بالغيب كانه اجمال لما فصل فى قوله كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله اى يومنون بما كذب به الكفار من وحدانية الله وانزال كتبه وارسال رسله فكل هذا غيب فعلى هذا يكون الجار والمجرور فى موضع نصب بانه مفعول به وفيه وجه آخر وهو ان يكون المراد يؤمنون اذا غابوا عنكم ولم يكونوا كالمنافقين ومثله قوله وخشى الرحمن بالغيب فعلى هذا يكون الجار والمجرور فى موضع الحال اى يؤمنون غائبين عن مرآة الناس لا يريدون بايمانهم تصنعا لاحد ولكن تخلصونه لله ويقيمون الصلوة يؤدونها بحدودها وفرائضها يقال اقام القوم سوقهم اذا لم يعطلوها من البيع والشراء وقال الشاعر اقامت غزالة سوق الضراب لاهل العراقين حولا قميطا وقال ابو مسلم يقيمون اى يديمون اداء فرضها يقال للشىء الراتب قائم ويقال فلان يقيم ارزاق الجند والصلوة فى اللغة الدعاء قال الاعشى وقابلها الريح فى دنها وصلى على دنها وارتسم اى دعا لها ومنه الحديث اذا دعى احدكم الى طعام فليجب وان كان صائما فليصل اى فليدع له بالبركة والخير وقيل اصله رفع الصلا فى الركوع وهو عظم فى العجز وقوله ومما رزقناهم ما هذه حرف موصول ورزقناهم صلته وهما جميعا بمعنى المصدر تقديره ومن رزقنا اياهم ينفقون او اسم موصول والعائد من الصلة الى الموصول محذوف والتقدير من الذى رزقناهموه ينفقون ويكون ومما رزقناهم فى موضع جر من والجار فى موضع نصب بانه مفعول ينفقون والرزق هو العطاء الجارى وهو نقيض الحرمان والانفاق اخراج المال ويقال انفق ماله اى اخرجه عن ملكه ونفقت الدابة اذا اخرج روحها والنافقاء جحر اليربوع لانه يخرج منها ومنه النفاق لان المنافق يخرج الى المؤمن بالايمان والى الكافر بالكفر المعنى لما وصف القرآن بانه هدى للمتقين بين صفة المتقين فقال الذين يؤمنون بالغيب اى يصدقون بجميع ما اوجب الله تعالى او ندب اليه او اباحه وقيل يصدقون بالقيامة والجنة والنار عن الحسن وقيل بما جاء من عند الله عن ابن عباس وقيل بما غاب عن العباد علمه عن ابن مسعود وجماعة من الصحابة وهذا اولى لعمومه ويدخل فيه ما رواه اصحابنا من زمان غيبة المهدى عليه السلام ووقت خروجه وقيل الغيب هو القرآن عن زر بن حبيش وقال الرمانى الغيب خفاء الشىء عن الحس قرب او بعد الا انه كثرت صفة غايب على البعيد الذى لا يظهر للحس وقال البلخى الغيب كل ما ادرك بالدليل والآيات مما تلزم معرفته وقالت المعتزلة بجمعها الايمان هو فعل الطاعة ثم اختلفوا فمنهم من اعتبر الفرائض والنوافل ومنهم من اعتبر الفرائض حسب واعتبروا اجتناب الكبائر كلها وروى الخاص والعام عن على بن موسى الرضا عليه السلام ان الايمان هو التصديق بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالاركان وقد روى ذلك على لفظ آخر عنه ايضا الايمان قول مقول وعمل معمول وعرفان بالعقول واتباع الرسول واقول ان اصل الايمان هو المعرفة بالله وبرسله وبجميع ما جاءت

ومما رزقناهم صلة … والمجرور

١١

بر سلم وكل عارف بشيء فهو مصدق به ويدل عليه هذه الاية فانه تعالى لما ذكر الايمان علقه بالغيب ليعلم انه تصديق للمخبر فيما اخبر به من الغيب على
معرفة وثقة ثم افرده بالذكر من سائر الطاعات البدنية والمالية وعطفهما عليه فقال ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون والشيء لا
يعطف على نفسه وانما يعطف على غيره ويدل عليه ايضا انه تعالى حيث ذكر الايمان اضافه الى القلب فقال وقلبه مطمئن بالايمان وقال اولئك كتب
في قلوبهم الايمان وقال النبي صلى الله عليه وآله الايمان سر واشار الى صدره والاسلام علانية وقد يسمى الاقرار ايمانا كما يسمى تصديقا الا انه متى صدر
من شك وجهل كان ايمانا لفظيا لا حقيقيا وقد تسمى اعمال الجوارح ايضا ايمانا استعارة وتلويحا كما يسمى تصديقا كذلك فيقال فلان يصدق
افعاله مقاله ولا خير في قول لا يصدقه الفعل والفعل ليس بتصديق حقيقي باتفاق اهل اللغة وانما استعير له هذا الاسم على الوجه الذي
ذكرناه فقد آل الامر مع تسليم صحة الخبر وقبوله الى ان الايمان هو المعرفة بالقلب والتصديق به على نحو ما تقتضيه اللغة ولا يطلق لفظه
الا على ذلك الا انه يستعمل في الاقرار باللسان والعمل بالاركان مجازا واتساعا وبالله التوفيق وقد ذكرنا في قوله الذين يقيمون الصلوة
وجهين اقتضاهما اللغة وقيل ايضا انه مشتق من القيام في الصلوة ولذلك قيل قد قامت الصلوة وانما ذكر القيام لانه اول اركان الصلوة و
امدها وان كان المراد به هو غيره والصلوة في الشرع عبارة عن افعال مخصوصة على وجوه مخصوصة وهذا يدل على ان الاسم نقل من اللغة
الى الشرع وقيل ان هذا ليس بنقل بل هو تخصيص لانه يطلق على الذكر والدعاء في مواضع مخصوصة وقوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون
يريد مما اعطيناهم وملكناهم يخرجون على وجه الطاعة وحكي عن ابن عباس انه الزكوة المفروضة وعن ابن مسعود انه نفقة الرجل على
اهله وعياله لان الاية نزلت قبل وجوب الزكوة وعن الضحاك هو التطوع بالنفقة وروى محمد بن مسلم عن الصادق عليه السلم ان معناه
ومما علمناهم يبثون والاولى حمل الاية على عمومها وحقيقة الرزق هو ما صح ان ينتفع به المنتفع وليس لاحد منعه منه وهذه الاية تدل على
ان الحرام لا يكون رزقا لانه تعالى مدحهم بالانفاق مما رزقهم والمنفق من الحرام لا يستحق المدح على الانفاق بالاتفاق فلا يكون رزقا
النزول قال بعضهم هذه الاية نزلت في مؤمني العرب خاصة بدلالة قوله فيما بعد والذين يؤمنون بما انزل اليك الاية فهذا في مؤمني اهل
الكتاب اذ لم يكن للعرب كتاب قبل القران وهذا غير صحيح لانه لا يمتنع ان تكون الاية الاولى عامة في جميع المؤمنين وان كانت الثانية
خاصة في قوم منهم ويجوز ان يكون المراد بالايات قوما واحدا وصفوا بجميع ذلك بان جمع بين اوصافهم بواو العطف كقول الشاعر الى الملك
القرم وابن الهمام * وليث الكتيبة في المزدحم قوله تعالى والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون اية
القراءة اهل الحجاز غير ورش واهل البصرة لا يمدون حرفا لحرف وهو ان تكون المدة من كلمة والهمزة من اخرى نحو بما انزل اليك ونحوه
اما اهل الكوفة وابن عامر وورش عن نافع فانهم يمدون ذلك وورش اطولهم مدا ثم حمزة ثم عاصم برواية الاعشى والباقون يمدون مدا
وسطا من غير افراط فالمد للتحقيق وحذفه للتخفيف واما السكتة بين المدة والهمزة فعن حمزة ووافقه عاصم والكسائي على اختلاف عنهما
وكان يقف حمزة قبل الهمزة ايضا فيسكت على اللام شيئا من قوله بالاخرة ثم يبتدئ بالهمزة وكذلك يقطع على الياء من شيء كانه يقف ثم يهمز
والباقون بغير سكتة الاعراب اليك وعليك ولديك الاصل فيها الالف الاك علاك ولداك الا ان الالف غيرت مع المضمر فابدلت ياء
ليفصل بين الالف في آخر الاسم المتمكن وبينها في آخر غير المتمكن الذي الاضافة لازمة له الا ترى ان الى وعلى ولدى لا تفرد من الاضافة
وشبهت بها كلا اذا اضيف الى المضمر لانها لا تفرد ولا تكون كلاما الا بالاضافة وما موصولة وانزل صلته وفيه ضمير يعود الى ما والموصول
مع صلته في موضع جر بالباء والجار والمجرور في موضع نصب بانه مفعول يؤمنون ويؤمنون صلة للذين والذين يؤمنون في موضع جر
بالعطف والعطف فيه على وجهين احدهما ان يكون عطف احد الموصوفين على الاخر والاخر ان يكون جمع الاوصاف لموصوف
واحد المعنى ثم بين تعالى تمام صفة المتقين فقال والذين يؤمنون بما انزل اليك يعني القران وما انزل من قبلك يعني الكتب
المتقدمة وقوله وبالآخرة اي بالدار الآخرة لان الآخرة صفة فلا بد لها من موصوف وقيل اراد بالكرة الآخرة وانما وصفت بالآخرة
لتأخرها عن الدنيا كما سميت الدنيا دنيا لدنوها من الخلق وقيل لدنائتها هم يوقنون يعلمون وسمي العلم يقينا لحصول القطع عليه وسكون النفس
اليه فكل يقين علم وليس كل علم يقينا وذلك ان اليقين كانه علم يحصل بعد الاستدلال والنظر لغموض المعلوم المنظور فيه او لاشكال ذلك على
الناظر ولهذا لا يقال في صفة الله تعالى موقن لان الاشياء كلها في الجلاء عنده على السواء وانما خصهم بالايقان بالآخرة وان كان الايمان

بالغيب قد شملها لما كان من كفر المشركين بها وجحدهم اياها في نحو ما حكى عنهم في قوله وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا فكان في تخصيصهم
بذلك مدح لهم قوله تعالى اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون اية اللغة اولئك اسم مبهم يصلح لكل حاضر تعرفه الاشارة
وهو جمع ذلك في المعنى واولاء جمع ذا في المعنى ومن قصر قال اولاك واذا مده لم يجز زيادة اللام لئلا يجتمع ثقل الزيادة وثقل
الهمزة قال الشاعر * الا لك قومي لم يكونوا اشابة * وهل يعظ الضليل الا اولالكا * والمفلحون المنجحون الفائزون والفلاح النجاح قال
الشاعر * اعقلي ان كنت لما تعقلي * ولقد افلح من كان عقل * اي ظفر بحاجته والفلاح ايضا البقاء قال لبيد * نحل بلادا كلها حل قبلنا * ونرجو
الفلاح بعد عاد وتبعا * واصل الفلح القطع ومنه قيل الفلاح للاكار لانه يشق الارض وفي المثل الحديد بالحديد يفلح فالمفلح على هذا كانه
قطع له بالخير الاعراب موضع اولئك رفع بالابتداء والخبر على هدى من ربهم وهو اسم مبني والكاف حرف الخطاب لا محل له من الاعراب وكسرة
الهمزة فيه لالتقاء الساكنين وكذلك قوله واولئك هم المفلحون الا ان قوله هم فيه وجهان احدهما انه فصل يدخل بين المبتدأ والخبر او ما
كان في الاصل مبتدأ وخبرا للتاكيد ولا موضع له من الاعراب والكوفيون يسمونه عمادا وانما يدخل ليؤذن ان الاسم بعده خبر وليس بصفة
وانما يدخل ايضا اذا كان الخبر معرفة او ما اشبه المعرفة نحو قوله تعالى تجدوه عند الله هو خيرا والوجه الاخر ان يكون هم مبتدأ ثانيا والمفلحون
خبره والجملة في موضع رفع بكونها خبرا لاولئك المعنى لما وصف المتقين بهذه الصفات بين ما لهم عنده تعالى فقال اولئك اشارة الى الموصوفين
بجميع الصفات المتقدمة وهم جملة المؤمنين على هدى من ربهم اي على دين ربهم وقيل على دلالة وبيان من ربهم لان كل خير وهدى فمن الله
تعالى اما لانه فعله واما لانه عرض له بالدلالة عليه والدعاء اليه والاثابة على فعله وعلى هذا يجوز ان يقال الايمان هداية منه تعالى
وان كان من فعل العبد ثم كرر تعظيما فقال واولئك هم المفلحون اي الظافرون بالبغية او الباقون في الجنة النزول قال مجاهد اربع ايات
من اول السورة نزلت في المؤمنين وايتان بعدها نزلت في الكافرين وثلث عشرة اية بعدها نزلت في المنافقين قوله تعالى ان الذين
كفروا سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون اية القراءة قوله ءانذرتهم فيه ثلث قراآت قرا عاصم وحمزة والكسائي بتحقيق
الهمزتين وقرا اهل الحجاز وابو عمرو بالهمزة والمد وتليين الهمزة الثانية بجعلها بين بين وكذلك قراءة الكسائي اذا خفف وابو عمرو اطول
مدا من ابن كثير واختلف في المد عن نافع وقرا ابن عامر بالف بين همزتين ويجوز في العربية ثلثة اوجه غير هذا ءانذرتهم بتحقيق الهمزة الاولى
وتخفيف الثانية بجعلها بين بين وانذرتهم بهمزة واحدة وعليهم انذرتهم على القاء حركة الهمزة على الميم نحو قد افلح فيما روى عن نافع الحجة
اما وجه الهمزتين فهو انه الاصل لان الاولى همزة الاستفهام والثانية همزة افعل واما ادخال الالف بين الهمزتين فهو انه اراد ان يفصل بين
الهمزتين استثقالا لاجتماع المثلين كما فصل بين النونين في نحو اخشينان استثقالا لاجتماع النونات ومنه قول ذي الرمة * فيا ظبية الوعساء بين
جلاجل * وبين النقا آانت ام ام سالم * واما من فصل بين الهمزتين ولين الثانية فوجه التخفيف من جهتين الفصل والتليين لانك اذا لينتها
فقد ثقلتها وصار اللفظ كانه لا استفهام فيه ففي المد توكيد الدلالة على الاستفهام كما في تحقيق الهمزة واما من حقق الاولى ولين الثانية
من غير فصل بالالف فهو القياس لانه جعل التليين عوضا من الفصل واما من اكتفى بهمزة واحدة فانه طرح همزة الاستفهام وهو ضعيف وقد جاء في
الشعر قال عمر بن ابي ربيعة * لعمرك ما ادري وان كنت داريا * بسبع رمين الجمر ام بثمان * واما من القى حركة الهمزة على الميم فانه على تليين الاولى و
تحقيق الثانية والعرب تلين الهمزة المتحركة وقبلها ساكن فتلقي حركتها على ما قبلها فقالوا من بوك ومن مك وكم بلك اللغة الكفر خلاف الشكر
كما ان الحمد خلاف الذم والكفر ستر النعمة واخفاؤها والشكر نشرها واظهارها وكل ما ستر شيئا فقد كفره قال لبيد في ليلة كفر النجوم غمامها
اي سترها وسواء مصدر اقيم مقام الفاعل كقولك زور وصوم ومعناه مستو والاستواء الاعتدال والسواء العدل قال زهير * اروني
خطة لا خسف فيها * يسوي بيننا فيها السواء * وقالوا سي بمعنى سواء كما قالوا قي وقواء وسيان اي مثلان والانذار اعلام معه تخويف فكل منذر
معلم وليس كل معلم منذرا ويوصف القديم تعالى بانه منذر لان الاعلام يجوز وصفه به والتخويف ايضا كذلك لقوله ذلك يخوف
الله به عباده فاذا جاز وصفه بالمعنيين جاز وصفه بما يشتمل عليهما وانذرت يتعدى الى مفعولين كقوله انا انذرناكم عذابا قريبا وقد يرد
معدى الى المفعول الثاني بالباء في قوله قل انما انذركم بالوحي وقيل الانذار التحذير من مخوف يتسع زمانه للاحتراز منه فان لم يتسع فهو اشعار
الاعراب ان حرف تاكيد وهي تنصب الاسم وترفع الخبر وانما نصبت ورفعت لانها اشبهت الفعل لكونها على ثلثة احرف ولانها توكيد والتوكيد من معاني

الفعل وتشبه في اتصال الضمير المتكلم نحو انني وهي مبنية على الفتح كالفعل الماضي وانما الزمت تقديم المنصوب على المرفوع ليعلم انها انما عملت على جهة
التشبيه فجعلت كفعل قدم مفعوله على فاعله والذين كفروا في موضع نصب لكونه اسم ان وكفروا صلة الذين ولخبرها ففيه وجهان احدهما
ان تكون الجملة التي هي سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم فعلى هذا يكون سواء يرتفع بالابتداء وما بعده مما دخل عليه حرف الاستفهام في موضع
الخبر والجملة في موضع رفع بانها خبر ان ويكون قوله لا يؤمنون حالا من الضمير المنصوب على حد معه صقر صائدا به غدا وبالغ الكعبة ويستقيم ان
يكون ايضا استينافا والوجه الثاني ان يكون لا يؤمنون خبر ان ويكون قوله سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم اعتراضا بين الخبر والاسم فلا يكون
له موضع من الاعراب كما يحكم على موضعه بالرفع في الوجه الاول فاما اذا افردت هذا الكلام على ما عليه المعنى فقلت سواء عليهم الانذار وتركه كان سواء
خبر المبتدا لانه يكون تقديره والانذار وتركه مستويان عليهم وانما قلنا انه مرتفع بالابتداء على ما عليه التلاوة لانه لا يجوز ان يكون خبرا فانه ليس في
الكلام مخبر عنه اذا لم يكن مخبرا عنه بطل ان يكون خبرا فاذا فسد ذلك ثبت انه مبتداء وايضا فانه قبل الاستفهام وما قبل الاستفهام لا يكون
داخلا في حيز الاستفهام فلا يجوز ايضا ان يكون الخبر عما في الاستفهام متقدما على الاستفهام ونظيره ما في الاية من ان خبر المبتدا ليس المبتداء ولا له فيه
ذكر ما انشده ابو زيد فان حراما لا ارى الدهر باكيا على شجوه الا بكيت على عمرو وقوله ءانذرتهم ام لم تنذرهم لفظه لفظ الاستفهام ومعناه الخبر
وهذه الهمزة تسمى الف التسوية للتسوية والتسوية آلتها همزة الاستفهام ولم تقول ازيد عندك ام عمرو تريد ايهما عندك ولا يجوز في مكانها او لان
او لا تكون معادلة للهمزة وتفسير المعادلة ان تكون ام مع الهمزة بمنزلة اي واذا قلت ازيد عندك او عمرو كان معناه احد هذين عندك
ويدل على ذلك ان الجواب مع ازيد ام عمرو يقع بالتعيين ومع ازيد او عمرو يقع بنعم او لا وانما جرى عليه لفظ الاستفهام وان كان خبرا لان
فيه التسوية التي في الاستفهام الا ترى انك اذا قلت سواء علي القيام والقعود فقد سويت الامرين عليك كما انك اذا استفهمت فقلت اقام زيد
ام قعد فقد استوى الامران عندك في الاستفهام وعدم علم احدهما بعينه فلما عمتهما التسوية جرى على هذا الخبر لفظ الاستفهام لمشاركته له في الابهام
فكل استفهام تسوية وان لم يكن كل تسوية استفهاما وقال النحويون ان نظير سواء في هذا قولك ما ابالي اقبلت ام ادبرت لانه وقع موقع اي
فكانك قلت ما ابالي اي هذين كان منك وما ادري احسنت ام اسات وليت شعري اقام ام قعد وقال حسان ما ابالي انب بالحزن ام لحاني
تيس بظهر غيب لئيم ومثله في انه في صورة الاستفهام وهو خبر قول جرير الستم خير من ركب المطايا واندى العالمين بطون راح ولو كان استفهاما
لم يكن مدحا وقول الاخر سواء عليه اي حين اتيته اساعة نحس تتقى ام باسعد النزول قيل نزلت في ابي جهل وخمسة من اهل بيته قتلوا يوم بدر عن
الربيع ابن انس واختاره البلخي وقيل نزلت في قوم باعيانهم من احبار اليهود ممن كفر بالنبي عليه السلام عنادا وكتم امره حسدا عن ابن عباس وقيل نزلت في اهل الختم
والطبع الذين علم الله انهم لا يؤمنون عن ابي علي الجبائي وقيل نزلت في مشركي العرب عن الاصم وقيل هي عامة في جميع الكفار اخبر تعالى بان جميعهم لا يؤمنون
ويكون كقول القائل لا يتقدم جميع لحرك اليوم فلا ينكر ان يتقدم بعضهم واختار الشيخ ابو جعفر قدس الله روحه ان يكون على الاختصاص وتجويز كل
واحد من الاقوال الاخر وهذا اظهر واسبق الى الفهم المعنى لما بين تعالى حال المؤمنين وصله بذكر الكافرين والكفر في الشرع عبارة عن جحد ما اوجب
الله تعالى معرفته من توحيده وعدله ومعرفة نبيه وما جاء به من اركان الشرع فمن جحد شيئا من ذلك كان كافرا وهذه الاية تدل على ان في المكلفين
من لا لطف له لانه لو كان لفعل ولامنوا فلما اخبر انهم لا يؤمنون علم انهم لا لطف لهم ويدل على صدق النبي صلى الله عليه وآله لانه اخبر بانهم لا يؤمنون
فكان كما اخبر ويدل ايضا على انه يجوز ان يخاطب الله تعالى بالعام والمراد به الخاص في قول من قال الاية عامة لانا نعلم ان في الكفار من امن وانتفع
بالانذار سؤال ان قال قائل اذا اعلم الله تعالى ان هؤلاء لا يؤمنون وكانوا قادرين بالايمان ان يكونوا مامورين بابطال علم الله وكما لا يجب اذا كان
الله تعالى قادرا على ان يقيم القيمة الساعة ان يكون قادرا على ابطال علمه بانه لا يقيمها الساعة والصحيح ان يقول ان العلم يتناول الشيء على ما هو به ولا
يجعله على ما هو به فلا يمتنع ان يعلم حصول شيء بعينه وان كان غيره مقدورا قوله تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة
ولهم عذاب عظيم اية القراءة القراء الظاهرة غشاوة بكسر الغين ورفع الهاء وروي عن عاصم في الشواذ غشاوة بالنصب وعن الحسن
بضم الغين وعن بعضهم بفتح الغين وعن بعضهم غشوة بغير الف وقرا ابو عمرو والكسائي على ابصارهم بالامالة والباقون بالتفخيم
وللقراء في الامالة مذاهب يطول شرحها الحجة حجة من رفع غشاوة انه لم يحمله على ختم كما في الاية الاخرى وختم على سمعه وقلبه وجعل
على بصره غشاوة فاذا لم يحملها عليه قطعها عنه فكانت مرفوعة اما بالظرف واما بالابتداء وكذلك قوله ولهم عذاب عظيم فان عند سيبويه

على ابطال ما علم الله انهم لا يؤمنون
لتراب انه لا يجب ذلك كما لا يجب
اذا كانوا مامورين

يرتفع غشاوة وعذاب بانه مبتداء فكانه قال غشاوة على ابصارهم وعذاب لهم وعند الاخفش يرتفع بالظرف لان الظرف يتضمن فعل و
ستعرف غاية اختلافهما في هذه المسئلة بعد ان شاء الله تعالى ومن نصب غشاوة فاما ان يحملها على ختم كانه قال وختم على ابصارهم بغشاوة فلما
حذف حرف الجر وصل الفعل اليها فنصبها او هذا لا يحسن لانه فصل بين حرف العطف والمعطوف به وذلك انما يجوز في الشعر واما ان يحملها على فعل مضمر
كانه قال وجعل على ابصارهم غشاوة نحو قول الشاعر علفتها تبنا وماء باردا اي وسقيتها وقول الاخر يا ليت بعلك قد غدا متقلدا سيفا ورمحا اي وحاملا
رمحا وهذا ايضا لا يوجد في حال الاختيار فقد صح ان الرفع اولى ويكون الواو عاطفة جملة على جملة والغشاوة فيها ثلث لغات فتح الغين وضمها و
كسرها وكذلك الغشوة فيها ثلث لغات اللغة الختم نظير الطبع يقال طبع عليه بمعنى ختم عليه ويقال طبع ايضا بغير حرف ولا يمتنع في ختم ذلك قال
كان مواري ذروة طبعتها بطين من الجولان كتاب اعجم وقوله ختامه مسك اي اخره ومنه ختم الكتاب لانه اخر حال الفراغ منه وقوله على سمعهم يريد
على اسماعهم والسمع مصدر تقول يعجبني ضربكم فوحد لانه مصدر ويجوز ان يريد على مواضع سمعهم فحذف مواضع ودل السمع عليها كما يقال فلان عدل
عدل اي ذو عدل ويجوز ان يكون لما اضاف السمع اليهم دل على اسماعهم قال بها جيف الحسرى فاما عظامها فبيض واما جلدها فصليب وقال
الاخر في حلقكم عظم وقد شجينا اي في حلوقكم والغشاوة الغطاء وكل ما اشتمل على الشيء بني على فعالة نحو العمامة والقلادة والعصابة وكذلك
اسماء الصناعات كالخياطة والقصارة والصياغة لان معنى الصناعة الاشتمال على كل ما فيها وكذلك كل ما استولى على شيء فاسم ما استولى عليه
الفعالة كالامارة والخلافة وغيرها ذلك وسمي القلب قلبا لتقلبه بالخواطر قال الشاعر ما سمي القلب الا من تقلبه والراي يعزب والانسان اطوار
والفؤاد محل القلب والصدر محل الفؤاد وقد يعبر عن القلب بالفؤاد لنثبت به فؤادك وقال الم نشرح لك صدرك يعني به القلب في الموضعين
والعذاب استمرار الالم يقال عذبته تعذيبا وعذابا ويقال عذب الماء اي استمر في الحلق وحمار عاذب وعذوب اذا استمر به العطش
فلم ياكل من شدة العطش وفرس عذوب مثل ذلك واعذب عن الشيء بمعنى فطمه والعظيم الكبير يقال هو عظيم الجثة وعظيم الشان
ومن الثاني سمي سبحانه عظيما وعظمته كبرياؤه المعنى قيل في معنى الختم وجوه احدها ان المراد بالختم العلامة واذا انتهى الكافر من
كفره الى حالة يعلم الله تعالى انه لا يؤمن فانه يعلم على قلبه علامة وقيل هي نكتة سوداء تشاهدها الملائكة فيعلمون بها انه لا يؤمن بعدها
فيذمونه ويدعون عليه كما انه تعالى يكتب في قلب المؤمن الايمان ويعلم عليه علامة تعلم الملائكة بها انه مؤمن فيمدحونه ويستغفرون له ولما
طبع على قلب الكافر وختم وسمه بسمة تعرفه بها الملائكة كفره فكذلك وسم قلوب المؤمنين بسمات تعرفهم الملائكة بها وقد تاول على مثل هذا اعطاء
الكتاب باليمين والشمال في انها علامة ان المناول باليمين من اهل الجنة والمناول بالشمال من اهل النار وقوله تعالى بل طبع الله
عليها بكفرهم يحتمل امرين احدهما انه طبع الله عليها جزاء للكفر وعقوبة عليه والاخر انه طبع عليها بعلامة كفرهم كما تقول طبع
عليه بالطين وختم عليه بالشمع وثانيها ان المراد بالختم على القلوب ان الله شهد عليها وحكم بانها لا تقبل الحق كما يقال اراك تختم على
كل ما يقوله فلان اي تشهد به وتصدقه وقد ختمت عليك بانك لا تفلح اي شهدت وذلك استعارة وثالثها ان المراد بذلك
انه تعالى ذمهم بانها كالمختومة عليها في انه لا يدخلها الايمان ولا يخرج عنها الكفر كقوله صم بكم عمي وكقول الشاعر اصم عما ساءه سميع وقول
اخر لقد اسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي والمعنى ان الكفر تمكن من قلوبهم فصارت كالمختوم عليها وصاروا بمنزلة
من لا يفهم ولا يبصر ولا يسمع عن الاصم وابي مسلم الاصفهاني ورابعها ان الله وصف من ذمه بهذا الكلام بان قلبه ضاق عن النظر
والاستدلال فلم ينشرح له فهو خلاف من ذكر في قوله افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه ومثل قوله ام على قلوب
اقفالها وقوله وقالوا قلوبنا غلف وقلوبنا في اكنة ويقوي ذلك ان المطبوع على قلبه وصف بقلة الفهم بما يسمع من اجل الطبع فقال
بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا وقال فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ويبين ذلك قوله تعالى قل ارايتم ان اخذ الله
سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم فعدل الختم على القلوب باخذ السمع والبصر فدل هذا على ان الختم على القلوب هو ان يصير على وصف
لا ينتفع به فيما يحتاج فيه اليه كما لا ينتفع بالسمع والبصر مع اخذهما وانما يكون ضيقه بان لا يتسع لما يحتاج اليه فيه من النظر و
الاستدلال الفاصل بين الحق والباطل وهذا كما يوصف الجبان بانه لا قلب له اذا بولغ في وصفه بالجبن لان الشجاعة محلها القلب
فاذا لم يكن القلب الذي هو محل الشجاعة لو كانت فان لا تكون الشجاعة اولى قال طرفة فالهبيت لا فؤاد له والثبيت قلبه قيمه وكما وصف

الجبان بانه لا فواد له وانه يراعة وانه مجوف كذلك وصف من بَعُد عن قبول الاسلام بعد الدعاء اليه واقامة الحجة عليه بانه مختوم على قلبه و
مطبوع عليه وضيق صدره وقلبه في كنان وفي غلاف وهذا من كلام الشيخ ابي علي الفارسي وانما قال ختم الله وطبع الله لان ذلك كان
لعصيانهم الله تعالى فجاز ذلك اللفظ كما يقال اهلكته فلانة اذا اعجب بها وهي لا تفعل به شيئا لانه هلك في اتباعها سؤال ان قيل لم
خص هذه الاعضاء بالذكر فالجواب انها طريق العلم فالقلب محل العلم وطريقه اما السماع او الرؤية قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا
بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين آية اللغة الناس والبشر والانس نظاير وهي الجماعة من الحيوان المتميزة بالصورة الانسانية ووزنه
فعال فاسقطت الهمزة منها لكثرة الاستعمال اذا دخلها الالف واللام للتعريف ثم ادغمت لام التعريف في النون كما قيل لكنا والاصل
لكن انا وقيل الناس ماخوذ من النوس وهو الحركة وتصغيره نويس ووزنه فعل وقيل اخذ من الظهور فسمي انسا وانسانا لظهوره وادراك
البصر اياه يقال انست بمعنى ابصرت شيئا وقال الله سبحانه انست نارا والانسان واحد والناس جمع لا من لفظه وقيل اخذ من النسيان لقوله
تعالى فنسي ولم نجد له عزما واصل انسان انسيان ولذلك قيل في تصغيره انيسيان فرد الى الاصل واليوم الآخر يوم القيمة وانما سمي آخرا
لانه يوم لا يوم بعده سواه اذ ليس بعده ليلة وقيل لانه متاخر عن ايام الدنيا وانما فتح نون من عند التقاء الساكنين استثقالا لالتقاء
الكسرتين لو قلت من الناس فاما عن الناس فلا يجوز فيه الا الكسر لان اول الكلمة مفتوح ومن العرب من لا يدغم النون في الياء فمنهم من يدغم بغنة
ومنهم من يدغم بغير غنة الاعراب من يقول موصول وصلة وهو مرفوع بالابتداء او بالظرف على ما تقدم بيانه وقوله آمنا بالله وباليوم الآخر
حديث يتعلق بقوله يقول وما حرف شبه بليس من حيث يدخل على المبتدأ والخبر كما يدخل ليس عليهما وفيه نفي الحال كما في ليس فاجري مجراه
في العمل في لغة اهل الحجاز على ما جاء به التنزيل وهم مرفوع لانه اسم ما والباء في قوله بمؤمنين مزيدة دخلت توكيدا للنفي وهو حرف جار ومؤمنين
مجرور به وبمؤمنين في موضع نصب بكونه خبر ما ولفظة من تقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث ولذلك عاد الذكر اليه مجموعا على المعنى
ومثله قول الفرزدق تعال فان عاهدتني لا تخونني * نكن مثل من يا ذيب يصطحبان * فثنى الضمير العايد الى من على المعنى النزول نزلت
في المنافقين وهم عبد الله بن ابي بن سلول وجد بن قيس ومعتب بن قشير واصحابهم واكثرهم من اليهود المعنى بين الله تعالى حالهم
فاخبر سبحانه انهم يقولون صدقنا بالله وما انزل على رسوله من ذكر البعث فيظهرون كلمة الايمان وكان قصدهم ان يطلعوا على اسرار المسلمين
فينقلوها الى الكفار او تقريب الرسول اياهم كما كان يقرب المؤمنين ثم نفى عنهم الايمان فقال وما هم بمؤمنين وفي هذا تكذيبهم فيما اخبروا عن اعتقادهم
من الايمان والاقرار بالبعث فبين ان ما قالوه بلسانهم مخالف لما في قلوبهم وهذا يدل على فساد قول من يقول الايمان مجرد القول قوله تعالى
يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون آية القراءة قرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وما يخادعون الا انفسهم و
الباقون وما يخدعون الحجة من قرأ يخدعون ان فعل هنا اليق بالموضع من فاعل الذي هو في اكثر الامر يكون من فاعلين ويدل عليه قوله
في الآية الاخرى يخادعون الله وهو خادعهم وحجة من قرأ يخادعون هو ان ينزل ما يخطر بباله من الخدع منزلة آخر يجازيه ذلك ويعاطيه
اياه فيكون الفعل كانه من اثنين فيلزم ان يقول فاعل كقول الكميت * وذكرها اراد الورد من * اني ومن اين شهر بوام رهنه * كذي
الهمة الابل يجعل ما يكون منه من وروده الماء او ترك الورود والتمثيل بينهما بمنزلة نفسين اللغة اصل الخدع الاخفاء والايهام بخلاف
الحق والتزوير يقال خدعت الرجل اخدعه خدعا بالكسر وخديعة وقالوا انك لا خدع من ضب حرشته وخادعت فلانا فخدعته والنفس
في الكلام على ثلثة اوجه النفس بمعنى الروح والنفس بمعنى التاكيد تقول جاءني زيد نفسه والنفس بمعنى الذات وهو الاصل ويقال النفس عبارة
عن الروح ويقال هما اسمان بمعنى واحد ويشعرون يعلمون واصل الشعر الاحساس بالشيء من جهة تدق ومن هذا اشتقاق الشعر لان الشاعر
يفطن لما يدق من المعنى والوزن ولا يوصف الله تعالى بانه يشعر لما فيه من معنى التلطف والتحيل الاعراب يخادعون فعل وفاعلون
والنون علامة للرفع والجملة في موضع نصب بكونها حالا او ذو الحال الضمير الذي في قوله آمنا العايد الى من والله نصب بيخادعون
والذين آمنوا عطف وما نفي والا ايجاب وانفسهم نصب لانه مفعول يخادعون الثانية وما نفي ويشعرون فعل وفاعلون وكل موضع
اتى فيه الا بعد نفي فهو ايجاب ونقض للنفي المعنى معنى قوله يخادعون الله اي يعملون عمل المخادع لان الله تعالى لا يصح ان يخادعه
من يعرفه ويعلم انه لا يخفى عليه خافية وهذا كما يقال لمن يزين لنفسه ما يشوبه بالرياء في معاملته ما اجهله يخادع الله وهو اعلم

واصله اناس

تذكرهم

برمن

بر من نفسه اي يعمل عمل المخادع وهذا يكون من العارف وغير العارف وقيل المعنى يخادعون رسول الله لان طاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وهذا كقوله تعالى وان يريدوا ان يخدعوك والمفاعلة قد يقع من واحد كقولهم عافاه الله وعاقبت اللص
وطارقت النعل فكذلك يخادعون انما هو من واحد تعني يخادعون يظهرون غير ما في نفوسهم وقوله والذين آمنوا اي ويخادعون المؤمنين بقولهم
اذا راوهم آمنا وهم غير مؤمنين او يجالسونهم ويخالطونهم اياهم حتى يفشوا اليهم اسرارهم فينقلوها الى اعدائهم والتقية انما سمي خداعهم
لما اظهروا الاسلام وابطنوا الكفر صارت تقيتهم خداعا من حيث نجوا بها من اجراء حكم الكفر عليهم ومعنى قوله وما يخدعون الا انفسهم
انهم وان كانوا يخادعون المؤمنين في الظاهر فهم يخادعون انفسهم لانهم يظهرون لها بذلك انهم يعطونها ما تمنت وهم يوردونها العذاب الشديد
فوبال خداعهم راجع الى انفسهم وما يشعرون اي ما يعلمون انه يرجع عليهم بالعذاب فهم في الحقيقة انما خدعوا انفسهم كما لو قاتل انسان غيره فقتل
نفسه جاز ان يقال انه قاتل فلانا ولم يقتل الا نفسه وقوله وما يشعرون يدل على بطلان قول اصحاب المعارف لانه تعالى اخبر عنهم بالنفاق وبانهم
لا يعلمون ذلك قوله تعالى في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون آية القراءة قرأ ابن عامر وحمزة فزادهم
الله بامالة الزاء وكذلك شاء وجاء وقرأ اهل الكوفة يكذبون بفتح الياء مخففا والباقون يكذبون الحجة حجة من امال الالف من زاد
انه يريد ان يدل بالامالة على ان العين ياء كما ابدلوا من الضمة كسرة في عين وبيض جمع اعين وابيض لتصح الياء ولا تنقلب الى الواو وحجة من قرأ يكذبون
ان يقول ان ذلك اشبه بما قبل الكلام وما بعدها لان قولهم آمنا بالله كذب منهم ولهم بكذبهم وما وصلته بمعنى المصدر وقولهم فيما بعد اذا خلوا الى
شياطينهم انا معكم دلالة ايضا على كذبهم فيما ادعوه من ايمانهم واذا كان اشبه بما قبله وما بعده كان اولى وحجة من قرأ يكذبون بالتشديد قوله
ولقد كذبت رسل وقوله وان كذبوك فقل لي عملي وقوله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك ونحو ذلك وايضا التكذيب
اكثر من الكذب لان كل من كذب صادقا فقد كذب وليس كل من كذب كان مكذبا فكانه قال ولهم عذاب اليم بتكذيبهم وادخل كان ليدل على ان ذلك
كان فيما مضى اللغة المرض العلة في البدن ونقيضه الصحة قال سيبويه امرضته جعلته مريضا ومرضته قمت عليه ووليته وزاد فعل يتعدى
الى مفعولين قال الله تعالى وزدناهم هدى وزاده بسطة ومصدره الزيادة والزيد قال كذلك زيد المرء بعد انتقاصه والاليم الموجع فعيل بمعنى مفعل
كالسميع بمعنى المسمع والنذير بمعنى المنذر والبديع بمعنى المبدع قال ذو الرمة يصك وجوهها وهج اليم والكذب ضد الصدق وهو الاخبار عن الشيء لا
على ما هو به والكذب ضرب من القول وهو نطق واذا جاز في القول ان يتسع فيه فيجعل غير نطق في نحو قوله قد قالت الانساع للبطن الحق جاز ايضا في الكذب
ان يجعل غير نطق في نحو قوله وخبايته وصف بينهما بان كذب القراطف والقروف فيكون في ذلك اتساعا كما ان الاخبار عن الشيء بخلاف ما هو به
كان فيه انتفاء للصدق اي كذب القراطف فاوجدوها بالغارات المعنى المراد بالمرض في الآية الشك والنفاق بالاتفاق وانما سمي الشك
في الدين مرضا لان المرض هو الخروج عن حد الاعتدال فالبدن ما لم تصبه آفة يكون صحيحا سويا وكذلك القلب ما لم تصبه آفة من الشك
يكون صحيحا وقيل اصل المرض الفتور فهو في القلب فتوره عن الحق كما انه في البدن فتور الاعضاء وتقدير الآية في اعتقاد قلوبهم الذي يعتقدونه في
الله ورسوله مرض اي شك فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقوله فزادهم الله مرضا قيل فيه وجوه احدها ان معناه ازدادوا شكا
عند ما زاد الله من البيان بالآيات والحجج الا انه لما حصل ذلك عند فعله نسب اليه كقوله تعالى في قصة نوح لم يزدهم دعائي الا فرارا
لما ازدادوا فرارا عند دعاء نوح عليه السلام نسب اليه وكذلك قوله واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم والآيات لم
تزدهم رجسا وانما ازدادوا رجسا عندها وثانيها ما قاله ابو علي الجبائي ان الغم ازداد في قلوبهم بنزول النبي صلى الله عليه وآله المدينة وبتمكنه
بها وظهور المسلمين وقوتهم فزادهم الله غما بما زاده من التمكين والقوة وامده به من التاييد والنصرة وثالثها ما قاله السدي ان معناه
زادهم عداوة الله مرضا وهذا في حذف المضاف مثل قوله تعالى فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اي من ترك ذكر الله ورابعها ان
المراد به في قلوبهم حزن بنزول القرآن بفضايحهم ومخازيهم فزادهم الله مرضا بان زاد في اظهار مقابحهم ومساويهم والاخبار
عن خبث اسرارهم وسوء ضمايرهم وسمي الغم مرضا لانه يضيق الصدر كما يضيقه المرض وخامسها ما قاله ابو مسلم الاصفهاني ان ذلك
على سبيل الدعاء عليهم كقوله تعالى ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم فكانه دعاء عليهم بان يخليهم الله وما اختاروه ولا يعطيهم من زيادة
التوفيق والالطاف ما يعطي المؤمن فيكون خذلانا لهم وهو في الحقيقة اخبار عن خذلان الله اياهم وان خرج في اللفظ مخرج الدعاء عليهم

١٣

ثم قال ولهم عذاب اليم وهو عذاب النار بتكذيبهم الله ورسوله فيما جاء به من الدين او بكذبهم في قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين
قوله تعالى واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ايتان القراءة قرأ الكسائي
قيل وغيض وجيء وسيء وسيئت وحيل وسيق وجيء بضم اوائل ذلك كله وروي عن يعقوب مثل ذلك ووافقهما نافع في سيء وسيئت وابن عامر فيهما
وفي حيل وسيق والباقون يكسرون كلها الحجة في هذه كلها ثلاث لغات الكسر واشمام الضم وقولها بالواو فاما قيل بالكسر فعلى نقل حركة العين الى الفاء
لان اصله قول ثم قلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها وهو قياس مطرد في كل ما اعتلت عينه واما الاشمام فلاجل الدلالة على الاصل
مع التخفيف اللغة الافساد احداث الفساد وهو كل ما تغير عن استقامة الحال والاصلاح نقيض الفساد والارض مستقر الحيوان ويقال للقوائم
الفرس ارض لانه يستقر عليها قال اذا ما استحثت ارضه من سمائه جرى وهو مودوع وواعد مصدق الاعراب اذا لفظة وضعت للوقت شرط
ان يكون ظرفا زمانا وفيها معنى الشرط وانما يعمل فيها جوابها في هذه الآية اذا في محل نصب لانه ظرف قوله قالوا لانه الجواب ولا يجوز ان يعمل فيه
قيل لهم لان اذا في التقدير مضاف الى قيل والمضاف اليه لا يعمل في المضاف وكذلك في قوله واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذ اسبق وانما بني
معنى في ولزومه اياه وقد يكون اذا ظرفا مكانيا فنحو قولك خرجت فاذا الناس وقوف اي في المكان الناس وقوف ويجوز ان تنصب وقوفا
على الحال لان ظرف المكان يجوز ان يكون خبرا عن الجثة وقيل مبني على الفتح وكذلك كل فعل ماض فبني على الفتح ولا حرف فيه وهو محل الجزم في الفعل
وتفسدوا مجزوم بلا وعلامة الجزم فيه سقوط النون والواو ضمير الفاعلين وما في قوله انما كافة كفت ان عن العمل فعاد ما بعدها الى ما كان
عليه في الاصل من كونه مبتدأ وخبرا وهو قوله نحن مصلحون فنحن مبتدأ ومصلحون خبره وموضع الجملة نصب بقالوا كما تقول قلت حقا او باطلا
ونحن مبنية لمشابهتها الحروف وبنيت على الضم لانها من ضماير الرفع والضمة علامة الرفع ولانها ضمير الجمع والضمة بعض الواو والواو علامة الجمع
في نحو ضاربون ويضربون وقوله لا تفسدوا في الارض جملة في موضع رفع على تقدير قيل لهم شيء فهو اسم ما لم يسم فاعله وقوله الا كلمة تنبيه وافتتاح
للكلام تدخل على كل كلام مكتف بنفسه نحو قوله الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله واصله لا دخل عليها الف الاستفهام والالف اذا دخل على الجحد
اخرجها الى معنى التقرير والتحقيق كقوله اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى لا تعلم ان يجيب الا اقرار ببلى وهم في انهم في موضع نصب بان وهم
الآخر يجوز ان يكون فصلا على البصرية وقيل ويجوز ان يكون مبتدأ والمفسدون خبره والجملة خبر ان وضم الميم من هم لالتقاء الساكنين ردوه الى
الاصل النزول الآية نزلت في المنافقين الذين نزلت فيهم الآيات المتقدمة وروي عن سلمان رض ان اهل هذه الصفة لم يأتوا بعد والاولى
نظم الكلام ويجوز ان يراد بها من سوء صفتهم صورة هؤلاء فيكون قول سلمان محمولا على انه اراد بعد انقراض المنافقين الذين تناولتهم الآية المعنى
المراد واذا قيل للمنافقين لا تفسدوا في الارض بعمل المعاصي وصد الناس عن الايمان على ما روي عن ابن عباس او بممايلة الكفار فان فيه توهين
الاسلام على ما قاله ابو علي او بتغيير الملة وتحريف الكتاب على ما قاله الضحاك قالوا انما نحن مصلحون وهو يحتمل امرين احدهما ان الذي تسمونه فسادا هو
عندنا صلاح لانا انما نفعل ذلك لنكف شر الفريقين والآخر انهم جحدوا ذلك وقالوا انا لا نعمل بالمعاصي ولا نمايل الى الكفار ولا نحرف الكتاب
وكان ذلك نفاقا منهم كما قالوا آمنا بالله ولم يؤمنوا ثم قال الا انهم اي اعلموا ان هؤلاء المنافقين الذين يدعون الفساد صلاحا هم المفسدون
وهذا تكذيب من الله تعالى لهم ولكن لا يشعرون اي لا يعلمون ان ما يفعلونه فساد وليس بصلاح ولو علموا ذلك لرجي صلاحهم وقيل لا يعلمون ما
يستحقون من العقاب وهذه الآية تدل على بطلان مذهب اصحاب المعارف لقوله لا يعلمون وانما جاز تكليفهم وان لم يشعروا انهم على ضلال لان
لهم طريقا الى العلم بذلك قوله تعالى واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا انؤمن كما آمن السفهاء الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون
الآية القراءة السفهاء الا اهل الكوفة وابن عامر حققوا الهمزتين واهل الحجاز وابو عمرو همزوا الاولى ولينوا الثانية وكذا كل همزتين مختلفتين
من كلمتين وقد ذكرنا الوجه فيها حيث ذكرنا اجتماع الهمزتين في كلمة واحدة وهو قوله ءانذرتهم اللغة السفهاء جمع سفيه والسفيه الضعيف
الرأي الجاهل القليل المعرفة بمواضع المنافع والمضار ولذلك سمى الله الصبيان والنساء سفهاء بقوله ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما
وقال قطرب السفيه العجول الظلوم القائل خلاف الحق وقال مؤرج السفيه الكذاب البهات المتعمد بخلاف ما يعلم وقيل اصل السفه خفة الحلم
وكثرة الجهل يقال ثوب سفيه اذا كان رقيقا باليا وسفهته الرياح اي طيرته وقد جاء في الاخبار ان شارب الخمر سفيه والالف واللام في الناس
وفي السفهاء للعهد لا للجنس والمراد بهم المؤمنون من اصحاب النبي صلى الله عليه وآله وانما سموا الناس لان الغلبة كانت لهم الاعراب قوله

كما من الكاف في موضع نصب لكونه صفة لمصدر محذوف وما مع صلته بمعنى المصدر اي آمنوا ايمانا مثل ايمان الناس فحذف الموصوف واقام الصفة مقامه
والهمزة في انؤمن للانكار واصلها الاستفهام ومثله انطعم من لو يشاء الله اطعمه واذا ظرف لقوله قالوا انؤمن وقد مضى الكلام فيه المعنى المراد بالآية
واذا قيل للمنافقين صدقوا محمدا صلى الله عليه وآله وما انزل عليه كما صدقه اصحابه وقيل كما صدق عبد الله بن سلام ومن آمن معه من اليهود قالوا
انصدق كما صدق الجهال ثم كذبهم الله تعالى وحكم عليهم بانهم هم الجهال في الحقيقة لان الجاهل انما يسمى سفيها لانه يضيع من حيث يرى انه يحفظ
فكذلك المنافق يعصي ربه من حيث يظن انه يطيعه ويكفر به من حيث يظن انه يؤمن به قوله تعالى واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم
قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن الآية القراءة بعض القراء ترك الهمزة من مستهزؤن وقوله خلوا الى قراءة اهل الحجاز خلولى حذفوا الهمزة والقوا
حركتها على الواو قبلها وكذلك امثاله والباقون اسكنوا الواو وحققوا الهمزة الحجة قال سيبويه الهمزة المضمومة المكسور ما قبلها تجعلها اذا خففتها
بين بين وكذلك الهمزة المكسورة اذا كان ما قبلها مضموما نحو مرتع الابل تجعلها بين بين وذهب الاخفش الى ان تقلب الهمزة ياء في مستهزيون قلبا محضا
من اجل الكسرة التي قبلها ولا يجعلها بين بين ولم يقلبها واوا مع تحركها بالضمة لخروجها الى ما لا نظير له الا ترى انه واو مضمومة قبلها كسرة وذلك مرفوض
عندهم اللغة اللقاء نقيض الحجاب قال الخليل كل شيء استقبل شيئا او صادفه فقد لقيه واصل اللقاء الاجتماع مع الشيء على طريق المقاربة
والاجتماع قد يكون على طريق المجاورة كاجتماع العرضين في محل والخلاء نقيض الملاء ويقال خلوت اليه وخلوت معه ويقال خلوت به على ضربين احدهما
بمعنى خلوت معه والآخر بمعنى سخرت منه وقد ذكرنا معنى الشيطان في مفتتح سورة الفاتحة ويستهزؤن اي يهزؤن ومثله يستسخرون اي يسخرون
وقر واستقر وعلا قرنه واستعلى قرنه ورجل هزأة يهزأ بالناس وهزأة يهزأ به الناس وهذا قياس الاعراب انا اصله اننا لكن النون حذفت
لكثرة النونات والمحذوفة النون الثانية من ان لانها التي تحذف في نحو وان كل لما جميع وقد جاء على الاصل في قوله انني معكما ومعكم انتصب انتصاب
الظروف نحو انا خلفكم اي انا مستقرون معكم والقراءة بفتح العين ويجوز للشاعر اسكان العين قال وريشي منكم وهواي معكم وان كانت
زيارتكم لماما المعنى ان المنافقين اذا رأوا المؤمنين قالوا آمنا اي صدقنا نحن بما انزل على محمد صلى الله عليه وآله كما صدقتم انتم واذا
خلوا الى شياطينهم قيل رؤسائهم من الكفار عن ابن عباس وقيل هم اليهود الذين امروهم بالتكذيب وروي عن ابي جعفر الباقر عليه السلام انهم كهانهم
قالوا انا معكم اي على دينكم انما نحن مستهزؤن اي نستهزئ باصحاب محمد صلى الله عليه وآله ونخدعهم في قولنا آمنا قوله تعالى الله يستهزئ بهم و
يمدهم في طغيانهم يعمهون آية اللغة المد اصله الزيادة في الشيء والمد الجذب لانه سبب الزيادة في الطول والمادة كل شيء يكون مددا
لغيره وقال بعضهم كل زيادة حدثت في الشيء من نفسه فهو مددت بغير الف كما تقول مد النهر ومده نهر آخر وكل زيادة احدثت في الشيء من
غيره فهو امددت بالالف كما يقال امد الجرح لان المدة من غير الجرح وامددت الجيش والطغيان من قولك طغى الماء يطغى اذا تجاوز الحد
والطاغية الجبار العنيد والعمه التحير يقال عمه يعمه عمها وعموها وعمهانا قال رؤبة ومهمه اطرافه في مهمه اعمى الهدى بالجاهلين العمه الاعراب يعمهون
جملة في موضع الحال المعنى قيل في معنى الآية وتاويلها وجوه احدها ان يكون معنى الله يستهزئ بهم يجازيهم على استهزائهم والعرب تسمي
الجزاء على الفعل باسمه وفي التنزيل جزاء سيئة سيئة مثلها وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به وقال عمرو بن كلثوم الا لا يجهلن احد علينا
فنجهل فوق جهل الجاهلينا وانما جاز ذلك لان حكم الجزاء ان يكون على المساواة وثانيها ان يكون معنى استهزاء الله تعالى بهم تخطئته اياهم
وتجهيله لهم في اقامتهم على الكفر واصرارهم على الضلال والعرب تقيم الشيء مقام ما يقاربه في معناه قال الشاعر ان دهرا يلف شملي
بجمل لزمان يهم بالاحسان وقال آخر كم اناس في نعيم عمروا في ذرى ملك تعالى فبسق سكت الدهر زمانا عنهم ثم ابكاهم دما حين نطق
والدهر لا يوصف بالسكوت والنطق والهم وانما ذكر ذلك على الاستعارة والتشبيه وثالثها ان يكون معنى الاستهزاء المضاف اليه تعالى
ان يستدرجهم ويهلكهم من حيث لا يعلمون وقد روي عن ابن عباس انه قال في معنى الاستدراج انهم كلما احدثوا خطيئة جدد الله
لهم نعمة وانما سمي هذا الفعل استهزاء لان ذلك في الظاهر نعمة والمراد به استدراجهم الى الهلاك والعقاب الذي استحقوه بما تقدم
من كفرهم ورابعها ان معنى استهزائه بهم انه جعل لهم بما اظهروه من موافقة اهل الايمان ظاهر احكامهم من الموارثة والمناكحة والمدافنة
وغير ذلك من الاحكام وان كان قد اعد لهم في الآخرة اليم العقاب بما ابطنوه من النفاق فهو سبحانه كالمستهزئ بهم من حيث جعل لهم احكام
المؤمنين ظاهرا ثم ميزهم منهم في الآخرة وخامسها ما روي عن ابن عباس انه قال يفتح لهم وهم في النار باب من الجنة فيقبلون من النار

اليه مسرعين حتى اذا انتهوا اليه سد عليهم وفتح لهم باب آخر فيقبلون من النار اليه مسرعين حتى اذا انتهوا اليه سد عليهم فيضحك المؤمنون منهم فلذلك
قال الله عز وجل فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون وهذه الوجوه التي ذكرناها يمكن ان تذكر في قوله تعالى ويمكرون ويمكر الله ويخادعون
الله وهو خادعهم واما قوله ويمدهم في طغيانهم يعمهون ففيه وجهان احدهما ان يريد ان يملي لهم ليؤمنوا وهم مع ذلك متمسكون بطغيانهم
وعمههم والاخر ان يريد انه يتركهم من فوايده ومنحه التي يؤتيها المؤمنين ثوابا لهم ويمنعها الكافرين عقابا لهم كشرح الصدر وتنوير القلب فهم
في طغيانهم اي كفرهم وضلالهم يعمهون اي يتحيرون لانهم قد اعرضوا عن الحق فتحيروا وترددوا قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة
بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين اية القراءة قرا جميع القراء اشتروا الضلالة بضم الواو وفي الشواذ عن يحيى بن يعمر انه كسرها
تشبيها بواو لو في قوله لو استطعنا وروي عن يحيى بن وثاب انه ضم واو لو تشبيها بواو الجمع الحجة الواو في اشتروا ساكنة فاذا سقطت
همزة الوصل التقت مع الساكن المبدل من لام المعرفة فالتقى ساكنان فحرك الاول منهما لالتقائهما وصار الضم اولى بها ليفصل بالضم بينها وبين واو لو
ويدل على ذلك اتفاقهم على التحريك بالضم في نحو قوله لتبلون ولترون الجحيم ومصطفو الله للدلالة على الجمع ويدل على تقرير ذلك في هذه الواو انهم
شبهوا بها الواو التي في او ولو وحركوها بالضم تشبيها بها فلما شبهوا التي في او بالتي تدل على الجمع كذلك شبهوا هذه بها فاجازوا فيها الكسر الا ترى انهم
اجازوا الضم في لو استطعنا تشبيها بالتي للجمع ومثل هذا اجازتهم الجر في الضارب الرجل تشبيها بالحسن الوجه واجازتهم النصب في الحسن الوجه تشبيها
بالضارب الرجل اللغة حقيقة الاشتراء الاستبدال والعرب تجعل لمن تمسك بشيء وترك غيره قد اشتراه وليس ثم شراء ولا بيع قال الشاعر: اخذت
بالجمة راسا ازعرا * وبالثنايا الواضحات الدردرا * وبالطويل العمر عمرا جيدرا * كما اشترى المسلم اذ تنصرا * والربح الزيادة على راس المال ومنه
ومن يجار باسه فقد ربح * فالتجارة التعرض للربح في البيع وقوله فما ربحت تجارتهم اي فما ربحوا في تجارتهم والعرب تقول ربح بيعك وخسر بيعك
وخاب سعيك على معنى ربحت في بيعك وانما اضاف الربح الى التجارة لان الربح يكون فيها الاعراب اولئك موضعه رفع بالابتداء وخبره الذين اشتروا
الضلالة بالهدى وما حرف نفي وكان سورته صورة الفعل ويستعمل على وجهين احدهما ان لا يدل على حدث بل يدل على زمان مجرد مثل كان زيد قائما
فاذا استعمل على هذا فلابد له من خبر لان الجملة غير مكتفية بنفسها فيرد خبره حديثا عن الاسم ويكون اسمه وخبره في الاصل مبتدا وخبرا فيجب لذلك
ان يكون خبره هو الاسم او فيه ذكر منه كما كان في الابتداء الواو في موضع الرفع لانه اسم كان ومهتدين منصوب لانه خبره والياء فيه علامة النصب والجمع
وحرف الاعراب والنون عوض من الحركة والتنوين في الواحد وكان في الاصل مهتديين سكنت الياء الاولى التي هي لام الفعل استثقالا للحركة عليها
ثم حذفت لالتقاء الساكنين وفتحت النون فرقا بينها وبين نون التثنية والاخر من نحوي كان ما هو فعل حقيقي يدل على زمان وحدث كقوله تعالى
الا ان تكون تجارة اي تحدث فاذا استعمل هكذا فهي جملة مستقلة لا يحتاج الى خبر المعنى اشار الى من تقدم ذكرهم من المنافقين فقال اولئك
الذين اشتروا الضلالة بالهدى قال ابن عباس اخذوا الضلالة وتركوا الهدى ومعناه استبدلوا الكفر بالايمان ومتى قيل كيف قال ذلك وانما
كانوا منافقين ولم يتقدم نفاقهم ايمان فقول للعلماء فيه وجوه احدها ان المراد باشتروا استحبوا واختاروا لان كل مشتر مختار ما في يدي صاحبه
على ما في يديه عرفناه والاخر انهم ولدوا على الفطرة كما جاء في الخبر فتركوا ذلك الى الكفر فكانهم استبدلوه وثالثها انهم استبدلوا بالايمان الذي
كانوا عليه قبل البعثة كفرا لانهم كانوا يبشرون بمحمد صلى الله عليه وآله ويؤمنون به فلما بعث كفروا به فكانهم استبدلوا الكفر بالايمان عن الكلبي
ومقاتل وقوله فما ربحت تجارتهم اي خسروا في استبدالهم الكفر بالايمان والعذاب بالثواب وما كانوا مهتدين اي مصيبين في تجارتهم
كاصحاب محمد صلى الله عليه وآله وقيل انه اراد سبحانه انه نفى عنهم الربح والهداية فان التاجر قد يخسر ولا يربح ويكون على هدى فان قيل كيف
قال فما ربحت تجارتهم في موضع ذهبت فيه رؤوس اموالهم فالجواب انه ذكر الضلالة والهدى فكانه قال طلبوا الربح فلم يربحوا وهلكوا
والمعنى فيه انه ذهب رؤوس اموالهم ويحتمل ان يكون ذكره ذلك على التقابل وهو ان الذين اشتروا الضلالة بالهدى لم يربحوا كما ان الذين
اشتروا الهدى بالضلالة ربحوا قوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات
لا يبصرون اية اللغة المثل والمثل والشبه والشبه نظائر وحقيقة المثل ما جعل كالعلم على معنى سائر يشبه فيه الثاني بالاول ومثاله
قول كعب بن زهير كانت مواعيد عرقوب لنا مثلا وما مواعيدها الا الاباطيل فمواعيد عرقوب علم في كل ما لا يصح من المواعيد ومنه التمثال لانه
يشبه الصورة والذي قد يوضع موضع الجمع كقوله تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به ثم قال اولئك هم المتقون قال الشاعر وان

الذي

الذي حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا ام خالد واستوقد بمعنى اوقد مثل استجاب بمعنى اجاب وقيل استوقد اي طلب الوقود والوقود
بفتح الواو الحطب والنار جوهر مضيء حار محرق واصلها من النور يقال نار ونار واستنار بمعنى والمنار العلامة واضاء يكون لازما
ومتعديا يقال اضاء الشيء بنفسه واضاء غيره والتي في الاية متعد والترك للشيء والكف عنه والامساك نظائر والظلمات جمع ظلمة واصلها
النقص من قوله ولم تظلم منه شيئا اي لم تنقص ومن اشبه اباه فما ظلم اي ما انتقص حق الشبه والابصار ادراك الشيء بحاسة البصر يقال ابصر
والابصار بالقلب مشبه به الاعراب مثلهم مبتدا وكمثل الذي خبره والكاف زائدة تقديره مثلهم مثل الذي استوقد نارا ونحوه قوله ليس كمثله
اي ليس مثله واستوقد نارا صلة الذي والعائد الى الذي المضمر الذي في استوقد ولما يدل على وقوع الشيء لوقوع غيره وهو يقتضي
الظرف والعامل فيه جوابه وتقديره فلما اضاءت ما حوله طفئت اي طفئت على الظرف وهو صلة ما يقال هم حوله وحواليه وحواله وحواليه
وقوله ذهب الله بنورهم اي ذهب الله بضوئهم والفعل الذي لا يتعدى يعدى الى المفعول بحرف الجر وبهمزة النقل والباء في قوله بنورهم تتعلق بذهب
وفي ظلمات يتعلق بتركهم وقوله لا يبصرون في موضع نصب على الحال والعامل فيه تركهم اي تركهم غير مبصرين المعنى مثل هؤلاء المنافقين لما
اظهروا الايمان وابطنوا الكفر كمثل الذي اوقد نارا او كمثل الذي طلب الضياء بايقاد النار في ليلة مظلمة فاستضاء بها واستدفأ ورأى ما حوله
فاتقى ما يحذر ويخاف وامن فبينا هو كذلك اذ طفئت ناره فبقي مظلما خائفا متحيرا كذلك المنافقين لما اظهروا كلمة الايمان واستناروا
بنورها واعتزوا بعزها فناكحوا المسلمين ووارثوهم وامنوا على اموالهم واولادهم فلما ماتوا عادوا الى الظلمة والخوف وبقوا في العذاب وذلك
معنى قوله ذهب الله بنورهم وهذا هو المروي عن ابن عباس وقتادة والضحاك والسدي وكان يجب حق النظم ان يكون اللفظ فلما اضاءت
ما حوله اطفاء الله نوره ليشاكل جواب لما معنى هذه القصة ولكن لما كان اطفاء النار مثلا لاذهاب نورهم اقيم اذهاب النور مقام الاطفاء و
جعل جوابا لما ايجازا واختصارا لدلالة الكلام عليه كما قال ابو ذويب: عصاني اليها القلب اني لامرها * مطيع فما ادري ارشد طلابها * وتقديره ارشد ام غي طلابها
فحذف للايجاز ومعنى اذهاب الله نورهم هو ان الله تعالى يسلبهم ما اعطوا من النور مع المؤمنين في الاخرة وذلك قوله تعالى فيما اخبر عنهم
انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا وقيل معنى اذهاب نور المنافقين وجه آخر وهو اطلاع الله المؤمنين على كفرهم فقد ذهب
منهم نور الاسلام بما اظهر الله من كفرهم وقال سعيد بن جبير ومحمد بن كعب وعطا الاية نزلت في اليهود وانتظارهم خروج النبي صلى الله عليه وآله
وايمانهم به واستفتاحهم به على مشركي العرب فلما خرج كفروا به وذلك ان قريظة والنضير وبني قينقاع قدموا من الشام الى يثرب حين انقطعت النبوة
من بني اسرائيل وافضت الى العرب فدخلوا المدينة يشهدون لمحمد صلى الله عليه وآله بالنبوة وان امته خير الامم وكان يغشاهم رجل من بني اسرائيل
يقال له عبد الله بن هيبان قبل ان يوحى الى النبي صلى الله عليه وآله كل سنة فيحضهم على طاعة الله عز وجل واقامة التورية والايمان بمحمد صلى الله عليه وآله
ويقول اذا خرج فلا تفترقوا عنه وانصروه وقد كنت اطمع ان ادركه ثم مات قبل خروج النبي عليه السلام فقبلوا منه ثم لما خرج النبي عليه السلام كفروا به
فضرب الله لهم هذا المثل سؤال كيف شبه المنافقين او اليهود وهم جماعة بالذي استوقد نارا وهو واحد الجواب على وجوه احدها ان الذي
في معنى الجمع كما قيل في الاية الاخرى والذي جاء بالصدق وصدق به وثانيها ان يقال النون محذوفة من الذي كما جاء في قول الاخطل ابني كليب
ان عمي اللذا قتلا الملوك وفككا الاغلالا * وثالثها ان يكون الكلام على حذف كانه قال مثلهم كمثل اتباع الذي استوقد نارا ثم حذف المضاف واقام
المضاف اليه مقامه كما قال الجعدي: وكيف تواصل من اصبحت خلالته كابي مرحب * يريد كخلالة ابي مرحب * ورابعها ان يقال الذي استوقد للجنس
لما في الذي من الابهام اذ ليس يراد به توقيت واحد بعينه وعلى هذا يكون جواب لما اضاءت ما حوله محذوفا كانه قال طفئت والضمير في قوله ذهب
الله بنورهم يعود الى المنافقين ومناسبا ان يقال هذا تشبيه الحال بالحال فتقديره حال هؤلاء المنافقين في جهلهم كحال المستوقد النار وتشبيه الحال بالحال
جائز كما يقال بلادة هؤلاء كبلادة الحمار ولو قلت هؤلاء كالحمار لم يجز ومعنى قوله وتركهم في ظلمات لا يبصرون معناه لم يفعل الله لهم النور اذ الترك
اذا جاء في صفات الله عز وجل فالمعنى انه لا يفعل لان الترك هو الكف عن الفعل بالفعل وهذا انما يصح في من حله تعلقه فمعناه انه لم يفعل لهم النور
حتى صاروا في ظلمة اشد مما كانوا قبل الايقاد وقوله لا يبصرون اي لا يبصرون الطريق قوله تعالى صم بكم عمي فهم لا يرجعون اية اللغة الاصم
من ولد كذلك وكذلك الابكم هو المولود اخرس واصل الصم السد فالصم سد الاذن بما لا يقع منه سمع وقناة صماء صلبة مكتنزة الجوف
يسد جوفها بامتلائها وحجر اصم صلب وفتنة صماء شديدة والعمى ما يذهب بادراك البصر والاصل البكم الاعتقال في اللسان وهو آفة تمنع من الكلام

ثم ما رات تعالى في قوله ما حوله اسم موصول منصوب بوقوع الاضاءة عليه وصوله نصب

١٧

والله سبحانه منزه عن ان يحله ظلام

واصل العمى ذهاب الادراك بالعين والعمى في القلب مثل العمى في العين بانه منع من الفهم ويقال اعماه من عمى القلب ولا يقال ذلك في العين وانما يقال
ما اشد عماه وما جرى مجراه والعماية الغواية والعماء السحاب الكثيف المطبق والرجوع قد يكون عن الشيء والى الشيء فالرجوع عن الشيء هو الاعراض عنه
بعد الذهاب اليه والرجوع الى الشيء هو الانصراف اليه بعد الذهاب عنه الاعراب صم بكم عمي رفع على خبر مبتدا محذوف اي هؤلاء الذين قصتهم هذه صم
بكم عمي المعنى قال قتادة صم لا يسمعون الحق بكم لا ينطقون به عمي لا يبصرونه فهم لا يرجعون عن ضلالتهم ولا يتوبون وانما شبههم الله تعالى بالصم لانهم
لا يحسنوا الاصغاء الى ادلة الله تعالى فكانهم صم واذا لم يقروا بالله ورسوله فكانهم بكم واذا لم ينظروا في ملكوت السموات والارض فكانهم عمي لما
لم يصل اليهم منفعة هذه الاعضاء فكانهم ليس لهم هذه الاعضاء وهذا يدل على ان معنى الختم والطبع ليس على وجه الحيلولة بينهم وبين الايمان لانه
جعل الفهم بالكفر واشتغالهم للحق بمنزلة الصم والبكم والعمى مع صحة حواسهم فكذلك قوله تعالى طبع الله على قلوبهم واضلهم واصمهم واعمى ابصارهم
وازاغ الله قلوبهم فان جميع ذلك اخبار عما احدثوه عند امتحان الله اياهم وامره لهم بالطاعة والايمان لا انه فعل بهم ما منعهم من الايمان وهذا كما
قيل في المثل حبك الشيء يعمي ويصم قال مسكين الدارمي اعمى اذا ما جارتي خرجت حتى يواري جارتي الخدر ويصم عما كان بينهما اذني وما في سمعها
وقر وفي التنزيل وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون وقوله لا يرجعون يحتمل امرين احدهما انه على الذم والاستبطاء عن ابن عباس والثاني
انهم لا يرجعون الى الاسلام عن ابن مسعود قوله تعالى او كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون اصابعهم في اذانهم من
الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين اية القراءة ظلمات اجمع القراء على ضم اللام منه على الاتباع وروي في الشواذ عن الحسن وابي
السمال بسكون اللام وعن بعضهم بفتح اللام وابو عمرو يميل الكاف من الكافرين في موضع النصب والخفض وروي ذلك عن الكسائي والباقون
لا يميلون الحجة الوجه في ذلك انهم كرهوا اجتماع الضمتين فتارة عدلوا الى الفتح فقالوا ظلمات وتارة عدلوا الى السكون فقالوا ظلمات و
كلا الامرين حسن في اللغة وانما اما لوا الكاف من الكافرين في الموضعين المذكورين لكسرة الراء بعد الفاء المكسورة والراء لما فيها من التكرير تجري مجرى
الحرفين المكسورين وكلما كثرت الكسرات غلبت الامالة وحسنتها وللقراء في الامالة مذاهب واختلافات يطول استقصاؤها وابو علي الفارسي قد بلغ
الغاية وجاوز النهاية في احتجاجاتهم وذكر من التحقيق فيها والتدقيق ما يقصر عنه فهم كثير من علماء الزمان فالتعمق في ايراد ابي علي حججا والفرق
الحجج لا يليق بتفسير القران وكذلك ما يتعلق بفن القراءة من علوم الهمز والادغام والمد فان لذلك كتبا مولفة يرجع اليها ويعول
عليها فالرأي ان نحلم بالزمام ونقتصر على بعض اوصافها فيما ياتي من الكتاب ان شاء الله تعالى اللغة الصيب المطر واصله صيوب فيعل من الصوب
لكن اجتمعت الواو والياء والاولى ساكنة فصارتا ياء مشددة مثله سيد وجيد والسماء المعروف وكل ما علاك واظلك فهو سماء وسماء
البيت سقفه واصابهم سماء اي مطر واصل سماء سماو فقلبت الواو همزة لوقوعها طرفا بعد الف زائدة وجعل يكون على وجوه احدها ان
يتعدى الى مفعولين نحو جعلت الطين خزفا اي صيرت وثانيها ان ياتي بمعنى صنع يتعدى الى مفعول واحد نحو قوله وجعل الظلمات والنور
ثالثها ان ياتي بمعنى التسمية كقوله تعالى وجعلوا لله اندادا اي سموا له ورابعها ان ياتي بمعنى افعال المقاربة نحو جعل زيد يفعل كذا والصواعق
جمع صاعقة وهي الوقع الشديد من السحاب يسقط معه نار تحرق والصاعقة صيحة العذاب والحذر طلب السلامة مما يخاف الاعراب
او هنا للاباحة اذا قيل لك جالس الفقهاء او المحدثين فكلا الفريقين اهل لان تجالس فان جالست احدهما فانت مطيع وان جالست الاخر فانت
مطيع وان جالستهما فانت مطيع فكذلك هنا ان مثلت المنافقين بالمستوقد كنت مصيبا وان مثلتهم باصحاب الصيب فانت مصيب
وان مثلتهم بكلا الفريقين فانت مصيب تقديره او كاصحاب صيب حذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه لان هذا عطف على قوله كمثل الذي
استوقد نارا والصيب ليس بعاقل فلا يعطف على العاقل ويجعلون في موضع الحال من اصحاب الصيب وقوله فيه ظلمات جملة في موضع الجر
بانها صفة صيب والضمير المتصل بفي عائد الى الصيب او الى السماء وحذر الموت منصوب بانه مفعول له لان المعنى يفعلون ذلك لحذر الموت
قال الزجاج وانما نصب المفعول له لانه في تاويل مصدر لان جعلهم اصابعهم في اذانهم يدل على حذرهم الموت قال الشيخ ابو علي المفعول له لا يكون
الا مصدرا لانه يبين انه فعل لاجل ذلك الحدث والحدث مصدر لكنه ليس صادرا عن هذا الفعل بل عن فعل اخر المعنى مثل هؤلاء
المنافقين في جهلهم وشدة تحيرهم كاصحاب مطر من السماء اي نزل من السماء فيه اي في هذا المطر او في السماء لان المراد بالسماء السحاب فهو مذكر
ظلمات لان السحاب يغشي الشمس بالنهار والنجوم بالليل فيظلم الجو ورعد قيل ان الرعد صوت ملك يزجر السحاب وقيل الرعد هو ملك موكل

بالسحاب

بالسحاب يسبح روي ذلك عن ابن عباس وقيل مجاهد وهو المروي عن ائمتنا عليهم السلام وقيل هو ريح تختنق تحت السماء رواه ابو الجلد عن ابن
عباس وقيل صوت اصطكاك اجرام السحاب ومن قال انه ملك قدر فيه صوته كانه قال فيه ظلمات وصوت رعد لانه روي انه ينعق كما ينعق الراعي
بغنمه وقوله وبرق قيل انه مخاريق الملائكة من حديد تضرب به السحاب فتنقدح عنه النار عن علي عليه السلام وقيل انه سوط من نور يزجر به الملك السحاب
عن ابن عباس وقيل هو مصع ملك عن مجاهد والمصع المجالدة بالسيوف وغيرها قال الاعشى اذ اهن نازلن اقرانهن كان المصاع بما في
الجون وقيل انها تقدح من اصطكاك الاجرام وفي تاويل الاية وتشبيه المثل اقوال احدها انه شبه المطر المنزل من السماء بالقران وما فيه من
الظلمات بما في القران من الابتلاء وما فيه من الرعد بما في القران من الزجر وما فيه من البرق بما فيه من البيان وما فيه من الصواعق بما في
القران من الوعيد اجلا والدعاء الى الجهاد عاجلا عن ابن عباس وثانيها انه مثل للدنيا شبه ما فيها من الشدة والرخاء بالصيب الذي يجمع نفعا وضرا
وان المنافق يدفع عاجل الضرر ولا يطلب اجل النفع وثالثها انه مثل للاسلام لان فيه الحياة كما في الغيث الحياة وشبه ما فيه من الظلمات بما في اسلامهم
من ابطان الكفر وما فيه من الرعد بما في الاسلام من فرض الجهاد وخوف القتل وبما يخافونه من وعيد الاخرة لشكهم في دينهم وما فيه من البرق بما في
اظهار الاسلام من حقن دمائهم ومناكحتهم وموارثتهم وما فيه من الصواعق بما في الاسلام من الزواجر بالعقاب في الاجل والعاجل ويقوي ذلك
ما روي عن الحسن انه قال مثل الاسلام والمنافق كصيب هذا وصفه ورابعها ما روي عن ابن مسعود وجماعة من الصحابة ان رجلين من المنافقين من
اهل المدينة هربا من رسول الله صلى الله عليه واله فاصابهما المطر الذي ذكره الله تعالى فيه رعد شديد وصواعق وبرق فكلما اضاء لهما الصواعق
جعلا في اذانهما مخافة ان يدخل الصواعق في اذانهما فيقتلهما واذا لمع البرق مشيا في ضوئه واذا لم يلمع لم يبصرا فاقاما فجعلا يقولان ليتنا قد
اصبحنا فناتي محمدا فنضع ايدينا في يده فاصبحا فاتياه فاسلما وحسن اسلامهما فضرب الله شان هذين الرجلين مثلا لمنافقي المدينة وانهم اذا
حضروا النبي عليه السلام جعلوا اصابعهم في اذانهم فرقا من كلام النبي صلى الله عليه واله ان ينزل فيهم شيء كما كان ذانك الرجلان يجعلان اصابعهما في
اذانهما وكلما اضاء لهم مشوا فيه يعني اذا كثرت اموالهم واصابوا غنيمة او فتحا مشوا فيه وقالوا دين محمد صلى الله عليه واله صحيح واذا اظلم قاموا يعني اذا هلكت
اموالهم واصابهم البلاء قالوا هذا من اجل دين محمد فارتدوا كما قام ذانك الرجلان اذا اظلم البرق عليهما وقوله والله محيط بالكافرين يحتمل وجوها
احدها انه عالم بهم فيعلم سرائرهم ويطلع نبيه على ضمائرهم عن الاصم وثانيها انه تعالى قادر عليهم لا يستطيعون الخروج عن قدرته قال الشاعر
احطنا بهم حتى اذا ما تيقنوا بما قد رأوا مالوا جميعا الى السلم اي قدرنا عليهم والثالث ما روي عن مجاهد انه جامعهم يوم القيامة يقال احاط بكذا اذا
لم يشذ منه شيء ومنه احاط بكل شيء علما اي لم يشذ عن علمه شيء والرابع انه مهلكهم يقال احيط بفلان فهو محاط به اذا دنا هلاكه قال سبحانه واحيط
بثمره اي اصابه ما اهلكه وقوله الا ان يحاط بكم معناه ان تهلكوا جميعا قوله تعالى يكاد البرق يخطف ابصارهم كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا
اظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم ان الله على كل شيء قدير اية اللغة الخطف اخذ في استلاب يقال خطف يخطف وخطف
يخطف لغتان والثاني افصح وعليه القراءة ومنه الخطاف ويقال للذي يخرج الدلو من البئر الاخطاف قال النابغة خطاطيف حجن في حبال
متينة تمد بها ايد اليك نوازع وقاموا اي وقفوا والمشية الارادة والشيء ما يصح ان يعلم ويخبر عنه قال سيبويه هو اول الاسماء واعمها وابهمها
لانه يقع على الموجود والمعدوم وقيل انه لا يقع الا على الموجود والصحيح الاول وهو مذهب المحققين من المتكلمين ويؤيده قوله تعالى في هذه الاية
ان الله على كل شيء قدير فان كل شيء سواه محدث وكل محدث فله حالتان حالة عدم وحالة وجود واذا وجد خرج عن ان يكون مقدورا
للقادر لان من المعلوم ضرورة ان الموجود لا يصح ان يوجد فعلمنا انه انما يقدر عليه في حال عدمه ليخرجه من العدم الى الوجود وعلى هذه المسئلة
يدور اكثر مسائل التوحيد الاعراب كاد من افعال المقاربة ولا يتم بالفاعل ويحتاج الى الخبر وخبره الفعل المضارع فقوله يكاد فعل والبرق مرفوع
بانه اسم يكاد وفاعله ويخطف ابصارهم في موضع نصب بانه خبر يكاد وكلما اصله كل وضم اليه ما الجزاء وهو منصوب بالظرف والعامل فيه اضاء
ومعناه متى ما اضاء لهم مشوا فيه واضاء في موضع جزم بالشرط ومشوا فيه في موضع الجزاء واذا اظلم قد تقدم اعراب مثله ولو حرف معناه
امتناع الشيء لامتناع غيره واذا وقع الفعل بعده وهو منفي كان مثبتا في المعنى واذا وقع مثبتا كان منفيا في المعنى فقوله ولو شاء الله لذهب
بسمعهم وابصارهم قد انتفى فيه ذهاب السمع والابصار بسبب انتفاء المشية المعنى يكاد ما في القران من الحجج النيرة يخطف قلوبهم من
فقرن ان الجاهم الى النظر في امور دينهم كما ان البرق يكاد يخطف ابصار اولئك كلما اضاء لهم مشوا فيه لاهتدائهم الى الطريق بضوء البرق كذلك لنا

مكانها لا يبصرون

١٧

كلما دعا الحجر وغنيمة اسرعوا واذا اوردت شدة على المسلمين تحيروا لكفرهم ووقفوا كما وقف اولئك في الظلمات متحيرين وقيل اذا انسوا من
الايمان لهم نورا فاما اذا ماتوا عادوا الى الظلمة العقاب وقيل هم اليهود لما نصر المسلمين ببدر قالوا هذا الذي بشر به موسى فلما نكبوا باحد وقفوا
شكوا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم انما خص السمع والبصر بالذكر لما جرى من ذكرهما في الايتين فقال ولو شاء الله اذهبهما من المنافقين
عقوبة لهم على نفاقهم وكفرهم وهذا وعيد لهم بالعقاب كما قال في الاية الاولى والله محيط بالكافرين وقوله بسمعهم مصدر يدل على الجمع او حد
موضع الجمع كقول الشاعر: كلوا في بعض بطنكم تعيشوا * فان زمانكم زمن خميص * اي بطونكم والمعنى ولو شاء الله لاظهر على كفرهم فاهلكهم ودمر
عليهم لانه على كل شيء قدير وهو بالغة القادر وقيل ان قوله سبحانه ان الله على كل شيء قدير عام فهو قادر على الاشياء كلها على ثلثة وجوه على المعدومات
بان يوجدها وعلى الموجودات بان يفنيها وعلى مقدور غيره بان يقدره عليه ويمنعه منه وقيل هو خاص في مقدوراته دون مقدور غيره فان
مقدورا واحدا بين قادرين لا يمكن ان يكون لانه يؤدي الى ان يكون الشيء الواحد موجودا معدوما ولفظة كل قد يستعمل على غير عموم بمعنى
قوله تعالى تدمر كل شيء بامر ربها قوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون اية اللغة
الخلق الفعل على تقدير وخلق السموات فعلها على تقدير ما تدعو اليه الحكمة من غير زيادة ونقصان والخلق الطبع والخليقة الطبيعة والخلق
النصيب الاعراب يا حرف النداء واي اسم مبهم يقع على اجناس كثيرة لكنه انما يتم بان يوصف وصفته تكون باسم الجنس لانه لما كان لا يتم الا
بصفة وهي لفظة ذا الداخلة لما دل اي عليه مخصصة لدى كان التخصيص في الاشارة يقع بالجنس ثم بالوصف وصف باسماء الاجناس كالناس
في قوله يا ايها الناس فاي منادى مفرد معرفة مبني لانه وقع موقع حرف الخطاب وهو الكاف وانما بني على الحركة مع ان الاصل في البناء السكون
ليعلم انه ليس بعريق في البناء والبناء عارض فيه وانما حرك بالضم لانه كان في اصله التنوين فلما اسقط التنوين في البناء اشبه قبل وبعد الذي
قطع عنه الغاية فارتفع وقد ذكر فيه وجوه اخر توجد في مظانها والناس مرفوع لانه صفة اي فتبعه على حركة لفظه ولا يجوز ههنا النصب
وكل الاسماء المناداة المفردة المعرفة يجوز في صفاتها النصب والرفع لان ههنا الصفة هو المنادى في الحقيقة واي وصلة اليه ويدل على ذلك
لزومها وهو حرف التنبيه قبل الناس وثباتها وامتناعهم من حذفها فصار ذلك كالايذان باستيناف نداء والعلم لان لا يجوز الاقتصار على
المنادى قبله كما جاز في ساير المناداة واجاز المازني في يا ايها الرجل النصب وذلك فاسد لما ذكرناه ولانه لا عهد لذلك في كلام العرب ولم يرد
عنها غير الرفع والذين من قبلكم في موضع نصب لانه عطف على الكاف والميم في قوله خلقكم وهو مفعول به ومن قبلكم صلة الذين ولعل حرف ناصب من
اخوات ان وقد ذكرنا القول في مشابهة الفعل وعمله النصب والرفع فيما تقدم وكذلك حكم لعل وشبه لعل بالفعل اظهر لان معناه الترجي وكم
في موضع نصب بكونه اسم لعل وتتقون جملة في موضع الرفع بانه خبر المعنى هذا الخطاب متوجه الى جميع الناس مؤمنهم وكافرهم الا من ليس
بمكلف كالاطفال والمجانين وروي عن ابن عباس والحسن ان ما في القرآن من يا ايها الناس فانه نزل بمكة وما فيه من يا ايها الذين امنوا فانه نزل
بالمدينة اعبدوا ربكم اي تقربوا اليه بفعل العبادة وعن ابن عباس انه قال معناه وحدوه وقوله الذي خلقكم اي اوجدكم بعد ان لم تكونوا
واوجد من تقدم زمانكم من الخلايق والبشر بين سبحانه نعمه عليهم وعلى ابائهم لان نعمه عليهم لا يتم الا بنعمه على ابائهم لعلكم تتقون اي خلقكم
لتتقوه وتعبدوه لقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقيل معناه اعبدوه لتتقوا وقيل معناه لعلكم تتقون المحرمات بينكم
عما حرم الله وهذا كما يقول القائل اقبل قولي لعلك ترشد فليس انه من ذلك على شك وانما يريد اقبله ترشد وانما ادخل الكلام لعل ترقيقا للوعظ
وتقريبا له من قلب الموعوظ ويقول القائل لاجيره اعمل عملك لعلك تاخذ الاجرة وليس يريد بذلك الشك وانما يريد لتاخذ اجرتك ومثله قول الشاعر
وقلتم لنا كفوا الحروب لعلنا * نكف ووثقتم لنا كل موثق * فلما كففنا الحرب كانت عهودكم * كلمح سراب في الملا متالق * اراد وقلتم لنا كفوا لنكف
لانه لو كان شاكا لما قال ووثقتم لنا كل موثق وقال سيبويه انما وردت لفظة لعل على انه حرف ترج للمخاطبين كما قال فقولا له قولا لينا لعله
يتذكر او يخشى واراد بذلك الابهام على موسى وهرون فكانه قال اذهبا انتما على رجائكما وطمعكما وقد علم جل من وراء ذلك وعالم بما يؤول
اليه امر فرعون وقيل انه اراد لفظة لعل هي ان لا يحل العبد بل يحل الامن المدل بعمله بل يزداد حالا بعد حال حرصا على العمل وحذرا من تركه
واكثر ما جاءت لفظة لعل وغيرها من معاني الشك فيما يتعلق بالاخرة في دار الدنيا فاذا ذكرت الاخرة مفردة جاءت اليقين وقيل معناه تتقوا
النار في ظنكم ورجائكم واجرى لعل على العباد دون نفسه وهذا قريب مما قاله سيبويه قوله تعالى الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء

بناء وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون اية القراءة ادغم جماعة من القراء قوله جعل لكم
فقال الجعلكم والباقون يظهرون فمن ادغم فلاجتماع حرفين من جنس واحد وكثرة الحركات ومن اظهر وعليه اكثر القراء فلانهما منفصلان
من كلمتين وفي الادغام واختلاف القراء فيه والاحتجاجات لهم كلام كثير خارج عن الغرض بعلوم تفسير القرآن فمن اراد ذلك فليطلبه من الكتب
المؤلفة فيه اللغة الجعل والخلق والاحداث نظاير والارض هي المعروفة والارض قوايم الدابة ومنه قول الشاعر: واحمر كالديباج اما سماؤه فريا
واما ارضه فمحول والارض الرعدة وفي كلام ابن عباس ازلزلت الارض ام بي ارض والفراش والبساط والمهاد نظاير وسمي السماء سماء لعلوها
على الارض وكل شيء كان فوق شيء فهو لما تحته سماء وسما فلان لفلان اذا اقصد نحوه عاليا عليه قال الفرزدق: سمونا لنجران اليماني واهله
ونجران ارض لم يديث مقاوله * قال الزجاج كل ما علا الارض فهو بناء والماء اصله موه وجمعه امواه وتصغيره مويه وانزل من السماء اي من ناحية السماء
قال الشاعر امنك البرق ارقبه فهاجا اي من ناحيتك والند المثل والعدل قال حسان بن ثابت: اتهجوه ولست له بند * فشركما لخيركما الفداء
وقال جرير: اتيما تجعلون الي ندا * وما تيم لذي حسب نديد * وقيل الند الضد المعنى معنى هذه الاية يتعلق بما قبلها لانه تعالى امرهم
بعبادته والاعتراف بنعمته ثم عدد لهم صنوف نعمه ليستدلوا بذلك على وجوب عبادته فان العبادة انما تجب لاجل النعم المخصوصة فقال سبحانه
الذي جعل لكم الارض فراشا اي بساطا يمكنكم ان تستقروا عليها وتفترشوها وتتصرفوا فيها وذلك لا يمكن الا بان تكون مبسوطة ساكنة دائمة
السكون والسماء بناء اي سقفا مرفوعا مبنيا وانزل من نحو السماء اي من السحاب ماء فاخرج به اي بالماء من الثمرات رزقا لكم اي عطاء لكم وملكا
لكم وغذاء لكم وهذه تنبيه على انه هو الذي خلقهم والذي رزقهم دون من جعلوه ندا له من الاوثان ثم زجرهم عن ان يجعلوا له ندا مع علمهم بان
ذلك كما اخبرهم به وقوله وانتم تعلمون يحتمل وجوها احدها ان يريد انكم تعلمون ان الاصنام التي تعبدونها لم تنعم عليكم بهذه النعم التي عددناها
ولا بامثالها فانها لا تضر ولا تنفع وثانيها ان يريد انكم تعقلون وتميزون ومن كان بهذه الصفة فقد استوفى شرايط التكليف ولزمته الحجة
وضاق عذره في التخلف عن النظر واصابة الحق وثالثها ما قال مجاهد وغيره ان المراد بذلك اهل التورية والانجيل اي تعلمون ذلك في الكتابين قال الشريف
الاجل المرتضى قدس الله روحه استدل ابو علي الجبائي بقوله تعالى جعل لكم الارض فراشا وفي اية اخرى بساطا على بطلان ما يقوله المنجمون من ان
الارض كروية الشكل قال وهذا القول لا يدل لانه يكفي في النعمة علينا ان يكون في الارض بسايط ومواضع مفروشة ومسطحة وليس يجب ان يكون
جميعها كذلك ومعلوم ضرورة ان جميع الارض ليس مسطحا مبسوطا وان كان مواضع التصرف فيها بهذه الصفة والمنجمون لا يدفعون ان يكون
في الارض سطوح يتصرف فيها ويستقر عليها وانما يذهبون الى ان جملتها كروية الشكل قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة
من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين اية اللغة ان دخلت هنا لغير شك لان الله تعالى علم انهم مرتابون ولكن هذا
على عادة العرب في خطابهم كقولهم ان كنت انسانا فافعل كذا وان كنت ابني فاطعني وان كان كونه انسانا وابنا معلوما وانما خاطبهم الله تعالى
على عادتهم في الخطاب والريب الشك مع تهمة والعبد المملوك من جنس ما يعقل ونقيضه الحر من التعبيد وهو التذليل لان العبد يذله مولاه
والعبودية من احكام الشرع لانه يثبت له ذبح الحيوان ويحق عليها العوض وليست بعقوبة ولذلك يسترق المؤمن والصبي والسورة غير مهموزة
ماخوذة من سور البناء وكل منزلة رفيعة فهي سورة ومنه قول النابغة: الم تر ان الله اعطاك سورة * ترى كل ملك دونها يتذبذب هذا
قول ابي عبيدة وابن الاعرابي في تفسير السورة فكل سورة من القرآن بمنزلة درجة رفيعة ومنزل عال رفيع يرتفع القارئ منها الى منزلة اخرى
الى ان يستكمل القرآن وقيل السورة مهموزة والمراد بها القطعة من القرآن انفصلت عما سواها وابقيت وسؤر كل شيء بقيته واسأرت في
الاناء بقيت فيه قال الاعشى يصف امراة: فبانت وقد اسأرت * في الفؤاد صدعا على نأيها مستطيرا الاعراب ان حرف شرط يجزم
الفعل المضارع ويدخل على الفعل الماضي فيصرفه على معنى الاستقبال ولا بد للشرط من جزاء وهما جملتان ربطت احديهما بالاخرى نحو
تفعل افعل فقولك ان تفعل شرط وهو مجزوم بان وقولك افعل جزاء وهو مجزوم بالشرط لا بان وحدها ولا بالفعل فان اتي بجملة
من فعل وفاعل كان مجزوما وان كان جملة من مبتدا وخبر فلا بد من الفاء وكانت الجملة في موضع الجزم فقوله كنتم في موضع الجزم بان
جزاؤه قوله فاتوا بسورة ايتوا مبني على الوقف لانه امر المخاطبين والواو فاعل والفاء وما بعده في موضع جزم بانه جزاء وما قبل الفاء لا
يعمل فيما بعده ومن يقع على اربعة اوجه احدها ان يكون بمعنى ابتداء الشيء من مكان كقولك خرجت من البصرة وثانيها بمعنى التبعيض

كقولك اخذت من الطعام قفيزا وثالثها بمعنى التبيين كقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان وهي في التبيين تخصص الجملة التي قبلها كما انها
في التبعيض تخصص الجملة التي بعدها ورابعها ان تقع مزيدة نحو ما جاءني من رجل فاذا قد عرفت هذا فقوله تعالى من مثله قال بعضهم ان من
بمعنى التبعيض وتقديره فاتوا ببعض ما هو مثل له وهو سورة وقيل هو للتبيين الصفة وقيل ان من مزيدة لقوله في موضع اخر بسورة مثله اي
مثل القران ويعود الهاء في مثله الى ما من قوله مما نزلنا على عبدنا في الاقوال الثلثة وقيل ان من بمعنى ابتداء الغاية والهاء في من مثله الى
ما من قوله يعود الى عبدنا فيكون معناه بسورة من رجل مثله والاول اقوى لما نذكره بعد المعنى لما احتج الله تعالى للتوحيد عقبه من
الاحتجاج للنبوة بما قطع عذرهم فقال وان كنتم في شك من صدق هذا الكتاب الذي نزلنا على محمد صلى الله عليه واله وقلتم لا ندري هل هو من
عند الله ام لا فاتوا بسورة من مثله اي من مثل هذا القران وعلى قول من يقول الضمير في من مثله عائد الى عبدنا فالمعنى فاتوا بسورة من بشر
اي مثله لا يحسن الخط والكتابة ولا يدرس الكتب والصحيح هو الاول لقوله تعالى في سورة اخرى فليأتوا بحديث مثله وقوله فاتوا بسورة مثله وقوله
لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله يعني فاتوا بسورة مثل ما اتى به محمد صلى الله عليه واله في الاعجاز من حسن النظم
وجزالة اللفظ والفصاحة التي اختصت بها والاخبار عما كان وعما يكون دون تعلم الكتب ودراسة الاخبار وقوله وادعوا شهداءكم قال ابن عباس
يعني اعوانكم وانصاركم الذين يظاهرونكم على تكذيبكم وسمى اعوانهم شهداء لانهم يشاهدونهم عند المعاونة والشهيد يكون بمعنى المشاهد كالجليس
والاكيل وسمي الشاهد على الشيء لغيره بما يحقق دعواه بانه شهيد ايضا وقوله من دون الله اي من غير الله كما يقال ما دون الله مخلوق يريد وادعوا
من اتخذتموهم معاونين من غير الله ان كنتم صادقين في ان هذا الكتاب يقوله محمد من نفسه وقال الفراء اراد وادعوا الهتكم وقال مجاهد وابن
جريج اراد قوما يشهدون لكم بذلك ممن يقبل قولهم وقول ابن عباس اقوى لان معناه واستنصروا اعوانكم على ان ياتوا بمثله لان الدعاء بمعنى
الاستعانة كما قال الشاعر: فلما التقت فرساننا ورجالنا * دعوا يا لكعب واعتزينا لعامر * وقال اخر: وقبلك رب خصم قد تمالوا * علي فما هلعت ولا
دعوت * واما قول مجاهد فلا وجه له لان الشاهدين لا يخلو اما ان يكونوا مؤمنين او كفارا فالمؤمنون لا يكونون شهداء الكفار والكفار لا يبالون
بان يسعوا الى ابطال الحق وتحقيق الباطل اذا دعوا اليه فمن اي الفريقين تكون شهداؤهم ولكن ينبغي ان يجري ذلك مجرى قوله تعالى قل لئن اجتمعت
الجن والانس على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وقال قوم ان هذا الوجه جائز ايضا صحته لان العقلاء لا
يجوز ان يحملوا نفوسهم على الشهادة بما يفتضحون به في كلام انه مثل القران ولا يكون مثله كما لا يجوز ان يحملوا نفوسهم على ان يعارضوا بما ليس بمعارض
على الحقيقة وهذه الاية تدل على صحة نبوة نبينا محمد صلى الله عليه واله وان الله تعالى تحدى بالقران وببعضه ووجه الاستدلال بها ان الله تعالى
خاطب قوما عقلاء فصحاء قد بلغوا الغاية القصوى من الفصاحة وتسنموا الذروة العليا من البلاغة فانزل اليهم كلاما من جنس كلامهم وتحداهم
بالاتيان بمثله وببعضه بقوله فاتوا بعشر سور مثله وبسورة من مثله وجعل عجزهم عن ذلك حجة عليهم ودلالة على صدق رسول الله صلى الله عليه واله وهم
اهل الحمية والانفة فبذلوا اموالهم ونفوسهم في اطفاء امره ولم يتكلفوا في معارضة القران بسورة ولا خطبة فعلمنا ان المعارضة كانت متعذرة
عليهم فدل ذلك على ان القران معجز دال على صحة نبوته صلى الله عليه واله قوله تعالى فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس
والحجارة اعدت للكافرين اية الاعراب ان حرف الشرط ولم حرف يدخل على الفعل المضارع فينفيه ويجعله بمعنى الماضي ويعمل فيه الجزم
وتفعلوا فعل وفاعل وهو مجزوم بلم وعلامة الجزم فيه سقوط النون ولم تفعلوا في موضع الجزم ايضا بان ولن حرف يدخل على الفعل المضارع
فيخصه بالاستقبال وينفيه ويعمل فيه النصب وعلامة النصب في تفعلوا سقوط النون ايضا وقال سيبويه في لن زعم الخليل انها لا ان ولكنهم حذفوا
لكثرته في كلامهم كما قالوا ويلمه وجعلت بمنزلة حرف واحد كما جعلوا هلا بمنزلة حرف واحد وانما هي هل ولا قال وهذا ليس بجيد لانه لو كان
كذلك لم يجز زيدا لن اضرب واول ان معنى هذا القول هو انه لو كان اصل لن لا ان وما بعد ان يكون صلة لها ولا يجوز تقديم معمول ما في الصلة
على الموصول فكان يجب ان لا يجوز تقديم زيد في قولك لن اضرب زيدا على لن كما لم يجز تقديمه على ان فلا تقول زيدا ان اضرب وزيد لا ان اضرب ولا
خلاف بين النحويين في جواز التقديم هناك وقوله ولن تفعلوا لا موضع له من الاعراب لانه اعتراض وقع بين الشرط والجزاء كما يقع بين المبتدا
والخبر في قولك زيد فافهم ما اقول لك عالم والاعتراض غير واقع موقع المفرد فيكون له موضع اعراب المعنى فان لم تفعلوا اي فان لم تاتوا
بسورة من مثله وقد تظاهرتم انتم وشركاؤكم عليه واعوانكم وتبين لكم بعجزكم وعجز جميع الخلق عنه وعلمتم انه من عندي فلا تقيموا على التكذيب

ومعنى ولن تفعلوا اي لن تاتوا بسورة مثله ابدا لان لن تنفي على التابيد في المستقبل وفيه دلالة على صحة نبوة نبينا عليه السلم لانه يتضمن الاخبار
عن حالهم في مستقبل الاوقات بانهم لا ياتون بمثله فوافق المخبر عنه الخبر وقوله فاتقوا النار اي فاحذروا ان تصلوا النار بتكذيبكم وانما جاز
ان يكون قوله فاتقوا النار جوابا للشرط مع لزوم اتقاء النار كيف تصرفت الحال لانه لا يلزم الاتقاء الا بعد التصديق بالنبوة ولا يصح العلم بالنبوة
الا بعد قيام المعجز فكانه قيل فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فقد قامت الحجة ووجب اتقاء النار ووقودها اي حطبها الناس والحجارة وهي جمع حجر و
قيل انها حجارة الكبريت لانها احر شيء اذا احميت عن ابن مسعود وابن عباس والظاهر ان الناس والحجارة وقود النار اي حطبها يريد بها اصنامهم
المنحوتة من الحجارة كقوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقيل ذكر الحجارة دليل على عظم تلك النار لانها لا تاكل الحجارة الا وهي
في غاية الفظاعة والهول وقيل معناه ان اجسادهم تبقى على النار بقاء الحجارة التي توقد بها النار بتبقية الله اياها ويؤيد ذلك قوله
كلما نضجت جلودهم الاية وقيل معناه انهم يعذبون بالحجارة المحمية بالنار وقوله تعالى اعدت للكافرين معناه خلقت وهيئت للكافرين
لانهم الذين يخلدون فيها ولانهم اكثر اهل النار فاضيفت اليهم وقيل انما خص النار بكونها معدة للكافرين وان كانت معدة للفاسقين ايضا
لانه يريد بذلك نارا مخصوصة لا يدخلها غيرهم كما قال ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وهذه الاية تدل على بطلان قول من حرم النظر
والحجاج العقلي لان الله عز اسمه احتج على الكفار بما ذكره في هذه الاية والزمهم به تصديق نبيه عليه السلم وقررهم بان القران كلامه اذ قال ان كان
هذا القران كلام محمد فاتوا بسورة من مثله لانه لو كان كلام البشر لتهيا لكم مع تقدمكم في البلاغة والفصاحة الاتيان بمثله او بسورة منه مع
توفر دواعيكم اليه فاذا لم يتات لكم فاعلموا بعقولكم انه كلام الله تعالى وهذا هو المراد بالاحتجاج العقلي واستدل بقوله اعدت للكافرين على
ان النار مخلوقة الان لان المعد لا يكون الا موجودا وكذلك الجنة بقوله اعدت للمتقين والفائدة في ذلك انا وان لم نشاهدها فان الملائكة
يشاهدونها وهم من اهل التكليف والاستدلال بهما فيعرفون ثواب الله للمتقين وعقابه للكافرين قوله تعالى وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات

١٨

ان لهم جنات تجري من تحتها الانهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل واتوا به متشابها ولهم فيها ازواج مطهرة
وهم فيها خالدون اية اللغة البشارة هي الاخبار بما يسر المخبر به اذا كان سابقا لكل خبر سواه لان الثاني لا يسمى بشارة وقد قيل الاخبار
بما يغم ايضا بشارة وقد قيل للاخبار كقوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم وذلك على سبيل التوسع وهي ماخوذة من البشرة وهي ظاهر الجلد لتغيرها
باول خبر ومنه تباشير الصبح اوله والجنات جمع الجنة وهي البستان والمراد بذكر الجنة ما في الجنة من اشجارها وثمارها دون ارضها فلذلك
قال تجري من تحتها الانهار لان من المعلوم انه اراد الخبر عن ماء انهارها انه جار من تحت الاشجار لان المياه اذا كانت تحت الارض فلا حظ
فيها للعيون الا انه روي عن مسروق ان انهار الجنة جارية في غير اخدود رواه عنه ابو عبيدة وغيره واصلها من الجن وهو الستر ومنه
المجن لستره عن عيون الناس والجنون لانه يستر العقل والجنة لانه يستر البدن والجنين لتستره بالرحم قال المفضل البستان اذا
كان فيه الكرم فهو فردوس كان فيه شجر غيره او لم يكن والجنة كل بستان فيه نخل وان لم يكن فيه غيره والازواج جمع زوج والزوج
يقع على الرجل والمراة ويقال للمراة زوجة ايضا وزوج كل شيء شكله والخلود الدوام والبقاء الاعراب موضع ان مع اسمه وخبره نصب
معناه بشر المؤمنين بان لهم جنات فلما سقطت الباء افضى الفعل الى ان فنصبه وعلى قول الخليل يكون ان في موضع جر وان سقطت
الباء وجنات منصوب بانه اسم ان ولهم الجار والمجرور في موضع جره والتاء تاء جماعة المؤنث تكون في حالة النصب والجر على صورة واحدة
كما ان ياء جماعة الذكور في الزيدين ونحوه يكون في حال النصب والجر على صورة واحدة وقوله تجري مع ما اتصل به جملة منصوبة الموضع بكونها
صفة لجنات وكلما نصب بكل الى ما الجزاء فصار اداة للتكرار وهو منصوب على الظرف والعامل فيه رزقوا منها من ثمرة من مزيدة اي ثمرة
وقال علي بن عيسى وهو بمعنى التبعيض لانهم يرزقون بعض الثمرات في كل وقت ويجوز ان يكون بمعنى تبيين الصفة وهو ان يبين الرزق
من اي جنس هو ومن قبل تقديره من قبل هذا الزمان او هذا الوقت فحذف المضاف اليه للعلم مع ان الاضافة مرادة معنى فبني لاجل
مشابهته الحروف وانما بني على الحركة ليدل على تمكنه في الاصل وانما خص بالضم لان اعرابه عند الاضافة كان بالفتح او الجر نحو من قبلك و
قبلك فلو بني على حركة لم تكن تدخلها في الاعراب وهي الضمة وموضعه نصب على الظرف ومتشابها نصب على الحال وازواج رفع اما
بالابتداء او بالظرف المعنى قرن الله تعالى الوعد في هذه الاية بالوعيد فيما قبلها ليحصل الترغيب والترهيب فقال وبشر اي اخبر يا محمد الذين

آمنوا اى صدقوا وعملوا الصالحات فيما بينهم وبين ربهم عن ابن عباس بان لهم جنات تجرى من تحتها اى من تحت اشجارها ومساكنها الانهار
والنهر لا يجرى وانما يجرى الماء فيه ويستعمل الجرى فيه توسعا لانه موضع الجرى وقوله كلما رزقوا منها من اى من الجنات فالمعنى من اشجارها
وتقديره كلما رزقوا من اشجار البساتين التى اعدها الله للمؤمنين من ثمرة رزقا اى اعطوا من ثمارها عطاء واطعموا منها طعاما لان الرزق
عبارة عما يصح الانتفاع به ولا يكون لاحد المنع منه قالوا هذا الذى رزقنا من قبل فيه وجوه احدها ان ثمار الجنة اذا جنيت من اشجارها
عاد مكانها مثلها فيشتبه عليهم فيقولون هذا الذى رزقنا من قبل هذا قول ابى عبيدة ويحيى بن ابى كثير وثانيها ان معناه هذا الذى
رزقناه فى الدنيا عن ابن عباس وابن مسعود وقيل هذا الذى وعدناه فى الدنيا وثالثها معناه هذا الذى رزقناه من قبل فى الجنة اى كالذى
رزقناه وهم يعلمون انه غيره ولكنهم شبهوه به فى طعمه ولونه وريحه وطيبه وجودته عن الحسن وواصل قال الشيخ ابو جعفر رحمه الله واقوى
الاقوال قول ابن عباس لانه تعالى قال كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل فعم ولم يخص فاول ما اتوا به لا يتحقق
فيه هذا القول الا ان يكون اشارة الى ما تقدم رزقه فى الدنيا ويكون التقدير هذا مثل الذى رزقناه فى الدنيا لان ما رزقوه فى
الدنيا قد عدم فاقام المضاف اليه مقام المضاف كما ان القائل اذا قال لغيره اعددت لك طعاما ووصفه له يحسن ان يقول هذا
طعامى فى منزلى يريد مثله ومن جنسه وقوله واتوا به اى جيئوا به وليس معناه واعطوه وقوله متشابها فيه اقوال مختلفا فى الطعم
عن ابن عباس ومجاهد وثانيها ان كلها متشابهة فى الجودة خيار لا رذل فيه عن الحسن وقتادة واختاره الاخفش قال وهذا كما تقول
القائل وقد جيء باشياء فاضلة فاشتبهت عليه فى الفضل لا ادرى ما اختار منها كلها عندى فاضل كقول الشاعر من تلق منهم تقل لاقيت
سيدهم مثل النجوم التى يسرى بها السارى يعنى انهم قد تساووا فى الفضل وثالثها انه يشبه ثمر الدنيا غير ان ثمر الجنة اطيب عن عكرمة و
رابعها انه يشبه بعضه بعضا فى اللذة وجميع الصفات عن ابى مسلم وخامسها ان التشابه من حيث الموافقة فالخادم يوافق المسكن
والمسكن يوافق الفرش وكذلك جميع ما يليق به وقوله ولهم فيها ازواج مطهرة قيل هن الحور العين وقيل هن من نساء الدنيا قال الحسن هن
عجائزكم الغمص الرمص العمش طهرن من قذرات الدنيا مطهرة قيل فى الابدان والاخلاق والاعمال فلا يحضن ولا يلدن ولا يتغوطن ولا
يبلن قد طهرن من الاقذار والآثام وهو قول جماعة المفسرين وهم فيها اى فى الجنة خالدون يعنى دائمون يبقون ببقاء الله لا انقطاع
لذلك ولا نفاد لان النعمة تتم بالخلود والبقاء كما تنتقص بالزوال والفناء والخلود هو الدوام من وقت مبتدأ ولهذا لا يقال لله تعالى
خالد قوله تعالى ان الله لا يستحيى ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم واما الذين كفروا فيقولون
ماذا اراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين القراءة يستحيى بياءين وروى عن ابن كثير يستحى
بياء واحدة ووجه هذه القراءة انه استثقل اجتماع الياءين فحذف احدهما وهى لغة تميم اللغة الاستحياء من الحياء ونقيضه القحة
والضرب يقع على جميع الاعمال الا قليلا يقال ضرب فى التجارة وضرب فى الارض وضرب فى سبيل الله وضرب بيده الى كذا وضرب فلان على يد
فلان اذا افسد عليه امرا اخذ فيه وضرب الامثال انما هو جعلها لتسير فى البلاد يقال ضربت القول مثلا وارسلته مثلا وما اشبه ذلك
والبعوض القرقس وهو صغار البق واحده بعوضة والمثل والمثل كالشبه والشبه قال كعب بن زهير كانت مواعيد عرقوب لها مثلا وما مواعيدها
الا الاباطيل والفسق والفسوق الترك لامر الله وقال الفراء الفسق الخروج عن الطاعة تقول العرب فسقت الرطبة من قشرها اذا خرجت
ولذلك سميت الفارة الفويسقة لخروجها من جحرها الاعراب فى قوله ما بعوضة بالنصب فيه وجوه احدها ان يكون ما مزيدة ومعناها
التوكيد كما فى قوله فبما رحمة من الله لنت لهم وتقديره ان الله لا يستحيى ان يضرب بعوضة مثلا او مثلا بعوضة فيكون بعوضة مفعولا
ثانيا ليضرب وثانيها ان يكون ما نكرة مفسرة ببعوضة كما تكون نكرة موصوفة فى قوله تعالى هذا ما لدى عتيد فيكون تقديره لا يستحيى ان يضرب
مثلا شيئا من الاشياء بعوضة فيكون بعوضة بدلا من شيء وثالثها ما يحكى عن الفراء ان معناه ما بين بعوضة الى ما فوقها كما يقال مطرنا
ما بين زبالة الى الثعلبية وله عشرون ما ناقة فجملا وهو احسن الناس ما قرنا فقدما يعنون ما بين فى جميع ذلك والاختيار عند البصريين
الوجه الاول وانما اختير هذا الوجه لان ضرب هنا بمعنى جعل فجاز ان يتعدى الى مفعولين ويدخل على المبتدأ والخبر وفى التنزيل ما يدل
عليه وهو قوله انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه فمثل الحيوة مبتدأ وكماء خبره وفى موضع آخر واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء فدخل ضرب

على

على المبتدأ والخبر فصار بمنزلة قولك ظننت زيدا كعمرو ويجوز فى الاعراب الرفع فى بعوضة وان لم تجز القراءة به وفيه وجهان احدهما
ان يكون خبر المبتدأ محذوف فى صلة ما فكانه قال الذى هو بعوضة كقراءة من قرأ تماما على الذى احسن بالرفع وهذا عند سيبويه
ضعيف وهو فى الذى اقوى لان الذى اطول وليس للذى مذهب غير الاسماء والثانى على الجواب كانه لما قيل ان الله لا يستحيى ان يضرب
مثلا ما قيل ما هو فقيل بعوضة اى هو بعوضة كما يقال مررت برجل زيد اى هو زيد فيكون ما على هذا الوجه نكرة مجردة من الصفة والصلة
وقوله فاما الذين آمنوا اما لغة العرب جميعا بالتشديد وكثير من بنى تميم يقولون ايما فلان فيفعل كذا وانشد بعضهم مبتهجا ايما وشاحها فيجرى وايما
الحجل منها فلا يجرى وهى كلمة تجىء فى شيئين او اشياء تفصل القول بينهما كقولك اما زيد فمحسن واما عمرو فمسيء فزيد مبتدأ ومحسن خبره وفيها معنى الشرط
والجزاء وتقديره مهما يكن من شيء فزيد محسن ثم اقيم اما مقام الشرط فحصل اما فزيد محسن ثم اخرت الفاء الى الخبر لاصلاح اللفظ ولكى لا تقع الفاء
التى للتعقيب فى اول الكلام فقوله الذين آمنوا على هذا يكون مبتدأ ويعلمون خبره وكذلك الذين كفروا مبتدأ ويقولون خبره وقوله ماذا اراد الله
بهذا مثلا ما استفهام وهو اسم فى موضع الرفع بالابتداء وذا بمعنى الذى وصلته ما بعده وهو فى موضع رفع بانه خبر المبتدأ تقديره اى شيء الذى
اراده الله تعالى فعلى هذا يكون الجواب رفعا كقولك البيان لحال الذى ضرب له المثل ويحتمل ان يكون ما وذا بمنزلة اسم واحد تقديره اى شيء
اراد الله فيكون فى موضع نصب بانه مفعول اراد فعلى هذا يكون الجواب نصبا كقولك البيان لحال من ضرب له المثل ومثال الاول كقوله تعالى
ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين ومثال الثانى ماذا انزل ربكم قالوا خيرا ومثلا منصوب على الحال وقيل على القطع وقيل على التمييز النزول
روى عن ابن عباس وابن مسعود ان الله تعالى لما ضرب المثلين قبل هذه الآية للمنافقين يعنى قوله مثلهم كمثل الذى استوقد نارا وقوله او كصيب
من السماء قال المنافقون الله اعلى واجل من ان يضرب هذه الامثال فانزل هذه الآية وعن قتادة والحسن لما ضرب المثل بالذباب والعنكبوت
تكلم فيه قوم من المشركين وعابوا ذكره فانزل الله هذه الآية المعنى ان الله لا يستحيى اى لا يدع وقيل لا يمتنع لان احدنا اذا استحيى من شيء تركه
وامتنع منه ومعناه ان الله لا يدع ضرب المثل بالاشياء الحقيرة لحقارتها اذا رأى الصلاح فى ضرب المثل بها وقيل معناه ان الذى يستحيى
منه ما يكون قبيحا فى نفسه ويكون لفاعله عيب فى فعله فاخبر الله تعالى ان ضرب المثل ليس بقبيح ولا عيب حتى يستحيى منه وقيل معناه انه لا يخشى
ان يضرب مثلا كما قال وتخشى الناس والله احق ان تخشاه اى تستحيى الناس والله احق ان تستحييه فالاستحياء بمعنى الخشية هنا كما ان الخشية
بمعنى الاستحياء هناك والاصل فى الاستحياء الانقباض عن الشيء والامتناع منه خوفا من مواقعة القبيح وقال على بن عيسى معناه انه ليس فى ضرب المثل
بالحقير عيب يستحيى منه فكانه قال لا يحل ضرب المثل بالبعوض محل ما يستحيى منه فوضع قوله ان الله لا يستحيى موضعه بعوضة فما فوقها
اى ما هو اعظم منها عن قتادة وابن جريج وقيل فما فوقها فى الصغر والقلة لان الغرض هنا الصغر قال الربيع بن انس ان البعوضة تحيى ما جاعت
فاذا سمنت ماتت فكذلك القوم الذين ضرب الله لهم هذا المثل اذا امتلأوا من الدنيا ريا اخذهم الله عند ذلك ثم تلا حتى اذا فرحوا بما
اوتوا اخذناهم بغتة وروى عن الصادق عليه السلام انه قال انما ضرب الله المثل بالبعوضة لان البعوضة على صغر حجمها خلق الله فيها جميع ما
خلق فى الفيل مع كبره وزيادة عضوين آخرين فاراد الله سبحانه ان ينبه بذلك المؤمنين على لطف خلقه وعجيب صنعه وقد استشهد
على استحسان ضرب المثل بالشيء الحقير فى كلام العرب بقول الفرزدق ضربت عليك العنكبوت بنسجها وقضى عليك به الكتاب المنزل وبقوله ايضا وهل
شيء يكون اذل بيتا من اليربوع يحتفر الذليل وقوله فاما الذين آمنوا اى صدقوا محمدا والقرآن وقبلوا الاسلام فيعلمون انه الحق من ربهم مدحهم
الله تعالى بانهم يتدبرون ويعلمون الذى من ربهم وان المثل وقع فى حقه واما الذين كفروا بالقرآن فيقولون اى فلاعراضهم عن طريق الاستدلال وانكارهم
للحق قالوا ماذا اراد الله بهذا مثلا اى ماذا اراد بهذا المثل فحذف الالف واللام وقوله يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا فيه وجهان احدهما
حكى عن الفراء انه قال حكاية عمن قال ماذا اراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا اى يضل به قوم ويهتدى به قوم ثم قال الله تعالى وما يضل
به الا الفاسقين فبين تعالى انه لا يضل الا فاسقا ضالا وهذا وجه حسن والاخر انه كلام الله تعالى ابتداء وكلاهما محتمل واذا كان محمولا على هذا
فمعنى قوله يضل به كثيرا ان الكفار يكذبون به وينكرونه ويقولون ليس هو من عند الله فيضلون بسببه واذا حصل الضلال بسببه اضيف اليه وقوله
ويهدى به كثيرا يعنى الذين آمنوا به وصدقوه وقالوا هذا فى موضعه فلما حصلت الهداية بسببه اضيف اليه فمعنى الاضلال على هذا تحديد الامتحان
الذى يكون عنده الضلال وذلك بان ضرب لهم الامثال لان المحنة اذا اشتدت على الممتحن فضل عندها سميت اضلالا واذا سهلت فاهتدى

عندها حيث هداية فالمعنى ان الله تعالى يمتحن بهذه الامثال عباده فيضل بها قوم كثير ويهتدى بها قوم كثير ومثله قوله رب انهن اضللن كثيرا من الناس اى ضلوا عندها وهذا كما يقال للرجل اذا ادخل الفضة النار لينظر فسادها من صلاحها فظهر فسادها افسدت فضتك وهو لم يفعل بها الفساد وانما اراد ان فسادها ظهر عند محنته وقريب من ذلك قولهم فلان اضل ناقته ولا يريدون انه اراد ان تضل وانما يريدون ضلت منه لا من غيره وقولهم افسدت فلانة فلانا واذهبت عقله وهى ربما لم تعرفه ولكن لما ذهب عقله وفسد من اجلها اضيف الفساد اليها وقد يكون الاضلال بمعنى التخلية على جهة العقوبة وترك المنع بالقهر ومنع الالطاف التى يفعل بالمؤمنين جزاء على ايمانهم وهذا كما يقال لمن لا يصلح سيفه افسدت سيفك اريد به انك لم تحدث فيه الاصلاح فى كل وقت بالصقل والاحداد وقد يكون الاضلال بمعنى التسمية بالضلال و الحكم به كما يقال اضله اذا نسبه الى الضلال واكفره اذا نسبه الى الكفر قال الكميت فطائفة قد اكفرونى بحبكم وطائفة قالوا مسىء و مذنب وقد يكون الاضلال بمعنى الاهلاك والعذاب والتدمير ومنه قوله تعالى ان المجرمين فى ضلال وسعر يوم يسحبون فى النار على وجوههم ومنه قوله ائذا ضللنا فى الارض اى هلكنا وقوله والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل اعمالهم اى لن يبطل سيهديهم ويصلح بالهم فعلى هذا يكون المعنى ان الله تعالى يهلك ويعذب بالكفر به كثيرا بان يضلهم عن الثواب وطريق الجنة بسببه فيهلكوا ويهدى الى الثواب وطريق الجنة بالايمان به كثيرا عن ابى على الجبائى قال ويدل على ذلك قوله وما يضل به الا الفاسقين لانه لا يخلو من ان يكون اراد به العقوبة على التكذيب كما قلناه او يكون اراد به التحيير او التشكيك فان اراد الحيرة فقد ذكر انه لا يفعل الا بالفاسق المتحير الشاك فيجب ان لا يكون الحيرة المتقدمة التى بها صاروا فساقا من فعله الا اذا وجدت حيرة قبلها ايضا وهذا يوجب وجود ما لا نهاية له من حيرة قبل حيرة لا الى اول او ثبوت اضلال لا اضلال قبله فاذا كان ذلك من فعله فقد اضل من لم يكن فاسقا وهو خلاف قوله عز وجل وما يضل به الا الفاسقين وعلى هذا الوجه فيجوز ان يكون حكم الله تعالى عليهم بالكفر وبراءته منهم ولعنه عليهم اهلاكا لهم ويكون اهلاكه اضلالا وكل ما فى القرآن من الاضلال المنسوب الى الله تعالى فهو بمعنى ما ذكرناه من الوجوه ولا يجوز ان يضاف الى الله تعالى سبحانه الاضلال الذى اضافه الى الشيطان والى فرعون والسامرى بقوله ولقد اضل منكم جبلا كثيرا وقوله واضل فرعون قومه وقوله واضلهم السامرى وهو ان يكون بمعنى التلبيس والتغليط والتشكيك و الايقاع فى الفساد والضلال وغير ذلك مما يؤدى الى التظليم والتجوير على ما يذهب اليه المجبرة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فصل فى حقيقة الهدى والهدى واذ قد ذكرنا اقسام الاضلال وما يجوز اضافته الى الله تعالى منها وما لا يجوز فلنذكر اقسام الهداية التى هى ضده اعلم ان الهداية فى القرآن تقع على وجوه احدها ان تكون بمعنى الدلالة والارشاد يقال هداه الطريق وللطريق والى الطريق اذا دله عليه وهذا الوجه عام لجميع المكلفين فان الله تعالى هدى كل مكلف الى الحق بان دله عليه وارشده اليه لانه كلفه الوصول اليه فلو لم يدله عليه لكان قد كلفه ما لا يطيق و يدل عليه قوله تعالى ولقد جاءهم من ربهم الهدى وقوله انا هديناه السبيل وقوله انزل فيه القرآن هدى للناس وقوله واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى وقوله وانك لتهدى الى صراط مستقيم وقوله وهديناه النجدين وما اشبه ذلك من الآيات وثانيها ان تكون بمعنى زيادة الالطاف التى بها يثبت على الهدى ومنه قوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى اى شرح صدورهم وثبتهم وثالثها ان تكون بمعنى الاثابة ومنه قوله تعالى يهديهم ربهم بايمانهم تجرى من تحتهم الانهار فى جنات النعيم وقوله والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل اعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم والهداية التى تكون بعد قتلهم هى اثابتهم لا محالة لانه ليس بعد الموت تكليف ورابعها الحكم بالهداية كقوله تعالى ومن يهدى الله فهو المهتدى وهذه الوجوه الثلثة خاصة بالمؤمنين دون غيرهم لانه تعالى انما يثيب ويستحق الاثابة وهم المؤمنون ويزيدهم الطافا بايمانهم وطاعاتهم ويحكم لهم بالهداية لذلك ايضا وخامسها ان تكون الهداية بمعنى جعل الانسان مهتديا بان يخلق الهداية فيه كما يجعل الشىء متحركا بخلق الحركة فيه والله تعالى يفعل العلوم الضرورية فى القلوب فذلك هداية منه تعالى وهذا الوجه ايضا عام لجميع العقلاء كالوجه الاول فاما الهداية التى كلف الله تعالى العباد فعلها كالايمان به وبانبيائه وغير ذلك فانها من فعل العباد ولذلك يستحقون عليها المدح والثواب وان كان الله سبحانه قد انعم عليهم بدلالتهم على ذلك وارشادهم اليه ودعائهم الى فعله وتكليفهم اياه وكان به فهو من هذا الوجه نعمة منه سبحانه عليهم ومنة منه واصلة اليهم وفضل منه واحسان لديهم فهو سبحانه مشكور على ذلك محمود اذ فعل تمكينه والطافه وضروب تسهيلاته ومعوناته قوله تعالى الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به

ان يوصل ويفسدون فى الارض اولئك هم الخاسرون اية اللغة النقض نقيض الابرام والعهد العقد والعهد الموثق والعهد الالتقاء وهو قريب العهد بكذا وعهد الله وصيته وامره يقال عهد الخليفة الى فلان كذا اى امره واوصاه به ومنه قوله الم اعهد اليكم يا بنى آدم والميثاق ما وقع التوثيق به كما ان الميقات ما وقع التوقيت به ويقال فلان ثقة يستوى فيه الواحد والجمع والذكر والانثى ويقال ثقات فى الرجال والنساء والقطع الفصل بين الشيئين واصل ذلك فى الاجسام ويستعمل ذلك فى الاعراض ايضا تشبيها به يقال قطع الحبل وقطع الكلام والامر هو قول القائل لمن دونه افعل هذه صيغته ثم يصير امرا بارادة الامر المامور به وصيغة الامر تستعمل فى الاباحة نحو قوله فاصطادوا وفى التهديد نحو قوله اعملوا ما شئتم وفى التحدى نحو قوله فاتوا بسورة وفى التكوين نحو قوله كن فيكون والاصل فى الجميع الطلب والوصل نقيض الفصل وهو جمع بين الشيئين من غير حاجز والخسران النقصان والخسار الهلاك والخاسرون الهالكون واصل الخسران ذهاب راس المال الاعراب الذين ينقضون فى موضع النصب لانه صفة للفاسقين واولئك مبتداء والخاسرون خبره وهم فصل ويجوز ان يكون مبتداء والخاسرون خبره والجملة خبر اولئك وقوله من بعد ميثاقه من مزيدة وقيل معناها ابتداء الغاية والهاء فى ميثاقه عائد الى العهد ويجوز ان يكون عائدا الى اسم الله وقوله ان يوصل بدل من الهاء التى فى به اى ما امر الله بان يوصل فهو فى موضع جر به المعنى ثم وصف سبحانه الفاسقين المذكورين فى الاية فقال هم الذين ينقضون عهد الله اى يهدمونه اى لا يوفون به وقيل فى عهد الله وجوه احدها انه ما ركب فى عقولهم من ادلة التوحيد والعدل وتصديق الرسل والحجج بدلالته من المعجزات الشاهدة لهم على صدقهم ونقضهم لذلك تركهم الاقرار بما قد بينت لهم صحته بالادلة وثانيها انه وصية الله الى خلقه على لسان رسله بما امرهم به من طاعته ونهاهم عنه من معصيته ونقضهم لذلك تركهم العمل به وثالثها ان المراد به كفار اهل الكتاب وعهد الله الذى نقضوه من بعد ميثاقه هو ما اخذ عليهم فى التورية من اتباع محمد صلى الله عليه وآله والتصديق بما جاء به من عند ربه ونقضهم لذلك هو جحودهم به بعد معرفتهم بحقيقته وكتمانهم ذلك عن الناس بعد ان اخذ الله ميثاقهم ليبيننه للناس ولا يكتمونه وانه ان جاءهم نذير امنوا به فلما جاءهم النذير ازدادوا نفورا ونبذوا العهد وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا واختار هذا الوجه الطبرى ورابعها انه العهد الذى اخذه عليهم حين اخرجهم من صلب آدم كما وردت به القصة وهذا الوجه ضعيف لانه لا يجوز ان يحتج على عباده بعهد لا يذكرونه ولا يعرفونه ولا يكون عليه دليل وقوله ويقطعون ما امر الله به ان يوصل معناه امروا بصلة النبى صلى الله عليه وآله والمؤمنين فقطعوهم عن الحسن وقيل امروا بصلة الرحم والقرابة فقطعوها عن قتادة وقيل امروا بالايمان بجميع الانبياء والكتب ففرقوا وقطعوا عن ذلك وقيل امروا بان يصلوا القول بالعمل ففرقوا بينهما بان قالوا ولم يعملوا وقيل معناه الامر بوصل كل من امر الله بصلته من اوليائه والقطع والبراءة من اعدائه وهذا اقوى لانه اعم ويدخل فيه الجميع وقوله ويفسدون فى الارض قال قوم استدعاؤهم الى الكفر هو الفساد فى الارض وقيل اخافتهم السبل وقطعهم الطريق وقيل نقضهم العهد وقيل اراد كل معصية تعدى ضررها الى غير فاعلها اولئك هم الخاسرون اى اهلكوا انفسهم فهم بمنزلة من هلك راس ماله وروى عن ابن عباس ان كل ما نسبه الله تعالى من الخسار الى غير المسلمين فانه عنى به الكفر وما نسبه الى المسلمين فانه عنى به الذنب قوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون اية القراءة قرا يعقوب ترجعون بفتح التاء على ان الفعل لهم والباقون بضم التاء وفتح الجيم على ما لم يسم فاعله الاعراب كيف فى الاصل سؤال عن الحال وتفتح ذلك فى الجواب اذا قيل كيف رايت زيدا فيقول سويا او صحيحا وما اشبه ذلك فيجيب بحاله فكيف تنتظم جميع الاحوال كما ان كم تنتظم جميع العدد وما تنتظم جميع الجنس واين تنتظم جميع الاماكن ومن تنتظم جميع العقلاء ومعناه فى الآية التوبيخ والتقريع متعلقين بجملة تكفرون فيكون منصوب الموضع على الحال والعامل فيه تكفرون وقال الزجاج هو استفهام فى معنى التعجب وهذا التعجب انما هو للخلق وللمؤمنين اى اعجبوا من هؤلاء كيف يكفرون وقد ثبتت حجة الله عليهم ومعنى وكنتم وقد كنتم والواو واو الحال واضمار قد جائز اذا كان فى الكلام دليل عليه ومثله قوله تعالى او جاؤكم حصرت صدورهم اى قد حصرت وهى جملة فى موضع الحال وانما وجب اظهار قد فى مثل هذا او تقديرها لان الماضى لا يكون حالا وقد انما يكون لتقريب العهد ولتقريب الحال فحينئذ يصح ان يكون الفعل الماضى حالا المعنى ثم عاد الله سبحانه الى الاحتجاج على الكفار فى انكارهم البعث وجحدهم الرسل وكفرهم بما انعم عليهم فقال كيف تكفرون بالله ومن قال هو توبيخ قال معناه ويحكم كيف تكفرون كما يقال كيف تكفر نعمة فلان وقد احسن اليك ومن قال هو تعجيب قال تقديره عجبا منكم على اى حال يقع منكم الكفر بالله

مع الدلايل الظاهرة على وحدانيته والمعجزات القاهرة على صدق من اختص برسالته وقيام الحجج الباهرة على وجوب طاعته وشكر نعمه
ثم ذكر سبحانه بعض نعمه عليهم فقال وكنتم امواتا فاحياكم اى وحالكم انكم كنتم امواتا وفيه وجوه احدها انهم كانوا امواتا فى اصلاب
ابائهم يعنى نطفا ثم احياهم الله ثم اماتهم الموتة التى لا بد منها ثم احياهم بعد الموت فهما حياتان وموتتان عن قتادة وثانيها ان معناه لم
تكونوا شيئا فخلقكم ثم يميتكم ثم يحييكم يوم القيمة عن ابن عباس وابن مسعود وثالثها ان معناه كنتم امواتا يعنى خاملى الذكر فاحياكم
بالظهور ثم يميتكم عند تقضى اجالكم ثم يحييكم للبعث والعرب تسمى كل امر خامل ميتا وكل امر مشهور حيا كما قال ابو نخيلة السعدى فاحييت من
ذكرى وما كان خاملا ولكن بعض الذكر انبه من بعض ورابعها ان معناه كنتم نطفا فى اصلاب ابائكم وبطون امهاتكم والنطفة موات فاحياكم
فى دار الدنيا احياء ثم يميتكم ثم يحييكم فى القبر للمسائلة ثم اليه ترجعون اى يبعثكم يوم الحشر للحساب والمجازات على الاعمال وسمى الحشر رجوعا
الى الله تعالى لانه رجوع الى حيث لا يكون احد يتولى الحكم فيه غير الله كما يقال رجع امر القوم الى الامير ولا يراد به الرجوع من
مكان الى مكان وانما يراد به ان النظر صار له خاصة وانما بدا الله تعالى بذكر الحياة من بين ساير النعم التى انعم بها على العبد لانه
اول نعمة انعم بها عليه خلقه اياه حيا لينفعه وبالحيوة يتمكن الانسان من الانتفاع والالتذاذ وانما عد الموت من النعم وهو يقطع النعم
فى الظاهر لان الموت يقطع التكليف فيصل المكلف بعده الى الثواب الدايم فهو من هذا الوجه نعمة وقيل انما ذكر الموت لتمام الاحتجاج
لا لكونه نعمة وفى هذه الاية دلالة على انه تعالى لم يرد من عباده الكفر ولا خلقه فيهم لانه لو اراده منهم او خلقه فيهم لم يجز ان يضيفه
اليهم بقوله كيف تكفرون بالله كما لا يجوز ان يقول لهم كيف انتم طوال او قصار او ما اشبه ذلك مما هو من فعله تعالى فيهم
قوله تعالى هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسويهن سبع سموات وهو بكل شىء عليم اية اللغة اصل الخلق
التقدير والجمع الضم ونقيضه الفرق وسميت الجمعة لاجتماع الناس والاستواء الاعتدال والاستقامة ونقيضه الاعوجاج والسبع
للمؤنث والسبعة للمذكر والسبع مشتق من ذلك لانه مضاعف القوة كانه ضوعف سبع مرات والعليم فى معنى العالم قال سيبويه اذا
ارادوا المبالغة عدلوا الى فعيل نحو عليم ورحيم المعنى قال المفسرون لما استعظم المشركون امر الاعادة عرفهم الله تعالى خلق السموات
والارض ليدلهم بذلك على قدرته على الاعادة فقال هو الذى خلق لكم اى لاجلكم ما فى الارض جميعا ما فى موضع نصب بانه مفعول بها
ومعناه ان الارض وجميع ما فيها نعم من الله سبحانه مخلوقة لكم اما دينية فتستدلون بها على معرفته واما دنياوية فتنتفعون منها
بضروب النفع عاجلا وقوله ثم استوى الى السماء فيه وجوه احدها ان معناه قصد للسماء وليسويها كقول القائل كان الامير يدبر امر
الشام ثم استوى الى اهل الحجاز اى تحول فعله وتدبيره اليهم وثانيها انه بمعنى استولى على السماء بالقهر كما قال لتستووا على ظهوره لى
تقهروه ومنه قوله ولما بلغ اشده واستوى اى تمكن من امره وقهر هواه بعقله فعلى هذا يكون معناه ثم استوى الى السماء فى تفرده
بملكها ولم يجعلها كالارض ملكا لخلقه ومنه قول الشاعر فلما علونا واستوينا عليهم تركناهم صرعى لنسر وكاسر وقال الاخر ثم استوى
بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق وثالثها ان معناه ثم استوى امره وصعد الى السماء لان اوامره وقضاياه تنزل من السماء الى
الارض عن ابن عباس ورابعها ما روى عن احمد بن يحيى بن تغلب انه سئل عن معنى الاستوى فى صفة الله عز وجل فقال الاستواء الاقبال
على الشىء يقال كان فلان مقبلا على فلان ثم استوى على والى يكلمنى على معنى اقبل على فالى فهذا معنى قوله ثم استوى الى السماء وقوله فسويهن سبع
سموات التسوية جعل الشيئين او الاشياء على استواء يقال سويت الشيئين فاستويا وانما قال فسويهن فجمع الضمير العايد الى السماء لان السماء اسم
جنس يدل على القليل والكثير كقولهم اهلك الناس الدينار والدرهم وقيل انه جمع سماوة وكذلك تبيت مرة ويذكر اخرى فقيل السماء منفطر
كما يفعل ذلك بالجمع الذى بينه وبين واحده الهاء نحو نخل ونخلة وبقر وبقرة وقيل ان السموات كانت سماء فوق سماء فهى فى التقدير واحدة ويكون
الواحد جماعة كما يقال ثوب اخلاق واسمال وبرمة اعشار وارض اغفال والمعنى ان كل ناحية منها كذلك فجمع على هذا والمعنى جعلهن سبع سموات
مستويات بلا فطور ولا امت قال على بن عيسى ان السموات غير الافلاك لان الافلاك تتحرك وتدور والسموات لا تتحرك ولا تدور لقوله تعالى ان الله
يمسك السموات والارض ان تزولا وهذا قول ضعيف لان قوله ان تزولا معناه لا تزول عن مراكزها التى تدور عليها ولولا امساكه لزالت عنها بسقوطها

ظاهر قوله تعالى ثم استوى الى السماء يوجب انه خلق الارض قبل السماء لان ثم للتعقيب والتراخى وقوله فى سورة اخرى والارض بعد ذلك دحيها
يقتضى خلاف ذلك والجواب معناه ان الله خلق الارض قبل السماء غير انه لم يدحها فلما خلق السماء دحيها بعد ذلك ودحوها بسطها ومدها
عن الحسن وعمرو بن عبيد وقد يجوز ان لا يكون معنى ثم وبعد فى هذه الايات الترتيب فى الاوقات وانما هو على جهة تعداد النعم والتنبيه عليها
والاذكار لها كما يقول القايل لصاحبه اليس قد اعطيتك ثم رفعت منزلتك ثم بعد هذا كله فعلت بك وفعلت وربما يكون بعض ما ذكره متقدما
فى اللفظ كان متاخرا لان المراد لم يكن الاخبار عن اوقات الفعل وانما المراد التذكير كما ذكرنا وقوله تعالى وهو بكل شىء عليم ولم يقل قدير لانه لما وصف
نفسه بالقدرة والاستيلاء وصله بذكر العلم اذ به يصح وقوع الفعل على وجه الاتقان والاحكام وايضا فانه سبحانه اراد ان يبين انه عالم بما
يؤل اليه حاله وحال المنعم به عليه فيتحقق بذلك النعمة وفى هذه الاية دلالة على ان صانع السماء والارض قادر عالم وانه تعالى انما يفعل الفعل
لغرض وان لله تعالى على الكفار نعما يجب شكرها عليهم وفيها ايضا دلالة على ان الاصل فى الاشياء الاباحة لانه ذكر انه خلق ما فى الارض لمنفعة
العباد ثم صار حظر البعض على كل واحد منهم بما يغيره كل منهم بالتصرف فيه يحتاج الى دليل قوله تعالى واذ قال ربك للملئكة انى جاعل فى
الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى اعلم ما لا تعلمون اية اللغة
القول موضوع فى كلام العرب للحكاية نحو قولك قال زيد خرج عمرو والرب السيد ويقال رب الدار ورب الفرس ولا يقال الرب بالالف
واللام الا لله تعالى واصله من ربيته اذا اتممت بامره ومنه قيل للعالم ربانى لانه يقوم بامر الامة والملئكة جمع ملك واختلف فى اشتقاقه فذهب
اكثر العلماء الى انه من الالوكة وهى الرسالة قال الخليل الالوك الرسالة وهى المالكة والمالكة على مفعلة وقال غيره انما سميت الرسالة الوكا
لانها تولك فى الفم اى تمضغ والفرس تالك اللجام وتعلكه وقال عدى بن زيد ابلغ النعمان عنى مالكا انه قد طال حبسى وانتظارى و
روى مالكا وقال لبيد وغلام ارسلته امه بالوك فبذلنا ما سال وقال الهذلى الكنى اليها وخير الرسول اعلمهم بنواحى الخبر فالملئكة
على هذا وزنها معافلة لانها مقلوبة جمع ملاك فى معنى مالك قال الشاعر فلست لانسى ولكن لملاك تنزل من جو السماء يصوب فوزن
ملاك معفل مقلوب مالك مفعل ومن العرب من يستعمله مهموزا والجمهور منهم على القاء حركة الهمزة على اللام وحذفها فيقال ملك وذهب
ابو عبيدة الى ان اصله من لاك اذا ارسل فلاك على هذا القول مفعل وملئكة مفاعلة غير مقلوبة والميم فى هذين الوجهين زايدة وذهب ابن كيسان
الى انه من الملك وان وزن ملاك فعال مثل شمال وملئكة فعايلة فالميم على هذا القول اصلية والهمزة زايدة والملك وان كان اصله الرسالة
فقد صار صفة غالبة على صنف من رسل الله غير البشر كما ان السماء وان كان اصله الارتفاع فقد صار غالبا على السموات المعروفة وقال بعضنا
ان جميع الملئكة ليسوا برسل الله بدلالة قوله تعالى الله يصطفى من الملئكة رسلا ومن الناس فلو كانوا كلهم رسلا لكان جميعهم مصطفين فعلى
هذا يكون الملك اسم جنس ولا يكون من الرسالة والجعل والخلق والفعل والاحداث نظاير الا ان الجعل يتعلق بالشىء لا على سبيل الايجاد بخلاف
الفعل والاحداث تقول جعلته متحركا وحقيقة الجعل تغيير الشىء عما كان عليه وحقيقة الفعل والاحداث الايجاد والخليفة والامام واحد
فى الاستعمال الا ان بينهما فرقا فالخليفة من استخلف فى الامر مكان من كان قبله فهو ماخوذ من انه خلف غيره وقام مقامه والامام ماخوذ
من التقدم فهو المتقدم فيما يقتضى وجوب الاقتداء به وفرض طاعته فيما تقدم فيه والسفك صب الدم والدم قد اختلف فى وزنه فقال
بعضهم دمى على وزن فعل قال الشاعر فلو انا على حجر ذبحنا جرى الدميان بالخبر اليقين وقيل اصله دمى على وزن فعل والشاعر لما
رد الياء فى التثنية لعلة الاسم حركه ليعلم انه كان متحركا قبل ذلك والتسبيح التنزيه لله تعالى عن السوء وعن ما لا يليق به والسبوح المستحق
للتنزيه والتعظيم والقدوس المستحق للتطهير والتقديس التطهير ونقيضه التنجيس والمقدس السطل الذى يتطهر منه وقد حكى سيبويه ان
منهم من يقول سبوح قدوس بالفتح والضم اكثر فى الكلام والفتح اقيس لانه ليس فى الكلام فعول الا ذروح وسبحان اسم المصدر قال سيبويه
سبحان الله معناه براءة الله من كل سوء وتنزيه الله قال الاعشى اقول لما جاءنى فخره سبحان من علقمة الفاخر اى براءة منه قال وهو
معرفة علم خاص لا ينصرف للتعريف والزيادة وقد اضطر الشاعر فنونه قال امية سبحانه ثم سبحانا نعوذ له وقبلنا سبح الجودى والجمد وهو
مشتق من السبح الذى هو الذهاب ولا يجوز ان يسبح غير الله وان كان منزها لانه صار علما فى الدين على اعلى مراتب التعظيم التى لا يستحقها سواه كما
ان العبادة وهى غاية فى الشكر لا يستحقها سواه الاعراب قال ابو عبيدة اذ ههنا زايدة وانكر الزجاج وغيره عليه هذا القول وقالوا ان الحرف

اذا افاد معنى صحيحا لم يجز الغاؤه قال الزجاج ومعناها الوقت ولما ذكر الله خلق الناس وغيرهم فكانه قال ابتداء خلقكم اذ قال ربك للملائكة
وقال علي بن عيسى تقديره واذكر اذ قال ربك فموضع اذ نصب على اضمار فعل والواو عاطفة جملة واني جاعل في الارض خليفة جملة في موضع نصب
بقال وقوله اتجعل فيها الى قوله ونقدس لك في موضع نصب بقالوا والواو في قوله ونحن واو الحال ويسمى واو القطع وواو الاستيناف وواو الابتداء
معناها اذا كان مثلها سيبويه ومثلها الواو في قوله يغشى طائفة منكم وطائفة قد اهمتهم انفسهم اي وطائفة وكذا هنا اذ نحن نسبح و
العامل في الحال ههنا اتجعل كانه قال اتجعل فيها من يفسد فيها ونحن حالنا والباء في بحمدك يتعلق بنسبح واللام من لك يتعلق بنقدس و
وما موصول وصلته لا تعلمون والعائد ضمير المفعول حذف لطول الكلام اي لا تعلمونه وهو في موضع النصب باعلم المعنى اذكر يا محمد اذ قال ربك
للملائكة قيل انه خطاب لجميع الملائكة وقيل خطاب لمن اسكنه الارض بعد الجان من الملائكة عن ابن عباس اني جاعل اي خالق في الارض خليفة
اراد بالخليفة ادم عليه السلام فهو خليفة الله في ارضه يحكم بالحق الا انه تعالى كان اعلم ملائكته انه يكون من ذريته من يفسد فيها عن ابن عباس
وابن مسعود وقيل انما سمى الله تعالى ادم خليفة لانه جعل ادم وذريته خلفاء للملائكة لان الملائكة كانوا من سكان الارض وقيل كان
في الارض الجن فافسدوا فيها وسفكوا الدماء فاهلكوا فجعل ادم وذريته بدلهم عن ابن عباس وقيل عنى بالخليفة ولد ادم يخلف بعضهم
بعضا وهم خلفوا اباهم ادم في اقامة الحق وعمارة الارض عن الحسن البصري وقيل اراد بالارض مكة لان النبي صلى الله عليه واله قال دحيت
الارض من مكة ولذلك سميت ام القرى وروي ان قبر نوح وهود وصالح وشعيب بين زمزم والركن والمقام والظاهر انها الارض المعروفة
وهو الصحيح وقوله قالوا يعني الملائكة لله تعالى اتجعل فيها اي في الارض من يفسد فيها بالكفر والمعاصي ويسفك الدماء بغير حق وذكر فيه وجوه
احدها ان خلقا يقال لهم الجان كانوا في الارض فافسدوا فيها فبعث الله ملائكة اجلتهم من الارض وكان هؤلاء الملائكة سكان الارض
بعدهم فقالوا يا ربنا اتجعل فيها من يفسد فيها كما فعل بنو الجان بالشاهد على الغائب وهو قول اكثر المفسرين وثانيها ان الملائكة انما قال
ذلك على سبيل الاستفهام وعلى وجه الاستخبار والاستعلام عن وجه المصلحة والحكمة لا على وجه الانكار ولا على سبيل الاخبار فكانهم قالوا يا
الله ان كان هذا كما ظننا فعرفنا وجه الحكمة فيه وثالثها ان الله تعالى اخبر الملائكة بانه سيكون من ذرية هذا الخليفة من يعصي ويسفك
الدماء على ما روي عن ابن عباس وابن مسعود والغرض في اعلامه اياهم ان يزيدهم يقينا على علمه بالغيب لانه وجد بعد ذلك على ما اخبرهم به و
قيل ليعلم ادم انه خلق للارض لا للجنة فقالت الملائكة اتجعل فيها من يفعل كذا وكذا على وجه التعرف لما في هذا من التدبير والاستفادة
لوجه الحكمة فيه وهذا الوجه يقتضي ان يكون في اول الكلام حذف فيكون التقدير اني جاعل في الارض خليفة واني عالم بانه سيكون في ذريته
من يفسد فيها ويسفك الدماء فحذف اختصارا وكذلك قوله اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك في ضمنه
اختصار شديد اي فنحن على ما نظنه ويظهر لنا من الامر اولى بالخلافة في الارض لانا نطيع وغيرنا يعصي وفي قوله اني اعلم ما لا تعلمون اختصار ا
ايضا لانه يقتضي اني اعلم من مصالح المكلفين ما لا تعلمونه وما يكون مخالفا لما تظنونه على ظواهر الامور ومثل هذه الحذوف العجيبة و
الاختصارات البديعة كثيرة في القران والحذف معدود في انواع الفصاحة اذا كان فيما ابقى دليل على ما القى وما جاء منه في الشعر قول الشنفرى
لا تقبروني ان قبري محرم عليكم ولكن خامري ام عامر اي لا تدفنوني بل دعوني تاكلني التي يقال لها خامري ام عامر يعني الضبع
وقول ابي داود ان من شيمتي لبذل تلادي دون عرضي فان رضيت فكوني اي فكوني على ما انت عليه وان سخطت فبيني فحذف وقال
عنترة هل تبلغني دارها شدنية لعنت بمحروم الشراب مصرم اي دعي عليها بانقطاع لبنها وجفاف ضرعها فصارت كذلك والناقة اذا
كانت لا تنتج كان اقوى لها على السير وانما ارادت الملائكة بقولهم اتجعل فيها من يفسد فيها ولد ادم الذين ليسوا بانبياء ولا معصومين لا ادم
نفسه ومن يجري مجراه من الانبياء والمعصومين ومعنى قولهم ونحن نسبح بحمدك نتكلم بالحمد لك والنطق بالحمد تسبيح له كقوله تعالى والملائكة
يسبحون بحمد ربهم وانما يكون حمد الحامد لله تسبيحا لان معنى الحمد لله الثناء عليه والشكر له وهذا تنزيه له واعتراف بانه اهل لان ينزه
ويعظم ويثنى عليه عن مجاهد وقيل معنى نسبح بحمدك نصلي لك كقوله تعالى فلولا انه كان من المسبحين اي من المصلين عن ابن عباس وابن مسعود
وقيل هو رفع الصوت بذكر الله عن المفضل ومنه قول جرير قبح الاله وجوه تغلب كلما سبح الحجيج وكبروا اهلالا وقوله ونقدس لك
اي ننزهك عما لا يليق بك من صفات النقص ولا نضيف اليك القبائح فاللام على هذا زائدة اي نقدسك وقيل نقدس لك اي نصلي لاجلك

وقيل نطهر انفسنا من الخطايا والمعاصي قال اني اعلم ما لا تعلمون قيل اراد ما اضمره ابليس من الكبر والعجب والمعصية لما امره الله تعالى بالسجود لادم
عليه السلام عن ابن عباس وابن مسعود وقيل اراد اعلم من في ذرية ادم من الانبياء والصالحين عن قتادة وقيل اراد بما اختص تعالى بعلمه من تدبير
المصالح وروي عن ابي عبد الله عليه السلام قال ان الملائكة سالت الله تعالى ان يجعل الخليفة منهم وقالوا نحن نقدسك ونطيعك ولا نعصيك
كغيرنا قال فلما اجيبوا بما ذكر في القران علموا انهم تجاوزوا ما لهم فلاذوا بالعرش استغفارا فامر الله تعالى ادم بعد هبوطه ان يبني له في الارض
بيتا يلوذ به المخطئون كما لاذ بالعرش الملائكة المقربون فقال الله تعالى للملائكة اني اعرف بالمصلحة منكم وهو معنى قوله اعلم ما لا تعلمون و
هذا يدل على ان الله تعالى لا يفعل القبيح لانه لو كان يحسن منه كل شيء لم يكن لهذا الكلام معنى لانه انما يفيد في الجواب متى حمل على انه اذا دلني علم
بالمصالح فافعل ما هو الاصلح النظم واتصال هذه الاية بما قبلها ان الله تعالى ذكر اول النعم علينا وهي نعمة الحيوة ثم ذكر بعده انعامه علينا
بخلق الارض وما فيها وبخلق السماء ثم اراد ان يذكر نعمه علينا بخلق ابينا ادم عليه السلام وما اعطاه من الفضيلة فكانه قال اذكر لهم كيف
تكفرون بالله وقد فعل بكم كذا وكذا وانعم عليكم بكذا وكذا قوله تعالى وعلم ادم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسماء
هؤلاء ان كنتم صادقين اية القراءة قرا اهل المدينة واهل البصرة هؤلاء ان بهمزة واحدة ولا يمدون هؤلاء الا على قدر خروج الالف ويمدون اولا
كانهم يجعلونه كلمتين والباقون يمدون مدتين في كل القران فاما الهمزتان من كلمتين نحو هؤلاء ان كنتم صادقين ونحوها فابو جعفر ونافع
برواية ورش وابن كثير برواية القواس ويعقوب يهمزون الاولى ويخففون الثانية ويشيرون بالكسر اليها وكذلك يفعلون في كل همزتين
متفقتين تلتقيان من كلمتين مكسورتين كانتا او مضمومتين او مفتوحتين فالمكسورتان على البغاء ان اردن المضمومتان اولياء اولئك
ليس في القران غيره والمفتوحتان جاء احدكم واذا شاء انشره وابو عمرو والبزي يحذف همزة واحدة فيما كان احدهما اصلا اذا كانتا متفقتين ونافع
برواية اسمعيل وابن كثير برواية ابن فليح بتليين الاولى وتحقيق الثانية واذا اختلفتا فانهم يتفقون على همز الاولى وتليين الثانية نحو السفهاء
الا والبغضاء الى يوم القيمة فاما ابن عامر وعاصم والكسائي فانهم يهمزون همزتين في جميع ذلك متفقتين كانتا او مختلفتين اما الحذف والتليين
فللتخفيف واما الهمز فللرجوع الى الاصل اللغة في اشتقاق ادم قولان احدهما انه ماخوذ من اديم الارض فاذا سمي به في هذا الوجه ثم نكر ثبت
صرفه والثاني انه ماخوذ من الادمة على معنى اللون والصفة فاذا سمي به في هذا الوجه ثم نكر لم تصرفه والادمة والسمرة والدكنة
متقاربة المعنى وادم ابو البشر قال صاحب كتاب العين الادمة في الناس سمرة من سواد وهي السمرة وفي الابل والظباء بياض وكل لفظ عموم
على وجه الاستيعاب وحقيقته الاحاطة بالابعاض يقال بعض القوم جاءني كلهم ويكون تاكيدا مثل اجمعين الا انه يبدا في الذكر بكل
كقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون لان كلا قد يلي العوامل واجمعون لا يكون الا تابعا والعرض من قولهم عرضت الشيء عليه وعرضت الجند
قال الزجاج اصله في اللغة الناحية من نواحي الشيء فمن ذلك العرض خلاف الطول وعرض الرجل ما يمدح به او يذم ويقال عرضه خليقته المحمودة
ويقال عرضه حسبه وقال علي بن عيسى هو ناحيته التي يصونها عن المكروه والسب والعرض ما يعرض في الجسم وغيره صفة ويقال عرضت المتاع على
البيع عرضا اي اظهرته حتى عرفت جهته والانباء والاخبار والاعلام واحد والنبا الخبر ويقال منه انباته ونباته وانبئوني باسماء هؤلاء اي اخبروني
بها واما التعدي الى ثلاثة مفاعيل نحو انبات زيدا عمرا خير الناس وكذلك نبات فهو هذا في الاصل الا انه حمل على المعنى فعدي الى ثلاثة مفعولين
لان الانباء بمعنى الاعلام ودخول هذا المعنى فيه وحصول مشابهته للاعلام لم يخرجه عن الاصل الذي هو له من الاخبار وعن ان يعدى
الى مفعولين احدهما بالباء او بعن نحو نبئهم عن ضيف ابراهيم والنبوة اذا اخذت من الانباء فهي مهموزة وقد روي عن النبي صلى الله عليه واله
انه قال لا تنبزوا باسمي لرجل قال له يا نبيء الله مهموزا والنبي بغير همزة الطريق الواضح ياخذ بك الى حيث تريد والفرق بين الاعلام و
الاخبار ان الاعلام قد يكون بخلق العلم الضروري في القلب كما خلق الله من كمال العقل والعلم بالمشاهدات وقد يكون بنصب الادلة على
الشيء والاخبار هو اظهار الخبر علم به او لم يعلم ولا يكون مخبرا بما يحدثه من العلم في القلب كما يكون معلما بذلك المعنى ثم ابان الله سبحانه
وتعالى للملائكة فضل ادم عليهم وعلى جميع خلقه بما خصه به من العلم فقال سبحانه وعلم ادم الاسماء كلها اي علمه معاني الاسماء اذ الاسماء
بلا معان لا فائدة فيها ولا وجه لاشارة الفضيلة بها وقد نبه الله تعالى الملائكة على ما فيها من لطيف الحكمة فاقروا عند ما سئلوا عن ذكرها
والاخبار عنها انه لا علم لهم بها فقال الله تعالى يا ادم انبئهم باسمائهم عن قتادة وقيل انه سبحانه علمه جميع الاسماء والصناعات

الارضين والاطعمة والادوية واستخراج المعادن وغرس الاشجار ومنافعها وجميع ما يتعلق بعمارة الدين والدنيا عن ابن عباس ومجاهد وسعيد
ابن جبير وعن اكثر المتاخرين وقيل انه علمه اسماء الاشياء كلها ما خلق وما لم يخلق بجميع اللغات التي يتكلم بها ولده بعده عن ابي علي الجبائي وعلي بن عيسى
وغيرهما قالوا فاخذ عنه ولده اللغات فلما تفرقوا تكلم كل قوم بلسان الفوه واعتادوه وتطاول الزمان على ما خالف ذلك فنسوه ويجوز ان يكونوا
عالمين بجميع تلك اللغات الى زمن نوح عليه السلام فلما اهلك الله الناس الا نوحا ومن تبعه كانوا هم العارفين بتلك اللغات فلما كثروا وتفرقوا
واختار كل قوم منهم لغة تكلموا بها وتركوا ما سواها ونسوه وقد روي عن الصادق عليه السلام انه سئل عن هذه الآية فقال الارضين والجبال والشعاب
والاودية ثم نظر الى بساط تحته فقال وهذا البساط مما علمه وقيل انه علمه اسماء الملائكة واسماء ذريته عن الربيع وقيل انه علمه القاب الاشياء ومعانيها وخواصها
وهو ان الفرس يصلح لماذا والحمار يصلح لماذا وهذا ابلغ لان معاني الاشياء وخواصها لا تتغير بتغير الازمنة والاوقات والقاب الاشياء تتغير على الدهر
وقال بعضهم انه تعالى لم يعلمه اللغة العربية فان اول من تكلم بالعربية اسمعيل عليه السلام وقالوا ان الله تعالى جعل الكلام معجزة لثلثة من الانبياء
ادم واسمعيل ومحمد صلى الله عليه واله ثم اختلف في كيفية تعليم الله تعالى ادم الاسماء فقيل علمه بان اودع قلبه معرفة الاسماء وفتق لسانه بها
فكان يتكلم بتلك الاسماء كلها وكان ذلك معجزا له لكونه ناقضا للعادة وقيل علمه اياها بان اضطره الى العلم بها وقيل علمه لغة الملائكة ثم علمه بتلك
اللغة سائر اللغات وقيل انما علمه اسماء الاشخاص بان احضر تلك الاشياء وعلمه اسماءها في كل لغة وانه لاي شيء يصلح واي نفع فيه واي ضرر
وقوله ثم عرضهم على الملائكة روي عن ابن عباس انه قال عرض الخلق وعن مجاهد قال عرض اصحاب الاسماء وعلى هذا فيكون معناه ثم عرض
المسميات على الملائكة وفيهم من يعقل وفيهم من لا يعقل فقال عرضهم تغليبا للعقلاء فاجرى على الجميع كناية من يعقل كقوله والله خلق
كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على اربع اجرى عليهم كناية من يعقل وفي قراءة ابي ثم
عرضها وفي قراءة ابن مسعود ثم عرضهن وعلى هاتين القراءتين يصلح ان يكون عبارة عن الاسماء دون المسميات واختلف في كيفية العرض
على الملائكة فقيل انما عرضها على الملائكة بان خلق معاني الاسماء التي علمها ادم حتى شاهدتها الملائكة وقيل صور في قلوبهم هذه الاشياء فصارت
كانهم شاهدوها وقيل عرض عليهم من كل جنس واحدا واراد بذلك تعجيزهم فان الانسان اذا قيل له ما اسم شيء صفته كذا وكذا فلم
يعلم كان ابلغ عذرا ممن عرض عليه شيء بعينه وسئل عن اسمه فلم يعرفه وبين بذلك ان آدم عليه السلام اصلح لكونه خليفة الارض وعمارتها لاهتدائه اليها لا
تهتدي الملائكة اليه من الصناعات المختلفة وحرث الارض وزراعتها وانباط الماء واستخراج الجواهر من المعادن وقعر البحار بلطائف الحكمة وهذا يقوي
قول من قال انه علمه خواص الاشياء واراد به انكم اذا عجزتم عن معرفة هذه الاشياء مع مشاهدتكم لها فانتم من معرفة الامور المغيبة عنكم اعجز فقال
انبؤني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ان سئل فقيل ما الذي ادعت الملائكة حتى خوطبوا بهذا وكيف امرهم الله سبحانه ان يخبروا بما لا يعلمون فالجواب
ان للعلماء فيه وجوها من الكلام احدها ان الله تعالى لما اخبر الملائكة بانه جاعل في الارض خليفة هجس في نفوسها انه ان كان الخليفة منهم بدلا
من آدم وذريته لم يكن في الارض فساد ولا سفك دم كما يكون في ولد آدم وان كان الله لا يفعل الا ما هو الاصلح في التدبير والاصوب في الحكمة فقال
تعالى انبؤني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين فيما ظننتم من هذا المعنى ليدلهم على انهم اذ لم يعلموا باطن ما شاهدوا فهم من ان يعلموا باطن ما غاب عنهم ابعد
ثانيها انه خطر ببالهم انه لن يخلق الله خلقا الا وهم اعلم منه وافضل في سائر انواع العلم فقيل ان كنتم صادقين في هذا الظن فاخبروا بهذه الاسماء وثالثها ان المراد
ان كنتم صادقين في انكم تعلمون لم اجعل في الارض خليفة فانبؤني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين لان كل واحد من الامرين من علم الغيب فكما لم تعلموا احدهما
لا تعلمون الآخر عن ابن عباس ورابعها ما قاله الاخفش والجبائي وعلي بن عيسى وهو ان المراد ان كنتم صادقين فيما تخبرون به من اسمائهم فاخبروا بها
وهذا كقول القائل لغيره اخبرنا بما في يدي ان كنت صادقا اي ان كنت تعلم فاخبر به لانه لا يمكنه ان يصدق في مثل ذلك الا اذا اخبر عن علم منه ولا يصح ان يكلف
ذلك الا مع العلم به ولا بد اذا استدعوا الى الاخبار عما لا يعلمون من ان يشرط هذا الشرط وعلى هذا فيكون لفظه الامر ومعناه التنبيه ويكون امرا مشروطا كما
يقول العالم للمتعلم ما تقول في كذا وهو يعلم انه لا يحسن الجواب لينبهه عليه ويحثه على طلبه والبحث عنه ولو قال له اخبرني بذلك ان كنت تعلمه او ان كنت صادقا
لكان حسنا فاذا ثبت على انه لا يمكن الجواب الصحيح فيكون جوابه بهذا التوبيخ اثبت في قلبه واوقع في نفسه ولا يجوز ان يكون ذلك تكليفا لانه لو كان
تكليفا لم يكن تعنتا الملائكة وانما ادم يعرف اسماء هذه الاشياء بتعريف الله اياه وتخصيصه من ذلك بما لا يعرفونه فلما اراد تعريفهم سأل آدم من ذلك علمنا انه ليس
بتكليف وفي هذه الآية دلالة على شرف العلم واهله من حيث ان الله سبحانه لما اراد تشريف آدم عليه السلام اختصه بعلم ابانه به من غيره وفضله به على من سواه

قوله تعالى قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم آية اللغة الحكم نقيض الفساد والاحكام الاتقان والحكيم المانع من
الفساد ومنه حكمة اللجام لانها تمنع الفرس من الجري الشديد قال جرير ابني حنيفة احكموا سفهاءكم اني اخاف عليكم ان اغضبا اي امنعوهم والحكمة
هي التي تقف بك على مر الحق الذي لا يخلطه باطل والصدق الذي لا يشوبه كذب ومنه قوله وحكمة بالغة ورجل حكيم اذا كان ذلك شانه وكان
معه اصول من العلم والمعرفة ويقال حكم يحكم في الحكم بين الناس وحكم يحكم اذا صار حكيما والحكمة في الانسان هي العلم الذي يمنع صاحبه من الجهل
الاعراب سبحانك نصب على المصدر قال سيبويه يقال سبحت الله تسبيحا وسبحانا فالمصدر تسبيح وسبحان اسم يقوم مقام المصدر واللام من قوله لنا يتعلق
بمحذوف فيكون جملة ظرفية في موضع رفع بالخبر لان لا علم في موضع رفع بالابتداء وما علمتنا موصول وصلة والضمير من علمتنا العائد اليه محذوف
تقديره ما علمتناه وهي في موضع رفع بدل من موضع لا علم وانت يجوز ان يكون فصلا فيكون لا موضع له من الاعراب وخبر ان العليم الحكيم ويجوز ان يكون
مبتدأ والجملة خبر ان المعنى ثم اخبر سبحانه عن الملائكة بالرجوع اليه والتسليم لامره فقال قالوا سبحانك اي تنزيها لك وتعظيما عن ان يعلم الغيب احد
سواك عن ابن عباس وقيل تنزيها لك عن الاعتراض عليك في حكمك وقيل انهم ارادوا ان يخرجوا الجواب مخرج التعظيم فقالوا تنزيها لك عن فعل كل قبيح وان
كنا لا نعلم وجه الحكمة في افعالك وقيل انه على وجه التعجب لسؤالهم عما لا يعلمونه وقوله لا علم لنا الا ما علمتنا معناه انا لا نعلم الا ما تعلمنا وليس هذا في ما
علمتنا ولو انهم اقتصروا على قولهم لا علم لنا كان كافيا في الجواب لكن ارادوا ان يضيفوا الى ذلك التعظيم له والاعتراف بانعامه عليهم بالتعليم وان
جميع ما يعلمونه انما يعلمونه من جهته وان هذا ليس من جملة ذلك وانما سالهم سبحانه عما علم انهم لا يعلمونه ليقررهم على انهم لا يعلمون الا ما علمهم الله وليرفع
به حجة آدم عليه السلام عندهم بانه علم ما لا يعلمون وقوله انك انت العليم اي العالم بجميع المعلومات لانه من صفات ذاته وهو بمعنى العالم وقيل انهم
ابتدءوا بما تواضعوا انفسهم اي انت العالم من غير تعليم ونحن المعلمون وقوله الحكيم يحتمل امرين احدهما انه بمعنى العالم لان العالم بالشيء يسمى حكيما فعلى
هذا يكون من صفات الذات مثل العالم ويوصف بها فيما لم يزل لان ذلك واجب في العالم لنفسه والثاني ان معناه المحكم لافعاله ويكون فعيلا بمعنى
مفعل وعلى هذا يكون من صفات الافعال ومعناه ان افعاله كلها حكمة وصواب وليس فيها تفاوت ولا وجه من وجوه القبح وعلى هذا لا يوصف
بذلك فيما لم يزل وروي عن ابن عباس انه قال العليم الذي كمل في علمه والحكيم الذي كمل في حكمته وفي هذه الآية دلالة على ان العلوم كلها من
جهته تعالى وانما كان كذلك لان العلوم لا تخلو اما ان يكون ضرورية فهو الذي فعلها واما ان تكون استدلالية فهو الذي اقام الادلة عليها فلا علم
لاحد الا ما علمه الله تعالى قوله تعالى قال يا آدم انبئهم باسمائهم فلما انباهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما
تبدون وما كنتم تكتمون آية القراءة روي عن ابن عامر انبئهم بالهمزة وكسر الهاء والباقون بضم الهاء الحجة من ضم الهاء حملها على الاصل لان
الاصل ان تكون هذه الضمير مضمومة وانما تكسر الهاء اذا وليها كسرة او ياء نحو بهم وعليهم ومع هذا فقد ضموا وحملوا على الاصل ومن كسر الهاء التي
قبلها همزة مخففة فان لذلك وجها من القياس وهو انه اتبع كسرة الهاء الكسرة التي قبلها ولم يعتد بالحاجز الساكن كما حكي نهم هذا المرء ورايت المرء
ومررت بالمرء فاتبعوا اسم هذا الفصل كما اتبعوا في اللغة الاخرى لهذا امرؤ ورايت امرءا ومررت بامرئ وحكى ابو زيد عن بعض العرب انبئت هذا
منه ومنهما ومنهي فكسر المضمر الادراج والوقف وهم العرب ولم اضربر اللغة الابداء والاظهار والاعلان بمعنى واحد وضد الابداء الكتمان وضد
الاظهار الابطان وضد الاعلان الاسرار ويقال بدا يبدو بدوا من الظهور وبدأ يبدأ بدءا بالهمزة بمعنى استانف وقال علي بن عيسى حد الظهور
الحصول على حقيقة يمكن ان تعلم بسهولة والله سبحانه ظاهر بادلته باطن عن احساس خلقه وكل استدلال فانما هو ليظهر شيء بظهور غيره الاعراب
آدم منادى مفرد معرفة مبني على الضم ومحله نصب لان المنادى مدعو والمدعو مفعول المعنى ثم خاطب الله تعالى آدم فقال يا آدم انبئهم اي
اخبر الملائكة باسمائهم يعني اسماء الذين عرضهم عليهم وهم كناية عن المراد بقوله اسماء هؤلاء وقد مضى بيانه فلما انباهم يعني اخبرهم آدم باسمائهم
اي باسم كل شيء ومنافعه ومضاره قال الله تعالى للملائكة الم اقل لكم الالف للتنبيه وان كان اصلها الاستفهام كقول القائل اما ترى اليوم ما اطيبه
لمن يعلم ذلك وحكى سيبويه اما ترى اي برق هاهنا ومن الناس من قال ان هذه الالف معناها التوبيخ ومن لم يجوز على الملائكة المعصية منع من ذلك اني اعلم
غيب السموات والارض اي اعلم ما غاب فيهما عنكم فلم تشاهدوه كما اعلم ما حضركم فشاهدتموه واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون قيل فيه اقوال احدها
المراد اعلم سركم وعلانيتكم وذكر ذلك تنبيها لهم على ما يحيلهم عليه من الاستدلال لان الاصول الاول التي يستدل بها انما تذكر على وجه التنبيه ليستخرج
بها غيرها فيستدل بعلم الغيب على انه خلق عباده على ما خلقهم عليه للاستصلاح في التكليف وما توجبه الحكمة وثانيها انه اراد اعلم ما تبدون من قولكم

الجعل فيها من يفسد فيها وما كنتم تكتمون من اضمار ابليس المعصية والمخالفة قال علي بن عيسى وهذا ليس بالوجه لان الخطاب للملائكة وليس ابليس منهم ولا
عام فلا يخص الا بدليل وجوابه ان ابليس لما دخل معهم في الامر بالسجود جاز ان يذكر في جملتهم وقد رويت روايات تؤيد هذا القول واختاره
الطبري وثالثها ان الله تعالى لما خلق آدم مرت به الملائكة قبل ان ينفخ فيه الروح ولم تكن رأت مثله فقالوا لن يخلق الله خلقا الا كنا اكرم منه وافضل
عنه فهذا ما اخفوه وكتموه واما ما ابدوه فقولهم اتجعل فيها من يفسد فيها روي ذلك عن الحسن والاول اقوى لانه اعم ومما سأل في هذه الآية ان يقال
ما وجه ذكره تعالى لهم الاسرار من علم الغيب والجواب انه على معنى الجواب فيما سألوا عنه من خلق من يفسد ويسفك الدماء على وجه التعريض دون التصريح
ليصح بذلك ان اخلق من يفسد ويسفك الدماء لما اعلم في ذلك من المصلحة لعبادي فيما كلفتهم اياه فدل سبحانه بالاحالة في الجواب على العلم بباطن الامور
وظاهرها انه خلقهم لاجل علمه بالمصلحة في ذلك ودلهم بذلك على ان عليهم الرضا بامر الله والتسليم لقضاء الله لانه يعلم من الغيب ما لا يعلمون ويعلم من مصالحهم
في دينهم ودنياهم ما لا يطلعون عليه فان قيل فاي شيء في تعليم الله تعالى آدم الاسماء كلها مما يدل على علمه بالغيب قيل انه تعالى علم الاسماء كلها بما فيها
من المعاني التي يدل عليها على جهة فتق لسانه بذلك والهامه اياها فهو معجزة اقامها الله للملائكة تدل على نبوته وجلالة قدره وارتفاع شأنه بما
اختصه به من العلم الذي لا يوصل اليه الا بتعليم الله عز وجل ودلهم على ذلك بان قررهم فاقروا ان لا علم لهم به ثم اظهر لهم ان آدم يعلمه
بتعليم الله اياه فبان بذلك الاعجاز بالاطلاع على ما لا سبيل الى علمه الا من علام الغيوب وفيه من المعجزات انه فتق لسانه على خلاف مجرى
العادة وانه علم من لطائف الحكمة فيه ما لا تعلمه الملائكة مع كثرة علومها وانها اعرف الخلق بربها فعرفوا ما دلهم على علم الغيب بالمعجزة وكان ما يعلم
من ذلك بالادلة العقلية ولذلك نبههم فقال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض اي قد دللتكم على ذلك قبل وهذه دلالة بعد وقد
افتتح الله تعالى الدلالة على الاعجاز بالكلام في آدم ثم ختم به في محمد صلى الله عليه وآله قال السيد الاجل المرتضى قدس الله روحه وفي هذه الآية سؤال
لم اجد احدا من مفسري القرآن تعرض له وذلك ان يقال من اين علمت الملائكة صحة قول آدم ومطابقة الاسماء المسميات وهي لم تكن عالمة بذلك
من قبل والكلام يقتضي انهم لما انبأهم آدم بالاسماء علموا صحتها ولولا ذلك لم يكن لقوله تعالى الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض معنى ولا كانوا
ايضا مستفيدين نبوته وتميزه واختصاصه بما ليس لهم لان كل ذلك انما يتم مع العلم والجواب انه غير ممتنع ان يكون الله تعالى فعل لهم العلم الضروري
بصحة الاسماء ومطابقتها للمسميات اما عن طريق او ابتداء بلا طريق فعلموا بذلك تميزه واختصاصه وليس في علمهم بصحة ما اخبر به ضرورة ما يقتضي العلم
بنبوته ضرورة بل بعده درجات ومراتب لا بد من الاستدلال عليها حتى يحصل بنبوته ووجه آخر وهو انه لا يمتنع ان يكون للملائكة لغات مختلفة فكل
قبيل منهم يعرف اسماء الاجناس في لغته دون لغة غيره الا انه يكون احاطة عالم واحد باسماء الاجناس في جميع لغاتهم خارقة للعادة فلما اراد الله
تعالى التنبيه على نبوة آدم عليه السلام علمه جميع تلك الاسماء فلما اخبرهم بها علم كل فريق مطابقة ما اخبر به من الاسماء للغته وعلم مطابقة ذلك الباقي
اللغات بخبر كل قبيل وعلى هذا الجواب فيكون معنى انبئوني باسماء هؤلاء ليخبرني كل قبيل منكم بجميع الاسماء وهذان الجوابان مبنيان على انه لم يتقدم
لهم العلم بنبوة آدم وان اخباره بالاسماء كان مفتتح معجزاته لانه لو كان نبيا قبل ذلك وكانوا قد علموا نبوته بمعجزات تقدم ظهورها على يده لم يحتج
الى هذين الجوابين لانهم يعلمون مطابقة الاسماء المسميات بعد ان لم يعلموا بقوله الذي علموا انه حق وصدق قوله تعالى واذ قلنا للملائكة
اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين آية القراءة قرأ ابو جعفر وحده للملائكة اسجدوا لآدم بضم التاء حيث
وقع وكذلك قل رب احكم بالحق بضم الباء الحجة اتبع التاء ضمة الجيم وقيل انه نقل ضمة الهمزة حيث لو ابتدأ بها والاول اقوى لان الهمزة تسقط
في الدرج فلا يبقى فيها حركة تنقل اللغة السجود الخضوع والتذلل في اللغة وهو في الشرع عبادة مخصوصة في الصلوة كالركوع والقنوت
وغيرهما وهو وضع الجبهة على الارض ويقال سجد واسجد اذا خضع قال الاعشى من يهوده يسجد غير متئب اذا عمم فوق الرأس او خضعا وقال
آخر فكلتاهما خرت واسجد رأسها كما سجدت نصرانية لم تحنف ونساء سجد اذا كن فاترات الاعين قال ولهوى لجرح المدامع سجود الاسجاد
الاطراق وادامة النظر في فتور وسكون قال اغرك مني ان دلك عندنا واسجاد عينيك الصيودين رابح وابى معناه ترك الطاعة وامتنع والاباء
والترك والامتناع بمعنى ونقيض ابى اجاب ورجل ابي من قوم اباة وليس ابى بمعنى الكراهة لان العرب تتمدح بانها تأبى الضيم ولا مدح في كراهة
الضيم وانما المدح في الامتناع منه كقوله ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون اي يمنع الكافرين من اطفاء نوره والاستكبار والتكبر و
التعظيم والتجبر نظائر وضده التواضع وحقيقة الاستكبار الانفة مما لا ينبغي ان يؤنف منه وقيل هو الرفع للنفس الى منزلة لا تستحقها والاصل

الباب الكبر وهو العظم ويقال على وجهين كبر الجثة وكبر الشأن والله سبحانه الكبير من كبر الشأن وذلك يرجع الى سعة مقدوراته ومعلوماته
فهو القادر على الايجاد في جميع اجناس المقدورات والعالم بجميع المعلومات وابليس اسم اعجمي لا ينصرف في المعرفة للتعريف والعجمة قال الزجاج
وغيره من النحويين هو اسم اعجمي معرب واستدلوا على ذلك بامتناع صرفه وذهب قوم الى انه عربي مشتق من الابلاس ووزنه افعيل و
انشد للعجاج يا صاح هل تعرف رسما مكرسا قال نعم اعرفه وابلسا وزعموا انه لم يصرف استثقالا له من حيث انه اسم لا نظير له في اسماء
العرب فشبهته العرب باسماء العجم التي لا تنصرف وزعموا ان اسحاق من اسحقه الله اسحاقا وايوب من آب يؤوب وادريس من الدرس في اشباه ذلك
وغلطوا في جميع ذلك لان هذه الالفاظ معربة وافقت الفاظ العربية وكان ابو بكر السراج يمثل ذلك على جهة التبعيد بمن زعم ان الطير ولد
الحوت وغلطوا ايضا في انه لا نظير له في اسماء العرب لانهم يقولون ازميل للشفرة واغريض للطلع واحريض لصبغ احمر ويقال هو العصفر
وسيف اصليت ماض كثير الماء وثوب اضريج مشبع الصبغ وقالوا هو من الصفرة خاصة ومثل هذا كثير وسبيل ابليس سبيل الانجيل في انه معرب
غير مشتق الاعراب قوله واذ في موضع النصب لانها معطوفة على اذ الاولى وقوله لآدم آدم في موضع جر باللام لا ينصرف لانه على وزن افعل
فاذا قلت مررت بآدم وآدم آخر فان سيبويه والخليل يقولان انه لا ينصرف في النكرة لانك اذا نكرته فقد اعدته الى حال كان فيها لا ينصرف
قال الاخفش اذا سميت به فقد اخرجته من باب الصفة فيجب اذا نكرته ان تصرفه فتقول وآدم آخر وقوله اسجدوا الاصل في همزة الوصل ان
تكسر لالتقاء الساكنين ولكنها ضمت لاستثقال الضمة بعد الكسرة وكذلك كل ما كان ثالثه مضموما في الفعل المستقبل نحو قوله انظرونا اقتلوا
يوسف وليس في كلام العرب افعل لكراهتهم الضمة بعد الكسرة وابليس نصب على الاستثناء المتصل من الكلام الموجب وهو مذهب من جعله من
الملائكة وعلى الاستثناء المنقطع على مذهب من جعله من غير الملائكة المعنى ثم بين سبحانه ما اتاه آدم عليه السلام من الاعظام والاجلال والاكرام
فقال واذكر يا محمد اذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم والظاهر يقتضي ان الامر بالسجود له كان لجميع الملائكة حتى جبرئيل وميكائيل لقوله فسجد الملائكة كلهم
اجمعون وفي هذا تأكيد للعموم وقال قوم ان الامر كان خاصا لطائفة الملائكة كانوا مع ابليس طهر الله بهم الارض من الجان واختلف في سجود الملائكة
لآدم على اي وجه كان فالمروي عن ائمتنا عليهم السلام انه على وجه التكرمة لآدم والتعظيم لشأنه وتقديمه عليهم وهو قول قتادة وجماعة من اهل
العلم واختاره علي بن عيسى الرماني ولهذا جعل اصحابنا رضي الله عنهم هذه الآية دلالة على ان الانبياء افضل من الملائكة من حيث انه سبحانه امرهم
بالسجود لآدم وذلك يقتضي تعظيمه وتفضيله عليهم واذا كان المفضول لا يجوز تقديمه على الفاضل علمنا انه افضل من الملائكة وقال الجبائي
وابو القسم البلخي وجماعة انه جعله قبلة لهم فامرهم بالسجود الى قبلتهم وفيه ضرب من التعظيم وهذا غير صحيح لانه لو كان على هذا الوجه لما
امتنع ابليس من ذلك ولما استعظمته الملائكة وقد نطق القرآن بان امتناع ابليس عن السجود انما هو لاعتقاده تفضيله به وتكرمته مثل قوله
ارأيتك هذا الذي كرمت علي لئن اخرتن وقوله انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ولو لم يكن الامر على هذا الوجه لوجب ان يعلمه الله
تعالى بانه لم يأمره بالسجود على جهة تعظيمه وتفضيله عليه وانما امره على الوجه الآخر الذي لا تفضيل فيه ولم يجز اغفال ذلك فانه سبب معصيته
ابليس وضلالته فلما لم يقع ذلك علمنا ان الامر بالسجود له لم يكن الا على وجه التعظيم والتفضيل والاكرام والتبجيل ثم اختلف في ابليس هل كان
من الملائكة ام لا فذهب قوم انه كان منهم وهو المروي عن ابن عباس وابن مسعود وقتادة واختاره الشيخ السعيد ابو جعفر الطوسي قدس الله
روحه قال وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلام والظاهر في تفاسيرنا ثم اختلف من قال انه كان من الملائكة فمنهم من قال انه كان خازنا على الجنان
ومنهم من قال كان له سلطان سماء الدنيا وسلطان الارض ومنهم من قال انه كان يسوس ما بين السماء والارض وقال الشيخ المفيد ابو عبد الله محمد بن
محمد بن النعمان قدس الله روحه انه كان من الجن ولم يكن من الملائكة قال وقد جاءت الاخبار بذلك متواترة عن ائمة الهدى وهو مذهب الامامية وهو
المروي عن الحسن البصري وهو قول علي بن عيسى والبلخي وغيرهم واحتجوا على صحة هذا القول باشياء احدها قوله تعالى الا ابليس كان من الجن ومن اطلق لفظ
الجن لم يجز ان يعني به الا الجنس المعروف وكل ما في القرآن من ذكر الجن مع الانس يدل عليه وثانيها قوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما
يؤمرون فنفى المعصية عنهم نفيا عاما وثالثها ان ابليس له نسل وذرية قال الله تعالى افتتخذونه وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو وقال
الحسن ابليس ابو الجن كما ان آدم ابو الانس وابليس مخلوق من النار والملائكة روحانيون خلقوا من الريح في قول بعضهم ومن النور في قول الحسن لا
يتناسلون ولا يطعمون ولا يشربون ورابعها قوله تعالى جاعل الملائكة رسلا ولا يجوز على رسل الله الكفر ولا الفسق ولو جاز عليهم الفسق لجاز عليهم الكذب

وقالوا ان استثناء الله تعالى اياه منهم لا يدل على كونه من جملتهم وانما استثناه منهم لانه كان مامورا بالسجود معهم فلما دخل معهم فى الامر جاز اخراجه بالاستثناء
منهم وقيل ايضا ان الاستثناء هنا منقطع كقوله تعالى ما لهم به من علم الا اتباع الظن وانشد سيبويه والحرب لا يبقى لجاحمها التخيل والمراح الا الفتى الصا
فى النجدات والفرس الوقاح وقول النابغة وما بالربع من احد الا الاوارى ويؤيد هذا القول ما رواه الشيخ ابو جعفر بن بابويه رحمه الله فى كتاب
النبوة باسناده عن ابن ابى عمير عن جميل بن دراج عن ابى عبد الله عليه السلام قال سالته عن ابليس كان من الملئكة او كان يلى شيئا من امر السماء فقال لم يكن
من الملئكة ولم يكن يلى شيئا من امر السماء وكان من الجن وكان مع الملئكة وكانت الملئكة ترى انه منها وكان الله سبحانه يعلم انه ليس منها فلما امر بالسجود لآدم
كان منه الذى كان وكذا رواه العياشى فى تفسيره واما من قال انه من الملئكة فانه احتج بانه لو كان من غير الملئكة لما كان ملوما بترك السجود فان الامر
انما يتناول الملئكة دون غيرهم وقد مضى الجواب عن هذه ويزيده بيانا قوله تعالى ما منعك ان لا تسجد اذ امرتك فعلمنا انه من جملة المامورين بالسجود وان
لم يكن من جملتهم وهذا كما قيل امر اهل البصرة بدخول الجامع فدخلوا الا رجلا من اهل الكوفة فانه يعلم من هذا ان غير اهل البصرة كان مامورا بدخول
الجامع غير ان اهل البصرة خص بالذكر لكونهم الاكثر فكذلك القول فى الاية واجاب القوم عن الاحتجاج الاول وهو قوله تعالى كان من الجن بان الجن
جنس من الملئكة سموا بذلك لاجتنانهم عن العيون قال اعشى قيس بن ثعلبة لو كان شىء خالدا او معمرا لكان سليمن البرى من الدهر براه والجن صفاه
عبادة وملكه ما بين ثريا الى مصر وسخر من جن الملئك تسعة قياما لديه يعملون بلا اجر وقال الله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا لانهم قالوا الملئكة
بنات الله واجابوا عن الثانى وهو قوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم الاية بانه صفة لخزنة النيران لا لجميع الملئكة فلا يوجب عصمة لغيرهم من الملئكة
واجابوا عن الثالث بانه يجوز ان يكون الله تعالى ركب فى ابليس شهوة النكاح تغليظا عليه فى التكليف وان لم يكن ذلك فى باقى الملئكة ويجوز ان
يكون الله لما اهبطه الى الارض تغيرت حاله عن حال الملئكة قالوا واما قولكم ان الملئكة خلقوا من الريح وهو مخلوق من النار فان الحسن قال خلقوا
من النور والنار والنور سواء وقولكم ان الجن يطعمون ويشربون فقد جاء عن العرب ما يدل على انهم لا يطعمون ولا يشربون انشد ابن دريد قال انشد ابو
حاتم ونار قد حضات بعيد وهن بدار ما اريد بها مقاما سوى ترحيل راحلة وعين اكالئها مخافة ان تناما اتوا نارى فقلت منون انتم فقالوا
الجن عموا ظلاما فقلت الى الطعام فقال منهم زعيم يحسد الانس الطعاما لقد فضلتم بالاكل فينا ولكن ذاك يعقبكم سقاما فهذا يدل على انهم
لا ياكلون ولا يشربون لانهم روحانيون وقد جاء فى الاخبار النهى عن التمسح بالعظم والروث لان ذلك طعام الجن وطعام دوابهم وقد قيل
انهم يتشممون ذلك ولا ياكلونه واجابوا عن الرابع وهو قوله جاعل الملئكة رسلا بان هذه الاية معارضة بقوله تعالى الله يصطفى من الملئكة رسلا
ومن الناس لان من للتبعيض وكلا القولين مروى عن ابن عباس وروى عنه انه قال ان الملئكة كانت تقاتل الجن فسبى ابليس وكان صغيرا فكان
مع الملئكة فتعبد معها بالامر بالسجود لآدم فسجدوا وابى ابليس فلذلك قال تعالى الا ابليس كان من الجن وروى مجاهد وطاوس عنه ايضا انه
قال كان ابليس قبل ان يركب المعصية ملكا من الملئكة اسمه عزازيل وكان من سكان الارض من الملئكة يسمون الجن ولم يكن من الملئكة اشد
اجتهادا ولا اكثر علما منه فلما تكبر على الله وابى السجود لآدم وعصاه لعنه وجعله شيطانا وسماه ابليس واما قوله تعالى وكان من الكافرين فمعناه
كان كافرا فى الاصل وهذا القول يوافق مذهبنا فى الموافاة وقيل اراد كان فى علم الله تعالى من الكافرين وقيل معناه صار من الكافرين كقوله
تعالى فكان من المغرقين واستدل بعضهم بهذه الاية على ان افعال الجوارح من الايمان فقال لو لم يكن كذلك لوجب ان يكون ابليس مؤمنا بما معه
من المعرفة بالله تعالى وان فسق بابائه وهذا ضعيف لانا اذا علمنا كفره بالاجماع علمنا انه لم يكن معه ايمان اصلا كما انا اذا راينا من يسجد للصنم علمنا
انه كافر وان كان نفس السجود ليس بكفر واختلفوا فى صفة امر الله سبحانه الملئكة بالسجود فقيل كان بخطاب من الله تعالى للملئكة ولابليس
وقيل بوحى من الله الى من بعثه اليهم من رسله لان كلام الرسول كلام المرسل وقيل ان الله تعالى اظهر فعلا دلهم به على انه امرهم بالسجود فان
قيل لم حكم الله بكفره مع ان من ترك السجود الآن لا يكفر قلنا لانه جمع الى ترك السجود خصالا من الكفر منها انه اعتقد ان الله تعالى امره بالقبيح
ولم ير امره بالسجود حكمة ومنها انه امتنع من السجود تكبرا ورد على الله تعالى امره ومن تركه الآن كذلك يكفر ايضا ومنها انه استخف بنبى الله وازدرى
به وهذا لا يصدر الا عن معتقد للكفر وفى هذه الاية دلالة على بطلان مذهب الجبر من وجوه منها قوله ابى فدل على قدرته على السجود الذى
اباه وتركه والا لم يصح وصفه بالاباء ومنها قوله فسجدوا فدل على ان السجود فعلهم ومنها انه مدح الملئكة بالسجود وذم ابليس بترك السجود
وعندهم انما لم يسجد لانه لم يخلق فيه السجود ولا القدرة الموجبة له قوله تعالى وقلنا يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها

رعذا

رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين اللغة السكون والاطمينان والهدوء نظائر والسكن بسكون الكاف
العيال واهل البيت والسكن بالفتح المنزل والسكن الرحمة والبركة فى قوله ان صلوتك سكن لهم والزوج بطرح الهاء قال الاصمعى هو اكثر
كلام العرب والاكل والمضغ واللقم متقارب وضد الاكل الازم وسال عمر بن الخطاب الحرث بن كلدة طبيب العرب فقال يا حارث ما
الدواء قال الازم اى ترك الاكل والرغد النفع الواسع الكثير الذى ليس فيه عناء قال ابن دريد الرغد السعة فى العيش والمشية من قبيل
الارادة وكذلك المحبة والاختيار والايثار وان كان لها شروط ذكرت فى اصول الكلام والقرب الدنو قرب الشىء يقرب قربا وقرب فلان
اهله يقربه قربانا اذا غشيها وما قربت الامر قربانا وقربا والشجرة ما قام على ساق وجمعها اشجار وشجرات وشجر وتشاجر القوم اختلفوا اخذ
من الشجر لاشتباك اغصانه والظلم والجور والعدوان متقارب وضد الظلم الانصاف وضد الجور العدل واصل الظلم انتقاص الحق قال الله
تعالى كلتا الجنتين اتت اكلها ولم تظلم منه شيئا اى لم تنقص وقيل اصله وضع الشىء غير موضعه من قولهم من اشبه اباه فما ظلم اى فما وضع الشبه
فى غير موضعه وكلاهما مطرد وعلى الوجهين فالظلم اسم ذم لا يجوز اطلاقه على الانبياء والمعصومين الاعراب قوله اسكن انت وزوجك
الجنة يستقبح عطف الظاهر على الضمير المستكن والمتصل فقال اسكن انت وزوجك فانت تاكيد للضمير المستكن فى اسكن الذى هو فاعله
وزوجك معطوف على موضع انت ولو عطفه على الضمير المستكن لكن شبه فى الظاهر عطف الاسم على الفعل فاتى بالضمير المنفصل فعطف
عليه ورغدا منصوب لانه صفة لمصدر محذوف كانه قال اكلا رغدا اى واسعا كثيرا ويجوز ان يكون مصدرا وضع موضع الحال من قوله كلا
قال الخليل يقال قوم رغد ونساء رغد وعيش رغد ورغيد قال امرؤ القيس بينما المرء تراه ناعما يامن الاحداث فى عيش رغد فعلى هذا يكون
تقديره وكلا منها متوسعين فى العيش وحيث مبنى على الضم كما بنى الغاية نحو من قبل ومن بعد لانه منع من الاضافة الى مفرد كما منعت الغاية
من الاضافة وانما ياتى بعده جملة اسمية او فعلية فى تقدير المضاف اليه ولا تقربا مجزوم بالنهى والالف ضمير الفاعلين وقوله فتكونا
يحتمل امرين احدهما ان يكون جوابا للنهى فيكون منصوبا باضمار ان وان مع الفعل فى تاويل اسم مفرد واذا قدر اضمار ان بعد الفاء كان ذلك
عطفا على مصدر الفعل المتقدم فيكون تقديره لا يكن منكما قرب لهذه الشجرة فكونا من الظالمين فيكون الكلام جملة واحدة لان المعطوف يكون
من جملة المعطوف عليه وانما سميناه جوابا لمشابهته الجزاء فى ان الثانى سببه الاول لان معنى الكلام ان تقربا هذه الشجرة تكونا من الظالمين و
الثانى ان يكون معطوفا على النهى فيكون مجزوما وتكون الفاء عاطفة جملة على جملة فكانه قال ولا تكونا من الظالمين المعنى ثم ذكر الله
سبحانه ما امر به ادم عليه السلام بعد ان انعم عليه بما اختصه من العلوم بما اوجب له به الاعظام واسجد له الملئكة الكرام فقال عز اسمه
وقلنا وهذه نون الكبرياء والعظمة لا نون الجمع يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة اى اتخذ انت وامراتك الجنة مسكنا وماوى لتاوى
اليه وتسكن فيه انت وامراتك واختلف فى هذا الامر فقيل انه امر تعبد وقيل هو اباحة لانه ليس فيه مشقة فلا يتعلق به تكليف وقوله
وكلا اباحة وقوله لا تقربا تعبد بالاتفاق وروى ابن عباس وابن مسعود انه لما اخرج ابليس من الجنة ولعن بقى ادم وحده فاستوحش اذ
ليس معه من يسكن اليه فخلقت حوا ليسكن اليها وروى ان الله تعالى القى على ادم النوم واخذ منه ضلعا فخلق منه حواء فاستيقظ ادم
فاذا عند راسه امراة فسالها من انت قالت امراة قال لم خلقت قالت لتسكن الى فقالت الملئكة ما اسمها يا ادم قال حواء قالت ولم سميت حواء
قال لانها خلقت من حى فعندها قال الله تعالى اسكن انت وزوجك الجنة وقيل انها خلقت قبل ان يسكن ادم الجنة ثم ادخلا معا الجنة وفى
كتاب النبوة ان الله تعالى خلق ادم من الطين وخلق حوا من ادم فهمة الرجال الماء والطين وهمة النساء الرجال قال اهل التحقيق ليس يمتنع
ان يخلق الله حوا من جملة جسد ادم بعد ان لا يكون مما لا يتم الحى حيا الا معه لان ما هذه صفته لا يجوز ان ينقل الى غيره او يخلق منه حى اخر
من حيث يؤدى الى ان لا يمكن ايصال الثواب الى مستحقه لان المستحق لذلك هو الجملة باجمعها وانما سميت حواء لانها خلقت من حى على ما ذكرنا
قبل وقيل لانها ام كل حى واختلف فى الجنة التى اسكن فيها ادم عليه السلام فقال ابو هاشم هى جنة من جنات السماء غير جنة الخلد لان جنة
الخلد اكلها دائم ولا تكليف فيها وقال ابو مسلم هى جنة من جنات الدنيا فى الارض وقال ان قوله اهبطوا لا يقتضى كونها فى السماء لانه مثل قوله
اهبطوا مصرا واستدل بعضهم على انها لم تكن جنة الخلد بقوله تعالى حكاية عن ابليس هل ادلك على شجرة الخلد فلو كانت جنة الخلد لكان ادم عالما
بذلك ولم يحتج الى دلالته وقال اكثر المفسرين والحسن البصرى وعمرو بن عبيد وواصل بن عطا وكثير من المعتزلة كالجبائى والرمانى وابن الاخشيد

٣٥

انما كانت جنة الخلد لان الالف واللام للتعريف وصارا كالعلم عليها قالوا ويجوز ان يكون وسوسة ابليس من خارج الجنة من حيث يسمعان
كلامه قالوا وقول من يزعم انه جنة الخلد من يدخلها لا يخرج منها غير صحيح لان ذلك انما يكون اذا استقر اهل الجنة فيها للثواب فاما قبل ذلك
فانها تفنى لقوله تعالى كل شئ هالك الا وجهه وقوله وكلا منها رغدا اى كلا من الجنة كثيرا واسعا لا عناء فيه حيث شئتما من بقاع الجنة وقيل
منها اى من ثمارها الا ما استثناه ولا تقربا هذه الشجرة اى لا تاكلا منها وهو المروى عن الباقر عليه السلام فمعناه ولا تقرباها بالاكل ويدل عليه ان
المخالفة وقعت بالاكل بلا خلاف لا بالدنو منها ولذلك قال فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما واختلف فى هذا النهى فقيل انه نهى التحريم وقيل انه
نهى تنزيه دون التحريم كمن يقول لغيره لا تجلس على الطريق وهو قريب من مذهبنا فان عندنا ان ادم كان مندوبا الى ترك التناول من الشجرة
وكان بالتناول منها تاركا نفلا وفضلا ولم يكن فاعلا لقبيح فان الانبياء عليهم السلام لا يجوز عليهم القبايح لا صغيرها ولا كبيرها وقالت المعتزلة كان
ذلك صغيرة من ادم عليه السلام على اختلاف بينهم فى انه وقع منه على سبيل العمد والسهو او التاويل وانما قلنا انه لا يجوز مواقعة الكباير على الانبياء ع
من حيث ان القبيح يستحق فاعله به الذم والعقاب لان المعاصى عندنا كلها كباير وانما تسمى صغيرة باضافتها الى ما هو اكبر عقابا منها لان الاحباط
قد دل الدليل عندنا على بطلانه واذا بطل ذلك فلا معصية الا ويستحق فاعلها الذم والعقاب واذا كان الذم والعقاب منفيين عن الانبياء ع
وجب ان ينتفى عنهم ساير الذنوب ولانه لو جاز عليهم شئ من ذلك لنفر عن قبول قولهم والمراد بالتنفير ان النفس الى قبول قول من لا يجوز عليه شيئا
من المعاصى اسكن منها الى قول من يجوز عليه ذلك ولا يجوز عليهم كل ما يكون منفرا عنهم من الخلق المشوهة والهيات المستنكرة واذا صح ما ذكرناه علمنا
ان مخالفة ادم عليه السلام لظاهر النهى كان على الوجه الذى بيناه واختلف فى الشجرة التى نهى عنها ادم عليه السلام فقيل هى السنبلة عن ابن عباس
وقال هى الكرمة عن ابن مسعود والسدى وقيل هى التينة عن ابن جريج وقيل هى شجرة الكافور ويروى عن على عليه السلام وقيل هى شجرة العلم علم الخير والشر
عن الكلبى وقيل هى شجرة الخلد التى كانت تاكل منها الملئكة عن ابن جدعان وقوله فتكونا من الظالمين اى تكونا باكلها من الظالمين لانفسكما
ويجوز ان يقال لمن بخس نفسه الثواب انه ظالم لنفسه كقوله تعالى حكاية عن ايوب انى كنت من الظالمين حيث بخس نفسه الثواب بترك المندوب
اليه واختلفوا هل كان يجوز ابتداء الخلق فى الجنة فجوز البصريون من اهل العدل ذلك قالوا يجوز ان ينعمهم الله فى الجنة مؤبدا تفضلا منه
لا على وجه الثواب لان ذلك نعمة منه تعالى كما ان خلقهم وتعريضهم للثواب نعمة وقال ابو القاسم البلخى لا يجوز ذلك لانه لو فعل ذلك لا يخلو ان
يكونوا متعبدين بالمعرفة او لا يكونوا كذلك فلو كانوا متعبدين لم يكن بد من ترغيب وترهيب ووعد ووعيد وكان يكون لا بد من دار اخرى يجازون
فيها ويخلدون وان كانوا غير متعبدين كانوا مهملين وذلك غير جائز وجوابه انه سبحانه لو ابتدا خلقهم فى الجنة لكان يضطرهم الى معرفته و
يلجئهم الى فعل الحسن وترك القبيح ومتى راموا القبيح منعوا منه فلا يؤدى الى ما قاله وهذا كما يدخل الله الجنة الاطفال وغير المكلفين لا على وجه الثواب
قوله تعالى فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين
القراءة قرا حمزة فازالهما بالالف والباقون فازلهما الحجة من قرا ازالهما قال ان قوله اسكن انت وزوجك معناه اثبتا فثبتا فازالهما الشيطان
فقابل الثبات بالزوال الذى هو خلافه وحجة من قرا فازلهما انه يحتمل تاويلين احدهما كسبهما الزلة والاخر ازلهما اى عثرهما ويدل على
الوجه الاول اسناده فى التنزيل من قوله ما نهاكما ربكما الى قوله لمن الناصحين وقوله فوسوس لهما الشيطان الاية وقد نسب كسب الشيطان الزلة
الى الشيطان فى قوله انما استزلهما الشيطان واستزل وازل بمعنى واحد ويدل على الوجه الثانى قوله فاخرجهما مما كانا فيه فكما ان خروجهما الاخراج
عن الموضع الذى هو فيه انتقال منه الى غيره كذلك عثاره وزلله اللغة الزلة والخطيئة والمعصية والسيئة بمعنى واحد وضد الخطيئة
الاصابة يقال زلت قدمه زلا وزل فى مقالته زلة والمزلة المكان الدحض والمزلة الزلل فى الدحض وازللت الى فلان نعمة اى اسديت
وفى الحديث من ازلت اليه نعمة فليشكرها قال كثير وانى وان صدت لمثن وصادق عليها بما كانت الينا ازلت والاصل فى ذلك الزوال والزلة
الزوال عن الحق وازله الشيطان اذا ازاله عن الحق والهبوط والنزول والوقوع نظاير وهو التحول من علو الى سفل ويقال هبطته واهبطته
والهبوط كالحدور وهو الموضع الذى يهبط من اعلى الى اسفل وقد يستعمل الهبوط بمعنى الحلول فى المكان والنزول به قال الله تعالى اهبطوا
مصرا ويقول القائل هبطنا بلد كذا اى حللنا قال زهير ما زلت ارمقهم حتى اذا هبطت ايدى الركاب بهم من راكس فلقا والعدو نقيض
الولى والعداوة المصدر واصله من المجاوزة والقرار الثبات والبقاء وضد القرار الانزعاج وضد الثبات الزوال وضد البقاء الفناء والاستقرار

الكون

الكون اكثر من وقت واحد على حال والمستقر يحتمل ان يكون بمعنى الاستقرار ويحتمل ان يكون بمعنى المكان الذى يستقر فيه والمتاع والتمتع والمتعة
والتلذذ متقاربة المعنى وكل شئ تمتعت به فهو متاع والحين والمدة والزمان متقارب والحين من غير هذا الموضع ستة اشهر يدل عليه
قوله تعالى تؤتى اكلها كل حين باذن ربها والحين يصلح للاوقات كلها الا انه فى الاستعمال فى الكثير منها اكثر المعنى ثم بين تعالى
حال ادم عليه السلام قال فازلهما الشيطان اى حملهما على الزلة نسب الازلال الى الشيطان لما وقع بدعائه ووسوسته واغوائه عنها اى
عن الجنة مما كانا فيه من عظيم الرتبة والمنزلة والشيطان المراد به ابليس فاخرجهما مما كانا فيه من النعمة والدعة ويحتمل ان يكون اراد
من الطاعة الى المعصية واضاف الاخراج اليه لانه كان السبب فيه كما يقال صرفنى فلان عن هذا الامر ولم يكن اخراجهما من الجنة واهباطهما
الى الارض على وجه العقوبة لان الدليل قد دل على ان الانبياء عليهم السلام لا يجوز عليهم القبايح على حال ومن اجاز العقاب على الانبياء فقد
اساء عليهم الثناء واعظم الفرية على الله سبحانه واذا صح ما قلناه فانما اخرج الله ادم من الجنة لان المصلحة قد تغيرت بتناوله من الشجرة فاقتضت
الحكمة والتدبير الالهى اهباطه الى الارض وابتلاؤه بالتكليف والمشقة وسلبه ما البسه اياه من ثياب الجنة لان انعامه عليه بذلك كان على
وجه التفضل والامتنان فله ان يمنع ذلك تشديدا للبلوى والامتحان كما ان يفقر بعد الاغناء ويميت بعد الاحياء ويسقم بعد الصحة
ويعقب المحنة بعد المنحة واختلف فى كيفية وصول ابليس الى ادم وحوا حتى وسوس لهما وابليس كان قد اخرج من الجنة حين ابى السجود
وهما فى الجنة فقيل ان ادم كان يخرج الى باب الجنة وابليس لم يكن ممنوعا من الدنو منه فكان يكلمه وكان هذا قبل ان اهبط الى الارض
وبعد ان اخرج من الجنة عن ابى على الجبائى وقيل انه كلمهما من الارض بكلام عرفاه وفهماه منه وقيل انه دخل فى فقم الحية وخاطبهما من
فقمها والفقم جانب الشدق وقيل انه راسلهما بالخطاب وظاهر القران يدل على انه شافههما بالخطاب قوله وقلنا اهبطوا خاطب بخطاب
الجمع وفيه وجوه احدها انه خاطب ادم وحوا وابليس وهو اختيار الزجاج وقول جماعة من المفسرين وهذا غير منكر وان كان ابليس قد اخرج قبل
ذلك بدلالة قوله اخرج منها فانك رجيم فجمع الخبر للنبى عليه السلام لانهم قد اجتمعوا فى الهبوط وان كانت اوقاتهم متفرقة فيه كما يقال اخرج جميع
المحبس وان اخرجوا متفرقين والثانى انه اراد ادم وحوا والحية وفى هذا الوجه بعد لان خطاب من لا يفهم الخطاب لا يحسن ولانه لم يتقدم للحية
ذكر والكناية عن غير مذكور لا تحسن الا حيث لا يقع لبس مثل قوله حتى توارت بالحجاب وقوله ما ترك على ظهرها من دابة وقول حاتم اماوى ما
يغنى الثراء عن الفتى اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر والثالث انه اراد ادم وحوا وذريتهما لان الوالدين يدلان على الذرية ويتعلق بهما
والرابع ان يكون الخطاب يختص ادم وحوا عليهما السلام وخاطب الاثنين على الجمع على عادة العرب وذلك لان الاثنين اول الجمع قال الله تعالى
اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين اراد حكم داود وسليمن وقد تاول قوله تعالى فان كان له اخوة على معنى فان كان له
اخوان والخامس ادم وحوا والوسوسة عن الحسن وهذا ضعيف وقوله بعضكم لبعض عدو يعنى ادم وذريته وابليس وذريته ولم يكن
من ادم اليه ما يوجب عداوته اياه ولكن حسده الملعون وخالفه فنشات بينهما العداوة ثم ان عداوة ادم له ايمان وعداوة ابليس له
كفر وقال الحسن يريد بنى ادم وبنى ابليس وليس ذلك بامر بل هو تحذير يعنى ان الله تعالى لا يامر بالعداوة فالامر يختص بالهبوط والمعاداة تجرى
مجرى الحال لان الظاهر يقتضى انه امرهما بالهبوط فى حال عداوة بعضهم بعضا فاما على الوجه الذى يقتضى ان الخطاب يختص بادم وحوا
فالمراد به ان ذريتهما يعادى بعضهم بعضا وعلق الخطاب بهما للاختصاص بين الذرية وبين اصلهما وقوله ولكم فى الارض مستقر اى مقر
ومقام وثبوت بان جعل الارض قرارا لكم ومتاع اى استمتاع الى حين الى وقت الموت وقيل الى يوم القيمة وقيل الى فناء الاجال اى
كل امرء مستقر الى فناء اجله وقال ابو بكر السراج لو قال ولكم فى الارض مستقر ومتاع لظن انه غير منقطع فقال الى حين اى الى انقطاع
والفرق بين قول القائل ان هذا لكم حينا وبين قوله الى حين ان الى يدل على الانتهاء ولا بد ان يكون له ابتداء وليس كذلك الوجه الاخر و
فى هذه الاية دلالة على ان الله تعالى لا يريد المعصية ولا يصد احدا عن الطاعة ولا يخرجه عنها ولا يحب المعصية لانه نسب ذلك الى الشيطان
جل ربنا وتقدس عما نسبه الى ابليس والشياطين ويدل ايضا على ان لوسوسة ابليس تاثيرا فى المعاصى قوله تعالى فتلقى ادم من ربه
كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم القراءة قرا ابن كثير ادم بالنصب كلمات بالرفع وقرا الباقون برفع ادم ونصب كلمات
الحجة حجة ابن كثير فى نصب ادم انه فى المعنى كالقراءة الاخرى فان الافعال المتعدية على ثلثة اضرب منها ما يجوز فيه ان يكون الفاعل

٢٦

له مفعولا به والمفعول فاعلا نحو ضرب زيد عمرا ومنها ما لا يجوز ذلك فيه نحو اكلت الخبز ونحوه ومنها ما يكون اسناده الى الفاعل في المعنى كاسناده
الى المفعول به نحو نلت واصبت وتلقيت تقول نالني خير ونلت خيرا واصابني شيء واصبت شيئا وتلقاني زيد وتلقيت زيدا ومثل هذه الآية قوله تعالى
لا ينال عهدي الظالمين وفي حرف عبد الله فيما قيل لا ينال عهدي الظالمون اللغة التلقي نظير التلقن يقال تلقيت منه اي اخذت وقبلت
واصله من لقيت خيرا متعدي الى مفعول واحد ثم تعدى الى مفعولين بتضعيف العين نحو لقيت زيدا خيرا قوله ولقاهم نضرة وسرورا ومطاوعه
تلقيت القبول اي قبلته منه ومن ذلك قوله التي مدنية في آيات من القرآن تلقيتها من عمي تلقاها من ابي هريرة تلقاها من رسول الله صلى الله عليه وآله
وتلقيت الرجل استقبلته وتلقاني استقبلني وكلمات جمع كلمة والكلم اسم الجنس لوقوعها على الكثير من ذلك والقليل قالوا قال امرؤ القيس في كلمته
يعنون قصيدته وقال قس في كلمته يعني خطبته فهذه وقعت على الكثير وقيل لكل واحد من الكلم الثلث كلمة فوقعت على القليل من الاسم المفرد والفعل
المفرد والحرف المفرد واما الكلام فان سيبويه قد استعمله فيما كان مؤلفا من هذه الكلم وعلى هذا جاء التنزيل قال الله تعالى يريدون ان يبدلوا
كلام الله يعني به قوله فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا الآية الى قوله كذلكم قال الله من قبل يقال كلمته تكليما
وكلاما وتكلم تكلما والكلم الجرح يعني الكلمة والكلم واصلهما باب التاثير فالكلم اثر دال على الجارح والكلام اثر دال على المعنى التي تحته والذي يجوز ان يتكلم
في حد الكلام هو انه ما انتظم من حرفين فصاعدا من هذه الحروف المعقولة اذا وقع ممن يصح منه او من قبيله الافادة وقال بعضهم هو ما انتظم
من الحروف المسموعة المتميزة احترز من الكتابة التي ليست بمسموعة وتميز من اصوات كثيرة من الطيور لانها ليست بمتميزة وينقسم الكلام الى مهمل
ومستعمل وانما اراد سيبويه بقوله ان المهمل لا يكون كلاما انه لا يكون مفيدا اذ الكلام عنده لا يقع الا على المفيد به قال ابو القاسم البلخي والتوبة
والاقلاع والانابة في اللغة نظاير وضد التوبة الاصرار والله تعالى يوصف بالتواب ومعناه انه يقبل التوبة عن عباده واصل التوبة الرجوع عما سلف
والندم على ما فرط فالله تعالى تائب على العبد بقبول توبته والعبد تائب الى الله بندمه على معصيته المعنى قوله فتلقى آدم اي قبل واخذ وتناول
على سبيل الطاعة من ربه كلمات واغنى قوله فتلقى عن ان يقول فرغب الى الله بهن او سال الله بحقهن لان معنى التلقي يفيد ذلك وبني على
حذف من الكلام اختصارا ولهذا قال تعالى فتاب عليه لانه لا يتوب عليه الا بان سال بتلك الكلمات وعلى قراءة من قرا فتلقى آدم كلمات لا يكون معنى
التلقي القبول بل معناه ان الكلمات تداركته بالنجاة والرحمة واختلف في الكلمات ما هي فقيل هي قوله ربنا ظلمنا انفسنا الآية عن الحسن وقتادة وعكرمة
وسعيد بن جبير وان في ذلك اعترافا بالخطيئة فلذلك وقعت موقع الندم وحقيقة الانابة وقيل هي قوله اللهم لا اله الا انت سبحانك وبحمدك
رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي انك خير الغافرين اللهم لا اله الا انت سبحانك وبحمدك رب اني ظلمت نفسي فارحمني انك خير الراحمين اللهم لا اله الا انت
سبحانك وبحمدك رب اني ظلمت نفسي فتب علي انك انت التواب الرحيم عن مجاهد وهو المروي عن ابي جعفر الباقر عليه السلام وقيل بل هي سبحان الله والحمد
لله ولا اله الا الله والله اكبر وقيل هي رواية تختص باهل البيت عليهم السلام ان آدم راى مكتوبا على العرش اسماء مكرمة معظمة فسال عنها فقيل له هذه
اسماء اجل الخلق عند الله منزلة والاسماء محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين فتوسل آدم الى ربه بهم في قبول توبته ورفع منزلته قوله فتاب عليه
فيه حذف اي تاب آدم فتاب الله عليه اي قبل توبته وقيل تاب عليه اي وفقه للتوبة وهداه اليها بان لقنه الكلمات حتى قالها فلما قالها قبل توبته انه هو التواب
اي كثير القبول للتوبة يقبل مرة بعد مرة وهو في صفة العباد الكثير التوبة وقيل ان معناه هو يقبل التوبة وان عظمت الذنوب فيسقط عقابها وقوله الرحيم
انما ذكره ليدل به على انه متفضل بقبول التوبة ومنعم به وان ذلك ليس على وجه الوجوب وانما قال فتاب عليه ولم يقل عليهما لانه اختصر وحذف
للايجاز والتغليب كقوله سبحانه والله ورسوله احق ان يرضوه ومعناه ان يرضوهما وقوله واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وكقول الشاعر
رماني بامر كنت منه ووالدي بريا ومن جول الطوي رماني وقول الاخر نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والراي مختلف فكذلك معنى الآية
فتاب عليهما وقال الحسن البصري لم يخلق الله آدم الا للارض ولو لم يعص لاخرجه الى الارض على غير تلك الحال وقال غيره يجوز ان يكون خلقه للارض
ان عصى ولغيرها ان لم يعص وهو الاقوى فصل مختصر في التوبة وشروطها والاختلاف فيها اعلم ان من شروط التوبة الندم على ما مضى من القبيح والعزم
على ان لا يعود الى مثله في القبح فان هذه التوبة اجمع المسلمون على سقوط العقاب عندها واختلفوا فيما عداها وكل معصية لله تعالى فانه يجب
التوبة منها والطاعة لا تصح التوبة منها وعندنا تصح التوبة اذا كانت من ترك الندب فيكون ذلك وجه الرجوع الى فعله وعلى هذا تحمل توبة الانبياء
عليهم السلام في جميع ما نطق به القرآن وقبول التوبة واسقاط العقاب عندها تفضل من الله تعالى غير واجب عليه عندنا وعند جميع المعتزلة يجب

وقد وعد الله تعالى بذلك وان كان تفضلا وعلمنا انه لا يخلف الميعاد واما التوبة من قبيح مع الاقامة على قبيح اخر يعلمه او يعتقده قبيحا فعند اكثر المتكلمين
هي صحيحة وعند ابي هاشم واصحابه لا تصح واعتمد الاولون على ان قالوا كما يجوز ان يمتنع من قبيح لقبحه مع انه يفعل قبيحا اخر وان علم قبحه كذلك يجوز ان
يندم من قبيح مع المقام على قبيح اخر يعلم قبحه واختلفوا في التوبة عند ظهور اشراط الساعة هل تصح ام لا فقال الحسن يحجب عنها عند الآيات الست وروي
عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال بادروا بالاعمال ستا طلوع الشمس من مغربها والدجال والدخان ودابة الارض وخويصة احدكم يعني الموت و
امر العامة يعني القيامة وقيل لا شك ان التوبة عند بعض هذه الآيات تحجب وعند بعضها يجوز ان تحجب والله اعلم قوله تعالى قلنا اهبطوا
منها جميعا فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون آية القراءة قرا يعقوب فلا خوف بنصب الفاء
في جميع القرآن وقرا الباقون بالرفع والتنوين واجمعوا على اثبات الالف في هداي وتحريك الياء وروي عن الاعرج بسكون الياء
وهو غلط الا ان يكون نوى الوقف وروى بعضهم هدي وهي لغة هذيل يقلبون الالف الى الياء للياء التي بعدها لان شان ياء الاضافة
ان تكسر ما قبلها فجعل قلب الالف ياء بدل كسرها لان الالف لا يتحرك فهو مثل علي ولدي وقالوا هوي وقال ابو ذؤيب سبقوا هوي
واعنقوا لهواهم فتخرموا ولكل جنب مصرع اللغة الهبوط النزول من عال الى استفال وقد يستعمل في هبوط المنزلة
قال لبيد كل بني حرة مصيرهم قل وان اكثروا من العدد ان يغبطوا يهبطوا وان امروا يوما فهم للفناء والنفد والاتيان والمجيء
والاقبال نظاير ونقيضه الذهاب والانصراف والاتباع والاقتداء والاحتذاء نظاير والتابع التالي وفي الحديث القادة والاتباع
فالقادة السادة والاتباع الذين يتبعونهم والتبيع ولد البقرة وثلاثه اتبعة والجمع تبايع والتبع الظل والخوف والجزع والفزع نظاير
ونقيض الخوف الامن وطريق مخوف يخافه الناس ومخيف يخيف الناس والحزن والغم والهم نظاير ونقيضه السرور يقال
حزن حزنا وحزن يحزن حزنا ويقال واحزنه وهو محزون ومحزن وقال قوم لا يقولون حزنه الامر ويقولون يحزنه فاذا صاروا الى
الماضية قالوا احزنه وهذا شاذ نادر لانه قد استعمل الحزن واهمل يحزن واستعمل يحزن واهمل حزن واصل الباب غلظ الهم ماخوذ
من الحزن وهو ما غلظ من الارض الاعراب اما هو ان الجزاء دخلت عليها ما فصح دخول نون التوكيد في الفعل ولو اسقطت
ما لم يجز دخول النون لانها لا تدخل في الخبر الواجب الا في القسم او ما اشبه القسم كقولك زيد ليأتينك ولو قلت بغير لام
لم يجز وكذلك تقول بعين ما ارينك وبجهد ما تبلغن وفي عضة ما ينبتن شكيرها ولو قلت بعين اراك بغير ما لم يجز
بدخول ما هنالك كدخول اللام في انها توكد اول الكلام وتوكيد النون حسن في الامر والنهي والاستفهام فيدخل النون فيه
وان لم يكن معه ما اذا كان الامر والنهي مما تشتد الحاجة الى التوكيد والاستفهام اشبه به اذا كان معناه اخبرني والنون انما تلحق للتوكيد
ولذلك كان من مواضعها ما قال الله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا قال الزجاج وانما فتحت النون في قوله ياتينكم
لسكون الياء وسكون النون الاولى قال ابو علي وان كان كذلك فانما حركت في نحو هل تضربن بحركة من الصحيح لان الساكنين لا
يلتقيان في هذه الحروف فهذا يدل على ان هذه الحركة للبناء دون ما ذكر من التقاء الساكنين وجواب الشرط بالفاء مع الشرط في
جزائه لان الشرط وجوابه بمنزلة المبتدا والخبر فكما ان المبتدا لا يتم الا بالخبر فكذلك الشرط لا يتم الا بالجزاء وذلك ان نجعل
خبر المبتدا جملة هي مبتدا وخبر كقولك زيد ابوه منطلق فكذلك ان اتى الجزاء اذا كان جوابه بالفاء وقع بعد الفاء الكلام مستانفا
صلح ان يكون جزاء وغير جزاء تقول ان تاتني فانت مكرم ولك ان تقول ان تاتني فمن يكرمك اكرمه فقوله اما ياتينكم شرط وياتينكم في موضع
الجزم بان وجواب الفاء وما بعدها من قوله فمن تبع هداي الآية ومن في موضع رفع بالابتداء وتبع في موضع الجزم بالشرط وجواب الفا
وما بعدها وهو قوله فلا خوف عليهم ولا خوف عليهم جملة اسمية ولا هم يحزنون جملة اسمية معطوفة على الجملة التي قبلها والفا
مع ما بعدها في موضع جزم بالجزاء فقوله فمن تبع هداي فالشرط والجزاء مع معنى حرف الشرط الذي تضمنه من في موضع الرفع بانها
خبر المبتدا الذي هو من ثم الفاء وما بعدها من قوله فمن تبع هداي الآية في موضع جزم بانه جزاء لقوله اما ياتينكم وهذا في
المقدمات القياسية يسمى الشرطية المركبة وذلك ان المقدم فيها اذا وجب وجب التالي المركب عليه المعنى
ثم بين تعالى اهباطهم الى الارض فقال اهبطوا اي انزلوا والخطاب لآدم وحوا على ما ذكرناه من الاختلاف فيه فيما تقدم

واختلف في تكرار الهبوط فقيل الهبوط الاول من الجنة الى السماء وهذا الهبوط من السماء الى الارض عن ابي علي وقيل المكرر للتأكيد
وقيل للتأكيد لاختلاف الحالين فقد بين بقوله وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ان الاهباط انما كان في حال عداوة بعضهم لبعض
وبين بقوله قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم مني هدى ان الاهباط انما كان للابتلاء والتكليف كما يقال اذهب سالما معافى
اذهب مصاحبا لو كان الذهاب واحدا لاختلاف الحالين فاما يأتينكم مني هدى اي بيان ودلالة وقيل انبياء ورسل وعلى هذا
القول الاخير يكون الخطاب في قوله اهبطوا لآدم وحوا وذريتهما كقوله فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين
اي اتينا بما فينا من الخلق طائعين فمن تبع هداي اي اقتدى برسلي واحتذى ادلتي فلا خوف عليهم حين يخاف اهل النار يوم القيمة من العقاب
ولا هم يحزنون على فوات الثواب فاما الخوف والحزن في الدنيا فانه يجوز ان يلحقهم لان من المعلوم ان المؤمنين لا ينفكون منه وفي
الاية دلالة على ان الهدى قد يثبت ولا اهتداء لانه لو اهتدى لما علق الاتباع بالقول فقوله تعالى والذين كفروا وكذبوا
بآياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون . الاية اللغة الكفر والتكذيب قد مضى معناهما فيما تقدم ذكره والايات
جمع اية ومعنى الاية في اللغة العلامة ومنه قوله عفا اولها واخرها ولد مثاب اي علامة لاحباب دخانها وكل اية من كتاب الله
علامة ودلالة على المضمون فيها وقال ابو عبيدة معنى الاية انها علامة لانقطاع الكلام الذي قبلها وانقطاعه من الذي بعدها
وقيل ان الاية القصة والرسالة قال كعب بن زهير الا ابلغا هذا المعرض اية ايقظان قال القول اذ قال ام حلم اي رسالة
فعلى هذا يكون معنى الايات القصص اي قصة تلو قصة وقال ابن السكيت خرج القوم بآيتهم اي بجماعتهم والاصحاب لم يدعوا
وراءهم شيئا وعلى هذا يكون معنى الاية من كتاب الله جماعة حروف دالة على معنى مخصوص والاصحاب جمع صاحب
واصل الصحبة المقارنة والصاحب هو الحاصل مع غيره مدة لانه اذا اجتمع معه وقتا واحدا لم يكن صاحبه لكن يقال صحبه
وقتا من الزمان ثم فارقه الاعراب موضع اولئك يحتمل ثلاثة اوجه احدها ان يكون بدلا من الذين او عطف بيان واصحاب النار
بيان عنه او لكن اجراه مجرى الوصف والخبر هم فيها خالدون والثاني ان يكون ابتداء وخبره في موضع خبر الاول والثالث
ان يكون على خبرين بمنزلة خبر واحد كقولك حلو حامض فان قيل لم دخلت الفاء في موضع خبر مثل قوله فاولئك لهم عذاب
مهين ولم يدخل ههنا قلنا لان ما دخل فيه الفاء من خبر الذي واخواته مشبه بالجزاء وما لم يكن فيه فاء فهو على اصل الخبر
واذا قلت مالي فهو لك ان اردت معنى الذي جاز وان اردت المال لم يجز المعنى الذين كفروا اي جحدوا وكذبوا
بآياتنا اي دلالاتنا وما انزلنا على الانبياء اولئك اصحاب النار اي الملازمون للنار هم فيها خالدون اي دائمون
وفي هذه الاية دلالة على ان من مات مصرا على كفره غير تائب وكذب بآيات ربه فهو مخلد في نار جهنم وآيات الله دلائله
وكتبه المنزلة على رسله والاية مثل الحجة والدلالة وان كان بينهما فرق في الاصل فيقال دلالة هذا الكلام كذا ولا يقال اية
ومن استدل بهذه الاية على ان عمل الجوارح قد يكون من الكفر بقوله وكذبوا بآياتنا فقوله بعيد لان التكذيب
نفسه وان لم يكن كفرا فهو دلالة على الكفر لانه لا يقع الا من كافر كالسجود للشمس وغيره قوله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي
التي انعمت عليكم واوفوا بعهدي اوف بعهدكم واياي فارهبون اية القراءة القراءة المشهورة اسرائيل مهموز ممدود مشبع وهو
صحيح وروي في الشواذ عن الحسن والزهري اسرايل بلا همز ولا مد وعن الاعمش وعيسى بن عمر كذلك وحكي عن الاعمش اسرئل
بكسر الهمزة من غير ياء وحكى قطرب اسرال من غير همز ولا ياء واسراين بالنون وقال ابو علي العرب اذا نطقت بالاعجمي
خلطت فيه وانشد هل تعرف الدار لام الخزرج منها فظلت اليوم كالمزرج يريد المزرجن وهو الخمر من الزرجون
النون في زرجون اصل كالسين في قربوس فاذا جاز للعرب ان تخلط فيما هو من لغتها فكيف فيما ليس من لغتها واختير تحريك
الياء في قوله نعمتي التي انعمت لانه لقيتها الف الوصل واللام فلم يكن بد من اسقاطها او تحريكها فكان التحريك اولى
لانه ادل على الاصل واشكل بما يجيء الالف في الاستيناف من فتح الف الوصل واسكان الياء في قوله يا عبادي الذين
اسرفوا اذ الاسقاط ههنا اجود لانه من حيث الاضافة الاثبات في السواد فاثبت فالاحرى تحريكها

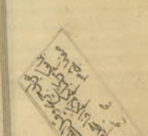
قوله والله

قوله ه

قوله الاخفش

والاختيار في قوله فبشر عبادي الذين يستمعون القول حذف الياء لانه رأس اية ورؤوس الآي لا تثبت فيها الياء لانها
فواصل ينوى فيها الوقف كما يفعل ذلك في القوافي واجمعوا على اسقاط الياء من قوله فارهبون الا ابن كثير فانه اثبتها
في الوصل دون الوقف والوجه حذفها لكراهية الوقف على الياء وفي كل نون ولانه على خط المصحف اللغة
الابن والولد والنسل والذرية متقاربة المعنى الا ان الابن للذكر والولد يقع على الذكر والانثى والنسل والذرية يقع على جميع ذلك
واصله من البناء وهو وضع الشيء على الشيء فالابن مبني على الاب لان الاب اصل والابن فرع والبنوة مصدر الابن وان كان من الياء
كالفتوة مصدر الفتى وتثنيته فتيان واسرائيل هو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم وقيل اصله مضاف لان اسرا معناه عبد وايل هو الله
بالعبرانية فصار مثل عبد الله وكذلك جبرئيل وميكائيل والذكر الحفظ للشيء تذكره وضده النسيان والذكر جرى الشيء
على لسانك والذكر الشرف في قوله وانه لذكر لك ولقومك والذكر الكتاب الذي فيه تفصيل الدين وكل كتاب من كتب الانبياء
ذكر والذكر الصلوة والدعاء وفي الاثر كانت الانبياء اذا حزنهم امر فزعوا الى الذكر اي الى الصلوة واصل الباب التنبيه على الشيء
قال صاحب العين تقول وفيت بعهدك وفاء ووفيت لغة تهامة قال الشاعر في الجمع بين اللغتين اما ابن عوف فقد
اوفى بذمته كما وفى بقلاص النجم حاديها يعني الدبران وهو التالي والعهد الامر والعهد الوصية والرهبة الخوف وضدها
الرغبة وفي المثل رهبوت خير من رحموت اي لان ترهب خير من ان ترحم الاعراب يا حرف النداء وبني في موضع نصب
لان بني منادى مضاف واسرائيل في موضع جر لانه مضاف اليه وفتح لانه غير منصرف وفيه سببان العجمة والتعريف
وقوله واياي ضمير منصوب ولا يجوز ان يكون منصوبا بقوله فارهبون لانه مشغول كما لا يجوز ان تقول ان زيدا في قولك
زيدا فاضربه منصوب يكون منصوبا بقوله فاضربه لكنه يكون منصوبا بفعل يدل عليه ما هو مذكور في اللفظ تقديره واياي
فارهبوا فارهبون ولا يظهر ذلك لانه استغني عنه بما يفسره واوضح تقديره ولا يجوز ان في مثله الرفع على ان يكون الخبر
فارهبون الا على تقدير محذوف كما انشد سيبويه وقائلة خولان فانكح فتاتهم واكرومة الحيين خلو كما هيا تقديره هؤلاء خولان
فانكح فتاتهم وعلى ذلك حمل قوله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما والزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما تقديره فيما
يتلى عليكم السارق والسارقة فاقطعوا ايديهما والزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما المعنى لما اعلم الله تعالى جميع الخلق
بالحجج الواضحة على توحيده وذكرهم ما انعم به عليهم في ابيهم ادم خص بني اسرائيل بالحجج وذكرهم ما اسدى اليهم والى آبائهم
من النعم فقال يا بني اسرائيل يعني يا بني يعقوب نسبهم الى الاب الاعلى كما قال يا بني آدم والخطاب لليهود والنصارى وقيل هو خطاب
لليهود الذين كانوا بالمدينة وما حولها عن ابن عباس اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم اراد بذلك النعم التي انعمها على اسلافهم
من كثرة الانبياء فيهم والكتب وانجائهم من فرعون ومن الغرق على اعجب الوجوه وانزال المن والسلوى عليهم وكون الملك فيهم
في زمان سليمان عليه السلام وغير ذلك وعد النعمة على ابائهم نعمة عليهم لانهم لا يزالون يفتخرون بفضيلة الاباء وهذا كما يقال في المفاخرة
قتلناكم يوم الفجار وهزمناكم يوم ذي قار وغلبناكم يوم النسار وذكر النعمة بلفظ الواحد والمراد بها الجنس كقوله تعالى وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها والواحد لا يمكن عده وقيل المراد بها النعم الواصلة اليهم مما اختصوا به دون ابائهم او اشتركوا فيه مع ابائهم فكان نعمة على الجميع
ذلك تبقية ابائهم حتى تناسلوا فصاروا من اولادهم ومن ذلك خلقه اياهم على وجه يمكنهم معه الاستدلال على توحيده
والوصول الى معرفته فيشكروا نعمه ويستحقوا ثوابه ومن ذلك ما وصل اليهم حالا بعد حال من الرزق ودفع عنهم من المكاره
والاسواء وما يسبغ عليهم من نعم الدين والدنيا فعلى القول الاول تكون الاية تذكيرا بالنعم عليهم في اسلافهم وعلى القول الثاني يكون تذكيرا
بالنعم عليهم ومن النعم على اسلافهم ما ذكر في قوله واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا
وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين وقال ابن الانباري اراد اذكروا ما انعمت به عليكم فيما استودعكم من علم التورية وبينت
لكم من صفة محمد صلى الله عليه وآله والزمتكم من تصديقه واتباعه فلما بعث ولم يتبعوه كانوا كالناسين لهذه النعمة وقوله واوفوا بعهدي اوف
بعهدكم قيل فيه وجوه احدها ان هذا العهد هو ان الله تعالى عهد اليهم في التورية انه باعث نبيا يقال له محمد فمن تبعه

كان له اجران اثنان اجر باتباعه موسى وايمانه بالتورية واجر باتباعه محمدا صلى الله عليه وآله وايمانه بالقرآن ومن كفر به تكاملت اوزاره وكانت النار جزاؤه
فقال اوفوا بعهدي في محمد اوف بعهدكم ادخلكم الجنة عن ابن عباس وسمي ذلك عهدا لانه تقدم به اليهم في الكتاب السابق
وقيل انما جعله عهدا لتأكيده بمنزلة العهد الذي هو اليمين كما قال سبحانه واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه
للناس ولا تكتمونه وثانيها انه العهد الذي عاهدهم عليه حيث قال خذوا ما آتيناكم بقوة اي بجد واذكروا ما فيه اي ما في الكتاب
من الحث وثالثها انه ما عاهدهم في سورة المائدة حيث قال ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا
وقال الله اني معكم لئن اقمتم الصلوة وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلي الآية عن قتادة ورابعها انه اراد جميع الاوامر والنواهي وخامسها
انه جعل تعريفه اياهم نعمه عهدا عليهم وميثاقا لانه يلزمهم القيام بما يأمرهم به من شكر هذه النعم كما يلزمهم الوفاء بالعهد والميثاق الذي يوخذ عليهم
والاول اقوى لان عليه اكثر المفسرين وبه يشهد القرآن وقوله واياي فارهبون اي خافوني في نقض العهد وفي هذه الآية دلالة
على وجوب شكر النعمة وفي الحديث التحدث بالنعم شكر وفيها دلالة على عظم المعصية في جحد النعم وكفرانها ولحوق الوعيد الشديد
بكفرانها وتدل ايضا على ثبوت افعال العباد اذ لو لم تكن لهم افعال لما صح العهد والامر والنهي والوعد والوعيد ولادى الى بطلان
الرسل والكتب قوله تعالى وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا اول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا واياي فاتقون
اية اللغة قوله اول كافر به قال الزجاج فيه قولان قال الاخفش معناه اول من كفر به وقال بعض النحويين
معناه اول فريق كافر به اي اول الشيوخ قال وكلا القولين صواب حسن ونظير قوله اول كافر به قول الشاعر فاذا هم طعموا فالام طاعم
واذا هم جاعوا فشر جياع والثمن والعوض والبدل نظائر وبينها فرق فالثمن هو البدل في البيع من العين او الورق واذا استعمل في
غيرهما كان تشبيها بهما ومجازا والعوض هو البدل الذي ينتفع به كائنا ما كان والبدل هو الشيء الذي يجعل مكان غيره وثوب ثمين
كثير الثمن والثمين الثمن والفرق بين الثمن والقيمة ان الثمن قد يكون وفقا وقد يكون بخسا وقد يكون زائدا والقيمة لا تكون
الا مساوية المقدار للمثمن من غير نقصان ولا زيادة الاعراب مصدقا نصب لانه حال من الهاء المحذوفة من انزلت كانه قال انزلته
مصدقا ويصلح ان ينتصب بآمنوا كانه قال آمنوا بالقرآن مصدقا ومعكم صلة لما والعامل فيه الاستقرار اي الذي استقر معكم فالهاء
في به عائد الى ما في قوله بما انزلت او الى ما في قوله لما معكم ونصب اول كافر لانه خبر كان المعنى ثم قال مخاطبا لليهود وآمنوا اي صدقوا
بما انزلت على محمد صلى الله عليه من القرآن لانه منزل من السماء الى الارض مصدقا لما معكم من التورية امرهم بالتصديق بالقرآن واخبرهم ان في
تصديقهم بالقرآن تصديقا منهم للتورية لان الذي في القرآن من الامر بالاقرار بالنبوة لمحمد صلى الله عليه وتصديقه نظير الذي في التورية والانجيل
فان فيهما البشارة بمحمد صلى الله عليه وبيان صفته فالقرآن مصدق لهما وقيل معناه انه مصدق بالتورية لان فيها الدلالة على انه حق
وانه من عند الله تعالى والاول الوجه لانه لا يكون حجة عليهم ان جاء القرآن بالصفة التي تقدمت بها بشارة موسى وعيسى عليهما السلام
ولا تكونوا اول كافر به اي بالقرآن من اهل الكتاب لان قريشا قد كانت كفرت به بمكة قبل اليهود وقيل المعنى ولا تكونوا السابقين
الى الكفر فيتبعكم الناس اي لا تكونوا ائمة في الكفر به عن ابي العالية وقيل المعنى ولا تكونوا اول جاحد لصفة النبي صلى الله عليه في
كتابكم فقد كفر به اليهود الى النبي صلى الله عليه فقد كفرتم به قاله الزجاج وقوله بان الخطاب توجه على علماء اهل الكتاب
فاذا كفروا كفر معهم الاتباع فلذلك قيل لهم ولا تكونوا اول كافر به وقال ولو كان الهاء في به للقرآن فلا مانع لانهم كانوا نظيره في
انهم كافرون بالقرآن وقال علي بن عيسى يحتمل ان يكون اول كافر بالقرآن لانه حق في كتابكم وانما عظم اول الكفر
لانهم اذا كانوا ائمة لهم وقدوة في الضلالة كانت ضلالتهم اعظم نحو ما روي عن النبي صلى الله عليه من سن سنة حسنة فله
اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيمة ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة وليس
في نهيه عن ان يكونوا اول كافر به دلالة على انه يجوز ان يكونوا آخر كافر لان المقصود النهي عن الكفر على كل حال وخص اول
بالذكر لما ذكرناه من عظم موقعه كما قال الشاعر من اناس ليس في اخلاقهم عاجل الفحش ولا سوء الجزع
وليس يريد ان فيهم فحشا آجلا وقوله ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا روي عن ابي جعفر عليه السلام في هذه الآية قال كان



حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف وآخرون من اليهود لهم مأكلة على اليهود في كل سنة فكرهوا بطلانها بامر النبي صلى الله عليه وآله فحرفوا لذلك
آيات من التورية فيها صفته وذكره فذلك الثمن الذي اريد في الآية قال الفراء انما ادخل الباء في الآيات دون الثمن
وفي سورة يوسف ادخلها في الثمن في قوله وشروه بثمن بخس دراهم معدودة لان العروض كلها انت مخير فيها ان شئت قلت اشتريت
الثوب بكساء وان شئت قلت اشتريت بالثوب كساء ايهما جعلت ثمنا لصاحبه جاز فاذا جئت الى الدراهم والدنانير وضعت الباء
في الثمن كقوله وشروه بثمن بخس دراهم لان الدراهم ثمن ابدا والمعنى لا تستبدلوا بالآيات التي في التورية من بيان صفة محمد ونعته ثمنا قليلا
اي عرضا يسيرا من الدنيا واياي فاتقون فاخشوني في امر محمد صلى الله عليه لا ما يفوتكم من المآكل والرياسة وتقييده الثمن بالقلة لا يدل على انه
اذا كان كثيرا يجوز شراؤه به لان المقصود منه ان كل شيء يعاوضه آيات الله كان قليلا وانه لا يجوز ان يكون ثمن يساويه كقوله ومن يدع مع الله الها آخر
لا برهان له به وانما اراد بذلك نفي البرهان عنه على كل حال وانه لا يجوز ان يكون عليه برهان ومثله قوله ويقتلون النبيين بغير
حق وانما اراد ان قتلهم لا يكون الا بغير حق ونظاير ذلك كثيرة ومنه قول امرئ القيس على لاحب لا يهتدى بمناره اذا ساقه العود
الديافي جرجرا وانما اراد بذلك انه لا منار هناك فيهتدى به وفي هذه الآية دلالة على تحريم اخذ الرشى في الدين لانه لا يخلو اما ان
يكون امرا يجب اظهاره او يحرم اظهاره فالاخذ على مخالفته كلاهما حرام وهذا الخطاب يتوجه ايضا على علماء السوء من
هذه الامة اذا اختاروا الدنيا على الدين فيدخل فيه الشهادات والقضايا والفتاوى ونحو ذلك قوله تعالى ولا تلبسوا الحق
بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون اية اللغة اللبس والتغطية والتعمية نظاير والفرق بين التغطية والتعمية ان التغطية تكون
بالزيادة والتعمية قد تكون بالنقصان والزيادة وضد اللبس الايضاح واللبس ما واريت به جسدك ولباس التقوى الحياء واللبس
خلط الامور بعضها ببعض والفعل لبس الامر يلبسه لبسا ولبس الثوب يلبسه لبسا والفرق بين اللبس والاخفاء ان الاخفاء يمكن ان يدرك
معه المعنى ولا يمكن مع اللبس ادراك المعنى والاشكال قد يدرك معه المعنى الا انه بصعوبة لاجل التعقيد وقال امير المؤمنين عليه السلام
للحرث بن حوط يا حار انه ملبوس عليك ان الحق لا يعرف بالرجال اعرف الحق تعرف اهله والباطل والبطل واحد وهو ضد الحق
والبطلان والفساد والكذب والزور والبهتان نظاير وابطلت الشيء جعلته باطلا وابطل الرجل جاء بالباطل الاعراب
قوله وتكتموا الحق يحتمل وجهين من الاعراب احدهما الجزم على النهي كانه قال لا تلبسوا الحق ولا تكتموا فيكون عطف جملة على جملة
والآخر النصب على الظرف باضمار ان فيكون عطفا لاسم على مصدر الفعل الذي قبله وتقديره لا يكن منكم لبس الحق وكتمانه
ودل تلبسوا على لبس كما تقول من كذب كان شرا له فكذب يدل على الكذب فكانه قال من كذب كان الكذب شرا له
قال الشاعر لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم اي لا يجتمع النهي عن خلق واتيانك مثله
المعنى ولا تلبسوا اي لا تخلطوا الحق بالباطل ومعنى لبسهم الحق بالباطل انهم آمنوا ببعض الكتاب وكفروا
ببعض لانهم جحدوا صفة النبي صلى الله عليه فذلك الباطل واقروا بغيره مما في الكتاب وقيل معناه لا تحرفوا الكلم
عن مواضعه والتحريف هو الباطل وتركه ما في الكتاب على ما هو به هو الحق وقال ابن عباس لا تخلطوا الصدق
بالكذب وقيل الحق التورية التي انزلها الله على موسى والباطل ما كتبوه بايديهم وقيل الحق اقرارهم ان محمدا
مبعوث الى غيرهم والباطل انكارهم ان يكون بعث اليهم وقوله وتكتموا الحق وانتم تعلمون اي لا تكتموا صفة النبي صلى الله عليه
في التورية وانتم تعلمون انه حق والخطاب متوجه الى رؤساء اهل الكتاب كما وصفهم بانهم يحرفون الكلم عن
مواضعه للتلبيس على اتباعهم وهذا تقبيح لما يفعلونه اي يجحدون ما يعلمون وجحد العالم اعظم من جحد الجاهل
وقيل معناه وانتم تعلمون البعث والجزاء وقيل معناه وانتم تعلمون ما انزل وبينه لمن كذب على الله تعالى
وقيل معناه وانتم تعلمون ما نزل ببني اسرائيل من المسخ وغيره فان قيل كيف يجوز ان يكون هؤلاء عارفين بنبوة محمد
وذلك مبني على معرفة الله وعندكم ان من عرف الله لا يجوز ان يكفر وهؤلاء صاروا كفارا وماتوا على كفرهم قلنا لا يمتنع
ان يكونوا عرفوا الله على وجه لا يستحق به الثواب لان الثواب انما يستحق بان ينظروا امنا لوجه

الذي يستحق به الثواب فإذا نظروا أعلم من ذلك الوجه لا يستحقون الثواب فهل هذا يجوز أن يكونوا عارفين بالله وبالتورية
وبصفات النبي ص وإن لم يستحقوا الثواب ولا يمتنع أن يكون واوه للعطف حكاية استحقاقهم الثواب مشروطا بالموافاة وإذا لم
يوافوا بالإيمان لم يستحقوا الثواب فهل هذا يجوز أن يكونوا عارفين وإن لم يكونوا مستحقين الثواب بطل بالكفر والمعتمد الأول

قوله تعالى وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واركعوا مع الراكعين. اللغة أصل الصلوة عند أكثر أهل اللغة الدعاء على ما ذكرناه
قبل ومنه قول الأعشى تقول بنتي وقد قربت مرتحلا يا رب جنب أبي الأوصاب والوجعا عليك مثل الذي صليت فاغتمضي نوما
فإن لجنب المرء مضطجعا أي دعوت وقيل أصلها اللزوم من قول الشاعر لم أكن من جناتها علم الله وإني بحرها اليوم صال أي ملازم
لحرها فكان المعنى الصلوة ملازمة العبادة على الحد الذي أمر الله تعالى به وقيل أصلها من الصلا وهو عظم العجز لرفعه في الركوع والسجود
ومنه قول النابغة فآب مصلوه بعين جلية وغودر بالجولان حزم ونائل أي الذين جاؤوا في صلا السابق والقول الأول أكثر
وقد بينا معنى إقامة الصلوة فيما مضى والزكوة والنماء والزيادة نظائر في اللغة وقال صاحب العين الزكوة زكوة
المال وهو تطهيره وزكا الزرع وغيره يزكو زكاء ممدودا أي نمى وازداد وهذا لا يزكو بفلان وازكا الشفع إذا خسا الوتر
وأصله تثمير المال بالبركة التي يجعلها الله فيه والركوع والانحناء والانخفاض نظائر في اللغة قال ابن دريد الراكع الذي يكب على
وجهه ومنه الركوع في الصلوة قال الشاعر فأفلت حاجب فوق العوالي على شقاء تركض في الظراب وقال صاحب العين
كل شيء ينكب لوجهه فتمس ركبته الأرض أو لا تمس بعد أن يطأطئ رأسه فهو راكع قال الشاعر ولكني أنص العيس تدمى أظلها
وتركع بالحزون وقال لبيد أخبر أخبار القرون التي مضت أدب كأني كلما قمت راكع وقيل إنه مأخوذ من الخضوع قال الشاعر
لا تهين الفقير علك أن تركع يوما والدهر قد رفعه والأول أقوى وإنما يستعمل في الخضوع توسعا ومجازا المعنى
وأقيموا الصلوة أي أدوها بأركانها وحدودها وشرائطها كما بينها النبي ص وآتوا الزكوة أي أعطوا ما فرض الله عليكم في أموالكم على
ما بينه الرسول لكم وهذا حكم جميع ما ورد في القرآن مجملا فإن بيانه يكون موكولا إلى النبي ص كما قال سبحانه وما آتيكم الرسول فخذوه
وما نهيكم عنه فانتهوا فلذلك أمرهم بالصلوة والزكوة على طريق الإجمال وأحال في التفصيل على بيانه وقوله واركعوا مع
الراكعين إنما خص الركوع بالذكر وهو من أفعال الصلوة بعد قوله وأقيموا الصلوة لأحد وجوه أحدها أن الخطاب لليهود ولم
يكن في صلاتهم ركوع وكان الأحسن ذكر المختص دون المشترك لأنه أبعد من اللبس وثانيها أنه عبر بالركوع عن الصلوة يقول القائل فرغت
من ركوعي أي صلوتي وإنما قيل ذلك لأن الركوع أول ما يشاهد من الأفعال التي يستدل بها على أن الإنسان يصلي فكأنه كرر ذكر الصلوة
تأكيدا عن أبي مسلم ويمكن أن يكون فيه فائدة تزيد على أن الإنسان يحصل التأكيد وهو أن قوله وأقيموا الصلوة إنما يفيد وجوب إقامتها
ويحتمل أن يكون إشارة إلى صلاتهم التي يعرفونها وأن يكون الصلوة إشارة إلى الصلوة الشرعية وقوله اركعوا مع الراكعين
يكون معناه صلوا مع هؤلاء المسلمين الراكعين فيكون مخصصا بالصلوة المتقررة في الشرع فلا يكون تكرارا بل يكون بيانا
وثالثها أنه حث على صلوة الجماعة لتقدم ذكر الصلوة في أول الآية

قوله تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون. اللغة البر والصلة والإحسان نظائر يقال فلان بار
وصول محسن وضد البر العقوق ورجل بار وبر وبرت يمينه صدقت وبر حجه وبر لهما وقولهم لا يعرف الهر من البر
قال الأخفش معناه لا يعرف من يهر عليه ممن يبره وقال المازني الهر السنور والبر الفأرة أو دويبة تشبهها
والفرق بين البر والخير أن البر يدل على قصد والخير قد يقع على وجه السهو والنسيان والسهو والغفلة نظائر وضد النسيان
الذكر وحقيقته عزوب الشيء عن النفس بعد حضوره وهو عدم علم ضروري بن فعل أشياء والسهو قد يقع عما كان الإنسان
عالما به وعما لم يكن عالما وقد يكون النسيان بمعنى الترك نحو قوله تعالى نسوا الله فنسيهم أي تركوا ذكر الله فخذلهم والتلاوة
القراءة تلا يتلو تلاوة أي قرأ وتلا يتلو تلوا أي تبع وأصل التلاوة منه لاتباع بعض الحروف فيها بعضا والفرق بين
التلاوة والقراءة أن أصل القراءة جمع الحروف وأصل التلاوة اتباع الحروف والعقل والفهم والمعرفة واللب

نظائر ورجل عاقل فهم لبيب ذو معرفة وضد العقل الحمق يقال عقل الشيء عقلا وأعقله غيره وقيل لابن عباس أنى لك هذا
العلم قال قلب عقول ولسان سؤول قال صاحب كتاب العين العقل ضد الجهل يقال عقل الجاهل إذا علم وعقل المريض
بعدما هجر وعقل المعتوه ونحوه والعقال الرباط يقال عقلت البعير عقلا إذا شددت يده بالعقال والعقل مجموع علوم لأجلها
يمتنع الحي من كثير من القبائح ويفعل كثيرا من الواجبات وإنما سميت تلك العلوم عقلا لأنها تعقل عن فعل القبيح وقيل لأنها تعقل
العلوم المكتسبة ولا يوصف القديم تعالى بأنه عاقل لأنه لا يعقله شيء من فعل القبيح وإنما لا يختاره لعلمه بقبحه وبأنه غني عنه ولأنه لا
يكتسب علما بأن يثبت بعض علومه ببعض وقال علي بن عيسى العقل هو العلم الذي يزجر عن قبيح الفعل ومن كان زاجره أقوى
فهو أعقل وقيل العقل معرفة يفصل بها بين الحسن والقبيح في الجملة وقيل هو القوة التي بها فارق الإنسان جميع الحيوان وهذه العبارات
قريبة المعاني بعضها من بعض والفرق بين العلم والعقل أن العقل قد يكمل لمن فقد بعض العلوم ولا يكمل العلم لمن فقد بعض عقله فإن قيل
إذا كان العقل مختلفا فيه فكيف يجوز أن يستشهد به قلنا إن الاختلاف في ماهية العقل لا يوجب الاختلاف في قضاياه ألا ترى أن الاختلاف
في معنى العقل حتى أن بعضهم قال معرفة وبعضهم قال قوة لا يوجب الاختلاف في أن المائة أكثر من واحد وأن الكل أعظم من الجزء ونحو ذلك من
قضايا العقول المعنى هذا خطاب لعلماء اليهود وكانوا يقولون لأقربائهم من المسلمين اثبتوا على ما أنتم عليه ولا يؤمنون هم والألف للاستفهام
ومعناه التوبيخ والمراد بالبر الإيمان بمحمد ص وبخهم الله تعالى على ما كانوا يفعلون من أمر الناس بالإيمان بمحمد ص وترك أنفسهم عن ذلك وقيل إن القوم
كانوا يأمرون العرب بالإيمان بمحمد ص إذا بعث فلما بعث كفروا به وروي عن ابن عباس أن المراد أنهم كانوا يأمرون أتباعهم بالتمسك بالتورية
وتركوا هم التمسك لأن جحودهم للنبي ص وصفته فيه ترك التمسك به وعن قتادة كانوا يأمرون الناس بطاعة الله وهم يخالفونه وروى
أنس بن مالك قال قال رسول الله صلعم مررت ليلة أسري بي على أناس تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من هؤلاء يا
جبرئيل قال هم خطباء من أهل الدنيا ممن كانوا يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وقال بعضهم أمروا الناس بالصدقة وتركوها أنتم
وإذا أتاكم الضعفاء بالصدقة لتفرقوها على المساكين خنتم فيها وقوله وأنتم تتلون الكتاب معناه وأنتم تقرؤون التورية وفيها صفته
ونعته عن ابن عباس وقوله أفلا تعقلون أي أفلا تفهمون أن ما تفعلونه قبيح في العقول وعن أبي مسلم معناه أن هذا ليس بفعل من يعقل
وقيل معناه أفلا تعلمون أن الله يعذبكم ويعاقبكم على ذلك وقيل أفلا تعقلون أن ما في التورية حق فتصدقوا محمدا ص وتتبعوه فإن قيل
إذا كان فعل البر واجبا والأمر به واجبا فلماذا وبخهم الله تعالى على الأمر بالبر قلنا لم يوبخهم الله تعالى على الأمر بالبر وإنما وبخهم على ترك فعل
البر المضموم إلى الأمر بالبر لأن ترك البر ممن يأمر به أقبح من تركه ممن لا يأمر به فهو كقول الشاعر لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت
عظيم ومعلوم أنه لم يرد به النهي عن الخلق المذموم وإنما نهى عن إتيان مثله

قوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلوة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين اللغة الصبر منع النفس محابها وكفها عن هواها ومنه الصبر على المصيبة لكف الصابر نفسه عن الجزع ومنه
جاء في الحديث وهو شهر الصبر شهر رمضان لأن الصائم يصبر نفسه ويكفها عما يفسد الصيام وقيل فلان صبرا وهو أن ينصب
للقتل ويحبس عليه حتى يقتل وكل من حبسته لقتل أو يمين يقال قتل صبرا ويمين صبر وصبرته أي حلفته بالله جهد القسم
وفي الحديث اقتلوا القاتل واصبروا الصابر وذلك فيمن أمسكه حتى قتله آخر فأمر بقتل القاتل وحبس الممسك والخشوع
والخضوع والتذلل والإخبات نظائر وضد الخشوع الاستكبار وخشع الرجل إذا رمى ببصره إلى الأرض وخشع إذا طأطأ
رأسه كالمتواضع والخشوع قريب المعنى من الخضوع إلا أن الخضوع في البدن والإقرار بالاستخدام والخشوع في الصوت والبصر
قال سبحانه خاشعة أبصارهم وخشعت الأصوات للرحمن أي سكنت وأصل الباب من اللين والسهولة والخاشع والمتواضع
المتذلل والمستكين بمعنى قال الشاعر لما أتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة والجبال الخشع

الإعراب قوله وإنها لكبيرة اللام تدخل في خبر إن ولا تدخل في خبر أخواتها لأنها لام التأكيد وهي
شبيهة بإن في أنها تدخل في المبتدأ والخبر كما تدخل إن وتدخل أيضا القسم كما تدخل إن تقول والله لتخرجن كما تقول
والله إنك لخارج فإذا كان بينهما هذه المجانسة فإذا دخلت على إن في نحو لأنها لكبيرة كرهوا أن يجمعوا بين

حرفين متشاكلين متفقين في المعنى فاحتيج للام الى الجر ليفصل بين اللام وبين ان بالاسم بخلافها الكبيرة فاما سائر اخوات
ان فهي تركب مع المبتدا وخبره فخرج المبتدا وخبره عن صورة المبتدا وتنصب فيهما اسم فلا يدخل اللام عليه
كان بالحرفين فلا يدخل على خبره النزول قال الجبائي انه خطاب للمسلمين دون اهل الكتاب وقال الرماني وغيره
هو خطاب لاهل الكتاب يتناول المؤمنين على وجه التاديب والاولى ان يكون خطابا للجميع مكلفين لفقد الدلالة على التخصيص
ويؤيد قول من قال انه خطاب لاهل الكتاب ان ما قبل الاية وما بعدها خطاب لهم والمعنى من قال انه خطاب لليهود قال ان حب الرياسة
كان يمنع علماء اليهود عن اتباع النبي صلعم لانهم خافوا زوال الرياسة لو اتبعوه فامرهم الله تعالى وقال واستعينوا على الوفاء بعهدي
الذي عاهدتكم في كتابكم عليه من طاعتي واتباع امري وترك ما تهونه والتسليم لامري واتباع رسولي محمد بالصبر على ما انتم فيه من
ضيق المعاش الذي تاخذون الاموال من عوامكم بسببه وروي عن ائمتنا ان المراد بالصبر الصوم فيكون فائدة الاستعانة به انه
يذهب بالشره وهوى النفس كما قال صلعم الصوم وجاء وفائدة الاستعانة بالصلوة انه يتلى فيها ما يرغب فيما عند الله تعالى ويزهد في الدنيا
وحب الرياسة كما قال سبحانه ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولانها تتضمن التواضع لله تعالى فيدفع حب الرياسة وكان النبي
اذا حزنه امر استعان بالصلوة والصوم ومن قال انه خطاب للمسلمين قال المراد به استعينوا على ما ترجون من ثواب الجنة لمن اتبع
او على مشقة التكليف بالصبر اي بحبس النفس على الطاعات وحبسها عن المعاصي والشهوات وبالصلوة لما فيها من تلاوة القران
والتدبر لمعانيه والاتعاظ بمواعظه والائتمار باوامره والانزجار عن نواهيه ووجه آخر انه ليس في اعمال القلوب اعظم من الصبر ولا في
اعمال الجوارح اعظم من الصلوة فامر بالاستعانة بهما وروي عن الصادق عليه السلام انه قال ما يمنع احدكم اذا دخل عليه غم
من غموم الدنيا ان يتوضأ ثم يدخل المسجد فيركع ركعتين يدعو الله فيهما اما سمعت قول الله تعالى واستعينوا بالصبر والصلوة
وقوله تعالى وانها لكبيرة وقيل في الضمير العائد في وانها وجوه احدها انه عائد الى الصلوة لانها الاغلب والافضل وهو قول اكثر المفسرين
وعلى هذا فحذف الضمير الى واحد بعد تقدم ذكر شيئين قولان احدهما ان المراد بها الصلوة دون غيرها وخصها بالذكر لقربها
منه ولانها الاهم والافضل ولتاكيد حالها وتفخيم شانها وعموم فرضها والآخر ان المراد الاثنان وان كان اللفظ واحدا كقوله تعالى
والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها والله ورسوله احق ان يرضوه
وقول الشاعر ان شرخ الشباب والشعر الاسود ما لم يعاص كان جنونا لم يقل يعاصيا وقول الآخر فمن يك امسى بالمدينة رحله فاني وقيار
بها لغريب ويروى وقيار وقول الآخر نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والراي مختلف وقول الآخر اما الوسامة او حسن النساء
فقد اوتيت منه وان العقل محتنك ونحو ذلك كثير في الكلام وثانيها انه عائد الى الاستعانة يعني ان الاستعانة بهما لكبيرة وقوله
استعينوا يدل على الاستعانة ومثله قول الشاعر اذا نهي السفيه جرى اليه وخالف والسفيه الى خلاف اي جرى الى السفه ودل السفيه
على السفه وثالثها ان الضمير عائد الى محذوف وهو الاجابة للنبي صلعم عن الاصم او مؤاخذة النفس بهما او تادية ما تقدم او
تادية الصلوة وضروب الصبر عن القاضي او هذه الخطة عن ابي مسلم وهذه الوجوه الاخيرة كلها ضعيفة لانه لم يجر لها ذكر وقوله
لكبيرة اي ثقيلة عن الحسن وغيره والاصل فيما يكبر يثقل على الانسان حمله فيقال لكل ما يصعب على النفس انه يكبر وان لم يكن من
الحمل يكبر عليها تشبيها بذلك وقوله الا على الخاشعين اي المتواضعين لله تعالى لانهم وطنوا انفسهم على فعلها وعودوها اياها
فلا يثقل عليهم وايضا فان المتواضع لا يبالي بزوال الرياسة اذا حصل له الايمان وقال مجاهد اراد بالخاشعين المؤمنين فانهم اذا
عملوا علموا انما يحصل لهم من الثواب بفعلها لم يثقل عليهم ذلك كما ان الانسان يتجرع مرارة الدواء لما يرجوا به من نيل
الشفاء وقال الحسن اراد بالخاشعين الخائفين قوله تعالى الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون ۰ اللغة
الظن المذكور في الآية بمعنى العلم واليقين كما قال دريد بن الصمة فقلت لهم ظنوا بالفي مدجج سراتهم في الفارسي المسرد وقال
ابو داود رب هم فرجته بعزيم وغيوب كشفتها بظنون وقال المبرد ليس من كلام العرب الظن عند زيد ما لا يعني اعلم
لان العلم المشاهد لا يناسب باب الظن وقد صرح عن ذلك اوس بن حجر في قوله الالمعي الذي يظن بك الظن كان قد راى وقد

معا الحزوا لا يكم حر بها فان الظن مشبه باليقين وقال بعض المحققين اصل الظن ما يجول في الخاطر الذي يغلب
على القلب كانه حديث النفس بالشي وتاول جميع ما في القران من الظن بمعنى العلم على هذا والظن والشك والتجويز نظائر
الا ان الظن فيه قوة على احد الامرين دون الآخر وحده ما قوي عند الظان كون المظنون على ما ظنه مع تجويز ان يكون على خلافه
فبالتجويز ينفصل من العلم وبالقوة ينفصل من الشك والتقليد وغير ذلك وهو من جنس الاعتقاد عند ابي هاشم وجنس برأسه
سوى الاعتقاد عند ابي علي والقاضي وذهب اليه المرتضى قدس سره وضد الظن اليقين والظنين المتهم ومصدره الظنة والظنون
الرجل السيء الظن بكل احد والظنون البئر الذي يظن فيها الماء ولا يكون ومظنة الرجل حيث يؤلفه ويكون فيه واصل الملاقاة
الملاصقة من قولك التقى الخيلان اذا التصقا ثم كثر حتى قيل التقى الفارسان اذا تحاذيا ولم يلتصقا ويقال رجع الرجل ورجعته
انا لازم ومتعد واصل الرجوع العود الى الحال الاولى الاعراب الذين يظنون في موضع الجر صفة للخاشعين وانهم بفتح الالف
لا يجوز غيره لان الظن فعل واقع على معنى الاسم متعد يتعلق المعنى بما ليه يكون مفعولا له وان المفتوحة الهمزة يكون مع الاسم والخبر في تاويل
اسم مفرد وههنا قد سد مسد مفعولي الظن ويكون المفعول الثاني يستغنى عنه فحذف لامن الالتباس عند بعضهم كما ان الفاعل في اقام الزيدان
سد مسد الخبر لطول الكلام والاستغناء عنه وهذا القول هو المختار عند ابي علي وفيه قول الاخفش وهو ان مع الاسم والخبر في موضع
المفعول الاول والمفعول الثاني محذوف مضمر بحذف ولعلم المخاطب فكانه قال الذين يظنون ملاقاة ربهم واقعة وحذف النون
من ملاقوا ربهم تخفيفا عند البصريين والمعنى على اثباتها فان المضاف اليه معا وان كان مجرورا في اللفظ فهو منصوب في المعنى فهو
لفظية غير حقيقية ومثله قوله انا مرسلوا الناقة وكل نفس ذائقة الموت وقال الشاعر هل انت باعث دينار لحاجتنا او عبد رب
عون بن مخراق ولو اوردت معنى الماضي لتعرف الاسم بالاضافة ولم يجز فيه اظهار النون البتة وقوله وانهم اليه راجعون في موضع
النصب عطفا على الاول المعنى لما تقدم ذكر الخاشعين بين صفتهم فقال الذين يظنون اي يوقنون انهم ملاقوا ما وعدهم ربهم
عن الحسن ومجاهد وغيرهما ونظيره قوله اني ظننت اني ملاق حسابيه وقيل انه بمعنى الظن غير اليقين والمعنى انهم يظنون
انهم ملاقوا ربهم بذنوبهم لشدة اشفاقهم من الاقامة على معصية الله قال الرماني وفيه تعسف لكثرة الحذف وقيل الذين يظنون
انقضاء آجالهم وسرعة موتهم فيكونون ابدا على حذر ووجل ولا يركنون الى الدنيا كما يقال لمن مات لحق بالله ويدل على ان المراد بقوله
ملاقوا ربهم ملاقون جزاء ربهم قوله تعالى في صفة المنافقين فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه ولا خلاف ان المنافق لا يجوز
ان يرى الله وكذلك قوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على ربهم قال اليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون
وجاء في الحديث من حلف على يمين ليقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان وليس للقاء المرئي في شيء يقال لقاك الله ما يكره
ولا يراد به انه يراك ولا ترى اشخاصا وانما يراد لقاء ما يترتب وقوله وانهم اليه راجعون يسال هنا فيقال ما معنى الرجوع في الآية وهم ما كانوا قط في الآخرة
فيعودوا اليها وجوابه من وجوه احدها انهم راجعون بالاعادة في الآخرة عن ابي العالية وثانيها انهم يرجعون بالموت كما كانوا
في الحال المتقدمة لانهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يموتون فيرجعون امواتا كما كانوا وثالثها انهم يرجعون الى موضع لا يملك لهم احد
ضرا ولا نفعا غيره تعالى كما كانوا في بدو الخلق لانهم في ايام حياتهم قد يملك غيرهم الحكم عليهم والتدبير لنفعهم وضرهم بين
ذلك قوله مالك يوم الدين وتحقيق معنى الاية انهم يقرون بالنشاة الثانية فجعل رجوعهم الى المحشر بعد الموت رجوعا اليه
قوله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين ۰ اية المعنى قد مضى تفسير اول الاية
فيما تقدم وقوله واني فضلتكم على العالمين قال ابن عباس اراد به عالمي اهل زمانهم لان امتنا افضل الامم بالاجماع كما ان نبينا افضل
الانبياء بدليل قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس وقيل المراد به تفضيلهم في اشياء مخصوصة وهو انزال المن والسلوى
وما انزل الله فيهم من الرسل وانزل عليهم من الكتب الى غير ذلك من النعم العظيمة من تغريق فرعون والآيات الكثيرة التي تخف
معها الاستدلال ويسهل بها المشاق وتفضيل الله اياهم في اشياء مخصوصة لا يوجب ان يكونوا افضل الناس على
الاطلاق كما يقال حاتم افضل الناس في السخاء ونظير هذه الاية قوله واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب

وانتم تنظرون فان قيل فما الفائدة في تكرار قوله يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم قلنا لانه لما كانت نعم الله هي الاصل
فيما يجب شكره احتيج الى تاكيدها كما قال القائل اذهب اذهب عجل عجل وقيل انه ان التذكير الاول ورد مجملا والثاني
ورد مفصلا وقيل انه في الاول ذكرهم نعمه على انفسهم وفي الثاني ذكرهم نعمه على ابائهم قوله تعالى واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس
شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون اية القراءة قرأ اهل مكة والبصرة لا تقبل منها بالتاء والباقون بالياء
الحجة فمن قرأ بالتاء الحق علامة التأنيث لتؤذن بان الاسم الذي اسند اليه الفعل وهو الشفاعة مؤنث ومن قرأ بالياء حذف التأنيث
في الاسم الذي يحتمل الحمل على المعنى فذكر لان الشفاعة والشفيع بمنزلة كما ان الوعظ والموعظة والصيحة والصوت كذلك
وقد قال الله تعالى فمن جاءه موعظة واخذ الذين ظلموا الصيحة ويقوي التذكير ايضا انه فصل بين الفعل والفاعل بقوله منها
والتذكير يحسن مع الفصل كما قال في التأنيث الحقيقي حضر القاضي اليوم امرأة اللغة الجزاء والمكافاة والمقابلة نظائر
جزى يجزي جزاء وجازاه مجازاة وفلان ذو جزاء اي ذو غناء فكان قوله لا تجزي نفس عن نفس شيئا اي لا تغني اكثر وجها
بنى تمام عنها ومنه الحديث انه قال لابي بردة في الجذعة التي امره ان يضحي بها ولا تجزي عن احد بعدك ومنه
البدنة تجزي عن سبعة اي تقضي وتكفي قال ابو عبيدة هو مأخوذ من قولك جزى عني هذا الامر واما قولهم اجزأني الشيء اي
كفاني فمهموز وقبول الشيء هو تلقيه والاخذ به خلاف الاعراض عنه ومن ثم قيل للجاور قبالة وقالوا اقبلت المكوى الداء
اي جعلتها قبالته وقبلت اقوال العرب وقبل المحاور والقبول والانقياد والطاعة والاجابة نظائر ونقيض الامتناع والشفاعة
مأخوذة من الشفع وكانه سؤال من الشفيع يشفع سؤال المشفوع له والشفاعة والوسيلة والقربة والوصلة نظائر والشفعة في الدار وغيرها
معروفة وانما سميت شفعة لان صاحبها يشفع ماله بها ويضمها الى ملكه والعدل والحق والانصاف نظائر ونقيض العدل
الجور والعدل المرضي من الناس الذكر والانثى والجمع والواحد فيه سواء والعدل الفدية في الاية والفرق بين العدل والعدل ان
العدل هو مثل من جنسه والعدل هو بدل الشيء وقد يكون من غير جنسه وقال بعضهم عدل ذلك حماله والنصرة والمعونة و
التقوية نظائر وفي الحديث انصر اخاك ظالما او مظلوما اي امنعه من الظلم ان كان ظالما وامنع منه الظلم ان كان مظلوما
وانصار الرجل عوانه ونصرت السماء اذا امطرت الاعراب يوما انتصب انتصاب المفعول لا انتصاب الظروف لان معناه اتقوا
هذا اليوم واحذروه وليس معناه اتقوا في هذا اليوم لان ذلك اليوم لا توقي فيه الانتقاء انما يتوقى في غيره من اجله وموضع
لا تجزي نصب لانه صفة يوم والعائد الى الموصوف فيه اختلاف ذهب سيبويه الى انه فيه محذوف من الكلام اي لا
تجزي فيه وقال اخرون لا يجوز اضمار فيه لانك لا تقول هذا رجل قصدت وترغب وانت تريد اليه او فيه فهو محمول على
المفعول على السعة كانه قيل واتقوا يوما لا تجزيه ثم حذف الهاء كما قال الراجز رجلا احب اي احبه وهو قول ابي الحسن قال
ابو علي حذف الهاء من الصفة كما تحذف من الصلة لما بينهما من المشابهة فان الصفة تخصص الموصوف كما ان الصلة تخصص
الموصول ولا يعمل في الموصوف ولا يتسلط عليه كما لا تعمل الصلة في الموصول ومرتبتها ان يكون بعد الموصوف كما ان
مرتبة الصلة ان تكون بعد الموصول وقد تلزم الصفة في اماكن كما تلزم الصلة وذلك اذا لم يعرف الموصوف الا بها ولا يعمل
فيما قبل الموصوف كما لا تعمل الصلة فيما قبل الموصول فاذا كان كذلك حسن الحذف من الصفة كما يحسن من الصلة نحو قوله اهذا الذي
بعث الله رسولا وقال الاخفش شيئا في موضع المصدر كانه قال لا تجزي جزاء ولا تغني غناء وقال الزجاج لا يجوز ان يكون شيئا
في موضع حقا كانه قال لا تؤدي عنها حقا وجب عليها وقوله لا تقبل منها شفاعة موضع هذه الجملة نصب بالعطف على الجملة
التي هي وصف قبلها ومن ذهب الى انه حذف الجار واوصل الفعل الى المفعول ثم حذف الراجع من الصفة كان مذهبه
في لا تقبل ايضا مثله ومما حذف فيه الراجع الى الصفة قول الشاعر وما شيء حميت بمستباح وقد تفرد منها عائدا الى نفس
على اللفظ وفي قوله ولا هم ينصرون على المعنى لانه ليس المراد به النفس وحده الجمع المعنى
لما بين سبحانه نعمه عليهم العظام الذي في كفرها سوء العقبة قال واتقوا اي احذروا واخشوا يوما

لا تجزي اي لا تغني او لا تقضي فيه نفس عن نفس شيئا ولا يدفع عنها مكروها وقيل لا يؤدي احد عن احد حقا وجب عليه
لغيره وانما نكر النفس ليبين ان كل نفس هذا حكمها وهذا مثل قوله تعالى واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن
والده شيئا وقوله ولا يقبل منها شفاعة قال المفسرون حكم هذه الاية مختص باليهود لانهم قالوا نحن اولاد الانبياء واباؤنا يشفعون
لنا فايسهم الله عن ذلك فخرج الكلام مخرج العموم والمراد به الخصوص ويدل على ذلك ان الامة اجتمعت على ان للنبي صلى الله عليه وآله شفاعة
مخصوصة مقبولة وان اختلفوا في كيفيتها فعندنا هي مختصة بدفع المضار واسقاط العقاب عن مستحقه من مذنبي المؤمنين وقالت
المعتزلة هي في زيادة المنافع للمطيعين والتائبين دون العاصين وهي ثابتة عندنا للنبي ولاصحابه المنتجبين والائمة من اهل بيته الطاهرين
ولصالحي المؤمنين وينجي الله بشفاعتهم كثيرا من الخاطئين ويؤيده الخبر الذي تلقته الامة بالقبول وهو قوله ادخرت شفاعتي لاهل الكبائر
من امتي وما جاء في روايات اصحابنا رضي الله عنهم مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وآله انه قال اني اشفع يوم القيمة فاشفع ويشفع علي فيشفع
ويشفع اهل بيتي فيشفعون وان ادنى المؤمنين شفاعة ليشفع في اربعين من اخوانه كل قد استوجب النار وقوله تعالى مخبرا عن الكفار
عند حسراتهم على الفلتات منهم لما حصل لاهل الايمان من الشفاعة فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وقوله ولا يؤخذ منها عدل
اي فدية وانما سمي الفداء عدلا لانه يعادل المفدى ويماثله وهو قول ابن عباس ومعناه لا يؤخذ من احد فداء يكون عن ذنوبه فيقبل
لا يؤخذ منه بدل بذنوبه واما ما جاء في الحديث لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا فاختلف في معناه قال الحسن الصرف العمل والعدل
الفدية وقال الاصمعي الصرف التطوع والعدل الفريضة وقال ابو عبيدة الصرف الحيلة والعدل الفدية وقال الكلبي الصرف
الفدية والعدل رجل مكانه وقوله ولا هم ينصرون اي لا يعاونون حتى ينجوا من العذاب وقيل ليس لهم ناصر ينصرهم من الله
ان عاقبهم قوله تعالى واذ نجيناكم من ال فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم
عظيم اية القراءة في الشواذ قراءة ابن محيصن يذبحون ابناءكم الحجة قال ابن جني وجه ذلك ان فعلت
بالتخفيف قد يكون فيه معنى التكثير وذلك لدلالة الفعل على مصدره والمصدر اسم الجنس وحسبك بالجنس سعة وعموما
واشتمالا والحسرات اكثر الجنس لقبلة حلاسها وقريها يديك كل متقي فكانه قال وقربها لان قوله كل متقي على جاهلها في الفعل
من معنى المصدر الدال على الجنس لم يحتج الى تثنيته ولا جمعه لاستغنائه بكل واحد من التثنية والجمع في الجنس اللغة الانجاء والتنجية
والتخليص نظائر واحد والنجاة والسلامة والخلاص والتخلص نظائر وقيل المكان المرتفع نجوة لان الصائر اليه ينجو من كثير من المضار وفرق بعضهم
بين الانجاء والتنجية فقال الانجاء يستعمل في الخلاص قبل الوقوع في المهلكة والتنجية تستعمل في الخلاص بعد الوقوع في المهلكة
والال والاهل واحد وقيل اصل ال اهل لانه تصغيره اهيل وحكى الكسائي اويل فزعموا انها ابدلت كما قالوا هيهات وايهات
وقيل لا بل هو اصل بنفسه والفرق بين الال والاهل ان الاهل اعم منه يقال اهل البصرة ولا يقال ال البصرة ويقال ال الرجل
قومه وكل من يؤول اليه بنسب او قرابة مأخوذ من الاول وهو الرجوع واهله كل من يضمه بيته وقيل ال الرجل قرابته واهل بيته
وال البعير الواحه وال الخيمة عمدها وال الجبل اطرافه ونواحيه وقال ابن دريد ال كل شيء شخصه وال الرجل اهله وقرابته
قال الشاعر ولا تبك ميتا بعد ميت اجنه علي وعباس وال ابي بكر قال ابو عبيدة سمعت اعرابيا فصيحا يقول
اهل مكة ال الله فقلنا انما تعني بذلك قال اليسوا مسلمين المسلمون ال الله وانما يقال ال فلان للرئيس المتبوع وفي شبه مكة لانها
ام القرى ومثل فرعون في الضلال واتباعه قومه فاذا جاوزت هذا فال الرجل اهل بيته خاصة فقلنا له افتقول قبيلته
الغلان قال لا الا اهل بيته خاصة وفرعون اسم الملك العمالقة كما يقال للملك الروم قيصر وللملك الفرس كسرى وللملك الترك
خاقان وللملك اليمن تبع فهو على هذا بمعنى الصفة وقيل ان اسم فرعون مصعب ابن الريان وقال محمد بن اسحق هو الوليد
بن مصعب يسومونكم يكلفونكم من قولهم سام خطة خسف اذا كلفه اياه وقيل يولونكم سوء العذاب وسام خسفا
انا اولاد لا قال الشاعر ان سيم خسفا وجهه تربد او قيل يجشمونكم وقيل يعذبونكم واصل الباب

السوم الذي هو ادسال الابل في الرعي سوء العذاب واليم العذاب وشديد العذاب نظائر قال صاحب العين السوء اسم العذاب الجامع
للآفات والداء يقال سوءت فلانا السوء مساءة ومساية واستاء فلان من السوء مثل اهتم من الهم والسوءة الفعلة القبيحة والسوءة الفرج
والسوءة ايضا كل عمل شين وتقول في النكرة رجل سوء كما يقال رجل صدق فاذا عرفت قلت الرجل السوء ولا تضيفه
ولا تقول الرجل الصدق وقوله بيضاء من غير سوء اي من غير برص والذبح فري الاوداج والتذبيح التكثير منه واصله الشق وقال
ذبحا المسك اذا افتقت عنه قال كان بين فكها والفك فارة مسك ذبحت في سك والذبح الشيء
المذبوح والذابح والذبح بفتح الباء وتسكينها داء يصيب الانسان في حلقه ويستحيون اي يستبقون ومنه قول النبي
اقتلوا شيوخ المشركين واستحيوا شرخهم اي استبقوا شبابهم والنساء والنسوة والنسوان لا واحد لها من لفظها والبلاء و
الاحسان والنعمة نظائر في اللغة والبلاء في الخير والشر قال سبحانه ونبلوكم بالشر والخير والابلاء في الانعام قال وليبلي المؤمنين منه بلاء
حسنا وقال زهير جزى الله بالاحسان ما فعلا بكم وابلاهما خير البلاء الذي يبلو فالبلاء يكون بالانعام كما يكون بالانتقام
واصل البلاء الامتحان والاختبار وقال الاحنف البلاء ثم الثناء الاعراب العامل في اذ من قوله وإذ نجيناكم قوله يا
بني اسرائيل اذكروا نعمتي فهو عطف على ما تقدم وقوله يسومونكم يجوز ان يكون في موضع نصب على الحال من آل فرعون
والعامل فيه نجيناكم ويجوز ان يكون للاستئناف والابناء جمع ابن واصل ابن بنو بفتح الفاء والعين ويدل على ان الفاء كانت مفتوحة
قولهم في جمعه ابناء على وزن افعال وافعال انما يكون لفعل نحو جبل واجبال كما كان فعل بتسكين العين بابه افعل
نحو فرخ وافرخ والمحذوف من الابن الواو وعلى ما قلناه لانها اثقل فهي بالحذف اولى واليه ذهب الاخفش وابو علي الفسوي
المعنى ثم فصل سبحانه في مدح آلاء النعمة التي اجملها فيما قبل فقال واذكروا اذ نجيناكم اي خلصناكم من قوم فرعون
واهل دينه يسومونكم يلزمونكم سوء العذاب وقيل يذيقونكم ويكلفونكم ويعذبونكم والكل متقارب واختلفوا في العذاب
الذي نجاهم الله تعالى منه فقال بعضهم ما ذكر في الاية من قوله يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وهذا اقيس وقيل زاد بما كانوا يكلفونهم
من الاعمال الشاقة منها انهم جعلوهم اصنافا فصنف يخدمونهم وصنف يحرثون لهم ومن لا يصلح منهم للعمل ضربوا عليهم
الجزية وكانوا يذبحون ابناءهم ويستحيون نساءهم مع ذلك ويدل عليه قوله تعالى في سورة ابراهيم يسومونكم سوء العذاب
ويذبحون ابناءكم فعطفه على ذلك يدل على انه غيره وقوله يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم معناه يقتلون ابناءكم ويستحيون
نساءكم يستبقونهن ويدعونهن احياء ليستعبدن ويخدمن على وجه الاسترقاق وهذا اشد من الذبح وانما قيل نساءكم لانه
تسمى بالاسم الذي يؤول حالهن اليه وقيل انما قال نساءكم على التغليب فانهم كانوا يستبقون الصغار والكبار فقال قبل الرجال
وان كان فيهم صبيان ويجوز ايضا ان يقع اسم النساء على الصغار والكبار كالابناء وقوله وفي ذلكم بلاء اي في سومكم العذاب
وذبح الابناء ابتلاء عظيم من ربكم لما حل بكم ويجيء فعلكم هذه الافاعيل وقيل وفي نجاتكم من فرعون وقومه نعمة
عظيمة من الله عليكم القصة والسبب في قتل الابناء ان فرعون راى في منامه كان نارا اقبلت من بيت المقدس حتى
اشتملت على بيوت مصر فاحرقتها واحرقت القبط وتركت بني اسرائيل فهاله ذلك ودعا السحرة والكهنة والقافة فسألهم
عن رؤياه فقالوا انه يولد في بني اسرائيل غلام يكون على يده هلاكك وزوال ملكك وتبديل دينك فامر فرعون
بقتل كل غلام يولد في بني اسرائيل وجمع القوابل من اهل مملكته فقال لهن لا يسقط على ايديكن غلام من بني اسرائيل الا قتل
ولا جارية الا تركت ووكل بهن فكن يفعلن ذلك واسرع الموت في مشيخة بني اسرائيل فدخل رؤوس القبط على فرعون فقالوا له
ان الموت وقع في بني اسرائيل فتذبح صغارهم ويموت كبارهم فيوشك ان يقع العمل علينا فامر فرعون ان يذبحوا
سنة ويتركوا سنة فولد هارون في السنة التي لا يذبحون فيها فترك وولد موسى في السنة التي يذبحون فيها قوله تعالى
وإذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم واغرقنا آل فرعون وانتم تنظرون . آية القراءة في الشواذ قرأ الزهري وإذ

فرقنا

فرقنا بكم مشددة الراء وقوله فرقنا اشد تفريقا من فرقنا ومعنى فرقنا بكم البحر جعلناه فرقا ومعنى فرقناكم البحر اللغة
الفرق هو الفصل بين شيئين اذا كانت بينهما فرجة والفرق القطعة من كل شيء ومن الماء اذا انفرق بعضه عن بعض فكل طائفة
من ذلك فرق ومنه كل فرق كالطود العظيم والفرق الخوف وفي الحديث فلما سكن الفرق والفرقة بالجعرانة من حرام وهو مكيال
يعرف بالمدينة والبحر سمي بحرا لاستبحاره وهو سعته وانبساطه يقال استبحر في العلم وتبحر فيه وتبحر اذا اتسع وتمكن
والباحر الاحمق الذي اذا كلم بقي كالمبهوت والعرب تسمي الماء الملح والعذب بحرا اذا كثر ومنه قوله مرج البحرين يلتقيان يعني
الملح والعذب واصل الباب الاتساع واما اللج فهو الذي لا يرى حافتيه من في وسطه لكثرة مائه وعظمه ودجلة بالاضافة
الى الساقية بحر وبالاضافة الى جانب ونحوها يستبحر والغرق الرسوب في الماء والنجاة ضد الغرق كما ان [illegible]
واغرق في الامر اذا جاوز الحد فيه واصله من نزع السهم حتى يخرج عن كبد القوس واغرق ورقت عينه ترقرقت بدمعها
والنظر النظر بالعين يقال نظرت الى الشيء ونظرت في الكتاب وفي الامر وقول القائل نظر الله اليه ثم انظر اليك معناه اتوقع
فضل الله ثم فضلك ونظرته وانظرته بمعنى واحد والنظر التفكر واصل الباب كله الاقبال نحو الشيء بوجه من الوجوه فالنظر
بالملاحظة الاقبال نحو المبصر والنظر بالقلب الاقبال بالفكر به نحو المذكر فيه والنظر بالرحمة هو الاقبال بالرحمة وحقيقة
النظر هو تقليب الحدقة الصحيحة نحو المرئي طلبا لرؤيته المعنى ثم ذكر سبحانه نعمة اخرى فقال واذكروا اذ
فرقنا بكم البحر اي فرقنا بين الماءين حتى مررتم فيه فكنتم فرقا بينهما تمرون في طريق يبس وقيل معناه فرقنا البحر بدخولكم اياه
لانه فرق بين كل فريقين من البحر طائفة ليسلكون طريقا يابسا فوقع الفرق بكم وقيل فرقنا بكم وقيل فرقناكم اي بسببكم
الجواب وفيه فانجيناكم يعني من البحر والغرق قوله واغرقنا آل فرعون ولم يذكر غرق فرعون لانه قد ذكر في مواضع كقوله واغرقناه
ومن معه فاختص لدلالة الكلام عليه لان الغرض مبني على اهلاك فرعون وقومه ونظيره قول القائل دخل جيش الامير
البادية ويكون الامير معهم ويجوز ان يريد بآل فرعون نفسه كقوله مما ترك آل موسى وآل هرون يعني موسى وهرون
وقوله وانتم تنظرون معناه وانتم تشاهدون انهم يغرقون وهذا ابلغ في الشماتة واظهار المعجزة وقيل معناه وانتم بمنظر ومشهد
منهم حتى لو نظرتم اليهم لامكنكم ذلك لانهم كانوا في شغل من ان يروهم كما يقال دور بني فلان تنظر الى دور آل فلان
اي هي بازائها وبحيث لو كان مكانها ما ينظر لامكنه ان ينظر اليه وهو قول الزجاج وقريب مما قاله الفراء والاول اصح لانهم لم
يكن لهم شغل شاغل عن الرؤية فانهم قد جاوزوا البحر وتظاهرت اقوال المفسرين على ان اصحاب موسى عم رأوا انفراق
البحر والتطام امواجه بآل فرعون حتى غرقوا فلا وجه للعدول عن الظاهر القصة
قصة فرعون مع بني اسرائيل في البحر ما ذكره ابن عباس ان الله تعالى اوحى الى موسى ان يسري ببني اسرائيل من مصر فسرى موسى ببني اسرائيل
ليلا فاتبعهم فرعون في الف الف حصان سوى الاناث وكان موسى في ستمائة الف وعشرين الفا فلما عاينهم
فرعون قال ان هؤلاء لشرذمة قليلون وانهم لنا لغائظون وانا لجميع حاذرون فسرى موسى ببني اسرائيل
حتى هجموا على البحر فالتفتوا فاذا هم برهج دواب فرعون فقالوا يا موسى اوذينا من قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئتنا
هذا البحر امامنا وهذا فرعون قد رهقنا بمن معه فقال موسى عم عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض
فينظر كيف تعملون فقال له يوشع بن نون بم امرت قال امرت ان اضرب بعصاي البحر قال اضرب وكان الله تعالى اوحى
الى البحر ان اطع موسى اذا ضربك قال فبات البحر له افكل اي رعدة لا يدري في اي جوانبه يضربه فضرب بعصاه البحر
فانفلق وظهر اثنا عشر طريقا فكان لكل سبط منهم طريق يأخذون فيه فقالوا انا لا نسلك طريقا نديا
فارسل الله ريح الصبا فجففت الطريق كما قال فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا فخرجوا فيه فلما اخذوا في الطريق
قال بعضهم لبعض ما لنا لا نرى اصحابنا فقالوا لموسى اين اصحابنا فقال في طريق مثل طريقكم فقالوا لا نرضى حتى
نراهم فقال موسى عم اللهم اعني على اخلاقهم السيئة فاوحى الله اليه ان قل بعصاك هكذا وهكذا يمينا

وثما لا كما ثار بعضا ادبياه ثما لا فطهر كالكوة بنظر منها بعضهم الى بعض فلما انتهى فرعون الى ساحل البحر وكان على فرس حصان
ادهم فهاب دخول الماء فتمثل له جبرئيل على فرس انثى وديق وتقحم البحر فلما راها الحصان تقحم خلفها ثم تقحم قوم فرعون
فلما خرج اخر من كان مع موسى من البحر ودخل اخر من كان مع فرعون البحر اطبق الله عليهم الماء فغرقوا جميعا ونجى موسى ومن معه
ومما يسئل عن هذا ان يقال كيف لم يعط الله تعالى كل نبي مثل ما اعطى موسى من الايات الباهرات لتكون الحجة اظهر
والشبهة ابعد والجواب ان الله تعالى ينصب الاعلام الباهرة والمعجزات القاهرة لاستصلاح الخلق على حسب ما يرى
لهم من المصالح وقد كانوا في قوم موسى من البلادة ... وكلالة الحد ما لم يمكنهم معه الاستدلال الا بالايات الجلية الا ترى انهم
لما عبروا البحر واتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم قالوا بعد ما شاهدوا من هذه الايات اجعل لنا الها كما لهم الهة
قال انكم قوم تجهلون وكان في العرب وامة نبينا من جودة القريحة وحدة الفطنة وذكاء الذهن وقوة الفهم ما كان
يمكنهم معه الاستدلال بما يحتاج فيه الى التامل والتدبر والاستضاءة بنور العقل في الفكر فجاءت اياتهم
متشاكلة لطباعهم الموفقة ومجانسة لمداركهم في اذهانهم من الدقة والحدة على ان في جميعها من الحجة الظاهرة
والبينة الباهرة بما ينفي خلاج الشك عن قلب الناظر المتبين ويفضي به الى فضاء العلم اليقين ويوضح له
مناهج الصدق ويلحبه مدارج الحق وما يستوي الاعمى والبصير ولا ينبئك مثل خبير قوله تعالى
واذ واعدنا موسى اربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون • اية القراءة قرا اهل البصرة وابو جعفر
هنهنا وعدنا بغير الف وفي الاعراف وطه وقرا الباقون واعدنا بالالف وقرا ابن كثير وحفص والبرجمي ورويس
اتخذتم واخذتم وما جاء منه باظهار الذال وادغمها الاعشى فيما كان على افتعلت والباقون يدغمون الحجة
حجة من قرا باثبات الالف ان قال الاخ اما ان يكون قد كان من موسى وعد او لم يكن فان كان منه وعد فلا اشكال
في وجوب القراءة بواعدنا وان لم يكن منه وعد فانه كان منه من قبول الوعد والتحري لانجازه والوفاء به يقوم مقام
الوعد والقراءة بواعدنا اولى لان من الله تعالى على وعد وقبول موسى ولانه احسن في مثل قوله بما اخلفوا الله ما وعدوه
الاخبار بالوعد منهم لله تعالى كان هنالك الاخبار بواعدنا ومن قرا وعدنا بغير الف قالوا هو اشد مطابقة للمعنى
اذ كان القبول ليس بوعد في الحقيقة انما الوعد انما هو اخبار الموعود بما يفعل به من خير وعلى هذا فيكون قوله بما اخلفوا
الله ما وعدوه مجازا حقيقة بما اخبروا انهم فاعلوه وقال بعضهم ان المواعدة في الحقيقة لا تكون الا بين
البشر والله تعالى هو المنفرد بالوعد والوعيد كما قال وعد الله الذين امنوا منكم وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات
جنات واذ يعدكم الله احدى الطائفتين والقراءتان جميعا قريبتان وحجة من ادغم الذال في التاء في الطاء التاء
من اتخذتم ان مخرج الذال قريب من مخرج التاء وحجة من لم يدغم انه مخرجهما متغاير ان اللغة
الوعد والموعد والعدة والوعدة مصادر وعدته اعده وعدا ووعد يتعدى الى مفعولين يجوز فيه الاقتصار على احدهما
كما عطيت قال ام لم يعدكم ربكم جانب الطور الايمن فجانب مفعول ثان والعدة والوعدة تكون لتمس ايضا والوعد في الخير والوعيد في
الشر ويجمع العدة على العدات ولا يجمع الوعد والموعد قد يكونان موضعا ووقتا ومصدرا والميعاد لا يكون الا وقتا
او موضعا وقد يقال وعده في الشر لقوله تعالى النار وعدها الله الذين كفروا واوعده لا يكون الا في الشر والمكان
ويقال اوعده بالشر ولا يقال اوعده الشر وحقيقة الوعد هو الخبر عن خير يناله المخبر في المستقبل او شر
وموسى اسم مركب من اسمين بالقبطية فمو هو الماء وسى الشجر وسمي بذلك لان التابوت الذي كان فيه موسى وجد عند
الماء والشجر وجده جواري آسية امرأة فرعون وقد خرجن ليغتسلن بالمكان الذي وجد فيه عند الشجر وهو موسى بن
عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عن محمد بن اسحاق بن يسار وانما قال
اربعين ليلة ولم يقل اربعين يوما لتضمن الليالي للايام عن قول المبرد ... اذا ذكرت الليالي دخل فيها الايام

فاذا ذكرت الايام لا يدخل فيها الليالي والصحيح ان العرب كانت تراعي في حسابها الشهور والايام والاهلة فاول الشهر الليالي
فلذلك ارخت بالليالي وغلبتها على الايام واكتفت بذكر الليالي عن الايام فقال لعشر خلون ولخمس بقين من اجل ان الليالي
والليلة الوقت من غروب الشمس الى طلوع الفجر الثاني واليوم من طلوع الشمس وليلة ليلاء اذا اشتدت ظلمتها ولييلة
تصغير ليلة اخرجوا الياء الاخيرة مخرجها في الليالي وقال بعضهم اصل ليلة ليلاة فخص واشتق افعال وفعلت فيه
تخذت قال وقد تخذت رجلي الى جنب غرزها نسيفا كافحوص القطاة المطرق وقال ... ابو علي ليس تخذت
من اخذت لان الهمزة لا تبدل من التاء ولا تبدل منها التاء والعجل الفرية الصغيرة يقال عجل وعجول وهو من العجلة
لان قصر المدة كالعجل في الشيء وقال بعضهم انما سمي عجلا لانهم عجلوا فاتخذوه الها قبل ان ياتيهم موسى الاعراب
قوله واذ واعدنا موسى اربعين ليلة لا يتعلق الاربعين بالوعد على ان يكون على ظرف ومفعول ثان فلا يصح ان يكون ظرفا لان الوعد
ليس في كلها فيكون جوابا لكم ولا في بعضها فيكون جوابا للمتى وانما الوعد بتقضي الاربعين فاذا كان لم يكن ظرفا كان انتصابه بوقوعه
المفعول الثاني والتقدير وعدنا موسى انقضاء اربعين ليلة او تتمة اربعين ليلة فحذف المضاف كما تقول اليوم خمس عشرة
من الشهر اي تمام خمسة عشر فاما انتصاب اربعين ليلة في قوله فتم ميقات ربه اربعين ليلة فالميقات هو الاربعون وانما هو
ميقات وموعد فيكون كقولك تم القوم عشرين رجلا والمعنى تم القوم المعدودين بهذا العدد وتم ميقات معدود
هذا العدد وقد جاء الميقات في موضع الميعاد كما جاء الوقت موضع العدد الى يوم الوقت المعلوم وفي موضع حتى والموعد اليوم الموعود
ويبين ذلك قوله فتم ميقات ربه اربعين ليلة وفي الاية واذ واعدنا موسى اربعين ليلة وليلة تنتصب على التمييز والتبيين
للمعدود والاصل في بيان العدد ان يبين بذكر المعدود وانما انتصب الاسم التام الذي هو اربعون وهو مشبه بالكلام التام
الذي ينتصب بعده ما يكون فضلة بعد معنى تمام الاسم هنا تركيب هذه النون التي تمتد معه فاشبه الجملة المركبة من
فعل وفاعل من جهة انه تم بشيء اخر ومن جهة ثانية وهو ان في الجملة اثنين من فعل وفاعل معنى يقتضي المفعول وهو ذكر المعدود
وفي العدد ابهام يقتضي التفسير والبيان ليعلم اي نوع من الانواع هو فينتصب على هذا المعنى ولذلك قال سيبويه انه في
الضرب وهو تمام الاسم معنى يحجز بين الاسم الاول وما يجيء بعد التمام فالنون في اربعين هو بمنزلة الفاعل الذي يحجز من ان يسند الفعل الى
المفعول فيستند الى الفاعل فينتصب المفعول لذلك والنون تم الاسم الاول فينتصب الاسم الذي بعده وأما قوله اتخذتم فان اتخذت
على ضربين احدهما يتعدى الى مفعول واحد كقوله واتخذوا من دون الله آلهة وقوله ام اتخذ مما يخلق بنات والاخر يتعدى الى
مفعولين كقوله تعالى اتخذوا ايمانهم جنة فاتخذتموهم سخريا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء فقوله ثم اتخذتم العجل من بعده
تقديره اتخذتم العجل الها فحذف المفعول الثاني لان من صاغ عجلا او عمله لا يستحق الوعيد والغضب من الله المعنى
واذكروا اذ واعدنا موسى ان نؤتيه الالواح فيها التوراة والبيان والشفاء على راس اربعين ليلة او عند انقضاء اربعين
ليلة او عند تمام اربعين ليلة وانما قلنا ان قوله اذكروا معطوف على ان الله تعالى قال قبل هذا يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت
عليكم واذ هنا معطوفة على الايات المتقدمة وهذه الاربعين ليلة هي التي ذكرها الله عز وجل في سورة الاعراف فقال وواعدنا
موسى ثلثين ليلة واتممناها بعشر وهي ذو القعدة وعشر من ذي الحجة قال المفسرون لما عاد بنو اسرائيل الى مصر بعد انجائهم
من البحر وهلاك فرعون وعدهم الله انزال التوراة والشرائع فخلف موسى اصحابه واستخلف عليهم هارون ومكث على
الطور اربعين ليلة وانزل عليه التوراة والالواح وقوله ثم اتخذتم العجل اي اتخذتموه الها لان نفس عملهم لصورة العجل
لا يكونون ظالمين لان فعل ذلك ليس بمحظور وانما هو مكروه واما الخبر الذي روي انه لعن المصورين فالمراد من شبه الله بخلقه
او اعتقد فيه انه صورة وقوله من بعده اي من بعد غيبته عنكم وقيل من بعد وعد الله اياكم بالتوراة وقيل من بعد غرق فرعون
وما رأيتم من الايات والكل محتمل وانتم ظالمون اي ضارون بانفسكم بما استحققتم من العقاب على اتخاذكم العجل
القصة روي عن ابن عباس قال كان السامري رجلا من اهل باجرمى قيل كان اسمه ميخا وقال ... ابن عباس

الجزء الثاني ... المطرف

اسمه موسى بن ظفر وكان من قوم يعبدون البقر وكان حب عبادة البقر في نفسه وقد كان اظهر الاسلام في بني اسرائيل
فلما قصد موسى الى ربه وخلف هرون في بني اسرائيل قال هرون لقومه قد حملتم اوزارا من زينة القوم آل فرعون
فتطهروا منها فانها نجس يعني انهم استعاروا من القبط حليا واستبدوا بها فقال هرون طهروا انفسكم منها فانها نجسة
واوقد لهم نارا فقال اقذفوا ما كان معكم فيها فجعلوا يأتون بما كان معهم من تلك الامتعة والحلي فيقذفون به فيها
قال وكان السامري راى اثر فرس جبرئيل ع فاخذ ترابا من اثر حافره ثم اقبل الى النار فقال لهرون يا نبي الله القي ما في يدي
قال نعم وهو لا يدري ما في يده ويظن انه مما يجيء به غيره من الحلي والامتعة فقذف فيها فقال كن عجلا جسدا له خوارا فكان البلاء والفتنة
فقالوا هذا الهكم واله موسى فعكفوا عليه واحبوه حبا لم يحبوا مثله شيئا قط قال ابن عباس فكان البلاء والفتنة
ولم يزد على هذا وقال الحسن صار العجل لحما ودما وقال غيره لا يجوز ذلك لانه من معجزات الانبياء ومن وافق الحسن
قال ان القبضة من اثر الملك كان الله قد اجرى العادة بانها اذا طرحت على اي صورة كانت حييت فليس ذلك بمعجز
اذ سبيل السامري فيه سبيل غيره ومن لم يجز انقلابه حيا تأول الخوار على ان السامري صاغ عجلا وجعل فيه خروقا
يدخلها الريح فيخرج منها صوت كالخوار ودعاهم الى عبادته فاجابوه وعبدوه عن ابي علي الجبائي قوله تعالى
ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون • اية اللغة العفو والصفح والمغفرة والتجاوز نظائر
قال ابن الانباري عفا الله عنك معناه محا الله عنك مأخوذ من قولهم عفت الريح الاثر اذا درسته ومحته فعفو الله
الذنوب محوه عن العبد وقال الرماني اصل العفو الترك ومنه قوله تعالى فمن عفي له من اخيه شيء اي ترك فالعفو ترك العقوبة
والعفو احل المال واطيبه والعفو المعروف والعفاة المعتفون طلاب المعروف والعافية من الطير والدواب
طلاب الرزق ومنه الحديث من غرس نخلا فما اكلت العافية منها كتب له صدقة والعافية دفاع الله عن العبد
والعفا التراب قال زهير على آثارهن ذهاب العفاء والشكر الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم قال الرماني الشكر
هو الاظهار للنعمة المعنى ثم عفونا عنكم اي تركنا عنكم العقاب الذي استحققتموه بقبولكم توبتكم
من عبادة العجل من بعد ذلك اي من بعد اتخاذكم اياه الها وقيل معناه تركنا معاجلتكم من بعد اتخاذكم العجل الها لعلكم
تشكرون اي لكي تشكروا الله على عفوه عنكم وتتابع رحمته عليكم وقيل معناه التعريض اي عرضكم للشكر وفي هذه الاية دلالة
على وجوب شكر النعمة وعلى ان العفو عن الذنب بعد التوبة نعمة من الله تعالى على عباده ليشكروه ومعنى قولنا في الله انه
شكور انه يجازي العبد على طاعاته من غير ان ينقصه شيئا من حقه فجعل المجازاة على الطاعة شكرا في مجاز اللغة
ولا يستحق الانسان الشكر على نفسه لانه لا يكون منعما على نفسه فالنعمة تقتضي منعما غير المنعم عليه كما ان القرض يقتضي
مستقرضا غير المقرض وقد يصح ان يحسن الانسان الى نفسه كما يصح ان يسيء اليها لان الاحسان من المحسن فاذا فعل بها
حسنا ينتفع به كان محسنا اليها بذلك الفعل واذا فعل بها قبيحا تستضر به كان مسيئا اليها ولا يستحق الكافر
الشكر على الوجه الذي يستحقه المؤمن لان المؤمن يستحق الشكر على وجه الاعظام والاجلال والكافر لا يستحقه كذلك
وانما يجب له مكافاة نعمته كما يجب قضاء دينه على وجه الخروج مما عليه من غير تعظيم له والفرق بين الشكر والمكافاة
ان المكافاة من التكافؤ وهو التساوي وليس كذلك الشكر فهو المكافاة للنعمة كلا له على انه قد استوفى حقها وقد يكون
الشكر مقصرا عنها وان كان ليس للمنعم عليه اكثر منه الا انه كلما ازداد من الشكر حسن الازدياد وان لم يكن واجبا لان الواجب
يكون الا متناهيا وذلك كالشكر لنعمة الله لو استكثر به غاية الاستكثار لم يكن لينتهي الى حد لا يجوز له الازدياد لعظم
نعمة الله سبحانه وصغر شكر العبد قوله تعالى واذ اتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون
اية اللغة الفرقان مصدر فرق بين الشيئين اي فرق فرقا وفرقانا ويسمى كل فارق فرقانا كما سمي كتاب الله
الفرقان لفصله بين الحق والباطل وسمى الله تعالى يوم بدر الفرقان لانه فرق في ذلك اليوم بين الحق والباطل

قال ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا اي يفرق بينكم وبين ذنوبكم المعنى واذكروا اذ اتينا اي اعطينا موسى الكتاب وهو التورية
والفرقان اختلفوا فيه على وجوه احدها وهو قول ابن عباس ان المراد به التورية ايضا وانما عطفه على الاختلاف اللفظين كقول
عنترة اقوى واقفر بعد ام الهيثم وقول عدي بن زيد وقددت الاديم لراهشيه والفى قولها كذبا ومينا والمين الكذب وثانيها
ان المراد الكتاب عبارة عن التورية والفرقان انفراق البحر الذي اوتيه موسى ع وثالثها ان المراد بالفرقان الفرق بين الحق والباطل
والحلال والحرام والفرق بين موسى ع واصحابه المؤمنين وبين فرعون واصحابه الكافرين باشياء كثيرة منها انه نجى هؤلاء واغرق هؤلاء
ورابعها ان المراد بالفرقان القرآن ويكون تقديره واتينا موسى التورية واتينا محمدا الفرقان فحذف ما حذف لدلالة ما ابقاه عليه
كما حذف الشاعر في قوله اذا ما كان الله يجدع انفه وعينيه ان مولى كان له وفي حوبة وفقأ عينيه لان الجدع لا يكون للعين
فاكتفى بيجدع من يفقأ وقال الشاعر يا ليت بعلك قد غدا متقلدا سيفا ورمحا اراد وحاملا رمحا وهو قول الفراء وقطرب
وثعلب وضعف قوم هذا الوجه لان فيه حمل القرآن على المجاز من غير ضرورة مع انه تعالى اخبر انه آتى موسى الفرقان في قوله ولقد
اتينا موسى وهرون الفرقان وقوله لعلكم تهتدون اي لكي تهتدوا بما في التورية من البيان بحججه وبيان صفته قوله تعالى
واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم
عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم • اية القراءة قرا ابو عمرو بارئكم ويأمركم وينصركم باختلاس الحركة وروى عنه
السكون ايضا والباقون بغير اختلاس ولا تخفيف الحجة قال ابو علي حروف المعجم على ضربين ساكن ومتحرك
والساكن على ضربين احدهما ما اصله السكون في الاستعمال والاخر ما اصله الحركة فاما المتحرك فعلى ضربين احدهما
ان تكون حركته بناء والاخر ان تكون حركته اعرابا وحركة البناء تسكن على ضربين احدهما ان تكون الحركة للحرف المسكن من كلمة مفردة
نحو فخذ وسبع وابل وضرب وعلم فمن خفف قال فخذ وسبع وضرب وعلم والاخر ان تكون من كلمتين فيسكن على تشبيه المنفصل
بالمتصل نحو قراءة من قرا ويخش الله ويتقه ومنه قول العجاج فبات منتصبا وما تكردسا الا ترى ان تقه من يتقه
مثل كتف ومنه قول الشاعر قالت سليمى اشتر لنا سويقا ولا خلاف في تجويز اسكان حركة البناء في نحو ما ذكرنا من هذين
الضربين واما حركة الاعراب فمختلف في تجويز اسكانها فمن الناس من يقول ان اسكانها لا يجوز من حيث كانت علما للاعراب
وسيبويه يجوز ذلك ولا يفصل بين القبيلين وروى قول امرئ القيس فاليوم اشرب غير مستحقب اثما من الله ولا واغل وقول الاخر
وقد بدا هنك من المئزر ومن هذا النحو قول جرير سيروا بني العم فالاهواز منزلكم ونهر تيرى ولا تعرفكم العرب فشبه بالمتصل على
المعرب بما يدخل على المبني كما شبه حركات البناء بحركات الاعراب فمن ثم ادغم نحو رد وفر وعض كما ادغموا يرد ويعض
واعلم ان الحركات التي تكون للبناء والاعراب قد يستعملون في الضمة والكسرة منها الاختلاس والتخفيف كما يستعملون الاشباع
والتمطيط فاما الفتحة فليس فيها الا الاشباع فقط ولم يخفف نحو جمل كما خفف نحو سبع وكتف وعلى هذا المذهب
يحمل سيبويه قول ابي عمرو بارئكم فذهب الى انه اختلس الحركة ولم يشبعها فهو بزنة حرف متحرك فمن روى عن ابي عمرو الاسكان
في هذا النحو فلعله سمعه يختلس فحسبها اسكانا لضعف الصوت به والخفاء وعلى هذا قوله ولا يأمركم وغيره اللغة
البارئ هو الخالق الصانع وبرأ الله الخلق يبرؤهم برءا اي خلقهم قال امية بن ابي الصلت الخالق البارئ المصور في الارحام
ماء حتى يصير دما والفرق بين البارئ والخالق ان البارئ هو المبدع المحدث والخالق هو المقدر الناقل من حال الى حال
وبرئت من المرض برءا وبروءا وبرئت من الدين ومن المكروه لا يقال منه الا برئت بالكسر وانا بريء ورجل براء بمعناه وامرأة
براء وقوم براء واما قوله انا براء فهو جمع بريء واصل الباب انفصال الشيء من الشيء ومنه برأ الله الخلق اي فطرهم كانهم
انفصلوا من العدم الى الوجود والبرية فعيلة بمعنى مفعول ولا همز كما لا همز في ملك وان كان اصله الهمزة وقيل البرية مشتقة
من البرى وهو التراب فلذلك لم يهمز وقيل ماخوذ من بري العود فلذلك لم يهمز والقتل والذبح والموت
نظائر والفرق بينها ان القتل نقض بنية الحياة والذبح فري الاوداج والموت عند من اثبته معنى

٣٠

عرص بعباد الجناة والقتل لعدو جمعه قتال والقتال النفس وناقة ذات قتال اذا كانت وثيقة وقتلت الشيء علما اذا ايقنته
وتحققته وفي المثل قتلت ارض جاهلها وقتل ارض عالمها وقتلت الجارية بالمغني حتى عشقها كأنها خضعت للرجال
تقتلت لي حتى اذا ما قتلتني تنسكت ما هذا بفعل النواسك الاعراب يا قوم القراءة بكسر الميم وهو الاختيار لانه منادى
مضاف والاب باب حذف فحذف الياء لانه حرف واحد وهو في آخر الاسم كما ان التنوين في آخره وبقيت الكسرة تدل
عليه ولما كان ياء الاضافة قد يحذف في غير النداء لزم حذفها في النداء ويجوز في الكلام اربعة اوجه يا قوم كما مر
ولا يجوز غيره في القرآن لان القراءة سنة متبعة ويجوز يا قومي انكم باثبات الياء واسكانها ويجوز يا قومي باثبات الياء وتحريكها
فهذه ثلثة اوجه في الاضافة ويجوز يا قوم على انه منادى مفرد واما قولها ليا قومي فان الياء تثبت فيه لانها لحقته
ما يوجب حذفها كما لحق في النداء المعنى واذكروا اذ قال موسى لقومه الذين عبدوا العجل عند رجوعه اليهم يا قوم انكم
ظلمتم انفسكم اي اضررتم بانفسكم ووضعتم العبادة غير موضعها باتخاذكم العجل معبودا وظلمهم اياها فعلهم بها ما لم يكن لهم
ان يفعلوه مما يستحق به العقاب وكذلك كل من فعل فعلا يستحق به العقاب فهو ظالم لنفسه فتوبوا الى بارئكم اي ارجعوا
الى خالقكم ومنشئكم بالطاعة والتوحيد وجعل توبتهم الندم مع العزم وقتل النفس جميعا وهنا اضمار واختصار كانه
لما قال لهم توبوا الى بارئكم قالوا كيف قال فاقتلوا انفسكم اي ليقتل بعضكم بعضا يقتل البرئ المجرم عن ابن عباس وسعيد بن
جبير ومجاهد وغيرهم وهذا كقوله سبحانه فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم اي ليسلم بعضكم على بعض وقيل معناه استسلموا
للقتل فجعل استسلامهم للقتل قتلا منهم لانفسهم على وجه التوسع عن ابن اسحاق واختاره الجبائي واختلفوا في المأمور
بالقتل فروي ان موسى ع امرهم ان يقوموا صفين فاغتسلوا ولبسوا اكفانهم وجاء هرون باثني عشر الفا ممن لم يعبدوا
العجل ومعهم الشفار المرهفة وكانوا يقتلونهم فلما قتلوا سبعين الفا تاب الله على الباقين وجعل قتل الماضين شهادة لهم
وقيل ان السبعين الذين كانوا مع موسى في الطور هم الذين قتلوا ممن عبد العجل سبعين الفا وقيل انهم قاموا صفين
فجعل يقتل بعضهم بعضا حتى قتلوا سبعين الفا وقيل غشيتهم ظلمة شديدة فجعل بعضهم يقتل بعضا ثم انجلت الظلمة
فاجلوا عن سبعين الف قتيل وروي ان موسى وهرون ع وقفا يدعوان الله ويتضرعان اليه وهم يقتل بعضهم بعضا
حتى نزل الوحي برفع القتل وقبلت توبة من بقي وذكر ابن جريج ان السبب في امرهم بقتل نفسهم ان الله تعالى علم ان ناسا
منهم ممن لم يعبد العجل لم ينكروا عليهم ذلك مخافة القتل مع علمهم بان العجل باطل فلذلك ابتلاهم بان يقتل بعضهم بعضا
وانما امتحنهم الله تعالى بهذه المحنة العظيمة لكفرهم بعد الدلالات والآيات العظام قال الرماني لا بد ان يكون في الامر بالقتل لطف
لهم ولغيرهم كما يكون في استسلام القاتل لطف له ولغيره فان قيل كيف يكون في قتلهم نفوسهم لطف لهم ولا تكليف عليهم
بعد القتل واللطف لا يكون لطفا فيما مضى ولا فيما يقارنه فالجواب ان القوم اذا كلفوا ان يقتل بعضهم بعضا
وكل واحد منهم يقصد قتل غيره ويجوز ان يبقى بعده فيكون القتل لطفا له فيما بعد ولو كان يعتقد في زمان يفعل فيه واجبا
واحدا او يمتنع من قبيح وهذا كما نقول في عبادتنا بقتال المشركين وان الله تعبدنا بان نقاتل حتى نقتل ونقتل
على ذلك وكذلك روى اهل السير ان الذين عبدوا العجل تعبدوا بان يصبروا على القتل حتى يقتل بعضهم بعضا
فكان القتل شهادة لمن قتل وتوبة لمن بقي وانما كانت تكون شبهة لو امروا بان يقتلوا نفوسهم بايديهم ولو صح ذلك
لم يمتنع ان يكونوا امروا بان يفعلوا بنفوسهم الجراح التي تفضي الى الموت وان لم يزل معها العقل فيأتي التكليف ولما ظهر القود
وهو انهم امروا بالاستسلام للقتل والصبر عليه فلا مسئلة لانهم ما امروا بقتل نفوسهم فعلى هذا يكون قتلهم حسنا
لانه لو كان قبيحا لما امروا بالاستسلام له ولذلك نقول لا يجوز ان يتعبد نبي ولا امام بان يستسلم للقتل مع قدرته على
الدفع عن نفسه فلا يدفعه لان في ذلك تسليما للقبيح مع القدرة على دفعه وذلك لا يجوز وانما كان يقع قتل الانبياء
والائمة عليهم السلام على جهة الظلم وارتفاع التمكن مع المنع عن الدفع ولا يمتنع ان يتعبد بالصبر على الدفاع وتحمل المشقة

في ذلك وان قتله غيره ظلما او القتل وان كان قبيحا فحكم القتل فهو مما يجوز تغييره بان يصير حسنا لانه جار مجرى
سائر الآلام وليس يجري مجرى الجهل والكذب في انه لا يصير حسنا قط ووجه الحسن في القتل انه لطف على ما قلنا
وايضا فكما يجوز من الله تعالى ان يميت الحي فكذلك يجوز ان يأمر بالاماتة ويعوض على الآلام التي تدخل عليه فيكون فيه اللطف
على ما ذكرناه وقوله ذلكم خير لكم عند بارئكم اشارة الى التوبة مع القتل لانفسهم على ما امرهم الله به بدلالة قوله
فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم فقوله فتوبوا دال على التوبة فكأنها مذكورة وقوله فاقتلوا دال على القتل فكأنه قال ان التوبة
وقتل النفس في مرضاة الله تعالى كما امركم به وان كان فيه مشقة عظيمة خير لكم عند خالقكم من
ايثار الحياة الدنيا لان الحياة لا تبقى بل تفنى وتحصلون بعد الحياة على عذاب جهنم واذا قتلتم انفسكم كما امركم الله
زالت مشقة القتل عن قريب وبقيتم في نعيم دائم لا يزول ولا يبيد وكرر ذكر بارئكم تعظيما لما اتوه مع كونه خالقا
لهم وقوله فتاب عليكم هنا اضمار تقديره ففعلتم ما امرتم به فتاب عليكم او فقتلتم انفسكم فتاب عليكم اي قبل
توبتكم انه هو التواب اي القابل التوبة عن عباده مرة بعد مرة وقيل معناه قابل التوبة عن الذنوب العظام الرحيم بهم لانه
لم ينتقم ويدخلكم الجنة وفي هذه الآية دلالة على انه يجوز ان يشترط في التوبة سوى الندم فلا يصح توبة الا به كما امر بالقتل
قوله تعالى واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون . اية اللغة
لن نؤمن لك اي لن نصدقك يقال آمن به وآمن له قوله تعالى قال فرعون ءامنتم به وفي موضع آخر امنتم له والرؤية الادراك
بالبصر ثم يستعمل بمعنى العلم يقال رأى ببصره رؤية ورأى من الرأي رأيا ورأى رؤيا حسنة والرواء المنظر في البهاء والجمال
والمرآة التي ينظر فيها وجمعها المرائي وترايت بالمرآة اذا نظرت فيها وجاء في الحديث لا تراءى ناراهما اي لا يتقابل
وتراءى القوم اذا رأى بعضهم بعضا وتراءى فلان لفلان اذا تصدى له ليراه ويحذفون الهمزة من رأيت في كل كلمة
اولها تاء تقول رأيت ارى والاصل ارأى وارأيته فلانا اريه فانا مري وهو مرئي والاصل ارأيته اراءه ويثبتونها
في موضعين مرئي وارأت الناقة او الشاة اذا عرف في لون ضرعها انها قد اقربت والرئي حسن المنظر والهيئة
قال الحجاج وكل قوم لهم رأي ومختبر وليس في تغلب رأي ولا خبر والجهر والعلانية والمعاينة نظائر يقال جهر بكلامه
وبقراءته جهرا اذا اعلن ورجل جهير ورواء وكلام جهير وصوت جهير عال والفعل منه جهر جهارة وجهرني
الرجل اي راعني جماله وضد الجهر السر واصل الباب الظهور وحقيقة الجهر ظهور الشيء معاينة والفرق بين
الجهرة والمعاينة ان المعاينة ترجع الى حال المدرك والجهرة ترجع الى حال المدرك وقد يكون الرؤية غير
جهرة كالرؤية في النوم والرؤية بالقلب فاذا قال جهرة لم يكن الا رؤية العين على التحقيق دون التخييل والصاعقة
على وجهين احدهما نار تسقط من السماء كقوله ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء والثاني الموت في قوله فقل انذرتكم صاعقة
مثل صاعقة عاد وثمود الاعراب حتى نرى حتى بمعنى الى وهي الجارة للاسم وانتصب نرى بعدها باضمار ان كما ينتصب
الفعل بعد اللام باضمار ان وان مع الفعل في تأويل المصدر في موضع جر بحتى ثم ان الجار والمجرور في موضع نصب بانه متعلق
بلن نؤمن وجهرة مصدر وضع موضع الحال المعنى واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك اي لن نصدقك في قولك انك نبي
مبعوث حتى نرى الله جهرة اي علانية فيخبرنا بانك نبي مبعوث وقيل معناه انا لا نصدقك فيما تخبر به من صفات
الله تعالى وما يجوز عليه وما لا يجوز عليه حتى نرى الله جهرة وعيانا فيخبرنا بذلك وقيل انه لما جاءهم بالالواح فيها
التورية قالوا لن نؤمن بان هذا من عند الله حتى نراه عيانا وقال بعضهم ان قوله جهرة صفة لخطابهم لموسى اي
جهروا به واعلنوه وتقديره واذ قلتم جهرة لن نؤمن لك حتى نرى الله والاول اقوى فاخذتكم الصاعقة
وانتم تنظرون الى اسباب الموت وقيل الى النار وانما قرع الله سبحانه اليهود بسؤال اسلافهم الرؤية حيث

الرؤية من حيث انهم سلكوا طريقتهم في المخالفة الظاهرة لنبيهم اتباعه والتصديق بجميع ما اتى به فجروا على عادة اسلافهم
الذين كانوا يسألون تارة نبيهم ان يجعل لهم الها غير الله ومرة يعبدون العجل من دون الله وطورا يقولون لن نؤمن لك حتى
نرى واستدل ابو القاسم البلخي بهذه الآية على ان الرؤية لا تجوز على الله تعالى قال لانها انكار تضمن امرين ردهم
على نبيهم وتجويزهم الرؤية على ربهم ويدل ذلك على ان المراد انكار الامرين ويدل هذه الآية ايضا على ان قول موسى رب ارني انظر اليك
كان سؤالا لقومه لانه لا اختلاف بين اهل التوراة ان موسى سأل الرؤية لا دفعة واحدة وهي التي سألها لقومه قوله تعالى
ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون . اللغة البعث اثارة الشيء من محله ومنه يقال بعث
فلان راحلته اذا اثارها من مبركها للسير وبعثت فلانا لحاجتي اذا اقمته من مكانه الذي هو فيه للتوجه اليها ومنه يقال ليوم
القيامة يوم البعث لانه يوم يثار الناس فيه من قبورهم لموقف الحساب وبعثته من نومه فانبعث اي نبهته فانتبه والبعث
الجند يبعثون الى وجه من الوجوه واصل البعث الارسال المعنى ثم بعثناكم اي ثم احييناكم من
بعد موتكم لاستكمال آجالكم عن الحسن وقتادة وقيل انهم سألوا بعد الاحياء ان يبعثوا انبياء فبعثهم الله انبياء عن السدي
فيكون معناه بعثناكم انبياء واجمع المفسرون الا شرذمة يسيرة ان الله تعالى لم يكن امات موسى كما امات قومه ولكن غشي
عليه بدلالة قوله تعالى فلما افاق قال سبحانك تبت اليك والافاقة انما تكون من الغشيان وقوله لعلكم تشكرون اي لكي
تشكروا الله على نعمته عليكم التي منها رده الحياة اليكم وفي هذا اثبات المعجزة لنبينا صلى الله عليه وآله والاحتجاج على مشركي
العرب الذين كانوا غير مؤمنين بالبعث لانه كان يذكر لهم من حال الذين بعثهم الله تعالى في الدنيا فخبر
على ذلك من يخالفه من اليهود والنصارى ويجب ان يكون هؤلاء القوم وان اماتهم الله سبحانه ثم احياهم غير مضطرين
الى معرفة الله عند موتهم كما يضطر الواحد منا اليوم الى معرفته عند الموت بدليل ان الله تعالى اعادهم الى التكليف
والمعرفة في دار التكليف لا تكون ضرورية بل تكون مكتسبة ولكن موتهم انما كان في حكم النوم فاذا هب تقدمهم
من غير مشاهدة منهم لاحوال الآخرة وليس في الاحياء بعد الاماتة ما يوجب الاضطرار الى المعرفة لانا نعلم بان الاحياء
بعد الاماتة لا يقدر عليه غير الله تعالى طريقة الدليل وليس الاحياء بعد الاماتة الا كالانتباه بعد النوم والافاقة بعد
الاغماء في ان ذلك لا يوجب علم الاضطرار واستدل قوم من اصحابنا بهذه الآية على جواز الرجعة وقول من قال ان
الرجعة لا تجوز الا في زمن النبي صلى الله عليه وآله ليكون معجزا له ودلالة على نبوته باطل لان عندنا بل عند اكثر الامة يجوز اظهار المعجزات
على ايدي الائمة والاولياء والادلة على ذلك مذكورة في كتب الاصول وقال ابو القاسم البلخي لا تجوز الرجعة مع الاعلام بها
لان فيها اغراء بالمعاصي من جهة الاتكال على التوبة في الكرة الثانية وجوابه ان من يقول بالرجعة لا يذهب الى ان الناس
كلهم يرجعون فيصير اغراء بان يقع الاتكال على التوبة فيها ولا احد من المكلفين الا ويجوز ان لا يرجع وذلك يكفي في باب الزجر
قوله تعالى وظللنا عليكم الغمام وانزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما
ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون . اللغة الظلة والغمامة والسترة نظاير يقال ظلله تظليلا
والظل ضد الضحى ونقيضه وظل الشجرة سترها ولا ازال الله عنا ظل فلان اي ستره ويقال لسواد الليل ظل
لانه يستر الاشياء قال الله تعالى الم تر الى ربك كيف مد الظل والغمام السحاب والقطعة منها غمامة وانما سمي غماما
لانه يغم السماء اي يسترها وكل ما ستر شيئا فقد غمه وقيل هو ما ابيض من السحاب والغم الغطاء على القلب من الغم
وفلان في غمة من امره اذا لم يهتد له والمن الاحسان الذي لا يستثيبه والاسم المنة والله تعالى هو المنان علينا الرحيم بنا
والمن قطع الخير ومنه اجر غير ممنون اي مقطوع والمنة قوة القلب وفلان ضعيف المنة واصل الباب الاحسان
والمن الذي كان يسقط على بني اسرائيل هو مما من الله عليهم اي احسن به اليهم والسلوى طائر كالسماني وقال

الاخفش هو للواحد والجمع كقولهم دفلى وقال الخليل واحده سلواة قال كما انتفض السلواة من بلل القطر قال
الزجاج غلط خالد بن زهير في قوله وقاسمها بالله جهدا لانتم الذ من السلوى اذا ما نشورها فظن السلوى العسل
وانما هو طائر قال ابو علي الفارسي ورد على الزجاج في مصنف ابي عبيدة العسل قال والذي عندي فيه ان السلوى
كانه اسم لما يسلي على غيره لفضيلة فيه من فرط طيبه او قلة مؤونته وعلاج في اقتنائه فالعسل لا يمتنع ان يسمى سلوى لجمعه
الامرين كما سمي الطائر الذي كان يسقط مع المن به ويقال سلوت عن فلان اسلو سلوا اذا تسليت عنه وفلان في
سلوة من العيش اذا كان في رغد يسليه الهم والسلوان ماء يشربه ذو الهم فيذهب غمه قال الراجز لو اشرب السلوان ما سليت
الاعراب موضع كلوا نصب بمحذوف كانه قال وقلنا لهم كلوا وموضع السلوى نصب لانه معطوف على المن
وقوله وما ظلمونا انما يتصل بما قبله ايضا بتقدير محذوف كانه قال فخالفوا امرنا وكفروا هذه النعمة وما ظلمونا
المعنى وظللنا عليكم الغمام اي جعلنا الغمام لكم ظلة وسترة يقيكم حر الشمس في التيه عن جماعة من المفسرين
وانزلنا عليكم المن فيه وجوه احدها انه المن الذي يعرفه الناس يسقط على الشجر عن ابن عباس وثانيها انه شيء كالصمغ
كان يقع على الاشجار طعمه كالشهد والعسل عن مجاهد وثالثها انه الخبز المرقق عن وهب ورابعها انه جميع النعم
التي اتتهم مما من الله تعالى به عليهم مما لا تعب فيه ولا نصب وروي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال الكمأة من المن وماؤها شفاء
للعين والسلوى قيل هو السماني وقيل هو طائر ابيض يشبه السماني عن ابن عباس وقوله كلوا من طيبات
ما رزقناكم اي اعطيناكم وجعلناه رزقا لكم وقوله وما ظلمونا اي فكفروا هذه النعمة وما نقصونا بكفرانهم
انعمنا ولكن كانوا انفسهم يظلمون ينقصون وقيل معناه ما ضرونا ولكن كانوا انفسهم يضرون وهذا يدل على ان الله تعالى
لا ينفعه طاعة من اطاعه ولا معصية من عصاه وانما يعود منفعة الطاعة الى المطيع ومضرة المعصية الى العاصي القصة
وكان سبب انزال المن والسلوى عليهم انه لما ابتلاهم الله بالتيه اذ قالوا لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون
حين امرهم بالمسير الى بيت المقدس وحرب العمالقة بقوله ادخلوا الارض المقدسة فوقعوا في التيه صاروا كلما ساروا
تاهوا في قدر خمسة فراسخ وكلما اصبحوا ساروا غادين فامسوا في مكانهم الذي ارتحلوا منه كذلك حتى تمت المدة وبقوا فيها اربعين
سنة وفي التيه توفي موسى وهرون ثم خرج يوشع بن نون وقيل كان الله تعالى يرد الجانب الذي انتهوا اليه من الارض الى الجانب
الذي ساروا منه فكانوا يضلون عن الطريق لانهم كانوا خلقا عظيما فلا يجوز ان يضلوا كلهم عن الطريق في هذه المدة المديدة
في هذا المقدار من الارض ولما حصلوا في التيه ندموا على ما فعلوا فالطف الله لهم بالغمام لما شكوا حر الشمس وانزل عليهم
المن والسلوى فكان يسقط عليهم المن من وقت طلوع الفجر الى طلوع الشمس فكانوا يأخذون منه ما يكفيهم ليومهم قال
الصادق عليه السلام كان ينزل المن على بني اسرائيل من بعد الفجر الى طلوع الشمس فمن نام في ذلك الوقت لم ينزل نصيبه فلذلك
يكره النوم في ذلك الوقت الى بعد طلوع الشمس قال ابن جريج وكان الرجل منهم ان اخذ من المن والسلوى زيادة على طعام يوم واحد
فسد الا يوم الجمعة فانهم اذا اخذوا طعام يومين لم يفسد وكانوا يأخذون منها ما يكفيهم ليوم الجمعة والسبت
لانه كان لا يأتيهم يوم السبت وكانوا يخبزونه مثل القرصة ويوجد له طعم كالشهد المعجون بالسمن وكان
الله تعالى يبعث لهم السحاب بالنهار فيدفع عنهم حر الشمس وكان ينزل عليهم بالليل من السماء عمود من نور يضيء لهم
مكان السراج واذا ولد فيهم مولود يكون عليه ثوب يطول بطوله كالجلد قوله تعالى واذ قلنا ادخلوا هذه
القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم و
سنزيد المحسنين . القراءة قرأ ابو جعفر ونافع يغفر بالياء مضمومة وقرأ ابن عامر تغفر بالتاء مضمومة
والباقون نغفر لكم بالنون وهو الاختيار لانه اشبه بما قبله وظللنا وانزلنا ولان اكثر القراء عليه
واجمع القراء على اظهار الراء عند اللام الا ما روي عن ابي عمرو في رواية اليزيدي الا اجازة من ادغام

٣٧

الا في اللام واتفق القراء على خطاياكم ههنا وان اختلفوا في الاعراف ونوح فقرأ بعضهم هناك خطيئاتكم وذلك
لان الياء في الاعراف ونوح كتبتا في المصحف بغير الف وههنا كتبت بالالف اللغة الدخول والولوج
والاقتحام نظاير والفرق بين الدخول والاقتحام ان الاقتحام دخول على صعوبة وفلان داخل في امره اي فاسد ودخل امره اذا فسد
وفلان دخيل في بني فلان اذا كان من غيرهم واطلعته على دخلة امري اي باطنه وفلان مدخول اذا كان في عقله
او حسبه دخل والقرية والمدينة والبلدة نظاير قال ابو العالية اصله الجمع وقريت الماء في الحوض قريا اي جمعته وقريت الضيف
ضيفا اقريه قرى والمقراة الجفنة التي يهيأ فيها الطعام للاضياف قال عظام المقاري ضيفهم لا يفزع
ولا الخليل العربة والقرية لغتان والكسر لغة يمانية والقرى الظهر من كل شيء وجمعه اقراء والجمع القرى الاصل
ومنه الجمع من الشاه وهي لغات الا امين قال الشاعر وطوى الى حور المدامع يجمعه قال الا حرى الاكم فيها سجدا
للحوافر وحطة مصدر مثل ردة وحدة من رددت وحددت قال الخليل الحط وضع الاحمال عن الدواب
والحط والوضع والخفض نظاير والحط الحدر من العلو قال امرؤ القيس كجلمود صخر حطه السيل من عل وجارية
محطوطة المتنين ممدودة حسنة والغفران والعفو والصفح نظاير يقال عفر الله له غفرانا اي ستر الله على ذنبه
فالغفر التغطية وثوب ذو غفر اذا كان له زئبر يستر نسجه ويقال للكعفر المغطية العنق والعفيرة والمغفرة معنى
والغفارة حتى يتكلف على سية القوس والمغفرة والمغفار صمغ العرفط واغفر الشجر اذا ظهر ذلك فيه ومنه الحديث
انه دخل على عايشة فقالت يا رسول الله اكلت مغافير فيختص هذا الصمغ ومنهم من يقول مغاثير كما قيل جدث
وجدف ويقال جاء والجماء الغفير وجاء والجماء غفيرا وجماء الغفير اي مجتمعون جميعا يغطون الارض والغفر ولد
الاروية يأوي الجبال ويستتر عن الناس ويقال اصبغ ثوبك فانه اغفر للوسخ اي استر له واصل الباب الستر والمغفرة
ستر الخطيئة برفع العقوبة والخطيئة والزلة والمعصية نظاير يقال خطي الشيء خطأ اذا لم يرده واصابه واخطأ
اخطاء اذا اراده فلم يصبه والاول خاطي والثاني مخطي والخطيئات جمع خطيئة مثل صحيفات جمع صحيفة
وسيئات جمع سيئة والخطايا جمع خطيئة والمحسن الفاعل للاحسان او الفاعل للحسن يقال احسن
واحسن في فعله والفرق بينهما ان الاحسان لا يقال الا في النفع فلا يقال احسن الله الى اهل النار بتعذيبهم ويقال
احسن في تعذيبهم بالنار بمعنى احسن في فعله وتدبيره ويقال كم رأيته حسنا ولا يقال رجل احسن وحد الحسن
من طريق الحكمة هو الفعل الذي يدعو اليه العقل وصاحبه القبيح وهو الفعل الذي يزجر عنه العقل وحد
هو نفع الحسن وحد الاساءة هو الضرر والقبح وهذا انما يصح على مذهب من يقول ان الانسان يكون محسنا
نفسه ومسيئا اليها ومن لم يذهب اليه يزيد فيه او ايصال النفع مع قصد الى ذلك والاولى في حد المحسن ان يقال
هو الفعل الذي اذا فعله العالم على وجه لم يستحق الذم الاعراب حيث ظرف مكان مبني على الضم وذكرنا
الوجه في بنائه فيما قبل والجملة بعده في تقدير المضاف اليه وتماثل فيه ان يقال كيف بني على الضم وهو مضاف الى
الجملة على الشيء بما حذف منه الاضافة وهو قبل وبعد وجوابه ان حيث مع اضافته الى الجملة لا يمتنع ان يكون
شبيه قبل وبعد فاشبهها فيه لانه قد يمنع الاضافة على المفرد وان كان قد اضيف وحق الاضافة ان يقع الى المفرد وان كان
فكان المضاف اليه محذوف منه كقبل وبعد هذا على قول من بناه على الضم ومن بناه على غير الضم فلا يدخل عليه هذا السؤال ولا يجوز في القرآن الا الضم واما حطة فانما ارتفع على الحكاية قال
الزجاج تقديره مسئلتنا حطة اي حطة ذنوبنا عنا وقيل تقديره دخولنا الباب سجدا حطة
لذنوبنا ولو جاز قراءته بالنصب لكان وجهه في العربية حط عنا ذنوبنا حطة كما يقال
سمعا وطاعة اي اسمع سمعا واطيع طاعة الله ومعاذ الله اي نعوذ بالله معاذا وقوله نغفر لكم مجزوم لانه جواب الامر

والما الجزم

واما الجزم بالشرط فان المعنى ان تقولوا نغفر لكم فحذف الشرط الا لانه الجزاء عليه ووقوع الامر في الكلام وطولبه
حسن حذفه معه لانه صار كالمعاقب له من حيث اجتمعا في انهما غير موجبين وغير خبرين وهذا كما يحذف المبتدا
الا لانه الخبر عليه وقد يحذف الجزاء ايضا الا لان الشرط عليه في نحو قولهم انت ظالم ان فعلت كما يحذف خبر المبتدا
الا لان المبتدا عليه قال سيبويه كان اصل خطايا خطايي مثل خطايع فابدلت الياء همزة فصار خطائي
مثل خطاعع فيجتمع همزتان فقلبت الثانية ياء فصار خطائي مثل خطاعي ثم قلبت الياء والكسرة الى الالف والفتحة
فقيل خطاءا مثل خطاعا كما قيل مدارا فقيل مدارى ثم استثقل همزة بين الفين لان الهمزة مجانسة للالفات
فكان كانما اجتمعت ثلاث الفات فابدلت الهمزة ياء فقيل خطايا وقال الخليل اصل خطايا فعايل فقلبت
الى فعالى ثم قلب بعد على ما بينت في المذهب الاول وانما اختار هذا الاعلال لان الهمزة التي بعد الالف خارجة غير
اصلية ويقول في جمع مراة مرائي ولا تقل لان الهمزة عين الفعل المعنى اجمع المفسرون على ان المراد بالقرية ههنا بيت المقدس
ويؤيده قوله في موضع اخر ادخلوا الارض المقدسة وقال ابن زيد انها اريحا قرية قرب بيت المقدس وكان فيها
بقايا من قوم عاد وهم العمالقة ورأسهم عوج بن عنق يقول اذكروا اذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها
حيث شئتم اي اين شئتم رغدا اي موسعا عليكم متمتعين بما شئتم من طعام القرية بعد المن والسلوى وقيل انه
اباحه لهم من لغنايمها وتملك اموالها اتماما للنعمة عليهم وادخلوا الباب اي الباب الذي امروا بدخوله وقيل هو باب
حطة من بيت المقدس وهو الباب الثامن عن مجاهد وقيل باب القبة التي كان يصلي اليها موسى وبنو اسرائيل وقال قوم
هو باب القرية التي امروا بدخولها قال ابو علي الجبائي والآية على قول من يزعم انه باب القبة اول منها على قول من زعم
انه باب القرية لانهم لم يدخلوا القرية في حيوة موسى وفي آخر الآية يدل على انهم كانوا يدخلون هذا الباب على غير ما امروا به
في ايام موسى لانه قال فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم والعطف بالفاء التي هي للتعقيب من غير تراخي
يدل على ان هذا التبديل منهم كان في اثر الامر فدل ذلك على انه كان في حيوة موسى وقوله سجدا معناه ركعا وهو شدة
الانحناء عن ابن عباس وقال غيره ان معناه ادخلوا خاضعين متواضعين ويدل عليه قول الاعشى يراوح من صلوات المليك
طورا سجودا وطورا جوارا وقيل معناه ادخلوا الباب فاذا دخلتموه فاسجدوا لله سبحانه شكرا عن وهب
وقوله حطة قال الحسن وقتادة واكثر اهل العلم معناه حط عنا ذنوبنا وهو امر بالاستغفار وقال ابن عباس
امروا ان يقولوا هذا الامر حق وقال عكرمة امروا ان يقولوا لا اله الا الله لانها تحط الذنوب وكل واحد من
الاقوال مما يحط الذنوب ويصح ان يترجم عنه بحطة وروي عن الباقر انه قال نحن باب حطتكم وقوله نغفر لكم
خطاياكم اي نصفح ونعف عن ذنوبكم وسنزيد المحسنين اي وسنثيبهم على ما يستحقونه من الثواب تفضلا كقوله تعالى
ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله وقيل ان المراد به انا نزيدهم الاحسان على ما سلف من الاحسان بانزال المن والسلوى
وتظليل الغمام والسلوى وغير ذلك وقوله تعالى فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فانزلنا على الذين ظلموا
رجزا من السماء بما كانوا يفسقون ▪ اية اللغة التبديل تغيير الشيء الى غير حاله والرجز بكسر الراء العذاب في لغة
اهل الحجاز وهو غير الرجس لان الرجس النتن وقال النبي صلعم في الطاعون انه رجز عذب به الامم قبلكم وقال
ابو عبيدة الرجز والرجز لغتان مثل البزاق والبصاق والزدع والسدغ والرجز بضم الراء عبادة الاوثان وفسق يفسق
ويفسق والضم اشهر وعليه القراءة ومعنى الفسوق في اللغة الخروج عن الطاعة وكل من خرج عن شيء فقد فسق الا انه
في الشرع مخصوص بالخروج عن امر الله وطاعته الاعراب غير الذي انتصب غير بانه صفة لقولا واصل
غير ان تجري على صفة تجري مجرى مثل واذا اضيفا الى المعارف لم يتعرفا لما فيهما من الابهام لان مثل الشيء
يكون على وجوه كثيرة وكذلك غير الشيء يكون اشياء كثيرة مخالفة له المعنى ثم بين سبحانه وتعالى انهم قد عصوا فيما

امروا به فقال فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم اى فخالف الذين عصوا والذين فعلوا ما لم يكن لهم ان يفعلوه وغيروا
ما امروا به فما لواعين ذلك واختلف فى ذلك الغير فقيل انهم قالوا بالسريانية حطا سمقاتا وقال بعضهم حطا سمقاتا
و معناه حنطة حمراء فيها شعيرة وكان قصدهم فى ذلك الاستهزاء ومخالفة الامر وقيل انهم قالوا حنطة تجاهلا واستهزاء
وكانوا قد امروا ان يدخلوا الباب سجدا وطوطى لهم الباب ليدخلوه كذلك فدخلوه زاحفين على استاههم
فخالفوا فى الدخول ايضا وقوله فانزلنا على الذين ظلموا اى فعلوا ما لم يكن لهم فعله من تبديلهم ما امرهم الله به بالقول
والفعل رجزا اى عذابا من السماء عن ابن عباس وقتادة والحسن بما كانوا يفسقون اى بكونهم فاسقين او بفسقهم كقوله ذلك
بما عصوا اى بعصيانهم وقال ابن زيد اهلكوا بالطاعون فمات منهم فى ساعة واحدة اربعة وعشرون الفا من
كبرائهم وشيوخهم وبقى الابناء فانتقل عنهم العلم والعبادة كانه يشير الى انهم عوقبوا باخراج الافاضل من بينهم قوله
تعالى واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم
كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا فى الارض مفسدين اللغة الاستسقاء طلب السقيا وهى السقية وسقيته
بمعنى وقيل سقيته من سقى الشفة واسقيته دللته على الماء ويقال عصا وعصوان وثلث اعص وجمعه عصى والانفجار
الانشقاق والانبجاس اضيق منه فيكون اولا انبجاسا ثم يصير انفجارا والعين من الاسماء المشتركة فالعين من الماء شبيهة
بالعين من الحيوان لخروج الماء منها كخروج الدمع من بلك وبلد قليل العين اى قليل الناس وما بالدار عين متحركة
الياء والعين مطر ايام لا يقلع والعين الذهب والعين الميزان وعين الشمس والعين المتجسس للاخبار وقد تقدم ذكر الكل
وانه لا واحد له من لفظه ولا تعثوا اى لا تفسدوا ولا تطغوا والعثا شدة الفساد يقال عثا يعثو عثوا وعثى يعثى عثا
وعاث يعيث عيثا وعيوثا وعيثانا قال رؤبة وعاث فينا مستحل عائث الاعراب اذ متعلق بكلام محذوف
وكانه قال واذكروا اذ استسقى ويجوز ان يكون معطوفا على ما تقدم ذكره فى الايات المتقدمة وقوله اثنتا عشرة
عينا الشين ساكنة عند جميع القراء وكان يجوز كسرها فى اللغة والكسر لغة ربيعة وتميم والاسكان لغة اهل الحجاز
قال ابن جنى ان اسماء العدد قد كثر فيها الانحرافات وذلك ان لغة اهل الحجاز فى غير العدد
فى نظير عشرة فيقولون نبقه وفخذ يكسرون الثانى وبنو تميم يسكنون فيقولون نبقه وفخذ فلما ركب الاسمان
استحال الوضع فقال بنو تميم احدى عشرة واثنتا عشرة بكسر الشين وقال اهل الحجاز عشرة بسكونها وعينا منصوب على
التمييز والاسم الثانى من اثنتا عشرة قام مقام النون فى عشرون بدلالة سقوط النون من اثنتان وان عشرة بما فيها وكذلك
التمييز فى جميع ذلك وهو الثلثة والثلث من ثلثة عشر وثلث عشرة الى تسعة عشر وتسع عشرة ان يكون فيها
نون فقام عشرة مقامها فلذلك لم يدخلها التنوين واذا لم يدخلها تنوين لم يبن بالاضافة ومفسدين منصوب على الحال
المعنى ثم عد سبحانه وتعالى على بنى اسرائيل نعمة اخرى اضافها الى النعم الاولى فقال واذ استسقى موسى اى سال
موسى ان يسقى قومه ماء والسين سين الطلب وترك ذكر المسؤول ذلك اذ كان فيما ذكر من الكلام دلالة على معنى
ما ترك وكذلك قوله فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت لان معناه فضرب فانفجرت فترك ذكر الخبر عن ضرب
موسى الحجر لان فيما ابقاه من الكلام دلالة على الخبر الملقى وهذا كما يقال العرب فلان يتاجر بالتجارة فاكتسب مالا اى فاتجر
واكتسب مالا وقوم موسى هم بنو اسرائيل وانما استسقى لهم ربهم الماء فى الحال التى تاهوا فيها فى التيه
فشكوا اليه الظماء فاوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك وهو عصاه المعروفة وكان من آس الجنة حملها شعيب
وكان آدم ع حملها معه من الجنة الى الارض وكان طولها عشرة اذرع على طول موسى وله شعبتان يتقدان
فى الظلمة نورا وبه ضرب الحجر فانفلق وهو الذى صار ثعبانا واما الحجر فاختلف فيه فقيل كان يخرج
لهم حجرا من عرض الحجارة فيفجر عيونا لكل سبط عينا وكانوا اثنى عشر سبطا ثم يسير كل

عين فى جدول الى السبط الذى امر بسقيهم عن وهب بن منبه وقيل كان حجرا بعينه خفيفا اذا رحلوا احمله
فى مخلاة فاذا نزلوا ضربه موسى ع بعصاه فانفجر منه الماء عن ابن عباس وهذا اولى للدلالة الالف واللام للعهد عليه
وقيل كانت حجرا مربعا فيها اثنتا عشرة حفرة وكان الحجر من الكذان وكان يخرج من كل حفرة عين ماء عذب
فرات فيأخذونه فاذا فرغوا واراد موسى حمله ضربه بعصاه فيذهب الماء وكان يسقى كل يوم ستمائة الف عن ابى
روق وروى ان الحجر كان من الجنة وروى انه كان مثل رأس الكبش وكان يخرج من كل
ثلث عيون لكل سبط عين وكانوا لا يرتحلون مرحلة الا وجدوا ذلك الحجر معهم بالمكان الذى كان به معهم
فى المنزل الاول وقوله فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا الاية فى قوله سبحانه فى سورة الاعراف فانبجست لان الانبجاس
الانفجار الا انه اقل وقيل انه لا يمتنع ان يكون اول ما تضرب عليه العصا كان ينبجس ثم يكثر حتى يصير انفجارا وقيل
كان ينبجس عند الحاجة وينفجر عند الحاجة وقيل كان ينبجس عند الحمل وينفجر عند الوضع وقوله قد علم كل
اناس مشربهم اى علم كل سبط وفريق منهم موضع شربهم وقوله كلوا واشربوا اى قلنا لهم كلوا واشربوا
وهذا كلام مبتدأ وقوله من رزق الله اى كلوا من الغمام الذى من الله به عليكم من المن والسلوى وعيون الماء
واشربوا من الماء فهذا كله من رزق الله الذى ياتيكم بلا مشقة ولا مؤنة ولا تبعة فان الرزق ما للمرزوق ان ينتفع به
وليس لاحد منعه منه ولا تعثوا اى تسعوا فى الارض فسادا وانما قال لا تعثوا فى الارض مفسدين وان كان العثو لا يكون الا
فسادا لانه يجوز ان يكون فعل ظاهره الفساد وباطنه المصلحة فبين ان فعلهم هو العيث الذى هو الفساد ظاهرا وباطنا
ومتى سئل فقيل كيف يجتمع ذلك الماء الكثير فى ذلك الحجر الصغير وهل يمكن ذلك فالجواب
ان ذلك من ايات الله الباهرة بالاجابة الظاهرة الدالة على انه تعالى المنشئ للاشياء القادر على ما يشاء الذى
تذل له الصعاب وتسبب له الاسباب فلا بدع من كمال قدرته وجلال عزته ان يبدع خلق المياه الكثيرة ابتداء
معجزة لموسى ونعمة عليه وعلى قومه ومن استبعد ذلك فى الحجر الذى ما قدروا الله حق قدره ولم يعرفوا حقيقة معرفته
فالكلام عليهم انما يكون فى وجود الصانع واثبات صفاته واقسام مقدوراته ولا معنى للتشاغل بالكلام معهم فى الفروع
مع منازعتهم فى الاصل قوله تعالى واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض
من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال اتستبدلون الذى هو ادنى بالذى هو خير اهبطوا مصرا فان لكم
ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين
بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون القراءة قرأ اهل المدينة النبيئين بالهمز والباقون بغير همز
الحجة قال ابو على الحجة لمن همز النبى ان يقول هو الاصل الكلمة الا ترى ان ناسا من اهل الحجاز حققوا
الهمزة فى الكلام ولم يبدلوه لو لم يكن فلم يجى كما جاء ينبع ونحوه مما رفض استعماله واما ما روى فى الحديث من ان
بعضهم قال يا نبئ الله فقال لست بنبئ الله ولكن نبى الله فانظر ان من اهل النقل من ضعف اسناد هذا
الحديث ويقوى ضعفه ان من مدح النبى ص فقال يا خاتم النبآء انك مرسل بالحق جزء هدى الا له هدا كام [illegible]
عليه النكار عليه فيما علمنا ولو كان فى واحد يكره لكان الجمع كالواحد ومن جعل الهمز لا يحقق فجمع فى التنزيل
على انبياء الله الذى هو فى اكثر الامر المعتل اللام نحو صفى واصفياء وغنى واغنياء فدل على ان الى حد قلنا لزم
فيه البدل فاذا لزم البدل ضعفا في التحقيق ولا يجوز ان يكون اشتقاق النبى من النبوة التى هى الارتفاع او من النباوة
لان سيبويه حكى ان جميع العرب يقولون تنبأ مسيلمة بالهمز فدل على ان اصله الهمز وقال الزجاج يجوز ان يكون
نبى من انبأت فترك همزه لكثرة الاستعمال ويجوز ان يكون من نبأ ينبو اذا ارتفع فيكون فعيلا من الرفعة
اللغة الطعام ما يتغذى به والطعم بضم الطاء الاكل والطعم بفتح الطاء ما يدرك بحاسة الذوق

غنه

الى مصر فقد ابعدنا اي الى ما تجاوز اليه الاعراب قوله يخرج لنا مجزوم لانه جواب امر محذوف وقال الاخفش تقديره ادع
ربك وقل له يخرج لنا وقد ذكرنا فيما تقدم ان الاصل فيه مجزوم بالشرط وحذف الشرط لان الكلام يدل عليه
وقيل تقديره ان تدعو يخرج وقيل انما اضمار اللام اي ليخرج لنا نحو قوله قل لعبادي الذين امنوا يقيموا الصلوة اي ليقيموا
فحذف اللام وانشد ابو زيد فيحيى صوتها ما يقوم الحاجة ولا يسمع انا جعج تجيبك من دعا وانشد سيبويه
فان الذي الصوت تنادى داعيان اي ولا دعوة لـ احمد محمد تفد نفسك كل نفس اذا ما خفت من شيء
تبالا اي لتفد قال المبرد حدثني المازني قال جلست في حلقة الفراء فسمعته يقول لاصحابه لا يجوز حذف لام الامر
الا في شعر وانشد من كان لا يزعم اني شاعر فيدن مني تنهه المزاجر فقلت له لم جاز في الشعر ولم يجز في الكلام
قال لان الشعر يضطر فيه الشاعر فيحذف قال قلت فما اضطره هاهنا وهو يمكنه ان يقول فليدن قال فسأل عني فقيل
المازني فاوسع لي وقوله مما تنبت الارض من بقلها من هنا للتبعيض لان المراد يخرج لنا بعض ما تنبته الارض وقال
بعضهم ان من هنا زائدة نحو قوله ما جاءني من احد والصحيح الاول لان من لا تزاد في الايجاب وانما تزاد في النفي ولان من المعلوم
انهم لم يريدوا جميع ما تنبته الارض وقرأ جميع القراء مصرا بالتنوين لانه اراد مصرا من الامصار بغير تعيين لانهم كانوا في التيه
ويجوز ان يكون المراد مصرا بعينها البلدة المعروفة وصرفه لانه مذكر وروى عن ابن مسعود انه قرأ بغير الف ويجوز ان يكون
اراد مصر هذه بعينها كما قال ادخلوا مصر ان شاء الله امنين وانما لم يصرفه لانه اسم مدينة فهو مذكر سمي به مؤنث
ويمكن ان يكون من نونه اتباعا للمصحف لانه مكتوب في المصحف بالف وقوله ذلك بانهم كانوا يكفرون قال الزجاج
معناه والله اعلم الغضب حل بهم بكفرهم وقول في بيانه ان ذلك اشارة الى الغضب في قوله وباءوا بغضب فهو في موضع
الرفع بالابتداء وان مع صلته من الاسم المجرور موضع جر بالباء والجار يتعلق بخبر المبتدأ وهي جملة من الفعل والفاعل
حذفت الدلالة ما يتصل بها عليها وكذلك قوله ذلك بما عصوا فان ما مع صلته في تأويل المصدر المعنى
لما عدد سبحانه في ما قبل ما اسدى اليهم من النعم والاحسان ذكر ما قابلوه تلك النعم من الكفران وسوء الاختيار
لنفوسهم بالعصيان فقال واذ قلتم اي قال اسلافكم من بني اسرائيل يا موسى لن نصبر على طعام واحد اي لن نطيق حبس انفسنا
على طعام واحد وانما قال على طعام واحد وان كان طعامهم المن والسلوى وهما شيئان لانه اراد بهما ان طعامهم في
كل يوم واحد اي يأكلون في اليوم ما يأكلونه في الامس كما يقال ان طعام فلان في كل يوم واحد وان كان يأكل
الوانا اذا حبس نفسه على الوان من الطعام لا يعدوها الى غيرها وقيل انه كان ينزل عليهم المن وحده فملوه فقالوا
ذلك فانزل عليهم السلوى من بعد ذلك وقوله فادع لنا ربك اي فسل ربك وادعه لاجلنا يخرج لنا مما تنبت
الارض من بقلها وقثائها وما سماه الله تعالى مع ذلك وكان سبب مسألتهم ذلك ما رواه قتادة قال كان القوم
في البرية قد ظلل عليهم الغمام وانزل عليهم المن والسلوى فملوا ذلك وذكروا عيشا كان لهم بمصر فسألوه موسى فقال الله
اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم وتقديره فدعا موسى فاستجاب له فقلنا لهم اهبطوا مصرا وقيل انهم قالوا لو لا نصبر على المن
بان يكون جميع اغذيتنا فلا يقدر بعضنا على الاستعانة ببعض فلذلك قالوا يخرج لنا مما تنبت الارض ليحتاجوا فيه الى غيرهم
فيكون الفقير عونا للغني وقوله اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير قال لهم موسى وقيل بل قال الله لهم اتتركون ما اختاره
لكم وتؤثرون ما هو ادون واردى على ذلك وقيل انه اراد اتستبدلون ما تبتذلون في زراعته وصناعته بما
اعطاكم الله اياكم عفوا من المن والسلوى وقيل المراد تختارون الذي هو اقرب اي اقل قيمة على الذي هو اكثر قيمة
واكثر واختلف في سؤالهم هذا هل كان معصية فقيل لم يكن معصية لان الاول كان مباحا وقيل بل كان معصية
لانهم لم يرضوا بما اختار الله لهم ولذلك ذمهم على ذلك وهو الوجه وقوله اهبطوا مصرا اختلفوا فيه فقال
الحسن والربيع اراد مصر فرعون الذي خرجوا منه وقال ابو مسلم اراد بيت المقدس وروي ذلك عن ابن زيد وقيل

والطعام من قبل الاجسام والواحد اولى عند الحساب والله عز اسمه واحد لتفرده بصفات الحمد
والدعاء اصله النداء عن ابن السراج فكل من يدعو ربه فهو يناديه وحقيقة الدعاء قول القائل لمن فوقه افعل والفرق
بين الامر يعظم الرتبة والانبات اخراج النبات واصله من الظهور فكانه ظهر اذا نبت والبقل ما نبت في الربيع
مما تنبت الارض والقثاء لغتان فصيحتان والبقل كل نبات ليس له ساق والقثاء فيه لغتان ضم القاف
وكسرها والكسر اجود وهي لغة القرآن وقد روي عن عيسى في الشواذ بالضم والفوم الحنطة عن ابن عباس وقتادة
والسدي وهو المروي عن ابي جعفر الباقر وانشد ابن عباس قول احيحة بن الجلاح قد كنت اغنى الناس شخصا
واجدا ورد المدينة عن زراعة فوم وقال الفراء والازهري هو الحنطة والخبز تقول العرب فوموا لنا اي اخبزوا
وقال قوم هو الحبوب التي تخبز وقال الكسائي هو الثوم ابدلت الثاء فاء كما قالوا جدث وجدف وقال الفراء
وهذا اشبه بما ذكر معه من البصل قال الزجاج وهذا بعيد لانه لا يعرف الثوم بمعنى الفوم ولان القوم لا يجوز ان يطلبوا
الثوم ولا يطلبون الخبز الذي هو الاصل وهذا ضعيف لانه قد روي في الشواذ عن ابن مسعود وابن عباس وثومها بالثاء
والعدس حب معروف وقوله ادنى اي اقرب وادون كما تقول هذا شيء مقارب اي دون ويجوز ان يكون ادنى من
الدناءة وهو الخسة يقال دنا دناءة فهو دني وهو ادنى منه فترك همزها وهو اختيار الفراء وحكى الازهري عن ابي زيد
الدني بلا همز الخسيس والدنيء بالهمز الماجن واما اشتقاق مصر فقال بعضهم هو من القطع لانقطاعها بالعمارة
عما سواها ومنهم من قال هو مشتق من الفصل بينه وبين غيره قال عدي بن زيد وجاعل الشمس مصرا لا خفاء به بين النهار
وبين الليل قد فصلا وضربت عليهم الذلة اي فرضت ووضعت عليهم الذلة والزموها من قولهم ضرب الامام
الجزية على اهل الذمة وضرب الامير على عبده الخراج وقيل ضربت عليهم اي حلت بهم الذلة الذل والمسكنة
مأخوذ من ضرب القباب قال الفرزدق ضربت عليك العنكبوت بنسجها وقضى عليك به الكتاب المنزل
واما الذلة فمشتقة من قولهم ذل فلان يذل ذلا وذلة والمسكنة مصدر المسكين يقال ما فيهم اسكن من فلان وما كان
مسكينا ولقد تمسكن تمسكنا ومنهم من يقول تسكن تسكنا والمسكنة هاهنا مسكنة الفاقة والحاجة
وهي خشوعها وذلها وقوله باءوا بغضب اي انصرفوا ورجعوا ولا يقال باء الا موصولا اما بخير او بشر واكثر ما
يستعمل في الشر ويقال باء بذنبه اي بوء به قال المبرد واصله المنزلة اي نزلوا منزلة غضب الله وروي ان رجلا
جاء برجل الى رسول الله صلعم فقال هذا قاتل اخي فهو بواء به اي مقتول به ومنه قول ليلى الاخيلية فان تكن القتلى
بواء فانكم فتى ما قتلتم آل عوف بن عامر وقال الزجاج اصل ذلك التسوية ومنه ما روي عن عبادة بن الصامت قال
جعل الله تعالى الانفال الى نبيه فقسمها بينهم على بواء اي على سواء بينهم في القسم ومنه قول الشاعر فقتل جرائم له اكفى
له بواء ولكن لا تكايل بالدم وقال قوم هو الاعتراف ومعناه انهم اعترفوا بما يوجب غضب الله ومنه قول الشاعر اني ابوء بعثرتي
وخطيئتي ربي وهل الا اليك المهرب والغضب ارادة ايصال الضرر الى من غضب عليه فاذا اضيف الى الله تعالى
فالمراد به انه يريد انزال العقوبة بالمغضوب عليه نعوذ بالله من غضبه والنبي اشتقاقه من النبأ الذي هو الخبر كانه المخبر عن الله
سبحانه فان قلت لا يكون من النبوة وما انشد ابو عثمان قال انشدني كيسان يخص الضريبة في النبأ الذي وقعت
فيه الناوي فالقول فيه انه لا يكون منها لان سيبويه زعم انهم يقولون في تحقير النبوة اي تصغيرها كان
مسيلمة نبيئة سوء وكلهم يقولون تنبأ مسيلمة فلو كان يحتمل الامرين لما اجمعوا على ذلك قال ابو علي ومما يقوي انه
من النباوة الذي هو الارتفاع ان النباوة الرفعة فكانه قال في البيت النبي صح فيه الرفعة وليس كل رفعة نبوة
في البيت رفعة ليس بنبوة والمخبر عن الله تعالى المبلغ عنه رسول فهذا الاسم حسن واشد مطابقة للمعنى المقصود
اذا احذفنا النباوة والاعتداء التجاوز الحد الذي حده الله تعالى لعباده الى غيره وكل متجاوز حد شيء

قتادة والسدي ومجاهد اراد مصرا من الامصار فهو ان ما سألتموه انما يكون في الامصار ولا يكون في المفاوز اي اذا اردتم مدينة ذات طول وعرض فان لكم فيها ما سألتم من نبات الارض وتم الكلام هاهنا ثم استأنف حكم الذين اعتدوا في السبت ومن قتل الانبياء فقال وضربت عليهم الذلة والمسكنة اي الزموا الذلة الزاما لا تبرح عنهم كما يضرب المسمار على الشيء فيلزمه وقيل المراد بالذلة الجزية لقوله حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون عن الحسن وقتادة وقيل هو الكستيج وزي اليهود عن عطا وقوله والمسكنة يعني زي الفقر فترى المثري منهم يتباءس مخافة ان تضاعف عليهم الجزية وقال قوم هذه الآية تدل على فضل الغنى لانه ذمهم على الفقر وليس ذلك بالوجه فقر القلب لانه قد يكون في اليهود مياسير ولا يوجد يهودي غني النفس وقال النبي ص الغنى غنى النفس ثم لم يزل اعداء الله اليهود بالعز فلا يروا النعمة يؤساء والرضا عنهم غضبا جزاء لهم بما كفروا باياته وقتلوا انبياءه ورسله اعتداء وظلما وباؤا بغضب من الله اي رجعوا منصرفين متحملين غضب الله وقد وجب عليهم من الله الغضب وحل بهم منه السخط وقال قوم الغضب هو ما حل بهم في الدنيا من البلاء والنقمة بدلا من الرخاء والنعمة وقال آخرون هو ما ينالهم في الاخرة من العقاب على معاصيهم ثم اشار الى ما تقدم ذكره فقال ذلك اي ذلك الغضب وضرب الذلة والمسكنة حل بهم لاجل انهم كانوا يكفرون بايات الله اي يجحدون حجج الله تعالى وبيناته وقيل المراد بايات الله الانجيل والقران ولذلك قال فباؤا بغضب على غضب الاول لكفرهم بعيسى والانجيل والثاني لكفرهم بمحمد ص وقيل ايات الله صفة محمد ص وقوله ويقتلون النبيين بغير الحق اي بغير جرم كزكريا ويحيى وغيرهما وقوله بغير الحق لا يدل على انه قد يصح ان يقتل النبيون بحق لان هذا خرج مخرج الصفة وانه لا يكون الا ظلما بغير حق كقوله تعالى ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به ومعناه ان ذلك لا يمكن ان يكون عليه برهان وكقول الشاعر على لاحب لا يهتدى بمناره ومعناه ليس هناك منار فيهتدى به وفي امثاله كثرة وقوله ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ذلك اشارة الى ما تقدم اي بعصيانهم في قتل الانبياء وعدوهم في السبت وقيل نقضهم العهد واعتدائهم في قتل الانبياء والمراد اني فعلت بهم ما فعلت من ذلك بعصيانهم امري وتجاوزهم حدي الى ما نهيتهم عنه سؤال ان قيل كيف يجوز التخلية بين الكفار وقتلهم الانبياء فالجواب انما جاز ذلك لينال الله سبحانه من رفع المنازل والدرجات ما لا ينالونه بغير القتل وليس ذلك بخذلان لهم كما ان التخلية بين المؤمنين والاولياء والمطيعين وبين قاتليهم ليست بخذلان لهم وقال الحسن ان الله تعالى لم يأمر نبيا بالقتال فقتل فيه وانما قتل من الانبياء من قتل في غير قتال والصحيح ان النبي اذا كان لم يؤد الشرع النبي ص بتأديته لم يجز ان يمكن الله سبحانه من قتله لانه لو مكن من ذلك لادى الى ان يكون المكلفون غير مزاحي العلة في التكاليف وفيما هو من الالطاف والمصالح فاما اذا ادى الشرع فيجوز ان يخلي الله بينه وبين قاتله ولم يجب عليه المنع من قتله وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه واله قال اختلف بنو اسرائيل بعد موسى بخمسمائة سنة حتى كثر فيهم اولاد السبايا واختلفوا بعد عيسى بمائتي سنة قوله تعالى ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون . اية

القراءة قرأ نافع بترك الهمز من الصابئين والصابئون في كل القران والباقون يهمزون الحجة ترك الهمز يحتمل وجهين احدهما ان يكون من صبا يصبو اي مال الى الشيء والاخر على الهمز قال ابو علي ويسهل ان ياخذ من صبا يصبو لانه قد يصبو الانسان الى الدين فلا يكون منه تدين به مع صبوه اليه فاذا بعد هذا وكان الصابئون منسلخين من دينهم الذي اخذ عليهم الى سواه لم يستقم الا ان يكون من صبأت الذي معناه انسلخ من دينهم الى دين ابتدع لهم فيكون على قلب الهمزة وقلب الهمزة على هذا الحد لا يجوز عند سيبويه الا في الشعر ونقل عن علي ان القائل بذلك غير فصيح وانه مخلط في لغته فالاختيار الهمز لانه قراءة الاكثر والى التفسير اقرب اللغة

هادوا

هادوا اي صاروا يهودا ودانوا باليهودية وهاد يهود هودا اي تاب ورجع فان قيل فمن اي شيء اشتق اسم اليهود فقيل هو من الهود اي التوبة ومنه قوله انا هدنا اليك عن ابن جريج وسموا بذلك لتوبتهم من عبادة العجل وقال زهير سوى ربع لم يأت فيه مخافة ولا رهقا من عابد متهود اي تائب وقيل انما سموا يهودا لانهم نسبوا الى يهوذا اكبر ولد يعقوب فعربت الذال دالا وقيل انما سموا يهودا لانهم هادوا اي مالوا عن الاسلام وعن دين موسى وقيل سموا بذلك لانهم يتهودون اي يتحركون عند قراءة التورية ويقولون ان السموات والارض تحركت حين اتى الله موسى ع التورية واليهود اسم جمع واحدهم يهودي كالزنجي والزنج والرومي والروم والنصارى جمع نصران كقولهم سكران وسكارى وندمان وندامى هذا قول سيبويه قال الشاعر تراه اذا دار العشي محنفا يضحي لديه وهو نصران شامس وهو الممتلي نصرا كما ان الغضبان هو الممتلي غضبا وقيل في مؤنثه نصرانة قال كما سجدت نصرانة لم تحنف وقيل ان واحد النصارى نصري مثل مهري ومهارى واختلفوا في اشتقاق هذا الاسم فقال ابن عباس هو من ناصرة قرية كان ينزلها عيسى ع فنسبوا اليها وقيل سموا بذلك لتناصرهم اي نصر بعضهم بعضا وقيل انما سموا بذلك لقوله من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله والصابئين جمع صابئ وهو من خرج من دين الى دين اخر وكل خارج من دين كان عليه الى اخر غيره سمي في اللغة صابئا قال ابو علي قال ابو زيد صبأ الرجل في دينه يصبأ صبأ وصبوءا اذا كان صابئا ومثله فكان معنى الصابئ التارك دينه الذي شرع له الى دين غيره كما ان الصابئ على القوم تارك لارضه ومنتقل الى سواها فالدين الذي فارقوه هو تركهم التوحيد الى عبادة النجوم او تعظيمها قال قتادة هم قوم معروفون ولهم مذهب يتفردون به ومن دينهم عبادة النجوم هم يقرون بالصانع وبالمعاد وببعض الانبياء وقال مجاهد والحسن الصابئون بين اليهود والمجوس لا دين لهم وقال السدي هم طائفة من اهل الكتاب يقرؤن الزبور وقال الخليل هم قوم دينهم شبيه بدين النصارى الا ان قبلتهم نحو مهب الجنوب حيال منتصف النهار يزعمون انهم على دين نوح وقال ابن زيد هم اهل دين من الاديان كانوا بجزيرة الموصل يقولون لا اله الا الله ولم يؤمنوا برسول الله فمن اجل ذلك كان المشركون يقولون للنبي صلعم ولاصحابه هؤلاء هم الصابئون يشبهونهم بهم وقال اخرون هم طائفة من اهل الكتاب والفقهاء باجمعهم يجيزون اخذ الجزية منهم وعندنا لا يجوز ذلك لانهم ليسوا باهل كتاب الاعراب خبر ان جملة قوله من امن بالله الاية لان معناه من امن منهم بالله واليوم الاخر وترك ذكر منهم لدلالة الكلام عليه وقوله فلهم اجرهم عند ربهم الخ الاية في موضع الجزاء وانما رفع ولا خوف لتكرر لا كقول الشاعر وما هجرتك حتى قلت معلنة لا ناقة لي في هذا ولا جمل وهذا كله جواب لمن قال اناقة لك في هذا ام جمل فاما النكرة المفردة فيفتح بغير تنوين كقولك لا رجل في الدار وهو جواب هل من رجل في الدار وانما قال من امن فوحد ثم قال فلهم اجرهم فجمع لان من موحد اللفظ مجموع المعنى على ما تقدم بيانه المعنى ان الذين امنوا اختلف في هؤلاء المؤمنين منهم فقال قوم هم الذين امنوا بعيسى ع ثم لم يتهودوا ولم يتنصروا ولم يصبأوا وانتظروا خروج محمد ص وقيل هم طلاب الدين منهم حبيب النجار وقس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل والبراء الشني وابو ذر الغفاري وسلمان الفارسي وبحيرا الراهب ووفد النجاشي امنوا بالنبي ص قبل مبعثه فمنهم من ادركه وتابعه ومنهم من لم يدركه وقيل هم مؤمنوا الامم الماضية وقيل هم المؤمنون من هذه الامة وقال السدي هو سلمان الفارسي واصحابه النصارى الذين كان قد تنصر على ايديهم قبل مبعث رسول الله وكانوا قد اخبروه بانه سيبعث وانهم يؤمنون به ان ادركوه واختلفوا في قوله من امن بالله واليوم الاخر فقال قوم هو خبر عن الذين هادوا والنصارى والصابئين والحكم مرجع اليهم لان الذين امنوا قد كانوا مؤمنين فلا معنى ان [illegible] منهم استيناف الايمان بمكانه قال ان الذين امنوا ومن امن من اليهود والنصارى والصابئين بالله واليوم الاخر فلهم اجرهم وقال اخرون من امن منهم تغيير مرجع الى الكل ويكون رجوعه الى الذين امنوا بمعنى الثبات منهم على ايمانهم

بالاستقامة وقيل انه التبديل واما الذين هادوا والنصارى والصابئين فهي استيناف الايمان بالنبي صلعم وما جاء به
وقال بعضهم الا من امن بمحمد بعد الايمان بالله وبالكتب المتقدمة لانه لا يتم احدهما الا بالاخر ونظيره قوله والذين امنوا و
عملوا الصالحات وامنوا بما نزل على محمد وروى عن ابن عباس انه قال انها منسوخة بقوله ومن يبتغ غير الاسلام دينا
فلن يقبل منه وهذا بعيد لان النسخ لا يجوز في الخبر الذي هو متضمن الوعد وانما يجوز دخوله في الاحكام الشرعية التي يجوز تغيرها
وتبدلها بتغير المصلحة فالاولى ان يحمل على انه لم يصح هذا القول عن ابن عباس وقال قوم ان حكمها ثابت والمراد بها ان الذين
امنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم من المنافقين واليهود والنصارى والصابئين اذا امنوا بعد النفاق واسلموا بعد العناد كان
لهم اجرهم عند ربهم كمن امن في اول الاستدعاء الى الايمان من غير نفاق ولا عناد لان قوما من المسلمين قالوا ان من اسلم بعد
نفاقه وعناده كان ثوابه انقص واجره اقل فاخبر الله بهذه الاية انهم سواء في الاجر والثواب وقوله بالله اي بتوحيد الله وصفاته
وعدله واليوم الاخر يعني يوم القيمة والبعث والحشر والجنة والنار وعمل صالحا اي عمل بما امره الله من الطاعات
والمأثم بترك المعاصي لان تركها من الاعمال الصالحة فلهم اجرهم اي جزاؤهم وثوابهم عند ربهم اي معد عنده لا
ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون مضى تفسيره قبل وقيل معناه لا خوف عليهم فيما قدموا ولا هم يحزنون فيما على
خلفوا وقيل لا خوف عليهم في العقوبة لا يحزنون على الدنيا وفي هذه الاية دلالة على ان الايمان هو التصديق
والاعتقاد بالقلب لانه تعالى قال من امن بالله ثم عطف عليه بقوله وعمل صالحا ومن حمل ذلك على التاكيد او الفضل
فقد ترك الظاهر وكل ما يذكرونه مما عطف على الاول بعد دخوله فيه مثل قوله فيهما فاكهة ونخل ورمان
وقوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح كان جميع ذلك على سبيل المجاز والاتساع ولو خلينا والظاهر لقلنا
انه ليس بداخل في الاول قوله تعالى واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم بقوة
واذكروا ما فيه لعلكم تتقون • اية اللغة الميثاق مفعال من الوثيقة اما بيمين او عهد او غير ذلك
من الوثائق والطور الجبل في اللغة قال العجاج داني جناحيه من الطور فمر تقضي البازي اذا البازي كسر وقيل
انه اسم جبل بعينه ناجى الله عليه موسى عم عن ابن عباس القوة القدرة وهي ... بصير به الحي قادرا وكل حي
قادر بقدرة لا يخرج منه فعل الجسم والاخذ ضد الاعطاء واصل خذ اوخذ وكذا كل صلة كل وامر
حذف فيهما الكثرة الاستعمال وكذلك مر وقد جاء فيه اومر على الاصل الاعراب خذوا ما اتيناكم
محله نصب على تقدير وقلنا لهم خذوا كما يقول وجب عليه اي وجب عليه فقلت ثم قال الفراء
الميثاق قول فلا حاجة بالكلام الى اضمار القول فيه غير انه ينبغي في كل ما خالف القول من الكلام الذي هو بمعنى
القول ان يكون معه ان كقوله تعالى انا ارسلنا نوحا الى قومه ان ... ويجوز حذف ان وموضع ما نصب المعنى
ثم عاد الى خطاب بني اسرائيل فقال واذكروا اذ اخذنا ميثاقكم اي عهدكم والعهد هو الذي فطر الله الخلق عليه
من التوحيد والعدل ونصب لهم من الحجج الواضحة والبراهين الساطعة الدالة على ذلك وعلى صدق الانبياء
والرسل وقيل اراد الميثاق الذي اخذه الله على الرسل في قوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين الاية وقيل هو ما جاء
في التورية عن موسى عم ورفعنا فوقكم الطور قال ابن زيد هذا حين رجع موسى من الطور فاتى بالالواح فقال لقومه
جئتكم بالالواح وفيها التورية والحلال والحرام فاعملوا بها قالوا ومن يقبل قولك فارسل الله عز وجل الملائكة
حتى نتقوا الجبل فوق رؤسهم فقال موسى عم ان قبلتم ما اتيتكم به والا ارسلوا الجبل عليكم فاخذوا
التورية وسجدوا لله تعالى ملاحظين الى الجبل فمن ثم يسجد اليهود على انصاف وجوههم وقيل وهذا هو اخذ الميثاق
وكان في حال رفع الجبل فوقهم لان في هذه الحال قيل لهم خذوا ما اتيناكم يعني التورية بقوة اي بجد
ويقين لا شك فيه وهو قول ابن عباس وقتادة والسدي وقريب منه ما روى العياشي انه سئل الصادق

الصادق عم عن قول الله خذوا ما اتيناكم بقوة اقوة بالابدان ام قوة بالقلوب فقال بهما جميعا وقيل خذوه بقوة
هو العمل بما فيه بعزيمة وجد وقيل بقدرة وانتم قادرون على اخذه عن ابي علي والاصم واذكروا ما فيه
الضمير في فيه يعود الى ما من قوله ما اتيناكم وهو التورية يعني احفظوا ما في التورية من الحلال والحرام ولا تنسوه وقيل
معناه اذكروا ما في تركه من العقوبة وهو المروي عن ابي عبد الله عم وقيل معناه اعملوا بما فيه ولا تتركوه وقيل المعنى
في ذلك ان ما اتيناكم فيه من وعد ووعيد وترغيب وترهيب تدبروه واعتبروا به واعملوا به لعلكم تتقون اي لكي
تتقوني اذا فعلتم ذلك وتخافوا عقابي وتتمسكوا بطاعتي وتورعوا عما استحللتم من المعصية قوله تعالى
ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين • اية اللغة توليتم اعرضتم وهو مطاوع
قولهم ولاه فلان دبره اذا استدبر عنه وجعله خلف ظهره ثم يستعمل ذلك في كل تارك طاعة امر ومعرض
بوجهه عنه فيقال تولى فلان عن طاعة فلان وتولى عن صداقته ومنه قوله فلما اتاهم من فضله بخلوا به وتولوا اي خالفوا
ما عاهدوا الله من قولهم لنصدقن ولنكونن من الصالحين والخاسر هو الذي ذهب راس ماله وراس مال الانسان نفسه
وما سواها فما يحصل له من المنافع فهو كله ربح المعنى معنى الاية ثم نبذتم العهد الذي اخذناه عليكم بعد اعطائكم المواثيق
وراء ظهوركم واعرضتم عنه فلولا فضل الله عليكم اي فلولا ان تفضل الله بالتوبة بعد نكثكم الميثاق الذي واثقتموه اذ
رفع فوقكم الطور وانعم عليكم بالاسلام ورحمته التي رحمكم بها فتجاوز عنكم خطيئتكم بمراجعتكم طاعة ربكم لكنتم
الخاسرين وقال ابو العالية فضل الله الايمان ورحمته القرآن فيكون معناه لولا ان دعاكم على الايمان وازاحة عللكم
فيه حتى فعلتم الايمان لكنتم من الخاسرين وانما جعل الايمان فضلا وتوبته التي بها تجاوز لكونوا بها خاسرين فضلا منه
من حيث كان هو الداعي اليه والمقدر عليه والمرغب فيه ويحتمل ان يكون المعنى فلولا فضل الله عليكم بامهاله اياكم بعد
توليكم عن طاعته حتى تاب عليكم برجوع بعضكم عن ذلك وتوبته لكنتم من الخاسرين ويحتمل ان يريد فلولا فضله
عليكم في رفع الجبل فوقكم للتوفيق واللطف الذي تم عنده حتى زال العذاب عنكم وسقوط الجبل لكنتم من الخاسرين
قوله تعالى ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين • اية اللغة
علمتم اي عرفتم هنا تقول اخاك ولم اكن اعلمه اي عرفته ولم اكن عرفته كقوله تعالى واخرين من دونهم لا تعلمونهم
الله يعلمهم اي لا تعرفونهم الله يعرفهم والذين اعتدوا في موضع نصب لانه مفعول به والفرق بينه وبين ما
يتعدى الى مفعولين ان المعرفة تتصرف الى ذات الشيء والعلم يتصرف الى احواله فاذا قلت علمت زيدا فالمراد عرفت شخصه
واذا قلت علمت زيدا كريما او لئيما فالعلم يتعلق باحواله من فضل ونقص اعتدوا اي ظلموا وجاوزوا ما حد لهم والسبت
من ايام الاسبوع قال الزجاج السبت قطعة من الدهر فسمي بذلك اليوم وقال ابو عبيدة سمي بذلك لانه يوم سبت
فيه خلق كل شيء اي قطع وفرغ وقال قوم انما سمي بذلك لان اليهود يسبتون فيه اي يقطعون فيه الاعمال وقال
اخرون سمي بذلك لما لهم فيه من الراحة لان اصل السبت هو السكون والراحة ومنه قوله تعالى وجعلنا نومكم سباتا
ويقال للنائم مسبوت لاستراحته وسكون جسده والقردة جمع قرد والانثى قردة والخاسئ المبعد والمطرود
يقال خسأت الكلب اخسأه خسأ وخسأ الكلب يخسؤ خسوءا تقول خسأته فخسأ وانخسأ
قال الراجز كالكلب ان قلت له اخسأ انخسأ اي طردته انطرد المعنى خاطب اليهود فقال
ولقد علمتم اي عرفتم الذين اعتدوا منكم في السبت اي الذين جاوزوا ما امرهم الله به من ترك الصيد يوم السبت
وكانت الحيتان تجتمع في يوم السبت لامنها فحبسوها في السبت واخذوها في الاحد فاعتدوا في السبت اي ظلموا
وتجاوزوا ما حد لهم لان صيدها هو حبسها وروي عن الحسن انهم اصطادوا يوم السبت مستحلين
بعد ما نهوا عنه فقلنا لهم كونوا قردة هذا اخبار عن سرعة فعله ومسخه اياهم لا ان هناك امرا ومعناه

جعلناهم قردة كقوله فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين ولم يكن هناك قول وانما اخبر عن تسهيل
الفعل عليه وتكوينه بلا مشقة قال ابن عباس فمسخهم الله عقوبة لهم وكانوا يتعاوون وبقوا ثلثة ايام لم ياكلوا ولم يشربوا
ولم يتناسلوا ثم اهلكهم الله تعالى وجاءت ريح فهبت بهم والقتهم في الماء وما مسخ الله امة الا اهلكها وهذه القردة
والخنازير ليس من اولاد ادم ولو كانت من ولادة الممسوخين لكانت من بني ادم وقال مجاهد لم يمسخوا قردة وانما هو مثل ضربه الله
كما قال كمثل الحمار يحمل اسفارا وحكي عنه ايضا انه مسخت قلوبهم فجعلت كقلوب القردة لا تقبل وعظا ولا تتقي
زجرا وهذان القولان لا يخالفان الظاهر الذي اكثر المفسرين عليه من غير ضرورة تدعوا اليه وقوله خاسئين اي مبعدين
من الخير وقيل اذلاء صاغرين مطرودين عن مجاهد وفي هذه الاية احتجاجات من الله تعالى على اليهود بنعمة
على ابائهم واخبار الرسول صلعم عن عناد اسلافهم مرة بعد اخرى وكفرانهم وعصيانهم ثابتة بعد اولى مع ظهور الايات
اللائحة والمعجزات الواضحة اي تعريفه لهم وتثبيتا لفؤاده وتسلية له عما يقاسيه من مخالفة اليهود وكيدهم
وبراءة من جحودهم وكفرهم وعنادهم ويكون وقوفه على من اخبار سلفهم تنبيها لهم وحجة عليهم في اسنادهم
الى الهواء والمخادعة وتحذيرا لهم من ان يحل بهم ما حل بابائهم واجدادهم قوله تعالى فجعلناها نكالا لما بين يديها
وما خلفها وموعظة للمتقين ١ اية اللغة النكال الارهاب للغير واصله المنع ومنه ماخوذ من النكل
وهو القيد وحدايد اللجام وسميت العقوبة نكالا لانها تمنع عن ارتكاب مثل ما ارتكبه من نالته ويكون ذلك
فلان بفلان تنكيلا ونكالا والموعظة الوعظ واصله التخويف يقال وعظت فلانا موعظة ووعظا وعظة المعنى
فجعلناها الضمير يعود الى الامة التي مسخت وهم اهل ايلة قرية على شاطئ البحر وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلم
او الى المسخة عن الزجاج او الى العقوبة اي جعلنا تلك العقوبة عن ابن عباس او الى القرية لانه اعني اهلها
فيها نكالا اي عقوبة وقيل اشتهارا وفضيحة وقيل تذكرة وعبرة وقوله لما بين يديها وما خلفها ذكر فيه وجوه احدها
ما روي عن ابن عباس رواه الضحاك عنه قال لما بين يديها الامم التي تراها وما خلفها ما يكون بعدها وهو قريب
المأثور المروي عن الباقر والصادق عليهما السلم انهما قالا لما بين يديها اي لما معها ينظر اليها من القرى وما خلفها نحن
ولنا فيها موعظة فعلى هذا يكون ما بمعنى من اي نكالا للخلق الذي كانوا معهم وللجميع ما ياتي بعدهم
الى يوم القيمة لئلا يفعلوا مثل فعلهم وثانيها ان يكون معناه جعلناها عقوبة للذنوب التي تقدمت على
الاصطياد والذنوب التي تاخرت عنه وهذا يقتضي ان يكون الله تعالى انما حلهم بالعقوبة عقيب الاصطياد
عن ابن عباس ايضا فيكون اللام بمعنى السبب اي بسبب ذلك وثالثها ان يكون المراد لما بين يديها من القرى وما خلفها
من القرى عن عكرمة ورابعها ان يكون المراد لما بين يديها ما مضى من خطاياهم وما خلفها خطاياهم
التي اهلكوا بها عن مجاهد وموعظة للمتقين معناه انما يتعظ بها المتقون فكانها موعظة لهم دون غيرهم
وهذا كقوله سبحانه هدى للمتقين وفي هذه الاية دلالة على ان من فعل مثل فعل هؤلاء ممن تقدمهم او تاخرهم
يستحق من العذاب مثل ما حل بهم من التشويه وتغيير الخلقة اذ كان نكالا لهم جميعا وتحذيرا وتنبيها للمتقين
لكي لا يواقعوا من المعاصي ما واقع اولئك فيحل بهم ما استحقوه نعوذ بالله من سخطه قوله تعالى
واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين ١ قالوا ادع
لنا ربك يبين لنا ما هي قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون ١ قالوا ادع
لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين ١ قالوا ادع لنا ربك
يبين لنا ما هي ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون ١ قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض
ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الان جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون ١ حمزة

القراءة

القراءة قرا حمزة واسمعيل عن نافع وعباس عن ابي عمرو هزوا وكفوا بالتخفيف والهمز في كل القران وقرا حفص عن عاصم
بضم الزاي والفاء غير مهموز وقرا يعقوب هزوا بضم الزاي وكفوا بسكون الفاء والباقون بالتثقيل والهمز الحجة
قال ابو الحسن زعم عيسى ان كل اسم على ثلثة احرف اوله مضموم فمن العرب من يثقله ومنهم من يخففه نحو العسر واليسر
والحكم وما يقوي هذه الحكاية ان ما كان على فعل من الجموع مثل كتب ورسل قد استمر فيه الوجهان حتى جاء
في المعتل العين الواوي نحو سوك لاحاطه فعل وفي الالف الممات سور وحكى ابو زيد قوم قول وما جاء في جمع فعلاء
نحو احمر وحمر فكانهم اتبعوا الاسكان المتصل بالحمل وقد جاء فيه التحريك في الشعر فاذا كان الامر على هذا وجب ان يكون
ذلك مستمرا في نحو الكفو والهزوء فاذا خففت الهمزة وثقل العين لزم ان تقلب الهمزة واوا فيقول هزوا ولم يكن له كفوا
احد وان خفف فاسكن العين قال هزوا فاقر الواو التي انقلبت عن الهمزة لانضمام ما قبلها وان لم تكن ضمة العين في
اللفظ لانها مرادة في المعنى كما قالوا لقضوا الرجل فابقوا الواو ولم يردوا الواو التي هي لام من قضيت لان الضمة مرادة في المعنى
وكذلك قالوا نعوذ بيده بعد في ما علم زيد ولم يردوا الواو التي هي لام لزوال الكسرة لانها مقدرة مرادة وان كانت محذوفة
من اللفظ فكذلك تقول هزوا وكفوا فتثبت الواو وان كنت حذفت الضمة الموجبة لاجتلابها واذا كان الامر على هذا
فقراءة من قرا بالضم وتحقيق الهمزة في الجواز والحسن كقراءة من قرا بالاسكان وقلب الهمزة واوا لانه تخفيف قياسي
وقد روي ابو زيد عن ابي عمرو انه خير بين التخفيف والتثقيل اللغة البقرة اسم للانثى من هذا الجنس واسم الذكر منه
الثور وهذا مما يخالف صيغة الذكر منه صيغة الانثى كالجمل والناقة والرجل والمراة والجدي والعناق واصل
البقر الشق يقال بقرت بطنه اي شققته وسمي البقرة لان من شانه شق الارض بالكراب والهزو اللعب والسخرية
يقال هزئت به هزوا ومهزاة واعوذ بالله الجاء الى الله عوذا وعياذا وحقيقة العياذ استدفاع ما يخاف من شر
بما يطمع ذلك منه والجهل نقيض العلم وقيل هو نقيض الحلم والصحيح انه اعتقاد الشيء على خلاف ما هو به كما ان العلم
اعتقاد الشيء على ما هو به والتبيين التعريف واصله من البين وهو الفراق من بين شيئا فقد ميزه عما يلتبس حتى يتميز
عنه قال سيبويه بان الشيء وابنته وبين وبينته واستبان واستبنته والمعنى واحد والفارض
الكبيرة المسنة يقال فرضت البقرة تفرض فروضا اذا اسنت قال الشاعر لعمري لقد اعطيت جارك فارضا
تساق اليه ما تقوم على رجل وقيل ان الفارض التي قد ولدت بطونا كثيرة فيتسع ذلك جوفها لان معنى الفارض في اللغة
الواسع الضخم وهو قول بعض المتاخرين واستشهد بقول الراجز يا رب ذي ضغن علي فارض له قروء كقروء الحائض
وقيل لحية فارضة اي عظيمة والبكر الصغيرة التي لم تحمل والبكر من بني ادم ومن البهائم ما لم يفتحله الفحل
والبكر من كل شيء اوله والبكر التي ولدت واحدا وبكرها اول ولدها قال البكر بكرين ويا حلب الكبد
اصبح مني كذراع من عضد وضربة بكرا اي قاطعة لا تثنى وحديث ابن طاب ... كانت
ضربات علي بن ابي طالب عم ابكارا كان اذا اعتلى قد واذا اعترض قط ذكره ابن فارس في مجمل اللغة والبكر
بفتح الباء الفتي من الابل والعوان دون المسنة وفوق الصغيرة وهي النصف التي ولدت بطنا او بطنين قال الفرا
يقال من العوان عونت المراة تعوينا اذا بلغت ثلثين سنة ومنه قيل للحرب عوان اذا لم تكن اول حرب بين القوم
وكانوا قد قاتلوا قبلها وبين اسم يستعمل على ضربين مصدر وظرف قال ابو علي وهما عندي في جميعهما
يرجعان الى اصل واحد وهو الافتراق والانكشاف وسياتي بيانه في الاعراب ان شاء الله تعالى واللون عرض
يتعاقب على الجوهر تعاقب التضاد وهو عبارة عما اذا وجد حصلت به الجواهر على هيئة مخصوصة
لولاه لما حصلت على تلك الهيئة ولا يدخل تحت مقدور العباد فاقع لونها اي شديد الصفرة يقال
اصفر فاقع واحمر ناصع واخضر ناضر واحمر قان وابيض يقق ولهق ولهاق واسود حالك

وحلوك وحلكوك وغربيب ودجوجي فهذه كلها صفات مبالغة في الالوان وقيل انه اراد بصفراء ههنا
سوداء شديدة السواد كما يقال ناقة صفراء اي سوداء. قال الشاعر تلك خيلي منه وتلك ركابي هن صفر اولادها
كالزبيب والاول اصح فان الابل وان وصفت به لا يوصف البقر به وايضا فان السواد لا يوصف بالفقوع وانما يوصف
بالحلوكة وغيرها على ما ذكرناه والبقر جمع بقرة وكذلك الباقر جمع كالجامل جمع جامل قال الاعشى وما ذنبه ان
عافت الماء باقر وما ان تعاف الماء الا لتضربا وقال الجرهمي جامل لا هداء الليل سامر اي جمال ونحوه اعبد هم اسم
مصوغ للكثرة كاسم الجنس ومثله العبيد والكليب والضئين في جمع عبد وكلب وضأن وقوله لا ذلول
يقال للدابة التي قد ذللها الركوب او العمل ذلول بين الذل بكسر الذال ويقال لذي مثله من بني ادم ذليل
بين الذل بضم الذال والذلة بكسرها والمذلة والاثارة اظهار الشيء بالكشف واثار الارض اي كربها وقلبها
والحرث كل الارض للبذر والزرع قال الخليل الحرث قذف البذر في الارض للازدراع والزرع الانبات
والانماء قال الله تعالى افرأيتم ما تحرثون ءانتم تزرعونه ام نحن الزارعون مسلمة مبراة من العيوب مفعلة من السلامة
الشية لون في الشيء يخالف عامة لونه والوشي خلط اللون باللون ولا شية فيها اي لا وضح فيها يخالف لون
جلدها ويقال وشيت الثوب اشيه شية ووشيا ومنه قيل لمن يشي بالرجل الى السلطان واش لكذبه عليه
عنده وتحسينه كذبه بالاباطيل ويقال منه وشيت به وشاية قال كعب بن زهير تسعى الوشاة بجنبيها
وقولهم انك يا ابن ابي سلمى لمقتول يعني انهم يقولون بالاباطيل ويقولون انه ان لحق بالنبي ص قتله والذبح
فري الاوداج وذلك في البقر والغنم والنحر في الابل ولا يجوز فيها عندنا غير ذلك وفيه خلاف بين الفقهاء
وقيل للصادق ع ان اهل مكة يذبحون البقرة في اللبة فما ترى في اكل لحومها فسكت هنيئة ثم قال قال الله تعالى فذبحوها
فذبحوها وما كادوا يفعلون لا تاكل الا ما ذبح من منحر الاعراب حذفت الفاء من قوله قالوا اتتخذنا
هزوا لاستغناء ما قبله من الكلام عنه وحسن الوقف على قوله ان تذبحوا بقرة كما حسن اسقاطها من قوله قال فما
خطبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا ولم يقل فقالوا ولو قيل فقالوا لكان حسنا ولو قلت قمت ففعلت
لم يجز اسقاط الفاء لانها عطف لا استفهام يحسن السكوت عليه وقوله هزوا لا يخلو من احد امرين احدهما
ان يكون المضاف محذوفا لان الهزو حدث والمفعول الثاني من تخذ يكون الاول نحو قوله تعالى لا تتخذوا عدوي
وعدوكم اولياء والثاني ان يكون الهزو بمعنى المهزو به مثل الصيد في قوله تعالى احل لكم صيد البحر و
طعامه ونحوه وكما يقال رجل رضي اي مرضي اقيم المصدر مقام المفعول واما قوله لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم
هزوا ولعبا فلا يحتاج فيه الى تقدير محذوف مضاف لان الذين ليس بعين وقوله اعوذ اصله اعوذ نقلت
الضمة من الواو الى الساكن قبلها من غير استثقال لذلك غير انه اعلت عين الماضي لتحركها وانفتاح ما قبلها اعلت
عين المضارع ايضا ليجري الباب على سنن واحد وكذلك القول في عاذ يعيذ واستعاذ يستعيذ والاصل اعوذ يعوذ
واستعوذ يستعوذ وقوله لا فارض ولا بكر قال الاخفش ارتفع ولم ينتصب كما ينتصب النفي لانه صفة البقرة
وقوله عوان مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف كانه قال هي عوان وقال الزجاج ارتفع فارض باضمار هي اي هي لا
فارض ولا بكر قال وانما جاز بين ذلك وبين لا يكون الا مع اثنين او اكثر لان ذلك ينوب عن الجمل تقول
ظننت زيدا قائما فيقول القائل قد ظننت ذاك وظننت ذلك قال ابو علي لا يخلو ذاك فيما ذكره من قولهم
ظننت ذلك من ان يكون اشارة الى المصدر كما ذهب اليه سيبويه او يكون اشارة الى احد مفعولي ظننت
او يكون نائبة عن الجملة كما قال ابو اسحاق ولا يجوز ان يكون اشارة الى احد المفعولين لانه لو كان كذلك للزم ان
يذكر الاخر كما انك لو ذكرت اسم المشار اليه لزم فيه ذلك وكما انك اذا ذكرت المبتدأ

لزمك ذكر الخبر او يعلم من الحال ما يقوم مقام ذكر الخبر ولا يجوز ان يكون نائبة عن الجملة هنا ولا اشارة اليها
كما جاز عن الجملة في غير هذا الموضع من المواضع التي تقع فيها الجملة بخصوصها التي هي وصف النكرة فيقدر ان ذلك
في قولهم ظننت ذلك اشارة الى المصدر الذي هو الظن ولا يجوز ان يقع الا اسم مفرد موضع جملة ولو كان جاز ايضا
ان ينوب ذلك عن الجمل لما جاز وقوعه هنا لان هذا الموضع ليس من مواضع الجمل الا ترى ان ذلك اشارة الى ما تقدم
مما دل عليه قوله لا فارض ولا بكر وهو البكارة والفروض فانما يدل ذلك عليهما ولو كان واقعا موقع جملة ما دل عليهما لان
الجملة ينبغي فيها الحديث المحدث عنه وليس واحد من الفروض والبكارة حديثا لاخر الا ترى ان المعنى بين هذين
الوصفين وهذا واضح واعلم ان الاسم الذي يضاف اليه بين لا يخلو من ان يكون دالا على واحد او على اكثر من الواحد فاذا كان
دالا على الواحد عطف كل على اكثر منه بعطف عليه اسم آخر لما ذكرناه من ان اصله الافتراق فكما تمتنع ان تقول افترق زيد واختصم زيد
حتى تضيف اليه ما يزيد على الافراد كذلك لا تقول بين زيد حتى تضيف اخر بالواو دون غيرها من حروف العاطفة
واذا كان الاسم دالا على الكثرة وان كان مفردا جاز ان تضاف بين اليه واما قوله عوان بين ذلك فانما اضيف فيه بين الى
ذلك من حيث جاز اضافته الى القوم وما اشبه من ذلك من الاسماء التي تدل على الكثرة فانما جاز ان يكون قولنا
ذلك يراد به مرة الافراد ومرة الجمع والكثرة بمشابهته الموصولة كالذي وما الا ترى ان البابين يشتبهان في دلالة
كل واحد منهما على غير شيء بعينه فجاز ان يراد به الواحد مرة والاكثر من الواحد مرة ويدل على ما ذكرناه
من تصحيحهم بذلك الجمع وما زاد على الواحد ان رؤبة لما قال له ابو عبيدة في قوله فيه خطوط من سواد وبلق كانه في
الجلد توليع البهق ان اردت الخطوط فوجب ان تقول كانها وان اردت السواد والبلق وجب ان تقول
كانهما قال ان اردت كان ذلك [illegible] قول القائل ان الخير والشر
مدى وكلا ذلك وجه [illegible] الا ترى ان كلا لا يضاف الى المفرد فلولا ان المراد بذلك غير الافراد لما اضيف
كلا اليه فكذلك القول في عوان بين ذلك المراد بذلك الزيادة على الواحد الا ترى انه اشارة الى ما تقدم من قوله
مما دل على الفروض والبكارة وموضع ما من قوله ما هي رفع بالابتداء لانه خبر المبتدأ لان تاويله الاستفهام اي اي شيء هي
واي شيء لونها قال انه يقول انها [illegible] القول من باب [illegible] كانك لم تذكر القول في صدر كلامك وانما وقعت
قلت في كلام العرب على ان يحكى بها ما كان كلاما يقوم بنفسه قبل دخولها فيؤدي مع ذكرها ذلك اللفظ تقول قلت زيد
منطلق كانك حكيت قلت زيد منطلق وكذلك ان زيدا منطلق اذا حكيته تقول قلت ان زيدا منطلق
وقوم من العرب وهم بنو سليم يجعلون باب قلت كباب ظننت فيقولون قلت زيدا منطلقا وقوله فاقع لونها
ارتفع لونها بانه فاعل فاقع وهو صفة للبقرة مثل صفراء وكذلك تسر الناظرين جملة في موضع رفع بكونها صفة
لبقرة يقال فقع لونه يفقع فقوعا وفقع يفقع اذا خلصت صفرته وقوله ان البقر تشابه علينا كل جمع
يكون واحده بالهاء نحو البقرة والنخلة والسحاب فانه يذكر ويؤنث قال الله تعالى كانهم اعجاز نخل خاوية وفي موضع
اخر نخل منقعر والتذكير الغالب وقوله تثير الارض في موضع رفع بكونه صفة لذلول وهو داخل في معنى
النفي اي بقرة ليست بذلول مثيرة للارض ولا ساقية للحرث ومسلمة صفة ايضا للبقرة ولا شية فيها جملة في
موضع رفع ايضا بانها صفة لبقرة وشية مصدر من وشيت واصلها وشية فلما اسقطت الواو منها عوضت
الهاء في اخرها قالوا وشيته شية كما قالوا وزنته زنة ووصلته صلة فوزنها علة قالوا الان جئت في الان وجوه
اجودها اسكان اللام من الان وحذف الواو من اللفظ ويجوز قالوا لان على القاء الهمزة وفتح اللام من الان
وترك الواو محذوفة لالتقاء الساكنين ولا يعتد بفتح اللام ويجوز قالوا لان باظهار الواو لحركة اللام لانهم
لما حذفوا الواو لسكونها فلما تحركت ردوها والاجود في العربية حذفها ولا ينبغي ان يقرأ الا بما ورد

به رواية صحيحة فان القراءة سنة متبعة قال ابو علي انما بني الآن لتضمنه معنى الحرف وهو تضمن معنى التعريف
لان التعريف حكمه ان يكون بحرف وليس تعرفه بما فيه من الالف واللام لانه لو كان كذلك للزم ان يكون قبل دخول اللام عليه
نكرة كرجل والرجل وكذلك الذي فان فيه الالف واللام وليس تعرف الاسم بهما انما تعرف بغيرهما وهو كونه موصولا
مخصوصا ولو كان تعرفها باللام لوجب ان يكون سائر الموصولات المتعرفة بالصلات نحو من وما وغيرهما متعرفة وهو زيادة
اللام ما رواه المبرد عن المازني قال سألت الاصمعي عن قول الشاعر ولقد جنيتك اكمؤا وعساقلا ولقد نهيتك عن بنات
الاوبر لم ادخل اللام فقال ادخلها زيادة للضرورة كقول الاخر باعد ام العمرو عن اسيرها وانشد ابن الاعرابي يا ليت
ام العمرو كانت صاحبي مكان من اشتى على الركائب فكما ان اللام في الذي وفي هذه الحكاية زائدة كذلك هو في
الآن زائدة وقوله وما كادوا يفعلون كاد يدل على مقاربة ومباشرة ويفعلون في موضع نصب بانه خبر كاد ومن حق خبره
ان لا يدخل عليه ان لان ان حرف يركب مع الفعل فيقوم مقام المصدر وانما يستدل به ان الفعل غير ثابت ولا مستقر مثل
الطمع والرجاء نحو عسى زيد ان يفعل ودليل ذلك انه لا تدخل على فعل الحال على ما يوقع في المستأنف فلهذا كان ان
لازمة لعسى ولا يلزم كاد لان كاد قريب من الحال وقد استعمل كاد مع ان في الشعر انشد الاصمعي كادت النفس ان تفيض
عليه اذ ثوى حشو ريطة وبرود القصة كان السبب في امر القوم بذبح البقرة فيما رواه العياشي مرفوعا الى الرضا
ان رجلا من بني اسرائيل قتل قرابة له ثم اخذه فطرحه على طريق افضل سبط من اسباط بني اسرائيل ثم جاء يطلب بدمه
فقالوا لموسى ع سبط آل فلان قتل فلانا فاخبرنا من قتله قالوا اتتخذنا هزوا الآية ولو انهم عمدوا الى بقرة اجزأتهم ولكن
شددوا فشدد الله عليهم قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك
لا صغيرة ولا كبيرة ولو انهم عمدوا الى بقرة ولكن شددوا فشدد الله عليهم قالوا ادع لنا ربك الآية فلو انهم عمدوا
الى بقرة اجزأتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم قالوا الآن جئت بالحق فطلبوها فوجدوها عند فتى من بني
اسرائيل فقال لا ابيعها الا بملء مسكها ذهبا فجاؤوا الى موسى فقالوا له فقال اشتروها فاشتروها فسئل
رسول الله صلى الله عليه وآله بعض اصحابه ان هذه البقرة ما شأنها فقال ان فتى من بني اسرائيل كان بارا بابيه وانه اشترى سلعة
فجاء الى ابيه فوجده نائما والاقليد تحت رأسه فكره ان يوقظه فترك ذلك واستيقظ ابوه فاخبره فقال له احسنت
خذ هذه البقرة وهي لك عوض لما فاتك قال فقال رسول الله ص انظروا الى البر ما بلغ باهله قال ابن عباس كان القتيل
شيخا مثريا فقتله بنو اخيه والقوه على باب بعض الاسباط ثم ادعوا القتيل عليهم فاحتكموا الى موسى ع
فسئل من عنده من ذلك علم فقالوا انت نبي الله وانت اعلم منا فاوحى الله ان يأمرهم بذبح بقرة فامرهم موسى ان يذبحوا
بقرة ويضرب القتيل ببعضها فيحيي الله القتيل فيبين من قتله وقيل قتله ابن عمه استبطاء موته فقتله ليرثه
وقيل انما قتله لميراثه وقيل انما قتله ليتزوج بنته وقد خطبها فلم ينعم له وقد خطبها غيره من خيار بني اسرائيل
فانعم له ابن عمه التي لم ينعم له فقعد له فقتله ثم حمله الى موسى فقال يا نبي الله هذا ابن عمي قد قتل
قال موسى من قتله قال لا ادري وكان القتل في بني اسرائيل عظيما فعظم ذلك على موسى وهذا هو المروي عن
الصادق ع المعنى هذه الآيات معطوفة على ما تقدمها من الآيات الواردة في بيان نعم الله على بني
اسرائيل ومقابلتهم لها بالكفران والعصيان فقال واذكروا ايضا من نعمي
عليكم بالظاهر اذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة وقال واذكروا ايضا من نكثكم ميثاق النبي
حيث سألتم عن القتيل فامرنا بذبح بقرة وانما قالوا ذلك لتباعد ما بين الامرين في الظاهر جهلهم بوجه
الحكمة فيما امرهم به لان موسى ع امرهم بالذبح ولم يبين لهم ان الذبح لاي معنى فقالوا اي تصا
لنا بذبح البقرة تستهزئ بنا فقال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين اي معاذ الله ان

اكون من المستهزئين وانما قال من الجاهلين ليدل على ان الاستهزاء لا يصدر الا من جاهل فان معنى الاستهزاء لا يخلو اما ان
يستهزئ بخلقته او بفعل من افعاله فاما الخلقة فلا معنى للاستهزاء بها واما الفعل فاذا كان قبيحا فالواجب
ان ينبه فاعله على قبحه ليرجع عنه فاما ان يستهزئ به فلا فالاستهزاء على هذا يكون كبيرة لا يقع الا من جاهل او محتاج
اليه واذا قيل لهم اذبحوا البقرة دون غيرها فقد قيل فيه لانها من جنس ما عبدوه من العجل ليهون عندهم
ما كانوا يرونه من تعظيمه وليزول ما كان في نفوسهم من عبادته وانما احيا الله تعالى القتيل بقتيل حتى يكون اظهر للقدرة
في اختراع الاشياء من اضدادها فلما علموا ان ذبح البقرة عزم من الله تعالى سألوا عنها فحدثوا بسنها فقالوا ادع لنا
اي سل من اجلنا ربك يبين لنا ما هي وانما ظهر في السؤال ان المسؤول عنه سن البقرة وانما ظهر ذلك في الجواب
قال موسى ع انه يقول اي ان الله عز اسمه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر اي المسنة الكبيرة ولا الصغيرة عوان بين ذلك اي
وسط بين الصغيرة والكبيرة وهي اقوى ما يكون واحسن من البقر والدواب عن ابن عباس وقيل وسطا ولدت بطنا او بطنين
عن مجاهد فافعلوا ما تؤمرون اي اذبحوا ما امرتم بذبحه فلما بين سبحانه سن البقرة سألوا عن لونها قالوا ادع لنا ربك يبين
لنا ما لونها اي سل ربك يبين لنا ما لون البقرة التي امرنا بذبحها قال موسى انه سبحانه وتعالى يقول انها بقرة صفراء حتى
قرنها وظلفها اصفران عن الحسن وسعيد بن جبير فاقع لونها اي شديدة صفرة لونها وقيل خالص الصفرة وقيل
حسن الصفرة وقوله تسر الناظرين اي تعجب الناظرين وتفرحهم بحسنها عن قتادة وغيره وروي عن الصادق ع
انه قال من لبس نعلا صفراء لم يزل مسرورا حتى يبليها كما قال الله صفراء فاقع لونها تسر الناظرين ولما بين سبحانه سن البقرة
ولونها سألوا عن صفتها قالوا يا موسى ادع لنا ربك يبين لنا ما هي اي اعاملة هي ام من السوائم ان البقر تشابه علينا
اي اشتبه علينا صفة البقرة التي امرنا الله بذبحها وانا ان شاء الله لمهتدون الى صفة البقرة بتعريف الله ايانا
لنا من اللطف والزيادة في البيان وروى ابن جريج وقتادة عن ابن عباس عن النبي ص انهم امروا بادنى بقرة ولكنهم
لما شددوا على انفسهم شدد الله عليهم وايم الله لو لم يستثنوا ما بينت لهم آخر الابد فقال يعني موسى ع انه يعني الله تعالى
يقول انها بقرة اي البقرة التي امرتم بذبحها لا ذلول اي لم يذللها العمل تثير الارض باظلافها ولا تسقي الحرث اي لا يستقى
عليها الماء للزرع مسلمة اي بريئة من العيوب عن قتادة وعطا وقيل مسلمة من الشية ليس فيها لون يخالف
لونها عن مجاهد وقيل مسلمة من آثار العمل لانها كانت من العوامل لا يخفى من آثار العمل في قوائمها وبدنها وقال الحسن
انها كانت وحشية لا شية فيها قال اهل اللغة لا وضح فيها يخالف لون جلدها وقيل لا لون فيها سوى لونها
عن قتادة ومجاهد قالوا الآن جئت بالحق اي ظهر لنا الحق الآن وهي بقرة فلان وهذا يدل على انهم جوزوا
انه قبل ذلك لم يجئ الحق على التفصيل وانما اتى به على وجه الجملة وقال قتادة الآن بينت الحق وهذا يدل
على انه كان فيهم من شك في ان موسى ع ما بين الحق فذبحوها اي ذبحوا البقرة على ما امروا به وما كادوا يفعلون
اي قربوا ان لا يفعلوا ذلك مخافة اشتهار فضيحة القاتل وقيل كادوا لا يفعلون ذلك لغلاء ثمنها فقد حكي
عن ابن عباس انهم اشتروها بملء جلدها ذهبا من مال المقتول وعن السدي بوزنها عشر مرات ذهبا وقال عكرمة
وما كان ثمنها الا ثلاثة دنانير ونذكر ههنا فصلا موجزا يحتاج اليه الكلام في اصول الفقه
اختلف العلماء في هذه الآيات فمنهم من ذهب الى ان التكليف فيها متغاير وانهم لما قيل لهم اذبحوا بقرة
لم يكن المراد منهم الا ذبح اي بقرة شاؤوا من غير تعيين بصفة ولو انهم ذبحوا اي بقرة اتفقت لهم كان قد امتثلوا
الامر فلما لم يفعلوا كان المصلحة ان يشدد عليهم التكليف ولما راجعوا المرة الثانية تغيرت مصلحتهم الى تكليف
ثالث ثم اختلف هؤلاء من وجه آخر فمنهم من قال ان التكليف الاخير انه يجب ان يكون مستوفيا لكل
صفة تقدمت فعلى هذا القول يكون التكليف الثاني والثالث ضم تكليف الى تكليف وزيادة في التشديد عليهم

لا بقرة مطلقة ومنهم من قال انه يجب ان يكون بالصفة الاخيرة فقط دون ما تقدم وعلى هذا القول
يكون التكليف الثاني نسخا للاول والتكليف الثالث نسخا للثاني وقد يجوز نسخ الشيء قبل الفعل لان المصلحة
يجوز ان تتغير بعد فوات وقته وانما لا يجوز نسخ الشيء قبل وقت الفعل لان ذلك يؤدي الى البداء وذهب قوم
الى ان التكليف واحد وان الاوصاف المتاخرة هي للبقرة المتقدمة وانما تاخر البيان وهو مذهب المرتضى قدس الله روحه
واستدل المرتضى بالاية على جواز تاخير البيان عن وقت الخطاب الى وقت الحاجة قال لانه تعالى لما كلفهم ذبح
بقرة قالوا لموسى ادع لنا ربك يبين لنا ما هي فلا يخلو قولهم ما هي من ان يكون كناية عن البقرة المتقدم ذكرها او عن التي
امروا بها ثانيا والظاهر من قولهم ما هي يقتضي ان يكون السؤال عن صفة البقرة المامور بذبحها لانه لا علم لهم
بتكليف ذبح بقرة اخرى فيستفهموا عنها واذا صح ذلك فليس يخلو قوله انها بقرة لا فارض ولا بكر من ان يكون الهاء
فيه كناية عن البقرة الاولى او عن غيرها وليس يجوز ان يكون كناية عن بقرة ثانية لان الظاهر يقتضي ان تكون
الكناية متعلقة بما تضمنه سؤالهم ولانه لو لم يكن الامر على ذلك لم يكن جوابا لهم وقول القائل في جواب من
سأله ما كذا وما كذا انه بالصفة الفلانية صريح في ان الهاء كناية عما وقع السؤال عنه هذا مع قولهم
ان البقر تشابه علينا فانهم لم يقولوا ذلك الا وقد اعتقدوا ان خطابهم مجمل غير مبين ولو كان الامر على ما ذهب
اليه القوم فلم لم يقل لهم واي تشابه عليكم وانما امرتم في الابتداء بذبح بقرة اي بقرة كانت وفي الثاني بما يختص
بالسن المخصوص وفي الثالث بما يختص باللون المخصوص من اي البقر كان قال واما قوله فذبحوها وما كادوا يفعلون
في الظاهر ان ذمهم مصروف الى تقصيرهم او تاخيرهم امتثال الامر بعد البيان التام وهو غير مقتض ذمهم على التاخير عن
المبادرة في الاول الى ذبح بقرة ولا دلالة في الاية على ذلك. قوله تعالى واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج
ما كنتم تكتمون. فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم
تعقلون. آيتان. اللغة: ادارأتم اختلفتم واصله تدارأتم فادغمت التاء في الدال فلما سكنت جعلوا
قبلها همزة الوصل ليمكن النطق بالساكن واصل الدرء الدفع ومنه الحديث ادرؤا الحدود بالشبهات
ومنه قوله ويدرؤ عنها العذاب وقال رؤبة ادركتها قدام كل مدره بالدفع عني درء كل عنجه
وقيل الدرء العوج ومنه قول الشاعر فنكب عنهم درء الاعادي وداووا بالجنون من الجنون. المعنى:
ثم بين الله سبحانه القصة من الامر بالذبح فبدأ بذكر القتل وقال واذ قتلتم نفسا فذكر فيه وجهان
احدهما انه متقدم في المعنى على الايات المتقدمة وان تاخر في اللفظ فعلى هذا يكون تاويله واذ قتلتم نفسا فادارأتم
فيها فسالتم موسى فقال لكم ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة فقدم المؤخر واخر المقدم ونظير ذلك كثير في
القرآن والشعر قال الله سبحانه الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما وقال
الشاعر الفرزدق [illegible] طالت فليس ينالها الاوطال اي طالت الاوطال والوجه الثاني
ان الاية قد تعلقت بما هو متاخر في الحقيقة وهو قوله فقلنا اضربوه ببعضها الاية وكانه قال فذبحوها
وما كادوا يفعلون ولانكم قتلتم نفسا فادارأتم فيها امرناكم ان تضربوه ببعضها لينكشف امره والمراد واذكروا
اذ قتلتم نفسا وهذا خطاب لمن كان على عهد النبي ص والمراد به اسلافهم على عادة العرب في خطاب الابناء
والاحفاد بخطاب الاسلاف والاجداد وخطاب العشيرة بما يكون من احدها [illegible] كذا
وان كان الفاعل واحدا ويحتمل ان يكون خطابا لمن كان في زمن موسى [illegible]
وقيل ان اسم المقتول عاميل فادارأتم فيها الهاء في فيها يعود الى النفس اي كل واحد دفع قتل
النفس عن نفسه وقيل انها تعود الى القتلة اي اختلفتم في القتلة لان قوله قتلتم يدل على المصدر

وعودها

الى القتل ولي بواسطة بالظاهر في الفضيحة ما كنتم تكتمون اي مظهر ما كتمتم من القتل وقيل معناه انه
مخرج ما غاب من اخباركم ومطلع من مغايبكم ومغايب [illegible] على ما تكتمونه انتم وهو خطاب
لليهود في زمن النبي ص فقلنا اضربوه ببعضها اي قلنا لهم اضربوا القتيل ببعض البقرة واختلفوا في البعض
من البقرة المضروب به القتيل فقيل ضرب بفخذ البقرة فقام حيا وقال قتلني فلان ثم عاد ميتا عن مجاهد
وقتادة وعكرمة وقيل ضرب بذنبها عن سعيد بن جبير وقيل باللسان عن الضحاك وقيل ضرب بعظم من عظامها
عن ابي العالية وقيل بالبضعة التي بين الكتفين عن السدي وقيل ضرب ببعض آرابها عن ابن زيد وهذه الاقاويل
كلها محتملة الظاهر والمعلوم ان الله سبحانه امر ان يضرب القتيل ببعض البقرة ليحيى القتيل اذا فعلوا ذلك فيقول
فلان قتلني ليزول الخلف والتدارؤ بين القوم [illegible] وان كان قادرا على احيائه من دون ذلك
وانما امرهم بذلك لانهم سألوا موسى ان يبين لهم القتيل وهم كانوا يعدون القربات من اعظم القربات وكانوا جعلوا
قربانا على حد لا يتخلله الاحياء فامرهم الله بتقديم جنس القربة قبل ما سألوا ليكون ذلك [illegible] من الامور
ان يقدم نوعا من القرب قبل ان يسال الله تعالى كشف ذلك عنه ليكون اقرب الى الاجابة وانما امرهم بضرب القتيل
ببعضها دون ان [illegible] وقت الاحياء اليهم ليعلموا ان الله سبحانه قادر على احياء الاموات في كل وقت
من الاوقات والتقدير في الاية فقلنا اضربوه ببعضها فضربوه فحيي كما قال سبحانه اضرب بعصاك البحر فضرب
فانفلق وقوله كذلك يحيي الله الموتى يحتمل ان يكون حكاية عن قول موسى ع لقومه اعلموا انما ينبغي ان الله
تعالى قادر على احياء الموتى للجزاء ويحتمل ان يكون خطابا من الله تعالى لمشركي قريش والاشارة وهذه على قيام النشور
عند ضربه ببعض اعضاء البقرة لانه روي انه قام حيا واوداجه تشخب دما قال قتلني فلان بن عمي ثم قبض
ويريكم آياته يعني المعجزات الخارقة للعادة من احياء ذلك الميت وغيره وقيل اراد الاعلام الظاهرة
الدالة على صدق نبيهم لعلكم تعقلون اي لكي تستعملوا عقولكم فان من لم يستعمل عقله ولم يبصر رشده فهو كمن لا عقل له
وقيل لكي تعقلوا ما يجب عليكم من امر ربكم واحتج الله تعالى بهذه الايات على مشركي العرب فيما استبعدوه من البعث
من البعث وقيام الاموات بقولهم أئذا كنا ترابا وعظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا فاخبرهم الله سبحانه
بان الذي [illegible] واستبعدوه لا يتعذر عليه [illegible] ونبههم على ذلك بذكر المقتول واحيائه بعد الخروج
من [illegible] واطول مدة قتله وكيفيته وقيامه بعد القتل حيا مخاطبا باسم قاتله وفيها لهم ان احياء جميع الموتى
بعد ان صاروا عظاما بالية لا يصعب عليه ولا يتعذر بل هو عنده يسير وفيها دلالة على صدق نبينا
محمد ص حيث اخبرهم بغوامض اخبارهم التي لا يجوز ان يعلمها الامي من قراءة كتب الاولين او الوحي اليه من عند رب
العالمين وقد صدقه [illegible] القوم من اليهود فيما اخبرهم من هذه الاقاصيص وقد علموا انه امي لم يقرأ كتابا ولو
لم يتأولوا في ذلك وهذه آية صادعة وحجة ساطعة في تثبيت نبوته ص قوله تعالى ثم قست قلوبكم
من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج
منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون. آية. القراءة: قرأ ابن كثير وحده ههنا
عما يعملون بالياء والباقون بالتاء واختلفوا في قوله تعالى وما الله بغافل عما تعملون وما ربك بغافل عما
يعملون فقرأ هنا ابو جعفر وحده بالتاء في كل القرآن الا في الانعام وقرأ ابن عامر بالتاء كل القرآن وقرأ حمزة
والكسائي الاول بالتاء والثاني بالياء كل القرآن واختلف عن ابن كثير ونافع وعاصم وابي عمرو. الحجة:
قال ابو علي القول في ذلك ان ما كان قبله خطاب جعل بالتاء ليكون الخطاب معطوفا
على خطاب كقوله ثم قست قلوبكم ثم قال عما تعملون بالتاء ولو كان بالياء على لفظ الغيبة

اى وما الله بغافل عما يعملون هؤلاء المسلمون لكان حسنا وان كان للنبى قبله غيبة حسن ان يحمل على لفظ
الغيبة ويجوز فيه الخطاب ايضا ووجه ذلك انه يجمع بين الغيبة والخطاب فيغلب الخطاب على الغيبة كتغليب
المذكر على المؤنث الا ترى انهم غلبوا الخطاب على الغيبة فى باب الضمير وهو موضع ترد الاشياء الى اصولها
عوالك ويحوقوله فلا يلى ما اشار الا اياك فلما اقترن المخاطب على الغايب قالوا اعطاكموه ولم يقولوا اعطاهوك
علم انه اقدم فى الرتبة ولهذا كان الكلام على هذا فالخطاب فى هذا النحو يعنى الغيبة والمخاطبون فيغلب الخطاب
على الغيبة ويجوز فيه وجه آخر وهو ان يراد به وقل لهم يا ايها النبى وما الله بغافل عما تعملون والله اعلم
اللغة القسوة ذهاب اللين والرحمة من القلب يقال قسا قلبه يقسو قسوا وقسوة وقساوة والقسوة الصلابة
فى كل شىء ونقيض الرقة والشدة القوة فى الجسم والشدة صعوبة الامر والشد العقد والنهر المجرى الواسع
من مجارى الماء والجدول والسرى دون ذلك يقال نهر ونهر والفتح افصح قال سبحانه فى جنات ونهر وجمعه
نهر وانهار والتفجر التفعل من فجر الماء وذلك اذا انتزل خارجا من منبعه وكل سائل يشخص خارجا من موضعه
ومكانه فقد انفجر ماء كان او دما او غير ذلك قال عمر بن لجا ولما ان قرنت الى جرير ابى ذو بطنه الا انفجارا
اى خروجا وسيلانا واصل يشقق يتشقق ادغمت التاء فى الشين وهو ان ينقطع من غير ان يبين والغفلة السهو
عن الشىء وهو ذهاب المعنى عن النفس بعد حضوره ويقال تغافلت عن عمل اى عملت عمل الساهى المعنى
والاعراب لما تقدم سبحانه ذكر المعجزات القاهرة والاعلام الظاهرة بين ما فعلوا بعد هذا من العصيان والطغيان
فقال عز اسمه ثم قست قلوبكم اى غلظت ويبست وعست وقسوة من بعد ذلك اى من بعد آيات الله كلها التى
اظهرها على يد موسى ع وقيل انه اراد به احياء المقتول حين انكروا قتله بعد ان سمعوه منه عند احياء الله تعالى اياه انه قتله
فلان عن ابن عباس فيكون ذلك اشارة الى الاحياء اى من بعد احياء الميت لكم ببعض من اعضاء البقرة بعد ان تدارأتم
فاخبركم بقاتله والسبب الذى من اجله قتله وكان يجب ممن شاهد هذه الآيات العجيبة والمعجزات الخارقة للعادة
ان يخضع ويلين قلبه ويحتمل ان يكون قوله ذلك اشارة ايضا الى الآيات الاخر التى تقدمت كمسخ القردة والخنازير ورفع الجبل
فوقهم وانبجاس الماء من الحجر وانفلاق البحر وغير ذلك وانما جاز ان يقول ذلك وكانوا جماعة ولم يقل ذلكم
لان الجماعة فى معنى الجمع والفريق فلفظ الخطاب موحد فى معنى الجمع ولو قال ذلكم لجاز وقوله فهى كالحجارة
شبه قلوبهم بالحجارة فى الصلابة واليبس والغلظ والشدة وقد ورد الخبر عن النبى صلعم انه قال لا تكثروا الكلام
بغير ذكر الله تعالى فان كثرة الكلام بغير ذكر الله تقسى القلب وان ابعد الناس من الله القاسى القلب او اشد قسوة
اى اشد صلابة لامتناعهم عن الاقرار اللازم بقيام حجته والعمل الواجب من طاعته بعد مشاهدة الآيات
وقيل فى تاويل او ههنا وجوه احدها ما ذكره الزجاج ان معناها الاباحة كقولهم جالس الحسن او ابن سيرين
فان جالست احدهما او جمعت بينهما فانت مصيب فيكون معنى الآية على هذا ان قلوبهم قاسية فان شبهت
قسوتها بالحجر اصبت وان شبهتها بما هو اشد اصبت وان شبهتها بهما جميعا اصبت كما قال نحو هذا
فى قوله او كصيب من السماء وثانيها ان يكون او دخلت للتفصيل والتمييز فيكون معنى الآية ان قلوبهم قاسية
فبعضها كالحجارة وبعضها اشد قسوة من الحجارة وقد يحتمل قوله تعالى او كصيب من السماء هذا الوجه
ايضا وثالثها ان يكون او دخلت على سبيل الابهام فيما يرجع الى المخاطب وان كان تعالى عالما بذلك غير شاك
فيه فاخبر ان قسوة قلوب هؤلاء كالحجارة او اشد قسوة والمعنى انها كاحد هذين لا يخرج عنهما كما تقول
اكلت بسرة او تمرة وهو يعلم ما اكله على التفصيل الا انه ابهم على المخاطب كما قال لبيد تمنى ابنتاى ان يعيش
ابوهما وهل انا الا من ربيعة او مضر اراد وهل انا الا من احد هذين الجنسين فسبيلى ان افنى كما فنيا وانما حسن

ذلك لان غرضه الذى يجاهد هو ان يخبر بكونه ممن يموت ويفنى ولم يخل بتصريح الذى جرى اليه اجمال ما احتمل من
كلامه وكذلك ههنا الغرض الاخبار عن شدة قسوة قلوبهم وانها مما لا يصغى الى وعظ ولا يعرج على خير فسواء كانت
كالحجارة او اشد منها فى انه لا يحتاج الى ذكر تفصيله ورابعها ان يكون او بمعنى بل كما قال الله سبحانه وارسلناه الى مائة الف
او يزيدون ومعناه بل يزيدون وروى عن ابن عباس انه قال كانوا مائة الف وبضعا واربعين الفا وانشد الفراء بيت ذى الرمة
قرن الشمس فى رونق الضحى وصورتها او انت فى العين املح كما يكون ام المنقطعة فى الاستفهام بمعنى بل كقول القائل
اضرب عبد الله ام انت معناه بل انت وقال الشاعر فوالله ما ادرى اسلمى تغولت ام النوم ام كل الى حبيب
حبيب ومعناه بل كل وقد طعن على هذا الجواب فقيل كيف يجوز ان يخاطبنا الله تعالى بهذه اللفظة بل وهى تقتضى الاستدراك
والنقض للكلام الماضى والاضراب عنه وهذا بعيد لان الاستدراك ان اريد به الاستفادة او التذكر لما لم يكن معلوما فلا يصح
وان اريد به الاخذ فى الكلام الماضى واستيناف زيادة عليه فهو صحيح فان القائل اذا قال اعطيته الفا والفين لم ينقض الاول
وكيف ينقضه والاول داخل فى الثانى وانما زاد عليه وانما يكون ناقضا للثانى لو قال لقيت رجلا بل حمارا لان
الاول لا يدخل فى الثانى على وجه وقوله تعالى او اشد قسوة غير ناقض للاول لانها لا تزيد على الحجارة الا بان يساويها
وانما تزيد عليها بعد المساواة وخامسها ان تكون بمعنى الواو كقوله تعالى او بيوت آبائكم او بيوت امهاتكم ومعناه وبيوت
آبائكم وقال جرير اثعلبة الفوارس او رياحا عدلت بهم طهية والخشابا اراد ورياحا وقال ايضا نال الخلافة
او كانت له قدرا كما اتى ربه موسى على قدر وقال توبة بن الحمير وقد زعمت ليلى بانى فاجر لنفسى تقاها او عليها
فجورها فان قيل كيف يكون او فى الآية بمعنى الواو والواو للجمع والشىء اذا كان على صفة لم يجز ان يكون على خلافها
اجيب عنه بانه ليس يمتنع ان تكون قلوبهم كالحجارة فى حالة واشد من الحجارة فى حالة اخرى فيصح المعنى ولا يتنافى
وفائدة هذا الجواب ان قلوب هؤلاء مع قسوتها تميل الى بعض اللين وكادت تصغى الى الحق فيكون فى هذه الحال
كالحجارة التى ربما لانت وتكون فى حالة اخرى فى نهاية البعد عن الخير فتكون اشد من الحجارة وجواب آخر
وهو ان قلوبهم لا تكون اشد من الحجارة الا بعد ان يكون فيها قسوة كالحجارة لان قولنا فلان اعلم من فلان اخبار بزيادة فى
العلم الذى اشتركا فيه فلا بد من الاشتراك ثم الزيادة فلا تنافى ههنا ثم فضل الله سبحانه الحجارة على القلب القاسى
فقال وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار معناه ان من الحجارة ما هو انفع من قلوبكم القاسية فيتفجر منه انهار الماء واستغنى
بذكر الانهار عن ذكر الماء وقيل المراد به الحجر الذى كان ينفجر منه اثنتا عشرة عينا وقيل هو عام وان منها لما
يشقق فيخرج منه الماء يعنى من الحجارة التى كان ينفجر ما يخرج منه الماء فيكون عينا نابعة لا انهارا جارية حتى يكون
مخالفا للاول وقال الحسين بن على المغربى الحجارة الاولى حجارة الجبال منها تتفجر الانهار والثانية حجر موسى ع الذى كان
يضربه فيخرج منه العيون فلا يكون تكرارا وقوله وان منها لما يهبط من خشية الله الضمير فى منها يعود الى الحجارة اى وان من
الحجارة ما يهبط من خشية الله وعليه اكثر اهل التفسير وقيل يرجع الى القلوب اى ومن القلوب لما يهبط من خشية الله
اى يخشع وهى قلوب من آمن من اهل الكتاب فيكونون مستثنين من القاسية قلوبهم عن ابى مسلم ومن قال ان الضمير
يرجع الى الحجارة فانهم اختلفوا فى تاويله على وجوه احدها ما روى عن مجاهد وابن جريج ان كل حجر يتردى
من راس جبل فهو من خشية الله معناه ان الحجارة قد تصير الى الحال التى ذكرها من خشية الله وقلوب اليهود لا
تخشع ولا تخشى ولا تلين لانهم عارفون بصدق محمد صلعم ثم لا يؤمنون به فقلوبهم اقسى من الحجارة وثانيها ما قاله الجبائى
ان الله تعالى اعطى بعض الجبال المعرفة فعقل طاعة الله تعالى نحو الجبل الذى تجلى الله عز وجل له حين كلم
موسى فصار دكا دكا وكما روى عن النبى صلعم انه قال ان حجرا كان يسلم على فى الجاهلية وانى لاعرفه الآن
وهذا الوجه ضعيف لان الجبل اذا كان جمادا فمحال ان يكون فيه معرفة الله وان كان فيه بنية بنية الحى

فانه لا يكون جبلا واما الحجر فان صح فان معناه انه سبحانه اجاله فلم على النبي صلعم اعاده حجرا ويكون معجزا له عليه السلم
وثانيها انه يدعوا المتفكر فيه الى خشية او يوجب الخشية له بدلالته على صانعه لما يرى من الدلالات والعجائب
واضاف الخشية اليه لان التفكر فيه هو الذي يدعو الى الخشية كما قال جرير بن عطية واعور من نبهان اما نهاره فاعمى
واما ليله فبصير فجعل الصفة لليل والنهار وهو يريد صاحب النهار الذي يهجوه بذلك من اجل انه كان فيهما على ما وصفه به
ورابعها انه انما ذكر ذلك على سبيل ضرب المثل اى كانه تخشى لله سبحانه في المثل لانقياده لامره ووجد منه
ما لو وجد من حي عاقل لكان دليلا على خشية الله كقوله سبحانه فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض فاقامه اى كانه يريد
لانه ظهر فيه من الميل ما لو ظهر من حي لدل على ارادة الانقضاض ومثله قوله وان من شيء الا يسبح بحمده وكما قال زيد الخيل
بجمع تضل البلق في حجراته ترى الاكم فيها سجدا للحوافر فجعل ما ظهر من الاكم من اثار الحوافر وقلة مدافعتها لها كما يدافع
الحجر الصلد بجوده ولو كانت الاكم في صلابة الحديد حتى تمتنع على الحوافر لقيل انها تسجد للحوافر وقال جرير لما
اتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة والجبال الخشع اى كانها كذلك وقال الاخر والشمس طالعة ليست بكاسفة
تبكي عليك نجوم الليل والقمرا وكما قال سبحانه لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله
اى لو كانت الجبال مما يخشع لشيء لرايته خاشعا ويؤيد هذا الوجه قوله سبحانه وتلك الامثال نضربها
للناس وخامسها ان هبط يجوز ان يكون متعديا قال الشاعر ما راعني الا جناح هابطا على البيوت
قوطه العلابطا فاعمله في القوط كما ترى ويكون على هبطته انا فهبط فيهبط غيره من خشية الله اى
راه الانسان خشع لطاعة خالقه الا انه حذف المفعول تخفيفا ولدلالة الكلام عليه ونسب الفعل الى الحجر
لان طاعة رائيه لخالقه بسببها النظر اليه منها فيما يهبط الناظر اليه اى تخضعه وتخشعه وقوله وما الله بغافل
عما تعملون ايها المكذبون باياته الجاحدون نبوة نبيه محمد صلعم وقد ذكرناه قبل قوله تعالى

افتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم
يعلمون. اية اللغة الطمع تعلق النفس بما تظنه من النفع ونظيره الامل والرجاء ونقيضه الياس والفريق جمع
كالطائفة لا واحد له من لفظه وهو فعيل من التفرق كما سميت الجماعة بالحزب من التحزب قال الاعشى ابن ثعلبة اجدوا
فلما خشيت ان يتفرقوا فريقين منهم مصعد ومصوب والتحريف في الكلام تغيير الكلام عن معناه الاعراب
افتطمعون الف الاستخبار تجري في كثير من المواضع مجرى الانكار اذا لم يكن معها نفي فاذا جاءت مع النفي فانكار النفي
يثبت ويكون بمعنى الاستدعاء الى الاقرار نحو اليس الله بكاف عبده فجوابه بلى كقوله الم ياتكم نذير قالوا بلى وجواب
افتطمعون لا لما ذكرناه المعنى هذا خطاب لامة نبينا محمد صلعم يقول افتطمعون ايها المؤمنون ان يؤمنوا لكم
من طريق النظر والاعتبار والانقياد للحق بالاجتهاد وقد كان فريق منهم اى ممن هو في مثل حالهم من اسلافهم
يسمعون كلام الله ويعلمون انه حق ويعاندون فيحرفونه ويتأولونه على غير تاويله وقيل انهم علماء اليهود الذين
يحرفون التوراة فيجعلون الحلال حراما والحرام حلالا اتباعا لاهوائهم واعانة لمن يرشوهم عن مجاهد والسدي
وقيل انهم سبعون رجلا الذين اختارهم موسى من قومه فسمعوا كلام الله فلم يقبلوا امره وحرفوا القول في
اخبارهم لقومهم حين رجعوا اليهم عن ابن عباس والربيع فيكون على هذا كلام الله معناه كلام الله لموسى
وقت المناجاة وقيل المراد بكلام الله صفة محمد في التوراة وقوله يحرفونه من بعد ما عقلوه قيل فيه
وجهان احدهما ان يكون معناه انهم حرفوه من بعد ما فهموه فانكروه عنادا وهم يعلمون انهم يحرفونه
اى يغيرونه والثاني ان معناه من بعد ما تحققوه وهم يعلمون ما عليهم في تحريفه من العقاب والاول
اليق عند هنا في المواقاة وانما اراد الله سبحانه بالاية ان هؤلاء اليهود الذين كانوا على عهد النبي صلعم

ان لم يومنوا



ان لم يؤمنوا به وكذبوه وجحدوا نبوته فهم بابائهم واسلافهم الذين كذبوا موسى عم اسوة اذ جروا على طريقتهم في الجحد
والعناد وهؤلاء الذين عاندوا وحرفوا كانوا معدودين يجوز على مثلهم التواطوء والاتفاق في كتمان الحق ولو كانوا يمتنع
ذلك على الجمع الكثير والجم الغفير لامر يرجع الى اختلاف الدواعي وبطل قول من قال انهم كانوا كلهم عارفين
معاندين لان الله سبحانه انما نسب فريقا منهم الى المعاندة وان كانوا باجمعهم كافرين وفي هذه الاية دلالة على عظم
الذنب في تحريف الشرع وهو عام في اظهار البدع في الفتاوى والقضايا وجميع امور الدين قوله تعالى

واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم افلا تعقلون
اية اللغة الحديث والخبر والنبأ نظائر مشتق من الحدوث كانه اخبار عن حدوث الزمان والفتح في الاصل
فتح المغلق وقد يستعمل في مواضع كثيرة منها الحكم يقال اللهم افتح بيني وبين فلان اى احكم ومنه يقولون متى هذا الفتح
اى متى هذا القضاء ويوم الفتح يوم القضاء قال الشاعر الا ابلغ بني عصم رسولا فاني عن فتاحتكم غني ويقال
للقاضي الفتاح ومنها التعليم يقال فتح على هذا اى علمني ما عندك فيه ومنها النصر يقال استفتح اى طلب النصر
ومنه قوله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح ويستعمل في فتح البلدان يقال فتح المسلمون ارض كذا والمحاجة والمجادلة
والمناظرة نظائر فالمحاجة ان يحتج كل واحد من الخصمين على صاحبه والحجة الوجه الذي يكون الظفر عند الحجاج
ويقال حاججته فحججته وفي الحديث فحج ادم موسى اى غلبه بالحجة واصله من القصد ومنه الحج وهو القصد الى بيت
الله الحرام على وجه مخصوص فالحجة هي النكتة المقصودة في تصحيح الامور النزول روي عن ابي جعفر
الباقر عم انه قال كان قوم من اليهود ليسوا من المعاندين المتواطئين اذا لقوا المسلمين حدثوهم بما في التوراة من صفة محمد
فنهاهم كبراؤهم عن ذلك وقالوا لا تخبروهم بما في التوراة من صفة محمد صلعم فيحاجوكم به عند ربكم فنزلت الاية
وقال مجاهد نزلت في بني قريظة لما قال لهم النبي صلعم يا اخوة القردة والخنازير فقالوا من اخبر محمدا بهذا ما خرج الا منكم
وقال السدي هؤلاء ناس من اليهود امنوا ثم نافقوا فكانوا يحدثون المؤمنين من العرب بما عذب به اسلافهم فقال
بعضهم لبعض اتحدثونهم بما فتح الله عليكم من العذاب ليحاجوكم به فيقولون نحن اكرم على الله منكم المعنى
ثم ذكر سبحانه خصلة اخرى من خصالهم الذميمة فقال وهم الذين اذا لقوا الذين امنوا اى راوهم قالوا
امنا اى صدقنا بمحمد صلعم انه نبي صادق نجده في كتابنا بنعته وصفته وبما صدقتم به واقررنا بذلك اخبر الله تعالى عنهم
انهم تخلقوا باخلاق المنافقين وسلكوا طريقتهم واستنوا بسنتهم واذا خلا بعضهم الى بعض اى اذا خلا بعض هؤلاء اليهود
الذين وصفهم الله الى بعض منهم فصاروا في خلاء وهو الموضع الذي ليس فيه غيرهم قال يعني بعضهم لبعض
اتحدثونهم بما فتح الله عليكم قال الكلبي بما قضى الله عليكم في كتابكم ان محمدا حق وقوله صدق وروى سعيد بن جبير عن
ابن عباس ان معناه قالوا لا تحدثوا العرب بهذا فانكم قد كنتم تستفتحون به عليهم فكان منهم اى فكانوا بابني وقد علمتم
انه قد اخذ له الميثاق عليكم باتباعه وانه النبي الذي كنا ننتظر ونجده في كتابنا اجحدوه ولا تقروا لهم
وقال الكلبي اتحدثونهم بما بينه الله لكم في كتابكم من العلم ببعث محمد صلعم والبشارة به وبعض الاقوال
فيه ذكرناه في النزول واقوى التاويلات قول من قال اتحدثونهم بما فتح الله اى حكم الله به عليكم وقضاه فيكم
ومن حكمه عليكم ما اخذ به ميثاقكم من الايمان بمحمد صلعم وصفته الموصوفة لكم في التوراة ومن قضائه عليكم
انه جعل منكم القردة والخنازير وقوله ليحاجوكم به عند ربكم اى ليكون لهم الحجة عليكم عند الله في الدنيا
والاخرة في ايمانهم بالنبي صلعم اذ كنتم مقرين به ومخبرين بصحة امره من كتابكم ثم لا تتبعونه فبهذا تثبت حجتهم
عليكم عند الله وقيل معناه ليجادلوكم ويقولوا لكم قد اقررتم انه نبي حق في كتابكم ثم لا تتبعونه وقوله عند
ربكم قال ابن الانباري معناه في حكم ربكم كما يقال هذا حلال عند الشافعي اى في حكمه وهذا

٣٨

وهذا يحاج عند ربكم في حكمه وقوله افلا تعقلون اى افلا تفهمون ايها القوم ان اخباركم محمدا واصحابه بما تخبرونهم
من وجود نعت محمد في كتبكم حجة عليكم عند ربكم يحتجون بها عليكم وقيل معناه افلا تعقلون ايها المؤمنون انهم
لا يؤمنون فلا تطمعوا فيهم ذلك عن الحسن وقيل انه خطاب لليهود اى افلا تعقلون ايها اليهود اذ تقولون من يدوسكم
مثل هذا وهذا يحث لهم عن الرجوع الى قول رؤسائهم قوله تعالى اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون
اية المعنى اولا يعلمون يعنى اليهود ان الله يعلم سرهم وعلانيتهم فكيف يستجيزون ان يسروا الى اخوانهم النهى
عن التحدث بما هو الحق وهم مقرون بذلك غير جاحدين بان الله يعلم سرهم وجهرهم كالكفار والمنافقين
منهم في هذه الحجة اليوم والمنة لهم لازمة عن اكثر المفسرين وقيل معناه اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون من كفرهم
وتكذيبهم محمدا اذا خلا بعضهم الى بعض وما يعلنون من قولهم امنا واذا لقوا اصحاب محمد ليرضوهم بذلك عن قتادة
وابى العالية قوله تعالى ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا امانى وان هم الا يظنون اية القراءة قرا ابو جعفر
وشيبة والحسن امانى مخففة والباقون بالتشديد وكذلك قوله ليس بامانيكم ولا امانى اهل الكتاب الحجة
قال ابن جنى الاصل فيه التثقيل لانه جمع امنية والتخفيف في هذا النحو كثير حسن وفيه ليلة الاولى
التى هى نظيرة ياء المد مع الادغام نحو اقاطيس وحواميم واراجيح جمع حومانة وارجوحة الا انها قد حذفت
في قوله والبكرات الفسج العطامسا وقوله وغير سفع مثل يحامم يريد عطاميس ويحاميم وعلى ان حذف الياء مع الادغام
اسهل من حذفها ولا ادغام معه وذلك ان حذف الياء لما ادغمت خفيت وكادت تستهلك واذا انت حذفتها
فكانك انما حذفت شيئا هو في حال وجوده في حكم المحذوف اللغة الامى الذى لا يحسن الكتابة وانما سمى
اميا لاحد وجوه احدها انه على الخلقة فنسب اليها لانه باق على خلقته ومنه قول الاعشى وان معوية الاكرمين
حسان الوجوه طوال الامم وثانيها انه ماخوذ من الامة هى الجماعة اى هو على اصل ما عليه الامة في انه لا يكتب لانه يستفيد
الكتابة بعد ان لم يكن يكتب وثالثها انه ماخوذ من الام اى هو على ما ولدته امه في انه لا يكتب وقيل نسب الى امه
لان الكتابة تكون في الرجال دون النساء والامنية ذكر فيها وجوه احدها ان معناه التلاوة قال الشاعر تمنى
كتاب الله اى قرا وتلاوة قال كعب بن مالك تمنى كتاب الله اول ليله واخرها لاقى حمام المقادر وقال اخر تمنى كتاب
بالليل خاليا تمنى داود الزبور على رسل وثانيها ان المراد بالامانى الاحاديث المختلقة عن الفراء والعرب تقول
انت انما تمنى هذا القول اى تختلقه وقال بعضهم ما تمنيت منذ اسلمت اى ما كذبت وثالثها ان المراد بالامانى
انهم يتمنون على الله ما ليس لهم مثل قولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة وقولهم نحن ابناء الله واحباؤه
قال الزجاج اذا قال القائل ما لا يعلمه فكانه انما يتمناه وهذا مستعمل في كلام الناس تقول للذى يقول ما لا حقيقة
له وهو يحبه هذا امنى وهذه امنيه والظن تجويز احد الجائزين على الاخر لامارة صحيحة وليس هو من قبيل
الاعتقادات على الصحيح من المذهب ومن الناس من قال هو اعتقاد الاعراب قال الزجاج يرتفع
اميون بالابتداء ومنهم الخبر وفي قول الاخفش يرتفع اميون بفعلهم كان المعنى واستقر منهم اميون قال ابو على
ليس يرتفع اميون عند الاخفش بفعلهم وانما يرتفع بالظرف الذى هو منهم ومذهب سيبويه انه يرتفع بالابتداء
ففى منهم على هذا ضمير لقوله اميون وموضع منهم على مذهبه رفع لوقوعه موقع خبر الابتداء فاما على مذهب الاخفش
فلا ضمير لقوله اميون في منهم ولا موضع له كما لا موضع لذهب في قولك ذهب زيد وانما ذهب الاخفش الى
الظرف لانه نظر الى هذه الظروف فوجدها تجرى مجرى الفعل في مواضع وفي انها يتحمل الضمير كما يتحمله
الفعل وما قام مقامه من اسماء الفاعلين وما شبه بها وتوكد بما فيها كما توكد ما في الفعل وما قام مقامه
في نحو مررت بقوم لك اجمعون وتنصب عنها الحال كما تنصب بالفعل ويوصل بها الاسماء الموصولة

كما يوصل

كما يوصل بالفعل والفاعل فيصير فيها ضمير الموصول كما يصير ضميره في الفعل وتوصف به النكرة كما توصف بالفعل والفاعل
فلما رآها في هذه المواضع تقوم مقام الفعل اجراها ايضا مبتدا مجرى الفعل فرفع بها الاسم كما رفع بالفعل اذ قامت هذه
الظروف مقام الفعل في هذه المواضع فقال في عندك زيد وفي الدار عمرو ومنهم اميون ونحو ذلك انه يرتفع بالظرف
اذا كان الظرف قد اقيم مقام الفعل في غير هذه المواضع والدليل على ان الاسم ههنا مرتفع بالظرف دون الفعل الذى هو
استقر ونحوه انه لو كان مرتفعا بالفعل لجاز قائما في الدار زيد كما يجوز قائما استقر زيد فامتناع تقديم الحال ههنا يدل
على انه لا عمل للفعل ههنا وقوله الا امانى نصب على الاستثناء المنقطع كقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن وكقول الشاعر
ليس بينى وبين قيس عتاب غير طعن الكلى وضرب الرقاب وقول النابغة حلفت يمينا غير ذى مثنوية ولا علم الا حسن ظن
بصاحب وان في قوله ان هم بمعنى ما وهم اى ما هم الا ظانون فهم مبتدا ويظنون خبره المعنى ومنهم اميون يعنى من
هؤلاء اليهود الذين قص الله قصصهم وقطع الطمع عن ايمانهم اميون اى غير عالمين بمعانى الكتاب يعلمونها حفظا وتلاوة
لا رعاية ودراية وفهما لما فيه عن ابن عباس وقتادة قال ابو عبيدة الاميون هم الامم الذين لم ينزل عليهم كتاب والنبى الامى الذى
لا يكتب وانشد لتبع لامة سميت في الزبور امة هى خير الامم وقوله لا يعلمون الكتاب اى لا يعلمون ما في الكتاب الذى انزل الله
عز وجل ولا يدرون ما اودعه الله اياه من الحدود والاحكام والفرائض فهم كهيئة البهائم مقلدة لا يعرفون ما يقولون
والكتاب المعنى به التورية ادخل عليه لام التعريف [illegible] الا امانى اى قولا يقولونه بافواههم كذبا عن ابن عباس وقيل
وقيل احاديث يحدثهم بها علماؤهم عن الكلبى وقيل الا ان يتلونها ولا يدرونها عن الكسائى والفراء وقيل امانى يتمنون
على الله الكذب ويخطر الشيطان ببالهم ان لهم عند الله خيرا ويتمنون ذهاب الاسلام بموت الرسول وعود الرياسة اليهم
وقيل امانى يخرصون الكذب به يقولون الباطل والتمنى في هذه المواضع هو تخلق الكذب وتخرصه ويقوى ذلك قولهم
وان هم الا يظنون فبين انهم يختلقون ما يختلقون من الكذب ظنا لا يقينا ولو كان المعنى انهم يتلونه لما كانوا ظانين
وكذلك لو كانوا يتمنونه لان الذى يتلو اذا تدبر علمه ولا يقال للمتمني في حال وجود متمنيه انه يظن تمنيه ولا شاك فيما هو عالم
واليهود الذين عاصروا النبى صلعم لم يشكوا في ان التورية من عند الله وقوله وان هم الا يظنون معناه انهم يشكون وفي هذه
الاية دلالة على ان المقلدين في معانى الكتاب وفيما طريقه العلم غير جائز وان الاقتصار على الظن في ابواب الديانات
لا يجوز وان الحجة بالكتاب قائمة على جميع الخلق وان لم يكونوا عالمين اذا تمكنوا من العلم وان من الواجب ان يكون التعويل
على معرفة معانى الكتاب لا على مجرد تلاوته قوله تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله
ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون اية اللغة الويل كلمة يستعملها كل واقع في
هلكة واصله العذاب والهلاك ومثله الويح والويس وقال الاصمعى هو القبيح ومنه ولكم الويل مما تصفون وقال
المفضل معناه الحزن وقال قوم هو الهوان والخزى ومنه قول الشاعر يا زبرقان اخا بنى خلف ما انت ويل ابيك والفخر
واصل الكسب العمل الذى يجلب به نفع او يدفع به ضرر وكل عامل عملا بمباشرة منه لم ومعاناة فهو كاسب له
وقال لبيد لمعفر قهد تنازع شلوه غبس كواسب ما يمن طعامها وقيل الكسب عبارة عن كل عمل
بجارحة يجتلب به نفع او يدفع به ضرر ومنه قيل للجوارح من الطير كواسب الاعراب ويل رفع بالابتداء وخبره
للذين قال الزجاج ولو كان في غير القرآن لجاز فويلا للذين على معنى جعل الله ويلا للذين والرفع على معنى ثبوت
الويل للذين وقال سيبويه اذا اضفت ويل وويح وويس نصبت من غير تنوين فقلت ويح زيد وويل زيد
واما التعس والبعد وما اشبههما فلا يحسن فيهما الاضافة بغير لام فلذلك لم ترفع وانما يقال في نحوها تعسا
له وبعدا له وتبا له وقد نصب ابن ويل وويح مع اللام فقالوا ويلا له وويحا له قال الشاعر كسا اللوم تيما
خضرة في جلودها فويلا لتيم من سرابيلها الخضر المعنى ثم عاد سبحانه الى ذكر علماء اليهود

فقال فويل للذين يكتبون الكتاب قال ابن عباس الويل ظلمة العذاب وقيل جبل في النار وروى الخدري عن
النبي صلعم انه واد في جهنم يهوي فيه الكافر اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره والاصل فيه ما ذكرناه من انه كلمة التحسر
والتفجع والتلهف والتوجع يقولها كل مكروب طالب وفي التنزيل يا ويلتنا ما لهذا الكتاب وقوله للذين يكتبون
الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله معناه يتولون كتبته ثم يضيفونه الى الله سبحانه كقوله مما عملت ايدينا
اي نحن تولينا ذلك الله لا احد من عبادنا ومثله خلقت بيدي ويقال رايته بعيني وسمعته باذني ولقيته بنفسي
والمعنى في جميع ذلك التاكيد وايضا فقد يضيف الانسان الكتابة الى نفسه وقد امر غيره بالكتابة عنه فيقول انا كتبت
الى فلان وهذا كتابي الى فلان وكقوله سبحانه يذبح ابناءهم وانما امر به فاعلمنا الله سبحانه انهم يكتبونه بايديهم
ويقولون هو من عند الله وقد علموا يقينا انه ليس من عنده وقيل معناه انهم علموا ذلك من تلقاء انفسهم كما يقال
انا اخترع مذهبا او قولا لم يسبق اليه يقال له هذا مذهبك وهذا قولك وان كان جميع ما يوجد عنه من الاقوال
قولا والمراد ان هذا من تلقاء نفسك وانك لم تسبق اليه وقيل كتابتهم بايديهم انهم عمدوا الى التورية
وحرفوا صفة النبي صلعم ليوقعوا الشك بذلك للمستضعفين من اليهود وهو المروي عن ابي جعفر الباقر ع وعن
جماعة من اهل التفسير وقيل كانت صفته في التورية اسمر ربعة فجعلوه آدم طويلا وفي رواية عكرمة
عن ابن عباس قال ان احبار اليهود وجدوا صفة النبي مكتوبة في التورية اكحل اعين ربعة حسن الوجه
فمحوه من التورية حسدا وبغيا فاتاهم نفر من قريش فقالوا اتجدون في التورية نبيا اميا قالوا نعم نجده طويلا
ازرق سبط الشعر ذكره الواحدي باسناده في الوسيط وقيل المراد بالاية كاتب كان للنبي صلعم فغير ما يملى عليه
ثم ارتد ومات فلفظته الارض والاول وجه لانه اليق بسياق الكلام وقوله ليشتروا به ثمنا قليلا كي يأخذوا
ما كانوا يأخذونه من عوامهم من الاموال وذكر لفظ الاشتراء توسعا والمراد انهم تركوا الحق واظهروا الباطل
ليأخذوا على ذلك شيئا كمن يشتري السلعة بما يعطيه والقلة في قوله ثمنا قليلا ان كل ما لا يكون الا قليلا
وللتعريب في ذلك طريقة تعليق من يرى فيها من تصحيح كلامهم وقيل انما وصفه بالقلة لانه عرض الدنيا وهو قليل
المدة كقوله قل متاع الدنيا قليل عن ابي العالية وقيل انما قال لانه حرام وقوله فويل لهم مما كتبت
ايديهم اي عذاب لهم وخزي لهم وقبح لهم مما فعلوا من تحريف الكتاب وويل لهم مما يكسبون من المعاصي وقيل
مما يجمعون من المال الحرام والرشى التي يأخذونها من العوام قوله تعالى وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة
قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده ام تقولون على الله ما لا تعلمون. اللغة المس نظير اللمس
والفرق بينهما ان مع اللمس احساسا واصله اللصوق وحد الجمع الذي يبني على نهاية القرب والاخلاف
نقض ما تقدم من العهد بالفعل الاعراب اياما انتصب على الظرف واصل اتخذتم ءاتخذتم دخلت همزة
الاستفهام على همزة الوصل فسقطت همزة الوصل وفي القراءة من ادغم الذال في التاء من اتخذتم ومنهم
من لم يدغم وام هاهنا يحتمل ان يكون متصلة على المعادلة لهمزة الاستفهام كانه قال على اي الحالين انتم
اتقولون على الله ما تعلمون ام تقولون على الله ما لا تعلمون ويحتمل ان يكون منقطعة على تقدير تمام الكلام
قبله فيكون بمعنى بل والهمزة كانه استأنف فقال بل اتقولون النزول قال ابن عباس ومجاهد قدم رسول الله
صلعم المدينة واليهود تزعم ان مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وانما يعذب بكل الف سنة يوما واحدا ثم ينقطع
العذاب فانزل الله هذه الآية وقال ابو العالية وعكرمة وقتادة هي اربعون يوما لانها عدد الايام التي
عبدوا فيها العجل المعنى وقالوا اي قالت اليهود لن تمسنا النار اي لن تصيبنا الا اياما معدودة معناه
اياما قلائل كقوله دراهم معدودة وقيل معدودة محصاة والمعدودة اذا اطلقت

معناها القليلة فقال الله سبحانه قل يا محمد لهم اتخذتم عند الله عهدا اي موثقا انه لا يعذبكم الا هذه المدة وعرفتم
ذلك بوحيه وتنزيله فان كان ذلك فالله سبحانه لا ينقض عهده وميثاقه ام تقولون على الله الباطل جهلا منكم وجراءة
عليه قوله تعالى بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون. القراءة قرأ اهل المدينة
خطيئاته على الجمع والباقون على التوحيد الحجة قال ابو علي يجوز ان يكون من الجزاء الجازم ويجوز ان يكون
للجزاء غير الجازم فتكون السيئة وان كانت مفردة يراد بها الكثرة وكذلك تكون خطيئة مفردة وانما حسن ان يفرد
لانه مضاف الى مفرد وان كان يراد بها الكثرة كما قال بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه فافرد
الوجه والاجر وان كان في المعنى جمعا في الموضعين ولكن لما كان المضاف اليه الخطيئة لما لم يكن جمعا
لم يجمع كما جمعت في قوله نغفر لكم خطاياكم ولنغفر لنا خطايانا لان ذلك مضاف الى جمع ومن قال خطيئاته
فجمع حمله على المعنى والمعنى الجمع والكثرة ويدل عليه قوله فاولئك اصحاب النار فاولئك خبر المبتدأ الذي
هو من في قول من جعله جزاء غير مجزوم كقوله وما بكم من نعمة فمن الله او مبتدأ في قول من جعله جزاء غير مجزوم وعاد في
كلا الوجهين يراد به من في قوله بلى من كسب سيئة ومما يدل على ان من يراد به الكثرة يجوز ان لا يجمع خطيئته
لانها مضافة الى جميع في المعنى قوله بعد هذه والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها
خالدون الا ترى ان الذين جمع وهو معادل به ولكن المعادل به يكون جمعا مثل ما عودل به الاعراب
بلى جواب لقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة والفرق بين بلى ونعم ان بلى جواب الجحد ونعم جواب الايجاب
قال الفراء انما امتنعوا من استعمال نعم في جواب الجحد لانه اذا قال الرجل ما لك علي شيء فقال له نعم فقد صدقه وكانه
قال نعم ليس لي عليك شيء واذا قال بلى فانما هو رد لكلامه اي بلى لي عليك شيء وقوله هم فيها خالدون عطف
هذه الجملة على الاولى بغير حرف العطف لان في الجملة الثانية ذكرا مما في الاولى والضمير يربط الكلام الثاني بالاول
كما ان حرف العطف يربطه به ومثله قوله انهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وقال في
موضع آخر وكانوا يصرون بالواو وقال سيقولون ثلثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب
ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم فحذف الواو من قوله رابعهم وسادسهم استغناء عنها بما في الجملة من ذكر
ما في الاول لان الحرف يدل على الاتصال وما في الجملة من ذكر ما تقدم يفيد الاتصال ايضا فاستغني به عنه المعنى
رد الله تعالى على اليهود قولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة فقال بلى اي ليس الامر كما قالوا ولكن من كسب سيئة
واختلف في السيئة فقال ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم السيئة هاهنا الشرك وقال الحسن
هي الكبيرة الموجبة وقال السدي هي الذنوب التي اوعد الله عليها النار والقول الاول يوافق مذهبنا لان ما عدا الشرك
لا يستحق به الخلود في النار عندنا وقوله واحاطت به خطيئته يحتمل امرين احدهما انها احدقت به من كل
جانب كقوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين والثاني ان المعنى اهلكته من قوله الا ان يحاط بكم وقوله فظنوا انهم احيط
بهم وقوله واحيط بثمره فهذا كله بمعنى البوار والهلاك فالمراد انها سدت عليه طريق النجاة وروي عن ابن عباس والضحاك
وابي العالية ان المراد بالخطيئة الشرك وعن الحسن انها الكبيرة وعن عكرمة ومقاتل انها الاصرار على الذنوب وانما قال
من كسب سيئة واحاطت به خطيئته ولم يقل واحاطت به سيئته خالف بين اللفظين ليكون ابلغ وافصح
فاولئك اصحاب النار اي يصحبون النار ويلازمونها هم فيها خالدون اي دائمون ابدا عن ابن عباس وغيره
والذي يليق بمذهبنا من تفسير هذه الآية قول ابن عباس لان اهل الايمان لا يدخلون في حكم هذه الآية وقوله
واحاطت به خطيئته يقوي ذلك لان المعنى ان خطاياه قد اشتملت عليه واحدقت به حتى لا يجد عنها

مخلصا الا من حسنا ولو كان معه شيء من الطاعات لم يكن السيئة محيطة به من كل وجه وقد دل الدليل على صحة الاحباط التصديق والطاعة بالثواب الدائم فكيف يجمع ثواب الدائم مع عقاب الدائم وبينا ان النص على ان المراد بالسيئة في الاية الشرك على ما ذكره اهل التفسير سيئة واحدة لا تحيط بجميع الاعمال عند اكثر الخصوص وان لم يمكن اجراء الاية على العموم فيجب ان يحمل على اكبر السيئات واعظم الخطيئات وهو الشرك ليمكن الجمع بين الايتين

قوله تعالى واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا واقيموا الصلوة واتوا الزكوة ثم توليتم الا قليلا منكم وانتم معرضون . ا

القراءة قرا ابن كثير وحمزة والكسائي لا يعبدون بالياء وقرا الباقون بالتاء وقرا حمزة والكسائي وقولوا للناس حسنا بفتح الحاء والسين والباقون حسنا بضم الحاء واسكان السين الحجة حجة من قرا تعبدون بالتاء على الخطاب قوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة الاية ويقويه قوله وقولوا للناس وقوله ثم توليتم الا قليلا منكم وانتم معرضون فاذا كان هذا خطابا وهو عطف على ما تقدم وجب ان يكون المعطوف عليه في حكمه وحجة من قرا بالياء قوله قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف حملا على لفظ الغيبة واما قوله حسنا فمن قرا بضم الحاء ففيه ثلاثة اوجه احدها ان يكون الحسن بمعنى الحسن كالبخل والبخل والرشد والرشد وجاز ذلك في الصفة كما جاز في الاسم قالوا العرب والعرب وهو صفة بدلالة قولهم مررت بقوم عرب اجمعون فعلى هذا يكون الحسن صفة كالحلو والمر وثانيها ان يكون الحسن مصدرا كالشكر والكفر وحذف المضاف معناه قولوا قولا ذا حسن وثالثها ان يكون منصوبا على انه مصدر الفعل الذي دل عليه الكلام اي ليحسن قولكم حسنا ومن قرا حسنا جعله صفة وتقديره وقولوا للناس قولا حسنا كقوله تعالى فاستمتعوا قليلا اي متاعا قليلا اللغة الاخذ ضد الاعطاء والقربى مصدر كقولهم في قرابة رحم فلان قرابة وقربى وقربا واليتامى جمع يتيم مثل نديم وندامى واليتم لبني ادم الى ان يبلغ الحلم ولاهل البهائم من ماتت امه يقال يتم ييتم يتما اذا انفرد باحد الابوين فاما غير الانسان فيتمه من قبل الام قال الاصمعي اليتيم في الناس من قبل الاب وفي غير الناس من قبل الام والمسكين هو المتخشع المتذلل من الحاجة ماخوذ من السكون كانه قد اسكنه الفقر الاعراب

قوله لا تعبدون الا الله اما ان يكون حالا او يكون تلقي القسم ويكون على لفظ الخبر والمعنى معنى الامر او يكون على تقدير ان لا تعبدوا فحذف ان فيرتفع الفعل فان جعلته حالا فالاولى ان يكون بالياء ليكون في الحال ذكر من ذي الحال فكانه قال اخذنا ميثاقهم موحدين وان جعلته تلقي قسم وعطفت عليه الامر وهو قوله وقولوا كنت جمعت بين امر ونهي لا يجمع بينهما فان تحمل الامر على القسم وتضمر القول كانه قال واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون وقلنا احسنوا بالوالدين احسانا فيكون وقلنا على هذا معطوفا على اخذنا جاز لان اخذ الميثاق قول فكانه قال وقلنا لهم كذا وكذا وان حملته على ان للفظ لفظ الخبر والمعنى معنى الامر يكون مثل قوله تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون ويدل على ذلك قوله يغفر لكم ويؤكد ذلك انه قد عطف عليه بالامر وهو قوله وبالوالدين احسانا وقولوا واقيموا وان حملته على ان المعنى اخذنا ميثاقهم بان لا تعبدوا فلما حذف ان ارتفع الفعل كما قال طرفة الا ايهذا اللائمي احضر الوغى وان اشهد اللذات هل انت مخلدي فان هذا قول ان حملته عليه كان فيه حذف بعد حذف وزعم سيبويه ان هذا النحو من الحذف قليل وقوله وبالوالدين احسانا الظرف الجار يتعلق بفعل مضمر ولا يجوز ان يتعلق بقوله احسانا لان ما يتعلق بالمصدر لا يجوز ان يتقدم عليه واحسن يصل الى المفعول بالياء كما يصل بالى يدل على ذلك قوله وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن ويعدى بالباء كما يعدى بالى في قوله واحسن كما احسن الله اليك وقوله ثم توليتم الا قليلا منكم قال الزجاج نصب قليلا على الاستثناء المعنى استثني قليلا منكم قال ابو علي ان في هذا التمثيل ايهاما ان الاسم المستثنى ينتصب على معنى استثني او بالا وليس كذلك بل ينتصب الاسم المستثنى عن الجملة التي قبل الا بتوسط الا كما نصب الطيالسة في قولك جاء البرد

والطيالسة وما نصبت والتي عن الجملة التي قبل الواو بتوسط الواو يدل على ذلك قولهم ما جاءني الا زيد فلو كان الا العامل بدله عملها في المستثنى لجاز نصب هذا كما انك لو قلت استثني زيد لنصبته فان قيل لا يجوز النصب هنا لان الفعل يبقى فارغا بلا فاعل قيل فهلا ذلك اشنع وهذا من الجواز على ان ما بعد الا متصل بما قبلها وانه ليس لا فيه عمل ولا اثر الا ما يدل عليه من معنى الاستثناء المعنى ثم عاد سبحانه الى ذكر بني اسرائيل فقال واذكروا اذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل اي عهدهم

وقيل الميثاق الادلة من جهة العقل والشرع وقيل هو مواثيق الانبياء على اممهم والعهد والميثاق لا يكون الا بالقول فكانه قال امرناهم ووصيناهم واكدنا عليهم وقلنا لهم والله لا تعبدون اذا حملناه على جواب القسم واذا حملناه على الحال او على ان معناه الامر كما تقدم قيل واذا حملناه على حذف ان فتقديره واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل بان لا تعبدوا الا الله وحده دون ما سواه من الانداد وبان يحسنوا الى الوالدين احسانا والاحسان الذي اخذ عليهم الميثاق بان يفعلوه الى الوالدين هو ما فرض على امتنا ايضا من فعل المعروف بهما والقول الجميل وخفض جناح الذل لهما والتحنن عليهما والرافة بهما والدعاء بالخير لهما وما اشبه ذلك وقوله وذي القربى اي بذوي القربى ان يصلوا قرابته ورحمه واليتامى اي وباليتامى ان يعطفوا عليهم بالرافة والرحمة وبالمساكين ان يؤتوهم حقوقهم التي اوجبها الله عليهم في اموالهم وقوله وقولوا للناس حسنا فيه عدول الى الخطاب بعد الخبر وانما استجازت العرب ذلك لان الخبر انما يكون عمن خاطبه بعينه لا عن غيره وقد يخاطبون ايضا ثم يصيرون بعد الخطاب الى الخبر فمثال الاول قول عنترة شطت مزار العاشقين فاصبحت حرما على طلابك ابنة مخرم ومثال الثاني قول كثير عزة اسيئي بنا او احسني لا ملومة لدينا ولا مقلية ان تقلت وقد اراد به قلنا لهم قولوا واختلف في معنى قوله حسنا فقيل هو القول الحسن الجميل والخلق الكريم وهو مما ارتضاه الله واحبه عن ابن عباس وقيل هو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عن سفيان الثوري وقال الربيع بن انس قولوا للناس حسنا اي معروفا وروى جابر عن ابي جعفر الباقر عليه السلام في قوله وقولوا للناس حسنا قال قولوا للناس احسن ما تحبون ان يقال لكم فان الله يبغض اللعان السباب الطعان على المؤمنين الفاحش المتفحش السائل الملحف ويحب الحليم العفيف المتعفف ثم اختلف فيه من وجه اخر فقيل هو عام في المؤمن والكافر على ما روي عن الباقر عليه السلام وقيل هو خاص في المؤمن واختلف من قال انه عام فقال ابن عباس وقتادة انه منسوخ باية السيف وبقوله عليه السلام قاتلوهم حتى يقولوا لا اله الا الله او يقروا بالجزية وقد روي ايضا عن الصادق عليه السلام وقال الاكثرون انها ليست بمنسوخة لانه يمكن قتالهم مع حسن القول في دعائهم الى الايمان كما قال الله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن وقال في اية اخرى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم وقوله واقيموا الصلوة اي ادوها بحدودها الواجبة عليكم واتوا الزكوة اي اعطوها اهلها كما اوجبها الله عليكم وروي عن ابن عباس ان الزكوة التي فرضها الله على بني اسرائيل كانت قربانا تهبط اليه نار من السماء فتحمله فكان ذلك تقبله ومتى لم تفعل النار به ذلك كان غير متقبل وروي عنه ايضا ان المعني به طاعة الله والاخلاص وقوله ثم توليتم اي اعرضتم الا قليلا منكم وانتم معرضون اخبر الله سبحانه عن اليهود انهم نكثوا عهده ونقضوا ميثاقه وخالفوا امره وتولوا عنه معرضين الا من عصمه الله منهم فوفى لله بعهده وميثاقه ووصف هؤلاء بانهم قليل بالاضافة الى اولئك واختلف فيه فقيل انه خطاب لمن كان بين ظهراني مهاجر رسول الله صلى الله عليه وآله من يهود بني اسرائيل وذم لهم بنقضهم الميثاق الذي اخذ عليهم في التورية وتبديلهم امر الله وركوبهم معاصيه وقيل انه خطاب لاسلافهم المذكورين في اول الاية وانما جمع بين التولي والاعراض وان كان معناهما واحدا تاكيدا وقيل معنى تولوا فعلوا الاعراض وهم معرضون اي مستمرون على ذلك وفي هذه الاية دلالة على ترتيب الحقوق فبدا سبحانه بذكر حقه وقدمه على كل حق لانه الخالق المنعم

حقوقهم امر

نقل الى يغنى

٥٠

المتواصول النعم ثم ثنى بحق الوالدين وخصهما بالمزية لكونهما سببا للوجود وانعامهما بالتربية ثم ذكر ذوى القربى لانهم اقرب الى المكلف من غيرهم ثم ذكر حق اليتامى لضعفهم والفقراء لفقرهم قوله تعالى واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم ثم اقررتم وانتم تشهدون • اللغة السفك الصب يقال سفكت الدم اسفكه سفكا و واحد الدماء دم واصله دمى فى قول اكثر النحويين ودليل من قال ان اصله دمًا قول الشاعر فلو انا على حجر ذبحنا جرى الدميان بالخبر اليقين وقال قوم اصله دمى الا انه لما حذف ورد اليه ما حذف حركت الميم لتدل الحركة على انه استعمل محذوفا والنفس ماخوذة من النفاسة وهى الجلالة فنفس الانسان انفس ما فيه والدار هى المنزل الذى فيه ابنية المقام بخلاف منزل الارتحال وقال الخليل كل موضع حله قوم فهو دارهم وان لم يكن فيه ابنية والاقرار الاعتراف والشهادة اخذ من المشاهدة وهو الاخبار عن الشىء بما يقوم مقام المشاهد فى المعرفة الاعراب تقدير الاعراب فى هذه الاية مثل الذى قلناه فى الاية الاولى على سواء المعنى ثم عطف سبحانه على ما تقدم من الاخبار عن اليهود بنقض المواثيق والعهود بقوله واذ اخذنا ميثاقكم اى ميثاق اسلافكم الذين كانوا فى زمن موسى ع والانبياء الماضين ع وانما اضاف الميثاق اليهم لما كانوا اخلافا لهم على ما سبق الكلام فيه وقوله لا تسفكون دماءكم معناه لا يقتل بعضكم بعضا لان فى قتل الرجل منهم قتل نفسه اذا كانت ملتهما واحدة ودينهما واحدا واهل الدين الواحد بمنزلة الرجل الواحد فى ولاية بعضهم بعضا لقول النبى ص انما المؤمنون فى تراحمهم وتعاطفهم بمنزلة الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر هذا قول قتادة وابى العالية وقيل معناه لا يقتل الرجل منكم غيره فيقاد به قصاصا فيكون بذلك قاتلا نفسه لانه كالسبب فيه وقوله ولا تخرجون انفسكم من دياركم معناه لا يخرج بعضكم بعضا من ديارهم بان تغلبوا على الدار وقيل معناه لا تفعلوا ما تستحقون به الاخراج من دياركم كما فعله بنو النضير وقوله ثم اقررتم وانتم تشهدون اى اقررتم بذلك ايضا وانتم شاهدون على ما تقدم باخذنا منهم الميثاق وبما يلزم من انفسهم من القبول والالتزام وقيل معنى اقرارهم هو الرضا به والصبر عليه كما قال الشاعر الست كليبا اذا سيم خطة اقر كاقرار الحليلة للبعل واختلف فى المخاطب بقوله وانتم تشهدون فقيل هم اليهود الذين كانوا بين ظهرانى مهاجر رسول الله صلعم ايام هجرته اليهم وبخهم الله تعالى على تضييعهم احكام ما فى ايديهم من التوراة التى كانوا يقرون بحكمها وقال لهم ثم اقررتم يعنى اقر اوائلكم وسلفكم وانتم تشهدون على اقرارهم باخذ الميثاق عليهم بان لا تسفكوا دماءكم ولا تخرجوا انفسكم من دياركم وتصدقون بذلك عن ابن عباس وقيل انه خبر من الله عن اوائلهم ولكنه اخرج الخبر بذلك مخرج المخاطبة لهم على النحو الذى تقدم فى الايات وانتم تشهدون اى وانتم شهود عن ابى العالية ويحتمل قوله وانتم تشهدون امرين احدهما ان معناه وانتم تشهدون على انفسكم بالاقرار والثانى ان معناه وانتم تحضرون سفك دماءكم واخراج انفسكم من دياركم وقال بعض المفسرين نزلت الاية فى بنى قريظة والنضير وقيل نزلت فى اسلاف اليهود قوله تعالى ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان وان ياتوكم اسارى تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى فى الحيوة الدنيا ويوم القيمة يردون الى اشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون • القراءة قرا اهل الكوفة تظاهرون بالتخفيف الظاء ههنا وفى التحريم والباقون بالتشديد فيهما وقرا ابو جعفر ونافع وعاصم والكسائى ويعقوب اسارى تفادوهم بالالف فيهما وقرا حمزة وحده اسرى تفدوهم بغير الف وقرا ابن كثير

وابن عامر

وابن عامر وابو عمرو اسارى بالالف تفدوهم بغير الف وكان ابو عمرو وحمزة والكسائى يميلون الراء من اسارى ونافع يقرا بين بين والباقون يفتحون • الحجة من قرا تظاهرون بالتخفيف فالاصل فيه تتظاهرون فحذف التاء الثانية لاجتماع التائين ومن قرا تظاهرون بالتشديد فالاصل فيه تتظاهرون ايضا فادغم التاء فى الظاء لقرب المخرجين فكل واحد من الفريقين كره اجتماع الامثال ففريق خفف بالادغام وفريق خفف بالحذف والتاء التى اعلت بالادغام هى التى اعلت بالحذف ووجه قول من قرا اسرى انه جمع اسير فعيل بمعنى مفعول نحو قتيل وقتلى وجريح وجرحى وهو اقيس من اسارى ووجه قول من قال انه اسارى فيشبهه بكسالى وذلك ان الاسير لما كان محبوسا عن كثير من تصرفه للاسر كما ان الكسلان محبس عن ذلك لعادته السيئة شبه به فاجرى عليه هذا الجمع كما قيل مرضى وموتى وهلكى لما كانوا مبتلين بهذه الاشياء مضاهيا ما شبه فى المعنى فعيلا بمعنى مفعول فاجرى عليه فى الجمع اللفظ الذى لفعيل بمعنى مفعول وكما شبه اسارى بكسالى شبه كسلى باسرى ومن قرا تفادوهم فلان كل واحد من الفريقين يعطى فى الاسر ويدفع الاسير ومن الماسور منهم دفع وذلك فوجه تفادوهم على هذا ظاهر ومن قرا تفدوهم فالمعنى فيه مثل المعنى فى تفادوهم وهذا الفعل يتعدى الى مفعولين والى الثانى بالجار كقوله وفديناه بذبح عظيم وقول الشاعر يودون لو يفدونني بنفوسهم ومثنى الاواق والقيان النواهد وقال الاعشى فى فادى عند ذى تاج اذا قيل لرفاد بالمال تراخى ومزاح المفعول الاول محذوف والتقدير فادى الاسرى بالمال وفى الاية المفعول الثانى الذى يصل اليه الفعل بحرف الجر محذوف • اللغة تظاهرون تعاونون والظهير المعين وقوله والملائكة بعد ذلك ظهير فلفظه لفظ الجمع واللفظ على الافراد ومثله قوله وفيه دعها فانى عن صديقها اى من اصدقائها وظاهر بين درعين لبس احدهما فوق الاخرى والاثم الفعل القبيح الذى يستحق به اللوم ونظيره الوزر وقال قوم معنى الاثم ما هو ينفر منه النفس ولم يطمئن اليه القلب ومنه قول النبى صلعم لوابصة بن معبد حين سئله عن البر والاثم فقال البر ما اطمانت اليه نفسك والاثم ما حك فى صدرك والعدوان الافراط فى الظلم يقال عدا فلان فى ظلمه عدوا وعدوا وعدوانا وعداء وقيل العدوان مجاوزة الحق والاسر الاخذ بالقهر واصله الشد والحبس والاسر الشدة وقال ابو عمرو بن العلاء الاسارى الذين هم فى الوثاق والاسرى الذين فى اليد وان لم يكونوا فى الوثاق والخزى الشر والذل يقال خزى الرجل خزيا ويقال فى الحياء خزى خزاية • الاعراب قوله ثم انتم هؤلاء فيه ثلثة اقوال احدها ان انتم مبتدا وهؤلاء منادى مفرد تقديره يا هؤلاء وتقتلون خبر المبتدا وثانيها ان هؤلاء توكيد لانتم وثالثها انه بمعنى الذين وتقتلون صلته اى انتم الذين تقتلون انفسكم فعلى هذا يكون تقتلون لا موضع له من الاعراب ومثله فى الصلة قوله وما تلك بيمينك يا موسى اى وما التى بيمينك وانشد النحويون فى ذلك عدس ما لعباد عليك امارة نجوت وهذا تحملين طليق وقوله تظاهرون عليهم فى موضع نصب على الحال من تخرجون وقوله وهو محرم عليكم اخراجهم هو على ضربين احدهما ان يكون اضمارا للاخراج الذى تقدم ذكره فى قوله وتخرجون فريقا منكم ثم بين ذلك بقوله اخراجهم توكيدا لتراخى الكلام والاخر ان يكون هو ضمير القصة والحديث فكانه قال والحديث محرم عليكم اخراجهم كما قال الله تعالى قل هو الله احد اى الامر الذى هو الحق هو الله احد • المعنى ثم انتم يا معشر يهود بنى اسرائيل بعد اقراركم بالميثاق الذى اخذته عليكم ان لا تسفكوا دماءكم ولا تخرجوا انفسكم من دياركم بعد شهادتكم على انفسكم بذلك انه واجب عليكم ولازم لكم الوفاء به تقتلون انفسكم اى يقتل بعضكم بعضا كقوله تعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم اى ليسلم بعضكم على بعض وقيل معناه يعرضون انفسهم للقتل وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان اى متعاونين

عليهم في اخراجكم الهم الاثم والعدوان وان ياتوكم اسارى تفادوهم اي والشرع قبلكم من قبلون منكم اذا وجد بنو اسرائيل
في ايدي غيركم من اعدائكم تفدوهم وقتلكم اياهم واخراجكم هم من ديارهم حرام عليكم كما ان تركهم اسرى في ايدي عدوهم
حرام عليكم فكيف تستجيزون قتلكم ولا تستجيزون ترك فداءهم من عدوهم وهما جميعا في حكم اللازم لكم فيهم سواء لان
الذي حرمت عليكم من قتلهم واخراجهم من دورهم نظير الذي حرمت عليكم من تركهم اسرى في ايدي عدوهم افتؤمنون
ببعض الكتاب الذي فرضت عليكم فيه فرائضي وبينت لكم فيه حدودي واخذت لكم العمل بما فيه مستيقنا فتصدقون
به فتفادون اسراكم من ايدي عدوكم وتكفرون ببعضه فتجحدونه فتقتلون من حرمت عليكم قتله من اهل دينكم وتخرجونهم
من ديارهم وقد علمتم ان الكفر منكم ببعضه نقض منكم لعهدي وميثاقي واختلفوا في من عني بهذه الآية فروى عكرمة عن ابن عباس
ان قريظة والنضير كانا اخوين كالاوس والخزرج فافترقوا فكانت الخزرج مع النضير وكانت قريظة مع الاوس فاذا اقتتلوا
عاونت كل فرقة حلفاءها فاذا وضعت الحرب اوزارها فدوا اسراها تصديقا لما في التورية والاوس والخزرج
اهل شرك يعبدون الاصنام لا يعرفون جنة ولا نارا ولا قيامة ولا كتابا فانبا الله اليهود بما فعلوه وقال ابو العالية كان بنو
اسرائيل اذا استضعف قوم قوما اخرجوهم من ديارهم وقد اخذ عليهم الميثاق الا يسفكوا دماءهم ولا يخرجوا انفسهم
من ديارهم واخذ عليهم الميثاق ان اسر بعضهم بعضا ان يفادوهم واخرجوهم من ديارهم ثم فادوهم فآمنوا بالفداء
ففدوا وكفروا بالاخراج من الديار فاخرجوهم وقيل المراد الذين اخرجوهم الذين هودوا ولكنهم قوم آخرون
على ملتهم فانبهم الله تعالى على ذلك وقال ابو مسلم الاصفهاني ليس المراد بقوله افتؤمنون الآية انهم يخرجون ويحرجون
ويفدون وهو واجب وانما هو حجة الى بيان صفة تخرجهم وصنيعهم وقوله فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة
الدنيا اختلف في الخزي الذي جزاهم الله اياه بما سلف منهم من المعصية فقيل هو حكم الله الذي انزل على نبيه محمد صلى من
اخذ القاتل بمن قتل والقود به قصاصا والانتقام من الظالم للمظلوم وقيل بل هو اخذ الجزية منهم ما اقاموا
على دينهم على وجه الذل والصغار وقيل الخزي الذي خزوا به في الدنيا هو اخراج رسول الله صلعم النضير من ديارهم
لاول الحشر وقيل بل قتل قريظة وسبي ذراريهم وكان ذلك خزيا لهم في الدنيا ثم اعلم الله سبحانه ان ذلك غير مكفر
عنهم ذنوبهم وانهم صائرون بعده الى عذاب عظيم فقال ويوم القيمة يردون الى اشد العذاب اي الى
اشد العذاب الذي اعد الله لاعدائه وهو العذاب الذي لا روح فيه مع الياس من التخلص وما الله بغافل عما تعملون
اي وما الله بساه عن اعمالهم الخبيثة بل هو حافظ لها ومجازي عليها ومن قرأ بالتاء رده الى المواجهين بالخطاب
في قوله افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ومما يسال في هذه الآية ان ظاهرها يقتضي صحة اجتماع الايمان
والكفر وذلك مناف للصحيح من المذهب والقول فيه ان المعنى انهم اظهروا التصديق ببعض الكتاب والانكار للبعض
ويحتمل ان يكون المراد بذلك انكم اذا اعتقدتم جميع ذلك ثم عملتم ببعضه دون بعض فكانكم آمنتم ببعض
دون بعض وهذا يدل على انه لا ينفعهم الايمان بالبعض مع الكفر بالبعض الآخر وفي هذه الآية تسلية لنبينا صلعم في ترك
قبول اليهود قوله وانحرافهم عن الايمان فكانه يقول كيف يقبلون قولك ويسلمون لامرك ويؤمنون بك وهم لا يعملون
بكتابهم مع اقرارهم به وايمانهم بانه من عند الله تعالى قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فلا يخفف
عنهم العذاب ولا هم ينصرون . اية اللغة الخفة نقيض الثقل والتخفيف والتسهيل والتهوين نظائر وقيل
في الخفة والثقل قيل الترجيح الى تناقص الجواهر وتزايدها وقيل ان الاعتماد اللازم سفلا يسمى ثقلا والاعتماد
اللازم المختص بجهة العلو يسمى خفة المعنى اشار الى الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض فقال
اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة اي باعوا رياسة الدنيا بالآخرة اي رضوا بها عوضا من نعيم
الآخرة التي اعدها الله تعالى للمؤمنين فجعل الله سبحانه حظهم من نعيم الآخرة بكفرهم بالله ثمنا

لما ابتاعوه من خسيس الدنيا ثم اخبر انهم لا حظ لهم في نعيم الآخرة بقوله فلا يخفف عنهم العذاب اي لا ينقص
من عذابهم ولا يهون عنهم ولا هم ينصرون اي لا ينصرهم احد في الآخرة فيدفع عنهم بنصرته عذاب الله تعالى
قوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح
القدس افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون . اية القراءة قرأ ابن كثير القدس
بسكون الدال في جميع القرآن والباقون بضم القاف والدال وروي في الشواذ عن ابي عمرو وابن محيصن آيدناه على وزن
افعلناه والقراءة ايدناه بالتشديد الحجة التخفيف في القدس حسن وكذلك فيما كان في مثله نحو الحلم
والحلم والعنق والعنق وايدناه انما كانت القراءة فيه فعلناه لما يعرض من تصحيح العين مخافة توالي اعلالين في آيدناه على
افعلناه ومعنى هذا انه لو اعلت عينه كما يجب اعلال مثلها من الاجوف كاقمت وابعت لتتابع فيه اعلالان
لان اصل ايدت أأيدت كما ان الاصل في آمن أأمن فانقلبت الهمزة الثانية الفا لاجتماع همزتين في كلمة واحدة
والاولى منهما مفتوحة والثانية ساكنة وكان يجب ايضا ان تلقى حركة العين على الفاء وتحذف العين كما القيت حركة الواو
من اقومت على القاف قبلها فصار اقمت وكان يجب على هذا ان تقلب الفاء هنا والا انها قد تحركت وانفتح ما قبلها
ولا بد من قلبها لوقوع الهمزة الاولى قبلها كما قلبت في جمع آدم اوادم فكان يجب ان يقول اودته كاقمته فتحذف العين
كما ترى وقلب الفاء التي هي في الاصل همزة واوا فيعتل الفاء والعين جميعا واذا كان يؤدي في القياس الى هذا رفض
وكثير فيه هذان الاعلالان وجاء ايدت فلم تعتلا على الاصل واذا كانوا قد اخرجوا اين اهلت وهي حرف علة
على التصحيح في نحو قوله صددت فاطولت الصدود واحوذ القوم واغيمت السماء ولو اعلت لم يخف فيه توالي اعلالين
كان خروج ايدت على التصحيح لئلا يجتمع اعلالان اولى واحرى اللغة قفينا اي اردفنا واتبعنا بعضهم خلف بعض
واصله من القفا تقول قفوت فلانا اذا صرت خلف قفاه كما تقول دبرته قال امرؤ القيس وقفى على آثارهن
بحاصب وغبية سوء نوب من الشال ملهب والرسل جمع رسول كالصبر والشكر في جمع صبور وشكور وايدناه قويناه
من الايد وهو الاد وهما القوة ومثلهما في البناء على فعل وفعل النيم والاثم والعيب والعاب قال العجاج من ان
تبدلت بآدي ادا اي بقوة شبابي قوة الشيب والقدس الطهر والتقديس التطهير وقولنا في صفة الله تعالى القدوس
اي الطاهر المنزه من ان يكون له ولد او مصدرا فان كان مكانا فالمعنى بيت المكان الذي يتطهر فيه بالطهارة واضيف
الى الطهارة لانه منسك كما جاء ان طهرا بيتي للطائفين وتطهيره اخلاؤه من الصنم وابعاده منه فعلى هذا يكون
معناه بيت مكان الطهارة وان كان مصدرا كان كقوله الى مرجعكم ونحوه من المصادر التي جاءت على هذا
المثال والهوى مقصور والشهوة نظيره ان هوى يهوى هوى المعنى ثم ذكر سبحانه انعامه عليهم بارسال
رسله اليهم وما قابلوه به من تكذيبهم فقال ولقد آتينا موسى الكتاب اي اعطيناه التورية وانزلناها اليه وقفينا
من بعده اي اتبعنا من بعد موسى بالرسل رسولا بعد رسول يتبع الآخر الاول في الدعاء الى وحدانية الله تعالى
والقيام بشرائعه على منهاج واحد لان كل من بعثه الله نبيا بعد موسى الى زمن عيسى صلعم فانما بعثه باقامة التورية
والعمل بما فيها والدعاء الى ذلك وآتينا عيسى بن مريم البينات اي اعطيناه المعجزات والدلالات على نبوته
واحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص ونحو ذلك من الآيات الدالة على صدقه وصحة نبوته وقال بعضهم
اراد بالبينات الانجيل وما فيه من الاحكام والآيات الفاصلة بين الحلال والحرام وايدناه بروح القدس
اي قويناه واعناه بجبرئيل عن قتادة والسدي والضحاك والربيع واختلف في سبب تسمية جبرئيل
روحا على وجوه احدها انه يحيي بما يأتي به من البينات الاديان كما يحيي بالارواح الابدان وثانيها انه سمي بذلك
لان الغالب عليه الروحانية وكذلك سائر الملائكة وانما خص بهذا الاسم تشريفا له وثالثها انه سمي

واضيفا الى القدس لانه كان بتكوين الله تعالى اياه روحا من عنده من غير ولادة والد ولده وقال ابن زيد المراد روح القدس
الانجيل كما سمى الله تعالى القرآن روحا فقال وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا فكذلك سمى الانجيل روحا
وروى الضحاك عن ابن عباس ان الروح الاسم الذي كان عيسى ع يحيي به الموتى وقال الربيع هو الروح الذي نفخ فيه فاضافه الى
نفسه تشريفا كما قال بيت الله وناقة الله واقوى الاقوال قول من قال هو جبرئيل ع واذا قيل لم خص الله عيسى ع
من بين الانبياء بانه مؤيد بجبرئيل وكل نبي مؤيد به فالقول فيه انما خص بذلك لثبوت اختصاصه به من صغره
الى كبره فكان يسير معه حيث سار ولما هم اليهود بقتله لم يفارقه حتى صعد به الى السماء وكان تمثل لمريم ع
عند حملها به وبشرها به ونفخ فيها واختلف في معنى القدس فقيل هو الطهر وقيل هو البركة عن السدي ويحكى قطرب
انهم يقولون قدس عليه الانبياء اي بركوا وعلى هذا فانه كدعاء ابراهيم ع للحرم رب اجعل هذا البلد آمنا وكقول
زكريا واجعله رب رضيا وقيل القدس هو الله تعالى عن الحسن والربيع وابن زيد وقالوا القدوس والقدس واحد
وقوله افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم خطاب لليهود فكانه قال يا معشر اليهود بني اسرائيل
اكلما جاءكم رسول من رسلي بغير الذي تهواه انفسكم فعظمتم وتجبرتم وانفتم من قبول قوله ففريقا كذبتم
وفريقا تقتلون اي فكذبتم منهم بعضا ممن لم تقدروا على قتله مثل عيسى ع ومحمد صلعم وقتلتم بعضا مثل يحيى
وزكريا وغيرهما وظاهر الخطاب وان خرج مخرج التقديس فهو بمعنى الجحد وانما اضاف هذا الفعل اليهم وان لم يباشروه
بنفوسهم لانهم رضوا بفعل اسلافهم فاضيف الفعل اليهم وان فعله اسلافهم قوله تعالى وقالوا قلوبنا غلف
بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون. القراءة المشهورة غلف بتسكين اللام وروى في الشواذ غلف
بضم اللام عن ابي عمرو والحجة من قرأ فهو جمع الاغلف مثل احمر وحمر ويقال للسيف اذا كان في غلاف اغلف
وقوس غلفاء وجمعها غلف ولا يجوز تثقيله الا في ضرورة الشعر نحو قول طرفة ايها الفتيان في مجلسنا جردوا
منها ورادا وشقر فحركه لضرورة الشعر ومن قرأ غلف مثقلة فهو جمع غلاف نحو مثال ومثل وحمار وحمر فيكون
معناه ان قلوبنا اوعية للعلم فما بالها لا تفهم ويجوز ان يكون التسكين من التثقيل مثل رسل ورسل اللغة
اللعن هو الاقصاء والابعاد يقال لعن فلان فلانا فهو ملعون ثم يصرف ملعون من لعين فعيل قال
الشماخ وماء قد وردت لوصل اروى عليه الطير كالورق اللجين ذعرت به القطا ونفيت عنه مقام الذئب
كالرجل اللعين الاعراب قليلا منصوب بانه صفة مصدر محذوف وانما حذف لان الصفة تقوم مقامه وتدل
عليه اي فايمانا قليلا ما يؤمنون وقيل انه منصوب على الحال اي يؤمنون وهم قليل وقيل تقديره فبقليل ما يؤمنون
حذف الجار فوصل الفعل فنصبه وما ها هنا مزيدة للتوكيد ولا معنى لها كما في قوله فبما رحمة من الله لنت لهم وتقدير
الكلام فقليلا يؤمنون وكما في قول الشاعر لو بابانين جاء يخطبها خضب ما انف خاطب بدم وقيل ما ها هنا
هو ان يدل على غاية التنكير في الاسم وفرط الابهام فيه كما يقال امر ما وشيء ما اذا اريد المبالغة في الابهام المعنى
رجع الكلام الى الحكاية عن اليهود وعن سوء مقالهم وفعالهم فالمعنى على القراءة الاولى انهم ادعوا ان قلوبهم
ممنوعة من القبول فقالوا اي فاي حاجة في انذارك لنا ونحن لا نفهم ما تقول اذ ما تقول ليس مما يفهم كقوله تعالى
وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر وقال ابو علي الفارسي ما يدرك به المعلومات من الحواس
وغيرها من الاعضاء اذا ذكر بانه لا يعلم وصف بان عليه مانعا من ذلك ودونه حائلا فمن ذلك قوله تعالى
افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها لما كان القفل حاجزا بين المقفل عليه وحائلا من ان يدخله ما يدخل
اذا لم يكن مقفلا جعل مثلا للقلوب في انها لا تعي ولا تفقه وكذلك قوله تعالى لقالوا انما سكرت ابصارنا
والذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري وقوله بل هم منها عمون كان شدة عنادهم بحالهم في الشك

في المشاهدات

في المشاهدات ودفع للمعلومات واما المعنى على القراءة الثانية من تحريك العين في غلف فهو على ان المراد انها
اوعية للعلم ونحن علماء فلو كان ما تقول شيئا لفهمناه او لطائل لفهمناه او يكون المراد ليس في قلوبنا ما تذكره فلو كان
علما لكان فيها وقوله بل لعنهم الله بكفرهم رد الله عليهم قولهم اي ليس ذلك كما زعموا لكن الله سبحانه قد اقصاهم
وابعدهم من رحمته وطردهم عنها بجحودهم به وبرسله وقيل معنى لعنهم الله طبع الله على قلوبهم على سبيل المجازاة
لهم بكفرهم وقوله فقليلا ما يؤمنون معناه ان هؤلاء الذين وصفهم قليلوا الايمان بما انزل على نبيه محمد صلعم وان
كان معهم بعض الايمان من التصديق بالله وبصفاته وغير ذلك مما كان عليهم فرضا فايمانهم وذلك قليل بالاضافة
الى ما جحدوه من التصديق بنبينا عليه السلم وبما جاء به والذي يقوى عندنا ان يكون المراد بلا ايمان لهم اصلا وانما
وصفهم بالقليل كما يقال قل ما رأيت هذا قط اي ما رأيت هذا قط وان جعلت قليلا نصبا على الحال
اي يؤمنون قليلا فمعناه لا يؤمن منهم الا نفر قليل كعبد الله بن سلام واصحابه وفي هذه الآية رد على المجبرة
لان هؤلاء اليهود قالوا مثل ما يقولونه من ان على قلوبهم ما يمنع من الايمان ويحول بينها وبينه فكذبهم الله تعالى في ذلك بان
لعنهم وذمهم ولو كانوا صادقين في ذلك لما استحقوا اللعن والطرد ولكان الله سبحانه قد كلفهم ما لا يطيقون
قوله تعالى ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما
جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين. الاعراب مصدق رفع لانه صفة لكتاب ولو نصب على الحال
لكان جائزا لكنه لم يقرأ به في المشهور وقيل ضم على الغاية وقد ذكرنا الوجه فيه فيما تقدم من قوله قالوا هذا الذي رزقنا
من قبل واما جواب لما في قوله ولما جاءهم كتاب من عند الله فعند الزجاج والاخفش محذوف لان معناه
معروف يدل عليه قوله فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به كما حذف جواب لو من نحو قوله ولو ان قرآنا سيرت به الجبال
او قطعت به الارض او كلم به الموتى وتقديره ولو ان قرآنا سوى هذا القرآن سيرت به الجبال لسيرت بهذا القرآن
وقيل ان جواب لقوله ولما جاءهم كتاب من عند الله ولقوله فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وانما كرر لطول الكلام عن المبرد
النزول قال ابن عباس كانت اليهود يستفتحون اي يستنصرون على الاوس والخزرج برسول الله ص قبل مبعثه
فلما بعثه الله من العرب ولم يكن من بني اسرائيل كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولونه فيه فقال لهم معاذ بن جبل
وبشر بن البراء بن معرور يا معشر اليهود اتقوا الله واسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ص ونحن اهل الشرك وتصفونه
وتذكرون انه مبعوث فقال سلام بن مشكم اخو بني النضير ما جاءنا بشيء نعرفه وما هو بالذي كنا نذكر لكم فانزل الله
هذه الآية وروى العياشي باسناده رفعه الى ابي بصير عن ابي عبد الله ع قال كانت اليهود تجد في كتبها ان
مهاجر محمد صلعم ما بين عير واحد فخرجوا يطلبون الموضع فمروا بجبل يقال له حداد فقالوا حداد واحد سواء فتفرقوا
عنده فنزل بعضهم بتيماء وبعضهم بفدك وبعضهم بخيبر فاشتاق الذين بتيماء الى بعض اخوانهم فمر بهم
اعرابي من قيس فتكاروا منه وقال لهم امر بكم ما بين عير واحد فقالوا له اذا مررت بهما فآذنا بهما فلما توسط بهم
ارض المدينة قال ذلك عير وهذا احد فنزلوا عن ظهر ابله وقالوا قد اصبنا بغيتنا فلا حاجة لنا الى ابلك
فاذهب حيث شئت وكتبوا الى اخوانهم الذين كانوا بفدك وخيبر انا قد اصبنا الموضع فهلموا الينا فكتبوا اليهم
انا قد استقرت بنا الدار واتخذنا بها الاموال وما اقربنا منكم فاذا كان ذلك فما اسرعنا اليكم واتخذوا
بارض المدينة اموالا فلما كثرت اموالهم بلغ ذلك تبع فغزاهم فتحصنوا منهم فحاصرهم ثم آمنهم فنزلوا عليه فقال لهم
اني قد استطبت بلادكم ولا اراني الا مقيما فيكم فقالوا ليس ذلك لك انها مهاجر نبي وليس ذلك لاحد حتى
يكون ذلك فقال لهم اني مخلف فيكم من اسرتي من اذا كان ذلك ساعده ونصره فخلف حيين تراهم الاوس و
الخزرج فلما كثروا بها كانوا يتناولون اموال اليهود فكانت اليهود تقول لهم اما لو قد بعث محمد

لنفتحكم من ديارنا واموالنا فلما بعث محمد امتنعوا من الانصار وكفرت به اليهود وهو قوله تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين
كفروا الاية المعنى ولما جاءهم اى جاء اليهود من بنى اسرائيل الذين وصفهم الله تعالى كتاب من عند الله يعنى به القرآن
الذى انزل على محمد صلى الله عليه وسلم مصدق لما معهم اى للذى معهم من الكتب التى انزلها الله تعالى قبل القرآن من التوراة والانجيل
وغيرهما وفيه وجهان احدهما ان معناه انه مصدق لما تقدم من الاخبار فى التوراة والانجيل فهو مصداق
لذلك من حيث كان مخبره على ما تقدم الخبر والآخر انه مصدق لهما اى بانهما من عند الله تعالى وانهما حق وكانوا يعنى
اليهود من قبل اى من قبل ان يبعث النبى صلى الله عليه وسلم ونزول القرآن يستفتحون فيه وجوه احدها ان معناه يستنصرون اى يقولون
اى يقولون فى الحروب اللهم افتح علينا وانصرنا بحق النبى الامى اللهم انصرنا بحق النبى المبعوث الينا فهم يسألون الفتح
الذى هو النصر وثانيها انهم كانوا يقولون لمن ينابذهم هذا نبى قد اظل زمانه ينصرنا عليكم وثالثها ان معنى يستفتحون
يستعلمون من علمائهم صفة نبى يبعث من العرب وكانوا يصفونه لهم فلما بعث انكروه ورابعها ان معنى يستفتحون يستحكمون
ربهم على كفار العرب كما قال لبيد الا ابلغ بنى عصم رسولا فانى عن فتاحتكم غنى اى عن محاكمتكم وقوله على الذين كفروا اى على
مشركى العرب فلما جاءهم ما عرفوا يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم اى عرفوا صفته ونعته كفروا به حسدا وبغيا وطلبا للرياسة فلعنة الله
اى غضبه وعقابه على الكافرين وقد مر معنى اللعنة والكفر فيما مضى قوله تعالى بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا
بما انزل الله بغيا ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباؤا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين • اية
القراءة قرأ ابو عمرو ان ينزل خفيفة كل القرآن الا فى الانعام ان ينزل اية فانه شددها وقرأ ابن كثير بالتخفيف
كل القرآن الا فى سبحان وننزل من القرآن وحتى تنزل فانه شددهما وقرأ حمزة والكسائى كل القرآن بالتشديد
الا فى آخر لقمن وعسق ينزل الغيث فانهما قرأهما بالتخفيف وقرأ الباقون بالتشديد كل القرآن واتفقوا فى الحجر نزله الا بقدر
الحجة نزل فعل غير متعد فعدى بالاضرب الثلاثة وهى النقل بالهمزة وتضعيف العين وحرف الجر فانزل
لسان ومما عدى بالحرف قوله تعالى نزل به الروح الامين فمن رفع الروح ومن كثر مجئ التنزيل فى القرآن جعلها بمنزلة نزل
فى الانزال ذكر فيه مجئ انزال اللغة بئس ونعم فعلان ماضيان اصلهما على وزن فعل وفيهما اربع لغات
نعم وبئس مثل حمد ونعم وبئس بسكون العين ونعم وبئس بكسر الفاء ونعم وبئس واشتروا افتعلوا من الشراء واكثر ما يكون
شريت بمعنى بعت واشتريت ابتعت وقال يزيد الحميرى وشريت بردا ليتنى من بعد برد كنت هامه وربما استعمل
اشتريت بمعنى بعت وشريت بمعنى ابتعت والاكثر ما تقدم والبغى اصله الفساد مأخوذ من قولهم بغى الجرح
اذا فسد وقيل اصله الطلب لان الباغى يطلب التطاول الذى ليس له ومنه سميت الزانية بغيا لانها تطلب الاهانة
الادلال الاعراب قال الزجاج بئس اذا وقعت ما جعلت معها بمنزلة اسم منكور وانما كان ذلك فى نعم وبئس لانهما
يعملان فى اسم علم انما فى اسم منكور دال على جنس واسم فيه الف ولام يدل على جنس وانما كانت كذلك لان نعم مستوفية
لجميع المدح وبئس مستوفية لجميع الذم فاذا قلت نعم الرجل زيد فقد قلت استحق زيد المدح الذى يكون فى سائر
جنسه وكذلك اذا قلت بئس الرجل زيد دللت على انه قد استوفى الذم الذى يكون فى سائر جنسه فلم يجز اذا كان يستوفى
مدح الاجناس ان يعمل فى غير لفظ جنس فاذا كان معها اسم جنس بغير الف ولام فهو نصب ابدا واذا كان فيه الف
ولام فهو رفع ابدا نحو نعم الرجل زيد ونعم رجلا زيد وانما نصبت رجلا للتمييز وفى نعم اسم مضمر على شريطة التفسير
ولذلك كانت ما فى نعم بغير صلة لان الصلة توضح وتخصص والقصد فى نعم ان يليها اسم منكور او اسم جنس
فقوله بئسما اشتروا به انفسهم تقديره بئس شيئا اشتروا به انفسهم قال ابو على قوله ولذلك كانت ما فى نعم
بغير صلة يدل على ان ما اذا كانت موصولة لم يجز عنده ان تكون فاعل نعم وبئس وذلك عندنا لا يمتنع ووجهه
جواز ان اسم مبهم يقع على الكثرة ولا يخص واحدا بعينه كما ان اسماء الاجناس تكون للكثرة وذلك

فى نحو قوله تعالى

فى نحو قوله تعالى ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله فالقصد به هاهنا الكثرة وان
كان فى اللفظ مفردا والدلالة قوله تعالى ويقولون هؤلاء وتكون معرفة ونكرة كما ان اسماء الاجناس تكون معرفة ونكرة
كما ان اسماء الاجناس تكون معرفة ونكرة وقد جاء ابو العباس الموصوفة الذى بابها نعم وبئس اذا كان خاصا غير مخصوص
كما جاء فى قوله والذى جاء بالصدق واذا جاز فى الذى كان فى ما اجوز فقوله بئسما اشتروا به انفسهم يجوز عندى ان تكون
ما موصولة وموضعها رفع بكونها فاعلة لبئس ويجوز ان تكون منكورة فيكون اشتروا صفة عن صلة ويدل على جواز
ذلك قول الشاعر وكيف ارهب امرا او اراع به وقد زكات الى بشر بن مروان فنعم مزكاء من ضاقت مذاهبه
ونعم من هو فى سر واعلان الا ترى انه جعل من كاء فاعل نعم لما كان مضافا الى من وهى تكون خاصة غير معينة واما قوله
ان يكفروا بما انزل الله فموضعه رفع وهو المخصوص بالذم وان شئت رفعته على انه خبر مبتدأ محذوف وان شئت على انه خبر
مبتدأ محذوف اى هذا الشئ المذموم كفرهم بما انزل الله وقوله بغيا منصوب بانه مفعول له كقول حاتم واغفر عوراء
الكريم ادخاره واعرض عن شتم اللئيم تكرما المعنى اغفر عوراء لادخاره واعرض عن شتم اللئيم للتكرم وموضع ان
الثانية نصب على حذف حرف الجر يعنى بغيا لان ينزل الله اى من اجل ان ينزل الله اى من اجل ان نزل الله المعنى
ثم ذم الله تعالى اليهود بايثارهم الدنيا على الدين فقال بئسما اشتروا به انفسهم اى بئس شيئا باعوا انفسهم او بئس الشئ
باعوا انفسهم ان يكفروا اى كفرهم بما انزل الله يعنى القرآن ودين الاسلام المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم فاذا سئل كيف باعت
اليهود انفسها بالكفر فالجواب ان البيع والشراء ازالة ملك المالك الى غيره بعوض يعتاضه منه ثم يستعمل ذلك فى كل
معتاض من عمله عوضا خيرا كان او شرا فاليهود لما اوبقوا انفسهم بكفرهم بمحمد واهلكوها خاطبهم الله تعالى بما كانوا
يعرفونه فقال بئس الشئ رضوا به عوضا من ثواب الله وما اعد لهم لو كانوا آمنوا بالله وما انزل الله على انبيائه النار وما اعد لهم
بكفرهم ونظير ذلك الآيات فى سورة النساء من قوله الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت
الى قوله وآتيناهم ملكا عظيما وقوله بغيا اى حسدا لمحمد صلى الله عليه وسلم اذ كان من ولد اسمعيل وكانت الرسل من بنى اسرائيل
وقيل طلبا لشئ ليس لهم ثم فسر ذلك بقوله ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده وهو النبوة والوحى وقوله فباؤا بغضب
على غضب معناه رجعت اليهود من بنى اسرائيل بعد ما كانوا عليه من الاستنصار بمحمد والاستفتاح به والاخبار بانه نبى مبعوث
مرتدين ناكصين على اعقابهم حين بعثه الله نبيا بغضب من الله استحقوه منكرهم وقال ابو عبيدة فباؤا بغضب احتملوا
اللعنة بلغة ... ولا يقال باء مفردة حتى يقال اما بخير واما بشر وقال ابو عبيدة فباؤا بغضب احتملوه واقروا به واصل
البوء التقرير والاستقرار وقوله على غضب فيه اقوال احدها ان الغضب الاول حين عصوا التوراة قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم
والغضب الثانى حين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم عن الحسن وعكرمة وقتادة ورابعها ان ذلك على التوكيد والمبالغة اذ كان الغضب
لازما لهم فيكون عليهم عن ابى مسلم والاصم وللكافرين عذاب مهين معناه للجاحدين نبوة محمد صلى الله عليه وسلم عذاب مهين
من الله اما فى الدنيا واما فى الآخرة والمهين هو الذى يذل صاحبه ويخزيه ويلبسه الهوان وقيل المهين الذى لا ينتقل
منه الى عز واكرام وقد يكون غير مهين اذا كان تمحيصا وتكفيرا ينتقل بعده الى الاعزاز والتعظيم فعلى هذا يكون من ينتقل
من عذاب النار الى الجنة لا يكون عذابه مهينا قوله تعالى واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله قالوا نؤمن بما انزل علينا
ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين • اللغة
ما وراءه اى ما بعده قال الشاعر يمنى الامانى ليس شئ وراءها ... وقال الفراء معنى وراءه
سواه كما يقال للرجل يتكلم بالكلام الحسن ما وراء هذا الكلام شئ يراد ليس عند المتكلم به شئ سوى ذلك الكلام الاعراب
قوله مصدقا نصب على الحال وهذه حال مؤكدة قال الزجاج زعم سيبويه والخليل وجميع النحويين
الموثوق بعلمهم ان قولك هو زيد قائما خطأ لان قولك هو زيد كناية عن اسم متقدم فليس فى الحال فائدة

ه الحال لوجب هاهنا ان لا يكون قائما مهجورين واذا ترك القيام فليس بين هذا الحالة فاما قولك هو معه وقائم وهو الحق
مصدقا في الحال هنا فانه كالمنتقلة لانه لم يعرف وكان يمكن انه قول عمرو زيد حقا لهم وقائما لانه انما يكون زيدا بانه
يعرف بزيد وكذلك القرآن هو الحق اذا كان مصدقا للكتب المنزلة وقوله فلم تقتلون وان كان بلفظ الاستقبال فالمراد به
الماضي وانما جاز ذلك لقوله من قبل وان بمعنى الشرط ويدل على جوابه ما تقدم وتقديره ان كنتم مؤمنين فلم قتلتم انبياء الله وقيل
ان بمعنى ما النافية اي ما كنتم مؤمنين المعنى واذا قيل لهم يعني لليهود الذين تقدم ذكرهم امنوا اي صدقوا بما
انزل الله من القرآن على محمد صلعم والشرائع التي جاء بها قالوا نؤمن بما انزل علينا يعني التوراة ويكفرون بما وراءه اي
يجحدون بما بعده يعني الانجيل والقرآن او بما سوى التوراة من الكتب المنزلة كقوله سبحانه واحل لكم ما وراء ذلكم وقال
ابن الانباري تم الكلام عند قوله بما انزل علينا ثم ابتدأ الله بالاخبار عنهم فقال ويكفرون بما وراءه
اي بما سواه وهو الحق يعني القرآن مصدقا لما معهم يعني التوراة لان تصديق محمد وما انزل معه من القرآن مكتوب
عندهم في التوراة قال الزجاج وفي هذا دلالة على انهم قد كفروا بما معهم اذ كفروا بما يصدق ما معهم ثم رد الله
عليهم قولهم نؤمن بما انزل علينا فقال قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل اي قل يا محمد لهم فلم تقتلون انبياء الله وقد حرم
في الكتاب الذي انزل عليكم قتلهم وامركم فيه باتباعهم وفرض عليكم طاعتهم وتصديقهم ان كنتم مؤمنين
بما انزل عليكم وقال الزجاج ان بمعنى ما هاهنا كانه قال ما كنتم مؤمنين وهذا وجه بعيد وانما قال تقتلون بمعنى قتلتم
لان لفظ المستقبل يطلق على الماضي اذا كان ذلك من الصفات اللازمة كما يقال انت تسرق وتقتل اذا صار ذلك عادة
له ولا يراد بذلك ذمه وتوبيخه على ذلك الفعل في المستقبل وانما يراد توبيخه على الماضي وانما اضاف اليهم فعل آبائهم
واسلافهم لاحد الامرين احدهما ان الخطاب لمن شهد من اهل ملة واحدة ومن غاب منهم واحد واذا قتل اسلافهم
الانبياء وهم مقيمون على مذهبهم وطريقتهم فهذا المعنى قريب من الاول وفي هذه الآية دليل على ان الايمان بكتاب من كتب
الله لا يصح اذا لم يحصل الايمان بما سواه من كتب الله المنزلة التي هي مثبتة في القرآن المجيد قوله تعالى ولقد
جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون المعنى ثم حكى سبحانه عنهم ما
يدل على قلة بصيرتهم في الدين وضعفهم في اليقين فقال ولقد جاءكم موسى بالبينات الدالة على صدقه
والمعجزات المؤيدة لنبوته كاليد البيضاء وانبجاس الماء من الحجر وفلق البحر وقلب العصا حية والطوفان والجراد والقمل
والضفادع والدم وسماها بينات لظهورها وتبيانها للناظرين انها معجزة يتعذر الاتيان بها على كل بشر ثم اتخذتم
العجل يعني اتخذتم العجل الها وعبدتموه من بعده اي من بعد موسى لما فارقكم ومضى الى ميقات ربه ويجوز ان يكون الهاء
كناية عن المجيء فيكون التقدير ثم اتخذتم العجل من بعد مجيء البينات وانتم ظالمون لانفسكم بكفركم
وعبادتكم العجل لان العبادة لا تكون لغير الله تعالى قوله تعالى واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما
آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يامركم به ايمانكم
ان كنتم مؤمنين اللغة اسمعوا معناه اقبلوا ومنه قولهم سمع الله لمن حمده اي قبل الله حمد من حمده
وقوله واشربوا اصله من الشرب يقال سرب فلانا شرب جرع اذا حمله على الشرب شرب الزرع سقي واشرب قلبه حبها
قال زهير فصحوت عنها بعد حب داخل والحب يشربه فؤادك داء الاعراب قوله العجل اي حب العجل
حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ومثله قول الشاعر حسبت بغام راحلتي عناقا وما هي ويب غيرك
بالعناق اي حسبت بغام راحلتي بغام عناق وقال طرفة الا انني سقيت اسود حالكا الا بجلي من الشراب
الا بجل يريد سقيت سم اسود وقال الاخر وشر المنايا ميت وسط اهله كهلك الفتى قد اسلم الحي حاضره اي
منية ميت وقوله ما يامركم به ايمانكم فقد تقدم ذكر اعرابه وانه يجوز ان يكون بمعنى ما اي ما كنتم

مؤمنين

مؤمنين وجائز ان يكون تقديره ان كنتم مؤمنين فبئسما يامركم به ايمانكم المعنى قوله واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا
فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا وقد فسرناه فيما مضى والفائدة في تكريره هاهنا وامثاله التاكيد وايجاب الحجة
عليهم على عادة العرب في مخاطبتها وقيل انه سبحانه لما عدد فضائح اليهود اعاد ذكر رفع الجبل وقيل انه تعالى
انما ذكر الاول للاعتبار باخبار من مضى والثاني للاحتجاج عليهم وقوله واسمعوا اي اقبلوا ما سمعتم واعملوا به واطيعوا
الله وقيل معناه اسمعوا ما يتلى عليكم اي استمعوا لتسمعوا وهذا اللفظ يحتمل الاستماع والقبول ولا تنافي بينهما فيحمل عليهما
فكانه قيل استمعوا لتسمعوا اقبلوا واطيعوا ويدل عليه انه قال في الجواب عنهم قالوا سمعنا وعصينا وفيه قولان احدهما
انهم قالوا هذا القول في الحقيقة استهزاء ومعناه سمعنا قولك وعصينا امرك والثاني ان حالهم كحال من قال
ذلك اذ فعلوا ما دل عليه كما قال الشاعر قالت جناحاه لجلية احشاء وان كان لا يقول ذلك وانما رجع سبحانه
من لفظ الخطاب الى الخبر عن الغائب على العادة المالوفة واختلف في هذا الضمير الى من يعود فقيل الى اليهود الذين كانوا
في عصر النبي صلعم بانهم قالوا ذلك ثم رجع الى حديث اوليهم فقال واشربوا وقيل الى اليهود الذين كانوا في
عصر موسى ع اذ ردوا عليه قوله وقابلوه بالعصيان وقوله واشربوا في قلوبهم العجل معناه دخل قلوبهم حب العجل
وانما عبر عن حب العجل بالشرب دون الاكل لان شرب الماء يتغلغل في الاعضاء حتى يصل الى بواطنها والطعام
يجاوز الاعضاء ولا يتغلغل فيها قال الشاعر تغلغل حيث لا يبلغ شراب ولا حزن ولم يبلغ سرور وليس المعنى في قوله واشربوا
ان غيرهم فعل ذلك بهم بل هم الفاعلون لذلك كما يقال القائل انسيت ذلك من النسيان وليس يراد ان غيره فعل
ذلك به ويقال اوتي فلان علما جما وان كان هو المكتسب له وقوله بكفرهم ليس معناه انهم اشربوا فيه حب العجل جزاء
على كفرهم لان محبة العجل كفر قبيح وان الله سبحانه لا يفعل الكفر في العبد لا ابتداء ولا جزاء بل معناه انهم كفروا بالله تعالى
بما اشربوه من محبة العجل وقيل انما اشرب حب العجل قلوبهم من زينة عندهم ودعاهم اليه كالسامري وشياطين
الجن والانس فقوله بكفرهم معناه لاعتقادهم التشبيه وجهلهم بالله تعالى وتجويزهم العبادة لغيره اشربوا في قلوبهم
حب العجل لانهم صاروا الى ذلك لهذه المعاني التي هي كفر وقول من قال ان الله تعالى فعل ذلك بهم عقوبة ومجازاة غلط
فاحش لان حب العجل ليس من العقوبة في شيء ولا ضرر فيه وقوله بئسما يامركم به ايمانكم معناه قل يا محمد لهؤلاء
اليهود بئس الشيء يامركم به ايمانكم ان كان يامركم بقتل انبياء الله ورسله والتكذيب بكتبه
وجحد ما جاء من عنده ومعنى ايمانهم وتصديقهم بالذي زعموا انهم مصدقون به من كتاب الله قولهم
نؤمن بما انزل علينا وقوله ان كنتم مؤمنين اي مصدقين كما زعمتم بالتوراة وفي هذا نفي عن التوراة ان يكون يامر بشيء
يكرهه الله تعالى من افعالهم واعلام بان الذي يامرهم بذلك اهواؤهم ويحملهم عليه آراؤهم قوله تعالى
قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين اللغة الخالصة
الصافية يقال خلص هذا الامر اي صار لي وحدي وصفا لي يخلص خلوصا وخالصة فالخالصة مصدر كالعافية
واصل الخلوص ان يصفو الشيء من كل شائبة ودون يستعمل على ثلاثة اوجه ان يكون الشيء دون الشيء في المكان وفي الشرف
وفي الاختصاص وهو المراد في الآية والتمني من جنس الاقوال عند اكثر المتكلمين وهو ان يقول القائل لما كان ليته
لم يكن ولما لم يكن ليته كان وقال ابو هاشم هو معنى في القلب ولا خلاف في انه ليس من قبيل الشهوة الاعراب
خالصة نصب على الحال المعنى ثم عاد سبحانه الى الاحتجاج على اليهود بما فضح به احبارهم وعلماءهم ودعاهم
الى قضية عادلة بينه وبينهم فقال قل يا محمد لهم ان كانت الجنة خالصة لكم دون الناس كلهم
او دون محمد ص واصحابه كما ادعيتم بقولكم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وكنتم صادقين في
قولكم نحن ابناء الله واحباؤه وان الله لا يعذبنا فتمنوا الموت لان من اعتقد انه من اهل الجنة قطعا

كان الموت خلاصه من حبوة الدنيا التي فيها انواع المشاق والهموم والالام والغموم ومن كان على يقين انه اذا مات تخلص منها وفاز بالنعيم المقيم فانه يوثر الموت على الحيوة الاخرى الى قول امير المؤمنين على وهو يطوف بين الصفين بصفين في غلالة لما قال له الحسن ابنه ما هذا زي الحرب فقال يا بني ان اباك لا يبالي وقع على الموت او وقع الموت عليه وقول عمار بن ياسر بصفين ايضا الان الاقي الاحبة محمدا وحزبه واما ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يتمنين احدكم الموت لضر نزل به ولكن ليقل اللهم احيني ما دامت الحيوة خيرا لي وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي فانما هي نهي عن تمني الموت لانه يدل على الجزع والمامور به الصبر وتفويض الامور اليه ولا نا لا نامن وقوع التقصير فيما امر به فيرجو في البقاء التدارك قوله تعالى ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين . اي الاعراب ابدا نصب على الظرف اي طول عمرهم يقول القائل لا اكلمك ابدا ما عشت وما مصدرية والذي قدمت ايديهم ويجوز ان يكون ما بمعنى المصدر فيكون المراد بسبب ما قدمت ايديهم المعنى اخبر الله تعالى عن هؤلاء الذين قيل لهم فتمنوا الموت ان كنتم صادقين انهم لا يتمنون ذلك ابدا بما قدموه من المعاصي والقبائح وتكذيب الكتاب والرسول عن الحسن وابي مسلم وقيل بما كتموا من صفة النبي صلعم عن ابن جريج واضاف ذلك الى اليد وان كانوا انما فعلوه باللسان لان العرب تقول هذا ما كسبت يداك وان كان ذلك حصل باللسان والوجه فيه ان الغالب ان تحصل الجناية باليد فيضاف اليها ما يحصل بغيرها وقوله والله عليم بالظالمين تخصيص للظالمين بذلك وان كان عليما بهم وبغيرهم لان الغرض بذلك الزجر والتهديد كما يقول القائل لغيره انا عارف بك بصير بعملك وقيل معناه ان الله عليم بالاسباب التي تمنعهم من تمني الموت وما اضمروه واسروه من كتمان الحق عنادا مع علم كثير منهم بطلانه وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو ان اليهود تمنوا الموت لماتوا ولرأوا مقاعدهم من النار فقال الله سبحانه وتعالى انهم لن يتمنوه ابدا تحقيقا لكذبهم وفي ذلك اعظم دلالة على صدق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته لانه اخبر النبي قبل كونه فكان كما اخبر ولانهم كفوا عن التمني للموت لعلمهم بانه حق ولو انهم تمنوا الموت لماتوا وروى الكلبي عن ابن عباس انه قال كان رسول يقول لهم ان كنتم صادقين في مقالكم فقولوا اللهم امتنا فوالله الذي نفسي بيده لا يقولها رجل الا غص بريقه فمات مكانه وهذه القصة شبيهة بقصة المباهلة وان النبي لما دعا النصارى الى المباهلة امتنعوا لقلة ثقتهم بما هم عليه وخوفهم من صدق النبي في قوله لو باهلوني لرجعوا لا يجدون اهلا ولا مالا فلما لم يتمن اليهود الموت افتضحوا كما ان النصارى لما احجموا عن المباهلة افتضحوا وظهر الحق فان قيل من اين علمتم انهم لن يتمنوا الموت بقلوبهم فالجواب ان من قال ان التمني هو القول فالسؤال ساقط ومن قال هو معنى في القلب قال لو تمنوا بقلوبهم لاظهروا ذلك على السنتهم حرصا منهم على تكذيبه في اخباره ولان تكذيبهم انما وقع بما ظهر على اللسان وكان يسهل عليهم ان يقولوا ليت الموت نزل بنا فلما لم يفعلوا ذلك ظهر صدقه وصحت حجته قوله تعالى

ولتجدنهم احرص الناس على حيوة ومن الذين اشركوا يود احدهم لو يعمر الف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر والله بصير بما يعملون . اي اللغة وجد وصادف واصاب نظائر يقال وجدت الشيء وجدا اذا اصبته ويقال وجدت بمعنى علمت والحرص شدة الطلب ورجل حريص وقوم حراص والمودة المحبة يقال وددت الرجل اودة ودا وودا ووددا ووداد وودادة ومودة والتعمير طول العمر والعمر لغتان واصله من العمارة التي هو ضد الخراب فالعمر المدة التي يعمر فيها البدن بالحيوة والالف من العدد لانه ضم مائة عشرات مرات والزحزحة التنحية يقال زحزحته فتزحزح قال الشاعر وقالوا تزحزح لا بنا فضل حاجة اليك فلا منا لو هيك دام والبصير بمعنى المبصر كما ان السميع بمعنى المسمع لكنه صرف الى فعيل ومثله بديع السموات بمعنى المبدع والعذاب الاليم

بمعنى المولم هذا في اللغة وعند المتكلمين المبصر هو المدرك للمبصرات والبصير هو الحي الذي لا آفة به فهو ممن يجب ان يبصر المبصرات اذا وجدت وليس لاحدهما هو الاخر وكذلك نقول في السميع والسامع الاعراب لتجدنهم اللام لام القسم والنون للتاكيد وتقديره والله لتجدنهم قال سيبويه سألت الخليل عن قوله لتفعلن اذا جاءت مبتداة فقال هي على نية القسم وعنه اللام اذا دخلت على المستقبل لزمتها النون الا في الاكثر واذا كان وجدت بمعنى وجدان الضالة يتعدى الى مفعول واحد كقولك تعالى الذي هو صدع فينتصب احرص على الحال واذا كان بمعنى علمت تعدى الى مفعولين ثانيهما عبارة عن الاول فيكون احرص هو المفعول الثاني وهو الاصح وقوله ومن الذين اشركوا قال الفراء يريد واحرص من الذين اشركوا ايضا كما يقال اسخى الناس ومن حاتم ومن هرم لان تاويل قولك اسخى الناس انما هو اسخى الناس وقال الزجاج تقديره ولتجدنهم احرص من الذين اشركوا وقيل انما دخلت من في قوله ومن الذين اشركوا ولم يدخل في احرص الناس لانهم بعض الناس والاضافة في باب افعل لا يكون الا كذلك تقول الياقوت افضل الحجارة ولا تقول افضل الزجاج بل تقول افضل من الزجاج فلذلك قال ومن الذين اشركوا لان اليهود ليسوا بعض المجوس وهم بعض الناس وفي قوله وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر فيه وجوه احدها ان هو كناية عن احدهم الذي جرى ذكره وان يعمر في موضع رفع بانه فاعل تقديره وما احدهم بمزحزحه من العذاب تعميره كما تقول مررت برجل معجب قيامه وثانيها ان هو كناية عما جرى ذكره عن طول العمر وقوله ان يعمر بيان لقوله هو وتقديره ما تعميره بمزحزحه من العذاب وكانه قيل وما هو الذي ليس بمزحزحه ومنع الزجاج هذا القول الاخير قال لا يجيز البصريون ما هو قائما زيد او ما هو بقائم زيد بمعنى الامر والشان وقال غيره اذا كانت ما عاملة في الباء جاز كقولهم ما هذا بالشيء المعنى ثم اخبر سبحانه عن احوال اليهود فقال ولتجدنهم احرص اي ولتعلمن يا محمد هؤلاء اليهود وقيل يعني به علماء اليهود واحرص الناس على حيوة اي حرصهم على البقاء في الدنيا اشد من حرص سائر الناس ومن الذين اشركوا اي ولتجدنهم احرص من الذين اشركوا وهم المجوس ومن لا يؤمن بالبعث وقال ابو علي الجبائي ان الكلام تم عند قوله على حيوة وقوله ومن الذين اشركوا تقديره ومن الذين اشركوا من يود احدهم لو يعمر الف سنة فحذف من وقال علي بن عيسى هذا غير صحيح لان حذف من لا يجوز في مثل هذا الموضع وقال ابو مسلم الاصفهاني ان في الكلام تقديما وتاخيرا وتقديره ولتجدنهم وطائفة من الذين اشركوا احرص الناس على حيوة واقول اذا جاز ههنا ان يحذف الموصوف الذي هو طائفة ويقام الصفة مقامه وهو قوله من الذين اشركوا فليجز على ما ذهب اليه الجبائي ان يكون تقديره ومن الذين اشركوا طائفة يود احدهم فحذف الموصوف ويقام صفته التي هو يود احدهم لو يعمر الف سنة مقامه فيصح على هذا تقدير الحذف ويستوي القولان من حيث الصورة والصفة ويتخالفان من حيث المعنى ويكون من ههنا هي الموصوفة لا الموصولة كما قدره الجبائي وقوله يود احدهم لو يعمر الف سنة ذكر الالف سنة لانها نهاية ما كانت المجوس تدعو بعضهم لبعض ويحيى به الملوك يقولون عش الف نوروز والف مهرجان قال ابن عباس هو قول احدهم لمن عطس زه هزار سال اي عش الف سنة فهؤلاء الذين يدعون ان لهم الجنة لا يتمنون الموت وهم احرص ممن لا يؤمن بالبعث وكذلك يجب ان يكون هؤلاء لعلمهم بما اعد الله لهم في الاخرة من الخزي والعذاب الاليم على كفرهم وعنادهم مما لا يقر به اهل الشرك فهم للموت اكره من اهل الشرك الذين لا يؤمنون بالبعث وعلى الحيوة احرص لهذه العلة وقوله وما هو بمزحزحه اي وما احدهم بمنجيه من عذاب الله ولا مبعده منه تعميره وهو ان يطول له البقاء لانه لا بد للعمر من الفناء هذا هو احسن الوجوه الذي تقدم ذكرها والله بصير بما يعملون اي عليم باعمالهم لا يخفى عليه شيء منها بل هو محيط بجميعها حافظ لها حتى يذيقهم بها العذاب في هذه الاية دلالة على ان الحرص على طول البقاء لطلب الدنيا ونحوه مذموم وانما المحمود طلب البقاء للازدياد في الطاعة وتلافي

الفايت بالتوبة والانابة ودرك السعادة بالاخلاص في العبادة والى هذا المعنى اشار امير المومنين في قوله بقية عمر المومن
لا قيمة له يدرك بها ما فات ويحيي بها ما امات قوله تعالى قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا
لما بين يديه وهدى وبشرى للمومنين . من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين
ايات القراءة قرا ابن كثير جبريل بفتح الجيم وكسر الراء من غير همز وقرا حمزة والكسائي وابو بكر الا يحيى جبرئيل بفتح
الجيم والراء مهموزا على زنة جبرعيل وروى يحيى كذلك الا انه حذف الياء بعد الهمزة فصار مثل جبرعل
والباقون بكسر الجيم والراء وبعدها ياء من غير همزة وقرا اهل المدينة ميكائل بهمزة مكسورة بعد الالف على زنة ميكاعل
وقرا اهل البصرة ميكال بغير همز ولا ياء والباقون باثبات ياء ساكنة بعد الهمزة على زنة ميكاعيل الحجة قال
ابو علي روينا عن ابي الحسن انه قال في جبريل ست لغات جبرائيل وجبرال وجبرايل وجبريل وجبرئل فمن قال
جبريل كان على لفظ قنديل وبرطيل ومن قال جبرايل على وزن عنديب ومن قال جبرئل كان على وزن جحمرش
ومن قال ميكال كان على وزن قنطار وميكائيل وجبرئيل خارج عن كلام العرب فهذه الاسماء معربة فاذا اتى بها على ما في
ابنية العرب مثله كان اذهب في باب التعريب وقد جاء في اشعارهم ما هو على لفظ التعريب وما هو خارج عن ذلك
قال عبدوا الصليب وكذبوا بمحمد وبجبرئيل وكذبوا ميكالا وقال حسان وجبريل رسول الله فينا وروح القدس ليس له
كفاء اللغة جبرئيل وميكائيل اسمان اعجميان عربا وقيل جبر في اللغة السريانية هو العبد وايل هو الله وميك
عبد فمعنى جبرئيل عبد الله وميكائيل عبيد الله قال ابو علي الفارسي هذا لا يستقيم من وجهين احدهما ان ايل
لا يعرف من اسماء الله تعالى في اللغة العربية والاخر انه لو كان كذلك لكان اخر الاسم مجرورا ابدا كقولهم عبدالله
والبشرى والبشارة الخبر السار اول ما يرد فيظهر في بشرة الوجه الاعراب جواب الشرط محذوف تقديره
من كان عدوا لجبريل فليمت غيظا فانه نزل الوحي على قلبك باذن الله والهاء في قوله فانه يعود الى جبريل والهاء في
نزله يعود الى القران وان لم يجر له ذكر كما ان الهاء في قوله تعالى ما ترك على ظهرها من دابة الى الارض ويجوز ان
يكون على الله فان الله نزل جبريل على قلبك لا انه نزل بنفسه والاول اصح ونصب مصدقا على الحال من الهاء في نزله
وهو ضمير القران او جبريل النزول ابن عباس قال كان سبب نزول هذه الاية ما روي ان ابن صوريا وجماعة من اليهود
اهل فدك لما قدم النبي صلعم المدينة سالوه فقالوا يا محمد كيف نومك فقد اخبرنا عن نوم النبي الذي ياتي في اخر الزمان
فقال تنام عيناي وقلبي يقظان قالوا صدقت يا محمد فاخبرنا عن الولد يكون من الرجل او من المراة فقال اما العظام
والعصب والعروق فمن الرجل واما اللحم والدم والظفر والشعر فمن المراة قالوا صدقت يا محمد فما بال الولد يشبه اعمامه
ليس من شبه اخواله شيء او يشبه اخواله وليس فيه من شبه اعمامه شيء فقال ايهما علا ماؤه كان الشبه له قالوا صدقت يا محمد
قالوا فاخبرنا عن ربك ما هو فانزل الله سبحانه قل هو الله احد السورة فقال ابن صوريا خصلة واحدة ان قلتها امنت
بك واتبعتك اي ملك ياتيك بما ينزل الله عليك قال فقال جبريل قال ذلك عدونا ينزل بالقتال والشدة والحرب
وميكائيل ينزل باليسر والرخاء فلو كان ميكائيل ياتيك لامنا بك المعنى فانزل الله هذه الاية جوابا لليهود وردا
عليهم فقال قل يا محمد من كان عدوا لجبريل اذ كان هو المنزل عليك الكتاب فانه انما انزله على قلبك باذن الله لا من تلقاء
نفسه وانما اضافه الى قلبه لانه اذا انزل عليه كان يحفظه ويفهمه بقلبه ومعنى قوله باذن الله بامر الله وقيل اراد بعلمه
او باعلام الله اياه ما ينزل على قلبك وقوله مصدقا لما بين يديه معناه موافقا لما بين يديه من الكتب ومصدقا لها بانه حق
وبانه من عند الله لا مكذبا لها وهدى وبشرى للمومنين ان كان فيما انزله الامر بالحرب والشدة على الكافرين
فانه هدى وبشرى للمومنين وانما خص الهدى بالمومنين من حيث كانوا هم المهتدون به العاملين بما فيه وان كان
هدى لغيرهم ايضا وقيل اراد بالهدى الحجج والثواب فلذلك خصه بالمومنين ومعنى البشرى ان فيه البشارة

هو الذي

بالنعيم

بالنعيم الدائم وان جعلت مصدقا وهدى وبشرى حالا لجبريل فالمعنى انه يصدق بكتب الله الاولى ويأتي بالهدى والبشرى
وانما قال سبحانه في الاية على قلبك ولم يقل على قلبي على العرف المألوف كما يقال لمن يخاطب القوم ان الحق عندك ويجوز
ان يقول لا تقل لهم ان الحق عندي وكما يقول قال القوم جبريل عدونا ويجوز ان يقال قالوا جبريل عدوهم وانما قال من
كان عدوا لله وملائكته ورسله ثم ذكر من كان معاديا له اي يفعل فعل المعادي من المخالفة والعصيان
فان حقيقة العداوة طلب الاضرار به وهذا مستحيل على الله تعالى وقيل المراد به معاداة اوليائه كقوله ان الذين يؤذون
الله وقوله وملائكته اي معاديا لملائكته ورسله وجبريل وميكال وانما اعاد ذكرهما لفضلهما ومنزلتهما
كقوله سبحانه فيهما فاكهة ونخل ورمان وقيل انما اعاد ذكرهما لان اليهود قالت جبريل عدونا وميكائيل
ولينا فخصهما الله بالذكر لان النزاع جرى فيهما فكان ذكرهما اهم لئلا تزعم اليهود انهما مخصوصان من جملة الملائكة
وليسا بداخلين في جملة الملائكة فنص الله تعالى عليهما ليبطل ما يتاولونه من التخصيص ثم قال فان الله عدو للكافرين
ولم يقل فانه وكرر اسم الله تعالى لئلا يظن ان الكناية راجعة الى جبريل وميكائيل ولم يقل لهم لانه يجوز ان ينتقلوا
عن العداوة بالايمان وقد طعن بعض الملحدة في هذا فقال كيف يجوز ان يقول عاقل انا عدو لجبريل وليس هذا القول
من اليهود بمستنكر ولا عجيب مع ما اخبر الله تعالى عن قولهم بعد مشاهدتهم فلق البحر والايات الخارقة للعادة اجعل
لنا الها كما لهم الهة وقولهم ارنا الله جهرة وعبادتهم العجل وغير ذلك من جهالاتهم قوله تعالى
ولقد انزلنا اليك ايات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون . اية اللغة الاية العلامة التي فيها عبرة وقيل
العلامة التي فيها الحجة والبينة الدلالة الفاصلة بين القضية الصادقة والكاذبة ماخوذة من ابانة احد الشيئين
من الاخر فيزول التباسه به الاعراب وقد تدخل في الكلام لاحد امرين احدهما لقوم يتوقعون الخبر والاخر
لتقريب الماضي من الحال لان الكلام اذا خرج ذلك المخرج كان اوكد وابلغ النزول قال ابن عباس ان ابن
صوريا قال لرسول الله صلعم يا محمد ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من اية بينة فنتبعك لها فانزل الله تعالى الاية
المعنى يقول ولقد انزلنا اليك يا محمد ايات بينات يعني سائر المعجزات التي اعطيها النبي صلعم من القران وقيل
هي القران وما فيه من الدلالات عن ابي مسلم وابي علي وقيل هي علم التورية والانجيل والاخبار عما غمض مما في كتب الله
السالفة عن الاصم كقوله تعالى يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب بينات اي واضحات
تفصل بين الحق والباطل وما يكفر بها الا الفاسقون معناه الكافرون وانما سمى الكفر فسقا
لان الفسق خروج من شيء الى شيء واليهود خرجوا من دينهم وهو دين موسى بتكذيب النبي صلعم وانما لم يقل الكافرون
وان كان الكفر اعظم من الفسق لاحد امرين احدهما ان المراد انهم خرجوا عن امر الله تعالى الى ما يعظم
من معاصيه والثاني ان المراد به الفاسقون المتمردون في كفرهم لان الفسق لا يكون الا اعظم الكبائر فان كان
في الكفر فهو اعظم الكفر وان كان فيما دون الكفر فهو اعظم المعاصي قوله تعالى
اوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل اكثرهم لا يومنون . اية اللغة النبذ طرحك الشيء
عن يدك امامك وخلفك والمنابذة انتباذ الفريقين للحرب ونابذناهم الحرب والمنبوذون هم
الاولاد الذين يطرحون والمنابذة في البيع منهي عنها وهي كالرمي كانه اذا رمى به وجب البيع له وسمي النبيذ
نبيذا لان التمر كان يلقى في الجرة وغيرها وقيل معنى نبذه تركه وقيل القاه قال ابو الاسود الدؤلي نظرت الى
عنوانه فنبذته كنبذك نعلا اخلقت من نعالك الاعراب الواو في قوله اوكلما عند سيبويه واكثر
النحويين واو العطف الا ان الالف الاستفهام دخلت عليها لان لها صدر الكلام وهي ام حروف
الاستفهام بدلالة ان هذه الواو تدخل على هل تقول وهل زيد عالم لان الالف اقوى منها وقال

وقال بعضهم يحتمل ان تكون زائدة كزيادة الفاء في قولك افالله لتفعلن والاول اصح لانه لا يحكم على الحرف بالزيادة مع وجود معنى من غير ضرورة ونصب كلما على الظرف والعامل فيه نبذه ولا يجوز ان يعمل فيه عاهدوا لانه متمم لما اما صلة واما المعنى اخبر الله سبحانه عن اليهود ايضا فقال اوكلما عاهدوا الله عهدا اراد بالعهد الذي اخذ على الانبياء عليهم ان يؤمنوا بالنبي الامي عن ابن عباس وكلما لفظ يقتضي تكرار النقض منهم وقال عطا هي العهود التي كانت بين رسول الله صلم وبين اليهود فنقضوها كفعل قريظة والنضير عاهدوا ان لا يعينوا عليه احدا فنقضوا ذلك واعانوا عليه قريشا يوم الخندق نبذه فريق منهم اي نقضه جماعة منهم بل اكثرهم اي اكثر المعاهدين لا يؤمنون ولا يعودون اليها والميل الى فريق اذا كان كلهم غير مؤمنين واما المعاهدون فمنهم من امن كعبد الله بن سلام وكعب الاحبار وغيرهما فاما وجه دخول بل على قوله بل اكثرهم لامرين احدهما انه لما نبذه فريق منهم دل على ان ذلك الفريق كفروا بالنقض فقال بل اكثرهم كفار بالنقض الذي فعلوه وان كان بعضهم نقضه جهلا وبعضهم نقضه عنادا والثاني انه اراد كفر فريق منهم بالنقض وكفر اكثرهم بالجحد للحق وهو امر النبي صلم وما يلزم من اتباعه والتصديق به

قوله تعالى ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون ۰ آية الاعراب لما في موضع نصب بانه ظرف وتقع التي لوقوع غيره والعامل فيه نبذ ومصدق رفع لانه صفة لرسول لانهما نكرتان ولو نصب لكان جائزا لان رسول قد وصف بقوله من عند الله فلذلك يحسن نصبه على الحال الا انه لا يجوز في القراءة الا الرفع لان القراءة متبعة وموضع ما جر باللام ومع صلة لها والناصب لمع معنى الاستقرار المعنى لما استقر معهم المعنى ولما جاء اليهود الذين كانوا في عصر النبي صلم رسول من عند الله يعني محمدا صلم عن اكثر المفسرين وقيل اراد بالرسول الرسالة كما قال كثير فقد كذب الواشون ما بحت عندهم بليلى وما ارسلتهم برسول قال على بن عيسى وهذا ضعيف لانه خلاف الظاهر قليل في الاستعمال وقوله ومصدق لما معهم يحتمل امرين احدهما انه مصدق لكتبهم من التورية والانجيل لانه جاء على الصفة التي تقدمت بها البشارة والثاني انه مصدق للتورية بانها حق من عند الله لان الاخبار هاهنا انما هو عن اليهود دون النصارى والاول احسن لان فيه حجة عليهم وقوله نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب اي ترك والقى طائفة منهم وانما قال من الذين اوتوا الكتاب ولم يقل منهم وقد تقدم ذكرهم لانه يعني علماء اليهود فاعاد ذكرهم لاختلاف المعنى وقيل انه لم يكن عنهم للبيان لما طال الكلام وقوله كتاب الله يحتمل معنيين ان يريد به التورية ويحتمل ان يريد به القرآن وقوله وراء ظهورهم كناية عن تركهم العمل به قال الشعبي هو بين ايديهم يقرؤنه ولكن نبذوا العمل به وقال سفيان بن عيينه ادرجوه في الحرير والديباج وحلوه بالذهب والفضة ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه فذلك النبذ هذا اذا احتمل الكتاب على التورية وقال ابو مسلم لما جاءهم الرسول بهذا الكتاب فلم يقبلوه صاروا نابذين للكتاب الاول ايضا الذي فيه البشارة به وقال السدي نبذوا التورية واخذوا بكتاب آصف وسحر هاروت وماروت يعني انهم تركوا ما يدل عليه التورية من صفة النبي صلم وقال قتادة وجماعة من اهل العلم ان كان ذلك الفريق كانوا معاندين وانما ذكرهم فريقا منهم لان الجمع العظيم والجم الغفير والعدد الكثير لا يجوز عليهم كتمان ما علموه مع اختلاف هممهم وتشتت الآراء وتباعد الاهواء لانه خلاف المألوف من العادات الا اذا كانوا عددا يجوز على مثلهم التواطؤ على الكتمان وقوله كانهم لا يعلمون اي لا يعلمون انه صدق وحق والمراد انهم علموا وكتموا بغيا وعنادا وقيل المراد كانهم لا يعلمون ما عليهم في نبذه من العقاب وقيل المراد كانهم لا يعلمون ما في

كتابهم اي هؤلاء الجهال من اهل الكتاب قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمن وما كفر سليمن ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من احد الا باذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتريه ما له في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون ۰ آية القراءة قرأ ابن عباس وحمزة والكسائي ولكن الشياطين كفروا ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى بتخفيف النون من لكن ورفع الاسم بعدها والباقون بالتشديد وروى في الشواذ على الملكين بكسر اللام عن ابن عباس والحسن الحجة قال ابو علي اعلم ان لكن لا يعمل شيئا على مثاله في الاسماء ولا في الافعال وهو ان في انها مثقلة ثم تخفف الا ان ان وان اذا خففتا فقد ينصب بهما كما كان ينصب بهما مثقلتين وان كان حكم الاعمال اكثر ولم يعلم ان احدا حكى النصب بلكن اذا خففت فيشبه ان النصب لم يجئ في هذا الحرف مخففا ليكون ذلك دلالة على الاصل في هذه الحروف انه لا تعمل اذا خففت لزوال اللفظ الذي به شابه الفعل ولكن انه لم يشابه الفعل فانه غيره مما يشابه الفعل اذا فصلته كقولهم ارك منتخيا اريد ان تحتمل كتف فقد نفصلا ثم تخفف كذلك يقدر في لكن الانفصال فيشبه ليت وان اللغة اتبعه اقتدى به وتتلوا تتبع لان التالي تابع وقيل هنا تقرأ من تلوت الكتاب اي قرأته قال الله تعالى هنالك تتلوا كل نفس ما اسلفت اي تتبع وقال حسان بن ثابت نبي يرى ما لا يرى الناس حوله ويتلو كتاب الله في كل مشهد والسحر والكهانة والحيلة نظائر يقال سحره يسحره سحرا وقال صاحب العين السحر عمل يقرب الى الشياطين ومن السحر الاخذة التي تأخذ العين حتى تظن ان الامر كما ترى وليس الامر كما ترى والجمع الاخذ فالسحر عمل خفي لخفاء سببه يصور الشيء بخلاف صورته ويقلبه عن جنسه في الظاهر ولا يقلبه عن جنسه في الحقيقة الا ترى الى قول الله تعالى يخيل اليه من سحرهم انها تسعى والسحر الغذاء قال امرؤ القيس ارانا موضعين لحتم غيب ونسحر بالطعام وبالشراب والسحر الرية يقال للجبان انتفخ سحره والفتنة والامتحان والاختبار نظائر يقال فتنه فتنة وافتنه قال اعشى همدان لئن فتنتني لهي بالامس افتنت سعيدا فامسى قد قلا كل مسلم وفتنت الذهب في النار اذا اختبرته لتعلم اخالص هو ام مشوب فقيل لكل ما احميته في النار فتنته وفتنت الخبزة في النار اذا انضجتها ومنه قوله تعالى يوم هم على النار يفتنون اي يشوون ويعلم قد يكون بمعنى علم كما قيل علمت واعلمت بمعنى وكذلك فهمت وافهمت قال كعب بن زهير تعلم رسول الله انك مدركي وان وعيدا منك كالاخذ باليد الا ان بينهما فرقا بمعنى تعلم تنبيه الى ما به يعلم من النظر في الادلة وليس في اعلم هذا المعنى فقد يقال ذلك لما يعلم بلا تأمل كقولك اعلم ان الفعل يدل على الفاعل وان ما لم يسبق المحدث محدث وتقول في الاول تعلم النحو والفقه والمرء تأنيثه المرأة وقالوا مرة بلا الف والضرر والالم والاذى نظائر والضر نقيض النفع يقال ضره يضره ضرا واضر به اضرارا واضطر اليه اضطرارا قال صاحب العين الضر والضر لغتان فاذا ضممت اليه النفع فتحت الضاد والضير الذاهب البصر من الناس يقال رجل ضرير بين الضرارة وفي الحديث لا ضرر ولا ضرار والوادي جانباه وكل شيء دنا منك حتى يزحمك فقد اضر بك واصل الباب الانتقاص والاذن في اللغة على ثلاثة اوجه احدها بمعنى العلم كقوله فاذنوا بحرب من الله اي فاعلموا وقال الحطيئة الا يا هند ان جددت وصلا والا فاذنيني بانصرام والثاني بمعنى الاباحة والاطلاق كقوله تعالى فانكحوهن باذن اهلهن والثالث بمعنى الامر كقوله نزله على قلبك باذن الله والنفع والمنفعة واللذة نظائر وحد النفع هو ما يكون به الحيوان ملتذا اما لانه لذة او يؤدي الى لذة وحد الضر كل ما يكون به الحيوان متالما اما لانه الم او يؤدي

من خلاق

٥٨

الى الم والخلاق النصيب قال امية بن ابي الصلت يدعون بالويل فيها لا خلاق لهم الا سرابيل من قطر واغلال
الاعراب ما تتلو فيه وجهان احدهما ان يكون تتلو بمعنى تلت وانما جاز ذلك لما علم من انه اذا لكلام
بعهد سليمان فمن قال ان المراد على عهد ملك سليمان او في زمان ملك سليمان او بملك سليمان فمن لا بد من حذف
المضاف فدل ذلك على ان مثال المضارع اريد به الماضي قال سيبويه قد تقع يفعل في موضع فعل كقول الشاعر
ولقد امر على اللئيم يسبني فمضيت ثمة قلت لا يعنيني والوجه الآخر ان يكون الفعل على بابه لا يراد به فعل ولكنه
حكاية حال وان كان ماضيا كقوله واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم فيسومونكم حكاية الحال في الوقت
التي كانت فيه وان كان آل فرعون منقرضين في وقت هذا الخطاب ومن هذا ما انشده ابن الاعرابي جارية
في رمضان الماضي تقطع الحديث بالايماء قوله وما انزل ذكر فيه ثلثة اقوال احدها ان ما بمعنى الذي وانه لصلته
وموضعه نصب لكونه معطوفا على السحر وقيل انه معطوف على قوله ما تتلوا الشياطين وثانيها انه بمعنى الذي ايضا وموضعه
جر ويكون معطوفا على السحر يتلوا على ملك سليمان وثالثها انه بمعنى الجحد والنفي وتقديره وما كفر سليمان ولم ينزل الله
السحر على الملكين وبابل اسم لا ينصرف للعلمية والتانيث وقوله فيتعلمون فلا يخلو من احد امرين اما ان يكون الفعل
معطوفا بالفاء على فعل قبله او يكون خبر مبتدا محذوف والفعل الذي قبله لا يخلو اما ان يكون كفروا من قوله
ولكن الشياطين كفروا فيجوز ان يكون فيتعلمون معطوفا عليه لان كفروا في موضع رفع بكونه خبر
لكن فعطف عليه المرفوع وهو قول سيبويه فاما يعلمون فيجوز ان يكون في موضع نصب على الحال من كفروا
اى كفروا في حال تعليمهم ويجوز ان يكون بدلا من كفروا لان تعليم الشياطين كفر في المعنى واذا كان كذلك
جاز البدل فيه اذ كان اياه في المعنى كما كان مضاعفة العذاب لما كان لقي الآثام في
قوله ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب جاز ابداله منه واما ان يكون الفعل الذي عطف عليه
يتعلمون قوله يعلمون وهو قول الفراء وانكر الزجاج هذا القول قال لان قوله منهما دليل على التعليم من الملكين
خاصة قال ابو علي فهذا يدخل على قول سيبويه ايضا كما يدخل على قول الفراء لانهما جميعا قالا العطف على يعلم
الشياطين قال وهذا الاعتراض ساقط من جهتين احدهما ان التعلم وان كان من الملكين خاصة فلا يمتنع ان
يكون فيتعلمون عطفا على كفروا او على يعلمون وان كان متعلقا بهما وان كان الضمير في منهما
راجعا الى الملكين فان قلت كيف يجوز هذا وهل يسوغ ان يقيد هذا التقييد ويلزمك ان يكون النظم ولكن
الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر فيتعلمون منهما فتضمر الملكين قبل ذكرهما والاضمار قبل الذكر
غير جائز فاذا لزمك في هذا القول الاضمار قبل الذكر وكان ذلك غير جائز لزم ان لا يجيز العطف على واحد من الفعلين
اللذين هما كفروا او يعلمون بل تعطفه على فعل مذكور بعد ذكر الملكين كما ذهب اليه ابو اسحاق الزجاج
فانه عطف على ما يوجبه معنى الكلام عند قوله فلا تكفر اى فيأتون فيتعلمون او على يعلمان من قوله وما يعلمان
من احد لانهما هذان مذكوران بعد الملكين قال الجواب اما النظم فانه على ما ذكرته وهو صحيح فاما الاضمار قبل
الذكر فان منهما في قوله فيتعلمون منهما اذا كان ضميرا عائدا الى الملكين فان اضمارهما قبل تقدم
ذكرهما وذلك سائغ جائز ونظير قوله واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات لما تقدم ذكر اسم ربه ولو قال
ابتلى ربه ابراهيم لم يجز لكونه اضمارا قبل الذكر وهذا بين جدا فالاعتراض بذلك على سيبويه والفراء ساقط واما
الجهة الاخرى التي يسقط منها ذلك فهي انه قد قيل في قوله تعالى وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة
فلا تكفر انه [?] لا تاتي شيئا في المعنى فلان منهما فعلم السحر منهما من الملكين وقوله منهما [?]
فيكون نظم الكلام على هذا ولكن الشياطين هاروت وماروت كفروا يعلمون الناس السحر فيتعلمون

منهما وما انزل على الملكين ببابل الى التنزيل وما يعلمان من احد اى ما يعلم هاروت وماروت من احد فمنهما
على هذا القول لا يرجع الى الملكين وانما يرجع الى هاروت وماروت اللذين هما الشياطين في المعنى فاما
حمل الكلام على التثنية والشياطين جمع فانه يجوز ان يحمل على المعنى فيجمع وعلى لفظ هاروت وماروت
فيثنى ونظيره قوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ثم قال فاصلحوا بينهما فان بغت احديهما على الاخرى
ويجوز ان يكون يتعلمون معطوفا على يعلمان من قوله وما يعلمان فيكون الضمير الذي في يتعلمون لاحد الا انه جمعه
لما حمل على المعنى فجمع كقوله فما منكم من احد عنه حاجزين فاما جواز عطفه على ما ذكره الزجاج من قوله وقيل انه يتعلمون
عطف على ما يوجبه معنى الكلام لان المعنى انما نحن فتنة فلا تكفر فياتون فيتعلمون وهذا قد احسن فهو قول
الفراء قال ابو علي وهو عندي جائز لانه من المضمر الذي فهم للدلالة عليه واما كونه خبر المبتدا المحذوف فعلى
ان تقديره فهم يتعلمون منهما وذلك غير ممتنع وقد قيل في قوله منهما ان الضمير عائد الى السحر والكفر
قال ابو مسلم قال لانه تقدم الدليل عليهما في قوله كفروا وهذا كقوله سبحانه سيذكر من يخشى ويتجنبها
الاشقى اى يتجنب الذكرى وقوله ولقد علموا لمن اشتراه قال الزجاج دخول اللام على لقد على جهة
القسم والتوكيد وقال النحويون في قوله لمن اشتراه قولين حمل بعضهم من بمعنى الشرط وجعل الجواب ما له في
الآخرة من خلاق كما تقول لئن يوضع شرط وجزاء ولكن المعنى ولقد علموا للذي اشتراه ما له في الآخرة
من خلاق كما تقول في الله لقد علمت للذي جاءك ما له من عقل انتهى كلام الزجاج واقول انه من موضع
رفع بالابتداء وموضع ما له في الآخرة من خلاق رفع على انه خبر الابتداء وهذا قول سيبويه فاللام في قوله
لمن اشتراه لام الابتداء دون القسم لان هذه اللام قد تكون تأكيدا لغير القسم واللام مع الجملة التي تعلق
في موضع نصب بعلموا كما ان الاستفهام كذلك في نحو علمت ازيد في الدار ام عمرو وهذا هو الذي تعلقه
قال ابو علي قول من قال ان من جزاء بعيد لانه اذا كان جزاء فاللام في لمن اشتراه سبب دخول القسم كالتي في قوله ولئن
اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك ولئن شئنا لنذهبن فيقتضي ذلك قسما والقسم
الذي يقتضيه قوله لمن اشتراه اذا حملت من على انه جزاء لا يخلو من ان يكون علموا لان العلم والظن قد يقامان مقام القسم
كما في قوله ولقد علمت لتاتين منيتي وقوله فظنوا ما لهم من محيص او يكون مضمرا بين قوله علموا وقوله لمن اشتراه ويبعد ان يكون
علموا قسما وقوله لمن اشتراه جوابه فحاصله لانه في هذا الموضع محلوف عليه مقسم والمقسم عليه لا يكون قسما لانه يلزم من هذا
ان يدخل قسم على قسم لان في اول الكلام قسما وهو في المضمر الجالب اللام في لقد فهذا هو القسم الاول والثاني
هو الذي يدخل عليه هذا القسم الاول المضمر وهو علموا اذا اجيب باللام فمن جعله ابتداء وبالنفي فمن جعله
جزاء ودخول القسم على القسم بعد عند سيبويه ولا يسوغ فمن احال هذا بعد عندي ان يكون علموا هنا بمنزلة
القسم وان يجاب بجوابه قال سيبويه والخليل لا يقوى ان يقول وحقك وحق زيد لافعلن والواو الثاني
واو قسم لا يجوز الا مستكرها لانه لا يجوز هذا في محلوف عليه الا ان يضم الآخر الى الاول ويحلف بهما على المحلوف
عليه ولهذا جعل هو والخليل في قوله والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر والانثى العطف
دون القسم فلهذا احمل اللام في نحو قولهم لعمرك لافعلن انه يلزم على ما اوله دخول قسم على قسم ويبعد ايضا
ان يكون القسم مضمرا بين قوله ولقد علموا ولمن اشتراه لان علموا يقتضي مفعوليه واذا وقع قسم بينه وبين
مفعوليه لم يجر في كان لغوا كما انه في نحو قولك زيد والله منطلق وان تأتني والله آتك لغو لا جواب له ولانه
لو اجيب للزم اعتماد علمت عليه فصار القسم في موضع نصب لوقوعه موقع مفعول علمت وذلك يمنع انه
لو جعلته في موضع المفعولين لاخرجته عن ان يكون تأكيدا لغيره وجعلته قائما بنفسه ولو جاز ان

لمن اشتريه على ان علامة الابتداء معمول به كاللام الاولى الداخلة في انما تضعف فيما الاعم [?]

يكون معمول جملة الجزاء ان يوصل ويوصف به النكرة وخبرا ممتنع معلوم اذا ان القسم بعد جملة الابتداء ان يكون له جواب
فاضمار القسم بعد علموا غير جائز لانه ليس يجوز الا ان يكون له جواب يدل عليه اذا حذف كما يدل ليفعلن ويخرج من جواب
على القسم المحذوف فاذا لم يجز ان يكون له جواب لم يجز حذفه وارادته فقد بعد ايضا ان يكون القسم مضمرا
بعد علمت فلما كان علموا مستأنفا عليه في هذا الموضع فاذا جعلت من بمعنى الذي لزم ان يكون جملة فيما يكون في الكلام
في الآخرة من خلاق جوابه وكان دخول القسم على القسم غير سائغ عند سيبويه حمل الآية في ليس على انه لام الابتدا
ومن بمعنى الذي لئلا يلزم ما لا يستحسنه ولا يستجيزه من دخول قسم على قسم في مذهب سيبويه في هذا هو البين
المعنى ثم عطف سبحانه على ما تقدم من انه نبذ فريق من اليهود كتاب الله الذي في ايديهم
وراء ظهورهم فقال واتبعوا ما تتلوا الشياطين واختلف في المعني بقوله واتبعوا على ثلاثة اقوال احدها انهم اليهود
الذين كانوا على عهد النبي صلعم عن الربيع وابن اسحاق والسدي وثانيها انهم اليهود الذين كانوا في زمن سليمان
عن ابن عباس وابن جريج وثالثها ان المراد به الجميع لان متبعي السحر لم يزالوا منذ عهد سليمان الى ان بعث محمد صلعم
وروي عن الربيع ان اليهود سألوا محمدا زمانا عن امور من التورية لا يسألونه عن شيء من ذلك الا انزل الله عليه ما سألوا عنه
فخصمهم فلما راوا ذلك قالوا هذا اعلم بما انزل علينا منا وانهم سألوه عن السحر وخاصموه فانزل الله تعالى واتبعوا ما تتلوا
الشياطين الآية اي اقتدوا وابتاعوا ما كانت تتلوا الشياطين اي تتبع وتعمل به عن ابن عباس وقيل معناه تقرأ عن
عطا وقتادة وقيل معناه تكذب عن ابي مسلم يقال تلا عليه اذا كذب قال سبحانه ويقولون على الله الكذب
ويقولون على الله ما لا يعلمون فاذا صدق قيل تلا عنه فاذا ابهم جاز الامران واختلف في قوله الشياطين
فقيل هم شياطين الجن لانه المستفاد من اطلاق هذه اللفظة وقيل هم شياطين الانس المتمردون في الضلالة
كقول جرير ايام يدعونني الشيطان من غزلي وكن يهوينني اذ كنت شيطانا وقيل هم شياطين الجن والانس
وقوله على ملك سليمان قيل معناه في ملك سليمان كقول ابي النجم فهي على الافق كعين الاحول اي في الافق ثم
ان هذا يحتمل معنيين احدهما في عهد ملك سليمان والثاني في نفس ملك سليمان كما يقال فلان يطعن في ملك
فلان وفي نفس فلان وقيل معناه على عهد ملك سليمان وقال ابو مسلم معناه ما كانت تكذب الشياطين
على ملك سليمان وما انزل على الملكين واما قوله وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس
السحر فبين ان ما كانت تتلوا الشياطين وتاثره وترويه كان كفرا اذ برأ سليمان عم
منه ولم يبين سبحانه بقوله ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان انها اي شيء كانت تتلوا ثم بين بقوله سبحانه
وما كفر سليمان ان ذلك الكفر اي نوع من انواع الكفر حتى قال ولكن الشياطين كفروا يعلمون
الناس السحر فبين سبحانه ان ذلك الكفر كان من نوع السحر فان اليهود اضافوا الى سليمان وزعموا
ان ملكه كان به فبرأه الله منه وهو قول ابن عباس وابن جبير وقتادة واختلف في الشيء الذي
لاجله اضاف اليهود السحر الى سليمان فقيل ان سليمان كان قد جمع كتب السحر ووضعها في خزانته
وقيل كتبها ودفنها تحت كرسيه لئلا يطلع عليه الناس ولا يعملوا بها فلما مات سليمان استخرجت السحرة تلك
الكتب وقالوا انما تم ملك سليمان بالسحر وبه سخر الانس والجن والطير وزينوا السحر في اعين الناس بالنسبة
الى سليمان ثم شاع ذلك في اليهود وقبلوه لعداوتهم لسليمان عن السدي وروى العياشي باسناده عن ابي
بصير عن ابي جعفر الباقر عم قال لما هلك سليمان وضع ابليس السحر ثم كتبه في كتاب وطواه وكتب على
ظهره هذا ما وضع آصف بن برخيا من ملك سليمان بن داود من ذخاير كنوز العلم من اراد كذا وكذا فليفعل
كذا وكذا ثم دفنه تحت السرير ثم استثاره لهم فقرأه فقال الكافرون ما كان يغلبنا سليمان الا بهذا

وقال

وقال المؤمنون هو عبد الله ونبيه فقال الله في كتابه واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان الآية وفي قوله ولكن الشياطين
كفروا ثلاثة اقوال احدها انهم كفروا بما استخرجوه من السحر وثانيها انهم كفروا بما نسبوه الى سليمان من السحر
وثالثها انهم سحروا فعبر عن السحر بالكفر وفي قوله يعلمون الناس السحر قولان احدهما انهم القوا السحر اليهم فتعلموه
والثاني انهم دلوهم على استخراجه من تحت الكرسي فتعلموه وقوله وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت
فيه وجوه احدها ان المراد ان الشياطين يعلمون الناس السحر والذي انزل على الملكين وانما انزل على الملكين وصف السحر
وماهيته والاحتيال فيه ليعرفا ذلك ويعرفاه الناس فيجتنبوه غير ان الشياطين لما عرفوه استعملوه وان كان
المؤمنون اذا عرفوه اجتنبوه وانتفعوا بالاطلاع على كيفيته وثانيها ان يكون المراد على ما ذكرناه وقيل ان من معناه
واتبعوا ما كذب به الشياطين على ملك سليمان وعلى ما انزل على الملكين اي معهما وعلى السنتهما كما قال سبحانه ربنا وآتنا
ما وعدتنا على رسلك اي معهم وعلى السنتهم وثالثها ان يكون ما بمعنى النفي والمعنى ما كفر سليمان ولا انزل الله السحر
على الملكين ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت ويكون قوله ببابل هاروت وماروت
من المؤخر الذي معناه التقديم ويكون في هذا التأويل هاروت وماروت من جملة الناس ويكون الملكان اللذان
نفي عنهما السحر جبرئيل عم وميكائيل لان سحرة اليهود فيما ذكر كانت تدعي ان الله عز وجل انزل السحر على لسان جبرئيل وميكائيل
على سليمان فاكذبهم الله في ذلك ويجوز ان يكون هاروت وماروت يرجعان على الشياطين كانه قال ولكن
الشياطين هاروت وماروت كفروا ويسوغ ذلك كما ساغ في قوله وكنا لحكمهم شاهدين يعني حكم داود
وسليمان ويكون على هذا قوله وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة راجعا الى هاروت وماروت ومعنى
قولهما انما نحن فتنة فلا تكفر يكون على طريق الاستهزاء والتماجن لا على سبيل النصيحة والتحذير ويجيء على هذا التأويل
ايضا الذي نختص الحق والحجة ان يكون هاروت وماروت اسمين للملكين ونفي عنهما انزال السحر ويكون قوله وما يعلمان
راجعا الى قبيلتين من الجن والانس او الى شياطين الانس والجن فحسن التثنية لهذا وروي هذا التأويل في حمل ما على
النفي عن ابن عباس وغيره من المفسرين وحكي ايضا عنه انه كان يقرأ على الملكين بكسر اللام ويقول متى كان العلجان ملكين
انما كانا ملكين وعلى هذه القراءة لا ينكر ان يرجع قوله وما يعلمان من احد اليهما ويمكن على هذه القراءة في الآية وجه
آخر وان نحمل قوله تعالى وما انزل على الملكين على الجحد والنفي وهو ان يكون هؤلاء الذين اخبر عنهم اتبعوا ما تتلوا
الشياطين وتدعيه على ملك سليمان واتبعوا ما انزل على الملكين من السحر ويكون الانزال مضافا الى الله تعالى
وان اطلق لانه عز وجل لا ينزل السحر بل انزله بعض الضلال ويكون بمعنى انزل وان كان من الارض حمل اليهما لا من السماء
لان من يحمل الى البلاد العالية قال من هبط من النجد الى الغور يقال نزل واختلف في بابل فقيل هي بابل العراق
لانه تبلبلت بها الالسن عن ابن مسعود وقيل هي بابل دماوند عن السدي وقيل هي من نصيبين الى راس العين وهاروت
وماروت قيل هما رجلان على ما تقدم بيانه وقيل هما ملكان من الملائكة اهبطهما الله تعالى الى الارض على صورة
الانس لئلا يعرف الناس منهما اذا كانا على صورة الملائكة واختلف في سبب هبوطهما فقيل ان الله اهبطهما
ليأمرا بالدين وينهيا عن السحر ويفرقا بينه وبين المعجز لان كثيرا في ذلك الوقت ثم اختلف في ذلك فقال قوم
كانا يعلمان الناس كيفية السحر وينهيان عن فعله ليكون النهي بعد العلم فان من لا يعرف شيئا لا يمكنه اجتنابه وقال
آخرون لم يكن لهما تعليم السحر لما في ذلك من الاغراء بفعله وانما اهبطا لتجديد النهي اذ كان السحر فاشيا
وقيل ايضا في سبب هبوطهما ان الملائكة كانت تعجب من معاصي بني آدم مع كثرة نعم الله عليهم فقالت طائفة
منهم يا ربنا اما تغضب مما يعمل خلقك في ارضك ومما يفترون عليك من الكذب والزور ويركبونه
من المعاصي وقد نهيتهم عنها وهم في قبضتك وتحت قدرتك فاحب الله سبحانه ان يعرفهم ما من به

عليهم من عجيب خلقهم وما طبعهم عليه من الطاعة وعصمهم من الذنوب فقال الله لهم اختاروا منكم ملكين حتى اهبطهما الى
الارض واجعل فيهما من طبايع المطعم والمشرب والشهوة والحرص والامل مثل ما جعلت في ولد آدم ثم اختبرهما في الطاعة
لي قال فندبوا لذلك هاروت وماروت وكانا من اشد الملائكة قولا في العيب لولد آدم واستجرار عيب الله
عليهم قال فاوحى الله اليهما ان اهبطا الى الارض فقد جعلت فيكما من طبايع المطعم والمشرب والشهوة والحرص والامل
مثل ما جعلت في ولد آدم وانظرا ان لا تشركا بي شيئا ولا تقتلا النفس التي حرم الله قتلها ولا تزنيا ولا تشربا
الخمر ثم اهبطهما الى الارض على صورة البشر ولباسهم فرفع لهما مشرق فاقبلا نحوه فاذا امرأة جميلة حسناء
اقبلتا نحوها فاقبلت في قلوبهما موقعا شديدا ثم انهما ذكرا ما نهيا عنه من الزنا فمضيا ثم حركتهما الشهوة فرجعا
اليها فراوداها عن نفسها فقالت ان لي دينا ادين به ولست اقدر في ديني ان اجيبكما الى ما تريدان الا ان تدخلا في ديني
فقالا وما دينك فقالت لي اله من عبده وسجد له كان لي السبيل الى ان اجيبه الى كل ما سألني فقالا وما الهك قالت
هذا الصنم فاستترا بينهما فغلبتهما الشهوة التي جعلت فيهما فقالا لها نجيبك الى ما سألت قالت فدونكما فاشربا الخمر
فانها قربان لكما عنده وبه تصلان الى ما تريدان فقالا هذه ثلث خصال قد نهانا ربنا عنها الشرك والزنا والخمر فاستترا بينهما
ثم قالا لها ما اعظم البلية بك قد اجبناك قال فشربا الخمر وسجدا للصنم ثم راوداها عن نفسها فلما تهيأت لهما
دخل عليهما سائل يسأل فلما ان رآهما ورأياه ذعرا منه فقال لهما انكما لمريبان قد خلوتما بهذه المرأة الحسناء
انكما لرجلا سوء وخرج عنهما فقالت لهما بادرا الى هذا الرجل فاقتلاه قبل ان يفضحكما ويفضحني ثم دونكما
فاقضيا حاجتكما وانتما مطمئنان آمنان فقالت فقاما الى الرجل فادركاه فقتلاه ثم رجعا اليها فلم يرياها وبدت لهما
سوآتهما ونزع عنهما ريشهما وسقط في ايديهما فاوحى الله تعالى اليهما اهبطتكما الى الارض ساعة من نهار فعصيتماني باربع
معاص قد نهيتكما عنها وتقدمت اليكما فيها فلم تراقباني ولم تستحييا مني وقد كنتما اشد من نقم على اهل الارض
من المعاصي فاختارا عذاب الدنيا او عذاب الآخرة قال فاختارا عذاب الدنيا وكانا يعلمان الناس السحر في ارض
بابل ثم لما علما الناس رفعا من الارض الى الهواء فهما معذبان منكسان معلقان في الهواء الى يوم القيمة رواه العياشي
مرفوعا الى ابي جعفر الباقر ع ومن قال بعصمة الملائكة لم يجز هذا الوجه وقوله وما يعلمان من احد حتى يقولا
انما نحن فتنة فلا تكفر يعني الملكين وما يعلمان احدا والعرب تستعمل لفظ علم بمعنى اعلم اي لا يعلمان صفات
السحر وكيفيته حتى يقولا اي الا بعد ان يقولا انما نحن فتنة اي محنة لان الفتنة بمعنى المحنة والاختبار والابتلاء
وانما كان محنة من حيث القيا الى المكلفين امرا لينزجروا عنه وليمتنعوا من مواقعته وهم اذا عرفوه امكن ان
يستعملوه ويرتكبوه فقالا لمن يطلعانه على ذلك لا تكفر باستعماله ولا تعدل عن الغرض في القائنا اليك فانه انما القي
اليك لتجتنبه لا لتفعله ولا يكون على هذا التاويل تعلم السحر كفرا ومعصية كما ان من عرف الزنا لم يأثم بانه عرفه
وانما يأثم بالعمل وقيل ان المراد به في تعليمهما السحر والتقليب ولا يعلمان احدا السحر فيقولان انما نحن فتنة فيجعل
هذا يكون تعلم السحر من الشياطين والنهي عنه من الملكين وقوله فلا تكفر يحتمل ثلثة اشياء احدها فلا تكفر باعمال
السحر والثاني فلا تكفر بتعلم السحر ويكون قد امتحن الله عز وجل بالملكين الناس في ذلك الوقت وجعل المحنة
في الكفر والايمان ان يقبل القابل تعلم السحر فيكون بتعلمه كافرا وبترك التعلم مؤمنا لان السحر كان قد كثر
وهذا يمكن ان يمتحن الله عز وجل به كما امتحن بالنهر في قوله فمن شرب منه فليس مني والثالث فلا تكفر بكليهما
وقوله فيتعلمون منهما اي من هاروت وماروت وقيل من السحر والكفر وقيل المراد به بدلا منهما علما هو
ويكون المعنى انهم يتعلمون بدلا عما علمهم الملكان من النهي عن السحر الى تعلمه واستعماله كما يقال
ليت لنا من كذا وكذا اي بدلا منه وكقول الشاعر جمعت من الخيرات وطبا وعلبة وصرا

المرء همة اليه ومن كل خلايق الكرام نميمة وسعيا على الجار المجاور بالمحل وقوله ما يفرقون به بين المرء وزوجه
فيه وجوه احدها انهم يجلبون احدهما على صاحبه ويبغضونه اليه فيؤدي ذلك الى الفرقة عن قتادة وثانيها
انهم يغوون احد الزوجين ويحملونه على الكفر والشرك بالله تعالى فيكون بذلك قد فارق زوجه الآخر المؤمن
المقيم على دينه فيفرق بينهما اختلاف النحلة وتباين الملة وثالثها انهم يسعون بين الزوجين بالنميمة والوشاية
حتى يؤول امرهما الى الفرقة والمباينة وقوله وما هم بضارين به من احد الا باذن الله اي لا يلحقون بغيرهم ضررا الا بعلم الله
فيكون على وجه التهديد وقيل معناه الا بتخلية الله عن الحسن قال من شاء الله منعه فلا يضره السحر ومن شاء
خلى بينه وبينه فيضره وقوله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم معناه يضرهم في الآخرة ولا ينفعهم وان كان ينفعهم
في الدنيا لانهم لما قصدوا بتعلمه ان يعملوا ويرتكبوه لا ان يتجنبوه صار ذلك بسوء اختيارهم ضررا عليهم وقوله
ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق يعني اليهود الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم علموا لمن استبدل
السحر بدين الله ما له في الآخرة كناية عن السحر عن قتادة وجماعة فما له في الآخرة من نصيب وقوله ولبئس ما شروا به انفسهم
يعني بئس ما باعوا به حظ انفسهم حيث اختاروا الكسب بالسحر وقوله لو كانوا يعلمون بعد قوله ولقد علموا ذكر فيه
وجوه احدها ان يكون الذين علموا غير الذين لم يعلموا ويكون الذين علموا الشياطين والذين اخبر عنهم بانهم نبذوا كتاب الله
وراء ظهورهم والذين لم يعلموا هم الذين تعلموا السحر وثانيها ان يكون الذين علموا هم الذين لم يعلموا الا انهم علموا شيئا
ولم يعلموا غيره فكانه تعالى وصفهم بانهم عالمون بانه لا نصيب لمن اشترى ذلك ورضيه لنفسه على الجملة
ولم يعلموا كنه ما يصيرون اليه من عقاب الله الذي لا نفاد له وثالثها ان يكون الفائدة في نفي العلم بعد اثباته انهم لا يعملون بما علموا
فكانهم لم يعلموا كما قال كعب بن زهير يصف ذئبا وغرابا يتبعانه ليصيبا من زاده اذا حضراني قلت لو تعلمانه
الم تعلما اني من الزاد مرمل فنفى عنهما العلم ثم اثبته والمعنى في نفيه العلم عنهما انهما لم يعملا بما علماه فكانهما لم يعلماه
وفي هذه الآية دلالة على ان الافعال تختلف باختلاف المقاصد وان الذي كان تعلم السحر لازالة الشبهة والتحرز منه
واجتنابه ايمانا وتصديقه واستعماله كفرا واختلف في ماهية السحر على اقوال فقيل انه ضرب من التخيل وصنعة
من لطيف الصنايع وقد امر الله تعالى بالتعوذ منه وجعل التحرز بكتابه وقاية منه وانزل فيه سورة الفلق وهو قول الشيخ
المفيد ابي عبد الله من اصحابنا وقيل انه خدع ومخاريق وتمويهات لا حقيقة لها تخيل الى المسحور لها حقيقة
وقيل يمكن الساحر ان يقلب الانسان حمارا او يقلب الانسان من صورة الى صورة وينشئ الحيوان على وجه الاختراع وهذا
لا يجوز ومن صدق به فهو لا يعرف النبوة ولا يأمن ان يكون معجزات الانبياء من هذا النوع ولو ان الساحر والمعزم قدرا
على نفع او ضرر وعلما الغيب لقدرا على ازالة الممالك واستخراج الكنوز من معادنها والغلبة على البلدان بقتل
الملوك من غير ان ينالهم مكروه وضرر فلما رأيناهم اسوأ الناس حالا واكثرهم مكيدة واحتيالا علمنا انهم لا يقدرون
على شيء من ذلك فاما ما روي من الاخبار ان النبي ص سحر فكان يرى انه فعل ما لم يفعله او انه لم يفعل ما فعله فاخبار مفتعلة
لا يلتفت اليها وقد قال الله تعالى حكاية عن الكفار ان تتبعون الا رجلا مسحورا فلو كان عمل فيه لكان
الكفار صادقين في مقالتهم حاشى النبي صلى الله عليه وآله من كل صفة نقص تنفر عن قبول قوله فانه حجة الله على خليقته وصفوته
على بريته قوله تعالى ولو انهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون. اية. اللغة
المثوبة والثواب والاجر نظاير ونقيض المثوبة العقوبة يقال ثاب يثوب ثوبا واثابه اثابة وثوابا ومثوبة والاصل
في الثواب ما رجع اليك من شيء يقال اغمي على الرجل غشية ثم ثاب اليه نفسه ولذلك سمي الثواب
لانه العايد على صاحبه مكافاة ما فعل ومنه التثويب في الاذان وغيره وهو ترجيع الصوت قال [illegible]
اذا كر دعاه الى الحرب وغيرها ويقال ثاب القوم ثم ثابوا اي رجعوا والثوب مشتق من هذا ايضا

لانه ثاب لباسا ثوابا ان كان قطنا او غزلا والمثابة الموضع يثوب اليه الناس وفي الشواذ قراءة قتادة لمثوبة بسكون الثاء
وفتح الواو وهي لغة كمشورة ومشورة ومثوبة ومثوبة وجمعها مثاوب وقولهم هذا لحم منز وهذا شيء منه الاعصب
عام فانهم يقولون هذا حجر من نار وهذا شيء من ذلك الاعراب اللام في لمثوبة لام الابتداء وهو في موضع جواب
لو الا انها تنوب عن قوله لاثيبوا والضمير في انهم عائد على الذين يتعلمون السحر المعنى ثم قال سبحانه
ولو انهم يعني الذين يتعلمون السحر ويعملون به وقيل هم اليهود امنوا اي صدقوا محمدا والقرآن واتقوا السحر والكفر
وقيل جميع المعاصي لمثوبة من عند الله خير اي لاثيبوا وثواب الله خير لو كانوا يعلمون اي لو كانوا يستعملون
ما يعلمونه ليبين انهم كانوا يجهلون ذلك كما يقول الانسان لصاحبه وهو يعظه ما ادعوك اليه خير لك لو كنت
تعقل او تنظر في العواقب وفي قوله لو كانوا يعلمون وهم قد علموا او لم يعلموا وجهان احدهما ان معناه لو كانوا يعملون
بعلمهم لظهر لهم بالعمل ذلك اي لعلموا ان ثواب الله خير من السحر والاخر ان المعنى فيه الدلالة على جهلهم وترغيبهم في ان يعلموا
ذلك وان يطلبوا ما هو خير لهم من السحر وهو الثواب الذي ينال بطاعة الله واتباع مرضاته وفي هذه الآية دلالة على بطلان
قول اصحاب المعارف لانه نفى ذلك العلم عنهم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا
واسمعوا وللكافرين عذاب اليم. اية اللغة المراعاة التفقد للشيء في نفسه واحواله والمراعاة والمحافظة
والمراقبة نظائر ونقيض المراعاة الاغفال ورعى الله فلانا اي حفظه ورعيت له حقه وعهده فهو مخلف وارعيته
سمعي اذا اصغيت اليه وراعيته بعيني اذا لاحظته وجمع الراعي رعاء ورعاة ورعيان وكل من ولي قوما
فهو راعيهم وهم رعيته والمرعي من الناس المسوس والراعي السائس واسترعاه الله خلقه اي ولاه امرهم
والارعاء الابقاء على اخيك والاسم الرعوى والرعيا وارعني سمعك اي استمع ورجل ترعية الذي صنعته وصنعة
ابائه الرعاية وقال الشاعر يسوسها ترعية جاف فضل واصل الباب الحفظ ونظرت الرجل انظره نظرا
بمعنى انتظرته وارتقبته المعنى لما تقدم سبحانه نهي اليهود عن السحر عقبه بالنهي عن اطلاق هذه اللفظة فقال
يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا كان المسلمون يقولون يا رسول الله راعنا اي استمع منا فحرفت اليهود هذه اللفظة
فقالوا يا محمد راعنا وهم يلحدون الى الرعونة يريدون به النقيصة والوقيعة فلما عوتبوا قالوا نقول كما يقول
المسلمون فنهى الله عن ذلك بقوله لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا وقال قتادة انها كلمة كانت تقولها
اليهود على وجه الاستهزاء وقال عطاء هي كلمة كانت الانصار تقولها في الجاهلية فنهوا عنها في الاسلام
وقال السدي كان ذلك كلام يهودي بعينه يقال له رفاعة بن زيد يريد بذلك الرعونة
فنهي المسلمون عن ذلك وقال الباقر عليه السلام هذه الكلمة سب بالعبرانية اليه كانوا يذهبون
وقيل كان معناه عندهم اسمع لا سمعت وروي عن الحسن انه كان يقرأ راعنا بالتنوين وهو شاذ لا يؤخذ به ومعنى
انظرنا يحتمل وجوها انتظرنا نفهم ونتبين ما تعلمنا والاخر فقهنا وبين لنا يا محمد والثالث اقبل علينا
ويجوز ان يكون معناه انظر الينا فحذف حرف الجر وقوله واسمعوا يحتمل امرين احدهما ان معناه اقبلوا ما يأمركم
به من قوله سمع الله لمن حمده وسمع الله دعاءك اي قبله والثاني ان معناه ما يأتيكم به الرسول عن الحسن وللكافرين
بمحمد والقرآن عذاب اليم اي موجع قال الحسن والضحاك كل ما في القرآن يا ايها الذين امنوا فانه نزل
بالمدينة قوله تعالى ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل
عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم. اية اللغة
المودة المحبة والاختصاص بالشيء هو الانفراد به وضد الاختصاص الاشتراك ويقال خصه بالشيء
يخصه خصا اذا فضله به والخصاص الفرج والخص بيت من قصب او شجر وانما سمي خصا لان فيه

من خصاص

خصاصا وكل خلل او خرق يكون في السحاب والمنخل فهو خصاصة واصل الباب الانفراد بالشيء ومنه قيل للفرج
الخصاص لانفراد كل واحد عن الآخر من غير جمع بينهما ويقال خصصته بالفائدة واختصصته اياها بها كما يقال افردت
بها وانفردت انا بها الاعراب الذين كفروا في موضع رفع لانه فاعل يود والمشركين في موضع جر بالعطف على اهل الكتاب
وتقديره ولا من المشركين وقوله ان ينزل في موضع نصب لانه مفعول يود ومن في قوله من خير زائدة مؤكدة كقولك
ما جاءني من احد وموضعه من خير رفع ومن في قوله من ربكم لابتداء الغاية ومن في قوله من اهل الكتاب للتبعيض والتبيين مثلها في قوله
فاجتنبوا الرجس من الاوثان المعنى ثم اخبر سبحانه ايضا عن اليهود فقال ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين
ان ينزل عليكم من خير من ربكم معناه ما يحب الكافرون من اهل الكتاب ولا المشركين بالله من عبدة الاوثان ان ينزل الله عليكم شيئا
من الخير الذي هو عنده والخير الذي تمنوا ان لا ينزله الله عليكم ما اوحى الى نبيه صلى الله عليه وآله والعلم من القرآن والشرائع حسدا منهم
وبغيا والله يختص برحمته من يشاء وروي عن امير المؤمنين وعن ابي جعفر الباقر ان المراد برحمته هنا النبوة وقاله
الحسن وابو علي والرماني وغيرهم من المفسرين قالوا يختص بالنبوة من يشاء من عباده والله ذو الفضل العظيم هذا خبر منه
سبحانه لان كل خير نال عباده في دينهم ودنياهم فانه من عنده ابتداء منه اليهم وتفضلا عليهم من غير
استحقاق منهم لذلك عليه فهو عظيم الفضل والمن والطول قوله تعالى ما ننسخ من اية او ننسها نأت بخير منها
او مثلها الم تعلم ان الله على كل شيء قدير. اية القراءة قرأ ابن عامر ما ننسخ بضم النون وكسر السين والباقون بفتح
النون وكسر السين بلا همز الحجة اما قراءة ابن عامر ننسخ فلا يخلو من ان يكون افعل لغة في فعل نحو بدأ وابدأ وحل من حلم
واحل او يكون الهمزة للنقل نحو ضرب واضربته ونسخ الكتاب وانسخته او يكون المعنى فانسخ الآية
وجدتها منسوخة كقولهم احمدت زيدا واعطته والوجه الصحيح هو الاول وهو ان نسخ وانسخ لغتان متفقتان في المعنى
وان اختلفتا في اللفظ وقول من فتح النون ابين واوضح واما ننسأها فهي من النسأ وهو التأخير يقال نسأت
الابل عن الحوض انساها نسأ اذا اخرتها وانسأت انا اي اخرت ومنه قولهم انسأ الله اجلك ونسأ في اجلك
واما القراءة الاخرى فمن النسيان الذي هو بمعنى السهو ومعنى الترك. اللغة النسخ في اللغة ابطال شيء واقامة آخر
مقامه يقال نسخت الشمس الظل اي اذهبته وحلت محله وقال ابن دريد كل شيء خلف شيئا فقد انتسخه وانتسخ الشيب
الشباب وتناسخ الورثة ان يموت ورثة بعد ورثة واصل الميراث قائم لم يقسم وكذلك تناسخ الازمنة والقرون
بعد القرون الماضية واصله الابدال من الشيء غيره وقال علي بن عيسى النسخ الرفع لشيء قد كان يلزم العمل به
الى بدل منه وذلك كنسخ الشمس الظل لانه يصير بدلا منه في مكانها وهذا ليس بصحيح لانه ينتقض بمن لزمه الصلاة قائما
فعجز عن القيام فانه يسقط عنه القيام لعجزه ولا يسمى العجز ناسخا ولا القيام منسوخا وينتقض ايضا بمن يستبيح الشيء بحكم العقل
ويرد في الشرع حظره فانه لا يقال ان الشرع نسخ حكم العقل ولا ان حكم العقل منسوخ والاولى ان يحد النسخ الشرعي
هو كل دليل شرعي دل على ان مثل الحكم الثابت بالنص الاول غير ثابت في المستقبل على وجه لولاه لكان ثابتا
بالنص الاول مع تراخيه عنه والنسخ في القرآن على ضروب منها ان يرفع حكم الآية وتلاوتها كما روي عن ابي بكر انه قال
كنا نقرأ لا ترغبوا عن آبائكم فانه كفر بكم ومنها ان تثبت الآية في الخط ويرفع حكمها كقوله وان فاتكم شيء من ازواجكم
الى الكفار فعاقبتم الآية فهذه الآية ثابتة اللفظ في الخط مرتفعة الحكم ومنها ما يرتفع اللفظ ويثبت الحكم كآية الرجم
فقد قيل انها كانت منزلة فرفع لفظها وقد جاءت اخبار كثيرة بان اشياء كانت في القرآن فنسخ تلاوتها فمنها
ما روي عن ابي موسى انهم كانوا يقرؤون لو ان لابن ادم واديين من مال لابتغى اليهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن ادم الا التراب
ويتوب الله على من تاب ثم رفع وعن انس ان السبعين من الانصار الذين قتلوا ببئر معونة قرأنا فيهم كتابا
بلغوا عنا قومنا انا لقينا ربنا فرضي عنا وارضانا ثم ان ذلك رفع وقال ابو عبيدة معنى ننسها

بفتحهما وقرأ ابن كثير وابو عمرو ننسأها بفتح النون والسين واثبات الهمزة والباقون ٦٣

اي تمضيها فلا تنسخها في الطرف امون كالواح الاران نسأتها على لاحب كانه ظهر برجد اي تمضيها وقال عروة
ونساءت الابل في ظمئها انساها نساء اذا زدتها في ظمئها يوما او يومين وظميتها منعها الماء ونسأت الماشية
السنا فتسنا اذا سمنت وكل سمين ناسئ قال الزجاج وتاويله ان جلودها نسأت اي اخرجت عن عظامها
وقد لعرم لماقيل ذلك لانها اخرت في المرعى حتى سمنت ويقال للعصا المنساة لانه ينسأ بها اي يؤخر
بها المساق عن مكانه او يدفع بها الانسان عن نفسه الاذى ونساءت نافتي اذا دفعتها في السير واصل الباب التاخير
الاعراب قوله ما ننسخ ما اسم نائب مناب ان وهو في موضع نصب بننسخ ولعا لزم التقديم وان كان مفعولا ومن حق
المفعول ان يكون بعد الفاعل لنيابته عن حرف الشرط الذي له صدر الكلام وننسخ مجزوم بالشرط وننسها جزم
لانه معطوف عليه ونات مجزوم لانه جزاء ومن في قوله من اية للتبعيض وقيل هي مزيدة ولفظ الم ههنا لفظ الاستفهام
ومعناه التقرير وتعلم مجزوم بلم لان حرف الاستفهام لا يغير العامل عن عمله المعنى ما ننسخ من اية قد ذكرنا
حقيقة النسخ عند المحققين وقيل معناه ما نرفع من اية او حكم اية وقيل معناه ما نبدل من اية عن ابن عباس او ننسها
او ننسها فمعناه على وجهين فان لفظ ننسى المنقول منه ابتنى على ضربين احدهما بمعنى النسيان الذي هو خلاف الذكر
نحو قوله واذكر ربك اذا نسيت والاخر بمعنى الترك نحو قوله نسوا الله فنسيهم اي تركوا طاعة الله فترك
رحمتهم او ترك تخليصهم فالوجه الاول في الاية مروي عن قتادة وهو ان يكون محمولا على النسيان الذي هو ضد
الذكر ويجوز ذلك على الامة بان يؤمروا بترك قراءتها فينسونها على طول الايام ولا يجوز ذلك على النبي صلعم لانه يؤدي
الى التنفير كذا رواه الشيخ ابو جعفر في تفسيره وقد جوز ذلك جماعة من المحققين ذلك على النبي صلعم قالوا لانه
لا يؤدي الى التنفير لتعلقه بالمصلحة ويجوز ايضا ان ينسيهم ذلك على الحقيقة وان كانوا جمعا كثيرا
وجما غفيرا بان يفعل النسيان في قلوب الجميع وان كان ذلك خارقا للعادة ويكون معجزا للنبي ص واستدل
من حمل الاية على النسيان الذي هو خلاف الذكر وجوز كون النبي صلعم مرادا به بقوله سنقرئك فلا تنسى الا ما
شاء الله اي ما شاء الله ان ننساه قال والى هذا ذهب الحسن فقال ان نبيكم اوتي القرآن ثم نسيه وانكر الزجاج
هذا القول وقال ان الله عز وجل انبا النبي صلعم في قوله ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك بانه لا يشاء
ان يذهب بما اوحى الى النبي صلعم قال ابو علي الفارسي هذا الذي احتج به على من ذهب الى ان ننساها من
النسيان لا يدل على فساد ما ذهبوا اليه وذلك ان قوله ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك انما هو على ما لا يجوز
عليه النسخ والتبديل من الاخبار واقاصيص الامم ونحو ذلك مما لا يجوز عليه التبديل والذي ننساه النبي صلعم
هو ما يجوز ان ينسخ من الاوامر والنواهي الموقوفة على المصلحة في الاوقات التي يكون ذلك فيها اصلح ويدل
على ان ننسها من النسيان الذي هو خلاف الذكر قراءة من قرا او ننسها وهي قراءة سعد بن ابي وقاص
وقراءة من قرا او ننسكها وهو المروي عن سالم مولى ابي حذيفة وقراءة من قرا او ننسها وهو المروي عن [illegible]
مالك فالمعنى المراد المحذوف في قراءة من قرا او ننسها مظهر في قراءة من قرا او ننسكها ويبينه ما روي عن
الضحاك انه قرا ننسها ويؤكد ذلك ما روي من قراءة ابن مسعود ما ننسك من اية او ننسخها ونقرا [illegible]
ومروي عن مجاهد انه قال في قراءة ابي ما ننسخ من اية او ننسك فهذا كله يثبت قراءة من جعل ننسها من النسيان
ويؤكد ذلك ما روي عن قتادة انه قال كانت الاية تنسخ بالاية وينسي الله نبيه من ذلك شيئا والوجه الثاني
وهو ان المراد بالنسيان الترك في الاية مروي عن ابن عباس فعلى هذا يكون المراد ننسها نامركم بتركها اي بترك
العمل بها قال الزجاج انما يقال في هذا نسيت اذا تركت ولا يقال انسيته تركت وانما معنى ننسها اي نتركها
اي نامركم بتركها قال ابو علي من قال نسيت بمعنى تركت لا يكون مخطئا لانك اذا نسيت فقد نسيت ومن جعل

قال علي بن عيسى اما قراءة المشهورة على ما يؤول اليه المعنى لانه اذا امر بتركها فقد تركها فان قيل اذا كان نسخ هذه الاية رفعها وتركها
ان لا تنزل فما معنى ذلك وما الجمع بينهما قيل ليس معنى تركها ان لا تنزل وقد غلط الزجاج في توهم ذلك وانما معناه اقرارها فلا ترفع
كما قال ابن عباس تركها لا يبدلها واضاف الترك الى القديم سبحانه لتنحو هذا الاتساع كقوله تعالى وتركهم في ظلمات
لا يبصرون وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض اي خليناهم وذلك ولمن قرا او ننساها على معنى التاخير فقيل نؤخرها عن
النسخ الى وقت ثان ونأتي بدلا منها في الوقت المتقدم بما يقوم مقامها فاما انها ان يكون معنى التاخير ان ينزل القران
فيعمل به ويتلى ثم يؤخر بعد ذلك بان ينسخ فترفع تلاوته البتة ويمحى فلا ينسى ولا يعمل بتاويله مثل ما روي عن زر بن حبيش
ان ابيا قال له كم تقرؤن الاحزاب قال بضعا وسبعين اية قال قد قراتها ونحن مع رسول الله اطول من سورة البقرة
اورده ابو علي في كتاب الحجة ورابعها ان يؤخر العمل بالتاويل لانه نسخ ويترك خطه مثبتا وتلاوته قرانا يتلى وهو ما حكي
عن مجاهد يثبت خطها ويبدل حكمها والوجهان الاولان عليهما الاعتماد لان الوجهين الاخرين يرجع معناهما الى معنى
النسخ فلا يحسن ان يكون في التقدير محصول معناه ما ننسخ من اية او ننسخها وهذا لا يصح على ان الوجه الاول ايضا فيه ضعف لانه لا فائدة في
تاخير ما لم يعرفه العباد ولا علموه ولا سمعوه فالاقوى هو الوجه الثاني وقوله نات بخير منها او مثلها فيه قولان احدهما نات
بخير منها لكم في التسهيل والتيسير كالامر بالقتال الذي سهل على المؤمنين بقوله الان خفف الله عنكم او مثلها في السهولة كالعبادة
بالتوجه الى الكعبة بعد ان كان الى بيت المقدس عن ابن عباس والثاني نات بخير منها في الوقت الثاني اي هي
لكم في الوقت الثاني خير لكم في الوقت الاول في باب المصلحة او مثلها في ذلك عن الحسن وقوله الم تعلم ان الله على
كل شيء قدير فقيل هو خطاب للنبي صلعم وقيل خطاب لجميع المكلفين والمراد الم تعلم ايها السامع او ايها الانسان ان الله
قادر على ايات وسور مثل القران ينسخ بها ما امر فيقوم في النفع مقام المنسوخ وعلى القول الاول معناه الم تعلم يا محمد انه سبحانه
قادر على نصرك والانتصار لك من عدوك وقيل هو عام في كل شيء واستدل من زعم انه لا يجوز نسخ القران بالسنة
المعلومة بهذه الاية لانه اضاف الاتيان بخير منها الى نفسه والسنة لا تضاف اليه حقيقة ثم قال بعد ذلك الم تعلم
ان الله على كل شيء قدير فلا بد من ان يكون المراد ما يختص بالقدرة عليه من القران المعجز والصحيح ان القران يجوز ان
ينسخ بالسنة المقطوع عليها ومعنى خير منها اي اصلح منها لنا في ديننا وانفع لنا بان نستحق به مزيد الثواب فان اضافة
ذلك اليه تعالى صحيح لان السنة انما هي بوحيه تعالى وامره واضافتها اليه كاضافة كلامه واخر الاية انما يدل
على انه قادر على ان ينسخ الاية بما هو اصلح وانفع سواء كان ذلك بقران او سنة وفي هذه الاية دلالة على ان القران
محدث وانه غير الله تعالى لان القديم لا يصح نسخه ولا انه اثبت له مثلا وانه سبحانه قادر عليه وما كان داخلا تحت
القدرة فهو فعل والفعل لا يكون الا محدثا النظم لما قال سبحانه في الاية الاولى ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب
ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم ودل بهذه الاية على انه سبحانه لا يخليهم من انزال الخير اليهم بخلاف ما تمنا
اعداؤهم فيهم وانه ابدا ينزل عليهم ما هو اصلح لهم عن علي بن عيسى وقيل انه سبحانه لما عاب اليهود باشياء ورد عليهم
ما راموا به الطعن في امر نبينا صلعم كان مما طعنوا به فيه ان قالوا ينسخ كل شريعة تقدمت شريعته فبين الله سبحانه
جواز ذلك ردا عليهم عن ابي مسلم قوله تعالى الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض وما لكم
من دون الله من ولي ولا نصير ❊ اية اللغة الولي هو القائم بالامر ومنه ولي عهد المسلمين ودون الله سوى الله قال
امية بن ابي الصلت يا نفس ما لك من دون الله من واق ❊ وما على حدثان الدهر من باق ❊ والنصير الناصر
وهو المؤيد والمقوي الاعراب والمعنى الم تعلم استفهام تقرير وتثبيت ويؤول في المعنى الى الايجاب فكانه قال
قد علمت حقيقة كما قال جرير الستم خير من ركب المطايا ❊ فلهذا خاطب به النبي صلعم وقيل ان الاية
وان كان خطابا للنبي صلعم فالمراد امته كقوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء ومثله كقول الكميت

في مدح النبي صلعم لم يقتضيه المقام ولو كثر فيه التحجاج والعجب وقيل ام منقطعة بل قصدت ولو عنيا القائلون
او تكون انه لم المستوي المهذب المحض في النسبة ان نص فيه هامان انسب فاخرج كلام مخرج الخطاب للنبي صلعم
والمراد به اهل بيته لان احدا من المسلمين لا يعترف مادح النبي صلعم ولا يكثر التحجاج والعجب في خطاب العوام فيه
وكذا قوله الم تعلم ايها الانسان ان الله له ملك السموات والارض لانه خلقهما وما فيهما وقوله وما لكم
من قال انه خطاب النبي صلعم قال انه تعظيم الجمع في الخطاب تعظيما للامر وتفخيما للقدر ومن قال هي خطاب له وللمؤمنين
ولهم خاصة فالمعنى الم تعلموا ما لكم ايها الناس من دون الله اي سوى الله من ولي يقوم بامركم ولا نصير ينصركم قوله تعالى
ام تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل • اللغة
السؤال هو ان يطلب الشيء ممن يعلم معنى الطلب وسواء بالمد على ثلاثة اوجه بمعنى قصد وعدل وبمعنى وسط في قوله في سواء الجحيم
وبمعنى غير في قوله اتيت سواك اي غيرك وبمعنى ضل عنه اذا ذهب عن الاستقامة قال الاخطل كنت القذى في موج اكدر
مزبد قذف الاتي به فضل ضلالا اي ذهب يمينا وشمالا والسبيل والطريق والمذهب نظائر والجمع السبل • الاعراب
ام هذه منقطعة فان ام على ضربين متصلة ومنقطعة فالمتصلة عديل الالف وهي مفرقة لما جمعته اي كما ان او مفرقة
لما جمعه احد تقول اضرب ايهم شئت زيدا ام عمروا ام بكرا كما تقول اضرب احدهم زيدا او عمروا او بكرا
والمنقطعة لا تكون الا بعد كلام لانها بمعنى بل وهمزة الاستفهام كقول العرب انها لابل ام شاء كانه قال بل هي شاء
فقوله ام تريدون معناه بل اتريدون ومثله قول الاخطل كذبتك عينك ام رايت بواسط غلس الظلام من الرباب
خيالا ان تسألوا موصول وصلة في محل النصب لانه مفعول تريدون كما ان الكاف حرف جر وما حرف موصول
سئل موسى جملة فعلية هي صلة ما والموصول والصلة في محل الجر بالكاف والكاف
يتعلق بتسألوا والجار والمجرور في محل النصب على المصدر ومن قبل في محل النصب لانه ظرف قوله سئل ومن اسم الشرط
في محل الرفع بالابتداء والفاء في قوله فقد ضل سواء السبيل في محل الجزم لانه جواب الشرط ومعنى حرف الشرط
الذي تضمنه من مع الجملتين في محل الرفع لانه خبر المبتداء • النزول اختلف في سبب نزول الاية فروى عن ابن عباس
انه قال ان رافع بن حريملة ووهب بن زيد قالا لرسول الله صلعم ائتنا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرؤه وفجر لنا
انهارا نتبعك ونصدقك فانزل الله هذه الاية وقال الحسن عنى بذلك مشركي العرب وقد سألوا فقالوا لن نؤمن
لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى قوله او تأتي بالله والملائكة قبيلا وقالوا لولا انزل علينا الملائكة او نرى
ربنا وقال السدي سألت العرب محمدا ان يأتيهم بالله فيروه جهرة وقال مجاهد سألت قريش محمدا ان يجعل لهم الصفا
ذهبا فقال لهم نعم ولكن تكون لكم كالمائدة لقوم عيسى فرجعوا وقال ابو علي الجبائي روي ان رسول الله صلعم
سأله قوم ان يجعل لهم ذات انواط كما كان للمشركين ذات انواط وهي شجرة كانوا يعبدونها ويعلقون عليها التمر
وغيره من المأكولات كما سألوا موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة • المعنى ام تريدون اي بل تريدون ان تسألوا رسولكم يعني
النبي محمدا صلعم كما سئل قوم موسى من قبل من الاقتراحات والمحالات ومن يتبدل الكفر بالايمان اي
من استبدل الجحود بالله وباياته بالتصديق والاقرار به وباياته واقتراح المحالات على النبي صلعم وسأل عما لا يعنيه
بعد وضوح الحق بالبراهين فقد ضل سواء السبيل اي ذهب عن قصد الطريق وقيل عن طريق الاستقامة
وقيل عن وسط الطريق لان وسط الطريق خير من اطرافه • النظم وجه اتصال هذه الاية بما قبلها انه لما دل الله
تعالى بما تقدم على تدبيره لهم فيما يأتي من الايات وما ينسخه واختياره لهم ما هو الاصلح في كل حال
قال لهم اما تكتفون بذلك وكيف تتخيرون محالات الله مع اختيار الله تعالى لكم ما يعلم فيه المصلحة فاذا اتى
باية تقوم بها الحجة فليس لاحد الاعتراض عليها ولا اقتراح غيرها لان ذلك بعد صحة البرهان فلا يكون تعنتا

قوله تعالى ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا
واصفحوا حتى يأتي الله بامره ان الله على كل شيء قدير • اللغة الحسد ارادة زوال نعمة المحسود اليه او كراهة النعمة التي
هو فيها وارادة ان تصير تلك النعمة بعينها له وقد يكون محض زوال نعمة الغير حسدا وان لم يطمع الحاسد في تحول تلك النعمة
واشد الحسد التعرض للاغتمام بكون الخير لاحد واما الغبطة فهي ان يريد مثل النعمة التي فيها الغير وان لم يرد زوالها عنه والحسد
كونه فهذه جنس مذموم والحسد مذموم ويقال حسدته على الشيء احسده حسدا وحسدته الشيء بمعنى واحد ومنتهى الشيء
يجده الناس الطغاما والصفح والعفو والتجاوز عن الذنب بمعنى واحد ويقال لظاهر جلدة الانسان صفحته وكذا هو من كل شيء
ومنه صافحته اي لقيت صفحته كفه صفحة كفي وقولهم صفحت عنه قولان احدهما ان معناه اني لم اخذه بذنبه وابديت له مني صفحة
جميلة والاخر انه لم ير مني ما يقبض صفحته ويقال صفحت الورقة اي تجاوزتها الى غيرها ومنه تصفحت الكتاب وقد يتصفح الكتاب
من لا يحسن ان يقراه • الاعراب من في قوله من اهل الكتاب يتعلق بمحذوف وتقديره ود كثير كائن من اهل الكتاب فيكون
صفة لكثير من بعد في محل النصب على الظرف والعامل فيه يرد وكفارا مفعول ثان ليردو ومفعوله الاول كم من يردونكم وفي
وجه انتصاب قوله حسدا وجهان احدهما ان الجملة التي قبله بدل على الفعل هو مصدره وتقديره حسدوكم حسدا
كما يقال تمنى لكم الشر حسدا فان قيل يحسدك حسدا والاخر ان يكون مفعولا له فكانه قال يردونكم كفارا لاجل الحسد
كما تقول جئته خوفا منه وقوله من عند انفسهم يتعلق بقوله ود كثير لا بقوله حسدا لان حسد الانسان لا يكون من غير نفسه
قال الزجاج وقد يجوز ان يتعلق بقوله حسدا على التوكيد كقوله تعالى ولا طائر يطير بجناحيه ويحتمل وجها اخر
وهو ان يكون اليهود قد اضافوا الكفر والمعاصي الى الله تعالى فقال الله سبحانه تكذيبا لهم ان ذلك من عند انفسهم
وقوله ما تبين ما حرف موصول وتبين لهم الحق صلته والموصول والصلة في الجر باضافة بعد اليه حتى يأتي الله يأتي منصوب
باضمار ان وهما في محل الجر بحتى الجار والمجرور معمول فاعفوا واصفحوا • النزول نزلت الاية في حيي بن اخطب واخيه
ابي ياسر بن اخطب وقد دخلا على النبي صلعم حين قدم المدينة فلما خرجا قيل لحيي اهو نبي قال هو هو فقيل فما له عندك
قال العداوة الى الموت وهو الذي نقض العهد واثار الحرب يوم الاحزاب عن ابن عباس وقيل نزلت في كعب بن الاشرف
عن الزهري وقيل في جماعة اليهود عن الحسن • المعنى ثم اخبر الله عن سرائر اليهود فقال ود اي تمنى كثير
من اهل الكتاب كحيي بن اخطب وكعب بن الاشرف وامثالهما لو يردونكم معناه ان يردوكم يا معشر المؤمنين اي يرجعونكم
من بعد ايمانكم حسدا منهم لكم وبما اعد الله لكم من الثواب والخير وانما قال كثير من اهل الكتاب لان منهم من امن منهم
كعبد الله بن سلام وكعب الاحبار وقيل انما حسد اليهود المسلمين على وضع النبوة فيهم وذهابها عنهم وزوال الرياسة
اليهم وقوله من عند انفسهم قد بينا ما فيه في الاعراب وقوله من بعد ما تبين لهم الحق اي من بعد ما تبين لهم ان محمدا رسول
الله والاسلام دين الله عن ابن عباس وقتادة والسدي وقوله فاعفوا واصفحوا اي تجاوزوا عنهم وقيل ارسلوا اليهم فانهم
لا يفوتون الله ولا يعجزونه وانما امرهم بالعفو والصفح وان كانوا مضطهدين مقهورين من حيث ان كثيرا من المسلمين كانوا
عزيزين في عشايرهم واقوامهم يقدرون على الانتقام من الكفار فامرهم الله بالعفو وان كانوا قادرين على الانتصاف حتى يأتي
بامره اي بامره لكم بعقابهم او يعاقبهم هو على ذلك ثم اتاهم بامره فقال قاتلوا الذين لا يؤمنون الاية عن ابي علي وقيل بامره اي
القتل والسبي لبني قريظة والجلاء لبني النضير عن ابن عباس وقيل بامره بالقتال عن قتادة وان هذه الاية منسوخة
بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر الاية وبه قال الربيع والسدي وقيل نسخت بقوله اقتلوا المشركين
حيث وجدتموهم وروي عن الباقر ع انه لم يؤمر رسول الله بقتال ولا اذن له فيه حتى نزل جبرئيل بهذه الاية
اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وقلده سيفا وقوله ان الله على كل شيء قدير فيه ثلثة اقوال احدها انه قدير
على عقابهم اذ هو على كل شيء قدير عن ابي علي وثانيها انه قدير على ان يدعوا الى دينه بما هو الاليق بالحكمة فيامر بالصفح تارة

بالعقاب احرى على حسب المصلحة من التعاجل والثالث انه امر بالامهال والتاخير في قوله فاعفوا واصفحوا وان
الله تعالى قادر على عقوبتهم بان يأمركم بقتالهم وعقابهم في الآخرة بنفسه قوله تعالى واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وما
تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله ان الله بما تعملون بصير • الاعراب ما اسم للشرط في موضع رفع
بالابتداء وتقدموا شرط من خير في موضع الحال والجار والمجرور معمول تقدموا وتجدوه مجزوم لانه جزاء وعلامة الجزم في
الشرط والجزاء سقوط النون ومعنى حرف الشرط الذي تضمنه ما عمل الشرط والجزاء في محل الرفع لانه خبر المبتدأ وما في قوله
بما تعملون اسم موصول او حرف موصول والموصول في موضع الجر بالباء والباء متعلق ببصير الذي هو خبر ان
المعنى لما امر الله سبحانه بالصفح عن الكفار والتجاوز عنهم ان يشق ذلك عليهم مع شدة عداوة اليهود وعنادهم
لهم فامرهم بالاستعانة على ذلك بالصلوة والزكوة فان في ذلك معونتهم مع ما يجازون بها من الثواب والاجر
كما قال في موضع آخر واستعينوا بالصبر والصلوة وقوله وما تقدموا لانفسكم من خير اي من طاعة واحسان وعمل
صالح تجدوه عند الله اي تجدوا ثوابه معدا لكم عند الله وقيل معناه تجدوه مكتوبا محفوظا عند الله ليجازيكم
به وفي هذه الآية دلالة على ان ثواب الخيرات والطاعات لا يضيع ولا يبطل ولا يحبط الا انه اذا احبطه لا يجده
وقوله ان الله بما تعملون بصير اي لا يخفى عليه شيء من اعمالكم يجازيكم على الاحسان بما تستحقونه من الثواب وعلى الاساءة
بما تستحقونه من العقاب فاعملوا عمل من يستيقن ان يجازيه على ذلك من لا يخفى عليه شيء من عمله ففي هذا دلالة
على ان الوعد والوعيد والامر والزجر وان كان خبرا عن غير ذلك في اللفظ قوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان
هودا او نصارى تلك امانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين • اللغة في هود ثلثة اقوال احدها
انه جمع هائد كعائذ وعوذ وحائل وحول وهو جمع للمؤنث والمذكر على لفظ واحد والهائد التائب الراجع الى الحق
وثانيها ان يكون مصدرا يصلح للواحد والجمع كما يقال رجل فطر وقوم فطر ورجل صوم وقوم صوم وثالثها
ان يكون معناه الا من كان يهودا فحذفت الياء الزائدة والبرهان والحجة والدلالة والبيان بمعنى واحد وهو ما يمكن الاستدلال
به على ما هو دلالة عليه مع قصد فاعله الى ذلك وفرق علي بن عيسى بين الدلالة والبرهان بان قال الدلالة قد تنبئ عن معنى فقط
لا يشهد بمعنى آخر وقد تنبئ عن معنى يشهد بمعنى آخر والبرهان ليس كذلك لانه بيان ينبئ عن معنى آخر وقد نوزع
في هذا الفرق وقيل انه مجرد الدعوى • الاعراب قالوا جملة فعلية والجنة ظرف مكان ليدخل والا ههنا
لنقض النفي ومن موصولة وهي مع صلته في موضع رفع بانه فاعل يدخل ولن يدخل مع ما بعده معمول قالوا وان حرف
شرط وجوابه محذوف تقديره ان كنتم صادقين فهاتوا برهانكم • المعنى ثم حكى سبحانه من اقوال اليهود
ودعاويهم الباطلة فقال وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى فهذا على الايجاز وتقديره قالت
اليهود لن يدخل الجنة الا من كان يهوديا وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصرانيا وقد جاز
لان لفظة من قد تكون للواحد وقد تكون للجماعة وانما قلنا ان الكلام مقدر هذا التقدير لان من المعلوم ان اليهود
لا يشهدون للنصارى بالجنة ولا النصارى لليهود فعلمنا انه ادرج الخبر عنهما للايجاز الكلام من غير اخلال
بشيء من المعنى فان شهرة الحال تغني عن البيان ذكرنا ومثله قول حسان بن ثابت امن يهجو رسول الله منكم
ويمدحه وينصره سواء تقديره ومن يمدحه وينصره غير انه لما كان اللفظ واحدا جمع مع الاول كانه اخبار عن جملة
واحدة وانما حقيقته عن بعضين مفترقين وقوله تلك امانيهم اي تلك المقالة اماني كاذبة يتمنونها على الله عن قتادة
والربيع وقيل امانيهم اباطيلهم بلغة قريش عن المؤرج وقيل معناه تلك اقاويلهم وتلاوتهم من قولهم تمنى اي تلا
وقد يجوز في العربية امانيهم بالتخفيف والتثقيل اجود قل يا محمد هاتوا اي احضروا وليس بامر وهو تعجيز وانكار يعني
اذا لم يمكنهم الاتيان ببرهان يصحح مقالتهم فاعلموا انه باطل فاسد برهانكم اي حجتكم عن الحسن ومجاهد

معناه وما تقدموا لانفسكم

والسدي

والسدي ان كنتم صادقين في قولكم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وفي هذه الآية دلالة على فساد التقليد
الا ترى انه لو جاز التقليد لما امروا بان يأتوا فيما قالوا ببرهان وفيها ايضا دلالة على جواز المحاجة في الدين قوله تعالى
بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون • اللغة اسلم يستعمل على وجهين
احدهما استسلم الى كذا اي اسلم فوض اليه تقول اسلمت ثوبي اليه والثاني اسلم اي اخلص ومنه قوله رجلا سلما لرجل اي خالصا
وقال عمرو بن نفيل اسلمت وجهي لمن اسلمت له الارض تحمل صخرا ثقالا واسلمت وجهي لمن اسلمت له المزن تحمل عذبا زلالا
والوجه مستقبل كل شيء ووجه الانسان محياه ويقال وجه الكلام تشبيها بوجه الانسان لانه اول ما يبدو منه ويعرف
به ويقال هذا وجه الرأي اي الذي يبدو منه ويعرف به والوجه من كل شيء ما يبدو ويظهر ويظهرونه بما بعده وقد تستعمل
العرب لفظة وجه الشيء وهم يريدون نفسه الا انهم ذكروه باللفظ الاشرف الانبه ودلوا عليه به كما قال سبحانه كل شيء هالك الا
وجهه اي الا هو وقال ويبقى وجه ربك اي يبقى ربك وقال الاعشى واول الحكم على وجهه ليس قضائي بالهوى الجائر اي على ما هو به من الصواب
وقال ذو الرمة فطاوعت همي وانجلى وجه نازل من الامر لم يترك خلاجا نزولها يريد وانجلى النازل من الامر • الاعراب
بلى تدخل في جواب الاستفهام مثل قوله الست بربكم قالوا بلى ويصلح ان يكون تقديره ههنا اما يدخل الجنة احد فقيل بلى
من اسلم وجهه لله لان ما تقدم يقتضي هذا السؤال ويصلح ان يكون جوابا للجحد على التكذيب كقولك ما قام زيد فيقول بلى قد قام
ويكون التقدير ههنا ليس الامر كما قالوا زعمتم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى ولكن من اسلم وجهه لله وهو محسن فهو يدخلها
ومن اسلم يجوز ان يكون موصولا ويجوز ان يكون للشرط فيكون اسلم اما صلة له واما مجزوم الموضع بكونه شرطا ويكون من مبتدأ وقوله
فله اجره الجزاء واللام يتعلق بمحذوف في محل الرفع لانه خبر كقوله اجره والمبتدأ مع خبره في محل الرفع لوقوعه
بعد الفاء مع ما دخل فيه في محل الجزم ومعنى حرف الشرط الذي تضمنه من عمل الشرط والجزاء في محل الرفع بانه خبر المبتدأ وان كان
من موصولا ثم مع اسلم مبتدأ والفاء مع ما بعده خبره وعند ربه ظرف مكان في موضع النصب على الحال تقديره كائنا
عند ربه والعامل فيه المحذوف الذي تعلق به اللام وذو الحال الضمير المستكن فيه وقوله وهو محسن في موضع النصب على الحال ايضا
قال فله اجره على التوحيد ثم قال ولا خوف عليهم لان من معناه اللفظ مجموع المعنى فحمل على اللفظ مرة وعلى المعنى اخرى • المعنى
ثم رد الله سبحانه عليهم مقالتهم فقال بلى من اسلم وجهه لله قيل معناه من اخلص نفسه لله بان سلك طريق مرضاته عن ابن عباس
وقيل وجه وجهه لطاعة الله وقيل فوض امره الى الله وقيل استسلم لامر الله وخضع وتواضع لله لان اصل الاسلام الخضوع
والانقياد وانما خص الوجه لانه اذا جاد بوجهه في السجود لم يبخل بسائر جوارحه وهو محسن في عمله وقيل وهو مؤمن وقيل مخلص
فله اجره عند ربه معناه فله جزاء عمله عند الله تعالى ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وهذا ظاهر على قول من يقول انه
لا يكون على اهل الجنة خوف ولا حزن في الآخرة واما على قول من قال ان بعضهم يخاف ثم يأمن فمعناه انهم يخافون فوات
جزاء اعمالهم لانهم يكونون على ثقة بان ذلك لا يفوتهم قوله تعالى وقالت اليهود ليست النصارى على شيء
وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم
يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون • اللغة القيمة مصدر الا انه صار كالعلم على وقت بعينه وهو الوقت
الذي يبعث الله عز وجل فيه الخلق فيقومون من قبورهم الى محشرهم تقول قام يقوم قياما وقيامة مثل عاذ يعوذ عياذا وعياذة
الاعراب وهم يتلون جملة من مبتدأ وخبر منصوبة الموضع على الحال والعامل قالت وذو الحال اليهود والنصارى
والكاف في كذلك يتعلق بيتلون او بقال الذين وتقديره وهم يتلون الكتاب كتلاوتكم او قال الذين لا يعلمون
وهم المشركون كقول اليهود والنصارى ومثل صفة مصدر محذوف تقديره قولا مثل قولهم • النزول
قال ابن عباس انه لما قدم وفد نجران من النصارى على رسول الله اتتهم احبار اليهود فتنازعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
رافع بن حرملة ما انتم على شيء وجحد نبوة عيسى وكفر بالانجيل فقال رجل من اهل نجران ليست اليهود على شيء وجحد نبوة

موسى وكفرنا بالتورية فانزل الله هذه الآية والمعنى انه تعالى ذم بهذا ما بين اهل الكتاب من الاختلاف مع تلاوة الكتاب فقال وقالت اليهود ليست النصارى على شيء اي في تدينهم بالنصرانية وقالت النصارى ليست اليهود على شيء في تدينهم باليهودية وهم يتلون الكتاب اي يقرءونه وذكر فيه وجهان احدهما ان فيه حل الشبهة بانه ليس في تلاوة الكتاب معتبر في الانكار لما بين على الكفار برهان فلا ينبغي ان يدخل الشبهة بانكار اهل الكتاب لملة الاسلام اذ كل فريق من اهل الكتاب قد انكر ما عليه الآخر ثم بين ان سبيلهم كسبيل من لا يعلم من مشركي العرب وغيرهم ممن لا كتاب لهم في الانكار لدين الاسلام والوجه الآخر انه لم يكن ذلك من اهل الكتاب على جهة العناد اذ قد ساوى المعاند منهم المحق الجاهل في الذم فلم ينفعه علمه وقوله كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم معناه ان مشركي العرب الذين هم جهال وليس لهم كتاب هكذا قالوا لنبيهم وقالوا انهم ليسوا على شيء من الدين مثل ما قالت اليهود والنصارى بعضهم لبعض عن السدي ومقاتل وقيل معناه ان مشركي العرب قالوا ان جميع الانبياء واممهم لم يكونوا على شيء وكانوا على خطأ اي فقد ساووكم يا معشر اليهود في الانكار منهم لا يعلمون وقيل ان هؤلاء الذين لا يعلمون امم كانت قبل اليهود والنصارى وقبل التورية والانجيل كقوم نوح وعاد وثمود قالوا لانبيائهم لستم على شيء عن عطا وقيل ان الاصح ان المراد بقوله كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم اسلاف اليهود والمراد بقوله قالت اليهود ليست النصارى على شيء هؤلاء الذين كانوا على عهد النبي صلعم لانه حكى قول مبطل فلا يجوز ان يعطف عليه قول مبطل محق وقوله فالله يحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون فيه وجوه احدها ان حكمه فيهم ان يكذبهم جميعا ويدخلهم النار عن الحسن وثانيها ان يريهم من يدخل الجنة عيانا ومن يدخل النار عيانا وهذا هو الحكم الفصل في الآخرة بما يصير اليه كل فريق فاما الحكم بينهم في العقد فقد بينه الله عز وجل فيما اظهر من حجج المسلمين وفي عجز الخلق عن ان يأتوا بمثل هذا القرآن عن الزجاج قوله تعالى ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم . آيتان بصري وآية واحدة عد غيرهم عند اهل البصرة الا خائفين . اللغة المنع والصد والحيلولة نظاير وضد المنع الاطلاق يقال منعه فامتنع ورجل منيع لا يخلص اليه وهو في عز ومنعة بتخفيف ويثقل وامرأة منيعة لا تؤاتي على فاحشة والسعي والركض والعدو نظاير وضد السعي الوقف وفلان يسعى على عياله اي يكسب لهم وسعى الساعي اذا ولي امر الصدقة قال الشاعر سعى عقالا فلم يترك لنا سبدا فكيف لو قد سعى عمرو عقالين والعقال صدقة عام وساعي الامة اذا فجر بها ولا يكون المساعاة الا في الاماء والخراب والهدم والنقض نظاير والخربة سعة خرق الاذن وكل ثقب مستدير والخارب اللص قال الاصمعي يختص بسارق الابل والخرابة سرقة الابل . الاعراب من موضعه من رفع وهو استفهام وقوله رفع لانه خبر الابتداء وموضع ان نصب على البدل من مساجد وهو بدل الاشتمال والتقدير ومن اظلم ممن منع ان يذكر في مساجد الله اسمه ويجوز ان يكون موضع ان نصب على انه مفعول له فيكون على تقدير كراهة ان يذكر فيها اسمه ويجوز ان يكون على حذف من تقديره من ان يذكر وان يدخلوها في موضع رفع بانه اسم كان وقيل الكلام ههنا لنفي النفي وخائفين منصوب على الحال وقوله خزي مرفوع من وجهين احدهما الابتداء والآخر ان يكون مرفوعا بالظرف وقوله في الدنيا والآخرة في موضع نصب على الحال وذو الحال الضمير المستكن في لهم وكذلك قوله في الآخرة . النزول اختلفوا في المعنى بهذه الآية فقال ابن عباس ومجاهد انهم الروم غزوا بيت المقدس وسعوا في خرابه حتى كانت ايام عمر واظهر الله المسلمين عليهم وصاروا لا يدخلوها الا خائفين وقال الحسن وقتادة وهو بختنصر خرب بيت المقدس واعانه عليه النصارى وروي عن ابي عبد الله عم انهم قريش حين منعوا رسول الله صلعم دخول مكة والمسجد الحرام وبه قال البلخي والرماني والجبائي وضعف هذا الوجه الطبري بان قال ان مشركي قريش لم يسعوا في تخريب المسجد الحرام

وقوله يفسد بان عمارة المسجد انما تكون بالصلوة فيها وخرابها المنع من الصلوة فيها وقد وردت الرواية بانهم هدموا مساجد كان اصحاب النبي صلعم يصلون فيها بمكة لما هاجر النبي صلعم الى المدينة قال وهو ايضا لا يتعلق بما قبلها من ذم اهل الكتاب كما يتعلق به اذا عنى النصارى وبيت المقدس والجواب انه قد جرى ايضا ذكر غير اهل الكتاب في قوله كذلك قال الذين لا يعلمون فلا يمتنع ان يتعقب لان الكلام خرج مخرج الذم فمرة توجه الذم الى اليهود ومرة الى النصارى ومرة الى عبدة الاصنام والمشركين . المعنى ومن اظلم اي واي احد اشد واعظم ظلما ممن منع مساجد الله من ان يذكر فيها اسمه ويكون معناه لا احد اظلم ممن منع ان يذكر في مساجد الله اسمه سبحانه وعمل في المنع من اقامة الجماعة والعبادة فيها فاذا حمل قوله مساجد الله على بيت المقدس او على الكعبة فانما جاز جمعه على احد وجهين اما ان يكون مواضع السجود فان المسجد العظيم يقال لكل موضع منه مسجد ويقال للجملة مسجد واما ان يدخل في هذه اللفظة المساجد التي بناها المسلمون للصلوة وروى زيد بن علي عن ابائه عن علي عم انه اراد جميع الارض لقول النبي صلعم جعلت لي الارض مسجدا وترابها طهورا وقوله وسعى في خرابها اي عمل في تخريبها او التخريب لخراجهم اهل الايمان منها عند الهجرة وقيل هو صدهم عنها ويجوز حمله على الامرين وقيل المراد المنع من الصلوة والطاعة فيها وهو السعي في خرابها وقوله ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين اي لا ينبغي لهم ان يدخلوها الا خائفين فيه خلاف قال ابن عباس معناه انه لا يدخل نصراني بيت المقدس الا نهك ضربا والمنع عقوبة وهو كذلك اليوم ومن قال المراد به المسجد الحرام قال لما نزلت هذه الآية امر النبي صلعم مناديا فنادى لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان فكانوا لا يدخلونه بعد ذلك وقال الجبائي بين الله سبحانه وتعالى انه ليس لهؤلاء المشركين دخول المسجد الحرام ولا دخول غيره من المساجد فان دخل منهم داخل الى بعض المساجد كان على المسلمين اخراجه منه الا ان يدخل الى بعض الحكام لخصومة بينه وبين غيره فيكون في موضع دخوله خائفا من الاخراج على وجه الطرد بعد انفصال خصومته ولا يقعد فيه مطمئنا كما يقعد المسلم وقال الشيخ ابو جعفر رحمه الله وهذا يليق بمذهبنا ويمكن الاستدلال بهذه الآية على ان الكفار لا يجوز ان يمكنوا من دخول المساجد على كل حال فاما المسجد الحرام خاصة فيستدل على ان المشركين يمنعون من دخوله ولا يمكنون منه لحكومة ولا غيرها بان الله تعالى قد امر بمنعهم من دخوله بقوله ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر يعني المسجد الحرام وقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وقال الزجاج اعلم الله سبحانه في هذه الآية ان امر المسلمين يظهر على جميع من خالفهم حتى لا يمكن دخول مخالف الى مساجدهم الا خائفا وهذا كقوله سبحانه ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون فكانه قال اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين لاعزاز الله الدين واظهاره المسلمين وقوله لهم في الدنيا خزي قيل فيه وجوه احدها ان يراد بالخزي انهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون عن قتادة وثانيها ان المراد به القتل والسبي للذراري والنساء ان كانوا حربا واعطاء الجزية ان كانوا ذمة وثالثها ان المراد بخزيهم في الدنيا انه اذا قام المهدي وفتح قسطنطينية فحينئذ يقتلهم عن السدي وورابعها ان المراد بالخزي طردهم عن دخول المساجد عن ابي علي وقوله ولهم في الآخرة عذاب عظيم يعني يوم القيمة يعذبهم الله في نار جهنم بالعذاب الاعظم اذا كانوا من كل ظالم اظلم قوله تعالى ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم . اللغة المشرق والشرق اسمان لمطلع الشمس وشرقت الشمس اذا طلعت واشرقت اضاءت ويقال لا افعل ذلك ما ذر شارق اي ما طلع قرن الشمس وايام التشريق ايام تشريق اللحم في الشمس وفي الحديث لا تشريق الا في مصر او في مسجد جامع اي لا صلوة عيد لان وقتها طلوع الشمس والمغرب والمغيب نظاير وهو موضع الغروب يقال غربت الشمس تغرب اذا غابت واصل الغرب الحد والتباعد وغربة النوى بعد المنتأى وغرب السيف حده سمي بذلك لانه يمضي فلا يرد وهو مأخوذ من الابعاد والواسع الغني سمي به لسعة مقدوراته وقيل هو كثير العطية والسعة والفسحة من النظاير وضد السعة الضيق ويقال وسع يسع سعة واوسع الرجل اذا صار ذا سعة في المال . الاعراب اللام في قوله لله المشرق لام الملك وانما وحد المشرق والمغرب لانه اخرج ذلك مخرج

الجنس فدل على الجمع كما يقال اهلك الناس الدينار والدرهم واين بني لتضمنه معنى الحرف وانما بني على الفتح لالتقاء الساكنين
وفيه معنى الشرط وتولوا مجزوم بالشرط وجوابه فثم وجه الله وعلامة الجزم في تولوا سقوط النون واين في موضع نصب لانه ظرف
لقوله تولوا وما في قوله اينما هي التي تهيئ الكلمة لعمل الجزم ولذلك لم يجازوا باذ وحيث حتى تضم اليهما ما فيقال حيثما
تكن اكن واذما تفعل افعل ولا يقال حيث تكن اكن واذ تفعل افعل ويجوز في اين الجزم وان لم يدخل عليها ما كقول الشاعر
اين تصرف بها العداة تجدنا نصرف العيس نحوها للتلاق وثم موضعه نصب لانه ظرف مكان وبني على الفتح
لالتقاء الساكنين وانما بني في الاصل لانه معرفة وحكم الاسم المعرفة ان يكون معربا وبني لتضمنه معنى الحرف الذي يكون فيه
التعريف والعهد الاشارة ثم لا يستعمل الا في مكان معهود معروف للمخاطب اشارة اليه. النزول اختلف في نزول
الآية فقيل ان اليهود انكروا تحويل القبلة الى الكعبة عن بيت المقدس فنزلت الآية ردا عليهم عن ابن عباس واختاره الجبائي
وقال ليبين سبحانه انه ليس في جهة دون جهة كما تقول المجسمة وقيل كان للمسلمين التوجه الى حيث شاؤوا في صلواتهم وفيه نزلت
الآية ثم نسخ ذلك بقوله فول وجهك شطر المسجد الحرام عن قتادة وكان النبي صلعم قد اختار التوجه الى بيت المقدس
وكان له ان يتوجه الى حيث شاء وقيل نزلت في صلوة التطوع على الراحلة تصليها حيث ما توجهت اذا كنت في
السفر واما الفرايض فقوله حيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره يعني ان الفرايض لا تصليها الا الى القبلة وهذا هو المروي
عن ائمتنا قالوا وصلى رسول الله صلعم ايماء على راحلته اينما توجهت به حيث خرج الى خيبر وحين رجع من مكة
وجعل الكعبة خلف ظهره وروي عن جابر قال بعث رسول الله صلعم سرية كنت فيها فاصابتنا ظلمة فلم نعرف القبلة
فقالت طائفة منا قد عرفنا القبلة هي هيهنا قبل الشمال فصلوا وخطوا خطوطا وقال بعضنا القبلة هيهنا
قبل الجنوب فخطوا خطوطا فلما اصبحوا وطلعت الشمس اصبحت تلك الخطوط لغير القبلة فلما قفلنا من سفرنا
سألنا النبي صلعم عن ذلك فسكت فانزل الله تعالى هذه الآية. المعنى ولله المشرق والمغرب اراد ان المشرق والمغرب
لله ملكا وقيل اراد بهما ناحيتيهما وطرفيهما وقيل معناه ان الله يتولى اشراق الشمس من مشرقها واغرابها من مغربها
فاينما تولوا فثم وجه الله معناه فاينما تولوا وجوهكم فحذف المفعول للعلم به فثم اي فهناك وجه الله اي قبلة الله عن
الحسن ومجاهد وقتادة والوجه والجهة والوجهة القبلة ومثله الوزن والزنة والعرب تسمي القصد الذي يتوجه اليه
وجها قال الشاعر: استغفر الله ذنبا لست محصيه رب العباد اليه الوجه والعمل ومعناه اليه القصد بالعبادة
وقيل معناه فثم الله يعلم ويرى فادعوه كيف توجهتم كقوله الا ابتغاء وجه ربه اي يريدونه بالدعاء وقال [illegible] من
المكان هنا ولما تراخى ثم وهناك وقوله كل شيء هالك الا وجهه اي الا هو ويبقى وجه ربك اي ويبقى ربك عن الكلبي
وقيل معناه فثم رضوان الله يعني الوجه الذي يؤدي الى رضوانه كما يقال هذا وجه الصواب عن ابي علي والرماني ان الله واسع
اي غني عن ابي عبيدة وتقديره غني عن طاعتكم وانما يريدها لما فيه منافعكم وقيل واسع الرحمة فلذلك رخص في الشريعة
عن الزجاج وقيل واسع المقدور يفعل ما يشاء عليم اي عالم بوجوه الحكمة فبادروا الى ما امركم وقيل عليم ان يصنع [illegible]
على ما توجبه الحكمة وقيل عليم بنياتكم حيثما صليتم ودعوتم. النظم وجه اتصال الآية بما قبلها ان القبلة لا تمنعكم
تخريب من خرب مساجد الله عن ان تذكروه حيث كنتم من ارضه فلله المشرق والمغرب والجهات كلها عن علي بن عيسى وقيل
لما تقدم ذكر الصلوة والمساجد عقبه بذكر القبلة وبيانها. قوله تعالى وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له
ما في السموات والارض كل له قانتون. القراءة قرأ ابن عامر قالوا بغير واو والباقون بالواو. الحجة
حذف الواو ههنا يجوز من وجهين احدهما ان يستأنف الجملة فلا يعطفها على ما تقدم والآخر ان الجملة التي هي وقالوا
اتخذ الله ولدا ملابسة بما قبلها من قوله ومن اظلم ممن منع مساجد الله الآية فان الذين قالوا اتخذ الله ولدا من جملة
الذين تقدم ذكرهم فيستغني عن الواو لالتباس الجملة بما قبلها كما استغنى عنها في نحو قوله والذين كفروا وكذبوا

بآياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ولو كان وهم فيها خالدون لكان حسنا. اللغة الاصل في القنوت الدوام
ثم يستعمل على وجوه منها ان يكون بمعنى الطاعة كقوله كل له قانتون اي مطيعون ومنها ان يكون بمعنى الصلوة كقوله يا مريم اقنتي
لربك واسجدي واركعي مع الراكعين وبمعنى طول القيام وروي عن جابر بن عبد الله قال سئل النبي صلعم اي الصلوة افضل
فقال طول القنوت اي طول القيام ويكون بمعنى الدعاء قال صاحب العين القنوت في الصلوة دعاء بعد القراءة في اخر الركعة
يدعو قائما ومنه قوله امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما ويكون بمعنى السكوت قال زيد بن ارقم كنا نتكلم في الصلوة حتى نزلت وقوموا
لله قانتين فامسكنا عن الكلام. النزول نزلت الآية في النصارى حيث قالوا المسيح ابن الله وقيل نزلت فيهم وفي مشركي
العرب حيث قالوا الملائكة بنات الله. المعنى لما حكى الله سبحانه قبائح اليهود في امر القبلة ورد عليهم ذكر مقالتهم
في التوحيد ورد عليهم وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه اي اجلالا له عن اتخاذ الولد وتنزيها له عن القبائح والسوء والصفات
التي لا تليق به وروي عن طلحة بن عبيد الله انه سأل النبي عن معنى قوله سبحانه فقال تنزيها لله عن كل سوء بل له ما في السموات
والارض هذا رد عليهم قولهم اتخذ الله ولدا اي ليس الامر كما زعموا بل له ما في السموات والارض ملكا والولد لا يكون ملكا للاب
لان البنوة والملك لا يجتمعان فكيف يكون الملائكة الذين في السماء والمسيح الذي هو في الارض ولدا له فبين بذلك ان
المسيح وغيره عبيد له مخلوقون مملوكون فهم عنده كسائر الخلق وقيل معناه بل له ما في السموات والارض فعلا وخلقا
لا يكون الا من جنس الفاعل والولد لا يكون الا من جنس ابيه فان من يتبنى شابا فالذي يتبناه لا بد ان يكون من جنسه
وقوله كل له قانتون قال مجاهد وابن عباس معناه مطيعون وقال السدي كل له مطيع يوم القيامة وقال الحسن
كل له قائم بالشهادة انه عبده وقال الجبائي كل دائم على حال واحدة بالشهادة بما فيه من آثار الصنعة والدلالة على
الربوبية وقال ابو مسلم كل في ملكه وقبضته يتصرف فيه كيف يشاء لا يمتنع عليه. قوله تعالى
بديع السموات والارض واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون. القراءة قرأ ابن عامر فيكون نصبا والباقون بالرفع
الحجة قال ابو علي تمتنع النصب في قوله فيكون لان قوله كن وان كان على لفظ الامر فليس بامر ولكن المراد به الخبر لان
الذي ليس بكائن لا يؤمر ولا يخاطب فالتقدير يكون فيكون فاللفظ لفظ الامر والمراد الخبر كقولهم في التعجب اكرم بزيد
فاذا لم يكن قوله كن امرا في المعنى وان كان على لفظه لم يجز ان ينصب الفعل بعد الفاء بانه جوابه كما لم يجز النصب في الفعل الذي
يدخله الفاء بعد الايجاب نحو اتيتك فاحدثك الا ان يكون في شعر نحو قوله لنا هضبة لا ينزل الذل وسطها ويأوي اليها
المستجير فيعصما ويدل ايضا على امتناع النصب فيه ان الجواب بالفاء لمضارع الجزاء فلا يجوز اذهب فاذهب فتذهب
على قياس قراءة ابن عامر كن فيكون لان المعنى يصير ان ذهبت ذهبت وهذا كلام لا يفيد وانما يفيد اذا اختلف
الفاعلان والفعلان نحو قم فاعطيك لان المعنى ان تقم اعطيتك واذا كان الامر على هذا لم يكن ما روي عنه من النصب
فيكون متجها ويمكن ان يقال فيه ان اللفظ لما كان على لفظ الامر حمله على اللفظ كما حمل ابو الحسن في نحو قوله قل لعبادي
الذين آمنوا يقيموا الصلوة على انه اجري مجرى جواب الامر وان لم يكن جوابا له على الحقيقة فالوجه في يكون الرفع على
ان يكون معطوفا على كن لان المراد به يكون فيكون او يكون خبر المبتدأ المحذوف وتقديره فهو يكون. اللغة
البديع بمعنى المبدع كالسميع بمعنى المسمع وبينهما فرق من حيث ان في بديع مبالغة ليست في مبدع ويستحق الوصف به
في غير حال الفعل على الحقيقة بمعنى ان من شأنه انشاء الاشياء على غير مثال واحتذاء والابتداع والاختراع
والانشاء نظاير وكل من احدث شيئا فقد ابدعه والاسم البدعة وفي الحديث كل بدعة ضلالة
وكل ضلالة سبيلها الى النار والقضاء والحكم من النظاير واصل القضاء الفصل واحكام الشيء قال ابو ذويب وعليهما
مسرودتان قضاهما داود او صنع السوابغ تبع اي احكمهما ثم يتصرف على وجوه منها الامر والوصية كقوله تعالى
وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه اي وصى ربك وامر ومنها ان يكون بمعنى الاخبار والاعلام كقوله وقضينا

الى ذلك الى بني اسرائيل اي اخبرناهم وقوله وقضينا اليه ذلك الامر اي عهدنا الى لوط ومنها ان يكون بمعنى الفراغ نحو قوله
فاذا قضيتم مناسككم اي فرغتم من امر المناسك وقوله فاذا قضيت الصلوة وروى علي بن موسى الرضا عن ابيه عن جده
الصادق ع قال القضاء على عشرة اوجه نذكر فيها الوجوه الثلاثة التي ذكرناها والرابع بمعنى الفعل في قوله فاقض ما انت قاض
اي افعل ما انت فاعل وقوله اذا قضى امرا يعني اذا فعل امرا كان في علمه ان يفعله فانما يقول له كن فيكون ومنه قوله اذا قضى الله ورسوله
امرا يقول لما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله شيئا في تزويج زينب ان يكون لهم الخيرة من امرهم والخامس قوله ليقض
علينا ربك اي لينزل علينا الموت وقوله لا يقضى عليهم فيموتوا اي لا ينزل بهم الموت وقوله فوكزه موسى فقضى عليه اي نزل به الموت
والسادس قوله وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر اي وجب العذاب فوقع باهل النار وكذا قوله وقال الشيطان لما قضي الامر
والسابع قوله وكان امرا مقضيا اي مكتوبا في اللوح المحفوظ انه يكون والثامن بمعنى الاتمام نحو قوله فلما قضى موسى الاجل ايما الاجلين
قضيت اي اتممت وقوله من قبل ان يقضى اليك وحيه اي من قبل ان يتم جبرئيل اليك الوحي والتاسع بمعنى الحكم والفصل
كقوله وقضي بينهم بالحق وان ربك يقضي بينهم اي يفصل وفي الانعام يقضي الحق اي يفصل الامر بيني وبينكم بالعذاب والعاشر
بمعنى الخلق في قوله فقضاهن سبع سموات اي خلقهن المعنى لما نزه سبحانه نفسه عن اتخاذ الولد ودل عليه بان له ما في السموات
والارض اكد ذلك بقوله بديع السموات والارض اي منشئ السموات والارض على غير مثال امتثله ولا احتذاه بل صنع خالق
كان قبله واذا قضى امرا قيل معناه اذا فعل امرا اي اذا احدث شيئا كقوله تعالى فاذا قرات القرآن فاستعذ بالله اي اذا اردت
قراءة القرآن وقيل معناه اذا احكم امرا وقيل معناه حكم وحتم بان يفعل امرا والاول اوضح وقوله فانما يقول له كن فيكون اختلف
فيه على وجوه احدها انه بمعنى التمثيل لان المعدوم لا يصح ان يخاطب ولا يؤمر وحقيقة معناه ان منزلة الفعل في تسهيله
وتيسره وانتفاء التعذر منه كمنزلة ما يقال له كن فيكون كما يقال قال فلان برأسه فقيل كذا اذا حرك رأسه واومى بيده ولم يقل
شيئا على الحقيقة وكما قال ابو النجم قد قالت الانساع للبطن الحق قدما فآضت كالفنيق المحنق وقال الآخر يصف
ثورا وغيره كالاعراض للعكور فكرة قال في الفلكين ان الجنوح اليوم في الكرومن وقال عمرو بن حممة الدوسي فاصبحت مثل
النسر طارت فراخه اذا رام تطيارا يقال له قع وقال آخر وقالت له العينان سمعا وطاعة وحدرتا كالدر لما يثقب
والمشهور فيه قول الشاعر امتلأ الحوض وقال قطني وهذا قول ابي علي وابي القاسم وجماعة من المعتزلة وثانيها انه علامة جعلها
للملائكة اذا سمعوها علموا انه احدث امرا وهذا هو المحكي عن ابي الهذيل وثالثها ما قاله بعضهم ان الاشياء المعدومة
لما كانت معلومة عند الله تعالى صارت كالموجود فصح ان يخاطبها ويقال لما شاء ايجاده منها كن ولا اصح من الاقوال
الاول وهو الاشبه بكلام العرب ويؤيده قوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين وربما
على القول الثاني فالمراد ان يقول للملائكة على جهة الاعلام منه واخبارهم عن الغيب كن اي يقول اكون فيكون فاصل كن
دعوة في معنى الخبر وان كان اللفظ لفظ الامر على ما تقدم بيانه وقد يجوز على هذا ان يكون فاعل كن الشيء المعدوم المراد كونه
وتقديره يقول من اجل الملائكة يكون الشيء كذا فيكون ذلك على ما يخبر به لا خلف له ولا تبديل عما يخبر به واما
القول الثالث فبعيد لان المعدوم لا يصح خطابه ولا امره بالكون والوجود ليخرج بهذا الامر الى الوجود لان ذلك يقتضي
للامر وتلقيه بالقبول والطاعة وهذا انما يتصور من المأمور الموجود دون المعدوم ولو صح ذلك لوجب ان يكون
المعدوم فاعلا لنفسه كما يكون المتلقي لما يؤمر به بالقبول فاعلا لما امر به وهذا فاسد ظاهر البطلان وقال بعضهم
انما يقول كن عند وجود الاشياء لا قبلها ولا بعدها كقوله ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون وانما اراد انهم
يدعوهم في حال خروجهم لا قبله ولا بعده وهذا الوجه ايضا ضعيف لان من شرط حسن الامر ان يتقدم المأمور به وكذلك
الدعاء وفي هذه الآية دلالة على انه سبحانه لا يجوز ان يتخذ ولدا لانه اذا ثبت انه منشئ السموات والارض ثبت بذلك
انه سبحانه ليس بصفة الاجسام والجواهر لان الجسم يتعذر عليه فعل الاجسام فمن كان هذه الصفة لم يجز عليه اتخاذ الولد

الاولاد

يقدم

ولانه

ولانه سبحانه قد اثنى على نفسه من حيث هو مبدع الاشياء بخلوه عن اتخاذ الابناء وتعالى قوله تعالى
وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله او تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون
آية اللغة اليقين والعلم والمعرفة نظائر في اللغة ونقيضه الشك والجهل وايقن وتيقن واستيقن بمعنى وقال صاحب
العين اليقين زوال الشك وقال ... من قطع بامر ولا يشك فيه فاليقين علم يثلج به الصدر ولذلك قيل وجدت
برد اليقين ولا يقال وجدت برد العلم الاعراب لولا بمعنى هلا ولا يدخل الا على فعل ومعناها التحضيض قال
تعدون عقر النيب افضل مجدكم بني ضوطرى لولا الكمي المقنعا اي هلا تعقرون الكمي المقنع والكاف في كذلك
تتعلق بقال والجار والمجرور في موضع نصب على المصدر اي كقولهم المعنى لما بين سبحانه خلافهم في التوحيد وادعائهم عليه
اتخاذ الولد عقبه بذكر خلافهم في النبوات وسلوكهم طريق التعنت والعناد فقال وقال الذين لا يعلمون وهم النصارى
عن مجاهد واليهود عن ابن عباس ومشركوا العرب عن قتادة لانهم الذين سألوا المحالات ولم يقتصروا على ما ظهر واتضح من المعجزات
وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الآيات الى آخرها ولانه وصفهم بانهم لا يعلمون فبين انهم ليسوا اهل الكتاب ومن
قال المراد به النصارى قال لان قبلها وقالوا اتخذ الله ولدا وهم الذين قالوا المسيح ابن الله وهذا لا دلالة فيه لانه يجوز ان يذكر
قوما ثم يستأنف بخبر عن قوم آخرين على ان مشركي العرب قد اضافوا ايضا الى الله سبحانه البنات فقد دخلوا في جملتهم وقال الحسن
والجبائي وقوله لولا يكلمنا الله اي هلا يكلمنا الله عيانا فيخبرنا بانك نبي وقيل هلا يكلمنا بكلامه كما كلم موسى وغيره من الانبياء
وقوله او تأتينا آية اي تأتينا آية موافقة لدعوتنا كما جاءت الانبياء آيات موافقة لدعوتهم ولم يريدوا انهم لم تأتهم آية وقد جاءتهم الآيات
المعجزات وقوله كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم قيل هم اليهود حيث اقترحوا الآيات على موسى عن مجاهد
ولانه حمل قوله الذين لا يعلمون على النصارى وقيل هم اليهود والنصارى جميعا عن قتادة والسدي وقيل سائر الكفار الذين كانوا
قبل الاسلام ص لنبي مسلم تشابهت قلوبهم اي اشبه بعضها بعضا في الكفر والقسوة والاعتراض على الانبياء من غير حجة
والتعنت والعناد كقول اليهود ارنا الله جهرة وقول النصارى للمسيح انزل علينا مائدة من السماء وقول العرب لنبينا حول لنا
الصفا ذهبا ولذلك قال سبحانه اتواصوا به وقوله قد بينا الآيات يعني الحجج والمعجزات التي يعلم بها صدق محمد صلعم لقوم يوقنون
اي يستدلون بها من الوجه الذي يجب الاستدلال به فايقنوا لذلك انك نبي فاستدلوا لو انصفوا حتى توقنوا كما ايقن اولئك يعني
فان فيما ظهر من الآيات الباهرات الدالة على صدقه كفاية لمن ترك التعنت والعناد فان قيل فلم لم يؤتوا الآيات التي اقترحوها
لتكون الحجة عليهم آكد قلنا الاعتبار في ذلك بالمصالح ولو علم الله سبحانه ان في اظهار ما اقترحوه من الآيات مصلحة لاظهرها
فلما لم يظهرها علمنا انه لم يكن في اظهارها مصلحة قوله تعالى انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسأل عن اصحاب الجحيم آية
القراءة قرأ نافع ولا تسأل بفتح التاء والجزم على النهي وروي ذلك عن ابي جعفر الباقر وابن عباس وكذلك القراءة وقرأ
الباقون على لفظ الخبر على ما لم يسم فاعله الحجة الرفع في تسئل يحتمل وجهين احدهما ان يكون حالا فيكون معطوفا
عطف على قوله بشيرا ونذيرا اي غير مسئول ويكون تذكر الجملة بعد المفرد الذي هو قوله بشيرا كما ذكر الجملة في قوله ويكلم الناس
في المهد وكهلا بعد ما تقدم من المفرد وكذلك قوله ومن المقربين وهو هنا يجري مجرى الجملة والآخر ان يكون منقطعا
عن الاول مستأنفا به كانه قيل ولست تسأل عن اصحاب الجحيم واما قراءة نافع ولا تسأل بالجزم ففيه قولان احدهما ان يكون على النهي
عن المسألة والآخر ان يكون النهي لفظا والمعنى على تفخيم ما اعد لهم من العقاب كقولك لا تسأل عن حال فلان اي قد
صار اكثر مما تريد وسأل يتعدى الى مفعولين تقول سألت عطية قال الشاعر سألتاني الطلاق ان رأتاني قل مالي قد جئتماني
بنكر ويجوز ان يقتصر فيه على مفعول واحد ثم يكون على ضربين احدهما ان يتعدى بغير حرف كقوله واسألوا ما انفقتم فاسألوا
اهل الذكر والآخر ان يتعدى بحرف كقوله تعالى سأل سائل بعذاب واقع ثم لتسألن يومئذ عن النعيم يسألونك كأنك حفي عنها
واستعطيته اي سألته ان يعطيني ذلك والآخر ان يكون بمعنى حرف الجر وذلك قوله تعالى ولا يسأل حميم حميما

٦٨

عن زيد ... احدهما ان يكون

على بناء الحبس عن حمير والثالث ان يتعدى الى مفعولين فيقع موقع المفعول الثاني منها استفهام وذلك قولهم سل زيدا
كم انعامي وسل من ارسلنا قبلك من رسلنا اجعلنا الاية اللغة الجحيم النار بعينها اذا شب وقودها وصار كانها
على جحيم كقول امية بن ابي الصلت اذا شبت جهنم ثم زادت واعرض عن قوابسها الجحيم وجحمت جحما اذا اضطرمت الجحيم
بعد تحيم قال ابا تحميق ابكي على ام وهب قتيلة قلوب باحدى المذانب وجحما الاسد عيناه وجاحم الحرب شدتها في معركتها
قال سعد بن مالك [illegible] لحجاجها التخيل والمراح الا الفتى الصابر في النجدات والفرس الوقاح المعنى
بين الله في هذه الاية تاييد نبيه محمدا صلعم بالحجج وبعث الحق فقال انا ارسلناك يا محمد بالحق قيل بالقران عن ابن عباس وقيل بالاسلام
عن الاصم وقيل على الحق اي بعثناك على الحق كقوله سبحانه خلق السموات والارض بالحق اي على الحق دون الباطل وقوله بشيرا
ونذيرا اي بشيرا لمن اتبعك بالثواب ونذيرا لمن خالفك بالعقاب وقوله ولا تسأل عن اصحاب الجحيم اي لا تسأل عن احوالهم
وفيه تسلية للنبي صلعم اذ قيل له انما انت بشير ونذير ولست تسأل عن اصحاب الجحيم وليس لك اجبارهم على القبول منك ومثله
فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وقوله ليس عليك هداهم وقيل معناه لا تواخذ بذنبهم كقوله سبحانه عليه ما حمل
وعليكم ما حملتم اي عليه الابلاغ وعليكم القبول قوله تعالى ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم
قل ان هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير اية اللغة
الرضا والمودة والمحبة نظائر وضد الرضا الغضب والرضا ايضا بمعنى المرضي وهو من بنات الواو بدلالة قولهم الرضوان
وتقول رجل رضا وامرأة رضا ورجال ونساء رضا والملة والنحلة والديانة نظائر وملة رسول الله صلعم الاسلام الذي جاء به
واشتق الرجل اذا اخذ في ملة الاسلام اي [illegible] ما امل منه والاملال املال الكتاب ليكتب الاعراب
تتبع نصب بحتى قال سيبويه والخليل ان الناصب للفعل بعد حتى ان الا انها لا تظهر بعد حتى ويدل على ان حتى ليس
بنفسها الناصبة انها تجر الاسم في نحو قوله حتى مطلع الفجر ولا يعرف في العربية حرف يعمل في فعل ولا حرف جار يكون ناصبا
لفعل مضارع مثل اللام في قولك ما كان زيد ليذهب في انها جارة والناصب ليذهب ان المضمرة ولا يجوز اظهارها
مع هذا اللام ايضا هو ضمير مرفوع بالابتداء او فصل والهدى خبر المبتدأ او خبر ان ومن العلم يتعلق بمحذوف
في موضع الحال وذو الحال الموصول المحذوف الذي في قوله الذي جاءك وكذلك قوله من الله في موضع
حال من ولي في موضع رفع بالابتداء ومن مزيدة وقوله ما لك من الله من ولي ولا نصير في موضع الجزاء للشرط ولكن الجواب
اذا تقدم القسم للقسم فلا يكون في موضع جزم ولا بد ان يكون فيه احد الحروف الدالة على القسم فيما هاهنا دخلت على
القسم فلهذا لم يجزم المعنى كانت اليهود والنصارى يسألون النبي صلعم الهدنة ويرون انه ان هادنهم امهلهم واتبعهم
فآيسه الله من موافقتهم فقال ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم وقيل ان النبي صلعم كان
مجتهدا في طلب ما يرضيهم ليدخلوا في الاسلام فقيل له دع ما يرضيهم الى ما امرك الله به من مجاهدتهم وهذا يدل
على انه لا يصح ارضاء اليهود والنصارى على حال لانه تعالى علق رضاهم بان يصير عليه يهوديا او نصرانيا واذا استحال ذلك
استحال ارضاؤهم يعني انه لا يرضى كل فرقة منهم الا ان يتبع ملتهم اي دينهم وقيل قبلتهم قل ان هدى الله هو الهدى
اي قل يا محمد ان دين الله الذي يرضاه هو الهدى اي الدين الذي انت عليه عن ابن عباس وقيل معناه ان هدى الله يعني القران
هو الذي يهدي الى الجنة لا طريقة اليهود والنصارى وقيل معناه ان دلالة الله هي الدلالة وهدى الله هو الحق كما تقول
طريقة فلان هي الطريقة وقوله ولئن اتبعت اهواءهم اي مراداتهم وقال ابن عباس معناه ان صليت الى قبلتهم بعد الذي جاءك
من العلم اي من البيان من الله تعالى وقيل من الدين ما لك يا محمد من الله من ولي يحفظك من عقابه ولا نصير اي معين وظهير
يعينك عليه ويدفع بنصره عقابه عنك وفي هذه الاية دلالة على ان من علم الله تعالى منه انه لا يعصي يصح وعيده لانه علم ان نبيه
لا يتبع اهواءهم فجرى مجرى قوله لئن اشركت ليحبطن عملك والمقصود منه التنبيه على ان حال امته اغلظ من حاله

لان منزلتهم دون منزلته وقيل الخطاب للنبي صلعم والمراد امته قوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اولئك يؤمنون
به ومن يكفر به فاولئك هم الخاسرون اية الاعراب الذين آتيناهم رفع بالابتداء ويتلونه في موضع خبر واولئك ابتداء ثان
ويؤمنون به خبره وان شئت كان اولئك يؤمنون به في موضع خبر المبتدأ الذي هو الذين ويتلونه في موضع نصب على الحال
وان شئت كان خبر الابتداء يتلونه واولئك جميعا فيكون للابتداء خبران كما تقول هذا حلو حامض وحق تلاوته منصوب على
المصدر النزول قيل نزلت في اهل السفينة الذين قدموا مع جعفر بن ابي طالب من الحبشة وكانوا اربعين رجلا اثنان وثلاثون
من الحبشة وثمانية من رهبان الشام منهم بحيرا عن ابن عباس وقيل هم اليهود كعبد الله بن سلام وشعبة بن عمرو وتمام بن يهودا
واسد واسيد ابني كعب وابن يامين وابن صوريا عن الضحاك وقيل هم اصحاب محمد صلعم عن قتادة وعكرمة فعلى هذين القولين
الاولين يكون المراد بالكتاب التوراة وعلى القول الاخير المراد القران المعنى الذين آتيناهم الكتاب اي اعطيناهم الكتاب يتلونه
حق تلاوته اختلفوا في معناه على وجوه احدها انهم يتبعونه حق اتباعه ولا يحرفونه ثم يعملون بحلاله ويقفون عند حرامه ومنه
قوله والقمر اذا تلاها اي تبعها وهو قول ابن مسعود ومجاهد وقتادة الا ان المراد به القران عندهم وثانيها ان المراد يصفونه حق صفته
في كتبهم لمن يسألهم من الناس عن الكلبي وعلى هذا تكون الهاء راجعة الى محمد صلعم وثالثها ما روي عن ابي عبد الله عليه السلام
ان المراد يقفون حق تلاوته هو الوقوف عند ذكر الجنة والنار يسأل الله في الاولى ويستعيذ من الاخرى ورابعها ان المراد
حق يقرأونه ويتلونه وينفهمون معانيه وخامسها ان المراد يعملون حق العمل به فيعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه ويكلون
ما اشكل عليهم الى عالمه عن الحسن وقوله اولئك يؤمنون به اي بالكتاب عن اكثر المفسرين وقيل بالنبي صلعم عن الكلبي ومن يكفر به وهم
اليهود وقيل هم جميع الكفار وهو الاولى لعمومه فاولئك هم الخاسرون خسروا انفسهم واعمالهم وقيل خسروا في الدنيا الظفر والنصرة
وفي الاخرة ما اعد الله للمؤمنين من نعيم الجنة قوله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين
اية وهذه الاية قد تقدم مثلها في راس اثنين واربعين اية ومعنى تفسيرها وقيل في سبب تكريرها ثلاثة اقوال احدها
ان الله تعالى لما كانت نصوص نعمه كرر التذكير بها لما بعد في استدعائهم الى ما يلزمهم من شكرها ليقبلوا الى طاعته
المظاهر بها عليهم وثانيها انه لما باعد بين الكلامين حسن التنبيه والتذكير بالاعادة والتكرير ابلغ في الحجة وتاكيد التذكرة
وثالثها انه سبحانه لما ذكر التوراة وفيها الدلالة على شأن عيسى ومحمد صلعم والبشارة بهما ذكرهم نعمته عليهم بذلك وما
فضلهم به كما عدد النعم في سورة الرحمن وكرر قوله فباي الاء ربكما تكذبان فكل تقريع جاء بعد تقريع فانما هو موصول بتذكير نعمة
غير الاولى والثالثة غير الثانية الى اخر السورة وكذلك الوعيد في سورة والمرسلات بقوله ويل يومئذ للمكذبين انما هو بعد الدلالة على
اعمال بعظم التكذيب بما تقدمه الى الادلة قوله تعالى واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها
شفاعة ولا هم ينصرون اية ومثل هذه الاية ايضا قد تقدم ومر تفسيره قوله تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن
قال اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين اية القراءة قرأ ابن عامر ابراهام هاهنا
وفي مواضع من القران والباقون ابراهيم وقرأ ابن جنيد وحفص عهدي باسكان الياء والباقون بفتحها الحجة
في ابراهيم خمس لغات ابراهيم وابراهام وابراهم بحذف الالف وسحفا قال الشاعر عذت بما عاذ به ابراهم وابراهم
قال ابو ابيه مع ابراهيم انا التقي وموسى وعيسى نحن ال الله في كعبته لم يزل ذا العهد ابراهم والوجه في هذه النصب ان
ما تقدم ذكره من قولهم ان العرب اذا انطلقت الاعجمي خلطت فيه وتلعبت به مرة فتحها واما قوله عهدي فانما فتح هذه
الياء اذا تحرك ما قبلها لان اصل هذه الياء الحركة فانها بازاء الكاف للمخاطب فلما فتحت الكاف كذلك فتحت الياء ومن
اسكنها فانه يحتج بان الفتحة مع الياء تذكر هنا في الكلام كما كرهت الحركة في الاحوال فيها الا ترى انهم اسكنوا في حال
السعة اذا لزم تحريكها بالفتحة كما اسكنوها اذا لزم تحريكها بالحركتين الاخريين وذلك قولهم فالى قلا وبادي بداو
معدي كرب فالياء في هذه المواضع موضع الفتحة لانها في الاحوال الاخر نحو حضرموت وقد اسكنت

في الجمع والهم القوة الابتلاء والاختبار نظاير والتمام والكمال نظاير وضد التمام النقصان تقول اتم تماما واتمه وتممه تتميما وتتمة
فالتمام الشيء التام والكامل وحامل تمام بفتح التاء وكسرها وبدر تمام وليل تمام بالكسر والذرية والنسل والولد نظاير وبعض العرب
يكسر منها الذال فيقول ذرية وروي ان قرأ زيد بن ثابت وبعضهم فتحها فقال ذرية وفي اصل الكلمة اربعة مذاهب من الذر
ومن الذرء والذرو والذري فان جعلت من الذر فوزنه فعلية كقمرية او فعيلة نحو ذريرة فلما كثرت الراآت ابدلت الاخيرة
ياء وادغمت الياء في الياء الاولى فيها كسرية فمن اخذها من الذرء فهو [illegible] وهو فعولة نحو ذرورة فابدلوا الياء الاخيرة
لما كثرت فصار ذروية ثم ادغم فصار ذرية فان اخذها من الذرو والذري فوزنه فعولة او فعيلة وفيه كلام كثير يطول به الكتاب
ذكره ابن جني في المحتسب والنيل واللحاق والادراك نظاير والنيل [illegible] معروف [illegible] اعطاه
قال [illegible] ان تفعل الاعراب
اللام في قوله للناس يتعلق بمحذوف تقديره اماما استقر للناس فهو صفة للامام فلما تقدم انتصب على الحال ويجوز ان يتعلق
بمحذوف تقديره بجاعلك وقوله اماما مفعول ثان لجاعل ومن ذريتي يتعلق بمحذوف تقديره واجعل من ذريتي المعنى
واذكروا اذ ابتلى ابراهيم ربه اي اختبره وهو مجاز وحقيقته امر ابراهيم ربه وكلفه وسمي اختبارا لان ما يستعمل الامر
منا في مثل ذلك يجري على جهة الاختبار والامتحان فاجرى على امره اسم امور العباد على طريق الاتساع وانما جاز ذلك
لانه تعالى يعامل عباده معاملة المبتلى المختبر اذ لا يجازيهم على ما يعلمه منهم انهم سيفعلونه قبل ان يقع ذلك الفعل منهم كما لا يجازي المختبر
للغير ما لم يقع الفعل منه سواء [illegible] ابتلاه وحقيقة الابتلاء تشديد التكليف وقوله بكلمات فيه خلاف فروي عن الصادق انه
ما ابتلاه الله به في نومه من ذبح ولده اسمعيل ابي العرب فاتمها ابراهيم وعزم عليها وسلم لامر الله فلما عزم قال الله تعالى
ثوابا لما صدق وعمل بما امره اني جاعلك للناس اماما ثم انزل عليه الحنيفية وهي الطهارة وهي عشرة اشياء خمسة منها
في الرأس وخمسة منها في البدن فاما التي في الرأس فاخذ الشارب واعفاء اللحى وطم الشعر والسواك والخلال واما التي في البدن
فحلق الشعر من البدن والختان وتقليم الاظفار والغسل من الجنابة والطهور بالماء فهذه الحنيفية الطاهرة التي جاء بها ابراهيم
فلم تنسخ ولا تنسخ الى يوم القيمة وهو قوله واتبع ملة ابراهيم حنيفا ذكره علي بن ابراهيم بن هاشم في تفسيره وقال قتادة وهو احد
الروايتين عن ابن عباس انها عشر خصال كانت فرضا في شرعه وسنة في شرعنا المضمضة والاستنشاق وفرق
الرأس وقص الاظفار والسواك في الرأس والختان وحلق العانة ونتف الابط وتقليم الاظفار والاستنجاء بالماء
في البدن وفي الرواية الاخرى عن ابن عباس انه ابتلاه بثلثين خصلة من شرائع الاسلام لم يبتل احد بها فاقامها كلها
ابراهيم عم فتمهن وكتب له البراءة فقال وابراهيم الذي وفى وهي عشر في سورة براءة التائبون العابدون الى آخرها
وعشر في الاحزاب ان المسلمين والمسلمات الى آخرها وعشر في سورة قد افلح المؤمنون الى قوله اولئك هم الوارثون
وروي وعشر في سورة سأل سائل الى قوله والذين هم على صلاتهم يحافظون فجعلها اربعين وفي رواية ثالثة
عن ابن عباس انه امره بمناسك الحج وقال الحسن ابتلاه الله بالكوكب والقمر والشمس والختان وبذبح ابنه وبالنار وبالهجرة
فكلهن وفى بهن وقال مجاهد ابتلاه الله بالآيات التي بعدها وهو قوله اني جاعلك للناس اماما الى آخر القصة
وقال ابو علي الجبائي اراد بذلك كل ما كلفه من الطاعات العقلية والشرعية والآية محتملة لجميع الاقوال التي ذكرناها وكان
سعيد بن المسيب يقول كان ابراهيم اول الناس اضاف الضيف واول الناس اختتن واول الناس قص شاربه واستحد واول الناس
رأى الشيب فلما رآه قال يا رب ما هذا قال هذا الوقار قال يا رب فزدني وقارا وهذا ايضا رواه السكوني عن ابي
عبد الله عم ولم يذكر واول من قص شاربه واستحد وزاد فيه واول من قاتل في سبيل الله واول من اخرج الخمس ابراهيم واول
من اتخذ النعلين ابراهيم واول من اتخذ الرايات ابراهيم وروى الشيخ ابو جعفر بن بابويه رحمه الله في كتاب النبوة باسناده
مرفوعا الى المفضل بن عمر عن الصادق عم قال سألته عن قول الله عز وجل واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات

ما هذه الكلمات قال هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه وهو انه قال يا رب اسألك بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين الا تبت
علي انك انت التواب الرحيم فقلت له يا ابن رسول الله فما يعني بقوله فاتمهن قال اتمهن الى القائم اثني عشر اماما تسعة من ولد الحسين قال
المفضل فقلت له يا ابن رسول الله فاخبرني عن قول الله عز وجل وجعلها كلمة باقية في عقبه قال يعني بذلك الامامة جعلها الله في عقب
الحسين الى يوم القيمة فقلت يا ابن رسول الله فكيف صارت الامامة في ولد الحسين دون ولد الحسن وهما جميعا ولدا رسول الله
وسبطاه وسيدا شباب اهل الجنة فقال ان موسى وهرون كانا نبيين مرسلين اخوين فجعل الله النبوة في صلب هرون دون
صلب موسى ولم يكن لاحد ان يقول لم فعل الله ذلك وان الامامة خلافة الله عز وجل ليس لاحد ان يقول لم جعلها الله في صلب
الحسين دون صلب الحسن لان الله عز وجل هو الحكيم في افعاله لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وقال الشيخ ابو جعفر بن بابويه رحمه الله
ولقوله تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات وجه آخر فان الابتلاء على ضربين احدهما يستحيل على الله عز وجل والآخر جائز
فالمستحيل هو ان يختبره ليعلم ما تكشف الايام عنه وهذا ما لا يصح لانه سبحانه علام الغيوب والآخر ان يبتليه حتى يصبر فيما يبتليه
فيكون ما يعطيه من العطاء على سبيل الاستحقاق ولينظر اليه الناظر فيقتدي به فيعلم من حكمة الله عز وجل انه لم يكل اسباب الامامة
الا الى الكافي المستقل بها الذي كشفت الايام عنه فاما الكلمات سوى ما ذكرناه فمنها اليقين وذلك قوله عز وجل وليكون من
الموقنين ومنها المعرفة بالتوحيد والتنزيه عن التشبيه حين نظر الى الكوكب والقمر والشمس ومنها الشجاعة بدلالة قوله
فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم ومقاومته وهو واحد الوفا من اعداء الله تعالى ومنها الحلم وقد تضمنه قوله عز وجل ان ابراهيم لحليم اواه منيب
ومنها السخاء ويدل عليه قوله هل اتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين ثم العزلة عن اهل البيت والعشيرة في قوله واعتزلكم وما تدعون من دون الله
ثم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وبيان ذلك في قوله يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر الآيات ثم دفع السيئة بالحسنة
في جواب ابيه من قوله لئن لم تنته لارجمنك واهجرني مليا قال سلام عليك سأستغفر لك ربي انه كان بي حفيا ثم التوكل
وبيان ذلك في قوله الذي خلقني فهو يهدين الآيات ثم المحنة في النفس حين جعل في المنجنيق وقذف به في النار ثم المحنة في
الولد حين امر بذبح ابنه اسمعيل ثم المحنة في الاهل حين خلص حرمته من عشارة القبطي في الخبر المذكور في هذه القصة ثم الصبر على سوء خلق سارة
ثم استقصار النفس في الطاعة بقوله ولا تخزني يوم يبعثون ثم النزاهة في قوله ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ثم الجمع لاشرط الطاعات
في قوله ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي الى قوله وانا اول المسلمين ثم استجابة الله دعوته حين قال رب ارني كيف تحيي الموتى
ثم اصطفاء الله سبحانه اياه في الدنيا ثم شهادته له في العاقبة انه من الصالحين في قوله ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في
الآخرة لمن الصالحين ثم اقتداء من بعده من الانبياء في قوله ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين الآية
وفي قوله ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا انتهى كلام الشيخ ابي جعفر رحمه الله وقوله فاتمهن معناه وفى بهن
في قول الحسن وعمل بهن على التمام في قول قتادة والضمير في اتمهن عائد الى الله تعالى في قول ابي القاسم البلخي وهو اختيار
الحسن بن علي المغربي قال البلخي والكلمات هي الامامة على ما قاله مجاهد قال لان الكلام متصل ولم يفصل بين قوله اني جاعلك
للناس اماما وبين ما تقدمه بواو العطف والمتمم له بان وجب لها الامامة له بطاعته واضطلاعه بما ابتلاه به وقوله اني
جاعلك للناس اماما معناه قال الله تعالى اني جاعلك للناس اماما يقتدى بك في افعالك واقوالك لان المستفاد
من لفظ الامام امران احدهما انه المقتدى به في افعاله واقواله والثاني انه الذي يقوم بتدبير الامة وسياستها والقيام
باموها وتأديب جناتها وتولية ولاتها واقامة الحدود على مستحقيها ومحاربة من يكيدها ويعاديها فعلى الوجه الاول
لا يكون نبي من الانبياء الا وهو امام وعلى الوجه الثاني لا يجب في كل نبي ان يكون اماما اذ يجوز ان لا يكون مأمورا بتأديب
الجناة ومحاربة العداة والدفاع عن حوزة الدين ومجاهدة الكافرين فلما ابتلى الله سبحانه ابراهيم بالكلمات فاتمهن
جعله اماما للانام جزاء له على ذلك والدليل عليه ان قوله جاعلك عمل في قوله اماما واسم الفاعل اذا كان بمعنى الماضي
لا يعمل عمل الفعل ولو قلت انا ضارب زيدا امس لم يجز فوجب ان يكون المراد انه جعله اماما اما في الحال او في الاستقبال

والنبوة كانت حاصلة له قبل ذلك وقوله ومن ذريتي اي واجعل من ذريتي من يوشح بالامامة ويوضح لهذه الكرامة وقيل انما قال
على جهة الاستفهام ليعلم هل يكون في عقبه ائمة يقتدى بهم والاولى ان يكون ذلك على وجه السؤال من الله تعالى ان يجعلهم كذلك
وقوله لا ينال عهدي الظالمين قال مجاهد العهد الامامة وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام اي لا يكون الظالم اماما
للناس فهذا يدل على انه يجوز ان يعطي ذلك بعض ولده اذا لم يكن ظالما لانه لو لم يرد ان يجعل احدا منهم اماما لوجب ان يقول
في الجواب لا ولا ينال عهدي ذريتك وقال الحسن معناه ان الظالمين ليس لهم عند الله عهد يعطيهم به خيرا وان كان قد
يعاهدون في الدنيا فيوفى لهم وقد كان يجوز في العربية ان يقال لا ينال عهدي الظالمون لان ما نالك فقد نلته وقد روي ذلك
في قراءة ابن مسعود واستدل اصحابنا بهذه الآية على ان الامام لا يكون الا معصوما عن القبائح لان الله سبحانه نفى ان ينال عهده الذي
هو الامامة ظالم ومن ليس بمعصوم فقد يكون ظالما اما لنفسه واما لغيره فان قيل انما نفى ان يناله الظالم في حال ظلمه فاذا تاب لا
يسمى ظالما فيصح ان يناله والجواب ان الظالم وان تاب فلا يخرج من ان يكون الآية قد تناولته في حال كونه ظالما فاذا نفى ان يناله فقد حكم
عليه بانه لا ينالها والآية مطلقة غير مقيدة بوقت دون وقت فيجب ان يكون محمولة على الاوقات كلها فلا ينالها الظالم
وان تاب فيما بعد قوله تعالى واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا
الى ابراهيم واسمعيل ان طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود. القراءة قرأ نافع وابن عامر واتخذوا مفتوحة
الخاء والباقون واتخذوا مكسورة الخاء الحجة من قرأ بكسر الخاء فانه على الامر والالزام ويكون معطوفا على قوله يا بني اسرائيل اذكروا
ويجوز ان يكون عطفا على قوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس من طريق المعنى لان معناه ثوبوا واتخذوا ومن قرأ بالفتح
عطفه على ما تقدم من الفعل الذي اضيف اليه اذ فكانه قال واذ اتخذوا اللغة البيت والمأوى والمنزل نظائر والبيت
من ابيات الشعر سمي بذلك لضم الحروف والكلام كما يضم البيت من بيوت الناس اهله والبيت من بيوتات العرب وهي
احياؤها وامرأة الرجل بيته قال الراجز مالي اذا اجذبها صايت اكبر قد عالني ام بيت المثابة ههنا الموضع الذي يثاب
اليه من ثاب يثوب مثابة ومثابا وثوبا اذا رجع قال ورقة بن نوفل في صفة الحرم مثاب لافناء القبائل كلها تخب
اليها اليعملات الطلائح ومثله المباءة من باء اي رجع بعد عن واصل مثابة مثوبة فنقلت حركة الواو الى الثاء ثم قلبت
الفا على ما قبلها وقيل ان الثاء فيه للمبالغة كما قيل نسابة وقيل ان معناهما واحد كمقام ومقامة قال زهير وفيهم مقامات
حسان وجوهها واندية ينتابها القول والفعل وجمع المقام مقاوم قال الراعي القوام مقاوم لم يكن جريرا ولا مولى جرير يقومها
والطائف والحائل والدائر نظائر يقال طاف يطوف طوفا اذا دار حول الشيء واطاف به اطافة اذا ألم به واطاف به اذا احاط
به والطائف العاس والطوافون المماليك والطائف طائف الجن والشياطين وهو كل شيء يغشى القلب من وسواس وهو الجنة
والعاكف المقيم على الشيء اللازم له وعكف يعكف عكفا وعكوفا قال النابغة عكوف على ابياتهم يثمدونها رمى بها سير فقال اعكف
الكوافر والعاكف المعتكف في المسجد وقل ما يقولون عكف وانما يقولون اعتكف والركع جمع راكع والسجود جمع ساجد وكل فعل
مصدر على فعول جاز ان يجمع الفاعل منه ان يكون على فعول كالقعود والركوع والسجود ونحو ذلك المعنى قوله تعالى واذ جعلنا
عطف على قوله واذ ابتلى وذلك معطوف على قوله يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت والبيت الذي جعله الله مثابة
هو البيت الحرام وهو الكعبة وروي انه سمي البيت الحرام لانه حرم على المشركين ان يدخلوه وسميت الكعبة كعبة لانها مربعة وصارت
مربعة لانها بحذاء البيت المعمور وصار البيت المعمور مربعا لانه بحذاء العرش وهو مربع وصار مربعا لان الكلمات
التي بني عليها الاسلام اربع وهي سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقوله مثابة للناس ذكر فيه وجوه احدها
ان الناس يثوبون اليه كل عام اي ليس هو موضعا تقضي فيه الحاجة فيقطع الناس عنه وقيل معناه انه لا ينصرف عنه احد وهو
يرى انه قد قضى منه وطره فهم يعودون اليه عن ابن عباس وقد ورد في الخبر ان من رجع من مكة وهو ينوي الحج من قابل
زيد في عمره ومن خرج من مكة وهو لا ينوي العود اليها فقد قرب اجله وقيل معناه يحجون اليه فيثابون عليه

فعل مثابة معاذا وملجأ وقيل مجمعا والمعنى في الكل يؤول الى انهم يرجعون اليه مرة بعد مرة وقوله وامنا اراد مأمنا اي موضع امن
وانما جعله الله امنا بان حكم ان من عاذ به والتجأ اليه لا يخاف على نفسه ما دام فيه وبما جعل في نفوس العرب من تعظيمه حتى كانوا لا يتعرضون من
فيه فهو امن على نفسه وان كانوا يتخطفون الناس من حولهم ولتعظيم حرمته لا يقام في الشرع الحد على من جنى جناية فالتجأ اليه
فان احدث فيه ما يوجب الحد اقيم الحد عليه فيه لانه هتك حرمة الحرم فهو امن من عذاب الجوع وكان قبل الاسلام يرى الرجل قاتل
ابيه في الحرم فلا يتعرض له وهذا شيء كانوا قد توارثوه من دين اسمعيل فبقوا عليه الى ايام نبينا صلعم وقوله واتخذوا من مقام ابراهيم
مصلى قال ابن عباس الحج كله مقام ابراهيم وقال عطاء مقام ابراهيم عرفة والمزدلفة والجمار وقال مجاهد الحرم كله مقام ابراهيم
وقال الحسن وقتادة والسدي هو الصلوة عند مقام ابراهيم امرنا بالصلوة عنده بعد الطواف وهو المروي عن الصادق
عليه السلام وقد سئل عن الرجل يطوف بالبيت طواف الفريضة ونسي ان يصلي ركعتين عند مقام ابراهيم فقال يصليهما ولو بعد
ايام ان الله تعالى قال واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وهذا هو الظاهر لان مقام ابراهيم اذا اطلق لا يفهم منه الا المقام المعروف
الذي هو في المسجد الحرام وفي المقام دلالة ظاهرة على نبوة ابراهيم فان الله سبحانه جعل الحجر تحت قدميه كالطين حتى دخلت قدمه
فيه فكان ذلك معجزة له وروي عن ابي جعفر الباقر انه قال نزلت ثلثة احجار من الجنة مقام ابراهيم وحجر بني اسرائيل
والحجر الاسود استودعه الله ابراهيم حجرا ابيض وكان اشد بياضا من القراطيس فاسود من خطايا بني آدم النزول والقصة
ابن عباس قال لما اتى ابراهيم باسمعيل وهاجر فوضعهما بمكة واتت على ذلك مدة ونزلها الجرهميون وتزوج اسمعيل امرأة منهم
وماتت هاجر فاستأذن ابراهيم سارة ان يأتي هاجر فاذنت له وشرطت عليه ان لا ينزل فقدم ابراهيم وقد ماتت هاجر فذهب الى
بيت اسمعيل فقال لامرأته اين صاحبك قالت ليس ها هنا ذهب يتصيد وكان اسمعيل يخرج من الحرم فيتصيد ثم يرجع فقال لها
عندك ضيافة قالت ليس عندي شيء وما عندي احد فقال لها ابراهيم اذا جاء زوجك فاقرئيه
السلام وقولي له فليغير عتبة بابه وذهب ابراهيم فجاء اسمعيل فوجد ريح ابيه فقال لامرأته هل جاءك احد قالت جاءني شيخ
صفته كذا وكذا كالمستخفة بشأنه قال فما قال لك قالت قال لي اقرئي زوجك السلام وقولي له فليغير عتبة بابه فطلقها وتزوج
اخرى فلبث ابراهيم ما شاء الله ان يلبث ثم استأذن سارة ان يزور اسمعيل فاذنت له وشرطت عليه ان لا ينزل فجاء ابراهيم حتى انتهى
الى باب اسمعيل فقال لامرأته اين صاحبك قالت ذهب يتصيد وهو يجيء الآن ان شاء الله فانزل يرحمك الله قال لها هل عندك ضيافة
قالت نعم فجاءت باللبن واللحم فدعا لها بالبركة فلو جاءت يومئذ بخبز او بر او شعير او تمر لكان اكثر ارض الله برا وشعيرا وتمرا
فقالت له انزل حتى اغسل رأسك فلم ينزل فجاءت بالمقام فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه فبقي اثر قدمه عليه فغسلت
شق رأسه الايمن ثم حولت المقام الى شقه الايسر فغسلت شق رأسه الايسر فبقي اثر قدمه عليه فقال لها اذا جاء زوجك فاقرئيه
السلام وقولي له قد استقامت عتبة بابك فلما جاء اسمعيل وجد ريح ابيه فقال لامرأته هل جاءك احد قالت نعم شيخ احسن الناس
وجها واطيبهم ريحا فقال لي كذا وكذا وقلت له كذا وكذا وغسلت رأسه وهذا موضع قدميه على المقام فقال لها اسمعيل ذاك ابراهيم
وقد روى هذه القصة بعينها علي بن ابراهيم عن ابيه عن ابن ابي عمير عن ابان عن الصادق عليه السلام وان اختلفت بعض الفاظه
وقال في آخرها اذا جاء زوجك فقولي له قد جاء ههنا شيخ وهو يوصيك بعتبة بابك خيرا قال فاكب اسمعيل
على المقام يبكي ويقبله وفي رواية اخرى عنه ان ابراهيم استأذن سارة ان يزور اسمعيل فاذنت له على ان يلبث عنها
وان لا ينزل عن حماره قيل كيف كان ذلك قال ان الارض طويت له وروى عبد الله بن عمر عن رسول الله صلعم قال
الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولولا ان نورهما طمس لاضاء ما بين المشرق والمغرب وقوله مصلى
فيه اقوال قيل مدعى من صليت اي دعوت عن مجاهد وقيل قبلة عن الحسن وقيل موضع صلوة امر ان يصلى عنده عن قتادة
والسدي وهذا هو المروي عن ائمتنا عليهم السلام واستدل اصحابنا به على ان صلوة الطواف فريضة مثل الطواف
لان الله تعالى امر بذلك وظاهر الامر يقتضي الوجوب ولا صلوة واجبة عند مقام ابراهيم غير صلوة الطواف بالاتفاق وقوله

وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل اى امرناهما والزمناهما ان طهرا بيتى اى قلنا لهما ان طهرا بيتى لان العهد هى المفسرة التى تكون
عبارة عن القول اذا صاحبت من الالفاظ ما يتضمن معنى القول كقوله سبحانه عهدنا هنا وذكر فى تطهيرها وجوه احدها ان المراد
طهراه من الفرث والدم الذى يطرحه المشركون عند البيت قبل ان يصير فى يد ابرهيم واسمعيل عن الجبائى وثانيها
ان المراد طهراه من الاصنام التى كانوا يعلقونها على باب البيت قبل ابرهيم عن مجاهد وقتادة وثالثها ان المراد طهراه ببنائكما له
على الطهارة كما قال سبحانه لمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير امن اسس بنيانه على شفا جرف هار وانما اضاف
البيت الى نفسه تفضيلا له على سائر البقاع وتمييزا وتخصيصا وقوله للطائفين والعاكفين اكثر المفسرين على ان الطائفين
هم الدائرون حول البيت والعاكفين هم المجاورون للبيت وقال سعيد بن جبير ان الطائفين هم الطارئون على مكة من الافاق
والعاكفون هم المقيمون فيها وقال ابن عباس العاكفون هم المصلون والاول اصح لانه المفهوم من اطلاق اللفظ وقوله الركع السجود قيل
هم المصلون عند البيت يركعون ويسجدون عن قتادة وقيل هم جميع المسلمين لان من شأن المسلمين الركوع والسجود عن الحسن وقال
عطا اذا طاف به فهو من الطائفين واذا جلس فهو من العاكفين واذا صلى فهو من الركع السجود وقال رسول الله صلعم ان لله عز وجل
فى كل يوم وليلة عشرين ومائة رحمة تنزل على هذا البيت ستون منها للطائفين واربعون للمصلين وعشرون للناظرين
قوله تعالى واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا بلدا امنا وارزق اهله من الثمرات من امن منهم بالله واليوم الاخر قال ومن
كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير القراءة قرأ ابن عامر فامتعه بسكون الميم خفيفة من امتعت والباقون
بالتشديد وفتح الميم من متعت وروى فى الشواذ عن ابن عباس فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار على الدعاء من ابرهيم
وعن ابن محيصن ثم اطّره بادغام الضاد فى الطاء الحجة قال ابو على التشديد فى امتع اولى لان التنزيل عليه
قال سبحانه يمتعكم متاعا حسنا ومن متعناه متاع الحيوة الدنيا ووجه قراءة ابن عامر ان امتع لغة قال الراعى خليلين من
شعبين شتى تجاورا قديما وكانا بالتفرق امتعا قال ابو زيد امتعنا اراد تمتعا فاما قراءة ابن عباس فامتعه فيحتمل امرين
احدهما ان يكون الضمير فى قال لابرهيم اى قال ابرهيم ايضا ومن كفر فامتعه يا رب وحسن اعادة قال لطول الكلام ولانه انتقل
الدعاء لقوم اخرين والاخر ان يكون الضمير فى قال لله تعالى اى فامتعه يا خالق او يا اله يخاطب بذلك نفسه عز وجل فجرى
ذلك على ما تعاطاه العرب من تجريد الانسان لنفسه كقول الاعشى ودع هريرة ان الركب مرتحل وهل تطيق وداعا ايها الرجل
اللغة البلد والمصر والمدينة نظائر واصله من قولهم بلد الاثر فى الجلد وغيره وجمعه بلاد ومن ذلك قيل
البلاد لانها مواضع مواطن الناس وتأثيرهم ومن ذلك قولهم لكركرة البعير بلدة لانها اذا بركت تأثرت والاضطرار هو الفعل
فى الغير على وجه لا يمكنه الانفكاك منه اذا كان من جنس مقدوره ولهذا لا يقال فلان مضطر الى اللون وان كان لا يمكنه دفعه
عن نفسه لما لم يكن اللون من جنس مقدوره ويقال هو مضطر الى حركة الفالج وحركة العروق لما كانت الحركة من جنس
مقدوره والمصير الحال التى تؤدى اليها اول لها وصار وحال وآل نظائر وصير كل امر مصيره وصير الباب شقه وفى
الحديث من نظر فى صير باب فقد دمر وصيور الامر آخره الاعراب قوله من امن بالله بدل من اهله وهو بدل البعض من
الكل كما تقول اخذت المال ثلثه وجعلت متاعك بعضه على بعض وقوله ومن كفر يجوز ان يكون موصولا فى موضع
الرفع على الابتداء ويجوز ان يكون من اسما للشرط فى موضع رفع بالابتداء وكفر شرطه فامتعه الفاء وما بعده جزاؤه ويقتضى
حرف الشرط الذى تضمنه من مع الشرط والجزاء فى موضع خبر المبتدا وعلى القول الاول فالفاء وما بعده خبر المبتدا وبئس
المصير فعل وفاعل فى موضع الرفع لانه خبر المبتدا المحذوف وتقديره وبئس المصير النار او العذاب وانتصب قليلا
على احد وجهين احدهما ان يكون صفة للمصدر نحو قوله متاعا حسنا قال سيبويه ترى الرجل يعالج شيئا فتقول
رويدا اى علاجا رويدا وانما وصفه بالقلة مع ان التمتع يدل على الكثير من حيث كان الى نفاد ونقص وفناء
كقوله سبحانه قل متاع الدنيا قليل والثانى ان يكون وصفا للزمان اى زمانا قليلا ويدل عليه قوله سبحانه عما قليل

ليصبحن

ليصبحن نادمين وقد يرجع بعد زمان قليل كما يقال لبرء قريب من الحمى والطعم من الجوع اى بعيد الحمى وبعيد الجوع المعنى
واذكر اذ قال ابرهيم رب اجعل هذا اى هذا البلد يعنى مكة بلدا امنا اى ذا امن كما يقال بلد آهل اى ذو اهل وقيل معناه
يأمنون فيه كما يقال نائم لمن ينام فيه قال ابن عباس يريد حرما محرما لا يصاد طيره ولا يقطع شجره ولا يختلى خلاه والى هذا المعنى
يؤول ما روى عن الصادق عليه السلم من قوله من دخل الحرم مستجيرا به فهو امن من سخط الله عز وجل ومن دخله من الوحش والطير
كان امنا من ان يهاج او يؤذى حتى يخرج من الحرم وقال رسول الله صلعم يوم فتح مكة ان الله تعالى حرم مكة يوم خلق
السموات والارض فهى حرام الى ان تقوم الساعة لم تحل لاحد قبلى ولا تحل لاحد بعدى ولم تحل لى الا ساعة من النهار وهذا
الخبر وامثاله المشهورة فى رواياتنا وروايات اصحابنا يدل على ان الحرم كان امنا قبل دعوة ابرهيم وانما تأكدت حرمته بدعائه وقيل
ذلك كان كذلك قبل الدعاء واستدل عليه بقول النبى صلعم ان ابرهيم حرم مكة وانى حرمت المدينة وقيل كانت مكة حلالا قبل
الدعوة بوجه من الوجه الذى صارت به حراما بعد الدعوة والاول بمنع اياها من الاصطلام والائتفاك كما لحق غيرها من
البلاد وبما جعل فى النفوس من تعظيمها والهيبة لها والثانى بالامر بتعظيمها على السنة الرسل فاجابه الله تعالى الى ما سأل وانما سأل
ان يجعلها امنة من الجدب والقحط لانه اسكن اهله بواد غير ذى زرع ولا ضرع ولم يسأل منها من الائتفاك والخسف لانه كان امنا منه
قبلها وقيل انه سأل الامرين على ان يديمهما وان كان احدهما مستأنفا والاخر قد كان قبل وقوله وارزق اهله من الثمرات
اى اعط من انواع الرزق والثمرات من امن منهم بالله واليوم الاخر سأل لهم الثمرات ليجتمع لهم الامن والخصب فيكونوا فى رغد من العيش
وروى عن ابى جعفر الباقر ان المراد بذلك ان الثمرات تحمل اليهم من الافاق وروى عن الصادق قال هو ثمرات القلوب
اى حببهم الى الناس ليثوبوا اليهم وانما خص بذلك من امن بالله لان الله تعالى كان قد اعلمه انه يكون فى ذريته الظالمون
فى جواب مسألته اياه الامامة بقوله لا ينال عهدى الظالمين فخص بالدعاء فى الرزق المؤمنين تأدبا بادب الله
وقيل انه ظن انه اذا دعا للكفار بالرزق انهم يكثرون بمكة ويفسدون فيها ويصدون الناس عن الحج فخص بالدعاء
اهل الايمان وقوله قال ومن كفر فامتعه قليلا اى قال الله تعالى قد استجبت دعوتك فيمن امن منهم ومن كفر فامتعه بالرزق
الذى ارزقه الى وقت مماته وقيل فامتعه بالبقاء فى الدنيا وقيل امتعه بالامن والرزق الى خروج محمد صلعم فيقتله ان اقام على
كفره او يجليه عن مكة عن الحسن ثم اضطره الى عذاب النار اى ادفعه الى النار واسوقه اليها فى الاخرة وبئس المصير اى المرجع
والمأوى والمآل قوله تعالى واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم آية
اللغة الرفع والاعلاء والاصعاد نظائر ونقيض الرفع الوضع ونقيض الاصعاد الانزال يقال رفع يرفع رفعا وارتفع الشئ
نفسه والمرفوع من عدو الفرس دون الحضر وفوق الموضوع يقال ارفع من دابتك والرفع نقيض الخفض فى كل شئ والرفعة
نقيض الذلة والقواعد والاساس والاركان نظائر وواحد القواعد قاعدة واصلها فى اللغة الثبوت والاستقرار ومنه ذلك
القاعد من الجبل وهى اصله وقاعدة البناء اساسه الذى بنى عليه وامرأة قاعد وجمعها قواعد واولها انها قد ثبتت على ترك
الحمل واذا قعدت عن الحيض فهى قاعد بغير هاء لانه لا حظ لها فى قعودها عن الحيض وقعدت المرأة اذا اتت
اذا اتت باولاد لئام فهى قاعدة وقيل ان واحدة النساء القواعد قاعد لان احدهما انه من الصفات المختصة بالمؤنث
نحو الطالق والحائض فلم يحتج الى علامة التأنيث والاخر وهو الصحيح ان ذلك على معنى النسب اى ذات قعود كما يقال
نابل ودارع اى ذو نبل وذو درع ولا يراد بذلك تبيين الفعل الاعراب قوله من البيت الجار والمجرور يتعلق بيرفع
او بمحذوف فيكون فى محل النصب على الحال وذو الحال القواعد وموضع الجملة من قوله ربنا تقبل منا نصب بقول
محذوف كانه قال يقولان ربنا تقبل منا واتصل بما قبله لانه من تمام الحال لان هو لا فى موضع الحال المعنى
ثم بين سبحانه كيف بنى ابرهيم البيت فقال واذ يرفع ابرهيم اى فى تقديم واذكر اذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت اى اصول
البيت التى كانت قبل ذلك عن ابن عباس وعطا قالا قد كان ادم عم بناه ثم عفا اثره فجدده ابرهيم وهذا قول

من الشام عليه السلام وقال مجاهد بل انشاه ابراهيم بامر الله عز وجل وكان الحسن يقول اول من حج البيت ابراهيم وفي روايات اصحابنا
ان اول من حج البيت آدم وذلك يدل على انه كان قبل ابراهيم وروي عن الباقر ع انه قال ان الله تعالى وضع تحت العرش اربع اساطين
وسماه الضراح وهو البيت المعمور وقال للملائكة طوفوا به ثم بعث ملائكة فقال ابنوا في الارض بيتا بمثاله وقدره وامر من في
الارض ان يطوفوا بالبيت وفي كتاب العياشي باسناده عن الصادق ع قال ان الله تعالى انزل الحجر الاسود من الجنة لآدم عليه السلام
وكان البيت درة بيضاء فرفعه الله تعالى الى السماء وبقي اساسه فهو حيال هذا البيت وقال يدخله كل يوم سبعون الف ملك
لا يرجعون اليه ابدا فامر الله سبحانه ابراهيم واسمعيل ان يبنيا البيت على القواعد وعن امير المؤمنين ع ان اول شيء نزل من السماء الى الارض
هو البيت الذي بمكة انزله الله ياقوتة حمراء ففسق قوم نوح في الارض فرفعه وقوله واسمعيل اي يرفع ابراهيم واسمعيل اساس الكعبة
يقولان ربنا تقبل منا وفي حرف عبد الله بن مسعود ويقولان ربنا تقبل منا ومثله قوله سبحانه والملائكة يدخلون عليهم
من كل باب سلام عليكم اي يقولون سلام عليكم والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم اي يقولون وقال بعضهم تقديره
يقول ربنا يرده الى ابراهيم فقط لان ابراهيم وحده رفع القواعد من البيت فكان اسمعيل صغيرا في وقت رفعها وهو شاذ
غير مقبول لشذوذه فان الصحيح ان ابراهيم واسمعيل كانا يبنيان الكعبة جميعا وكان ابراهيم يبني واسمعيل يناوله الحجر فرفعا
بانهما هذا البيت عن ابن عباس وفي قوله ربنا تقبل منا دليل على انهما بنيا الكعبة مسجدا لا مسكنا لانهما التمسا
الثواب عليه والثواب انما تطلب على الطاعة ومعنى تقبل منا اثبنا على عملنا وهو شبه بقبول الهدية فان الملك اذا قبل
الهدية من فلان اثابه على ذلك وقوله انك انت السميع العليم اي انت السميع لدعائنا العليم بنا وبما يصلحنا وروى عن الباقر ع
ان اسمعيل اول من شق لسانه العربية وكان ابوه يقول له وهما يبنيان البيت يا اسمعيل هابي ابن اي اعطني حجرا فيقول له اسمعيل
يا ابه هاك حجرا فابراهيم يبني واسمعيل يناوله الحجارة وفي هذه الاية دلالة على ان الدعاء عند الفراغ من العبادة مرغب فيه
مندوب اليه كما فعل ابراهيم واسمعيل ع قصة مهاجرة اسمعيل وهاجر روى علي بن ابراهيم بن هاشم عن ابيه عن النضر بن سويد
عن هشام عن الصادق ع قال ان ابراهيم كان نازلا في بادية الشام فلما ولد له من هاجر اسمعيل اغتمت سارة من ذلك غما شديدا لانه
لم يكن له منها ولد وكانت تؤذي ابراهيم في هاجر وتغمه فشكا ذلك ابراهيم الى الله عز وجل فاوحى الله اليه انما مثل المرأة مثل
الضلع المعوج ان تركته استمتعت به وان رمت ان تقيمه كسرته وقد قال القائل في ذلك هي الضلع العوجاء ليست تقيمها
الا ان تقويم الضلوع انكسارها ثم امره ان يخرج اسمعيل وامه عنها فقال اي رب الى اي مكان قال الى حرمي وامني واول بقعة
خلقتها من ارضي وهي مكة وانزل عليه جبرئيل بالبراق فحمل هاجر واسمعيل وابراهيم فكان ابراهيم لا يمر بموضع حسن فيه شجر ونخل
وزرع الا قال يا جبرئيل الى ههنا فيقول جبرئيل امض امض حتى وافى مكة فوضعه في موضع البيت وقد كان ابراهيم عاهد
سارة ان لا ينزل حتى يرجع اليها فلما نزلوا في ذلك المكان كان فيه شجر فالقت هاجر على ذلك الشجر كساء كان معها
فاستظلت تحته فلما سرحهم ابراهيم ووضعهم واراد الانصراف عنهم الى سارة قالت له هاجر لم تدعنا في هذا الموضع
الذي ليس فيه انيس ولا ماء ولا زرع فقال ابراهيم عليه السلام ربي الذي امرني ان اضعكم في هذا المكان ثم انصرف عنهم
فلما بلغ كدا وهو جبل بذي طوى التفت اليهم ابراهيم فقال ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع الى قوله لعلهم
يشكرون ثم مضى وبقيت هاجر فلما ارتفع النهار عطش اسمعيل فقامت هاجر في الوادي حتى صارت في
موضع المسعى فنادت هل في الوادي من انيس فغاب عنها اسمعيل فصعدت على الصفا ولمع لها السراب في الوادي
وظنت انه ماء فنزلت الى بطن الوادي وسعت فلما بلغت المروة غاب عنها اسمعيل ثم لمع لها السراب في ناحية
الصفا وهبطت الى الوادي تطلب الماء فلما غاب عنها اسمعيل عادت حتى بلغت الصفا فنظرت الى اسمعيل حتى فعلت
ذلك سبع مرات فلما كان في الشوط السابع وهي على المروة نظرت الى اسمعيل وقد ظهر الماء من تحت رجليه
فعدت حتى جمعت حوله رملا وانه كان سائلا فزمته بما جعلته حوله فلذلك سميت زمزم وكانت جرهم

جرهم نازلة بذي المجاز وعرفات فلما ظهر الماء بمكة عكفت الطير والوحوش على الماء فنظرت جرهم الى تعكف الطير على ذلك
المكان فاتبعوها حتى نظروا الى امرأة وصبي نزول في ذلك الموضع قد استظلوا بشجرة قد ظهر لهم الماء فقالوا
لهاجر من انت وما شانك وشان هذا الصبي قالت انا ام ولد ابراهيم خليل الرحمن وهذا ابنه امره الله ان ينزلنا
ههنا فقالوا لها اتاذنين ان نكون بالقرب منكم فقالت حتى يأتي ابراهيم قال فزارهما ابراهيم يوم الثالث فقالت له هاجر
يا خليل الله ان ههنا قوما من جرهم يسألونك ان تاذن لهم بالقرب منا افتاذن لهم في ذلك فقال ابراهيم نعم فاذنت هاجر
لجرهم فنزلوا بالقرب منهم وضربوا خيامهم وانست هاجر واسمعيل بهم فلما زارهم ابراهيم في المرة الثالثة ونظر الى كثرة
الناس حولهم سر بذلك سرورا شديدا فلما تحرك اسمعيل وكانت جرهم قد وهبوا لاسمعيل كل واحد منهم شاة وشاتين
فكانت هاجر واسمعيل يعيشان بها فلما بلغ مبلغ الرجال امر الله ابراهيم ان يبني البيت فقال يا رب في اي بقعة قال في البقعة التي
انزلت على آدم القبة فاضاءت الحرم قال ولم تزل القبة التي انزلها الله على آدم قائمة حتى كانت ايام الطوفان في زمان نوح
فلما غرقت الدنيا رفع الله تلك القبة ولم تغرق مكة فسمي البيت العتيق لانه اعتق من الغرق فلما امر الله عز وجل ابراهيم ان يبني
لم يدر في اي مكان يبنيه فبعث الله جبرئيل فخط له موضع البيت وانزل عليه القواعد من الجنة وكان الحجر الذي انزله الله على آدم
اشد بياضا من الثلج فلما لمسته ايدي الكفار اسود قال فبنى ابراهيم البيت ونقل اسمعيل الحجر من ذي طوى فرفعه في السماء
تسعة اذرع ثم دله على موضع الحجر فاستخرجه ابراهيم ووضعه في موضعه الذي هو فيه وجعل له بابين بابا الى المشرق وبابا الى الغرب
يسمى المستجار ثم القى عليه الشيح والاذخر وعلقت هاجر على بابه كساء كان معها فكانوا يكونون تحته فلما بناه وفرغ حج ابراهيم
واسمعيل ونزل عليهما جبرئيل يوم التروية لثمان خلت من ذي الحجة فقال قم يا ابراهيم فارتو من الماء لانه لم يكن بمنى وعرفات ماء
فسميت التروية لذلك ثم اخرجه الى منى فبات بها ففعل به ما فعل بآدم فقال ابراهيم عليه السلام لما فرغ من بناء البيت رب
اجعل هذا البلد آمنا وارزق اهله من الثمرات الاية قوله تعالى ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة
لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم . القراءة قرأ ابن كثير باسكان الراء في كل القرآن واختلس
ابن عامر وابو بكر عن عاصم في المصحف ربنا ارنا اللذين وقرا ابو عمرو بالاختلاس لكسرة الراء من غير اشباع في كل القرآن والباقون
بالكسر . الحجة الاختيار كسرة الراء لانها كسرة الهمزة قد حولت الى الراء لان اصله ارئنا فنقلت الكسرة الى الراء وسقطت الهمزة
ولا ينبغي اسكان الراء بعد سقوط الهمزة اجحافا بالكلمة وابطالا للدلالة على الهمزة ومن سكن فعلى وجه التشبيه بما يسكن
في مثل كبد وفخذ ونحو قول الشاعر لو عصر منه البان والمسك انعصر وقال الاخر قالت سليمى اشتر لنا سويقا واشتر فعجل
خادما لبيقا واما الاختلاس فلطلب الخفة وبقاء الدلالة على حذف الهمزة . اللغة الاسلام هو الانقياد
لامر الله تعالى بالخضوع والاقرار بجميع ما اوجب الله وهو والايمان واحد عندنا وعند المعتزلة وفي الناس من قال
بينهما فرق ويبطله قوله سبحانه ان الدين عند الله الاسلام ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه والمناسك ههنا
المتعبدات قال الزجاج كل متعبد منسك والنسك في اللغة العبادة ويقال رجل ناسك عابد وقد نسك نسكا والنسك الذبيحة
وقال من فعل كذا فعليه دم اي دم يهريقه والنسيكة الذبيحة والمنسك الموضع الذي يذبح فيه النسائك والمنسك
هو النسك نفسه وقال سبحانه ولكل امة جعلنا منسكا وقال ابن دريد النسك اصله الذبائح كانت تذبح في الجاهلية
والنسيكة شاة كانوا يذبحونها في المحرم في الاسلام ثم نسخ ذلك بالاضاحي قال الاعشى وذا النصب المنصوب لا
تنسكنه ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا قال ابو علي الفسوي المناسك جمع منسك وهو المصدر جمع لاختلاف
ضروبه . الاعراب اللام في لك يتعلق بمسلمين ومن ذريتنا من في يتعلق بمحذوف تقديره واجعل من ذريتنا
فالجار والمجرور مفعول اجعل وامة مفعول ثان لاجعل وارنا يحتمل وجهين احدهما ان يكون منقولا من رايت الذي هو
بمعنى ابصرت بالبصر فتعدت بالهمزة الى مفعولين والتقدير حذف المضاف كانه قال ارنا مواضع مناسكنا

اى عرفنا العقلى مناسكنا فيها وقال مجاهد مواقف الاحرام والموقف بعرفات وموضع الطواف فيها من رأت المواضع والذبح
ايا و الاحسن ان يكون منقولا من نحو قولهم فلان يرى رأى الخوارج فيكون معناه علمنا مناسكنا ومثله قول الشاعر اريني جوادا
مات هزلا لعلنى ارى ما ترين او بخيلا مخلدا اراد دلينى ولم يرد رؤية العين المعنى ثم عاد ذكر تمام دعائهما فقالا
ربنا واجعلنا مسلمين لك اى قالا ربنا واجعلنا مسلمين فى مستقبل عمرنا كما جعلتنا مسلمين فى ما مضى من عمرنا بان توفقنا
وتفعل بنا الالطاف التى تدعونا الى الثبات على الاسلام ويجرى ذلك مجرى ان يؤدب احدنا ولده ويعرضه لذلك حتى يصير
اديبا فيجوز ان يقال جعل ولده اديبا وعكس ذلك اذا عرضه للبلاء والفساد جاز ان يقال جعله ظالما فاسقا وقيل ان معنى
مسلمين موحدين مخلصين لك لا نعبد الا اياك ولا ندعو ربا سواك وقيل قائمين بجميع شرايع الاسلام مطيعين لك لان
الاسلام هو الطاعة والانقياد والخضوع وترك الامتناع وقوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك اى اجعل من ذريتنا اى من اولادنا
ومن للتبعيض وانما خصا بعضهم لانه تعالى اعلم ابراهيم ان فى ذريته من لا ينال عهده لما يرتكبه من الظلم وقال السدى اراد بذلك
العرب والصحيح الاول امة مسلمة لك اى جماعة موحدة منقادة لك يعنى امة محمد صلعم بدلالة قوله وابعث فيهم رسولا منهم
وروى عن الصادق ع ان المراد بالامة بنو هاشم خاصة وقوله وارنا مناسكنا اى عرفنا هذه المواضع التى تتعلق النسك بها
لنفعله عندها ونقضى عباداتنا فيها على حد ما تقتضيه توقيفنا عليها قال قتادة فاراهما الله مناسكهما الطواف بالبيت
والسعى بين الصفا والمروة والافاضة من عرفات ومن جمع ورمى الجمار حتى اكمل لهما الدين وقال عطاء ومجاهد معنى مناسكنا
مذابحنا والاول اقوى وقوله وتب علينا فيه وجوه احدها انهما قالا هذه الكلمة على وجه التسبيح والتعبد والانقطاع الى الله
سبحانه ليقتدى بهما الناس فيها وهذا هو الصحيح وثانيها انهما سالا التوبة على ظلمة ذريتهما وثالثها ان معناه ارجع الينا
بالمغفرة والرحمة وليس فيه دلالة على جواز الصغيرة عليهم او ارتكاب القبيح منهم لان الدلايل القاهرة قد دلت على ان الانبياء
معصومون منزهون عن الكبائر والصغاير وليس هنا موضع بسط الكلام فى ذلك انك انت التواب اى القابل للتوبة من عظائم
الذنوب وقيل الكثير القبول للتوبة مرة بعد اخرى الرحيم بعباده المنعم عليهم بالنعم العظام وتكفير السيئات والآثام وفى هذه الآية
دلالة على انه يحسن الدعاء بما يعلم الداعى انه يكون لا محالة لانهما كانا عالمين بانهما لا يفارقان الذنوب والآثام ولا يفارقان الدين الاسلام
قوله تعالى ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم ١٢٩
اللغة العزيز القدير الذى لا يغالب وقيل هو القادر الذى لا يمتنع عليه شىء اراده ونقيض العز الذل وعز يعز عزا وعزة
اذا صار عزيزا وعز يعز عزا اذا قهر ومنه قولهم من عز بز اى من غلب سلب واعتز الشىء اذا صلب و[illegible] الارض وهو
الطين الصلب الذى لا يبلغ ان يكون حجارة وعز الشىء اذا قل حتى لا يكاد يوجد واعتز فلان بفلان اذا تشرف به والحكيم
معناه المتقن الذى يحكم الصنع ويحسن التدبير فعلى هذا يكون من صفات الفعل ويكون بمعنى العالم فيكون من صفات
الذات الاعراب ابعث جملة فعلية معطوفة على تب فيهم يتعلق بابعث ويجوز ان يتعلق بمحذوف فتقديره رسولا كائنا
فيهم فيكون فى موضع نصب على الحال ويتلو منصوب الموضع لكونه صفة لقوله رسولا اى تاليا عليهم يتلو
المعنى الضمير فى قوله فيهم يرجع الى الامة المسلمة التى سأل ابراهيم ع ان يجعلها من ذريته والمعنى بقوله ربنا
وابعث فيهم رسولا منهم هو نبينا محمد صلعم لما روى عنه انه قال انا دعوة ابى ابراهيم وبشارة عيسى يعنى قوله ومبشرا برسول
يأتى من بعدى اسمه احمد وهو قول الحسن وقتادة وجماعة من العلماء ويدل على ذلك انه دعا بذلك لذريته الذين يكونون
بمكة وما حولها على ما تضمنته الآية فى قوله وابعث فيهم اى فى هذه الذرية رسولا منهم ولم يبعث الله من هذه الذرية
الا محمدا صلعم وقوله يتلو عليهم آياتك اى يقرأ عليهم آياتك التى توحى بها اليه ويعلمهم الكتاب اى القرآن
وهذا لا يعد من التكرار لان الاول للتلاوة ليتعلموا ذلك انه معجز دال على صدقه ونبوته وخص الثانى
بالتعليم ليعرفوا ما يتضمنه من التوحيد وادلته وما يشتمل عليه من احكام شريعته وقوله والحكمة قيل هى هاهنا

السنة

السنة عن قتادة وقيل المعرفة بالدين والفقه فى التأويل عن مالك بن انس وقيل العلم بالاحكام التى لا يدرك علمها الا من قبل
الرسل عن ابن زيد وقيل هى صفة للكتاب كأنه وصفه بانه كتاب وانه حكمة وانه آيات وقيل الحكمة شىء يجعله الله فى القلب
ينوره به كما ينور البصر فيدرك المبصر وقيل هى مواعظ القرآن وحلاله وحرامه عن مقاتل وكل حسن وقوله ويزكيهم اى يجعلهم
مطيعين مخلصين والزكاة هو الطاعة والاخلاص لله تعالى عن ابن عباس وقيل يطهرهم من الشرك ويخلصهم منه عن ابن جريج
وقيل معناه يتبعهم الى ما يكونون به من الايمان والصلاح عن الجبائى وقيل يشهد لهم بانهم ازكياء يوم القيامة اذا شهد
على كل نفس بما كسبت من الاثم وقوله انك انت العزيز الحكيم اى القوى فى كمال قدرتك المنيع فى جلال عظمتك المحكم
لبدايع صنعتك وافادتك حقايق التصديق لانا لصالحنا بالدعاء فكانه قال فرغنا اليك فى ذلك لانك القادر على اجابتنا
العالم بما فى ضمايرنا وبما هو اصلح لنا فانا لا نبلغ كنه علمنا ونفاد بصايرنا وفى هذه الآية دلالة على ان ابراهيم واسمعيل دعوا لنبينا
محمد صلعم بجميع شرايط النبوة لان تحت التلاوة البيان وتحت الحكمة السنة ودعوا لامته باللطف الذى لاجله تمسكوا بالخير
وتشعر عن فصاروا ازكياء وهذا لان الدعاء صدر من اسمعيل ع علم بذلك ان النبى المدعو من ولد اسمعيل لا من ولد اسحق ولم يكن من ولد
اسمعيل نبى غير نبينا سيد الانبياء قوله تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه فى الدنيا
وانه فى الآخرة لمن الصالحين ١٣٠ اللغة الرغبة المحبة لما فيه للنفس منفعة ورغبة فيه ضد الرغبة عنه والرغبة
والمحبة والارادة نظاير ونقيض الرغبة الرهبة ونقيض المحبة البغضة ونقيض الارادة الكراهة وتقول رغبت فيه رغبة
ورغبا ورغبى وتأملت اليه ورغبت عنه اذا صددت عنه ورجل رغيب شديد الاكل وفرس رغيب الشحوة
اى كثير الاخذ بقوايمه من الارض وموضع رغيب واسع والرغيبة العطاء الكثير الذى يرغب فى مثله والاصطفاء والاجتباء
والاختيار نظاير والصفاء والنقاء والخلوص نظاير والصفو نقيض الكدر وصفوة كل شىء خالصه وصفى الانسان
اخوه الذى يصافيه المودة وناقة صفى كثيرة اللبن ونخلة صفى كثيرة الحمل والجمع الصفايا واصطفيناه على وزن
افتعلناه من الصفوة وانما قلبت التاء طاء لانها اشبه بالصاد فى الاستعلاء والاطباق وهى من مخرج التاء فاتى بحرف
وسط بين الحرفين الاعراب من يرغب لفظه لفظ الاستفهام ومعناه الجحد بمنزلة ما يرغب عن ملة ابراهيم
والا من فيها الا من سفه نفسه اى الذى سفه نفسه فمن الاولى على الاستفهام والثانية على معنى الذى والا حرف استثنا
ويجوز ان يكون لمفصل النفى ومن اسم موصول وسفه نفسه صلته والموصول والصلة فى محل النصب على الاستثناء او فى
محل الرفع بكونه بدلا من الضمير الذى فى يرغب وفى انتصاب نفسه خلاف قال الاخفش معناه سفه نفسه وقال يونس
اراها لغة قال الزجاج اراد ان فعل للمبالغة كما ان فعل كذلك ويجوز على هذا القول سفهت زيدا
بمعنى سفهته زيدا وقال ابو عبيدة معناه اهلك نفسه واوبق نفسه فهذا كله وجه واحد والوجه الثانى ان يكون على
التمييز كقوله فان طبن لكم عن شىء منه نفسا وهو قول الفراء قال الفراء هو تفسير وهو معرفة كذلك بطرت
معيشتها قال الزجاج هذا الوجه قال ان المعنى التمييز لا يحتمل التعريف لان التمييز انما هو واحد يدل على جنس
او خلة تخلص من خلال فاذا عرفته صار مقصودا قصده وهذا لم يقله احد ممن تقدم من النحويين والوجه الثالث
ان يكون على التمييز والاضافة على تقدير الانفصال كما تقول مررت برجل مثله اى مثل له والوجه الرابع ان يكون
على حذف الجار فى معنى سفه فى نفسه كقوله تعالى ولا جناح عليكم ان تسترضعوا اولادكم اى لاولادكم فحذف حرف الجر
من غير ظرف ومثله ولا تعزموا عقدة النكاح اى على عقدة النكاح ومثله قول الشاعر تغالى اللحم للاضياف نيا
ونبذله اذا نضج القدور والمعنى تغالى باللحم قال الزجاج وهذا مذهب صحيح والوجه الخامس ما اختاره الزجاج
وهو ان سفه بمعنى جهل وهو موافق فى المعنى لما قاله السراج فى قوله بطرت معيشتها ان البطر مستثقل
للنعمة غير راض بها فعلى هذا يكون نفسه مفعولا به وانه فى الآخرة يتعلق بمحذوف فهو منصوب الموضع على الحال

الاداء وبحث التعليم

وذوا الحال الضمير المستكن في قوله من الصالحين النزول
روي ان عبد الله بن سلام دعا ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله صفة محمد في التورية فاسلم سلمة وابى
مهاجر ان يسلم فانزل الله هذه الاية المعنى لما بين سبحانه مفاخر ابراهيم وان ملته ملة محمد صلعم عقبه بذكر الحث على اتباعها فقال
ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه اي لا يترك دين ابراهيم وشريعته الا من اهلك نفسه واوبقها وقيل الا من خسر نفسه عن الحسن وقيل جهل
قدره لان من جهل خالقه فهو جاهل بنفسه عن الاصم وقيل جهل نفسه بما فيها من الآيات الدالة على ان لها صانعا ليس كمثله شيء
عن ابي مسلم وقوله ولقد اصطفيناه في الدنيا اي اخترناه بالرسالة واجتبيناه وانه في الآخرة لمن الصالحين اي من الفائزين
عن الزجاج وقيل معناه لمع الصالحين اي مع آبائه الانبياء في الجنة عن ابن عباس وقيل انما خص الآخرة بالذكر وان كان الانبياء
في الدنيا كذلك لان المعنى من الذين يستوجبون على الله جزاء الكرامة وحسن الثواب فلما كان خلوص الثواب في الآخرة دون
الدنيا وصفه فيها بما ينبئ عن ذلك وفي قوله سبحانه ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه دلالة على ان ملة ابراهيم هي ملة
نبينا لان ملة ابراهيم داخلة في ملة محمد صلعم مع زيادات في ملة محمد صلعم فبين ان الذين يرغبون من الكفار عن ملة محمد التي هي ملة
ابراهيم قد سفهوا انفسهم وهذا معنى قول قتادة والربيع وبه علم قوله ملة ابيكم ابراهيم قوله تعالى
اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين • الاعراب قال الفعل فارغ وله جار ومجرور واللام يتعلق بقال او وقد
له ربه مجرور الموضع باضافة اذ اليه واللام في لرب العالمين يتعلق باسلمت المعنى هذا متصل بقوله ولقد اصطفيناه
وموضع اذ نصب باصطفيناه وتقديره ولقد اصطفيناه حين قال له ربه اسلم واختلف في انه متى قيل له ذلك
فقال الحسن كان هذا حين افلت الشمس ورأى ابراهيم تلك الآيات والادلة فاستدل بها على وحدانيته سبحانه وقال
يا قوم اني بريء مما تشركون اني وجهت وجهي الآية وانه اسلم حينئذ وهذا يدل على انه كان ذلك قبل النبوة وانه قال له ذلك الها
استدعاء منه الى الاسلام فاسلم لما وضح له طريق الاستدلال بما رأى من الآيات ولا يصح انه يوحى الله اليه قبل اسلامه
بانه نبي لان النبوة حال اجلال واعظام ولا يكون ذلك قبل الاسلام وقال ابن عباس انما قال ذلك ابراهيم حين خرج من
السرب وقيل انما قال ذلك بعد النبوة ومعنى اسلم استقم على الاسلام واثبت على التوحيد كقوله سبحانه فاعلم انه لا اله الا الله
وقيل ان معنى اسلم اخلص دينك بالتوحيد وقوله اسلمت لرب العالمين اي اخلصت الدين لله رب العالمين
قوله تعالى ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون • القراءة
قرأ اهل المدينة والشام واوصى بهمزة بين الواوين وتخفيف الصاد وقرأ الباقون ووصى مشددة الصاد الحجة
حجة من قرأ ووصى قوله تعالى فلا يستطيعون توصية فتوصية مصدر وصى مثل قطع تقطعة ولا يكون من تفعيل
لانك لو قلت في مصدر حيث تفعيل لكان يجمع بالآية ونص ذلك وحجة من قرأ واوصى قوله يوصيكم
الله ومن بعد وصية توصون بها اللغة وصى واوصى وامر وعهد بمعنى وقد قالوا وصى النبات اذا اتصل بعضه ببعض
فالوصية كالموصى بالوصية وصل حبل امر بالموصى اليه الاعراب يعقوب رفع لانه عطف على ابراهيم والتقدير ووصى
ابراهيم ويعقوب وهذا قول ابن عباس وقتادة وقيل انه على الاستيناف كانه قال ووصى يعقوب انه يا بني ان الله اصطفى
لكم الدين والاول اظهر والفرق بين التقديرين ان الاول لا اضمار فيه لانه معطوف والثاني فيه اضمار والهاء في بها يعود
الى الملة وقد تقدم ذكرها وهو قول الزجاج وقيل انها تعود الى الكلمة التي هي اسلمت لرب العالمين والالف واللام
في الدين للعهد دون الاستغراق لانه اراد دين الاسلام وقوله ولا تموتن الا وانتم مسلمون وان كان على لفظ النهي
لهم عن الموت فالنهي على الحقيقة عن ترك الاسلام لئلا يصادفهم الموت عليه ومثله من كلام العرب لا اريتك هاهنا
فالنهي في اللفظ للمتكلم وانما هو في الحقيقة للمخاطب فكانه قال لا تكن هاهنا فاني اراك لكونك هاهنا وقوله وانتم
مسلمون جملة في موضع الحال وتقديره لا تموتوا الا مسلمين وذو الحال الواو في تموتوا ومعناه لياتكم الموت

تقم كون

وانتم مسلمون المعنى لما بين عز اسمه دعاء ابراهيم لذريته وحكم بالسفه على من رغب عن ملته ذكر اهتمامه بامر الدين
وتعهده الى بنيه في وصيته فقال ووصى بها اي بالملة او الكلمة التي هي قوله اسلمت لرب العالمين ذريته وهذا قول
وجعلها كلمة باقية في عقبه وقيل بكلمة الاخلاص وهي لا اله الا الله ابراهيم بنيه انما خص البنين لان اشفاقه عليهم اكثر وهم بقبول
وصيته احرى والا فمن المعلوم انه كان يدعو جميع الانام الى الاسلام ويعقوب وهو ابن اسحاق وانما سمي يعقوب
لانه وعيصا كانا توامين فتقدم عيص وخرج يعقوب على اثره آخذا بعقبه عن ابن عباس والمعنى ووصى يعقوب بنيه الاثني عشر وهم
الاسباط يا بني ان الله اصطفى لكم الدين اي فقالا جميعا يا بني ان الله اختار لكم دين الاسلام فلا تموتن الا وانتم مسلمون اي لا تتركوا
الاسلام فيصادفكم الموت على تركه ولا تعرضوا الموت على ترك الاسلام بفعل الكفر وقال الزجاج الزموا الاسلام فاذا ادرككم
الموت صادفكم مسلمين وفي هذه الآية دلالة على الترغيب في الوصية عند الموت وانه ينبغي ان يوصي الانسان
من يلي امرهم بتقوى الله ولزوم الدين والطاعة قوله تعالى ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما
تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحاق الها واحدا ونحن له مسلمون • اللغة
الشهداء جمع شهيد والشاهد والحاضر نظائر تقول حضرت القوم احضرهم حضورا اذا شهدتهم والحضيرة الجماعة
من الناس ما بين الخمسة الى العشرة واحضر الفرس احضارا اذا عدا عدوا شديدا وحاضرت الرجل محاضرة اذا عدوت
معه وحاضرته اذا جاثيته عند السلطان او في خصومة وحضر الرجل فناؤه واصل الباب الحضور خلاف الغيبة
الاعراب ام هاهنا منقطعة وهي لا تجيء الا وقد تقدمها الكلام لانها التي تكون بمعنى بل وهمزة الاستفهام كانه قيل
بل اكنتم شهداء ومعنى ام هاهنا الجحد اي ما كنتم شهداء وانما كان اللفظ على الاستفهام والمعنى على خلافه لان اخراجه
مخرج الاستفهام ابلغ في الكلام واشد مظاهرة في الحجاج اذ يخرج الكلام مخرج التقرير بالحق فيلزم الحجة او الانكار
له فيظهر الفضيحة واذ الاولى ظرف من قوله شهداء واذ الثانية بدل من اذ الاولى وقيل العامل في الثانية حضر وكلاهما
جائز وما للاستفهام وهو منصوب الموضع لانه مفعول تعبدون ومن بعدي جار ومجرور في موضع النصب على الظرف
وقوله الها منصوب على احد وجهين ان يكون حالا كانه قال نعبد الهك في حال وحدانيته ويكون بدلا من
الهك ويكون الفائدة فيه ذكر التوحيد ونحن له مسلمون جملة في موضع الحال ويجوز ان يكون على الاستيناف فلا يكون
لها موضع من الاعراب وابراهيم واسمعيل واسحاق في موضع جر بالبدل من آبائك كما تقول مررت بالقوم اخيك
وغلامك وصاحبك المعنى خاطب سبحانه اهل الكتاب فقال ام كنتم شهداء اي ما كنتم حضورا
اذ حضر يعقوب الموت وما كنتم حضورا اذ قال يعقوب لبنيه ما تعبدون من بعدي ومعناه انكم لم تحضروا ذلك
فلا تدعوا على انبيائي ورسلي الاباطيل بان تنسبوهم الى اليهودية والنصرانية فاني ما بعثتهم الا بالحنيفية وذلك ان
اليهود قالوا ان يعقوب يوم مات وصى بنيه باليهودية فرد الله تعالى عليهم قولهم وانما قال ما تعبدون ولم يقل من
تعبدون لان الناس كانوا يعبدون الاصنام فقال اي الاشياء تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله آبائك
ابراهيم واسمعيل واسحاق وانما قدم ذكر اسمعيل على اسحاق لانه كان اكبر منه واسمعيل كان عم يعقوب وجعله ابا له
لان العرب تسمي العم ابا كما تسمي الخالة اما وذلك لانه يجب تعظيمه كتعظيم الاب ولهذا قال النبي صلعم ردوا علي ابي
يعني العباس عمه الها واحدا ونحن له مسلمون اي مذعنون مقرون بالعبودية وقيل خاضعون منقادون مستسلمون
لامره ونهيه قولا وعقدا وقيل داخلون في الاسلام ثابتون عليه قوله ان الدين عند الله الاسلام قوله تعالى
تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون • اللغة
الامة على وجوه الاول الجماعة كما في الآية والثاني القدوة للامام في قوله ان ابراهيم كان امة قانتا والثالث القامة
في قول الاعشى وان معوية الاكرمين حسان الوجوه طوال الامم والرابع الاستقامة في الدين والديانة

النابغة حلفت فلم اترك لنفسك ريبة وهل يأثمن ذو امة وهو طائع اى ذو ملة ودين والخامس الحين فى قوله وادكر بعد امة
والسادس اهل الملة الواحدة فى قولهم امة موسى وامة عيسى واشباههم [illegible] واصل الباب القصد من امه يأمه اما اذا قصده
وخلت اى مضت واصل الخلو الانفراد يقال خلا الرجل [illegible] اذا انفرد وخلا الكلام من [illegible] اذا انفرد منهم والفرق بين الخلو
والفراغ ان الخلو اذا لم يكن مع الشىء غيره [illegible] وهو معه يقال فرغ من البناء وهو معه فاذا قيل اخلا هذا
مليس معه والكسب العمل الذى يجلب به نفع او يدفع به ضرر عن النفس وكسب لاهله اذا اجتلب لهم ذلك بعلاج ومراس
ولذلك لا يطلق الكسب فى صفة الله تعالى الاعراب قوله لها يحتمل ان يكون فى موضع نصب على الحال فيكون [illegible]
ما تستحقه بعملها ويجوز ان لا يكون لها موضع لانها مستانفة ولا يكون جرا من الجهة الاول لكن يكون متصلة فى المعنى
وان لم يكن جرا لانهما جزآن فى المعنى عن شىء واحد فكانه قيل الجماعة قد خلت والجماعة لها ما كسبت عما كانوا يعملون
ما اسم موصول وكانوا يعملون صلته والموصول والصلة فى موضع الجر [illegible] يتعلق بتسئلون المعنى تلك امة
اى جماعة قد مضت يعنى ابراهيم واولاده لها ما كسبت اى عملت من طاعة او معصية ولكم يا معشر اليهود والنصارى
ما كسبتم اى عملتم من طاعة او معصية ولا تسئلون عما كانوا يعملون اى لا يقال لكم لم عملوا كذا وكذا على
جهة المطالبة لكم بما يلزمهم من اجل عملهم كما لا يقال لهم لم عملتم كذا وكذا وانما يطالب كل انسان بعمله دون عمل
غيره كما قال سبحانه ولا تزر وازرة وزر اخرى وفى الاية دلالة على بطلان قول المجبرة ان الابناء يؤاخذون بذنوب
الابا وان ذنوب المسلمين تحمل على الكفار لان الله نفى ذلك قوله تعالى وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا قل
بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين • اللغة الحنيف المائل عن الاديان الباطلة الى الدين الحق قال ابن
دريد الحنيف العادل عن دين الى دين وبه سميت الحنيفية لانها مالت عن اليهودية والنصرانية وقيل الحنيف الثابت على الدين
المستقيم والحنيفية الاستقامة على دين ابراهيم وانما قيل للذى يقبل احدى قدميه على الاخرى احنف تفاؤلا بالسلامة
كما قيل للمهلكة مفازة تفاؤلا بالفوز والنجاة وهو قول كثير من المفسرين واهل اللغة وقال الزجاج اصله
من الحنف وهو ميل فى صدر القدم وسمى الاحنف احنف لحنف كان به وقالت حاضنته وهى ترقصه والله لولا حنف برجله
ما كان من صبيانكم كمثله وفى الحديث احب الاديان الى الله الحنيفية السمحة وهى ملة ابراهيم لا حرج فيها ولا ضيق
الاعراب جزم تهتدوا على الجواب للامر ومعنى الشرط قائم فى الكلمة اى ان تكونوا على هذه الملة تهتدوا فانما انجزم
على الحقيقة بالجزاء وقوله ملة ابراهيم فى انتصابه وجوه احدها ان تقديره بل اتبعوا ملة ابراهيم لان قوله كونوا هودا او نصارى
تضمن معنى اليهودية والنصرانية وتقديره قالوا اتبعوا اليهودية قل بل اتبعوا ملة ابراهيم فهذا عطف على المعنى والثانى
ان يكون على الحذف كانه قيل بل نتبع ملة ابراهيم فالاول عطف والثانى حذف والثالث ان ينتصب على تقدير بل نكون
اهل ملة فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه كقوله واسئل القرية فهذا عطف على اللفظ وهو قول الكوفيين وحنيفا
نصب على الحال اى فى حال حنيفية النزول عن ابن عباس ان عبد الله بن صوريا وكعب بن الاشرف ومالك بن
الصيف وجماعة من اليهود ونصارى اهل نجران خاصموا اهل الاسلام كل فرقة تزعم انها احق بدين الله من غيرها
فقالت اليهود نبينا موسى افضل الانبياء وكتابنا التورية افضل الكتب وقالت النصارى نبينا عيسى افضل الانبياء
وكتابنا الانجيل افضل الكتب وكل فريق قالوا للمؤمنين كونوا على ديننا فانزل الله هذه الاية وقيل ان ابن صوريا
قال لرسول الله ما الهدى الا ما نحن عليه فاتبعنا يا محمد تهتدوا وقالت النصارى مثل ذلك فانزل الله هذه الاية
المعنى وقالوا الضمير يرجع الى اليهود والنصارى اى قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى
كل فريق منهم دعا الى ما هو عليه ومعنى تهتدوا تصيبوا طريق الحق كانهم قالوا اهتدوا الى الحق اى اذا فعلتم ذلك كنتم
قد اهتديتم وصرتم على سنن الاستقامة قل يا محمد بل ملة ابراهيم اى بل نتبع دين ابراهيم وعلى الوجه الآخر بل اتبعوا دين ابراهيم

عرفنا ابرهيم

ويدعو فالوجه الثالث فى الاعراب فلا معنى لا فادها حنيفا مستقيما وقيل مائلا الى دين الاسلام وفى الحنيفية اربعة
اقوال احدها انها حج البيت عن ابن عباس والحسن ومجاهد وثانيها انها اتباع الحق عن مجاهد وثالثها انها اتباع ابراهيم
فيما اتى به من الشريعة التى صار بها اماما للناس بعده من الحج والختان وغير ذلك من شرايع الاسلام والرابع انها الاخلاص
لله وحده فى الاقرار بالربوبية والاذعان للعبودية فكل هذه الاقوال ترجع الى ما قلناه من معنى الاستقامة والميل الى ما اتى
به ابراهيم من الملة وما كان من المشركين فى التبرى عن ملة واثبت مع اليهود والنصارى حيث قالوا عزير ابن الله والمسيح ابن الله
وفى قوله سبحانه بل ملة ابراهيم حجة على وجوب اتباع ملة ابراهيم لسلامتها من التناقض ولوجود التناقض فى اليهودية والنصرانية
فلذلك صارت ملة ابراهيم احرى بالاتباع من غيرها فمن التناقض فى اليهودية منعهم من جواز النسخ مع ما فى التورية من الدلالة
على جوازه وامتناعهم من العمل بما تقدمت به البشارة فى التورية من اتباع النبى الامى مع اظهارهم التمسك بها وامتناعهم من
الاذعان لما دلت عليه الآيات الظاهرة والمعجزات الباهرة من نبوة عيسى وثبوت نبوة غيره مع اقرارهم بنبوة موسى لاجل المعجزات عليها
الى غير ذلك من انواع التناقض ومن التناقض فى قول النصارى قولهم الاب اله والابن اله وروح القدس اله واحد مع زعمهم
ان الاب ليس هو الابن وان الاب اله والابن اله وروح القدس اله وامتناعهم من ان يقولوا ثلاثة الهة الى غير ذلك من مناقضاتهم
المذكورة فى الكتب قوله تعالى قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب والاسباط
وما اوتى موسى وعيسى وما اوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون • اللغة الاسباط واحدهم
سبط وهم اولاد يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم وهم اثنا عشر سبطا من اثنى عشر ابنا وقالوا الحسن والحسين سبطا رسول
الله اى ولداه والاسباط فى بنى اسرائيل بمنزلة القبائل فى ولد اسمعيل قال الزجاج السبط الجماعة يرجعون
الى اب واحد والسبط فى اللغة الشجرة التى هى من عرق واحد وقال ثعلب يقال سبط علينا العطاء والضرب
اذا تتابع عليه حتى يصل بعضه الى بعض وانشد الثورى فى قطيع بقرة كانه سبط من الاسباط شبهه بجماعة من الناس
يتتابعون فى امر ومنه قيل لولد يعقوب اسباط والفرق بين التفريق والفرق ان التفريق جعل الشىء مفارقا لغيره
والفرق نقيض الجمع والجمع جعل الشىء مع غيره والفرق جعل الشىء لا مع غيره والفرق بالحجة هو البيان الذى يشهد ان
الحكم لاحد الشيئين دون الآخر الاعراب ما اوتى تقديره ما اوتيه فحذف العائد الى الموصول وقد مضى فى قوله
من ربهم يتعلق باوتى ويحذوف فيكون مع المحذوف فى موضع نصب على الحال وذو الحال الضمير المستكن فى اوتى
والعامل اوتى او يكون العامل فيه اوتى وذو الحال ما اوتى لا نفرق جملة منفية منصوبة الموضع على الحال والعامل فيه
آمن ومنهم يتعلق بمحذوف وهو الموضع بكونه صفة لاحد ومعنى احد منهم اى بين اثنين او جماعة وتقديره لا نفرق
بين احد واحد منهم المعنى قولوا آمنا بالله خطاب المسلمين وقيل خطاب للنبى والمؤمنين امرهم الله ان يظهروا ما يدينوا
على الشرح فبدأ بالايمان بالله لانه اول الواجبات ولانه يتقدم معرفته تصح معرفة النبوات والشرعيات وما انزل
الينا يعنى القرآن نؤمن بانه حق وصدق ووجب اتباعه فى الحال ودون [illegible] وما انزل الى ابراهيم واسمعيل
واسحاق ويعقوب والاسباط قال قتادة هم يوسف واخوته بنو يعقوب ولد كل واحد منهم امة من الناس فسموا
الاسباط وبه قال السدى والربيع ومحمد بن اسحاق وذكروا الاسماء الاثنى عشر يوسف وبنيامين وروبيل ويهودا وشمعون
ولاوى ودان وقهاث ونفتالى وجاد واشر فهم ولد يعقوب لا خلاف بين المفسرين فيه وقال [illegible]
من المفسرين انهم كانوا انبياء والذى يقتضيه مذهبنا انهم لم يكونوا انبياء باجمعهم لانه ما وقع منهم من المعصية فيما فعلوه
بيوسف لا تخفى والنبى عندنا معصوم من القبائح صغيرها وكبيرها وليس فى ظاهر القرآن ما يدل على انهم كانوا انبياء
وقوله وما انزل اليهم لا يدل على انهم كانوا انبياء لان الانبياء قد يجوز ان يكون على بعضهم ممن كان نبيا ولم يقع
منه ما ذكرناه من الافعال القبيحة ويحتمل ان يكون مثل قوله وما انزل الينا وان كان المنزل على النبى خاصة لكن المسلمين

لما كانوا مأمورين بما قرأ صيغة الأمر إليهم وإن كان التنزيل على النبي خاصة وقد روى العياشي في تفسيره عن حنان
بن سدير عن أبي جعفر عليه السلام قال قلت له كان ولد يعقوب أنبياء قال لا ولكنهم كانوا أسباطا أولاد الأنبياء
ولم يكونوا فارقوا الدنيا إلا سعداء تابوا وتذكروا ما صنعوا وقوله وما أوتي موسى وعيسى أي أعطيا وخصهما بالذكر
لأن الاحتجاج على اليهود والنصارى والمراد بما أوتي موسى التوراة وبما أوتي عيسى الإنجيل وما أوتي النبيون أي
أعطي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم أي لا نؤمن ببعضهم ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى فكفرت اليهود
بعيسى ومحمد وكفرت النصارى بسليمان ونبينا محمد صلعم ونحن له مسلمون أي نحن لما تقدم ذكره وقيل لله
خاضعون بالطاعة مذعنون بالعبودية وقيل منقادون لأمره ونهيه وقد مضى معنى هذا مستوفى فيما قبل وفي هذه الآية
الأمر بالإيمان بالله تعالى والإقرار بالنبيين وما أنزل إليهم من الكتب والشرائع والرد على من فرق بينهم فيما جمعهم الله عليه
من النبوة وإن كانت شرائعهم غير لازمة لنا فإن الإيمان بهم لا يقتضي لزوم شرائعهم وروي عن الضحاك أنه قال
علموا أولادكم وأهاليكم وخدمكم أسماء الأنبياء الذين ذكرهم في كتابه حتى يؤمنوا بهم ويصدقوا بما جاؤوا به
فإن الله تعالى يقول قولوا آمنا بالله قوله تعالى فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق
فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم . اللغة الشقاق المنازعة والمحاربة ويحتمل أن يكون أصله مأخوذا من الشق
لأنه صار في شق غير شق صاحبه للعداوة والمباينة ويحتمل أن يكون مأخوذا من المشقة لأن كل واحد منهما يحرص
على ما يشق على صاحبه ويؤذيه والكفاية بلوغ الغاية تقول كفى يكفي ويجزي ويغني بمعنى واحد وكفى يكفي كفاية
إذا قام بالأمر وكفاك هذا الأمر أي حسبك ورأيت رجلا كافيك من رجل أي كفاك به رجلا . الإعراب
الباء في قوله بمثل ما آمنتم به يحتمل ثلاثة أشياء أحدها أن تكون زائدة والتقدير فإن آمنوا مثل ما آمنتم أي مثل
إيمانكم به كما يقال كفى بالله أي كفى الله قال الشاعر كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا والثاني أن يكون المعنى مثل هذا ويكون
ذلك كأنه قال فإن آمنوا على مثل إيمانكم كما ألغيت الكاف في قوله فجعلهم كعصف مأكول وهذا أضعف الوجوه لأنه إذا
أمكن حمل كلام الله على فائدة فلا يجوز حمله على الزيادة وزيادة الاسم أضعف من زيادة الحرف نحو ما ولا وما أشبه ذلك
وقوله فقد اهتدوا في محل الجزم أو في محل الرفع لأنه جواب شرط مبني مع الفاء وكذلك قوله فإنما هم في شقاق
وإنما حرف لإثبات الشيء ونفي غيره وهم مبتدأ وفي شقاق في موضع الخبر . النزول
لما نزل قوله تعالى قولوا آمنا بالله الآية قرأها النبي صلعم على اليهود والنصارى فلما سمعت اليهود ذكر عيسى كفروا
وكفرت النصارى أن عيسى ليس كسائر الأنبياء لأنه ابن الله فنزلت الآية . المعنى فإن آمنوا أخبر سبحانه
أن هؤلاء الكفار متى آمنوا على حد ما آمن المؤمنون به فقد اهتدوا إلى طريق الجنة وقيل سلكوا طريق
الاستقامة والهداية وقيل كان ابن عباس يقول اقرأوا بما آمنتم به فليس لله مثل وهذا محمول على أنه فسر الكلام لأنه أنكر القراءة
الظاهرة مع صحة المعنى وقوله وإن تولوا أي أعرضوا عن الإيمان وجحدوه ولم يعترفوا به فإنما هم في شقاق أي في
خلاف قد فارقوا الحق وتمسكوا بالباطل فصاروا مخالفين لله سبحانه عن ابن عباس وقريبا منه ما روي
عن الصادق عليه السلام أنه قال يعني في كفر وقيل في ضلال عن أبي عبيدة وقيل في منازعة ومحاربة عن ابن زيد وقيل
في عداوة عن الحسن فسيكفيكهم الله وعد الله سبحانه رسوله بالنصرة والكفاية من هؤلاء من اليهود
والنصارى الذين شاقوه وفي هذا دلالة على نبوته وصدق قوله لأنه سبحانه كفاه أمر
أمرهم وهو السميع لأقوالهم العليم بأعمالهم في إبطال أمرك ولن يصلوا إليك قوله تعالى
صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون . اللغة صبغة الله مأخوذ من الصبغ
لأن بعض النصارى كانوا إذا ولد لهم مولود غمسوه في ماء لهم يسمونه المعمودية يجعلونه لذلك تطهيرا

له فقيل صبغة الله تطهيرا لأنه لا تطهيركم بتلك الصبغة وهو قول الفراء وقيل إن اليهود تصبغ أبناءها يهودا والنصارى
تصبغ أبناءها نصارى أي يلقنون أولادهم اليهودية والنصرانية عن قتادة وفي حديث أبي ماروي عن عمر بن الخطاب
أخذ العهد على بني تغلب ألا يصبغوا أولادهم أي لا يلقنوهم النصرانية لكن يدعوهم حتى يبلغوا فيختاروا لأنفسهم ما شاؤوا
من الأديان وقيل سمي الدين صبغة لأنه هيئة تظهر بالمشاهدة من أثر الطهارة والصلاة وغير ذلك من الآثار الجميلة التي هي
كالصبغة عن الجبائي قال البلخي في صبغة الله كأن أذهب اليهود وخلق الثوب إذا أعاد صبغه ويقال صبغ الثوب
يصبغه بفتح الباء وضمها وكسرها صبغا بفتح الصاد وكسرها . الإعراب نصب صبغة الله على البدل من قوله ملة إبراهيم
وقيل إنه عن الأخفش وقيل إنه نصب على الإغراء تقديره اتبعوا صبغة الله والزموا صبغة الله ومن استفهام وهو مبتدأ و
أحسن خبره وصبغة نصب على التمييز المعنى صبغة الله أي دين الله عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد وهو
المروي عن الصادق عليه السلام قال يعني به الإسلام وقيل شريعة الله التي هي الختان الذي هو تطهير عن الفراء والبلخي وقيل فطرة الله
التي فطر الناس عليها عن أبي العالية وغيره ومن أحسن من الله صبغة أي لا أحد أحسن من الله صبغة أي دينا لفظه لفظ الاستفهام
ومعناه الجحد عن الحسن وغيره ونحن له عابدون أي نحن له مطيعون في اتباع صبغته لا ما صبغنا عليه الآباء والأجداد وقيل
ونحن له عابدون في اتباعنا ملة إبراهيم صبغة الله قوله تعالى قل أتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا
ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون . اللغة الحجاج والجدال والخصام نظائر والأعمال
والأفعال والأحداث نظائر والإخلاص والإفراد والاختصاص نظائر وضد الخالص المشوب . الإعراب
وهو ربنا وربكم الجملة في موضع الحال والعامل فيه تحاجوننا وذو الحال نا ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم
مبتدآن وخبران والجملتان في موضع النصب على الحال بالعطف على وهو ربنا وربكم ونحن له مخلصون كذلك . المعنى
أمر الله سبحانه نبيه صلعم في هذه الآية أن يقول لهؤلاء اليهود وغيرهم أتحاجوننا في الله معناه في دين الله أي أتخاصموننا
وتجادلوننا فيه وهو سبحانه خالقنا والمنعم علينا وخالقكم والمنعم عليكم واختلف في محاجتهم كيف كانت فقيل
كانت محاجتهم للنبي صلعم أنهم يزعمون أنهم أولى بالحق لتقدم النبوة فيهم والكتاب وقيل بل كانت محاجتهم
أنهم قالوا نحن أحق بالإيمان من العرب الذين عبدوا الأوثان وقيل كانت محاجتهم أنهم قالوا لمحمد إن الأنبياء كانوا منا
ولم يكن من العرب نبي فلو كنت نبيا لكنت منا عن الحسن كانت محاجتهم أن قالوا نحن أولى بالله منكم وقالوا نحن أبناء
الله وأحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى وكان غرضهم بذلك أن الدين ينبغي أن يلتمس من جهتهم
وأن النبوة أولى أن تكون فيهم فبين سبحانه أنه أعلم بتدبير خلقه بقوله وهو ربنا وربكم أي خالقنا وخالقكم
ومدبرنا حيث يجعل رسالته ومن الذي يقوم بأعبائها ويحملها على وجه يكون أصلح للخلق وأولى بتدبيرهم
وقوله ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم أي لنا ديننا ولكم دينكم وقيل معناه ما علينا مضرة من
أعمالكم وما لكم منفعة من أعمالنا فضرر أعمالكم عليكم ونفع أعمالنا لنا وقيل إنه إنكار لقولهم إن العرب
عبدوا الأوثان وبيان لأنه لا حجة فيه إذ كل مأخوذ بما كسبت يداه ولا يؤاخذ أحد بجرم غيره وقوله ونحن
له مخلصون أي موحدون والمراد أن المخلص أولى بالحق من المشرك وقيل معناه أنه رد عليهم ما احتجوا به من عبادة
العرب الأوثان فكأنه قال لا عيب علينا في ذلك إذ كنا موحدين كما لا عيب عليكم بفعل من عبد العجل منكم
إذا اعتقدتم الإنكار عليهم ذلك فصل في الإخلاص روي عن حذيفة بن اليمان قال سألت
النبي صلعم عن الإخلاص ما هو قال سألت جبرئيل عن ذلك قال سألت رب العزة عن ذلك فقال
هو سر من سري أستودعه قلب من أحببته من عبادي وروي عن أبي إدريس الخولاني عن النبي صلعم
قال إن لكل حق حقيقة وما بلغ عبد حقيقة الإخلاص حتى لا يحب أن يحمد على شيء من عمل لله قال

سعيد بن جبير الاخلاص ان يخلص العبد دينه وعمله لله ولا يشرك في دينه ولا يرائي بعمله احدا وقيل الاخلاص
ان يستوي اعمال العباد في الظاهر والباطن وقيل ما استتر من الخلائق واستصفي من العلائق وقيل هو ان يكتم حسناته
كما يكتم سيئاته قوله تعالى ام يقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى
قل ءانتم اعلم ام الله ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون . اية القراءة قرا اهل الكوفة
غير ابي بكر وابن عامر ام تقولون بالتاء والباقون بالياء الحجة الاولى على الخطاب فيكون ام متصلة بما قبلها من الاستفهام
كانه قال اتحاجوننا ام تقولون ان الانبياء كانوا على دينكم والمعنى باي الحجتين تتعلقون في امرنا التوحيد فنحن موحدون
ام باتباع دين الانبياء فنحن متبعون والثاني وهو القراءة بالياء على العدول من الحجاج الاول الى حجاج اخر بمعنى قال الله
ان الانبياء من قبل ان نزلت التورية والانجيل كانوا هودا او نصارى فيكون ام هذه هي المنقطعة فيكون قد اعرض عن
خطابهم استجهالا لهم بما كان منهم كما يقبل العالم على من بحضرته بعد ابتداء خطاب مخاطب جاهل شنيعة فيقول قد قامت
عليه الحجة ام يقولون بابطال النظر المودي الى المعرفة اللغة الاعلم والاعرف والادرى بمعنى واحد والاظلم والاجور
والاحمق نظائر وافعل هذه تستعمل بمعنى الزيادة وانما يصح معناه فيما يقع فيه التزايد كقولهم افضل واطول وقال
المحققون الصفات على ثلثة اضرب صفة ذات وصفة يحصل بالفاعل وصفة يحصل بالمعنى فالاول كون
الذات جوهرا وسوادا وهذا لا يصح فيه التزايد والثاني كالوجود ولا يصح ايضا فيه التزايد والثالث على ضربين احدهما
يصح فيه التزايد وهو كل ما يوجبه معنى له مثل كالالوان والاكوان ونحوهما والاخر لا يصح فيه التزايد وهو كل
ما يوجبه معنى لا مثل له [illegible] والعفلة والسهو والنسيان نظائر وهو ذهاب المعنى عن النفس [illegible]
وانما هو [illegible] علوم مخصوصة فان سمي [illegible] السهو مع [illegible] سمي جنونا واذا قارنه ضرب من الضعف سمي اغماء واذا قارنه
ضرب من الاسترخاء سمي نوما فان قارنه نوع من الطرب سمي سكرا واذا حصل السهو بعد علم سمي نسيانا
الاعراب ام الله الله مبتدا وخبره محذوف تقديره ام الله اعلم وعنده ظرف مكان لكتم او يكون صفة لشهادة
تقديره شهادة كائنة عنده ومن الله صفة لشهادة ايضا وهي صفة بعد صفة المعنى قد ذكرنا الفرق في المعنى
بين قوله ام تقولون على المخاطبة وقوله ام يقولون بالياء على ان يكون المعنى لليهود والنصارى وهم غيب [illegible]
عليهم في قولهم ثم يحتمل الخبر الانبياء كانوا هودا او نصارى من وجوه احدها ما اخبر به نبينا صلى الله عليه وسلم المعجزات
الدالة على صدقه والاخر ما في التورية والانجيل من ان هؤلاء الانبياء كانوا على الحنيفية والثالث ان عندهم
انما يقع اسم اليهودية على من تمسك بشريعة التورية واسم النصرانية على من تمسك بشريعة الانجيل والكتابان نزلا بعدهم
كما قال سبحانه وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده والرابع انهم ادعوا ذلك من غير برهان فوبخهم سبحانه
هذه الوجوه وقيل ءانتم اعلم ام الله صورته صورة الاستفهام والمراد التوبيخ ومثله قوله ءانتم اشد خلقا
ام السماء بناها ومعناها قل لهم ءانتم اعلم ام الله وقد اخبر سبحانه انهم كانوا على الحنيفية وزعمتم انهم كانوا هودا
او نصارى فيلزمكم ان تدعوا انكم اعلم من الله وهذا غاية الخزي فان قيل لم قال ءانتم اعلم ام الله وقد كانوا يعلمون
فكتموه وانما هو ظاهر هذا الخطاب لمن لا يعلم فالجواب ان من قال انهم كانوا على ظن وتوهم فهذا الكلام على قوله
ومن قال انهم كانوا يعلمون ذلك وانما كانوا يجحدون فمعناه ان منزلتكم منزلة المعترض على ما يعلم ان الله اعلم به
فما ينفعه ذلك مع اقراره بان الله اعلم منه وانه لا يخفى عليه شيء لان ما دل على انه اعلم هو الذي دل على انه لا يخفى عليه شيء
وهو انه عالم لذاته يعلم جميع المعلومات وقوله ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله فيه اقوال احدها
ان من في قوله من الله لابتداء الغاية وهو متصل بالشهادة لا بالكتمان ومعناه انه لا احد اظلم ممن يكون
عنده شهادة من الله فيكتمها والمراد بهذه الشهادة ان الله تعالى بين في كتابهم صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والبشارة

عن الحسن وقتادة وقيل المراد بها ان ابراهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب والاسباط كانوا حنفاء مسلمين فكتموا هذه الشهادة وزعموا
انهم كانوا على دينهم عن مجاهد فمن شهادة من الله عندهم كتموها والثاني ان من متصل بالكتمان اي من اظلم ممن كتم ما
في التورية من تبرئ من عبادة الله وكتم شهادة ان يؤديها الى الله والثالث ان من اظلم في كتمان الشهادة من الله ان كتمها
وذلك نحو قولهم من اظلم ممن يجور على الفقير الضعيف من السلطان القوي الغني ولهذا الكلام انه لا احد اظلم من الله
اذ كتم شهادة حق لوقع عباده في الضلال وهو المنزه عن ذلك المتعالي اي لو كانوا هودا او نصارى لاخبر الله
وهذا معنى قول البلخي وابي مسلم وقوله وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم [illegible] بما يليق كل وعيد اي ليس الله بساه
عن كتمان الشهادة التي لزمكم القيام بها لله تعالى وقيل هو على عمومه اي لا يخفى على الله شيء من المعلومات فكونوا على حذر
من الجزاء على اعمالكم ما تستحقونه من العقاب قوله تعالى تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم
ولا تسئلون عما كانوا يعملون اية قد مضى تفسير هذه الاية وقيل في وجه تكرارها انه عنى بالاولى ابراهيم ومن ذكر معه
من الانبياء وبالثاني اسلاف اليهود وقيل انها اذا اختلفت الاوقات والمواطن لم تكن التكرار معيبا ووجه
اتصال الاية بما قبلها انه يقول اذا سلم لكم ما ادعيتم من ان الانبياء كانوا على اليهودية والنصرانية فليس لكم في ذلك حجة
لانه لا يمتنع اختلاف الشرائع بالمصالح فلله سبحانه ان ينسخ من الشرائع ما شاء ويقر منها ما شاء على حسب ما
تقتضيه الحكمة وقيل ان ذلك ورد موردا الوعظ لهم والزجر حتى لا يتكلوا على فضل الاباء ولا احد الا دون
ذلك لا ينفعهم اذا خالفوا امر الله قوله تعالى سيقول السفهاء من الناس ما وليهم عن قبلتهم التي
كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط مستقيم اية اللغة السفيه والجاهل
والغبي نظائر وقد ذكرنا معنى السفه والسفيه فيما مضى ولاه عنه اي صرفه وفتله واستقام [illegible] الولي
وهو القريب فهو حصول الثاني بعد الاول من غير فصل فالثاني يلي الاول والثالث يلي الثاني
ثم هكذا ابدا وولى عنه خلاف ولى اليه مثل قولك عدل عنه وعدل اليه وانصرف عنه وانصرف اليه
واذا كان الذي يليه متوجها اليه فهو متول اليه واذا كان متوجها الى خلاف جهته فهو متول عنه والقبلة مثل
الجلسة للحال التي يقابل الشيء غيره عليها كما ان الجلسة للحال التي يجلس عليها وكان يقال فيما حكي هو لي قبلة
وانا له قبلة ثم صار علما على الجهة التي تستقبل في الصلوة الاعراب من الناس في محل النصب على الحال من
السفهاء ما استفهام وهو مبتدا وولاهم خبره وعن قبلتهم متعلق بولى المعنى ثم ذكر الله تعالى ما قالوا للمسلمين
بالانصراف عن قبلة بيت المقدس الى الكعبة فقال سيقول السفهاء من الناس اي سوف يقول الجهال
وهم الكفار الذين هم بعض الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها اي اي شيء حولهم وصرفهم يعني المسلمين
عن بيت المقدس التي كانوا يتوجهون اليها في صلوتهم واختلف في الذين قالوا ذلك فقال ابن عباس وغيره
هم اليهود وقال الحسن هم مشركوا العرب فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حول الى الكعبة من بيت المقدس قالوا يا محمد رغبت
عن قبلة ابائك ثم رجعت اليها فلترجعن الى دينهم وقال السدي هم المنافقون قالوا ذلك استهزاء
بالاسلام واختلف في سبب مقالتهم ذلك فقيل انهم قالوا ذلك على وجه الانكار للنسخ عن ابن عباس وقيل
انهم قالوا يا محمد ما ولاك عن قبلتك التي كنت عليها ارجع الى قبلتنا نتبعك ونؤمن بك وارادوا بذلك
فتنته عن ابن عباس ايضا وقيل انما قال مشركوا العرب ليوهموا ان الحق ما هم عليه واما الوجه في الصرف
عن القبلة الاولى ففيه وجهان احدهما انه لما علم الله تعالى في ذلك تغيير المصلحة والاخر لما بينه الله
بقوله لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه لانهم كانوا بمكة امروا ان يتوجهوا الى بيت المقدس
ليتميزوا من المشركين الذين كانوا يتوجهون الى الكعبة فلما انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة كان

٧٨

اليهود يتوجهون الى بيت المقدس فامروا بالتوجه الى الكعبة ليتميزوا منهم ولذلك قل لله المشرق والمغرب هو امر من الله سبحانه
لنبيه ان يقول لهؤلاء الذين عابوا انتقال المسلمين من بيت المقدس الى الكعبة المشرق والمغرب ملك لله سبحانه
يتصرف فيهما كيف شاء على ما تقتضيه حكمته وفي هذا ابطال قول من قال ان الارض المقدسة اولى بالتوجه
اليها لانها مواطن الانبياء وقد شرفها الله وعظمها فلا وجه للتولية عنها فرد الله سبحانه عليهم بان المواطن
كلها لله يشرف منها ما يشاء في كل زمان على ما يعلمه من صالح العباد وعن ابن عباس كانت الصلوة الى
بيت المقدس بعد مقدم النبي صلعم المدينة سبعة عشر شهرا وعن البراء بن عازب قال صليت مع رسول الله صلعم
نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا او سبعة عشر شهرا ثم صرفنا نحو الكعبة اورده مسلم في الصحيح وعن انس بن
مالك انما كان ذلك تسعة اشهر او عشرة اشهر وعن معاذ بن جبل ثلثة عشر شهرا ورواه علي بن ابراهيم باسناده
عن الصادق عليه السلم قال تحولت القبلة الى الكعبة بعد ما صلى النبي بمكة ثلث عشرة سنة الى بيت المقدس
وبعد مهاجره الى المدينة صلى الى بيت المقدس سبعة اشهر ثم وجهه الله الى الكعبة وذلك ان اليهود
كانوا يعيرون رسول الله صلعم ويقولون له انت تابع لنا تصلي الى قبلتنا فاغتم رسول الله صلعم من ذلك غما
شديدا وخرج في جوف الليل ينظر الى آفاق السماء ينتظر من الله تعالى في ذلك امرا فلما اصبح وحضر
وقت صلوة الظهر كان في مسجد بني سالم قد صلى ركعتين فنزل عليه جبرئيل فاخذ بعضديه وحوله الى الكعبة
وانزل عليه قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وكان
صلى ركعتين الى بيت المقدس وركعتين الى الكعبة فقالت اليهود والسفهاء ما وليهم عن قبلتهم التي كانوا عليها
قال الزجاج انما امر بالصلوة الى بيت المقدس لان مكة بيت الله الحرام كانت العرب آلفة لحجه فاحب الله
ان يمتحن القوم بغير ما الفوه ليظهر من يتبع الرسول ممن لا يتبعه وقوله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم اي
يدله ويرشده الى الدين وانما سماه الصراط لانه طريق الجنة المؤدي اليها كما يؤدي الطريق الى المقصد وقيل
الى طريق الجنة قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون
الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه
وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرؤف رحيم آية
القراءة قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وحفص عن عاصم لرؤف على وزن رعوف وقرأ ابو جعفر لروف مثقل
غير مهموز والباقون لرؤف على وزن رعف الحجة وجه من قرأ رؤوف ان هذا اكثر في كلامهم من فعل
الا ترى ان باب ضروب وصبور اكثر من باب يقظ وحذر وقد جاء على هذا الاكثر من صفات الله تعالى
نحو غفور وشكور وودود ولا نعلم فعلا فيها وقال كعب بن مالك الانصاري نطيع نبينا ونطيع ربا هو الرحمن
كان بنا رؤفا ومن قرأ رؤفا قال ان ذلك الغالب على اهل الحجاز قال الوليد بن عقبة لمعوية وشر الطالبين
فلا تكنه لقاتل عمه الرؤف الرحيم وقال جرير يرى للمسلمين عليك حقا كفعل الوالد الرؤف الرحيم
اللغة الوسط العدل وقيل الخيار ومعناهما واحد لان العدل خير والخير عدل وقيل اخذ من المكان
الذي يعدل المسافة منه الى اطرافه وقيل بل اخذ من التوسط بين المقصر والغالي فالحق معه قال مؤرج
اي وسطا بين الناس وبين انبيائهم قال زهير هم وسط يرضى الانام بحكمهم اذا طرقت احدى الليالي بمعظم قال
صاحب العين الوسط من كل شيء اعدله وافضله وقيل الواسط والوسط كما قيل اليابس واليبس وقيل
في صفة النبي صلعم كان من اوسط قومه اي خيارهم والعقب مؤخر القدم وعقبا الانسان نسله وقال
ثعلب رد على عقبيه اي تعقبه بالشر بعد الخير وكذلك رجع على عقبيه والعقبة الكؤود بعد

الكرة

بعد الكرة في الركوب والمشي والتعقيب الرجوع الى امر تريده ومنه لم يعقب وعقب الليل والنهار يعقبه اذا جاء بعد
مصدر الضياع الشيء يضيع وضلال الشيء ضياعا واضاع الشيء تضيعا وقيل ضاع الضياع الشيء صنعة الرجل حرفته ومنه يقال ما
صنعتك اي حرفتك وكل رجل وضيعته وترك عياله بضيعة ومضيعة والضيعة والضياع معروف واصل الضياع
الهلاك قال ابو زيد رافت بالرجل ارأف به رأفة ورؤفت به ارؤف به رأفة الاعراب في الاية ثلث
لامات مختلفات فاللام في قوله لتكونوا لام كي وتكونوا في موضع نصب باضمار ان وتقديره لان تكونوا في موضع
جر باللام لانها لام الجارة في الاصل واللام في قوله وان كانت لكبيرة لام التأكيد وهي لام الابتداء فصلت بينها
وبين ان لئلا يجتمع حرفان متفقان في المعنى وهي تلزم ان المخففة من الثقيلة لئلا يلتبس بان النافية التي هي
بمعنى ما في مثل قوله ان الكافرون الا في غرور وقال الكوفيون ان في مثل هذا الموضع بمعنى ما واللام
بمعنى الا تقديره وما كانت الا كبيرة وانكر البصريون ذلك لانه لو كان كذلك لجاز ان يقال جاء القوم لزيدا
بمعنى الا زيدا واما اللام في قوله وما كان الله ليضيع ايمانكم فلام تاكيد النفي واصلها لام الاضافة وينتصب
الفعل بعدها باضمار ان ولا يجوز اظهارها لان بعدها ما لان التقدير ما كان الله مضيعا ايمانكم فلما حمل
على التاويل حمل لفظه ايضا على التأويل من غير تصريح باظهارها ان ويجوز بعد لام كي كما ذكرنا والكاف في قوله
وكذلك كاف التشبيه وهو في موضع النصب بانه صفة مصدر وذلك اشارة الى الهداية من قوله يهدي من يشاء الى
صراط مستقيم والتقدير انعمنا عليكم بالعدل الرحمة انعامنا عليكم بالهداية والعامل في الكاف جعلنا
كانه قيل يهدي من يشاء الى صراط مستقيم فعل انعمنا عليكم بذلك وجعلناكم امة وسطا فانعمت مثل
ذلك الانعام لان جعلنا يدل على انعمنا وهدى اي فضلا الذين والضمير العائد الى الموصول محذوف فتقديره
على الذين هداهم الله والجار والمجرور في محل النصب على الاستثناء تقديره وان كانت الكبيرة على
الكل الا على الذين هداهم الله المعنى ثم بين سبحانه فضل هذه الامة على سائر الامم فقال وكذلك جعلناكم
امة وسطا وقد ذكرنا وجه تعلق الكاف المضاف الى ذلك بما تقدم اي جعلناكم امة خيرا بتبيين محمد صلعم عدلا
ووسطا بين الرسول والناس ومتى قيل اذا كان في الامة من ليس هذه صفته فكيف وصف جماعتهم بذلك فالجواب ان المراد
به من كان بتلك الصفة ولان كل عصر لا يخلو من جماعة هذه صفتهم فكيف وصف وروى بريد بن معوية العجلي عن الباقر عم
قال نحن الامة الوسط ونحن شهداء الله على خلقه وحجته في ارضه وفي رواية اخرى قال الينا يرجع الغالي وبنا يلحق المقصر
وروى الحاكم ابو القاسم الحسكاني في كتاب شواهد التنزيل لقواعد التفضيل باسناده عن سليم بن قيس الهلالي
عن علي عم ان الله تعالى ايانا عنى بقوله لتكونوا شهداء على الناس فرسول الله شاهد علينا ونحن شهداء الله على خلقه
وحجته في ارضه قال الله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا وقوله لتكونوا شهداء على الناس فيه ثلثة اقوال
احدها ان المعنى لتشهدوا على الناس باعمالهم التي خالفوا فيها الحق في الدنيا والاخرة كما قال الله تعالى وجيء
بالنبيين والشهداء وقال ويوم يقوم الاشهاد وقال ابن زيد الاشهاد اربعة الملائكة والانبياء وامة محمد والجوارح
كما قال يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم الاية والثاني ان المعنى لتكونوا حجة على الناس فتبينوا
لهم الحق والدين ويكون الرسول عليكم شهيدا مؤديا للدين اليكم وسمي الشاهد شاهدا لانه يبين
ولذلك يقال للشهادة بينة والثالث انهم يشهدون للانبياء على اممهم المكذبين لهم بانهم قد بلغوا وجاز
ذلك لاعلام النبي صلعم اياهم بذلك ويكون الرسول عليكم شهيدا اي شاهدا عليكم بما يكون من اعمالكم
وقيل حجة عليكم وقيل شهيدا لكم بانكم قد صدقتم يوم القيمة فيما تشهدون به ويكون على بمعنى اللام كقوله
وما ذبح على النصب اي للنصب وقوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها قيل معنى كنت عليها

٧٩

صرت عليها وانت عليها وهي الكعبة كقوله سبحانه كنتم خير امة اخرجت للناس اي انتم خير امة وقيل وهو الاصح
يعني بيت المقدس الذي كانوا يصلون اليها اي ما صرفناك عن القبلة التي كنت عليها الا لنعلم وما جعلنا
القبلة التي كنت عليها فصرفناك عنها الا لنعلم وحذف لدلالة الكلام عليه وفي قوله الا لنعلم اقوال
احدها ان معناه ليعلم حزبنا من النبي والمؤمنين كما يقول الملك فتحنا البلد كذا وهزمنا كذا اي فتح اولياؤنا والثاني
ان معناه لنحصل المعلوم موجودا وتقديره لنعلم انه موجود ولا يصح وصفه بانه عالم بوجود المعلوم قبل وجوده و
الثالث ان معناه لنعاملكم معاملة المختبر الذي كأنه لا يعلم اذ العدل يوجب ذلك من حيث لو عاملهم بما يعلمه
انه يكون منهم قبل وقوعه كان ظلما والرابع ما ذكره علم الهدى المرتضى قدس الله روحه وهو ان قوله
لنعلم يقتضي حقيقته ان نعلم هو وغيره ولا يحصل علمه مع غيره الا بعد حصول الاتباع فاما قبل حصوله فيكون العلم
سبحانه هو المتفرد بالعلم به فصح ظاهر الآية وقوله من يتبع الرسول ممن ينقلب اي يؤمن به ويتبعه في قوله وفعاله
ممن ينقلب على عقبيه فيه قولان احدهما ان قوما ارتدوا عن الاسلام لما حولت القبلة جهلا منهم بما فيها من وجوه
الحكمة والآخر ان المراد كل مقيم على كفره لان جهة الاستقامة اقبال وخلافها ادبار ولذلك وصف
الكافر بانه ادبر واستكبر وانه كذب وتولى اي عن الحق وقوله وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله الضمير
في كانت يعود الى القبلة على قول ابي العالية وقد كانت القبلة كبيرة وقيل الضمير يرجع الى التحويلة
ومفارقة القبلة الاولى عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وهو الاقوى لان القوم انما ثقل عليهم التحول لا نفس
القبلة وقيل الضمير يرجع الى الصلاة عن ابن زيد وقوله لكبيرة قال الحسن معناه ثقيلة يعني التحويلة الى بيت
المقدس لان العرب لم تكن قبلة احب اليهم من الكعبة وقيل معناه عظيمة على من لا يعرف ما فيها من وجه الحكمة
فاما الذين هداهم الله لذلك فلا تعظم عليهم وهم الذين صدقوا الرسول في التحويل الى الكعبة وانما خص
المؤمنين بانه هداهم وان كان قد هدى جميع الخلق لان ذكرهم على طريق المدح ولانهم الذين انتفعوا بهدى الله دون
غيرهم كانه لم يهد غيرهم وقوله وما كان الله ليضيع ايمانكم قيل فيه اقوال احدها لما حولت القبلة قال ناس كيف
باعمالنا التي كنا نعمل في قبلتنا الاولى فانزل الله وما كان الله ليضيع ايمانكم عن ابن عباس وقتادة وقيل
انهم قالوا كيف بمن مات من اخواننا قبل ذلك وكان مات اسعد بن زرارة والبراء بن معرور وكانا من النقباء
فقال وما كان الله ليضيع ايمانكم اي صلاتكم الى بيت المقدس ويمكن على هذا ان يحمل الايمان على اصله في التصديق
اي لا يضيع تصديقكم بامر القبلة وثانيها انه لما ذكر ما عليهم من المشقة في التحويلة اتبعه بذكر ما لهم عنده من
المثوبة وانه لا يضيع ما عملوه من الكلفة فيه لان التذكير به يبعث على ملازمة الحق والرضا به وثالثها
انه لما ذكر انعامه عليهم بالتولية الى الكعبة ذكر السبب الذي استحقوا به ذلك الانعام وهو ايمانهم بما حملوه اولا فقال
وما كان الله ليضيع ايمانكم الذي استحققتم به تبليغ محبتكم في التوجه الى الكعبة عن ابي القاسم البلخي وقوله
ان الله بالناس لرؤوف رحيم رؤوف بهم لا يضيع عنده عمل عامل منهم والرأفة اشد الرحمة ذكر سبحانه
بالرأفة على انه يوفر عليهم ما استحقوه من الثواب من غير تضييع لشيء منه وقيل انه سبحانه دل بقوله رؤوف رحيم
على انه منعم على الناس بتحويل القبلة واستدل كثير من العلماء بهذه الآية على ان الاجماع حجة من حيث انه
وصفهم بانهم عدول فاذا عدلهم الله سبحانه لم يجز ان يكون شهادتهم مردودة والصحيح انها لا تدل على ذلك
لان ظاهر الآية ان يكون كل واحد من الامة بهذه الصفة ومعلوم خلاف ذلك ومتى حملوا الآية على بعض
الامة لم يكونوا باولى ممن يحملها على المعصومين والائمة من آل الرسول وفي هذه الآية دلالة على جواز النسخ
في الشريعة بل على وقوعه لانه قال وما جعلنا القبلة التي كنت عليها فاخبر سبحانه انه هو الجاعل

لتلك

لتلك القبلة وانه هو الذي نقلهم عنها وذلك هو النسخ قوله تعالى قد نرى تقلب وجهك في السماء
فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين
اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون اللغة الرؤية هي ادراك
الشيء بالبصر ونظيره الابصار ثم يستعمل بمعنى العلم والتقلب والتحول والتصرف نظائر وهو التحرك في الجهات
وقوله فلنولينك القبلة اي نصيرنك تستقبلها بوجهك وليس هذا المعنى في هذه السورة لانك تقول وليت
الدار فلا يكون فيه دلالة على انك واجهتها فقط في هذه الكلمة ليس بمعنى هذه التي هو وليت وقد جاءت
هذه الكلمة مستعملة على خلاف المقابلة والمواجهة في نحو قوله ويولون الدبر وقوله يولوكم الادبار فهذه
منقول من قولهم داري تلي داره وتقول وليت ميامنه ووليت مياسره مثل فرح وفرحته والرضا والمحبة نظيران
وانما يظهر الفرق بضديهما فالمحبة ضدها البغض والرضا ضده السخط وهو يرجع الى الارادة فاذا قيل رضي عنه
فكأنه اراد تعظيمه وثوابه واذا قيل عمله فكأنه اراد ذلك والسخط ارادة الانتقام وشطر المسجد الحرام اي نحوه وتلقاءه
قال الشاعر وقد اظلكم من شطر ثغركم هول له ظلم يغشاكم قطعا اي من نحو ثغركم وقال آخر ان
العسير بها داء مخامرها فشطرها نظر العينين محسور اي نحوها قال الزجاج يقال هؤلاء القوم يناظرونا اي دورهم
تقابل دورنا كما يقال هؤلاء يناحوننا اي نحن نحوهم وهم نحونا قال صاحب العين شطر كل شيء نصفه
وشطره نحوه وقصده ومنه المثل احلب حلبا لك شطره اي نصفه وشطرت الشيء جعلته نصفين والحرام المحرم
كما ان الكتاب بمعنى المكتوب والحساب بمعنى المحسوب والحق وضع الشيء في موضعه اذا لم يكن فيه وجه من وجوه القبح
والغفلة هي السهو عن بعض الاشياء خاصة واذا كان السهو عاما فهو زوال العقل لان النائم لا يقال له غافل الا مجازا
الاعراب حيث ما كنتم موضع كنتم جزم بالشرط وتقديره حيثما تكونوا او اينما وما هنا في موضع الجزم لانها
بحيث واذ حتى يكف كل واحد منهما بما وذلك لانهما لا يكونان الا مضافين الى ما بعدهما من الجملة فلا تجازي
بهما لانما في المجازاة بهما ليكفهما عن الاضافة لان الاضافة تمنع الجزم فيهما وذلك لان الفعل اذا وقع في موضع اسم
ارتفع والمضاف اليه في موضع اسم مجرور وموضعه جر بالاضافة فمنع جزمه بالجزاء مع وجوب شرط الرفع
فيه فلما كان كذلك كفا بما لتهيئهما للجزم بهذا الشرط او الجزاء ولو احملته في محل الرفع لو وقعها موقع الفعل
المضارع بعد الفاء والفاء مع ما بعده في محل الجزم لانه جواب الشرط وشطره منصوب على الظرف
النزول قال المفسرون كانت الكعبة احب القبلتين الى رسول الله صلعم فقال لجبرئيل وددت
ان الله صرفني عن قبلة اليهود الى غيرها فقال له جبرئيل انما انا عبد مثلك وانت كريم على ربك
فادع ربك وسله ثم ارتفع جبرئيل وجعل رسول الله صلعم يديم النظر الى السماء رجاء ان يأتيه جبرئيل
بالذي سأل ربه فانزل الله تعالى هذه الآية المعنى قد نرى تقلب وجهك اي تحول وجهك في السماء انتظارا للوحي
في امر القبلة وقيل في سبب تقليب النبي وجهه في السماء وجهان احدهما انه كان وعد بتحويل القبلة
عن بيت المقدس فكان يفعل ذلك انتظارا وتوقعا للموعود كما ان من انتظر شيئا فانه يجعل بصره الى
الجهة التي يتوقع وروده منها والثاني انه كان يكره قبلة بيت المقدس ويهوى قبلة الكعبة وكان لا يسأل
الله تعالى ذلك لانه لا يجوز للانبياء ان يسألوا الله تعالى شيئا من غير ان يؤذن لهم لانه يجوز ان لا يكون فيه مصلحة
فلا يجابون الى ذلك فيكون فتنة لقومهم واختلف في سبب ارادته تحويل القبلة الى الكعبة
فقيل لان الكعبة كانت قبلة ابيه ابراهيم وقبلة آبائه عن ابن عباس وقيل لان اليهود قالوا يخالفنا

محمد في دينا ويتبع قبلتنا من بعدها وقيل ان اليهود قالوا ما ادري محمد واصحابه اين قبلتهم حتى هديناهم
عن ابن زيد وقيل كانت العرب يحبون الكعبة ويعظمونها غاية التعظيم فكان في التوجه اليها استمالة لقلوبهم
ليكونوا احرص على الصلوة اليها وكان عليه السلام حريصا على استدعائهم الى الدين ويحتمل ان يكون انما احب
ذلك لجميع هذه الوجوه اذ لا تنافي بينها وقوله فلنولينك قبلة ترضاها اي فلنصرفنك الى قبلة تريدها
وتحبها وانما اراد به محبة الطباع لانه كان يحب القبلة الاولى فول وجهك شطر المسجد الحرام اي حول
نفسك نحو المسجد الحرام لان وجه الشيء نفسه وقيل انما ذكر الوجه لانه يظهر التوجه وقال ابو علي
الجبائي اراد بالشطر النصف فامر النبي بالتوجه الى نصف المسجد الحرام حتى يكون مقابل الكعبة وهذا غلط
لانه خلاف اقوال المفسرين وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره اي اينما كنتم من الارض في بر او بحر او سهل
او جبل فحولوا وجوهكم نحوه والاول خطاب للنبي صلعم واهل المدينة والثاني خطاب لجميع الافاق ولو
اقتصر على الاول لجاز ان يظن ان ذلك قبلتهم حسب فبين الله سبحانه انه قبلة لجميع المصلين في مشارق
الارض ومغاربها وذكر ابو اسحق الثعلبي في كتابه عن ابن عباس انه قال البيت كله قبلة وقبلة البيت الباب والبيت
قبلة اهل المسجد والمسجد قبلة اهل الحرم والحرم قبلة اهل الارض كلها وهذا موافق لما قاله اصحابنا ان
الحرم قبلة من نأى عن الحرم من اهل الافاق وقوله وان الذين اوتوا الكتاب اراد به علماء اليهود وقيل علماء اليهود و
النصارى ليعلمون انه الحق من ربهم اي يعلمون ان تحويل القبلة الى الكعبة حق مأمور به من ربهم وانما علموا ذلك
لانه كان في بشارة الانبياء لهم ان يكون نبي من صفاته كذا وكذا وكان في صفاته انه يصلي الى القبلتين وروي
انهم قالوا عند التحويل ما امرت بهذا يا محمد وانما هو شيء تبتدعه من تلقاء نفسك مرة الى هنا ومرة الى هنا فانزل
الله تعالى وبين انهم يعلمون خلاف ما يقولون وما الله بغافل عما يعملون اي ليس الله بغافل عما يعمل هؤلاء
من كتمان صفة محمد صلعم والمعاندة ودل هذا على ان المراد بالاية قوم معدودون يجوز على مثلهم التواطؤ على
الكذب وعلى ان يظهروا خلاف ما يبطنون فاما الجمع العظيم فلا يجوز عليهم التواطؤ على الكذب ولا يتأتى
منهم كلهم ان يظهروا خلاف ما يعلمون وهذه الاية ناسخة لفرض التوجه الى بيت المقدس قال ابن عباس اول ما
نسخ من القران فيما ذكر لنا شأن القبلة وقال قتادة نسخت هذه الاية ما قبلها وقال ابو جعفر بن مبشر هذا مما نسخ من
السنة بالقران وهذا هو الاقوى لانه ليس في القران ما يدل على التعبد بالتوجه الى بيت المقدس ومن قال انها نسخت
قوله فاينما تولوا فثم وجه الله فان هذه الاية عندنا مخصوصة بالنوافل في حال السفر وروي ذلك عن ابي جعفر
وابي عبد الله عليهما السلم وليست بمنسوخة واختلف الناس في صلوة النبي صلعم الى بيت المقدس فقال قوم
كان عليه السلام يصلي بمكة الى الكعبة فلما هاجر الى المدينة امره الله تعالى ان يصلي الى بيت المقدس ثم اعيد الى الكعبة وقال
قوم كان يصلي بمكة الى بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينها ولا يصلي في غير المكان الذي يمكن هذا فيه
وقال قوم بل كان يصلي بمكة وبعد قدومه بالمدينة الى بيت المقدس ولم يكن عليه ان يجعل الكعبة بينه وبينها
ثم امره الله تعالى بالتوجه الى الكعبة قوله تعالى ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية ما تبعوا قبلتك
وما انت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن
الظالمين. الاعراب اختلف النحويون في ان لئن اجيب بجواب لو فقال الاخفش اجيب بجواب
لو لان الماضي وليها كما يلي لو فدخلت كل واحدة منهما على صاحبتها قال سبحانه ولئن ارسلنا ريحا فرأوه مصفرا
لظلوا من بعده فجرى لئن مجرى لو وقال ولو انهم امنوا واتقوا لمثوبة فجرى لو مجرى لئن قال سيبويه واصحابه

ان معنى ليظلوا ليظلن فمعنى لئن غير معنى لو وكل واحدة منهما على حقيقتها وحقيقة معنى لو امتناع الشيء
لامتناع غيره كقولك لو اتيتني لاكرمتك فامتنع الاكرام لامتناع الاتيان ومعنى ان تقع بها الشيء لوقوع غيره كقولك
ان تاتني اكرمك فالاكرام يقع لوقوع الاتيان ولو لما مضى وان لما يستقبل وانما الحق في الجواب هذا الكلام
لدلالة اللام على معنى القسم ولمجيء جواب القسم اغنى عن جواب الشرط لدلالته عليه وكذلك قوله انك اذا لمن الظالمين
ليس بجواب للشرط على الحقيقة ولكنه جواب القسم وقد اغنى عن الجزاء لدلالته عليه ولما يجاب الشرط بالفعل
او بالفاء او باذا على ما هو مشروح في مواضعه المعنى ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب في الكلام معنى القسم اي والله
لئن اتيت الذين اعطوا الكتاب يعني اهل العناد من علماء اليهود والنصارى عن الزجاج والبلخي وقيل المعني جميع
اهل الكتاب عن الحسن وابي علي بكل اية اي بكل حجة ودلالة ما تبعوا قبلتك ما صاروا مجتمعين على اتباع قبلتك
على القول الاول لا يؤمن منهم احد لان المعاند لا تنفعه الدلالة وانما تنفع الجاهل الذي لا يعلم وما انت بتابع
قبلتهم في معناه اربعة اقوال احدها انه دفع لتجويز النسخ وبيان ان هذه القبلة لا تنسخ وثانيها انه على وجه المقابلة
لقولهم ما تبعوا قبلتك كما يقال وما هم بتاركي انكار الحق وما انت بتارك الاعتراف به فيكون الذي جرى
الثاني هو المقابل للكلام الاول وثالثها ان المراد ليس يمكنك استصلاحهم باتباع قبلتهم لاختلاف وجهتهم لان
النصارى توجههم الى مطلع الشرق الموضع الذي ولد فيه عيسى ع واليهود الى بيت المقدس فبين الله سبحانه ان
ارضاء الفريقين محال ورابعها ان المراد حسم اطماع اهل الكتاب من اليهود اذ كانوا طمعوا في ذلك وظنوا
انه يرجع الى الصلوة الى بيت المقدس وقوله وما بعضهم بتابع قبلة بعض في معناه قولان احدهما انه لا تصير
النصارى كلهم يهودا ولا تصير اليهود كلهم نصارى ابدا كما لا يتبع جميعهم الاسلام وهذا من الاخبار بالغيب قاله
الحسن والسدي والاخر ان معناه اسقاط اعتلالهم بانه لا يجوز مخالفة اهل الكتاب فيما ورثوه عن انبياء الله
فان بيت المقدس ان كان قبلة الانبياء فهو اولى ان يكون قبلة اي فكما جاز ان يخالف بين وجهتيهم للاستصلاح
جاز ان يخالف بوجهة ثالثة في زمان اخر للاستصلاح ويحتمل ايضا ان يجري الكلام على الظاهر لانهم ثبتوا
ان هي دينا فتصير لا ان نصرانيا يهود ولا ضرورة بنا الى العدول عن الظاهر الى التاويل وهذا قول القاضي
وقوله ولئن اتبعت اهواءهم الخطاب للنبي وفيه اربعة اقوال احدها ان المراد به غيره من امته وان كان الخطاب
له والمراد الدلالة على ان الوعيد يستحق باتباع اهوائهم في المداراة لهم حرصا على ان يؤمنوا انك اذا لمن الظالمين
لنفسك مع اعلامنا اياك انهم لا يؤمنون عن الجبائي وثانيها ان معناه الدلالة على فساد مذاهبهم وتبكيتهم بها
وان من تبعهم كان ظالما وثالثها انه على سبيل الزجر عن الركون اليهم ومقاربتهم تقوية لنفسه ومنعا من شريعتهم و
على صلوتهم من التاخر من بعد ما جاءك من العلم اي من الايات والوحي الذي هو طريق العلم وقيل من بعد ما
علمت ان الحق ما انت عليه من القبلة والدين انك اذا لمن الظالمين قد مضى معناه وهو مثل قوله لئن اشركت ليحبطن
عملك وفي هذه الاية دلالة على فساد قول من قال انه لا يصح الوعيد بشرط وان من علم الله سبحانه انه يؤمن
لا يستحق العقاب اصلا لان الله تعالى علق الوعيد بشرط يوجب انه متى حصل الشرط يحصل استحقاق العقاب وفيها
دلالة على فساد من زعم ان في المقدور لطفا لو فعله الله تعالى بالكافر لامن لان الله قال انا لو اتيتهم بكل اية ما
تبعوا قبلتك هذا على قول من قال المراد المعاند لا ينفعه شيء من الايات وعلى قول من قال المراد به جميع الكفار ولا
لهم ايضا يؤمنون عنده فعلى الوجهين معا يبطل قولهم وفيها دلالة ايضا على ان جميع الكفار لا يؤمنون. آية
قوله تعالى الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وان فريقا منهم ليكتمون
الحق وهم يعلمون. المعنى اخبر الله تعالى انهم يعرفون النبي صلعم وصحة نبوته فقال الذين

اتيناهم اي اعطيناهم الكتاب وهم العلماء منهم يعرفونه اي يعرفون محمدا وانه حق كما يعرفون ابناءهم والضمير في يعرفونه يعود الى العلم من قوله من العلم يعني النبوة وقيل الضمير يعود الى امر القبلة اي يعرفون امر القبلة عن ابن عباس فان قيل كيف قال يعرفون ابناءهم وهم كانوا يعرفون ابناءهم من جهة الحكم ويعرفونه من جهة الحقيقة قيل انه شبه المعرفة بالمعرفة ولم يشبه طريق المعرفة بطريق المعرفة فكل واحد من المعرفتين كالاخرى وان اختلف الطريقان وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون انما خص الفريق منهم لان من اهل الكتاب من اسلم كعبد الله بن سلام وكعب الاحبار وغيرهما قوله تعالى الحق من ربك فلا تكونن من الممترين

اية اللغة الامتراء الاستخراج وقيل الاستدرار قال الاعشى تدر على اسوق الممترين ركضا اذا ما السحاب ارجحن فيها التاكين في دورها الطول سيرها وقيل المستخرجين ما عندنا ناقة لصاحب العين المري مسح ضرع الناقة تمرها بيدك لتسكن للحلب واصل الباب الاستدرار فكان لك ان تمتري النعم اي تستدر الاعراب الحق مرفوع بانه خبر مبتدا محذوف وتقديره ذلك الحق او هو الحق ومثله مررت برجل كريم زيد اي هو زيد ولو نصب لجاز في العربية على تقدير اعلم الحق من ربك او اقرا الحق والنون في لا تكونن نون التوكيد يؤكد بها الامر والنهي ولا يؤكد بها الخبر لما كان الخبر على كون المخبر به وليس كذلك الامر والنهي والاستخبار فالزم الخبر التاكيد بالقسم وجوابه واختصت هذه الانباء بنون التاكيد ليدل على اختلاف المعنى في المؤكد ولما كان الخبر اصل الجمل اكد بالغ التاكيد وهو القسم

المعنى وهو الحق من ربك وهو ما اتيته من الوحي والكتاب والشرايع فلا تكونن من الممترين من الشاكين في الحق الذي تقدم اخبار الله تعالى به وفي عنادهم وكتمهم النبوة وامتناعهم من الاجماع على ما قامت به الحجة وقيل من الممترين في ذلك لمزيد العلم وهذا اولى لانه اعم والخطاب وان كان متوجها الى النبي فالمراد به الامة كقوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء ولما تقدم وقيل الخطاب له لانه انما لاحجة عليه للامة امرا لله سبحانه ولو لم يكن هناك امر يقتضي المكلف وفي هذا دلالة على جواز ثبوت القدرة على خلاف المعلوم خلافا لقول المجبرة قوله تعالى ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات اينما تكونوا يات بكم الله جميعا ان الله على كل شيء قدير

اية القراءة قرا ابن عامر وابو بكر عن عاصم هو مولاها وروي ذلك عن ابن عباس ومحمد بن علي الباقر وقرا الباقون موليها الحجة من قرا موليها فالضمير الذي هو هو لكل والتقدير الله موليها اياه حذف المفعول الثاني لجري ذكره المظهر وهو كل في قوله ولكل وجهة وهو مبتدا وموليها خبره والجملة التي هي موليها في موضع رفع لكونها وصفا لوجهة ومن قرا هو مولاها فالضمير الذي هو هو لكل وقد جرى ذكره وقد استوفى الاسم الجاري على الفعل المبني للمفعول مفعوليه اللذين يقتضيهما احدهما الضمير المرفوع من مولى والاخر ضمير المؤنث ويجوز ان يكون الضمير الذي هو هو في قوله هو موليها عائدا الى كل والتقدير لكل وجهة هو موليها وجهه فبعضهم يذهب الى انه مصدر شذ عن القياس اي كل اهل وجهة هم الذين ولوا وجوههم الى تلك الجهة اللغة واختلف اهل العربية في وجهة فبعضهم يذهب الى انه مصدر شذ عن القياس فجاء مصححا ومنهم من يقول هو اسم ليس بمصدر وجاء على اصله ولو انه كان مصدرا لجاء مصححا للزم ان يجيء هذا ايضا مصححا الا ترى ان هذا المصدر انما اعتل على الفعل حيث كان عاملا عمله وكان على حركاته وسكونه فلو صح لصح الفعل لان هذه الافعال المعتلة اذا صحت في موضع تبعها في ذلك فوجهة اسم للمتوجه والجهة المصدر والوجه والجهة ما ان يزيد هنا المصدر وما زايدة وله في موضع الصفة للنكرة والاستيناف ولا استبار ولا عسر انه

وله في هذا الامر سيقول السفهاء من الناس اي سيق الناس الى المعنى هذا بيان لامر القبلة ايضا وقوله ولكل وجهة فيه اقوال احدها ان معناه لكل اهل ملة من اليهود والنصارى قبلة عن مجاهد واكثر المفسرين وثانيها ان لكل نبي وصاحب ملة وجهة اي طريقة وهي الاسلام وان اختلفت الاحكام كقوله سبحانه لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا يعني شرايع الانبياء عن الحسن وثالثها ان لكل من المسلمين واهل الكتاب قبلة يعني صلوتهم الى بيت المقدس وصلوتهم الى الكعبة عن قتادة ورابعها ان لكل قوم من المسلمين وجهة من كان منهم وراء الكعبة او قدامها او عن يمينها او عن شمالها وهو اختيار الجبائي هو موليها اي الله موليها اياهم ومعنى توليته لهم اياها الزامهم بالتوجه نحوها في صلوتهم اليها الزامهم بالتوجه نحوها في صلوتهم اليها ويدل على ذلك قوله فلنولينك قبلة ترضاها وقيل معناه لكل مولى لوجهه وجهة او نفسه لانه استغنى عن ذكر المفعول الوجه وكل وان كان مجموع المعنى فهو موحد اللفظ فجاء الضمير على لفظه فلذلك قال في الكتابة عنه وان كان المراد الجمع والمعنى كل جماعة منهم يولونها وجوههم ويستقبلونها وقوله فاستبقوا الخيرات معناه سارعوا الى الخيرات عن الربيع والخيرات هي الطاعات لله وقيل معناه بادروا الى القبول من الله عز وجل فيما امركم به مبادرة من يطلب السبق اليه على انجاح وقيل معناه تنافسوا فيما رغبكم فيه من الخير فلكل عندي ثوابه عن ابن عباس وقوله اينما تكونوا يات بكم الله جميعا اي حيثما متم من بلاد الله سبحانه يات بكم الله الى المحشر يوم القيمة وروي في اخبار اهل البيت عليهم السلام ان المراد به اصحاب المهدي في اخر الزمان قال الرضا عليه السلام وذلك والله ان لو قام قائمنا يجمع الله اليه جميع شيعتنا من جميع البلدان ان الله على كل شيء قدير اي هو قادر على جمعكم وحشركم وعلى كل شيء قدير قوله تعالى ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون

اية المعنى ومن حيث خرجت من البلاد فول وجهك شطر المسجد الحرام اي فاستقبل بوجهك نحو المسجد الحرام وقيل في تكراره وجوه احدها انه لما كان فرضا نسخ ما قبله كان من مواضع التاكيد والتبيين لينتقل الحال في الحالة الثانية من الحال الاولى على يقين وثانيها انه مقدم لما ياتي بعده ويتصل به فاشبه الاسم الذي تكرر ليخبر عنه باخبار كثيرة كما يقال زيد كريم زيد عالم زيد فاضل وما اشبه ذلك مما يكرر لتعلق الفائدة به وثالثها انه في الاول بيان لحال السفر وفي الثاني بيان لحال الحضر وقوله انه للحق من ربك معناه وان التوجه الى الكعبة الحق المامور به من ربك ويحتمل ان يراد بالحق الثابت الذي لا يزول بنسخ كما يوصف القديم سبحانه بانه الحق اي الثابت الذي لا يزول وما الله بغافل عما تعملون معناه هاهنا التهديد كما يقول الملك لعبده ليس يخفى علي ما انت فيه ومثله قوله ان ربك لبالمرصاد قوله تعالى ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون

اية الاعراب لئلا يكون هو لان لا كتب المهموزة بالياء لكسرة ما قبلها وترك اهم همزها تخفيفا وادغمت النون في اللام وموضع اللام من لئلا نصب والعامل فيه فولوا وقال الزجاج العامل فيه ما دل الكلام ومعنى حرفكم ذلك لئلا يكون وكذلك قوله ولاتم نعمتي اللام تتعلق بقوله فولوا وتقديره ولان اتم وقوله الا الذين ظلموا فيه قولان احدهما انه استثناء منقطع كقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن ويقال ما له علي حق الا التعدي والظلم يعني لكنه يتعدى ويظلم وقال النابغة ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتايب فكانه يقول ان كان فيهم عيب فهذا وليس هذا بعيب فاذا ليس فيهم عيب وهكذا في الاية ان كان للظالمين حجة فالظالم في احتجاجه وليس للظالم حجة فاذا ليس عليهم حجة والثاني ان يكون الحجة بمعنى المحاجة فكانه قال لئلا يكون للناس

حجاج الا الذين ظلموا فانهم يحاجونكم بالباطل وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا والثالث ما قاله ابو عبيدة ان
الا ههنا بمعنى الواو اى ولا الذين ظلموا وانكره الفراء والمبرد قال الفراء الواو لا يكون بمعنى الا الا ان تقدمه استثناء
كما قال الشاعر ما بالمدينة دار غير واحدة دار الخليفة الا دار مروان اى الا دار الخليفة ودار مروان وانشد الاخفش
وارى لها دارا باغدرة السيدان لم يدرس لها رسم الا رمادا هامدا دفعت عنه الرياح خوالد سحم اى لها دار ورماد
البين ولا يجوز ان يكون الا بمعنى الواو اصلا والرابع ان فيه اضمارا على تقدير الا على الذين ظلموا منهم فكانه قيل
لئلا يكون عليكم حجة الا الذين ظلموا فانه يكون الحجة عليهم وهو الكلام من قطرب وهو اختيار الازهرى وعلى بن عيسى وهذان الوجهان
بعيدان والاختيار القول الاول المعنى قد مضى الكلام فى معنى اول الاية وقيل فى تكراره وجوه احدها انه لاختلاف المعنى
وان اتفق اللفظ لان المراد بالاول من حيث خرجت منصرفا عن التوجه الى بيت المقدس فول وجهك شطر المسجد الحرام
والمراد بالثانى اين كنت من البلاد فتوجه نحو من الجهات الكعبة وساير الاقطار وثانيها انه موضع التاكيد لما يجرى من
النسخ ليثبت فى القلوب وثالثها للاختلاف المواطن والاوقات التى تحتاج الى هذا المعنى فيها وقوله لئلا يكون الناس
عليكم حجة قيل فيه وجوه اولها ان معناه لئلا يكون لاهل الكتاب عليكم حجة اذا لم تصلوا نحو المسجد الحرام
بان يقولوا ليس هذا هو النبى المبشر به اذ ذلك نبى يصلى الى القبلتين وثانيها ان معناه لئلا يقولوا لو لم يامركم الله بالتحول
الى الكعبة فيكون لهم عليكم حجة بان يقولوا لو كنتم تعلمون انه من عند الله لما عدلتم عنه عن الجبائى وثالثها
ما قاله ابو روق ان حجة اليهود انهم كانوا قد عرفوا ان النبى المبعوث فى اخر الزمان قبلته الكعبة فلما راوا محمدا يصلى
الى الصخرة احتجوا بذلك فصرفت قبلته الى الكعبة لئلا يكون لهم عليه حجة الا الذين ظلموا منهم يريد الا الظالمين
الذين يكتمون ما عرفوا من انه يتحول الى الكعبة وعلى هذا يكون الاستثناء متصلا ويجوز ما تقدم ذكره من الاقوال فى الاعراب
وانما اختلف العلماء فى وجه الاستثناء لان الظالم لا يكون له حجة لكنه اورد ما هو فى اعتقاده حجة وان كانت باطلة كما قال
سبحانه حجتهم داحضة وقيل المراد بالذين ظلموا قريش واليهود فاما قريش فقالوا قد علم انا على الحق فرجع الى قبلتنا
وسيرجع الى ديننا واما اليهود فقالوا لم ينصرف عن قبلتنا عن علم وانما هذا برايه وزعم انه امر وقيل المراد بالذين ظلموا
العموم يعنى ظلموكم بالمقاتلة وقلة الانصاف وقوله فلا تخشوهم واخشونى لما ذكرهم بالظلم والخصومة والمحاجة طيب نفوس
المؤمنين فقال لا تخافوهم ولا تلتفتوا الى ما يكون منهم فان عاقبة السوء عليهم ولا حجة لاحد منهم عليكم
لا عنتهم فى استقبال الكعبة واخشوا عقابى فى ترك استقبالها فانى احفظكم من كيدهم وقوله ولاتم نعمتى عليكم
عطف على قوله لئلا وتقديره لئلا يكون لاحد عليكم حجة ولاتم نعمتى عليكم بهدايتى اياكم الى قبلة ابرهيم عليه السلم
بين سبحانه ان تحول القبلة الى الكعبة لغرضين زوال المقالة وتمام النعمة وروى عن ابن عباس انه قال لاتم نعمتى عليكم
فى الدنيا والاخرة اما فى الدنيا فانصركم على اعدائكم واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم واما فى الاخرة فجنتى ورحمتى
وروى عن على عليه السلام قال النعم ستة الاسلام والقران ومحمد صلعم والستر والعافية والغنى عما فى ايدى الناس و
لعلكم تهتدون اى لكى تهتدوا ولعل من الله واجب عن الحسن ومجاهد وقيل لتهتدوا الى ثوابها وقيل الى التمسك بها
قوله تعالى كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم اياتنا ويزكيكم ويعلمكم
الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون · اية اللغة الارسال التحميل بالرسالة والتحميل
لها لتؤدى الى من قصد بها والتلاوة ذكر الكلمة بعد الكلمة على نظام متسق واصله من الاتباع ومنه تلاه اى تبعه والتزكية
النسبة الى الازكاء من الافعال الحسنة التى ليست بمشوبة وهو ايضا على معنى التعريض لذلك بالاستدعاء اليه
واللطف فيه ويقال زكى فلانا اذا اطراه ومدحه وزكاه حمله على ما لزمه فيه الزكاة والنماء وهو الطهارة والعلم
والحكمة هى العلم الذى يمكن به الافعال المستقيمة الاعراب ما فى قوله كما ارسلنا مصدرية

مكانه قال كما رايت الناس ويحتمل ان يكون كافة كما قال الشاعر اعلام ترام الوليد بعد ما افنان رايتن كما لقم المحلس
فانه يجوز كما زيد يحسن اليك فاحسن اليه اسبابه والعامل فى الكاف من قوله كما يجوز ان يكون الفعل الذى قبله وهو قوله
ولاتم نعمتى عليكم وعلى هذا لا يوقف عند قوله لعلكم تهتدون ويوقف عند قوله ما لم تكونوا تعلمون ويجوز ان يكون
العامل الذى بعده وهو قوله فاذكرونى اذكركم وعلى هذا يوقف عند قوله لعلكم تهتدون ويبتدئ بقوله كما ارسلنا
ولا يوقف عند قوله تعلمون الاول احد قولى الزجاج واختيار الجبائى والثانى قول مجاهد والحسن واحد قولى الزجاج
وقوله منكم فى موضع نصب لانه صفة لقوله رسولا وكذلك قوله يتلوا وما بعده فى موضع الصفة المعنى
قوله كما ارسلنا التشبيه فيه على القول الاول معناه ان النعمة فى امر القبلة كالنعمة بارسال الرسول لان الله تعالى
لعباده حملهم على ما يعلم من المصلحة ومحمود العاقبة واما على القول الثانى فمعناه ان فى بعثة الرسول منكم اليكم نعمة
عليكم لانه يحصل لكم به عز الرسالة فكما انعمت عليكم بهذه النعمة العظيمة فاذكرونى بالشكر واعبدونى اذكركم
بالجزاء والثواب والخطاب للعرب على قول جميع المفسرين وقوله رسولا يعنى محمدا صلعم منكم بالنسب لانه من العرب ووجه
النعمة عليهم بكونه من العرب ما حصل لهم به من الشرف والذكر فان العرب لم يكن لتتبع رسولا بعث اليهم من غيرهم
مع نخوتهم وعزتهم فى نفوسهم فيكون الرسول منهم ادعى لهم الى الايمان به واتباعه وقوله يتلوا عليكم اياتنا اى
القران ويزكيكم ويعرضكم لما تكونون به ازكياء من الامر بطاعة الله واتباع مرضاته ويحتمل ان يكون معناه
ينسبكم الى انكم ازكياء بشهادته لكم بذلك ليعرفكم الناس به ويعلمكم الكتاب و
الحكمة الكتاب القران والحكمة هى القران ايضا جمع بين الصفتين لاختلاف فائدتهما كما يقال
الله العالم بالامور كلها القادر عليها وقيل اراد بالكتاب القران وبالحكمة الوحى من السنة وما لا يعلم
الا من جهته من الاحكام وقوله ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون اى ما لا سبيل لكم الى علمه الا من
جهة السمع فذكرهم الله بالنعمة ويكون التعليم لما عليه دليل من جهة العقل تابعا للنعمة فيه ولا سيما اذا وقع موقع
اللطف قوله تعالى فاذكرونى اذكركم واشكروا لى ولا تكفرون · اية
اللغة الذكر حضور المعنى للنفس وقد يكون بالقلب وقد يكون بالقول وكلاهما يحضر المعنى للنفس وفى اكثر
الاستعمال يقال الذكر بعد النسيان وليس ذلك بموجب لان لا يكون الا بعد نسيان لان كل من حضره المعنى بالقول او العقد
او الحضور بالبال فذاكره واصله التنبه على الشئ فمن ذكرته شيئا فقد نبهته عليه واذا ذكر بنفسه فقد تنبه عليه
والذكر الشرف والنباهة والفرق بين الذكر والخاطر ان الخاطر مر بالقلب والذكر قد يكون بالقول ايضا وفى قوله
ولا تكفرون واشكروا لى محذوف فاى اشكروا لى نعمتى لان حقيقة الشكر الاعتراف بالنعمة وفى ولا تكفرون
ايضا محذوف وفى الكفر هو ستر النعمة وجحدها لا ستر المنعم وقولهم حمدت زيدا وذممته لا حذف فيه وان
كان انما يمدح او يذم من اجل الفعل كما انه ليس فى قولك زيد محسن حذف وان كان يمدح لاجل الحكم فليس
كل كلام دل على معنى غير مذكور يكون فيه حذف الا ترى ان قولك زيد ضارب دل على مضروب وليس بمحذوف
فالحمد للشئ دلالة على انه محمود والذم دلالة على انه مستحق كقولهم احمد زيد وذممت عمرا وقولهم شكرتك
وشكرت لك وانما قيل شكرتك لايقاع اسم المنعم موقع النعمة فعدى الفعل بغير واسطة والاجود شكرت لك النعمة
لانه الاصل فى الكلام قال الشاعر همو جمعوا بؤسى ونعمى عليكم فهلا شكرت القوم اذ لم تقابل ومثل ذلك
نصحتك ونصحت لك وذكرنا الوجه فى حذف الياء فى مثل ولا تكفرون فيما مضى المعنى فاذكرونى اذكركم
قيل معناه اذكرونى بطاعتى اذكركم برحمتى عن سعيد بن جبير وبيانه قوله سبحانه واطيعوا الله والرسول
لعلكم ترحمون وقيل اذكرونى بطاعتى اذكركم بمعونتى عن ابن عباس وبيانه قوله والذين

٨٣

جاهه واهنا الهدى به سبلنا وقيل اذكروني بالشكر اذكركم بالزيادة عن ابن كيسان وبيانه قوله لئن
شكرتم لازيدنكم وقيل اذكروني على ظهر الارض اذكركم في بطنها وقد جاء في الدعاء
اذكرني عند البلاء اذا انسيني الناسون من الورى وقيل اذكروني في الدنيا اذكركم في الآخرة
العقبى وقيل اذكروني في النعمة والرخاء اذكركم في الشدة والبلاء وبيانه قوله سبحانه فلولا انه كان من المسبحين
للبث في بطنه الى يوم يبعثون وفي الخبر تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة وقيل اذكروني بالدعاء
اذكركم بالاجابة وبيانه قوله ادعوني استجب لكم وروي عن ابي جعفر الباقر قال ان الملك
ينزل الصحيفة من اول النهار واول الليل يكتب فيها عمل ابن آدم فاعملوا في اولها خيرا وفي آخرها فان الله يغفر
ما بين ذلك ان شاء الله فان الله يقول اذكروني اذكركم وقال الربيع في هذه الآية ان الله عز وجل ذاكر من ذكره وزايد من شكره ومعذب
من كفره وقوله واشكروا لي اي اشكروا نعمتي واظهروها واعترفوا بها ولا تكفرون ولا تستروها ولا تجحدوها يعني النعم في قوله كما
ارسلنا فيكم رسولا منكم الآية قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلوة ان الله مع الصابرين
آية الاعراب الذين آمنوا موضعه رفع بانه صفة لاي كما ان الناس كذلك في قوله يا ايها الناس وقد ذكرنا
فيما مضى وهو قول جميع النحويين الا الاخفش فانه يجعله صلة لاي ويضمر بانه خبر مبتدأ محذوف كانه قال اي من هم الذين
آمنوا الا انه لا يظهر المحذوف مع اي وانما حمله على ذلك انه لم ير ان لاي فقال الصفة لازمة وانما تلزم الصلة
قال علي بن عيسى والوجه عندي ان يكون صفة بمعنى الصلة في اللزوم وقد ذكرنا الوجه في لزومها ايضا
عند قوله سبحانه يا ايها الناس اعبدوا ربكم وقال ابو علي لا يجوز ان يكون اي في النداء موصولة لانها لو كانت موصولة
لوصلت بكل واحدة من الجمل الاربع ولم يقتصر بها على ضرب واحد منها لان ذلك لم يفعل بشيء من الاسماء
الموصولة في موضع ولجاز ايضا ان يقال يا ايها الرجل لان حرف النداء لا يجوز ان يكون مقصورا على المعرفة
بالالف واللام ولا يكثر عنه وفي امتناع جميع النحويين من اجازة ذلك ما يدل على فساد هذا القول وايضا لو كانت
موصولة للزم جواز اظهار المبتدأ المحذوف من الصلة وكان يجوز يا ايها هو الرجل ويا ايها هي المرأة ولا خلاف في
انه لا يجوز ذلك المعنى قد مضى تفسير قوله استعينوا بالصبر والصلوة فيما مضى يخاطب المؤمنين فيقول استعينوا
بالصبر اي بحبس النفس عما تشتهيه من المقبحات وحملها على ما تنفر منه من الطاعات والى هذا المعنى اشار امير المؤمنين
في قوله الصبر صبران صبر على ما تكره وصبر على ما تحب وبالصلوة لما فيها من الذكر والخشوع لله وتلاوة القرآن الذي
يتضمن ذكر الوعد والوعيد والهدى والبيان فما هذه صفته يدعو الى الحسنات ويزجر عن السيئات
واختلف في الاستعانة بهما على ماذا فقيل على جميع الطاعات فكانه قال استعينوا بهذا الضرب من الطاعة على غيره من
الطاعات وقيل على الجهاد في سبيل الله وقوله ان الله مع الصابرين فيه وجهان احدهما انه معهم بالمعونة والنصرة
كما قال السلطان معك فلا تبال من لقيت والآخر ان المراد هو معهم بالتوفيق والتسديد اي يسهل عليهم
اداء العبادات والاجتناب من المقبحات ونظيره قوله سبحانه ويزيد الله الذين اهتدوا هدى ولا يجوز ان يكون
مع هاهنا بمعنى الاجتماع في المكان لان ذلك من صفات الاجسام تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وفي الآية دلالة
على ان في الصلوة لطفا للعبد لانه سبحانه امر بالاستعانة بها ويؤيده قوله سبحانه ان الصلوة تنهى عن الفحشاء
والمنكر قوله تعالى ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء ولكن لا تشعرون
آية اللغة السبيل الطريق وسبيل الله طريق مرضاته وانما قيل للجهاد سبيل الله لانه طريق الى ثواب
الله عز وجل والقتل هو نقض بنية الحيوة والموت عند من قال انه معنى عرض يضاد الحيوة منافاة التضاد
ومن قال انه ليس بمعنى قال هو عبارة عن بطلان الحيوة وهو الاصح فاما الحيوة فلا خلاف في انها

معنى يوجب من يصير الجملة كالشيء الواحد حتى يصير قادرا واحدا عالما واحدا ولا يقدر على فعل الحيوة الا الله سبحانه والشعور هو
ابتداء العلم بالشيء من جهة المشاعر وهي الحواس ولذلك لا يوصف تعالى بانه شاعر ولا بانه يشعر وانما يوصف بانه عالم ويعلم
وقيل ان الشعور هو ادراك ما دق للطف الحس ماخوذ من الشعر لدقته ومنه الشاعر لانه يفطن من اقامة الوزن وحسن النظم لما
لا يفطن له غيره الاعراب قوله اموات رفع بانه خبر مبتدأ محذوف وتقديره لا تقولوا هم اموات ولا يجوز فيه النصب
كما تقول قلت حسنا لان حسنا في موضع المصدر كانه قال قلت قولا حسنا واما قوله ويقولون طاعة فيجوز فيه النصب
في العربية على تقدير نطيع طاعة والفرق بين بل ولكن ان لكن لاحد الشيئين واثبات للآخر كقولك ما قام زيد لكن عمرو
وليس كذلك بل لانها اضراب عن الاول واثبات الثاني ولذلك وقعت في الايجاب كقولك قام زيد بل عمرو
النزول عن ابن عباس انها نزلت في قتلى بدر وقتل من المسلمين يومئذ اربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية
من الانصار وكانوا يقولون مات فلان وفلان فانزل الله تعالى هذه الآية المعنى لما امر الله سبحانه بالصبر والصلوة للازدياد
في القوة بهما على الجهاد قال ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات اي لا تسموا من قتل في الجهاد اموات
بل احياء اي بل هم احياء وقيل فيه اقوال احدها وهو الصحيح انهم احياء على الحقيقة الى ان تقوم الساعة وهو قول ابن
عباس وقتادة ومجاهد واليه ذهب الحسن وعمرو بن عبيد وواصل بن عطا واختاره الجبائي والرماني
وجميع المفسرين والثاني ان المشركين كانوا يقولون ان اصحاب محمد يقتلون نفوسهم في الحروب بغير سبب
ثم يموتون فيذهبون فاعلمهم الله انه ليس الامر على ما قالوه وانهم سيحيون يوم القيمة ويثابون عن البلخي ولم يذكر
ذلك غيره والثالث معناه لا تقولوا هم اموات في الدين بل هم احياء بالطاعة والهدى ومثله قوله سبحانه او من كان
ميتا فاحييناه فجعل الضلال موتا والهداية حيوة عن الاصم والرابع ان المراد انهم احياء لما نالوا من جميل الذكر
والثناء كما روي عن امير المؤمنين عليه السلام من قوله هلك خزان الاموال والعلماء باقون ما بقي الدهر اعيانهم مفقودة
وآثارهم في القلوب موجودة والمعتمد هو القول الاول لان عليه اجماع المفسرين ولان الخطاب للمؤمنين وكانوا يعلمون
ان الشهداء على الحق والهدى وانهم يحشرون ويحيون يوم القيمة فلا يجوز ان يقال لهم ولكن لا تشعرون من حيث انهم
كانوا يشعرون بذلك ويقرون به ولان حمله على ذلك يبطل فائدة تخصيصهم بالذكر ولو كانوا ايضا احياء بما حصل
لهم من جميل الثناء لما قيل انهم ولكن لا تشعرون لانهم كانوا يشعرون بذلك ووجه تخصيص الشهداء بكونهم احياء
وان كان غيرهم من المؤمنين قد يكون احياء في البرزخ انه على جهة التقديم للبشارة وذكر حالهم ثم البيان لما يختصون
به من انهم يرزقون كما في الآية الاخرى يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله فان قيل نحن نرى جثة الشهداء
مطروحة على الارض لا تتصرف ولا نرى فيها شيئا من علامات الاحياء فالجواب ان على مذهب من يقول بالانسان
من اصحابنا ان الله تعالى يجعل لهم اجساما كاجسامهم في دار الدنيا يتنعمون فيها دون اجسادهم التي في القبور
فان النعيم والعذاب انما يحصل عنده الى النفس التي هي الانسان المكلف عنده دون الجثة ويؤيد ذلك
ما رواه الشيخ ابو جعفر في كتاب تهذيب الاحكام مسندا الى علي بن مهزيار عن القاسم بن محمد عن الحسين بن احمد عن
يونس بن ظبيان قال كنت عند ابي عبد الله جالسا فقال ما تقول الناس في ارواح المؤمنين قلت يقولون
في حواصل طير خضر في قناديل تحت العرش فقال ابو عبد الله سبحان الله المؤمن اكرم على الله من
ان يجعل روحه في حوصلة طائر اخضر يا يونس المؤمن اذا قبضه الله تعالى صير روحه في قالب كقالبه
في الدنيا فياكلون ويشربون فاذا قدم عليهم القادم عرفوه بتلك الصورة التي كانت في الدنيا
وعنه عن ابن ابي عمير عن حماد عن ابي بصير قال سالت ابا عبد الله عليه السلام عن ارواح المؤمنين فقال
في الجنة على صور ابدانهم لو رايته لقلت فلان فاما على مذهب من قال من اصحابنا ان الانسان

٨٣

هذه الجملة المشاهدة وان الروح هو النفس المتردد في مخارق الحيوان وهو جزء الحيوة فالقول انه لطيف اجزاء الانسان
لا يمكن ان يكون الحي حيا باقل منها ويصل اليها النعيم وان لم تكن تلك الجملة بكمالها لانه لا يعتبر بالاطراف واجزاء السمن
في كون الحي حيا فان الحي لا يخرج بمفارقتها من كونه حيا وربما قيل بان الجثة يجوز ان تكون مطروحة في الصورة
ولا تكون ميتة فيصل اليها اللذات كما ان النائم حي ويصل اليه اللذات مع انه لا يحس ولا يشعر بشيء من ذلك
فيرى في النوم ما يجد به السرور والالتذاذ حتى انه يود ان يطول نومه فلا ينتبه وقد جاء في الحديث انه يفسح
له مد بصره ويقال له نم نومة العروس قوله ولكن لا تشعرون اي لا تعلمون انهم احياء وفي هذه دلالة على صحة
مذهبنا في سؤال القبر واثابة المؤمن فيه وعقاب العصاة على ما تظاهرت به الاخبار وانما حمل البلخي الآية
على حيوة الحشر لانكاره عذاب القبر قوله تعالى ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال و
الانفس والثمرات وبشر الصابرين • آية اللغة البلاء الاختبار ويكون بالخير والشر والخوف انزعاج
النفس لما يتوقع من الضرر والجوع ضد الشبع وهو المخمصة والمجاعة عام فيه جوع وحقيقة الجوع الشهوة
الغالبة الى الطعام والشبع زوال الشهوة ولا خلاف ان الشهوة معنى في القلب لا يقدر عليه غير الله تعالى
والجوع منه واما الشبع فهو معنى عند ابي علي الجبائي وهو هيئة وعند ابي هاشم ليس بمعنى وهكذا
القول في العطش والري والنقص نقيض الزيادة والنقصان يكون مصدرا واسما ونقص الشيء وتنقصه
لازم ومتعدي ورجل عليه نقص في عقله ودينه ولا يقال نقصان والنقيصة الوقيعة في الناس
والتنقيصة انتقاص الحق وتنقصته تناولت عرضه واصل النقص الحط من التمام والمال معروف واموال العرب انعامهم
ورجل مال اي ذو مال والثمرة افضل ما يحمله الشجر الاعراب فتحت الواو في لنبلونكم كما فتحت اللام
في لتنصرنكم وهو مبني على الفتح لانها اخف اذا استحق البناء على الحركة كما استحق الحكم في المنادى
البناء على الحركة من الخوف والجوع والجار والمجرور صفة لشيء • المعنى لما بين سبحانه ما كلف
عباده من العبادات عقبه ببيان ما امتحنهم به من فنون المشقات فقال ولنبلونكم بشيء من الخوف اي
لنختبرنكم ومعناه لنعاملنكم معاملة المختبر ليظهر المعلوم منكم والخطاب لاصحاب النبي صلعم عن عطا
والربيع ولو قيل انه خطاب لجميع الخلق لكان ايضا صحيحا بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال اي
بشيء من الجوع وشيء من نقص الاموال فاوجز وانما قال من الخوف على وجه التبعيض لانه لم يكن مؤبدا وانما
عرفهم سبحانه ذلك ليوطنوا انفسهم على المكاره التي تلحقهم في نصرة النبي صلعم لما لهم فيها من المصلحة
فاما سبب الخوف فكان قصد المشركين لهم بالعداوة وسبب الجوع تشاغلهم بالجهاد في سبيل الله
عن المعاش واحتياجهم الى الانفاق فيه وقيل القحط الذي اصابهم والجدب الذي نالهم وسبب نقص
الاموال الانقطاع بالجهاد عن العمارة ونقص الانفس بالقتل في الحروب مع رسول الله صلعم وقيل نقص الاموال
هلاك المواشي والانفس بالموت وقوله والثمرات قيل اراد به ذهاب حمل الاشجار بالجوائح وقلة النبات
وارتفاع البركات وقيل اراد به الاولاد لان الولد ثمرة القلب وانما قال ذلك لانهم اشتغلوا بالقتال
عن عمارة البساتين عن [illegible] فيقل نزل الباقين وحمل النبات والجنين [illegible]
الاشياء ما يقتضيه الحكمة من الالطاف ودقايق المصالح والاغراض ويوجر سبحانه لهم ما يرضيهم
به من جلائل الاعواض وقيل في وجه اللطف في ذلك قولان احدهما ان من جاء من بعدهم اذا راى انهم
مثل هذه الامور علموا انه لا يصيبهم ذلك النقصان درجة وحط مرتبة فانه قد اصاب من قبلهم من هو على
درجتهم وهم اصحاب النبي صلعم والآخر ان الكفار اذا شاهدوا المؤمنين يتحملون المشاق في نصرة الحق

دعوا انفسهم له وبناهم هذا المكان ولا يتغيرون في وقت الضيق وتقلب الدنيا علموا انهم انما فعلوا ذلك لعلمهم بصحة هذا الدين
وكونهم من معرفة وصدقه على اليقين فيكون ذلك داعيا لهم الى قبول الاسلام والدخول في جملة المسلمين وقوله وبشر الصابرين
اي بشرهم بالجزاء على الصبر في تلك المشاق والمكاره من المثوبة الجزيلة والعاقبة الجميلة قوله تعالى
الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون • اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون •
ايتان القراءة امال الكسائي في بعض الروايات امال النون من انا واللام من لله والباقون بالتفخيم الحجة ولما جازت
الامالة في هذه الالف مع انها للكسرة مع كثرة الاستعمال حتى صارت بمنزلة الكلمة الواحدة لم [illegible] العرب لا يجوز
امالة انا مع غير اسم الله تعالى في مثل قولك انا زيد وانما لم يجز ذلك لان الاصل في الحروف وما جرى مجراها امتناع
الامالة فيها فلا يجوز امالة حتى ولكن وما اشبه ذلك لان الحروف بمنزلة بعض الكلم من حيث امتنع فيها التصريف الذي
يكون في الاسماء والافعال اللغة المصيبة المشقة الداخلة على النفس لما يلحقها من المضرة وهو من الاصابة
كانها تصيبها بالنكبة والرجوع مصير الشيء الى المكان الذي كان فيه تقول رجعت الدار الى فلان اذا ملكها مرة ثانية وهو نظير
العود والمصير والاهتداء الاصابة لطريق الحق المعنى ثم وصف سبحانه الصابرين فقال الذين اذا اصابتهم مصيبة
اي نالتهم نكبة في النفس والمال فوطنوا انفسهم على ذلك احتسابا للاجر قالوا انا لله اقرارا بالعبودية اي نحن
عبيد الله وملكه وانا اليه راجعون هذا اقرار بالبعث والنشور اي نحن الى حكمه نصير ولهذا قال امير المؤمنين ع ان
قولنا انا لله اقرار على انفسنا بالملك وقولنا وانا اليه راجعون اقرار على انفسنا بالهلك وانما كانت هذه اللفظة
تعزية على المصيبة لما فيها من الدلالة على ان الله يجبرها ان كان عدلا وينصف من فاعلها ان كان ظلما وتقديره
انا لله تسليما لامره ورضا بتدبيره وانا اليه راجعون ثقة بانا نصير الى عدله وانفراده بالحكم في امورنا وفي
الحديث من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه وقال ع
من اصيب بمصيبة فاحدث استرجاعا وان تقادم عهدها كتب الله له من الاجر مثل يوم اصيب وروى الصادق ع عن ابيه
عن النبي صلعم قال اربع من كن فيه كتبه الله من اهل الجنة من كانت عصمته شهادة ان لا اله الا الله ومن اذا انعم الله عليه النعمة
قال الحمد لله ومن اذا اصاب ذنبا قال استغفر الله ومن اذا اصابته مصيبة قال انا لله وانا اليه راجعون
وقوله اولئك اشارة الى الذين وصفهم من الصابرين عليهم صلوات من ربهم اي ثناء جميل من ربهم وتزكية وقيل معنى
الصلوات ان الثناء يستحق دائما ففيه معنى اللزوم كما ان الدعاء يتكرر ففيه معنى اللزوم وقيل بركات من ربهم عن ابن
عباس وقيل مغفرة من ربهم ورحمة اي نعمة عاجلا وآجلا فالرحمة النعمة على المحتاج وكل احد يحتاج الى نعمته
في دنياه وعقباه واولئك هم المهتدون اي المصيبون طريق الحق في الاسترجاع وقيل الى الجنة والثواب كان
عمر بن الخطاب اذا قرا هذه الآية قال نعم العدلان ونعمت العلاوة قوله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله
فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم • آية القراءة قرا اهل
الكوفة غير عاصم ومن يطوع بالياء وتشديد الطاء والواو وكذلك الثاني بعده ووافقهم زيد ورويس عن يعقوب في
الاول والباقون تطوع على انه فعل ماض وروي في الشواذ عن علي ع وابن عباس وانس وسعيد بن جبير وابي بن
كعب وابن مسعود ان لا يطوف بهما الحجة يمكن ان يكون لا في هذه القراءة زائدة كما في قوله لئلا يعلم اهل الكتاب
اي ليعلم وكقوله من غير لا عصف ولا اصطراف اي من غير عصف واصطراف يطوع يتطوع تفعل بمعنى يتطوع الا انه ادغم
التاء في الطاء لتقاربهما اللغة الصفا في الاصل الحجر الاملس مأخوذ من الصفو واحده صفاة قال
امرؤ القيس لها كفل كصفاة المسيل ابرز عنها جحاف مضر ومثل حصاة وحصى ونواة ونوى وقيل
ان الصفاء واحد وقال المبرد الصفا كل حجر لا يخلطه غيره من الطين او التراب

واما اشتقاقه من صفا يصفو اذا خلص واصله من الواو لانك تقول في تثنيته صفوان ولا يجوز امالته والمروة في
الاصل الحجارة الصلبة اللينة وقيل الحصاة الصغيرة والمرو لغة في المروة وقيل هو جمع مثل تمرة وتمر قال
ابو ذويب حتى كاني للحوادث مروة بصفا المشرق كل يوم تقرع والمروتين واصلها الصلابة كالشات تماسي
ذلك لصلابته بوزنه وقد صارا اسمين لجبلين معروفين بمكة والالف واللام فيهما للتعريف لا للجنس والشعائر
المعالم للاعمال وشعائر الله معالمه التي جعلها مواطن العبادة وكل معلم لعبادة من دعاء او صلوة او غيرهما
فهو مشعر لتلك العبادة وواحد الشعائر شعيرة فشعائر الله اعلام متعبداته من موقف ومسعى ومنحر من شعرت اي علمت
قال الكميت نقتلهم جيلا فجيلا تراهم شعائر قربان بهم يتقرب والحج في اللغة هو القصد على وجه التكرار وفي
الشريعة عبارة عن قصد البيت بالعمل المشروع من الاحرام والطواف والسعي والوقوف بالموقفين وغير ذلك
قال الشاعر واشهد من عوف حلولا كثيرة يحجون سب الزبرقان المزعفرا اي يكثرون التردد اليه
لسودده والعمرة هي الزيارة اخذ من العمارة لان الزائر يعمر المكان بزيارته وهي في الشرع زيارة البيت بالعمل
المشروع والجناح الميل عن الحق يقال جنح اليه جنوحا اذا مال اليه وجنح اي امال وجناحا الطائر يداه وجناحا
الانسان جنباه وجناحا العسكر جانباه والطواف الدوران حول الشيء ومنه الطائف وهو في الشرع
الدور حول البيت والطائفة الجماعة كالحلقة الدائرة وتطوف تطوفا يطوف وتطوع تطوعا والفرق بين
الطاعة والتطوع ان الطاعة موافقة الارادة في امر يصير بها فاعلها والتطوع التبرع بالنافلة خاصة واصلهما من
الطوع الذي هو الانقياد والشاكر فاعل الشكر وانما يوصف سبحانه بانه شاكر مجازا او توسعا لان الشاكر في الاصل
هو المظهر للانعام عليه والله تعالى عن ان يكون عليه نعمة لاحد الاعراب قوله من حج ومن تطوع يحتمل امرين احدهما
ان يكون موصولا بمعنى الذي والاخر ان يكون للجزاء فان كان موصولا فلا موضع للفعل الذي بعده وهو من صلته في موضع
رفع بالابتداء والفاء على حد الفاء في قوله فلا جناح عليه وان الله شاكر في موضع رفع بانه خبر المبتدا الموصول
وان كان للجزاء كان الفعل بعده في موضع جزم وكانت الفاء مع ما بعدها ايضا في موضع جزم لوقوعها موقع الفعل
المجزوم الذي هو جزاء والفعل الذي هو حج وتطوع على لفظ الماضي والتقدير المستقبل وكما ان ذلك في
قولك ان اكرمتني اكرمتك كذلك وقوله فان الله شاكر انما صح ان يقع موقع الجزاء وموقع خبر
المبتدا وان لم يكن فيه ضمير عائد لان التقدير فان الله يعامله معاملة الشاكر بحسن المجازاة وايجاب المكافاة
ولما دخلت الفاء في خبر المبتدا الموصول المتضمن معنى الجزاء وان لم يكن في موضع الجزم الا ترى انه لولا الفاء لم يؤذن
بان الثاني وجب لوجوب الاول المعنى لما ذكر سبحانه اختبار العباد بالتكليف والالزام والمصائب والالام
اخرى ذكر سبحانه ان من جملة ذلك امر الحج فقال ان الصفا والمروة من شعائر الله اي انهما من اعلام متعبداته
وقيل من مواضع نسكه وطاعته عن ابن عباس وقيل من دين الله عن الحسن وقيل فيه حذف تقديره الطواف
بين الصفا والمروة من شعائر الله وروي عن جعفر الصادق ع انه قال نزل آدم على الصفا ونزلت حوا على المروة
فسمي الصفا باسم آدم المصطفى وسميت المروة باسم المراة وقوله فمن حج البيت اي قصده بالافعال المشروعة او اعتمر
اي بالعمرة المناسك المشروعة وقوله فلا جناح عليه اي لا حرج عليه ان يطوف بهما قال الصادق عليه السلام
كان المسلمون يرون ان الصفا والمروة مما ابتدع اهل الجاهلية فانزل الله هذه الاية وانما قال فلا جناح عليه
ان يطوف بهما وهو واجب وطاعة على الخلاف فيه لانه كان على الصفا صنم يقال له اساف وعلى المروة
صنم يقال له نائلة وكان المشركون اذا طافوا بهما مسحوهما فتحرج المسلمون عن الطواف بهما لاجل الصنمين
فانزل الله هذه الاية عن الشعبي وكثير من العلماء فرجع رفع الجناح عن الطواف بهما الى اجل الصنمين

لا الى عين الطواف كما لو كان الانسان محبوسا في موضع لا يمكنه الصلوة الا بالتوجه الى ما يكره التوجه اليه فيقال له
لا جناح عليك في الصلوة الى ذلك المكان فلا يرجع رفع الجناح الى عين الصلوة لان عين الصلوة واجبة وانما يرجع
الى ذلك المكان وروي رواية اخرى عن ابي عبد الله عليه السلام ان ذلك كان في عمرة القضاء وذلك ان رسول الله
صلعم شرط عليهم ان يرفعوا الاصنام فتشاغل رجل من اصحابه حتى اعيدت الاصنام فجاؤا الى رسول الله صلعم فقيل
له ان فلانا لم يطف وقد اعيدت الاصنام فنزلت هذه الاية فلا جناح عليه ان يطوف بهما اي والاصنام عليهما قال
وكانوا يسعون والاصنام على حالها فلما حج النبي صلعم رمى بها وقوله ومن تطوع خيرا فيه اقوال احدها ان معناه
من تبرع بالطواف والسعي بين الصفا والمروة بعد ما ادى الواجب من ذلك عن ابن عباس وغيره وثانيها ان معناه من
تطوع بالحج والعمرة بعد اداء الحج والعمرة المفروضين عن الاصم وثالثها ان معناه من تطوع بالخيرات وانواع
الطاعات عن الحسن ومن قال ان السعي ليس بواجب معناه من تبرع بالسعي بين الصفا والمروة وقوله فان الله
شاكر عليم اي مجازيه على ذلك وانما ذكر لفظ الشكر تلطفا لعباده ومظاهرة في الاحسان والانعام اليهم
كما قال من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا والله سبحانه لا يستقرض من عوز ولكنه ذكر هذا اللفظ على طريق
التلطف اي يعامل عباده معاملة المستقرض من حيث ان العبد ينفق في حال غناه فيأخذ اضعاف
ذلك في حال فقره وحاجته وكذلك لما كان يعامل عباده معاملة الشاكر من حيث انه يوجب الثناء
والثواب سمى نفسه شاكرا وقوله عليم اي بما تفعلونه من الاعمال فيجازيكم عليها وقيل عليم بقدر الجزاء فلا يبخس احدا
حقه وفي هذه الاية دلالة على ان السعي بين الصفا والمروة عبادة ولا خلاف في ذلك وهو عندنا فرض واجب
في الحج والعمرة وبه قال الحسن وعائشة وهو مذهب الشافعي واصحابه وقالوا لان السنة اوجبت السعي وهو
قوله صلى الله عليه وآله كتب عليكم السعي فاسعوا فاما ظاهر الاية فانما يدل على الاباحة وعند
ابي حنيفة واصحابه هو تطوع وهو اختيار الجبائي وروي ذلك عن انس وابن عباس وعندنا وعند الشافعي
من تركه متعمدا فلا حج له قوله تعالى ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما
بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون اية النزول نزلت الاية في اليهود والنصارى
مثل كعب بن الاشرف وكعب بن اسد وابن صوريا وزيد بن التابوه وغيرهم من علماء اليهود والنصارى الذين
كتموا امر محمد ونبوته وهم يجدونه مكتوبا في التورية والانجيل مبينا فيهما عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة واكثر
اهل العلم وقيل انها تتناول كل من كتم ما انزل الله وهو اختيار البلخي وهو اقوى لانه اعم فيدخل فيه
اولئك وغيرهم المعنى ثم حث الله سبحانه على اظهار الحق وبيانه ونهى عن كتمانه فقال
ان الذين يكتمون اي يخفون ما انزلنا من البينات اي من الحجج المنزلة في الكتب والهدى اي الدلائل
فالاول علوم الشرع والثاني ادلة العقل فتم النفع بهما وقيل اراد بالبينات الحجج
الدالة على نبوته صلعم وبالهدى ما يؤديه الى الخلق من الشرائع وقيل البينات والهدى هي الادلة وهما
بمعنى واحد وانما كرره لاختلاف لفظيهما من بعد ما بيناه للناس في الكتاب يعني التورية والانجيل من صفته
ومن الاحكام وقيل في الكتب المنزلة من عند الله وقيل اراد بقوله ما انزلنا من البينات الكتب
المتقدمة وبالكتاب القرآن اولئك يلعنهم الله اي يبعدهم من رحمته بايجاب العقوبة ولا يجوز لعن من
لا يستحق العقوبة ويلعنهم اللاعنون قيل الملائكة والمؤمنون عن قتادة والربيع وهو الصحيح
لقوله سبحانه عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين وقيل دواب الارض وهوامها تقول
منعنا القطر بمعاصي بني ادم عن مجاهد وعكرمة وقيل كل شيء سوى الثقلين الجن والانس

عن ابن عباس وقيل اذا تلاعن اثنان رجعت اللعنة على المستحق لها فان لم يستحقها واحد منهما رجعت على اليهود الذين
كتموا ما انزل الله عن ابن مسعود فان قيل كيف يصح ذلك على قول من قال المراد باللاعنين البهائم وهذا الجمع
لا يكون الا للعقلاء قيل لما اضيف اليها فعل ما يعقل عوملت معاملة من يعقل كقوله تعالى والشمس والقمر
رايتهم لي ساجدين وانما اضيف اللعن الى من لا يعقل لان الله تعالى الهمهم اللعن عليهم لما في ذلك من الزجر
عن المعاصي لان الناس اذا علموا انهم اذا عملوا هذه المعاصي استحقوا اللعن حتى من البهائم والدواب والهوام
كان لهم في ذلك ابلغ الزجر وقيل انما يكون ذلك في الآخرة يجعل الله عقولها فتلعنهم وفي هذه الآية
دلالة على ان كتمان الحق مع الحاجة الى اظهاره من اعظم الكبائر وان من كتم شيئا من علوم الدين وفعل مثل
فعلهم فهو مثلهم في عظم الجرم ولزمه ما لزمهم من الوعيد وروي عن النبي صلعم انه قال من سئل عن علم
يعلمه فكتمه الجم يوم القيمة بلجام من نار وفيها ايضا دلالة على وجوب الدعاء الى التوحيد والعدل
لان في كتاب الله تعالى ما يدل عليهما تاكيدا لما في العقول من الادلة قوله تعالى الا الذين تابوا واصلحوا
وبينوا فاولئك اتوب عليهم وانا التواب الرحيم اللغة التوبة هي الندم الذي يقع موقع التنصل
من الشيء وذلك بالتحسر على مواقعته والعزم على ترك معاودته ان امكنت المعاودة ودوام العزم على ترك المعاودة
على مثله في القبح وهذا اقوى لان الامة اجمعت على سقوط العقاب عند هذه التوبة وفي ما عداها
خلاف والاصلاح للعمل هو اخلاصه من قبيح يشوبه والتبيين هو التعريض للعلم الذي يمكن به صحة التمييز
من البين الذي هو القطع الاعراب موضع الذين نصب على الاستثناء من الكلام الموجب ومعنى الاستثناء
الاختصاص بالشيء دون غيره فاذا قلت جاءني القوم الا زيدا فقد خصصت زيدا بانه لم يجئ واذا قلت
ما جاءني الا زيد فقد اختصصته بالمجيء واذا قلت ما جاءني زيد الا راكبا فقد خصصته بهذه الحالة
دون غيرها من المشي والعدو ونحوها المعنى ثم استثنى الله سبحانه في هذه الآية من تاب واصلح ورجع من جملة
مستحقي اللعنة فقال الا الذين تابوا اي ندموا على ما قدموا واصلحوا نياتهم فيما يستقبل من الاوقات
وبينوا اختلف فيه فقال اكثر المفسرين بينوا ما كتموه من البشارة بالنبي صلى الله عليه وآله وقيل بينوا
التوبة واصلاح السريرة بالاظهار لذلك فان من ارتكب المعصية سرا كفاه التوبة سرا ومن اظهر المعصية يجب
عليه ان يظهر التوبة وقيل بينوا التوبة باخلاص العمل فاولئك اتوب عليهم اي اقبل توبتهم والاصل
في التوب هو التوبة الا انه لما وصل بحرف الاضافة دل على ان معناه اقبل التوبة ولما كان لفظه مشتركا
بين فاعل التوبة والقابل لها للترغيب في صفة التوبة اذا وصف بها القابل لها وهو الله عز اسمه
وذلك من انعام الله على عباده ان لا يتوهم بما فيها من الدلالة على مقارفة الذنوب ان الوصف بها عيب
فلذلك جعلت في اعلى صفات المدح وانا التواب هذه اللفظة للمبالغة اما لكثرة ما يقبل
التوبة واما لانه لا يرد تائبا منيبا اصلا ووصفه سبحانه نفسه بالرحيم عقيب قوله التواب يدل على ان
اسقاط العقاب عند التوبة تفضل من الله سبحانه ورحمة من جهته على ما قاله اصحابنا وانه غير واجب عقلا
على ما ذهب اليه المعتزلة فانهم قالوا قد يكون الفعل الواجب نعمة اذا كان منعما بسببه كالثواب والعوض
لما كان سببهما التكليف والآلام التي يستحق بها الاعواض جاز ان يطلق عليهما اسم النعمة فالجواب ان ذلك
انما قلناه في الثواب والعوض ضرورة ولا ضرورة هاهنا تدعوا الى ارتكابه قوله تعالى
ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين خالدين فيها
لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون اللغة اللعنة واصل الناس اناس في الاصل فاسقطت الفا

فلا واحد له كنفر ورهط ثم يقال انه اسم الجمع والخلود اللزوم ابدا والبقاء الوجود وقتين فصاعدا ولذلك لم يجز
في صفات الله تعالى خالد وجاز باق ولذلك يقال اخلد الى قوله اي لزم معناه ... ولكنه اخلد
الى الارض اي مال اليها ميل اللازم لها والفرق بين الخلود والدوام ان الدوام هو الوجود في الازل والايزال
فاذا قيل دام المطر فهو على المبالغة وحقيقته لم يزل من وقت كذا الى وقت كذا والخلود هو اللزوم ابدا والتخفيف
هو النقصان من المقدار الذي له والعذاب الالم الذي له امتداد والانظار والامهال وربما يقع النظر في الخلاص واصل
النظر الطلب فالنظر بالعين هو طلب العين وكذلك النظر بالقلب واليد وغيرهما من الحواس فهو النظر الثوب
اين هو اي طلب الثوب اين هو والفرق بين العذاب والالم ان الالم قد يكون جزءا من الالم في الوقت الواحد مقدار
ما يالم به والعذاب الالم الذي له استمرار في اوقات ومنه العذب لاستمراره في الحلق والعذبة لاستمرارها بالحركة الاعراب
وهم كفار جملة في موضع الحال واجمعين تاكيد وانما اكد به ليرتفع الابهام والاحتمال فيدل على تحقيق الاستدلال
ولهذا لم يجز الاخفش رايت احد الرجلين كليهما واجاز رايتهما كليهما لانك اذا ذكرت الحكم مفردا بالدليل ازلت
الابهام للفساد وان ذكرته وحده فقد توهم عليك الغلط في المقصد وانت لما ذكرت التثنية في قولك احد
وذكرت احدا كنت بمنزلة من ذكر الحكم والدليل عليه فاما ذكر التثنية في رايتهما بمنزلة من ذكر الحكم وحده
وخالدين منصوب على الحال والعامل فيه الظرف من قوله عليهم لان فيه معنى الاستقرار للعنة وذو الحال الهاء
والميم من عليهم كقولك عليهم المال صاغرين وقوله فيها الهاء تعود الى اللعنة في قول الزجاج وقال الى النار
في قول ابي العالية لا يخفف عنهم العذاب جملة في موضع الحال ولا هم ينظرون كذلك وهم تاكيد للضمير في
فعل مقدر تفسيره هذا الظاهر فكانه ولا ينظرون هم المعنى لما بين سبحانه حال من كتم الحق وحال من تاب
منهم عقبه بحال من يموت من غير توبة منهم او من الكفار جميعا فقال ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اي وماتوا مصرين
على الكفر وانما قال وماتوا وهم كفار مع ان كل كافر ملعون في حال كفره ليصل الوعيد فيه غير مشروط لان بالموت يقين
انه لا حظ له في التوبة فلذلك شرط سبحانه وبين ان الكفار لو لم يموتوا على كفرهم لم يكن هذا حالهم وقيل ان هذا
الشرط انما هو في خلود اللعنة ثم قوله خالدين فيها اولئك عليهم لعنة الله اي ابعاد من رحمته وعقابه والملائكة
والناس اجمعين فان قيل كيف قال والناس اجمعين وفي الناس من لا يلعن الكافر فالجواب من وجوه احدها
ان كل احد من الناس يلعن الكافر اما في الدنيا او في الاخرة او فيهما جميعا كما قال ويوم القيمة يكفر بعضكم ببعض
ويلعن بعضكم بعضا عن ابي العالية وثانيها انه اراد المؤمنين كانه لم يعتد بغيرهم كما يقال المؤمنون هم الناس
عن قتادة والربيع وثالثها انه لا يمتنع احد من لعن الظالمين فيدخل في ذلك الكافر لانه ظالم عن السدي واللعنة
انما تكون من الناس على وجه الدعاء ومن الله سبحانه على وجه الحكم وقوله خالدين فيها اي دائمين فيها اي في
تلك اللعنة عن الزجاج والجبائي وقيل في النار وانما الخلود في اللعنة يحتمل امرين احدهما الاستحقاق
للعنة بمعنى انها تحق عليهم ابدا والثاني في عاقبة اللعنة وهي النار التي لا تفنى ابدا وقوله لا يخفف عنهم
العذاب اي يكون عذابهم على وتيرة واحدة فلا يخفف حينا ويشتد حينا ولا هم ينظرون اي لا يمهلون
للاعتذار كما قال سبحانه ولا يؤذن لهم فيعتذرون وقطعا لطمعهم في التوبة عن ابي العالية وقيل
معناه لا يؤخر العذاب عنهم بل عذابهم حاضر قوله تعالى والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم
اللغة الواحد شيء لا ينقسم عددا كان او غيره ويجري على وجهين على جهة الحكم وعلى جهة الوصف
فالحكم كقولك الجزء واحد فانه لا ينقسم من جهة اخرى والوصف كقولك انسان واحد ودار واحدة
فانه لا ينقسم من جهة انه انسان الاعراب هو من قوله الا هو في موضع رفع على البدل من موضع لا

مع لانه كقولك الرجل لا زيد فكان ما قلت الرجل لا زيد فيما تريد من البعض ان تعتد به ولا يجوز النصب على هو لان
ما قام احد انما هو على الاول والفائدة لو صح ان يحتمل ان قيل المركب هو لا اله الا هو لان الله
وهو بمنزلة قولك الله لا اله الا هو وحده ولما كان كذلك لانه القادر على ما يستحق به العبادة ولا يقال اله الا في هذا
الخبر مثل انه دال على الموجود ولا معبود سوى الله لكنه نقيض لقول من عبد الاصنام لله وانما الخبر احد
عدم كما ان الاثبات اخبار بوجوده النزول ابن عباس قال ان كفار قريش قالوا يا محمد صف لنا وانسب لنا
ربك فانزل الله هذه الاية وسورة الاخلاص ومعنى والهكم اي خالقكم والمنعم عليكم بالنعم التي لا يقدر
عليها غيره والذي يحق له العبادة وقال على وجهين معناه هو المستحق للعبادة وهذا غلط لانه لو كان كذلك
لما كان القديم سبحانه الها فيما لم يزل لانه لم يفعل في الازل ما يستحق به العبادة ومعنى قولنا انه يحق له العبادة انه قادر
على ما اذا فعله استحق العبادة وقوله اله واحد وصفه سبحانه بانه واحد على اربعة اوجه احدها انه ليس بذي ابعاض
ولا يجوز عليه الانقسام ولا يحتمل التجزئة والثاني انه واحد لا نظير له ولا شبيه والثالث انه واحد في الالهية واستحقاق
العبادة والرابع انه واحد في صفاته التي يستحقها لنفسه فان معنى وصفنا الله تعالى بانه قديم انه المختص بهذه الصفة
لا شريك له فيها ووصفنا له بانه قادر عالم انه المختص بكيفية استحقاق هاتين الصفتين لان المراد بانه عالم انه عالم
بجميع المعلومات لا يجوز عليه الجهل وقادر على الاجناس كلها لا يجوز عليه العجز ووصفنا له بانه حي انه لا يجوز عليه
الموت والفناء وصار الاختصاص بكيفية الصفات كالاختصاص بنفس الصفات فكل هذه الصفات يستحقها
سبحانه وحده على وجه لا شريك له فيه وقوله لا اله الا هو هذه كلمة اثبات لالهيته تعالى وحده ومعناه
هو لانه وحده واختلف في هل فيها نفي المثل عن الله سبحانه فقال المحققون ليس فيها نفي المثل عنه لان النفي
انما يصح في موجود او معدوم والله عز اسمه ليس له مثل موجود ولا معدوم وقال بعضهم فيها نفي المثل المقدر
عن الله سبحانه وقوله الرحمن الرحيم انما قرن الرحمن الرحيم بقوله لا اله الا هو لانه بين سبب استحقاق العبادة على
عبادة وهو ما انعم عليهم من النعم العظام التي لا يقدر عليها احد غيره فان الرحمة هي نعمة على المحتاج اليها وقد ذكرنا
معنى الرحمن الرحيم فيما مضى النظم الاية متصلة بما قبلها وبما بعدها واتصالها بما قبلها كاتصال الحسنة بالسيئة
لتمحو اثرها ويخلص من مواقعها لانه لما ذكر الشرك واحكامه اتبع ذلك بذكر التوحيد واحكامه واتصالها بما بعدها
كاتصال الحكم بالدلالة على صحته لان ما ذكر في الاية التي بعدها هي الحجج على صحة التوحيد قوله تعالى
ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله
من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض
لايات لقوم يعقلون اية القراءة قرا حمزة والكسائي الريح على التوحيد والباقون على الجمع
في توحيد ما ليس فيه الف ولام وقرا ابو جعفر الرياح على الجمع في كل القرآن الا في الذاريات
ويعقوب وابن كثير وعاصم الرياح في عشرة مواضع في البقرة والاعراف والحجر والكهف والفرقان والنمل والروم
في موضعين وفاطر والجاثية وقرا نافع اثنا عشر موضعا هذه العشرة وفي ابراهيم وحمعسق وقرا ابن كثير في خمسة
مواضع البقرة والحجر والكهف واول الروم والجاثية وقرا الكسائي الرياح في ثلثة مواضع في الحجر والفرقان وفي
اول الروم ووافقه حمزة الا في الحجر الحجة قال ابن عباس الرياح للرحمة والريح للعذاب وروي ان النبي
كان اذا هبت ريح قال اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا ويقوي هذا الخبر قوله سبحانه ومن اياته ان يرسل الرياح
مبشرات ويشبه ان يكون النبي صلم انما قصد بقوله اللهم اجعلها رياحا هذا الموضع ويقويه ايضا
ريحا قوله سبحانه وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم وقد يختص اللفظ في التنزيل بشيء فيكون

لتدل الاسامة في القرآن من قوله وما يدريك وما كان من لفظ ما ادراك مفسر كقوله الحاقة وما
الحاقة وما القارعة وما يدريك لعل الساعة قريب قال ابو علي وتصريف الرياح على الجمع اولى لان كل واحد من
الرياح مثل الاخرى في دلالتها على التوحيد ومن وحد فاراد الجنس كقولهم اهلك الناس الدينار والدرهم فاما قوله
ولسليمان الريح عاصفة فان كانت الرياح كلها تسخرت له فالمراد به الجنس والكثرة وان كانت قد تسخرت الريح بعينها كان كقولك
الرجل وانت تريد العهد واما قوله وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم فهي واحدة يدل عليه قوله فارسلنا عليهم ريحا
صرصرا وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور فهذا يدل على انها واحدة اللغة الخلق هو
الاحداث للشيء على تقدير من غير احتذاء على مثال ولذلك لا يجوز اطلاقه الا في صفات الله سبحانه لانه لا احد سواه
يكون جميع افعاله على ترتيب من غير احتذاء على مثال وقد استعمل الخلق بمعنى المخلوق كما استعمل الرضا بمعنى المرضي
وهو بمنزلة المصدر وليس بمعنى المصدر بمعنى المخلوق واختلف اهل العلم فيه اذا كان بمعنى المصدر فقال قوم هو الارادة له
وقال اخرون انما هو على معنى مقدر كقولك وجود وعدم وحدوث وقدم وهذه الاشياء تدل على مستحق مقدر للبيان
من المعاني المختلفة ولولا المعنى لما صح هذا الموصوف في الحقيقة والسموات جمع سماء وكل سقف سماء غير انه اذا اطلق انبهم
من جهة السموات السبع وانما جمعت السموات ووحد الارض لانه لما ذكر السماء بانها سبع فقال سبع سموات
وقوله خلق سبع سموات لا يتوهم التوحيد بمعنى الواحدة من هذه السبع وقوله ومن الارض مثلهن ولذلك على معنى السبع
فاما الجمع على جهة الافصاح بالتفصيل في اللفظ وايضا فان الارض تشاكلها تشبه الجنس الواحد الذي لا يجوز جمعه لانه يراد
الاختلاف وليس يجري السموات مجرى الجنس المتفق لان في كل سماء دبر امرها التدبير الذي هو حقها والاختلاف
نقيض الاتفاق واختلاف الليل والنهار اخذ من الخلف لان كل واحد منهما يخلف صاحبه على وجه المعاقبة وقيل
هو من اختلاف الجنس كاختلاف السواد والبياض لان احدهما لا يسد مسد الاخر في الادراك والمختلفان
ما لا يسد احدهما مسد الاخر فيما يرجع الى ذاته والليل هو الظلام المعاقب للنهار وواحده ليلة مثل تمرة وتمر والنهار
هو الضياء المتسع واصله الاتساع ومنه قول الشاعر ملكت بها كفي فانهرت فتقها يرى قائم من دونها ما وراءها
اي اوسعت وانما جمعت الليل ولم يجمع النهار لان النهار بمنزلة المصدر كقولك الضياء يقع على القليل والكثير
وقد جاء جمع النهار نهر على وجه الشذوذ قال الشاعر لولا الثريدان هلكنا بالضمر ثريد ليل وثريد
بالنهر والفلك السفن يقع على الواحد والجمع والفلك فلك السماء وكل مستدير فلك وقال صاحب العين قيل هو اسم
للدوران خاصة وقيل بل اسم للاطباق السبعة فيها النجوم وفلكت الجارية اذا استدار ثديها واصل الباب الدور
وما انزل الله من السماء تقع السماء على السحاب لان كل شيء علاك فهو سماء قال علي بن عيسى قيل ان السحاب
بخارات تصعد من الارض وذلك جائز لا يقطع به ولا مانع من صحته من دليل عقل ولا سمع والسماء السقف قال الله
وجعلنا السماء سقفا محفوظا فالسماء المعروفة سقف الارض واصله من السمو وهو العلو فالسماء الطبقة العالية
على الطبقة السافلة والارض الطبقة السافلة ويقال ارض البيت وارض الغرفة فهو سماء لما تحته من الطبقات فلم
وارض لما فوقها الا ان ظاهر ذلك الاسم بمنزلة الصفة الغالبة على السماء المعروفة وهذا الاسم كالعلم على الارض
المعروفة والبحر هو الخرق الواسع للماء الذي يزيد على سعة النهر والمنفعة هي اللذة او السرور وما ادى اليهما او الى احدهما
منها والنفع والخير والحظ نظائر وقد تكون المنفعة بالالام اذا ادت الى اللذات والاحياء هنا الحيوة وحياة الارض
عمارتها بالنبات وموتها خرابها بالجفاف الذي يمنع من النبات والبث التفريق وكل شيء بثثته فقد
فرقته ومنه النبث والدابة الدبيب وكل شيء خلقه الله مما يدب فهو دابة وصار في العرف
اسما لما يركب والتصريف التقليب وصرف الدهر تقلبه وجمعه صروف والسحاب مشتق من السحب وهو

وهو جرك الشي على وجه الارض كما تسحب الجرادة ذيلها وكل ريح تهب بين مهبي ريحين من الاربع فهي نكباء والسحاب والبيل والجمع نطاير فقال لعن الله لقد ندين كما انا اهل ثلاثة وحرف الرسل اى كلمة عبدالله واخرى عن الجوة وجرية اذا اسم رائيه والريح
اربع الشمال والجنوب والصبا والدبور فالشمال عن يمين القبلة والجنوب عن يسارها والصبا والدبور متقابلان فالصبا
من قبل المشرق والدبور من قبل المغرب الشمال والدبور ذات هبوب ساكن ليكن المجى نسيم الصبا من حيث يطلع الفجر
فاذا جاءت الريح بين الصبا والشمال فهي النكباء والتي بين الجنوب والصبا الجربياء والتي بين الصبا والقبول والجنوب
تسمى الازيب وتسمى النعامى والشمال تسمى محوة لانها تذهب بالسحاب وتسمى مسعا وسعا وتسمى الجنوب لاقحا والشمال حائلا قال
ابو داود يصف سحابا اذا انخن صحا للقح الجنوب فاصبح منها الجناة وقال لقح الجنوب اى لاقحا الجنوب وقال
زهير جرت سحابا فقلت لها اثر وكانوا يرون مشومة يعني القصاء مشومة اى مكروهة لانهم يكرهون الشمال لبردها
وذهابها بالغيم فصار كل مكروه عندهم مشوما المعنى لما احتج الله سبحانه الكفار بان الههم اله واحد لا اله الا هو
قالوا ما الدليل على ذلك فقال الله تعالى ان في خلق السموات والارض اى ان في انشائهما مقدرين على سبيل
الاختراع واختلاف الليل والنهار كل واحد منهما يخلف صاحبه اذا ذهب احدهما جاء الآخر على وجه المعاقبة او اختلافهما
في الحسن والقبح والطول والقصر والفلك التي تجري في البحر اى السفن التي تحمل الاحمال بما ينفع الناس
بالتكسب وان كان فيه نفع وضرر لانا لم نذكرها هنا النعم ولان الضار غيره انما يقصد منفعة نفسه والنفع بما يكون بركوبها
ويكون ركوبها والحمل عليها في التجارات والمكاسب وما انزل الله من السماء اى من نحو السماء عند جميع المفسرين
وقيل يريد به السحاب من ماء المطر فاحيا به الارض بعد موتها اى فعمر الارض بعد خرابها لان الارض اذا وقع عليها
المطر انبتت واذا لم يصبها مطر لم تنبت ولم يتم نباتها فكانت من هذا الوجه كالميت وقيل اراد به احياء اهل الارض
باخراج الاقوات وغيرها مما يحتاجون اليه في نفوسهم وبث فيها من كل دابة اى فرق في الارض من كل حيوان يدب
واراد بذلك خلقها في مواضع متفرقة وتصريف الرياح اى تقليبها بان جعل بعضها صبا وبعضها دبورا وبعضها
جنوبا وبعضها شمالا وقيل تصريفها بان جعل بعضها يأتي بالرحمة وبعضها يأتي بالعذاب عن قتادة وروي
ان الريح هاجت على عهد ابن عباس فجعل بعضهم يسب الريح فقال لا تسبوا الريح ولكن قولوا اللهم اجعلها
رحمة ولا تجعلها عذابا والسحاب المسخر اى المذلل بين السماء والارض يصرفها كما يشاء من البلد الى بلد ومن موضع
الى موضع لآيات اى حججا ودلالات لقوم يعقلون قيل انه عام في العقلاء من استدل منهم ومن لم يستدل
وقيل انه خاص لمن استدل بها لان من لم ينتفع بتلك الدلالات ولم يستدل بها صار كانه لا عقل له فيكون
مثل قوله انما انت منذر من يخشيها وقوله وهدى للمتقين وذكر سبحانه الآيات ولم يذكر
على ماذا تدل فحذف الدلالة لدلالة الكلام عليه وقد بين العلماء تفصيل ما تدل عليه فقالوا اما السموات
والارض فيدل تغير اجزائهما واحتمالهما الزيادة والنقصان وانهما من الحوادث لا ينفكان على حدوثهما وان محدثهما
الذي ليس بجسم ولا عرض لان جميع ما هو بصفة الاجسام والاعراض محدث ولا بد من محدث ولاستحالة ان يقدر على خلق الاجسام الا القديم القادر لنفسه
ويدل كونهما على جهة الاتقان والاحكام والاتساق والانتظام على كون فاعلهما عالما حكيما واما اختلاف الليل
والنهار وجريهما على وتيرة واحدة واخذ احدهما من صاحبه الزيادة والنقصان وتعلق ذلك بمجاري الشمس والقمر
فيدل على ان لهما مدبرا يدبرهما على هذا الحد لا يسهو ولا يغفل من جهة انها اهل المحكمة واجرى على نظام وترتيب
لا يدخلها تفاوت ولا اختلال واما الفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس فيدل لتسخير البحر الماء على ما
تراه من الرقة واللطافة الحاملة للاجسام الثقيلة لما امكن جري السفن عليه وتسخير الرياح لاجرائها في خلاف الوجه

الوجه الذي يجري الماء اليه على معظم ذلك المنافع خلقه ليس من جنس البشر ولا من قبيل الاجسام لان الاجسام يتعذر
عليها مثل ذلك واما الماء الذي ينزل من السماء فيدل انشاؤه وانزاله قطرا لا يتواصل ولا يتالف في الجو فيرسل
السيل فيخرب البلاد والديار انما كان في المواضع ان يطلع الله الانسان الوقت عند الحاجة اليه والقدر الذي يقام به على ان مدبره
قادر على ما يشاء من الامور عالم حكيم جبريا اما احياء الارض بعد موتها فيدل بظهور الثمار وانواع النبات وما يحصل من
اقوات الخلق وارزاق الحيوانات واختلاف طعومها والوانها وروائحها واختلاف مضارها ومنافعها في الاغذية و
الادوية على كمال قدرته وبدائع حكمته سبحانه من عليم حكيم ما اعظم شانه واما بث كل دابة منها فيدل على ان لها
صانعا خالقا مخالفا لها منعما بانواع النعم خالقا للذوات المختلفة بالهيئات المختلفة في التراكيب المتنوعة من اللحم والعظم
والاعصاب والعروق وغير ذلك من الاعضاء والاجزاء المتضمنة لبدائع الفطرة وغرائب الحكمة الدالة على عظيم قدرته
وجسيم همته واما الرياح فيدل تصريفها وتحريكها وتفريقها في الجهات مرة حارة ومرة باردة وتارة لينة واخرى
عاصفة وطورا عقيما وطورا لاقحة على ان مصرفها قادر على ما لا يقدر عليه سواه اذ لو اجتمع الخلائق كلهم على ان يجعلوا
الصبا دبورا او الشمال جنوبا لما امكنهم ذلك واما السحاب المسخر فيدل على ان ممسكه هو القدير الذي لا شبيه له ولا نظير
لانه لا يقدر على تسكين الاجسام بغير علاقة الا الله سبحانه وتعالى القادر لذاته الذي لا نهاية لمقدوراته فهذه هي الآيات
الدالة على ان الله سبحانه صانع غير مصنوع قادر لا يعجزه شيء عالم لا يخفى عليه شيء حي لا تلحقه الآفات ولا تعتريه الحادثات
لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء وهو السميع العليم واستغنائه بحدوث هذه الاشياء على قدمه
وازليته ودوامه وسرمديته وبعجز ما سواه وافتقاره اليه وبالتسخير على كمال قدرته وعلى عجائب خلقه وفيها ايضا اوضح
دلالة على انه سبحانه المنان على عباده بفواضل النعم المنعم عليهم بها الانعام العظيم على الاحكام بشكله وجزيل القسم
فيعلم بذلك انه سبحانه الاله الذي لا يستحق العبادة سواه وفي هذه الآية ايضا دلالة على وجوب النظر والاستدلال
وان ذلك هو الطريق الى معرفته وفيها البيان لما يجب فعله من النظر وابطال التقليد قوله تعالى
ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا اشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون
العذاب ان القوة لله جميعا وان الله شديد العذاب آية القراءة قرأ نافع وابن عامر ويعقوب ولو ترى
الذين ظلموا بالتاء على الخطاب وقرأ الباقون بالياء وكلهم قرأ واذ يرون العذاب بفتح الياء الا ابن عامر
فانه قرأ اذ يرون بالضم وقرأ ابو جعفر ويعقوب ان القوة وان الله بكسر الهمزة فيهما والباقون بفتحهما الحجة قال
ابو علي حجة من قرأ ولو يرى الذين ظلموا بالياء ان لفظ الغيبة اولى من لفظ الخطاب من حيث انه يكون اشبه بما
قبله من قوله ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا وهو ايضا اشبه بما بعده من قوله كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات
وحجة من قرأ ولو ترى فجعل الخطاب للنبي صلعم كثرة ما جاء في التنزيل من قوله كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات
ولو ترى يكون الخطاب للنبي والمراد به الكافة واما فتح ان القوة فمن قرأ بالتاء فلا يخلو من ان يكون ترى من رؤية
البصر والمتعدية الى مفعولين الثاني في هذا الباب هو المفعول الاول في المعنى وقوله ان القوة لله لا يكون
الذين ظلموا فاذا يجب ان يكون منتصبا بفعل آخر غير ترى وذلك الفعل هو الذي يقدر جوابا للو كانه قال
ولو ترى الذين ظلموا اذ يرون العذاب لرأوا ان القوة لله جميعا والمعنى انهم شاهدوا من قدرته سبحانه ما تيقنوا
معه انه قوي عزيز وان الامر ليس على ما كانوا عليه من جحودهم لذلك او شكهم فيه ومن ذهب من قرأ بالياء
الى انهم ينصبون ان بالفعل الظاهر دون المضمر والجواب في هذا النحو يحذف كثيرا فاذا اعمل الجواب
في شيء صار بمنزلة الاشياء المذكورة في اللفظ فحمل المفعول عليه يخالف ما عليه سائر هذا النحو من
الآية حين قال الاحسن معها لكون البلغ في باب التوعيد هذا كلام ابي علي الفارسي ونحن نذكر ما قاله

ما قال عوض في كون ان القوة وفتحها في الاعراب وجوه من قوله اذ يرون العذاب وقوله واذا الذين ظلموا العذاب
وحتم ان عام قوله كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات لانك اذا بنيت الفعل للمفعول قلت يرون اعمالهم حسرات
المثبة الانداد والامثال والاشباه نظائر واحدها ند وقيل هي الاضداد واصل الند المثل المناوي وليس
خلاف البغض والمحبة هي الارادة الا ان فيها معنى ما لا يكون في الارادة فاذا قلت احب زيدا فالمعنى اني اريد منافعه
او مدحه واذا قلت احب الله زيدا فالمعنى يريد ثوابه وتعظيمه واذا قلت احب الله فالمعنى احب طاعته واتباع امره ولا
يقال اريد زيدا ولا ان الله يريد المؤمن ولا اني اريد الله فاعتبر الحذف في المحبة ولم يعتبر في الارادة وقيل ان المحبة
ليست من جنس الارادة بل هي من جنس ميل الطبع كما تقول احب ولدي اي اميل طبعي اليه وهذا من المجاز به تراهم
يقولون احببت ان افعل بمعنى اردت ان افعل ويقال احبه احبابا وحبه احبا ومحبة واحبابا لغير
احبابا اذا برك فلا يثور وهو كالحران في الخيل قال ابو عبيدة ومنه قوله احببت حب الخير عن ذكر ربي اي لصقت
بالارض لحب الخير حتى فاتتني الصلوة ويرى قال ابو علي الفارسي هو من رؤية العين يدل على ذلك انه تعدى
الى مفعول واحد تقديره ولو يرون ان القوة لله اي لو يرى الكفار ذلك ويدل عليه قوله اذ يرون العذاب
والشدة قوة العقد وهو ضد الرخاوة والقوة والقدرة واحد الاعراب يجوز في ان من ثلثة اوجه
وكل هلمن ثلثة اوجه مع القراءة بالياء فاما الفتح الاول ان يكون بايقاع الفعل عليها بمعنى المصدر وتقديره ولو يرى
الذين ظلموا اذ يرون العذاب قوة الله وشدة عذابه والثاني ان يفتح على حذف اللام كقولك لان القوة لله
والثالث على تقدير لرأوا ان القوة لله وان الله شديد العذاب على الاتصال بما حذف من الجواب واما الكسر
الاول في الكسر على الاستيناف والثاني على الحكاية بما حذف من الجواب كانه قيل لقالوا ان القوة لله
والثالث على الاتصاف بما حذف من الحال كانه قيل يقولون ان القوة لله جميعا مع القراءة بالتاء فيجوز ايضا
كسر ان من ثلثة اوجه وفتحها من ثلثة اوجه فاما الفتح فاولها ان يكون على البدل كقولك ولو ترى الذين
ظلموا ان القوة لله عليهم عن الفراء وقال ابو علي وهذا لا يجوز لان قوله لان القوة ليس الذين ظلموا ولا بعضهم ولا مشتمل
عليهم والثاني ان يفتح على حذف اللام كقولك لان القوة والثالث لرأيت ان القوة لله واما الكسر مع التاء فكالكسر مع
الياء في الاوجه الثلثة مع الياء والفتح فيه لانه الكلام لرؤية وقد وقعت على الذين وجواب لو محذوف كانه قال
لرأوا مضرة اتخاذهم الانداد ولرأوا امرا عظيما لا يحصر بالاوهام وحذف الجواب يدل على المبالغة كقولك لو رأيت
السياط تاخذ فلانا لان الحذف يحتمل كل امر ومن قرأ ولو يرى بالياء فالذين ظلموا في موضع رفع بانهم
الفاعلون ومن قرأ بالتاء فالذين ظلموا في موضع نصب وقوله جميعا نصب على الحال كانه قيل ان القوة ثابتة لله
في حال اجتماعها وهو صيغة المبالغة بمعنى اذا رأوا مقدورات الله فيما تقدم من الوعيد علموا ان الله سبحانه
قادر لا يعجزه شيء وقوله يحبونهم في موضع نصب على الحال من الضمير في يتخذ وان كان الضمير في يتخذ على التوحيد
لانه يعود الى من ويجوز ان يعود اليه الضمير مرة على اللفظ ومرة على المعنى ويجوز ان يكون يحبونهم صفة لقوله
اندادا وقال ابو علي لو قلت كيف جاء اذ في قوله اذ يرون العذاب وهذا امر مستقبل واذ للماضي قلت جاء على لفظ الماضي
لارادة التقريب في ذلك كما جاء وما امر الساعة الا كلمح البصر وهو اقرب وان الساعة قريب وعلى هذا
قوله ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ومن هذا الضرب ما جاء في التنزيل من قوله ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت
ولو ترى اذ وقفوا على النار ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم المعنى ومن الناس من للتبعيض ههنا
اي بعض الناس من يتخذ من دون الله اندادا يعني آلهتهم من الاوثان التي كانوا يعبدونها عن قتادة ومجاهد
واكثر المفسرين وقيل رؤساؤهم الذين يطيعونهم طاعة الارباب من الرجال عن السدي وعلى هذا

المعنى ما روي جابر عن ابي جعفر عليه السلام قال هم ائمة الظلمة واشياعهم وقوله يحبونهم كحب الله على هذا القول الاخير
ادل لانه يبعد ان يحبوا الاوثان كحب الله مع علمهم بانها لا تضر ولا تنفع ويدل ايضا عليه قوله اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ومعنى
يحبونهم يحبون عبادتهم او التقرب اليهم او الانقياد لهم او جميع ذلك كحب الله فيه ثلثة اقوال احدها كحبكم الله اي كحب
المؤمنين الله عن ابن عباس والحسن والثاني كحبهم الله يعني الذين اتخذوا الانداد فيكون المعنى من يعرف الله من المشركين ويعبد
معه الاوثان ويسوي بينهما في المحبة عن ابي علي وابي مسلم والثالث كحب الله اي كالحب الواجب عليهم اللازم لهم
لا الواقع والذين آمنوا اشد حبا لله يعني حب المؤمنين فوق حب هؤلاء وحبهم اشد من وجوه احدها اخلاصهم
العبادة والتعظيم له والثناء عليه من الاشراك وثانيها انهم يحبونه عن علم بانه المنعم المبتدئ والمتفضل بهم في جميع
احوالهم ما هو الاصلح لهم في التدبير فقد انعم عليهم بالكثير فيعبدونه عبادة الشاكرين ويرجون رحمته على يقين
فلا بد ان يكون حبهم له اشد وثالثها انهم يعلمون ان له الصفات العلى والاسماء الحسنى وانه الحكيم الخبير الذي لا مثل
له ولا نظير يملك الضر والنفع والثواب والعقاب واليه المرجع والمآب فهم اشد حبا لله بذلك ممن عبد الاوثان
واختلف في معنى قوله اشد فقيل اثبت وادوم لان المشرك ينتقل من صنم الى صنم عن ابن عباس وقيل لان المؤمن
يعبد الله بلا واسطة والمشرك يعبد بواسطة عن الحسن قوله ولو يرى الذين ظلموا تقديره ولو يرى الظالمون
اي يبصرون وقيل لو يعلم هؤلاء الظالمون حين يرون العذاب والصحيح الاول كما تقدم بيانه هذا على قراءة من قرأ
بالياء ومن قرأ بالتاء فمعناه لو ترى يا محمد عن الحسن والخطاب له والمراد غيره وقيل معناه ولو ترى ايها السامع
او ايها الانسان الظالمين اذ يرون العذاب وقوله ان القوة لله حذف اي لرأيت ان القوة لله جميعا فعلى هذا
يكون متصلا بجواب لو ومن قرأ بالياء فمعناه ولو يرى الظالمون ان القوة لله جميعا لرأوا مضرة فعلهم وسوء عاقبتهم
ومعنى قوله ان القوة لله جميعا ان الله سبحانه قادر على اخذهم وعقوبتهم وفي هذا وعيد واشارة الى انهم لا يجدون
مع تعديهم ملجأ ولا ناصرا ولا مخلصا وقد بينا الوجوه في فتح ان وكسرها فالمعنى لا يتم بها ويدل عليها وجواب لو محذوف
في جميع الوجوه وان الله شديد العذاب وصف العذاب بالشدة توسع ومبالغة في الوصف فان الشدة من صفات
الاجسام العظيمة وجه اتصال هذه الاية بما قبلها ان الله سبحانه اخبر انه مع وضوح هذه الايات والدلالات
التي سبق ذكرها اقام قوم على الباطل وانكار الحق مكابرة لما عهدوا هذا البيان فظهروا البرهان فاتخذوا من دون الله
اندادا قوله تعالى اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب وقال الذين اتبعوا
لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤوا منا كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من
النار اللغة التبرؤ في اللغة والتقضي والتزايل نظائر واصل التبرؤ التولي والتباعد للعداوة
واذا قيل تبرأ الله من المشركين فكانه باعدهم من رحمته للعداوة التي استحقوها بمعصيته واصله
من الانفصال ومنه برأ من مرضه وبرئ من الدين براءة وكذا من الدين برءا والاتباع طلب الاتفاق في مقال وفعال
او مكان واذا قيل اتبعه ليلحقه فالمراد ليلحق معه في المكان والتقطع التباعد بعد اتصال والسبب الوصلة
الى المتعذر مما يصلح من الطلب والاسباب الوصلات واحدها سبب ومنه يسمى الحبل سببا لانك
تتوصل به الى ما انقطع عنك من ماء بئر او غيره او مضت سببه من الدهر اي ملاوة والكرة الرجعة
في لسان الاخطل ولقد عطفن على فزارة عطفة كرّ المنيح وجلن ثم مجالا والكر نقيض الفر والاصل
المعنى الكر الرجوع على الشيء والكر الحبل الغليظ وقيل الشديد الفتل والحسرات جمع حسرة وهي
اشد الندامة والفرق بينها وبين الارادة ان الحسرة تتعلق بالماضي خاصة والارادة تتعلق بالمستقبل
لان الحسرة هي على ما فات بوقوعه او بفوت نفعه والحسرة والندامة من النظائر يقال حسر يحسر حسرا

وحسرة اذا لمكد على الشيء الفائت وتلهف عليه واصل الحسر الكشف تقول حسرت العمامة عن راسي اذا كشفتها
وحسر عن ذراعيه حسرا والحاسر الذي لا درع له ولا مغفر والاعراب العامل في اذ فيقول شديد العذاب ليوم
البعث وانتصب تبرأ على انه جواب التمني بالفاء كانه قال لو ان لنا كرة فنتبرأ وكلما عطف على الفعل
على ما تاويله تاويل المصدر نصب باضمار ان ولا يجوز اظهارها فيما لم يعرض لفظ المصدر فيه لانه لما حمل الاول
على التاويل حمل الثاني على التاويل ايضا ويجوز فيه الرفع على الاستيناف اي فنحن نتبرأ منهم على كل حال
واما قوله لو ان لنا كرة في موضع الرفع بفعل محذوف وتقديره لو صح ان لنا كرة لان لو فيها التمني وفيه معنى تطلب
الفعل وان شئت قلت تقديره لو ثبت ان لنا كرة واقول ان جواب لو ههنا ايضا محذوف ولذلك افاد لو في الكلام
معنى التمني فيكون تقديره لو ثبت ان لنا كرة فنتبرأ منهم لتشفينا بذلك وجازيناهم صاعا بصاع وحذف الجواب
الى الاعتبار ولم اثر وهو التصحيح الذي لا اعتبار عليه وبالله التوفيق واما العامل في الكاف من كذلك فهو يريهم الله
اي يريهم الله اعمالهم حسرات كذلك اي مثل تبرؤ بعضهم من بعض وذلك لانقطاع الرجاء من كل واحد منهما
وقيل فتكون يريهم اعمالهم حسرات كما اراهم العذاب وذلك لانهم ايقنوا بالهلاك في كل واحد منهما
المعنى لما ذكر الذين اتخذوا الانداد ذكر سوء حالهم في المعاد فقال سبحانه اذ تبرأ الذين اتبعوا وهم القادة والرؤساء
من مشركي العرب نص عن قتادة والربيع وعطاء وقيل هم الشياطين الذين اتبعوا بالوسوسة من الجن عن السدي
وقيل شياطين الجن والانس والاظهر هو الاول من الذين اتبعوا اي من الاتباع السفلة ورأوا العذاب اي التابعون
والمتبوعون العذاب اي عاينوه حين دخلوا النار وتقطعت بهم الاسباب فيه وجوه احدها الوصلات
التي كانوا يتواصلون عليها عن مجاهد وقتادة والربيع والثاني الارحام التي كانوا يتعاطفون بها عن ابن عباس
والثالث العهود التي كانت بينهم يتوادون عليها عن ابن عباس ايضا والرابع تقطعت بهم اسباب اعمالهم
التي كانوا يوصلونها عن ابن زيد والسدي والخامس تقطعت بهم اسباب النجاة عن ابي علي وظاهر الاية
يحتمل الكل فينبغي ان يحمل على عمومه فكانه قيل قد زال عنهم كل سبب يمكن ان يتعلق به فلا ينتفعون بالاسباب
على اختلافها من منزلة او قرابة او مودة او حلف وعهد على ما كانوا ينتفعون بها في الدنيا وذلك نهاية في الاياس
وقال الذين اتبعوا يعني الاتباع لو ان لنا كرة اي عودة الى دار الدنيا وحال التكليف فنتبرأ منهم اي من القادة في الدنيا
كما تبرءوا منا في الاخرة كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم فيه اقوال احدها ان المراد الطاعات
يتحسرون عليها لم عملوها وضيعوها عن الربيع وابن زيد وهو اختيار الجبائي والبلخي والثاني ان المراد
الطاعات لم يعملوها وضيعوها عن السدي والثالث ما رواه اصحابنا عن ابي جعفر عليه السلام انه الرجل
يكتسب المال ولا يعمل فيه خيرا فيرثه من يعمل فيه عملا صالحا فيرى الاول ما كسبه حسرة في ميزان غيره
والرابع ان الله سبحانه يريهم مقادير الثواب التي عرضهم لها لو فعلوا الطاعات فيتحسرون عليه لم فرطوا فيه
والاية محتملة لجميع الوجوه فالاولى الحمل على العموم وما هم بخارجين من النار اي مخلدون فيها بين سبحانه في
الاية انهم يتحسرون في وقت لا ينفعهم فيه الحسرة وذلك ترغيب في التحسر في وقت تنفع فيه الحسرة واستدل
المفسرون على ان الاية واردة في الكفار كابن عباس وغيره وفي هذه الاية دلالة على انهم كانوا قادرين على الطاعة
والمعصية لانه ليس في المعقول ان يتحسر الانسان على ترك ما كان لا يمكنه الانفكاك عنه او على فعل ما كان
لا يمكنه الاتيان به الا ترى ان احدا لا يتحسر الانسان على انه لم يصعد السماء لما لم يكن قادرا على الصعود اليها
النقاء قوله تعالى يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان
انه لكم عدو مبين القراءة قرأ نافع وابو عمرو وحمزة وابو بكر الا البرجمي خطوات

بسكون الطاء حيث وقع والباقون بضمها وروي في الشواذ عن علي خطوات بفتحتين وهمزة وعن ابي السمال خطوات
بفتح الخاء والطاء الحجة ما كان على فعلة من الاسماء فالاصل في جمعه التثقيل نحو غرفة وغرفات وحجرة وحجرات
لان الحركة فاصل بين الاسم والصفة ومن سكنه فقال خطوات فكانه نوى الضمة واسكن الكلمة عنها طلبا للخفة
ومن ضم الخاء والطاء مع الهمزة فكانه ذهب بها مذهب الخطيئة فجعل ذلك على مثال فعلة من الخطاء هذا قول
الاخفش وقال ابو حاتم ارادوا اشباع الضمة في الواو فانقلبت همزة ومن فتح الخاء والطاء فهو جمع خطوة فيكون مثل
تمرة وتمرات اللغة الاكل هو البلع عن مضغ وبلع الذهب واللؤلؤ وما اشبههما ليس بأكل في الحقيقة وقد قيل
الهام تاكل الحجر فاجرى مجرى كل الطعام والحلال هو الجائز من افعال العباد ونظيره المباح واصل الحلال نقيض
العقد وانما سمي المباح حلالا لانحلال عقد الحظر عنه ولا يسمى كل حسن حلالا لان فعل الله تعالى حسنة ولا يقال
انه حلال اذ الحلال اطلاق في الفعل لمن يجوز عليه المنع يقال حل يحل حلالا وحل يحل حلولا وحل العقد
يحله حلا واحل من احرامه وحل فهو محل وحلال وحلت عليه العقوبة وجبت والطيب هو الخالص من شائب
ينغص وهو على ثلاثة اقسام الطيب المستلذ والطيب الجائز والطيب الطاهر والاصل هو المستلذ الا انه وصف
به الطاهر والجائز تشبيها اذ ما زجر عنه العقل او الشرع كالذي تكرهه النفس في الصرف عنه وما تدعوا اليه بخلاف
ذلك والطيب الحلال والطيب النظيف واصل الباب الطيب خلاف الخبيث والخطوة بعد ما بين قدمي
الماشي والخطوة المرة من الخطو تقول خطوت خطوة واحدة وجمع الخطوة خطى واصل الخطوات اثر القدم وخطوات
الشيطان اثاره والعدو المباعد عن الخير الى الشر والولي نقيضه الاعراب حلالا اصفة مصدر محذوف اي كلوا
شيئا حلالا ومن في قوله مما في الارض يتعلق بكلوا او بمحذوف يكون صفة في محل النصب على الحال والعامل فيه كلوا
وذو الحال قوله حلالا وقوله طيبا صفة بعد صفة النزول عن ابن عباس انها نزلت في ثقيف وخزاعة وبني عامر بن صعصعة
وبني مدلج فانهم حرموا على انفسهم من الحرث والانعام والبحيرة والسائبة والوصيلة فنهاهم الله عن ذلك المعنى
لما قدم سبحانه ذكر التوحيد واهله والشرك واهله اتبع ذلك بذكر ما انعم به سبحانه على الفريقين من النعم والاحسان
ثم نهاهم عن اتباع الشيطان لما في ذلك من الجحود لنعمه والكفران لمنته فقال يا ايها الناس وهذا الخطاب عام
لجميع المكلفين من بني ادم كلوا لفظه لفظ الامر ومعناه الاباحة مما في الارض حلالا طيبا لما ابيح الاكل منه يجب
ان يكون طيبا من الصفة لان في المأكول ما يحرم وفيه ما يحل فالحرام يعقب الهلكة والحلال يقوي على العبادة وانما كان
حلالا لانه لا يكون مما تناوله الحظر ولا يكون لغيره الاكل فيه حق وهو يتناول جميع المحللات واما الطيب فقيل هو
الحلال ايضا فجمع بينهما لاختلاف اللفظين تاكيدا وقيل معناه مستلذ فقيل معناه ما تستطيبونه وتستلذونه
في العاجل والاجل ولا تتبعوا خطوات الشيطان اختلف في معناه فقيل اعماله عن ابن عباس وقيل خطاياه
عن مجاهد وقتادة وقيل طاعتكم اياه عن السدي وقيل اثاره عن الخليل وروي عن ابي جعفر وابي عبد الله
عليهما السلام ان من خطوات الشيطان الحلف بالطلاق والنذور في المعاصي وكل يمين بغير الله تعالى وقال القاضي
يريد وساوس الشيطان وخواطره وقال الماوردي هو انه ينقلهم من معصية الى معصية حتى يستوعبوا
جميع المعاصي ماخوذ من خطو القدم في نقلها من مكان الى مكان حتى يبلغ مقصده انه لكم عدو مبين اي ظاهر
العداوة بما يدعوكم اليه من خلاف الطاعة لله تعالى واختلف الناس في المآكل والمنافع التي لا ضرر على احد
فيها فمنهم من ذهب الى انها على الحظر ومنهم من ذهب الى انها على الاباحة واختاره المرتضى قدس الله روحه
ومنهم من وقف بين الامرين وجوز كل واحد منهما وهذه الاية دالة على الاباحة لما يكلف الا ان يدل الدليل على حظر
فجاءت مؤكدة لما في العقل قوله تعالى انما يامركم بالسوء والفحشاء وان تقولوا على الله ما لا تعلمون الاية

اللغة الامر من الشيطان هو دعاؤه الى الفعل بصيغة كما ان الامر في اللغة فهو قول القائل لمن دونه افعل
اذا كان الامر مريدا للمامور به وقيل هو الاقتضاء بصيغة افعل والسوء كل فعل قبيح زجر عنه العقل او الشرع وقيل كل
ما تنفر عنه النفس سوءا لقوله ساءني كذا يسوؤني سوءا وقيل انما سمي القبيح بالسوء لسوء عاقبته
من ملتبسه في العاجل والفحشاء والفاحشة والقبيح والسيئة نظائر وهي مصدر نحو السراء والضراء يقال
فحش فحشا وفحشاء وكل من تجاوز حده فهو فاحش وافحش الرجل اذا اتى بالفحشاء وكلما لا يوافق
وكلما لا يوافق الحق فهو فاحشة وقوله الا ان ياتين بفاحشة مبينة معناه خروجهن من بيتها بغير اذن زوجها
والقول كلام له عبارة تنبي عن الحكاية وذلك كالكلام زيد يمكن ان يأتي حكم ونيابة عنه تقول عن الحكاية فيقول الى
زيد كذا وكذا فيكون قوله قال زيد يؤذن بانه يحكي نظم كلام وليس كذلك اذا قال تكلم زيد لانه لا يؤذن بالحكاية
والعلم ما اقتضى سكون النفس وقيل هو تبين الشيء على ما هو للمدرك له المعنى لما ذكر سبحانه ذكر الشياطين
عقبه ببيان ما يدعوا اليه من مخالفة النبي فقال انما يامركم بالسوء اي المعاصي عن السدي وقتادة وقيل
بما يسوء فاعله اي يضره وهو في المعنى مثل الاول والفحشاء قيل المراد به الزنا وقيل السوء ما لا حد فيه والفحشاء ما فيه
حد عن ابن عباس وان تقولوا على الله ما لا تعلمون هو دعواهم له الانداد والاولاد وتحريمهم البحيرة والسائبة عن الحسن و
وقيل الادعيه جميع المذاهب الفاسدة والاعتقادات الباطلة ومما يسال على هذا ان يقال كيف يأمر الشيطان
ونحن لا نشاهده ولا نسمع كلامه فالجواب ان معنى امره هو دعاؤه الينا كما تقول نفسي امرتني بكذا اي دعتني اليه
وقيل انه يامر بالمعاصي حقيقة وقد يعرف ذلك الانسان من نفسه فيجد تثقل بعض الطاعات عليه وميل
نفسه الى بعض المعاصي والوسوسة هي الصوت الخفي ومنه وسواس الحلي فيلقي اليه الشيطان اشياء بصوت
خفي في اذنه ومتى قيل كيف يميز الانسان بين ما يلقي اليه الشيطان وما تدعو اليه الشهوة فالجواب لا حاجة بنا
الى التمييز بينهما فانه اذا ثبت عنده ان الشيطان قد يامره بالمعاصي جوز في كل ما كان من هذا الجنس ان يكون
من قبل الشيطان الذي ثبت له عداوته فيكون ادعى له الى فعل الطاعات مع ثقلها عليه وفي ترك المعاصي
مع ميل النفس اليها مخالفة الشيطان الذي هو عدوه قوله تعالى واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل
نتبع ما الفينا عليه اباءنا اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون . اية اللغة الفينا اي صادفنا
ووجدنا والاب والد الوالد والاهتداء الاصابة لطريق الحق بالعلم الاعراب او هي واو العطف دخلت
عليها همزة الاستفهام والمراد به التوبيخ والتقريع ومثل هذه الواو اذا ما وقع افلم يسيروا وانما جعلت همزة
للتوبيخ لانه يقتضي ما لا اقرار به فيظهر عليه كما يقتضي الاستفهام الاخبار بما يحتاج اليه وانما دخلت الواو في
مثل لانك اذا قلت اتبعه ولو ضربك فمعناه اتبعه على كل حال وليس كذلك اتبعه لو ضربك لان هذا
خاص وذلك عام فدخل الواو لهذا المعنى النزول ابن عباس قال دعا النبي اليهود الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما
وجدنا عليه اباءنا فهم كانوا اعلم منا فنزلت هذه الاية وفي رواية الضحاك عنه انها نزلت في كفار قريش
المعنى لما تقدم ذكر الكافرين بين حالهم في التقليد ورد الاجابة الى الاقرار بما تصدق النبي صلعم فيما
جاء به من الكتاب المجيد فقال واذا قيل لهم اختلف في الضمير فقيل يعود الى من في قوله ومن الناس من يتخذ من دون الله
اندادا وهم مشركو العرب وقيل يعود الى الناس من قوله يا ايها الناس فعدل عن المخاطبة الى الغيبة
كما قال حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وقيل يعود الى الكفار اذ جرى ذكرهم
ويصلح ايضا ان يعود اليهم وان لم يجر ذكرهم لان الضمير يعود الى المعلوم كما يعود الى المذكور والقائل لهم هو النبي
والمسلمون اتبعوا ما انزل الله من القرآن وشرايع الاسلام وقيل في التحريم والتحليل قالوا اي الكفار

بل نتبع

بل نتبع ما الفينا اي وجدنا عليه اباءنا من عبادة الاصنام اذا كان الخطاب للمشركين او في التمسك باليهودية اذا كان الخطاب
لليهود اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا اي لا يعلمون شيئا من امور الدين ولا يهتدون اي لا يصيبون طريق الحق ومعناه
لو ظهر لكم انهم لا يعلمون شيئا مما لزمهم معرفته لكنتم تتبعونهم ام كنتم تصرفون عن اتباعهم فاذا صح انه يجب الانصراف
عن اتباعهم فقد تبين ان الواجب اتباع الدليل دون اتباع هؤلاء قوله تعالى ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا
يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون . اية اللغة المثل قول سائر يدل على ان سبيل الثاني سبيل الاول ونعق
الراعي بالغنم ينعق نعيقا اذا صاح بها زاجرا قال الاخطل فانعق بضانك يا جرير فانما منتك نفسك في الخلاء ضلالا وان
نعق الغراب نعاقا ونعيقا اذا صوت من غير ان يمد عنقه ويحركها ونغق بالغين بمعناه فاذا مد عنقه وحركها ثم صاح قيل
نعب والناعقان كوكبان من كواكب الجوزاء رجلها اليسرى ومنكبها الايمن وهو الذي يلي الهنعة وهما اضوء كواكب
الجوزاء والدعاء طلب الفعل من المدعو ونظيره الامر والفرق بينهما يظهر بالرتبة والنداء مصدر نادى منادة و
الدعاء والسؤال بمعناه والندى له وجوه في المعنى يقال ندى الماء وندى الخير والشر وندى الصوت وندى الحضر
فالندى هو البلل بعد ما ضربه وندى الخير هو المعروف يقال ندى فلان علينا ندى كثير ويد ندية بالمعروف وندى
الصوت بعد مذهبه وندى الحضر صحة جريه واشتق المنادى من ندى الصوت ناداه اي دعاه بارفع صوته المعنى
ثم ضرب الله سبحانه مثلا للكفار في تركهم اجابة من يدعوهم الى التوحيد وركونهم الى التقليد فقال ومثل الذين كفروا
كمثل الذي ينعق بما اي يصوت بما لا يسمع من البهائم الا دعاء ونداء اختلف في تقدير الكلام وتاويله على وجوه اولها ان المعنى
مثل الذين كفروا في دعائك اياهم اي مثل الداعي لهم الى الايمان كمثل الناعق في دعائه المنعوق به من البهائم التي لا تفهم
وانما يسمع الصوت فكما ان الانعام لا يحصل لها من دعاء الراعي الا السماع دون تفهم المعنى فكذلك الكفار لا يحصل لهم من دعائك
لهم الى الايمان الا السماع دون تفهم المعنى لانهم يعرضون عن قبول قولك وينصرفون عن تاملها فيكونون بمنزلة من لم يعقله
ولم يفهمه وهذا كما تقول العرب فلان يخافك كخوف الاسد والمعنى كخوفه من الاسد فاضاف الخوف الى الاسد وهو في المعنى
مضاف الى الرجل قال الشاعر فلست مسلما ما دمت حيا على زيد بتسليم الامير اراد بتسليمي على الامير وهذا معنى قول
ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلام وهو اختيار الجبائي والرماني والطبري
وثانيها ان يكون المعنى مثل الذين كفروا ومثلنا او مثل الذين كفروا ومثلك يا محمد كمثل الذي ينعق بما لا يسمع
الا دعاء ونداء اي كمثل الانعام المنعوق بها والناعق الراعي الذي يكلمها وهي لا تعقل فحذف المثل الثاني اكتفاء
بالاول ومثله قوله سبحانه وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل الحرب اراد الحر والبرد وقال ابو ذؤيب عصيت اليها القلب
اني لامرها مطيع فما ادري ارشد طلابها اراد ارشد ام غي فاكتفى بذكر الرشد لوضوح الامر وهو قول الاخفش والزجاج
وهذا لان في الاية تشبيه شيئين بشيئين تشبيه الداعي الى الايمان بالراعي وتشبيه المدعوين من الكفار بالانعام
فحذف ما حذف للايجاز وابقى في الاول ذكر المدعو وفي الثاني ذكر الداعي وفيما ابقى دليل على ما القي وثالثها ان المعنى
مثل الذين كفروا في دعائهم الاصنام كمثل الراعي في دعائه الانعام يتعالى وما جرى مجراه من الكلام فكما ان من دعا
البهائم يعد جاهلا فداعي الحجارة اشد جهلا منه لان البهائم تسمع الدعاء وان لم تفهم معناه والاصنام لا يحصل لها السماع
ايضا عن ابي القاسم البلخي وغيره ورابعها ان مثل الذين كفروا في دعائهم الاصنام وهي لا تعقل ولا تفهم كمثل الذي ينعق
دعاء ونداء بما لا يسمع صوت جملة ويكون المثل مصروفا الى غير الغنم وما اشبهها مما يسمع وان لم يفهم وعلى هذا
ينتصب دعاء ونداء بينعق ولا ملغاة لتوكيد الكلام كما في قول الفرزدق هم القوم الا حيث سلوا سيوفهم
وضحوا بلحم من محل ومحرم والمعنى هم القوم حيث سلوا سيوفهم وخامسها ان المعنى ومثل الذين كفروا كمثل
الغنم الذي لا تفهم دعاء الناعق فاضاف سبحانه المثل الثاني الى الناعق وهو في المعنى مضاف الى المنعوق

به على من هب المغرب في القلب نحو قولهم طلعت الشعرى وانتصب العود على الحرباء والمعنى انتصب الحرباء على العود وانشد الفراء
ان سراجا لكريم مفخره تحلى به العين اذا ما تجهره اي تحلى بالعين وانشد ايضا كانت فريضة ما تقول كما كان الزناء فريضة الرجم والمعنى كما كان
الرجم فريضة الزناء وانشد وقد خفت حتى ما تزيد مخافتي على وعل في ذي المطارة عاقل اي ما تزيد مخافة وعل على مخافتي وقال الكتاب
نادراس وقيت بنفسه نفسي ومالي وما آلوك الا ما اطيق اراد وقيت بنفسي نفسه ثم وصفهم سبحانه بما يجري مجرى التهجين والتوبيخ
فقال صم بكم عمي اي صم عن استماع الحجة بكم عن التكلم بها عمي عن الابصار لها وهو قول ابن عباس وقتادة والسدي وعكرمة يارف
اولى الشيخ ابو ... هنا ذم فهم لا يعقلون اي هم بمنزلة من لا عقل له اذ لم ينتفعوا بعقولهم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات
ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون * اية * اللغة الشكر هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم ويكون على وجهين
احدهما الاعتراف بالنعمة متى ذكرها المنعم عليه بالاعتقاد لها والثاني الطاعة بحسب جلالة النعمة فالاول لازم في كل حال
من احوال الذكر والثاني انما يلزم في الحال التي يحتاج فيها الى القيام بالحق واما العبادة فهي ضرب من الشكر الا انه غاية فيه
ليس وراءها غاية ويقترن به ضرب من الخضوع ولا يستحق العبادة الا الله سبحانه لانها انما يستحق باصول النعم التي هي الحيوة والعقل
والشهوة وانواع المنافع وبقدر من النعم لا يوازيه نعمة منعم فلذلك اختص الله سبحانه باستحقاقها الاعراب ما رزقناكم
موصول وصلة والعائد من الصلة الى الموصول محذوف وتقديره ما رزقناكموه وجواب الشرط محذوف وتقديره ان
كنتم اياه تعبدون فكلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا الله المعنى ثم خاطب سبحانه المؤمنين وذكر نعمه الظاهرة عليهم
واحسانه اليهم فقال يا ايها الذين امنوا كلوا ظاهره الامر والمراد به الاباحة لان تناول المشتهى لا يدخل في التعبد
وقيل انه امر من وجهين احدهما بالاكل الحلال والاخر بالاكل وقت الحاجة دفعا للضرر عن النفس لا لنافي وهذا
ما يعرض في بعض الاوقات ولانه معصوم عليه فيحمل على الاباحة من طيبات ما رزقناكم اي مما تستلذونه و
تستطيبونه من الرزق وفيه دلالة على النهي عن اكل الخبيث كانه لو قيل كلوا من الحلال لكان دالا على حظر
الحرام وهذا صحيح فيما له ضد قبيح مفهوم فاما غير ذلك فلا يدل على قبح ضده لان قوله الفاكل من مال زيد
لا يدل على انه يريد تحريم ما عداه الا ان يكون الغرض البيان بقبح ضده واشكروا الله لما انعمه سبحانه على نعمائه تنبيها
باحسانه للناس امرهم بالشكر لان الانعام يقتضي الشكر وقوله ان كنتم اياه تعبدون اي ان كنتم تعبدونه
عن علم بكونه منعما عليكم وقيل ان كنتم مخلصين له في العبادة وذكر الشرط ههنا انما هو على وجه المظاهرة
في الحجاج وما فيه من حسن البيان وتخليص الكلام ان كانت العبادة لله سبحانه واجبة عليكم بانه الهكم فالشكر له واجب عليكم
بانه منعم محسن اليكم قوله تعالى انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله
غفور رحيم * اية * القراءة قرأ ابو جعفر الميتة مشددة في كل القرآن وقرأ اهل الحجاز والشام والكسائي فمن اضطر بضم النون
وابو جعفر منهم بكسر الطاء من اضطر والباقون بكسر النون الحجة الميتة اصلها الميتة فحذفت الياء الثانية استخفافا
لثقل الياءين والكسرة والاجود في القراءة الميتة بالتخفيف وقوله فمن اضطر بضم الطاء فهو للاتباع كما ضمت همزة
الوصل في انظر واما الكسر فعلى اصل الحركة لالتقاء الساكنين واما قراءة ابي جعفر فمن اضطر فلان الاصل اضطرر
فسكنت الراء الاولى للادغام ونقلت حركتها الى الحرف الذي قبلها فصار اضطر والاصل ان لا تنقل حركة الراء بعد
اسكانها لان الطاء على حركتها الاصلية اللغة الاهلال في الذبيحة رفع الصوت بالتسمية وكان المشركون يسمون
الاوثان والمسلمون يسمون الله والاهلال للمطر شدة انصبابه والهلال عن الشهر لرفع الناس اصواتهم عند رؤيته
بالتكبير والمحرم يهل بالاحرام وهو ان يرفع صوته بالتلبية واستهل الصبي اذا بكى وقت الولادة والاضطرار كل فعل لا يمكن
المفعول به الامتناع منه وذلك كالجوع يحصل للانسان فلا يمكنه الامتناع منه والفرق بين الاضطرار والالجاء
ان الالجاء قد تتوفر معه الدواعي الى الفعل من جهة الضرر او النفع وليس كذلك الاضطرار

قال صاحب العين رجل لحم اذا كان كثير اللحم وبيت لحم يكثر فيه اللحم والحمت القوم اذا قتلتهم فصاروا لحما والملحمة الحرب ذات القتل
الشديد واستلحم الطريق اذا اتسع واللحمة قرابة النسب واصل الباب اللزوم ومنه اللحم للزوم بعضه بعضا واصل البغي الطلب
قولهم بغى الرجل حاجته يبغي بغاء قال الشاعر لا يمنعك من بغاء الخير تعقاد التمائم ان الاشائم كالايامن والايامن كالاشائم والبغاء
طلب الزنا والعادي المتعدي الاعراب انما تفيد اثبات الشيء الذي يذكر بعدها ونفي ما عداه كقول الشاعر وانما يدافع عن احسابهم
انا او مثلي وانما كانت لاثبات الشيء ونفي ما سواه من قبل ان ان كانت للتوكيد وانضاف اليها ما للتوكيد ايضا اكدت ان من جهة
التحقيق للشيء واكدت ما من جهة نفي ما عداه فاذا قلت انما انا بشر فكانك قلت ما انا الا بشر ولو كانت ما بمعنى الذي لكتبت
مفصولة ومثله قوله تعالى انما الله اله واحد اي لا اله الا اله واحد ومثله انما انت نذير اي لست الا نذيرا فاذا ثبت
ذلك فلا يجوز في الميتة الا النصب لان ما كافة ولو كانت ما بمعنى الذي لجاز في الميتة الرفع وغير باغ منصوب على الحال
وتقديره لا باغيا ولا عاديا ولا يجوز ان يقع لا ههنا في موضع غير لما قال الزجاج انه بمعنى النفي ولذلك عطف عليه بلا
فاما الا فانها في الاصل للاختصاص لبعض من كل وليس ههنا كل يصلح ان يخص منه المعنى لما ذكر سبحانه اباحة الطيبات
عقبه بتحريم المحرمات فقال انما حرم عليكم الميتة وهو ما يموت من غير ذكاة من الحيوان والدم ولحم الخنزير خص اللحم لانه المعظم
المقصود والا فجملته محرمة وما اهل به لغير الله قيل فيه قولان احدهما انه ما ذكر غير اسم الله سبحانه عليه عن الربيع وجماعة من المفسرين
والاخر ما ذبح لغير الله عن مجاهد وقتادة والاول اوجه فمن اضطر الى اكل هذه الاشياء ضرورة مجاعة عن اكثر المفسرين
وقيل ضرورة اكراه عن مجاهد فمن خاف على النفس من الجوع ولا يجد ماكولا يسد به الرمق وقوله غير باغ ولا عاد
فيه ثلثة اقوال احدها غير باغ اللذة ولا عاد سد الجوعة عن الحسن وقتادة ومجاهد وثانيها غير باغ في الافراط
ولا عاد في التقصير عن الزجاج وثالثها غير باغ على امام المسلمين ولا عاد بالمعصية طريق المحقين وهو المروي
عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام وعن مجاهد وسعيد بن جبير واعترض علي بن عيسى على هذا القول بان قال ان الله
ابيح لاجل قتل نفسه والتعرض للقتل قتل في حكم الدين ولان الرخصة لاجل المجاعة لا لاجل سفر الطاعة
وهذا فاسد لان الباغي على الامام معرض نفسه للقتل فلا يجوز لذلك استباحة ما حرم الله كما لا يجوز له ان يستبقي
نفسه بقتل غيره من المسلمين وقوله ان الرخصة لاجل المجاعة غير مسلم على الاطلاق بل هو مخصوص عمن لم يعرض
نفسه لها فلا اثم عليه اي لا حرج عليه وانما ذكر هذا اللفظ ليبين انه ليس بمباح في الاصل وانما رفع الحرج لاجل الضرورة
ان الله غفور رحيم وانما ذكر المغفرة لاحد الامرين اما ليبين انه اذا كان يغفر المعصية فانه لا يؤاخذ بما رخص فيه ولما انه
وعد بالمغفرة عند الانابة الى طاعة الله مما كانوا عليه من تحريم ما لم يحرمه الله من السائبة وغيرها قوله تعالى ان الذين
يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا اولئك ما يأكلون في بطونهم الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيمة
ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم * اية * اللغة البطن خلاف الظهر والبطن الغامض من الارض والبطن من العرب دون القبيلة
الاعراب الذين مع صلته منصوب بان اولئك رفع بالابتداء وخبره ما يأكلون في بطونهم الا النار والمبتدأ وخبره
جملة في موضع الرفع بكونها خبر ان والنار نصب بيأكلون النزول المعنى نزلت الاية في اهل الكتاب باجماع المفسرين
الا انها متوجهة على قول كثير منهم الى الجماعة قليلة من اليهود وهم علماؤهم ككعب بن الاشرف وحيي بن اخطب
وكعب بن اسد وكانوا يصيبون من سفلتهم الهدايا ويرجون كون النبي منهم فلما بعث من غيرهم خافوا زوال ماكلتهم
فغيروا صفته فانزل الله هذه الاية المعنى ثم عاد الكلام الى ذكر اليهود الذين تقدم ذكرهم فقال سبحانه ان الذين
يكتمون ما انزل الله من الكتاب اي صفة محمد صلعم والبشارة به عن ابن عباس وقتادة والسدي وقيل كتموا
الاحكام عن الحسن والكتاب على القول الاول هو التورية وعلى الثاني يجوز ان يحمل على القرآن وعلى سائر
الكتب ويشترون به ثمنا قليلا اي يستبدلون به عرضا قليلا وليس المراد انهم اذا اشتروا به ثمنا كثيرا كان

جاز أن يقال فيه ان كلما يأخذونه في عوضها قليل وليس المراد انهم لو اشتروا به ثمنا كثيرا جاز لان ذلك من حطام الدنيا وهو قليل وللعرب
فيه عادة معروفة ومذهب مشهور ومثاله في القرآن كثير قال ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به ويقتلون النبيين بغير حق
وفيه دلالة على ان من ادعى ان مع الله الها آخر لا يقوم له على قوله برهان وان قتل الانبياء لا يكون الا بغير حق وذلك بان يوصف الشيء
بما لابد ان يكون عليه من الصفة ومثله في الشعر من قول النابغة يحفه جانبا نيق ويتبعه مثل الزجاجة لم تكحل من الرمد
ليس لها رمد فيكحل له وقول الآخر لا يحز الساق من أين ولا وصب ولا يعض على شرسوفه الصفر اي ليس بساقه اين ولا وصب فيحزها
من اجلهما وقول سويد بن ابي كاهل من اناس ليس في اخلاقهم عاجل الفحش ولا سوء الجزع ولم يرد ان في اخلاقهم فحشا آجلا
غير عاجل بل نفى الفحش والجزع عن اخلاقهم وفي امثال هذا كثير اولئك يعني الذين كتموا ذلك واخذوا الاجر على الكتمان
ما يأكلون في بطونهم الا النار معناه ان اكلهم في الدنيا وان كان طيبا في الحال فكأنهم لم يأكلوا الا النار لان ذلك يؤديهم
الى النار كقوله سبحانه في اكل مال اليتيم انما يأكلون في بطونهم نارا عن الحسن والربيع واكثر المفسرين وقيل انهم يأكلون
النار حقيقة في جهنم عقوبة لهم على كتمانهم فيصير ما اكلوا في بطونهم نارا يوم القيمة فسماه في الحال بما يصير اليه في المآل
وانما ذكر البطن وان كان الاكل لا يكون الا في البطن لوجهين احدهما ان العرب تقول جعت في غير بطني وشبعت في
غير بطني اذا جاع من يجري جوعه مجرى جوعه وشبعه مجرى شبعه فذكر ذلك لازالة اللبس والآخر انه لما استعمل
المجاز في ان اجرى على الرشوة اسم النار حقق بذكر البطن ليدل على ان النار تدخل اجوافهم ولا يكلمهم الله يوم القيمة
فيه وجهان احدهما انه لا يكلمهم بما يحبون وفي ذلك دليل على غضبه عليهم وان كان يكلمهم بالسؤال بالتوبيخ وما يغمهم
كما قال فلنسألن الذين ارسل اليهم وقال اخسئوا فيها ولا تكلمون وهذا قول الحسن والجبائي والثاني انه لا يكلمهم اصلا فتحمل
آيات المسائلة على ان الملائكة تسائلهم عن الله بأمره ويتأول قوله اخسئوا فيها على ان دلالة الحال تدل على ذلك فحوى الكلام على الغضب والوجه
الاول من حيث ان الكلام وضع في الاصل للفائدة فلما انتفت الفائدة على وجه الحرمان دل على الغضب فاما الكلام على وجه
الغم والايلام فخارج عن ذلك ولا يزكيهم معناه ولا يثني عليهم ولا يصفهم بانهم ازكياء ومن لا يثني الله عليه فهو معذب
وقيل لا يقبل اعمالهم كما يقبل اعمال الازكياء وقيل معناه لا يطهرهم من خبث اعمالهم بالمغفرة ولهم عذاب اليم اي وجيع
مؤلم قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما اصبرهم على النار آية الاعراب
ما اصبرهم قيل ان ما للتعجب كالتي في قوله قتل الانسان ما اكفره اي قد حل محل ما يتعجب منه وحكي عن بعض العرب انه قال
لخصمه ما اصبرك على الله اي ما اصبرك على عذاب الله وقيل انه للاستفهام على معنى اي شيء اصبرهم فيقال اصبرت السبع او
الرجل وصبرته اذا نصبته لما يكره قال الحطيئة قلت لها اصبرها دائبا ويحك امثال طريف قليل اي اجرها واصبرها
المعنى اولئك اشارة الى من تقدم ذكرهم الذين اشتروا الضلالة بالهدى اي استبدلوا الكفر بالنبي صلعم بالايمان به
فصاروا بمنزلة من يشتري السلعة بالثمن وقيل المراد بالضلالة كتمان امره مع علمهم به وبالهدى اظهاره وقيل المراد بالضلالة
العذاب وبالهدى الثواب وطريق الجنة اي استبدلوا النار بالجنة وقوله والعذاب بالمغفرة قيل انه تأكيد لما تقدم
عن ابي مسلم وقيل انهم كانوا اشتروا العذاب بالمغفرة لما عرفوا ما اعد الله لمن عصاه من العذاب ولمن اطاعه من الثواب
ثم اقاموا على ما هم عليه من المعصية مصرين عن القاضي وهذا اولى لانه اذا امكن حمل الكلام على زيادة فائدة كان اولى فكان
اشتراؤهم الضلالة يرجع الى عدولهم عن طريق العلم الى طريق الجهل واشتراؤهم العذاب بالمغفرة يرجع الى عدولهم
عما يوجب الجنة الى ما يوجب النار وقوله فما اصبرهم على النار فيه اقوال احدها ان معناه ما اجرأهم على النار عن
الحسن وقتادة ورواه علي بن ابراهيم باسناده عن ابي عبد الله عليه السلام والثاني ما اعملهم باعمال اهل النار عن مجاهد وهو
المروي عن ابي عبد الله عليه السلام والثالث ما ابقاهم على النار كما يقال ما اصبر فلانا على الحبس عن الزجاج والرابع ما ادومهم
على النار اي ما ادومهم على عمل اهل النار كما يقال ما اشبه سخاءك بحاتم اي بسخاء حاتم عن الكسائي وقطرب

وعلى هذه الوجوه فظاهر الكلام التعجب والتعجب لا يجوز على القديم سبحانه لانه عالم بجميع الاشياء ولا يخفى عليه شيء والتعجب انما يكون مما لا يعرف
سببه واذا ثبت ذلك فالغرض انه يدل على ان الكفار حلوا محل من يتعجب منه فهو تعجيب لنا منهم والخامس ما روي عن ابن عباس ان المراد
اي شيء صبرهم على النار اي حبسهم عليها فتكون للاستفهام ويجوز حمل الوجوه الثلاثة المتقدمة على الاستفهام ايضا فيكون المعنى اي شيء
اجرأهم على النار واعملهم باعمال اهل النار وابقاهم على النار وقال الكسائي هو استفهام على وجه التعجب وقال المبرد هذا حسن لانه كالتوبيخ لهم
لهم كما يقال لمن وقع في ورطة ما اضطرك الى هذا اذا كان غنيا عن التعرض للوقوع فيها والمراد به الانكار والتقريع على اكتساب سبب الهلاك
وتعجيب الغير منه ومن قال معناه ما اجرأهم على النار ذهب الى ان الصبر الذي هو الحبس انما هو لان الجرأة يصبر على الشدة قوله تعالى
ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد آية اللغة الاختلاف ذهاب على جهة التفرق
في الجهات واصله من اختلاف الطريق تقول اختلفنا الطريق فجاء هذا من هنا وجاء ذاك من هنا ثم استعمل في الاختلاف في
المذاهب تشبيها بالاختلاف في الطريق من حيث ان كل واحد منهم على نقيض ما عليه الآخر من الاعتقاد والاختلاف للاجناس
هو ما لا يسد احدهما مسد الآخر فيما يرجع الى ذاته كالسواد والبياض والشقاق والمشاقة انحياز كل واحد عن شق صاحبه
للعداوة وهو طلب كل واحد منهما ما يشق على الآخر لاجل العداوة الاعراب ذلك قال الزجاج مرفوع بالابتداء والخبر محذوف
اي ذلك الامر ويجوز ان يكون مرفوعا بخبر المبتدأ اي الامر ذلك ويحتمل ان يكون موضع ذلك نصبا على تقدير فعلنا ذلك
لان في الكلام ما يدل على فعلنا المعنى ذلك اشارة الى احد ثلاثة اشياء اولها ذلك الحكم بالنار عن الحسن
وثانيها ذلك العذاب وثالثها ذلك الضلال وفي تقديره ثلاثة وجوه احدها ما ذكرناه من قول الزجاج وثانيها ان تقديره ذلك الحكم
الذي حكم فيهم او حل بهم من العذاب وذلك الضلال معلوم بان الله نزل الكتاب بالحق فحذف لدلالة ما تقدم من الكلام عليه
وثالثها ذلك العذاب لهم بان الله نزل الكتاب بالحق فحذف لدلالة ما تقدم وتكون الباء مع ما بعدها في موضع الخبر ومن ذهب
الى ان المعنى ذلك الحكم بدلالة ان الله نزل الكتاب بالحق فالكلام على صورته ومن ذهب الى ان المعنى ذلك العذاب
او الضلال بان الله نزل الكتاب ففي الكلام حذف وتقديره كفروا به والمراد بالكتاب ههنا التوراة وقال البلخي هو القرآن
وغيره وقال بعضهم المراد بالاول التوراة وبالثاني القرآن وان الذين اختلفوا في الكتاب قيل هم الكفار اجمع عند اكثر المفسرين
اختلفوا في القرآن على اقوال فمنهم من قال هو سحر ومنهم من قال كلام المخترع ومنهم من قال كلام تعلمه ومنهم من قال كلام تقوله وقيل
هم اهل الكتاب من اليهود والنصارى عن السدي اختلفوا في التأويل والتنزيل من التوراة والانجيل لانهم حرفوا الكتاب
وكتموا صفة النبي صلعم وجحدت اليهود الانجيل والقرآن وقوله لفي شقاق بعيد اي بعيد عن الالفة بالاجتماع على الصواب
وقيل بعيد في الشقاق لشهادة كل واحد على صاحبه بالضلال وكلاهما عادل عن الحق والسداد وقيل في خلاف
شديد فيما يتصل باحكام التوراة والانجيل قوله تعالى ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله
واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل
والسائلين وفي الرقاب واقام الصلوة وآتى الزكوة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء
وحين البأس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون آية القراءة قرأ حفص عن عاصم غير هبيرة وحمزة
ليس البر ان تولوا بنصب الراء والباقون بالرفع وروي في الشواذ عن ابن مسعود وابي ليس البر بان تولوا بالباء
وقرأ نافع وابن عامر ولكن البر بالتخفيف والرفع والباقون ولكن البر بالتشديد والنصب الحجة قال ابو علي حجة من رفع
البر ان ليس يشبه بالفعل وكون الفاعل بعده اولى من المفعول بعده وحجة من نصب البر انه حكي عن بعض
شيوخنا انه قال في هذا النحو ان يكون الاسم ان وصلتها اولى لشبهها بالمضمر في انها لا توصف كما لا يوصف المضمر
فكانه قد اجتمع مضمر ومظهر والاولى اذا اجتمعا ان يكون المضمر الاسم من حيث كان اذهب في الاختصاص من المظهر
قال ابن جني يجوز ان يكون انما نصب لترجيح الباء بان جعل الباء زائدة كقولهم كفى بالله وكيلا اللغة البر العطف

والاحسانه صدده ويحبونان يكونا لبار ای اولیاء الاحسان او ابرا الصدق واهل الايمان والتقوى لفضله من الاتباع ومثله بر حلاهم الحرات
واختلف اهل اللغة والفقهاء في المسكين والفقير ايهما اشد حالاً فقال جماعة المسكين الذى لا شئ له والفقير الذى لا يكفيه وهو قول
يونس وابن دريد وقول ابى حنيفة وقال الحسن والفقير الذى لا شئ عليه والمسكين من لا شئ يديه وهو قول الشافعى وابن السبيل الطريق وابن السبيل هو المنقطع
به اذا كان فى سفر محتاجاً وان كان فى بلده ذا يسار وهو من اهل الزكوة وقيل هو الضيف عن مجاهد وانما قيل للمسافر ابن الطريق للزومه
الطريق كما قيل للطيرابن الماء قال ذو الرمة وردت اعتسافاً والثريا كانها على قمة الرأس ابن ماء محلق والرقاب جمع رقبة
وهو اصل العنق وقد يعبر به عن جميع البدن يقال اعتق الله رقبته وفك فلان رقبة واسر فلان رقبة والباساء البؤس والفقر والضراء السقم والوجع
وهما مصدران بنيا على فعلاء وليس لهما افعل لانه افعل وفعلاء للصفات والنعوت ولم يأتيا فى الاسماء التى ليست بنعوت الاعراب
من نصب البر جعل ان مع صلتها اسم ليس اى ليس توليتكم وجوهكم البر كله ومن رفع البر فالمعنى ليس البر كله توليتكم وكلا المذهبين
حسن لان كل واحد من اسم ليس وخبرها معرفة فاذا اجتمعا فى التعريف تكافئا فى كون احدهما اسماً والآخر خبراً كما تتكافأ النكرات
وقد ذكرنا الوجه فى ترجيح احد المذهبين على الآخر ولكن البر اذا شددت لكن نصبت البر واذا خففت رفعت البر وكسرت
النون مع التخفيف لالتقاء الساكنين واما الاخبار عن البر بمن آمن ففيه وجوه ثلثة احدها ان يكون البر بمعنى البار فجعل المصدر
فى موضع اسم الفاعل كما يقال ماء غور اى غائر ورجل صوم اى صائم ومثله قول الخنساء ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت فانما
هى اقبال وادبار اى انها مقبلة ومدبرة ومثله تظل جيادهم نوحاً عليهم مقلدة اعنتها صفونا اى نائحة وثانيها ان المعنى ولكن البر
بر من آمن بالله فحذف المضاف من الاسم وثالثها ولكن البر بر من آمن بالله فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه كقول الشاعر
وكيف تواصل من اصبحت خلالته كابى مرحب كقول النابغة وقد خفت حتى ما تزيد مخافتى على وعل فى ذى المطارة
عاقل اى على مخافة وعل ومثله قوله تعالى اجعلتم سقاية الحاج ثم قال كمن آمن بالله اى كايمان من آمن وقوله والموفون
بعهدهم اذا عاهدوا فى رفعه قولان احدهما ان يكون مرفوعاً على المدح لان النعت اذا طال وكثر رفع بعضه ونصب على المدح
والمعنى وهم الموفون والآخر ان يكون معطوفاً على من آمن والمعنى ولكن ذا البر وذوى البر المؤمنون والموفون بعهدهم و
اما قوله والصابرين فمنصوب على المدح ايضاً لان من شأنهم فى الصفات والنعوت اذا طالت ان يعترضوا بينها بالمدح او الذم
ليميزوا الممدوح او المذموم وتفيدوا اعنى الصابرين قال ابو على والاحسن فى هذه الاوصاف التى تقطعت الرفع من موصوفها
والمدح او النقص منهم والذم ان يخالف باعرابها ولا يجعل كلها جارية على موصوفها لكون ذلك دلالة على هذا المعنى
وانفصالاً لما يذكر للتنويه والتنبيه او النقص والعض مما يذكر للتخليص والتمييز بين الموصوفين المشتبهين فى الاسم
المختلفين فى المعنى ومن ذلك قول الشاعر انشد الفراء الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة فى المزدحم وذا الرأى حين
تهم الامور بذات الصليل وذات اللجم فنصب ليث الكتيبة وذا الرأى على المدح وانشد ايضاً فليت التى فيها النجوم تواضعت
على كل غث منهم وسمين غيوث الحيا فى كل محل ولزبة اسود الشرى يحمين كل عرين ومما نصب على الذم سقوني الخمر
ثم تكنفوني عداة الله من كذب وزور ونصب آخر وهو ان هذا الموضع من مواضع الاطناب فى الوصف فاذا خولف
باعراب الالفاظ كان اشد وانم فيما يعنى ويعرض لضروب الكلام وكونه بذلك ضروباً وجملاً وكونه فى الاجراء على
الاول وجهاً واحداً وجملة واحدة فلذلك يبقى قول سيبويه فى قوله والمقيمين الصلوة انه محمول على المدح قول من قال
انه محمول على قوله بما انزل اليك والمقيمين الصلوة وان كان هذا غير ممتنع وقال بعض النحويين ان الصابرين معطوف على ذوى
القربى قال الزجاج وهذا لا يصلح الا ان يكون والموفون رفعاً على المدح للمضمر لانما فى الصلة لا يعطف عليه بعد المعطوف
على الموصول قال ابو على الاوجه لهذا القول لان الصابرين لا يجوز حمله على اتى المال على حبه سواء كان قوله والموفون بعهدهم
عطفاً على الموصول او مدحاً لان الفصل بين الصلة يقع بالذى كان مدحاً كما يقع اذا كان مفرداً معطوفاً على الموصول
والفصل بينهما بالمدح اشنع لكون المدح جملة والجملة ينبغى ان يكون فى الفصل اشنع واقبح لزيادتها على المفرد

على المفرد وان كان الجميع ذلك ممتنعاً النزول والنظم لما حولت القبلة وكثر الخوض فى نسخها وصار كان لا يراعى بطاعة الله الا
التوجه للصلوة واكثر اليهود والنصارى ذكرها انزل الله تعالى هذه الآية عن ابى القاسم البلخى وعن قتادة انها نزلت فى اليهود
المعنى ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب بين سبحانه ان البر كله ليس فى الصلوة فان الصلوة انما امر بها لكونها صلاحاً
فى الاديان وصارفة عن الفساد وكذلك العبادات الشرعية انما امر بها لما فيها من الالطاف والمصالح الدينية وذلك يختلف بالازمان
والاوقات فقال ليس البر كله فى التوجه الى الصلوة حتى يضاف الى ذلك غيره من الطاعات التى امر الله بها عن ابن عباس ومجاهد
واختاره ابو مسلم وقيل معناه ليس البر ما عليه النصارى من التوجه الى المشرق ولا ما عليه اليهود من التوجه الى المغرب
عن قتادة والربيع واختاره البلخى والجبائى ولكن البر من آمن بالله اى لكن البر بر من آمن بالله كقولهم السخاء حاتم والشعر زهير اى
السخاء سخاء حاتم والشعر شعر زهير عن قطرب والزجاج والفراء والجبائى وقيل ولكن البار او ذا البر من آمن بالله اى صدق بالله ويدخل
فيه جميع ما لا يتم معرفة الله سبحانه الا به كمعرفة حدوث العالم واثبات المحدث وصفاته الواجبة والجائزة وما يستحيل عليه سبحانه
ومعرفة عدله وحكمته واليوم الآخر يعنى القيمة ويدخل فيه التصديق بالبعث والحساب والثواب والعقاب والملائكة وانهم عباد
مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون والكتاب اى والكتب المنزلة من عند الله الى انبيائه والنبيين والانبياء كلهم
وانهم معصومون مطهرون وفيما ادوه الى الخلق ثم صادقون وان سيدهم وخاتمهم محمد صلى الله عليه وآله وان شريعته ناسخة لجميع الشرايع والتمسك
بها لازم لجميع المكلفين الى يوم القيمة وآتى المال اى واعطى المال على حبه فيه وجوه احدها ان الكناية راجعة الى المال اى على
حب المال فيكون المصدر مضافاً الى المفعول وهو معنى قول ابن عباس وابن مسعود قال تعطيه وانت صحيح شحيح تأمل
العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وثانيها ان يكون الهاء راجعة الى من آمن
فيكون المصدر مضافاً الى الفاعل ولم يذكر المفعول لظهور المعنى ووضوحه وهو مثل الوجه الاول سواء فى المعنى وثالثها
ان يكون الهاء راجعة الى الايتاء الذى دل عليه قوله آتى المال والمعنى على حب الاعطاء ويجرى ذلك مجرى قول القطامى
هم الملوك وابناء الملوك لهم والآخذون به والساسة الاول فكنى بالهاء عن الملك لدلالة قوله الملوك عليه ورابعها
ان الهاء راجعة الى الله لان ذكره سبحانه قد تقدم اى يعطون المال على حب الله وخالصاً لوجهه قال المرتضى قدس سره
روحه ولم نسبق الى هذا الوجه فى هذه الآية وهو احسن ما قيل فيها لان تأثير ذلك المدح من اخرج المال لا لأن المحب
للمال الضنين به متى بذله واعطاه ولم يقصد به القربة الى الله تعالى لم يستحق شيئاً من الثواب وانما تؤثر محبته للمال
فى زيادة الثواب متى حصل قصد القربة والطاعة ولو تقرب بالعطية وهو غير ضنين بالمال ولا محب له لاستحق الثواب
ذوى القربى اراد به قرابة المعطى كما روى عن النبى صلى الله عليه وآله انه سئل عن افضل الصدقة فقال جهد المقل على ذى الرحم
الكاشح وقوله عليه السلام لفاطمة بنت قيس لما قالت يا رسول الله ان لى سبعين مثقالاً من ذهب قال اجعليها فى قرابتك ويحتمل
ان يكون ويحتمل ان يكون قرابة النبى صلى الله عليه وآله كما فى قوله قل لا اسئلكم عليه اجراً الا المودة فى القربى وهو المروى عن ابى جعفر وابى عبد الله عليهما السلام
واليتامى اليتيم من لا اب له مع الصغر قيل اراد يعطيهم انفسهم المال وقيل اراد ذوى اليتامى اى يعطى من يكفلهم لانه لا يصح تمليك
المال لمن لا يعقل فعلى هذا يكون اليتامى فى موضع جر عطفاً على القربى وعلى القول الاول يكون فى موضع نصب
عطفاً على ذوى القربى والمساكين يعنى اهل الحاجة وابن السبيل يعنى المنقطع به عن ابى جعفر ومجاهد وقيل الضيف
عن ابن عباس وقتادة وابن جبير والسائلين اى الطالبين للصدقة لانه ليس كل مسكين يطلب وفى الرقاب فيه وجهان
احدهما عتق الرقاب بان يشترى ويعتق والآخر فى رقاب المكاتبين والآية محتملة للامرين فينبغى ان نحمل عليهما وهو اختيار
الجبائى والرمانى وفى هذه الآية دلالة على وجوب اعطاء مال الزكوة المفروضة بلا خلاف وقال ابن عباس فى المال
حقوق واجبة سوى الزكوة وقال الشعبى هى محمولة على وجوب حقوق فى مال الانسان غير الزكوة مما له سبب وجوب
كالانفاق على من يجب عليه نفقته وعلى من يجب عليه سد رمقه اذا خاف عليه التلف وعلى ما يلزمه من النذور

ما الكفارات ويدخل في هذا ايضا ما يخرجه الانسان على وجه التطوع والقربة الى الله لان ذلك كله من البر واخراج المال [illegible] حمله على الزكوة
المفروضة لانه عطف عليها الزكوة وانما خص هؤلاء لان الغالب انه لا يوجد الاضطرار الا في هؤلاء واقام الصلوة اي اداها لميقاتها على
حدودها واتى الزكوة اي اعطى زكوة ماله والموفون بعهدهم اذا عاهدوا اي الذين اذا عاهدوا وعاهدوا او فوا به يعني العهود والنذور التي
بينهم وبين الله تعالى والعقود التي بينهم وبين الناس وكلاهما يلزم الوفاء به والصابرين في البأساء والضراء يعني بالبأساء البؤس والفقر
والضراء الوجع والعلة عن ابن مسعود وقتادة وجماعة من المفسرين وحين البأس يعني وقت جهاد العدو وروي عن علي عليه السلام انه قال كنا اذا
احمر البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وآله فلم يكن احد منا اقرب الى العدو منه يريد اذا اشتد الحرب اولئك اشارة الى من تقدم ذكرهم الذين صدقوا
اي صدقوا الله فيما قالوا امنه والتزموه عملا وتمسكوا بشرائع الاسلام عن ابن عباس والحسن وقيل الذين صدقت نياتهم لان اعمالهم على الحقيقة واولئك
هم المتقون اي اتقوا بفعل هذه الخصال نار جهنم واستدل اصحابنا بهذه الاية على ان المعني بها امير المؤمنين عليه السلام لانه لا خلاف بين الامة
انه كان جامعا لهذه الخصال فهو مراد بها قطعا ولا قطع على كون غيره جامعا لها ولهذا قال الزجاج والفراء انها مخصوصة بالانبياء
والمعصومين لان هذه الاشياء لا يؤديها بكليتها على حق الواجب فيها الا الانبياء قوله تعالى يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص
في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى فمن عفي له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم
ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم ❊ اللغة كتب فرض واصل الكتابة الخط الدال على معنى فسمي ما دل على الفرض
بها قال الشاعر كتب القتل والقتال علينا وعلى الغانيات جر الذيول والقصاص والمقاصة والمعاوضة والمبادلة نظائر يقال قص اثره
اي تلاه شيئا بعد شيء ومنه القصاص لانه يتلو اصل الجناية ويتبعه وقيل هو ان يفعل بالثاني مثل ما فعله هو بالاول مع مراعاة المماثلة
ومنه اخذ القصص كانه يتبع آثارهم شيئا بعد شيء والحر نقيض العبد والحر من كل شيء اكرمه واحرار البقول ما يؤكل غير مطبوخ [illegible]
الكتابة اذا رجع فيها والعفو الترك وعفت الديار اي تركت حتى درست والعفو عن المعصية ترك العقاب عليها وقيل معنى العفو
ههنا ترك القود بقبول الدية من اخيه وجمع الاخ الاخوة اذا كانوا لاب واذا لم يكونوا لاب فهم اخوان ذكر ذلك صاحب العين
والتأدية والاداء تبليغ الغاية يقال ادى فلان ما عليه وفلان آدى للامانة من غيره الاعراب فاتباع مرتفع من وجهين
اي فعليه اتباع او خبر لمبتدأ محذوف اي فحكمه اتباع ولو كان في غير القرآن فاتباعا بالمعروف واداء اليه باحسانا على معنى فليتبع
اتباعا وليؤد اداء ولكن الرفع عليه اجماع القراء وهو الاجود في العربية النزول نزلت هذه الاية في حيين من العرب لاحدهما طول
على الاخر وكانوا يتزوجون نساءهم بغير مهور واقسموا لنقتلن بالعبد منا الحر منهم وبالمرأة منا الرجل منهم وبالرجل منا الرجلين
منهم وجعلوا جراحاتهم على الضعف من جراح اولئك حتى جاء الاسلام فانزل الله هذه الاية المعنى لما بين سبحانه ان البر لا يتم
الا بالايمان والتمسك بالشرائع بين الشرائع فبدأ بالجراح والقتل لانه الاهم فقال كتب عليكم اي فرض عليكم واوجب وقيل كتب عليكم
في ام الكتاب وهو اللوح المحفوظ على جهة الفرض القصاص في القتلى المساواة في القتلى اي يفعل بالقاتل مثل ما فعله بالمقتول
ولا خلاف ان المراد بقتل العمد لان العمد هو الذي يجب فيه القصاص دون الخطاء المحض وشبيه العمد فان قيل كيف قال كتب عليكم
القصاص في القتلى والاولياء مخيرون بين القصاص والعفو واخذ الدية [illegible] فلا وجوب عليه الجواب من وجهين
احدهما انه فرض عليكم ذلك ان اختار اولياء المقتول القصاص والفرض قد يكون مضيقا وقد يكون مخيرا فيه والثاني انه فرض
عليكم القتل بما حد لكم وترك مجاوزته الى ما لم يجعل لكم واما من يتولى القصاص فهو امام المسلمين ومن يجري مجراه فيجب عليه استيفاء
القصاص عند مطالبة الولي لانه حق الادمي ويجب على القاتل تسليم النفس الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى قال الصادق عليه السلام
لا يقتل حر بعبد ولكن يضرب ضربا شديدا ويغرم دية العبد وهذا مذهب الشافعي وقال ان قتل رجل امرأة فاراد اولياء المقتول
ان يقتلوه ادوا نصف ديته الى اهل الرجل وهذا هو حقيقة المساواة فان نفس المرأة لا تساوي نفس الرجل بل هي على النصف منها
فيجب اذا اخذت النفس الكاملة بالنفس الناقصة ان يرد فضل ما بينهما وكذلك رواه الطبري في تفسيره عن علي عليه السلام ويجوز قتل
العبد بالحر والانثى بالذكر اجماعا وليس في الاية ما يمنع من ذلك لانه لم يقل ولا تقتل الانثى بالذكر ولا العبد بالحر فيما تضمنه

الآية

الاية معمول به وما قلناه مثبت بالاجماع وبقوله سبحانه النفس بالنفس وقوله فمن عفي له من اخيه شيء فيه قولان احدهما ان معناه من ترك له وصفح
عنه من الواجب عليه وهو القصاص في قتل العمد من اخيه اي من دم اخيه فحذف المضاف للعلم به واراد بالاخ المقتول سماه اخا للقاتل
فدل ان اخوة الاسلام بينهما لم تنقطع وان القاتل لم يخرج عن الايمان بقتله ويجوز ان يريد بالاخ العافي الذي هو ولي الدم سماه الله اخا القاتل
وقوله شيء دليل على ان بعض الاولياء اذا عفى سقط القود لان شيئا من الدم قد بطل بعفو البعض والله تعالى قال فمن عفي له من اخيه
شيء والضمير في قوله له وفي اخيه كلاهما يرجع الى من وهو القاتل اي من ترك له القتل ورضي منه بالدية هذا قول اكثر المفسرين قالوا العفو
ان يقبل الدية في قتل العمد ثم لم يذكر سبحانه العافي لكن معلوم ان المراد من ترك القصاص المطالبة وهو ولي الدم والقول الاخر
ان المراد بقوله فمن عفي له ولي الدم والهاء في اخيه راجعة اليه وتقديره فمن بذل له من اخيه يعني اخا الولي وهو المقتول الدية
ويكون العافي معطي المال ذكر ذلك عن مالك ومن نصر هذا القول قال ان لفظة شيء منكر والقود معلوم فلا يجوز الكناية عنه
بلفظ النكرة فيجب ان يكون المعنى فمن بذل له من اخيه مال وذلك يجوز ان يكون مبهما لا يدرى ان يعطيه الدية او دونها او اكثر
من مقدار الدية واقل او اكثر فصح ان يقال فيه شيء وهذا ضعيف والقول الاول اظهر وقد ذكرنا القول في تنكير قوله شيء هنا
واما الذي له العفو عن القصاص فكل من يرث الدية الا الزوج والزوجة عند [illegible] فلا يستحقان [illegible]
وقوله فاتباع بالمعروف اي على العافي اتباع بالمعروف اي ان لا يشدد في الطلب وينظره ان كان معسرا ولا يطالبه بالزيادة على حقه
وعلى المعفو له اداء اليه باحسان اي الدفع عند الامكان من غير مطل ومرة لابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد وهو المروي عن ابي
عبد الله عليه السلام وقيل المراد على المعفو عنه الاتباع والاداء وقوله ذلك اشارة الى جميع ما تقدم تخفيف من ربكم ورحمة معناه جعل
لكم القصاص او الدية او العفو وخيركم بينها وكان لاهل التوراة القصاص او العفو ولاهل الانجيل العفو او الدية فمن
اعتدى بعد ذلك بان قتل بعد قبول الدية او العفو عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله
عليهما السلام وقيل بان قتل غير قاتله وطلب اكثر مما وجب له من الدية وقيل بان جاوز الحد بعد ما بين له كيفية القصاص في

٩٦

القاضي ويجب حمله على الجميع لعموم اللفظ فله عذاب اليم في الاخرة قوله تعالى ولكم في القصاص حيوة يا اولي الالباب لعلكم
تتقون ❊ اللغة الالباب العقول واحدها لب مأخوذ من لب النخلة ولب بالمكان والب اذا اقام واللب لباب الشيء
المعنى ثم بين سبحانه وجه الحكمة في ايجاب القصاص فقال ولكم يا ايها المخاطبون في القصاص حيوة فيه قولان احدهما
ان معناه في ايجاب القصاص حيوة لان من هم بالقتل فذكر القصاص ارتدع فكان ذلك سببا للحيوة عن مجاهد وقتادة واكثر
اهل العلم والثاني ان معناه لكم في وقوع القصاص حيوة لانه لا يقتل الا القاتل دون غيره خلاف ما كان يفعله اهل الجاهلية
الذين كانوا يتفانون بالطوائل عن السدي والمعنيان جميعا حسنان ونظيره من كلام العرب القتل انفى للقتل الا ان ما في
القرآن اكثر فائدة واوجز في العبارة وابعد من الكلفة بتكرير الجملة واحسن تأليفا بالحروف المتلائمة فاما كثرة الفائدة فلان
فيه جميع ما في قولهم القتل انفى للقتل وزيادة معان منها ابانة العدل لذكره القصاص ومنها ابانة الغرض المرغوب فيه
وهو الحيوة ومنها الاستدعاء بالرغبة والرهبة وحكم الله به واما الايجاز في العبارة فان الذي هو نظير القتل انفى للقتل قوله
القصاص حيوة وهو عشرة احرف وذاك اربعة عشر حرفا واما بعده من الكلفة فهو ان في قولهم القتل انفى للقتل
تكريرا غيره ابلغ منه واما الحسن بتأليف الحروف المتلائمة فانه مدرك بالحس وموجود باللفظ فان الخروج من الفاء الى اللام
اعدل من الخروج من اللام الى الهمزة لبعد الهمزة من اللام وكذلك الخروج من الصاد الى الحاء اعدل من الخروج من الالف الى اللام
فباجتماع هذه الامور التي ذكرناها كان ابلغ منه واحسن وان كان الاول حسنا بليغا وقد اخذ الشاعر [illegible]
[illegible] وفي الجراح بين قوم وهذا وان كان حسنا فبينه وبين لفظ القرآن ما بين اعلى الطبقة وادناها واول ما فيه
ان ذلك استدعاء الى العتاب وهذا استدعاء الى العدل وفي ذلك ابهام وفي الاية بيان عجيب وقوله يا اولي الالباب
معناه يا ذوي العقول لانهم الذين يعرفون العواقب ويتصورون ذلك فلا [illegible] لعلكم تتقون في لعل ثلثة اقوال

احدها انه بمعنى الامر اى لتتقوا والثانى انه للرجاء والطمع كانه قال على رجائكم وطمعكم فى التقوى والثالث على معنى التعرض اى على تعرضكم
للتقوى وفى تتقون قولان احدهما لعلكم تتقون القتل بالخوف من القصاص عن ابن عباس والحسن وابن زيد والثانى لعلكم تتقون
ربكم باجتناب معاصيه وهذا اعم قوله تعالى كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف
حقا على المتقين ۰ اللغة المعروف هو العدل الذى لا يجوز ان ينكر ولا حيف فيه ولا جور والحضور وجود الشىء بحيث يمكن ان يدرك
والحق هو الفعل الذى لا يجوز انكاره وقيل هو ما علم صحته سواء كان قولا او فعلا او اعتقادا وهو مصدر حق يحق حقا الاعراب
قوله كتب عليكم المعنى وكتب عليكم الا ان الكلام اذا طال استغنى عن العطف بالواو وعلم ان معناه معنى الواو ولان القصة الاولى قد استتمت
وفى القصة الثانية ذكر ما فى الاولى فاتصلت من تلك لاجل الذكر والوصية ارتفعت لاحد وجهين اما بانه اسم ما لم يسم فاعله
وهو كتب واما بانه مبتدأ وقوله للوالدين خبره والجملة فى موضع رفع على الحكاية لان معنى كتب عليكم قيل لكم الوصية للوالدين واما العامل
فى اذا ففيه وجهان احدهما كتب مجازا قيل كتب عليكم الوصية وقت المرض والآخر ما قاله الزجاج وهو ان الوصية رغب فيها
فى حال الصحة فتقديره كتب عليكم ان توصوا وانتم قادرون على الوصية قائلين اذا حضرنا الموت فلفلان كذا وحقا نصب
على المصدر تقديره احق ذلك حقا وقد يستعمل على وجه الصفة بمعنى ذى الحق كما وصف بالعدل فعلى هذا يكون نصبا على
الحال ويجوز ان يكون مصدرا من غير لفظه تقديره كتب كتابا حقا المعنى ثم بين سبحانه شريعة اخرى وهى الوصية فقال
كتب عليكم اى فرض عليكم اذا حضر احدكم الموت اى اسباب الموت من مرض ونحوه من الهرم ولم يرد اذا عاين البأس وملك
الموت لان تلك الحالة تشغله عن الوصية وقيل فرض عليكم الوصية فى حال الصحة ان تقولوا اذا حضرنا الموت فافعلوا
كذا وكذا ان ترك خيرا اى مالا واختلف فى المقدار الذى يجب الوصية عنده فقال الزهرى فى القليل والكثير مما يقع عليه اسم
المال وقال ابراهيم النخعى من الف درهم الى خمسمائة درهم وقال ابن عباس الى ثمانمائة درهم وروى عن على ع انه دخل
على مولى له فى مرضه وله سبعمائة درهم او ستمائة درهم فقال الا اوصى فقال لا انما قال الله سبحانه ان ترك خيرا وليس لك
كثير مال وهذا هو المأخوذ به عندنا لان قوله حجة الوصية للوالدين والاقربين اى الوصية لوالديه وقرابته بالمعروف اى بالشىء الذى
يعرف اهل التمييز انه لا جور فيه ولا حيف ويحتمل ان يرجع ذلك الى قدر ما يوصى لان من يملك المال الكثير اذا اوصى بدرهم فلم يوص
بالمعروف ويحتمل ان يرجع الى الموصى لهم وكان لا يؤثر المرفهين الجملة فى الوصية فليس من المعروف ان يوصى للغنى ويترك الفقير
ويوصى للغريب ويترك الاقرب منه ويجب حمله على كلا الوجهين حقا على المتقين اى حقا واجبا على من آثر التقوى وهذا
تأكيد فى الوجوب واختلف فى هذه الآية فقيل انها منسوخة فى الوارث ثابتة فى غير الوارث وقيل انها غير منسوخة اصلا
وهو الصحيح عند المحققين من اصحابنا لان من قال انها منسوخة بآية المواريث فقوله باطل لان النسخ بين الخبرين انما يكون اذا
تنافى العمل بموجبهما ولا تنافى بين آية المواريث وآية الوصية فكيف تكون هذه ناسخة لتلك مع فقد التنافى ومن قال انها
منسوخة بقوله ص لا وصية لوارث فقد ابعد لان الخبر لو سلم من كل قدح لكان يقتضى الظن ولا يجوز ان ينسخ كتاب الله تعالى الذى يوجب
العلم اليقين بما يقتضى الظن ولو سلمنا الخبر مع ما ورد من الطعن على رواته لخصصنا عموم الآية وحملناها على انه لا وصية
لوارث بما زاد على الثلث لان ظاهر الآية يقتضى ان الوصية جائزة لهم بجميع ما يملك وقول من قال لحصول الاجماع على ان الوصية
ليست بفرض يدل على انها منسوخة يفسد بان الاجماع انما هو على انها لا تفيد الفرض وذلك لا يمنع من كونها مندوبا
اليها مرغبا فيها وروى اصحابنا عن ابى جعفر عليه السلام انه سئل هل تجوز الوصية للوارث فقال نعم وتلا هذه الآية وروى عن
السكونى عن ابى عبد الله عليه السلام عن ابيه عن على عليهم السلام قال من لم يوص عند موته لذوى قرابته ممن لا يرث فقد ختم عمله بمعصية
ومما يؤيد ما ذكرناه ما روى عن النبى صلعم قال من مات بغير وصية مات ميتة جاهلية وعنه صلعم انه قال من لم يحسن وصيته
عند موته كان نقصا فى مروته وعقله وروى عن ابى عبد الله عليه السلام انه قال ما ينبغى لامرئ مسلم ان يبيت الا ووصيته عند
رأسه قوله تعالى فمن بدله بعدما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم ۰ المعنى ثم اوعد سبحانه

على الغير

على تغيير الوصية فقال فمن بدله اى بدل الوصية وغيرها من الاوصياء او الاولياء او الشهود وانما ذكر الهاء على الايصاء وكذلك قوله فمن جاءه موعظة
اى وعظ والتبديل تغيير الشىء عن الحق فيه بان يوضع غيره فى موضعه بعدما سمعه من الموصى الميت وانما ذكر السماع ليدل على ان الوعيد
لا يلزم الا بعد العلم والسماع فانما اثمه اى اثم التبديل على الذين يبدلونه اى على من يبدل الوصية ويعاقب ان الله سميع عليم اى سميع لما قاله
الموصى من العدل او الجنف عليم بما يفعله الوصى من التغيير او التبديل وقيل سميع لوصاياكم عليم بنياتكم وقيل سميع بجميع المسموعات
عليم بجميع المعلومات وفى هذه الآية دلالة على ان الوصى او الوارث اذا فرط فى الوصية او غيرها لا يأثم الموصى بذلك ولم ينقص من اجره
وانه لا يجازى احد على عمل غيره وفيها ايضا دلالة على بطلان قول من قال ان الوارث اذا لم يقض دين الميت فانه يؤخذ به فى قبره او
فى الآخرة لما قلنا من ان الآية دالة على ان العبد لا يؤخذ بجرم غيره ولانه لا اثم عليه بتبديل غيره وكذلك لو قضى عنه الوارث من غير ان يوصى به لم
يزل عنه عقابه الا ان يتفضل الله باسقاط عقابه قوله تعالى فمن خاف من موص جنفا او اثما فاصلح بينهم فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم ۰
القراءة قرأ اهل الكوفة غير حفص ويعقوب موص بالتشديد وقرأ الباقون موص بالتخفيف الحجة ذكرناها عند قوله ووصى بها
ابراهيم اللغة الجنف الجور وهو الميل عن الحق وقال صاحب العين هو الميل فى الكلام وفى الامور كلها تقول جنف علينا فلان
واجنف فى حكمه وهو شبيه الحيف الا ان الحيف فى الحكم خاصة والجنف عام ورجل اجنف فى احد شقيه ميل على الآخر قال الشاعر
[illegible] جنفت على خصوم الاعراب من فى قوله من موص متعلق بخاف وفى تقديرين
خاف جنفا كائنا من موص فموضع الجار والمجرور [illegible] نصب على الحال [illegible] قوله جنفا [illegible] الاصلاح
والضمير فى بينهم عائد الى معلوم بالدلالة عليه عند ذكر الموصى والاصلاح لانه يدل على الموصى لهم ومن يتنازعهم [illegible]
فى مثله اعمى اذا ما جارتى خرجت حتى توارى جارتى الخدر ويصم عما كان بينهما سمعى وما بى غيره وقر اراد بينها
وبين زوجها وانما ذكرها وحدها المعنى لما تقدم الوعيد لمن بدل الوصية بين فى هذه الآية ان ذلك يلزم من غيرها
باطلا فاما من غير باطلا الى حق فهو محسن فقال فمن خاف اى خشى وقيل علم الا ان فى الخوف طرفا من العلم وذلك لان القائل
اذا قال اخاف ان يقع امر كذا وكذا كانه يقول اعلم وانما يخاف لجهله بوقوعه ومنه قوله وانذر به الذين يخافون ان يحشروا وقوله الا
ان يخافا الا يقيما حدود الله من موص جنفا اى ميلا عن الحق فيما يوصى به فان قيل كيف قال فمن خاف لما قد وقع والخوف
انما يكون لما لم يقع قيل فيه قولين احدهما انه خاف ان يكون قد زل فى وصيته فالخوف يكون للمستقبل وهو ان يظهر
ما يدل على انه قد زل لانه من جهة غالب الظن والثانى انه لما اشتمل على الواقع وعلى ما لم يقع جاز فيه خاف فيأمره بما فيه
الصلاح فيما لم يقع وما وقع رده الى العدل بعد موته وقال الحسن الجنف هو ان يوصى به فى غير القرابة وانما قال ذلك
لان عنده الوصية للقرابة واجبة والاثم [illegible] وقيل المراد من خاف من موص فى حال مرضه الذى يريد ان يوصى فيه
فيه جنفا وهو ان يعطى بعضا ويضر ببعض فلا اثم عليه ان يشير عليه بالحق ويرده الى الصواب ويصلح بين الموصى
والورثة والموصى له حتى يكونوا راضين ولا يحصل جنف ولا اثم ويكون قوله فاصلح بينهم اى فيما يخاف بينهم من حدوث
الخلاف فيه فيما بعد ويكون قوله فمن خاف على ظاهره ويكون الخوف متعلقا بامر متوقع وهذا قريب من القول الاول عليه
اكثر المفسرين وهو المروى عن ابى جعفر وابى عبد الله ع قوله او اثما الاثم ان يكون الميل عن الحق على وجه العمد
والجنف ان يكون على جهة الخطاء من حيث لا يدرى انه يجوز وهو معنى قول ابن عباس والحسن وروى ذلك عن ابى جعفر ع فاصلح بينهم
اى بين الورثة والمختلفين فى الوصية وهم الموصى لهم فلا اثم عليه لانه متوسط مريد للاصلاح وانما قال لا اثم عليه ولم يقل له الاجر
لان المتوسط انما يجرى امره فى الغالب على ان ينقص صاحب الحق بعض حقه بسؤاله اياه فبين سبحانه انه لا اثم عليه
فى ذلك اذا قصد الاصلاح وقيل انه لما بين اثم المبدل وهذا ايضا ضرب من التبديل بين مخالفته للاول وانه لا يكون غير مأثوم
برده الوصية الى العدل ان الله غفور رحيم يعنى اذا كان يغفر الذنوب ويرحم المذنب فاولى واحرى ان يكون كذلك فى
[illegible] وروى عن الصادق ع فى قوله جنفا او اثما انه يعنى اذا اعتدى فى الوصية وزاد على الثلث وروى ذلك عن ابن

عباس وروي عن رسول الله صلعم انه قال من حضره الموت فوضع وصيته على كتاب الله كان ذلك كفارة لما ضيع من زكوته في حيوته
قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . اللغة الصوم في اللغة هو الامساك
ومنه يقال للصمت صوم لانه امساك عن الكلام قال ابن دريد كل شيء سكنت حركته فقد صام صوما قال النابغة خيل صيام وخيل غير صائمة
تحت العجاج واخرى تعلك اللجما اي قيام وصامت الريح اي ركدت وصامت الشمس اذا استوت في منتصف النهار وصام النهار
ايضا معناه قال امرؤ القيس فدعها وسل الهم عنك بجسرة ذمول اذا صام النهار وهجرا والصوم ذرق النعام واصله الامساك وهو في
الشرع امساك عن اشياء مخصوصة على وجه مخصوص ممن هو على صفات مخصوصة في زمان مخصوص والاسم مرعي فيه معنى اللغة والصيام بمعنى
الصوم يقال صمت صوما وصياما الاعراب الصيام رفع بانه اسم ما لم يسم فاعله وقوله كما كتب اي مثل ما كتب فما مع كتب مصدرية وتقديره
كتب الصيام كتابة مثل كتابته على الذين من قبلكم فحذف المصدر واقيم صفته مقامه ويحتمل ان يكون موضع الكاف نصبا على الحال تقديره
وتقديره كتب عليكم الصيام مفروضا اي في هذه الحال المعنى ثم بين سبحانه فرضا اخر فقال يا ايها الذين آمنوا اي يا ايها المصدقون
روي عن الصادق عليه السلام انه قال لذة ما في النداء ازال تعب العبادة والعناء وقال الحسن اذا سمعت الله عز وجل يقول يا ايها الذين آمنوا فارع
لها سمعك فانه لامر تؤمر به او لنهي تنهى عنه كتب عليكم الصيام اي فرض عليكم العبادة المعروفة في الشرع وانما خص المؤمنين بالخطاب
لقبولهم لذلك ولان العبادة لا تصح الا منهم ووجوبه عليهم لا ينافي وجوبه على غيرهم وقوله كما كتب على الذين من قبلكم فيه اقوال احدها انه
شبه فرض صومنا بفرض صوم من تقدمنا من الامم اي كتب عليكم صيام ايام كما كتب عليهم صيام ايام وليس فيه تشبيه عدد الصوم
المفروض علينا ولا وقته بعدد الصوم المفروض عليهم او وقته وهو اختيار ابي مسلم والجبائي وثانيها انه فرض علينا صوم شهر رمضان
كما كان فرض صوم شهر رمضان على النصارى وكان يتفق ذلك في الحر الشديد والبرد الشديد فحولوه الى الربيع وزادوا
في عدده عن الشعبي والحسن وقيل كان الصوم على من قبلنا من العتمة الى العتمة ثم اختلف فيه فقال بعضهم كان يحرم الطعام والشراب
من وقت صلوة العتمة الى وقت صلوة العتمة وقال بعضهم كان يحرم من وقت النوم الى وقت النوم ثم نسخ ذلك فالمراد بقوله
الذين من قبلكم النصارى على قول الحسن والشعبي واهل الكتاب من اليهود والنصارى على قول غيرهما وقوله لعلكم تتقون
اي لكي تتقوا المعاصي بفعل الصوم عن الجبائي وقيل لتكونوا اتقياء بما لطف لكم من الصيام فانه اقوى الوسائل والوصلة الى
الكف عن المعاصي كما روي عن النبي صلعم انه قال خصاء امتي الصوم وسأل هشام بن الحكم ابا عبد الله عن علة الصيام فقال انما
فرض الصيام ليستوي به الغني والفقير وذلك ان الغني لم يكن ليجد مس الجوع فيرحم الفقير فاراد الله سبحانه ان يذوق الغني مس
الجوع ليرق على الضعيف ويرحم الجائع قوله تعالى اياما معدودات فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر وعلى الذين
يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون . القراءة قرأ ابو جعفر ونافع
وابن عامر فدية طعام مساكين على الاضافة بين الطعام وجمع المساكين وقرأ الباقون فدية منونة طعام مسكين
موحدا مجرورا وقرأ حمزة والكسائي ومن يطوع خيرا والباقون تطوع وهو ماض وروي في الشواذ يطوقونه عن ابن عباس
ومجاهد وعائشة وسعيد بن المسيب وعكرمة وعطا يطوقونه على معنى يطوقونه عن مجاهد وعن ابن عباس وعن عكرمة وروي
عن ابن عباس ايضا يطيقونه ويطيقونه . الحجة من قرأ فدية طعام مسكين فطعام مسكين عطف بيان لفدية وافراد مسكين
جائز وان كان المعنى على الكثرة لان المعنى على كل واحد طعام مسكين قال ابو زيد يقال اتينا الامير فكسانا كلنا حلة واعطانا
كلنا مائة واما من اضاف الفدية الى طعام فكاضافة البعض الى ما هو بعض له فانه سمى الطعام الذي يفدى به فدية ثم اضاف
الفدية الى الطعام الذي يعم الفدية وغيرها وهو على هذا من باب خاتم حديد واما من قرأ يطوقونه فانه يفعلونه من الطوق
فهو كقوله يتجشمونه ويتكلفونه ويجعل كالطوق في اعناقهم ويطوقونه يتكلفونه ويتجشمونه واما يطيقونه فانه
يتطيقونه يتفعلونه الا ان العين ابدلت ياء كما قالوا في تقول الحرف تخيروا يطيقونه يفعلونه من . اللغة
السفر اصله من السفر الذي هو الكشف تقول سفر يسفر سفرا واسفرت الا اذا كشفت ذاتها وسفرت

الريح السحاب قال العجاج سفر الشمال الزبرج المزبرجا الزبرج السحاب الرقيق وفي السفر يظهر ما لا يظهر في الحضر ويكشف عن اخلاق
الناس ما لا ينكشف لا يزال والعدة فعلة من العد وهي بمعنى المعدودة كالطحن بمعنى المطحون والحمل بمعنى المحمول والطوق الطاقة وهي القوة
يقال طاق الشيء يطوقه طوقا وطاقة واطاقه اطاقة اذا قوي عليه وطوقه تطويقا والطوق حلي العنق وكل شيء استدار فهو طوق
وطوقه الامر اي جعله كالطوق في عنقه الاعراب اياما قال الزجاج نصب على الظرف كانه قال كتب عليكم الصيام
في ايام والعامل فيه الصيام كان المعنى كتب عليكم ان تصوموا اياما وقال بعض النحويين انه مفعول ما لم يسم فاعله نحو قولك اعطي زيد
المال وليس هذا بشيء لان الايام هاهنا متعلقة بالصوم وزيد والمال مفعولان لاعطي فلك ان تقيم ايهما شئت مقام الفاعل
وليس في هذا الا نصب ايام بالصيام قال ابو علي النحوي فانتصابه يحتمل وجهين احدهما ان ينتصب على الظرف والاخر ان ينتصب انتصاب
المفعول به على السعة واذا انتصب على انه ظرف جاز ان يكون العامل فيه كتب فيكون التقدير كتب عليكم الصيام في ايام وان
شئت اتسعت فنصبته نصب المفعول به فقولك على هذا ايام مكتوب عليه او كانت ايام الصيام ولا يجوز ان يعمل فيه الصيام لانها
او المفعول ايام لا خلاف ان الايام ان يكون ظرفا واتساعا في تقدير المفعول واذا كان الامر على ما ذكرناه كان ما منعه ابو اسحاق
من جواز ما لا يجوز ان كتب عليكم الصيام اياما منزلة اعطي زيد المال جائز غير ممتنع قال ولا يستقيم ان ينتصب اياما بالصيام
على ان يكون المعنى كتب عليكم الصيام في ايام لان ذلك وان كان مستقيما في المعنى فهو في اللفظ ليس كذلك الا ترى انك اذا حملته
على ذلك فصلت بين الصلة والموصول باجنبي منهما وذلك ان ايام تصير من صلة الصيام وقد فصلت بينهما بمصدر كتب
التقدير كتب عليكم الصيام كتابة مثل كتابته على من قبلكم فالكاف في كما متعلقة بكتب وقد فصلت بها بين المصدر وصلته
وليس من واحد منهما واقول انه يستقيم ان ينتصب اياما بالصيام اذا جعلت الكاف من قوله كما كتب على الذين من قبلكم في موضع
نصب على الحال اي مفروضا مثل ما فرض عليهم فيكون ما موصولا وكتب صلته وفي كتب ضمير يعود الى ما والموصول وصلته
في موضع جر باضافة الكاف اليه والكاف في موضع نصب بانه صفة للحال وفي الذي هو الحال ضمير الصيام فعلى هذا لم يفصل
بين الصلة والموصول بما هو اجنبي منهما على ما ذكره الشيخ ابو علي وقوله فعدة من ايام اخر تقديره فعليه عدة فيكون ارتفاع
عدة على الابتداء على قول سيبويه وعلى قول الاخفش يكون مرتفعا بالظرف على ما تقدم بيانه ويجوز ان يكون تقديره فالذي
ينوب عن صومه في وقت الصوم عدة من ايام اخر فيكون عدة خبر الابتداء واخر لا ينصرف لانه وصف معدول عن الالف
واللام لان نظائرها من الصغر والكبر لا يستعمل الا بالالف واللام لا يجوز نسوة صغر وان تصوموا في موضع رفع بالابتداء
وخير خبره ولكم صفة لخير المعنى اياما معدودات اي معلومات محصورات مضبوطات كما يقال اعطيته دنانير معدودة
اي محصورة مستقيمة ويجوز ان يريد بقوله معدودات انها قلائل كما قال سبحانه دراهم معدودة يريد انها قليلة واختلف في
هذه الايام على قولين احدهما انها غير شهر رمضان وكانت ثلثة ايام من كل شهر ثم نسخ عن معاذ وعطا عن ابن عباس وروي
ثلثة ايام من كل شهر وصوم عاشوراء عن قتادة ثم قيل انه كان تطوعا وقيل بل كان واجبا واتفق هؤلاء على ان ذلك منسوخ
بصوم رمضان والاخر ان المراد بالمعدودات شهر رمضان عن ابن عباس والحسن واختاره الجبائي وابو مسلم وعليه اكثر المفسرين
قالوا اوجب سبحانه الصوم اولا فاجمله ولم يبين انها يوم او يومان ام اكثر ثم بين انها ايام معلومات وابهم ثم بينه
بقوله شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن قال القاضي وهذا اولى لانه اذا امكن حمله على معنى من غير اثبات نسخ كان اولى
ولان ما قالوه زيادة لا دليل عليه فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر عطف قوله على سفر وهو ظرف على
قوله مريضا وهو اسم مع ان الظرف لا يعطف على الاسم لانه وان كان ظرفا فهو بمعنى الاسم وتقديره فمن كان منكم مريضا او
مسافرا فالذي ينوب مناب صومه عدة من ايام اخر وفيه دلالة على ان المسافر والمريض يجب عليهما الافطار لانه
سبحانه اوجب القضاء بنفس السفر والمرض ومن قدر في الآية فافطر فقد خالف الظاهر وقد ذهب الى وجوب
الافطار في السفر جماعة من الصحابة كعمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن عوف وابي هريرة

ومروق بن الزبير وهو المروي عن ائمتنا عليهم السلم وقال روي ان عمر بن الخطاب امر رجلا صام في السفر ان يعيد صومه وروي
يوسف بن الحكم قال سالت ابن عمر عن الصوم في السفر فقال ارايت لو تصدقت على رجل بصدقة فردها عليك الا تغضب فانها
صدقة من الله تصدق بها عليكم وروى عبد الرحمن بن عوف قال قال رسول الله صلعم الصايم في السفر كالمفطر في الحضر وروي
عن ابن عباس انه قال الافطار في السفر عزيمة وروى اصحابنا عن ابي عبد الله عليه السلام انه قال الصايم في شهر رمضان في السفر
كالمفطر فيه في الحضر وعنه ع قال لو ان رجلا مات صايما في السفر لما صليت عليه وعنه ع قال من سافر افطر وقصر الا ان يكون
رجلا سفره الى صيد او في معصية الله وروى العياشي باسناده مرفوعا الى محمد بن مسلم عن ابي عبد الله ع قال لم يكن رسول الله ص
يصوم في السفر تطوعا ولا فريضة حتى نزلت هذه الاية بكراع الغميم عند صلوة الفجر فدعا رسول الله صلعم باناء فشرب وامر الناس
ان يفطروا فقال قوم قد توجه النهار ولو صمنا يومنا هذا فسماهم رسول الله العصاة فلم يزالوا يسمون بذلك الاسم حتى قبض رسول الله ص
وعلى الذين يطيقونه الهاء يعود الى الصوم عند اكثر اهل العلم اي يطيقون الصوم خير الله المطيقين الصوم من الناس كلهم
بين ان يصوموا ولا يكفروا وبين ان يفطروا ويكفروا وامر لكل يوم باطعام مسكين لانهم كانوا لم يتعودوا الصوم ثم نسخ ذلك
بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه وقيل ان الهاء يعود الى الفداء عن الحسن وابي مسلم واما المعني بقوله الذين يطيقونه ففيه ثلثة
اقوال اولها انه سائر الناس كما قدمنا ذكره من التخيير في النسخ بعد وهو قول ابن عباس والشعبي وثانيها ان هذه الرخصة كانت
للحوامل والمراضع والشيخ الفاني ثم نسخ من الاية الحامل والمرضع وبقي الشيخ الكبير عن الحسن وعطا وثالثها ان معناه وعلى
الذين يطيقونه ثم صاروا بحيث لا يطيقونه ولا نسخ فيه عن السدي وقد رواه بعض اصحابنا عن ابي عبد الله ع ان معناه على الذين
كانوا يطيقون الصوم ثم اصابهم كبر او عطاش وشبه ذلك فعليهم كل يوم مد وروى علي بن ابراهيم باسناده عن الصادق ع
قال وعلى الذين يطيقونه فدية من مرض في شهر رمضان فافطر ثم صح فلم يقض ما فاته حتى جاء شهر رمضان اخر فعليه ان يقضي
ويتصدق لكل يوم مدا من طعام وقوله فدية طعام مسكين اختلف في مقدار الفدية فقال اهل العراق نصف صاع عن كل
يوم مد وقال الشافعي مد عن كل يوم وعندنا ان كان قادرا فمدان فان لم يقدر اجزاه مد وقوله فمن تطوع خيرا فهو خير له
قيل معناه من اطعم اكثر من مسكين واحد عن عطا وطاوس وقيل اطعم المسكين الواحد اكثر من قدر الكفاية حتى يزيد على نصف
صاع عن مجاهد ويجمع بين القولين قول ابن عباس من تطوع بزيادة الاطعام وقيل معناه من عمل برا في جميع الدين فهو خير له عن
الحسن وقيل من صام مع الفدية عن الزهري وقوله وان تصوموا خير لكم اي صومكم خير لكم من الافطار والفدية وكان هذا
مع جواز الفدية فاما بعد النسخ فلا يجوز ان يقال الصوم خير من الفدية مع ان الافطار لا يجوز اصلا وقيل معناه والصوم
خير للمطيق وافضل ثوابا من التكفير لمن افطر بالعجز ان كنتم تعلمون الصوم خير لكم من الفدية وقيل ان كنتم تعلمون افضل اعمالكم
وفي قوله سبحانه وعلى الذين يطيقونه دلالة على ان الاستطاعة قبل الفعل قوله تعالى شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن
هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام
اخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هديكم ولعلكم تشكرون • آية
القراءة قرا ابو بكر عن عاصم ولتكملوا بالتشديد والباقون ولتكملوا بالتخفيف وقرا ابو جعفر العسر واليسر بالتثقيل فيهما والباقون بالتخفيف
الحجة حجة من قرا ولتكملوا قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم ومن قرا ولتكملوا فلان فعل وافعل كثيرا ما يستعمل احدهما
موضع الاخر قال النابغة وكملت مائة فيها حمامتها واسرعت حسبة في ذلك العدد اللغة الشهر معروف وجمعه في القلة
اشهر وفي الكثرة شهور واصله من اشتهار الهلال يقال شهرت الحديث اظهرته واشهرت السيف انتضيته
وانا شهير عريض عرضه واصل الباب الظهور ورمضان من الرمض وهو شدة وقع الشمس على الرمل وغيره وانما
سمي رمضان لانهم سموا الشهور بالازمنة التي وقعت فيها فوافق رمضان ايام رمض الحر وقد جمعوا رمضان على رمضانات
وقيل ان رمضان اسم من اسماء الله تعالى وروي عن مجاهد لا تقل رمضان ولكن قل شهر رمضان فانك لا تدري ما رمضان

وقد جاء

وقد جاء في الاخبار عن النبي صلعم انه قال من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وقيل انما سمي رمضان لانه
يرمض الذنوب اي يحرقها والقرآن اصله الجمع لقولهم ما قرات الناقة سلا قط اي ما جمعت رحمها على سلا ومنه القراءة
والقاري لانه يجمع بين الحروف والفرقان الذي يفرق بين الحق والباطل والارادة اصلها الواو لانك تقول راودته على فعل
كذا اراوده ومنه الرائد يرود رودا فهو رائد وفي المثل الرائد لا يكذب اهله واصل الباب الطلب والارادة بمعنى الطلب
للمراد لانها كالسبب له واليسر ضد العسر واليسار الغنى والسعة واليسار اليد اليسرى والياسر الجاني لانهم يجتمعون على الجزور وفي الميسر الجمع
الايسار واصل الباب السهولة واصل العسر الصعوبة يقال عسر الشيء عسرا وعسر عليه واعسر الرجل اذا افتقر وضد اليسر
وقيل الكمال التمام والتكملة وكماله اذا تممته الاعراب شهر رمضان في ارتفاعه ثلثة اوجه احدها ان يكون خبر مبتدا محذوف
يدل عليه قوله اياما اي هي شهر رمضان والثاني ان يكون بدلا من الصيام فكانه قال كتب عليكم شهر رمضان والثالث ان يرتفع
بالابتداء ويكون خبره الذي انزل فيه القرآن وان شئت جعلت الذي انزل فيه القرآن صفة له واضمرت الخبر حتى كانه قال وفيما
كتب عليكم شهر رمضان اي صيام شهر رمضان ولا ينصرف رمضان للالف والنون ويجوز في النصب وجهين احدهما صوموا شهر رمضان
والاخر على البدل من قوله اياما وقوله هدى في موضع النصب على الحال اي هاديا وقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه قال الشهر
والشهر ينتصب على انه ظرف لا على انه مفعول به لانه لو كان مفعولا به لزم الصيام المسافر كما يلزم المقيم من حيث ان المسافر يشهد
الشهر شهادة المقيم فلما لم يلزم المسافر علمنا ان معناه فمن شهد منكم المصر في الشهر ولا يكون مفعولا به كما لو قلت احييت ليلتي
يكون مفعولا به فان قلت كيف جاء بضمير متصلا في قوله فليصمه ان لم يكن مفعولا به قلنا لان الاتساع فيه بعد ان استعمل ظرفا
على ما تقدم بيان امثاله واما عطف الاسم على الظرف على الاسم في قوله فمن كان مريضا او على سفر لانه بمعنى الاسم فكانه قال او مسافرا
كقوله سبحانه دعانا لجنبه او قاعدا او قائما اي دعانا مضطجعا واما العطف باللام في قوله ولتكملوا العدة ففيه وجهان
احدهما انه عطف جملة على جملة لان بعده محذوفا وتقديره ولتكملوا العدة شرع ذلك او اريد ذلك ومثله قوله وكذلك
نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين اي وليكون من الموقنين اريناه ذلك والثاني ان يكون عطفا
على تاويل محذوف دل عليه ما تقدم من الكلام لانه لما قال يريد الله بكم اليسر دل على انه فعل ذلك ليسهل عليكم فجاز ولتكملوا
العدة عطفا عليه قال الشاعر بادت وغير آيهن مع البلى الا رواكد جمرهن هباء ومشجج اما سواء قذاله فبدا وغيب ساره المعزاء
بيان عطف على تاويل الكلام الاول كانه قال بها رواكد ومشجج هذا قول الزجاج والاول قول الفراء المعنى ثم بين سبحانه
وقت الصوم فقال شهر رمضان اي هذه الايام المعدودات شهر رمضان او كتب عليكم شهر رمضان او شهر رمضان هو
الشهر الذي انزل فيه القرآن فبين انه خصه بالصوم فيه لاختصاصه بالفضائل المذكورة وهو انه انزل فيه القرآن الذي
عليه مدار الدين والايمان ثم اختلف في قوله انزل فيه القرآن فقيل ان الله تعالى انزل جميع القرآن في ليلة القدر الى السماء
الدنيا ثم انزل على النبي صلعم بعد ذلك نجوما في طول عشرين سنة عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وهو المروي
عن ابي عبد الله ع وقيل انه ابتدا انزاله في ليلة القدر من شهر رمضان عن ابن اسحاق وقيل انه كان ينزل الى السماء
الدنيا في ليلة القدر ما يحتاج اليه في تلك السنة جملة واحدة ثم ينزل على مواقع النجوم ارسالا في الشهور والايام عن السدي
مسندا الى ابن عباس وروى الثعلبي باسناده عن ابي ذر الغفاري عن النبي صلعم انه قال انزلت صحف ابراهيم لثلث مضين
من شهر رمضان وفي رواية الواحدي في اول ليلة منه وانزلت توراة موسى لست مضين من شهر رمضان وانزل الانجيل على عيسى
لثلث عشرة خلت من رمضان وانزل زبور داود لثمان عشرة ليلة مضت من رمضان وانزل الفرقان على محمد صلعم لاربع و
عشرين من شهر رمضان وهذا بعينه رواه العياشي عن ابي عبد الله ع عن ابائه عن النبي صلعم وقيل المراد بقوله انزل فيه القرآن
انزل في فرضه وايجاب صومه على الخلق القرآن فيكون فيه بمعنى في فرضه كما تقول انزل الله في الزكوة كذا يريد
في فرضها ثم وصف سبحانه القرآن بقوله هدى للناس اي هاديا للناس ودالا لهم على ما كلفوه من العلوم وبينات

بن الهدى اى ودلالات من الهدى قيل المراد بالهدى الاول الهدى من الضلالة وبالثانى بيان الحلال والحرام عن ابن عباس
وقيل اراد بالاول ما كلف من العلم وبالثانى ما اشتمل عليه من ذكر الانبياء وشرايعهم واخبارهم لانها لا تدرك الا بالقرآن عن الاصم
والقاضى وقوله والفرقان اى ومما يفرق بين الحق والباطل وروى عن ابى عبد الله انه قال القرآن جملة الكتاب والفرقان
المحكم الواجب العمل به وروى الحسن بن محبوب عن ابى ايوب عن ابى الورد عن ابى جعفر قال خطب رسول الله صلعم فى آخر
جمعة من شعبان فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الناس انه قد اظلكم شهر فيه ليلة خير من الف شهر وهو شهر رمضان فرض
الله صيامه وجعل قيام ليلة فيه بتطوع صلوة كمن تطوع بصلوة سبعين ليلة فيما سواه من الشهور وجعل لمن تطوع فيه بخصلة
من خصال الخير والبر كاجر من ادى فريضة من فرايض الله فيما سواه ومن ادى فيه فريضة من فرايض الله كان كمن ادى
سبعين فريضة فيما سواه من الشهور وهو شهر الصبر وان الصبر ثوابه الجنة وهو شهر المواساة وهو شهر يزيد
الله فيه فى رزق المؤمن ومن فطر فيه مؤمنا صائما كان له بذلك عند الله عتق رقبة ومغفرة لذنوبه فيما مضى قيل يا رسول الله
ليس كلنا نقدر على ان نفطر صائما قال ان الله تعالى كريم يعطى هذا الثواب من لم يقدر منكم الا على مذقة من لبن يفطر بها
صائما او شربة من ماء عذب او تميرات لا يقدر على اكثر من ذلك ومن خفف فيه عن مملوكه خفف الله عليه حسابه وهو شهر
اوله رحمة ووسطه مغفرة وآخره اجابة والعتق من النار ولا غنى بكم فيه عن اربع خصال خصلتين ترضون الله بهما
وخصلتين لا غنى بكم عنهما فاما اللتان ترضون الله بهما فشهادة ان لا اله الا الله وانى رسول الله واما اللتان لا غنى
بكم عنهما فتسألون الله فيه حوايجكم والجنة وتسألون الله فيه العافية وتعوذون به من النار وفى رواية سلمان الفارسى
فاستكثروا فيه من اربع خصال خصلتان ترضون بهما ربكم وخصلتان لا غنى بكم عنهما فاما الخصلتان اللتان ترضون بهما
ربكم فشهادة ان لا اله الا الله وتستغفرونه واما اللتان لا غنى بكم عنهما فتسألون الله الجنة وتتعوذون به من النار
وقال رسول الله صلعم الصائم فى عبادة وصمته تسبيح ودعاؤه مستجاب وعمله مضاعف وقوله فمن شهد منكم الشهر
فليصمه فيه وجهان احدهما من شهد منكم المصر وحضر ولم يغب فى الشهر والالف واللام فى الشهر للعهد والمراد شهر رمضان
فليصم جميعه وهذا معنى ما رواه زرارة عن ابى جعفر انه قال لما سئل عن هذه ما ابينها لمن عقلها قال من شهد شهر رمضان
فليصمه ومن سافر فيه فليفطر وثانيهما ما روى ايضا عن على عليه السلم وابن عباس ومجاهد وجماعة من المفسرين انهم قالوا من شهد
الشهر بان دخل عليه الشهر وهو حاضر فعليه ان يصوم الشهر كله والثانى من شاهد منكم الشهر مقيما مكلفا فليصم الشهر
ومعناه النسخ للتخيير بين الصوم والفدية وان كان موصولا به فى التلاوة لان الاتصال لا يعتبر به عند التلاوة بل بالعدل
الانزال والاول اقوى وقوله ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر مر تفسيره فى الآية المتقدمة وحد
المرض الذى يوجب الافطار ما يخاف الانسان معه الزيادة المفرطة فى مرضه وروى ابو بصير قال سألت
ابا عبد الله عن حد المرض الذى على صاحبه فيه الافطار قال هو مؤتمن عليه مفوض اليه فان وجد ضعفا فليفطر
وان وجد قوة فليصم كان المرض على ما كان وروى ايضا ان كل مرض لا يقدر معه على القيام بمقدار زمان صلوته
وبه قال الحسن وفى ذلك اختلاف بين الفقهاء واما السفر الذى يوجب الافطار عندنا فان كان مباحا او طاعة
وكانت المسافة ثمانية فراسخ اربعة وعشرين ميلا وعند الشافعى ستة عشر فرسخا وعند ابى حنيفة اربعة وعشرين فرسخا
واختلف فى العدة من الايام الاخر فقال الحسن وجماعة هى على التضييق اذا برئ المريض او قدم المسافر وقال ابو حنيفة
موسع فيها وعندنا موقتا بما بين رمضانين ويجوز متتابعا ويجوز متفرقا والتتابع افضل فان فرط حتى لحقه
رمضان آخر لزمه الفدية والقضاء وبه قال الشافعى وقوله يريد الله بكم اليسر يعنى الرخصة للمريض والمسافر [illegible]
الصوم عليهما وقيل يريد الله بكم اليسر فى جميع اموركم ولا يريد بكم العسر اى الضيق عليكم وفيه دلالة على بطلان قول
المجبرة لانه بين انه اراد من المكلفين ما لم يرد سبحانه وهو اليسر وفيها [illegible] وهو العسر ولانه اذا كان يريد بهم العسر

اربع

لا يريد تكليف

فان لا يريد تكليف ما لا يطاق اولى وقوله ولتكملوا العدة تقديره يريد الله ان يسهل عليكم ولان تكملوا اى تتموا
عدة ما افطرتم فيه وهى ايام السفر والمرض بالقضاء اذا اقمتم وبرأتم فتصوموا للقضاء بعدد ايام الافطار وعلى القول الآخر
فقيل ولتكملوا العدة شرع الرخصة فى الافطار ويحتمل ان يكون معناه ولتكملوا عدة الشهر لانه لا طاقة ومع العذر
يسهل عليه اكمال العدة للمريض والمسافر تيسر عليهما ذلك فى اكمال العدة فى وقت آخر وقيل ان شهر رمضان لا ينقص
استدل بقوله ولتكملوا العدة وقال بين سبحانه ان عدة شهر رمضان مخصوص يجب صيامها على الكمال ولا يدخلها
نقصان ولا اختلاف والجواب عنه من وجهين احدهما ان المراد ولتكملوا العدة التى وجب عليكم صيامها ويجوز ان يكون
هذه العدة تارة ثلثين وتارة تسعة وعشرين والآخر ما ذكرناه من ان المراد راجع الى القضاء ويؤيد انه سبحانه ذكره عقيب ذكر
السفر والمرض وقوله ولتكبروا الله على ما هديكم المراد به تكبير ليلة الفطر عقيب اربع صلوات المغرب والعشاء الآخرة
والغداة وصلوة العيد على مذهبنا وقال ابن عباس وجماعة التكبير يوم الفطر وقيل المراد به ولتعظموا الله على ما ارشدكم
له من شرايع الدين ولعلكم تشكرون اى لتشكروا الله على نعمه قوله تعالى واذا سألك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة
الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون ۰ اللغة اجاب واستجاب بمعنى قال الشاعر وداع دعا
يا من يجيب الى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب اى لم يجبه وقال المبرد بينهما فرق وهو ان فى الاستجابة معنى الاذعان
وليس ذلك فى الاجابة واصله من الجوب وهو القطع يقال جاب البلاد يجوبها جوبا اذا قطعها واجاب لقطعه الكلام [illegible]
والجابة والاجابة بمعنى والصحيح ان الجابة والطاعة والطاقة ونحوها اسماء بمعنى المصادر واجابه عن السؤال جوابا
وانجاب السحاب انقشع واصل الباب القطع فاجابة السائل القطع بما سأل لان سؤاله على الوقف ايكون ام لا يكون
والرشد نقيض الغى رشد يرشد رشدا ورشد يرشد رشدا ورجل رشيد وراشد وام راشد خلاف ام غيه
واصل الباب اصابة الخير ومنه الارشاد وهو الدلالة على وجه الاصابة للخير الاعراب اذا ظرف زمان والعامل فيه ما
يدل عليه قوله فانى قريب اجيب دعوة الداع تقديره فاخبرهم انى بهذه الصفة ولا يجوز ان يعمل فيه قريب ولا اجيب
لان معمول الخبر لا يجوز ان يعمل فيما قبل المبتدأ فى موضعه وقوله اجيب فى موضع رفع بانه خبر ان ثم فهو خبر بعد خبر
النزول روى عن الحسن ان سائلا سأل النبى صلعم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت الآية وقال قتادة نزلت جوابا لقوم
سألوا النبى كيف ندعو المعنى لما ذكر سبحانه الصوم عقبه بذكر الدعاء ومكانه منه واجابته اياه فقال واذا سألك
الاقرب فذكره بهذا على انه سبحانه لا مكان له اذ لو كان له مكان لم يكن قريبا من كل من يناجيه وقيل معناه انى سريع الاجابة
الى دعاء الداعى لان السريع والقريب متقاربان وقيل معناه انى اسمع دعاء الداعى كما يسمعه القريب المسافة منهم فجازت
لفظة قريب فحسن لبيان فيها فاما قرب المسافة فلا يجوز عليه سبحانه لان ذلك انما يتصور فيمن كان متمكنا فى مكان وذلك
من صفات المحدثات وقوله اجيب دعوة الداع اذا دعان مفهوم المعنى وقوله فليستجيبوا لى قال ابو عبيدة معناه
فليستجيبوا لى فيما دعوتهم اليه وقال المبرد والسراج معناه فليدعوا لى الحق بطلب مواقعة ما امرتهم به وفيهم [illegible]
عنه قال مجاهد معناه فليستجيبوا لى بالطاعة وقيل معناه فليدعونى وروى عن النبى صلعم اعجز الناس من عجز عن الدعاء
وابخل الناس من بخل بالسلام وليؤمنوا بى اى وليصدقوا بجميع ما انزلته وروى عن ابى عبد الله انه قال وليؤمنوا
بى اى وليتحققوا انى قادر على اعطائهم ما سألوه لعلهم يرشدون اى لعلهم يصيبون الحق ويهتدون اليه وقد
يسأل فيقال نحن نرى كثيرا من الناس يدعون الله فلا يجيبهم فما معنى قوله اجيب دعوة الداع اذا دعان فالجواب انه ليس احد يدعو الله
سبحانه على ما توجبه الحكمة الا اجابه فان الداعى اذا دعاه يجب ان يسأل ما فيه صلاح له فى دينه ولا يكون مفسدة
له ولا لغيره ويشترط ذلك بلسانه او ينوى بقلبه فالله سبحانه يجيبه اذا اقتضت المصلحة اجابته او يؤخر الاجابة اذا
كانت المصلحة فى التأخير واذا قيل ان ما يقتضيه الحكمة لابد ان يفعله سبحانه فما معنى الدعاء واجابته فجوابه

١٠٠

فناجيه ام بعيد

ان الدعاء عبادة فى نفسها يعبد الله سبحانه بها لما فى ذلك من اظهار الخضوع والانقياد اليه سبحانه وايضا فانه لا يمتنع
ان يكون وقوع ما سأله انما صار مصلحة بعد الدعاء ولا يكون مصلحة قبل الدعاء ففى هذه الفائدة ويؤيد ذلك ما روى
عن ابى سعيد الخدرى قال قال النبى صلعم ما من مسلم دعا الله سبحانه بدعوة ليس فيها قطيعة رحم ولا اثم الا اعطاه الله بها احدى
خصال ثلث اما ان يعجل له دعوته واما ان يدخر له فى الاخرة واما ان يدفع عنه من السوء مثله قالوا يا رسول الله اذا نكثر قال الله
اكثر وفى رواية انس بن مالك الله اكثر واطيب ثلث مرات وروى عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلعم ان العبد
ليدعو الله وهو يحبه فيقول يا جبرئيل لا تقض لعبدى هذا حاجته واخرها فانى احب ان لا ازال اسمع صوته وان
العبد ليدعو الله تعالى وهو يبغضه فيقول يا جبرئيل اقض لعبدى هذا حاجته باخلاصه وعجلها فانى اكره ان اسمع صوته
وروى عن امير المؤمنين عم انه قال ربما اخرت من العبد اجابة الدعاء ليكون اعظم لاجر السائل واجزل لعطاء الامل
وقيل لابراهيم بن ادهم ما بالنا ندعو الله سبحانه فلا يستجيب لنا فقال لانكم عرفتم الله فلم تطيعوه وعرفتم الرسول فلم تتبعوا سنته
وعرفتم القران فلم تعملوا بما فيه واكلتم نعمة الله فلم تؤدوا شكرها وعرفتم الجنة فلم تطلبوها وعرفتم النار فلم تهربوا منها
وعرفتم الشيطان فلم تحاربوه ووافقتموه وعرفتم الموت فلم تستعدوا له ودفنتم الاموات فلم تعتبروا بهم وتركتم
عيوبكم واشتغلتم بعيوب الناس قوله تعالى احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم هن لباس لكم وانتم لباس لهن
علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالان باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى
يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم اتموا الصيام الى الليل ولا تباشروهن وانتم عاكفون
فى المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله اياته للناس لعلهم يتقون . اللغة الرفث الجماع
ههنا بلا خلاف وقيل ان اصله القول الفاحش فكنى به عن الجماع قال العجاج عن اللغا ورفث التكلم قال الاخفش انما
عداه بالى فى الاية لانه بمعنى الافضاء واللباس الثياب التى من شانها ان تستر الابدان ويشبه به الاغشية فيقال
لبس السيف بالحلية والعرب تسمى المراة لباسا وازارا قال الشاعر اذا ما الضجيع ثنى عطفه تثنت فكانت عليه لباسا
وقال الاخر الا ابلغ ابا حفص رسولا فدى لك من اخى ثقة ازارى قال اهل اللغة معناه امراتى والاختيان الخيانة
ويقال خانه يخونه خونا وخيانة واختانه اختيانا وخائنة الاعين مسارقة النظر الى ما لا يحل واصل الخيانة منع
الحق والمباشرة الصاق البشرة بالبشرة وهى ظاهر الجلد والابتغاء طلب البغية والخيط الابيض بياض الفجر والخيط
الاسود سواد الليل واول النهار طلوع الفجر الثانى لانه اوسع ضياء قال ابو داود فلما اضاءت لنا غدوة ولاح من
الصبح خيط انارا والخيط فى اللغة معروف يقال خاط يخيط خيطا وخياطة والخيط القطيع من النعام ونعامة خيطاء
قيل خيطها طول قصبها وعنقها وقيل اختلاط سوادها ببياضها والسواد والبياض لونان كل واحد منهما اصل
وبيضة الاسلام مجتمعه وابادوا بيضتهم اى استاصلهم بمعنى اقتلعوا بيضتهم والسواد والمساودة المسارة لان الخفاء
فيه كخفاء الشخص فى سواد الليل وسواد العراق سمى به لكثرة الماء والشجر الذى يسود به الارض وسواد كل شئ شخصه
وسويداء القلب وسواده دمه الذى فيه وقيل حبة القلب والعكوف والاعتكاف اصلهما اللزوم يقال عكف عليه
اى اقبل عليه ملازما له قال الطرماح فبات بنات الليل حولى عكفا عكوف البواكى بينهن صريع وهو فى الشرع عبارة
عن اللبث فى مكان مخصوص للعبادة والحد على وجوه الحد المنع وحدود الله فيما قاله الزجاج هى ما منع الله
عز وجل من مخالفتها والحد جلد الزانى ونحوه والحد حد السيف ونحوه والحد حد الدار والحد الفرق بين
الشيئين والحد نهاية الشئ التى تمنع ان يدخله ما ليس منه وان يخرج عنه ما هو منه وقال الخليل الحد الجامع المانع
والحداد البواب قال الاعشى فقمنا ولما يصح ديكنا الى جونة عند حدادها يعنى صاحبها الذى يحفظها
ويمنعها وكل من منع شيئا فهو حداد ومن ذلك احدت المراة على زوجها اذا امتنعت من الزينة والخضاب

انما سمى حدا لانه يمنع من الاقدام فاصل الباب المنع النزول روى على بن ابراهيم بن هاشم عن ابيه رفعه الى ابى عبد الله عليه السلام
قال كان الاكل محرما فى شهر رمضان بالليل بعد النوم وكان النكاح حراما بالليل والنهار فى شهر رمضان وكان رجل من اصحاب
رسول الله يقال له مطعم بن جبير اخو عبد الله بن جبير الذى كان رسول الله صلعم وكله بفم الشعب يوم احد فى خمسين من الرماة
وفارقه اصحابه وبقى فى اثنى عشر رجلا فقتل على باب الشعب وكان اخوه هذا مطعم بن جبير شيخا ضعيفا وكان صائما فابطات
عليه اهله بالطعام فنام قبل ان يفطر فلما انتبه قال لاهله قد حرم على الاكل فى هذه الليلة فلما اصبح حضر حفر الخندق
فاغمى عليه فرآه رسول الله صلعم فرق له وكان قوم من الشباب ينكحون بالليل سرا فى شهر رمضان فانزل الله هذه الاية فاحل
النكاح بالليل فى شهر رمضان والاكل بعد النوم الى طلوع الفجر واختلفت العامة فى اسم هذا الرجل من الانصار فقال بعضهم
قيس بن صرمة وقيل ابو صرمة وقيل ابو قيس بن صرمة وقيل صرمة بن اياس قالوا جاء الى رسول الله صلعم فقال عملت فى
النخل نهارى اجمع حتى اذا امسيت اتيت اهلى لتطعمنى فابطات فنمت فايقظونى وقد حرم على الاكل وقد امسيت
وقد جهدنى الصوم فقال عمر يا رسول الله اعتذر اليك من مثله رجعت الى اهلى بعد ما صليت العشاء فاتيت امراتى
وقام رجال فاعترفوا بمثل الذى سمعوا فنزلت الاية عن ابن عباس والسدى المعنى ثم بين سبحانه وقت الصيام وما يتعلق
به من الاحكام فقال احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم اى الجماع وقال ابن عباس ان الله سبحانه حيى كريم يكنى
ان الرفث واللباس والمباشرة والافضاء هو الجماع وقال الزجاج الرفث هو كلمة جامعة لكل ما يريد الرجال من النساء
وهذا يقتضى تحريما متقدما ازيل عنهم والمراد بليلة الصيام الليلة التى يكون فى غدها الصوم وروى عن ابى جعفر
وابى عبد الله كراهية الجماع فى اول ليلة من كل شهر الا اول ليلة من شهر رمضان فانه يستحب ذلك لمكان الاية والاولى
ان يكون المراد به ليالى الشهر كله وانما وحد لانه اسم جنس يدل على الكثرة هن لباس لكم وانتم لباس لهن اى هن سكن
لكم وانتم سكن لهن كما قال وجعلنا الليل لباسا اى سكنا عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والمعنى تلابسونهن وتخالطونهن
بالمساكنة اى قلما يصبر احد الزوجين عن الاخر وقيل انما جعل كل واحد منهما لباسا للاخر لانضمام جسد كل واحد
منهما الى جسد صاحبه حتى يصير كل واحد منهما لصاحبه كالثوب الذى يلبسه فلما كانا يتلابسان عند الجماع سمى كل
واحد منهما لباسا لصاحبه وقال الربيع هن فراش لكم وانتم لحاف لهن علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم لما حرم عليهم الجماع
والاكل بعد النوم وخالفوا فى ذلك ذكرهم الله بالنعمة فى الرخصة التى نسخت تلك التحريمة فقال علم الله انكم تخونون
انفسكم بالمعصية اى لا تؤدون الامانة بالامتناع عن المباشرة وقيل معنى تختانون تنقصون انفسكم من شهواتها وتمنعونها
من لذاتها باجتناب ما نهيتم عنه فخففه الله عنكم فتاب عليكم اى قبل توبتكم وقيل معناه رخص لكم وازال التشديد
عنكم وعفا عنكم فيه وجهان احدهما عفى ذنوبكم والاخر ازال التحريم ذلك عنكم وذلك عفو عن تحريمه عليهم فالان
باشروهن بالليل اى جامعوهن لفظه امر ومعناه الاباحة وابتغوا ما كتب الله لكم فيه قولان احدهما اطلبوا ما قضى الله
لكم من الولد عن الحسن واكثر المفسرين وهو ان يطلب الرجل اهله رجاء ان يرزقه الله تعالى ولدا ويسبح له والاخر اطلبوا
ما كتب الله لكم من الحلال الذى بينه فى كتابه فان الله يحب ان يؤخذ برخصه كما يحب ان يؤخذ بعزائمه وقوله كلوا و
اشربوا اباحة للاكل والشرب حتى يتبين لكم اى يظهر ويتميز لكم على التحقيق الخيط الابيض من الخيط الاسود اى النهار
من الليل فاول النهار طلوع الفجر الثانى وقيل بياض الفجر من سواد الليل وقيل بياض النهار من سواد اخر الليل وانما
شبه ذلك بالخيط لان القدر الذى يحرم الافطار من البياض يشبه الخيط فيزول به مثله من السواد ولا اعتبار بالانتشار
من الفجر يحتمل معنيين احدهما ان يكون بمعنى التبعيض لان المعنى من بعض الفجر وليس الفجر كله عن ابن دريد والاخر
للتبيين لانه بين الخيط الابيض فكانه قال الخيط الابيض الذى هو الفجر وروى ان عدى بن حاتم قال للنبى صلعم
وضعت خيطين من شعر ابيض واسود فكنت انظر فيهما فلا يتبين لى فضحك رسول الله حتى رؤى نواجذه ثم قال

يا ابن حاتم انما ذلك بياض النهار وسواد الليل فابان الله الصوم من هذا الوقت ثم بين سبحانه الانتهاء فقال ثم اتموا الصيام
الى الليل اى من وقت طلوع الفجر الثانى وهو المستطير المعترض الذى يأخذ الافق وهو الفجر الصادق الذى يجب عنده
الصلوة الى وقت دخول الليل وهو بعد غروب الشمس وعلامة دخوله على الاستظهار سقوط الحمرة من جانب المشرق
واقبال السواد منه والا فاذا غابت الشمس مع ظهور الافاق فى الارض المبسوطة وعدم الجبال والروابى فقد دخل الليل
وقوله ولا تباشروهن فى معناه قولان هاهنا احدهما انه اراد به الجماع عن ابن عباس والحسن وقتادة والثانى انه اراد الجماع
وكلما دونه من قبلة وغيرها عن مالك وابن زيد وهو مذهبنا والمعنى وانتم عاكفون فى المساجد اى معتكفون اى لا
تباشروهن فى حال اعتكافكم فى المساجد والاعتكاف لا يصح عندنا الا فى احد المساجد الاربعة المسجد الحرام ومسجد النبى
ومسجد الكوفة ومسجد البصرة وعند سائر الفقهاء يجوز فى سائر المساجد الا ان مالكا قال انه يختص الجامع ولا يصح
الاعتكاف عندنا الا بصوم وبه قال ابو حنيفة ومالك وعند الشافعى يصح بغير صوم وعندنا لا يكون الا فى ثلثة
ايام وعند ابى حنيفة يوم واحد وعند مالك عشرة ايام لا يجوز اقل منه والشافعى ما شاء ولو ساعة واحدة
وفى الاية دلالة على تحريم المباشرة فى الاعتكاف ليلا ونهارا لانه علق المباشرة بحال الاعتكاف وقوله تلك
حدود الله تلك اشارة الى الاحكام المذكورة فى الاية حدود الله حرمات الله عن الحسن وقيل معاصى الله عن الضحاك
وقيل ما منع الله منه عن الزجاج فلا تقربوها اى فلا تأتوها وقيل معناه وتلك فرائض الله فلا تقربوها بالمخالفة كذلك
اى مثل هذا البيان الذى ذكر يبين الله اياته للناس اى حججه وادلته على ما امرهم به ونهاهم عنه لعلهم يتقون اى لكى
يتقوا معاصيه وتعدى حدوده فيما امرهم به ونهاهم عنه واباحهم اياها وفى هذا دلالة على ان الله اراد التقوى
من جميع الناس قوله تعالى ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من اموال الناس
بالاثم وانتم تعلمون . اللغة الباطل الذاهب الزائل يقال بطل اذا ذهب وقيل الباطل هو ما تعلق بالشىء
على خلاف ما هو به خبرا كان او اعتقادا او ظنا او تخيلا والحكم هو الخبر الذى يفصل به بين الخصمين فيمنع كل
واحد عن منازعة الاخر ويقال ادلى فلان بحجته اذا قام بها وهو من قولهم ادليت الدلو فى البئر اذا ارسلتها ودلوتها
اذا اخرجتها فمعنى قولهم ادلى بحجته ارسلها واتى بها على صحة وفى تشبيه الخصومة بارسال الدلو فى البئر وجهان
احدهما انه تعلق بسبب الحكم كتعلق الدلو بالسبب الذى هو الحبل والثانى انه يمضى فيه من غير تثبيت كمضى الدلو فى
الارسال من غير تثبيت والفريق القطعة المعزولة من الجملة سواء كان من الناس او من غيرهم والاثم الفعل الذى
يستحق به الذم الاعراب وتدلوا بها جزم على النهى عطفا على قوله لا تأكلوا ويجوز ان يكون نصبا على الظرف ويكون
نصبه باضمار ان كقول الشاعر لا تنه عن خلق وتأتى مثله عار عليك اذا فعلت عظيم اى لا تجمع بينهما المعنى ثم بين
سبحانه شريعة من شرائع الاسلام نسقا على ما تقدم من بيان الحلال والحرام فقال لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل
اى لا يأكل بعضكم مال بعض بالغصب والظلم والوجوه التى لا تحل كقوله سبحانه ولا تقتلوا انفسكم اى ولا يقتل بعضكم
بعضا وقيل معناه لا تأكلوا اموالكم باللهو واللعب مثل ما يؤخذ فى القمار والملاهى لان كل ذلك من الباطل
وروى عن ابى جعفر انه يعنى بالباطل اليمين الكاذبة يقتطع بها الاموال وروى عن ابى عبد الله عليه السلام قال كانت
قريش يقامر الرجل فى اهله وماله فنهاهم الله والاولى حمله على الجميع لان الاية تحتمل الكل وتدلوا بها الى الحكام اى تلقوا
بها الى القضاة وقيل فيه اقوال احدها انها الودائع وما لا يقوم عليه بينة عن ابن عباس والحسن وقتادة وثانيها
انها مال اليتيم فى يد الاوصياء لانهم يدفعونه الى الحكام اذا طولبوا به ليقتطعوا بعضه ويقوم لهم فى الظاهر حجة عن
الجبائى وثالثها انه ما يؤخذ بشهادة الزور عن الكلبى والاولى ان يحمل على الجميع لتأكلوا فريقا من اموال الناس
بالاثم اى لتأكلوا طائفة من اموال الناس بالفعل الموجب للاثم بان يحكم الحاكم بالظاهر وكان الامر فى الباطن خلافه

خلافه وانتم تعلمون ان ذلك الفريق من المال ليس بحق لكم وانتم مبطلون وهذا اشد فى الزجر وقال ابو عبد الله عليه السلام علم
الله سبحانه انه سيكون فى هذه الامة حكام يحكمون بخلاف الحق فنهى الله تعالى المؤمنين ان يتحاكموا اليهم وهم يعلمون
انهم لا يحكمون بالحق وهذه الاية تدل على ان الاقدام على المعصية مع العلم ... مع العلم اعظم قوله تعالى يسئلونك
عن الاهلة قل هى مواقيت للناس والحج وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من ابوابها
واتقوا الله لعلكم تفلحون . القراءة قرأ ابن كثير وابن ذكوان والكسائى البيوت والشيوخ واخواتهما بكسر
اوائلهما الا الغيوب وقرأ حمزة وحماد ويحيى عن عاصم كلها بالكسر الا الجيوب وقالون بكسر منها البيوت
فقط والباقون بالضم الحجة من كسر اوائل هذه الكلمات فانما فعل ذلك لاجل الياء ابدل الضمة بالكسرة
لان الكسرة اشد موافقة للياء من الضمة لها كما كسروا القاف من نحو عُيَيْنَه وشُيَيْبَه فى تصغير عين وشاب وان لم يكن
فى ابنية التصغير على هذا الوزن لتقريب الحركة مما بعدها ومن ضم فانه على الاصل لانه فعول اللغة الاهلة
جمع هلال واشتقاقه من قولهم استهل الصبى اذا بكى حين يولد او صاح وقولهم اهل القوم بالحج اذا رفعوا اصواتهم
بالتلبية وانما قيل هلال لانه حين يرى يهل الناس بذكره يقال اهل الهلال واستهل ولا يقال اهل ويقال اهللنا
الهلال واهللنا شهر كذا اى دخلنا فيه وقد اختلف فى تسميته هلالا الى كم ليلة يسمى ومتى يسمى قمرا فقال بعضهم يسمى هلالا
ليلتين من الشهر ثم لا يسمى هلالا الى ان يعود فى الشهر الثانى وقال اخرون يسمى هلالا ثلث ليال ثم يسمى قمرا
وقال بعضهم يسمى هلالا حتى يحجر وتحجيره ان يستدير بخطة دقيقة وهذا قول الاصمعى وقال بعضهم يسمى هلالا
حتى يبهر ضوءه سواد الليل ثم يقال قمر وهذا يكون فى الليلة السابعة واسم القمر عند العرب الزبرقان
واسم دارته الهالة واسم ضوئه الفخت والميقات مقدار من الزمان جعل علما لما يقدر من العمل والتوقيت
تقدير الوقت وكلما قدرت غايته فهو موقت والميقات منتهى الوقت والاخرة ميقات الخلق والاهلة
ميقات الشهور والحج ذكرنا معناه فيما مضى والبر النفع الحسن والظهر الصفحة المقابلة لصفحة الوجه والباب
المدخل يقول منه بوبت تبويبا اذا جعلته ابوابا وقيل للبواب الحاجب لانه يلزم الباب والبابة القطعة من الشىء
كالباب من الجملة الاعراب قوله للناس فى موضع رفع صفة لمواقيت تقديره هى مواقيت كائنة للناس والباء فى
قوله بان تأتوا مزيدة لتأكيد النفى وان تأتوا فى موضع الجر بالباء والجار والمجرور فى موضع النصب بانه خبر ليس
وقوله ولكن البر من اتقى فيه وجهان احدهما ان تقديره ولكن البر بر من اتقى كما قلناه فى قوله ولكن البر
من آمن بالله واليوم الاخر والاخر ان تقديره ولكن البار من اتقى فوضع المصدر موضع الصفة النزول روى عن
معاذ بن جبل قال يا رسول الله ان اليهود يكثرون مسألتنا عن الاهلة فانزل الله هذه الاية وقال قتادة ذكر
لنا انهم سألوا رسول الله لم خلقت هذه الاهلة فانزل الله هذه الاية المعنى ثم بين سبحانه شريعة اخرى فقال
يسألونك عن الاهلة اى عن حال الاهلة فى زيادتها ونقصانها ووجه الحكمة فى ذلك قل لهم هى مواقيت للناس
والحج اى هى مواقيت يحتاج الناس اليها لمقادير حاجاتهم فى صومهم وفطرهم وعدد نسائهم ومحل دينهم وحجهم فبين سبحانه ان وجه
الحكمة فى زيادة القمر ونقصانه ما تعلق بذلك من مصالح الدين والدنيا لان الهلال لو كان مدورا ابدا مثل الشمس
لم يمكن التوقيت به وفيه اوضح دلالة على ان الصوم لا يثبت بالعدد وانه يثبت بالهلال لانه سبحانه نص على ان الاهلة
هى المعتبرة فى المواقيت والدلالة على الشهور فلو كانت الشهور انما تعرف بطريق العدد لحصل التوقيت بالعدد دون رؤية
الاهلة لان اصحاب العدد لا يحتاجون الى رؤية الاهلة فى معرفة المواقيت وقوله وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها
فيه وجوه احدها انه كان المحرمون لا يدخلون بيوتهم من ابوابها ولكنهم كانوا ينقبون فى ظهر بيوتهم اى فى مؤخرها
نقبا يدخلون ويخرجون منه فنهوا عن التدين بذلك عن ابن عباس وقتادة وعطا ورواه ابو الجارود عن ابى جعفر

وقيل الا الحمس وهم من قريش وكنانة وخزاعة وثقيف وجشم وبنو عامر بن صعصعة كانوا لا يفعلون ذلك وانما
سموا حمسا لتشددهم في دينهم والحماسة الشدة والثالث وقيل انما كانت الحمس تفعل ذلك وانما فعلوا ذلك حتى لا يحول بينهم
وبين السماء شيء وثانيها ان معناه ليس البر ان تأتوا الامور من غير جهاتها وينبغي ان تأتوا الامور من جهاتها اي الامور كان
وهو المروي عن جابر عن ابي جعفر ع وثالثها ان معناه ليس البر طلب المعروف من غير اهله وانما البر طلب المعروف من اهله
ومن اتقى قد مر معناه وأتوا البيوت من ابوابها قد مضى معناه وقال ابو جعفر ع آل محمد ابواب الله وسبله والدعاة الى الجنة
والقادة اليها والادلاء عليها الى يوم القيمة وقال النبي صلعم انا مدينة العلم وعلي بابها ولا تؤتى المدينة الا من بابها ويروى انا
مدينة الحكمة واتقوا الله لعلكم تفلحون معناه واتقوا ما نهاكم الله عنه وزهدكم فيه لكي تفلحوا بالوصول الى ثوابه الذي
ضمنه للمتقين النظم وجه اتصال قوله وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها بقوله يسئلونك عن الاهلة انه لما بين
ان الاهلة مواقيت للناس والحج وكانوا اذا احرموا يدخلون البيوت من ورائها عطف عليها قوله وليس البر بان تأتوا
البيوت من ظهورها فقيل انه سبحانه لما بين ان امورنا مقدرة باوقات قرن به قوله وليس البر بان تأتوا البيوت من
ظهورها اي فكما ان اموركم مقدرة باوقات فلتكن افعالكم جارية على الاستقامة باتباع امر الله والانتهاء عما نهى
عنه لان اتباع ما امر به خير من اتباع ما لم يؤمر به قوله تعالى وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا
يحب المعتدين . اللغة القتال والمقاتلة محاولة الرجل قتل من يحاول قتله والتقاتل محاولة كل واحد من
المتعاديين قتل الآخر والاعتداء مجاوزة الحق يقال عدا طوره اذا جاوز حده النزول قيل عن ابن عباس نزلت هذه الآية
في صلح الحديبية وذلك ان رسول الله صلعم لما خرج هو واصحابه في العام الذي ارادوا فيه العمرة وكانوا الفا واربعمائة
فساروا حتى نزلوا الحديبية فصدهم المشركون عن البيت الحرام فنحروا الهدي بالحديبية ثم صالحهم المشركون
على ان يرجع من عامه ويعود العام المقبل ويخلوا له مكة ثلثة ايام فيطوف بالبيت ويفعل ما يشاء فرجع الى المدينة
من فوره فلما كان العام المقبل تجهز النبي واصحابه لعمرة القضاء وخافوا ان لا تفي لهم قريش بذلك وان يصدوهم عن البيت الحرام
ويقاتلوهم وكره رسول الله صلعم قتالهم في الشهر الحرام في الحرم فانزل الله تعالى هذه الآية وعن الربيع بن انس وعبد الرحمن بن زيد
بن اسلم هذه اول آية نزلت في القتال فلما نزلت كان رسول الله صلعم يقاتل من قاتله ويكف عمن كف عنه حتى نزلت اقتلوهم
حيث وجدتموهم فنسخت هذه الآية المعنى ثم بين سبحانه امر الجهاد فقال مخاطبا للمؤمنين وقاتلوا اي مع الكفار
في سبيل الله اي دين الله وهو الطريق الذي بينه للعباد ليسلكوه على ما امرهم به ودعاهم اليه الذين يقاتلونكم قيل
امروا بقتال المقاتلين دون النساء وقيل انهم امروا بقتال اهل مكة والاولى حمل الآية على العموم الا ما اخرجه الدليل ولا
تعتدوا اي لا تجاوزوا من قتال من هو من اهل القتال الى قتال من لم تؤمروا بقتاله وقيل معناه لا تعتدوا بقتال من لم
يبدأكم بقتال ان الله لا يحب المعتدين ظاهره يقتضي انه يسخط عليهم لانه على جهة الذم لهم وقد ذكرنا معنى المحبة
فيما مضى واختلف في الآية هل هي منسوخة ام لا فقال بعضهم منسوخة على ما ذكرناه وروي عن ابن عباس ومجاهد انها
غير منسوخة بل هي خاصة في النساء والذراري وقيل امر بقتال اهل مكة وروي عن ائمتنا عليهم السلام ان هذه الآية ناسخة
لقوله كفوا ايديكم واقيموا الصلوة وكذلك قوله واقتلوهم حيث ثقفتموهم ناسخ لقوله ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع اذاهم
قوله تعالى واقتلوهم حيث ثقفتموهم واخرجوهم من حيث اخرجوكم والفتنة اشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد
الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين . القراءة قرأ حمزة والكسائي ولا تقتلوهم
حتى يقتلوكم فان قتلوكم كله بغير الف والباقون بالف في جميع ذلك الحجة من قرأها بغير الف فانما اتبع المصحف
لانه كتب في المصاحف بغير الف ومن قرأها بالالف فقال انما يحذف الالف في الخط كما في الرحمن اللغة ثقفته اثقفه
ثقفا وثقافة اي وجدته ومنه قولهم رجل ثقف لقف اي يجد ما يطلبه وثقف الرجل ثقافة فهو ثقف وثقف

بالحراب

الحراب فهو ثقيف اذا كان سريع التعلم والثقاف حديدة يقوم بها الرماح العوج والتثقيف التقويم والفتنة اصلها
الاختبار ثم يتصرف الى معان منها الابتلاء نحو قوله وفتناك فتونا اي ابتليناك ابتلاء على اثر ابتلاء ومنها العذاب كقوله جعل
فتنة الناس كعذاب الله ومنها الصد عن الدين نحو قوله واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك والمراد بها في الآية الشرك
بالله ورسوله الاعراب حيث فيه ثلث لغات ضم الثاء وفتحها وكسرها فالضم اشبهها بالغاية نحو قبل وبعد لانه منع الاضافة الى
المفرد مع لزومه معنى الاضافة اياه فجرى لذلك مجرى قبل وبعد في البناء على الضم والفتح لاجل البناء كما فتحت اين وكيف
والكسر لانه الاصل في التحريك لالتقاء الساكنين والجملة بعد حيث جر باضافة حيث اليها في الموضعين ويقاتلوكم منصوب باضمار
ان وهو صلة ان والموصول مع الصلة في محل جر بحتى وحتى يتعلق بتقاتلوهم النزول نزلت في سبب رجل من الصحابة قتل رجلا
من الكفار في الشهر الحرام فعابوا المؤمنين بذلك فبين الله سبحانه ان الفتنة في الدين وهو الشرك اعظم من قتل المشركين
في الشهر الحرام وان كان غير جائز المعنى ثم خاطب سبحانه المؤمنين مبينا كيفية القتال مع الكافرين فقال واقتلوهم اي الكفار
حيث ثقفتموهم اي وجدتموهم واخرجوهم من حيث اخرجوكم يعني اخرجوهم من مكة كما اخرجوكم منها والفتنة
اشد من القتل اي شركهم بالله وبرسوله اعظم من القتل في الشهر الحرام وسمي الكفر فتنة لان الكفر يؤدي الى الهلاك
كما ان الفتنة تؤدي الى الهلاك وقيل لان الكفر فساد يظهر عند الاختبار وقوله ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى
يقاتلوكم فيه نهي عن ابتدائهم بقتال او قتل في الحرم حتى يبتدئ المشركون بذلك فان قاتلوكم اي بدؤكم بذلك فاقتلوهم
كذلك جزاء الكافرين ان يقتلوا حيث ما وجدوا وفي الآية دلالة على وجوب اخراج الكفار من مكة لقوله حتى لا تكون
فتنة والسنة قد وردت ايضا بذلك وهو قوله ع لا يجتمع في جزيرة العرب دينان قوله تعالى فان انتهوا فان الله
غفور رحيم . اللغة الانتهاء الامتناع والنهي الزجر عن الفعل بصيغة لا تفعل مع كراهة الناهي لذلك الفعل
والامر الدعاء الى الفعل بصيغة افعل مع ارادة الآمر لذلك والنهى العقل لمنعه من القبيح والنهي عنه المنع ونهاية
الشيء غايته والنهى جمع نهية وهي العقل والنهاء هي المواضع التي ينهبط فيها الماء فيتحير واحدها نهيه
والانهاء الابلاغ الى الشيء نهايته والمغفرة تغطية الذنب بما يصير بمنزلة غير الواقع في الحكم المعنى فان انتهوا اي امتنعوا
من كفرهم بالتوبة منه عن مجاهد وغيره فان الله غفور لهم رحيم بهم فاختصر الكلام لدلالة ما تقدم من الشرط عليه
وفيه دلالة على انه يقبل توبة القاتل عمدا لانه بين انه يقبل توبة المشرك والشرك اعظم من القتل قوله تعالى
وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين . اللغة الدين ههنا
الاذعان بالطاعة كما في قول الاعشى هو دان الرباب اذ كرهوا الدين دراكا بغزوة وصيال وقيل هو الاسلام واصل
الدين العادة قال الشاعر تقول اذا درأت لها وضيني اهذا دينه ابدا وديني وقد استعمل بمعنى الطاعة في قوله
ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك وبمعنى الاسلام في قوله ان الدين عند الله الاسلام لان الشريعة يجب ان يجرى فيها
على عادة مستمرة المعنى ثم بين سبحانه غاية وجوب القتال وقال يخاطب المؤمنين وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة اي
شرك عن ابن عباس وقتادة ومجاهد وهو المروي عن الصادق ع ويكون الدين لله اي وحتى يكون الطاعة لله والانقياد
لامر الله وقيل حتى يكون الاسلام لله اي حتى لا يبقى الكفر ويظهر الاسلام على الاديان كلها فان انتهوا اي امتنعوا من الكفر
واذعنوا الى الاسلام فلا عدوان الا على الظالمين اي فلا عقوبة عليهم وانما العقوبة بالقتل على الكافرين المقيمين على
الكفر فسمى القتل عدوانا من حيث كان عقوبة على العدوان وهو الظلم كما قال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه وجزاء
سيئة سيئة مثلها وان عاقبتم فعاقبوا وحسن ذلك لازدواج الكلام والمزاوجة هنا انما حصلت في المعنى لان
التقدير فان انتهوا عن العدوان فلا عدوان الا على الظالمين وهذا الوجه مروي عن قتادة والربيع وعكرمة وقيل
معنى العدوان الابتداء بالقتال عن مجاهد والسدي وهذه الآية ناسخة للاولى التي تضمنت النهي عن القتال

١٠٣

في المسجد حتى يبدؤا بالقتال فيه لان فيها ايجاب قتالهم على كل حال حتى يخلوا في الاسلام عن الحسن والجبائي وعلى ما ذكرناه
في الاية الاولى عن ابن عباس انها غير منسوخة فلا تكون هذه الاية ناسخة لها بل تكون مؤكدة وقيل المراد بها الفتنة اذا ابتدءوا بالقتال
في الحرم يجب مقاتلتهم حتى يزول الكفر قوله تعالى الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا
عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين ۰ اللغة انما سمي الشهر الحرام لانه يحرم فيه ما يحل في
غيره من القتال ونحوه والحرمات جمع حرمة وهي ما يجب حفظه ويحرم هتكه والحرام هو القبيح الممنوع من فعله والحلال المطلق
المأذون فيه والقصاص الاخذ للمظلوم من الظالم من اجل ظلمه اياه والاعتداء عليه وعدى عليه بمعنى مثل قرب واقترب
وجلب واجتلب وقيل ان في افتعل مبالغة ليست في فعل المعنى ثم بين الله سبحانه القتال في الشهر الحرام فقال الشهر
الحرام بالشهر الحرام المراد به ههنا ذو القعدة وهو شهر الصد عام الحديبية والاشهر الحرم اربعة ثلثة سرد ذو القعدة
وذو الحجة ومحرم وواحد فرد وهو رجب كانوا يحرمون فيها القتال حتى لو ان رجلا لقي قاتل ابيه او اخيه لم يتعرض
له بسوء وانما قيل لذي القعدة لقعودهم فيه عن القتال وقيل في تفسيره وجهان احدهما ان قتال الشهر الحرام اي في الشهر الحرام
بقتال الشهر الحرام فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه وقيل ان الشهر الحرام على وجه العوض لما فات في السنة الاولى
ومعناه الشهر الحرام ذو القعدة الذي دخلتم فيه مكة واعتمرتم وقضيتم منها وطركم سنة سبع بالشهر الحرام وهو ذو القعدة
الذي صددتم فيه عن البيت ومنعتم عن مرادكم في سنة ست والحرمات قصاص قيل فيه قولان احدهما ان الحرمات
قصاص بالمراغمة بدخول البيت في الشهر الحرام في الجاهلية لان قريشا فخرت بردها رسول الله صلعم عام الحديبية محرما
في ذي القعدة عن البلد الحرام فادخله الله مكة في العام المقبل في ذي القعدة فقضى عمرته واقصه ما حيل بينه
وبينه وهو معنى قول قتادة والضحاك والربيع وعبد الرحمن بن زيد وروي عن ابن عباس وابي جعفر الباقر ع والثاني
ان الحرمات قصاص بالقتال في الشهر الحرام اي لا يجوز للمسلمين الا قصاصا قال الحسن ان مشركي العرب قالوا لرسول الله
انهيت عن قتالنا في الشهر الحرام قال نعم وانما اراد المشركون ان يغتروه في الشهر الحرام فيقاتلوه فانزل الله سبحانه هذا
فانزل الله سبحانه هذا اي ان استحلوا منكم في الشهر الحرام شيئا فاستحلوا منهم مثل ما استحلوا منكم عن الزجاج
والجبائي وانما جمع الحرمات لانه اراد حرمة الشهر وحرمة البلد وحرمة الاحرام وقيل لان كل حرمة يستحق ابدالا يجوز
الاعلى وجه المجازات فمن اعتدى عليكم اي ظلمكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم اي جازوه باعتدائه وقابلوه
بمثله والثاني ليس باعتداء على الحقيقة ولكن سماه اعتداء لانه مجازاة اعتداء وجعله مثله وان كان ذلك حسنا
وهذا جور وعدل لانه مثله في الجنس وفي مقدار الاستحقاق ولانه ضرر كما ان ذلك ضرر فهو مثله في الجنس والمقدار
والصفة واتقوا الله فيما امركم به ونهاكم عنه واعلموا ان الله مع المتقين بالنصر لهم او يريد ان نصرة الله معهم واصل مع
المصاحبة في المكان او الزمان وفي هذه الاية دلالة على ان من غصب شيئا واتلفه يلزمه رد مثله ثم ان المثل قد يكون
من طريق الصورة في ذوات الامثال ومن طريق المعنى كالقيم فيما لا مثل له قوله تعالى وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا
بايديكم الى التهلكة واحسنوا ان الله يحب المحسنين ۰ اللغة الانفاق اخراج الشيء من ملك الى ملك غيره لانه
لو اخرجه الى هلاك لم يسم انفاقا والالقاء تصيير الشيء الى جهة السفل ويقال القي عليه مسئلة مجازا كما يقال طرح
عليه مسئلة ويقال لكل من اخذ في عمل القي يديه اليه وفيه قال لبيد حتى اذا القت يدا في كافر واجن عورات الثغور
ظلامها يعني الشمس اي بدات في المغيب التهلكة والهلاك واحد وقيل التهلكة مصدر بمعنى الهلاك وليس في كلام العرب
مصدر على تفعلة بضم العين الا هذا وقيل التهلكة كل ما يصير عاقبته الى الهلاك واصل الهلاك الضياع وهو مصير
الشيء بحيث لا يدرى اين هو ومنه يقال للكافر هالك وللميت هالك وللمعذب هالك والهلوك الفاجرة والهالكي
الحداد واصله انه ابن الهالك بن عمرو وكانوا يقونا منسبا ليه كل قين والاحسان هو ايصال النفع الحسن الى الغير

وليس المراد الحسن من فعل الفعل الحسن لان مستوفي الدين لا يسمى محسنا وان كان فعله حسنا ولا يقال ان القديم سبحانه
بفعل العقاب محسن وان كان العقاب حسنا وانما اعتبرنا النفع الحسن لان من اوصل نفعا قبيحا الى غيره لا يقال انه محسن
اليه الاعراب الباء في قوله بايديكم زائدة كما يقال جذبت الثوب وبالثوب وعلمته وعلمت به وقال الشاعر ولقد ملأت
على نصيب جلده مساءة ان الصديق يعاتب اي ملأت جلده مساءة وقيل ليست الباء بزائدة ولكنها على اصل الكلام
وفيه احدهما ان كل فعل يتعدى اذا كني عنه او قدر على المصدر دخلته الباء تقول ضربته ثم تكني عنه فتقول فعلت به وفعلت
او وقع الضرب به فجاء على الاصل الافعال المتعدية والاخر انه لما كان معناه لا تهلكوا انفسكم بايديكم دخلت الباء لتدل
على هذا المعنى وهو خلاف هلك نفسه بيده فيع المعنى لما اوجب سبحانه القتال في سبيل الله عقبه بذكر الانفاق
فيه فقال وانفقوا في سبيل الله معناه وانفقوا من اموالكم في الجهاد وطريق الدين وكل ما امر الله سبحانه به من الخير وابواب
البر فهو سبيل الله لانه السبيل وهو الطريق فسبيل الله الطريق الى الله تعالى والى رحمته وثوابه الا انه كثر استعماله في الجهاد
لانه الجود بالنفس فهو غاية الجود والجهاد وهو الامر الذي يخاطر فيه بالروح فكانت له مزية ولا تلقوا بايديكم الى
التهلكة قيل في معناه وجوه احدها انه اراد لا تهلكوا انفسكم بايديكم بترك الانفاق في سبيل الله فيغلب عليكم
العدو عن ابن عباس وجماعة من المفسرين وثانيها انه نهى بان لا تركبوا المعاصي باليأس من المغفرة عن البراء بن عازب
وعبيدة السلماني وثالثها ان المراد لا تقتحموا الحرب من غير نكاية في العدو ولا قدرة على دفاعهم عن ابي القسم
البلخي ورابعها ان المراد لا تسرفوا في الانفاق الذي يأتي على النفس عن الجبائي ويقرب منه ما روي عن
ابي عبد الله ع لو ان رجلا انفق ما في يديه في سبيل الله ما كان احسن ولا وفق لقوله سبحانه ولا تلقوا
بايديكم الى التهلكة واحسنوا ان الله يحب المحسنين يعني المقتصدين وقال عكرمة معناه احسنوا الظن بالله يبركم وقال
عبد الرحمن بن زيد واحسنوا بالعود على المحتاج والاولى حمل الاية على جميع هذه الوجوه ولا تنافي فيها وفي هذه
الاية دلالة على تحريم الاقدام على ما يخاف منه على النفس وعلى جواز ترك الامر بالمعروف عند الخوف لان في ذلك
القاء النفس الى التهلكة وفيها دلالة على جواز الصلح مع الكفار والبغاة اذا خاف الامام على نفسه او على المسلمين
كما فعله رسول الله صلعم عام الحديبية وفعله امير المؤمنين ع بصفين وفعله الحسن ع مع معاوية من المصالحة لما
تشتت امره وخاف على نفسه وشيعته فان عورضنا بان الحسين ع قاتل وحده فالجواب ان فعله يحتمل وجهين
احدهما انه ظن انهم لا يقتلونه لمكانه من رسول الله صلعم والاخر انه غلب على ظنه انه لو ترك قتالهم قتله الملعون
ابن زياد صبرا كما فعل بابن عمه مسلم فكان القتل مع عز النفس والجهاد اهون عليه قوله تعالى واتموا الحج والعمرة
لله فان احصرتم فما استيسر من الهدي ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله فمن كان منكم مريضا او به اذى
من رأسه ففدية من صيام او صدقة او نسك فاذا امنتم فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدي فمن لم يجد
فصيام ثلثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام واتقوا
الله واعلموا ان الله شديد العقاب ۰ اللغة قد ذكرنا حقيقة الحج والعمرة فيما مضى عند قوله فمن حج البيت
او اعتمر فلا معنى لاعادته والاحصار المنع يقال للرجل الذي قد منعه الخوف او المرض عن التصرف قد احصر
فهو محصر ويقال للرجل الذي حبس قد حصر فهو محصور وقال الفراء يجوز ان يقوم كل واحد منهما مقام الاخر
وخالفه فيه ابو العباس المبرد والزجاج قال المبرد ونظيره حبسه جعله في الحبس واحبسه عرضه للحبس واقتله
عرضه للقتل وكذلك حصره حبسه اي اوقع به الحصر واحصره عرضه للحصر وحصره حصرا اذا عيي في الكلام
والحصر البخيل الحبس يده والحصر الذي لا يبوح بسره لانه قد حبس نفسه عن البوح به والحصير الحبس
الملك والحصور الهيوب المحجم عن الشيء والحصور الذي لا اربة له في النساء واصل الباب الحبس وفي اصل

الهدى قولان احدهما انه من الهدية يقال اهديت الهدية اهداء واهديت الهدى الى بيت الله اهداء فعلى هذا انما
يكون هديا بالايجاب والتقرب به الى الله تعالى والاخر انه من هداه اذا ساقه الى الرشاد فسمى هديا لانه يساق الى الحرم الذى هو موضع
الرشاد وواحد الهدى هدية كما يقال شرية وشرى وتمرة وتمر وجمع الهدى هدى على فعيل كما يقال عبد وعبيد وكلب وكليب
ويقال واحد الهدى هدى بتثقيل مطية ومطى قال الفرزدق حلفت برب مكة والمصلى واعناق الهدى مقلدات والحلق
حلق الراس فقال حلق وحالق والمحلق موضع الحلق بمنى والحالق الحلاق وحلق الطائر فى الهواء اذا ارتفع وحلق
ضرع الناقة اذا ارتفع لبنها والحلق مجرى الطعام والشراب فى المرى وحلوق الارض مجاريها واوديتها وحلاق المنية
واصل الباب الاستمرار والرأس على كل شئ والاذى كلما تأذيت به وجل اذاه اذا كان سئ الاذى واصل الضرر
بالشئ والنسك جمع نسيكة وهى الذبيحة ويجمع ايضا نسائك كصحيفة وصحائف وصحف وكل ما تقرب به الى الله فهو نسيكة و
النسك العبادة ورجل ناسك اى عابد والتمتع اصله الالتذاذ والاستمتاع ومتعة الحج هى ان يحرم فى اشهر الحج ثم يحل
ويتمتع بالاحلال بان يفعل ما يفعله الحلال ثم يحرم بالحج من غير رجوع الى الميقات فهو حلال بين احرامين واهل الرجل زوجته
والتاهل التزوج واهل الرجل اخص الناس به واهل البيت سكانه واهل الاسلام من يدين به واهل القران من يقرؤه
ويقوم بحقوقه واهلته لهذا الامر اى جعلته اهلا له وقولهم اهلا ومرحبا اى اختصاصا بالتحية والكرامة والعقاب
مصدر يقال عاقبه معاقبة وعقوبة واصله من عقب الشئ اى خلفه فكان المعاقب يعقبه بالشئ وعقب الانسان
نسله وعقبه مؤخره الاعراب قوله فما استيسر من الهدى موضعه رفع اذ كان تقديره فعليه ما استيسر ويجوز ان يكون
موضعه نصبا وتقديره فاهدوا ما استيسر والرفع اولى لكثرة نظائره كقوله ففدية من صيام فعدة من ايام فصيام ثلثة
ايام فى الحج وقوله فى الحج متعلق بالمصدر وليس فى موضع خبر هنا المعنى قد جاء من هنا على تقدير مما حسنا المعنى
ثم بين سبحانه فرض الحج والعمرة على العباد بعد بيانه فريضة الجهاد فقال واتموا الحج والعمرة لله اى اتموهما بمناسكهما
وحدودهما وتاديتهما كل ما فيهما عن ابن عباس ومجاهد وقيل معناه اقيموهما الى اخر ما فيهما وهو المروى عن امير المؤمنين وعلى بن
الحسين عليهما وسعيد بن جبير ومسروق والسدى وقوله لله اى قصدا وتقربا به الى الله تعالى والعمرة واجبة
عندنا مثل الحج وبه قال الشافعى فى الجديد وقال اهل العراق انها سنة واركان افعال الحج النية والاحرام والوقوف
بعرفة والوقوف بالمشعر وطواف الزيارة والسعى بين الصفا والمروة واما الفرائض التى ليست باركان فالتلبية وركعتا
الطواف وطواف النساء وركعتا الطواف له واما المسنونات من افعال الحج فمذكورة فى الكتب المصنفة فيه واركان
فرائض العمرة النية والاحرام وطواف الزيارة والسعى واما ما ليس بركن من فرائضها فالتلبية وركعتا الطواف وطواف
النساء وركعتا الطواف له وقوله فان احصرتم فيه قولان احدهما معناه ان منعكم خوف او عدو او مرض فامتنعتم لذلك
عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وعطا وهو المروى عن ائمتنا عليهم والثانى ان معناه ان منعكم حابس قاهر عن مالك
فما استيسر من الهدى فعليكم ما سهل من الهدى او فاهدوا ما تيسر من الهدى اذا اردتم الاحلال والهدى يكون من ثلثة
انواع جزورا وبقرة وشاة واقلها شاة وهو المروى عن على عليه وابن عباس والحسن وقتادة وروى عن ابن عمر
وعائشة انه ما كان من الابل والبقر دون غيرهما والاول هو الصحيح ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله اى لا تحلوا من
احرامكم حتى يبلغ الهدى محله نحرا او ذبحا واختلف فى محل الهدى على قولين الاول انه الحرم فاذا ذبح به يوم النحر احل عن
ابن عباس وابن مسعود والحسن وعطا والثانى انه الموضع الذى يصد فيه لان النبى صلعم نحر هديه بالحديبية وامر اصحابه
ففعلوا مثل ذلك وليست الحديبية من الحرم عن مالك واما عندنا فالاول حكم المحصور بالمرض والثانى حكم المصدود
بالعدو وان كان الاحرام بالحج فمحله منى يوم النحر وان كان الاحرام بالعمرة فمحله مكة فمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه
اى من مرض منكم مرضا يحتاج فيه الى الحلق للمداواة او تاذى راسه ابيح له الحلق بشرط الفدية وروى ان هذا

انها نزلت فى انسان يعرف بكعب بن عجرة وانه كان قد قمل راسه وقوله ففدية اى فحلق لذلك العذر فعليه فدية اى بدل
وجزاء يقوم مقام ذلك من صيام او صدقة او نسك المروى عن ائمتنا عليهم ان الصيام ثلثة ايام والصدقة
على ستة مساكين وروى عشرة مساكين والنسك شاة وهو مخير فيها وقوله فاذا امنتم معناه فاذا امنتم الموانع من
العدو والمرض وكل مانع فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدى اى فعليه ما تيسر من الهدى والتمتع عندنا هو الفرض
اللازم لمن لم يكن من حاضرى المسجد الحرام وحاضرو المسجد الحرام هو من كان على اثنى عشر ميلا من كل جانب الى مكة
فمن كان خارجا عن هذا الحد فليس من الحاضرين وصفة التمتع بالعمرة الى الحج ان ينشئ الاحرام فى اشهر الحج ثم ياتى
الى مكة فيطوف بالبيت ويسعى بين الصفا والمروة ويقصر ويحل من احرامه ثم ينشئ احراما اخر للحج من المسجد الحرام
ويخرج الى عرفات ثم يفيض الى المشعر ويأتى بافعال الحج على ما هو مذكور فى الكتب وفى بعض ذلك خلاف بين الفقهاء
والهدى واجب على المتمتع بالاجماع لظاهر التنزيل على خلاف فى انه نسك او جبران وعندنا انه نسك فمن لم يجد
فصيام ثلثة ايام فى الحج اى ومن لم يجد الهدى ولا ثمنه فعليه صيام ثلثة ايام فى الحج وعندنا ان هذه الايام الثلثة
يوم قبل يوم التروية ويوم التروية ويوم عرفة وان صام فى اول العشر جاز ذلك رخصة وان صام يوم التروية
ويوم عرفة قضى يوما اخر بعد انقضاء ايام التشريق وان فاته صوم يوم التروية ايضا صام الايام الثلثة
بعد ايام التشريق متتابعات وقوله وسبعة اذا رجعتم اى وسبعة ايام اذا رجعتم الى بلادكم واهاليكم
وبه قال قتادة وعطا وقيل معناه اذا رجعتم من منى فصوموها فى الطريق عن مجاهد والاول هو الصحيح عندنا وقوله تلك
عشرة كاملة فذكر فيه وجوه احدها ان المعنى كاملة من الهدى اذا وقعت بدلا منه استكملت ثوابه عن الحسن وهو المروى عن ابى
جعفر عليه واختاره الجبائى والثانى انه لازالة الابهام لئلا يظن ان الواو بمعنى او فيكون كانه قال فصيام ثلثة ايام فى
الحج او سبعة ايام اذا رجعتم لانه اذا استعمل او بمعنى الواو جاز ان يستعمل الواو بمعنى او كما قال فانكحوا ما طاب لكم
من النساء مثنى وثلث ورباع فالواو هاهنا بمعنى او فذكر ذلك لارتفاع اللبس عن الزجاج والثالث قاله البلخى والرابع
انه انما قال كاملة للتوكيد كما قال جرير ثلاث واثنان فهن خمس وسادسة تميل الى شمام وقوله ذلك لمن لم يكن اهله حاضرى
المسجد الحرام اى ما تقدم ذكره من التمتع بالعمرة الى الحج ليس لاهل مكة ومن يجرى مجراهم وانما هو لمن لم يكن حاضرى مكة
وهو من يكون بينه وبينها اكثر من اثنى عشر ميلا من كل جانب واتقوا الله فيما امركم به ونهاكم عنه واعلموا ان الله شديد
العقاب لمن عصاه الحديث روى معاوية بن عمار عن الصادق عليه ان رسول الله صلعم اقام بالمدينة عشر سنين
لم يحج ثم نزل عليه واذن فى الناس بالحج الآية فامر المؤذنين ان يؤذنوا باعلى اصواتهم بان رسول الله يحج من عامه
هذا فعلم به من حضر المدينة واهل العوالى والاعراب واجتمعوا فخرج رسول الله صلعم فى اربع بقين من ذى القعدة فلما
انتهى الى ذى الحليفة فزالت الشمس اغتسل ثم خرج حتى اتى المسجد الذى عند الشجرة فصلى فيه الظهر واحرم بالحج ثم
ساق الحديث الى ان قال فلما وقف رسول الله بالمروة بعد فراغه من السعى اقبل على الناس بوجهه فحمد الله واثنى عليه ثم قال
ان هذا جبرئيل واومى بيده الى خلفه يامرنى ان آمر من لم يسق هديا ان يحل ولو انى استقبلت من امرى ما استدبرت
لصنعت مثل ما امرتكم ولكنى سقت الهدى ولا ينبغى لسائق الهدى ان يحل حتى يبلغ الهدى محله فقال له رجل
من القوم انخرج حجاجا ورؤسنا تقطر فقال انك لن تؤمن بها ابدا فقام اليه سراقة بن مالك بن جعشم الكنانى
فقال يا رسول الله علمنا ديننا فكانا خلقنا اليوم فهذا الذى امرتنا به لعامنا هذا او لما يستقبل فقال له
رسول الله صلعم بل هو للابد الى يوم القيمة ثم شبك بين اصابعه بعضها فى بعض وقال دخلت العمرة فى الحج الى
يوم القيمة وقدم على من اليمن على رسول الله وهو بمكة فدخل على فاطمة عم وهى قد احلت فوجد ريحا طيبة
ووجد عليها ثيابا مصبوغة فقال ما هذا يا فاطمة فقالت امرنا بهذا رسول الله صلعم فخرج على الى رسول الله

رسول الله مستفتيا محرشا على فاطمة فقال يا رسول الله اني رأيت فاطمة قد احلت وعليها ثياب مصبوغة فقال
رسول الله انا امرت الناس بذلك وانت يا علي بم اهللت فقلت يا رسول الله اهلالا كاهلال النبي صلعم فقال
له رسول الله صلعم كن على احرامك مثلي وانت شريكي في هديي قال فنزل رسول الله صلعم بمكة بالبطحاء هو واصحابه ولم ينزل
الدور فلما كان يوم التروية عند زوال الشمس امر الناس ان يغتسلوا ويهلوا بالحج فخرج النبي واصحابه مهلين بالحج
حتى اتوا منى فصلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة والفجر ثم غدا والناس معه وكانت قريش تفيض من المزدلفة
وهي جمع ويمنعون الناس ان يفيضوا منها فانزل الله تعالى ثم افيضوا من حيث افاض الناس يعني ابراهيم واسمعيل
واسحاق في افاضتهم منها ومن كان بعدهم فلما رأت قريش ان قبة رسول الله قد مضت كانه دخل في انفسهم شيء
للذي كانوا يرجون من الافاضة من مكانهم حتى انتهى الى نمرة وهي بطن عرنة بحيال الاراك فضرب قبته وضرب الناس
اخبيتهم عندها فلما زالت الشمس خرج رسول الله ومعه قريش وقد اغتسل وقطع التلبية حتى وقف بالجبل ووعظ
الناس وامرهم ونهاهم ثم صلى الظهر والعصر باذان واقامتين ثم مضى الى الموقف فوقف به فجعل الناس يبتدرون
اخفاف ناقته يقفون الى جانبها فنحاها ففعلوا مثل ذلك بالمزدلفة فوقف حتى وقع القرص قرص الشمس ثم
افاض وامر الناس بالدعة حتى اذا انتهى الى المزدلفة وهي المشعر الحرام صلى المغرب والعشاء الآخرة باذان واحد
واقامتين ثم اقام حتى صلى فيها الفجر وعجل ضعفاء بني هاشم بالليل فامرهم ان لا يرموا الجمرة جمرة العقبة حتى تطلع
فلما اضاء له النهار افاض حتى انتهى الى منى فرمى جمرة العقبة وكان الهدي الذي جاء به رسول الله صلعم اربعا وستين
او ستا وستين وجاء علي عليه السلام باربع وثلثين او ست وثلثين فنحر رسول الله صلعم ستا وستين بدنة ونحر علي ع
اربعا وثلثين بدنة وامر رسول الله صلعم ان يؤخذ من كل بدنة منها جذوة من لحم ثم تطرح في برمة ثم تطبخ فاكل رسول الله
صلعم وعلي عليه السلام وحسيا من مرقها وامر ان لا يعطي الجزارين جلودها ولا جلالها ولا قلائدها وتصدق به وحلق
وزار البيت ورجع الى منى فاقام بها حتى كان يوم الثالث من اخر ايام التشريق ثم رمى الجمار ونفر حتى انتهى
الى الابطح فقالت عائشة يا رسول الله ترجع نساؤك بحجة وعمرة معا وارجع بحجة فاقام بالابطح وبعث معها عبد
الرحمن بن ابي بكر الى التنعيم فاهلت بعمرة ثم جاءت فطافت بالبيت وصلت ركعتين عند مقام ابراهيم
وسعت بين الصفا والمروة ثم اتت النبي فارتحل من يومه ولم يدخل المسجد ولم يطف بالبيت ودخل من اعلى مكة
من عقبة المدنيين وخرج من اسفل مكة من ذي طوى قوله تعالى الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج
فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون
يا اولي الالباب. القراءة قرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب فلا رفث ولا فسوق بالرفع والتنوين ولا جدال بالفتح وقرأ ابو جعفر
جميع ذلك بالرفع والتنوين وقرأ الباقون الجميع بالفتح. الحجة حجة من قرأ بفتح الجميع انه يقول انه اشد مطابقة للمعنى المقصود
الاستغراق لانه اذا فتح فقد نفى جميع الرفث والفسوق كما انه اذا قال لا ريب فقد نفى جميع هذا الجنس فاذا رفع ونون
فكان الواحد منه الا ترى ان سيبويه يرى انه اذا قال لا غلام عندك ولا جارية فهو جواب من سأل فقال اغلام عندك
ام جارية فالفتح اولى لان النفي فيه اعم والمعنى عليه ووجه من رفع انه يعلم من الفحوى انه ليس المنفي رفثا واحدا ولكنه
جميع ضروبه وانا النفي قد يقع فيه الواحد موقع الجميع وان لم يبن فيه الاسم مع لا كلا في الكتاب. اللغة الرفث
في اللغة اصله الافحاش في النطق قال العجاج عن اللغا ورفث التكلم وقيل الرفث بالفرج الجماع وباللسان
المواعدة للجماع وبالعين الغمز للجماع والفسوق الخروج من الطاعة والجدال في اللغة والمجادلة والمنازعة
والمشاجرة والمخاصمة نظائر وجدلت الحبل فتلته والجديل زمام البعير فعيل بمعنى مفعول والجدالة القصير
والجدالة الارض ذات رمل دقيق وغلام جادل اذا ترعرع واشتد والزاد الطعام الذي يتخذ للسفر

والمزود وعاؤه وجعل فيه الزاد وكل من انتقل بخير من عمل او كسب فقد تزود منه تزودا واللب العقل سمي بذلك لانه افضل
ما في الانسان وافضل كل شيء لبه. الاعراب الحج مبتدأ واشهر خبره وتقديره اشهر الحج اشهر معلومات ليكون الثاني
هو الاول في المعنى او الحج حج اشهر معلومات فحذف المضاف اي لا حج الا في هذه الاشهر والاشهر على هذا متسع فيها
مخرجة عن الظروف والمعنى على ذلك الا ترى ان الحج في الاشهر وقد يجوز ان يجعل الحج الاشهر على الاتساع لكونه فيها
ولكثرته من الفاعلين له كما قالت الخنساء ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت فانما هي اقبال وادبار جعلها الاقبال و
الادبار لكثرتهما منها وقوله فلا رفث اذا فتحت فهو على البناء وقد تقدم بيانه فيما مضى واذا رفعت فهو على الابتداء وكونه
في الحج خبرا لهذه المرفوعات واذا فتحت ما قبل المرفوع واثبت ما بعده مرفوعا جاز ان يكون عطفا على الموضع
وجاز ان يكون بمعنى ليس كما في قول من صد عن نيرانها فانا ابن قيس لا براح وما بعد الفاء في موضع الرفع لو وقع موقع
الفعل المضارع بعد الفاء مع ما بعده في محل الجزم او في محل الرفع لانه جواب شرط. المعنى الحج اي اشهر الحج اشهر
معلومات اي اشهر موقتة معينة لا يجوز فيها التبديل والتغيير بالتقديم والتاخير اللذين كانا يفعلهما النساة
الذين انزل فيهم انما النسيء زيادة في الكفر الآية واشهر الحج عندنا شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة على ما روي عن
ابي جعفر ع وبه قال ابن عباس ومجاهد والحسن وغيرهم وقيل هي شوال وذو القعدة وذو الحجة عن عطا والربيع و
طاوس وروي ذلك في اخبارنا وانما صارت هذه اشهر الحج لانه لا يصح الاحرام بالحج الا فيها ومن قال انه جميع
ذي الحجة من اشهر الحج قال لانه يصح ان يقع بلا خلاف وعندنا لا يصح الاحرام بالعمرة التي يتمتع بها الى الحج الا فيها
بعض افعال الحج مثل صوم الايام الثلثة وذبح الهدي وبه قيل كيف سمي الشهرين وبعض الشهر اشهرا فجوابه
ان الاثنين قد يقع عليه لفظ الجمع كما في قوله ظهراهما مثل ظهور الترسين وايضا فقد يضاف الفعل الى الوقت وان وقع
في بعضه ويضاف الوقت اليه كذلك تقول صليت صلوة يوم الجمعة وصلوة يوم العيد وان كانت الصلوة
في بعضه وقدم زيد يوم كذا وان كان قدم في بعضه فكذلك جاز ان يقال اشهر الحج ذو الحجة وان وقع الحج في بعضه
فمن فرض فيهن الحج معناه فمن اوجب على نفسه فيهن الحج اي فمن احرم فيهن بالحج بلا خلاف او بالعمرة التي يتمتع
بها الى الحج على مذهبنا فلا رفث كنى بالرفث ها هنا الجماع عند اصحابنا وهو قول ابن مسعود وقتادة وقيل
هو مواعدة الجماع والتعريض للنساء به عن ابن عباس وابن عمر وعطا وقيل هو الجماع والتعرض له بالمغايرة او مواعدة
عن الحسن ولا فسوق روى اصحابنا انه الكذب وقيل هو معاصي الله كلها عن ابن عباس والحسن وقتادة
وهذا اعم ويدخل فيه الكذب وقيل هو التنابز بالالقاب لقوله بئس الاسم الفسوق بعد الايمان عن الضحاك
وقيل هو السباب لقوله صلعم سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر عن ابراهيم وقتادة ومجاهد وقال بعضهم لا يجوز
ان يراد به هنا الا ما هو على المحرم عند ما يكون حلالا لو انفك الاحرام لاختصاصه بالنهي عنه وهذا تخصيص العموم بلا دليل
وقد يقول القائل ينبغي ان يقيد لسانك في رمضان لئلا تفسد صومك ومما جاء في الحديث اذا صمت فليصم
سمعك وبصرك ولا يكون يوم صومك كيوم فطرك فانما خص بذلك لعظم حرمته ولا جدال في الحج روى
اصحابنا انه قول لا والله وبلى والله صادقا او كاذبا وللمفسرين فيه قولان احدهما انه المراء والسباب والاغضاب
على جهة المحك واللجاج عن ابن عباس وابن مسعود والحسن والثاني ان معناه لا جدال في ان الحج قد استدار
في ذي الحجة لانهم كانوا ينسئون الشهور فيقدمون ويؤخرون فربما اتفق في غيره عن مجاهد والسدي وما تفعلوا
من خير يعلمه الله معناه وما تفعلوا من خير يجازكم الله العالم به لان الله تعالى عالم بجميع المعلومات على كل حال الا انه
جعل يعلمه في موضع يجازيه للمبالغة في صفة العدل اي انه يعاملكم معاملة من يعلمه اذا ظهر منكم فيجازي به وذلك
تاكيد ان الجزاء لا يكون الا بالفعل دون ما يعلم انه يكون منهم قبل ان يفعلوه وتزودوا فان خير الزاد التقوى

١٠٦

وذكر في اثناء الحج لانه احق شيء بالاستكثار من اعمال البر فيه واتقون فيما امرتكم به ونهيتكم عنه يا اولي الالباب يا ذوي
العقول قوله تعالى ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام و
اذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين • اللغة الجناح الحرج في الدين وهو الميل عن الطريق المستقيم و
الابتغاء الطلب والافاضة مأخوذة من فيض الاناء عن امتلائه فمعنى افضتم دفعتم من عرفات الى المزدلفة من اجتماع وكثرة
وافاض الرجال القوم في الحديث اذا اندفعوا فيه واكثروا التصرف وافاض الرجل اناءه اذا صبه وافاض الرجل بالقداح
اذا ضرب بها لانها تقع متفرقة قال ابو ذؤيب وكانهن ربابة وكانه يسر يفيض على القداح ويصدع وافاض البعير بجرته
اذا رمى بها متفرقة كثيرة قال الراعي وافضن بعد كظومهن بجرة من ذي الابارق اذ رعين حقيلا فالافاضة في اللغة لا تكون
الا عن تفرق او كثرة وعرفات اسم للبقعة المعروفة ويجب الوقوف بها في الحج ويوم عرفة يوم الوقوف بها واختلف في
سبب تسميتها بعرفات فقيل لان ابراهيم عرفها بما تقدم له من النعت لها والوصف روي عن علي عليه السلام وابن عباس
وقيل انها سميت بذلك لان آدم وحواء اجتمعا فيها فتعارفا بعد ان كانا افترقا عن الضحاك والسدي وقد رواه اصحابنا
ايضا وقيل سميت بذلك لعلوها وارتفاعها ومنه عرف الديك وقيل سميت بذلك لان ابراهيم ع كان يريه جبرئيل
المناسك فيقول عرفت عرفت عن عطاء وروي عن ابن عباس ان ابراهيم رأى في المنام انه يذبح ابنه فاصبح
يروّي يومه اجمع اي يفكر اهو من الله ام من الشيطان فسمي يوم التروية ثم رأى في الليلة الثانية فلما اصبح عرف انه من الله
فسمي يوم عرفة وروي ان جبرئيل عليه السلام قال لآدم هناك اعترف بذنبك واعرف مناسكك فقال ربنا ظلمنا
انفسنا الآية فلذلك سميت عرفة والمشعر الحرام هو المزدلفة سميت مشعرا لانه معلم للحج والصلاة والمقام والمبيت
به والدعاء عنده من اعمال الحج وانما سمي المشعر مزدلفة لان جبرئيل قال لابراهيم ع بعرفات ازدلف الى المشعر الحرام
فسمي المزدلفة وسمي جمعا لانه يجمع به بين المغرب والعشاء الآخرة باذان واحد واقامتين وسميت منى لان ابراهيم تمنى هناك
ان يجعل الله مكان ابنه كبشا يأمره بذبحه فدية له • الاعراب جناح اسم ليس خبر عليكم وموضع ان تبتغوا نصب على تقدير
ليس عليكم جناح في ان تبتغوا فلما سقطت في عمل فيها معنى جناح والمعنى لستم تأثمون في ان تبتغوا وعرفات اسم معرفة
لمواضع جرت مجرى موضع واحد لاتصال بعضها ببعض وانما صرفت وان كان فيه سببان من اسباب منع الصرف
وهو التعريف والتأنيث لانها على حكاية الجمع فالتنوين فيها بازاء النون في مسلمون ولو سميت امرأة بمسلمون لم يحذف منها
النون ويقول اقبلت مسلمون ورأيت مسلمين ويجوز في عرفات حذف التنوين ايضا تشبيها بالواحد اذا كان اسما لواحد
الا انه لا يكون الا مكسورا وان اسقطت التنوين ومثلها اذرعات في قول امرئ القيس تنورتها من اذرعات واهلها بيثرب ادنى
دارها نظر عالي اكثر الرواية بالتنوين وقد انشد بالكسر بغير تنوين والاول اختيار النحويين لما ذكرنا في اجرائهم اياها مجرى
مسلمون واما فتح الطاء فخطأ وان كنتم ان هاهنا هي المخففة من الثقيلة بدلالة ان لام الابتداء معها فاذا خففت لم تعمل ان وكنتم
من قبله لمن الضالين لا موضع له من الاعراب لانه وقع بعد حرف غير عامل ولما هذه الواو عطف جملة على جملة • المعنى
ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم قيل كانوا يتأثمون بالتجارة في الحج فرفع الله سبحانه بهذه اللفظة الاثم عمن يتجر
في الحج عن ابن عباس ومجاهد والحسن وعطا وفي هذا تصريح بالاذن في التجارة وهو المروي عن ائمتنا عليهم السلام وقيل كان في
الحج اجراء ومكارون وكان الناس يقولون انه لا حج لهم فبين سبحانه انه لا اثم على الحجاج في ان يكونوا اجراء او
مكارين وقيل معناه لا جناح عليكم ان تطلبوا المغفرة من ربكم رواه جابر عن ابي جعفر ع فاذا افضتم من عرفات اي دفعتم
عنها بعد الاجتماع فيها فاذكروا الله عند المشعر الحرام وفي هذا دلالة على ان الوقوف بالمشعر الحرام فريضة كما ذهبنا اليه
لان ظاهر الامر على الوجوب فكذا اوجب الله تعالى الذكر فيه ولا يجوز ان يوجب الذكر فيه الا وقد اوجب الكون فيه ولان كل
من اوجب الذكر فيه اوجب الوقوف وقيل المراد فاذا افضتم من عرفات فكونوا بالمشعر الحرام واذكروا الله فيه

حكم

كما هداكم معناه واذكروه بالثناء والشكر على حسب نعمته عليكم بالهداية فان الشكر يجب ان يكون على حسب النعمة في عظم المنزلة
كما يجب ان يكون على مقدارها لو صغرت النعمة ولا يجوز التسوية بين من عظمت نعمته وبين من صغرت نعمته وتقابل الكلام
واذكروه ذكرا مثل هدايته اياكم وان كنتم اي وما كنتم من قبله اي من قبل الهدى وقيل من قبل محمد صلى الله عليه وسلم فيكون الهاء كناية
عن غير مذكور لمن الضالين عن النبوة والشريعة فهداكم اليه قوله تعالى ثم افيضوا من حيث افاض الناس واستغفروا الله ان الله
غفور رحيم • اللغة الاستغفار طلب المغفرة والمغفرة التغطية للذنب والفرق بين غفور وغافر ان في غفور
مبالغة لكثرة المغفرة واما غافر فيستحق الوصف به من وقعت منه المغفرة والعفو هو المغفرة وقد فرق بينهما بان العفو ترك العقاب
على الذنب والمغفرة تغطية الذنب بايجاب المثوبة ولذلك كثرت المغفرة في صفات الله دون صفات العباد فلا يقال استغفر
السلطان كما يقال استغفر الله • المعنى ثم افيضوا من حيث افاض الناس قيل فيه قولان احدهما ان المراد به الافاضة من عرفات
وانه امر لقريش وحلفائها وهم الحمس لانهم كانوا لا يقفون مع الناس بعرفة ولا يفيضون منها ويقولون نحن اهل حرم الله
فلا نخرج منه وكانوا يقفون بالمزدلفة ويفيضون منها فامرهم الله بالوقوف بعرفة والافاضة منها كما يفيض الناس والمراد
بالناس سائر العرب عن ابن عباس وعائشة وعطا ومجاهد والحسن وقتادة وهو المروي عن الباقر ع وقال الضحاك انه امر
لجميع الحاج ان يفيضوا من حيث افاض ابراهيم ع عن الضحاك لانه لما كان ابراهيم اماما كان بمنزلة الامة فسماه وحده ناسا
والثاني ان المراد به الافاضة من المزدلفة الى منى يوم النحر قبل طلوع الشمس للرمي والنحر عن الجبائي قال والآية
تدل عليه لانه قال فاذا افضتم من عرفات ثم قال ثم افيضوا فوجب ان يكون افاضة ثانية فدل ذلك على ان الافاضتين
واجبتان والناس المراد به ابراهيم عليه السلام كما انه في قوله الذين قال لهم الناس انه نعيم بن مسعود الاشجعي وقيل ان الناس هم ابراهيم
واسمعيل واسحاق عليهم السلام ومن بعدهم من الانبياء عن ابي عبد الله عليه السلام ومما يسأل على القول الاول ان يقال اذا كان ثم
للترتيب فما معنى الترتيب هاهنا وقد روى اصحابنا في جواب ان هاهنا تقديما وتأخيرا وتقديره ليس عليكم جناح ان
تبتغوا فضلا من ربكم ثم افيضوا من حيث افاض الناس فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واستغفروا الله ان الله
غفور رحيم وقيل ان الناس آدم ع عن سعيد بن جبير والزهري وقيل هم اهل اليمن وربيعة عن الكلبي وقيل هم
العلماء الذين يعلمون الدين ويعلمونه الناس واستغفروا الله اي اطلبوا المغفرة منه بالندم على ما سلف من المعاصي
ان الله غفور اي كثير المغفرة رحيم واسع المغفرة قوله تعالى فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم او اشد ذكرا
فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق • اللغة اصل القضاء فصل الامر على احكام
وقد يفصل بالفراغ منه كقضاء المناسك وقد يفصل بان يعمل على تمام كقوله فقضاهن سبع سموات وقد يفصل
بالاخبار على القطع كقوله وقضينا الى بني اسرائيل وقد يفصل بالحكم كقضاء القاضي على وجه الالزام والخلاق
النصيب من الخير واصله التقدير فهو النصيب من الخير على وجه الاستحقاق وقيل انه من الخلق فهو نصيب مما يوجبه الخلق
الاعراب اشد في موضع جر ولكنه لا ينصرف لانه على وزن افعل وهو صفة ويجوز ان يكون منصوبا على المصدر
على واذكروه اشد ذكرا فذكرا منصوب على التمييز في الآخرة الجار والمجرور يتعلق بما يتعلق به اللام في قوله له في موضع
الخبر للمبتداء الذي هو من خلاق وقوله من غير تعلق والجار والمجرور في موضع رفع بالابتداء ويجوز ان يكون في الآخرة في
موضع نصب على الحال والعامل فيه ما في له من معنى الفعل • المعنى فاذا قضيتم مناسككم معناه فاذا اديتم مناسككم وقيل اذا
فرغتم من مناسككم والمناسك جمع منسك والمنسك يجوز ان يكون موضع النسك ويجوز ان يكون مصدرا فان كان
موضعا فالمعنى فاذا قضيتم ما وجب عليكم ايقاعه في متعبداتكم واذا كان بمعنى المصدر فانما جمع لانه يشتمل على افعال
واذكار فجاز جمعه كالاصوات اي فاذا قضيتم افعال الحج فاذكروا الله واختلف في الذكر على قولين احدهما ان المراد
التكبير المختص بايام منى لانه الذكر المرغب فيه المندوب اليه في هذه الايام والآخر ان المراد به سائر الادعية في تلك

١٠٧

اصلاح

المواطن لان الله قد فيها افضل منه في غيرها كذكركم اباءكم معناه ما روى عن ابي جعفر الباقر عليه السلام انهم كانوا اذا فرغوا من
الحج يجتمعون هناك ويعدون مفاخر اباءهم وماثرهم ويذكرون ايامهم القديمة واياديهم الجسيمة فامرهم الله سبحانه
ان يذكروه مكان ذكرهم اباءهم في هذا الموضع او اشد ذكرا او يزيدوا على ذلك بان يذكروا نعم الله سبحانه ويعدوا الاءه
ويشكروا نعماءه وان كانت لهم على ابائهم ايادي فنعم الله سبحانه عليهم اعظم واياديه عندهم افخم ولانه سبحانه المنعم
بتلك المآثر والمفاخر على ابائهم وعليهم وهذا هو الوجه في تشبيه هذا الذكر الواجب بذلك الذكر الذي هو دونه وفي رواية
وهو قول الحسن وقتادة وقيل معناه فاستغيثوا بالله وافزعوا اليه كما يفزع الطفل الى ابيه في جميع اموره ويلهج بذكره فيقول يا ابه
عن عطا والاول اصح وقوله فمن الناس من يقول ربنا اتنا في الدنيا بين سبحانه ان الناس في تلك المواضع اصناف فمنهم من يسأل
نعيم الدنيا ولا يسأل نعيم الاخرة لانه غير مؤمن بالبعث والنشور وما له في الاخرة من خلاق اي نصيب من الخير الموعود قوله تعالى
ومنهم من يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار • اللغة الفرق بين القول والكلام ان
القول يدل على الحكاية وليس كذلك الكلام نحو قال الحمد لله فاذا اخبرت عنه بالكلام قلت تكلم بالحق والحكاية على ثلثة اوجه
احدها حكاية عن اللفظ والمعنى نحو قال الوقف افرغ عليه قطرا اذ حكاه من يعرف لفظه ومعناه وحكاية على اللفظ
نحو ما اذا حكاه من يعرف لفظه دون معناه وحكاية على المعنى نحو ان يقال تكلم بما يتعلق له قطرا والايتاء الاعطاء واصل الاية
نحو المجيء فانه اذا كان من المجيء فيقال اتاه ما يحب وان عني به ما يجب في اصل الرد وقي يقي وقاية والوقاء
اصله الحجز بين الشيئين والوقاء الحاجز الذي يسلم به من الضرر المعنى لما ذكر سبحانه دعاء من سأل الرد من امور الدنيا في تلك
المواقف الشريفة على الاطلاق نصيب عقبه بما يسأل المؤمنون من الثناء الذي رغب فيه فقال ومنهم من يقول ربنا اتنا اي
اعطنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة اي نعيم الدنيا ونعيم الاخرة عن انس وقتادة وروي عن ابي عبد الله عليه السلام انها السعة
في الرزق والمعاش وحسن الخلق في الدنيا ورضوان الله والجنة في الاخرة وقيل العلم والعبادة في الدنيا والجنة في الاخرة
عن الحسن وقتادة وقيل هي المال في الدنيا وفي الاخرة الجنة عن ابن زيد والسدي وقيل هي المرأة الصالحة في الدنيا
وفي الاخرة الجنة عن علي عليه السلام وروي عن النبي صلعم انه قال من اوتي قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا وزوجة مؤمنة
تعينه على امر دنياه واخرته فقد اوتي في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة ووقي عذاب النار قوله تعالى اولئك لهم
نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب • اللغة النصيب الحظ وجمعه انصباء وانصبة وقال النصيب الجزء الذي
يختص به البعض من خير او شر والكسب الفعل الذي يجتلب به نفع او يدفع به ضرر والسريع من الجهات العمل القليل
المدة يقال سرع سرعة فهو سريع وابطأ فلان في سرعان قومه اي في اوائلهم المتقدمين والحساب مصدر كالمحاسبة
المعنى اولئك لهم نصيب مما كسبوا اي حظ من كسبهم باستحقاقهم الثواب عليه والله سريع الحساب ذكر فيه
وجوه احدها ان معناه سريع المجازاة للعباد على اعمالهم وان وقت الجزاء قريب ويجري مجراه قوله سبحانه وما امر الساعة
الا كلمح البصر او هو اقرب وعبر عن الجزاء بالحساب لان الجزاء كفاء العمل وبمقداره فهو حساب له يقال احسبني الشيء
كفاني وثانيها ان يكون المراد به انه يحاسب اهل الموقف في اوقات يسيرة لا يشغله حساب احد عن حساب غيره كما لا
يشغله شأن عن شأن وورد في الخبر انه سبحانه يحاسب الخلائق كلهم في مقدار لمح البصر وروي بقدر حلب شاة
وهذا مما يدل على انه سبحانه ليس بجسم وانه لا يحتاج في فعل الكلام الى آلة لانه لو كان كذلك لما جاز ان يخاطب اثنين
في وقت واحد بمخاطبتين ولكان يشغله خطاب بعض الخلق عن خطاب غيره ولكانت مدة محاسبة الخلق على اعمالهم
طويلة وروي عن امير المؤمنين عليه السلام انه قال معناه انه يحاسب الخلق دفعة كما يرزقهم دفعة وثالثها ان معناه انه
سريع القبول لدعاء هؤلاء والاجابة لهم من غير احتباس فيه وبحث عن المقدار الذي يستحقه كل داع كما يحتبس المخلوق
للاحصاء والاحتساب ويقرب منه ما روي عن ابن عباس انه قال يريد انه لا حساب على هؤلاء انما يعطون كتبهم

بايمانهم فيقال لهم هذه سيئاتكم قد تجاوزنا عنها وهذه حسناتكم قد ضعفتها لكم قوله تعالى واذكروا الله في ايام معدودات فمن
تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تأخر فلا اثم عليه لمن اتقى واتقوا الله واعلموا انكم اليه تحشرون • اللغة المعدود
يستعمل كثيرا في اللغة للشيء القليل وكل عدد قليل او كثير فهو معدود ولكن معدودات دال على القلة لان كل قليل يجمع بالالف
والتاء والحشر جمع القوم من كل ناحية الى مكان والمحشر المكان الذي يحشرون فيه وحشرتهم السنة اذا اجحفت بهم لانها
تضمهم من النواحي الى الامصار وسهم حشر خفيف لطيف لانضمام اجزائه واذن حشرة لطيفة وحشرات الارض دوابها الصغار
لاجتماعها من كل ناحية فاصل الباب الاجتماع الاعراب العامل في اللام في قوله لمن اتقى فيه قولان احدهما ان تقديره ذلك
لمن اتقى فيكون الجار والمجرور في موضع خبر المبتدا وانما حذف ذلك لان الكلام الاول دل عليه فهو العامل والثاني ان
يكون العامل فيه معنى لا اثم عليه لانه قد تضمن معنى جعلناه لمن اتقى المعنى واذكروا الله في ايام معدودات هذا امر
من الله تعالى للمكلفين ان يذكروه في ايام معدودات وهي ايام التشريق ثلثة ايام بعد النحر والايام المعلومات عشر ذي
الحجة عن ابن عباس والحسن واكثر اهل العلم وهو المروي عن ائمتنا عليهم السلام وذكر الفراء ان المعلومات ايام التشريق والمعدودات
العشر والذكر المأمور به هو ان يقول عقيب خمس عشرة صلوة الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر الله اكبر ولله الحمد
الله اكبر على ما هدانا والحمد لله على ما اولانا والله اكبر على ما رزقنا من بهيمة الانعام واول التكبير عندنا عقيب الظهر من يوم النحر
واخره عقيب صلوة الفجر من يوم الرابع من النحر هذا لمن كان بمنى ومن كان بغيرها من الامصار يكبر عقيب عشر صلوات
اولها صلوة الظهر يوم النحر وهو المروي عن الصادق عليه السلام وفي ذلك اختلاف بين الفقهاء ووافقنا في ابتداء
التكبير من صلوة الظهر يوم النحر ابن عباس وابن عمر وقوله فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تأخر فلا اثم عليه المعنى في ذلك
الرخصة فيجوز ان ينفر في اليوم الثاني من التشريق والافضل ان يقيم الى النفر الاخير وهو الثالث من التشريق واذا نفر
في الاول نفر بعد الزوال الى غروب الشمس فاذا غربت فليس له ان ينفر الى اليوم الثالث وقوله فلا اثم عليه فيه قولان
احدهما ان معناه لا اثم عليه لان سيئاته صارت مكفرة بما كان من حجه المبرور وهو معنى قول ابن مسعود والثاني
ان معناه لا اثم عليه في التعجيل والتأخير وانما نفى الاثم لئلا يتوهم ان في التعجيل اثما وانما قال فلا اثم عليه في التأخير على جهة
المزاوجة كما يقال ان اعلنت الصدقة فحسن وان اسررت فحسن وان كان الاسرار احسن وافضل عن الحسن وقوله لمن اتقى فيه
قولان احدهما ان الحج يقع مبرورا مكفرا للسيئات اذا اتقى ما نهى الله عنه والاخر ما رواه اصحابنا ان قوله لمن اتقى
متعلق بالتعجيل في اليومين وتقديره فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه لمن اتقى الصيد الى انقضاء النفر الاخير وما بقي من احرامه
ومن لم يتقها فلا يجوز له النفر في الاول وهو المروي عن ابن عباس واختاره الفراء وقد روي ايضا عن ابي عبد الله عليه السلام
في قوله فمن تعجل في يومين اي من مات في هذين اليومين فقد كفر عنه كل ذنب ومن تأخر اي من انسئ اجله
فلا اثم عليه بعدهما اذا اتقى الكبائر وقوله واتقوا الله اي اجتنبوا معاصي الله واعلموا انكم اليه تحشرون اي تحققوا
انكم بعد موتكم تجمعون الى الموضع الذي يحكم الله فيه بينكم ويجازيكم على اعمالكم قوله تعالى ومن الناس من يعجبك
قوله في الحيوة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام • واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك
الحرث والنسل والله لا يحب الفساد • اللغة الاعجاب هو سرور المعجب بما يستحسن منه العجب النفس هو السرور
بما يستحسن من الشيء استحسانا او من ذلك اذا تعجبت من شيء حسنه يقول عجب يعجب وعجبه غيره واعجبه و
استعجب الرجل اذا اشتد تعجبه والاعجوبة الامر العجيب كانه شيء غريبا ما يوصف والالد الشديد الخصومة يقول لددت
تلد لدا ولددته الده اذا غلبته في الخصومة والالد في الحلق اذا اوجر في احد شقي فمه واللديدان جانبا الوادي
ولديدا كل شيء جانباه والالد الملتفت من حجته والخصام قيل انه جمع الخصم عن الزجاج وفعل اذا كان صفة
فانه يجمع على فعال نحو صعب وصعاب واذا كان اسما فانه يجمع في القلة على افعل وفي الكثرة على فعال نحو كعب

والزنج والفرخ وقيل الخصام مصدر كالمخاصمة عن الخليل والتولي هو الاعراض والتولي العمل للشيء الى خلاف جهته
وقوله سعى قد يكون بمعنى عمل وقد يكون بمعنى اسرع في المشي وسعى لكنه سعى غير هو كلا فليس فضرهت وهاوى لها
اى عمل لكنه والافساد هو عمل الضرر بغير استحقاق ولا وجه من وجوه المصلحة والاهلاك العمل الذي ينفي الانتفاع
والحرث الزرع والنسل العقب من الولد وقيل الحرث كالنبات والنسل كل ذات روح يقال نسل ينسل نسلا
ونسولا اذا خرج فسقط ومنه نسل وبر البعير وريش الطائر والناس نسل آدم لخروجهم من ظهره واصل الباب السقوط
الخروج الاعراب ليفسد فيها نصب باضمار ان ويجوز اظهارها بان يقال لان يفسد ولا يجوز اظهارها في قوله
وما كان الله ليذر المؤمنين والفرق بينهما ان اللام في ليفسد على اصل الاضافة في الكلام واللام في ليذر لتأكيد
النفي كما دخلت الباء في ليس زيد بقائم النزول قال ابن عباس نزلت الآيات الثلاث في المرائي لانه يظهر خلاف ما يبطن
وهو المروي عن الصادق عليه السلام الا انه في المعنى وقال الحسن نزلت في المنافقين وقال السدي نزلت في الاخنس
بن شريق وكان يظهر الجميل للنبي صلعم والمحبة له والرغبة في دينه ويبطن خلاف ذلك المعنى ثم بين سبحانه حال المنافق
بعد ذكر احوال المؤمنين والكافرين فقال ومن الناس من يعجبك قوله اي يستحسن كلامه ايها السامع ويعظم موقعه
من قلبك في الحياة الدنيا اي يقول امنت بك وانا لك صاحب ونحو ذلك ويشهد الله على ما في قلبه اي يحلف بالله
ويشهد على انه مضمر ما يقول فيقول اللهم اشهد علي به وضميره على خلافه وهو الد الخصام اي وهو اشد المخاصمين
خصومة وقيل ان الخصام مصدر ومعناه شديد الخصومة عند المخاصمة بالباطل واذا تولى اي اعرض
عن الحق وقيل معناه ملك الامر وصار واليا عن الضحاك ومعناه اذا ولي سلطانا جار وقيل ولى عن قوله الذي
اعطاه عن ابن جريج سعى في الارض اي اسرع في المشي من عندك وقيل عمل في الارض ليفسد فيها قيل ليقطع الرحم
ويسفك الدماء عن ابن جريج وقيل ليظهر الفساد ويعمل بالمعاصي ويهلك الحرث والنسل اي النبات والاولاد
وذكر الازهري ان الحرث النساء والنسل الاولاد لقوله تعالى نساؤكم حرث لكم وروي عن الصادق عليه السلام
في هذا الموضع الحرث الدين والنسل الناس والله لا يحب الفساد اي العمل بالفساد وقيل اهل الفساد وفيه دلالة على
بطلان قول المجبرة ان الله سبحانه يريد القبائح لانه سبحانه نفى عن نفسه محبة الفساد والمحبة هي الارادة لان كل
ما احب الله ان يكون فقد اراد ان يكون وما لا يحب ان يكون لا يريد ان يكون قوله تعالى واذا قيل له اتق الله
اخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد • اللغة الاتقاء طلب السلامة بما يحجز من المخافة والاتقاء
انما هو اتقاء بالبر والاخذ ضد الاعطاء والعزة القوة التي يمتنع بها من الذلة والمهاد الوطاء من كل شيء ووطأته
فقد مهدته والارض مهاد للاحياء لوطئه للنوم والقيام عليه المعنى ثم بين الله سبحانه صفة من تقدم من المنافقين
فقال واذا قيل له اتق الله اي واذا قيل لهذا المنافق اتق الله فيما نهاك عنه من السعي في الارض بالفساد واهلاك
الحرث والنسل اخذته العزة بالاثم قيل في معناه قولان احدهما حملته العزة وحمية الجاهلية على فعل الاثم
ودعته اليه كما يقال اخذته بكذا اي الزمته ذلك واخذته الحمى اي لزمته والثاني اخذته العزة من اجل الاثم
الذي في قلبه من الكفر عن الحسن فحسبه جهنم اي فكفاه عقوبة من ضلاله ان يصلى نار جهنم ولبئس المهاد اي القرار
عن الحسن كما قال في موضع آخر وبئس القرار لان القرار كالوطاء في الثبوت عليه وقيل انما سميت جهنم مهادا لانها بدل
من المهاد كما قال سبحانه فبشرهم بعذاب اليم لانه موضع البشرى بالنعيم على جهة البدل منه وفي هذه الآية دلالة
على ان من نكص عن قبول الحق اذا دعي اليه كان مرتكبا اعظم كبيرة ولذلك قال ابن مسعود ان من الذنوب التي لا
تغفر ان يقال للرجل اتق الله فيقول عليك نفسك قوله تعالى ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤف
بالعباد • اللغة الشراء من الاضداد يقال شرى اذا باع وشرى اذا اشترى وقوله وشروه بثمن بخس

اى باعوه

اى باعوه والمرضات والرضا ضد السخط وقد تقدم معنى الرؤف الاعراب ابتغاء نصب لانه مفعول له كقول الشاعر
واغفر عوراء الكريم ادخاره واعرض عن شتم اللئيم تكرما النزول روى السدي عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية في علي
بن ابي طالب عليه السلام حين هرب النبي صلعم من المشركين الى الغار ونام علي بن ابي طالب عليه السلام على فراش النبي صلعم ونزلت
الآية بين مكة والمدينة وروي انه لما نام على فراشه قام جبرئيل عند رأسه وميكائيل عند رجليه وجبرئيل ينادي بخ
بخ من مثلك يا ابن ابي طالب يباهي الله تعالى بك الملائكة وقال عكرمة نزلت في ابي ذر الغفاري جندب بن السكن
وصهيب بن سنان لان اهل ابي ذر اخذوا ابا ذر فانفلت منهم فقدم على النبي صلعم فلما رجع مهاجرا اعرضوا عنه
فانفلت حتى نزل على النبي واما صهيب فانه اخذه المشركون من اهله فافتدى منهم بماله ثم خرج مهاجرا وروي عن علي ع
وابن عباس ان المراد بالآية الرجل يقتل على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقال قتادة نزلت في المهاجرين والانصار
وقال الحسن هي عامة في كل مجاهد في سبيل الله المعنى ثم عاد سبحانه الى وصف المؤمن الآمر بالمعروف في قوله واذا قيل له اتق
الله لان هذا القائل آمر بالحق والمعروف فقال ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله اي لابتغاء مرضاة الله
وانما اطلق عليه اسم البيع لانه انما فعل ما فعل لطلب رضاء الله كما ان البائع يطلب الثمن بالبيع والله رؤف بالعباد عظيم
الرحمة لعبيده بما لطف لهم وجازاهم على ما فعلوه من مرضاته قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا
تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين • القراءة قرأ اهل الحجاز والكسائي السلم بفتح السين والباقون
بكسرها قال الاخفش السلم بكسر السين الصلح وفيه ثلاث لغات السلم والسلم والسلم وانشد انابل انى سلم
لاهلك فاقبلي سلمي قال ابو عبيدة السلم بكسر السين والاسلام واحد وهو في موضع الصلح والمسالمة والسلم
الاستسلام ومنه قوله ورجلا سلما لرجل اي مستسلما له منقادا لما يريد منه ويكون مصدرا يوصف به ويحتمل ايضا ان يكون
فعلا بمعنى فاعل مثل بطل وحسن وقطيع يابس وسط وسط اللغة كافة معناه جميعا واشتقاقه في اللغة
مما يكف الشيء في آخره ومن ذلك كفة القميص لحاشيته لانها تمنعه من ان ينتشر وكل مستطيل فحرفه كفة ويقال في كل مستدير
كفة نحو كفة الميزان واستكف السائل وتكفف اذا بسط كفه للسؤال وكل شيء جمعته فقد كففته واستكف القوم بالشيء
اذا احدقوا به الاعراب وكافة منصوب على الحال من الواو في ادخلوا وقيل هي حال من السلم ولكم تعلق بعدو وفي
فهو في موضع نصب على الحال من عدو المعنى لما قدم سبحانه ذكر الفرق الثلاث من العباد دعا جميعهم الى الطاعة و
الانقياد فقال يا ايها الذين آمنوا اي صدقوا الله ورسوله ادخلوا في السلم اي في الاسلام اي دوموا فيما دخلتم فيه
كقوله يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله عن ابن عباس والسدي والضحاك ومجاهد وقيل معناه ادخلوا في الطاعة
عن الربيع وهو اختيار البلخي والكلام يحتمل الامرين وحملها على الطاعة اعم ويدخل فيه ما رواه اصحابنا من ان المراد
به الدخول في الولاية كافة اي جميعا اي ادخلوا جميعا في الاسلام والطاعة والاستسلام وقيل معناه ادخلوا في السلم
كله اي في جميع شرائع الاسلام ولا تتركوا بعضه ويؤيد هذا القول ما روي ان قوما من اليهود اسلموا وسألوا النبي
ان يبقي عليهم تحريم السبت وتحريم لحم الابل فامرهم ان يلتزموا جميع احكام الاسلام ولا تتبعوا خطوات الشيطان اي آثاره
ونزغاته لا تتركوا شيئا من شرائع الاسلام اتباعا للشيطان انه لكم عدو مبين اي مظهر للعداوة بامتناعه من السجود لآدم
وبقوله لاحتنكن ذريته الا قليلا قوله تعالى فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا ان الله عزيز حكيم •
اللغة زل الرجل يزل زللا وزلولا اذا ذهب ونزل في الطريق زليلا واصله من الزوال ومعنى الزلة
الزوال عن الاستقامة والعزيز هو القدير المنيع الذي لا يعجزه شيء واصل العزة الامتناع ومنه ارض عزاز اذا كانت
ممتنعة بالشدة وقد ذكرنا معنى الحكيم فيما سبق الاعراب ما حرف موصول جاءتكم صلته واعلموا الجملة في محل الرفع
لانها هنا الفاء في جواب الشرط والفاء مع الجملة في محل الجزم محل الرفع لانه جواب شرط المعنى

لما امر سبحانه عباده بالطاعة عقبه بالوعيد على تركها فقال فان زللتم اى تنحيتم عن القصد وعدلتم عن الطريق
القويم الذى امركم الله سبحانه بسلوكه من بعد ما جاءتكم البينات اى الحجج والمعجزات فاعلموا ان الله سبحانه عزيز
حكيم فاعلموا ان الله سبحانه عزيز فى نقمته لا يمتنع شىء من بطشه وعقوبته حكيم فيما شرع من احكام دينه لكم
وفيما يفعله بكم من العقاب على معاصيكم بعد اقامة الحجة عليكم قوله تعالى هل ينظرون الا ان يأتيهم الله فى ظلل من الغمام
والملائكة وقضى الامر والى الله ترجع الامور آية القراءة قرأ ابو جعفر والملائكة بالجر والباقون بالرفع وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى
ترجع الامور بفتح التاء والباقون بضمها الحجة من قرأ والملائكة بالجر فانه عطفها على الغمام اى فى ظلل من الغمام
وفى ظلل من الملائكة اى جماعة من الملائكة وقرأ السبعة بالرفع عطفا على قوله الله اى الا ان يأتيهم الله وان يأتيهم الملائكة
وحجة من قرأ ترجع الامور على بناء الفعل للمفعول به قوله ثم ردوا الى الله ولئن رددت الى ربى ولئن رجعت الى ربى وحجة
من قرأ ترجع على بناء الفعل للفاعل قوله الا الى الله تصير الامور اليه مرجعكم اللغة النظر هنا بمعنى الانتظار كقول
الشاعر فبينا نحن ننظره اتانا معلق شكوة وزناد راع اى ننتظره واصل النظر الطلب لادراك الشىء فاذا استعمل بمعنى الانتظار
فلان المنتظر يطلب ادراك ما يتوقع واذا كان بمعنى الفكر فالقلب فلان المتفكر يطلب به المعرفة واذا كان بالعين فلان
الناظر يطلب رؤية المرئى والظلل جمع ظلة وهى ما يستظل به من الشمس وسمى السحاب ظلة لانه يستظل به والغمام
السحاب الابيض الرقيق سمى بذلك لانه يغم اى يستر الاعراب هل حرف استفهام بمعنى النفى الا هنا لنقض النفى
ان يأتيهم الله فى موضع نصب بينظرون من الغمام يتعلق بمحذوف وهو جار وظرف فى موضع جر صفة لظلل المعنى ثم عقب
ما تقدم من الوعيد بوعيد آخر فقال هل ينظرون الا ان يأتيهم الله فى ظلل من الغمام اى هل ينتظر هؤلاء الكفار بآيات
الا ان يأتيهم امر الله او عذاب الله وما توعدهم به على معصيته فى ستر من السحاب وقيل قطع من السحاب وهذا كما يقال قتل
الامير فلانا وضربه واعطاه وان لم يتول شيئا من ذلك بنفسه بل فعل بامره فاسند اليه لامره به وقيل معناه ما ينظرون الا
ان يأتيهم جلائل آيات الله غير انه ذكر نفسه تفخيما للآيات كما يقال دخل الامير البلد ويراد بذلك جنده وانما ذكر الغمام
ليكون اهول فان الاهوال تشبه بظلل من الغمام كما قال سبحانه واذا غشيهم موج كالظلل وقال الزجاج معناه ان يأتيهم
الله بما وعدهم من العذاب والحساب كما قال فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا اى اتاهم خذلانه اياهم وهذه الاقوال
متقاربة المعنى والمعنى فى الجميع واحد اى هل ينظرون الا يوم القيمة وهذا استفهام يراد به النفى والانكار اى لا
ينتظرون كما يقال هل يطالب بمثل هذا الا متعنت اى ما يطالب بمثله الا متعنت وفى التنزيل هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة
او يأتى امر ربك وقد قيل ان فى بمعنى الباء وجاء فيما بعد المجىء او الذهاب يقولون اتانى وعيد فلان وجاءنى كلام فلان
ولم يأت حديثه ولا يراد به الاتيان الحقيقى قال النابغة اتانى [illegible] حين جاءنى حديث باعلى القنتين عجيب وقال الآخر
اتانى نصرهم وهم بعيد بلادهم بارض الخيزران فاما قوله والملائكة فقد ذكرنا الوجه فيه وجه قد قيل
معنى الآية الا ان يأتيهم الله بظلل من الغمام اى بجلائل آيات الله والملائكة وقوله وقضى الامر معناه فرغ من الامر وهو
المحاسبة فانزال اهل الجنة فى الجنة واهل النار فى النار وهذا فى الآخرة وقيل معناه وجب العذاب وقيل
الاستيصال وهذا فى الدنيا والى الله ترجع الامور اى اليه ترد الامور فى سؤاله عنها ومجازاته عليها وكانت الامور
كلها له فى الابتداء فملك بعضها غيره ثم يصير كلها اليه فى الحشر لا يملك احد هناك شيئا وقيل اليه ترجع الامور فى الدنيا
والآخرة قوله تعالى سل بنى اسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فان الله شديد العقاب
آية الاعراب كم فى موضع نصب لانه مفعول ثان لآتينا وانما وجب له صدر الكلام لتضمنه معنى الاستفهام ثم
ان هذه الجملة التى هى كم آتيناهم من آية وقعت موقع المفعول الثانى لقوله سل ومن آية يتعلق بآتينا ايضا
ما حرف موصول جاءته صلته والموصول والصلة فى موضع جر باضافة بعد اليه اللغة سل يا محمد

بنى اسرائيل اى اولاد يعقوب وهم اليهود الذين كانوا حول المدينة والمراد علماؤهم وهو سؤال تقرير لتأكيد الحجة عليهم كم آتيناهم
اى اعطيناهم من آية بينة من حجة واضحة ظاهرة مثل اليد البيضاء وقلب العصا حية وفلق البحر وتظليل الغمام عليهم
وانزال المن والسلوى عن الحسن ومجاهد وقيل كم من حجة واضحة لمحمد صلى الله عليه وآله تدل على صدقه عن الجبائى ومن يبدل نعمة الله من
بعد ما جاءته فى الكلام حذف وتقديره فبدلوا نعمة الله وكفروا بآياته وخالفوا فضلوا واضلوا ومن يبدل الشكر
عليها بالكفران وقيل من يصرف دلالة الله تعالى عن وجوهها بالتأويلات الفاسدة الخالية عن البرهان فان الله شديد
العقاب له وقيل شديد العقاب لمن عصاه فيدخل فيه هذا المذكور وفى الآية دلالة على فساد قول المجبرة ان
ليس لله سبحانه على الكافرين نعمة لانه حكم عليهم بتبديل نعم الله كما قال فى موضع آخر يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها ويدل على
ذلك من وجه آخر وهو انه اضاف التبديل اليهم واوعدهم عليه العقوبة فلو لم يكن فعلهم لما استحقوا العقوبة
التبديل هو ان يحرفوا ويكتموا او يتأولوا على خلاف جهته كما فعلوا فى التورية والانجيل وكما فعله مبتدعة الامة فى القرآن
النظم لما بين سبحانه الشرائع وان الناس فيها ثلث فرق مؤمن وكافر ومنافق ثم وعد واوعد بين بعد ذلك ان تركهم
الايمان ليس بتقصير فى الحجج ولكن لسوء طباعهم وخبث افعالهم فقد فعل امثالهم مثل هذا الصنيع فقال سل بنى
اسرائيل قوله تعالى زين للذين كفروا الحيوة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة
والله يرزق من يشاء بغير حساب آية اللغة التزيين والتحسين واحد وزين خلاف شين والتزيين اجمع
لكل ما يتبين به الاعراب الدنيا صفة الحيوة بغير حساب جار ومجرور ومع الجار والمجرور فى محل النصب على الحال
والعامل فيه يرزق وذو الحال الضمير فى يرزق او الموصول الذى هو من يشاء وتقديره غير محاسب او غير محاسب
النزول نزلت الآية فى ابى جهل وغيره من رؤساء قريش بسطت لهم الدنيا وكانوا يسخرون من قوم من المؤمنين
فقراء مثل عبد الله بن مسعود وعمار وبلال وخباب ويقولون لو كان محمد نبيا لاتبعه اشرافنا عن ابن عباس
وقيل نزلت فى عبد الله بن ابى واصحابه يسخرون من ضعفاء المؤمنين عن مقاتل وقيل نزلت فى رؤساء اليهود من بنى قريظة
والنضير وقينقاع سخروا من فقراء المهاجرين عن عطاء ولا مانع من نزوله فى جميعهم المعنى ثم بين سبحانه ان عدولهم
عن الايمان انما هو لايثارهم الحيوة الدنيا فقال زين للذين كفروا الحيوة الدنيا فيه قولان احدهما ان الشيطان
زينها لهم بان قوى دواعيهم وحسن فعل القبيح والاخلال بالواجب اليهم فاما سبحانه فلا يجوز ان يكون مزينا لهم
اياها لانه زهدهم فيها واعلمهم انها متاع الغرور وقال قل متاع الدنيا قليل عن الحسن والجبائى والآخر ان الله سبحانه زينها
لهم بان خلق فيها الاشياء المعجبة المحبوبة وبما خلق لهم من الشهوة لها كما قال زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين
الآية وانما كان كذلك لانه لا تكليف لا يتم الا مع الشهوة فان الانسان انما يكلف بان يدعى الى شىء تنفر عنه نفسه
او يزجر عن شىء تتوق نفسه اليه وهذا معنى قول النبى صلعم حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وانما ذكر
الفعل وهو مسند الى الحيوة لان تأنيث الحيوة غير حقيقى وهو بمعنى العيش والبقاء ونحوهما او لانه فصل بين الفعل
والفاعل بقوله للذين كفروا واذا قالوا فى التأنيث الحقيقى حضر القاضى اليوم امرأة وجوزوا التذكير فيه فهو
فى التأنيث غير الحقيقى اجود ويسخرون من الذين آمنوا اى ويهزؤن من المؤمنين لفقرهم وقيل لايمانهم بالبعث وجدهم
فى ذلك وقيل لزهدهم فى الدنيا ويمكن الحمل على الجميع اذ لا تنافى بين هذه الاقوال والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة
اى الذين اجتنبوا الكفر فوق الكفار فى الدرجات وقيل المراد ان تنعمهم بنعيم الآخرة اكثر من استمتاع هؤلاء
بنعيم الدنيا وقيل المراد ان حالهم فى الآخرة فوق حال هؤلاء الكفار لانهم فى عليين وهؤلاء فى سجين وهذا
كقوله اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا ومثله قول حسان يعنى رسول الله صلعم وابا جهل فشركما لخيركما الفداء
وقيل ان المراد ان حال المؤمنين فى الهزء بالكفار والضحك منهم فى الآخرة فوق حال هؤلاء فى الدنيا

وبين على ذلك بقوله سبحانه إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون إلى قوله فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون
والله يرزق من يشاء بغير حساب قيل فيه أقوال أحدها أنه يعطيهم الكثير الواسع الذي لا يدخله الحساب من كثرته وثانيها
أنه لا يرزق الناس في الدنيا على مقابلة أعمالهم وإيمانهم وكفرهم فلا يدل بسط الرزق للكافرين على منزلتهم عند الله وإن
قلنا إن المراد به في الآخرة فمعناه أن الله لا يثيب المؤمنين في الآخرة على قدر أعمالهم التي سلفت منهم بل يزيدهم تفضلا وثالثها
أنه يعطيه عطاء لا يأخذه بالشيء ولا يسأله عنه سائل ولا يطلب عليه جزاء ولا مكافاة ورابعها أنه يعطي العدد
من الشيء لا يضبط بالحساب ولا يأتي عليه العدد لأن ما يقدر عليه غير متناه ولا محصور فهو يعطي الشيء لا من عدد أكثر منه
فينقص منه كمن يعطي الألف من الألفين والعشرة من المائتين عن قطرب وخامسها أن معناه يعطي أهل الجنة ما لا يتناهى ولا يأتي
عليه الحساب وكل هذه الوجوه جائز حسن قوله تعالى كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل
معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ❊ القراءة
قرأ أبو جعفر القاري وحده ليحكم بضم الياء وفتح الكاف والباقون بفتح الياء وضم الكاف الحجة وجه القراءة الظاهر
أن الكتاب يحكم ويكون على التوسع كقوله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق ويجوز أن يكون فاعل يحكم الله أي يحكم الله
في عباده ووجه قراءة أبي جعفر ظاهر اللغة الأمة على وجوه ذكرناها عند قوله تلك أمة قد خلت لها ما كسبت وهي ههنا
الملة والدين الإعراب مبشرين ومنذرين نصب على الحال بالحق في موضع الحال والعامل فيه أنزل وذو الحال الكتاب ليحكم
جار ومجرور واللام يتعلق بأنزل وبغيا بينهم نصب على أنه مفعول له أي لم يوقعوا الاختلاف إلا للبغي ويجوز أن يكون مصدرا
وقع موقع الحال وما اسم موصول واختلفوا صلته واللام يتعلق بهدى ومن الحق في موضع الحال من الموصول والعامل فيه هدى
والباء في بإذنه يتعلق بهدى أيضا المعنى ثم بين سبحانه أحوال من تقدم من الكفار تسلية للنبي صلى الله عليه وآله فقال كان الناس أمة واحدة
أي ذوي أمة واحدة أي أهل ملة واحدة وعلى دين واحد فحذف المضاف واختلف في أنهم على أي دين كانوا فقال قوم إنهم
كانوا على الكفر وهو المروي عن ابن عباس في إحدى الروايتين والحسن واختاره الجبائي ثم اختلفوا في أي وقت كانوا
كفارا فقال الحسن كانوا كفارا بين آدم ونوح وقال بعضهم كانوا كفارا بعد نوح إلى أن بعث الله إبراهيم والنبيين بعده
وقال بعضهم كانوا كفارا عند مبعث كل نبي وهذا غير صحيح لأن الله تعالى بعث كثيرا من الأنبياء إلى المؤمنين فإن قيل كيف
يجوز أن يكون الناس كلهم كفارا والله سبحانه لا يجوز أن يخلي الأرض من حجة له على خلقه قلنا يجوز أن يكون الحجة هناك
في واحد أو جماعة قليلة لم يمكنهم إظهار الدين خوفا وتقية فلم يعتد بهم إذ كانت الغلبة للكفار وقال آخرون إنهم كانوا
على الحق وهو المروي عن قتادة ومجاهد وعكرمة والضحاك وابن عباس في الرواية الأخرى ثم اختلفوا فقال ابن عباس وقتادة
إنهم كانوا بين آدم ونوح وهم عشر قرون كانوا على شريعة من الحق فاختلفوا بعد ذلك وقال الواقدي والكلبي هم أهل
سفينة نوح حين غرق الله الخلق ثم اختلفوا بعد ذلك والتقدير على قول هؤلاء كان الناس أمة واحدة فاختلفوا فبعث
الله النبيين وقال مجاهد المراد به آدم كان على الحق إماما لذريته فبعث الله النبيين في ولده وروى أصحابنا عن أبي جعفر
الباقر عليه السلام أنه قال كانوا قبل نوح أمة واحدة على فطرة الله لا مهتدين ولا ضلالا فبعث الله النبيين وعلى هذا فالمعنى أنهم
كانوا متعبدين بما في عقولهم غير مهتدين إلى نبوة ولا شريعة ثم بعث الله النبيين بالشرائع لما علم أن مصالحهم فيها فبعث
أي أرسل الله النبيين مبشرين لمن أطاعهم بالجنة ومنذرين لمن عصاهم بالنار وأنزل معهم الكتاب أي أنزل مع كل واحد
منهم الكتاب وقيل معناه وأنزل مع بعثهم الكتاب لأن الأنبياء لم يكونوا ممن ينزل عليهم الكتاب كلهم وإن جمع بعضهم لأنه
لم ينزل مع كل نبي كتاب وقيل المراد به الكتب لأن الكتاب اسم الجنس فمعناه الجمع وقوله بالحق أي بالصدق والعدل وقيل
معناه وأنزل الكتاب بالحق وأنه من عند الله تعالى وقيل معناه وأنزل الكتاب بما فيه من بيان الحق وقوله ليحكم بين الناس
الضمير في يحكم يرجع إلى الله أي ليحكم الله بينهم بالكتاب وقيل يرجع إلى الكتاب أي ليحكم الكتاب فأضاف الحكم إلى الكتاب

وإن كان الله

وإن كان الله هو الذي يحكم على الحقيقة تفخيما لأمر الكتاب فيما اختلفوا فيه من الحق قبل إنزال الكتاب من غير تعيين وهذا يقوي الدلالة
مخالفين في الحق فكيف يحمل على الكفر في قول من قال إنهم كانوا كلهم كفارا فمعناه إنه لا يمتنع أن يكونوا كفارا وبعضهم يكفر من جهة
الغلو وبعضهم من جهة التقصير كما كفرت اليهود والنصارى في المسيح فقالت النصارى هو رب وقالت اليهود هو كاذب وقوله
وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه معناه وما اختلف في الحق إلا الذين أعطوا العلم به كاليهود فإنهم كتموا صفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم
من بعد ما جاءتهم البينات أي الدلائل والحجج الواضحة وقيل التوراة والإنجيل وقيل معجزات محمد صلى الله عليه وآله بغيا
بينهم أي ظلما وحسدا وطلبا للرياسة وقوله فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه معناه فهدى الله الذين
آمنوا للحق مما اختلفوا فيه بعلمه والإذن بمعنى العلم مشهور في اللغة قال الحارث بن حلزة آذنتنا ببينها أسماء أي أعلمتنا
وإنما خص المؤمنين لأنهم اختصوا بالاهتداء وقيل إن معناه بلطفه فعلى هذا يكون في الكلام محذوف أي فاهتدوا
بإذنه وإنما قال هداهم لما اختلفوا فيه من الحق ولم يقل هداهم للحق فيما اختلفوا فيه لأنه لما كانت العناية بذكر الاختلاف
كان أولى بالتقديم فقدم ثم فسر بمن والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم قيل فيه أقوال أحدها أن المراد به البيان والدلالة
والصراط المستقيم هو الإسلام وخص به المكلفين دون غيرهم ممن لا يحتمل التكليف عن الجبائي وثانيها أن المراد به
يهديهم إلى طريق الجنة أي يأخذ بهم على طريقها فيكون مخصوصا بالمؤمنين قوله تعالى أم حسبتم أن تدخلوا الجنة
ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى
نصر الله ألا إن نصر الله قريب ❊ القراءة قرأ نافع وحده حتى يقول بالرفع والباقون بالنصب الحجة من نصب فالمعنى
وزلزلوا إلى أن قال الرسول وما ينتصب بعد حتى من الأفعال على ضربين أحدهما أن يكون بمعنى إلى كما في الآية والآخر أن يكون
بمعنى كي كما تقول أسلمت حتى أدخل الجنة فهذا تقديره أسلمت كي أدخل الجنة والإسلام قد كان والدخول لم يكن وفي الآية
الأول كان الفعلان السبب والمسبب قد مضى وأما من قرأ بالرفع فالفعل الواقع بعد حتى لا يكون إلا فعل حال ويجيء
أيضا على ضربين أحدهما أن يكون الفعل الأول الذي هو السبب قد مضى والفعل الثاني المسبب لم يمض كما تقول مرض حتى
لا يرجونه ويجيء الآية على هذا الوجه لأن المعنى زلزلوا فيما مضى حتى أن الرسول يقول الآن متى نصر الله و
حكيت الحال التي كانوا عليها كما حكيت الحال في قوله هذا من شيعته وهذا من عدوه والثاني أن يكون الفعلان
جميعا قد مضيا نحو سرت حتى أدخلها فالدخول متصل بالسير بلا فصل بينهما والحال محكية كما كانت في الوجه الأول
ألا ترى أن ما مضى لا يكون حالا وحتى إذا رفع الفعل بعدها حرف يستأنف الكلام بعدها وليست العاطفة ولا الجارة
وإذا نصب الفعل بعدها فهي الجارة وينتصب الفعل بعدها بإضمار أن كما ينتصب بعد اللام والفعل وأن المضمرة بعدها
في موضع جر بحتى ❊ اللغة الزلزلة شدة الحركة والزلزال البلية المزعجة لشدة الحركة والجمع زلازل وأصله من
قولك زل الشيء عن مكانه ضوعف لفظه بمضاعفة معناه نحو صر وصرصر وصل وصلصل فإذا قلت زلزلته فتأويله
كررت تحريكه عن مكانه ❊ الإعراب أم هذه هي المنقطعة معناه بل أحسبتم والفرق بين أم حسبتم وأحسبتم أن أم لا يكون إلا
متصلة بكلام والألف يكون مستأنفة أن تدخلوا موصول وصلة في موضع نصب بأنه مفعول حسبتم وقد سد
مسد مفعوليه وقيل مفعوله الثاني محذوف وتقديره أم حسبتم دخولكم الجنة ثابتا والجنة ظرف مكان لتدخلوا لما
أصلها لم زيد عليها ما فتغيرت معناها كما تغيرت معنى لو إذا قلت لوما فصيرت بمعنى هلا والفرق بين لم ولما أنه
يصح أن يوقف عليها مثل قولك في جواب من يقول أكرم الأمير قلت لما ولا يجوز أن يقول لم وفي لما توقع لأنها عبارة
إذا انتظر قوم ركوب الأمير قالت قد ركب فإن نفيت هذا قلت لما يركب وليس كذلك لم ويجمعهما نفي الماضي مثل
مرفوع فإنه صفة محذوف وتقديره موضع يأتي تقديره ولما يأتكم نصب مثل الذين أصاب الذين خلوا من قبلكم فإضافة مثل
غير حقيقية لأنه في تقدير الانفصال والمجرور في تقدير المنصوب لأنه مفعول ومستهم جملة نصب على الحال فالتقدير

ما والحال تقديره ان تدخلوا الجنة غير مصابين ومستهم البأساء في موضع الحال ايضا باضمار قد والعامل فيه حلوا
زلزلوا معطوف على مستهم ومتى نصر الله مبتدا وخبر واضافته غير حقيقية ومتى في موضع خبر المبتدا النزول قيل نزلت
يوم الخندق لما اشتدت المخافة وحوصر المسلمون في المدينة فدعاهم الله تعالى الى الصبر ووعدهم بالنصر عن قتادة والسدي
وقيل نزلت في حرب احد لما قال عبد الله بن ابي لاصحاب النبي الى متى تقتلون انفسكم ولو كان محمد نبيا لما سلط الله عليه الاسر
والقتل وقيل نزلت في المهاجرين من اصحاب النبي حين قدموا المدينة اذ تركوا ديارهم واموالهم ومسهم الضر عن عطا المعنى
ثم ذكر سبحانه ما جرى على المؤمنين من الامم الخالية تسلية لنبيه صلى الله عليه وآله ولاصحابه فيما نالهم من المشركين وامثالهم لان سماع اخبار الجماعة
يبعث في مثل احوالهم فقال ام حسبتم معناه بل اظننتم وخلتم ايها المؤمنون ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا
من قبلكم معناه ولما تمتحنوا او تبتلوا بما امتحنوا به فتصبروا كما صبروا وهذا استدعاء الى الصبر وبعده الوعد بالنصر والمثل
والمثل المثل الشبه والشبه اي لم يصبكم شبه الذين خلوا اي مضوا قبلكم من النبيين والمؤمنين وفي الكلام حذف تقديره
مثل محنة الذين او مصيبة الذين مضوا ثم ذكر سبحانه ما اصاب اولئك فقال مستهم البأساء والضراء والمس والمس واحد
البأساء نقيض النعماء والضراء نقيض السراء وقيل البأساء القتل والضراء الفقر وقيل معناه هو ما يتعلق بمضار
البدن من حرب وخروج من الاهل والمال واخراج من الديار وزلزلوا اي حركوا بانواع البلايا
وقيل معناه هنا ازعجوا بالمخافة من العدو وذلك لفرط الحيرة حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله قيل هذا
استعجال للموعود كما يفعله الممتحن ولما قال الرسول استبطاء للنصر على جهة التمني وقيل ان معناه الدعاء لله بالنصر ولا
يجوز ان يكون على جهة الاستبطاء لنصر الله لان الرسول يعلم ان الله لا يؤخر عن الوقت الذي توجبه الحكمة ثم اخبر الله سبحانه
انه ناصر اوليائه لا محالة فقال الا ان نصر الله قريب وقيل ان هذا كلام من اضطر من المؤمنين متى نصر الله ثم تفكروا وعلموا
ان الله سبحانه منجز وعده فقالوا الا ان نصر الله قريب وقيل انه ذكر كلام الرسول والمؤمنين جملة وتفصيلا وقال المؤمنون
متى نصر الله وقال الرسول الا ان نصر الله قريب كقوله سبحانه وجعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله اي
لتسكنوا في الليل ولتبتغوا من فضله في النهار قوله تعالى يسألونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين
واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فان الله به عليم • اللغة النفقة اخراج الشيء من الملك ببيع او هبة
او صلة او نحو ذلك وقد غلب في العرف على اخراج ما كان من المال من عين او ورق والسؤال طلب الجواب بصيغة مخصوصة
الاعراب موضع ما من قوله ماذا ينفقون يحتمل الرفع والنصب فاما الرفع فيكون على تقدير ما الذي ينفقون اي اي شيء الذي
ينفقونه الا انه حذف الهاء من الصلة كما تحذف ويكون ذا موصولا بمنزلة الذي وينفقون صلته والنصب على تقدير اي شيء ينفقون
فيكون ما وذا بمنزلة شيء واحد ويكون ذا لغوا لا اسما مفيدا للمعنى وقوله ما انفقتم ما اسم للشرط في محل نصب بانفقتم
في محل الجزم بما من خير جار ومجرور في موضع الحال من الضمير وتقديره ما انفقتموه كائنا من خير والحال الضمير
المحذوف من الصلة فللوالدين الجار والمجرور خبر مبتدا محذوف والمبتدا والخبر في محل الرفع لوقوعهما بعد الفاء
والفاء مع ما بعدها جواب للشرط ومعنى حرف الشرط الذي تضمنه ما مع الشرط والجزاء في موضع رفع لانه خبر المبتدا الذي
هو ما تفعلوا ما اسم شرط في محل النصب بتفعلوا ويجوز ان يكون ما في انفقتم ايضا منصوب الموضع بما انفقتم ويكون موصولا
النزول نزلت في عمرو بن الجموح وكان شيخا كبيرا ذا مال كثير فقال يا رسول الله بماذا اتصدق وعلى من اتصدق فانزل الله
هذه الآية المعنى يسألونك يا محمد اي شيء ينفقون وما السؤال عن الانفاق يتضمن السؤال عن المنفق عليه فانهم قد
علموا ان الامر قد وقع بانفاق المال فجاء الجواب ببيان كيفية النفقة وعلى من ينفق فقال قل يا محمد ما انفقتم من خير
اي مال وفيه دلالة على انه لم يقع سؤالهم عما ينفق به لانه مما لا ينتفع به لا يسمى خيرا فللوالدين والاقربين والمراد بالوالدين الاب
والام والجد والجدة وان علوا لانهم يدخلون في اسم الوالدين والمراد بالاقربين اقارب المعطي واليتامى اي كل من لا اب

استعجال

مع صغره والمساكين اهل الفقر والحاجة وابن السبيل المنقطع به واختلفوا في هذه النفقة فقال الحسن المراد به نفقة التطوع على من لا يجوز
وضع الزكاة عنده والزكاة لمن يجوز وضع الزكاة عنده فهي عامة في الزكاة المفروضة وفي التطوع وقال السدي الآية واردة
في الزكاة ثم نسخت ببيان مصارف الزكاة والاول اظهر لانه لا دليل على نسخها واتفق العلماء على انه لا يجوز دفع الزكاة الى الاب
والام والجد والجدة والى الولد وولد الولد فاما النفقة فلا خلاف ان النفقة على الوالدين اذا كانا فقيرين واجبة اما النفقة على
ذوي الرحم فلا تجب عندنا وعند الشافعي وتجب عند ابي حنيفة وقوله وما تفعلوا من خير اي من عمل صالح يقربكم الى الله فان الله
به عليم يجازيكم به من غير ان يضيع منه شيء لانه سبحانه لا يخفى عليه شيء النظم ووجه اتصال هذه الآية بما قبلها ان الآية الاولى
فيها دعاء الى الصبر على الجهاد في سبيل الله وفي هذه بيان وجه النفقة في سبيل الله وكل ذلك دعاء الى فعل البر والطاعة
قوله تعالى كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم
وانتم لا تعلمون • اللغة الكره بالفتح المشقة التي تحمل على النفس والكره بالضم المشقة تحملها على النفس والجملة وقيل
الكره والكراهة المشقة وقيل الكره ما لا يشق عليه وقيل يشق عليه ما لا يكرهه وقيل الكره والكره لغتان
مثل الضعف والضعف والخير نقيض الشر والخير النفع الحسن والشر الضر القبيح وهذا هو الاصل ثم يستعملان توسعا
في غير ذلك ويقال شر يشر شرا وشرارة اي شرارة النار وشرها لهبها وشرة الشباب نشاطه وشرة الحدة والوثبات
تبسط الجنف والاشرار الاطهار الاعراب وهو كره لكم فيه حذف وتقديره وهو ذو كره لكم ويجوز ان يكون بمعنى
ان يكون معناه وهو مكروه لكم فوضع المصدر موضع المفعول ومثله رجل رضا اي ذو رضا ويجوز ان يكون بمعنى
ان تكرهوا موضع ان تكرهوا رفع بانه فاعل عسى وعسى هذه تامة لا تفتقر الا الى الفاعل ولم تحتج الى الخبر المعنى هذه الآية
بيان لكون الجهاد مصلحة لمن امر به فقال سبحانه كتب عليكم القتال اي فرض عليكم الجهاد في سبيل الله وهو كره لكم اي شاق عليكم
عليكم تكرهونه كراهة طباع لا كراهة سخط للتعبد وقد يكون الشيء مكروها عند الانسان من طبعه ومن حيث تنفر نفسه اليه
ويريده لان الله تعالى امر بذلك كالصوم في الصيف وقيل معناه انه مكروه لكم قبل ان يكتب عليكم لان المؤمنين لا يكرهون
ما كتب الله عليهم وعسى ان تكرهوا شيئا معناه وقد تكرهون شيئا في الحال وهو خير لكم في عاقبة اموركم كما تكرهون القتال
لما فيه من المخاطرة بالروح وهو خير لكم لان لكم في الجهاد احدى الحسنيين اما الظفر والغنيمة واما الشهادة والجنة وعسى
ان تحبوا شيئا وهو شر لكم اي وقد تحبون ما هو شر لكم وهو القعود عن الجهاد لمحبة الحياة وهو شر لما فيه من الذل والفقر في
الدنيا وحرمان الغنيمة والاجر في العقبى والله يعلم اي يعلم ما فيه مصالحكم ومنافعكم وما هو خير لكم في عاقبة امركم وانتم لا تعلمون
ذلك فبادروا الى ما يأمركم به وان شق عليكم واجمع المفسرون الا عطا ان هذه الآية دالة على وجوب الجهاد وفرضه غير انه فرض
على الكفاية حتى ان لو قعد جميع الناس لاثموا به وان قام به من في قيامه كفاية وغنى سقط عن الباقين وقال عطا ان
ذلك كان واجبا على الصحابة ولم يجب على غيرهم وقوله شاذ عن الاجماع قوله تعالى يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه
قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج اهله منه اكبر عند الله والفتنة اكبر من القتل ولا
يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم في
الدنيا والآخرة واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون • اللغة الصد المنع والصرف نظائر يقال صد عن الشيء
يصد صدا وصدودا وصدا اذا اعرض وصد له عنه وصد عنه يصد صدا اذا عدل به عنه ومنعه والصد ما استقبلك
وصار في قبالتك لانه يعدل بك الى مواجهتك والصدان ناحيتا الشعب والوادي والصدد ضرب من الجرذان يقال
تشد ثم تحرف والصد اذا الوزغ لانه يعدل بعد استقلالها والاصل الباب العدول لان الاصل من الزوال وهو العدول
ومعه لانه اليوم موجود او ما ناله الى ام وحبط عمل الرجل حبطا وحبوطا واحبطه احباطا والحبط فساد يلحق
الماشية في بطونها لاكل الخباط وهو ضرب من الكلأ يقال حبطت الابل تحبط حبطا اذا اصابها ذلك

١١٣

يسمى الهلاك حبطا وفي الحديث ان مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا او يلم الاعراب قتال فيه مجرور على البدل من الشهر
وهو بدل الاشتمال لان الزمان يشتمل على ما يقع فيه ومثله في المكان قوله قتل اصحاب الاخدود النار قال الاعشى
لقد كان في حول ثواء ثويته تقضى لبانات ويسأم سائم قال الكوفيون هو مجرور باضمار عن وقال بعضهم هو على
التكرير وهذه الالفاظ متقاربة في المعنى وان اختلفت في العبارة عنه وقتال مرفوع بالابتداء وكبير خبره وصد عن
سبيل الله مبتدأ وكفر به معطوف عليه واخراج اهله منه معطوف عليه ايضا وخبره اكبر
عند الله اي هذه الاشياء اكبر عند الله اي اعظم اثما واجاز الفراء فيه على وجهين احدهما ان يرد وصد على كبير اي قتال
كبير وصد عن سبيل الله وكفر به اي بالقتال فجمع انه كبير وانه صد وكفر والاخر ان يجعل الصد كبيرا اي القتال فيه كبير
والصد عن سبيل الله كفر فيكون مرتفعا بالابتداء وخبره محذوف وخطأه العلماء في النحو لو لا انه يصير المعنى في التقدير
قوله الا القتال في الشهر الحرام كفر بالله وهذا خطأ بالاجماع ويصير التقدير في الثاني واخراج اهله منه اكبر عند الله
من الكفر وهذا خطأ بالاجماع وللفراء ان يقول في هذا المعنى واخراج اهله منه اكبر من القتال فيه لا من الكفر لان البعض
اخراج اهله منه اخراج النبي صلعم والمؤمنون فاما الوجه الاول فلا مخلص للفراء منه والمسجد الحرام مجرور وعطف على سبيل الله
وصد عن سبيل الله وعن المسجد الحرام وهو قول المبرد وقيل انه عطف على الشهر الحرام كأنه قال يسئلونك
عن القتال في الشهر الحرام والمسجد الحرام وهو قول الفراء ولا يجوز حمله على الباء في قوله كفر به لانه لا يعطف على المضمر المجرور
الا باعادة الجار الا في ضرورة الشعر ومن يرتدد على اظهار التضعيف لسكون الثاني ويجوز ان يدغم الدال عند التحريك
لالتقاء الساكنين باخف الحركات ويجوز بكسر الدال على اصل التحريك لالتقاء الساكنين والفتح اجود النزول
قال المفسرون بعث رسول الله سرية من المسلمين وامر عليهم عبد الله بن جحش الاسدي وهو ابن عمة النبي صلعم وذلك قبل
قتال بدر بشهرين على راس سبعة عشر شهرا من مقدمه المدينة فانطلقوا حتى هبطوا نخلة فوجدوا بها عمرو بن
الحضرمي في عير تجارة لقريش في اخر يوم من جمادى الاخرة وكانوا يرون انه من جمادى وهو رجب فاختصم المسلمون
فقال قائل منهم هذه غرة من عدو وغنم رزقتموه ولا ندري امن الشهر الحرام هذا اليوم ام لا وقال قائل منهم لا نعلم
هذا اليوم الا من الشهر الحرام ولا نرى ان تستحلوه لطمع اشفقتم عليه فغلب على الامر الذين يريدون عرض الدنيا فشدوا
على ابن الحضرمي فقتلوه وغنموا عيره فبلغ ذلك كفار قريش وكان ابن الحضرمي اول قتيل قتل بين المسلمين والمشركين
وذلك اول فيء اصابه المسلمون فركب وفد كفار قريش حتى قدموا على النبي صلعم فقالوا ايحل القتال في الشهر
الحرام فانزل الله هذه الاية وقيل ان السائلين كانوا اهل الشرك على جهة العيب للمسلمين باستحلالهم القتال
عن الحسن واكثر المفسرين وقيل السائلون اهل الاسلام سألوا عن ذلك ليعلموا كيف الحكم فيه المعنى عن الشهر الحرام قتال فيه
يعني عن قتال في الشهر الحرام وهو رجب سمي بذلك لتحريم القتال فيه ولعظم حرمته ولذلك سمي في الجاهلية
منزع الاسنة ومنصل الال لانهم كانوا ينزعون الاسنة والنصال عند دخول رجب نظرا على ترك القتال فيه
وكان يدعى الاصم لانه لا يسمع فيه قعقعة السلاح فنسب الصمم اليه كما قيل ليل نائم وسر كاتم وكان الناس لا يخافي بعضهم بعضا
ويأمن السبيل الى ان ينقضي الشهر المحرم قل قتال فيه اي في الشهر الحرام كبير اي ذنب كبير عظيم ثم استأنف وقال وصد عن سبيل الله
وكفر به اي والصد عن سبيل الله والكفر بالله والمسجد الحرام اي والصد عن المسجد الحرام وعلى القول الاخير يسألونك عن قتال
في الشهر الحرام وعن المسجد الحرام وقيل معناه والكفر بالمسجد الحرام عن الجبائي حملا على الباء في قوله وكفر به واخراج اهله
منه اي اخراج اهل المسجد وهم المسلمون منه اي من المسجد اكبر واعظم وزرا عند الله يعني اخراجهم المسلمين من مكة حين هاجروا الى المدينة
والظاهر يدل على ان القتال في الشهر الحرام كان محرما لقوله قل قتال فيه كبير وذلك لا يقال الا فيما هو محرم محظور وقيل
ان النبي صلعم عقل ابن الحضرمي وحرم الشهر الحرام والفتنة اشد من القتل معناه الشرك في الدين وهو الكفر اعظم من القتل

في الشهر الحرام يعني قتل ابن الحضرمي وقال قتادة وغيره ان تحريم القتال في الشهر الحرام وعند المسجد الحرام منسوخ بقوله وقاتلوهم
حتى لا تكون فتنة وبقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقال عطاء هو باق على التحريم وعندنا انه على التحريم فيمن يرى لهذه
الاشهر حرمة ولا يبتدئون فيها بالقتال وكذلك في الحرم وانما اباح الله للنبي صلعم قتال اهل مكة عام الفتح فقال صلعم ان الله
احلها لي في ساعة من نهار ولا يحلها لاحد بعدي الى يوم القيمة ومن لا يرى منهم حرمة الحرم وحرمة هذه الاشهر جاز قتاله اي وقت كان
والتحريم منسوخ في حقه وقوله ولا يزالون يقاتلونكم يعني اهل مكة يقاتلونكم يا معشر المسلمين حتى يردوكم عن دينكم اي يصرفوكم
عن دين الاسلام ويلجؤكم الى دين الكفر ان استطاعوا اي ان قدروا على ذلك ومن يرتدد منكم عن دينه هذا تحذير عن الارتداد
ببيان استحقاق العقاب عليه فيمت وهو كافر يعني مات على كفره فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة معناه وانها
صارت بمنزلة ما لم يكن لايقاعهم اياها على خلاف الوجه المأمور به لان احباط العمل وابطاله عبارة عن وقوعه على خلاف الوجه الذي
يستحق عليه الثواب وليس المراد انهم استحقوا على اعمالهم الثواب ثم انحبط لانه قد دل الدليل على ان الاحباط على هذا الوجه لا يجوز
واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون اي دائمون النظم وجه اتصال الاية بما قبلها يسئلونك عن القتال في الشهر الحرام وعند
المسجد الحرام فقل ذلك كبير ولكن الكفر بالله وصد المسلمين عن بيت الله ودينه واخراجهم من اوطانهم اعظم عند الله وهو
اكبر وتلك هؤلاء الكفار مع هذه الافعال يقاتلونكم ليردوكم عن الدين فكل ما يأتيهم من هذه اعظم مما سألوا عنه قوله تعالى ان
الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمت الله والله غفور رحيم اية اللغة الهجر ضد
الوصل هجره يهجره هجرا وهجرانا وهاجر مهاجرة اذا قطع مواصلته وهجر المريض يهجر هجرا اذا قال ما لا ينبغي ان يهجر من الكلام ومنه المهاجرة
الهجرة عن عشيرتهم وارضهم وانما اطلق على هؤلاء اللفظ الذي يقع على الاثنين لان كل واحد من هؤلاء هاجر مثل ما
هاجر صاحبه وترك ما تركه اختيارا لصحبة النبي صلعم وجاهد مجاهدة وجهادا اذا حمل نفسه على المشقة
في قتال العدو والرجاء الامل وقوله ما لكم لا ترجون لله وقارا اي لا تخافون قال ابو ذؤيب اذا لسعته النحل لم يرج لسعها
وخالفها في بيت نوب عوامل اي لم يخف وذلك لان الرجاء للشيء معه الخوف من ان لا يكون فلذلك سمي الخوف باسم الرجاء
النزول نزلت الاية في قصة عبد الله بن جحش واصحابه لما قتلوا في رجب وقتل ابن الحضرمي فظن قوم انهم ان
سلموا من الاثم فليس لهم اجر فانزل الله لا ايرهم بالوعد المعنى ان الذين امنوا اي صدقوا الله ورسوله والذين هاجروا
اي قطعوا عشائرهم وفارقوا منازلهم وتركوا اموالهم وجاهدوا في سبيل الله اي قاتلوا الكفار في طاعة الله
التي هي سبيله المشروعة لعباده وانما جمع بين هذه الاشياء لبيان فضلها والترغيب فيها لان الثواب لا يستحق
على واحد منها الا الافضل اولئك يرجون رحمت الله اي يأملون نعمة الله في الدنيا والعقبى والله غفور لهم
ذنوبهم رحيم يرحمهم وانما ذكر لفظ الرجاء للمؤمنين وان كانوا يستحقون الثواب قطعا ويقينا لانهم لا يدرون
ما يكون منهم في المستقبل الاقامة على طاعة الله والانقلاب عنها الى معصيته وجواب اخر وهو الصحيح وهو انهم يرجون
رحمة الله في غفران معاصيهم التي لم يتحقق لهم التوبة منها واخترموا دونها فهم يرجون ان يسقط الله عقابها عنهم تفضلا
فاما الوجه الاول فانما يصح على مذهب من يجوز ان يكفر المؤمن بعد ايمانه او يفعل في المستقبل كبيرة تحبط ثواب ايمانه
وهذا لا يصح على مذهبنا في الموافاة وقال الحسن اراد به ايجاب الرجاء والطمع على المؤمنين فان رجاء رحمة الله
من اركان الدين واليأس من رحمته كفر كما قال ولا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون والامن من عذابه خسران
كما قال ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون فحق الواجب على المؤمن ان لا ييأس من رحمة الله ولا يأمن من عقوبته
ويؤيده قوله سبحانه يحذر الاخرة ويرجون رحمة ربه وقوله يدعون ربهم خوفا وطمعا وليس في الاية دلالة على ان من مات
مصرا على كبيرة لا يرجون رحمة الله لامرين احدهما ان دليل المفهوم غير صحيح عند اكثر المحصلين والاخر انه قد يجتمع
عندنا الايمان والهجرة والجهاد مع ارتكاب الكبيرة ولا يخرج من هذه صورة عن تناول الاية له النظم وجه اتصال هذه

الاية بما قبلها انه لما ذكر في الاولى العقاب ذكر بعدها الثواب ليكون العبد بين الخوف والرجاء اذ ذلك احق بتدبير الحكيم
واوكد في الاستدعاء قوله تعالى يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما ويسئلونك
ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون في الدنيا والاخرة ويسئلونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير
وان تخالطوهم فاخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لاعنتكم ان الله عزيز حكيم آيتان في الكوفي واية واحدة فيما عداه عد الكوفي
تتفكرون بلا خلاف القراءة قرأ اهل الكوفة غير عاصم اثم كثير بالثاء والباقون بالباء وقرأ ابو عمرو وحده قل العفو بالرفع والباقون
بالنصب الحجة قال ابو علي حجة من قرأ بالباء ان يقول الباء اولى لان الكبير مثل العظيم ومقابل الصغيرة في الجملة وكل صغير وكبير مستطر
وقد استعملوا في الذنب اذا كان موبقا الكبير كقوله كبائر ما تنهون عنه وكبائر الاثم فلذلك ينبغي ان يكون قوله فيهما اثم كبير
بالباء لان شرب الخمر والميسر من الكبائر وقالوا في غير الموبق صغير وصغيرة ولم يقولوا قليلة ومقابل الكثير هو القليل كما ان مقابل
الكبير الصغير ويدل على ذلك ايضا قوله واثمهما اكبر من نفعهما واتفاقهم هيهنا على اكبر ورفضهم الاكثر وحجة من قرأ بالثاء انه
قد جاء فيهما انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة وفي الحديث
لعن رسول الله صلعم في الخمر عشرة شاربها والمشترى لها وعاصرها والمعصورة له وساقيها والمستقى لها وحاملها والمحمول
اليه وآكل ثمنها فهذا يقوى قراءة من قرأ كثير واما وجه قول من نصب العفو فهو ان قولهم ماذا ينفقون على ضربين احدهما ان يكون
ما مع ذا اسم واحد والاخر ان يكون ذا بمعنى الذى فالاول قول العرب عماذا تسئل اثبتوا الالف في ما لما كان ما مع ذا بمنزلة
اسم واحد ولم تحذف الالف لما لم يقع ذلك كانت الالف حشوا ومن ذلك قول الشاعر يا خزر تغلب ماذا بال نسوتكم لا يستفقن الى
الديرين تحنانا اى ما بال نسوتكم واذا كان ما مع ذا بمنزلة اسم واحد كان قوله ماذا ينفقون في موضع نصب بينفقون كانه قال
اى شيء ينفقون فجواب هذا العفو بالنصب واما وجه قول من رفع فهو ان يجعل ماذا على الضرب الاخر فيكون تقديره ما
الذى ينفقون فجوابه العفو على ان يكون خبر مبتداء محذوف وتقديره الذى ينفقون العفو ومثله قوله واذا قيل لهم
ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين واعلم ان سيبويه لا يجيز ان يكون ذا بمنزلة الذى الا في هذا الموضع لما كانت الدلالة
على ذلك والكوفيون يجيزون في غير هذا الموضع ويحتجون بقول الشاعر عدس ما لعباد عليك امارة نجوت وهذا
تحملين طليق وبقوله سبحانه وما تلك بيمينك يا موسى ولا دلالة لهم في الاية فان قوله بيمينك يجوز ان يكون ظرفا في
موضع الحال فلا يكون صلة وكذلك تحملين في البيت والعامل في الحال في الموضعين ما في اسم الاشارة من معنى الفعل اللغة
الخمر اصلها الستر والخمر ما واراك من الشجر وغيره والخمار للمقنعة ودخل في خمار الناس اى في الكثير الذى يسترهم ويقال
اخمروا انائكم اى غطوه قال الشاعر هنيئا مريئا غير داء مخامر لعزة من اعراضنا ما استحلت وخمرت الاناء اى غطيته وفي الحديث كان
يسجد على الخمرة وهي السجادة الصغيرة من الحصير وسميت بذلك لانها تستر الوجه من الارض قال الزجاج وقيل انشد على
ابى الاسود الدؤلى فقيل له ان هذا المسكر الذى يسمونه بعض الخمر حلال فظن ان ذلك كما قال ثم ذكر طبعه الا انهما
واحد فقال دع الخمر يشربها الغواة فانى رأيت اخاها مجزيا لمكانها فان لا يكنها او تكنه فانه اخوها غذته امه بلبانها
واصل الباب الستر والميسر القمار اشتق من اليسر وهو وجوب الشيء لصاحبه من قولك يسر لي هذا الشيء ييسر يسرا
وميسرا اذا وجب لك والياسر الواجب بقداح وجب لك او غيره وقيل للمقامر ياسر ويسر قال النابغة او ياسر ذهب القداح
بوفره اسف تأكله الصديق مخلع اى قامر وقيل اخذ من التجزية لان كل شيء جزأته فقد يسرته والياسر الجازر والميسر الجزور
وقيل اخذ من اليسر وهو السهولة لانهم كانوا يشتركون في الجزور ويسهل امرها الا انه على جهة القمار والعفو اصله من الزيادة
ومنه قوله حتى عفوا اى زادوا على ما كانوا عليه من العدد قال الشاعر ولكنا نعض السيف منا باسوق عافيات الشحم كوم
اى زائدات الشحم وقيل هو مأخوذ من الترك فقوله فمن عفى له من اخيه شيء اى ترك ومنه قوله عفوت لكم عن صدقة الخيل
اى تركتها فيكون العفو المتروك عن يسر والمخالطة الجمع بين الشيئين معها التمييز كمخالطة الخل الخل بالماء وما

وما اشبه الخليطان الشريكان لاختلاط اموالهما والخليط القوم امرهم واحد والاعنات الحمل على مشقة لا يطاق
ثقلا وعنت العظم عنتا اصابه وهن او كسر بعد جبر وعنت عنتا اذا اكتسب مأثما واعنته تعنيتا اذا لبس عليه في سؤاله
والاكمة العنوت الطويلة واصل الباب المشقة والثانى الاعراب العامل في الظرف من قوله في الدنيا والاخرة قوله يبين لكم
الايات اى يبين لكم الايات في امر الدنيا والاخرة ويجوز ان يكون يتفكرون ايضا اى يتفكرون في امر الدنيا والاخرة وقوله
فاخوانكم يقع على انه خبر مبتدأ محذوف وتقديره فهم اخوانكم ويجوز في العربية فاخوانكم بالنصب على تقدير فاخوانكم تخالطون
والوجه الرفع النزول نزلت في جماعة من الصحابة اتوا رسول الله صلعم فقالوا افتنا في الخمر والميسر فانهما مذهبة للعقل مسلبة
للمال فنزلت الاية المعنى ثم عاد سبحانه الى بيان الشرايع والاحكام فقال يسئلونك يا محمد عن الخمر وهي كل شراب مسكر
مخالط للعقل مغط عليه وما اسكر كثيره فقليله خمر هذا اهل البيت في روايات اصحابنا وهو مذهب الشافعى وقيل الخمر
عصير العنب اذا اشتد وغلا وهو مذهب ابى حنيفة والميسر القمار كله وروى عن ابن عباس وابن مسعود ومجاهد
وقتادة والحسن وهو المروى عن ائمتنا عليهم السلام حتى قالوا ان لعب الصبيان بالجوز هو القمار قل فيهما اى في الخمر والميسر
اثم كبير اى وزر عظيم وكثير من الكثرة ومنافع للناس منفعة الخمر ما كانوا ياخذون في اثمانها وما يحصل من اللذة
والطرب والقوة بشربها ومنفعة القمار هو ان يرتفق الرجل بما يصيبه من غير كد ولا مشقة ويرتفق به الفقراء
واثمهما اكبر من نفعهما اى اثمهما من الاثم اكبر مما فيهما من النفع لان نفعهما في الدنيا وما يحصل من الاثم بهما يوجب سخط
الله في الاخرة فلا يظهر في جنبه الانتفاع قليلا لانقطاعه قال الحسن في الاية تحريم الخمر من وجهين احدهما قوله واثمهما
اكبر فاذا زادت مضرة الشيء على منفعته اقتضى العقل الامتناع منه والثانى انه بين ان فيهما الاثم وقد حرم في
اية اخرى الاثم فقال قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم وقيل ان الخمر انما تسمى اثما في لغة العرب لانه
شيء يسلب الاثم حتى صار عقل كذلك الاثم يضيع بالعقول على انه قد وصف الاثم بانه كبير والكبير محرم بلا خلاف
وقال الضحاك معناه واثمهما بعد تحريمهما اكبر من نفعهما قبل تحريمهما وقال سعيد بن جبير كلاهما قبل التحريم يعنى
الاثم الذى يحدث من اسبابهما اكبر من نفعهما وقال قتادة هذه الاية لا تدل على تحريمهما وانما دلت الاية في المائدة
على ان الخمر والميسر اثم وقوله يسئلونك ماذا ينفقون اى اى شيء ينفقون والسائل عمرو بن الجموح سأل عن النفقة في
الجهاد وقيل في الصدقات قل العفو فيه اقوال احدها انه ما فضل عن الاهل والعيال او الفضل عن الغنى عن ابن
عباس وقتادة وثانيها ان العفو الوسط من غير اسراف ولا اقتار عن الحسن وعطا وهو المروى عن ابى عبد الله عليه السلام وثالثها
ان العفو ما فضل عن قوت السنة عن الباقر عليه السلام قال ونسخ ذلك باية الزكوة وبه قال السدى ورابعها ان العفو اطيب
المال وافضله وقوله كذلك اى كما وحد الكاف لان الخطاب للنبى صلعم ويدخل فيه الامة وقيل ان تقديره كذلك
ايها القبيل يبين الله لكم الايات اى الحجج في امر النفقة والخمر والميسر وقيل في سائر شرايع الاسلام لعلكم تتفكرون
اى لكى تتفكروا في الدنيا والاخرة اى في امر الدنيا وامر الاخرة فتعلمون ان الدنيا دار بلاء وفناء والاخرة دار
جزاء وبقاء فتزهدوا في هذه وترغبوا في تلك وقيل معناه من صلة يبين اى كما يبين لكم الايات في الخمر والميسر يبين
لكم الايات في امر الدنيا والاخرة لكى تتفكروا وفي ذلك دلالة على ان الله سبحانه اراد منهم التفكر سواء تفكروا او
لم يتفكروا ويسئلونك عن اليتامى قال ابن عباس لما انزل الله تعالى ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن وان الذين يأكلون اموال
اليتامى ظلما انطلق كل من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه وشرابه من شرابه واشتد ذلك عليهم فسألوا عنه
فنزلت هذه الاية ولا بد من اضمار في الكلام لان السؤال لم يقع عن اشخاص اليتامى ولا ورد الجواب عنها فالمعنى
يسئلونك عن القيام على اليتامى والتصرف في اموال اليتامى قل يا محمد اصلاح لهم خير يعنى اصلاح اموالهم من غير
اجرة ولا اخذ عوض منهم خير واعظم اجرا وان تخالطوهم اى تشاركوهم في اموالهم وتخلطوها باموالكم فتصيبوا

١١٣

من اموالهم عوضا من قيامكم باموالهم فاخوانكم اى فهم اخوانكم والاخوان يعين بعضهم بعضا ويصيب بعضهم من اموال
بعض وهذا اذن لهم فيما كانوا يتحرجون منه من مخالطة الايتام فى الاموال من المآكل والمشارب والمساكن ونحوها
ورخصة لهم فى ذلك اذا تحروا الصلاح بالتوفير على الايتام عن الحسن وغيره وهو اجدى فى اجازتها والله يعلم المفسد
من المصلح معناه والله يعلم من كان غرضه من مخالطة اليتامى افساد مالهم او اصلاح مالهم ولو شاء الله لاعنتكم اى
لضيق عليكم فى امر اليتامى ومخالطتهم والزمكم ما كنتم تجتنبونه من مشاركتهم وقال الزجاج معناه لكلفكم ما يشق
عليكم فتعنتون ولكنه لم يفعل وفى هذا دلالة على فساد قول المجبرة لانه اخبر انه لم يشاء اعناتهم ولو اعنتهم لكان جائزا
حسنا لكنه وسع عليهم كما فى التوسعة من النعمة فكيف يجوز ان يشاء تكليف ما لا يطاق وكيف يكلف ما لا سبيل للمكلف
اليه بالاتصور احدا من جهته واى عنت اعظم من هذا قال البلخى وفيه ايضا دلالة على فساد مذهب من قال انه تعالى يقدر على الظلم
الاعنات تكليفها الشيء فى الحكمة بقدره وهو لو شاء لفعل ان الله عزيز [illegible] لا يمنعه [illegible] حكيم فى تدبيره
ليس له عما توجبه الحكمة مانع قوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولامة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم ولا
تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم اولئك يدعون الى النار والله يدعوا الى الجنة
والمغفرة باذنه ويبين اياته للناس لعلهم يتذكرون . اية اللغة النكاح اسم يقع على العقد وعلى الوطى وقيل انه اسم
الوطى ثم كثر حتى قيل للعقد نكاح كما ان الحدث [illegible] وهو اسم للفناء [illegible] وقيل [illegible] وهو اسم
للمكان المطمئن يقال نكح ينكح نكاحا اذا تزوج والنكح [illegible] زوجة والامة المملوكة يقال امة بينة الاموة واتيت ولم تكن
فتأميتها اذا جعلتها امة واصل امة [illegible] فجمعها اماء وآم [illegible] الاعراب
يؤمن فى محل النصب بان مضمرة وان يؤمن فى محل جر بحتى وحتى يتعلق بتنكحوا ومن مشركة [illegible] يتعلق بخير والجار والمجرور
فى محل النصب بانه مفعول به ولو اعجبتكم جواب لو محذوف وتقديره ولو اعجبتكم امة مشركة فلامة مؤمنة خير منها ولا تنكحوا
الازواج حتى يؤمنوا واعراب قوله حتى يؤمنوا وقوله ولو اعجبكم مثل اعراب ما قبله فى حتى يؤمن وقوله ولو اعجبتكم النزول
نزلت فى مرثد بن ابى مرثد الغنوى بعثه رسول الله صلعم الى مكة ليخرج منها اناسا من المسلمين وكان قويا شجاعا فدعته امرأة
يقال لها عناق الى نفسها فابى وكانت خلة فى الجاهلية فقالت هل لك ان تتزوج بى فقال حتى استأذن رسول الله صلعم فلما رجع
استاذن فى ان يتزوج بها فنزلت الاية المعنى لما تقدم ذكر المخالطة بين سبحانه من يجوز مخالطته بالتزويج فقال ولا تنكحوا
المشركات اى لا تتزوجوا النساء الكافرات حتى يؤمن اى يصدقن بالله وبرسوله وهى عامة عندنا فى تحريم مناكحة جميع الكفار
اهل الكتاب وغيرهم وليست بمنسوخة ولا مخصوصة واختلفوا فيه فقال بعضهم لا يقع اسم المشركات على اهل الكتاب وفصل
سبحانه بينهما فقال لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين وما يود الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين وعطف احد
على الاخر فلا نسخ فى الاية ولا تخصيص وقال بعضهم الاية تتناول جميع الكفار والشرك يطلق على الكل ومن جحد نبوة نبينا
فقد انكر معجزه واضافها الى غير الله وهذا هو الشرك بعينه لان المعجز شهادة من الله له بالنبوة ثم اختلف هؤلاء فمنهم
من قال الاية منسوخة فى الكتابيات بالاية فى المائدة والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب عن ابن عباس والحسن ومجاهد
ومنهم من قال انها مخصوصة بغير الكتابيات عن قتادة وسعيد بن جبير ومنهم من قال انها على ظاهرها فى تحريم نكاح كل كافرة كتابية كانت او مشركة
عن ابن عمر وبعض الزيدية وهو مذهبنا وسيأتى بيان اية المائدة فى موضعها ان شاء الله تعالى ولامة مؤمنة خير من مشركة
معناه مملوكة مصدقة مسلمة خير من حرة مشركة ولو اعجبتكم معناه وان اعجبتكم بمالها او حسنها او جمالها وظاهر هذا
يدل على جواز نكاح الامة المؤمنة مع وجود الطول فاما قوله ومن لم يستطع منكم طولا الاية فانما هو على التنزيه
دون التحريم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا معناه ولا تنكحوا النساء المسلمات جميع الكفار من اهل الكتاب وغيرهم
حتى يؤمنوا وهذا يؤيد قول من يقول ان قوله ولا تنكحوا المشركات يتناول جميع الكافرات وقول واحد منهم [illegible]

اى عبد مصدق مسلم خير من مشرك ولو اعجبكم ماله او حاله او جماله والفرق بين ولو اعجبكم وان اعجبكم ان لو للماضى وان للمستقبل
وكلاهما يصح فى معنى الاية وهو من العجب الذى هو بمعنى الاستعظام وليس من التعجب اولئك يعنى المشركين يدعون الى النار يعنى الى
الكفر والمعاصى التى هى سبب دخول النار وهذا مثل العلة الا ان العاقبة لما كانت الى النار جاز ذلك والله يدعوا الى الجنة
اى الى فعل ما يوجب الجنة والمغفرة من الايمان والطاعة باذنه اى بعلمه يعنى بما يأمره ويأذن فيه من الشرائع والاحكام عن الحسن والجبائى
وقيل باعلامه وقوله ويبين اياته اى حججه وقيل اوامره ونواهيه وما يحل وما يحرم للناس لعلهم يتذكرون اى لكى يتذكروا قوله
تعالى ويسئلونك عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فاتوهن
من حيث امركم الله ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين . اية القراءة قرأ اهل الكوفة غير حفص حتى يطهرن بتشديد
الطاء والهاء والباقون يطهرن بالتخفيف الحجة من قرأ يطهرن فانه من طهرت المرأة وطهرت طهرا وطهارة وطهرت
بالفتح اقيس لانه خلاف طمثت فينبغى ان يكون على بنائه وايضا فقولهم طاهر يدل على انه مثل قعد فهو قاعد ومن قرأ يطهرن
فانه يتطهرن فادغم التاء فى الطاء اللغة حاضت المرأة تحيض حيضا ومحيضا ومحاضا والمصدر من هذا الباب المفعل
والمفعل جائز فيه قال الراعى بنيت مرافقهن فوق مزلة لا يستطيع بها القراد مقيلا اى قيلولة وامرأة حائض ونساء
حيض والاعتزال التنحى عن الشيء وكل شيء نحيته عن موضع فقد عزلته عنه ومنه عزل الوالى واصل عن هذا الباب
التنحى وعزلاء المزادة مخرج من احد جانبيها والجمع عزالى والمعزال من الناس الذى لا ينزل مع القوم فى السفر لكسر بناحية
والطهر خلاف الدنس والطهور يكون اسما ويكون صفة فاذا كان اسما على ضربين احدهما ان يكون مصدرا كما حكى
سيبويه تطهرت طهورا حسنا كقولك وضوءا والاخر ان يكون اسما ليس بمصدر كما جاء فى قوله طهورا انا واحدكم كما هو
اسم لما يطهر به كالقطور للوقود والسحور والسعوط لما يسحر [illegible] واما كونه صفة فهو فى قوله وانزلنا من السماء ماء طهورا وكان كالحجة
والمحجة ونحو ذلك من الصفات التى جاءت على فعول ولا دلالة فيه على التكثير لما لم يكن متعديا خلاف ما ذهب اليه بعض الفقهاء
من جعله متعديا كما يعدى ضربت ومن الصفة قولهم هو الطهور ماؤه لان الماء يرتفع به كما يرتفع الاسم بالصفات المتقدمة
الاعراب من حيث جار ومجرور لكن حيث مبنى لا يظهر فيه الاعراب والمبنى لمشابهته الحرف بانه لا يفيد الا مع غيره كالحرف
وهو متعلق بقوله فاتوهن امركم الله جملة فى محل الجر باضافة حيث اليها النزول قيل كانوا فى الجاهلية يجتنبون مؤاكلة الحائض
ومشاربتها ومجالستها فسألوا عن ذلك فنزلت الاية عن الحسن وقتادة والربيع وقيل كانوا يستحلون اتيان النساء
فى ادبارهن ايام الحيض فلما سألوا عنه بين تحريمه عن مجاهد والاول عندنا اقوى المعنى ثم بين سبحانه شيئا اخر
فقال ويسئلونك يا محمد والسائل ابو الدحداح فيما قيل عن المحيض اى عن الحيض واحواله قل يا محمد هو اذى معناه
قذر ونجس عن قتادة والسدى وقيل اذى دم عن مجاهد وقيل هو اذى لهن وعليهن لما فيه من المشقة قال الله تعالى
فاعتزلوا النساء اى اجتنبوا مجامعتهن فى الفرج عن ابن عباس وعائشة والحسن وقتادة ومجاهد وهو قول محمد
الحسن ويوافق مذهبنا انه لا يحرم منها غير موضع الدم فقط وقيل يحرم منها ما دون الازار ويحل ما فوقه عن شريح
وسعيد بن المسيب وهو قول ابى حنيفة والشافعى ولا تقربوهن بالجماع او ما دون الازار على الخلاف فيه حتى
يطهرن بالتخفيف معناه حتى ينقطع الدم عنهن وبالتشديد معناه حتى يغتسلن عن الحسن ويتوضأن عن مجاهد
وطاوس وهو مذهبنا فاذا تطهرن اى اغتسلن وقيل توضأن وقيل غسلن الفرج فاتوهن فجامعوهن وهى اباحة
وان كان صورته صورة الامر كقوله واذا حللتم فاصطادوا من حيث امركم الله بتجنبه فى حال الحيض وهو الفرج
عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والربيع وقيل من قبل الطهر دون الحيض عن السدى والضحاك وقيل من قبل
النكاح دون الفجور عن ابن الحنفية والاول اليق بالظاهر وقال الزجاج معناه من الجهات التى يحل فيها ان تقرب
المرأة ولا تقربوهن من حيث لا يجب اى لا تقربوهن وهن صائمات او محرمات او معتكفات وقال الفراء ولو اراد

۱۱۰

الفرج فقال في حيث فلما قال من حيث علمنا ان المراد من الجهة التي امركم الله بها فيحرم اتيانها من حيث لان من لابتداء
الغاية فالفصل بحوهر لك رايت زيدا من ما تلاوى من الوجه الذي يوتى منه ان الله يحب التوابين من الذنوب ويحب المتطهرين
قيل معناه المتطهرين بالماء عن عطاء وقد رواه جماعة من اصحابنا ايضا في سبب نزول الاية وقيل يحب المتطهرين من الذنوب عن مجاهد
جميعا ولم يذكر المتطهرات لان المؤنث يدخل في المذكر وقيل التوابين من الكبائر والمتطهرين من الصغائر وفي هذه الاية دلالة
على وجوب اعتزال المراة في حال الحيض وفيها ذكر غاية التحريم ويشتمل ذلك على فصول احدها ذكر الحيض واقله واكثره وهذا
اقله ثلثة ايام واكثره عشرة ايام وهو قول اهل العراق وعند الشافعي واكثر اهل المدينة واقله يوم وليلة واكثره خمسة عشر يوما
وثانيها حكم الوطي في حال الحيض فان عندنا انه ان كان في اوله فدينار وان كان في اوسطه فنصف دينار وان كان في اخره فربع دينار
وقال ابن عباس عليه دينار ولم يفصل وقال الحسن [illegible] او وصيفة او عشرون صاعا وثالثها غاية تحريم الوطي واختلف
فيه فمنهم من جعل الغاية انقطاع الدم ومنهم من قال اذا توضات او غسلت فرجها حل وطيها عن عطاء وطاوس ومجاهد
وان كان المستحب ان لا يقربها الا بعد الغسل ومنهم من قال اذا انقطع دمها واغتسلت حل وطيها عن الشافعي ومنهم من قال ان كان
حيضها عشرا فبنفس انقطاع الدم يحل لها الزوج وان كان دون العشرة فلا يحل وطيها الا بعد الغسل او التيمم او مضي وقت
صلوة عن ابي حنيفة قوله تعالى نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم وقدموا لانفسكم واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه
وبشر المؤمنين • ايه الاعراب انى في محل النصب لانها ظرف مكان اذا كان بمعنى حيث او اين او ظرف زمان اذا كان بمعنى متى
واما العامل فأتوا وشئتم جملة فعلية في موضع الجر باضافة الظرف اليها واذا كان انى بمعنى كيف فهو في محل النصب على
المصدر لانه مجاز شئتم وتقديره فأتوا حرثكم اي نوع شئتم النزول قيل نزلت ردا على اليهود قالوا ان الرجل اذا اتى المراة
من خلفها في قبلها خرج الولد احول فاكذبهم الله عن ابن عباس وجابر وقيل انكرت اليهود اتيان المراة قائمة وباركة فانزل الله
اباحته عن الحسن المعنى لما بين سبحانه احوال النساء في الطهر والحيض عقب ذلك بقوله نساؤكم حرث لكم وفيه وجوه احدها
ان معناه مزدرع ومحترث لكم عن ابن عباس والسدي والثاني ان معناه ذوات حرث لكم منهن تحرثون الولد واللذة عن الزجاج
وهذا في المعنى مثل الاول الا ان الاول اشبه قال ابو عبيدة كنى بالحرث عن الجماع وثالثها معناه كحرث لكم فحذف كاف التشبيه قال الشاعر
النفس مسك والوجه دينار والاطراف الاقحوان وقد سمى العرب النساء حرثا قال المفضل بن سلمة انشدني ابي اذا اكل الجراد حروث قوم
فحرثي همه اكل الجراد يريد امراتي فأتوا حرثكم اي موضع حرثكم يعني نساءكم انى شئتم معناه من اين شئتم عن قتادة والربيع وقيل كيف شئتم
عن مجاهد وقيل متى شئتم عن الضحاك وهذا خطاء عند اهل اللغة لان انى لا يكون الا بمعنى من اين كما قال انى لك هذا وقيل معناه
من اي وجه واستشهد بقول الكميت انى ومن اين آبك الطرب من حيث لا صبوة ولا ريب وليس في البيت شاهد لهم لانه يجوز ان يكون
اتى به لاختلاف اللفظين كما يقولون متى كان هذا واي وقت كان ويجوز ان يكون بمعنى كيف واستدل مالك بقوله انى شئتم على جواز
اتيان المراة في دبرها ورواه عن نافع عن ابن عمر وحكاه عن زيد بن اسلم عن محمد بن المنكدر ورواه كثير من اصحابنا وخالف في ذلك جميع
الفقهاء وقالوا ان الحرث لا يكون الا بحيث النسل فيجب ان يكون الوطي حيث يكون النسل واجيبوا عن ذلك بان النساء وان
كن لنا حرثا فقد ابيح لنا وطيهن بلا خلاف في غير موضع الحرث كالوطي فيما دون الفرج وما اشبه وقوله وقدموا لانفسكم
معناه وقدموا الاعمال الصالحة التي امرتم بها ورغبتم فيها ليكون ذخرا لكم عند الله تعالى وهو اوضحها [illegible]
الامر [illegible] الاشياء قدموا لانفسكم بالطاعة ما امرتم به واتقوا الله اي واتقوا عقاب الله بترك مخالفته [illegible]
وفي ذلك الحث على الطاعة بالعمل الواجب الذي عرفوه والتحذير من مخالفته [illegible] وقيل معناه التقديم [illegible]
واقتناء الولد الصالح يكون [illegible] لقوله عليه السلام اذا مات ابن ادم انقطع عمله الا عن ثلث ولد صالح يدعو له وصدقة جارية
وعلم ينتفع به بعد موته وقيل هو تقديم الافراط لقوله صلعم من قدم ثلثة من الولد لم يبلغوا الحنث لم تمسه النار الا تحلة
القسم فقيل يا رسول الله واثنان قال واثنان وقيل هو التسمية عند الجماع عن عطاء وقيل هو الدعاء عند الجماع عن مجاهد

ويؤيده ما روي عن ابن عباس قال قال النبي صلعم اذا اراد احدكم ان ياتي اهله فليقل بسم الله وبالله اللهم جنبني الشيطان وجنب
الشيطان ما رزقتنا فان قدر بينهما ولد لم يضره شيطان وقيل هو التزوج بالعفايف ليكون الولد صالحا طاهرا واعلموا انكم
ملاقوه اي ملاقوا جزاءه يعني ثوابه ان اطعتموه وعقابه ان عصيتموه وانما اضافه اليه على ضرب من المجاز وبشر المؤمنين بالثواب في الجنة
ولا يصح حمل اللقاء على الرؤية لان لفظ اللقاء يقع على معان مختلفة يقال لقي جهدا ولقي حمامه ولان الاية اثبات اللقاء لجميع العباد
وهذا خلاف ما ذهب اليه المشبهة قوله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم
اللغة يقال الحاجز بين الشيئين هو عرضة له والمراة عرضة للنكاح والابل عرضة للسفر وعرضة له قال الشاعر فهذي
الايام الحروب وهذه الهوى لي وهي معرضة لا تتحالنا اي عادة وقال ابو العباس العرضة الاعتراض في الخير والشر واليمين
الحلف واصله قيل اخذ من القوة لانه يتقوى به على ما يحلف عليه ومنه قول الشاعر باليمين وقيل اخذ من الجارحة لانهم كانوا
عند الايمان يضربون ايمانهم على ايديهم فمنه الحلف بذلك وقيل اخذ من اليمين الذي هو البركة لانه عقد يتبرك
بذكر الله التاكيد الاعراب قوله ان تبروا في موضعه ثلثة اقوال احدها انه موضع جر بحذف اللام عن الخليل قال ابو علي
جاز ان يكون المصدر الذي هو ان مع الفعل في موضع جر وان لم يجز ذلك في غير ان لان اجرها ان الكلام قد طال
بالصلة فحسن الحذف مع الاخر ان الحرف واذا احذف اللام صار كان حرفا قد اقيم مقام حرف تعاقبه فلهذا احسن حذف
اللام مع ان دون المصدر الصريح الموصول فاللفظ بالفعل ويوضح ذلك انك اذا قلت جئتك لضرب زيد لم يجز ان تحذف
اللام فتقول جئتك ضرب زيد واذا قلت جئتك لان تضرب زيدا جاز ان تحذف اللام فتقول جئتك ان تضرب زيدا
والثاني انه موضعه النصب لانه لما حذف الجار وصل الفعل وهو قول سيبويه وهو القياس واتفق على القولين
جميعا فيكون تقديره لان لا تبروا على الاثبات فعلى القول الاول وهو الجر يكون في محل النصب لانه مفعول له وعلى القول
الثاني وهو الاثبات يجوز ان يكون مفعولا له ويجوز ان يكون في محل النصب على الحال والعامل فيه ما في قوله لايمانكم
من معنى الفعل تقديره لا تجعلوا الله عرضة لايمانكم كائنة لان تبروا اي ببركم وذو الحال الايمان والثالث ما قاله
قوم ان موضعه رفع تقديره ان تبروا وتتقوا اولى فحذف الخبر الذي هو اولى لانه معلوم المعنى النزول نزلت في
عبد الله بن رواحة حين حلف ان لا يدخل على ختنه ولا يكلمه ولا يصلح بينه وبين امراته فكان يقول اني حلفت
بهذا فلا يحل لي ان افعل فنزلت الاية المعنى لما بين سبحانه احوال النساء وما يحل منهن عقبه بذكر الايلاء وهو اليمين
التي يحرم الزوجة فابتداء بذكر الايمان اولا تاسيسا لحكم الايلاء فقال ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم وفي معناه ثلثة اقوال
احدها ان معناه لا تجعلوا اليمين بالله علة مانعة لكم من البر والتقوى من حيث تتعمدون لتعتلوا بها وتقولوا حلفنا بالله
ولم تحلفوا عن الحسن وطاوس وقتادة واصله في هذا الوجه الاعتراض الذي هو المانع بينكم وبين البر والتقوى لان المعترض
بين الشيئين يكون مانعا من وصول احدهما الى الاخر فالعلة مانعة كما ان المعترض والثاني ان عرضة معناه حجة فكانه قال
فلا تجعلوا اليمين بالله حجة في المنع من البر والتقوى فان كان قد سلف منكم يمين ثم ظهر ان غيرها خير منها فافعلوا الذي هو
خير ولا تحتجوا بما سلف من اليمين عن ابن عباس ومجاهد والربيع واصله في هذا القول والاول واحد لانه منع من جهة
الاعتراض بعلة او بحجة والثالث ان معناه لا تجعلوا اليمين بالله عرضة مبتذلة في كل حق وباطل لان تبروا في الحلف
بها وتتقوا الماثم فيها عن عايشة لانها قالت لا تحلفوا به وان بررتم وبه قال الجبائي وابو مسلم وهو المروي عن
ائمتنا نحو ما روي عن عثمان بن عيسى عن ابي ايوب الخزاز قال سمعت ابا عبد الله عم يقول لا تحلفوا بالله صادقين ولا كاذبين فانه
يقول سبحانه ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم قال ابو مسلم ومن اكثر ذكر شيء في معنى فقد جعله عرضة له ويقول جعلتني عرضة
للوم قال الشاعر ولا تجعلني عرضة للوائم وتقديره على الوجه الاول والثاني لا تجعلوا الله مانعا من البر والتقوى باعراضكم
به حالفا وعلى الوجه الثالث لا تجعلوا الله مما يحلف به دائما باعراضكم بالحلف به في كل حق وباطل وقوله ان تبروا

قيل في معناه اقوال الاول لان تبروا على معنى الاثبات اى لانكونوا تبرون اقساما فان من قلت يمينه كان اقرب الى
البر ممن كثرت يمينه وقيل لان تبروا في يمين والثاني ان المعنى لدفع ان تبروا او لترك ان تبروا فحذف المضاف
عن المبرد والثالث ان معناه ان لا تبروا فحذف لا عن ابي عبيدة قال وحذف لا لانه في معنى القسم كقول امرئ
القيس فقلت يمين الله ابرح قاعدا ولو قطعوا راسي لديك واوصالي اى لا ابرح وانكره المبرد وهذا لانه لما كان
معناه بطل ان يكون جوابا للقسم ولما يجوز والله اقوم في القسم بمعنى لا اقوم لانه لو كان اثباتا لما لكان لاقومن باللام والنون
والمضاف قوله اتفاق ولي عليه واحد والتقوى مخالف وتتقوا اى تتقوا الاثم والمعاصي في الايمان وتصلحوا
بين الناس عطف على ما سبق ومعناه ولا تجعلوا الحلف بالله علة او حجة في ان لا تبروا ولا تتقوا ولا تصلحوا بين الناس
ان تبروا وتتقوا وتصلحوا الوجه الثالث لا تجعلوا اليمين بالله مبتذلة لان لا تبروا وتتقوا وتصلحوا اى لكى تكونوا من البررة
والاتقياء والمصلحين بين الناس فان من كثرت يمينه لا يوثق بحلفه ومن قلت يمينه فهو اقرب الى التقوى والاصلاح بين
الناس والله سميع لايمانكم عليم بما في ضمائركم لا يخفى عليه من ذلك خافية وفي هذه الآية دلالة على ان من حلف على شيء
ورأى غيره خيرا منه فله ان ينقض يمينه ويفعل الذي هو خير وهل يجب عليه الكفارة فيه خلاف عند اكثر الفقهاء
يجب الكفارة ولا كفارة عليه عندنا ومن اقسم على غيره ليفعل فعلا او ليمتنع من فعل فلا يلزمه ذلك وقال بعضهم ان المقسم
عليه لا يأثم بذلك والصحيح ان المقسم عليه يأثم لقول النبي صلعم من سألكم فاعطوه ومن استعاذكم بالله فاعيذوه قوله تعالى
لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور حليم * اللغة اصل اللغو الكلام الذي
لا فائدة فيه يقال لغى يلغو لغوا اذا اتى بكلام لا فائدة فيه والغى الكلمة اذا طرحها لانه لا فائدة فيها واللاغية الكلمة القبيحة
الفاحشة ومنه اشتقاق اللغة لانها كلام لا فائدة فيها عند غير اهل اللغة ولغو الطائر منطقه قال ثعلبة بن صعير المازني
باكرتهم بسباء جون ذارع قبل الصباح وقبل لغو الطائر واللاغى الكاذب الكلام القبيح لغى يلغى لغى واصل الحلم الاناة وهو
صفة مدح لانه الاناة بتأخير العقاب على الذنب * الاعراب في ايمانكم في موضع الحال والعامل فيه يؤاخذكم وما في قوله
اللغو ما كسبت يجوز ان يكون اسما موصولا ويجوز ان يكون حرفا موصولا * المعنى ثم بين سبحانه اقسام اليمين فقال لا
يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم اختلف في يمين اللغو فقيل هو ما يجري على عادة اللسان من قول لا والله وبلى والله من غير
عقد على يمين يقتطع بها مال ولا يظلم بها احد عن ابن عباس وعائشة والشعبي وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام
وهو قول الشافعي وقيل هو ان يحلف وهو يرى انه صادق ثم يتبين انه كاذب فلا اثم عليه ولا كفارة عن الحسن ومجاهد
وقتادة وغيرهم وهو قول ابي حنيفة واصحابه وقيل هو يمين الغضبان وقال مسروق كل يمين ليس له الوفاء بها فهي لغو لا
فيها الكفارة ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم اى بما عزمتم وقصدتم لان كسب القلب العقد والنية وفيه حذف اى من
ايمانكم وقيل ان يحلف كاذبا او على باطل عن ابراهيم والله غفور يغفر الذنوب حليم يمهل العقوبة على الذنب ولا يعجلها
قوله تعالى للذين يؤلون من نسائهم تربص اربعة اشهر فان فاؤا فان الله غفور رحيم * وان عزموا الطلاق فان الله
سميع عليم * اللغة الآلي الحالف من الية وجمعها الايلاء الالية والالوة والحلف قال الشاعر كفينا من تغيب
من نزار واحنثنا الية مقسمينا والالوة ... وفي التنزيل ولا يأتل اولوا الفضل وقرئ ولا يتأل وجمع الالية
الايا مثل عشية وعشايا وعشيات وجمع الالوة الالاء كركوة وركاء والتربص الانتظار يقال تربص به تربصا قال
الشاعر تربص بها ريب المنون لعلها تطلق يوما او يموت حليلها والفيء الرجوع يقال فاء يفيء فيئا اذا رجع وقال الفراء
اذا تحول الظل ... رجوع الشمس والفرق بين الفيء والظل ما قاله المبرد ان الفيء ما نسخ الشمس لانه هو الراجع والظل
ما لا شمس فيه وكل فيء ظل وليس كل ظل فيئا واهل الجنة في ظلال لا فيء لان الجنة لا شمس فيها وفي التنزيل وظل ممدود
وجمع الفيء فياء والفيء غنائم المشركين افاءه الله على المسلمين وهو من رجوع الشيء الى حقه وفلان سريع الفيء من غضبه اى سريع الرجوع

والعزم

والعزم هو العقد على فعل شيء في مستقبل الاوقات وهو ارادة متقدمة للفعل بما اكثر من وقت واحد يتعلق بفعل العازم
يقال عزم على الشيء عزما واعتزم وعزمت عليك لتفعلن اى اقسمت وعزم الراقي كانه اقسم على الداء وما لفلان عزيمة
اى ما يثبت على شيء يلزمه وعزائم القرآن التي يقرأ على ذوي الآفات لما يرجى من البرء بها والطلاق حل عقد النكاح بسبب
من جهة الرجل وامرأة طالق زعم قوم ان تاء التأنيث انما حذفت لانه لا حظ فيه للمذكر وهذا ليس بشيء لان في الكلام اشياء كثيرة
يشترك فيها المذكر والمؤنث لا يثبت فيها الهاء في المؤنث يقال بعير ضامر وناقة ضامر وامرأة ... وقال سيبويه انه وقع على لفظ الذكر
صفة المؤنث لانه ليس على الفعل وحقيقته انه على جهة النسب نحو قولهم امرأة مطفل اى ذات طفل وطالق اى ذات طلاق
فاذا اجريته على الفعل قلت طالقة قال الاعشى ايا جارتي بيني فانك طالقة كذاك امور الناس غاد وطارقة واصل الطلاق
من الانطلاق وطلقت المرأة عند الولادة فهي مطلوقة اذا تمخضت والطلق الشوط من الجري والطلق الحبل الشديد
الفتل والسميع من كان على صفة يجب لاجلها ان يدرك المسموعات اذا وجدت وهي ترجع الى كونه حيا لا آفة به والسامع
المدرك ويوصف القديم سبحانه في الازل بانه سميع ولا يوصف في الازل بانه سامع انما يوصف به اذا وجدت المسموعات
الاعراب يجوز في اربعة اشهر ثلاثة اوجه الجر على الاضافة وعليه القراءة وهذه الاضافة غير حقيقية فان الاربعة في محل
النصب وان كان مجرورا في اللفظ ويجوز في العربية الرفع والنصب تربص اربعة اشهر كقوله فشهادة احدهم اربع شهادات
بالله ومثله في الجزاء مثل ما قتل من النعم وتربص اربعة اشهر كقوله الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا اى كفتهم احياء
وامواتا * المعنى ثم بين سبحانه حكم الايلاء لانه من جملة الايمان والاقسام وشريعة من شرائع الاسلام فقال للذين يؤلون
اى يحلفون وفيه حذف ان يعتزلوا من وطي نسائهم على وجه الاضرار بهن تربص اربعة اشهر اى التوقف والتثبت
في اربعة اشهر واليمين التي يكون الرجل بها موليا هي اليمين بالله عز وجل او بشيء من صفاته التي لا يشركه فيها غيره
على وجه يقع موقع القسم الذي لا فائدة فيه ويكون الحلف على الامتناع من الجماع على وجه الغضب والضرر وهو
المروي عن علي ع وابن عباس والحسن وقيل في الغضب والرضا عن ابراهيم والشعبي وجماعة من الفقهاء وقيل هو في الجماع
وغيره من الضرار نحو ان يحلف لا يكلمها عن سعيد بن المسيب فان فاؤا اى رجعوا الى المرأة بان يجامعوا عند القدرة
عليه او يعزموا القول عند العجز عن الجماع عن ابن عباس ومسروق وسعيد بن المسيب وهو مذهبنا وبه قال ابو حنيفة
واصحابه وقيل ان يكون فاء بالعزم في حال العذر الا انه ينبغي ان يشهد على فيئه عن الحسن وابراهيم وعلقمة ومتى كون
هذا العجز عن الجماع ويجب على الفائي عندنا كفارة ولا عقوبة عليه وبه قال ابن عباس وسعيد بن المسيب وقتادة
وقال الحسن وابراهيم لا كفارة عليه ولا عقوبة لقوله فان الله غفور رحيم ومعنى غفور عندنا انه لا يتبعه بعقوبة
ومن حلف ان لا يجامع اقل من اربعة اشهر لا يكون موليا ومن حلف ان لا يقربها وهي مرضعة مخافة ان تحبل فيضر
ذلك بولدها لا يلزمه حكم الايلاء واذا مضت اربعة اشهر ولم يجامع الزمه الحاكم اما الرجوع والكفارة واما الطلاق
فان امتنع حبسه حتى يفيء او يطلق وقوله وان عزموا الطلاق عزيمة الطلاق عندنا ان يعزم ثم يتلفظ بالطلاق
ومتى لم يتلفظ بالطلاق على الوجه المشروع فان المرأة لا تبين منه الا ان تستعدى فان استعدت وانظره الحاكم
اربعة اشهر فانه يوقف بعد الاشهر الاربعة ويقال له فئ او طلق فان لم يفعل حبس حتى يطلق وبه قال الشافعي لانه متى
امتنع من الطلاق والفيئة طلق عنه الحاكم طلقة رجعية وقال ابو حنيفة واصحابه اذا مضت اربعة اشهر ولم يفئ بانت منه
بتطليقة ولا رجعة له عليها وعليها العدة يخطبها في العدة ولا يخطبها غيره فان الله سميع عليم سميع لقوله عليم بضميره
وقيل سميع لايلائه ويعلم بنيته وانما ذكر عقيب الاول فان الله غفور رحيم لانه لما اخبر عن المولى انه يلزمه الفيء او الطلاق
بين انه ان فاء فان الله غفور رحيم انه لما اخبر عن المولى انه يلزمه الفيء او الطلاق بين انه ان فاء فان الله غفور رحيم
بان يقبل رجوعه ولا يتبعه بعقاب ما ارتكبه وذكر هاهنا انه سميع عليم لما اخبر عنه بايقاع الطلاق وكان

١١٧

ذلك مما يسمع اخبر بانه لا يخفى عليه ولم يضيعه فكل لا يليق الا بموضعه وذلك من عظيم فصاحة القرآن قوله تعالى
والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلثة قروء ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر وبعولتهن
احق بردهن في ذلك ان ارادوا اصلاحا ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم • آية
اللغة القرء جمعه قروء وجمعه القليل اقرؤ والكثير اقراء وقروء وصار بناء الكثير غالبا في الاستعمال يقال ثلثة قروء
مثل ثلثة شسوع استغنى ببناء الكثير عن بناء القليل [illegible] لما كانت كل مطلقة يلزمها هذا دخل معنى
الكثرة فاتى ببناء الكثرة للاشعار بذلك فالقروء كثيرة الا انها ثلثة ثلثة في القسمة وهذا الحرف من الاضداد
واصله في اللغة يحتمل وجهين احدهما الاجتماع ومنه قرأت القرآن لاجتماع حروفه وما قرأت الناقة سلى قط اي لم تجمع
رحمها على ولد قط قال عمرو بن كلثوم ذراعي عيطل ادماء بكر هجان اللون لم تقرأ جنينا فعلى هذا يقال اقرأت المرأة
فهي مقرئ اذا حاضت واصل القرء فهو القرء الحيض وذلك لاجتماع الدم في الرحم ويجيء على هذا ان يكون القرء الطهر
لاجتماع الدم في جملة البدن والوجه الثاني ان اصل القرء الوقت الجاري في الفعل على عادة وهو يصلح للحيض والطهر
يقال هذا قارئ الرياح اي وقت هبوبها قال الشاعر شنئت العقر عقر بني شليل اذا هبت لقاريها الرياح اي لوقت
هبوبها وشدة بردها والذي يقوي ان القرء الطهر قول الاعشى وفي كل عام انت جاشم غزوة تشد لاقصاها عزيم عزائكا
مورثة مالا وفي الاصل رفعة لما ضاع فيها من قروء نسائكا والذي ضاع هاهنا الاطهار لا الحيض والبعولة جمع بعل
يقال بعل وبعولة [illegible] وسمي الزوج بعلا لانه عال على المرأة بملكه لزوجيتها وقوله أتدعون بعلا اي ربا
وقيل انه الصنم والبعل النخل الذي يشرب بعروقه لا يحتاج الى سقي [illegible] اذا ضاق به ذرعا لانه علاه
منه ما ضاق به ذرعه وبعل الرجل بطرا لانه استعلى تكبرا وامرأة بعلة لا تحسن لبس الثياب [illegible]
[illegible] والرجال جمع رجل يقال رجل بين الرجلة اي القوة وهو ارجل الرجلين اي اقواهما وفرس رجيل قوي على المشي
وسمي الرجل رجلا لقوته على المشي ورجل من جراد اي قطعة منه تشبيها بالرجل لانها قطعة من الجملة والراجل الذي
يمشي على رجله وارتجال الكلام ارتجالا لانه قوي عليه من غير كد فكر وترجل النهار لانه قوي ضياؤه بنزول الشمس
الى الارض ورجل شعره اذا طوله واصل الباب القوة والدرجة والمنزلة الاعراب ان كن يؤمن بالله جواب الشرط محذوف
وتقديره ان كن يؤمن بالله فلا يكتمن وكذلك جواب الشرط من قوله ان ارادوا اصلاحا محذوف وتقديره ان ارادوا اصلاحا
فبعولتهن احق بردهن مثل الذي عليهن اضافته غير حقيقية لان الذي عليهن مفعول المعنى ثم بين سبحانه حكم المطلقات والطلاق
فقال والمطلقات اي المخليات عن حبال الزوج بالطلاق وانما يعني المطلقات المدخول بهن من ذوات الحيض غير الحوامل
لان في الاية بيان عدتهن يتربصن بانفسهن ثلثة قروء معناه ينتظرن بانفسهن انقضاء ثلثة قروء فلا يتزوجن [illegible]
[illegible] والمراد بالقرء الاطهار عندنا وهو قول زيد بن ثابت وعائشة وابن عمر ومالك والشافعي واهل المدينة قال ابن شهاب [illegible]
احد من اهل [illegible] الا وهو يقول الاقراء الاطهار الا سعيد بن المسيب [illegible] وروي عن ابن عباس وابن مسعود والحسن ومجاهد
وروي ايضا عن علي عليه السلام ان القرء الحيض والمراد ثلثة قروء ثلث حيض وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه واستشهدوا
بقوله عليه السلام المستحاضة تدع الصلوة ايام اقرائها والصلوة انما تترك في ايام الحيض واستشهد من ذهب الى ان القرء الطهر
بقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن اي في طهر لم يجامعهن فيه كما يقال لغرة الشهر وبقوله صلعم لما طلق ابن عمر زوجته وهي حائض
مره فليراجعها فاذا طهرت فليطلق او ليمسك وتلا صلعم واذا طلقتم النساء فطلقوهن لقبل عدتهن فاخبر صلعم
ان العدة الاطهار دون الحيض [illegible] تستقبل عدتها ولو طلقت حائضا لم تستقبل عدتها الا بعد الحيض وروى اصحابنا
عن زرارة قال سمعت ربيعة الرأي يقول ان من رأيي ان الاقراء التي سمى الله في القرآن انما هو الطهر فيما بين الحيضتين وليس
بالحيض قال فدخلت على ابي جعفر عليه السلام فحدثته بما قال ربيعة فقال كذب لم يقل برأيه وانما بلغه عن علي عليه السلام

فقد اصاب [illegible] ان رجلا طلق امرأته طاهرا من غير جماع بشهادة عدلين قال اذا دخلت في الحيضة الثالثة فقد انقضت عدتها
وحلت للازواج قال قلت ان اهل العراق يروون عن علي عليه السلام انه كان يقول هو احق برجعتها ما لم تغتسل من الحيضة
الثالثة فقال كذبوا ولا يحل لهن اي المطلقات اللاتي يجب عليهن العدة ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن قيل اراد به الحيض
وهو المروي عن الصادق عليه السلام قال قد فوض الله الى النساء ثلثة اشياء الحيض والطهر والحمل وهذا القول اعم فالاخذ به
اولى وانما لم يحل لهن الكتمان لئلا يبطل حق الزوج من الرجعة عن ابن عباس وقيل لئلا ينسبن الولد الى غير ابيه كفعل الجاهلية عن قتادة
وقوله ان كن يؤمن بالله واليوم الاخر يعني من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فهذه صفته وحليته وليس هذا بشرط حتى لا يحل الكتمان
عليها الكتمان ولكن المراد ان الايمان يمنع من ارتكاب هذه المعصية كما يقول الرجل ان كنت مؤمنا فلا تظلم وهذا على وجه الوعيد
وبعولتهن احق بردهن في ذلك يعني ازواجهن اولى برجعتهن وفي ردهن الى الحالة الاولى في ذلك الاجل الذي
لهن في مدة العدة فانها ما دامت في العدة باقية كان للزوج حق المراجعة وتفوت بانقضائها وفيه ما يدل على ان
الزوج يتفرد بالمراجعة ولا يحتاج في ذلك الى رضاء المرأة ولا الى عقد جديد واشهاد وهذا يخص الرجعيات
وان كان اول الاية عاما في جميع المطلقات الرجعية والبائنة ان ارادوا اصلاحا لا اضرارا وذلك ان الرجل
كان اذا اراد الاضرار بامرأته طلقها واحدة وتركها مدة حتى اذا قرب انقضاء عدتها راجعها وتركها مدة ثم طلقها اخرى
وتركها كما فعل في الاولى ثم راجعها وتركها مدة اخرى ثم طلقها فجعل الله للزوج احق المراجعة على وجه الاصلاح لا على وجه الاضرار
فاما شرط الاصلاح في اباحة المراجعة لا في ثبوت احكامها للاجماع لا امتراء مع ارادة الاضرار يثبت احكام الرجعة وقوله
ولهن اي النساء على ازواجهن مثل الذي لهم عليهن من الحق بالمعروف وهذه من الكلمات العجيبة الجامعة للفوائد
الجمة وانما اراد بذلك ما يرجع الى حسن العشرة وترك المضارة والتسوية في القسم والنفقة والكسوة كما ان للزوج
حقوقا عليها منها الطاعة التي اوجبها الله عليها له وان لا تدخل فراشه غيره وان تحفظ ماءه فلا تحتال في اسقاطه
وروي ان امرأة معاذ قالت ما حق الزوجة على زوجها قال ان لا يضرب وجهها ولا يقبحها وان يطعمها مما ياكل ويلبسها
مما يلبس ولا يهجرها وروي عنه صلعم انه قال اتقوا الله في النساء فانكم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم حقكم
عليهن ان لا يوطئن فرشكم من تكرهونه فان فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف وقوله
وللرجال عليهن درجة قيل معناه فضيلة منها الطاعة ومنها ان يملك التخلية ومنها زيادة الميراث على قسم المرأة
والجهاد هذا قول مجاهد وقتادة وقيل معناه منزلة في الاخذ عليها بالفضل في المعاملة حتى يقول ما احب
ان استوفي منها جميع حقي ليكون لي عليها الفضيلة عن ابن عباس وقيل معناه ان المرأة تنال اللذة من الرجل كما ينال
الرجل منها وله الفضيلة بنفقته وقيامه عليها عن الزجاج وفي تفسير علي بن ابراهيم بن هاشم قال حق الرجال على النساء
افضل من حق النساء على الرجال وفي كتاب من لا يحضره الفقيه روي عن الباقر عم قال جاءت امرأة الى رسول الله صلعم
فقالت يا رسول الله ما حق الزوج على المرأة فقال لها ان تطيعه ولا تعصيه ولا تتصدق من بيتها بشيء الا باذنه ولا
تصوم تطوعا الا باذنه ولا تمنعه نفسها وان كانت على ظهر قتب ولا تخرج من بيتها الا باذنه فان خرجت بغير اذنه
لعنتها ملائكة السموات وملائكة الارض وملائكة الغضب وملائكة الرحمة حتى ترجع الى بيتها فقالت يا رسول الله من اعظم
الناس حقا على المرأة قال زوجها فقالت فما لي من الحق عليه مثل ما له علي قال لا ولا من كل مائة واحدة فقالت والذي
بعثك بالحق لا يملك رقبتي رجل ابدا وقال عليه السلام لو كنت آمرا احدا ان يسجد لاحد لامرت المرأة ان تسجد لزوجها
والله عزيز حكيم اي قادر على ما يشاء يمنع ولا يمنع ويقهر ولا يقهر فاعل لما تدعو اليه الحكمة وقد قيل في الاية ان
المطلقة قبل الدخول والمطلقة الحامل نسختا من هذه الاية بقوله فما لكم عليهن من عدة تعتدونها وقوله واولات الاحمال
اجلهن ان يضعن حملهن وقيل انهما مخصوصتان من الاية كما ذكرناه في اول الاية قوله تعالى

الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا إلا أن يخافا ألا
يقيما حدود الله فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد
حدود الله فأولئك هم الظالمون. القراءة قرأ أبو جعفر وحمزة إلا أن يخافا بضم الياء والباقون بفتحها. الحجة
خاف فعل يتعدى إلى مفعول واحد وذلك المفعول يكون أن وصلتها كقوله تخافون أن يتخطفكم الناس ويكون غيرها نحو قوله
تخافوهم وخافون وجه قراءة حمزة إلا أن يخافا أنه لما بنى الفعل للمفعول به أسند الفعل إليه فلم يبق شيء يتعدى إليه فأما أن في قوله ألا
يقيما فإن الفعل يتعدى إليه بالجار كما يتعدى بالجار في قوله لو خافك الله عليه حرمه وموضع أن في الآية جر بالجار المقدر على
قول الخليل والكسائي ونصب على قول سيبويه وأصحابه لأنه لما حذف الجار وصل الفعل إلى المفعول الثاني مثل أستغفر الله
ذنبا وأمرتك الخير فقراءة حمزة مستقيمة على ما رأيت فأما قول من قال لو كان يخافا كما قرأ لكان ينبغي أن يكون فإن خيفا قيل لا يلزم
هذا السؤال من خالفه في قراءته لأنهم قد قرؤوا إلا أن يخافا ولم يقولوا فإن خافا وليس يلزم هذا السؤال جميعهم لأحد وجهين
أنه انصرف من الغيبة إلى الخطاب كما قال الحمد لله ثم قال إياك نعبد وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون
وهذا النحو كثير في التنزيل وغيره والآخر أن يكون الخطاب في قوله فإن خفتم مصروفا إلى الولاة والفقهاء الذين يقومون بأمور
الكافة وجاز أن يكون الخطاب للكثرة فيمن جعله منصرفا من الغيبة إلى الخطاب لأن ضمير الاثنين في يخافا ليس يراد به اثنان
مخصوصان إنما يراد به أن كل من كان هذا شأنه فهذا حكمه فأما من قرأ يخافا بفتح الياء فالمعنى أنه خاف كل من الزوج والزوجة
أن لا يقيما حدود الله حل الافتداء. اللغة المرة والمرتان كالكرة والكرتان وأصل المرة المرور خلاف الوقوف والمرة
شدة الفتل لاستمرارها على الإحكام والإمساك خلاف الإطلاق وما بفلان مسكة وتماسك إذا لم يكن فيه خير
والمسك الإهاب لأنه يمسك البدن باحتوائه عليه والمسك السوار لاستمساكه في اليد والتسريح مأخوذ من السرح وهو
سرح الماشية في المرعى سرحتها إذا أطلقتها ترعى وسرحت الماشية انطلقت في المرعى والسرحان الذئب لانبساطه
والسرح والسرحة الشجرة المرتفعة لانطلاقها في جهة الطول والسرح المشط لانطلاق الشعر به والسرياح الجراد لانطلاقه
في البلاد وإن يخافا معناه إلا أن يظنا قال الشاعر أتاني كلام عن نصيب يقوله وما خفت يا سلام أنك عائبي يعني ما ظننت
والفراء أنشد إذا مت فادفني إلى جنب كرمة تروي عظامي بعد موتي عروقها ولا تدفنني في الفلاة فإنني أخاف إذا
ما مت أن لا أذوقها وقال أبو عبيدة إلا أن يخافا معناه إلا أن يوقنا فإن خفتم ها هنا فإن أيقنتم. الإعراب الطلاق رفع بالابتداء
ومرتان الخبر وقوله فإمساك خبر مبتدأ محذوف تقديره فالواجب عليكم إمساك ولو كان في الكلام إمساكا بالنصب لكان جائزا
على فأمسكوهن إمساكا بمعروف كما قال فأمسكوهن بمعروف أن يخافا موصول وصلة موضعها نصب بأنه مفعول له تقديره لخوفهما
وأن لا يقيما في موضع نصب بأنه مفعول يخافا تقديره يخافا ترك إقامة حدود الله. النزول روى هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة
أن امرأة أتتها فشكت أن زوجها يطلقها ويسترجعها يضارها بذلك وكان الرجل في الجاهلية إذا طلق امرأته ثم راجعها
قبل أن تنقضي عدتها كان له ذلك وإن طلقها ألف مرة لم يكن للطلاق عندهم حد فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت
الطلاق مرتان فجعل حد الطلاق ثلاثا والطلاق الثالث قوله فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره وروي
أنه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم الطلاق مرتان فأين الثالثة فقال إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان وقوله إلا أن يخافا فإنه نزلت في ثابت
بن قيس بن شماس وزوجته جميلة بنت عبد الله بن أبي وكان يحبها وتبغضه فقال لها أتردين عليه حديقته قالت نعم
وأزيده قال لا حديقته فقط فردت عليه حديقته فقال يا ثابت خذ منها ما أعطيتها وخل سبيلها ففعل فكان أول خلع
في الإسلام. المعنى ثم بين سبحانه عدد الطلاق فقال الطلاق مرتان أي الطلاق الذي يملك فيه الرجعة مرتان
وفي معناه قولان أحدهما أنه بيان تفصيل الطلاق للسنة وهو أنه إذا أراد طلاقها ينبغي أن يطلقها في طهر لم يقربها
فيه بجماع تطليقة واحدة ثم يتركها حتى تخرج من العدة أو حتى تحيض وتطهر ثم يطلقها ثانية عن ابن عباس ومجاهد

والثاني أن معناه البيان عن عدد الطلاق الذي توجب البينونة مما لا يوجبها وفي الآية بيان أنه ليس بعد الطلقتين
إلا الفرقة البائنة ولفظه الخبر ومعناه الأمر أي طلقوا دفعتين وقوله فإمساك بمعروف تقديره فالواجب إذا راجعها
بعد التطليقتين إمساك بمعروف أي على وجه جميل سائغ في الشريعة لا على وجه الإضرار بهن أو تسريح بإحسان فيه قولان
أحدهما أنه الطلقة الثالثة والثاني أنه يترك المعتدة حتى تبين بانقضاء العدة عن السدي والضحاك وهو المروي عن
أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام ولا يحل لكم خطاب للأزواج أن تأخذوا في حال الطلاق والاستبدال مما آتيتموهن أي أعطيتموهن
من المهر شيئا ثم استثنى جواز الخلع فقال إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله معناه إلا أن يغلب على ظنهما أن لا يقيما حدود الله
لما بينهما من أسباب التباعد والتباغض وقال ابن عباس هو أن يظهر من المرأة النشوز وسوء الخلق بغضا للزوج وقال
أبو عبد الله إذا قالت المرأة لا أغتسل لك من جنابة ولا أبر لك قسما ولأوطئن فراشك ولأدخلن عليك بغير إذنك
إذا قالت له هذا حل له خلعها وحل له ما أخذ منها وعلى الجملة إذا خاف أن تعصي الله فيه بارتكاب محظور أو إخلال بواجب
وأن لا تطيعه فيما يجب عليها في حقه حل له أن يخلعها وروي مثل ذلك عن الحسن وقال الشعبي هو نشوزها ونشوزه فإن خفتم
ألا يقيما حدود الله أي فإن ظننتم أن لا يكون بينهما صلاح في المقام فلا جناح عليهما أي لا حرج ولا إثم عليهما
ومعناه نفي الإباحة وفي قوله عليهما وإن كانت الإباحة للزوج وجهان أحدهما أن الزوج لو خص بالذكر لأوهم أنها
عاصية وإن كانت الفدية له جائزة فبين الإذن لهما في ذلك لزوال الإيهام عن علي بن عيسى والآخر أن المراد به
الزوج وإنما ذكر المرأة معه لاقترانهما كقوله نسيا حوتهما وقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وإنما هو من الملح دون العذب
فجاز للاتساع قال الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن ره وهذا أليق بمذهبنا لأن الذي يبيح الخلع عندنا هو ما لولاه لكانت
المرأة عاصية وأقول إن الذي اقتضى ذلك أنه يجوز أن وقوع العصيان منها هو السبب في إباحة الخلع ورفع
الجناح إنما تعلق بالخلع لا بأسبابه فالوجه الأول أولى بالاختيار وأشد ملاءمة لظاهر الآية والوجه الآخر مرغوب عنه
لبعده وعدوله عن سنن الاستقامة إذ لا يكون الاثنان واحدا في الحقيقة فيما افتدت به أي بذلت من المال واختلف في ذلك
فعندنا إن كان البغض منها وحدها وخاف منها العصيان جاز أن يأخذ المهر وزيادة عليه وإن كان منهما فدون المهر وقيل يجوز
الزيادة والنقصان في المهر من غير تفصيل عن ابن عباس وابن عمر ورجاء بن حيوة وإبراهيم ومجاهد وقيل إن المهر فقط عن عطا
والربيع والزهري والشعبي وروي عن علي عليه السلام والخلع بالفدية على ثلاثة أوجه أحدها أن تكون المرأة عجوزا أو ذميمة فيضار
بها الزوج لتفتدي نفسها فهذا لا يحل له المال لقوله وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج الآية والثاني أن يرى الرجل
امرأته على فاحشة فيضارها لتفتدي نفسها فهذا جائز وهو معنى قوله ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين
بفاحشة مبينة والثالث أن يخافا أن لا يقيما حدود الله لسوء خلق وقلة نفقة من غير ظلم أو نحو ذلك فيجوز لهما جميعا الفدية
على ما مر تفصيله تلك حدود الله أي أوامره ونواهيه وما نصب من الآيات في الخلع والطلاق والرجعة والعدة فلا تعتدوها
أي فلا تجاوزوها إلى المخالفة ومن يتعد حدود الله أي يجاوزها بأن يخالف ما حد له فأولئك هم الظالمون واستدل
بهذه الآية على أن الطلاق الثلاث بلفظ واحد لا يقع لأنه قال الطلاق مرتان ثم ذكر الثالثة على الخلاف في أنها قوله أو تسريح
بإحسان أو قوله فإن طلقها ومن طلق ثلاثا بلفظ واحد فإنه لم يأت بالمرتين ولا بالثالثة كما أنه لو أوجب في اللعان أربع شهادات
فلو أتى بالأربع بلفظ واحد لما أتى بالمشروع ولم يحصل حكم اللعان وكذا لو رمى في الجمار بسبع حصيات دفعة واحدة
لم يجز عند الخلاف وكذلك الطلاق. قوله تعالى فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فإن طلقها فلا جناح
عليهما أن يتراجعا إن ظنا أن يقيما حدود الله وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون. الإعراب أن موضع أن في قوله
فلا جناح عليهما أن يتراجعا جر بإضمار الجار وتقديره في أن يتراجعا عن الخليل والكسائي والزجاج وقيل موضعه
نصب وهو اختيار الزجاج وباقي النحويين وموضع أن الثانية وهو أن يقيما حدود الله نصب بلا خلاف بظنا

١١٩

ولما جاز حذف ان يتراجعا ولم يجز حذف من المصدر الذى هو التراجع لطول الاسم بالصلة كما جاز الذى ضربت زيد الطويل الذى بالصلة ولم يجز فى المصدر ربما لم يجز فى سهل الفاعل نحو زيد ضارب عمرو زيد ضاربه النزول الزهرى عن عروة عن عايشة قالت جاءت امراة رفاعة بن وهب القرظى الى رسول الله صلعم فقالت كنت عند رفاعة فطلقنى فبت طلاقى فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير وانما معه مثل هدبة الثوب وانه طلقنى قبل ان يمسنى افارجع الى ابن عمى فتبسم رسول الله صلعم وقال تريدين ان ترجعى الى رفاعة لا حتى يذوق عسيلتك وتذوقى عسيلته وفى قصة رفاعة وزوجته نزلت فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره المعنى ثم بين سبحانه حكم الطلقة الثالثة فقال فان طلقها يعنى التطليقة الثالثة على ما روى عن ابى جعفر وبه قال السدى والضحاك وقيل هو تفسير قوله او تسريح باحسان عن مجاهد وهذا على مذهب من جعل التسريح طلاقا فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره اى لا تحل هذه المراة اى لا يحل تزوجها لهذا الرجل الذى طلقها حتى تزوج زوجا غيره ويجامعها واختلف فى ذلك فقيل العقد مما يعلم بالكتاب والوطى بالسنة عن الجبائى وقيل بل كلاهما علم بالكتاب لان لفظ النكاح يطلق عليهما فكانه قيل حتى تتزوج ويجامعها الزوج والعقد مستفاد بقوله زوجا والنكاح مستفاد بقوله حتى تنكح وانما اوجب الله ذلك لعلمه بصعوبة تزوج المراة على الرجال حتى لا يعجلوا بالطلاق وان يتثبتوا قال ابو مسلم وهذا من الكنايات الفصيحة والايجاز العجيب فان طلقها الزوج الثانى فلا جناح عليهما فى ان يتراجعا اى فلا جناح على الزوج وعلى المراة ان يعقدا بينهما عقد النكاح ويعودا الى الحالة الاولى فذكر النكاح بلفظ التراجع ان ظنا ان يقيما او قيل علما او قيل اعتقدا ان يقيما حدود الله فى حسن الصحبة والمعاشرة وان يكون بينهما الصلاح وتلك اشارة الى الامور التى بينها فى الطلاق والنكاح والرجعة حدود الله اوامره ونواهيه يبينها يفصلها لقوم يعلمون خص العالمين بذكر البيان لهم لانهم هم الذين ينتفعون ببيان الايات فصار غيرهم بمنزلة من لا يعتد به ويجوز ايضا ان يكونوا خصوا بالذكر تشريفا لهم كما خص جبرئيل وميكائيل بالذكر من بين الملائكة وتدل الاية على انه اذا طلقها الثالثة فلا تحل له الا بعد شرايط الزوج الثانى ووطيه فى القبل وفرقته وانقضاء عدته وصفة الزوج الذى يحل المراة للزوج الاول ان يكون بالغا ويعقد عليها عقدا صحيحا دائما واختلف فى المحلل على ثلث اقاويل فمنهم من قال اذا نوى المحلل ان يفسد النكاح لا تحل للاول عن الاوزاعى ومالك والثورى وروى نحو عن ابى يوسف واحتجوا بقوله صلعم لعن الله المحلل والمحلل له ومنهم قال اذا لم يشترط فى العقد حل وان شرط يفسد ولا تحل عن الشافعى ومنهم من قال يصح العقد ويبطل الشرط وتحل للاول ولكن يكره ذلك وهو الظاهر من مذهب ابى حنيفة واهل العراق وقال محمد يصح النكاح ولا تحل للاول وفى قوله فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره دلالة على ان النكاح بغير ولى جائز وان المراة يجوز لها ان تعقد على نفسها لانه اضاف العقد اليها دون وليها قوله تعالى وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۞ اية اللغة الاجل اخر المدة وعاقبة الامر والسراح المعروف هنا الحق الذى يدعو اليه العقل والشرع للمعرفة بصحته خلاف المنكر الذى يزجر عنه العقل او الشرع لاستحالة المعرفة بصحته فما يجوز المعرفة بصحته معروف وما لا يجوز المعرفة بصحته منكر الاعراب فبلغن اجلهن الجملة فى موضع جر بالعطف على الجملة قبلها وهى طلقتم النساء مجرور الموضع باضافة اذا اليها وضرارا نصب على الحال من الواو فى تمسكوهن تقديره ولا تمسكوهن مضارين واللام فى لتعتدوا متعلق بتمسكوا ومن هزوا مفعول ثان لتتخذوا وما انزل موصول وصلته فى محل النصب بالعطف على نعمة من الكتاب فى محل النصب على الحال والعامل فيه اذكروا او نزل الحال ثما انزل ومن بعض التبيين يعظكم جملة فى موضع الحال والعامل فيه انزل

المعنى ثم بين سبحانه ما يفعل بعد الطلاق فقال وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ وهذا خطاب للازواج فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ البلوغ هاهنا بلوغ مقاربة اى قاربن انقضاء العدة لان بعد انقضاء العدة ليس للزوج الامساك فهذا كما تقول بلغت البلد اذا قربت منه فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ اى راجعوهن قبل انقضاء العدة بما يعادن الثانى بينهم مما يقبله النفوس ولا تنكره العقول والمراد بالمعروف هاهنا ان يمسكها على الوجه الذى اباحه الله من القيام بما يجب لها من النفقة وحسن العشرة وغير ذلك او سرحوهن بمعروف اى اتركوهن حتى تنقضى عدتهن فيكن املك بانفسهن ولا تمسكوهن ضرارا اى لا تراجعوهن لا لرغبة فيهن بل لطلب الاضرار بهن اما فى تطويل العدة او تضييق النفقة فى العدة لتعتدوا اى لتظلموهن ومن يفعل ذلك اى الامساك للمضارة فقد ظلم نفسه فقد اضر بنفسه وعرضها لعذاب الله ولا تتخذوا ايات الله هزوا اى لا تستخفوا باوامره وفروضه ونواهيه وقيل ايات الله قوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان واذكروا نعمة الله عليكم فيما اباحكم من الازواج والاموال وما بين من الحرام والحلال وما انزل عليكم من الكتاب يعنى القران والحكمة يعنى العلوم التى دلكم عليها والشرايع التى بينها يعظكم به لتتعظوا فتنزجروا وتفعلوا ما امركم الله وتتركوا ما نهاكم عنه واتقوا الله اى معاصيه التى تؤدى الى عقابه وقيل اتقوا عذابه باتقاء معاصيه واعلموا ان الله بكل شىء عليم من اعمالكم وغيرها قوله تعالى وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ اية اللغة العضل الحبس وقيل هو ماخوذ من المنع وقيل ماخوذ من الضيق والشدة والامر المعضل الممتنع لصعوبته وعضلت الناقة فهى معضل اذا احتبس ولدها فى بطنها وعضلت الدجاجة اذا احتبس بيضتها وتقول عضل الرجل ايمه يعضلها ويعضلها عضلا اذا منعها من الزوج ظلما واعضل الداء الاطباء اذا اعياهم ان يقوموا به وامتنع عليهم لشدته وداء عضال وفلان عضلة من العضل اى داهية من الدواهى الاعراب موضع ان من قوله ان ينكحن ازواجهن جر عند الخليل والكسائى وتقديره من ان ونصب عند غيرهما بوقوع الفعل وذلك يوعظ به مبتداء وخبر ومن كان يؤمن بالله فى موضع رفع بيوعظ ومنكم فى موضع الحال من الضمير فى يؤمن النزول نزلت فى معقل بن يسار حين عضل اخته جملاء ان ترجع الى الزوج الاول وهو عاصم بن عدى فانه كان طلقها وخرجت من العدة ثم ارادا ان يجتمعا بعقد اخر فمنعها من ذلك فنزلت الاية عن قتادة والحسن ومجاهد وقيل نزلت فى جابر بن عبد الله عضل بنت عم له عن السدى والوجهان لا يصحان على مذهبنا لانه لا ولاية للاخ وابن العم عندنا واسلا ياثم بعضلها فالوجه فى ذلك ان تحمل الاية على المطلقين كما هو الظاهر فكانه قال لا تعضلوهن اى لا تراجعوهن عند قرب انقضاء عدتهن اضرارا بهن لا لرغبة فيهن لان ذلك لا يسوغ فى الدين ويجوز ان يكون العضل محمولا على الحيلولة بينهن وبين التزويج دون ما يتعلق بالولاية المعنى وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ اى انقضت عدتهن فلا تعضلوهن اى لا تمنعوهن ظلما من التزويج قيل المراد به التخلية وقيل هو خطاب للاولياء ومنع لهم عن عضلهن وقيل خطاب للازواج يعنى ان تطلقوهن فى السر ولا تظهروا طلاقهن لكيلا يتزوجن غيركم فيبقين لا ممسكات امساك الازواج ولا مخليات تخلية المطلقات او تطولوا العدة عليهن ان ينكحن ازواجهن اى من يرضين بهم ازواجا لهن وقيل الذين كانوا ازواجا لهن من قبل اذا تراضوا بينهم بالمعروف اى بما لا يكون مستنكرا فى عادة ولا خلق ولا عقل وقيل اذا رضى الزوجان بالنكاح الصحيح عن السدى وقيل اذا رضيا بالمهر قليلا كان او كثيرا ذلك اشارة الى ما سبق من الامر والنهى يوعظ به يزجر ويخوف به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الاخر انما خصهم بالذكر لانهم الذين انتفعوا به او لانهم اولى بالاتعاظ به وقيل لان الكافر انما يلزمه الوعظ بعد قبوله الايمان والمعرفة بالله تعالى ذلكم ازكى لكم اى خير لكم وافضل واعظم بركة واجرى ان يجعلكم ازكياء واطهر اى اطهر لقلوبكم من الريبة فانه لعله يكون فى قلبهما حب فاذا منعا من التزويج لم يؤمن ان يتجاوزا الى ما حرم الله وقيل اطهر لكم من الذنوب والله يعلم ما لكم فيه من الصلاح فى العاجل والاجل وانتم لا تعلمون وانتم غيرها لمين الا بما اعلمكم وليس لاجل ان يستدل بالاية على ان العقد لا يصح الا بولى لانا قد بينا ان المراد بالعضل المنع واذا حملنا الاية على انها خطاب للازواج سقط

قولهم وهذا اولى لانه يتعلق بالاولياء كما جرى ذكر المطلقين قوله تعالى والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد
ان يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس الا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له
بولده وعلى الوارث مثل ذلك فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم
فلا جناح عليكم اذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا ان الله بما تعملون بصير القراءة قرأ اهل البصرة
وابن كثير وقتيبة والكسائي لا تضار بالرفع والتشديد وقرأ ابو جعفر برواية بتخفيف الراء وسكونها والباقون لا تضار بالتشديد
وفتحها وقرأ ابن كثير وحده ما اتيتم مقصورة الالف والباقون ما آتيتم وكذلك في الروم الحجة من رفع فلانه عطف على قوله لا تكلف
واتبعه ما قبله ليكون احسن لتشابه اللفظ فان قلت ان ذلك خبر وهذا امر قيل ان الامر قد يجيء على لفظ الخبر في التنزيل
الا ترى الى قوله والمطلقات يتربصن بانفسهن ويؤكد ذلك ان ما بعده على لفظ الخبر وهو قوله وعلى الوارث مثل ذلك
والمعنى ينبغي ذلك فلما وقع موقعه صار في لفظه ومن فتح جعله امرا وفتح الراء ليكون حركته موافقة لما قبلها وهي الالف
واما قراءة ابي جعفر لا تضار فينبغي ان يكون اراد لا تضار ايضا كما روى السواد عن ابان عن عاصم الا انه حذف
احد الرائين تخفيفا كما قالوا احست في احسست وظلت ومست في ظللت ومسست ومن قرأ آتيتم فالمراد اتيتم
المهر كقوله وآتيتم احداهن قنطارا وقوله اذا آتيتموهن اجورهن واما قراءة ابن كثير فتقديره اذا سلمتم ما اتيتم نقده او اتيتم سوقه
فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه ثم حذف الهاء من الصلة وكانه قال اتيت نقدا لف اي بذلته كما تقول اتيت
جميلا اي فعلته ومنه قول زهير فما يك من خير اتوه فانما توارثه آباء آبائهم وكما تقول اتيت خيرا فلذلك تقول اتيت فعل
الف وقد وقع اتيت موقع آتيت ويجوز ان ما في الاية مصدرا فيكون في المعنى اذا سلمتم الاتيان والاتيان المؤكد مما
يبذل بسوق او نقد كقولك ضرب الامير اي مضروبه اللغة الرضع مص اللبن الذي يشرب اللبن منه يقال رضع
والمصدر الرضع والرضع والرضاع والرضاعة ولئيم راضع يرضع لبن ناقته من لؤمه لئلا يسمع الضيف صوت
الحلب وارضعت المرأة فهي مرضعة وقولهم مرضع بغير هاء ذات رضاع والحول السنة مأخوذ من الانقلاب في
تلك الحال الشيء عما كان عليه ومنه الاستحالة في الكلام لانقلابه عن الصواب وقيل اخذ من الانتقال من قولك
تحول عن المكان والكسوة مصدر كسوته ثوبا اي البسته واكتسى اي لبس الكسوة الثاني التكليف الالزام الشاق واصله من الكلف
ظهور الاثر لانه يلزمه ما يظهر فيه اثره وتكلف اي تحمل الكلفة التي الابلاغ به والوسع الطاقة مأخوذ من سعة المسلك
الى الغرض فيمكن الى ذلك ولو ضاق لعجز عنه والسعة فيه بمنزلة القدرة فلذلك قيل الوسع بمعنى الطاقة والفصال الفصل
لانفصال المولود عن الاغتذاء بثدي امه الى غيره من الاقوات وفصيلة الرجل بنو ابيه لانفصالهم من صلب واحد والفصل
الفرق والتشاور مأخوذ من الشور وهو اجتناء العسل تقول شرت العسل اشوره شورا اذا اجتنيته من مكانه
المشورة استخراج الرأي من المستشار لانها يجتنى منه واشار اليه اشارة اومى اليه والمشيرة الاصبع التي تسمى السبابة
لانها تشير بها والشارة الهيئة واللباس الحسن لانه مما يشار اليه لحسنه والتشوير استخراج سير الدابة لاجتناء الاعراض
عن ناظر في مواضع الحال تقديره فانا اراد متراضيين منهما فان موضع جر صفة للراض ان تسترضعوا اولادكم
معناه لاولادكم فحذف اللام لانه لا لبس الاسترضاع عليه من جهة انه لا يكون الا للاولاد ولا يجوز دعوت زيدا
تريد لزيد لانه يجوز ان يكون المدعو غيره لانه يقول دعوت زيدا لعمرو وكذلك دعوت زيدا فقط فلا يجوز الالتباس
وقوله بالمعروف جاز ان يتعلق بسلمتم كانه قال اذا سلمتم بالمعروف ما آتيتم ويجوز ان يتعلق بآتيتم على حد قوله آتيتم
نزل المعنى لما بين سبحانه حكم الطلاق عقبه ببيان احكام الاولاد المتعلقة في الرضاع والتربية وما يجب
ذلك من النفقة والكسوة فقال والوالدات اي الامهات يرضعن اولادهن صيغته صيغة الخبر والمراد الامر
اي ليرضعن اولادهن كقوله تربصن بانفسهن وجاز ذلك التصرف في الكلام مع رفع الاشكال اذ لو كان حتما

لكان كذا بحال الحولان ان يرضع اكثر من حولين واقل وقولك حسبك درهم معناه اكتف بدرهم وقيل هو خبر بمعنى الامر
تقديره والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين في حكم الله تعالى الذي اوجبه على عباده فحذف للدلالة عليه
وهذا امر استحباب لا امر ايجاب والمعنى انهن احق برضاعهن من غيرهن بدليل قوله وان تعاسرتم فسترضع له اخرى
ثم بين مدة الرضاع فقال حولين كاملين اي عامين تامين اربعة وعشرين شهرا وانما ذكر كاملين وان كانت التثنية
تأتي على استيفاء العدة لرفع الايهام الذي يعرض في الكلام فان الرجل يقول سرت شهرا والقيت عند فلان سنة
وان كان قد سار قريبا من شهر واقام قريبا من سنة وفي هذا بيان لامرين احدهما مدة وجوب الرضاع والثاني فرض فالمندوب
ان يجعل الرضاع تمام الحولين والمفروض هو ان المرضعة تستحق الاجرة في مدة الحولين ولا تستحق فيما زاد عليه
واختلف في هذا الحد هل هو لكل مولود او للبعض فقال ابن عباس ليس لكل مولود ولكن لمن ولد لستة اشهر
فان ولدت لسبعة اشهر فثلاثة وعشرون وان ولدت لتسعة فاحد وعشرون يطلب بذلك التكملة لثلاثين شهرا
في الحمل والفصال وعلى هذا يدل ما رواه اصحابنا في هذا الباب لانهم رووا ان ما نقص عن احد وعشرين شهرا
فهو جور على الصبي وقال الثوري وجماعة هو لازم في كل ولد اذا اختلف والداه رجعا الى الحولين من غير نقصان
ولا زيادة ولا يجوز لهما غير ذلك والرضاع بعد الحولين لا حكم له في التحريم عندنا وبه قال ابن عباس وابن مسعود
واكثر العلماء وقالوا المراد بالاية بيان التحريم الواقع بالرضاع في الحولين يحرم وما بعده لا يحرم وقوله لمن اراد
ان يتم الرضاعة اي لمن اراد ان يتم الرضاعة المفروضة عليه وهذا يدل على ان الارضاع فيه حق على الام الا ان عليها
بالاجرة ويدل عليه قوله وان تعاسرتم فسترضع له اخرى وقال قتادة والربيع فرض الله على الوالدات ان يرضعن اولادهن
حولين ثم انزل الرخصة بعد ذلك فقال لمن اراد ان يتم الرضاعة يعني ان هذا منتهى الرضاع وليس فيما دون ذلك
حد محدود وانما هو على قدر صلاح الصبي وما يعيش به وعلى المولود له يعني الاب رزقهن يعني الطعام
والادام وكسوتهن يعني لباسهن والمراد رزق الام وكسوتها ما دامت في الرضاعة اللازمة وذلك في المطلقة عن الثوري
والضحاك واكثر المفسرين بالمعروف يعني على قدر اليسار لانه تعالى علم احوال الناس في الغنى والفقر وجعل
حق الحضانة للام والنفقة للاب على قدر اليسار ولم يرد به نفقة الزوجات لانها قابلها بالرضاع ونفقة الزوجة
لا يجب بسبب الرضاع وانما يجب بسبب الزوجية وقال بعضهم اراد به نفقة الزوجات وقوله لا تكلف نفس الا وسعها
اي لا تلزم الا دون طاقتها لا تضار والدة بولدها اي لا تترك الوالدة ارضاع ولدها غيظا على ابيه فتضر
لانها اشفق عليه من الاجنبية ولا مولود له بولده اي لا يأخذه من امه طلبا للاضرار بها فيضر بولده فيكون
المضارة على هذا بمعنى الاضرار اي لا تضر الوالدة ولا الوالد بولده وانما قال تضار والفعل من واحد
لانه لما كان معناه المبالغة كان بمنزلة ان يكون الفعل من اثنين وقيل الضمير يرجع الى الوالد كانه يقول
لا يضار كل واحد من الام والاب الصبي الام بان لا ترضعه والاب بان لا ينفق او بان ينتزعه من الام والباء
زائدة والمعنى لا تضار والدة ولدها ولا والد ولده وقيل معناه لا تضار والدة الزوج بولده ولو قيل
في ولدها لجاز في المعنى وروي عن السيدين الباقر والصادق عليهما السلام لا تضار والدة بان يترك جماعها
خوف الحمل لاجل ولدها المرتضع ولا مولود له بولده اي لا تمنع نفسها من الاب خوف الحمل فيضر ذلك
بالاب وقيل لا تضار والدة بولدها بان ينزع الولد منها ويسترضع امرأة غيرها مع اجابتها الى الرضاع
باجرة المثل لعالي ما يكون في بولدها بسبب ولدها ولا مولود له اي لا تمتنع هي من الارضاع اذا اعطيت اجرة
مثلها فان فعلت يستأجر الاب مرضعة غيرها ولا تمتنع من رؤية الولد فيكون في مضارة بالوالد وقوله بولده
وانه ايضا وليس بين هذه الاقوال تناف فالاولى حمل الاية على جميعها وقوله وعلى الوارث قيل معناه وارث

الولد عن الحسن وقتادة والسدي وهو من بره اذا مات وقيل وارث الولد عن قبيصة بن ذويب والاول اقوى مثل ذلك
اي مثل ما كان على الوالد من النفقة والرضاع عن الحسن وقتادة وقيل مثل ما كان على الوالد من ترك المضارة عن الضحاك
والمفهوم عند اكثر العلماء الامران معا وهو اليق بالعموم واختلفوا في ان النفقة على كل وارث او على بعضهم فقيل هي
على العصبات دون اصحاب الفرايض من الام والاخوة من الام عن عمر بن الخطاب والحسن وقيل هي على وارث الصبي من الرجال
والنساء على قدر النصيب من الميراث عن قتادة وقيل على الوارث ممن كان ذا رحم محرم دون من كان ذا رحم ليس بمحرم كابن العم
وابن الاخت فيجب على ابن الاخت ولم يجب على ابن العم وان كان وارثا في الحال عن ابي حنيفة وصاحبيه وقيل على الوارث
اي الباقي من ابويه عن سفيان وهو الصحيح عندنا وهو مذهب الشافعي لان عنده لا يجبر على نفقة الرضاع الا
الوالدان فقط وقد روي في اخبارنا ايضا انه على الوارث كائنا من كان النفقة وهذا يوافق لهم وبه قال احمد
واسحاق وقوله فان ارادا فصالا اي فطاما قبل الحولين عن مجاهد وقتادة وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلام وقيل قبل الحولين
او بعدهما عن ابن عباس عن تراض منهما اي من الاب والام وتشاور يعني اتفاق منهما ومشاورة وانما شرط تراضيهما
وتشاورهما مصلحة للولد لان الوالدة تعلم من تربية الصبي ما لم يعلمه الوالد فلو لم يتفكرا ويتشاورا في ذلك ادى
الى ضرر الصبي فلا جناح عليهما اي لا حرج عليهما في فطام الولد فان شرط ارتضاعا الى الحولين قوله وان اردتم
خطاب للاباء ان تسترضعوا اولادكم اي لاولادكم اي تطلبوا لهم مرضعا غير امهاتهم لاباء امهاتهم الرضاعة
او لعلة بهن من انقطاع لبن او غيره فلا جناح عليكم اي لا حرج ولا ضيق في ذلك اذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف اي سلمتم
الى الام اجرة المثل بمقدار ما ارضعت عن مجاهد والسدي وقيل اذا سلمتم الاسترضاع عن تراض واتفاق
دون الضرار عن ابن شهاب وهذا امضى قول ابن عباس في رواية عطاء قال اذا سلمت امه ونصيب لولده لا عن شيء
لامه ضعفا وقيل اذا سلمتم اجرة المرضعة عن الثوري وقيل اذا سلمتم اجرة الام بالطيب عن ابن جريج ومعنى قوله آتيتم
ضمنتم ما سميتم ثم اوصى بالتقوى فقال سبحانه واتقوا الله يعني معاصيه او عذابه في مجاوزة ما حد لكم واعلموا ان الله
بما تعملون اي باعمالكم بصير اي عليم لا يخفى عليه شيء منها وفي قوله سبحانه لا تكلف نفس الا وسعها دلالة على فساد قول
المجبرة في حسن تكليف ما لا يطاق لانه اذا لم يجز ان يكلف مع عدم الجدة فان لا يكلف مع عدم القدرة احرى فانه
كما ليس لا سبيل له الى اداء ما كلف قوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر
وعشرا فاذا بلغن اجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير القراءة روي في
الشواذ عن علي عليه السلام يتوفون بفتح الياء الحجة قال ابن جني هو على حذف المفعول اي الذين يتوفون ايامهم او آجالهم
واعمارهم وحذف المفعول به كثير في القرآن وفصيح الكلام اذا كان هناك دليل عليه قال الله تعالى واوتيت من كل
شيء اي شيئا ما لا الخطيئة منعه تصون اليك منها كصونك من تحاء شر عن اي تصون الكلام منها وتوفيت الشيء
واستوفيته اخذته تاما اللغة يذر ويدع يترك ولا يستعمل منهما الماضي استغني بترك والعلة في ذلك انهم
تركوا الواوات فاولا الكلام حتى انهم لم يحققوها الى جهة الزيادة اصلا الاجل غاية الوقت في محل الدين
ونحوه لتاخيره الى ذلك الوقت والآجل نقيض العاجل لتاخره عن وقت غيره وهذا من اجل لكما اي لعاقبة
وهي متاخرة عن وقت الفعل والقطيع من بقر الوحش يسمى اجلا وقد تاجل القوم اي صاروا اجلا لتاخر بعضه عن
بعض واجل عليهم شرا اجلا اي جناه لانه اعقبهم شرا والآجلة الآخرة والعاجلة الدنيا والخبير العالم بمخبر الخبر
واصله من السهولة والخبار الارض السهلة الرخوة لانه يسهل الطريق للعلم والخبير الاكار ومنه المخابرة
وهو ان يزرع على النصف والثلث او نحو ذلك تسهيلا للزراعة الاعراب الذين يتوفون رفع بالابتداء ويتوفون
صلة ومنكم في موضع النصب على الحال من الواو في يتوفون ويذرون ازواجا عطف على الصلة فهو ايضا

من الصلة

من الصلة ويتربصن وما بعده خبر المبتداء واذا كان خبر المبتداء لا يجب ان يكون هو هو او يكون له فيه ذكر فلا يجوز ان يكون
هذا الظاهر على الذي هو عليه لخلوه من ضمير يرجع الى المبتداء وقد قيل فيه اقوال احدها ان تقديره والذين يتوفون
بعدهم لان المعنى يتربصن ازواجهم بعدهم اربعة اشهر وعشرا وجاز حذف هذا الذي يتعلق به الراجع الى المبتداء
كما جاز ذلك في قولهم السمن منوان بدرهم والمعنى على منوان منه بدرهم عن الاخفش والثاني ان يكون تقديره ازواجهم
يتربصن عن ابي العباس المبرد فالمحذوف على هذا هو المبتداء الذي هو ازواجهم وساغ هذا الحذف لقيام الدلالة عليه
كما يسوغ حذف المفرد اذا قام الدلالة عليه وقيام الدلالة على المضاف الى الازواج وقد تقدم ذكره فساغ اضماره
وحسن ما حذف فالمضاف اليه فلاقتضاء المبتداء الراجع اليه وقد جاء المبتداء المضاف محذوفا كما جاء المفرد
وذلك قوله عز اسمه ولا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل اي تقلبهم متاع قليل والثالث ان يكون
تقديره يتربصن ازواجهم ثم كني عن الازواج عن الكناية وانما قال وعشرا بالتانيث تغليبا لليالي على الايام
اذا اجتمعت في التاريخ لان ليلة كل يوم قبله كما قيل الحسن وقد علم المخاطب ان الايام داخلة مع الليالي وانشد
سيبويه فطافت ثلاثا بين يوم وليلة يكون النكير ان تضيف وتجارا فيما فعلن في انفسهن ما مع صلته في موضع الجر
وقوله بالمعروف الجار والمجرور في موضع النصب على الحال المعنى لما بين سبحانه عدة المطلقات بين عدة الوفاة
فقال والذين يتوفون منكم اي يقبضون ويموتون ويذرون اي يتركون ازواجا اي نساء يتربصن
بانفسهن اي ينتظرن انقضاء العدة ويحبسن انفسهن عن التزوج معتدات اربعة اشهر وعشرا اي وعشر ليال
وعشرة ايام وهذه عدة المتوفى عنها زوجها سواء كانت مدخولا بها او غير مدخول بها حرة كانت او امة وان كانت
حبلى فعدتها ابعد الاجلين من وضع الحمل او مضي اربعة اشهر وعشرا ووافقنا في عدة الامة الاصم وخالفنا
الفقهاء في ذلك فقالوا عدتها نصف عدة الحرة شهران وخمسة ايام واليه ذهب قوم من اصحابنا وقالوا
في عدة الحامل انها بوضع الحمل وان كان بعد على المغتسل وروي ذلك عن عمر بن الخطاب وابي مسعود البدري
وابي هريرة وعندنا ان وضع الحمل يختص عدة المطلقة والذي يجب على المعتدة في عدة الوفاة اجتناب الزينة
والكحل بالاثمد وترك النقلة عن المنزل عن ابن عباس والزهري والامتناع من التزوج لا غير عن الحسن واحدى
الروايتين عن ابن عباس وعندنا ان جميع ذلك واجب فاذا بلغن اجلهن اي اخر العدة بانقضائها فلا جناح عليكم
قيل انه خطاب للاولياء وقيل لجميع المسلمين لانه يلزمهم منعها عن التزوج في العدة وقيل معناه لا جناح على النساء
وعليكم فيما فعلن في انفسهن من النكاح واستعمال الزينة التي لا ينكر مثلها وهذا معنى قوله بالمعروف وقيل
معنى قوله بالمعروف ما يكون جائزا وقيل معناه النكاح الحلال عن مجاهد والله بما تعملون خبير اي عليم
وهذه الاية ناسخة لقوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج
وان كانت متقدمة عليه في التلاوة قوله تعالى ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء او اكننتم
في انفسكم علم الله انكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا الا ان تقولوا قولا معروفا ولا تعزموا عقدة
النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه واعلموا ان الله غفور حليم اية
في الكوفي واية في غيرهم ترك قولا معروفا كوفي اللغة التعريض ضد التصريح وهو ان تضمن الكلام
دلالة على ما تريد واصله من عرض الشيء الذي هو جانبه وناحيته ومنه في الحديث من عرض عرضنا
ومن مشى على الكلاء القيناه في النهر وقيل معناه من عرض بالقذف عرضنا له بتاديب لا يبلغ الحد ومن صرح
القيناه في نهر الحد والفرق بين التعريض والكناية ان التعريض تضمين الكلام دلالة على شيء ليس فيه ذكره
والكناية العدول عن الذكر الاخص بالشيء الى ذكر يدل عليه فالاول كقول القائل ما اقبح البخل

١٢٣

بان المخاطب يجل والثالث كقولك زيد ضربته كيف صنعت بالهاء والخطبة الذكر الذي يستدعى به الى عقد
النكاح اخذ من الخطاب وهو توجيه الكلام للافهام والخطبة الوعظ المتسق على ضرب من التأليف وقيل الخطبة ما
له اول وآخر مثل الرسالة والخطبة للحال مثل الجلسة والقعدة والاكنان الستر للشيء والكن الستر ايضا والفرق بينهما
ان الاكنان الاضمار في النفس ولا يقال كننته في نفسي والكن في معنى الصون وفي التنزيل بيض مكنون والكانون تجاح الريح
وقت الاكتنان من البرد والكنانة الجعبة الصغيرة تتخذ للنبال واصل السر في اللغة على ثلاثة اوجه الاخفاء في النفس والسر في
يقال فلان في سر قومه اي في صميمهم والجماع في الفرج لانه يخفى قال امرؤ القيس الا زعمت بسباسة اليوم انني كبرت وان لا يحسن السر امثالي
والاخفاء قال ولا تنكحن جارة ان سرها عليك حرام فانكحن او تأبدا والعزم عقد القلب على امر يفعله وفي الحديث خير الامور
عوازمها اي فرائضها ما وكدت عزمك عليه والعقدة من العقد وهو شد الشيء بغيره ثم جعل مثلا لما ذكرناه وعقد اليمين خلاف اللغو
الاعراب فيما عرضتم الجار والمجرور في موضع الحال وكذلك قوله من خطبة النساء الا ان تقولوا في موضع نصب بالاستثناء
وتقديره لا تواعدوهن الا قولا معروفا ولا تعزموا عقدة النكاح اي على عقدة النكاح فحذف على استخفافا كما
ضرب زيد الظهر والبطن معناه على الظهر والبطن قال سيبويه ان الحذف في هذه الاشياء لا يقاس عليه
المعنى لما تقدم ذكر عدة النساء وجواز الرجعة فيها للازواج عقبه ببيان حال غير الازواج فقال ولا جناح عليكم
اي لا حرج ولا ضيق عليكم يا معشر الرجال فيما عرضتم به من خطبة النساء المعتدات ولا تصرحوا به وذلك بان تذكروا
ما يدل على رغبتكم فيها ثم اختلف في معناه فقيل التعريض هو ان يقول الرجل للمعتدة اني اريد النكاح واني احب امرأة
من صفتها كذا وكذا فيذكر بعض الصفات التي هي عليها عن ابن عباس وقيل هو ان يقول انك لنافعة وانك لموافقة
لي وانك لمعجبة جميلة وان قضى الله شيئا كان عن القاسم بن محمد والشعبي وقيل هو كل ما كان من الكلام دون عقد النكاح
عن ابن زيد او اكننتم في انفسكم اي اسررتم واضمرتم في انفسكم من نكاحهن بعد مضي عدتهن وقيل هو اسرار العزم
دون اظهاره والتعريض اظهاره عن مجاهد وابن زيد علم الله انكم ستذكرونهن برغبتكم فيهن خوفا ان يسبقكم اليهن غيركم
فاباح لكم ذلك ولكن لا تواعدوهن سرا فيه اقوال احدها ان معناه لا تواعدوهن في السر لانها اجنبية ولا تجوز
في السر عن ... وثانيها ان معناه الزنا عن الحسن وابراهيم وقتادة وقالوا كان الرجل يدخل على المرأة
من اجل الريبة وهو معرض بالنكاح فنهوا عن ذلك وثالثها انه اخذ العهد على الامتناع من تزويج غيره عن ابن عباس
وسعيد بن جبير ورابعها هو ان يقول لها اني ناكحك فلا تفوتيني بنفسك عن مجاهد وخامسها ان السر هو الجماع
ومعناه لا تصفوا انفسكم بكثرة الجماع ولا تذكروه عن جماعة وسادسها ان السر عقدة النكاح عن عبد الرحمن بن زيد ويجمع
هذه الاقوال ما روي عن الصادق عليه السلام انه قال لا تصرحوا لهن النكاح والتزويج قال ومن السر ان يقول لها
موعدك بيت فلان الا ان تقولوا قولا معروفا يعني التعريض الذي اباحه الله تعالى والمعنى لكن لان ما قبله هو النهي عنه وما بعده
هو المأذون فيه وتقديره ولكن قولوا قولا معروفا ولا تعزموا عقدة النكاح اي على عقدة النكاح معناه لا تنشئوا
النكاح ولا تعقدوا عقدة النكاح في العدة ولم يرد بالنهي عن العزم على النكاح بعد العدة لانه اباح ذلك بقوله
او اكننتم حتى يبلغ الكتاب اجله معناه حتى تنقضي العدة بلا خلاف وقيل الكتاب هو القرآن والمعنى حتى يبلغ
فرض الكتاب اي ما فرض في القرآن من العدة والاجل المضروب لها وقيل معناه حتى يبلغ الفرض اجله وعبر بالكتاب
عن الفرض كما يقول كتب اي فرض وهذا لان ما كتب فقد ثبت فقد اجتمعا في معنى الثبوت وقيل ان هذا تشبيه
للعدة بالدين المؤجل المكتوب اجله في كتاب فكما يتأخر المطالبة بالدين حتى يبلغ اجله كذلك يتأخر خطبة
النكاح في العدة الى انقضاء العدة واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم من سرائركم وضمائركم فاحذروه ان تتعدوا حدا
لا تتخطوا امره واعلموا ان الله غفور لعباده حليم يمهل العقوبة المستحقة ولا يعجل بها قوله تعالى

لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره
متاعا بالمعروف حقا على المحسنين القراءة قرأ حمزة والكسائي تماسوهن بضم التاء وبالالف في موضعين هاهنا
وفي الاحزاب وقرأ الباقون تمسوهن وقرأ ابو جعفر واهل الكوفة الا ابا بكر وابن ذكوان قدره بفتح الدال في الموضعين
والباقون باسكانها الحجة حجة من قرأ تمسوهن قوله ولم يمسسني بشر ولم يطمثهن والمسوهن والنكاح عبارة عن الوطي في
جميع التنزيل على ظهر فاتهم والنكاح يقتضي جملة القراءة وحجة من قرأ ولا تماسوهن ان فاعل وفعل قد يراد بكل
واحد منهما ما يراد بالآخر وذلك نحو طارقت النعل وعاقبت اللص وقال ابو الحسن هو القدر والقدر وهم يختصمون
في القدر والقدرة لله تعالى الا انهم يقولون للمواقيت والقدر وخذ منه بقدر كذا وقدر كذا لغتان وفي كتاب الله تعالى
فسالت اودية بقدرها وقدرها وعلى الموسع قدره وقدره وما قدروا الله حق قدره ولو حركت كان جائزا
وكذلك انا خلقناه بقدر بقدر ولو خففت جاز الا ان رؤس الآي كلها متحركة فلزم الفتح لان ما قبلها مفتوح
اللغة الموسع الذي يكون في سعة لغناه والمقتر الذي يكون في ضيق لفقره يقال اوسع الرجل اذا كثر ماله
واتسعت حاله واقتر اذا افتقر وقترت الشيء اقتره قترا وقترته تقتيرا اذا ضيقت الانفاق منه والقتار ريح
الشحم على النار لقلته بالاضافة الى بقيته والقتر الغبار والقتير مسامير الدرع لقلتها وصغرها والقترة
الثوب لقلته ويجوز ان يكون مشتقا بالدخان او الغبار تقع والقترة ناموس الصائد لانها كالقتار واصل الباب
الاقلال وقدر الشيء اقدره واقدره قدرا وقدرت على الشيء اقدر عليه قدرة وقدورا الاعراب ما لم تمسوهن
هو موصول وصلته في موضع نصب تقديره مدة ترك المس فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه والعامل فيه طلقتم
وجواب الشرط محذوف تقديره ان طلقتم النساء فلا جناح عليكم متاعا نصب على احد وجهين احدهما ان يكون
حالا من قدره والعامل فيه الظرف اي يستقره متاعا واما على المصدر اي متعوهن متاعا وحقا ينتصب ايضا على احد وجهين
اما ان يكون حالا من قوله بالمعروف والعامل فيه معروف حقا واما ان يكون على التأكيد لجملة الخبر فكأنه قال اخبركم
به حقا او احق حقا او حق ذلك عليهم حقا كأنه اوجب ايجابا على المحسنين المعنى ثم بين سبحانه حكم الطلاق قبل
الفرض والمسيس فقال لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن هذا اباحة للطلاق قبل المسيس وفرض المهر
ورفع الاثم عن الطلاق قبل الدخول لئلا يتوهم احد ان الطلاق في هذه الحالة محظور والمس كناية عن الوطي
المفروض صداقها داخلة في الاية وان لم يذكر لان التقدير ما لم تمسوهن ممن قد فرضتم لهن او لم تفرضوا
لهن فريضة لان او تنبئ عن ذلك اذ لو كان على الجمع لكان بالواو والمراد بالفريضة الصداق بلا خلاف
بالعقد للمرأة فهو فرض لوجوبه بالعقد ومعناه او لم تقدروا لهن مهرا مقدرا وانما خص التي لم يدخل بها
بالذكر في رفع الجناح دون المدخول بها وان كان حكمهما واحدا لامرين احدهما لازالة الشك على ما قدمنا ذكره
والثاني لان له ان يطلق التي لم يدخل بها اي وقت شاء بخلاف المدخول بها فانه لا يجوز ان يطلقها الا في طهر لم يجامعها فيه
ومتعوهن اي اعطوهن من مالكم ما يتمتعن به والمتعة والمتاع ما ينتفع به على الموسع قدره اي على الغني الذي هو في
سعة لغناه على قدر حاله وعلى المقتر قدره اي على الفقير الذي هو في ضيق بقدر امكانه وطاقته والمتعة خادم او كسوة او ورق
عن ابن عباس والشعبي وهو المروي عن الباقر والصادق عليهما السلام وهو مذهب الشافعي وقيل هي نصف صداق مثل المرأة
المنكوحة عن ابي حنيفة واصحابه ثم اختلف في ذلك فقيل انما تجب المتعة للتي لم يسم لها صداق خاصة عن سعيد بن المسيب
وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه وقيل المتعة لكل مطلقة الا المختلعة
والمبارئة والملاعنة عن الزهري وسعيد بن جبير وابي العالية وقيل المتعة لكل مطلقة سوى المطلقة المفروض لها
اذا طلقت قبل الدخول فان لها نصف الصداق ولا متعة لها عن ابن عمر ونافع وعطاء وهو مذهب الشافعي ...

١٢٣

أصحابنا أيضاً وذلك محمول على الاستحباب قوله متاعاً أي ومتعوهن متاعاً بالمعروف أي وسطاً ليس فيه إسراف
ولا تقتير وقيل متاعاً معتبراً بحال الرجال في اليسار والإقتار وقيل معتبراً بحالهما جميعاً ولا يستوي بين حرة شريفة
وبين أمة معتقة لكون ذلك خارجاً من التعارف عن القاضي وقال أهل المدينة يؤمر الزوج به من غير أن يجبر عليه
وعندنا لا يجبر عليه وبه قال أهل العراق حقاً على المحسنين أي واجباً على الذين يحسنون الطاعة ويجتنبون المعصية
وإنما خص المحسنين بذلك تشريفاً لهم لا أنه لا يجب على غيرهم ويدل ذلك على وجوب الإحسان على جميعهم فإن على كل أحد
أن يكون محسناً فهو كقوله هدى للمتقين وقيل إن أراد المحسن في الإحقاق وحكم وطريقه عن أبي مسلم هذا كله في المطلقة
فأما المتوفى عنها زوجها إذا لم يفرض لها صداق فلها الميراث وعليها العدة إجماعاً وقال أكثر الفقهاء لها صداق مثلها
وحكى أبو علي الجبائي عن بعض الفقهاء أنه قال لا مهر لها وهو الذي يليق بمذهبنا لأنه لا نص لأصحابنا في ذلك قوله تعالى
وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم إلا أن يعفون أو يعفو الذي بيده عقدة
النكاح وأن تعفوا أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم إن الله بما تعملون بصير • آية القراءة روي في
الشواذ عن الحسن أو يعفو الذي بيده بسكون الواو وعن علي ع ولا تناسوا الفضل الحجة قال ابن جني سكون الواو من
المضارع في موضع النصب قليل وسكون الياء فيه كثير وأصل السكون في هذا إنما هو للألف نحو أن يسعى ثم شبهت
الياء بالألف لقربها منها نحو قوله كأن أيديهن بالموماة أيدي جوار بتن ناعمات وقوله كأن أيديهن بالقاع القرق ثم
شبهت الواو في ذلك بالياء قال الأخطل إذا شئت أن تلهو ببعض حديثها رفعن وأنزلن القطين المولدا وقال أبى الله
أن أسمو بأم ولا أب وأما قوله ع تناسوا فإنما هو نهي عن تفاعل الذي جاء في تظاهر ونظاهر كما يقال تغافل وتصامم وتجنى
هذه القراءة إلى أنه إنما نهى الإنسان عن فعل النسيان ظاهره أن يكون من فعل غيره كأنه نهي فيكون كقوله سبحانه لا
يفتننكم الشيطان الإعراب فنصف ما فرضتم رفع تقديره فعليكم نصف ما فرضتم وقوله يعفون في موضع نصب
بأن إلا أن فعل المضارع إذا اتصل به نون جمع المؤنث بني ويستوي فيه الرفع والنصب والجزم وأن يعفون موصول
وصلته في محل النصب على الاستثناء أو يعفو تقديره أو أن يعفو وهو في محل النصب لعطفه على الموصول والصلة قبلها
وأن تعفوا في موضع الرفع بالابتداء وأقرب خبره وتقديره والعفو أقرب للتقوى اللام يتعلق بأقرب وهو بمعنى من وفي الألف
واللام في النكاح بدل من الإضمار إذ المعنى ويعفو الذي بيده عقدة نكاحه ومثله قوله فإن الجنة هي المأوى ومعناه هي
مأواه المعنى ثم بين سبحانه حكم الطلاق قبل المسيس بعد الفرض فقال وإن طلقتموهن يعني إن طلقتم أيها الرجال
النساء من قبل أن تمسوهن أي تجامعوهن وقد فرضتم لهن فريضة أي أوجبتم لهن صداقاً وقدرتم مهراً فنصف ما فرضتم
أي فعليكم نصف ما قدرتم وهو المهر إلا أن يعفون يعني الحرائر البالغات غير المولى عليهن لفساد عقولهن أي يتركن ما يجب لهن
من نصف الصداق فلا يطالبن الأزواج بذلك عن ابن عباس ومجاهد وسائر أهل العلم أو يعفو أي يترك ويهب الذي بيده عقدة
النكاح قيل هو الولي عن مجاهد وعلقمة والحسن وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله ع وهو مذهب الشافعي غير أن عندنا
الولي هو الأب والجد مع وجود الأب الأدنى على البكر غير البالغ فأما من عداهما فلا ولاية له إلا بتوليتها إياه وقيل هو الزوج
وروي عن علي وسعيد بن المسيب وشريح وإبراهيم وقتادة والضحاك وهو مذهب أبي حنيفة وروي ذلك أيضاً في أخبارنا غير أن
الأول أظهر وهو المذهب ومن جعل العفو للزوج قال له أن يعفو عن جميع النصف ومن جعله للولي من أصحابنا قال له أن يعفو
عن بعضه وليس له أن يعفو عن جميعه فإن امتنعت المرأة عن ذلك لم يكن لها ذلك إذا اقتضته المصلحة عن أبي عبد الله ع
وأن تعفوا أقرب للتقوى خطاب للأزواج والمرأة جميعاً عن ابن عباس والزوج وحده عن الشعبي قال وإنما جمع لأنه
خطاب لكل زوج وقول ابن عباس أقوى لعمومه وإنما كان العفو أقرب للتقوى من وجهين أحدهما أن معناه أقرب إلى أن
يتقي أحدهما ظلم صاحبه لأن من ترك لغيره حقه من نفسه كان أقرب إلى أن لا يظلم غيره بطلب ما ليس له والثاني أن معناه

أقرب

أقرب إلى اتقاء معصية الله تعالى لأن من ترك حق نفسه كان أقرب إلى أن لا يعصي الله تعالى بطلب ما ليس له ولا تنسوا الفضل
بينكم أي لا تتركوا الأخذ بالفضل والإحسان بينكم والإفضال فتأخذوا بمر الحكم واستيفاء الحقوق على الكمال بين الله سبحانه
في هذه الآية الحكم الذي لا يعتد أحد في تركه وهو أنه ليس للزوج أن ينقصها من نصف المهر ولا للمرأة أن تطالبه بالزيادة ثم رغب
في طريق الفضل من الجانبين وندب إليه وحث عليه إن الله بما تعملون أي بما تعملون بصير أي عليم وروي عن سعيد بن المسيب أن هذه
الآية نسخت حكم المتعة في الآية الأولى وقال القاسم البلخي هذا ليس بصحيح لأن الآية تضمنت حكم من لم يدخل بها ولم يسم لها مهراً إذا
طلقها وهذه تضمنت حكم التي فرض لها المهر ولم يدخل بها إذا طلقها وأحد الحكمين غير الآخر وقول الآية بينا في الآية الأولى أنها
تناولت المطلقات قبل الدخول بهن سواء فرض لهن المهر أو لم يفرض وقلنا أن متعوهن يجب حمله على العموم إذ لا متعة لمن فرض لهن المهر ودخل
بها فلا بد من تخصيص فيه وتقدير حذف فيه أي ومتعوهن طلقتموهن ولم تفرضوا لهن فريضة وإنما جاز هذا الحذف لأن
ذكر من فرض لهن المهر وحكمها في الآية الأخرى عليه وهذا إنما يسنح لي هاهنا ولم أر أحداً من المفسرين تعرض لذلك والله الموفق
قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين • آية اللغة الحفظ ضبط الشيء في النفس
ثم شبه به ضبط المنع من الذهاب والحفظ خلاف النسيان وأحفظه أغضبه لأنه حفظ عليه ما يكرهه ومنه الحفيظة الحمية
والحفاظ المحافظة والوسطى تأنيث الأوسط وهو الشيء بين الشيئين على جهة الاعتدال وأصل القنوت الدوام على أمر واحد
وقيل أصله الطاعة وقيل أصله الدعاء في حال القيام قال علي بن عيسى والأول أحسن لحسن تصرفه في الباب لأن المداوم على
الطاعة قانت وكذلك المداوم في صلاته على السكوت إلا عن الذكر المشروع وكذلك المداوم على الدعاء ويقال فلان يقنت
عليه أي يدعو عليه دائماً النزول عن زيد بن ثابت أن النبي صلعم كان يصلي بالهاجرة وكانت أثقل الصلوات على أصحابه فلا يكون
وراءه إلا الصف أو الصفان فقال ص لقد هممت أن أحرق على قوم لا يشهدون الصلاة بيوتهم فنزلت هذه الآية المعنى
لما حث الله سبحانه الطاعة حض الصلاة بالمحافظة عليها لأنها أعظم الطاعات فقال حافظوا على الصلوات أي
داوموا على الصلوات المكتوبات في مواقيتها بتمام أركانها ثم خص الوسطى تفخيماً لشأنها فقال والصلاة الوسطى
كقوله من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال أي والصلاة الوسطى خاصة فداوموا عليها ثم اختلفوا في
الصلاة الوسطى على أقوال أحدها أنها صلاة الظهر عن زيد بن ثابت وابن عمر وأبي سعيد الخدري وأسامة وعائشة وهو
المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله ع وهو قول أبي حنيفة وأصحابه وذكر بعض أئمة الزيدية أنها الجمعة يوم الجمعة
والظهر سائر الأيام ورواه عن علي ع ويدل عليه سبب نزول هذه الآية وهو أنها وسط النهار وأول صلاة فرضت
وروي عن علي ع قال قال النبي ص إن لله في السماء الدنيا حلقة تزول فيها الشمس فإذا زالت الشمس سبح كل شيء لربنا
فأمر الله تعالى بالصلاة في تلك الساعة وهي الساعة التي تفتح فيها أبواب السماء فلا تغلق حتى يصلى الظهر ويستجاب
فيها الدعاء وثانيها أنها صلاة العصر عن ابن عباس والحسن وروي ذلك عن علي ع وابن مسعود وقتادة والضحاك وروي
ذلك عن أبي حنيفة وروي مرفوعاً إلى النبي ص قال لأنها بين صلاتي النهار وصلاتي الليل وإنما خصت بالذكر لأنها
تقع في وقت اشتغال الناس في غالب الأمر وروي عن النبي ص أنه قال الذي تفوته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله
وروى بريدة قال قال رسول الله ص بكروا بالصلاة في يوم الغيم فإن من فاتته صلاة العصر فقد حبط عمله وثالثها أنها المغرب
عن قبيصة بن ذؤيب قال لأنها وسط في الطول والقصر من بين الصلوات وروى الثعلبي بإسناده عن عائشة قالت قال
رسول الله ص إن أفضل الصلوات عند الله صلاة المغرب لم يحطها الله عن مسافر ولا مقيم فتح الله بها صلاة الليل
وختم بها صلاة النهار فمن صلى المغرب وصلى بعدها ركعتين بنى الله له قصراً في الجنة ومن صلى بعدها أربع ركعات
غفر الله له ذنب عشرين أو أربعين سنة ورابعها أنها صلاة العشاء الآخرة عن بعضهم قال لأنها بين صلاتين
لا تقصران وروي عن النبي صلعم قال من صلى العشاء في جماعة كان كقيام نصف ليلة ومن صلى الفجر

١٣٤

عن معاذ وابن عباس وجابر بن عبد الله وعطاء وعكرمة ومجاهد وهو قول الشافعي قالوا لانها بين صلوتي الليل
وصلوتي النهار وبين الظلام والضياء ولانها صلوة لا تجمع مع غيرها فهي منفردة بين مجتمعتين ويدل عليه من
التنزيل قوله وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا يعني يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار وهو مكتوب في ديوان الليل و
النهار قالوا ويدل عليه ايضا آخر الآية وقوموا لله قانتين يعني وقوموا فيها لله قانتين قال ابو رجاء العطاردي صلى بنا ابن عباس
في مسجد البصرة صلوة الغداة فقنت فيها قبل الركوع ورفع يديه فلما فرغ قال هذه الصلوة الوسطى التي امرنا ان نقوم
قانتين اورده الثعلبي في تفسيره وروى باسناده مرفوعا الى انس بن مالك قال ما زال رسول الله صلى الله عليه وآله يقنت في صلوة
الغداة حتى فارق الدنيا وسادسها انها احدى الصلوات الخمس لم يعينها الله سبحانه واخفاها في جملة الصلوات
المكتوبة ليحافظوا على جميعها كما اخفى ليلة القدر في ليالي شهر رمضان واسمه الاعظم في جميع الاسماء وساعة الاجابة في ساعات
الجمعة عن الربيع بن خثيم وابي بكر الوراق وقوله وقوموا لله قانتين قال ابن عباس معناه داعين والقنوت هو الدعاء في الصلوة في
حال القيام وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام وقيل معناه طائعين عن الحسن وسعيد بن المسيب وقتادة
والضحاك وطاوس واحدى الروايتين عن ابن عباس وقيل معناه خاشعين عن مجاهد قال نهوا عن العبث والالتفات
في الصلوة وقيل ساكتين عن ابن مسعود وزيد بن ارقم والاصل فيه الاتيان بالدعاء او غيره من العبادات في حال القيام
ويجوز ان يطلق في سائر الطاعات فانه وان لم يكن فيه القيام الحقيقي فان فيه القيام بالعبادة قوله تعالى
فان خفتم فرجالا او ركبانا فاذا امنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون • اللغة رجال جمع راجل
مثل تجار وصحاب وقيام فجمع تاجر وصاحب وقائم والراجل هو الكائن على رجله واقفا كان او ماشيا والركبان
جمع راكب كالفرسان جمع فارس وكل شيء علا شيئا فقد ركبه والركاب المطي وركبت الرجل اركبه ركبا اي ضربت
ركبته واصبت ركبته ايضا وهذا قياس في جميع الاعضاء نحو رأسته وبطنته وظهرته الاعراب رجالا
منصوب على الحال تقديره فصلوا رجالا كما علمكم الكاف يتعلق باذكروا وما مصدرية فيما علمكم وقوله ما لم تكونوا
تعلمون موصول وصلة في موضع المفعول الثاني لعلم المعنى لما قدم سبحانه وجوب المحافظة على الصلوات
عقبه بذكر الرخصة عند المخافة فقال فان خفتم اي ان لم يمكنكم ان تقوموا قانتين موفين الصلوة حقها لخوف
عرض لكم فرجالا اي فصلوا رجالا على ارجلكم وقيل مشاة او ركبانا اي على ظهور دوابكم يعني بصلوة الخوف
وصلوة الخوف من العدو ركعتان في السفر والحضر الا المغرب فانها ثلث ركعات ويروى ان عليا عليه السلام صلى ليلة الهرير
خمس صلوات بالايماء وقيل بالتكبير وان النبي صلى يوم الاحزاب ايماء فاذا امنتم من الخوف فاذكروا الله اي فصلوا
صلوة الامن وقيل اذكروا الله بالثناء عليه والحمد له كما علمكم من امور دينكم وغير ذلك من اموركم ما لم تكونوا تعلمون
قوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج فان خرجن
فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن من معروف والله عزيز حكيم • القراءة قرأ اهل المدينة وابن كثير
والكسائي وابو بكر عن عاصم وصية بالرفع والباقون بالنصب الحجة قال ابو علي حجة من قرأ وصية بالرفع انه
يجوز ان يرتفع من وجهين احدهما ان يكون مبتدأ والظرف خبره وحسن الابتداء بالنكرة لانه موضع تخصيص
كما حسن ان يرتفع سلام عليك وخير بين يديك ونحو قوله للملتمس المعروف اهل ومرحب لانها في موضع دعاء
فجاز فيها الابتداء بالنكرة لما كان معناها كمعنى المنصوب والآخر ان يضمر له خبر فيكون لازواجهم صفة وتقدير
الخبر المضمر فعليهم وصية لازواجهم ومن نصب وصية حمله على الفعل اي فليوصوا وصية ويكون قوله لازواجهم
وصفا كما كان في قول من اضمر الخبر كذلك ومن حجتهم ان الظرف اذا تأخر عن النكرة كان استعماله صفة اكثر وان
حسن تقدمه على النكرة اذا لم يكن في معنى المنصوب كقوله وهم لها سابقون من دون ذلك ولدينا مزيد فاذا تأخرت

فيها

فيها ان يكون صفات وقال بعضهم لا يجوز غير الرفع لانه لا يمكن الوصية بعد الوفاة ولان فرض النفقة كان يلزم
اوصى او لم يوص قال علي بن عيسى وهذا غلط لان المعنى والذين يحضرهم الوفاة منكم ولذلك قال يتوفون على
لفظ الحاضر الذي يتطاول نحو قولك الذين يصلون فليعرضوا عن اذى كيما يشغلهم فاما قولهم ان الفرض كان يجب
وان لم يوصوا فغير صحيح لان الزوج اذا فرط في الوصية والشيكان يوجبه الله على الورثة قال قتادة والسدي كان
يجب على الزوج الوصية لها كما اوجب الوصية للوالدين والاقربين وقوله متاعا نصب على وجهين احدهما انه على تقدير متعوهن
متاعا والثاني جعل الله لهن ذلك متاعا لان ما قبله دل عليه وقوله غير اخراج منصوب على وجهين احدهما ان يكون
صفة للمتاع والثاني ان يكون مصدرا وضع موضع الحال قال الفراء وهو كقولك جئتك غير رغبة اليك فكأنه
قال متعوهن متاعا في مساكنهن واقول ان تقديره غير مخرجات اخراجا فيكون ذو الحال هن من متعوهن ويجوز
ان يكون تقديره غير مخرجين فيكون ذو الحال الواو من متعوهن المعنى والذين يتوفون منكم الذين يقاربون
منكم الوفاة لان المتوفى لا يؤمر ولا ينهى ويذرون ازواجا وصية لازواجهم اي فليوصوا وصية لهن
ومن رفع فمعناه وصية من الله لازواجهم او عليهم وصية لهن متاعا الى الحول يعني ما ينتفعن به حولا من النفقة
والكسوة والسكنى وقيل هو مثل المتعة في المطلقات وكان واجبا في المتوفى عنها زوجها بالوصية
من مال الزوج غير اخراج اي لا يخرجن من بيوت الازواج فان خرجن بانفسهن قبل الحول من غير ان يخرجهن
الورثة وقيل ان المراد اذا خرجن بعد مضي الحول وقيل مضت العدة وان بمعنى اذا عن القاضي وعن فلا جناح
عليكم يا معشر اولياء الميت فيما فعلن في انفسهن من معروف اختلفوا في رفع الجناح قيل لا جناح في
قطع النفقة والسكنى عنهن عن السدي والحسن قال لا وهذا دليل على سقوط النفقة بالخروج وان كان
ذلك واجبا لهن بالاقامة الى الحول فان خرجن قبل ذلك بطل الحق الذي وجب لهن بالاقامة وقيل لا جناح
عليكم في ترك منعهن من الخروج لان مقامها سنة في البيت غير واجب لكن قد خيرها الله في ذلك
عن الجبائي وقيل لا جناح عليكم ان تزوجن بعد انقضاء العدة وهذا اوجه وتقديره اذا خرجن من
العدة بانقضاء السنة فلا حرج ان تزوجن وقوله من معروف يعني طلب النكاح والتزين والله عزيز قادر لا يعجزه
شيء حكيم لا يفعل شيئا الا ما تقتضيه الحكمة واتفق العلماء على ان هذه الآية منسوخة قال ابو عبد الله عليه السلام كان
الرجل اذا مات انفق على امرأته من صلب المال حولا ثم اخرجت بلا ميراث ثم نسختها آية الربع والثمن فالمرأة
ينفق عليها من نصيبها وعنه قال نسختها يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا ونسختها آية المواريث قوله تعالى
وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون • الاعراب
الوجه في انتصاب قوله حقا مثل ما بيناه فيما قبل في قوله حقا على المحسنين كذلك الكاف يتعلق بيبين
اي مثل هذا البيان يبين لكم النزول قيل لما نزلت ومتعوهن على الموسع قدره الى قوله حقا على
المحسنين قال بعضهم ان احببت فعلت وان لم ارد ذلك لم افعل فانزل الله سبحانه هذه الآية عن عبد
الرحمن بن زيد بن اسلم المعنى لما قدم سبحانه بيان احوال المعتدات عقبه ببيان ما يجب لهن من المتعة فقال وللمطلقات
متاع بالمعروف واختلف فيه فقال سعيد بن جبير وابو العالية والزهري ان المراد بهذا المتاع المتعة
وان المتعة واجبة لكل مطلقة وقال ابو علي الجبائي المراد به النفقة وهو المتاع المذكور في قوله متاعا
الى الحول وقال سعيد بن المسيب الآية منسوخة بقوله فنصف ما فرضتم لهن وعندنا انها مخصوصة بتلك الآية
ان نزلتا معا وان كانت تلك متأخرة فمنسوخة بقوله لان عندنا لا يجب المتعة الا للمطلقة التي لم يدخل بها
ولم يفرض لها مهر فاما المدخول بها فلها مهر مثلها ان لم يسم لها مهر وان سمي لها مهر فما سمي لها وغير المدخول

١٣٥

بها المفروض مهرها لها بنصف المهر لا المتعة في هذه الاحوال وبه قال الحسن فلا بد من تخصيص هذه الآية وذكرنا الكلام
في المتعة عند قوله ومتعوهن وقوله بالمعروف حقا على المتقين معنى تفسيره وحض المتقين هنا كحض المحسنين هناك كذلك
يبين الله لكم آياته اي كما بين لكم هذه الاحكام والآداب التي مضت مما تحتاجون الى معرفتها في دينكم يبين لكم هذه الاحكام
فشبه البيان الذي يأتي بالبيان الماضي والبيان هو الادلة التي يفرق بها بين الحق والباطل لعلكم تعقلون معناه
لكي تعقلوا آيات الله وقيل معناه لعلكم تكملوا عقولكم فان العقل الغريزي لا يتكامل الا بالعقل المكتسب والمراد به استعمال
العقل لانه العالم به ومن لم يستعمل العقل فكأنه لا عقل له وكقوله انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم
جعلهم جهالا لانهم آثروا اهواءهم على ما علموا انه الحق قوله تعالى الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر
الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون • اللغة
الرؤية هنا بمعنى العلم ومعنى الم تر الم تعلم وهذه الالف الف التوقيف وتر متروك الهمزة واصله الم ترء من رأى
يرأى مثل نأى ينأى الا انهم اطبقوا على اسقاط الهمزة هنا للتخفيف • الاعراب حذر الموت نصب لانه مفعول له ويجوز
ان يكون نصبا على المصدر لان خروجهم يدل على حذرهم الموت والموت حذرا • المعنى لما ذكر قوله يبين الله آياته
للناس عقبه بذكر آية من آياته فقال الم تر اي الم تعلم يا محمد او ايها السامع والمراد به ملك الى خبر هؤلاء الذين
خرجوا من ديارهم قيل هم قوم من بني اسرائيل فروا من طاعون وقع بارضهم عن الحسن وقيل فروا من الجهاد وقد
كتب عليهم عن الضحاك ومقاتل واحتجا بقوله عقيب الآية وقاتلوا في سبيل الله وقيل هم قوم حزقيل ثالث
خلفاء بني اسرائيل بعد موسى وذلك ان القيم بامر بني اسرائيل بعد موسى ع كان يوشع بن نون ثم كالوب بن
يوقنا ثم حزقيل وقد كان يقال له ابن العجوز وذلك ان امه كانت عجوزا فسألت الله الولد وقد كبرت وعقمت
فوهبه الله سبحانه لها عن الحسن هو ذو الكفل وانما سمي حزقيل ذا الكفل لانه كفل سبعين نبيا ونجاهم
وقال لهم اذهبوا فاني ان قتلت كان خيرا من ان تقتلوا جميعا فلما جاء اليهود وسألوا حزقيل عن الانبياء
السبعين فقال انهم ذهبوا ولا ادري اين هم ومنع الله سبحانه ذا الكفل منهم وهم الوف اجمع اهل التفسير
على ان المراد بالوف هنا كثرة العدد الا ابن زيد فانه قال معناه خرجوا مؤتلفي القلوب لم يخرجوا عن تباغض
فجعله جمع الف مثل قاعد وقعود وشاهد وشهود واختلف من قال المراد به العدد الكثير فقيل كانوا ثلاثة آلاف
عن عطاء الخراساني وقيل ثمانية آلاف عن مقاتل والكلبي وقيل عشرة آلاف عن ابي روق وقيل بضعة
وثلاثين الفا عن السدي وقيل اربعين الفا عن ابن عباس وابن جريج وقيل سبعين الفا عن عطاء ابن ابي رباح
وقيل كانوا عددا كثيرا عن الضحاك والذي يقتضيه الظاهر انهم كانوا اكثر من عشرة آلاف لان بناء فعول
للكثير وهو ما زاد على العشرة وما نقص عنها يقال فيها آلاف يقال عشرة آلاف ولا يقال عشرة الوف حذر
الموت اي من خوف الموت فقال لهم الله موتوا قيل في معناه قولان احدهما ان معناه اماتهم الله كما يقال قالت
فهطلت معناه فهطلت السماء وقلت برأسي كذا وقلت بيدي كذا ومعناه اشرت برأسي وبيدي وذلك لما كان
القول في الاكثر استفتاحا للفعل كالقول الذي هو تسمية وما جرى مجراها مما كان يستفتح به الفعل صار معنى
قالت السماء فهطلت اي استفتحت بالهطلان كذلك معناه ههنا فاستفتح الله باماتتهم والثاني ان معناه
اماتهم بقول سمعته الملائكة لضرب من العبرة ثم احياهم قيل احياهم بدعاء نبيهم حزقيل عن ابن عباس وقيل
شمعون نبي من انبياء بني اسرائيل ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون لما ذكر النعمة عليهم
بما اراهم من الآية العظيمة في انفسهم ليلتزموا سبيل الهدى ويجتنبوا طريق الردى ذكر بعدها نعمه عليهم من الانعام
والاحسان مع ما هم عليه من الكفران وفي هذه الآية حجة على من انكر عذاب القبر والرجعة معا لان احياء اولئك

مثل

مثل احياء هؤلاء الذين احياهم الله للاعتبار • القصة قيل ان ام القرية التي خرجوا منها هاربا من الوباء داوردان
قبل واسط عن الكلبي والضحاك ومقاتل ان ملكا من ملوك بني اسرائيل امرهم ان يخرجوا الى القتال عدوهم فخرجوا فعسكروا
ثم جبنوا [illegible] الموت فاعتلوا وقالوا لملكهم ان الارض التي نأتيها بها الوباء فلا نأتيها حتى ينقطع منها الوباء فارسل الله تعالى عليهم الموت

وكهوام

فلما رأوا ان الموت كثر فيهم خرجوا من ديارهم فرارا من الموت فلما رأى الملك ذلك قال اللهم رب يعقوب واله موسى
قد ترى معصية عبادك فارهم آية في انفسهم حتى يعلموا انهم لا يستطيعون الفرار منك فاماتهم الله جميعا وامات دوابهم
واتى عليهم ثمانية ايام حتى انتفخوا واروحت اجسادهم فخرج اليهم الناس فعجزوا عن دفنهم فحظروا عليهم حظيرة
دون السباع وتركوهم فيها قالوا واتى على ذلك مدة حتى بليت اجسادهم وعريت عظامهم وتقطعت اوصالهم
فمر عليهم حزقيل وجعل ينظر فيهم يتفكر متعجبا منهم فاوحى الله تعالى اليه يا حزقيل تريد ان اريك آية واريك كيف احيي الموتى
قال نعم فاحياهم الله تعالى وقيل انهم كانوا قوم حزقيل فاحياهم الله بعد ثمانية ايام وذلك انه لما اصابهم ذلك خرج
حزقيل في طلبهم فوجدهم موتى فبكى ثم قال يا رب كنت في قوم يحمدونك ويسبحونك ويقدسونك فبقيت وحيدا
لا قوم لي فاوحى الله عز وجل اليه قد جعلت حياتهم اليك فقال حزقيل احيوا باذن الله تعالى فعاشوا وسأل
حمران بن اعين ابا جعفر الباقر عليه السلام عن هؤلاء القوم الذين قال لهم الله موتوا ثم احياهم فقال احياهم حتى نظر
الناس اليهم ثم اماتهم ام ردهم الى الدنيا حتى سكنوا الدور واكلوا الطعام قال لا بل ردهم حتى سكنوا الدور
واكلوا الطعام ونكحوا النساء ومكثوا بذلك ما شاء الله ثم ماتوا بآجالهم قوله تعالى وقاتلوا في سبيل الله واعلموا
ان الله سميع عليم • المعنى اختلف في المخاطب بقوله وقاتلوا في سبيل الله فقيل توجه الخطاب الى الصحابة بعدما
ذكرهم بحال من فر من الموت فلم ينفعه الفرار حثهم على الجهاد لئلا يسلكوا في الفرار من الجهاد سبيل اولئك الذين
فروا من الديار وقيل انه خطاب للذين جرى ذكرهم على تقدير وقيل لهم قاتلوا في سبيل الله واعلموا ان الله سميع
اي سميع لما يقول المنافق عليم بما يجنه فاحذروا حاله قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه
له والله يقبض ويبسط واليه ترجعون • القراءة فيضاعفه فيه اربع قراءات قرأ ابو عمرو ونافع وحمزة
والكسائي فيضاعفه بالالف والرفع وقرأ عاصم بالالف والنصب وقرأ ابن كثير وابو جعفر فيضعفه بالتشديد
والرفع وقرأ ابن عامر ويعقوب بالتشديد والنصب وقرأ ابو عمرو وحمزة يبسط وبسطة وفي الاعراف ايضا بالسين
وروى عنهم ايضا بالصاد ويعقوب وهشام بالسين والباقون يختلف عنهم • الحجة قال ابو علي الرفع في قوله فيضاعفه عنده
وجهان احدهما ان يعطفه على ما في الصلة والآخر ان يستأنفه فاما النصب في فيضاعفه فان الرفع احسن منه
الا ترى ان الاستفهام انما هو عن فاعل الاقراض لا عن الاقراض واذا كان كذلك لم يكن مثل قولك اتقرضني فاشكرك
لان الاستفهام ههنا عن الاقراض ووجه قول ابن عامر وعاصم في النصب من فاء فيضاعفه انه حمل الكلام على
المعنى وذلك انه لما كان المعنى ايكون قرض حملا [illegible] فيضاعفه على ذلك كما ان من قرأ من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم
جزم قوله ويذرهم لما كان معنى قوله فلا هادي له فلا يهده ونحو ذلك مما حمل فيه الكلام على المعنى دون اللفظ كثير
فاما القول في يضاعف ويضعف فكل واحد منهما في معنى الآخر وقوله اضعافا منصوب على الحال وتقديره فيكثره
فاذا هو اضعاف فيكون حالا كالبعد الفراغ من الفعل ووجه قول من ابدل السين صادا في هذه المواضع التي ذكر
ان الطاء حرف مستعل يتصعد من مخرجها الى الحنك ولم يتصعد السين تصعدها فكره التصعد عن التسفل
فابدل من السين حرفا من مخرجها في تصعد الطاء فتلاءم الحرفان وصار كل واحد منهما وفق صاحبه في التصعد
فان قيل ان الابدال انما كان يكره من التصعد عن التسفل ولو كان اجتماع الحرفين على عكس ما ذكرنا وهو ان يكون المتصعد
قبل المستفل لم يكره ذلك ولم يبدلوا الا ترى انهم قالوا طمس الطريق وقسوت وقست وقالوا قسط فلم يكرهوا التسفل

١٣٦

عن تصعيد كما كرهوا ابسط حتى قالوا ابصط فابدلوا واما من لم يبدل السين فى بسطة وترك السين فلاجل الاصل ولان ما
بين الحرفين من الخلاف يسير فاحتمل الخلاف لقلته اللغة القرض هو قطع جزء من المال بالاعطاء على ان يرد بعينه
او يرد مثله بدلا منه واصل القرض القطع بالناب يقال قرض الشيء يقرضه اذا قطعه بنابه واقرض فلان فلانا
اذا اعطاه ما يتجازاه منه والاسم منه القرض والتضعيف والمضاعفة والاضعاف بمعنى وهو الزيادة على اصل الشيء
حتى يصير مثلين او اكثر ويقول ضعفت القوم اضعفهم ضعفا اذا كثرتهم فصرت مع اصحابك على الضعف منهم
وضعف الشيء مثله فى المقدار اذا نسب اليه وكل واحد منهما ضعف وضعف الشيء ضعفا وضعفا والضعف خلاف القوة
والقبض خلاف البسط يقال قبضه يقبضه قبضا والقبض ضم الكف على الشيء والمنقبض المتشنج وتقبض عنه اذا اشمأز
عنه لانه ضم نفسه عن الانبساط اليه وقبض الانسان اذا مات والملك قابض الارواح وبسط يبسط بسطا والبساط بكسر
ما بسطته والبساط بفتح الباء الارض الواسعة وكتب يبسط بالسين وبصط بالصاد لان القلب على السكان
المعنى لما حث الله سبحانه على الجهاد وذلك يكون بالنفس والمال عقبه بالتلطف فى الاستدعاء الى اعمال البر
والانفاق فى سبيل الخير فقال من ذا الذى يقرض الله اى ينفق فى سبيله وطاعته والمراد به الامر وليس هذا
حاجة على ما ظنه اليهود فقالوا انما يستقرض منا ربنا عن عوز فاذا هو فقير ونحن اغنياء فانزل الله سبحانه
لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء بل سمى سبحانه الانفاق قرضا تلطفا للدعاء الى فعله وتأكيدا
للجزاء عليه فان القرض يوجب الجزاء قرضا حسنا والقرض الحسن ان ينفق من حلال ولا يتبع منا ولا اذى وقيل
هو ان يكون محتسبا طيبا به نفسه عن الواقدى وقيل هو ان يكون حسن الموقع عند الانفاق فلا يكون خسيسا والاولى
ان يكون جامعا لهذه الوجوه كلها فلا تنافى فيها فيضاعفه له اضعافا كثيرة اى يزيده له اى يعطيه ما لا يعلمه الا الله وهو
مثل قوله ويؤت من لدنه اجرا عظيما عن الحسن والسدى وروى عن الصادق ع انه قال لما نزلت هذه الاية من جاء
بالحسنة فله خير منها قال رسول الله صلعم رب زدنى فانزل الله سبحانه من جاء بالحسنة فله عشر امثالها فقال رسول الله
صلعم رب زدنى فانزل الله سبحانه من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة والكثير عند الله
لا يحصى والله يقبض ويبسط معناه والله يقبض الرزق عن اقوام بان يقتر عليهم ويبسط على قوم بان يوسع عليهم
عن الحسن وابن زيد وقيل معناه يقبض الصدقات ويبسط الجزاء عليها عاجلا او آجلا او كليهما عن الاصم والزجاج
وقيل يقبض الرزق بموت واحد ويبسط للوارث واليه ترجعون فيه تأكيد للجزاء قال الكلبى فى سبب نزول الاية
ان النبى صلعم قال من تصدق بصدقة فله مثلاها فى الجنة فقال ابو الدحداح الانصارى واسمه عمرو بن الدحداح يا رسول الله
ان لى حديقتين ان تصدقت باحدهما فان لى مثليها فى الجنة قال نعم قال وام الدحداح معى قال نعم قال والصبية معى
قال نعم فتصدق بافضل حديقتيه فدفعها الى رسول الله صلعم فنزلت الاية فضاعف الله له صدقته الفى الف وذلك قوله
اضعافا كثيرة قال فرجع ابو الدحداح فوجد ام الدحداح والصبية فى الحديقة التى جعلها صدقة فقام على باب
الحديقة وتحرج ان يدخلها فنادى يا ام الدحداح قالت لبيك يا ابا الدحداح قال انى جعلت حائطى هذا صدقة
واشترطت مثليها فى الجنة وام الدحداح معى والصبية معى قالت بارك الله لك فيما شريت وفيما اشتريت فخرجوا منها
وسلموا الحديقة الى النبى ص فقال النبى ص كم نخلة متدل عذقها لابى الدحداح فى الجنة قوله تعالى
الم تر الى الملأ من بنى اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبى لهم ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله قال هل
عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا قالوا وما لنا الا نقاتل فى سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا
فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم والله عليم بالظالمين ◦ القراءة قرأ نافع وحده عسيتم بكسر السين
والباقون بفتحها الحجة المشهور فى عسيتم فتح السين ووجه قراءة نافع انهم قالوا هو عس بذلك وما اعسا

واعسى

١٢٧

واعس به حكاه ابن الاعرابى وهذا يقوى قراءة نافع لان عس مثل حر وشج وقد جاء فعل وفعل فى نحو نقم ونقم وورد
بك زنادى ووريت وكذلك عسيت وعسيت فان اسند الفعل الى ظاهر فقياس عسيتم ان يقول عسى زيد مثل رضى
فان قاله فهو قياس قوله وان لم يقله فسائغ لان يأخذ باللغتين معا فيستعمل احديهما فى موضع والاخرى فى موضع آخر
كما فعل ذلك فى غيره اللغة الملأ الجماعة الاشراف من الناس وروى ان رجلا من الانصار قال يوم بدر ان قتلنا الا عجائز
فقال النبى ص اولئك الملأ من قريش لو رأيتهم فى انديتهم لهبتهم ولو امروك لاطعتهم ولاحتقرت فعالك عند فعالهم
وملأت الاناء ارتعه لانه يجتمع فيه ما لا يكون مزيد عليها وملأت الرجل عاونته وتمالؤا عليه اذا تعاونوا وملوء
الرجل ملاءة فهو ملى بالامر اذا امكنه القيام به والملأ الخلق لانه يجمع انها صاحبه يجرى عليه [illegible] احسنوا املاءكم
اى اخلاقكم قال شاعر تنادوا يا لبهثة اذ رأونا فقلنا احسنى ملأ جهينا واصل الباب الاجتماع فيما لا يحتمل المزيد و
سمى الاشراف ملأ لانه ملاءة على شرفهم وقيل لان هيبتهم تملأ الصدر والملأ مقصور المتسع من الارض قال الشاعر
الا غنيانى وارفعا الصوت بالملأ فان الملأ عندى يزيد المدى بعدا الاعراب من بنى اسرائيل الجار والمجرور فى
فى محل النصب على الحال والعامل فيه تروذ والحال الملأ ومن بعد موسى فى موضع الحال ايضا وهو حال بعد حال
او حال من الضمير فى الجار والمجرور قبله وقوله نقاتل جزم على الجواب للامر الذى هو على لفظ الامر اى ان يبعث
لنا ملكا نقاتل ولو كان بالياء لجاز الرفع على ان يكون صفة الملك قال الزجاج والرفع فى نقاتل بعيد يجوز على
معنى فانا نقاتل فى سبيل الله وكثير من النحويين لا يجيزون الرفع فى قوله الا تقاتلوا فى موضع نصب لانه خبر عسى وقوله
وما لنا الا نقاتل قال ابو الحسن الاخفش ان زائدة فى قوله وما لكم الا تأكلوا ان زائدة جائزة وقوله وما لنا الا نتوكل
وما لكم لا تتكلمون كقوله ما لكم لا تنطقون وما لك لا تأمنا فوقع الفعل المنفى موقع الحال كما وقع الموجب موقعه
فى قولك ما لك تفعل وقد قال غيره نحو ذلك ان المعنى وما لنا فى الا نقاتل وما لكم فى الا تأكلوا فحذف حرف الجر وهو على
وجهين قال ابو على والقول الثانى اوضح ويكون ان مع حرف الجر فى موضع نصب بالحال كقوله فما لهم عن التذكرة
معرضين ونحو ذلك ثم حذف الجار فصار ان وصلتها ذلك المسند والحال فى الامر هو الجار والمجرور الا انه ترك
اظهاره لان الذى المنصوب عنه عليه ومثله فى وقوع الظرف موقع الحال قول ابى ذويب يعثرن فى حد الظبات كانما
كسيت برود بنى تزيد الاذرع ومثله كما يقال خرجت فى الثياب اى خرجت لابسا وجرت ذلك ذكر المبرد وهو ان
ما حملت وقد بين ما لنا ترك القتال وعلى الوجهين الاولين يكون ما استفهاما وقد اخرجنا جملة فى موضع الحال
وتقديره وما لنا ان لا نقاتل مخرجين من ديارنا وذو الحال الضمير فى لا نقاتل وقليلا منصوب على الاستثناء من الكلام
المعنى لما قدم سبحانه ذكر الجهاد عقبه بقصة مشهورة فى بنى اسرائيل تضمنت شرح ما نالهم فى قعودهم عن الجهاد
من سلوك طريقتهم فيه فقال الم تر الم ينته علمك يا محمد الى الملأ اى جماعة الاشراف من بنى اسرائيل من بعد موسى
اى من بعد وفاته اذ قالوا لنبى لهم اختلف فى ذلك النبى فقيل اسمه شمعون سمته امه بذلك لان امه دعت الله
سبحانه ان يرزقها غلاما فسمع الله دعاءها فيه وهو شمعون بن صفية من ولد لاوى بن يعقوب عن السدى وقيل
هو يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف بن يعقوب عن قتادة وقيل هو اشمويل وهو بالعربية اسمعيل عن اكثر المفسرين
وهو المروى عن ابى جعفر ع قالوا ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله اختلف فى سبب سؤالهم ذلك
فقيل سبب سؤالهم ذلك استذلال الجبابرة لهم لما ظهروا على بنى اسرائيل وغلبوهم على كثير من ديارهم
وسبوا كثيرا من ذراريهم بعد ان كانت الخطايا قد كثرت فى بنى اسرائيل وعظمت فيهم الاحداث ونسوا عهد الله
تعالى ولم يكن لهم نبى يدبر امرهم فبعث الله اليهم اشمويل نبيا فقالوا له ان كنت صادقا فابعث لنا ملكا نقاتل
فى سبيل الله آية من نبوتك عن الربيع والكلبى وقيل اراد قتال العمالقة فسألوا ملكا يكون اميرا عليهم

ينتظم به كلمتهم ويجتمع امرهم ويستقيم حالهم في جهاد عدوهم عن السدي وقيل بعث الله اشمويل نبيا فلبثوا
اربعين سنة باحسن حال ثم كان امر جالوت والعمالقة ما كان فقالوا لاشمويل ابعث لنا ملكا عن وهب وقال
ابو عبد الله ع كان الملك في ذلك الزمان هو الذي يسير بالجنود والنبي يقيم له امره وينبئه بالخبر من عند الله فاجابهم
نبيهم فقال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا اي لعلكم ان فرض عليكم القتال مع ذلك الملك ان لا تقاتلوا او ان لا
تفوا بما تقولون وتجبنوا فلا تقاتلوا وانما سالهم عن ذلك ليعرف ما عندهم من الحرص على القتال وهذا كاخذ العهد عليهم
ومعنى عسيتم قاربتم فاذا قلت عسيت ان افعل كذا فمعناه قاربت هذا الفعل قالوا وما لنا ان لا نقاتل في سبيل الله
معناه واي شيء لنا في ترك القتال وقيل معناه ليس لنا ترك القتال وقد اخرجنا لفظه عام ومعناه خاص اي وقد
اخرج بعضنا من ديارنا وابنائنا اي من اوطاننا واهالينا بالسبي والقهر على نواحينا والمعنى انهم اجابوا نبيهم بانه
انما كنا لا نرغب في القتال اذ كنا اعزة لا يظهر علينا عدونا فاما اذا بلغ الامر هذا المبلغ فلا بد من الجهاد فلما كتب
عليهم القتال فيه حذف تقديره فسال النبي الله سبحانه ان يبعث لهم ملكا يجاهدون معه اعداءهم فبعث لهم دعوته
واجاب مسالته فبعث لهم ملكا وكتب عليهم القتال الذي فرض فلما كتب عليهم القتال تولوا اي اعرضوا عن القتال
به وضيعوا امر الله الا قليلا منهم وهم الذين عبروا النهر على ما نبينه من بعد والله عليم بالظالمين هذا تهديد
لمن تولى عن القتال لانهم ظلموا انفسهم بمعصية الله تعالى قوله تعالى وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت
ملكا قالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال ان الله اصطفاه عليكم
وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم . اللغة اصطفاه اختاره
واستصفاه بمعناه واصله اصتفاه الا ان التاء ابدلت طاء لان التاء من مخرج الطاء والطاء مطبقة كما ان
الصاد مطبقة فابدلوها منها ليسهل النطق بها بعد الصاد والبسطة الفضيلة في الجسم او المال والجسم جرم ذو
الطول والعرض والعمق بدلالة قولهم جسم جسامة اي ضخم وهذا جسيم اي ضخم وهذا اجسم من هذا اذا زاد
عليه في الطول والعرض والعمق وقيل الجسم هو المؤلف وقيل هو القائم بنفسه والصحيح الاول الاعراب
طالوت وداود وجالوت لا تنصرف لانها اسماء اعجمية وفيها سببان التعريف والعجمة واما جاموس
فلو سميت به رجلا لانصرف وان كان اعجميا لانه قد تمكن في العربية لانك تدخل عليه الالف واللام فتقول
الجاموس ملكا نصب على الحال العامل فيه بعث وذو الحال طالوت وانى في موضع نصب لانه خبر يكون والملك اسمه
وله في موضع الحال وذو الحال الملك وتقديره انى يكون الملك مستقرا علينا ويجوز ان يكون كان هنا تامة
فيتعلق بيكون وانى في موضع نصب على الحال من يكون وعلينا يتعلق بالملك ونحن احق في محل النصب على الحال
فيما الملك وذو الحال الضمير في انى يملك وتقديره انى يملك علينا غير موتى سعة من المال . المعنى وقال لهم
نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا اي جعله ملكا وكان طالوت من ولد ابن يامين بن يعقوب ولم يكن من سبط
النبوة ولا من سبط المملكة وسمي طالوت لطوله ويقال كان سقاء وقيل كان خربندجا وقيل كان دباغا
وكانت النبوة في سبط لاوي بن يعقوب وكانت المملكة في سبط يهوذا بن يعقوب وقيل في سبط يوسف وقيل
ملكا اي اميرا على الجيش عن مجاهد وقيل بعثه نبيا بعد ان جعله ملكا قالوا انى يكون له الملك علينا اي من
اين له الملك وهذا اول اعتراضهم انكروا ملكه ونحن احق اي اولى بالملك منه لانا من سبط النبوة والمملكة
ولم يؤت سعة من المال اي لم يعط ما يملك به الناس وهو المال اذ لا بد للملك من مال يستعين
به الملك وقيل معناه لم يؤت سعة من المال فيتشرف به ويجبر نقصا لو كان فيه حتى يساوي اهل الانساب

فاعلمهم الله

فاعلمهم الله تعالى انه اعرف بوجوه الحكمة منهم وان المقصود في الملك والرياسة هو العلم والشجاعة واخبرهم بذلك على لسان
نبيهم قال ان الله اصطفاه اي اختاره عليكم عن ابن عباس وزاده بسطة اي فضيلة وسعة في العلم والجسم وكان اعلم بني
اسرائيل في وقته واجملهم واتمهم واعظمهم جسما واقواهم شجاعة وقيل كان اذا قام الرجل فبسط يده رافعا لها نال راسه
قال وهب كان ذلك فيه قبل الملك وزاده بعد الملك والله يؤتي ملكه من يشاء اي لا تنكروا ملكه وان لم يكن من اهل
بيت الملك فان الله سبحانه يؤتي الملك من يشاء والله واسع قيل في معناه ثلاث اقوال احدها انه واسع
الفضل فحذف كما يقال فلان كبير اي كبير القدر والثاني ان الواسع بمعنى الموسع اي يوسع على من يشاء من نعمه كما جاء أليم بمعنى
مؤلم وسميع بمعنى مسمع والثالث ان معناه ذو سعة كقوله عيشة راضية اي ذات رضاء ونحو تامر اي ذو تمر
ولابن اي ذو لبن وقوله عليم اي عالم بمن ينبغي ان يؤتيه الفضل والمملكة اما للاستصلاح واما للامتحان وفي
هذه الاية دلالة على ان الملك قد يضاف اليه سبحانه وذلك بان ينصب الملك للتدبير ويعطيه آلات الملك
ويامر الخلق بالانقياد له فعلى ذلك يجوز ان يقال بعثه الله ملكا وان لم يكن في البعثة كالانبياء ع ويقال في
ملكه ايضا انه من جهة الله سبحانه لانه مقرر فصادر عن امره وفيها دلالة ايضا على ان الملك ليس بواجب ان يكون
وراثة وانما هو بحسب ما يعلم الله من المصلحة وفيها دلالة على ان من شرط الامام ان يكون اعلم من رعيته واكمل
وافضل في خصال الفضل والشجاعة لان الله سبحانه علل تقديم طالوت عليهم بكونه اعلم واقوى فلولا ان ذلك
شرط لم يكن له معنى قوله تعالى وقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان ياتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك
آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين . اللغة التابوت بالتاء
لغة جمهور العرب والتابوه بالهاء لغة الانصار والسكينة مصدر وقع موقع الاسم نحو القضية والبقية
والعزيمة واختلفوا في السكون الاعراب موضع ان ياتيكم رفع المعنى ان آية ملكه اتيان التابوت اياكم فيه
سكينة من ربكم مبتدا وخبر في موضع النصب على الحال من التابوت مما ترك الجار والمجرور في موضع الصفة لبقية

المعنى وقال لهم نبيهم ان آية ملكه اي علامة تمليك الله اياه وحجة صحة ملكه ان ياتيكم التابوت وفي هذا دليل على انهم
قالوا لرسولهم ان كان ملكه بامر من الله ومن عنده فائتنا بعلامة تدل على ذلك واجابهم بهذا وروى علي بن ابراهيم في
تفسيره عن ابي جعفر عليه السلام ان التابوت كان الذي انزله الله على ام موسى فوضعت فيه ابنها والقته في اليم وكان في بني اسرائيل
يتبركون به فلما حضر موسى ع الوفاة وضع فيه الالواح ودرعه وما كان عنده من آثار النبوة واودعه الى
عند وصيه يوشع بن نون فلم يزل التابوت بينهم وبنو اسرائيل في عز وشرف ما دام فيهم حتى استخفوا به وكان
الصبيان يلعبون به في الطرقات فلما عملوا المعاصي واستخفوا به رفعه الله عنهم فلما سالوا نبيهم ان يبعث اليهم
ملكا بعث الله لهم طالوت ورد عليهم التابوت وقيل كان في ايدي اعداء بني اسرائيل من العمالقة غلبوهم
عليه لما مرج امر بني اسرائيل وحدث فيهم الاحداث ثم انتزعه الله من ايديهم ورده على بني اسرائيل تحمله الملائكة
عن ابن عباس ووهب وروي ذلك عن ابي عبد الله عليه السلام وقيل كان التابوت الذي انزله على آدم ع فيه صور
الانبياء فتوارثه اولاد آدم وكان في بني اسرائيل يستفتحون به على عدوهم وقال قتادة كان في برية التيه
خلفه هناك يوشع بن نون فحملته الملائكة الى بني اسرائيل وقيل كان قدر التابوت ثلاث اذرع في ذراعين عليه
صفائح الذهب وكان من شمشاد وكانوا يقدمونه في الحرب ويجعلونه امام جندهم فاذا سمع من جوفه انين زف
التابوت اي سار فكان الناس يسيرون خلفه فاذا سكن الانين وقف فوقف الناس بوقوفه فيه سكينة من ربكم
قيل في التابوت نفسه وقيل فيما في التابوت واختلف في السكينة فقيل ان السكينة التي كانت فيه ريح هفافة
من الجنة لها وجه كوجه الانسان عن علي ع وقيل كان لها جناحان وراس كراس الهرة من الزبرجد والزمرد

عن مجاهد وروى ذلك في اخبارنا وقيل كان فيه ريح تكون اليها عن عطاء وقيل روح من الله يكلمهم بالبيان عند وقوع الاختلاف عن وهب وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون قيل انها عصا موسى ورضاض الالواح عن قتادة وابن عباس والسدي وهو المروي عن ابي جعفر وقيل هي التوراة وشيء من ثياب موسى عن الحسن وقيل كان فيه لوحان من التوراة وقفيز من المن الذي كان ينزل عليهم ونعلا موسى وعمامة هرون وعصاه هذه اقوال اهل التفسير في السكينة والبقية والظاهر ان السكينة امنة وطمأنينة جعلها الله سبحانه فيه ليسكن اليه بنو اسرائيل والبقية جاز ان يكون بقية من العلم او شيئا من علامات الانبياء وجائز ان يتضمنهما جميعا على ما قاله الزجاج وقيل اراد آل موسى وآل هارون موسى وهارون على نبينا وعليهم يعني مما ترك موسى وهارون تقول العرب آل فلان يريد نفسه انشد ابو عبيدة فلا تبك ميتا بعد ميت اجنه علي وعباس وآل ابي بكر يريد ابا بكر نفسه وقال جميل بثنة من آل النساء وانما يكون لادنى لا وصال لغائب اي من النساء تحمله الملائكة قيل حملته الملائكة بين السماء والارض حتى رآه بنو اسرائيل عيانا عن ابن عباس والحسن وقيل لما غلب الاعداء على التابوت ادخلوه بيت الاصنام فاصبحت اصنامهم منكبة فاخرجوه ووضعوه ناحية من المدينة فاخذهم وجع في اعناقهم وكل موضع وضعوه فيه بلاء وموت ووباء فاشير عليهم بان يخرجوا التابوت فاجمعوا رأيهم على ان يأتوا به وحملوه على عجلة وشدوها على ثورين ففعلوا ذلك وارسلوا الثورين فجاءت الملائكة وساقوا الثورين الى بني اسرائيل فعلى هذا يكون معنى تحمله الملائكة تسوقه كما تقول حملت متاعي الى مكة كنت سببا لحمله الى مكة ان في ذلك لآية لكم اي في رجوع التابوت اليكم علامة ان الله سبحانه ملك طالوت عليكم ان كنتم مؤمنين مصدقين ولا يجوز ان يكون على تثبيت الايمان لهم لانهم كفروا حين ردوا على نبيهم وقيل ان كنتم مؤمنين

قوله تعالى فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني الا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه الا قليلا منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين القراءة قرأ ابن كثير وابو عمرو واهل المدينة غرفة بالفتح والباقون بالضم الحجة قال ابو علي من فتح الغين عدى الفعل الى المصدر والمفعول في قوله محذوف والمعنى الا من اغترف ماء غرفة ومن ضم الغين عدى الفعل الى المفعول ولم يعده الى المصدر لان الغرفة العين المغترفة فهو بمنزلة الا من اغترف ماء والعرب يجعلون هذه الاسماء المشتقة من المصادر بمنزلة المصادر ويعملونها كما يعملون المصادر فيقولون عجبت من دهنك لحيتك وقد جاء عن العرب ما يدل عليه وهو قول الشاعر وبعد عطائك المائة الرتاعا واشياء غير هذا فعلى هذا يجوز ان ينتصب الغرفة نصب الغرفة وقد قال سيبويه في نحو الجلسة والركبة انه قد يجيء بها عن المصادر ولا يقع مواقعها وهذا كالمقارب لقولهم ولو قيل ان الضم هنا اوجه لقوله فشربوا منه والمشروب منه الغرفة لكان قويا اللغة الفصل القطع وفصل بالجنود اي سار بهم وقطعهم عن موضعهم وفصال الصبي فصاله وقطعه عن اللبن والجنود جمع جند وجند الجنود اي جمعهم وفي الحديث الارواح جنود مجندة واصل الباب الجند الغليظ من الارض يقال طعم الطعام واشتدوا فان شئت حرمت النساء سواكم وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا اراد لم اذق والنقاخ العذب وغرف الماء يغرفه غرفا واغترف بمعنى والمغرفة الآلة التي يغرف بها وغرف غروف كبير والمجاوزة من الجواز يقال جاز الشيء يجوزه اذا قطعه واجازه اجازة اذا استصوبه والشيء يجوز اذا لم يمنع منه دليل وجوز الشيء وسطه شبه بجاز الطريق وهو وسطه الذي يجاز فيه وقيل ان اشتقاق الجواز لانها تقتضي جواز السماء والمجاز في الكلام لانه خروج عن الاصل الى ما يجوز في الاسم

واصل الباب الجواز وهو المرور من غير مانع يصد ومنه التجاوز عن الذنب لانه المرور عليه بالصفح والطاقة القوة يقال اطقت الشيء اطاقة وطاقة مثل طعت طاعة وطاعة وطوعا والفئة الطائفة من الناس والجمع فئون وفئات ولا يجوز في هذه الاعلالات لان نقص هذه من القلة وليس كذلك فيه وما نقص من واليوي فالباب على اطراد بمنزلة غير المنقوص فاما فئة ومائة وعزة فان النقص فيه على غير اطراد وتقول فاوت راسه بالسيف اذا قطعته وانفأى الشيء انفئاء اذا انقطع واصل الباب القطع ومنه الفئة لانهم قطعة من الناس الاعراب قوله بيده من فتح فاعرفه جاز ان يتعلق بالمصدر المحذوف وجاز ان يتعلق بالفعل ايضا ومن اعمل الغرفة اعمال المصدر جاز ان يتعلق الباء بها في قوله وكلا الامرين مذهب ومن اغترف في موضع نصب بالاستثناء وكم خبرية وهي في موضع رفع بالابتداء المعنى فلما فصل طالوت بالجنود في الكلام حذف لدلالة الكلام عليه وهو فاتاهم التابوت بالصفة التي وعدوا بها فصدقوا وانقادوا لطالوت فلما فصل طالوت اي خرج من مكانه وقطع الطريق بالجنود اي العساكر واختلف في عددهم فقيل كانوا ثمانين الف مقاتل عن السدي وقيل سبعين الفا عن مقاتل وذلك انهم لما رأوا التابوت ايقنوا بالنصر فبادروا الى الجهاد قال يعني طالوت ان الله مبتليكم بنهر اي مختبركم وممتحنكم ومعنى الابتلاء هاهنا تمييز الصادق من الكاذب في قول الحسن وكان سبب ابتلائهم بالنهر شكايتهم قلة المياه وخوف التلف من العطش عن وهب وقيل انما ابتلوا بذلك ليصبروا عليه فيكثر ثوابهم ويستحقوا به النصر على عدوهم وليتعودوا الصبر على الشدائد فيصبروا عند المحاربة ولا ينهزموا واختلف في النهر الذي ابتلوا به فقيل هو نهر بين الاردن وفلسطين عن قتادة والربيع وقيل هو نهر فلسطين عن ابن عباس والسدي وقوله فمن شرب منه الهاء كناية عن النهر في اللفظ وهو في المعنى الماء ويقال شربت من نهر كذا ويراد به الماء فليس مني معناه ليس من اهل ولايتي وليس من اصحابي وممن تبعني ومن لم يطعمه اي من لم يطعم من ذلك الماء فانه مني اي من اهل ولايتي واوليائي وهو من الطعم الذي هو ما يؤديه الذوق اي لم يجد طعمه لا من الطعام والطعم يوجد في الماء وفي الطعام جميعا الا من اغترف غرفة بيده الا من اخذ الماء مرة واحدة باليد ومن قرأ بالضم فمعناه الا من شرب مقدار ملء كفه فشربوا منه اي شربوا كلهم اكثر من غرفة الا قليلا منهم قيل ان الذين شربوا منه غرفة كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا عن الحسن وقتادة وجماعة وقيل اربعة آلاف رجل ونافق ستة وسبعون الفا ثم نافق الاربعة الآلاف الا ثلاثمائة وبضعة عشر عن السدي وقيل من استكثر من ذلك الماء عطش ومن لم يشرب الا غرفة روي وذهب عطشه ورد طالوت عند ذلك العصاة منهم فلم يقطعوا معه النهر فلما جاوزه والذين آمنوا معه معناه فلما تخطى النهر طالوت والمؤمنون معه وهم صحابه وروي عن البراء بن عازب وقتادة والحسن انه انما جاوز معه المؤمنون خاصة كانوا مثل عدة اهل بدر وقيل بل جاوز المؤمنون والكافرون الا ان الكافرين انخزلوا وبقي المؤمنون على عدد اهل بدر عن ابن عباس والسدي وهذا اقوى لقوله سبحانه فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه فلما رأوا كثرة جنود جالوت قالوا اي قال الكفار منهم لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال المؤمنون الذين عددهم عدد اهل بدر كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله قال ابو القاسم البلخي ويجوز ان يكونوا كلهم مؤمنين غير ان بعضهم اشد ايقانا واقوى اعتقادا وهم الذين قالوا كم من فئة قليلة قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله اي راجعون الى الله تعالى والى جزائه قيل في يظنون ثلاثة اقوال احدها ان معنى يظنون يستيقنون عن السدي كقول دريد بن الصمة فقلت لهم ظنوا بالفي مدجج سراتهم في الفارسي المسرد اي ايقنوا والثاني ان معناه يحدثون نفوسهم وهو اصل الظن لان حديث النفس بالشيء قد يكون مع الشك وقد يكون مع العلم الا انه قد كثر على ما كان مع الشك والثالث انهم ملاقوا الله بالقتل في تلك الوقعة

١٣٩

كم من فئة اى فرقة قليلة غلبت فئة اى فرقة كثيرة باذن الله اى بنصرة على الحق لانه اذا اذن الله فى القتال
نصره فيه على الوجه الذى اذن فيه والله مع الصابرين بالنصرة لهم على عدوهم قوله تعالى ولما برزوا لجالوت وجنوده
قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين • اللغة البروز اصله الظهور ومنه البراز
وهى الارض الفضاء ورجل برز وامرأة برزة اى ذو عفة وفضل لظهوره لذلك ومنها الافراغ الصب لشىء على جهة
اخلاء المكان منه يقال فرغ يفرغ فراغا وافرغ افراغا واصبح فؤاد ام موسى فارغا اى خاليا من الصبر واصل الفراغ
الخلو والتثبيت تمكين الشىء فى مكانه بلزومه اياه وقد يقال ثبته بمعنى حكم بوجوده ورجل ثبت المقام اذا كان شجاعا لا يبرح
موقفه وطعنه فاثبت فيه الرمح اى نفذ فيه لانه يلزم فيه واثبت حجته اقامها ورجل ثبت اى ثقة مأمون فيما روى
والنصر هو المعونة على العدو وذلك يكون باشياء منها بزيادة القوة ومنها بالرعب على المداخلة ومنها بالاطلاع على
العورة ومنها بتخييل الكثرة ومنها باختلاف الكلمة والفرق بين النصر واللطف ان كل نصر من الله فهو لطف وليس
كل لطف نصرا لان اللطف يكون فى اخذ طاعة بدلا من معصية وقد يكون فى فعل طاعة من النوافل والنصر فعل الله تعالى
والصبر من فعل العبد لانه يجازى عليه وهو حبس النفس عما تنازع اليه من الفعل وهو هنا حبسها عما تنازع اليه
من الفرار من القتال المعنى ولما برزوا اى ظهر المؤمنون معه لمحاربة جالوت وجنوده قالوا ربنا افرغ اى اصبب
علينا صبرا اى وفقنا للصبر على الجهاد وشبهه بتفريغ الاناء من جهة انه نهاية ما توجبه الحكمة كما انه نهاية ما فى الاناء
من الآنية وثبت اقدامنا اى وفقنا للثبوت على الامر وانصرنا اعنا على جهاد القوم الكافرين قوم جالوت
قوله تعالى فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس
بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين • آية القراءة قرأ ابو جعفر ونافع ويعقوب دفاع
بالالف وفى الحج مثله وقرأ الباقون بغير الالف الحجة قال ابو على الدفاع يحتمل امرين احدهما ان يكون مصدر الفعل
كالكتاب واللقاء ونحو ذلك والثانى ان يكون مصدر فاعل ويدل عليه قراءة من قرأ ان الله يدافع عن الذين آمنوا وكان
معنى دفع ودافع سواء الا ترى الى قوله ولقد حرصت بان ادافع عنهم فاذا المنية اقبلت لا تدفع فكان المعنى حرصت بان
ادفع عنهم المنية والمنية لا تدفع فوضع ادافع موضع ادفع فاذا كان كذلك فدفع ودافع متقاربان • اللغة الهزم
الدفع يقال هزم القوم فى الحرب يهزمهم هزما اذا دفعهم بالقتال هزيمة فانهزموا انهزاما وهزم السقاء اذا يبس
فتصدع لاندفاع بعضه من بعض والاهتزام الذبح يقال اهتزم شاته قبل ان تهزل فهذا الدفع ضياعها ...
الدفع الصرف عن الشىء والدفاع السيل والدفعة الاندفاع الى جملة المعنى ثم ذكر سبحانه تمام القصة فقال فهزموهم
ولا بد من حذف ها هنا كانه قال لما قالوا ربنا افرغ علينا صبرا فاستجاب لهم ربهم فهزموهم بنصره اى دفعوهم
وكسروهم لان الهزيمة بعد سؤال النصر دليل على معنى الاجابة ومعنى هزموهم سببوا لهزيمتهم بان فعلوا ما الجأهم اليها
فعلى هذا يكون حقيقة وقال ابو على الجبائى ذلك مجاز لانهم لم يفعلوا هزيمتهم كما يقال اخرجه من منزله اذا الجأه الى
الخروج ولم يفعل خروجه والصحيح الاول وقوله باذن الله اى بامر الله وقيل بعلم الله وقتل داود جالوت القصة
وكان من قصة داود على ما رواه على بن ابرهيم بن هاشم عن الصادق ع ان الله تعالى اوحى الى نبيهم ان جالوت يقتله من
يستوى عليه درع موسى ع وهو رجل من ولد لاوى بن يعقوب واسمه داود بن ايشا ع وكان لايشا عشرة بنين اصغرهم
داود فلما بعث الله طالوت الى بنى اسرائيل وجمعهم لحرب جالوت بعث الى ايشا ان احضر واحضر ولدك فلما
حضروا دعا واحدا واحدا من ولده فالبسه درع موسى ع فمنهم من طالت عليه ومنهم من قصرت عنه فقال لايشا هل
خلفت من ولدك احدا قال نعم اصغرهم تركته فى الغنم يرعاها فبعث اليه فجاء به فلما دعى اقبل ومعه مقلاع قال فنادته
ثلث صخرات فى طريقه يا داود خذنا فاخذها فى مخلاته وكان ... وكان داود شديد البطن شجاعا

طالوت

عنا

قويا فى بدنه فلما جاء الى طالوت البسه درع موسى فاستوت عليه فجاء داود فوقف بحذاء جالوت وكان
جالوت على الفيل وعلى راسه التاج وفى جبهته ياقوتة تلمع نورا وجنوده بين يديه فاخذ داود حجرا من تلك الاحجار
ورمى به فى ميمنة جالوت فوقع عليهم فانهزموا واخذ حجرا اخر فرمى به فى ميسرة جالوت فانهزموا ورمى بالثالث
الى جالوت فاصاب موضع الياقوتة فى جبهته ووصلت الى دماغه ووقع الى الارض ميتا وقيل ان جالوت طلب البراز فخرج
اليه داود فرماه بحجر من مقلاعه فوقع بين عينيه وخرج من قفاه واصاب جماعة كثيرة من اهل عسكره فقتلهم وانهزم القوم
عن اخرهم عن وهب وغيره من المفسرين وآتاه الله الملك اى واعطاه الله الملك بعد قتل جالوت بسبع سنين عن الضحاك
والحكمة قيل النبوة ولم يكن نبيا قبل قتله جالوت فجمع الله له الملك والنبوة عند موت طالوت فى حالة واحدة لانه لا يجوز
ان يتراس من ليس بنبى على نبى لانه قلب ما توجبه الحكمة لان النبى يوثق بظاهره وباطنه ولا يخبر الا بالحق ولا يدعو
الا الى الحق وليس كذلك من ليس بنبى عن الحسن وقيل يجوز ذلك اذا كان يفعل بما يفعل بامره ومشورته وعلمه مما يشاء
معناه وعلمه امور الدين وما شاء من امور الدنيا منها صنعة الدروع فانه كان يلين له الحديد كالشمع وقيل
الزبور والحكم بين الناس وكلام الطير والنمل وقيل الصوت الطيب والالحان ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض
قيل فيه ثلاثة اقوال احدها لولا دفع الله بجنود المسلمين الكفار ومعرتهم لغلبوا وخربوا البلاد عن ابن عباس
ومجاهد والثانى معناه يدفع الله بالبر عن الفاجر الهلاك عن على ع وقتادة وجماعة من المفسرين ومثله ما رواه
جميل عن ابى عبد الله عليه السلام قال ان الله يدفع بمن يصلى من شيعتنا عمن لا يصلى منهم ولو اجتمعوا على ترك الصلوة لهلكوا
وان الله يدفع بمن يزكى من شيعتنا عمن لا يزكى منهم ولو اجتمعوا على ترك الزكوة لهلكوا وان الله يدفع بمن يحج من شيعتنا
عمن لا يحج منهم ولو اجتمعوا على ترك الحج لهلكوا وقريب من معناه ما روى عن النبى ص انه قال لولا عباد الله ركع وصبيان
رضع وبهائم رتع لصب عليهم البلاء صبا وروى جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ص ان الله يصلح بصلاح
الرجل المسلم ولده وولد ولده واهل دويرته ودويرات حوله ولا يزالون فى حفظ الله ما دام فيهم والثالث
ان معنى قول الحسن ما يزع الله بالسلطان اكثر مما يزع بالقران لان من يمتنع عن الفساد خوفا من السلطان اكثر ممن يمتنع
منه لاجل الوعد والوعيد الذى فى القران ولكن الله ذو فضل على العالمين اى ذو نعمة عليهم فى دينهم ودنياهم
قوله تعالى تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وانك لمن المرسلين • آية اللغة التلاوة ذكر الكلمة بعد الكلمة
من غير فاصلة لان التالى الثانى يليه من غير فصل بينهما واصل التلو ايقاع الشىء الذى يليه والحق هو وقوع الشىء موقعه
الذى هو له من غير تغيير عنه بما لا يجوز فيه والرسالة تحميل جملة من الكلام ليؤدى الى المقصود بالدلالة الاعراب
نتلوها جملة فى موضع الحال والعامل فيه معنى الاشارة فى تلك وذو الحال الآيات ... بالحق يتعلق بنتلو
المعنى تلك اشارة الى ما تقدم ذكره من اماتة الوف من الناس دفعة واحدة واحيائهم دفعة واحدة بدعاء نبيهم ومن
تمليك طالوت وهو من اهل الخمول الذى لا ينقاد لمثله الناس لما جعل الله من الآية على تمليكه ومن نصر اصحاب طالوت
مع قلة عددهم وضعفهم على جالوت واصحابه مع قوتهم وشوكتهم آيات الله اى دلالات الله على قدرته نتلوها
عليك نقرؤها عليك يا محمد بالحق بالصدق وقيل يقرؤها جبرئيل عليك بالحق بامرنا وانك لمن المرسلين
معناه وانك لمن المرسلين بدلالة اخبارك بهذه الآيات مع انك لم تشاهدها ولم تخالط اهلها ولا تعلم ذلك
مع عدم المشاهدة ومخالطة اهلها الا بوحى من جهة الله تعالى والله لا يوحى الا الى الانبياء قوله تعالى تلك الرسل
فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وايدناه بروح
القدس ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من
آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد • آية الاعراب درجات منصوبة على

١٣٠

الحال والعامل فيه رفع وذو الحال بعضهم وتقدير رفع بعضهم ذوي درجات فحذف المضاف ويجوز ان يكون
حالا بدل اشتمال من الفعل تقديره ورفع بعضهم فاذا هم ذو درجات ويجوز ان يكون ظرف مكان ويجوز ان يكون اسما
وضع موضع الحال المصدر تقديره ورفع بعضهم رفعا المعنى تلك بمعنى اولئك لا انه اريد به الاشارة الى الجماعة فاتى بلفظ
الافراد التي يكون المونث المفرد كما يقال القوم خرجت اي اولئك الذين تقدم ذكرهم من الانبياء في الكتاب فضلنا بعضهم
على بعض بما ذكره الله تفضيل بعض الرسل على بعض لامور احدها ان لا يتفاوتا في ان يستوي بينهم في الفضل كما استووا في
الرسالة وثانيها التبيين ان تفضيل محمد صلى الله عليه وسلم كتفضيل من مضى من الانبياء بعضهم على بعض وثالثها ان الفضيلة
قد يكون بعد اداء الفريضة وهذه الفضيلة المذكورة هاهنا هي كل ما اختص كل واحد منهم من المنازل الجليلة نحو كلام
موسى بلا سفير وكارسال محمد صلى الله عليه وسلم الى الكافة من الجن والانس وقيل انما التفضل في الآخرة لتفاضلهم في الاعمال وتحمل الاثقال
وقيل بالشرائع فمنهم من شرع ومنهم من لم يشرع والفرق بين الابتداء بالفضيلة وبين المحاباة ان المحاباة اختصاص البعض بالنفع
على ما توجبه الشهوة دون الحكمة وليس كذلك الابتداء بالفضيلة لانه قد يكون للمصلحة التي لولاها لفسدت الدين
وادى الى حرمان الثواب للجميع فمن جهة النظر لهذا الانسان تفضيل غيره عليه اذا كان في ذلك مصلحة له فهذا وجه تدعو
اليه الحكمة وليس كالوجه الاول الذي انما تدعو اليه الشهوة منهم من كلم الله اي كلمه الله وهو موسى ع ورفع بعضهم درجات
قال مجاهد اراد به محمدا صلى الله عليه وسلم فانه تعالى فضله على جميع الانبياء بان بعثه الى جميع المكلفين من الانس والجن وبان اعطاه جميع
الآيات التي اعطاها من قبله من الانبياء وبان خصه بالقرآن الذي لم يعطه غيره وهو المعجزة القائمة الى يوم القيامة بخلاف
سائر المعجزات فانها قد مضت وانقضت وبان جعله خاتم النبيين والحكمة تقتضي تاخير اشرف الرسل لاعظم الامور
وآتينا عيسى بن مريم البينات اي الدلالات كابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى والاخبار عما ياكلون وما يدخرون في
بيوتهم وايدناه بروح القدس قد تقدم تفسيره في الآية الخامسة والثمانين من هذه السورة ولو شاء الله ما اقتتل الذين
من بعدهم اي من بعد الرسل وقال قتادة والربيع من بعد موسى وعيسى على نبينا وعليهما السلام واتى بلفظ الجمع لان ذكرهما قد تقدم في ذكر
النبيين كما يقال جاء الامير فكون اقتتال على حكاية عظيمة معناه ولو شاء الله لم يقتتل الذين من بعد الانبياء بان يلجئهم الى الايمان
ويمنعهم عن الكفر الا انه لم يلجئهم الى ذلك لان التكليف لا يحسن مع الضرورة والالجاء والجزاء لا يحسن الا مع التخلية والاختيار
عن الحسن وقيل معناه لو شاء الله لما امرهم بالقتال من بعد ما جاءتهم البينات من بعد وضوح الحجة فان المقصود
ببعثة الرسل قد حصل بايمان من آمن قبل القتال ولكن اختلفوا فمنهم من آمن بتوفيق الله ولطفه وحسن اختياره
ومنهم من كفر بسوء اختياره ولو شاء الله ما اقتتلوا كرر ذلك تاكيدا وتبيينا وقيل الاول لمشية الاكراه اي لو شاء الله لاضطرهم
الى حال يرتفع معها التكليف والثاني الامر للمؤمنين بالكف عن قتالهم ولكن الله يفعل ما يريد مما تقتضيه الحكمة وتوجبه
الحكمة. قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم
الظالمون. آية. القراءة قرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة بالفتح فيهما اجمع وفي سورة
ابراهيم لا بيع فيه ولا خلال وفي الطور لا لغو فيها ولا تاثيم وقرا الباقون جميعها بالرفع. الحجة قال ابو علي الفتح
بلا تنوين فانه جعله جواب هل فيها من لغو او تاثيم ومن رفعه جعله جوابا ألغو او تاثيم وقد ذكرنا صدرا من القول على الحجة
فيما تقدم والمعنيان متقاربان فان النفي يراد به العموم والكثرة في القراءتين يدل على ذلك قوله فلا لغو فيها
الا ترى انه يريد نفي اللغو وان كان قد رفعه مما يريد نفي التاثيم الذي فتحه ولو لم ينون فان جعلت قوله فيها خبرا
اضمرت للاول خبرا وان جعلته صفة لاضمرت لكل واحد من الاسمين خبرا. اللغة البيع استبدال المتاع
بالثمن والبيع نقيض الشراء والبيع ايضا الشراء لانه تارة يعقد على الاستبدال بالثمن وتارة على الاستبدال بالمتاع والبيعة
الصفقة على ايجاب البيع والبيعة الصفقة على ايجاب الطاعة والبيعان البائع والمشتري والخلة خالص المودة

والخلال

والخلال الانفراج بين الشيئين وخاللته بالخلال اخله خلا اذا شككته به واختلال الحال انفراجها بالفقر والخليل الخالص
المودة من الخلة لتخلل الاسرار بينهما وقيل لانه يمتنع من الشوب في المودة بالنقيصة والخليل ايضا المحتاج من الخلة والخلة
معروف لان الله لخلته ولطفه فيما يثاب فيه والخل الرجل الخفيف الجسم والخل الطريق في الرمل وفي فلان خلة رائعة
اي خصلة والخلة جفن السيف وقد ذكرنا معنى الشفاعة عند قوله ولا يقبل منها شفاعة. المعنى لما قص الله سبحانه
اخبار الامم السالفة وثبت رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم عقبه بالحث على الطاعة فقال يا ايها الذين آمنوا اي صدقوا محمدا فيما جاء به انفقوا
مما رزقناكم قيل اراد به الفرض كالزكوة ونحوها دون النفل لاقتران الوعيد به عن الحسن ولان ظاهر الامر يقتضي الايجاب وقيل
يدخل فيه النفل والفرض عن ابن جريج واختاره البلخي وهو الاقوى لان الآية ليس فيها وعيد على ترك النفقة وانما فيها الاخبار
عن عظم اهوال يوم القيمة وشدائدها من قبل ان ياتي يوم اي يوم القيمة لا بيع فيه اي لا تجارة ولا خلة اي ولا صداقة
لانهم يصيرون بالمعاصي اعداء وقيل لان شغله بنفسه يمنع من صداقة غيره ونظيره قوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا
المتقين ولا شفاعة اي لغير المؤمنين مطلقا فاما المؤمنون فقد يشفع بعضهم لبعض ويشفع لهم انبياؤهم كما قال سبحانه
ولا يشفعون الا لمن ارتضى ومن ذا الذي يشفع عنده الا باذنه والكافرون هم الظالمون انما ذم الله الكافر بالظلم
وان كان الكفر اعظم منه لامرين احدهما للدلالة على ان الكافر ضر نفسه بالخلود في النار فقد ظلم نفسه والآخر
انه لما نفى البيع في هذا اليوم والخلة والشفاعة واخبر انه قد حرم الكافر هذه المعونة قال وليس ذلك بظلم منا بل الكافرون
هم الظالمون لانهم عملوا بانفسهم ما استحقوا به حرمان هذه الامور ووجه آخر في فائدة تخصيص الكافر بالظلم وهو ان
ظلم الكافر هو غاية الظلم وليس يبلغ ظلم المؤمنين لانفسهم وغيرهم مبلغ ظلم الكافرين ونظيره قول القائل فلان هو الفقيه
في البلد وفلان هو الفاضل ويراد به تقدمه على غيره فيما اضيف اليه. قوله تعالى الله لا اله الا هو الحي القيوم
لا تاخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الارض من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم
ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم. آيتان
بصري آية واحدة عند غيرهم عد البصري الحي القيوم آية. فضلها ذكر ابن رجويه القسوي في كتاب الترغيب باسناده متصل
الى ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا المنذر اي آية في كتاب الله اعظم فقلت الله لا اله الا هو الحي القيوم قال فضرب
في صدري ثم قال ليهنك العلم والذي نفس محمد بيده ان لهذه الآية للسانا وشفتين تقدس الملك عند ساق العرش
وروى الثعلبي باسناده عن عبد الله بن عمر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من قرا آية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة كان الذي يتولى
قبض نفسه ذو الجلال والاكرام وكان كمن قاتل مع انبياء الله حتى استشهد وباسناده عن علي بن ابي طالب ع قال
سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم على اعواد المنبر وهو يقول من قرا آية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا
الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قراها اذا اخذ مضجعه امنه الله على نفسه وجاره وجار جاره و
قال سمعت رسول الله يقول يا علي سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم
صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد الاشجار السدر وسيد الشهور الاشهر الحرم وسيد الايام
يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة آية الكرسي يا علي ان فيها لخمسين كلمة في كل
كلمة خمسون بركة وروي عن عبد الله بن مسعود قال من قرا عشر آيات من سورة البقرة في ليلة في بيت لم يدخل ذلك
البيت شيطان حتى يصبح اربع آيات من اولها وآية الكرسي وآيتين بعدها وخواتيمها وروي عن ابي جعفر الباقر ع
قال من قرا آية الكرسي مرة صرف الله عنه الف مكروه من مكاره الدنيا والف مكروه من مكاره الآخرة ايسر مكروه الدنيا
الفقر وايسر مكروه الآخرة عذاب القبر وعن ابي عبد الله عليه السلام قال ان لكل شيء ذروة وذروة القرآن آية الكرسي
اللغة الحي من كان على صفة لا يستحيل معها ان يكون قادرا عالما وان شئت قلت هو من كان على صفة يجب

لاجلها ان يدركها المدركات اذ وجدت والقيوم اصله قيووم على وزن فيعول لان الواو والياء اذا اجتمعتا
واولهما ساكنة قلبت الواو ياء وادغمت الاولى في الثانية قياسا مطردا والقيام اصله قيوام على وزن فيعال فعمل
ما ذكرنا قال امية بن ابي الصلت لم يخلق السماء والنجوم والشمس معها قمر يعوم قدره المهيمن القيوم والحشر والجنة والنعيم
الا لامر شانه عظيم والسنة النوم الخفيف وهو النعاس وقال عدي بن الرقاع وسنان اقصده النعاس فرنقت
في عينه سنة وليس بنائم وهو مصدر وسن يوسن وسنا وسنة قال المفضل السنة في الراس والنوم في القلب
والنوم خلاف اليقظة يقال نام نوما واستنام اليه اى استانس اليه واطمان اليه وقال الليث الكاري اخذ
شيئا والح عليه اقتضاه قال خاطبه ويقال وسع فلان الشيء يسعه سعة اذا احتمله واطاقه وامكنه القيام به ويقال
لا يسعك هذا اى لا تطيقه ولا تحتمله الكرسي كل اصل يعتمد عليه قال الشاعر تحف بهم بيض الوجوه وعصبة
كراسي بالاحداث اى علماء بحوادث الامور وقال الخرخي للكراسي لا يقعد هوازن انها شاف لنائبات واسد
وقال الآخر ما لي بامرك كرسي اكاتمه وهل بكرسي علم الغيب مخلوق وكل شيء تراكب فقد تكارس ومنه الكراسة
لتراكب بعضها على بعض ويجعل كروس عظيم الراس ويقال كرسي الملك من مكان كذا الى مكان كذا
اى ملكه مشبه بالكرسي المعروف واصل الباب الكرس تراكب الشيء بعضه على بعض وآده يؤده اودا اثقله
جهده وادت العود اوده اودا اذا ادخلت عوجه فانآد والاود والاوداء على وزن الاعوج والعوجاء والمعنى واحد
والجمع الاود كالعوج والعلي اصله من العلو وهو مستعلي بالاقتدار ونفوذ السلطان ولا يقال رفيع بالاقتدار لان الرفعة
في المكان والعلو مستعمل في معنى الاقتدار يقال فلان علا على قرنه يعلو علوا فهو عال وعلى بمعنى اقتدر ولا يقال
ارتفع عليه بمعناه ولذلك يقال استعلى عليه بالحجة ولا يقال ارتفع عليه بالحجة والعلو بضم العين وكسرها خلاف
السفل وعلا في الارض علوا تجبر ومنه قوله ان فرعون علا في الارض اى تجبر والله تعالى العالي المتعالي والعالي
القاهر لا يعجزه شيء وفلان من علية الناس اى من اشرافهم والعظيم معناه العظيم الشان وقيل العظيم بمعنى المعظم كما قالوا
في الخمر العتيق اى المعتقة والاول اقوى الاعراب الله رفع بالابتداء وما بعده خبره والكلام مخرجه مخرج النفي اى لا يصح
اله سوى الله وحقيقته الاثبات لا اله الا هو الله فكانه قيل الله هو الاله دون غيره وارتفع هو في لا اله الا هو على احد
وجهين احدهما بالابتداء كانه قال ما اله الا الله والثاني ان يكون بدلا من موضع لا كما تقول لا احد قائما او موجودا الا الله ويجوز
في العربية نصب الله في قوله لا اله الا الله على الاستثناء المعنى لما تقدم سبحانه ذكر الامم واختلافهم على انبيائهم في التوحيد
وغيره عقبه بذكر التوحيد فقال الله اى من يحق له العبادة القادر على اصول النعم وقد ذكرنا اختلاف الاقوال في اصله وفي
معناه في مفتتح سورة الفاتحة لا اله الا هو اى لا احد يحق له العبادة ويستحق الالهية غيره الحي قد ذكرنا معناه القيوم
القائم بتدبير خلقه من انشائهم ابتداء وايصال ارزاقهم اليهم كما قال وما من دابة في الارض الا على الله رزقها عن قتادة
وقيل القيوم هو العالم بالامور من قولهم فلان يقوم بهذا الكتاب اى يعلم ما فيه وقيل معناه الدائم الوجود عن سعيد بن
جبير والضحاك وقيل معناه القائم على كل نفس بما كسبت حتى يجازيها من حيث هو عالم بها عن الحسن واللفظ
يجمع هذه الوجوه لا تأخذه سنة اى نعاس ولا نوم ثقيل مزيل للقوة وقيل معناه لا يغفل عن الخلق ولا يسهو كما
يقال للغافل انت نائم وانت وسنان له ما في السموات وما في الارض معناه له ملك ما فيهما من ذا الذي يشفع عنده
الا باذنه هو استفهام معناه الانكار والنفي اى لا يشفع يوم القيامة احد لاحد من الشفاعة الا من بعد ان ياذن الله
له في ذلك ويامر به يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم قيل فيه وجوه احدها ان معناه يعلم ما بين ايديهم ما مضى من الدنيا
وما خلفهم من الآخرة عن مجاهد والسدي والثاني معناه يعلم الغيب الذي تقدمهم من تقدمك بين يديك يقال له
وما مضى فهو قدام الشيء فحمله عليه على هذا التقدير الا ان هذا اللفظ حقيقة في الماضي وما خلفهم يعني الغيب

الذي يأتي

الذي يأتي بعدهم عن ابن جريج والثالث ان ما بين ايديهم عبارة عما لم يأت كما يقال رمضان بين ايدينا وما خلفهم عبارة
عما مضى كما يقال في شوال قد خلفنا رمضان عن الضحاك ولا يحيطون بشيء من علمه معناه من معلومه كما يقال اللهم
اغفر علمك فينا اى معلومك ويقال اذا ظهرت آية هذه قدرة الله اى مقدوره والاحاطة بالشيء علما ان يعلمه كما هو على
الحقيقة الا بما شاء يعني ما شاء ان يعلمهم ويطلعهم عليه وسع كرسيه السموات والارض اختلف فيه على اقوال احدها
وسع علمه السموات والارض عن ابن عباس ومجاهد وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام ويقال للعلماء كراسي
كما يقال اوتاد الارض لانهم قوام الدين والدنيا وثانيها ان الكرسي هاهنا هو العرش عن الحسن وانما سمي كرسيا لتركيب بعضه
على بعض وثالثها ان المراد بالكرسي هاهنا الملك والسلطان والقدرة كما يقال اجعل لهذا الحائط كرسيا اى عمادا
يعمد به حتى لا يقع ولا يميل فيكون معناه احاط قدرته بالسموات والارض وما فيهما ورابعها ان الكرسي سرير دون العرش
وقد روي ذلك عن ابي عبد الله عليه السلام وقريب منه ما روي عن عطا انه قال ما السموات والارض عند الكرسي الا كحلقة في
فلاة وما الكرسي عند العرش الا كحلقة في فلاة ومنهم من قال ان السموات والارض جميعا على الكرسي والكرسي تحت
العرش كالعرش فوق السماء وروى الاصبغ بن نباتة ان عليا عليه السلام قال ان السموات والارض وما فيهما من مخلوق
في جوف الكرسي وله اربعة املاك يحملونه باذن الله ملك منهم في صورة الآدميين وهي اكرم الصور على الله
وهو يدعو الله ويتضرع اليه ويطلب الشفاعة والرزق لبني آدم والملك الثاني في صورة الثور وهو سيد
البهائم وهو يدعو الله ويتضرع اليه ويطلب الشفاعة والرزق للبهائم والملك الثالث في صورة النسر وهو
سيد الطيور وهو يدعو الله ويتضرع اليه ويطلب الشفاعة والرزق لجميع الطيور والملك الرابع في صورة الاسد
وهو سيد السباع وهو يدعو الله ويتضرع اليه ويطلب الشفاعة والرزق لجميع السباع قال ولم يكن في جميع الصور
صورة احسن من الثور ولا اشد انتصابا منه حتى اتخذ الملأ من بني اسرائيل العجل وعبدوه خفض الملك
الذي في صورة الثور راسه استحياء من الله ان عبد من دون الله شيء يشبهه وتخوف ان ينزل الله به
العذاب ولا يؤده حفظهما اى لا يشق على الله سبحانه ولا يثقل عليه حفظ السموات والارض وقيل الهاء في يؤده
يعود الى الكرسي وهذا غلط قول من يقول ان السموات والارض على الكرسي وهو العلي عن الاشباه والامثال والاضداد و
الانداد وعن امارات النقص ودلالات الحدوث وقيل هو من العلو الذي هو بمعنى القدرة والسلطان والملك
وعلوه علو الشأن والقهر والاعتلاء والجلال والكبرياء العظيم اى العظيم الشان القادر الذي لا يعجزه شيء والعالم الذي
لا يخفى عليه شيء لا نهاية لمقدوراته ولا غاية لمعلوماته وروى علي بن ابراهيم عن ابيه عن الحسين بن خالد انه قرأ
ابو الحسن الرضا عليه السلام الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الارض وما بينهما
وما تحت الثرى عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه قوله تعالى لا اكراه في الدين
قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم
آية ١٦ اللغة الرشد نقيض الغي وهو الرشد والرشد ويقال غوى يغوي غيا وغواية اذا سلك طريق الهلاك
وغوى اذا خاب قال الشاعر ومن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما وغوى الفصيل يغوى
غوى اذا قطع عن اللبن حتى يكاد يهلك والطاغوت وزنها في الاصل فعلوت وهي مصدر مثل الرهبوت والرحموت
والجبروت ويدل على انها مصدر وقوعها على الواحد والجماعة بلفظ واحد واصلها طغيوت لانها من طغيت يدل
على ذلك قوله في طغيانهم ثم ان اللام قدمت الى موضع العين فصار طيغوت ثم قلبت الياء الفا لتحركها وانفتاح ما
قبلها فصار طاغوت فوزنها الآن فلعوت فالطاغوت بعد القلب فلعوت وجمع طاغوت طواغيت وطواغت وطواغ
على حذف الزيادة وطواغي على العوض من المحذوف والعروة عروة الدلو ونحوه لانها متعلقه وعروة الجل

١٣٤

اعروه عروا اذا لممت به متعلقا بسببٍ منه واعتراه اذا تعلق به وعروة الحلي تعروه اذا علقت به والاصل في الباب
قال الازهري العروة كل نبات له اصل ثابت كالشيح والقيصوم وغيرهما شبهت عرى الاشياء في لزومها والوثقى
تانيث الاوثق والانفصام والانقطاع والانصداع نظائر والانفصام ... غير اكثر لا منفصم
النزول فصم فانفصم قيل نزلت الآية في رجل من الانصار وكان له غلام اسود يقال له صبيح وكان يكرهه على
الاسلام عن مجاهد وقيل نزلت في رجل من الانصار يدعى ابا الحصين وكان له ابنان فقدم تجار الشام الى المدينة يحملون
الزيت فلما ارادوا الرجوع من المدينة اتاهم ابنا ابي الحصين فدعوهما الى النصرانية فتنصرا وخرجا الى الشام فاخبر ابو الحصين
رسول الله ص فانزل الله سبحانه لا اكراه في الدين فقال رسول الله ص ابعدهما الله هما اول من كفر فوجد ابو الحصين في نفسه على
النبي ص حين لم يبعث في طلبهما فانزل الله سبحانه فلا وربك لا يؤمنون الآية قال وكان هذا قبل ان يؤمر النبي بقتال اهل
الكتاب ثم نسخ وامر بقتال اهل الكتاب في سورة براءة عن السدي وهكذا قال ابن مسعود وابن زيد انها منسوخة باية السيف
وقال الباقون هي محكمة وقيل كانت المرأة من الانصار تكون مقلاتا فترضع اولاد اليهود فجاء الاسلام وفيهم جماعة منهم فلما
اجليت بنو النضير اذا فيهم ناس من الانصار فقالوا يا رسول الله ابناؤنا واخواننا فنزلت لا اكراه في الدين فقال ص
خيروا اصحابكم فان اختاروكم فهم منكم وان اختاروهم فاجلوهم عن ابن عباس المعنى لما تقدم ذكر اختلاف الامم وانه
لو شاء الله لاكرههم على الدين ثم بين سبحانه دين الحق والتوحيد وعقبه بان الحق قد ظهر والعبد قد تخير فلا اكراه بقوله
لا اكراه في الدين وفيه عدة اقوال احدها انه في اهل الكتاب خاصة الذين يؤخذ منهم الجزية عن الحسن وقتادة والضحاك
وثانيها انه في جميع الكفار ثم نسخ كما تقدم ذكره عن السدي وغيره وثالثها ان المراد لا تقولوا لمن دخل في الدين بعد الحرب
انه دخل مكرها لانه اذا رضي بعد الحرب وصح اسلامه فليس بمكره عن الزجاج ورابعها انها نزلت في قوم خاص من الانصار
كما ذكرناه في النزول عن ابن عباس وغيره وخامسها ان المراد ليس في الدين اكراه من الله سبحانه ولكن العبد مخير فيه لان
ما هو دين في الحقيقة هو من افعال القلوب اذا فعل لوجه وجوبه فاما ما يكره عليه من اظهار الشهادتين فليس بدين حقيقة
كما ان من اكره على كلمة الكفر لم يكن كافرا والمراد الدين المعروف وهو الاسلام ودين الله الذي ارتضاه قد تبين الرشد
من الغي قد ظهر الايمان من الكفر والحق من الباطل بكثرة الحجج والآيات الدالة عقلا وسمعا والمعجزات قد ظهرت على يد النبي
فمن يكفر بالطاغوت قيل فيه اقوال احدها انه الشيطان عن مجاهد وقتادة وهو المروي عن ابي عبد الله ع وثانيها
انه الكاهن عن سعيد بن جبير وثالثها انه الساحر عن ابي العالية ورابعها انه مردة الجن والانس وكل ما يطغى
وخامسها انه الاصنام وما عبد من دون الله وعلى الجملة فالمراد من كفر بما خالف امر الله ويؤمن بالله اي يصدق بالله
وبما جاءت به رسله فقد استمسك اي تمسك واعتصم بالعروة الوثقى اي بالعصمة الوثيقة وعقد لنفسه من الدين عقدا
وثيقا لا تحله شبهة وعن مجاهد هو الايمان بالله ورسوله وجرى هذا مجرى المثل لحسن البيان باخراج ما لا يقع به الاحساس الى
ما يقع به لا انفصام لها اي لا انقطاع لها يعني كما لا ينقطع من تمسك بالعروة كذلك لا ينقطع امر من تمسك بالايمان
والله سميع لاقوالكم عليم بضمائركم قوله تعالى الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا
اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ● اللغة
الولي من الولي وهو القرب من غير فصل وهو الذي يكون اولى بالغير واحق بتدبيره ومنه المولى لانه يلي القوم
بالتدبير وبالامر والنهي ومنه المولى لانه يلي امر العبد بسد الخلة وما به اليه الحاجة ومنه المولى من اسفل لانه يلي
امر المالك بالطاعة ومنه المولى ابن العم لانه يلي امره بالنصرة لتلك القرابة ومنه ولي اليتيم لانه يلي امره بالحفظ
له والقيام عليه والمولى في الدين وهو لانه يلي امره بالنصرة والمعونة كما توجبه الحكمة والمعاقلة فجميع هذه المواضع
الاولى فيها للاحق المحوط امرها وولي عهد ... لانه ... يليه بوجهه واستولى على الشيء

انا الحق

خلد

انا الحقيق لانه يليه بالقهر والله سبحانه ولي المؤمنين على ثلاثة اوجه احدها انه يتولاهم بالمعونة على اقامة الحجج والآيات
لهم في هدايتهم كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى وثانيها انه وليهم في نصرهم على عدوهم واظهار دينهم على دين
مخالفيهم وثالثها انه وليهم يتولاهم بالمثوبة على الطاعة والمجازاة على الاعمال الصالحة المعنى لما ذكر سبحانه المؤمن و
الكافر بين ولي كل واحد منهما فقال الله ولي الذين آمنوا اي معينهم وناصرهم في كل ما بهم اليه الحاجة وما فيه الصلاح
من امور دينهم ودنياهم واخرتهم يخرجهم من الظلمات الى النور اي من ظلمات الضلالة والكفر الى نور الهدى والايمان
لان الضلالة والكفر في المنع من ادراك الحق كالظلمة في المنع من ادراك المبصرات ووجه اخراج الله المؤمنين من ظلمات
الكفر والضلالة الى نور الايمان والطاعة هو انه هداهم اليه ونصب الادلة عليه ورغبهم فيه وفعل بهم من الالطاف
ما يقوي دواعيهم الى فعله لانا قد علمنا انه لولا هذه الامور لم يخرجوا من الكفر الى الايمان فصح اضافة الاخراج اليه سبحانه
لكون هذه الامور التي عددناها من جهته ثم كما يصح من احدنا ان يقال ... يدخل البيت من البلدان و ...
وعرف ما ... الطبيب ان يقول انا ادخلت فلانا البلد ... وانا اخرجته من كذا وكذا والذين كفروا اولياؤهم
الطاغوت اي متولو امورهم وانصارهم الطاغوت والطاغوت هاهنا واحد اريد به الجمع وهذا جائز
في اللغة اذا كان في الكلام دليل على الجماعة قال الشاعر بها جيف الحسرى فاما عظامها فبيض واما جلدها فصليب
وجلدها بمعنى جلودها وقال العباس بن مرداس فقلنا اسلموا انا اخوكم فقد برئت من الاحن الصدور والمراد
بالطاغوت الشياطين عن ابن عباس وقيل رؤساء الضلالة عن مقاتل يخرجونهم من النور الى الظلمات اي من نور الايمان
والطاعة والهدى الى ظلمات الكفر والمعصية والضلالة واضاف اخراجهم من النور الى الظلمات الى الطاغوت
على ما تقدم ذكره من انهم يغوونهم ويدعونهم الى ذلك ويزينون فعله لهم فصح اضافته اليهم وهذا يدل على
بطلان قول من قال ان الاضافة الاولى يقتضي ان الايمان من فعل الله سبحانه في المؤمن لانه لو كان كذلك
لاقتضت الاضافة الثانية ان الكفر من فعل الشياطين وعندهم لا فرق بين الامرين في انهما من فعله تعالى عن ذلك
وايضا فلو كان الامر على ما ظنوه لما كان لله تعالى منة على المؤمنين ولما صح الحمد على ما اقتضته الآية ولما كان ... من فعله
لانه فعلهم ولما كان خاذلا للكفار ومضيفا لولايتهم الى الطاغوت والكفر من فعله فيهم ولم يفصل بين الكافر والمؤمن
وهو المتولي لفعل الامرين فيهما ومثل هذا لا يخفى على منصف فان قيل كيف يخرجونهم من النور وهم لم يدخلوا فيه قلنا
قد ذكر فيه وجهان احدهما ان ذلك يجري مجرى قول القائل اخرجني والدي من ميراثه فمنعه من الدخول فيه
ومثله قوله سبحانه في قصة يوسف اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله ولم يكن فيها قط وقوله ومنكم من يرد الى
ارذل العمر وقال الشاعر فان تكن الايام احسن مرة الي فقد عادت لهن ذنوب ولم يكن ذنوب قبل ذلك والوجه الآخر
انه في قوم ارتدوا عن الاسلام عن مجاهد والاول اقوى اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون مر معناه قوله تعالى الم تر
الى الذي حاج ابراهيم في ربه ان آتاه الله الملك اذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال انا احيي واميت قال ابراهيم
فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين ● القراءة
قرأ اهل المدينة انا احيي باثبات الالف في انا والمد اذا كان بعدها همزة مضمومة او مفتوحة نحو انا اخوك فان
كان بعدها همزة مكسورة نحو ان انا الا نذير ... الالف ... الحجة الاصل في انا الهمزة والنون وانما لحقتها الالف
في الوقف كما ان الهاء تلحق للوقف في نحو مسلمونه وكما ان الهاء التي تلحق للوقف تسقط في الوصل كذلك هذه
تسقط في الوصل وقد جاءت الف انا مثبتة في الوصل في الشعر نحو قول الاعشى فكيف انا وانتحالي القوافي بعد
المشيب كفى ذاك عارا وقال الآخر انا شيخ العشيرة فاعرفوني حميدا قد تذريت السناما قال ابو علي وما روي
من اثبات الالف في انا اذا كان بعدها الف همزة فانه لا يلائم بين الهمزة وغيرها من الحروف فصلة ولا تسهيل ... من

١٣٥

ابداله اثبات الالف التي حكمها ان يثبت في الوقف للغنة في بهت الاثم لغات بهت على وزن ظرف وبهت على وزن حذر
وبهت على وزن ذهب وبهت على ما لم يسم فاعله وهذا هو الافصح وعليه القراءة يقال بهت الرجل يبهت بهتا اذا
انقطع وتحير ويقال بهت الرجل ابهته بهتانا اذا قابلته بكذب فالبهت الحيرة عند استيلاء الحجة لانها كالجرح
للمواجه بالكذب لان تحير المكذب في مذهبه كتحير المكذوب عليه ومنه قوله اتأخذونه بهتانا كما تقول الاخذ
ادعاء للكذب فيه الاعراب الم تر الى الذي انما دخلت الى في الكلام للتعجب من حال الكافر المحاج بالباطل كما يقول
اما ترى الى فلان كيف صنع ومعناه هل رأيت كفلان في صنيعه كذا فانما دخلت الى من بين حروف الجر ههنا
لانها لما كانت بمعنى الغاية والنهاية صار الكلام بمنزلة هل انتهت رؤيتك الى من هذه صفته ليدل على بعد وقوع
مثله على التعجب منه لان التعجب انما يكون مما استبهم سببه ولم يجر العادة به وقد صار قوله الى ههنا بمنزلة كاف التشبيه
لما بينا من العلة اذا كان ما يراد مثله كالذي يبعد وقوعه المعنى لما بين سبحانه انه ولي المؤمنين وان الكفار
لا ولي لهم سوى الطاغوت تسلية للنبي صلعم فيما قص عليه بعده قصة ابراهيم مع نمرود فقال الم تر يا محمد
اي الم ينته علمك الى الذي حاج ابراهيم اي الى من كان كالذي حاج فكأنه قال هل رأيت كالذي حاج اي
خاصم وجادل ابراهيم وهو نمرود بن كنعان وهو اول من تجبر وادعى الربوبية عن مجاهد وغيره وانما اطلق لفظ
المحاجة وان كان مجادلة بالباطل ولم يكن له حجة لانه في زعمه ان له حجة واختلف في وقت هذه المحاجة فقيل
عند كسر الاصنام قبل القائه في النار عن مقاتل وقيل بعد القائه في النار وجعلها عليه بردا وسلاما
عن الصادق ع في ربه اي في رب ابراهيم الذي يدعو الى توحيده وعبادته ان آتاه الله الملك اي لان
آتاه الله الملك والهاء من آتاه يعود الى المحاج لابراهيم اي اعطاه الله الملك وهو نعيم الدنيا وسعة المال
فبطره الملك وحمله على محاجة ابراهيم عن الحسن والجبائي والملك على هذا الوجه جائز ان ينعم الله تعالى به على كل احد
فاما الملك بتمليك الامر والنهي وتدبير امور الناس وايجاب الطاعة على الخلق فلا يجوز ان يؤتيه الا من يعلم انه يدعو الى
الصلاح والسداد والرشاد دون من يدعو الى الكفر والفساد ولا يصح منه تعالى مع علمه بالغيوب ان يولي تفويض الولاية
الى من هذا سبيله لما في ذلك من الاستفساد وقيل ان الهاء يعود الى ابراهيم ع عن ابي القاسم البلخي فيسأل على هذا فيقال
كيف يكون الملك لابراهيم والحبس والاطلاق الى نمرود وجوابه ان الحبس والاطلاق والامر والنهي كان من جهة
الله تعالى لابراهيم ع ولما كان نمرود يفعل ذلك على جهة الغلبة لا من جهة ولاية شرعية اذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي
في الكلام حذف وهو اذ قال له نمرود من ربك فقال ربي الذي يحيي ويميت بدأ بذكر الحياة لانها اول نعمة ينعم الله بها
على خلقه ثم يميتهم وهذا ايضا لا يقدر عليه الا الله تعالى لان الاماتة هي ان يخرج الروح من بدن الحي من غير جرح ولا نقض
ولا احداث فعل يتصل بالبدن من جهته وهذا خارج عن قدرة البشر قال انا احيي واميت اي قال نمرود انا احيي بالتخلية
من الحبس من وجب عليه القتل واميت بالقتل من هو حي وهذا جهل من الكافر لانه اعتمد في المعارضة على العبارة
فقط دون المعنى عادلا عن وجه الحجة بفعل الحياة للميت والموت للحي على سبيل الاختراع الذي ينفرد سبحانه به
ولا يقدر عليه سواه قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب قيل في انتقال ابراهيم الى حجة اخرى
وجهان احدهما ان ذلك لم يكن انتقالا وانقطاعا من ابراهيم ع فانه يجوز من كل حكيم ايراد حجة على سبيل الانتقال
بعد تمام ما ابتدأ به من الحجاج وعلامة تمام ظهوره من غير اعتراض عليه بشبهة لها تأثير عند التأمل والتدبر
لموقعها من الحجة المعتمد عليها والثاني ان ابراهيم ع انما قال ذلك ليبين ان من شأن من يقدر على احياء الاموات
واماتة الاحياء ان يقدر على اتيان الشمس من المشرق فان كنت قادرا على ذلك فأت بها من المغرب وانما فعل ذلك
لانه لو قال له ربي الذي اراد اختراع الحياة والموت من غير سبب ولا علاج لاشتبه على كثير ممن حضر

من شئ

فعدل

فعدل الى ما هو اوضح لان الانبياء انما بعثوا للبيان والايضاح وليست امورهم مبنية على لجاج الخصوم وطلب كل واحد منهما
غلبة خصمه وقد روي عن الصادق ع ان ابراهيم ع قال له احيي من قتلته ان كنت صادقا ثم استظهر عليه بما قاله ثانيا فبهت
الذي كفر اي تحير عند الانقطاع بما بان من ظهور الحجة فان قيل فلم لم يقل نمرود فليأت بها ربك من المغرب قيل عن ذلك
جوابان احدهما انه لما علم بما رأى من الآيات انه لو اقترح ذلك لاتى به الله تصديقا لابراهيم فكان يزيد ذلك في فضيحته
عدل عن ذلك والثاني ان الله تعالى خذله ولطف لابراهيم حتى انه لم يأت بشبهة ولا لبس والله لا يهدي القوم الظالمين
بالمعونة على بلوغ البغية من الفساد وقيل معناه لا يهديهم الى المحاجة كما يهدي اولياءه وقيل معناه لا يهديهم بالالطاف
والتأييد اذا علم انه لا لطف لهم وقيل لا يهديهم الى الجنة وهذا لا ينافي قوله واما ثمود فهديناهم ولكنا قد بينا معاني
الهداية ووجوهها عند قوله يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا فبعضها عام لجميع المكلفين وبعضها خاص للمؤمنين وفي هذه الآية
دلالة على ان المعارف غير ضرورية اذ لو كان كذلك لما صحت المحاجة في اثبات الصانع وفيها دلالة على فساد التقليد
وحسن الحجاج وانه سبحانه انما يعلم بافعاله التي لا يقدر على مثلها غيره وفي تفسير ابن عباس ان الله سبحانه سلط على نمرود بعوضة
عضت شفته فأهوى اليها بيده ليأخذها فطارت في منخره فذهب يستخرجها فطارت في دماغه فعذبه الله تعالى بها
اربعين ليلة ثم اهلكه قوله تعالى او كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال انى يحيي هذه الله بعد
موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى
طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها
لحما فلما تبين له قال اعلم ان الله على كل شيء قدير • القراءة قرأ ابن عامر وابو عمرو وحمزة والكسائي لبثت بالادغام
والباقون بالاظهار وقرأ اهل العراق غير ابي عمرو عاصم لم يتسن وانظر بحذف الهاء في الوصل والباقون باثبات
الهاء في الوصل ولم يختلفوا في اثباتها في الوقف وقرأ اهل الحجاز والبصرة ننشرها بضم النون الاولى
وبالراء وقرأ اهل الكوفة وابن عامر ننشزها بالزاي وروى ابان عن عاصم ننشرها بفتح النون وضم الشين والراء
وقرأ حمزة والكسائي قال اعلم موصولة الالف ساكنة الميم والباقون اعلم مقطوعة الالف مرفوعة الميم
الحجة قال من ادغم لبثت اجرى التاء والثاء مجرى المثلين من حيث اتفق عليهما من طرف اللسان
واصول الثنايا واتفقا في الهمس ومن بين ولم يدغم فلتباين المخرجين لان الطاء والدال والتاء من حيز والظاء والذال
والثاء من حيز ومن قرأ لم يتسنه بالهاء في الوصل فيحتمل ضربين احدهما ان يكون الهاء لاما من السنة في قول من
جمع سنهات فيكون الجزم سكون الهاء والآخر ان يكون من السنة ايضا فيمن قال اسنتوا وسنوات او يكون من المسنون
الذي يراد به المتغير كانه لم يتسنن ثم قلب على حد القلب في لم يتظن وحكي ان ابا عمرو الشيباني كان يقرأ لم يتسن
في هذا الحرف فالهاء في يتسنه على هذين القولين يكون للوقف فينبغي ان يلحق في الوقف ويسقط في الدرج واما
قوله اقتده فيجوز ان يكون الهاء كناية عن المصدر ولا يكون التي للوقف ولكن لما ذكر الفعل دل على مصدره
فاضمره كما اضمر في قوله ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم وقال الشاعر هذا سراقة
للقرآن يدرسه والمرء عند الرشا ان يلقها ذيب فالهاء في يدرسه للمصدر ولا يجوز ان يكون للمفعول لان الفعل
قد تعدى الى المفعول باللام ولا يجوز ان يتعدى اليه مرة ثانية وكذلك قوله فبهداهم اقتده يكون اقتداء لا اقتداء
فيضمر له لان الفعل دل عليه ومن قرأ كيف ننشرها فمعناه كيف نحييها يقال انشر الله الميت فنشر وقد وصفت
العظام بالاحياء وقال سبحانه من يحيي العظام وهي رميم وكذلك قوله كيف ننشرها ومن قرأ ننشزها بالزاي
فالنشز الارتفاع قال ابو الحسن نشز وانشزته فتقدير ننشزها نرفع بعضها الى بعض للاحياء ومن هذا
النشوز من المرأة هو ان تنبو من الزوج في العشرة فلا تلائمه ومن قرأ قال اعلم على لفظ الامر لانه لما

١٣٦

شاهد من احياء الله وبعثه اياه بعد وفاته ما شاهد خبر عما تيقنه وتيقنه اي علم هذا الضرب من العلم الذي لم يكن علمه قبل ومن قرأ اعلم على لفظ الامر فالمعنى يؤول الى الخبر وذلك انه لما تبين له ما تبين من الامر الذي لا مجال للشبهة فيه نزل نفسه منزلة غيره فخاطبها كما يخاطب سواها كقول الاعشى ارمي بها البيد اذا هجرت وانت بين القرو والعاصر فقال انت ويريد نفسه ومثله قوله ودع هريرة ان الركب مرتحل وهل تطيق وداعا ايها الرجل فخاطب نفسه كما يخاطب غيره قال ابو الحسن وهذا اجود في المعنى

اللغة اصل الخواء الخلاء قال الراجز ... والخواء المفرج بين الشيئين لخلو ما بينهما وخوت الدار تخوي خواء فهي خاوية اذا باد اهلها لخلوها منهم والخوى الجوع خوي يخوى خوى لخلو البطن من الغذاء والتخوية التفريج بين العضدين والجنبين لخلو ما بينهما بتباعدهما على عروشها اي على ابنيتها قال ابو عبيدة هي الخيام وهي بيوت الاعراب وقال غيره خاوية على عروشها اي بقيت حيطانها لا سقوف عليها وكل بناء عرش وعريش مكة ابنيتها وعرش يعرش عرشا اذا بنى والعرش البيت لارتفاع ابنيته والعرش السرير لارتفاعه على غيره وعرش الرجل قوام امره وعرش البيت سقفه والتعريش جعل الخشب تحت الكرم لتمتد عليه يقال عرشته وعرّشته واصل القرية الجمع من قريت الماء وسميت قرية لاجتماع الناس فيها للاقامة بها وانى يحيي من اين يحيي كيف يحيي والعام الحول وجمعه اعوام وهو حول يأتي بعد شتوة وصيفة لان فيه سبحا طويلا بما يمكن التصرف فيه والعوم السباحة والسفينة تعوم في جريها والابل تعوم في سيرها والاعتيام اصطفاء خيار المال لانه يجري فيه اخذ شيئا بعد شيء كالسابح في الماء الجاري واعوام الموت ... كذلك واصل اللبث المكث يقال لبث يلبث لبثا وتلبث تلبثا اذا تمكث والحمار معروف الوحشي والاهلي واصله من الحمرة لان الحمرة اغلب عليه وحمارة القيظ شدة حره وحمر فوه الفرس يحمر حمرا اذا انتن ... احمر شديد مشتبه بحمرة الناس والاسود والاحمر العرب والعجم لان السواد اغلب على لون العرب والحمرة على لون العجم ومنه قول الاشعث لعلي ع غلبتنا عليك هذه الحمراء يعني العجم والنشر الطي والنشر اذاعة الحديث حتى ... العود والمنشار ... والنشر الرائحة الطيبة وربما قيل في الخبيثة والنشرة الرقية والنشز المرتفع من الارض

الاعراب او حرف عطف وهو عطف على معنى الكلام الاول وتقديره ارأيت كالذي حاج ابرهيم في ربه او كالذي مر على قرية وموضع الكاف نصب بمر ومعناه التعجب منه لان كل ما خرج في بابه عن حد نظائره فهو مما يتعجب منه تقول ما اجهله اي قد خرج بجهله عن حد نظائره وكذلك لو قلت هل رأيت كزيد الجاهل لدللت على مثل الاول في التعجب الا ان ما افعله صيغة وضعت للتعجب وليس كذلك هل رأيت لانها في الاصل للاستفهام وقيل الكاف زائدة للتوكيد كما زيدت في قوله ليس كمثله شيء والاول اوجه لانه لا يحكم بالزيادة الا للضرورة وقوله انى استفهام في موضع نصب على الحال من يحيي وتقديره اقادرا انى يحيي ويجوز ان يكون مصدرا ليحيي وتقديره اي نوع يحيي اي احياء يحيي وهذا اولى لانه يكون سؤالا عن كيفية الاحياء وموضع كم نصب بلبثت كأنه قال امائة سنة لبثت ام اقل ام اكثر وقيل في قوله ولنجعلك دخلت الواو لاتصال اللام بفعل محذوف كأنه قال ولنجعلك اية فعلنا ذلك لان الواو لو سقطت اتصلت اللام بالفعل المتقدم كيف في محل نصب على الحال من ننشزها او ننشرها وذو الحال الضمير المستكن فيه او على المصدر وننشرها جملة في موضع الحال من انظر وذو الحال العظام

المعنى او كالذي مر اي هل رأيت كالذي مر ومعناه ان شئت فانظر في قصة الذي حاج ابرهيم وان شئت فانظر في قصة الذي مر على قرية وهو عزير عن قتادة وعكرمة والسدي وهو المروي عن ابي عبد الله ع وقيل هو ارميا عن وهب وهو المروي عن ابي جعفر ع وقيل هو الخضر عن ابن اسحاق والقرية التي مر عليها بيت المقدس لما خربه بخت نصر عن وهب وقتادة والربيع وعكرمة وقيل هي الارض المقدسة عن الضحاك

وقيل

وقيل هي القرية التي خرج منها الالوف حذر الموت عن ابن زيد وهي خاوية على عروشها اي خالية وقيل خراب عن ابن عباس والربيع والضحاك وقيل ساقطة على ابنيتها وسقوفها كان السقوف سقطت ووقعت البنيان عليها قال انى يحيي هذه الله بعد موتها اي كيف يعمر الله هذه القرية بعد خرابها وقيل كيف يحيي الله اهلها بعد ما ماتوا واطلق لفظ القرية والمراد اهلها كقوله سبحانه واسأل القرية ولم يقل ذلك انكارا ولا تعجبا ولا ارتيابا ولكنه احب ان يريه الله احياءها مشاهدة كما يقول الواحد منا كيف يكون حال الناس يوم القيمة وكيف يكون حال اهل الجنة في الجنة وكيف يكون حال اهل النار في النار وكقول ابرهيم رب ارني كيف تحيي الموتى احب ان يريه الله احياء الموتى مشاهدة ليحصل له العلم ضرورة كما حصل له العلم استدلالا لان العلم الاستدلالي ربما اعتورته الشبهة فاماته الله مائة عام اي مائة سنة ثم بعثه اي احياه قال كم لبثت في التفسير انه سمع نداء من السماء كم لبثت يعني في مبيتك ومنامك وقيل ان القائل له نبي وقيل ملك وقيل بعض المعمرين ممن شاهد عند موته واحياءه قال لبثت يوما او بعض يوم لان الله تعالى اماته في اول النهار واحياه بعد مائة سنة في اخر النهار فقال يوما ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام معناه بل مكثت في مكانك مائة سنة فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه اي لم يغيره السنون وانما قال لم يتسنه على الواحد لانه اراد جنس الطعام والشراب او نظر الى ما تركه انه لم يتسنه وقيل اراد به الشراب لانه اقرب المذكورين اليه وقيل كان زاده عصيرا وتينا وعنبا وهذه الاشياء الثلاثة اسرع الاشياء تغيرا وفسادا فوجد العصير حلوا والتين والعنب كما جنيا لم يتغيرا وانظر الى حمارك معناه انظر اليه كيف تفرق اجزاؤه وتبدد عظامه ثم انظر كيف يحييه الله وانما قال له ذلك ليستدل بذلك على طول مماته ولنجعلك اية للناس فعلنا ذلك وقيل معناه فعلنا ذلك اجابة لك الى ما اردت ولنجعلك اية للناس اي حجة للناس في البعث وانظر الى العظام كيف ننشزها كيف نحييها وقيل كيف نرفعها من الارض فنردها الى اماكنها من الجسد ونركب بعضها على بعض ثم نكسوها لحما واختلف فيه فقيل اراد عظام حماره عن السدي وغيره فعلى هذا يكون تقديره وانظر الى عظام حمارك وقيل اراد عظامه عن الضحاك وقتادة والربيع قالوا اول ما احيا الله منه عينه وهو مثل غرقئ البيض فجعل ينظر الى العظام البالية المتفرقة تجتمع اليه والى اللحم الذي قد اكلته السباع يتألف الى العظام من ههنا ومن ههنا ويلتزق بها حتى قام وقام حماره فلما تبين له يعني ظهر وعلم وانما علم انه مات مائة سنة بشيئين احدهما باخبار من اراه الاية المعجزة في نفسه وحماره وطعامه وشرابه وتقطع اوصاله ثم اتصال بعضها الى بعض حتى رجع الى الحالة التي كان عليها قال والاخر انه علم ذلك بالاثار لما رجع الى وطنه فرأى ولد ولده شيوخا وقد كان خلف اباهم شبابا الى غير ذلك من الامور التي تغيرت والاحوال التي تقلبت وروي عن علي ع ان عزيرا خرج من اهله وامرأته حامل وله خمسون سنة فاماته الله مائة سنة ثم بعثه فرجع الى اهله ابن خمسين سنة وله ابن له مائة سنة فكان ابنه اكبر منه فذلك من ايات الله وقيل انه رجع وقد احرق بخت نصر التوراة فاملاها من ظهر قلبه فقال رجل منهم حدثني ابي عن جدي انه دفن التوراة في كرم فان اريتموني كرم جدي اخرجتها لكم فاروه فاخرجها فعارضوا ذلك بما املى فما اختلف في حرف فقالوا ما جعل الله التوراة في قلبه الا وهو ابنه فقالوا عزير ابن الله قال اعلم ان الله على كل شيء قدير اي اعلم اي اتيقن ومن قرأ اعلم فمعناه على ما تقدم ذكره من انه يخاطب نفسه وقيل انه امر من الله سبحانه له اي اعلم ان الله على كل شيء قدير اي لم اقل ما قلته عن شك وارتياب ويحتمل انه انما قال ذلك لانه ازداد بما شاهد وعاين يقينا وعلما او كان قبل ذلك علمه استدلالا فصار علمه ضرورة ومعاينة

قوله تعالى واذ قال ابرهيم رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ اربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على

١٣٧

جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم ان الله عزيز حكيم • اية القراءة قرأ ابو جعفر وحمزة وخلف ورويس
عن يعقوب فصرهن اليك بكسر الصاد والباقون فصرهن بضم الصاد وروى في الشواذ عن ابن عباس فصرهن بكسر
الصاد وتشديد الراء وفتحها وعن عكرمة فصرهن بفتح الصاد وكسر الراء وتشديدها وقرأ عاصم في رواية ابي بكر
جزءا مثقلا مهموزا حيث وقع وقرأ ابو جعفر جزا مشددا والباقون بالهمز والتخفيف الحجة يقال صرته اصوره
اي املته ومنه قول الشاعر يصور عنوقها احوى زنيم اي يميل عنوق هذه الغنم تيس احوى وصرته اصوره قطعته
قال ابو عبيدة فصرهن من الصور وهو القطع وقال ابو الحسن وقد قالوا بمعنى القطع صار يصير قال الشاعر وفرع
يصير الجيد وحف كانه على الليت قنوان الكروم الدوالح ومعنى هذا يميل الجيد من كثرته فقد ثبت ان الميل والقطع
يقال في كل واحد منهما ايضا صار يصير فمن جعل فصرهن بمعنى املهن اليك حذف من الكلام والمعنى املهن اليك
فقطعهن ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا فحذف الجملة لدلالة الكلام عليها كما حذف في قوله اضرب بعصاك البحر فانفلق
اي فضرب فانفلق ومن قرأ فصرهن على معنى فقطعهن لم يحتج الى اضمار ويحتمل من كلا الوجهين كل واحد من
القراءتين على ما ذكرنا وقوله اليك ان جعلت صرهن بمعنى قطعهن كان اليك متعلقا بخذ اي خذ اليك اربعة
من الطير فقطعهن ثم اجعل وان جعلت بمعنى املهن احتمل اليك ان يكون متعلقا بخذ وان يكون متعلقا بصرهن
وقياس قول سيبويه ان يكون متعلقا بقوله فصرهن لانه اقرب اليه ومن قرأ فصرهن بكسر الصاد وتشديد الراء
فانه يكون من صر يصر اي قطعه والمتعدي من هذا الباب قليل وما روي عن عكرمة فصرهن بضم الصاد فيكون
من صر يصر وهذا القياس ومن قرأ فصرهن فهو فعلهن من صرى يصري تصرية اذا حبس وقطع قال لبيد
فلام وتصرى في تفرقه ماء الشباب عنفوان شبرته اي حبسه وقطعه ومنه الشاة المصراة اي المحبوسة
اللبن المقطوعة في ضرعها عن الخروج واما الوجه في قراءة من قرأ جزؤا بالتثقيل فقد ذكرنا عند قوله هزوا
قالوا اتتخذنا هزوا ومن قرأ جزا بالتشديد فاصله جزء ثم خفف همزته ثم انه اذا خففت كان هناك السكون
وان شئت الاشمام فتقول الجزء وان شئت التشديد فتقول الجز ثم انه وصل على وقفه الجزء كما جاء في
الشعر بازل وجلاء وجهل كانه نوانا على الكلكل فاجرى الوصل مجرى الوقف اللغة اطمأن
يطمئن اطمئنانا اذا توطن والمطمئن من الارض ما انخفض وتطامن واطمأن اليه اذا وقف به لسكون
نفسه اليه ولطوى حال الامانة عنه واصل الباب التوطين والطير معروف وطار يطير طيرانا وطيرة
والباب يدل على خفة الشيء في الهواء ثم تستعار ذلك في غيره وفي كل سرعة وتطير من الطيرة وهو نحو
التشاؤم وطائر الانسان عمله الذي يقلده من خير او شر لانه يتبرك بطائر الخير ويتشاءم
فجر مستطير منتشر في الافق وغبار مستطار وفرس مطار حديد الفؤاد لانه طيار في جريه والجبال
وتد الارض وجبل فلان على كذا اي طبع ورجل ذو جبلة اذا كان غليظ الجسم والجبلة الامة
من الناس واجبل الحافر اذا بلغ الى صلابة لا يمكنه الحفر عندها ومنه اجبل الشاعر اذا صعب عليه القول والجزء
بعض الشيء وجزأته بعضته والفرق بين الجزء والسهم ان السهم من الجملة ما ينقسم عليه كالاثنين من العشرة وقد
يكون الجزء ما لا ينقسم عليه كالثلاثة من العشرة لا ينقسم العشرة عليها وان كانت الثلاثة جزءا من العشرة الاعراب
العامل في اذ فيه اذكر اي واذكر هذه القصة عن الحجاج ويجوز ان يكون عطفا على قوله الم تر الى الذي
حاج اي الم تر اذ قال وموضع كيف نصب بقوله تحيي الموتى والمعنى باي حال تحيي الموتى وقوله ليطمئن
قلبي اللام يتعلق بمحذوف وتقديره ارني ليطمئن قلبي من الطير صفة لاربعة فعلى هذا يكون من للتبعيض
وللتبيين ويجوز ان يتعلق بخذ فعلى هذا لا يكون الا للتبيين منهن اي جزءا من كل واحد منهن فلما تقدم على

وقع موقع النصب على الحال من جزء وقوله سعيا مصدر وقع موقع الحال فكانه قال تعين ساعيا او ساعيات
سعيا المعنى ثم ذكر سبحانه اراءة ابراهيم عيانا من احياء الموتى فقال واذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى اختلف
في سبب سؤال ابراهيم ع هذا على وجوه احدها ما قاله الحسن والضحاك وقتادة وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلام
انه رأى جيفة تمزقها السباع فتأكل منها سباع البر وسباع الهواء ودواب البحر فسأل الله سبحانه ابراهيم فقال
يا رب قد علمت انك تجمعها من بطون السباع والطير ودواب البحر فارني كيف تحييها لاعاين ذلك وثانيها
ما روي عن ابن عباس وسعيد بن جبير والسدي ان الملك بشر ابراهيم ع بان الله قد اتخذه خليلا وانه يجيب دعوته
ويحيي الموتى بدعائه فسأل الله سبحانه ان يفعل ذلك ليطمئن قلبه بانه قد اجاب دعوته واتخذه خليلا وثالثها انه
سأل لمنازعة نمرود اياه في الاحياء اذ قال انا احيي واميت واطلق محبوسا وقتل انسانا فقال ابراهيم ليس هذا
باحياء وقال يا رب ارني كيف تحيي الموتى ليعلم نمرود ذلك وروي ان نمرود توعده بالقتل ان لم يحيي الله الميت
بحيث يشاهده فلذلك قال ليطمئن قلبي اي بان لا يقتلني الجبار عن محمد بن اسحاق بن يسار ورابعها انه احب
ان يعلم ذلك علم عيان بعد ان كان عالما به من جهة الاستدلال والبرهان لتزول الخواطر ووساوس الشيطان و
هذا اقوى الوجوه قال اولم تؤمن هذه الف استفهام ويراد به التقرير كقول الشاعر الستم خير من ركب المطايا
واندى العالمين بطون راح اي قد امنت لا محالة فلم تسأل ذا وهذه الالف اذا دخلت على الاثبات فالمراد النفي
كقوله سبحانه ءانت قلت للناس اي لم تقل قال بلى ولكن ليطمئن قلبي اي بلى انا مؤمن ولكن سألت ذلك
لازداد يقينا الى يقيني عن الحسن وقتادة ومجاهد وابن جبير وقيل لاعاين ذلك ويسكن قلبي الى علم العيان
بعد علم الاستدلال وقيل ليطمئن قلبي بانك قد اجبت مسألتي واتخذتني خليلا كما وعدتني قال فخذ اربعة
من الطير مختلفة الاجناس وانما خص الطير من بين سائر الحيوانات لخاصية الطيران وقيل انها الطاوس
والديك والحمام والغراب امر ان يقطعها ويخلط ريشها بدمها هذا قول مجاهد وابن جريج وعطاء وابن زيد
وهو المروي عن ابي عبد الله ع فصرهن اليك اي قطعهن عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وقيل معناه
اضممهن اليك عن عطاء وابن زيد وقد تقدم بيانه في حجة القراءة ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن
يأتينك سعيا وروي عن ابي عبد الله ع ان معناه فرقهن على كل جبل وكانت عشرة اجبل ثم خذ مناقيرهن
وادعهن باسمي الاكبر واحلفهن بالعظمة والجبروت يأتينك سعيا ففعل ابراهيم ع ذلك وفرقهن على عشرة
اجبل ثم دعاهن فقال اجيبي باذن الله فكانت تجتمع ويتألف لحم كل واحد وعظمه الى رأسه وطارت
الى ابراهيم وقيل ان الجبال كانت سبعة عن ابن جريج والسدي وقيل كانت اربعة عن ابن عباس والحسن و
قتادة وقيل اراد كل جبل على العموم بحسب الامكان كانه قال فرقهن على كل جبل يمكنك التفرقة عليه عن مجاهد
والضحاك ويسأل فيقال كيف قال ثم ادعهن ودعاء الجماد قبيح وجوابه انه بذلك اراد الاشارة اليها والايماء
ليقبل عليه اذا احياها الله وقيل معنى الدعاء هاهنا الاخبار عن تكوينها احياء كقوله كونوا قردة خاسئين
وقوله ائتيا طوعا او كرها عن الطبري وقول من قال انه جعل على كل جبل طيرا ثم دعاها بعيد عن الصواب
الفائدة لانه انما طلب العلم بكونه قادرا على احياء الموتى عيانا وليس في اتيان طائر حي اليه بالايماء ما يدل على ذلك
وفي الكلام حذف كانه قال فقطعهن ثم اجعل على كل جبل من كل واحد منهن جزءا فان الله يحييهن فاذا
احياهن فادعهن فيكون الايماء اليها بعد ان صارت احياء ففعل ابراهيم ذلك فنظر الى الريش يسعى بعضها
الى بعض وكذلك العظام واللحم ثم اتينه مشيا على ارجلهن فتلقى كل طائر رأسه وذلك قوله يأتينك
سعيا وذكر النضر بن شميل قال سألت الخليل بن احمد عن قوله يأتينك سعيا هل يقال للطائر اذا طار سعى فقال لا

قلت فما معناه قال معناه يا ربك وانت تحيى ميتا واعلم ان الله عزيز اى قوى لا يعجز عن شىء حكيم فى افعاله واقواله
وقيل عزيز لا يمتنع عليه شىء حكيم لانها كلها حكمة وصواب ومما يسأل فى هذه الآية ان يقال
كيف اجيب ابراهيم الى الآيات الاخرة دون موسى فى قوله انظر اليك والجواب من وجهين احدهما ان ما سأله موسى لا يصح
معه بقاء التكليف من وقوع الضرورة التى لا يعترضها الشكوك بوجه وابراهيم انما سأل فى شىء خاص يصح معه
التكليف والآخر ان الاحوال قد تختلف فيكون الاصلح فى بعض الاحوال الاجابة وفى بعضها المنع فيما لم يتقدم فيه اذن
قوله تعالى مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله
يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم • اللغة النبت الحشيش وكل ما ينبت من الارض يقال نبت نبتا ونباتا
والنبوت شجر الخشخاش وانبت الغلام اذا راهق واستبان شعر عانته والسنبلة على وزن فنعلة لقولهم اسبل
الزرع بمعنى سنبل اذا صار فيه السنبل والاصل فى الاسبال وهو ارسال الستر ونحوه فكما يسترسل الستر بالاسبال
يسترسل الزرع بالسنبل والانتشار فى حبوب مستورة كما يستر بالاسبال والمائة معروفة يقال امأيت الغنم اذا بلغت
مائة وامأيتها انا اى وفيتها مائة [illegible] المعنى مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله
قيل تقديره مثل صدقات الذين ينفقون اموالهم كمثل حبة وقيل تقديره مثل الذين ينفقون كمثل زارع حبة
فى سبيل الله هو الجهاد وغيره من ابواب البر كلها على ما تقدم بيانه فالآية عامة فى النفقة فى جميع ذلك وهو المروى
عن ابى عبد الله ع واختاره ابو على الجبائى وقيل هى خاصة بالانفاق فى الجهاد فاما غيره من الطاعة فانما يجزى بالواحد
عشرة امثالها كمثل حبة انبتت اى اخرجت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة يعنى ان النفقة فى سبيل الله بسبعمائة
ضعف ومتى قيل هل رأى فى سنبلة مائة حبة حتى يضرب المثل بها فجوابه ان ذلك متصور وان لم ير كقول
امرئ القيس ومسنونة زرق كانياب اغوال وقوله طلعها كانه رؤوس الشياطين وايضا فقد رأى ذلك فى الجاورس
ونحوه والله يضاعف لمن يشاء اى يزيد على سبعمائة لمن يشاء وقيل معناه يضاعف هذه المضاعفة لمن يشاء
وروى عن ابن عمر قال لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلعم رب زد امتى فنزل قوله من ذا الذى يقرض
الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة فقال رب زد امتى فنزل انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وقوله
والله واسع اى واسع القدرة لا يضيق عليه ما يشاء من الزيادة وقيل واسع المغفرة لا يضيق عن المضاعفة عليم بمن يستحق
الزيادة عن ابن زيد وقيل عليم بما كان من النفقة وبنية المنفق وما يقصده من الانفاق النظم اتصلت هذه الآية
بقوله من ذا الذى يقرض الله وما بين الآيتين اعتراض للاستدعاء الى الحق وبيان الحجج والعبر عن على بن عيسى وقيل
لما قص الله سبحانه ما فيه من البرهان على التوحيد وما اتى الرسل من البينات حث على الجهاد واعلم ان من جاهد
بعد هذه الدلالات يجب قتاله فحث على قتال من كفر بعد هذا البرهان وبين ان فى جهادهم والنفقة فيه الثواب
العظيم عن الزجاج قوله تعالى الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى لهم اجرهم
عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون • اللغة المن هو ذكر ما ينغص المعروف كقول القائل
احسنت الى فلان ونعشته ونحو ذلك واصل المن القطع ومنه قوله لهم اجر غير ممنون اى غير مقطوع ومنه قولهم
حبل منين اى ضعيف لانه ينقطع ويسمى ما يكدر المعروف منة لانه يقطع الحق الذى يجب فيه والمنة النعمة العظيمة
سميت بذلك لانها تجل عن قطع الحق بها لعظمها والمنة القوة فى القلب والمن الذى يقع من السماء والمن
الذى يوزن به لانه يقطع به على مقدار مخصوص والاذى ضرر يتعجل وصوله الى المضرور والخوف توقع الضرر
وهو يرجع الى الاعتقاد والحزن الغم الذى يغلظ على النفس المعنى لما امر الله سبحانه بالانفاق عقبه ببيان
كيفية الانفاق فقال الذين ينفقون اى يخرجون اموالهم فى سبيل الله وقد تقدم بيانه ثم لا يتبعون ما

انفقوا اى نفقاتهم منا اى منة على المعطى ولا اذى له والمن هو ان يقول له الم اعطك كذا الم احسن اليك الم اغنك ونحوها
والاذى هو ان يقول اراحنى الله منك ومن ابتلائى بك ويحتمل ان يكون معنى الاذى ان يعبس وجهه عليه او يعيره او يؤذيه
فيما يعهد اليه او يصرفه فى بعض اشغاله بسبب انفاقه عليه فكل هذا من المن والاذى الذى يكدر الصنيعة وينقص الغرض
ويبطل الاجر والمثوبة وقوله لهم اجرهم عند ربهم قد مر تفسيره وقيل معناه لهم جزاء اعمالهم عند ربهم وانما قال عند ربهم
لتكون النفس اسكن اليه واوثق به لان ما عنده لا يخاف عليه فوت ولا نقص ولا خوف عليهم من فوت الاجر ونقصانه
يوم القيمة ولا هم يحزنون لفوته ونقصانه وفى هذه الآية دلالة على ان شرط الوعد شرط لان مفهوم الكلام
تقديره ان لم يتبعوا ما انفقوا منا ولا اذى فلهم الاجر كذا والوعد اذا كان مشروطا فمتى لم يحصل الشرط لم يحصل
المشروط وهو استحقاق الثواب وقد روى عن النبى صلعم انه قال المنان بما يعطى لا يكلمه الله ولا ينظر اليه ولا يزكيه وله عذاب اليم
قوله تعالى قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى والله غنى حليم • اللغة الغنى الواسع الملك والقدرة
بانه مالك لجميع الاشياء لانه قادر عليها لا يتعذر عليه شىء منها والغنى ضد الحاجة يقال غنى يغنى غنى واستغنى واغناه الله
والغنى الكفاية والغنى عن غنى والغنية الاستغناء وقد غنى القوم اذا نزلوا فى مكان يغنيهم والمكان الذى نزلوا
مغنى وقد غنى فلان غناء اذا بالغ فى التطريب فى الانشاد حتى يستغنى الشعر ان يزاد فى نغمته وقد غنيت المرأة
غنيانا قال قيس بن الخطيم اجد بعمرة غنيانها فتهجر ام شاننا شانها وغنيانها غناها والغوانى النساء لانهن غنين
بجمالهن وقيل بازواجهن والحليم مر ذكره المعنى قول معروف اى كلام حسن جميل لا وجه فيه
يرد به السائل وقيل معناه دعاء صالح نحو ان يقول صنع الله بك واغناك الله عن المسئلة ووسع الله عليك
الرزق واشباه ذلك وقيل معناه عدة حسنة وقيل قول فى اصلاح ذات البين عن الضحاك ومغفرة قيل
فيه اقوال احدها ان معناه سلامة من المعصية لان حالها كحال المغفرة فى الامان من العقوبة عن الجبائى
وثانيها ان معناه ستر على السائل وسؤاله وثالثها ان معناه عفو المسئول عن ظلم السائل عن الحسن وعلى هذا فيكون
ظلم السائل فى غير وقته او يلحف فى سؤاله او يسىء الادب بان يفتح الباب او يدخل الدار بغير اذن فالعفو عن
ظلمه خير من صدقة يتبعها اذى وانما صار القول المعروف والعفو عن الظلم خيرا من الصدقة التى يتبعها اذى
لان صاحب هذه الصدقة لا يحصل على خير لا على عين ما له فى دنياه ولا على ثوابه فى عقباه والقول بالمعروف
والعفو طاعتان يستحق الثواب عليهما وقد روى عن النبى صلعم انه قال اذا سأل السائل فلا تقطعوا عليه مسئلته
حتى يفرغ منها ثم ردوا عليه بوقار ولين اما ببذل يسير او رد جميل فانه يأتيكم من ليس بانس ولا جان ينظرون
كيف صنيعكم فيما خولكم الله تعالى والله غنى عن صدقاتكم وعن جميع طاعاتكم لم يأمركم بها ولا بشىء منها لحاجة اليها
وانما امركم بها ودعاكم اليها لحاجتكم الى ثوابها حليم لا يعاجلكم بالعقوبة وقيل لا يعجل العقوبة على من يمن ويؤذى
بصدقته ولو وهم هاهنا موهم حليم جميل او عليم لم يحسن قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن و
الاذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فاصابه وابل
فتركه صلدا لا يقدرون على شىء مما كسبوا والله لا يهدى القوم الكافرين • اللغة الرياء والمراءاة اصله
من الرؤية كالذى يفعل ليرى غيره وجمع فى رئاء الناس بين همزتين ولم يجمع فى ذوائب وانما لينهما الالف
فى كلا الموضعين لحجز الواحد ولانهما مفتوحتان فى الواحد فهو اخف لها والصفوان واحدته صفوانة مثل
سعدان وسعدانة ومرجان ومرجانة وهى الحجر الاملس والصفا بمعنى الصفوان وذكر الكسائى فى جمع صفوان
صفى وانكر ذلك المبرد وقال انما هو جمع صفا مثل عصا وعصى وقفا وقفى والتراب والترب واحد و
ترب الرجل اذا لصق بالتراب من الفقر ومنه قوله او مسكينا ذا متربة لانه قعد على التراب للفقر و

اترب الرجل اذا صار ماله بعدد التراب والتربة للذي وقيل فيه اقوال منها ان الاترب خرجوا الى التراب في وقت من الزمان
ومنها انهم صبيان يلعبون بالتراب ومنها انهم في الاشباه كالتراب والترائب عظام الصدر لانها متشابهة والوابل المطر
الشديد الوقع وبلت السماء تبل وابلا والوبيل الشديد والوبال سوء العاقبة واصل الباب الشدة والصلد الحجر الصلب الاملس
قال الشاعر ولست بجلب جلب ريح وقرة ولا بصفا صلد عن الخير معزل والصلد من الارض ما لا ينبت شيئا لصلابته
والصلد البخيل وصلد الزند صلودا اذا لم يور نارا وفرس صلود اذا ابطاء عرقه وقد صلد صلودا ابطاء عليها من الغليان
واصل الباب ملاسة في صلابة الاعراب الكاف في قوله كالذي ينفق ماله رئاء الناس في موضع نصب على الحال من الواو
في تبطلوا ورئاء الناس مصدر وضع موضع الحال من الضمير في ينفق تقديره ينفق ماله مرائيا ويجوز ان يكون مفعولا له
عليه تراب جملة في موضع جر بكونه صفة صفوان وصلدا حال من تركه وذو الحال الهاء ولا يقدرون جملة فعلية
في موضع الحال والواو عائد الى من في الذي لانه جنس لا الى لفظ الذي المعنى ثم اكد سبحانه ما قدمه بان ضرب من الامثال
فقال يا ايها الذين امنوا اي صدقوا الله ورسوله لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى اي المنة على السائل وقيل بالمنة
على الله والاذى لصاحبها ثم ضرب سبحانه مثلا لعمل المنان وعمل المنافق جميعا فانهما اذا فعلا الفعل على
غير الوجه المامور به فانهما لا يستحقان ثوابا عليه وهذا هو معنى الابطال وهو ايقاع العمل على غير الوجه الذي
يستحق عليه الثواب فقال كالذي ينفق ماله رئاء الناس معناه يدخل فيه المؤمن والكافر اذا اخرجا المال للرياء ولا
يؤمن بالله واليوم الاخر هذا للكافر خاصة اي لا يصدق بوحدانية الله ولا بالبعث والجزاء وقيل انه صفة المنافق
لان الكافر معلن غير مراء وكل مراء كافر او منافق فمثله كمثل صفوان اي حجر املس عليه تراب فاصابه وابل اي مطر عظيم
القطر شديد الوقع فتركه صلدا حجرا صلبا املس شبه سبحانه فعل المنافق والمنان بالصفا الذي ازال المطر
ما عليه من التراب فلا يقدر احد على رد ذلك كذلك اذا دفع المنان صدقته وقرن بها المن فقد اوقعها على وجه
لا طريق له الى استدراكه وتلافيه لوقوعها على الوجه الذي لا يستحق عليه الثواب فان وجوه الافعال تابعة لحدوث الافعال
فاذا فاتت فلا طريق الى تلافيها وليس في الاية ما يدل على ان الثواب الثابت المستحق يبطل بالمن والاذى وما يفعل بعدها ولا بالرياء
الذي فيما يستقبل من الاوقات على ما قاله اهل الوعيد لا يقدرون على شيء كما لا يحصل احد على التراب الذي ذهب به المطر
من الحجر فقد تضمنت الاية والاية التي قبلها الحث على الصدقة والانفاق في سبيل الخير وابواب البر ابتغاء مرضاة الله
تعالى والنهي عن المن والاذى والرياء والسمعة والنفاق والحث على بطلان العمل بها ومما جاء في معناه من الحديث ما رواه
عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله قال اذا كان يوم القيامة نادى مناد يسمع اهل الجمع اين الذين كانوا يعبدون الناس قوموا خذوا
اجوركم ممن عملتم له فاني لا اقبل عملا خالطه شيء من الدنيا واهلها وروى عن ابي عبد الله عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله
من اسدى الى مؤمن معروفا ثم اذاه بالكلام او من عليه فقد ابطل الله صدقته ثم ضرب فيه مثلا كالذي ينفق ماله
رئاء الناس الى قوله الكافرين وقال ابو عبد الله عليه السلام ما من شيء احب الي من رجل سلفت مني اليه يد اتبعته اختها واحسنت
ربها له لاني رأيت منع الاواخر يقطع لسان شكر الاوائل والله لا يهدي القوم الكافرين اي لا يثيب الكافرين على
اعمالهم اذ كان الكفر محيطا لها ومانعا استحقاق الثواب عليها وانما يثيب المؤمنين الذين يوقعون اعمالهم على الوجه
الذي يستحق بها الثواب وقيل معناه لا يهديهم الى الجنة باعمالهم كما يهدي المؤمنين وقيل معناه لا يعطيهم ما يعطي
المؤمنين من زيادة الالطاف والتوفيق قوله تعالى ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا
من انفسهم كمثل جنة بربوة اصابها وابل فاتت اكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير
ايه القراءة قرأ عاصم وابن عامر بربوة بفتح الراء والباقون بضمها وروى في الشواذ عن ابن عباس بربوة بكسر
الراء وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو اكلها بالتخفيف وقرأ الباقون بالتثقيل اللغة الربوة بحركات الثلث

الراء والرباوة والرابية قال الحسن والذي نختاره بربوة بضم الراء ويؤيد هذا الاختيار قولهم ربى في الجمع
والاكل الماكول ويدل على ذلك قوله تعالى تؤتي اكلها كل حين اي ما يؤكل منها قال الاعشى جندك التالد الطارف
من السادات اهل القباب والاكال فالاكال جمع اكل مثل عنق واعناق والاكل الفعل والاكلة الطعمة والاكلة
قال الشاعر ما الاكلات ان اغنيتها ولا جرعة ان جئتها بحرام بفتح الالف من الفعلة بدلالة ولا جرعة وان شئت
ضممت وعنيت الطعام وقال ابو زيد انه لذو اكل اذا كان له حظ ورزق من الدنيا وضعف الشيء مثله زائدا عليه وضعفاه
مثلاه زائدين عليه وقال قوم ضعف الشيء مثلاه والطل المطر الصغار القطر الدائم تقول طلت السماء وهي طل وروضة مطلولة
ندية والطل اطلال الدم بان لا يثأر لصاحبه طل الدم فهو مطلول لانه بمنزلة ما جاء عليه الطل فاذهبه كانه قيل
غسله والطلل ما شخص من آثار الدار لانه كموضع لندى الطل لعمارة الناس له خلاف المستوى للقفر لان الخصب حيث تكون
الابنية وطلال الطلل امما للتشخيص والاطلال الاشراف على الشيء ومنه الناقة طل اي ما بها طرق وهو الشحم وطلة
الرجل امرأته واصل الباب الطل المطر الاعراب ابتغاء مرضات الله مفعول له وتثبيتا معطوف عليه بربوة الجار
والمجرور في موضع الصفة لجنة واصابها وابل الجملة في موضع جر لانها صفة بعد صفة وضعفين حال من اكلها قال
الزجاج ارتفع طل على معنى فان لم يصبها وابل فالذي يصيبها طل فعلى هذا يكون خبر مبتدأ محذوف ويجوز
ان يكون فاعل فعل محذوف اي فيصيبها طل المعنى ومثل الذين ينفقون اي يخرجون اموالهم في اعمال البر
ابتغاء مرضات الله اي طلب رضاء الله وتثبيتا من انفسهم بقوة اليقين والبصيرة في الدين عن سعيد بن جبير
والسدي والشعبي وقيل معناه انهم يتثبتون اي يضعون صدقاتهم عن الحسن ومجاهد وقيل معناه توطينا
لنفوسهم على الثبوت على طاعة الله عن ابي علي الجبائي واعترض على الحسن ومجاهد بانه لو قال وتثبتا وليس هذا بشيء
لانهم اذا ثبتوا انفسهم فقد تثبتوا وقوله كمثل جنة بربوة معناه كمثل بستان بموضع مرتفع من الارض وانما خص
الربوة لان نبتها يكون احسن وريعها اكثر من المستفل الذي يسيل الماء اليه ويجتمع فيه فلا يطيب ريعه الا ترى
الى قول الاعشى ما روضة من رياض الحزن معشبة خضراء جاد عليها مسبل هطل فخص بها الحزن
للمعنى الذي ذكرناه اصابها وابل اي اصاب هذه الجنة مطر شديد فاتت اكلها ضعفين اي فاعطت غلتها
ضعف ما تعطي اذا كانت بارض مستفلة ويحتمل ان يكون معناه مرتين في كل سنة واحدة كما قال سبحانه تؤتي
اكلها كل حين باذن ربها معناه كل ستة اشهر فيما روي وقال ابو عبد الله عليه السلام معناه يتضاعف ثمرها كما يتضاعف
اجر من انفق ماله ابتغاء مرضات الله فان لم يصبها وابل اي مطر شديد فطل اي اصابها مطر لين او ندى اراد به انها
لا تخلف على كل حال ولا ترى لثمارها نقصانا على حال انما ارتفع طل على تقدير فالذي يصيبها طل والله بما تعملون بصير معناه
عالم باعمالكم فيجازيكم بحسبها وقيل العالم بالمرائي والمخلص فيه ترغيب وترهيب قوله تعالى ايود احدكم ان تكون له
جنة من نخيل واعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فاصابها
اعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون ايه اللغة الجنة البستان الكثير الشجر لان الشجر يجنه
لكثرته فيه والنخيل معروف وقيل ماخوذ من نخل المنخل لانه استخلص كاستخلاص اللباب بالنخل والنخل جمع نخلة وهما
تجمع القليل والكثير ويذكر ويؤنث قال الله سبحانه كانهم اعجاز نخل منقعر والانتخال الاختيار والنخالة التخير واصل الباب النخل
الدقيق والعنب ثمر الكرم ورجل عانب وعنب وفرس عانب عظيم الانف وتحت قميص قوقي وفي الحديث لا تقوم
الساعة حتى تظهر التحوت اي الذين كانوا تحت اقدام الناس لا يشعر بهم ذلة والانهار جمع نهر وهو المجرى الواسع من
مجاري الماء والاصابة الوقوع على المقصود والكبر حال زيادة على مقدار اخر والفرق بين الكبير والكثير ان الكثير يضم
بعض الى بعض وليس كذلك الكبير تقول داره كبيرة ولا تقول كثيرة والضعيف يجمع على ضعفاء وضعاف والاعصار

عمار يلتف بين السماء والارض كالتفاف الثوب في العصرة قال الشاعر ان كنت ريحا فقد لاقيت اعصارا او العصار
التحير والفكر جولان القلب بالخواطر في الفكر وفكر وتفكر بمعنى الاعراب قوله ايود احدكم ان تكون عطف على ما يظهر
فقال واصابه الكبر فقال الفراء يجوز ذلك في يود لانها يتلقى مرة بلو ومرة بان فجاز ان يقدر احدهما مكان الاخر
لاتفاقهما في المعنى فكانه قال ايود احدكم لو كانت له جنة قال علي بن عيسى وعندي انه قد دل بان على الاستقبال
وتحقيق الكلام معنى لو على التمني كانه قيل ايود احدكم متمنيا له والتمني يقع على الماضي والمستقبل الا ترى انه
يصح ان يتمنى ان كان له ولد ويصح ان يتمنى ان يكون له ولد والمحبة لا يقع الا على المستقبل والفرق بين المودة والمحبة
ان المودة قد يكون بمعنى التمني نحو قولك اود لو تقدم زيد بمعنى اتمنى لو تقدم زيد ولا يجوز احب لو تقدم زيد من
فانه لمن نخيل للتبيين وهو في موضع رفع لكونها صفة لجنة تجري من تحتها الانهار جملة في موضع رفع لكونها صفة
لجنة اذا عادت الهاء الى الجنة او في محل جر لكونها صفة لنخيل اذا عادت الهاء الى نخيل المعنى ايود احدكم ان تكون له
جنة اي بستان من نخيل واعناب تجري من تحتها الانهار اي تشتمل على النخيل والاعناب والانهار الجارية له فيها
من كل الثمرات واصابه الكبر اي ولحقته الشيخوخة وطعن في السن وله ذرية ضعفاء اي اولاد صغار ناقصوا
القوة فاصابها اي اصاب تلك الجنة اعصار اي ريح شديدة تهب من الارض نحو السماء مثل العمود وتسميها
الناس الزوبعة فيه نار اي في ذلك الاعصار نار فاحترقت تلك الجنة وهذا مثل ضربه الله تعالى في الحسرة
بسلب النعمة واختلف فيه على وجوه احدها انه مثل للمرائي في النفقة لانه ينتفع بها عاجلا وينقطع عنه اجرها
احوج ما يكون اليه عن السدي وثانيها انه مثل للمفرط في طاعة الله لملاذ الدنيا يحصل في الاخرة على الحسرة
العظمى عن مجاهد والمراد به ان حاجته الى الاعمال الصالحة كحاجة هذا الكبير الذي له ذرية ضعفاء الى ثمار جنته
فاذا احترقت فيكون اعظم حسرة لان الكبير قد يئس من سعي الشاب في كسبه فكان اضعف املا واشد حسرة كذلك
من لم يكن له في الاخرة عمل صالح يوصله الى الجنة فحسرته مثل ذلك وثالثها انه مثل للذي يختم عمله بفساد عن ابن عباس
وكل هذه الوجوه يحتمله الاية كذلك اي كالبيان الذي بين لكم في امر الصدقة وقصة ابراهيم والذي مر
على قرية وجميع ما سلف يبين الله لكم الايات اي الدلالات التي تحتاجون اليها في امور دينكم لعلكم تتفكرون
اي تنظرون وتفهمون قوله تعالى يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض ولا
تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه واعلموا ان الله غني حميد القراءة قرا ابن كثير
غير القواس ولا تيمموا بتشديد التاء فيها وفي اخواتها وهي احد وثلاثون موضعا من القرآن والباقون تيمموا بتخفيف
الحجة كلاهما بمعنى واحد كان ابن كثير رد الحرف الساقط في القراءة الاخرى وادغم لانه كان في الاصل تاان تاء
المضارعة وتاء الفعل فحذف تاء الخطاب في قراءة العامة لئلا يجتمع حرفان مثلان ويحفظ الكلمة اللغة
التيمم التعمد قال خفاف فعمدا على عيني تيممت مالكا وقال الاعشى تيممت قيسا وكم دونه من الارض من مهمه ذي
شزن يقال امت الشيء خففته ويممته واممته وتيممته وتأممته بمعنى اي قصدته ومنه الامام لانه المقصود
المعتمد والامام ايضا خيط البناء لانه يعتمد ويعمل بالبناء عليه والتيمم بالتراب للصلاة لانه يعمد الصعيد من الارض في الخ
الكلام لانها تعمد الى الركا وطلب ... والخبيث الردي من كل شيء وخبث الفضة والحديد ما نفاه الكير
لانه ينفي الكدر واصله الرداءة والاغماض في البيع الحطيطة من الثمن لعيب فيه وذلك لاخفاء بعض الثمن بالحطيطة
والغموض الخفاء غمض يغمض فهو غامض والتغميض للعين اطباق الجفن والغمض النوم والغمض المطمئن من الارض
فاصل الباب الخفاء والاغماض غض البصر واطباق جفن على جفن قال رؤبة اراني عن الاغماض ...
سري في عارض نهاض ثم صار عبارة عن التسامح والتساهل في البيع الاعراب قال الفراء الاصل فان تغمضوا

ان يكون

ان مكسورة الهمزة لان الكلام في معنى الجزاء وهو ان تغمضتم بعض الاغماض اخذتموه ومثله الا ان يخافا الا يقيما حدود الله
وانكر ذلك المحققون قالوا ان هذه التي بمعنى المصدر نحو ان تأتي خير لك والمعنى ولستم باخذيه الا باغماضكم فيه
النزول روي عن ابي عبد الله ع انها نزلت في اقوام لهم اموال من ربوا الجاهلية وكانوا يتصدقون منها فنهاهم الله عن ذلك
وامر بالصدقة من الطيب الحلال وقيل انها نزلت في قوم كانوا يأتون بالحشف فيدخلونه في تمر الصدقة عن علي عليه السلام
والبراء بن عازب والحسن وقتادة المعنى لما تقدم ذكر الانفاق وبيان صفة المنفق وانه يجب ان ينوي بالصدقة
القربة وان يحفظها عما يبطلها من المن والاذى بين سبحانه صفة الصدقة والمتصدق عليه ليكون البيان جامعا
فقال يا ايها الذين امنوا خاطب المؤمنين انفقوا اي تصدقوا من طيبات ما كسبتم اي من حلال ما كسبتم بالتجارة عن ابن مسعود
مجاهد وقيل من خياره وجياده ونظيره قوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وروي عن عبيد بن رفاعة قال خرج
علينا رسول الله ص فقال يا معشر التجار انتم فجار الا من اتقى وصدق وبر وقال بالمال هكذا وهكذا وقال علي ع تسعة اعشار
الرزق في التجارة والجزء الباقي في السابياء وروت عائشة عنه ع قال اطيب ما اكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه
وقال سعيد بن عمير سئل النبي ص اي كسب الرجل اطيب قال عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور وقال علي ع من اتجر بغير
فقه ارتطم في الربا ثم ارتطم واختلفوا في ذلك على وجوه فقيل هذا امر بالنفقة في الزكاة عن عبيدة السلماني و
الحسن وقيل هو في الصدقة المتطوع بها لان المفروض من الصدقة له مقدار في القيمة ان قصر عنه كان دينا عليه
الى ان يؤديه بتمامه وان كان مال المزكي كله رديا فجاز له ان يعطي منه عن الجبائي وقيل وهو الاصح انه يدخل فيه الفرض
والنوافل والمراد به الانفاق في سبيل الخير واعمال البر على العموم وفيه دلالة على ان ثواب الصدقة من الحلال
المكتسب اعظم منه من الحلال الغير المكتسب فانما كان ذلك لانه يكون اشق عليه ومما اخرجنا لكم من الارض اي
وانفقوا من الغلات او الثمار مما تجب فيه الزكاة ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون اي لا تقصدوا الردي من
المال اي مما كسبتموه او اخرجه الله لكم من الارض فتنفقون منه وقيل المراد بالخبيث هاهنا الحرام ويقوي القول
الاول قوله ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه لان الاغماض لا يكون الا في الشيء الردي دون ما هو حرام وفيه قولان
احدهما ان معناه لا تتصدقوا بما لا تأخذون من غرمائكم الا بالمسامحة والمساهلة فالاغماض هاهنا المساهلة عن
البراء بن عازب والاخر ان معناه بما لا تأخذونه الا ان تحطوا من الثمن فيه عن الحسن وابن عباس وقتادة ومثله قول
الزجاج ولستم باخذيه الا بوكس فكيف تعطونه في الصدقة واعلموا ان الله غني عن صدقاتكم حميد اي مستحق للحمد
على نعمه وقيل مستحمد الى خلقه بما يعطيهم من النعم اي مستدع لهم الى ما يوجب لهم الحمد وقال الزجاج حميد اي
غناءكم وعن صدقاتكم يقبلها منكم ويحمدكم عليها وحميد بهذا الموضع اليق من حليم كما ان حليما بالاية المتقدمة
اليق من حميد لانه سبحانه لما امر بالانفاق من طيبات المكاسب بين انه غني عن ذلك وانه يحمد فاعله اذا فعله على ما امر به
ومعناه انه مجازيه عليه قوله تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع
عليم اللغة الفقر الحاجة وهو ضد الغنى والفقر لغة ردية الا ان افتقر افتقارا وافتقر افتقارا الا ان
الفقير بمنزلة كسر الفقار والفقار عظام منتظمة في النخاع يسمى خرز الظهر واحدها فقرة ولهذا
اتى الثالثة لتركب ثم تردد والفاقرة الداهية لانها تكسر الفقار ويقال وعدته بالخير وعدا وعدة
وموعدة وموعدا وموعودا وموعودة والفرق بين الوعد والوعيد ان الوعيد في الشر خاصة والوعد يصلح
بالتقييد للخير والشر معا غير انه اذا اطلق اختص بالخير وكذلك اذا ابهم التقييد كما يقال وعده شيئا باشياء
لانه يتبين انه اطلق والفحشاء والفحش والفاحش البخيل قال طرفة ارى الموت يعتام الكرام ويصطفي عقيلة
مال الفاحش المتشدد وقال علي بن عيسى الفحشاء المعاصي وانما سمي البخيل فاحشا لانه يتعدى برده الاضياف

والسؤال قال كعب اخي ما اخي لا فاحش عند بيته ولا برم عند اللقاء وهيوب المعنى ثم حذر سبحانه من الشيطان المانع
عن الصدقة فقال الشيطان يعدكم الفقر بالصدقة في وجوه البر وبانفاق الجيد من المال وقيل بتأدية الزكوة عليكم
في اموالكم ويأمركم بالفحشاء اي المعاصي وترك الطاعات وقيل بالانفاق من الردي وسماه فحشاء لانه معصية
الله تعالى فان الغني اذا ترك الانفاق على ذوي الحاجات من اقاربه وجيرانه ادى ذلك الى القاطع والله يعدكم مغفرة
منه اي يعدكم بالانفاق من خيار المال ان يستر عليكم ويصفح عن عقوبتكم وفضلا اي ويعدكم فضلا ان يخلف عليكم
خيرا من صدقتكم ويتفضل عليكم بالزيادة في ارزاقكم وروي عن ابن عباس انه قال اثنان من الله واثنان من الشيطان
فاللذان من الله المغفرة على المعاصي والفضل في الرزق واللذان من الشيطان الوعد بالفقر والامر بالفحشاء وروي عن
ابن مسعود ان للشيطان لمة وللملك لمة وروي مثله عن ابي عبد الله ع قال فلمة الشيطان وعده بالفقر وامره
بالفاحشة ولمة الملك امره بالانفاق ونهيه عن المعصية والله واسع عليم ذكرنا معناه فيما تقدم وقيل واسع معناه
يعطي عن سعة بمعنى ان عطيته لا يضره ولا ينقص خزائنه وعليم بمن يستحق العطية ومن لا يستحقها قوله تعالى
يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولوا الالباب • آية القراءة قرأ يعقوب
ومن يؤت بكسر التاء والباقون بفتحها الحجة من كسر التاء فانه اراد ومن يؤته الله الحكمة ففاعل يؤت الضمير المستكن فيه العائد
الى الله كما في قوله يؤتي الحكمة ويؤيد هذه القراءة قراءة الاعمش ومن يؤته الله وحذف ضمير المفعول الذي هو الهاء
العائد الى من الذي هو الجزاء وهو في موضع الرفع بالابتداء كما حذف الضمير العائد الى الموصول في نحو قوله اهذا الذي
بعث الله رسولا والاولى ان يكون من على هذه القراءة موصولة ليكون بمعنى الذي لا بمعنى الجزاء والاول والله الموفق يجوز
ان يكون من للجزاء هنا ويكون في موضع نصب بكونه مفعولا اول ليؤت ولزم التقديم على الفعل مع كونه مفعولا لنيابته
عن حرف الشرط الذي له صدر الكلام ومثله من في قول زهير رأيت المنايا خبط عشواء من تصب تمته ومن تخطئ
يعمر فيهرم ومن قرأ ومن يؤت بفتح التاء فاسم ما لم يسم فاعله الضمير المستكن العائد الى من ويؤت مجزوم بمن و
الجزاء فقد اوتي خيرا المعنى ثم وصف سبحانه نفسه فقال يؤتي الحكمة اي يعطي الله الحكمة من يشاء وذكر في معنى
الحكمة وجوه قيل انه علم القرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وامثاله عن ابن عباس
وابن مسعود وقيل هو الاصابة في القول والفعل عن مجاهد وقيل انه علم الدين عن ابن زيد وقيل هو النبوة عن السدي
وقيل هو المعرفة بالله عن عطا وقيل هو الفهم عن ابراهيم وقيل هو خشية الله عن الربيع وقيل هو القرآن والفقه
عن ابي عبد الله ع وروي ايضا عن مجاهد وقيل هو العلم الذي تعظم منفعته وتجل فائدته وهذا جامع للاقوال وقيل
هو ما آتاه الله انبيائه واممهم من كتبه واياته ودلالاته التي يدلهم بها على معرفتهم به وبدينه وذلك تفضل
منه يؤتيه من يشاء عن ابي علي الجبائي وانما قيل للعلم حكمة لانه يمتنع به عن القبيح لما فيه من الدعاء الى الحسن والزجر عن القبيح
ويروى عن النبي ص انه قال ان الله آتاني القرآن وآتاني من الحكمة مثل القرآن وما من بيت ليس فيه شيء من الحكمة الا كان
خرابا الا فتفقهوا وتعلموا ولا تموتوا جهالا ومن يؤت الحكمة اي ومن يعطها ما ذكرناه فقد اوتي اي فقد اعطي خيرا كثيرا
وما يذكر الا اولوا الالباب اي وما يتعظ بآيات الله الا ذووا العقول فان قيل لم عقل الالباب بالتذكر وكل مكلف
ذو لب قيل لم يطلق على جميع المكلفين هذه الصفة لما فيها من المدحة فلذلك عقل التذكر بهم وهم الذين يستعملون
ما يوجبه عقولهم من طاعة الله في كل ما امر به ودعا اليه ومنه اللب العقل لانه انفس ما في الانسان كما ان لب الشيء
انفس ما فيها قوله تعالى وما انفقتم من نفقة او نذرتم من نذر فان الله يعلمه وما للظالمين من انصار • آية
اللغة النذر هو عقد المرء على النفس فعل شيء من البر بشرط ولا ينعقد ذلك الا بقوله لله علي كذا ولا يثبت بغير
هذا اللفظ واصل النذر الخوف لانه يعقد ذلك على نفسه خوف التقصير في الامر ومنه نذر الدم وهو العقد على

وقيل

سفك

سفكه للخوف من مضرة مناجزة قال عمرو بن معديكرب هم ينذرون دمي وانذر ان لقيت بان اشدا يقال نذرت
النذر انذره وانذره ومنه الانذار وهو الاعلام بموضع العدو والخوف ليتقى والانصار جمع نصير مثل شريف
واشراف والنصير هو المعين على العدو الاعراب ما بمعنى الذي وما بعدها في صلتها والعائد اليها محذوف وهو
المفعول به انفقتم تقديره وما انفقتموه وهو في موضع رفع بالابتداء وخبره فان الله يعلمه والعائد من المبتداء الى
الخبر الهاء في يعلمه ولا يجوز ان يعود الى النفقة لانها مؤنثة ولا الى النفقة والنذر لان ذلك يوجب التثنية والاولى
يجوز ان يكون ما للجزاء فيكون منصوبا بانفقتم فلا يحتاج فيه الى حذف المفعول فيكون التقدير اي شيء انفقتم او نذرتم
والفاء في موضع الجزاء ومن نفقة الجار والمجرور في محل النصب على الحال من انفقتم وذو الحال ما المعنى
ثم عاد سبحانه الى ذكر الانفاق والترغيب فيه فقال وما انفقتم من نفقة اي تصدقتم به من صدقة مما فرض الله
عليكم وقيل معناه ما انفقتم في وجوه الخير وسبيل البر من نفقة واجبة او مندوب اليها او نذرتم من نذر فوفيتم
او جبتموه انتم على انفسكم بالنذر فوفيتم به من فعل بر مثل صلوة او صوم او صدقة ونحو ذلك فان الله يعلمه
يجازيكم عليه لانه عالم به لما ذكر العلم على تحقيق الجزاء ايجازا للكلام وما للظالمين اي ليس للواضعين النفقة
والنذر في غير موضعهما مثل ان ينفق رياء او ضرارا او شقاقا او من مال مغصوب او ماخوذ من غير حله او ينذر في
معصية او يترك الوفاء به مع القدرة عليه من انصار من اعوان يدفعون عذاب الله عنهم قوله تعالى ان تبدوا
الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير •
آية القراءة قرأ ابن عامر واهل الكوفة فنعما بفتح النون وكسر العين وقرأ اهل المدينة غير ورش وابو عمرو
بكسر النون وسكون العين وقرأ الباقون نعما بكسر النون والعين كذلك في النساء نعما يعظكم به وقرأ اهل المدينة
والكوفة غير عاصم ونكفر بالنون والجزم وقرأ ابن عامر وحفص بالياء والرفع والباقون بالنون والرفع الحجة
من قرأ فنعما فحجته ان اصل الكلمة نعم فجاء بالكلمة على اصلها كما قال نعم الساعون في الامر المبر ومن قرأ فنعما بسكون
العين لم يكن قوله مستقيما عند النحويين لان فيه جمعا بين الساكنين الاول منهما ليس بحرف مد ولين والتقاء الساكنين
عندهم هناك نحو دابة واصيم وتامر وفي لان ما في الحرف من المد يصير عوضا من الحركة وقد انشد سيبويه شعرا قد اجتمع
الساكنان على حد ما اجتمعا في نعما وهو كانه بعد كلال الزاجر ومسحي مر عقاب كاسر وانكر ابجا ولعل من قرأ به
اخفى ذلك كاخذه بالاخفاء نحو بارئكم فظن السامع الاخفاء اسكانا للطف ذلك في السمع وخفائه ومن قرأ فنعما فانه
اتبع العين النون فرارا من الجمع بين ساكنين واختار ابو عبيدة قراءة ابي عمرو وقال هو لغة النبي ص لعمرو بن عاص نعما المال
الصالح للرجل الصالح هكذا روي في الحديث بسكون العين وقوله ويكفر من رفعه فعلى وجهين احدهما ان يكون خبر
مبتدأ محذوف تقديره ونحن نكفر عنكم والآخر ان يكون كلاما مستانفا مقطوعا عما قبله ولا يكون حرف العاطف للاشتراك
ويكون لعطف جملة على جملة واما من جزم فانه حمله على موضع فهو خير لكم ومثله قراءة من قرأ من يضلل الله فلا هادي له
ويذرهم لان قوله فلا هادي له في موضع جزم مثل قوله فهو خير لكم واما الياء والنون في قوله ويكفر فمن قال ويكفر فلانه
ما تبع على لفظ الافراد ومن قال ونكفر فانه اتى بلفظ الجمع ثم اورد كما اتى بلفظ الافراد ثم جمع في قوله سبحان الذي اسرى
بعبده ليلا ثم قال باركنا حوله لنريه من آياتنا اللغة الفرق بين الصدقة والزكوة ان الزكوة لا يكون الا فرضا والصدقة
قد يكون نفلا والاخفاء الستر والخفاء الاظهار خفاه يخفيه خفيا اي اظهره قال امرؤ القيس فان تدفنوا الداء لا نخفه
وان تبعثوا الحرب لا نقعد والخوافي الريش ما دون القوادم لانها تخفيها والخفية عرين الاسد لانه يختفي فيها واصل الباب
الستر والابداء والاظهار والاعلان نظائر والاخفاء والاسرار والاغماض نظائر الاعراب قوله فنعما هي تقديره ان تبدوا
الصدقات فنعم شيئا ابداؤها فما هاهنا نكرة وهي في موضع نصب لانه تفسير للفاعل المضمر قبل الذكر في نعم والابداء

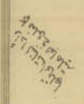
١٤٢

هو المخصوص بالمدح فحذف المضاف الذي هو الابداء واقيم المضاف اليه الذي هو ضمير الصدقات مقامه لما في الكلام من
الدلالة عليه ولان الفعل المتقدم يدل على مصدره ولان قوله وان تخفوها فهو خير لكم اي الاخفاء خير لكم فكما ان هو
هنا ضمير الاخفاء كذلك يجب ان يكون ضمير الابداء مرادا هناك. المعنى ثم ذكر سبحانه صفة الانفاق ورغب فيه فقال ان
تبدوا الصدقات معناه ان تظهروا الصدقات وتعلنوها فنعما هي اي فنعم الشيء ونعم الامر اظهارها واعلانها
اي ليس في اعلانها كراهة وان تخفوها اي تسروها وتؤتوها الفقراء اي تعطوها الفقراء وتؤدوها اليهم في السر
فهو خير لكم اي فالاخفاء خير لكم وابلغ في الثواب واختلفوا في الصدقة التي اخفاؤها افضل من ابدائها فقيل ان صدقة
التطوع اخفاؤها افضل لانه يكون ابعد من الرياء واما المفروض فلا يدخله الرياء ويلحقه تهمة المنع باخفائها واظهارها افضل
عن ابن عباس والثوري وكذا رواه علي بن ابراهيم باسناده عن الصادق ع قال الزكاة المفروضة تخرج علانية وتدفع
علانية وغير الزكاة ان دفعته سرا فهو افضل وقيل الاخفاء في كل صدقة من زكاة وغيرها افضل عن الحسن وقتادة
وهو الاشبه بعموم الاية ويكفر عنكم من سيئاتكم معناه ويمحو عنكم خطيئاتكم ويغفرها لكم ومن قرأ بالرفع فمعناه نحن
نكفر عنكم او يكفر الله عنكم من سيئاتكم ودخلت من للتبعيض واحتج بذلك من قال المراد بالسيئات الصغائر فاما من قال ههنا
فاسقاط العقاب تفضل من الله فله ان يتفضل باسقاط بعضه دون بعض [illegible] يسقط جميع العقاب قال
بعضهم ان من زائدة وقد يقال كل من طعامي وخذ من مالي ما شئت فيكون للتعميم والاول اولى وجاء في الحديث
في [illegible] السر قوله صلعم صدقة السر تطفئ غضب الرب وتطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار وتدفع سبعين بابا
من البلاء وقوله ص سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله الامام العادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل
تعلق قلبه بالمساجد حتى يعود اليه ورجلان تحابا في الله واجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال
فقال اني اخاف الله عز وجل ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لم يعلم يمينه ما ينفق شماله ورجل ذكر الله
تعالى خاليا ففاضت عيناه والله بما تعملون خبير معناه انه تعالى عالم بما تعملون في صدقاتكم من اخفائها واعلانها
لا يخفى عليه شيء من ذلك فيجازيكم على جميعه قوله تعالى ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وما تنفقوا من خير
فلانفسكم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم وانتم لا تظلمون • اية الاعراب
ما تنفقوا من خير فلانفسكم شرط وجزاء وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله قيل لفظه نفي ومعناه النهي اي لا تنفقوا
كقوله لا يمسه الا المطهرون وقيل هي جملة منفية [illegible] معطوفة على ما قبلها وهو جار على ظاهره وابتغاء نصب لانه مفعول له
وما تنفقوا من خير يوف اليكم شرط كالاول ولذلك حذف النون في الموضعين النزول كان المسلمون يتصدقون
على غير اهل دينهم فانزل الله تع هذه الاية عن ابن عباس وابن الحنفية وسعيد بن جبير وقيل كانت اسماء بنت ابي بكر
مع رسول الله صلعم في عمرة القضاء فجاءتها امها قتيلة وجدتها تسألانها وهما مشركتان فقالت لا اعطيكما شيئا
حتى استأمر رسول الله ص فانكما لستما على ديني فاستأمرته في ذلك فانزل الله هذه الاية عن الكلبي المعنى
ليس عليك هداهم قيل فيه وجوه احدها ان معناه ليس عليك ان تمنع الصدقة عنهم
لتحملهم به على الايمان وهو نظير قوله افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين عن ابن عباس وسعيد بن جبير وعلى هذا
يكون معناه الاباحة للتصدق عليهم بصدقة التطوع وثانيها ان معناه ليس عليك هداهم بحملهم على التفقه
في وجوه البر وسبل الخير عن الحسن وابي علي الجبائي وتقديره ليس عليك هداهم لكي ينالوا الثواب والجنة وانما
عليك ان تدعوهم الى الايمان بان تدلهم عليه وهذا تسلية للنبي صلعم لانه كان يغتم بترك قومه منه وامتناعهم
عن الايمان لعلمه بما يؤول اليه امرهم من العقاب الدائم فسلاه الله تعالى بهذا القول وثالثها ان المراد ليس عليك
ان تهدي الناس بعد ان دعوتهم وانذرتهم وبلغتهم ما امرت بتبليغه ونظيره ان عليك الا البلاغ وليس المعنى

ليس عليك

ليس عليك ان تهديهم الى الايمان والطاعة لانه عليه السلام بعث لذلك ولكن الله يهدي من يشاء انما علق الهداية بالمشية
لمن كان المعلوم منه انه يصلح باللطف اي يلطف الله بزيادة الهدى والتوفيق لمن يشاء عن الزجاج وابي القاسم البلخي
واكثر اهل العلم وقيل معناه يهدي الى طريق الجنة عن الجبائي وما تنفقوا من خير فلانفسكم اي ما تنفقوا في وجوه البر
من مال فلانفسكم ثوابه والغرض فيه الترغيب في الانفاق لان الانسان اذا علم ان منفعة انفاقه عائدة اليه مختصة
كان انشط بالانفاق وارغب فيه واحرص عليه وبذلك يفارق عطية الله تعالى لان المنفعة في عطائه سبحانه عائدة الى المعطى
ومختصة به دون الله تعالى ومعظم المنفعة في عطية العبد يرجع اليه ويختص به دون المعطى وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله
اي طلب رضوان الله وهذا اخبار من الله تعالى عن صفة انفاق المؤمنين المخلصين المستجيبين لله ولرسوله انهم لا ينفقون
ما ينفقونه الا طلبا لرضاء الله سبحانه وقيل ان معناه النهي وان كان ظاهره الخبر اي لا تنفقوا الا ابتغاء رضوان الله
وفي ذكر الوجه هنا قولان احدهما ان المراد به تحقيق الاضافة لان ذكر الوجه يرفع الابهام انه له او لغيره وذلك انك لما
ذكرت الوجه ومعناه النفس دل على انك تصرف الوهم عن الاشتراك الى تحقيق الاختصاص وكنت بذلك محققا
بالاضافة ومزيلا للابهام للشركة والثاني انك اذا قلت فعلته لوجه زيد كان اشرف في الذكر من فعلته له لان وجه
الشيء في الاصل اشرف ما فيه ثم كثر حتى صار يدل على شرف الذكر من غير تحقيق وجه الا ترى انك تقول وجه
الرأي ووجه الامر ووجه الدليل فلا تريد تحقيق الوجه وانما تريد اشرف ما فيه من جهة شدة ظهوره وحسن بيانه
وما تنفقوا من خير يوف اليكم اي يوفر عليكم جزاؤه وثوابه والتوفية اكمال الشيء وانما حسن اليكم مع التوفية لانها
تضمنت معنى التأدية وقيل معناه تعطون جزاءه وافرا وافيا في الاخرة عن ابن عباس وانتم لا تظلمون بمنع ثوابه
ولا بنقصان جزائه كقوله آتت اكلها ولم تظلم منه شيئا اي لم تنقص قوله تعالى للفقراء الذين احصروا
في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسئلون
الناس الحافا وما تنفقوا من خير فان الله به عليم • اية القراءة قرأ حمزة وعاصم وابو جعفر وابن عامر يحسبهم بفتح
السين في كل القرآن والباقون بكسرها اللغة قال ابو زيد حسبت الشيء احسبه واحسبه حسبانا وحسبت
الشيء احسبه حسابا وحسابة وحسبانا واحسبت الرجل احسابا اذا اطعمته وسقيته حتى يشبع ويروى وتعطيه حتى
يرضى والاحصار المنع عن التصرف لمرض او حاجة او مخافة والحصر هو منع الغير وليس كالاول لانه منع النفس وقد
تقدم تفسيره عند قوله فان احصرتم والضرب المشي في الارض والسيماء العلامة التي يعرف بها الشيء واصله
الارتفاع لانه علامة رفعت للظهور ومنه السوم في البيع وهو الزيادة في مقدار الثمن للارتفاع فيه عن الحد ومنه سومه
الخسف للرفع فيه بتحميل ما يشق ومنه سوم الماشية ارسالها في المرعى والتعفف ترك السؤال يقال
عف عن الشيء وتعفف عنه اذا تركه ومنه قول رؤبة فعف عن اسرارها بعد العسق اي تركها والالحاف الالحاح
في المسألة قال الزجاج معنى الحف شمل بالمسألة وهو مستغن عنه واللحاف من هذا اشتقاقه لانه يشتمل بالانسان
في التغطية الاعراب العامل في قوله للفقراء محذوف وفي تقديره النفقة للفقراء وقد تقدم ما يدل عليه
وقال بعضهم هو مردود على اللام الاولى من قوله وما تنفقوا من خير فلانفسكم قال علي بن عيسى وهذا لا يجوز لان
بدل الشيء من غيره لا يكون الا والمعنى يشتمل عليه وليس كذلك ذكر النفس ههنا لان الانفاق لها من حيث هو عائد عليها
وللفقراء من حيث هو واصل اليهم وليس من باب ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا لان الامر لازم
للمستطيع خاصة ولا يجوز ان يكون العامل فيه تنفقوا لانه يفصل بين العامل والمعمول فيه بالاجنبي كما لا يجوز كان زيد
الحمى تأخذ لا يستطيعون ضربا جملة في موضع الحال من احصروا او صفة [illegible] مفعول يستطيع يحسبهم الجاهل في موضع الحال
ايضا وذو الحال الفقراء او الحافا مصدر وضع موضع الحال من يسألون اي لا يسألون ملحفين ويجوز ان يكون

مصدراً لا الحاف سؤال على صفة التزول قال ابو جعفر نزلت الآية في اصحاب الصفة وكذلك رواه
الكلبي عن ابن عباس وهم نحو من اربعمائة رجل لم يكن لهم مساكن بالمدينة ولا عشائر يأوون اليهم فجعلوا انفسهم
في المسجد وقالوا نخرج في كل سرية يبعثها رسول الله صلى الله عليه وآله فحث الله الناس عليهم فكان الرجل اذا اكل وعنده فضل اتاهم به اذا امسى
المعنى لما امر سبحانه بالنفقة ورغب فيها بابلغ وجوه الترغيب وبين ما يكمل ثوابها عقب ذلك ببيان افضل الفقراء
الذين هم مصرف الصدقات فقال للفقراء الذين احصروا في سبيل الله معناه النفقة المذكورة في هذه الآية وما
قبلها للفقراء الذين حبسوا ومنعوا في طاعة الله تعالى اي منعوا انفسهم من التصرف في التجارة للمعاش اما لخوف
العدو من الكفار واما للمرض واما للفقر واما للاقبال على العبادة وقوله في سبيل الله يدل على انهم حبسوا انفسهم
عن التقلب لاشتغالهم بالعبادة والطاعة لا يستطيعون ضرباً في الارض اي ذهاباً او تصرفاً في الارض لبعض ما ذكرناه من المعاني
وقيل منعهم انفسهم من التصرف في التجارة اي الزموا انفسهم الجهاد في سبيل الله فلا يتفق منهم التصرف لغيره وليس معناه انهم
لا يقدرون عليه كما يقال امرني الامير بالمقام في هذا الموضع فلا استطيع ان ابرح منه اي لا ابرح منه لا لاني لا اقدر عليه طاعة له
يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف اي الامتناع من السؤال والتجمل في اللباس والستر لما هم من الفقر وسوء الحال
طلباً لرضوان الله وطمعاً في جزيل ثوابه تعرفهم بسيماهم اي تعرف حالهم بالنظر الى وجوههم لما ترى من علامة الفقر
عن السدي والربيع وقيل لما ترى من التخشع والخضوع الذي هو شعار الصالحين عن مجاهد لا يسألون الناس الحافاً
قيل معناه انهم لا يسألون الناس اصلاً وليس معناه انهم يسألون من غير الحاف عن ابن عباس وهو قول الفراء والزجاج
واكثر ارباب المعاني وفي الآية ما يدل عليه وهو قوله يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف في المسألة ولو كانوا
يسألون لم يكن يحسبهم الجاهل اغنياء لان السؤال في الظاهر يدل على الفقر وقوله تعرفهم بسيماهم ولو سألوا
لعرفوا بالسؤال وانما هو كقولك ما رأيت مثله وانت لم ترد ان له مثلاً ما رأيته وانما تريد انه ليس له مثل فرأيته
فمعناه لم يكن سؤال فيكون الحاح كقول الاعشى لا يغمز الساق من اين ومن وصب ولا يعض على شرسوفه الصفر ومعناه
ليس بساقه اين ولا وصب فيغمزها ليس ان هناك اينا ولا غمز وفي الحديث ان الله يحب ان يرى اثر نعمته على عبده
ويكره البؤس والتباؤس ويحب الحليم المتعفف من عباده ويبغض الفاحش البذي السائل الملحف وعنه عليه السلام
قال ان الله كره لكم ثلاثاً قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال ونهى عن عقوق الامهات ووأد البنات وعن منع وهات
وقال الايدي ثلاثة يد الله العليا ويد المعطي التي تليها ويد السائل السفلى الى يوم القيامة ومن سأل وله ما يغنيه
جاءت يوم القيامة مسألته كدوحاً او خموشاً او خدوشاً في وجهه قيل وما غناه قال خمسون درهماً او عدلها
من الذهب وما تنفقوا من خير من مال وقيل معناه في وجوه الخير فان الله به عليم اي يجازيكم عليه قوله تعالى
الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون آية
الاعراب سراً وعلانية حالان من ينفقون وتقديره مسرين ومعلنين فهما اسمان وضعا موضع المصدر بالليل
ظرف مكان والعامل فيهما يتعلق باللام من لهم النزول قال ابن عباس نزلت الآية في علي بن ابي طالب ع كانت
معه اربعة دراهم فتصدق بواحد نهاراً وبواحد ليلاً وبواحد سراً وبواحد علانية وهو المروي عن ابي جعفر
وابي عبد الله ع وقد روي عن ابي ذر والاوزاعي انها نزلت في النفقة على الخيل في سبيل الله وقيل هي في كل من انفق
ماله في طاعة الله على هذه الصفة وعلى هذا فانا نقول الآية نزلت في علي ع وحكمها سائر في كل من فعل مثل فعله
وله فضل السبق على ذلك المعنى ثم بين سبحانه كيفية الانفاق وثوابه فقال الذين ينفقون اموالهم بالليل
والنهار سراً وعلانية في هذه الحالات اي ينفقون على الدوام لان هذه الاوقات متعينة للصدقات
ولا وقت لها سواها فلهم اجرهم عند ربهم اي بالقضاء ليدل على ان الجزاء والاجر انما هو من اجل الانفاق



فطاعة

في طاعة الله ولا يجوز ان يقال زيد فله درهم لانه ليس فيه معنى الجزاء ولا خوف عليهم من اهوال يوم القيامة وانواعها
ولا هم يحزنون فيها وقيل لا خوف عليهم من فوت الاجر ونقصانه ولا هم يحزنون على ذلك قوله تعالى الذين
يأكلون الربوا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا
واحل الله البيع وحرم الربوا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وامره الى الله ومن عاد فاولئك اصحاب النار
هم فيها خالدون • اللغة اصل الربوا الزيادة من قولهم ربا الشيء يربوا اذا زاد والربا هو الزيادة على رأس المال
واربى الرجل اذا عامل في الربوا ومنه الحديث من اجبى فقد اربى واصل التخبط الخبط وهو الضرب على غير استواء
خبطته اخبطه خبطاً والخبط ضرب البعير الارض بيديه والتخبط ايضاً بمعناه يقال تخبط البعير الارض اذا ضربها بقوائمه
ويقال للذي يتصرف في امر ولا يهتدي فيه هو يخبط خبط عشواء قال زهير رأيت المنايا خبط عشواء من تصب تمته ومن
تخطئ يعمر فيهرم والتخبط المس بالجنون او التخبل لانه كالضرب على غير استواء في الادهاش والخباطة كالجنون
كانه اضطراب في العقل يقال به خبطة من جنون ويقال بفلان مس وألس واولق اي جنون والسلوف التقدم
يقال سلف يسلف سلوفاً ومنه الامم السالفة اي الماضية والسالفة العنق والاسلاف الاعطاء ويقال الانجاز
يقال اسلفته مالاً اسلافاً وسلاف الخمر صفوها لانه اول ما يخرج من عصيرها والعود الرجوع وعيادة المريض
المصير اليه يعرف جزعه والعود من العيدان لانه يعود اذا قطع ومنه العود الذي يتبخر به والمعاد كالعاقبة
المصير والآخرة معاد الناس والعادة تكرار الشيء مرة بعد مرة والعيد كل يوم مجمع عظيم لانه يعود في السنة او في
الاسبوع والعائدة الصلة لانها تعود بالنفع على صاحبها الاعراب كما يقوم الكاف في محل النصب على المصدر
والموصول حرف تقديره لا يقومون الا مثل قيام الذي يتخبطه الشيطان ومن المس يتعلق بيتخبط ومن التبيين
المعنى لما حث الله تعالى على الانفاق وبين ما يحصل للمنفق من الاجر العاجل والآجل عقبه بذكر الربوا الذي
ظنه الجاهل زيادة في المال وهو في الحقيقة محق في المال فقال الذين يأكلون الربوا في الدنيا لا يقومون
يوم القيامة الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس معناه الا مثل ما يقوم الذي يصرعه الشيطان من الجنون
ويكون ذلك امارة لاهل الموقف على انهم اكلة الربوا عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وقتادة ومجاهد وقيل انه هذا
على وجه التشبيه لان الشيطان لا يصرع الانسان على الحقيقة ولكن من غلب عليه المرة السوداء وضعف ربما يخيل
الشيطان اليه اموراً هائلة ويوسوس اليه فيقع الصرع عند ذلك من فعل الله تعالى ونسب ذلك الى الشيطان مجازاً
لما كان ذلك عند وسوسته عن ابي علي الجبائي وقيل يجوز ان يكون الصرع من فعل الشيطان في بعض الناس دون
بعض عن ابي الهذيل وابن الاخشيد قالا لان الظاهر من القرآن يشهد به وليس في العقل ما يمنع منه ولا يمنع الله
الشيطان عنه امتحاناً لبعض الناس وعقوبة لبعضهم على ذنب الم به ولم يتب منه كما يسلط بعض الناس على بعض
فيظلم ويأخذ ماله ولا يمنعه الله تعالى منه ويكون هذا علامة لاكلة الربوا يعرفون بها يوم القيامة كما ان على كل عاص
من معصيته علامة تليق به فيعرف بها صاحبها وعلى كل مطيع من طاعته امارة تليق به يعرف بها صاحبها
وذلك معنى قوله سبحانه فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان وقال النبي صلى الله عليه وآله في شهداء احد زملوهم
بدمائهم وثيابهم وقال يبعث امتي يوم القيامة غراً محجلين من آثار الوضوء وروي عنه انه قال لما اسري
بي الى السماء رأيت رجالاً بطونهم كالبيوت فيها الحيات ترى من خارج فقلت من هؤلاء يا جبرئيل فقال
هؤلاء اكلة الربوا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس واذا هم بسبيل آل فرعون يعرضون
على النار غدواً وعشياً يقولون ربنا متى تقوم الساعة والوعيد في الآية متوجه الى كل من اربى وان لم
يأكله ولكنه سبحانه نبه بذكر الاكل على سائر وجوه الانتفاع بالربوا وانما خص الاكل لانه معظم

المقاصد من المال ونظيره قوله تعالى ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل وقوله ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما
الاية والمراد بالاكل سائر وجوه الانتفاع دون حقيقة الاكل ذلك الذى ذكر من العقاب لهم بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا
معناه بسبب قولهم انما البيع الذى لا ربوا فيه مثل البيع الذى فيه الربوا قال ابن عباس كان الرجل منهم اذا حل دينه على
غريمه فطالبه به قال المطلوب منه له زدنى فى الاجل وازيدك فى المال فيتراضيان عليه ويعملان به فاذا قيل لهم هذا
ربوا قالوا هما سواء يعنون بذلك ان الزيادة فى الثمن حال البيع والزيادة فيه بسبب الاجل عند محل الدين سواء فذمهم
الله به والحق الوعيد بهم وخطأهم فى ذلك بقوله واحل الله البيع وحرم الربوا اى احل الله البيع الذى لا ربوا فيه وحرم
البيع الذى فيه الربوا والفرق بينهما ان الزيادة فى احدهما لتأخير الدين وفى الاخر لاجل البيع وايضا فان البيع بدل البدل
لان الثمن فيه بدل المثمن والربوا زيادة من غير بدل للتأخير فى الاجل او زيادة فى الجنس والمنصوص عن النبى ص تحريم التفاضل
فى ستة اشياء الذهب والفضة والحنطة والشعير والتمر والملح وقيل الزبيب وقال ص الحرمة الا مثلا بمثل يدا بيد
من زاد واستزاد فقد اربى الاختلاف فى حصول الربوا فى هذه الاشياء الستة وفى غيرها خلاف بين الفقهاء
وهو مقيس عليها عندنا وعندهم ان الربا لا يكون الا فيما يكال او يوزن واما علة تحريم الربوا فقد قيل هى ان فيه تعطيل
المعاش والاجلاب والمتاجر اذا وجد المربى من يعطيه دراهم وفضلا بدراهم وقال الصادق ع انما شدد فى تحريم
الربوا لئلا يمتنع الناس من اصطناع المعروف قرضا او رفدا فمن جاءه موعظة من ربه معناه فمن جاءه زجر ونهى
وتذكير من ربه فانتهى اى فانزجر وتذكر واعتبر فله ما سلف معناه فله ما اخذ واكل من الربا قبل النهى لا يلزمه رده
وقال الباقر من ادرك الاسلام وتاب مما كان عمله فى الجاهلية وضع الله عنه ما سلف وقال السدى معناه له ما
اكل وليس عليه رد ما سلف فاما من لم يقبض فلا يجوز له اخذه وله رأس المال وقوله جاءه موعظة وقال فى موضع
اخر قد جاءتكم موعظة لان تأنيثه غير حقيقى فان الموعظة والوعظ بمعنى واحد وامره الى الله معناه وامره بعد
مجئ الموعظة والتحريم والانتهاء الى الله تعالى ان شاء عصمه عن اكله وثبته فى انتهائه عنه وان شاء خذله وقيل
معناه امره فى حكم الاخرة الى الله تعالى ان لم يتب وهو غير مستحل له ان شاء عذبه بعدله وان شاء عفى عنه بفضله
وقيل معناه امره الى الله فلا يؤاخذه بما سلف من الربا ومن عاد الى اكل الربا بعد التحريم وقال ما كان يقوله قبل مجئ
الموعظة من ان البيع مثل الربا فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لان ذلك القول لا يصدر الا من كافر
مستحل للربوا فلهذا توعد بعذاب الابد ولا خلاف بين الفقهاء ان الربا محرم فى النسيئة وقال بعض من تقدم
لا ربوا الا فى النسيئة واما اهل الجاهلية فانهم كانوا يربون بتأخير الدين عن محله الى محل اخر بزيادة فيه ولا خلاف فى
تحريمه ومما جاء فى الحديث فى الربا ما روى عن على ع لعن رسول الله ص فى الربا خمسة اكله وموكله وشاهديه وكاتبه
وعنه ع قال اذا اراد الله بقرية هلاكا ظهر فيهم الربا وعنه ع قال الربا سبعون بابا اهونها عند الله كالذى ينكح امه
وروى جميل بن دراج عن ابى عبد الله ع قال درهم ربا اعظم عند الله من سبعين زنية كلها بذات محرم فى بيت الله
الحرام قوله تعالى يمحق الله الربوا ويربى الصدقات والله لا يحب كل كفار اثيم. اية اللغة المحق نقصان الشئ
حالا بعد حال يقال محقه الله يمحقه محقا فانمحق وامتحق اى هلك وتلف بذهابه حالا بعد حال والمحاق اخر الشهر
لانمحاق الهلال فيه والاثيم المتمادى فى الاثم والاثم الفاعل للاثم المعنى ثم اكد سبحانه ما تقدم بقوله يمحق الله
الله اى ينقص الله الربا حالا بعد حال الى ان يتلف المال كله وقال ابن عباس معناه يهلكه ويذهب بركته وقيل
للصادق ع وقد نرى الرجل يربى فيكثر ماله فقال يمحق الله دينه وان كثر ماله وقال ابو القاسم البلخى يمحقه الله فى
الدنيا بسقوط عدالته والحكم بفسقه وتسميته بالفسق ويربى الصدقات اى وينمى الصدقات ويزيدها
بان يثمر المال فى نفسه فى العاجل وبالاجر عليه والثواب فى الاجل وذلك بحسب الانتفاع بها وحسن النية

والمربى

فيها وقد روى عن النبى ص انه قال ان الله يقبل الصدقات ولا يقبل منها الا الطيب ويربيها لصاحبها كما يربى
احدكم مهره او فصيله حتى ان اللقمة لتصير مثل احد والنكتة فى الاية ان المربى انما يطلب فى الربا زيادة المال ومانع
الصدقة انما يمنعها لطلب زيادة المال فبين الله سبحانه ان الربا سبب النقصان دون النماء وان الصدقة سبب النماء
دون النقصان والله لا يحب كل كفار اثيم الكفار فعال من الكفر وهو المقيم على الكفر المتمادى المعتاد له ومعناه انه
يبغض كل كفار لنعمه باستحلال الربا منهمك فى غوايته متماد فى اثمه باكله وانما قيل كل كفار لانه اذا استحل الربوا
صار كافرا واذا كثر اكله للربوا مع الاستحلال فقد ضم كفرا الى كفر واذا استحل الربا ولم يعقد عقد الربا لم يلحقه من الذم
ما يلحق من جمع بين الامرين فالجامع بين الامرين يستدعى من غضب الله ما لا يستدعيه احد الامرين وروى عن النبى ص انه قال
يأتى على الناس زمان لا يبقى احد الا اكل الربوا فمن لم يأكله اصابه من غباره قوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
واقاموا الصلوة واتوا الزكوة لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون. اية المعنى هذه الاية
ظاهرة المراد وقد تقدم تفسيرها فيما مضى وانما جمع بين هذه الخصال لا لان الثواب لا يستحق على كل واحد منها
اذ لو كان كذلك لكان فيه تصغير امر كل واحد منها ولكن جمع بينها للترغيب فى الاعمال الصالحة والتفخيم
لامرها والتعظيم لشأنها او لبيان ان الجمع بين هذه الخصال اعظم اجرا من الافراد بواحدة منها ونظيره قوله
سبحانه والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس الاية فجمع بين هذه الخصال فى الوعيد ليبين ان الكل
يستحق بكل واحدة منها وللتحذير عن كل خصلة منها لان من المعلوم ان من دعا مع الله الها اخر لا يحتاج الى شرط
اخر فى استحقاق الوعيد اذ لو كان الوعيد انما يستحق بمجموع تلك الخصال لكان فيه تسهيل لكل واحدة منها
وقد ذكرنا ان امثال هذه الاية تدل على ان الايمان ليس من افعال الجوارح ولا اشتمال عليها اذ لو كان كذلك لما كان
لعطفها عليه معنى لان الشئ لا يعطف على نفسه فان قالوا ان ذلك يجرى مجرى قوله الذين كفروا وصدوا
عن سبيل الله والذين كفروا وكذبوا باياتنا فالقول ان الخلاف هناك لان التكذيب عندنا ليس بكفر بنفسه
وانما هو دلالة على الكفر وكذلك الصد عن سبيل الله واستدل بهذه الاية وامثالها على بطلان التحابط لانه
سبحانه ضمن الثواب بنفس هذه الخصال ولم يشترط ان لا يؤتى بما يحبطها فان قالوا لابد من هذا الشرط كما فى
الوعيد على الكفر لابد من ان يكون مشروطا بارتفاع التوبة والجواب ان التوبة انما صارت شرطا هناك لمكان
اجماع المسلمين لا لان التوبة مسقطة للعقاب وانما وعد الله سبحانه باسقاط العقاب عندها تفضلا منه سبحانه
ولا اجماع على ما ادعوه من الشرط فى ايات الوعد فبان الفرق بين الامرين قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا
الله وذروا ما بقى من الربوا ان كنتم مؤمنين. فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤس
اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون. ايتان القراءة قرأ عاصم برواية ابى بكر غير ابى غالب والبرجمى وحمزة
فآذنوا بمد الالف وكسر الذال والباقون فأذنوا وقرئ فى الشواذ لا تظلمون ولا تظلمون الحجة قال سيبويه
اعلمت اذنت واذنت والتأذين النداء والتصويت بالاعلام قال وبعض العرب يجرى اذنت مجرى اذنت
معناه التصويت والنداء قال ابو عبيدة اذنته بحرب فاذنت به اذنا اى علمت من قرأ فاذنوا بحرب من الله
فقصته والمعنى اعلموا بحرب من الله والمعنى انكم فى امتناعكم من وضع ذلك حرب الله ورسوله ومن قرأ فآذنوا فقال
فاعلموا من لم ينته عن ذلك بحرب فالمفعول محذوف على قوله واذا امروا باعلام غيرهم علموا هم ايضا لا محالة ففى
امرهم بالاعلام ما يعلمون هم ايضا انهم حرب ان لم يمتنعوا عما نهوا عنه وليس فى علمهم دلالة على اعلام غيرهم فهم
فى الابلاغ اكد الاعراب ان كنتم مؤمنين جواب الشرط محذوف وقد تقدم ان كنتم مؤمنين فذروا ما بقى من الربوا و
موضع لا تظلمون نصب على الحال من كم والتقدير فلكم رؤس اموالكم غير ظالمين ولا مظلومين النزول

١٣٥

روي عن ابي جعفر الباقر ع ان الوليد بن المغيرة كان يربي في الجاهلية وقد بقي له بقايا على ثقيف فاراد خالد بن الوليد
المطالبة بها بعد ان اسلم فنزلت الآية وقال السدي وعكرمة نزلت في بقية من الربوا كانت للعباس وخالد وكانا
شريكين في الجاهلية يسلفان في الربوا الى بني عمرو بن عمير ناس من ثقيف فجاء الاسلام ولهما اموال عظيمة في الربا فانزل الله
هذه الآية فقال النبي صلى الله عليه وآله الا ان كل ربوا من ربوا الجاهلية موضوع واول ربوا اضعه ربوا العباس بن عبد
المطلب وكل دم من دم الجاهلية موضوع واول دم اضعه دم ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب كان مرضعا في بني ليث فقتله
هذيل وقال مقاتل نزلت في اربعة اخوة من ثقيف مسعود وعبد ياليل وحبيب وربيعة وهم بنو عمرو بن عمير بن عوف
الثقفي وكانوا يداينون بني المغيرة وكانوا يربون فلما ظهر النبي ص على الطائف وصالح ثقيفا اسلم هؤلاء الاخوة
الاربعة فطلبوا رباهم من بني المغيرة واختصموا الى عتاب بن اسيد عامل رسول الله ص على مكة فكتب عتاب الى النبي
بالقصة فانزل الله الآية المعنى ثم بين سبحانه حكم ما بقي من الربا فقال يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله في امر الربوا وفي جميع
ما نهاكم عنه وذروا ما بقي من الربوا اي اتركوا ما بقي من الربا فلا تأخذوه واقتصروا على رؤس اموالكم وقوله ان كنتم
مؤمنين معناه من كان مؤمنا فهذا حكمه فاما من ليس بمؤمن فانه يكون حربا وقيل معناه ان كنتم مؤمنين بتحريم الربا
مصدقين به وبما فيه من المفسدة التي يعلمها الله تعالى فان لم تفعلوا اي فان لم تقبلوا امر الله سبحانه ولم تنقادوا
ولم تتركوا بقية الربوا بعد نزول الآية بتركه فأذنوا بحرب من الله ورسوله اي فايقنوا واعلموا بقتال من الله ورسوله
والمعنى ايقنوا انكم تستحقون القتل في الدنيا والنار في الآخرة لمخالفة امر الله ورسوله ومن قرأ فآذنوا فمعناه فاعلموا
من لم ينته عن ذلك بحرب ومعنى الحرب عداوة الله وعداوة رسوله وهذا اخبار بعظم المعصية وروي عن ابن عباس
وقتادة والربيع ان من عامل بالربا استتابه الامام فان تاب والا قتله قال الصادق ع آكل الربوا بعد البينة يؤدب
وان عاد ادب وان عاد قتل وان تبتم من استحلال الربوا واقررتم بتحريمه فلكم رؤس اموالكم دون الزيادة لا تظلمون
باخذ الربا على رأس المال ولا تظلمون بالنقصان من رأس المال قوله تعالى وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وان
تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون ۝ آية القراءة قرأ ابو جعفر عسرة بضم السين والباقون عسرة باسكانها وهما لغتان
وقرأ نافع ميسرة بضم السين والباقون بفتحها وهما لغتان وقرأ نبيح عن يعقوب ميسره بضم السين مضافا الى الهاء
وسقط التاء عند الاضافة كقوله تعالى واقام الصلوة وروي ذلك عن مجاهد وقرأ عاصم تصدقوا بتخفيف الصاد
والباقون بتشديدها وقد تقدم الكلام في مثله فان الاصل في القراءتين تتصدقوا فالمخفف فحذف احديهما تخفيفا واحد
التائين وفي الاخرى بالادغام اللغة النظرة التأخير وهو اسم قام مقام الانظار وهو مثل الآخرة يقال بعته
باخرة وبنظرة اي بنسيئة ورأيت فلانا باخرة النهار اي في آخره والميسرة والميسور بمعنى اليسار والغنى والسعة
ومما روي من قراءة من قرأ الى ميسره فلم يجز البصريون لان مفعلا لا يجيء في الآحاد الا بالتاء وقد جاء في الجمع
وقال جميل بثين الزمي لا ان لا ان لزمته على كثرة الواشين اي معون وروى ابلغ النعمان عني مألكا انه قد طال حبسي
وانتظاري فالاول جمع معونة والثاني جمع مألكة وهي الرسالة ومثل هذا الذي نقل لا يعتد به سيبويه فيما اطلق
القول وقال ليس في الكلام مفعل وان كان قد جاء عليه حرفان الاعراب كان هذه تامة وهي التي يتم بها الكلام
ويكتفي به وتقديره وان وقع ذو عسرة وقيل هي ناقصة محذوفة الخبر وتقديره وان كان ذو عسرة غريما لكم وكان يجوز
لو قرئ وان كان ذا عسرة اي وان كان الذي عليه الدين ذا عسرة وروي ذلك في الشواذ عن ابي فنظرة مرفوعة
لانها خبر مبتدأ محذوف والهاء في الجزاء وتقديره فالذي تعاملونه به نظرة وان تصدقوا في موضع رفع
لانه مبتداء وخبره خير لكم المعنى لما امر سبحانه باخذ رأس المال من الموسرين بين حال المعسر فقال وان
كان ذو عسرة معناه وان وقع في غرمائكم ذو عسرة ويجوز ان يكون تقديره وان كان غريما لكم ذو عسرة

ذو عسرة

ذو عسرة فنظرة اي فالذي تعاملونه به نظرة الى ميسرة اي الى وقت اليسار والى فالواجب نظرة وصيغته صيغة الخبر
والمراد به الامر اي فانظروه الى وقت يساره واختلف في حد الاعسار فروي عن ابي عبد الله ع انه لا يقدر على ما
يفضل عن قوته وقوت عياله على الاقتصاد وقال ابو علي الجبائي هو النقص بالاعدام او بكساد المتاع او نحوه واختلف في وجوب
انظار المعسر على ثلثة اقوال احدها انه واجب في كل دين عن ابن عباس والضحاك والحسن وهو المروي عن ابي جعفر
وابي عبد الله ع وثانيها انه واجب في دين الربا خاصة عن شريح وابراهيم النخعي وثالثها انه واجب في دين الربا بالآية
وفي كل دين بالقياس عليه وقال الباقر ع الى ميسرة معناه الى ان يبلغ خبره الامام فيقضي عنه من سهم الغارمين اذا كان
انفقه في معروف وان تصدقوا خير لكم معناه وان تصدقوا على المعسر بما عليه من الدين خير لكم ان كنتم تعلمون الخير
من الشر وتميزون ما لكم مما عليكم ومما جاء في معنى الآية من الحديث قوله ص من انظر معسرا او وضع عنه اظله الله
في ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله وروى بريدة عنه ص من انظر معسرا كان له بكل يوم صدقة وفي هذه الآية دلالة على
ان الانسان اذا علم ان غريمه معسر حرم عليه حبسه وملازمته ومطالبته بما له عليه ووجب عليه انظاره
وان الصدقة عليه بابراء المال على المعسر خير وافضل من انظاره وروي عن ابن عباس وابن عمر ان آخر ما نزل من القرآن
آية الربوا قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ۝ آية
القراءة قرأ ابو عمرو ويعقوب ترجعون بفتح التاء والباقون بضمها الحجة حجة ابي عمرو قوله سبحانه ان الينا
ايابهم فاضاف المصدر الى الفاعل فهذا بمنزلة ترجعون وآب مثل رجع ومن حجة قوله انا اليه راجعون والينا
مرجعهم الاعراب يوما منصوب لانه مفعول به ولا ينتصب على الظرف لانه ليس المعنى اتقوا في هذا اليوم
وقوله ترجعون فيه الى الله جملة في موضع نصب بكونه صفة ليوما وتوفى كل نفس ما كسبت في موضع نصب
بانه معطوف على صفة يوما الا انه حذف منه فيه لدلالة الاول عليه النزول هذه آخر آية نزلت من القرآن
وقال جبرئيل ضعها في رأس الثمانين والمأتين من البقرة عن ابن عباس والسدي قال المفسرون لما نزلت هذه الآية
انك ميت وانهم ميتون قال رسول الله ص ليتني اعلم متى يكون ذلك فانزل الله عز وجل سورة النصر فكان
رسول الله يسكت بين التكبير والقراءة بعد نزول هذه السورة فيقول سبحان الله وبحمده استغفر الله واتوب اليه
فقيل له انك لم تكن تقوله قبل هذا فقال اما ان نفسي نعيت الي ثم بكى بكاء شديدا فقيل يا رسول الله اوتبكي
من الموت وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال فاين هول المطلع واين ضيقة القبر وظلمة اللحد
واين القيمة والاهوال فعاش رسول الله ص بعد نزول هذه الآية عاما تاما ثم نزلت لقد جاءكم رسول من انفسكم
عزيز عليه الى آخر السورة وهذه السورة آخر سورة كاملة نزلت من القرآن فعاش رسول الله ص بعدها ستة اشهر ثم
لما خرج الى حجة الوداع نزلت عليه في الطريق يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة فسميت آية الصيف ثم نزلت
عليه وهو واقف بعرفة اليوم اكملت لكم دينكم الآية فعاش بعدها احدا وثمانين يوما ثم نزلت عليه آيات الربوا
ثم نزلت بعدها واتقوا يوما ترجعون فيه وهي آخر آية نزلت من السماء فعاش رسول الله بعدها احدا وعشرين
يوما وقال ابن جريج تسع ليال وقال سعيد بن جبير ومقاتل سبع ليال ثم مات يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر
ربيع الاول حين زاغت الشمس وروى اصحابنا لليلتين بقيتا من صفر سنة احدى عشرة من الهجرة ولسنة
من ملك اردشير بن شيرويه بن ابرويز بن هرمز بن نوشيروان بنفسي هو حيا وميتا المعنى ثم حذر سبحانه
المكلفين من بعد ما تقدم من آي الحث وذوي الاحكام فقال واتقوا يوما معناه واحذروا يوما واخشوا يوما
ترجعون فيه الى الله تردون جميعا الى جزاء الله ويقال الى ملك الله لنفعكم وضركم دون غيره ممن ملككم اياه
في دار الدنيا وهو المراد بكل ما في القرآن من هذا اللفظ لان الله سبحانه لا يغيب عنه احد ولا يغيب عن احد

من علمه وملكه وسلطانه ويدل عليه قوله وهو معكم اينما كنتم وما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم وانما خص يوم
القيمة بهذه الصفة لان الناس اذا حشروا انقطع امرهم وبطل ملكهم ولا يبقى لواحد منهم امر ولا نهي كما قال سبحانه
لمن الملك اليوم ثم توفى كل نفس ما كسبت قيل فيه وجهان احدهما توفى جزاء ما كسبت من الاعمال والثاني توفى
ما كسبت من الثواب والعقاب لان الكسب على وجهين كسب العبد بفعله وكسبه لما ليس من فعله كما يكسب المال وهم لا يظلمون
معناه لا ينقصون مما يستحقونه من الثواب ولا يزاد عليهم فيما يستحقونه من العقاب قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا
تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب ان يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل
الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا فان كان الذي عليه الحق سفيها او ضعيفا او لا يستطيع ان يمل هو
فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل
احديهما فتذكر احديهما الاخرى ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ولا تسأموا ان تكتبوه صغيرا او كبيرا الى اجله ذلكم
اقسط عند الله واقوم للشهادة وادنى الا ترتابوا الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا
تكتبوها واشهدوا اذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وان تفعلوا فانه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله
بكل شيء عليم • القراءة قرأ حمزة ان تضل بكسر الهمزة والباقون بفتحها وقرأ ابن كثير وابو عمرو
وقتيبة فتذكر بالتخفيف والنصب وقرأ حمزة فتذكر بالتشديد والرفع وقرأ الباقون فتذكر بالتشديد والنصب
وقرأ عاصم وحده تجارة حاضرة بالنصب وقرأ الباقون بالرفع وقرأ ابو جعفر ولا يضار بتشديد الراء وتسكينها
والباقون لا يضار بالنصب والتشديد الحجة الوجه في قراءة حمزة ان تضل احديهما بكسر الالف هو انه جعل ان
للجزاء والفاء في قوله فتذكر جواب الجزاء وموضع الشرط وجزائه رفع بكونهما وصفا للمنكورين وهما المرأتان
في قوله فرجل وامرأتان وامرأتان خبر مبتداء محذوف وتقديره فمن يشهد رجل وامرأتان ويجوز ان يكون رجل
مرتفعا بالابتداء والمرأتان معطوفتان عليه وخبر الابتداء محذوف وتقديره فرجل وامرأتان يشهدون وتقدير قوله
ممن ترضون من الشهداء فيه ذكر يعود الى الموصوفين اللذين هم رجل وامرأتان ولا يجوز ان يكون فيه ذكر للشهيدين
المتقدم ذكرهما لاختلاف اعراب الموصوفين الا ترى ان شهيدين منصوبان ورجل وامرأتان اعرابهما الرفع فاذا كان
كذلك علمت ان الوصف الذي هو ظرف انما هو وصف لقوله فرجل وامرأتان دون من تقدم ذكرهما من الشهيدين و
الشرط وجزاؤه وصف لقوله وامرأتان لان الشرط والجزاء جملة يوصف بها كما يوصل بها في نحو قوله الذين ان مكناهم في
الارض اقاموا الصلوة واللام التي هي لام تضل مفتوحة في موضع جزم وانما حركت بالفتح لالتقاء الساكنين
ولو كسرت للكسرة قبلها لكان جائزا في القياس واما قوله فتذكر فيقال فيه قول سيبويه في قوله تعالى ومن عاد فينتقم الله منه
والاية التي تلاها معها انه يكون بعد الفاء فتذكر مبتدأ محذوف ولو اظهرته فهما تذكر احديهما الاخرى فالذكر
العائد الى المبتدأ المحذوف في قوله احديهما واما الاصل في فتذكر فهو من الذكر الذي هو ضد النسيان
فعل يتعدى الى مفعول واحد فاذا نقلته بالهمزة او ضعفت العين منه يتعدى الى مفعولين وآخر وذلك كالتخويف والتحريك
فمن قرأ فتذكر كان ممن جعل التعدية بالتضعيف ومن قرأ فتذكر كان ممن نقل بالهمزة وكلاهما سائغ والمفعول الثاني
في قوله فتذكر احديهما الاخرى محذوف والمعنى فتذكر احديهما الاخرى الشهادة التي تحملتاها واما قراءة الاكثر
وهو ان تضل بفتح الالف فان يتعلق بفعل مضمر دل عليه هذا الكلام وذلك يحتمل ثلثة اشياء الاول هو ان قوله
فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان يدل على قولك فاستشهدوا رجلا وامرأتين وعلى هذا فتقديره فليشهد رجل وامرأتان
فتعلق ان انما هو بهذا الفعل الذي اضمرنا في المعنى وهو ان تضل فليكن رجل وامرأتان وعلى هذا فيكون معناه
فليحدث شهادة رجل وامرأتين فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه والثالث ان يضمر خبر المبتداء الذي هو فرجل

وامرأتان فان قولهم

وامرأتان

١٤٧

وامرأتان اي فرجل وامرأتان يشهدون فيكون يشهدون هو العامل في ان وموضع ان على قول من فتح الهمزة من ان تضل وان
وفي كسر ان بعد انقضاء الشرط بجزائه واما موضع ان هذه فنصب وتقديره لان تضل احديهما فتذكر فان قيل
فان الشهادة انما وقعت للذكر والحفظ لا للضلال الذي هو النسيان فجوابه ان سيبويه ذكر ان الامر بالاشهاد لان تذكر
احديهما الاخرى وانما ذكر ان تضل لانه سبب الاذكار كما يقول القائل اعددته ان يميل الحائط فادعمه وهو لا يطلب بذلك
ميل الحائط ولكنه اخبر بعلة الدعم وسببه وقوله فتذكر او فتذكر بالنصب معطوف على الفعل المنصوب بان واما
من قرأ الا ان تكون تجارة حاضرة بالرفع فالوجه فيه ان تكون كان بمعنى وقع وحدث وكذلك قراءة الا ان تكون تجارة حاضرة
مثل قوله وان كان ذو عسرة واما من نصب تجارة حاضرة فيكون على خبر كان ولم يجز الاسم كانه اراد شيئين احدهما
ان يكون ما يقتضيه الكلام من الاشهاد والارتهان قد علم من فحوى الكلام فاضمر التبايع له لان الكلام عليه كما قال اذا كان
غدا فاتني والاخر ان يكون اضمر التجارة فكانه قال الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة ومثل ذلك قول الشاعر فدى لبني
ذهل بن شيبان ناقتي اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا اي اذا كان اليوم يوما واما قوله لا يضار فيحتمل امرين
احدهما ان اصله لا يضارر فادغمت الراء في الراء وفتحت لالتقاء الساكنين فيكون معناه لا يكتب الكاتب الا بالحق
ولا يشهد الشاهد الا بالحق والثاني ان اصله لا يضارر بفتح الراء الاولى فادغمت فيكون معناه لا يمنع الكاتب عن
حقه بضرره وكذلك الشاهد والاول ابين واما قراءة ابي جعفر بتسكين الراء مع التشديد فيمن قطع وجهه
انه اجرى الوصل مجرى الوقف كقولهم ببازل وجنا او عيهل وقد تقدم مثله اللغة تقول داينت الرجل
اذا عاملته بدين اخذت منه او اعطيته والدين القرض او الرجل من معاملة قال الشاعر داينت اروى والديون
تقضى فمطلت بعضا وادت بعضا ويقال دنت وادنت اذا اقرضت وادنت اذا استقرضت قال اداين وابنا
بان المداين ملي وفي والاملال الاملاء يقال امل عليه واملى عليه بمعنى والبخس النقص ظلما يقال بخسه حقه
بخسا وهو باخس ناقص من حقه والبخس فقوء العين لانه ادخال النقص على صاحبها والسفيه الجاهل واصل السفه الخفة
قال الشاعر نخاف ان يسفه احلامنا فنجهل الدهر مع الحالم وانما سمي الجاهل بالسفيه لخفة عقله وتقول منه سفه يسفه
ولم يأت مثل فعل يفعل الا ان يكون في موضع العين منه او اللام حرف من حروف الحلق والقول فيه ان
ابى اشبهت الهمزة بجاء يفعل منه مفتوحا والضلال اصل الضلال الهلاك تقول العرب ضل اللبن في الماء ومنه قوله
ان المجرمين في ضلال وسعر وقيل اصل الضلال الذهاب بحيث لا يوجد وقيل ومنه قوله ائذا ضللنا في الارض والسأم الملال
سئم يسأم سأمة اذا مل من الشيء وضجر منه قال زهير سئمت تكاليف الحيوة ومن يعش ثمانين حولا لا ابا لك يسأم واقسط
اي اعدل والقسط العدل يقال اقسط اذا عدل وقسط يقسط قسوطا اذا جار والقسط الحصة المعنى لما امر الله سبحانه
بانظار المعسر عقبه ببيان احكام الحقوق المؤجلة وعقود المداينة فقال يا ايها الذين امنوا اي صدقوا الله ورسوله
اذا تداينتم اي تعاملتم وداين بعضكم بعضا بدين قيل انما قال بدين لان احدهما انه على وجه التأكيد وتمكين المعنى في النفس كقوله
ولا طائر يطير بجناحيه والاخر انما قال بدين لان تداينتم قد يكون بمعنى تجازيتم من الدين الذي هو الجزاء وقد يكون
بمعنى تعاملتم بدين فقيد بالدين لتخليص اللفظ من الاشتراك الى اجل مسمى اي وقت مذكور معلوم بالتسمية قال ابن
عباس ان الاية وردت في السلم خاصة وكان يقول اشهد ان الله اباح السلم المضمون الى اجل معلوم وانزل فيه اطول اية في كتابه وتلا هذه
الاية وظاهر الاية يقع على كل دين مؤجل سلما كان او غيره وعليه المفسرون والفقهاء فاكتبوه معناه فاكتبوا الدين في صك لئلا
يقع فيه نسيان او جحود وليكون ذلك توثقة للحق ونظرا للذي له الحق وللذي عليه الحق ان يكون ابعد به من الجحود فلا يستوجب
النار والعقوبة ووجه النظر للشهود انه اذا كتب خطه كان اقوم للشهادة وابعد من السهو واقرب الى الذكر واختلف في هذا الامر
فقيل هو مندوب اليه عن ابي سعيد الخدري والحسن والشعبي وهو الاصح وعليه الاكثر وقيل هو فرض عن الربيع وكعب

يدل على صحة القول الاول قوله فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته والمفهوم من هذا الطرف ان ائتمنه على
ماله ان يأمنه عليه ثم بين كيفية الكتابة فقال وليكتب بينكم كاتب بالعدل يعني وليكتب كاتب المداينة او البيع بين المتعاقدين
كاتب بالقسط والانصاف والحق لا يزيد فيه ولا ينقص منه في صفة ولا مقدار ولا يكتب شيئا يضر احدهما الا بعلمه
ولا يأب كاتب اي لا يمتنع كاتب من ان يكتب الصك على الوجه المأمور به كما علمه الله تعالى من الكتابة بالعدل وقيل كما فضله
الله تعالى بتعليمه اياه فلا يبخل على غيره بالكتابة واختلف في الكتابة هل هي فرض ام لا فقيل هي فرض كفاية كالجهاد ونحوه عن
الشعبي وجماعة من المفسرين واختاره الرماني والجبائي وجوز الجبائي اخذ الكاتب والشاهد الاجرة على ذلك قال
الشيخ ابو جعفر الطوسي ره وعندنا لا يجوز ذلك والورق الذي يكتب فيه على صاحب الدين دون من عليه الدين ويكون
الكتاب في يده لانه له وقيل واجب على الكاتب ان يكتب في حال فراغه عن السدي وقيل واجب عليه ان يكتب اذا امر عن
مجاهد وعطاء وقيل ان ذلك في الموضع الذي لا يقدر فيه على كاتب غيره فيضر بصاحب الدين ان امتنع فاذا كان كذلك
فهو فريضة وان قدر على كاتب غيره فهو في سعة اذا قام به غيره عن الحسن وقيل كان واجبا ثم نسخ بقوله ولا يضار كاتب
ولا شهيد عن الضحاك فليكتب امر للكاتب اي فليكتب الصك على الوجه المأمور وكانت الكتبة على عهد رسول الله
فهم قلة فلذلك اكد بقوله فليكتب انما جمع بين الامر بالشيء والنهي عن تركه ليدل على انه لا يقتصر على احدهما ثم بين
سبحانه كيفية الاملاء للكاتب فقال وليملل الذي عليه الحق يعني المديون يقر على نفسه بلسانه ليعلم ما عليه فيكتب
وليتق الله ربه اي الذي عليه الحق في الاملاء ولا يبخس منه اي ولا ينقص من الحق شيئا لا من قدره ولا من صفته ثم بين
سبحانه حال من لا يصح منه الاملاء فقال فان كان الذي عليه الحق سفيها اي جاهلا بالاملاء عن مجاهد وقيل صغيرا
طفلا عن السدي والضحاك وقيل شيخا خرفا او لا يستطيع ان يمل هو اي مجنونا وقيل عييا اخرس عن ابن عباس وقيل
الاقرب انه يحمل على ثلث صفات لكيلا يؤدي الى التكرار ثم اختلف في ذلك فقيل السفيه المجنون والضعيف
الصغير ومن لا يستطيع ان يمل الاخرس ونحوه ثم يدخل في كل واحد من هو في معناه وقيل السفيه المبذر والضعيف
الصبي المراهق ومن لا يستطيع ان يمل المجنون والناقص فليملل وليه بالعدل قيل معناه فليملل ولي الذي عليه
الحق اذا عجز عن الاملاء بنفسه عن الضحاك وابن زيد وقيل معناه ولي الحق وهو الذي له الحق عن ابن عباس لانه اعلم
بدينه فيملي بالحق والعدل ثم امر سبحانه بالاشهاد فقال واستشهدوا شهيدين من رجالكم يعني اطلبوا الشهود و
اشهدوا على المكتوب رجلين من رجالكم اي من رجال اهل دينكم وقال مجاهد معناه من الاحرار المسلمين
العاقلين البالغين دون العبيد والكفار وليست الحرية تشترط عندنا في قبول الشهادة وانما تشترط الاسلام مع العدالة
وبه قال شريح والبتي وابو ثور وقيل هذا امر للقضاة ان يسئلوا عند القضاء بالحق شهيدين من المدعي عند انكار
المدعى عليه فيكون السبب في الحالتين سواء لتؤول الطلب فان لم يكونا رجلين يعني فان لم يكن الشهيدان رجلين فرجل
وامرأتان اي فليكن رجل وامرأتان او فليشهد رجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء عدالته وهذا يدل على ان العدالة
شرط في الشهود ويدل ايضا على انا لم نتعبد باشهاد مرضيين على الاطلاق لقوله ممن ترضون ولم يقل من المرضيين
لانه لا طريق لنا الى معرفة من هو مرضي عند الله تعالى وانما تعبدنا باشهاد من هو مرضي عندنا في الظاهر ممن نرضى
دينه وامانته ونعرفه بالستر والصلاح ان تضل احديهما اي تنسى احدى المرأتين فتذكر احديهما الاخرى قيل
هو من التذكر الذي هو ضد النسيان عن الربيع والسدي والضحاك واكثر المفسرين والمعنى فتذكر احديهما الاخرى
الشهادة التي تحملتاها ومن قرأ فتذكر بالتخفيف من الاذكار فهو ايضا المعنى اي تقول لها هل تذكرين يوم
شهدنا في موضع كذا وبحضرتنا فلان او فلانة حتى تذكر الشهادة وهذا لان النسيان يغلب على النساء اكثر
مما يغلب على الرجال وقيل هو من الذكر اي تجعلها كذكر من الرجال عن سفيان بن عيينة والاول اقوى فان قيل لم

كرر

كرر ليكون الفاعل مقدما على المفعول ولو قال فتذكرها الاخرى لكان قد فصل بين الفعل والفاعل بالمفعول وذلك
مكروه والثاني ما قال الحسين بن علي المغربي ان معناه ان تضل احدى الشهادتين اي تضيع بالنسيان فتذكر احدى المرأتين
الاخرى لئلا يتكرر لفظ احديهما بلا معنى ويؤيد ذلك انه لا يسمى ناسي الشهادة ضالا ويقال ضلت الشهادة اذا ضاعت
كما قال سبحانه قالوا ضلوا عنا اي ضاعوا عنا ثم خاطب سبحانه الشهود فقال ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا وفي معناه اقوال
احدها ان معناه ولا يمتنع الشهداء اذا دعوا لاقامة الشهادة عن مجاهد وعطا والشعبي وسعيد بن جبير وهذا اذا كانوا
عالمين بالشهادة وهي على وجه لا يتأبون فيه ولم يخافوا منه ضررا والثاني ان معناه اذا دعوا لاثبات الشهادة
وتحملها عن قتادة والربيع والثالث ان معناه اذا دعوا الى اثبات الشهادة والى اقامتها عن ابن عباس والحسن وهو المروي عن ابي عبد الله
عليه السلام وهو اولى لانه اعم فائدة ولا تسأموا اي ولا تضجروا ولا تملوا ان تكتبوه اي تكتبوا الحق صغيرا كان الحق
او كبيرا وقيل ان هذا خطاب للشاهد ومعناه لا تملوا ان تكتبوا الشهادة على الحق الى اجله اي الى اجل الدين وقيل معناه
الى اجل الشاهد اي الى الوقت الذي يجوز فيه الشهادة والاول الاقوى ذلكم اي الكتاب وكتبة الشهادة في الصك
اقسط اي اعدل عند الله لانه تعالى امر به واتباع امره اعدل من تركه واقوم للشهادة اي اصوب للشهادة وابعد من
الزيادة والنقصان والسهو والغلط والنسيان وقيل معناه احفظ للشهادة مأخوذ من القيام على الشيء بمعنى الحفظ
وادنى ان لا ترتابوا اي اقرب الى ان لا تشكوا في مبلغ الحق والاجل الا ان تكون تجارة معناه الا ان تقع تجارة
اي مداينة ومبايعة حاضرة حالة يدا بيد ومن قرأ بالنصب فمعناه الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة تديرونها
بينكم اي تتناقلونها من يد الى يد نقدا لا نسيئة فليس عليكم جناح اي حرج وضيق ان لا تكتبوها ومعناه فليس
عليكم اثم في ترك كتابتها لان الكتبة للوثيقة ولا يحتاج الى الوثيقة الا في النسيئة دون النقد واشهدوا اذا
تبايعتم اي واشهدوا الشهود على بيعكم اذا تبايعتم وهذا امر على الاستحباب والندب عن الحسن وجميع الفقهاء
وقال اصحاب الظاهر الاشهاد فرض في التبايع ولا يضار كاتب ولا شهيد اصله يضارر بكسر الراء الاولى عن الحسن
وقتادة وعطاء وابن زيد فيكون النهي للكاتب والشاهد عن المضارة وعلى هذا معنى المضارة ان يكتب الكاتب ما
لم يمل عليه ويشهد الشاهد بما لم يستشهد فيه او بان يمتنع من اقامة الشهادة وقيل الاصل فيه لا يضارر بفتح الراء
الاولى عن ابن مسعود ومجاهد فيكون معناه لا يكلف الكاتب الكتبة في حال عذر لا يتفرغ اليها ولا يضيق الامر
على الشاهد بان يدعى الى اثبات الشهادة واقامتها في حال عذر ولا يعنف عليهما قاله الزجاج والاول ابين لقوله
وان تفعلوا فانه فسوق بكم فالفاسق اشبه بغير العدل وبمن حرف الكتاب منه بالذي دعا شاهدا ليشهد او دعا كاتبا
ليكتب وهو مشغول وقال [illegible] معناه وان تفعلوا المضارة الكاتب والشهيد فان المضارة والشهادة فسوق بكم اي خروج
عما امر الله سبحانه واتقوا الله فيما امركم به ونهاكم عنه ويعلمكم الله ما تحتاجون اليه من امور دينكم والله بكل شيء عليم اي عليم بذلك
وبكل ما سواه من المعلومات وذكر علي بن ابراهيم بن هاشم في تفسيره ان في البقرة خمسمائة حكم وفي هذه الآية خاصة خمسة
عشر حكما قوله تعالى وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن
امانته وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه والله بما تعملون عليم • اية القراءة قرأ ابن كثير
وابو عمرو فرهن على وزن فعل والباقون فرهان على وزن فعال الحجة قال ابو علي الرهن مصدر ولما فتح كسر كما كسر
السماء وجمع على بناء من ابنية الجمع وهما فعل وفعال وكلاهما من ابنية الكثير وقد يخفف العين من رهن
كما خفف في رسل وكتب ومثل رهن ورهن وسقف وسقف وقال الاعشى آليت لا اعطيه من ابنائنا رهنا
فيفسدهم كمن قد افسدا اللغة يقال رهنت عند الرجل رهنا وارهنته رهنا وانا ارهنه اذا وضعته
عنده ورهنته ضيعة وقالوا الرهائن وفعلت فيما كنت ... ارهنتهم بنيه وارهن بنو فلان

الاصمعي من روى بيت ابي همام فلما خشيت اظافير نجوت وارهنتهم مالكا فقد اخطأ انما الرواية وارهنهم مالكا
كما يقول وثبت اليه واصلت عينه وقمت اليه واخذ بشعره ويقول ارهنت لهم الطعام اي ادمته لهم وارهنتم
بمعناه والطعام راهن وراه وقد ارهنت في ثمن السلعة اذا اسلفت فيه قال يديه ارهنت فيها الدنانير واما قول
لا تغلق الرهن فمعناه ان يقول الراهن ان جئتك بفكاكه الى شهر والا فهو لك بالدين فهذا باطل بلا خلاف المعنى
ذكر سبحانه حكم الوثيقة بالرهن عند عدم الوثيقة بالاشهاد فقال وان كنتم ايها المتداينون المتبايعون على سفر اي
مسافرين ولم تجدوا كاتبا للصك ولا شهودا تشهدونهم فرهن مقبوضة تقديره فالوثيقة رهن فيكون رهن خبر مبتدأ
محذوف فيجوز ان يكون التقدير فرهن مقبوضة يقوم مقام الوثيقة بالصك والشهود والقبض شرط في صحة الرهن
فان لم يقبض لم ينعقد الرهن بالاجماع فان امن بعضكم بعضا اي فان امن صاحب الحق الذي عليه الحق ووثق به
ائتمنه على حقه ولم يستوثق منه بصك ولا رهن فليؤد الذي اؤتمن اي الذي عليه الحق امانته بان لا يجحد حقه ولا
يخون منه شيئا وليؤده اليه وافيا وقت محله من غير مطل ولا تسويف فاراد بقوله امانته اي ما اؤتمن فيه فهو مصدر
بمعنى المفعول وليتق الله ربه معناه وليتق الذي عليه الحق عقوبة الله ربه فيما اؤتمن عليه بجحوده او النقصان منه
ولا تكتموا الشهادة يعني بعد تحملها وهو خطاب للشهود ونهي لهم عن كتمان الشهادة اذا دعوا اليها ومن يكتمها اي
ومن يكتم الشهادة مع علمه بالمشهود به وعدم ارتيابه فيه وتمكنه من ادائها من غير ضرر يلحقه بعدما دعي الى اقامتها فانه
آثم قلبه اضاف الاثم الى القلب وان كان الاثم هو الجملة لان اكتساب الاثم بكتمان الشهادة يقع بالقلب لان
العزم على الكتمان انما يقع بالقلب ولان اضافة الاثم الى القلب ابلغ في الذم كما ان اضافة الايمان ابلغ في
المدح قال الله سبحانه اولئك كتب في قلوبهم الايمان والله بما تعملون اي بما تسرونه وتكتمونه عليم وروي عن
النبي ص انه قال لا ينقضي لا ينقضي كلام شاهد زور من بين يدي الحاكم حتى يتبوأ مقعده في النار وكذلك
كتم الشهادة وفي قوله سبحانه فان امن بعضكم بعضا دلالة على ان الاشهاد والكتابة في المداينة ليسا بواجبين
وانما هو على سبيل الاحتياط وتضمنت هذه الآية وما قبلها من بدائع لطف الله تعالى ونظره لعباده في امر معاشهم
ومعادهم وتعليمهم ما لا يسعهم جهله ما فيه بصيرة لمن تبصر وكفاية لمن تفكر قوله تعالى لله ما في السموات
وما في الارض وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير
آية القراءة قرأ ابن عامر وابو جعفر ويعقوب فيغفر ويعذب بالرفع وقرأ الباقون بالجزم الحجة قال ابو علي وجه قول
من جزم انه اتبعه ما قبله ولم يقطعه منه وهذا اشبه بما عليه كلامهم الا ترى انهم يطلبون المشاكلة ويلزمونها
فمن ذلك ان ما كان معطوفا على جملة من فعل وفاعل واشتغل عن الاسم الذي من الجملة التي يعطف عليها الفعل
يختار فيه النصب ولو لم يكن قبله الفعل والفاعل لاختاروا الرفع على هذا ما جاء في التنزيل نحو قوله وكلا ضربنا
له الامثال وقوله فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة فكذلك ينبغي ان يكون الجزم احسن ليكون مشاكلا لما
قبله في اللفظ وهذا النحو من طلبهم المشاكلة كثير ومن لم يجزم قطعه من الاول وقطعه منه على احد وجهين اما ان يجعل
الفعل خبر المبتدأ المحذوف واما ان يعطف جملة من فعل وفاعل على ما تقدمها المعنى لله ما في السموات
وما في الارض اللام لام الملك اي له تصريف السموات والارض وما فيهما وتدبيرهما لقدرته على ذلك ولانه الذي
انشأهما فجميع ذلك ملكه وما ملكه يصرفه كيف يشاء وان تبدوا ما في انفسكم اي تظهروا ما في انفسكم وتعلنوه
من الطاعة والمعصية او تخفوه اي تكتموه يحاسبكم به الله اي يعلم الله ذلك فيجازيكم عليه وقيل معناه ان تظهروا
الشهادة او تكتموها فان الله يعلم ذلك ويجازيكم به عن ابن عباس وجماعة وقيل انها عامة في الاحكام التي تقدم
ذكرها في السورة خوفهم الله سبحانه من العمل بخلافها وقال قوم ان هذه الآية منسوخة بقوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها

زد يؤديه

ورووا في ذلك خبرا ضعيفا وهذا لا يصح لان تكليف ما ليس في الوسع غير جائز فكيف نسخ وانما المراد بالآية ما يتناول
الامور التي هي من الاعتقادات والارادات وغير ذلك مما هو مستور عنا فاما ما لا يدخل في التكليف من الوساوس والهواجس
ومما لا يمكن التحفظ عنه من الخواطر فخارج عنه لدلالة العقل ولقوله ص تجوز لهذه الامة عن نسيانها وما حدثت به انفسها
فعلى هذا يجوز ان تكون الآية الثانية بينت الاولى وازالت توهم من صرف ذلك الى غير وجهه وظن ان ما يخطر
بالبال او تحدث به النفس مما لا يتعلق بالتكليف فان الله يؤاخذ به والامر بخلاف ذلك وقوله فيغفر لمن يشاء اي
يغفر لمن يشاء منهم رحمة وتفضلا ويعذب من يشاء منهم ممن استحق العقاب عدلا والله على كل شيء قدير من المغفرة
والعذاب عن ابن عباس ولفظ الآية عام في جميع الاشياء والقول فيما يخطر بالبال من المعاصي ان الله سبحانه لا يؤاخذ
به وانما يؤاخذ بما يعزم الانسان ويعقد قلبه عليه مع امكان التحفظ عنه فيصير من افعال القلب فيجازيه به كما يجازيه بافعال
الجوارح وانما يجازيه جزاء العزم لا جزاء تلك المعصية لانه لم يباشرها وهذا بخلاف العزم على الطاعة
فان العازم على فعل الطاعة يجازى على عزمه ذلك جزاء الطاعة كما جاء في الاخبار ان المنتظر للصلوة في الصلوة
ما دام ينتظرها وهذا من لطائف نعم الله تعالى على عباده النظم ذكر في كيفية اتصال هذه الآية بما قبلها وجوه
احدها انه لما فرغ من بيان الشرائع ختم السورة بالتوحيد والموعظة والاقرار بالجزاء والثاني انه لما قال والله
بكل شيء عليم اتبعه بانه لا يخفى عليه شيء لان له ملك السموات والارض عن ابي مسلم والثالث انه لما امر بهذه
الوثائق بين انه انما يفعل هذا لامر يرجع الى المكلفين لا لامر يرجع اليه لان له ما في السموات وما في الارض
قوله تعالى آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد
من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير آية القراءة قرأ اهل الكوفة غير عاصم وكتابه
الباقون وكتبه على الجمع وقرأ يعقوب لا يفرق بالياء والباقون بالنون الحجة من قرأ وكتابه على الواحد ففيه
وجهان احدهما انه يعني القرآن والثاني انه يعني الجنس فيوافق القراءة الاخرى على الجمع وقد جاء المضاف من الاسماء
يعني الكثرة نحو قوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وفي الحديث منعت العراق درهمها وقفيزها فهذا يراد به الكثرة
كما يراد بما فيه لام التعريف والاختيار فيه الجمع ليشاكل ما قبله وما بعده ولان اكثر القراءة عليه ومن قرأ لا يفرق
فعلى تقدير لا يفرق الرسول او كل لا يفرق والنون على تقدير وقالوا لا نفرق كقوله ولو ترى اذ المجرمون
ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا ابصرنا اي ويقولون ربنا الاعراب غفرانك نصب على انه بدل من اللفظ بالفعل
منه وكانه قيل اللهم اغفر لنا غفرانك واستغني بالمصدر عن الفعل في الدعاء فصار بدلا منه المعنى
لما ذكر الله سبحانه فرض الصلوة والزكوة واحكام الشرع واخبار الانبياء ختم السورة بذكر تعظيمه وتصديق
نبيه والمؤمنين بجميع ذلك فقال آمن الرسول بما انزل اليه اي صدق محمد ص بما انزل اليه من ربه من الاحكام المذكورة في هذه
السورة وغيرها والمؤمنون كل اي كل واحد منهم آمن بالله اي صدق باثباته وصفاته ونفى التشبيه عنه وتنزيهه عما
لا يليق به وملائكته اي بملائكته وبانهم معصومون مطهرون وكتبه اي بالقرآن وجميع ما انزل من الكتب حق وصدق
ورسله اي بجميع انبيائه لا نفرق بين احد من رسله اي يقولون لا نفرق بين احد من رسل الله في الايمان بان نؤمن
ببعض ونكفر ببعض كما فعل اهل الكتاب من اليهود والنصارى وقالوا سمعنا واطعنا معناه سمعنا قولك واطعنا
امرك اذا جعلناه الى الله تعالى او سمعنا قوله واطعنا امره اذا جعلته راجعا الى الرسول وقيل معناه سمعنا قول الله و
قول الرسول سماع القابلين المطيعين وذلك خلاف ما اخبر الله تعالى عن الكفار حيث قالوا سمعنا وعصينا غفرانك
اي يقولون اغفر لنا ربنا وقيل معناه يقولون نسألك غفرانك واليك المصير فجعل مصيرهم الى الجزاء مصيرا
اليه كقول ابراهيم ص اني ذاهب الى ربي سيهدين ومعناه الى ثواب ربي او الى ما امرني به ربي وهذا القول للبعث

١٥٩

والنشور قوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او
اخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به
واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ● اللغة الوسع ما دون الطاقة
وسمى ذلك وسعا لانه يتسع الانسان ولا يضيق عنه واخطأنا اى كسبنا خطيئة وقال ابو عبيدة خطئ
وخطئ لغتان والفرق بينهما ان اخطأ قد يكون على وجه الاثم وغير الاثم فاما خطئ فاثم لا غير قال الشاعر
والناس يلحون الامير اذا هم خطئوا الصواب ولا يلام المرشد والاصر الثقل قال النابغة
يا مانع الضيم ان تغشى سراتهم والحامل الاصر عنهم بعد ما غرقوا وكل ما عطفك على شيء من عهد او رحم
فهو اصر وجمعه آصار وتقول اصر يأصر اصرا والاسم الاصر قال النابغة يا ابن الحواضن والحاضنات
اتنقض اصرك حالا فحالا اى عهدك والاصر والآصرة صلة الرحم للعطف بها قال الكميت نفحت اديم الود
بينهم بآصرة الارحام لو يتبلل واصل الباب العطف والاصر الثقل لانه يعطف حامله بثقله عليه المعنى ثم بين
سبحانه انه فيما امر ونهى لا يكلف الا دون الطاقة فقال لا يكلف الله نفسا الا وسعها اى لا يأمر ولا ينهى احدا الا ما هو له
مستطيع وقيل ان معنى قوله الا وسعها الا يسرها دون عسرها ولم يكلفها طاقتها ولو كلفها طاقتها لبلغ المجهود منه
عن سفيان بن عيينة وهذا قول حسن وفي هذا دلالة على بطلان قول المجبرة في تجويز تكليف العبد ما لا يطيقه لان
الوسع هو ما يتسع له قدرة الانسان وهو فوق المجهود واستفراغ القدرة وقال بعضهم ان معناه الا ما يسعها ويحل لها
وهذا خطأ لان من قال لعبده لا امرك الا بما اطلق لك فعله لكان ذلك عيبا منه وخطأ فان نفس الامر اطلاق
فكانه قال لا اطلق لك الا ما اطلق لك ولا امرك الا بما امرك وقوله لها ما كسبت معناه لها ثواب ما كسبت من الطاعات
وعليها جزاء ما اكتسبت من السيئات ويجوز ايضا ان يسمى الثواب والعقاب كسبا من حيث يكسبه ربنا لا تؤاخذنا
قيل تقديره قولوا ربنا على جهة التعليم للدعاء عن الحسن وقيل تقديره يقولون ربنا على جهة الحكاية ان نسينا او
اخطأنا فيه وجوه احدها ان المراد بنسينا تركنا كقوله سبحانه نسوا الله فنسيهم اى تركوا طاعته فتركهم من ثوابه
وقوله تنسون انفسكم ومنه قول الشاعر ولم اك عند الجود للجود قاليا ولا كنت يوم الروع للطعن ناسيا اى تاركا والمراد بالخطاء
اذ ذنبنا لان المعاصي توصف بالخطاء من حيث انها ضد الصواب وان كان فاعلها متعمدا فكانه سبحانه امرهم ان يستغفروا
مما تركوه من الواجبات وما فعلوه من المقبحات والثاني ان معنى قوله ان نسينا اى تعرضنا لاسباب يقع عندها النسيان
من الامر والغفلة عن الواجب واخطأنا اى تعرضنا لاسباب يقع عندها الخطاء ويحسن الدعاء بذلك كما يحسن الاعتذار منه
والثالث ان معناه لا تؤاخذنا ان نسينا اى ان لم نفعل فعلا يجب فعله على سبيل السهو والغفلة او اخطأنا اى فعلنا فعلا
يجب تركه من غير قصد ويحسن هذا في الدعاء على سبيل الانقطاع الى الله سبحانه واظهار الفقر الى مسألته والاستعانة به وان كان
مأمونا منه المؤاخذة بمثله ويجري ذلك مجرى قوله فيما بعد ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به على احد الاجوبة وقوله رب احكم بالحق
وقال تعالى ذكره حكاية عن ابراهيم والرابع ما روي عن ابن عباس وعطا ان معناه لا تعاقبنا ان عصينا جاهلين او متعمدين وقوله ولا تحمل
علينا اصرا فيه وجهان احدهما ان معناه لا تحمل علينا ثقلا عن الربيع ومالك وعطا يعني لا تشدد كما حملته على الذين
من قبلنا اى على الامم الماضية والقرون الخالية لانهم كانوا اذا ارتكبوا خطيئة عجلت عقوبتها عليهم وحرم عليهم بسببها
ما احل لهم من الطعام كما قال سبحانه فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم واخذ عليهم من العهود والمواثيق
وكلفوا من انواع التكاليف ما لم يكلف هذه الامة تخفيفا عنها ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قيل فيه وجوه احدها انه
ما يثقل علينا تحمله من انواع التكاليف والامتحان مثل قتل النفس عند التوبة وقد يقول الرجل لامر يصعب عليه انى
لا اطيقه والثاني معناه ما لا طاقة لنا به من العذاب عاجلا وآجلا والثالث انه على سبيل التعبد وان كان

سبحانه لا يكلف ولا يحمل احدا ما لا يطيقه كما ذكرناه قبل واعف عنا واغفر لنا خطايانا اى استرها وارحمنا بانعامك
علينا في الدنيا والعفو في الآخرة وادخال الجنة انت مولانا اى ولينا واولى بالتصرف فينا وناصرنا فانصرنا على القوم
الكافرين اى اعنا عليهم بالقهر لهم والغلبة بالحجة عليهم وقد روي عن النبي ص ان الله سبحانه قال عند كل فصل من هذا
الدعاء فعلت واستجبت ولهذا استحب الاكثار من هذا الدعاء ففي الحديث المشهور عن النبي ص انه قال من قرأ الآيتين
من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه اى كفتاه قيام ليلته وعن عبد الله بن مسعود قال لما اسري برسول الله ص انتهى
الى سدرة المنتهى فأعطي ثلاثا الصلوات الخمس وخواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله من امته المقحمات
وعن ابن المنكدر رفعه الى النبي ص قال في آخر سورة البقرة انهن قرآن وانهن دعاء وانهن يرضين الرحمن وفي تفسير
الكلبي باسناده ذكر عن ابن عباس قال بينما رسول الله ص اذ سمع نقيضا يعني صوتا فرفع رأسه فاذا باب من السماء قد فتح
فنزل عليه ملك وقال ان الله يبشرك بنورين لم يعطهما نبيا قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لا يقرأهما
الا اعطيته حاجته وروي عن عبد الله بن مسعود انه قال كان الرجل فينا اذا تعلم سورة البقرة جل فينا اى عظم
تم الجزء الثاني والحمد لله رب العالمين بقلم افقر عباد الله اللطيف المعين العلي محمد امين ابن محمد كمال الاسترابادي
في مشهد المولى المطهر الرضا عليه وعلى آبائه واولاده الف الف التحية والثناء في الثالث والعشرين من شهر رمضان المبارك
في سنة خمس وثمانين بعد الالف من الهجرة النبوية المصطفوية
والحمد لله رب العالمين

سورة آل عمران هي كلها مدنية عن ابن عباس وقتادة ومجاهد وجميع المفسرين عدد آيها مائتا آية وثمانيا في الباقي اختلافها سبع آيات عد الكوفي الم والانجيل الثاني وترك وانزل الفرقان وعد البصري ورسولا الى بني اسرائيل الآية وترك الشامي التورية والانجيل الاول وعد مقام ابراهيم هو وابو جعفر وترك ابو جعفر مما تحبون وعد اهل الحجاز حتى تنفقوا مما تحبون فضلها روى ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ سورة آل عمران اعطي بكل آية منها امانا على جسر جهنم ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ سورة آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تجب الشمس بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله تعلموا سورة البقرة وسورة آل عمران فانهما الزهراوان وانهما تظلان صاحبهما يوم القيمة كأنهما غمامتان او غيايتان او فرقان من طير صواف تفسيرها بسم الله الرحمن الرحيم الم الله لا اله الا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وانزل التورية والانجيل من قبل هدى للناس وانزل الفرقان ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء خمس آيات بلا خلاف الا ان الكوفي عد الم آية وترك وانزل الفرقان وغيرهم بالعكس من ذلك القراءة قرأ ابو جعفر والاعشى والبرجمي عن ابي بكر عن عاصم الم الله بسكون الميم وقطع همزة الله وقرأ الباقون موصولة وبفتح الميم وروى في الشواذ عن عمر بن الخطاب وابن مسعود وابراهيم النخعي والاعمش عن زيد بن علي بن الحسين وعن جعفر بن محمد الصادق عن النبي صلى الله عليه وآله الحي القيام وروى عن الحسن الانجيل بفتح الهمزة الحجة قال ابو علي اتفق الجميع على اسقاط الالف الموصولة في اسم الله تعالى فدل على ان الميم ساكنة كما ان سائر حروف التهجي مبنية على الوقف فلما التقت الميم الساكنة ولام التعريف حركت الميم بالفتح للساكن الثالث الذي هو لام المعرفة والدليل على ان التحريك للساكن الثالث وهو مذهب سيبويه ان حروف التهجي يجتمع فيها الساكنان نحو عين قاف وذلك انها مبنية على الوقف كما ان اسماء العدد كذلك فحركت الميم للساكن الثالث بالفتح كما حركت النون في قوله من الله بالفتح لالتقاء الساكنين واما قطع الالف فكأنه قدر الوقف على الميم واستأنف فقطع الهمزة لابتدائه بها واما القيام فقد قال ابن جني انه صفة على فيعال من قام يقوم ومثله من الصفة العياق واصل القيوام التقت الواو والياء وسبقت الاولى بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت فيها الياء وقراءة الجماعة القيوم فيعول من هذا ايضا واما الانجيل بفتح الهمزة فانه غير معروف النظير في كلامهم لانه ليس في كلامهم افعيل بفتح الهمزة ولو كان اعجميا لكان فيه ضرب من الحجاج لكنه عند غيرهم عربي وهو افعيل من نجل ينجل اذا اثار واستخرج ومنه نجل الرجل لولده لانه استخرج من صلبه ومن بطن امرأته قال الاعشى انجب ازمان والداه به اذ نجلاه فنعم ما نجلا اي نجب والداه ازمان اذ نجلاه ففصل بين المضاف الذي هو ازمان وبين المضاف اليه الذي هو اذ لقولهم حينئذ ويومئذ بالفاعل وقيل الانجيل لانه يستخرج علم الحلال والحرام كما قيل التورية وهي فوعلة من ورى الزند اذا قدح واصله ووريه فابدلت الواو التي هي الفاء تاء كما قالوا التجاه والتخمة والتكلان والتراث من الوجه والوخامة والوكل والوراثة فهي من ورى الزند اذا ظهرت ناره وذلك من نجل اذا استخرج من معرفة الحلال والحرام وكما قيل للكتاب بتلك الفرقان لانه فرق بين الحق والباطل فالمعاني كما ترى متفقة وكلها للابانة والفرق بين الاشياء وقال علي بن عيسى الانجيل الاصل فكان الانجيل اصلا من اصول العلم وقال غيره الانجيل الفرع ومنه قيل للولد نجل فكان الانجيل فرع على التورية يستخرج منها وقال ابن فضال هو من النجل وهو التعرية للعين بنجلاء وطعنة نجلاء فكانه وسع عليهم في الانجيل ما ضيق على اهل التورية وكل محمل الاعراب مصدقا نصب على الحال وقوله من قبل اي من قبل انزال الكتاب فلما قطع عن الاضافة فبناه على الضم وموضع هدى نصب على الحال من التورية والانجيل اي هاديين ويجوز ان يكون خبر مبتداء محذوف وتقديره هما هدى النزول قال الكلبي ومحمد بن اسحاق والربيع بن انس نزلت اوائل السورة الى نيف وثمانين آية في وفد نجران وكانوا ستين راكبا قدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله وفيهم اربعة عشر رجلا من اشرافهم وفي الاربعة عشر ثلثة نفر اليهم يؤول امرهم العاقب امير القوم وصاحب مشورتهم الذي لا يصدرون الا عن رأيه واسمه عبد المسيح و

والسيد ثمالهم وصاحب رحلهم واسمه الايهم وابو حارثة بن علقمة اسقفهم وحبرهم وامامهم وصاحب مدارسهم وكان قد شرف فيهم ودرس كتبهم وكانت ملوك الروم قد شرفوه وموّلوه وبنوا له الكنائس لعلمه واجتهاده فقدموا على رسول الله المدينة ودخلوا مسجده حين صلى العصر عليهم ثياب الحبرات جبب واردية في جمال رجال الحرث بن كعب يقول بعض من رآهم من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ما رأينا وفدا مثلهم وقد حانت صلوتهم فاقبلوا يضربون بالناقوس وقاموا فصلوا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت الصحابة يا رسول الله هذا في مسجدك فقال رسول الله صلى الله عليه وآله دعوهم فصلوا الى المشرق فكلم السيد والعاقب رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وآله اسلما قالا قد اسلمنا قبلك قال كذبتما يمنعكما من الاسلام دعاؤكما لله ولدا وعبادتكما الصليب واكلكما الخنزير قالا ان لم يكن ولدا لله فمن ابوه وخاصموه جميعا في عيسى ع فقال لهما النبي صلى الله عليه وآله الستم تعلمون انه لا يكون ولد الا ويشبه اباه قالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا حي لا يموت وان عيسى يأتي عليه الفناء قالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا قيم على كل شيء يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال فهل يملك عيسى من ذلك شيئا قالوا لا قال الستم تعلمون ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء قالوا بلى قال فهل يعلم عيسى من ذلك شيئا الا ما علم قالوا لا قال فان ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء وربنا لا يأكل ولا يشرب ولا يحدث قالوا بلى قال الستم تعلمون ان عيسى حملته امه كما تحمل المرأة ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذي كما يغذى الصبي ثم كان يطعم ويشرب ويحدث قالوا بلى قال فكيف يكون هذا كما زعمتم فسكتوا فانزل الله عز وجل فيهم صدر سورة آل عمران الى بضع وثمانين آية المعنى ان الله سبحانه لما ختم سورة البقرة بذكر التوحيد والايمان افتتح هذه السورة بالتوحيد والايمان ايضا فقال الم وقد ذكرنا الاختلاف فيه وفي معناه في محله في اول البقرة الله لا اله الا هو الحي القيوم وقد ذكرنا ما فيه في تفسير آية الكرسي وروى عن ابن عباس انه قال الحي القيوم اسم الله الاعظم وهو الذي دعا به آصف بن برخيا صاحب سليمان ع في حمل عرش بلقيس من سبأ الى سليمان قبل ان يرتد اليه طرفه نزل عليك يا محمد الكتاب يعني القرآن بالحق فيه قولان احدهما بالصدق فيما اخبر والثاني بالحق اي بما اوجبه الحكمة من الانزال وهو حق من الوجهين مصدقا لما بين يديه لما قبله من كتاب ورسول عن مجاهد وقتادة والربيع وجميع المفسرين وانما قيل لما بين يديه لما قبله لانه ظاهر كظهور الذي بين يديه وقيل في معنى مصدقا ههنا قولان احدهما ان معناه مصدقا لما بين يديه وذلك لموافقته لما تقدم الخبر به وفيه دلالة على صحة نبوته صلى الله عليه وآله من حيث لا يكون ذلك كذلك الا وهو من عند الله علام الغيوب والثاني ان معناه انه يخبر بصدق الانبياء وبما اتوا به من الكتب ولا يكون مصدقا للبعض ومكذبا للبعض وانزل التورية على موسى والانجيل على عيسى من قبل اي من قبل انزال القرآن هدى للناس معناه دلالة وبيانا وقيل يعني به الكتب الثلثة اي ليهتدي اهل كل كتاب بكتابه واهل كل زمان بما انزل في زمانه وقيل انه هدى للناس حال من الكتاب اي هاديا للناس وانزل الفرقان يعني به القرآن وانما كرر ذلك لما اختلف دلالات صفاته وان كانت لموصوف واحد لان لكل صفة منها فائدة غير فائدة الاخرى فان الفرقان هو الذي يفرق بين الحق والباطل فيما يحتاج اليه من امور الدين في الحجج وغيرها من الاحكام وذلك كله في القرآن ووصفه بالكتاب يفيد انه من شأنه ان يكتب وروى عبد الله بن سنان عن ابي عبد الله عليه السلام ان الفرقان هو كل آية محكمة في الكتاب وهو الذي يصدق فيه من كان قبله من الانبياء وقيل المراد بالفرقان الادلة الفاصلة بين الحق والباطل عن ابي مسلم وقيل المراد به الحجة القاطعة لمحمد صلى الله عليه وآله على من حاجه في امر عيسى وقيل المراد به النصر ان الذين كفروا بآيات الله اي جحدوا لا انه لهم عذاب شديد لما بين حجج الله الدالة على توحيده وصدق انبيائه عقب ذلك بالوعيد لمن خالف ذلك وجحده ليكمل به التكليف والله عزيز اي قادر لا يمكن احدا ان يمنعه من عذاب من يريد عذابه واصل العز الامتناع ومنه ارض عزاز اي ممتنعة السلوك لصعوبتها ومنه يقال من عزّ بزّ اي من غلب سلب لان الغالب ممتنع من الضيم فانه

١٥١

سبحانه عن ان يراى ميع من حيث انه ذو النفس لا يخفى شئ ذوا انتقام اى ذو ولدته على الانتقام من الكفار ولا يتهيا لاحد
منعه والانتقام مجازاة المسيئ على اساءته ان الله لا يخفى عليه شئ في الارض ولا في السماء لما ذكر سبحانه الوعيد
على الاخلال بمعرفته مع نصب الادلة على توحيده وصدق انبيائه اقتضى ان يكون ان يذكر انه لا يخفى عليه شئ فيكون في ذلك
تحذير من الاغترار بالاستتار بمعصيته لان الجازى لا يخفى عليه خافية فان قيل لم لا يخفى عليه شئ في الارض ولا في السماء
ولم يقل لا يخفى عليه على الحد وجه من الوجوه فيكون اشد مبالغة قلنا لان الغرض ان يعلمنا انه يعلم ما يستسر في
الارض وفي السماء والاصلاح بكونه ذلك اعظم في النفس واهول في الصدر مع الدلالة على انه عالم بكل شئ كان قيل لم لم يقل
انه عالم بكل شئ في الارض والسماء قلنا لان الوصف بانه لا يخفى عليه شئ يدل على انه يعلمه من كل وجه فيصح ان يعلم منه
مع ما فيه من التصرف في العبارة وانما لا يخفى عليه شئ لانه عالم لنفسه فيجب ان يعلم كل ما يصح ان يكون معلوما مما يصح ان
يكون معلوما لا نهاية له لا يخفى انه لا يخفى عليه شئ بوجه من الوجوه قوله تعالى هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء
لا اله الا هو العزيز الحكيم • اية اللغة التصوير جعل الشئ على صورة لم يكن عليها والصورة هيئة يكون عليها الشئ
بالتاليف واصلها من صار يصور اذا ماله لانها مايلة الى هيئة بالشبه لها والفرق بين الصورة والصيغة ان
الصيغة عبارة عما وضع في اللغة ليدل على امر من الامور وليس كذلك الصورة لان دلالة الصورة … على بنيته
والارحام جمع رحم واصله الرحمة وذلك لانها مما يتراحم به ويتعاطف يقولون وصلتك رحم والمتيمم …
الاعراب كيف في موضع نصب على المصدر تقديره اى نوع يشاء ويشاء جملة في موضع الحال من يصور اى يصوركم في الارحام
شائيا مريدا اى نوع اراد المعنى هو الذي يصوركم اى يخلق صوركم في الارحام كيف يشاء على اى صورة شاء
وعلى اى صفة شاء من ذكر او انثى او صبيح او دميم طويل او قصير لا اله الا هو العزيز في سلطانه الحكيم في افعاله
ودلت الاية على وحدانيته سبحانه وكمال قدرته وتمام حكمته حيث صور الولد في رحم الام على هذه الصفة وركب فيه
انواع البدايع من غير الة ولا كلفة وقد تقرر في عقل كل عاقل ان العالم لو اجتمعوا على ان يخلقوا من الماء بعوضة
ويصوروا منه صورة في حال ما يشاهدونه ويبصرونه لم يقدروا على ذلك ولا وجدوا اليه سبيلا فكيف يقدرون على
الخلق في الارحام فتبارك الله احسن الخالقين وهذا الاسناد لا احتجاج … عن جعفر بن محمد عليهما السلام قوله تعالى هو الذي
انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه
ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم يقولون امنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا
اولوا الالباب • اية اللغة المحكم ماخوذ من قولك احكمت الشئ اذا اتقنته واتقنته وام الكتاب اصله ومكة
ام القرى ويقال لعلم الجيش ام واصله امهة ولذلك يجمع امهات وقد يقال امات … والمتشابه الذي يشبه بعضه بعضا
فيغمض … الشبه لانه يشتبه به والزيغ الميل وازاغه اماله والتزايغ التمايل في الاسنان والابتغاء الطلب والفتنة
اصلها الاختبار من قولهم فتنت الذهب بالنار اى اختبرته وقيل معناه خلصته والتاويل التفسير واصله المرجع والمصير
قولهم آل امره الى كذا يؤول اولا اذا صار اليه واولته تاويلا اذا صيرته اليه قال الاعشى على انها كانت تاول حبها تاول
ربعي السقاب فاصحبا اى كان حبها صغيرا في قلبه فلم يزل ينبت حتى اصحب فصار كبيرا كهذا السقب وهو الصغير من اولاد النوق الى الكبر والراسخون الثابتون
يقال رسخ رسوخا اذا ثبت في موضعه … الاعراب منه ايات جملة من مبتداء وخبر في موضع النصب على الحال
من انزل وتقديره انزل الكتاب محكما ومتشابها هن ام الكتاب جملة في موضع الرفع لكونها صفة للايات واخر عطف على ايات
وهو صفة مبتدا محذوف تقديره ومنه ايات اخر متشابهات ومتشابهات صفة بعد صفة واخر غير منصرف قال
سيبويه ان اخر فارقت اخواتها والاصل الذي عليه بناء اخواتها لان اخر اصلها ان يكون صفة بالالف واللام كما جاءت
الصغرى والكبرى فلما عدلت عن مجرى الالف واللام والاصل … وهي مما لا يكون الا صفة منعت الصرف وقال الكسائي

انما لم تنصرف لانه صفة وهذا غلط لان قولهم مال لبد وخطر منصرفان مع كونهما صفة وابتغاء نصب لانه مفعول
له في الموضعين وكل من عند ربنا مبتدا وخبر وهو اسم دال على المضاف اليه كثر في الكلام حذف المضاف اليه منه
عند البصريين ولا يجيزون ان تكون فيها على الصفة واجازه الكوفيون لانه انما حذف منهم الدلالة عليه … كانت
صفة وانما بني قبل على الغاية ولم يبن كل وان حذف من كل واحد منهما المضاف اليه لان قبل ظرف يعرف وينكر
ففرق بين ذلك بالبناء الذي يدل على تعريفه بالمضاف اليه وبالاعراب الذي يدل على تنكيره بالانفصال وليس كذلك
كل لانه معرفة في الافراد دون نكرة واما غيره فيجب لما فيه من معنى الامر المعنى لما تقدم بيان ان القران عقبه ببيان
كيفية انزاله فقال هو الذي انزل عليك يا محمد الكتاب اى القران منه اى من الكتاب ايات محكمات هن ام الكتاب اى اصل
الكتاب واخر متشابهات قيل في المحكم والمتشابه اقوال احدها ان المحكم ما علم المراد بظاهره من غير قرينة تقترن اليه
ولا دلالة تدل على المراد به لوضوحه نحو قوله سبحانه ان الله لا يظلم الناس شيئا ولا يظلم مثقال ذرة ونحو ذلك
مما لا يحتاج في معرفة المراد به الى دليل والمتشابه ما لا يعلم المراد بظاهره حتى يقترن به ما يدل على المراد منه لالتباسه
نحو قوله واضله الله على علم فانه يفارق قوله واضلهم السامري لان اضلال السامري قبيح واضلال الله سبحانه حسن وهذا
معنى قول مجاهد المحكم ما لم يشتبه معانيه والمتشابه ما اشتبهت معانيه وانما يقع الاشتباه في امور الدين كالتوحيد
ونفي التشبيه والجور الا ترى ان قوله ثم استوى على العرش يحتمل في اللغة ان يكون كاستواء الجالس على سرير وان يكون
بمعنى القهر والاستيلاء والوجه الاول لا يجوز عليه سبحانه وثانيها ان المحكم الناسخ والمتشابه المنسوخ عن ابن عباس
وثالثها ان المحكم ما لا يحتمل من التاويل الا وجها واحدا والمتشابه ما يحتمل وجهين فصاعدا عن محمد بن جعفر بن
الزبير وابي علي الجبائي ورابعها ان المحكم ما لم يتكرر الفاظه والمتشابه ما تكررت الفاظه كقصة موسى ع وغير ذلك
عن ابن زيد وخامسها ان المحكم ما يعلم تعيين تاويله والمتشابه ما لا يعلم تعيين تاويله كقيام الساعة عن جابر بن عبد الله وانما جعل
ام الكتاب ولم يقل امهات الكتاب لوجهين احدهما انه على وجه الجواب كانه قيل ما ام الكتاب فقال هن ام الكتاب
كما يقال من نظير زيد فيقال نحن نظير زيد والثاني ان الايات بمجموعها اصل الكتاب وليست كل اية محكمة ام الكتاب واصله
لانه حكى بمجرى شئ واحد في البيان والحكمة ومثله قوله وجعلنا ابن مريم وامه اية ولم يقل ايتين لان شانهما واحد
فانها جاءت به من غير ذكر فلم تكن الاية لها الا به ولا له الا بها ولو اراد ان كل واحد منهما اية على التفصيل لقال ايتين
فاما الذين في قلوبهم زيغ اى ميل عن الحق وانما يحصل الزيغ لشك او جهل فيتبعون ما تشابه منه اى يحتجون على باطلهم
ابتغاء الفتنة اى لطلب الضلال والاضلال وافساد الدين على الناس وقيل لطلب التلبيس على ضعفاء الخلق عن مجاهد
وقيل الطلب الشرف والمال كما سمى الله سبحانه وتعالى المال فتنة في مواضع من كتابه وقيل المراد بالفتنة هاهنا الكفر وهو المروي
عن ابي عبد الله ع وقول الربيع والسدي وابتغاء تاويله ولطلب تاويله على خلاف الحق وقيل الطلب مدة اكل محمد صلعم
من حساب الجمل وابتغاء عاقبته والدليل على ذلك قوله ذلك خير واحسن تاويلا اى عاقبة وقول العرب تاول الشئ اذا انتهى
وقال الزجاج معنى ابتغائهم تاويله انهم طلبوا تاويل بعثهم واحيائهم فاعلم الله تعالى ان ذلك لا يعلمه الا الله ويدل على ذلك قوله هل
ينظرون الا تاويله واختلف في الذين عنوا بهذا فقيل عني به وفد نجران لما حاجوا النبي في امر عيسى ع وسالوه فقالوا اليس هو كلمة الله
وروحا منه فقال بلى فقالوا حسبنا فانزل الله تعالى فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه يعني انهم قالوا ان الروح ما فيه حياة
البدن فاجروه على ظاهره والمسلمون يحملونه على ان بقاء الدين كان به في وقته كما ان حياة البدن بالروح وقد قامت الدلالة
على ان القديم سبحانه ليس بذي اجزاء واعضاء وانما يضاف اليه الروح تشريفا للروح كما يضاف البيت اليه ثم انزل ان مثل
عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب عن الربيع وقيل هم اليهود طلبوا علم اكل هذه الامة واستخراجه بحساب الجمل عن الكلبي وقيل
هم المنافقون عن ابن جريج وقيل بل كل من احتج بالمتشابه لباطله والاية عامة كالحرورية والسبائية عن قتادة ومما

يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم اى الثابتون فى العلم الضابطون له المتقنون فيه واختلف فى نظمه وحكمه على قولين احدهما ان الراسخون معطوف على الله بالواو على معنى ان تأويل المتشابه لا يعلمه الا الله والا الراسخون فى العلم فانهم يعلمونه ويقولون على هذا فى موضع النصب على الحال والتقدير قائلين امنا به كل من عند ربنا كقول ابن المفرغ الحميرى

الريح تبكى شجوه والبرق يلمع فى غمامه اى والبرق ايضا يبكى لامعا فى غمامه وهذا قول ابن عباس والربيع ومحمد بن جعفر بن الزبير واختيار ابى مسلم وهو المروى عن ابى جعفر عم فانه قال كان رسول الله صم افضل الراسخين فى العلم قد علم جميع ما انزل الله عليه من التنزيل والتأويل وما كان الله لينزل شيئا عليه لم يعلمه تأويله وهو واوصياؤه من بعده يعلمونه كله ومما يؤيد هذا القول ان الصحابة والتابعين اجمعوا على تفسير جميع آى القرآن ولم نرهم توقفوا عن شىء منه فلم يفسروه بان قالوا هذا متشابه لا يعلمه الا الله وكان ابن عباس يقول فى هذه الاية انا من الراسخين فى العلم والقول الاخر ان الواو فى قوله والراسخون فى العلم واو الاستيناف فعلى هذا القول يكون تأويل المتشابه لا يعلمه الا الله تعالى والوقف عند قوله وما يعلم تأويله الا الله ويبتدئ والراسخون فى العلم يقولون امنا به فيكون مبتدأ وخبرا وهذا قول عائشة وعروة بن الزبير والحسن ومالك واختيار الكسائى والفراء والجبائى وقالوا ان الراسخين لا يعلمون تأويله ولكنهم يؤمنون به فالاية على هذا التأويل الى العلم بمدة اكل هذه الامة ووقت قيام الساعة وفناء الدنيا ووقت طلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى وخروج الدجال ونحو ذلك مما استأثر الله تعالى بعلمه ويكون التأويل على هذا القول بمعنى المتأول كقوله هل ينظرون الا تأويله يوم يأتى تأويله يعنى الموعود به وقوله كل من عند ربنا معناه المحكم والمتشابه جميعا من عند ربنا وما يذكر اى وما يتفكر فى آيات الله ولا يرد المتشابه الى المحكم الا اولوا الالباب اى ذووا العقول فان قيل لم انزل الله فى القرآن المتشابه وهلا انزله كله محكما فالجواب انه لو جعل جميعه محكما لاتكل الناس كلهم على الخبر واستغنى عن النظر ولكان لا يتبين فضل العلماء على غيرهم ولكان لا يحصل لهم ثواب النظر واتعاب الخاطر فى استنباط المعنى وقال القاضى الماوردى انما وصف الله سبحانه جميع القرآن بانه محكم بقوله الر كتاب احكمت آياته ووصف جميعه ايضا بانه متشابه بقوله الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها فمعنى الاحكام الاتقان والمعنى انه موضوع باتقانه واحكام معانيه من تعرض الخلل فيه فان القرآن كله محكم من هذا الوجه وقوله متشابها اى يشبه بعضه بعضا فى الحق والصدق والصواب والبعد من الخلل والتناقض فهو كله متشابه من هذا الوجه قوله تعالى ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب • ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ان الله لا يخلف الميعاد • ايتان اللغة الهبة تمليك الشىء من غير مثامنة والهبة والنحلة والصلة نظائر وفى لدن خمس لغات لدن ولدن بضم اللام والدال ولدن بفتح اللام والدال ولدن بفتح اللام وسكون الدال وكسر النون ولد بحذف النون والميعاد بمعنى الوعد كما ان الميقات بمعنى الوقت الاعراب اللام فى قوله ليوم لا ريب فيه معناه فى يوم وانما جاز ذلك لما دخلا اللام فان تقديره جامع الناس للجزاء فى يوم لا ريب فيه فلما حذف لفظ الجزاء دخلت على ما يليه فاغنت عن فى لان حرف الاضافة متواخية لما يجمعها من معنى الاضافة وقد كان يجوز فتح ان فى قوله ان الله لا يخلف الميعاد على تقدير جامع الناس ليوم لا ريب فيه لان الله لا يخلف الميعاد ولم يقرأ به المعنى ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا هذه حكاية عن قول الراسخين فى العلم الذين ذكرهم الله فى الاية الاولى وذكر فى تأويله وجوه احدها ان معناه لا تمنعنا لطفك الذى معه يستقيم القلوب فتميل قلوبنا عن الايمان بعد اذ وفقتنا بالطافك حتى اهتدينا اليه وهذا دعاء للتثبيت على الهداية والامداد بالالطاف والتوفيقات ويجرى مجرى قولهم اللهم لا تسلط علينا من لا يرحمنا والمعنى لا تخل بيننا وبين من لا يرحمنا فيتسلط علينا فكانهم قالوا لا تخل بيننا وبين نفوسنا بمنعك التوفيق والالطاف عنا منعا ونضل وانما منع ذلك بسبب ما يكتسبه العبد من المعصية ويفرط فيه من التوبة كما قال سبحانه فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم وثانيها ان معناه لا

تكلفنا من الشدائد ما يصعب علينا فعله وتركه فتزيغ قلوبنا بعد الهداية وتطمس فلما كتب عليهم القتال تولوا فاضافوا ما يقع من زيغ القلوب اليه سبحانه لان ذلك يكون عند تشديده تعالى المحنة عليهم كما قال سبحانه فزادتهم رجسا الى رجسهم ولم يزدهم دعاؤه الا فرارا وثالثها ما قاله ابو على الجبائى ان المراد لا تزغ قلوبنا عن ثوابك ورحمتك ومعناه ذكره الله تعالى من الشرح والسعة بقوله يشرح صدره للاسلام وذكر ان ضد هذا الشرح هو الضيق والحرج اللذان يفعلان بالكفار عقوبة ومن ذلك التطهير الذى يفعله فى قلوب المؤمنين ويمنعه الكافرين كما قال اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم ومن ذلك كتابة الايمان فى قلوب المؤمنين كما قال اولئك كتب فى قلوبهم الايمان وضد هذه الكتابة هى سمات الكفر التى هى فى قلوب الكفار فكانهم سألوا الله تعالى ان لا يزيغ قلوبهم عن هذا الثواب الى ضده من العقاب ورابعها انه لا يمتنع ان يكون ذلك تعبدا من الله تعالى بالدعاء بان لا يزيغ القلوب عن اليقين والايمان ولا يقتضى ذلك انه تعالى سئل عما لولا المسألة لجاز ان يفعله لانه غير ممتنع ان يدعوه على سبيل الانقطاع اليه والافتقار الى ما عند بان يفعل ما يعلم انه يفعله وبان لا يفعل ما يعلم انه واجب ان لا يفعله اذا تعلق بذلك ضرب من المصلحة كما قال سبحانه قل رب احكم بالحق وقال ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك وقال حاكيا عن ابراهيم ولا تخزنى يوم يبعثون فان قيل هل يجوز على هذا ان يقول ربنا ولا تظلمنا ولا تجر علينا فالجواب انا لم نجز ذلك لان فيه تسخطا من السائل واستعمال ذلك فيمن جرت عادته بالجور والظلم وليس كذلك ما نحن فيه وهب لنا من لدنك رحمة اى من عندك لطفا نتوصل به الى الثبات على الايمان اذ لا نتوصل الى الثبات على الايمان الا بلطفك كما لا نتوصل الى ابتدائه الا بذلك وقيل معناه انك انت الوهاب المعطى للنعمة التى تستحق الهبة والعطية ربنا اى ويقولون يا سيدنا وخالقنا انك جامع الناس للجزاء فى يوم لا ريب فيه اى ليس فيه موضع ريب وشك لوضوحه وهذا يتضمن اقرارهم بالبعث ان الله لا يخلف الميعاد اى لا يخلف الوعد وقيل هو متصل بما قبله من دعاء الراسخين فى العلم وان خالف اخر الكلام اوله فى الخطاب والغيبة فيكون مثل قوله حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم وتقديره فاغفر لنا انك لا تخلف ما وعدته وقيل انه على الاستيناف وهو اختيار الجبائى فيكون اخبارا عن الله تعالى قوله تعالى ان الذين كفروا لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا واولئك هم وقود النار • اية الوقود الحطب والوقود ايقاد النار المعنى ثم بين سبحانه حال الذين فى قلوبهم زيغ فقال ان الذين كفروا بايات الله ورسله لن تغنى عنهم اى لن تدفع عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا قال ابو عبيدة من هنا بمعنى عند وقال المبرد هى على اصلها لابتداء الغاية فى قوله لن تغنى عنهم منا ابتداء وانتهاء وقيل معناه من عذاب الله شيئا واولئك هم وقود النار اى حطب النار يتقد النار اى حطب النار باجسامهم كما قال فى موضع اخر حصب جهنم قوله تعالى كدأب ال فرعون والذين من قبلهم كذبوا باياتنا فاخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب • اية اللغة الدأب العادة يقال دأب يدأب دأبا ودأبا اذا اعتاد الشىء ومرن عليه والدأب الاجتهاد يقال دأب يدأب فى كذا دأبا ودؤوبا اذا اجتهد فيه وبالغ ونقل من هذا الى العادة لانه يبالغ فيه حتى صار عادة له قال زهير لا تحلن بالجحر لا دأب الى الليل الا ان يعرس طفل والذنب والجرم والجناية يقال اذنب فهو مذنب والذنب التلو للشىء ذنبه يذنبه اذا تلاه والذنوب الدلو لانها تلية للحبل فى الجذب والذنوب النصيب لانه كالدلو فى الاقسام والذنوب الفرس الوافر الذنب واصل الباب التلو فالذنب الجرم لما يتلوه من استحقاق الذم كما ان العقاب سمى بذلك لانه يستحق عقيب الذنب الاعراب الكاف فى قوله كدأب متعلقة بمحذوف وتقديره عادتهم كعادة ال فرعون فيكون الكاف فى موضع رفع بانها خبر المبتدأ ولا يجوز ان يعمل فيها كفروا لان صلة الذين قد انقطعت بالخبر ولكن جاز ان يكون فى موضع نصب بوقود النار لان فيه معنى الفعل على تقدير يتقد النار باجسامهم كما يتقد باجسام ال فرعون كذبوا جملة فى موضع الحال والعامل فيه المعنى فى دأب ال فرعون وقد مضت معه المعنى عادة هؤلاء فى التكذيب بك وبما انزل اليك كعادة ال

عون اى كعادة آل فرعون فى التكذيب برسولهم وبما انزل اليهم عن ابن عباس وعكرمة ومجاهد والضحاك و
السدى وقيل معناه اجتهاد هؤلاء الكفار فى قهرك وابطال امرك كاجتهاد آل فرعون فى قهر موسى ع عن الاصم و
الزجاج وقيل كعادة الله فى آل فرعون فى انزال العذاب بهم بما سلف من اجرامهم وقيل كسنة آل فرعون عن الربيع و
الكسائى وابى عبيدة وقيل كامر آل فرعون وشأنهم عن الاخفش وقيل كحال آل فرعون عن قطرب والذين من قبلهم يعنى
كفار الامم الماضية كذبوا باياتنا فاخذهم الله اى عاقبهم الله بذنوبهم وسمى المعاقبة مؤاخذة لانها اخذ بالذنب لاشد
بالذنب عقوبة والله شديد العقاب لمن يعاقبه قوله تعالى قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس
المهاد • القراءة قرأ اهل الكوفة غير عاصم سيغلبون ويحشرون بالياء والباقون بالتاء الحجة من قرأ بالتاء
فلقوله قد كان لكم آية فاجرى الجميع على الخطاب ومن قرأ بالياء فللتصرف فى الكلام والانتقال من خطاب المواجه الى
لفظ الغائب ونظيره قوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وقل للذين آمنوا يغفروا وقيل ان الخطاب
لليهود والضمير فى سيغلبون للمشركين لان اليهود اظهروا الشماتة بما كان من المشركين يوم احد فعلى هذا لا يكون الا بالياء
لان المشركين غيب • اللغة الحشر الجمع مع سوق ومنه يقال للنبى الحاشر يحشر الناس على قدميه كانه يقدمهم ثم
خلفه لانه آخر الانبياء فيحشر الناس فى زمانه وبعده وجهنم اسم من اسماء النار وقيل اخذ من الجهنام وهو البئر البعيد
القعر والمهاد القرار وهو الموضع الذى يتمهد فيه اى ينام مثل الفراش • النزول روى محمد بن اسحاق بن يسار
عن رجاله قال لما اصاب رسول الله ص قريشا ببدر وقدم المدينة جمع اليهود فى سوق قينقاع فقال يا معشر اليهود احذروا
من الله مثل ما نزل بقريش يوم بدر واسلموا قبل ان ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم انى نبى مرسل تجدون ذلك فى كتابكم
فقالوا يا محمد لا يغرنك انك لقيت قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة انا والله لو قاتلناك لعرفت انا
نحن الناس فانزل الله هذه الآية وروى ايضا عن عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس ورواه اصحابنا ايضا وقيل
نزلت فى مشركى مكة ستغلبون يوم بدر عن مقاتل وقيل نزلت فى اليهود لما قتل الكفار ببدر فهزموا قالت اليهود
انه النبى الامى الذى بشرنا به موسى ونجده فى كتابنا بنعته وصفته وانه لا ترد له راية ثم قال بعضهم لبعض لا تعجلوا
حتى تنظروا الى وقعة له اخرى فلما كان يوم احد ونكب اصحاب رسول الله ص شكوا وقالوا لا والله ما هو به
فغلب عليهم الشقاء فلم يسلموا وقد كان بينهم وبين رسول الله عهد الى مدة لم ينقض فنقضوا ذلك العهد قبل اجله
وانطلق كعب بن الاشرف الى مكة فى ستين راكبا فوافقوهم واجمعوا امرهم على رسول الله لتكونن كلمتنا واحدة ثم
رجعوا الى المدينة فانزل الله فيهم هذه الآية عن الكلبى عن ابى صالح عن ابن عباس • المعنى لما تقدم ذكر ما اصاب الفرق
الخالية بالتكذيب للرسل من العذاب حذر هؤلاء الكفار ان يحل بهم ما حل باولئك فقال سبحانه قل للذين كفروا
اما مشركى مكة او اليهود على ما تقدم ذكره ستغلبون اى ستهزمون وتصيرون مغلوبين فى الدنيا وتحشرون اى تجمعون
الى جهنم فى الآخرة وقد فعل الله تعالى ذلك فاليهود غلبوا بوضع الجزية عليهم والمشركون غلبوا بالسيف واذا قرئ
سيغلبون بالياء فقد يمكن ان يكون المغلوبون والمحشورون غير المخاطبين وانهم قوم آخرون ويمكن ان يكونوا
اياهم كما تقول قل لعبد الله انه قائم وانك قائم واذا قرئ بالتاء فلا يجوز ان يظن هذا فلا يكونون غير المخاطبين
وبئس المهاد اى بئس ما مهد لكم وبئس ما مهدتم لانفسكم عن ابن عباس وقيل معناه بئس القرار عن الحسن وقيل بئس
الفراش الممهد لهم وفى الآية دلالة على صحة نبوة محمد ص لانه اخبر عن وقوع مخبر على وفق خبره فدل ذلك على صدقه ولا يكون
ذلك على وجه الاتفاق لانه قد اخبر اخبارا كثيرة من الاستقبال فخرج الجميع كما قال فعلم ان كل واحد منها كان معجزا لانه
لا يطلع على غيبه الا من ارتضى من رسول فكذلك هذه الآية واذا ثبت صدقه على احد الخبرين وهو انهم ستغلبون
ثبت صدقه فى الخبر الآخر وهو انهم يحشرون الى جهنم قوله تعالى قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة

تقاتل فى سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار
• القراءة قرأ اهل المدينة والبصرة عن ابى عمرو ترونهم بالتاء والباقون بالياء وروى فى الشواذ عن ابن عباس
يُرَونهم بضم الياء • الحجة قال ابو على من قرأ يرونهم بالياء فلانه لما تقدم الخطاب غيبة وهو قوله فئة تقاتل فى سبيل الله واخرى
كافرة يرونهم اى يرى الفئة المقاتلة فى سبيل الله الفئة الكافرة مثليهم وعاد بالياء فى قوله مثليهم ولو كان على التاء
لكان مثليكم وان كان قد جاء وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون ورأيت هنا هى المتعدية الى
مفعول واحد بدلالة تعلقها بقوله رأى العين واذا كان كذلك كان انتصاب مثليهم على الحال لا على انه مفعول ثان فاما
واما مثل فقد افرد فى موضع التثنية والجمع فمن الافراد فى التثنية قوله وساقيين مثل زيد وجعل من افرده على الجمع قوله انكم اذا
مثلهم ومن جمعه قوله ثم لا يكونوا امثالكم ومن قرأ ترونهم فللخطاب الذى قبله وهو قوله قد كان لكم آية ترونهم مثليهم فالضمير فى
ترونهم للمسلمين والضمير المنصوب للمشركين اى ترون ايها المسلمون المشركين مثلى المسلمين فاما قراءة ابن عباس يرونهم فوجه
ما قاله ابن جنى ان رأيت والذى هو فى اليقين من رأيت والذى تقول ارى سيكون كذا اى هذا غالب ظنى واذا كان يكون
كذا اى اعلمه واتحققه • اللغة الايد القوة ايده تأييدا اى قواه وايده تأييدا بمعناه والعبرة الآية التى يعتبر
بالشىء اعتبارا وهو العبور والعبور النفوذ من احد الجانبين الى الآخر وسميت الآية عبرة لانه يعبر بها من منزلة العلم الى من
الجهل والمعتبر بالشىء تارك جهله وواصل الى علمه بما رأى والعبارة الكلام يعبر بالمعنى الى المخاطب والعبارة تفسير الرؤيا
والتعبير وزن الدنانير وغيرها والعبرة الدمعة واصل الباب النفوذ • الاعراب قوله فئة يحتمل ثلاثة اوجه من
الاعراب الرفع على الاستيناف بتقدير منهم فئة تقاتل واخرى كافرة والجر على البدل والنصب على الحال كقول كثير وكنت
كذى رجلين رجل صحيحة ورجل رمى فيها الزمان فشلت انشد بالرفع والجر وقال ابن مفرغ وكنت كذى رجلين رجل
صحيحة ورجل بها ريب من الحدثان فاما التى صحت فازد شنوءة واما التى شلت فازد عمان وقال الآخر اذا مت
كان الناس صنفين شامت وآخر مثن بالذى كنت اصنع ولا يجوز ان يقول مررت بثلاثة صريع وجريح بالجر لانه
لم يستوف العدة ويجوز بالرفع على تقدير منهم صريع ومنهم جريح فان قلت مررت بثلاثة صريع وجريح وسليم جاز الرفع
والجر فان اردت فيه اقتلوا جاز النصب الثلاثة والقراءة بالرفع لا غير وقوله رأى العين يجوز ان يكون مصدرا
لرأى والعين فى موضع الرفع لانه الفاعل ويجوز ان يكون ظرفا للمكان كما تقول ترونهم امامكم • النزول نزلت الآية
فى قصة بدر وكان المسلمون ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا على عدة اصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر سبعة وسبعون
رجلا من المهاجرين ومائتان وستة وثلاثون من الانصار وكان صاحب لواء رسول الله والمهاجرين على بن ابى طالب عليه السلام
وصاحب راية الانصار سعد بن عبادة وكانت الابل فى جيش رسول الله سبعين بعيرا والخيل فرسين فرس للمقداد
بن عمرو وفرس لمرثد بن ابى مرثد وكان معهم من السلاح ستة ادرع وثمانية سيوف وجميع من استشهد يومئذ اربعة
عشر رجلا من المهاجرين وثمانية من الانصار واختلف فى عدة المشركين فروى عن على ع وابن مسعود انهم كانوا الفا
عن قتادة وعروة بن الزبير والربيع كانوا بين تسعمائة الى الف وكانت خيلهم مائة فرس ورأسهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس
وكان حرب بدر اول مشهد شهده رسول الله ص وكان سبب ذلك عير ابى سفيان • المعنى لما وعد الله تعالى الظفر
لاهل الايمان بين ما فعله يوم بدر باهل الكفر والطغيان فقال قد كان لكم آية قيل الخطاب لليهود الذين نقضوا
العهد اى كان لكم ايها اليهود دلالة ظاهرة وقيل الخطاب للناس جميعا ممن حضر الوقعة وقيل للمشركين واليهود آية
اى حجة وعلامة ومعجزة دالة على صدق محمد فى فئتين التقتا اى فرقتين اجتمعتا ببدر من المسلمين والكافرين فئة
فرقة تقاتل تحارب فى سبيل الله فى دينه وطاعته وهم الرسول واصحابه واخرى اى فرقة اخرى كافرة هم
المشركون من اهل مكة يرونهم مثليهم اى ضعفيهم رأى العين فى ظاهر العين واختلف فى معناه فقيل

١٥٣

معناه يرى المسلمون المشركين مثل عدد انفسهم قللهم في اعينهم حتى رأوهم ستمائة وستة وعشرين رجلا تقوية لقلوبهم وذلك ان المسلمين قد قيل لهم فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين فاراهم الله عددهم حسب ما حد لهم من العدد الذي يلزمهم ان يقدموا عليهم ولا يحجموا عنهم وقد كانوا ثلاثة امثالهم ثم ظهر العدد القليل على العدد الكثير عن ابن مسعود وجماعة من العلماء وقيل ان الرؤية للمشركين يعني يرى المشركون المسلمين ضعفي ما هم عليه فان الله تعالى قلل المشركين في اعين المسلمين ليجترؤا عليهم ولا ينصرفوا عنهم واما قلل المشركين في اعين المسلمين ليجترئوا عليهم وتصديق ذلك قوله تعالى واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا ويقللكم في اعينهم الآية وذلك احسن اسباب النصر للمؤمنين والخذلان للكافرين وهذا قول السدي وانما يتأتى هذا القول على قراءة من قرأ بالياء ولما قرأه من قرأ بالتاء فلا يحتمله الا القول الاول على ان يكون الخطاب للذين لم يحضروا وهم المعنيون بقوله للذين كفروا ستغلبون وتحشرون وهم يهود بني قينقاع فكأنه قال ترون ايها اليهود المشركين مثل المسلمين مع ان الله اظفرهم فلا تغتروا بكثرتكم واختار البلخي هذا الوجه او يكون الخطاب للمسلمين الذين حضروا الوقعة اي ترون ايها المسلمون المشركين مثل المسلمين وقال الفراء يحتمل قوله يرونهم مثليهم معنى ثلاثة امثالهم لانك اذا قلت عندي الف واحتاج الى مثلها فانت تحتاج الى الفين لانك تريد احتاج الى مثلها مضافا اليها لا بمعنى بدلا منها وكذلك اذا قلت احتاج الى مثليها فانت تحتاج الى ثلاثة آلاف فكذلك في الآية المعنى يرونهم مثليهم مضافا اليهم فذلك ثلاثة امثالهم قال والمعجز فيه انما كان من جهة غلبة القليل الكثير وانكر هذا الوجه الزجاج لمخالفته لظاهر الكلام وما جاء في الآية الاخرى في تقليل الاعداد فان قيل كيف يصح تقليل الاعداد مع حصول الرؤية وارتفاع الموانع وهل هذا الا قول من جوز ان يكون عنده اجسام لا يدركها او يدرك بعضها دون بعض قال يحتمل ان يكون التقليل في اعين المؤمنين بان يظنوهم قليلي العدد لانهم ادركوا بعضهم دون بعض لان العلم بما يدركه الانسان جملة غير العلم بما يدركه مفصلا ولهذا قد ندرك جمعا عظيما باسرهم ونشك في اعدادهم حتى يقع الخلاف في حزر عددهم وعلى هذا الوجه يكون تاويل تقليل الاعداد وقوله والله يؤيد بنصره من يشاء المعنى ان الله تعالى على الاعداء يكون على ضربين نصر بالحجة ونصر بالغلبة فالنصر بالغلبة انما كان بغلبة العدد القليل للعدد الكثير على خلاف مجرى العادة وبما اتاهم الله به من الملائكة وقوى به نفوسهم من تقليل العدد والنصر بالحجة هو وعد المتقدم بالغلبة لاحدى الطائفتين لا محالة وهذا لا يعلمه الا علام الغيوب ان في ذلك اي في ظهور المسلمين مع قلتهم على المشركين مع كثرتهم وتقليل المشركين في اعين المسلمين وتكثير المسلمين في اعين المشركين لعبرة لاولي الابصار اي لذوي العقول كما يقال لفلان بصير بالامور ولا يراد به الابصار بالحواس الذي يشترك فيه سائر الحيوانات قوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا والله عنده حسن المآب

اللغة الشهوات جمع شهوة وهي توقان النفس الى المشتهى يقال اشتهى يشتهي شهوة واشتهاء والشهوة من فعل الله تعالى ولا يقدر عليها غيره احد من البشر وهي ضرورية فينا لانه لا يمكننا دفعها عن نفوسنا والقناطير جمع قنطار وهو المال الكثير العظيم واصله من الاحكام يقال قنطرت الشيء اي احكمته والقنطرة معروفة قيل اصلها من القنطرة وهو البناء المعقود للعبور والمقنطرة المحصلة قناطير كقولهم دراهم مدرهمة اي مجعولة كذلك ودنانير مدنرة وقيل انما ذكر المقنطرة للتأكيد وقد يؤكد الفاعل والمفعول باسمائهما كالمفعول مثل قولهم حجر محجور ونسيا منسيا والفاعل كقولهم شعر شاعر وموت مائت والمراد بالجميع المبالغة والتأكيد وسميت الخيل خيلا لاختيالها في مشيها والاختيال من التخيل لانه يتخيل به صاحبه في صورة من هو اعظم منه كبرا والمسومة من قولهم اسمت الماشية وسومتها اذا ارعيتها والسيما الحسن والسيماء معناه العلامة ومنه قيل غلام رماه الله بالحسن يافعا له سيمياء لا يشق على البصر ثمة

العاقبة وهو اصل الباب والمآب المرجع من الاوب وهو الرجوع المعنى ثم اخبر الله تعالى اخبر عن السبب الذي دعا الناس عن الحق والهدى والركون الى الدنيا فقال زين للناس حب الشهوات اي حب المشتهيات ولم يرد به نفس الشهوة ولهذا فسرها بالنساء والبنين وغيرهما ثم اختلف فيمن زينها لهم فقيل زينها الشيطان عن الحسن قال والله ما احد اذم للدنيا ممن خلقها وقيل زينها الله تعالى لهم لما جعل في الطباع من الميل اليها وما خلق فيها من الزينة محنة وتشديدا للتكليف كما قال انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وقيل زين الله تعالى ما يحسن منه وزين الشيطان ما يقبح عن ابي علي الجبائي ثم قدم تعالى ذكر النساء فقال من النساء لان الفتنة بهن اعظم وقال النبي صلى الله عليه وآله ما تركت بعدي فتنة اضر على الرجال من النساء وقال النساء حبائل الشيطان وقال امير المؤمنين عليه السلام المرأة شر كلها وشر ما فيها انه لا بد منها وهي عقرب حلو اللبسة قال والبنين لانهم يدعوا الى جمع الحرام وقال النبي صلى الله عليه وآله للاشعث بن قيس هل لك من ابنة حمزة من ولد قال نعم لي منها غلام ولوددت ان لي به جفنة من طعام اطعمها من بقي من بني جبلة فقال لئن قلت ذلك انهم لثمرة القلوب وقرة الاعين وانهم مع ذلك لمجبنة مبخلة محزنة والقناطير جمع قنطار واختلف في مقداره فقيل الف ومائتا اوقية عن معاذ بن جبل وابي بن كعب وعبد الله بن عمر وقيل الف ومائتا مثقال عن ابن عباس والحسن والضحاك وقيل الف دينار واثنا عشر الف درهم عن الحسن بخلاف وقيل ثمانون الفا من الدراهم او مائة رطل عن قتادة وقيل سبعون الف دينار عن مجاهد وعطاء وقيل هو ملء مسك ثور ذهبا عن ابي نضرة وقيل لا تحديد له وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام والمقنطرة المضاعفة عن قتادة وقيل هي تسعة قناطير عن الفراء وقيل هي الاموال المنضدة بعضها فوق بعض عن الضحاك وقيل الكاملة المجتمعة وقيل هو من الذهب خاصة عن الزجاج والاصح قول من قال من الذهب والفضة لان الله تعالى ذكر القناطير منهما جميعا ويجمع الاقوال الرجوع الى الكثرة والخيل المسومة قيل الراعية عن سعيد بن جبير وابن عباس والحسن والربيع وقيل هي الحسنة من السيماء وهو الحسن عن مجاهد وعكرمة والسدي وقيل هي المعلمة عن قتادة وفي رواية عن ابن عباس وقيل هي المعدة للجهاد عن ابن زيد والانعام وهي جمع النعم وهي الابل والبقر والغنم والضأن والمعز ولا يقال لجنس منها على الانفراد نعم الا للابل خاصة لانها تغلب عليه جملة وتفصيلا والحرث معناه الزرع وهذه كلها محبة الى الناس كما ذكر الله تعالى ثم بين ان ذلك كله مما يتمتع به في الحيوة ثم يزول عن صاحبه والمرجع الى الله تعالى فاحث بها الانسان بان يزهد فيه ويرغب فيما عنده فقال ذلك متاع الحيوة الدنيا يعني كل ما سبق ذكره مما يستمتع في الحيوة الدنيا به ثم يفنى والله عنده حسن المآب اي حسن المرجع فالمآب مصدر سمي موضع الاياب قوله تعالى قل اؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وازواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد القراءة قرأ ابو بكر عن عاصم ورضوان بضم الراء كل القرآن والباقون بكسر الراء الحجة الرضوان مصدر فمن كسر جعله كالريان والحرمان ومن ضم جعله كالشكران والكفران الاعراب منتهى الاستفهام في قوله اؤنبئكم عند قوله عند ربهم ثم استأنف جنات تجري على تقدير الجواب كانه قيل ما ذلك الخير قال هو جنات وقيل منتهى الاستفهام عند قوله بخير من ذلكم ثم ابتداء فقال للذين اتقوا عند ربهم جنات ويجوز في العربية في اعراب جنات الرفع والجر الجر على ان يكون آخر الكلام عند ربهم ولا يجوز الجر على الوجه الاخر للفصل باللام كما لا يجوز امرت لك بالفين ولاخيك مائتين حتى تقول بمائتين ولو قدمت فقلت وبمائتين لاخيك لجاز خالدين نصب على الحال المعنى لما ذم الله تعالى الدنيا وزهد فيها في الاية الاولى عظم الآخرة ورغب فيها في هذه الاية فقال قل يا محمد لامتك اؤنبئكم اخبركم بخير من ذلكم مما يقع لكم مما سبق ذكره في الاية المتقدمة من شهوات الدنيا ولذاتها وزهرتها للذين اتقوا ما حرم الله عليهم عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار اي من تحت اشجارها الانهار وعلى القول الاخر اخبركم بخير مما سبق للذين اتقوا عند ربهم

ثم ابتدأ فوصف تلك الجنات فقال جنات تجري من تحتها الانهار اي من تحت ابنيتها واشجارها ومن الله تعالى انها انهار جارية
ابدا ليست كانهار الدنيا التي تجري تارة وتنقطع اخرى خالدين فيها اي مقيمين في تلك الجنات وازواج
مطهرة من الحيض والنفاس وجميع الاقذار والادناس والطبائع الذميمة والاخلاق اللئيمة ورضوان من الله وذكره
هذه الجنات رضوان من الله والله بصير بالعباد اي خبير باعمالهم واحوالهم قوله تعالى الذين يقولون ربنا اننا امنا
فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار • الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار • ايتان
اللغة المغفرة هي ستر الذنب برفع التبعة والذنب والجرم بمعنى واحد والفرق بينهما ان اصل الذنب الاتباع فهو ما
يتبع عليه العبد من قبح عمله كالتبعة والجرم اصله القطع فهو القبيح الذي ينقطع به عن الواجب والفرق بين القول والكلام
ان القول فيه معنى الحكاية وليس كذلك الكلام والصابر الحابس نفسه عن جميع معاصي الله والمقيم على ما اوجب عليه من العبادات
والصادق المخبر بالشيء على ما هو به والقانت المطيع والاسحار جمع سحر وهو الوقت الذي قبل طلوع الفجر واصله الخفاء
الشخص في ذلك الوقت والسحر منه ايضا لخفاء سببه والسحر الرية لخفاء موضعها الاعراب يجوز في موضع الذين الرفع
والنصب والجر فالجر للاتباع للذين اتقوا والرفع والنصب على المدح الصابرين نصب على المدح وكذلك باقي الصفات
ويجوز ان يكون جرا على الصفة للذين اتقوا المعنى ثم وصف المتقين الذين سبق ذكرهم في قوله للذين اتقوا فقال
الذين يقولون اي المتقين القائلين ربنا اننا امنا اي صدقنا الله ورسوله فاغفر لنا ذنوبنا اي استرها علينا
وتجاوز عنها وقنا عذاب النار ثم وصفهم بصفات اخر ومدحهم واثنى عليهم فقال الصابرين على طاعة
امر الله وترك ما نهاهم عنه وان شئت قلت الصابرين على الطاعة وعن المعصية والصادقين في ايمانهم واقوالهم
والقانتين قيل المطيعين عن قتادة وقيل الدائمين على الطاعة والعبادة عن الزجاج وقيل القائمين بالواجبات
عن القاضي والمنفقين اموالهم في سبيل الخير ويدخل فيه الزكوة المفروضة والتطوع بالانفاق والمستغفرين
بالاسحار المصلين وقت السحر عن قتادة ورواه الرضا عن ابيه عن ابي عبد الله عليهم السلام وقيل السائلين المغفرة وقت السحر عن
انس وقيل المصلين صلوة الصبح في جماعة عن زيد بن اسلم وقيل الذين ينتهي صلوتهم الى وقت السحر ثم يستغفرون
ويدعون عن الحسن وروي عن ابي عبد الله عليه السلام ان من استغفر الله سبعين مرة في وقت السحر فهو من اهل هذه الاية وروى
انس بن مالك عن النبي صلعم قال ان الله عز وجل يقول اني لاهم باهل الارض عذابا فاذا نظرت الى عمار بيوتي والى
المتهجدين والى المتحابين في والى المستغفرين بالاسحار صرفت عنهم قوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة
واولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم • ان الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين اوتوا الكتاب
الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بايات الله فان الله سريع الحساب • ايتان القراءة قراء الكسائي
ان الدين بفتح الالف والباقون بالكسر قال الزجاج وروي عن ابن عباس انه لا اله الا هو بكسر الالف القراءة بالفتح
الحجة قال ابو علي الوجه الكسر فان لان الكلام الذي قبله قد تم ومن فتح جعله بدلا والبدل وان كان في تقدير جملتين
فان العامل لما لم يظهر اشبه الصفة فاذا جعلته بدلا جاز ان تبدله من شيئين احدهما من قوله انه لا اله الا هو فكان التقدير
شهد الله ان الدين عند الله الاسلام فيكون البدل من الضرب الذي الشيء فيه هو هو وان شئت جعلته من بدل الاشتمال
لان الاسلام يشتمل على التوحيد والعدل وان شئت جعلته من القسط لان الدين الذي هو الاسلام قسط وعدل فيكون من
البدل الذي الشيء فيه هو هو وقد اجاز ان الاولى والثانية يجوز في العربية فتحهما جميعا وكسرهما جميعا وفتح الاولى وكسر الثانية
وكسر الاولى وفتح الثانية فمن فتحهما اوقع الشهادة على ان الثانية وحذف حرف الاضافة من الاولى وتقديره شهد الله لانه
لا اله الا هو ان الدين عند الله الاسلام ومن كسرهما اعترض بالاولى على التعظيم لله تعالى كما قال لبيك ان الحمد والنعمة
لك وكسر الثانية على الحكاية لان في معنى شهد معنى قال قال المؤرج شهد بمعنى قال في لغة قيس بن غيلان ومن فتح الاولى

وكسر الثانية

وكسر الثانية وهو الاجود وعليه اكثر القراء اوقع الشهادة على الاولى واستأنف الثانية ومن كسر الاولى وفتح الثانية اعترض بالاولى
واوقع الشهادة على الثانية اللغة حقيقة الشهادة الاخبار بالشيء عن مشاهدة او ما يقوم مقام المشاهدة ومعنى الدين
ههنا الطاعة واصله الجزاء وسميت الطاعة دينا لانها للجزاء ومنه الدين لانه كالجزاء في وجوب القضاء والاسلام اصله
السلم واسلم معناه دخل في السلم واصل السلم السلامة لانه انقياد على السلامة ويصلح ان يكون اصله التسليم لانه
تسليم لامر الله تعالى والتسليم من السلامة لانه تأدية الشيء على السلامة من الفساد والاسلام هو تأدية الطاعات على السلامة
من الادغال والاسلام والايمان بمعنى واحد عندنا وعند المعتزلة غير ان عندهم الواجبات من افعال الجوارح من الايمان
وعندنا الايمان من افعال القلوب الواجبة وليس من افعال الجوارح وقد شرحناه في اول البقرة والاسلام يفيد الانقياد
لكل ما جاء به النبي من العبادات الشرعية والاستسلام له وترك النكير عليه واذا قلنا دين المؤمن هو الايمان وهو الاسلام
فالاسلام هو الايمان ونظير ذلك قولنا الانسان بشر والانسان حيوان على الصورة الانسانية فالحيوان على الصورة
الانسانية بشر والاختلاف ذهاب احد النفسين الى خلاف ما ذهب اليه الاخر فهذا الاختلاف في الاديان واما الاختلاف
في الاجناس فهو امتناع احد الشيئين ان يسد مسد الاخر فيما يرجع الى ذاته والبغي طلب الاستعلاء بالظلم واصله من
بغيت الحاجة طلبتها الاعراب قال في نصب قائما قولان احدهما انه حال من اسم الله تعالى مؤكدة لان الحال المؤكدة
تقع مع الاسماء في غير الاشارة تقول انه زيد معروفا وهو الحق مصدقا وشهد الله قائما بالقسط اي القائم بالعدل
والثاني انه حال من هو من قوله لا اله الا هو وبغيا نصب على وجهين احدهما على انه مفعول له والمعنى وما اختلف
الذين اوتوا الكتاب للبغي بينهم مثل حذر الشر ونحو ذلك وقيل انه منصوب بما دل عليه وما اختلف كانه لما قال
وما اختلف الذين اوتوا الكتاب دل على وما بغى الذين اوتوا الكتاب فحمل بغيا عليه المعنى لما قدم الله تعالى
ذكر ما يلزم الدين اتبعه بذكر اوصاف الدين فقال شهد الله انه لا اله الا هو اي اخبر بما يقوم مقام الشهادة على
وحدانيته من عجيب صنعته ولطيف حكمته وقيل معنى شهد الله قضى الله عن ابي عبيدة قال الزجاج وحقيقته
علم الله وبين ذلك فان الشاهد هو العالم الذي يبين علمه ومنه شهد فلان عند القاضي اي بين ما علمه فالله
عز وجل قد دل على توحيده بجميع ما خلق وبين انه لا يقدر احد ان ينشئ شيئا واحدا مما انشأه والملائكة
اي وشهدت الملائكة بما عاينت من عظيم قدرته واولوا العلم اي وشهد اولوا العلم بما ثبت عندهم وتبين من
صنعته التي لا يقدر عليها غيره وروي عن الحسن ان في هذه الاية تقديما وتأخيرا والتقدير شهد الله انه لا اله الا
هو قائما بالقسط وشهدت الملائكة انه لا اله الا هو قائما بالقسط وشهد اولوا العلم انه لا اله الا هو قائما بالقسط
والقسط العدل الذي قامت به السموات والارض ورواه اصحابنا ايضا في التفسير واولوا العلم هم علماء الاتقياء
عن السدي والكلبي وقيل معنى قوله قائما بالقسط انه يقوم باجراء الامور وتدابير الخلق وجزاء الاعمال بالعدل
كما يقال فلان قائم بالتدبير اي يجري افعاله على الاستقامة وانما كرر قوله لا اله الا هو لانه يجري بالاول انه المستحق للتوحيد
ولا يستحقه سواه وبالثاني انه القائم بتدبير الخلق وتدبيرهم بالعدل لا ظلم في فعله والعزيز الحكيم مر تفسيره و
تضمنت الاية الابانة على فضل العلم والعلماء لانه سبحانه قرن العلماء بالملائكة وشهادتهم بشهادة الملائكة وخصهم
بالذكر كانه لم يعتد بغيرهم والمراد بهذا العلم التوحيد وما يتعلق به من علوم الدين لان الشهادة وقعت عليه وقد
جاء في فضل العلم والعلماء من الحديث ما رواه جابر بن عبد الله عن النبي صلعم قال ساعة من عالم يتكئ على فراشه ينظر
في علمه خير من عبادة العابد سبعين عاما وروى انس بن مالك عنه صلعم قال تعلموا العلم فان تعلمه لله حسنة و
مدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقة وتذكره لاهله قربة لانه معالم الحلال والحرام
ومنار سبيل الجنة والنار والانيس في الوحشة والصاحب في الغربة والمحدث في الخلوة والدليل على السراء

الصبر والسلام على الاعداء والقرب عند الغرباء يرفع الله به اقواما فيجعلهم في الخير قادة يقتدى بهم ويقتص بآثارهم وينتهى الى رأيهم ويرغب الملائكة في خلتهم وباجنحتها تمسحهم وفي صلوتهم تستغفر لهم وكل رطب ويابس يستغفر لهم حتى حيتان البحار وهوامها وسباع الارض والسماء ونجومها الا وان العلم حيوة القلوب ونور الابصار وقوة الابدان يبلغ بالعبد منازل الاحرار ومجالس الملوك والفكر فيه يعدل الصيام ومدارسته بالقيام وبه يعرف الحلال والحرام وبه توصل الارحام والعلم امام العمل والعمل تابعه يلهم السعداء ويحرم الاشقياء ومما جاء في فضل هذه الآية ما رواه انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله قال من قرأ شهد الله الآية عند منامه خلق الله منها سبعين الف خلق يستغفرون له الى يوم القيامة الزبير بن العوام قال قلت لادنون هذه العشية من رسول الله وهي عشية عرفة حتى اسمع ما يقول فحبست ناقتي بين ناقة رسول الله وناقة رجل كان الى جنبه فسمعته يقول شهد الله انه لا اله الا هو الآية فما زال يرددها حتى دفع ابو غالب القطان قال اتيت الكوفة في تجارة فنزلت قريبا من الاعمش فكنت اختلف اليه فلما كنت ذات ليلة اردت ان انحدر الى البصرة قام من الليل يتهجد فمر بهذه الآية شهد الله انه لا اله الا هو الآية ثم قال الاعمش وانا اشهد بما شهد الله به واستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة فابلغت فيها ثم قال الا والله احدثك بها الى سنة فلبثت على بابه ذلك اليوم فاقمت على بابه ذلك اليوم فاقمت سنة فلما مضت السنة قلت يا ابا محمد قد مضت السنة فقال حدثني ابو وائل عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله يجاء بصاحبها يوم القيمة فيقول الله ان لعبدي هذا عهدا عندي وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدي الجنة وقال سعيد بن جبير كان حول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فلما نزلت شهد الله انه لا اله الا هو خررن سجدا وقوله ان الدين اي الطاعة عند الله هي الاسلام وقيل المراد بالاسلام التسليم لامر الله ولاوليائه وهو التصديق وروي عن امير المؤمنين علي عليه السلام في خطبة له انه قال لانسبن الاسلام نسبة لم ينسبها احد قبلي الاسلام هو التسليم والتسليم هو اليقين واليقين هو التصديق والتصديق هو الاقرار والاقرار هو الاداء والاداء هو العمل ذ رواه علي بن ابراهيم في تفسيره ثم قال عليه السلام ان المؤمن اخذ دينه عن ربه ولم يأخذه عن رأيه ان المؤمن يعرف ايمانه في عمله وان الكافر يعرف كفره بانكاره ايها الناس دينكم دينكم فان السيئة فيه خير من الحسنة في غيره ان السيئة فيه تغفر وان الحسنة في غيره لا تقبل وما اختلف الذين اوتوا الكتاب معناه وما اختلف اليهود والنصارى في صدق نبوة محمد صلى الله عليه وآله لما كانوا يجدونه في كتبهم من نعته وصفته ووقت خروجه الا من بعد ما جاءهم العلم ثم اخبر عن علة اختلافهم فقال بغيا بينهم اي حسدا وتغليبا وما اختلف الذين اوتوا الكتاب بغيا بينهم الا من بعد ما جاءهم العلم والعلم المذكور يجوز ان يراد به البينات التي هي طريق العلم فيدخل فيه المبطلون من اهل الكتاب علموا اولم يعلموا ويحتمل ان يكون المراد به نفس العلم فلا يدخل فيه الا من علم بصفة محمد وكتمه عنادا وقيل المراد بالذين اوتوا الكتاب اليهود والكتاب التورية لما عهد موسى اليهم واقام فيهم يوشع بن نون ومضى ثلثة قرون اختلفوا عن الربيع وقيل المراد بالذين اوتوا الكتاب النصارى والكتاب الانجيل واختلفوا في امر عيسى عليه السلام عن محمد بن جعفر بن الزبير وقيل خرج مخرج الجنس ومعناه كتب الله المتقدمة واختلفوا بعد علمهم بالحق عن الجبائي ومن يكفر بآيات الله اي يجحد وقيل بالتورية والانجيل وما فيهما من صفة محمد وقيل بالقرآن وما دل عليه فان الله سريع الحساب اي لا يفوته شيء من اعمالهم وقيل معناه سريع الجزاء وحقيقة الحساب ان تأخذ ما لك وتعطى ما عليك قوله تعالى فان حاجوك فقل اسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين ءاسلمتم فان اسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد آية القراءة حذف عاصم وحمزة والكسائي الياء من اتبعن اجتزاء بالكسر واتباعا للمصحف واثبتها الباقون

الاصل الحجة حذف الياء في اواخر الآي احسن لانها تشبه القوافي ويجوز في وسط الآية واحسنها ما قبلها نون مثل قوله ومن اتبعن فان لم يكن نون جاز ايضا نحو قوله هذا غلام وما اشبه ذلك والاجود اثبات الياء وان شئت اسكنت الياء وان شئت فتحتها الاعراب ومن اتبعن في محل الرفع عطفا على التاء في قوله اسلمت فلم يؤكد الضمير فلم يقل اسلمت انا ومن اتبعني ولو قلت اسلمت وزيد لم يحسن الا ان تقول اسلمت انا وزيد وانما جاز هنالك لطول الكلام فصار طوله عوضا عن تأكيد الضمير المتصل بالمنفصل المعنى لما تقدم تعالى ذكر الايمان والاسلام خاطب نبيه فقال فان حاجوك يا محمد اي خاصموك وجادلوك النصارى وهم نصارى نجران فقل يا محمد اسلمت وجهي لله وفيه وجهان احدهما ان معناه انقدت لامر الله في اخلاص التوحيد والحجر فيه الزمهم على ما اقروا به من ان الله خالقهم اتباع امره في ان لا يعبدوا الا اياه والثاني ان معناه اعرضت عن كل معبود دون الله واخلصت قصدي بالعبادة اليه وذكر الاصل الذي يلزم جميع المكلفين الاقرار به لانه لا يتبعض فيما يحتاج الى العمل في الدين الذي هو طريق النجاة من العذاب الى النعيم ومعنى وجهي هنا نفسي واضاف الاسلام الى الوجه لان وجه الشيء اشرف ما فيه لانه مجمع الحواس وعليه يظهر آثار الحزن والسرور فمن سلم وجهه فقد اسلم كله ومنه قوله كل شيء هالك الا وجهه ومن اتبعن اي ومن اقتدى بي في الدين من المسلمين فقد اسلموا انفسهم كما اسلمت وقل يا محمد للذين اوتوا الكتاب يعني اليهود والنصارى والاميين اي الذين لا كتاب لهم عن ابن عباس وغيره وهم مشركوا العرب وقد مر تفسير الامي واشتقاقه عند قوله ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب ءاسلمتم اي اخلصتم كما اخلصت لفظه لفظ الاستفهام وهو بمعنى التوقيف والتهديد فيكون متضمنا للامر فيكون معناه اسلموا فان الله تعالى ازاح العلل واوضح السبل ونظيره فهل انتم منتهون اي انتهوا وهذا كما يقول الانسان لغيره وقد وعظه بمواعظ اقبلت وعظي بعد عوده الى قبول الوعظ فان اسلموا فقد اهتدوا الى طريق الحق وان تولوا اي كفروا ولم يقبلوا واعرضوا عنه فانما عليك البلاغ معناه انما عليك ان تبلغ وتقيم الحجة وليس عليك ان لا يتولوا والله بصير بالعباد معناه ها هنا لا يفوته شيء من اعمالهم التي يجازيهم بها لانه بصير بهم اي عالم بهم وبسرائرهم لا يخفى عليه خافية وقيل معناه عالم بما يكون منك في التبليغ ومنهم في الايمان والكفر قوله تعالى ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين آيتان القراءة قرأ حمزة يقاتلون بالالف وقيل انما قرأها اتباعا لمصحف عبد الله بن مسعود لان فيه وقاتلوا الذين يأمرون والباقون يقتلون وهي القراءة الظاهرة الاعراب وانما دخلت الفاء في قوله فبشرهم لشبه الجزاء وانما يجوز ليت الذي يقوم فيكرمك وجاز ان الذي يقوم فيكرمك لان الذي انما دخلت الفاء في خبرها لما في الكلام من معنى الجزاء وليست تبطل معنى الجزاء وليس كذلك ان لانها تبطل الابتداء المعنى لما تقدم سبحانه ذكر الاحتجاج على اهل الكتاب حسن الوعد لهم ان اسلموا وشدة الوعيد ان ابوا فقال في هذه الآية كفرهم فقال ان الذين يكفرون بآيات الله اي يجحدون بحجج الله وبينات الله ويقتلون النبيين يعني اليهود فقد روي عن ابي عبيدة الجراح قال قلت يا رسول الله اي الناس اشد عذابا يوم القيمة قال رجل قتل نبيا او رجلا امر بمعروف ونهى عن منكر ثم قرأ ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس ثم قال عليه السلام يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلاثة واربعين نبيا من اول النهار في ساعة واحدة فقام مائة رجل واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل فامروا من قتلهم بالمعروف ونهوا عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار في ذلك اليوم وهو الذي ذكره الله تعالى فبشرهم بعذاب اليم اي اخبرهم بان لهم العذاب الاليم وانما قال بشرهم على طريق الاتساع والاستعارة والبشارة يكون في الخير دون الشر لان ذلك لهم فكان البشارة لهم اي

للمؤمنين ولا لها مأخوذة من البشرة وبشرة الوجه تتغير بالسرور في الخير وبالغم في الشر ويقال كيف قال فبشرهم وانما قتل الانبياء
اسلافهم فالجواب لانهم رضوا بافعالهم واقتدوا بهم فاجملوا معهم وقيل معناه بشر هؤلاء بالعذاب الاليم لاسلافهم
وقوله بغير حق لا يدل على ان في قتل النبيين ما هو حق بل المراد بذلك ان قتلهم لا يكون الا بغير حق كقوله ومن يدع
مع الله الها آخر لا برهان له به والمراد بذلك تاكيد النفي والمبالغة فيه كما يقال فلان لا يرجى خيره والغرض في ذلك انه لا
خير عنده على وجه من الوجوه وكما قال ابو ذويب متفلق انساؤها عن قانئ كالقرط صاو غبره لا يرضع اي ليس له
بقية لبن فيرضع فعلى هذا فقد وصف القتل هنا بما لا بد ان يكون عليه من الصفة وهو وقوعه على خلاف الحق وكذلك
الدعاء في قوله ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به وصفه بانه لا يكون الا من غير برهان وقد استدل بعضهم
بهذه الآية على جواز انكار المنكر مع خوف القتل وبالخبر الذي رواه الحسن عن النبي صلعم انه قال افضل الجهاد كلمة الحق
عند سلطان جائر يقتل عليه وهذا فيه نظر لان من شرط حسن انكار المنكر ان لا يكون فيه مفسدة ومتى ادى الى القتل
فقد انتفى عنه هذا الشرط فيكون قبيحا والوجه في الآية والاخبار التي جاءت في معناها انه يغلب على الظن ان انكار المنكر
لا يؤدي الى مفسدة فيحسن ذلك بل يجب وان يكون تعقبه القتل لانه ليس من شرطه ان يعلم ذلك بل يكفي فيه غلبة
الظن اولئك الذين كفروا بآيات الله وقتلوا الانبياء والآمرين بالمعروف حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة
يريد باعمالهم ما هم عليه من ادعائهم التمسك بالتوراة واقامة شريعة موسى واراد ببطلانها في الدنيا انها لم تحقن
دماءهم واموالهم ولم ينالوا بها الثناء والمدح وفي الآخرة انهم لم يستحقوا بها مثوبة فصارت كانها لم تكن
لان حبوط العمل عبارة عن وقوعه على خلاف الوجه الذي يستحق عليه الثواب والاجر والمدح وحسن الذكر وانما
تحبط الطاعة حتى يصير كانها لم تفعل اذا وقعت على خلاف الوجه المأمور به وما لهم من ناصرين يدفعون عنهم العذاب
قوله تعالى الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم
معرضون • ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون • اللغة
النصيب الحظ من الشيء وهو القسم المجعول لمن اضيف اليه والدعاء استدعاء الفعل وقد يكون بصيغة
الامر والخبر والدلالة والحكم الخبر الذي يفصل الحق من الباطل مأخوذ من حكمة وهي المنع والغرور الاطماع فيما لا يصح غره يغره
غرورا فهو مغرور والغرور الشيطان لانه يغر الناس والغار الغافل لانه كالمغتر والغرارة الدنيا تغر اهلها والغر
الغمر الذي لم يجرب الامور ومصدره الغرارة لانه من شانه ان يقبل الغرور والغرر الخطر لانه منه والغرار طي
الثوب طوعه على غره اي طوعه على كاسرته والغرز قرا الطائر فرخه والافتراء الكذب وفري فلان كذبا يفريه فرية
والفري الشق وقربة مفرية اي مشقوقة وقد تفرت خرزها اي تشقق وفريت الارض سرتها وقطعتها
الاعراب يدعون جملة في موضع الحال من اوتوا ويتولى فريق جملة معطوفة على يدعون وهم معرضون في موضع النصب
ايضا على الحال من يتولى اياما نصب على الظرف لان مس النار يكون في تلك الايام ومعدودات صفة للايام المعنى
لما قدم تعالى ذكر الحجاج بين انهم اذا عضتهم الحجة فروا الى الضجر واعرضوا عن المحجة فقال الم تر معناه الم ينته علمك
الى الذين اوتوا اي اعطوا نصيبا اي حظا من الكتاب يدعون الى كتاب الله اختلف فيه فقيل معناه التوراة
عن ابن عباس دعي اليها اليهود فابوا لعلمهم بلزوم الحجة لهم بما فيها من الدلالة على نبوة محمد صلعم وصدقه وانما قال اعطوا
نصيبا من الكتاب لانهم كانوا يعلمون بعض ما فيه وقيل معناه القرآن عن الحسن وقتادة دعوا الى القرآن لانهم وجدوه
موافقا لما في التوراة من اصول الديانة واركان الشريعة وفي الصفة التي تقدمت البشارة بها ليحكم بينهم
يحتمل ثلثة اشياء احدها ان معناه ليحكم بينهم في نبوة النبي عن ابي مسلم وجماعة وقيل ان معناه ليحكم بينهم

في امر ابراهيم

في امر ابراهيم وان دينه الاسلام والثالث ان معناه ليحكم بينهم في امر الرجم فقد روي عن ابن عباس ان رجلا وامرأة
من اهل خيبر زنيا وكانا ذوي شرف فيهم وكان في كتابهم الرجم فكرهوا رجمهما لشرفهما ورجوا ان يكون عند رسول
الله صلعم رخصة في امرهما فرفعوا امرهما الى رسول الله صلعم فحكم عليهما بالرجم فقال له النعمان بن اوفى وبحري بن عمرو
جرت علينا يا محمد ليس عليهما الرجم فقال لهم رسول الله صلعم بيني وبينكم التوراة قالوا قد انصفتنا قال فمن اعلمكم بالتوراة
قالوا رجل اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا فارسلوا اليه فقدم المدينة وكان جبرئيل قد وصفه لرسول الله
صلعم فقال له رسول الله صلعم انت ابن صوريا قال نعم قال انت اعلم اليهود قال كذلك يزعمون قال فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله
بشيء من التوراة فيها الرجم مكتوب فقال له اقرأ فلما اتى على آية الرجم وضع كفه عليها وقرأ ما بعدها فقال له
ابن سلام يا رسول الله قد جاوزها وقام الى ابن صوريا ورفع كفه عنها ثم قرأ على رسول الله صلعم وعلى اليهود بان المحصن
والمحصنة اذا زنيا وقامت عليهما البينة رجما وان كانت المرأة حبلى تربص بها حتى تضع ما في بطنها فامر رسول الله
صلعم باليهوديين فرجما فغضب اليهود لذلك فانزل الله تعالى هذه الآية ثم يتولى فريق منهم اي طائفة منهم عن
الداعي وهم معرضون عن • اتباع الحق ذلك معناه شأنهم ذلك فهو خبر مبتدأ محذوف فاخبر الله تعالى بين العلة
في اعراضهم عنه مع معرفتهم به والسبب الذي جرأهم على الجحود والانكار بانهم قالوا لن تمسنا النار اي لن تصيبنا
النار الا اياما معدودات وفيه قولان احدهما انها الايام التي عبدوا فيها العجل وهي اربعون يوما عن الربيع وقتادة
والحسن الا ان الحسن قال سبعة ايام والثاني انهم ارادوا اياما منقطعة عن الجبائي وغرهم في دينهم اي اطمعهم
في غير مطمع ما كانوا يفترون اي افتراؤهم وكذبهم واختلفوا في الافتراء الذي غرهم على قولين احدهما قولهم
نحن ابناء الله واحباؤه عن قتادة والاخر قولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودات عن مجاهد وهذه الآية تدل على خلاف
ما ذهب اليه من جواز العفو وما ذهبنا اليه من اخراج المعاقبين من اهل الصلوة من النار لانا نقول ان عقاب من ثبت دوام ثواب
ايمانه لا يكون الا منقطعا وان لم نحط علما بمقدار عقابه ولا نقول ايام عقابه بعدد ايام عصيانه كما قالوا وبين الفرقين
بون ظاهر قوله تعالى فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون • الاعراب
كيف موضوعة للسؤال عن الحال ومعناه هاهنا التنبيه بصيغة السؤال على حال من يساق الى النار وفيه الاعتراض
واختصار شديد لان تقديره اي حال من اغتر بالدعاوي الباطلة حتى اداه ذلك الى الخلود في النار ونظيره
قول القائل انا اكرمك وان لم تجئني فكيف اذا جئتني معناه فكيف اكرامي لك اذا جئتني يريد عظم الاكرام والتقدير فكيف
حالهم اذا جمعناهم لانه خبر مبتدأ محذوف في المعنى ثم اكد تعالى ما تقدم فقال فكيف حالهم اذا جمعناهم اي في وقت
جمعهم وحشرهم ليوم اي لجزاء يوم لا ريب فيه لا شك فيه لمن نظر في الادلة اذ ليس فيه موضع ريبة وشك ولو قال
جمعناهم في يوم لم يدل على الجزاء واللام يدل على ذلك كما يقال جئته ليوم الخميس اي لما يكون في يوم الخميس ولا يعطي
جئته في يوم الخميس هذا المعنى ووفيت كل نفس ما كسبت فيه قولان احدهما ان معناه ووفيت كل نفس جزاء
ما كسبت من ثواب وعقاب والثاني اعطيت ما كسبت اي اجتلبت بعملها من الثواب والعقاب كما يقال كسب فلان
المال بالتجارة والزراعة وهم لا يظلمون اي لا ينقصون مما يستحقون من الثواب ولا يزادون على ما يستحقون من العقاب
قوله تعالى قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء و
تذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير • تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت
وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب • ايات فضل الآية روى جعفر بن محمد عن ابيه عن آبائه عن النبي
صلى الله عليه وآله وسلم قال لما اراد الله تعالى ان ينزل فاتحة الكتاب وآية الكرسي وشهد الله وقل اللهم الى قوله
بغير حساب تعلقن بالعرش وليس بينهن وبين الله حجاب وقلن يا رب تهبطنا دار الذنوب والى من يعصيك

١٥٨

ونحن معلقات بالطهور بالقدس قال تعالى وعزتي وجلالي ما من عبد قرأكن في دبر كل صلوة مكتوبة الا اسكنته
حظيرة القدس على ما كان فيه والا نظرت اليه بعيني المكنونة في كل يوم سبعين نظرة والا قضيت له في كل يوم سبعين
حاجة ادناها المغفرة والا اعذته من كل عدو ونصرته عليه ولا يمنعه دخول الجنة الا ان يموت وقال معاذ
بن جبل احتبست عن رسول الله صلعم يوما لم اصل معه الجمعة فقال يا معاذ ما منعك من صلوة الجمعة قلت يا رسول الله كان ليوحنا
اليهودي على اوقية من تبر وكان على بابي يرصدني فاشفقت ان يحبسني دونك قال يا معاذ اتحب ان يقضي الله دينك
قلت نعم يا رسول الله قال قل قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء الى قوله بغير حساب يا رحمان الدنيا
والاخرة ورحيمهما تعطي منهما ما تشاء وتمنع منهما ما تشاء اقض عني ديني فلو كان عليك ملء الارض ذهبا لاداه
عنك الميت قرأه نافع وحمزة والكسائي وحفص ويعقوب الميت بالتشديد والباقون بالتخفيف الحجة قال المبرد
لا خلاف بين علماء البصرة انهما سواء وانشد لابن الرعلاء الغساني ليس من مات فاستراح بميت انما الميت ميت
الاحياء انما الميت من يعيش كئيبا كاسفا باله قليل الرجاء فجمع بين اللغتين وما مات ولم يمت في هذا الباب يستوي
في الاستعمال وقال بعضهم الميت بالتشديد الذي لم يمت بعد وبالتخفيف الذي قد مات والصحيح الاول الا ترى
انه قد جاء فيه هل عن الغراب ميت سقيتها منه القوم واسقيت فهذا قد مات اللغة النزع قلع الشيء عن مكانه
ويقال نزع فلان الى اخواله اي نزع اليهم بالشبه فصار واحدا منهم يشبهه لهم والنزاع الحنين الى الشيء والنزوع
عن الشيء الانتهاء الايلاج الادخال اولج فهو مولج وولج ولوجا ولجة والوليجة بطانة الرجل لانه يطلعه على خاص
امره والمولج كناس الظبي لانه يدخله والولج والولجة شيء يكون بين يدي فناء القوم الاعراب اللهم معناه يا الله
والميم المشددة عند سيبويه والخليل عوض من ياء لانهما لا يوجدان مع الميم في كلامهم فعلم ان الميم في آخر الكلمة
بمنزلة يا في اولها والضمة التي في الهاء ضمة الاسم المنادى المفرد والميم مفتوحة لسكونها وسكون الميم التي
قبلها وقال الفراء اصله يا الله امنا بخير فالقيت الهمزة وطرحت حركتها على ما قبلها ومثله هلم انما اصله هل ام
واعترض على قول الخليل بان الميم انما تزاد مخففة في مثل فم وابنم وبانها اجتمعت مع يا في قول الشاعر وما
عليك ان تقولي كلما سبحت او صليت يا اللهما اردد علينا شيخنا مسلما وقال علي بن عيسى هذا ليس بشيء
لان الميم هاهنا عوض عن حرفين فشددت كما قيل قمتن وضربتن لما كانت النون عوضا عن حرفين في قمتموا وضربتموا فاما
قمن وضربن فالنون هناك عوض عن حرف واحد واما البيت فانما جاز ذلك لضرورة الشعر واما هلم فان الاصل فيه
ان حرف التنبيه وهي ها دخلت على لم عند الخليل وقوله مالك الملك اكثر النحويين على انه منصوب بانه منادى
مضاف قال الزجاج ويحتمل ان يكون صفة من اللهم لان اللهم بمنزلة يا الله فيكون مثل ذلك يا ذا الجلالة توتي
الملك فعل وفاعل ومفعول في موضع النصب على الحال والعامل فيه حرف النداء وذو الحال اللهم او مالك
ومن تشاء مفعول ثان والتقدير تؤتي الملك من تشاء ان تؤتيه وتنزع الملك ممن تشاء ان تنزع منه وكذلك
الباقي بيدك الخير مبتدأ وخبر في موضع الحال ايضا تؤتي وتنزع وتعز وتذل وذو الحال الضمير المستكن فيها
النزول قيل لما فتح رسول الله صلعم مكة ووعد امته ملك فارس والروم قالت المنافقون واليهود هيهات من اين
لمحمد ملك فارس والروم الم يكفه مكة والمدينة حتى طمع في الروم والفارس فنزلت هذه الآية عن ابن عباس وانس
بن مالك وقيل ان النبي صلعم خط الخندق في يوم الاحزاب وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا فاحتج المهاجرون و
الانصار في سلمان الفارسي وكان رجلا قويا فقال المهاجرون سلمان منا وقال الانصار سلمان منا فقال
النبي صلعم سلمان منا اهل البيت قال عمرو بن عوف كنت انا وسلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن المزني وستة
من الانصار في اربعين ذراعا فحفرنا حتى اذا كنا بجب ذي ناب اخرج الله من بطن الخندق صخرة

مروة كسرت حديدنا وشقت علينا فقلنا يا سلمان ارق الى رسول الله صلعم واخبره خبر هذه الصخرة فاما ان
نعدل عنها فاما المعدل قريب واما ان يأمرنا فيه بامره فانا لا نحب ان نجاوز خطه قال فرقي سلمان الى رسول الله
صلعم وهو ضارب عليه قبة تركية فقال يا رسول الله خرجت صخرة بيضاء مروة من بطن الخندق وكسرت حديدنا
وشقت علينا حتى ما يحيك فيها قليل ولا كثير فمرنا فيها بامرك فانا لا نحب ان نجاوز خطك قال فهبط رسول الله صلعم
مع سلمان الخندق والتسعة على شفة الخندق واخذ رسول الله صلعم المعول من يد سلمان فضربها ضربة صدعها وبرق
منها برق اضاء ما بين لابتيها حتى لكان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلعم تكبيرة فتح وكبر المسلمون
ثم ضربها رسول الله صلعم الثانية وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها حتى لكان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله
صلعم تكبيرة فتح وكبر المسلمون ثم ضربها رسول الله صلعم الثالثة فكسرها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها حتى لكان
مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلعم تكبيرة فتح وكبر المسلمون واخذ بيد سلمان ورقي فقال سلمان بابي
انت وامي يا رسول الله لقد رأيت شيئا ما رأيت مثله قط فالتفت رسول الله صلعم الى القوم وقال رأيتم ما يقول
سلمان قالوا نعم يا رسول الله قال ضربت ضربتي الاولى فبرق الذي رأيتم اضاءت لي منها قصور الحيرة ومدائن
كسرى كانها انياب الكلاب فاخبرني جبرئيل ان امتي ظاهرة عليها ثم ضربت ضربتي الثانية فبرق الذي رأيتم
اضاءت لي منها قصور الحمر من ارض الروم كانها انياب الكلاب واخبرني جبرئيل ان امتي ظاهرة عليها ثم ضربت
ضربتي الثالثة فبرق الذي رأيتم اضاءت لي منها قصور صنعاء كانها انياب الكلاب واخبرني جبرئيل ان امتي
ظاهرة عليها فابشروا فاستبشر المسلمون وقالوا الحمد لله موعد صدق وعدنا النصر بعد الحصر فقال
المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح
لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق ولا تستطيعون ان تبرزوا فنزل القرآن واذ يقول المنافقون
والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وانزل الله تعالى في هذه القصة قل اللهم مالك الملك
الآية رواه الثعلبي باسناده عن عمرو بن عوف المعنى لما ذكر محاجة اهل الكتاب علم رسوله كيف
يحاجهم وكيف يجيبهم اذا سألوا وحاجوا فقال قل يا محمد اللهم يا الله مالك الملك كل مالك وملك فكل
مالك دونك هالك وكل ملك دونك يهلك وقيل مالك العباد وما ملكوا عن الزجاج وقيل مالك امر
الدنيا والآخرة وقيل مالك النبوة عن مجاهد وسعيد بن جبير تؤتي الملك من تشاء تعطي الملك من تشاء منهم
محمدا وقيل اي من تشاء ان تؤتيه وتنزع الملك ممن تشاء ان تنزعه منه كما تقول خذ ما شئت ودع ما شئت
ومعناه تقطع الملك عمن تشاء ان تقطعه منه على ما توجبه الحكمة وتقتضيه المصلحة واختلف في معناه فقيل
تؤتي الملك واسباب الدنيا محمدا واصحابه وامته وتنزعه من صناديد قريش ومن الروم وفارس فلا تقوم الساعة
حتى تفتحها لاهل الاسلام عن الكلبي وقيل تؤتي النبوة والامامة من تشاء من عبادك وتولية التصرف في خلقك
وبلادك وتنزع الملك على هذا الوجه من الجبابرة بقهرهم وازالة ايديهم فان الكافر والفاسق وان غلب و
مالك فليس من الملك يؤتيه الله لقوله سبحانه لا ينال عهدي الظالمين وكيف يكون ذلك من ايتاء الله وقد امر
بقصره وازالة ملكه وتعز من تشاء بالايمان والطاعة وتذل من تشاء بالكفر والمعاصي وقيل تعز
المؤمن بتعظيمه والثناء عليه وتذل الكافر بالجزية والسبي وقيل تعز محمدا واصحابه وتذل ابا جهل واضرابه
من المقتولين يوم بدر في القليب وقيل تعز من تشاء من اوليائك بانواع العز في الدنيا والدين وتذل من تشاء
من اعدائك في الدنيا والآخرة لانه سبحانه لا يذل اولياءه وان افقرهم وابتلاهم فان ذلك ليس على سبيل
الاذلال بل ليكرمهم بذلك في الآخرة ويعزهم ويحلهم غاية الاعزاز والاجلال بيدك الخير اللام للجنس اي

الخير كله في الدنيا والآخرة من قبلك وإنما قال بيدك الخير وإن كان بيده كل شيء من خير وشر لأن الآية تضمنت إيجاب
الرغبة إليه فلا يحسن في هذه الحالة إلا ذكر الخير لأنا لا نرغب ولا يكون إلا في الخير وهذا كما يقال الأمر الآن بيد فلان إنك
على كل شيء قدير أي قادر على جميع الأشياء لا يعجزك شيء تقدر على إيجاد المعدوم وإفناء الموجود وإعادة ما كان
موجوداً تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل قيل في معناه قولان أحدهما أن معناه ينقص من الليل فيجعل ذلك
النقصان زيادة في النهار وينقص من النهار فيجعل ذلك النقصان زيادة في الليل على قدر طول النهار وقصره عن ابن عباس
والحسن ومجاهد وعامة المفسرين والآخر معناه يدخل أحدهما في الآخر بإتيانه بدلاً منه في مكانه عن الجبائي تخرج الحي من الميت
أي من النطفة وهي ميتة وهو قوله كنتم أمواتاً فأحياكم وتخرج الميت من الحي أي النطفة من الحي وكذلك الدجاجة من البيضة
والبيضة من الدجاجة عن ابن عباس وابن مسعود ومجاهد وقتادة والسدي وقيل إن معناه تخرج المؤمن من الكافر وتخرج
الكافر من المؤمن عن الحسن وروي ذلك عن أبي جعفر وأبي عبد الله ع وترزق من تشاء بغير حساب معناه بغير تقتير
كما يقال فلان ينفق بغير حساب لأن من عادة المقتر أن لا ينفق إلا بحساب ذكره الزجاج وقيل معناه بغير مخافة نقصان
لما عنده فإنه لا نهاية لمقدوره وما يؤخذ منها لا ينقصها ولا هو على حساب جزء من كذا أجزاء كما يعطي الواحد منا
العشرة من المائة والمائة من الألف وقيل إن المراد من تشاء أن ترزق أهل الجنة لأنه يرزقهم رزقاً لا يتناهى ولا يحاسب
ولا العد ولا الإحصاء من حيث أنه لا نهاية له ولا انقطاع وهو له فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب
قوله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا
منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير ● آية القراءة قرأ يعقوب وسهل تقية وهو قراءة الحسن ومجاهد
تقاة وأمال الكسائي تقاة وقرأ نافع وحمزة بين التفخيم والإمالة والباقون بالتفخيم الحجة الأجود في تقاة
التفخيم من أجل الحرف المستعلي وهو القاف وإنما جازت الإمالة ليؤذن أن الألف منقلبة عن الياء وتقاة وزنه فعلة
نحو تخمة وتؤدة وهما جميعاً مصدر تقاة وتقية واتقاء وتقوى وأصلها وقاة لأن الواو المضمومة أبدلت تاء
استثقالاً لها فإنهم يفرون من ضمة الواو إلى الهمزة وإلى التاء وأما التاء فلقربها من الواو ومع أنها من حروف الزيادة
وأما الهمزة فلأنها نظيرتها في الطرف الآخر من مخارج الحروف مع حسن زيادتها أولاً والتقية الإظهار باللسان خلاف
ما ينطوي عليه القلب للخوف على النفس الإعراب معنى من ابتداء الغاية من قوله من دون المؤمنين على تقدير لا تجعلوا ابتداء
الولاية مكاناً دون المؤمنين لأن مكان المؤمن الأعلى ومكان الكافر الأدنى كما تقول زيد دونك ولست تريد أنه
دنياً في موضع مستفل وأنت في موضع مرتفع لكن جعلت الشرف بمنزلة الارتفاع والخسة كالاستفال وقوله فليس من الله
في شيء من الله يتعلق بمحذوف هو حال والعامل فيه ما يتعلق به في وتقديره فليس في شيء من الله ومن الله في موضع
الصفة لشيء فلما تقدم انتصب على الحال وقوله أن تتقوا في محل الجر بإضمار حرف وفي محل النصب بحذف الباء على ما مر
المعنى لما بين تعالى أنه مالك الدنيا والآخرة والقادر على الإعزاز والإذلال نهى المؤمنين عن موالاة من لا إعزاز
عندهم ولا إذلال من أعدائه لتكون الرغبة فيما عنده وعند أوليائه المؤمنين دون أعدائه الكافرين فقال لا يتخذ المؤمنون
الكافرين أولياء أي لا ينبغي للمؤمنين أن يتخذوا الكافرين أولياء لنفوسهم ويستعينوا بهم ويلتجئوا إليهم ويظهروا المحبة
لهم كما قال في عدة مواضع من القرآن نحو قوله لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله الآية
وقوله لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ولا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء وقوله من دون المؤمنين معناه يجب
أن تكون الموالاة مع المؤمنين وهذا نهي عن موالاة الكفار ومعاونتهم على المؤمنين وقيل نهي عن ملاطفة الكفار عن ابن عباس
والأولياء جمع ولي وهو الذي يلي أمر من ارتضى فعله بالمعونة والنصرة ويجري على وجهين أحدهما المعين بالنصرة
والآخر المعان فقوله الله ولي الذين آمنوا معناه معينهم بنصرته ويقال المؤمن ولي الله أي معان بنصرته

وقوله ومن يفعل ذلك معناه من يتخذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين فليس من الله في شيء أي ليس هو من أولياء الله
والله بريء منه وقيل ليس هو من ولاية الله في شيء وقيل ليس من دين الله في شيء ثم استثنى فقال إلا أن تتقوا منهم تقاة
والمعنى إلا أن يكون الكفار غالبين والمؤمنون مغلوبين فيخافهم المؤمن إن لم يظهر موافقتهم ولم يحسن العشرة معهم فعند
ذلك يجوز له إظهار مودتهم بلسانه ومداراتهم تقية منهم ودفعاً عن نفسه من غير أن يعتقد ذلك وفي هذه الآية دلالة على
أن التقية جائزة في الدين عند الخوف على النفس وقال أصحابنا إنها جائزة في الأحوال كلها عند الضرورة وربما وجبت
فيها لضرب من اللطف والاستصلاح وليس تجوز من الأفعال في قتل المؤمن ولا فيما يعلم أو يغلب على الظن أنه استفساد
تركها وقد يكون تركها أفضل وإن كان فاعلها معذوراً ومعفواً عنه متفضلاً عليه بترك اللوم عليها وقال الشيخ أبو جعفر
الطوسي ره ظاهر الروايات يدل على أنها واجبة عند الخوف على النفس وقد روي رخصة في جواز الإفصاح بالحق عند ذلك
وروى الحسن أن مسيلمة الكذاب أخذ رجلين من أصحاب رسول الله فقال لأحدهما أتشهد أن محمداً رسول الله قال نعم قال
أفتشهد أني رسول الله فقال نعم ثم دعا بالآخر فقال أتشهد أن محمداً صلعم رسول الله فقال نعم قال أفتشهد أني رسول الله قال
إني أصم قالها ثلاثاً كل ذلك يجيبه بمثله فضرب عنقه فبلغ ذلك رسول الله صلعم فقال أما ذلك المقتول فمضى على
صدقه ويقينه وأخذ بفضله فهنيئاً له وأما الآخر فقبل رخصة الله فلا تبعة عليه فعلى هذا يكون التقية رخصة
والإفصاح بالحق فضيلة وقوله ويحذركم الله نفسه يعني إياه فوضع نفسه مكان إياه ومعناه ويحذركم
الله عقابه على اتخاذ الكافرين أولياء وعلى سائر المعاصي وذكر نفسه لتحقيق الإضافة كما يقال احذر الأسد أي صولته
وافتراسه دون عينه وإلى الله المصير معناه وإلى الله المرجع وقيل إلى حكمه قوله تعالى قل إن تخفوا ما في
صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السموات وما في الأرض والله على كل شيء قدير ● آية اللغة الصدر معروف
وهو أعلى مقدم كل شيء والصدر الانصراف عن الماء بعد الري والتصدير حزام الرحل يميله إلى الصدر والصدار
شبيه بالمقنعة تلبسها المرأة لأنه قصير يغطي الصدر ونحو ما حاذاه الإعراب يعلمه جزم لأنه جواب الشرط وإنه
كان الله يعلمه كان أو لم يكن ومعناه يعلمه كائناً ولا يصح وصفه بذلك قبل أن يكون ورفع يعلم ما في السموات
على الاستئناف المعنى لما تقدم النهي عن اتخاذ الكفار أولياء حذر من الإبطان بخلاف الإظهار فيما هو عنه فقال
سبحانه قل يا محمد إن تخفوا أي تستروا ما في صدوركم يعني ما في قلوبكم وإنما ذكر الصدر لأنه محل القلب أو تبدوه
أي تظهروه يعلمه الله فلا ينفعكم إخفاؤه وهو مع ذلك يعلم ما في السموات وما في الأرض وإنما قال ذلك ليذكره بعلمه
على التفصيل فيتم التحذير إذ كان من يعلم ما في السموات وما في الأرض على التفصيل يعلم الضمير والله على كل شيء قدير فقدر
على إحلالكم ومجازاتكم قوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه
أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد ● آية اللغة الأمد الغاية التي ينتهى إليها قال النابغة
إلا لمثلك أو من أنت سابقه سبق الجواد إذا استولى على الأمد الإعراب في انتصاب يوم وجوه أحدها أن ينتصب
بيحذركم أي يحذركم الله نفسه يوم تجد والثاني المصير تقديره إلى الله المصير يوم تجد والثالث اذكر يوم تجد وقوله
ما عملت ما ههنا بمعنى الذي لأنه عامل فيها تجد فهي في موضع نصب ويحتمل أن يكون ما بعدها بمعنى المصدر وتقديره يوم
تجد كل نفس عملها يعني جزاء عملها محضراً منصوب على الحال من تجد إذا جعلته من الوجدان فإن جعلته من العلم فهو مفعول
ثان وقوله ما عملت من سوء يصلح فيها معنى الذي ويقويه قوله تود بالرفع ولو كانت بمعنى الجزاء لكان تود مفتوحاً أو
مكسوراً والرفع جائز على ضعف وأنكر أن جواب لو ها هنا محذوف وتقدير الكلام تود أن بينها وبينه أمداً بعيداً
لو ثبت ذلك لأن لو يقتضي الفعل ولا يدخل على الاسم وأن مع اسمه وخبره بمنزلة مصدر فيكون تقديره لو ثبت
أن بينها وبينه أمداً بعيداً فيكون في ذكر فاعل الفعل المقدر بعد لو دلالة على مفعول تود المحذوف

وفي لفظ لو دلالة على جواب لو هذا انما يجى لأن وهو واضح بحمد الله ومنه المعنى لما حذر العقاب في الآية المتقدمة
بين وقت العقاب فقال يوم تجد كل نفس ما عملت في الدنيا من طاعة وخير محضرا وتقدير قوله وجدوا ما عملوا
حاضرا وعملت نفس ما احضرت ثم اختلف في كيفية وجود العمل محضرا فقيل تجد صحايف الحسنات والسيئات عن ابي
مسلم وغيره وهو اختيار القاضي وقيل هو جزاء عملها من الثواب والعقاب فاما اعمالهم فهي اعراض قد بطلت ولا يجوز عليها
الاعادة فيستحيل ان تكون محضرة وما عملت من سوء معناه تجد كل نفس الذي عملته من معصية محضرا تود لو ان
بينها وبين معصيتها امدا بعيدا اي غاية بعيدة اي تود انها لم تكن فعلتها وقيل معناه مكانا بعيدا عن السدي وقيل
ما بين المشرق والمغرب عن مقاتل ويحذركم الله نفسه مر ذكره والله رؤف بالعباد اي رحيم بهم قال الحسن ومن تمام
رأفته بهم ان حذرهم عقابه على معاصيه قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم
والله غفور رحيم * قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين * ايتان * اللغة المحبة هي الارادة
الا انها تضاف الى المراد تارة والى متعلق المراد اخرى تقول احب زيدا واحب اكرام زيد ولا تقول في الارادة ذلك
لانك تقول اريد اكرام زيد ولا تقول اريد زيدا وانما كان كذلك لقوة تصرف المحبة في موضع ميل الطباع لانه
يجري مجرى الشهوة فعوملت معاملتها في الاضافة ومحبة الله تعالى للعبد هي ارادة ثوابه ومحبة العبد لله هي ارادة
لطاعته وقالوا احببت فلانا فهو محبوب استغنوا عن محب كما استغنوا باحببت عن حببت وقد قال عنترة
ولقد نزلت فلا تظني غيره مني بمنزلة المحب المكرم فجاء به على الاصل وحكى الزجاج عن الكسائي حببت من
الثلاثي وقوله ويغفر لكم لا يجوز في القياس ادغام الراء في اللام كما جاء ادغام اللام في الراء في هل رأيت
لان الراء مكررة ولا يدغم الزائد في الناقص للاخلال به والطاعة اتباع الداعي فيما دعا اليه بامره وارادته ولذلك
قد يكون الانسان مطيعا للشيطان فيما يدعوه اليه وان لم يقصد ان يطيعه لانه اذا مال الى ما يدعوه في نفسه
من الدعاء الى المعصية فقد اطاع الداعي اليها النزول قال محمد بن جعفر بن الزبير نزلت الآيتان في وفد نجران
من النصارى لما قالوا انا نعظم المسيح حبا لله المعنى بين تعالى ان الايمان به لا يجدي الا مقرونا بالايمان برسوله فقال
قل يا محمد ان كنتم تحبون الله كما تزعمون فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقيل معناه ان كنتم تحبون دين الله
فاتبعوا ديني يزدد لكم حبا عن ابن عباس وقيل ان كنتم صادقين في دعوى محبة الله تعالى فاتبعوني فانكم اذا فعلتم
ذلك احبكم الله تعالى وغفر لكم والله غفور رحيم كثير المغفرة والرحمة قل اطيعوا الله والرسول اي قل يا محمد
ان كنتم تحبون الله كما تدعون فاظهروا دلالة صدقكم بطاعة الله وطاعة رسوله فذلك امارة صدق الدعوى
فان تولوا فان اعرضوا عن طاعة الله وطاعة رسوله فان الله لا يحب الكافرين معناه لا يبغضهم ولا يريد ثوابهم
مدركا للنفي على الاثبات وذلك ابلغ لانه لو قال يبغضهم لجاز ان يتوهم انه يبغضهم من وجه ويحبهم من وجه كما يجوز
ان يعلم الشيء من وجه ويجهله من وجه وفي هذا دلالة على بطلان مذهب المجبرة لانه اذا لم يحب الكافرين
من اجل كفرهم ولم يرد ثوابهم لذلك فلا يريد اذا كفرهم لانه لو اراده لم يكن نفي محبته لهم لكفرهم قوله تعالى
ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين * ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم *
ايتان * اللغة الاصطفاء الاختيار والاجتباء نظائر وهو افتعال من الصفوة وهذا من حسن البيان
بتمثيل المعلوم بالمرئي وذلك ان الصافي هو النقي من شائب الكدر فيما يشاهد فمثل الله تعالى خلوص هؤلاء
القوم من الفساد بخلوص الصافي من شوائب الادناس وقد بينا معنى الآل فيما مضى عند قوله واذ نجيناكم من
آل فرعون الآية ومعنى الذرية واصلها عند قوله ومن ذريتي الاعراب فيحتمل نصب ذرية على وجهين
احدهما ان يكون حالا والعامل فيها اصطفى والثاني ان يكون على البدل من مفعول اصطفى المعنى

ان الله اصطفى اي اختار واجتبى آدم ونوحا للنبوة وآل ابراهيم وآل عمران على عالمي زمانهم بان جعل الانبياء منهم وقيل
اختار دينهم كقوله واسأل القرية عن الفراء وقيل اختارهم بالتفضيل على غيرهم بالنبوة وغيرها من الامور الجليلة التي
رتبها الله لهم لما في ذلك من مصالح الخلق وقيل اختار آدم بان خلقه من غير واسطة فاسكنه جنته واسجد له ملائكته
وارسله الى الملائكة والانس واختار نوحا بالنبوة وطول العمر واجابة الدعاء وغرق قومه ونجاته في السفينة واختار
ابراهيم بالخلة وتبريد النار واهلاك نمرود وقوله وآل ابراهيم وآل عمران قيل اراد نفس ابراهيم ونفس عمران كقوله وبقية
مما ترك آل موسى وآل هارون يعني موسى وهارون وقيل آل ابراهيم اولاده اسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط ومنهم
داود وسليمان ويونس وزكريا ويحيى وعيسى ومنهم نبينا صلعم لانه من ولد اسمعيل وقيل آل ابراهيم هم المؤمنون المتمسكون
بدينه وهو دين الاسلام عن ابن عباس والحسن واما آل عمران فقال هم من آل ابراهيم ايضا كما قال ذرية بعضها من بعض فهم
موسى وهارون ابنا عمران وهو عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وقيل يعني آل عمران مريم وعيسى وهو
عمران بن شهم بن امون من ولد سليمان بن داود وهو ابو مريم لان آل الرجل اهل بيته الذي ينتسب عن الحسن ووهب وفي
قراءة اهل البيت ع وآل محمد على العالمين وقالوا ايضا ان آل ابراهيم هم آل محمد الذين هم اهله ويجب ان يكون الذين
اصطفاهم الله تعالى مطهرين معصومين منزهين عن القبائح لانه تعالى لا يختار ولا يصطفي الا من كان كذلك ويكون
ظاهره مثل باطنه في الطهارة والعصمة فعلى هذا يختص الاصطفاء بمن كان معصوما من آل ابراهيم وآل عمران سواء كان
نبيا او اماما ويقال الاصطفاء على وجهين احدهما انه اصطفاه لنفسه اي جعله خالصا له يختص به والثاني انه اصطفاه
على غيره اي خصه بالتفضيل على غيره وعلى هذا الوجه معنى الآية فان قيل كيف خصهم الله تعالى بالتفضيل قبل العمل
فالجواب انه اذا كان المعلوم ان صلاح المكلفين لا يتم الا بهم فلا بد من تقديم البشارة بهم والاخبار بما يكون من حسن اعمالهم
وامانتهم والتشويق اليهم بما يكون من جلالة اقدارهم وزكاء اخلاقهم ليكون ذلك داعيا للناس الى القبول منهم
والانقياد لهم وفي هذه الآية دلالة على تفضيل الانبياء على الملائكة عليهم اجمعين الصلوة والسلام لان العالمين يعم
الملائكة وغيرهم من المخلوقين وقد فضلهم سبحانه واختارهم على الكل وقوله ذرية اي اولادا واعقابا بعضها من
بعض قيل معناه في التناصر في الدين وهو الاسلام اي دين بعضها من بعض كما قال والمنافقون والمنافقات بعضهم
من بعض في التناصر والتعاضد على الضلال وهو قول الحسن وقتادة وقيل بعضها من بعض في التناسل والتوالد فانهم ذرية
آدم ثم ذرية نوح ثم ذرية ابراهيم وهو المروي عن ابي عبد الله ع لانه قال الذين اصطفاهم الله بعضهم من نسل بعض اختاره
ابو علي الجبائي والله سميع عليم فيه قولان احدهما ان معناه سميع لما يقوله الذرية عليم بما تضمره فلذلك فضلهم
على غيرهم لما في معلومه من استقامتهم في قولهم وفعالهم والثاني ان معناه سميع لما تقوله امرأة عمران من النذر عليم
بما تضمره ونبه بذلك على استحقاقه التعظيم النظم وجه اتصال هذه الآية بما قبلها انه لما ذكر المنازعة في امر مريم
وعيسى واختلاف اقوال اليهود والنصارى فيهما بين سبحانه ان من اطاع الله تولاه وهما مما يعترفون به انه مالك
طاعة نبيه واتبع ذلك المشركين بين سبحانه انه كما اصطفاه لرسالته اصطفى من قبله من الانبياء فلا وجه لانكارهم
رسالته قوله تعالى اذ قالت امرأة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني انك انت السميع العليم * فلما
وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى واني سميتها مريم واني اعيذها
بك وذريتها من الشيطان الرجيم * ايتان * القراءة قرأ ابن عامر وابو بكر عن عاصم ويعقوب بما وضعت بضم التاء
وروي عن علي عليه السلام وقرأ الباقون وضعت على الحكاية الحجة من قرأ بضم التاء جعل من كلام ام مريم ومن قرأ باسكان
التاء من قول الله عز وجل ويقوي قول من يسكن التاء والله اعلم ولو كان من قول ام مريم لقالت وانت اعلم بما وضعت لانها
تخاطب الله اللغة معنى المحرر في اللغة يحتمل امرين احدهما المعتق من الحرية يقال حررته تحريرا اي اعتقته اي جعلته حرا

١٦١

والاحترس بتحرير الكتاب تحريرا اى اخلصته من الفساد واصلحته والمقابل اخذ الشىء على الرضاء بر كفيل الهدية
والاصل التقابل المقابلة واصل الوضع الحط وصفت لو له بعوج ولدت والموضع مكان الوضع والصغر الخساسة فيها
تضع من قدر صاحبها والانبضاع فى السير الرفيق لانه حط من شدة الاسراع والشيطان الرجيم مر تفسيره فى اول
الكتاب الاعراب فى موضع اذ قالت اقوال احدها انه نصب باذكر عن الاخفش والمبرد والثانى انه متعلق باصطفى آل
عمران عن الزجاج والثالث انه متعلق بسميع عليم فيعمل فيه معنى الصفتين تقديره والله مدرك لقولها ونيتها اذ قالت
عن على بن عيسى والرابع انه اذ زائدة فلا موضع لها من الاعراب عن ابى عبيدة وهذا خطاء عند البصريين ومحررا
نصب على الحال من ما وتقديره نذرت لك الذى فى بطنى محررا والعامل فيه نذرت وقوله انثى نصب على الحال المعنى
لما ذكر سبحانه اصطفاء آل عمران عقبه بذكر مريم بنت عمران فقال اذ قالت امرأة عمران وقد مضى القول فيه واسمها
حنة جدة عيسى وكانتا اختين احدهما عند عمران بن اشهم من ولد سليمان بن داود وقيل هو عمران بن ماثان
عن ابن عباس ومقاتل وليس بعمران ابى موسى بينهما الف وثمانمائة سنة وكان بنو ماثان رؤس بنى اسرائيل
والاخرى كانت عند زكريا عليه السلام واسمها اشياع واسم ابيها فاقود بن قبيل فيحيى ومريم ابنا خالة رب انى
نذرت لك ما فى بطنى محررا اى اوجبت لك بان اجعل ما فى بطنى محررا اى خادما للبيعة تخدم فى متعبدنا
عن مجاهد وقيل محررا للعبادة مخلصا لها عن الشعبى وقيل عتيقا خالصا لطاعتك لا استعمله فى منافعى ولا اصرفه
فى حوائجى عن محمد بن جعفر بن الزبير قال وكان المحرر اذا حرر جعل فى الكنيسة يقوم عليها ويكنسها ويخدمها لا يبرح
حتى يبلغ الحلم ثم يخير فان احب ان يقيم فيه اقام وان احب ان يذهب ذهب حيث شاء قالوا وكانت حنة قد امسك
عنها الولد حتى اسنت فبينا هى تحت شجرة اذ رأت طائرا يزق فرخا له فتحركت نفسها للولد فدعت الله تعالى
ان يرزقها ولدا فحملت بمريم وروى عن ابى عبد الله عليه السلام قال ان الله عز وجل اوحى الى عمران انى واهب لك ذكرا سويا مباركا
يبرئ الاكمه والابرص ويحيى الموتى باذن الله وجاعله رسولا الى بنى اسرائيل فحدث عمران امرأته حنة بذلك وهى ام
مريم فلما حملت بها قالت رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا فتقبل منى انك انت السميع العليم اى تقبل
رضاء لك انك انت السميع لما اقوله العليم بما انويه فلهذا صحت النية لى فلما وضعتها قيل ان عمران هلك
وهى حامل فوضعت بعد ذلك يعنى ولدت مريم وكانت ترجو ان يكون غلاما فلما وضعتها خجلت واستحيت
وقالت منكسة رأسها رب انى وضعتها انثى وقيل فيه قولان احدهما ان المراد به الاعتذار من العدول عن النذر
لانها انثى والاخر ان المراد تقديم الذكر فى السؤال لها بانها انثى لان سبيلها ان تضعف وعقلها انقص فقدم ذكرها
ليصح القصد لها فى السؤال بقولها وانى اعيذها بك والله اعلم بما وضعت اخبار منه تعالى بانه اعلم بوضعها لانه
هو الذى خلقها وصورها على القراءة الاخرى وانت يا رب اعلم منى بما وضعت وليس الذكر كالانثى لانها لا
تصلح لما يصلح الذكر له وانما كان يجوز لهم التحرير فى الذكور دون الاناث لانها لا تصلح لما يصلح له الذكر من التحرير
لخدمة بيت المقدس لما يلحقها من الحيض والنفاس والصيانة عن التبرج للناس وقال قتادة لم يكن التحرير الا فى
الغلمان فيما جرت به العادة وقيل اردت ان الذكر افضل من الانثى على العموم واصلح للاشياء والهاء فى قوله
وضعتها كناية عما فى قوله ما فى بطنى وجاز ذلك بوقوعها على مؤنث ويحتمل ان يكون كناية عن معلوم دل عليه الكلام
وانى سميتها اى جعلت اسمها مريم وهى بلغتهم العابدة الخادمة فيما قيل وكانت مريم افضل النساء فى وقتها
واجلهن وروى الثعلبى باسناده عن ابى هريرة ان رسول الله صلعم قال حسبك من نساء العالمين اربع
مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صلعم وانى اعيذها بك و
ذريتها من الشيطان الرجيم خافت عليها ما يغلب على النساء من الآفات وقالت ذلك وقيل انما استعاذها

من طعن الشيطان فى جنبها التى تستهل الجنين صارخا فوقيها الله عز وجل وولدها عيسى منه بحجاب فقد روى ابو هريرة
ان النبى صلعم قال ما من مولود الا يمسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان اياه الا مريم وابنها وقيل
انما استعاذت من اغواء الشيطان الرجيم اياها عن الحسن قوله تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا
وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من
يشاء بغير حساب القراءة قرأ اهل الكوفة كفلها بالتشديد والباقون بالتخفيف وقرأ اهل الكوفة الا
ابا بكر زكريا مقصورا والباقون بالمد ونصب زكريا مع المد ابو بكر والباقون بالرفع الحجة قال ابو على حجة من خفف كفلها قوله
تعالى ايهم يكفل مريم وزكريا مرتفع لان الكفالة مسندة اليه ومن شدد كفلها ففاعله الضمير العائد الى ربها من قوله
فتقبلها وصار زكريا مفعولا به بتضعيف العين والمد والقصر فى زكريا لغتان اللغة انبتها جاء مصدره على غير
وزن الفعل لان فيه معنى قبلها كما يقال اكرم تكرمة لان فيه معنى كرم وانبتها نباتا حسنا لان فيه معنى فنبتت قال
ابو عمرو ولا نظير لقبول فى المصادر بفتح فاء الفعل والباب كله مضموم الفاء كالدخول والخروج وقال سيبويه
جاءت خمسة مصادر على فعول بالفتح قبول ووضوء وطهور وولوع ووقود الا ان الاكثر فى وقود الضم
اذا اريد المصدر واجاز الزجاج فى قبول الضم والقبيل الكفيل وهو الضامن يقال كفلته اكفله كفلا وكفولا
وكفالة فانا كافل اذا تكفلت مؤنته ومنه الحديث وانت خير المكفول الى احق من كفل فى ضرع وارضع
شاء والمكفول عنه فى الفقه هو الذى عليه الدين والمكفول له هو الذى له الدين والمكفول به هو
الدين والكفيل هو الذى عليه الدين والمحراب مقام الامام من المسجد واصله اكرم موضع فى المجلس واشرفه
وقال الزجاج هو المكان العالى الشريف قال ربة محراب اذا جئتها لم القها اولا ترتقى سلما ويقال للمسجد ايضا
محراب ومنه ما يشاء من محاريب اى من مساجد وقيل انه اخذ من الحرب كأن محاربها الشيطان المعنى
فتقبلها ربها مع انوثتها ورضى بها فى النذر الذى نذرته للعبادة فى بيت المقدس ولم يقبل قبلها انثى فى ذلك
المعنى وقيل معناه يكفل بها فى تربيتها والقيام بشأنها عن الحسن وقوله ايها انه ما عرضها على ساعة من ليل او نهار
بقبول حسن اصله بتقبل حسن ولكنه محمول على قوله فتقبلها قبولا حسنا وقيل معناه سلك بها طريق السعداء عن
ابن عباس وانبتها نباتا حسنا اى جعل نشوها نشوا حسنا فكانت تنبت فى يوم ما تنبت غيرها
فى عام عن ابن عباس وقيل انبتها فى رزقها وغذائها حتى تمت امرأة بالغة تامة عن ابن جريج وقال ابن عباس لما
بلغت تسع سنين صامت النهار وقامت الليل وتبتلت حتى غلبت الاحبار وكفلها زكريا بالتشديد معناه ضمها الله
تعالى الى زكريا وجعله كفيلها ليقوم بها وبالتخفيف معناه ضمها زكريا الى نفسه وضمن كفايتها وامرها وقالوا انه لما ولدت
مريم اتت بها ملفوفة فى خرقة الى المسجد وقالت دونكم النذيرة فتنافس فيها الاحبار لانها كانت بنت امامهم وصاحب
قربانهم فقال لهم زكريا انا احق بها لان خالتها عندى فقالت له الاحبار لا انها لو تركت لاحق الناس بها لتركت
لامها التى ولدتها ولكنا نقترع عليها فتكون عند من خرج سهمه فانطلقوا وهم تسعة وعشرون رجلا الى نهر
جار فالقوا اقلامهم فى الماء فارتفع قلم زكريا وارتفع فوق الماء ورسبت اقلامهم عن ابن اسحاق وجماعة وقيل بل
ثبت قلم زكريا وقام فوق الماء كانه فى طين وجرت اقلامهم مع جرية الماء فذهب بها الماء عن السدى فسهمهم
زكريا وقرعهم وكان راس الاحبار ونبيهم فذلك قوله وكفلها زكريا وكان زكريا من ولد سليمان بن داود وفيه
ثلث لغات المد والقصر وزكرى مشددا قالوا فلما ضم زكريا مريم الى نفسه بنى لها بيتا واسترضع لها وقال
محمد بن اسحاق ضمها الى خالتها ام يحيى حتى اذا شبت وبلغت مبلغ النساء بنى لها محرابا فى المسجد وجعل
بابه فى وسطها لا يرقى اليها الا بسلم مثل باب الكعبة ولا يصعد اليها غيره ولا يأتيها بشرابها وطعامها

ذيل النفقة

١٦٣

وروي هنا كل يوم كلما دخل زكريا المحراب وجد عندها رزقا يعني وجد زكريا عندها فاكهة في غير حينها فاكهة الصيف
في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف غضا طريا عن ابن عباس وقتادة ومجاهد والسدي وقيل انها لم ترضع
قط وانما كان يأتيها رزقها من الجنة عن الحسن قال يا مريم انى لك هذا يعني قال لها زكريا كيف لك ومن اين لك
هذا كالمتعجب منه قالت هو من عند الله اي من الجنة وهذه تكرمة من الله عز وجل لها وان كان ذلك خارقا للعادة
فان عندنا يجوز ان يظهر الآيات الخارقة للعادات على غير الانبياء من الاولياء والاصفياء ومن منع ذلك من
المعتزلة قالوا فيه قولين احدهما ان ذلك كان تأسيسا لنبوة عيسى عم على الجبائي والاخر انه كان بدعاء زكريا لها بالرزق
وفي الجملة كانت معجزة له عن الجبائي ان الله يرزق من يشاء بغير حساب قد مر تفسيره في النظم ووجه اتصاله بما تقدم
ان يكون حكاية لقول مريم وعلى هذا يكون معنى قوله بغير حساب بلا استحقاق على العمل لانه تفضل منه يبتدئ به من يشاء
من خلقه ويحتمل ان يكون اخبارا من الله تعالى على الاستيناف قوله تعالى هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك
ذرية طيبة انك سميع الدعاء فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله
وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين • ايتان القراءة قرأ اهل الكوفة غير عاصم فناديه الملائكة على التذكير
والامالة والباقون فنادته على التأنيث وقرأ ابن عامر وحمزة ان الله بكسر الهمزة والباقون بفتحها وقرأ حمزة
والكسائي يبشرك بفتح الياء والتخفيف والباقون بضم الياء والتشديد الحجة من قرأ فناديه بالتذكير فلانه جمع جماعة كما يلحق
هي الرجال ومن قرأ فنادته حمل على المعنى ومن فتح ان كان المعنى فنادته بان الله فلما حذف الجار وصل الفعل الى ان في موضع
نصب وعلى قول الخليل في موضع جر ومن كسر اضمر القول كانه نادته فقالت ان الله فحذف القول كما حذف في قول
من كسر في قوله فدعا ربه انى مغلوب فانتصر واضمار القول كثير واما يبشرك فقال ابو عبيدة يبشرك ويبشرك واحد
وقال الزجاج هذا من بشر يبشر اذا فرح واصل هذا كله ان بشرة الانسان ينبسط عند السرور • اللغة الهبة تمليك
الشيء من غير ثمن والسيد مأخوذ من سواد الشخص فقيل سيد القوم بمعنى مالك السواد الاعظم وهو الشخص الذي يجب طاعته
لمالكه هذا اذا استعمل مضافا او مقيدا واما اذا اطلق فلا ينبغي الا لله تعالى والحصور الممتنع من الجماع ومن قيل للذي يمتنع ان
يخرج مع ندمائه شيئا من النفقة حصور قال الاخطل وشارب مربح بالكاس نادمني لا بالحصور ولا فيها بسوار ويقال
للذي يكتم سره حصور الاعراب هنالك لا اصل فيها لظرف المكان نحو قولهم هنالك وهنا وهنالك والفرق ان هنا للقريب
وهنالك للبعيد وهناك لما بينهما قال الزجاج ويستعمل في الحال كقولك من هاهنا قلت كذا اي من هذا الوجه ومن معنى
الاشارة كقوله ذلك وذاك وبنيت اللام لتأكيد التعريف وكسرت لالتقاء الساكنين كما كسرت في ذلك واغناق لدن ولدن من عند
وان كان بمعناه لانه استبهم استبهام الحروف لانه لا يقع في جواب اين كما يقع عند في نحو قولك اين زيد فتقول عندك ولا يقال لدنك
وهو قائم جملة في موضع الحال من الهاء في نادته وقوله يصلي في المحراب جملة في موضع الحال من الضمير في قائم وقوله مصدقا نصب على
الحال من يحيى وقوله من الصالحين من طاهرا للتبيين لا للتبعيض وليس المراد التبعيض لان النبي لا يكون الا صالحا المعنى هنالك اي
عند ذلك الذي رأى من فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف على خلاف ما جرت به العادة دعا زكريا ربه فقال
رب هب لي من لدنك ذرية طيبة اي طمع في رزق الولد من العاقر على خلاف مجرى العادة فسأل ذلك وقوله طيبة اي مباركة
عن السدي وقيل صالحة تقية نقية العمل وانما انث طيبة وانما سأل ولدا ذكرا على لفظ الذرية كما قال الشاعر ابوك
خليفة ولدته اخرى وانت خليفة ذاك الكمال انك سميع الدعاء معناه سامع الدعاء ومعنى قابل الدعاء ومجيب له ومنه
قول القائل سمع الله لمن حمده اي قبل الله دعاءه وانما قيل للسامع القابل المجيب لان من كان اهلا لان يسمع منه فهو اهل ان
يجيب الى ما يسأله ومن لا يعتد بكلامه فكانه لم يسمع فنادته الملائكة قيل ناداه جبرائيل عم عن السدي فعلى هذا يكون المعنى اتاه النداء
اتاه من هذا الجنس كما يقال ركب فلان في السفن وانما ركب سفينة واحدة والمراد النداء من جهة الملائكة

وقيل نادته جماعة من الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب اي في المسجد وقيل في محراب المسجد ان الله يبشرك بيحيى سماه الله
هذا الاسم قبل مولده واختلف فيه لم سمي يحيى فقيل لان الله تعالى احياه بعقر امه عن ابن عباس وقيل لانه حياه احياه بالايمان
عن قتادة والربيع قيل انه تعالى احيا قلبه بالايمان بالنبوة ولم يسم احد قبله يحيى مصدقا بكلمة من الله اي بعيسى عم وعليه جميع
المفسرين واهل التأويل الا ما حكي عن ابي عبيدة انه بكتاب الله كما يقولون انشدت كلمة فلان اي قصيدته وان طالت
وانما سمي المسيح كلمة الله لانه حصل بكلام الله تعالى من غير اب وقيل انما سمي به لان الناس يهتدون به كما يهتدون بكلام الله
كما سمي روح الله لان الناس كانوا يحيون به في اديانهم كما يحيون بارواحهم وكان يحيى اكبر سنا من عيسى بستة اشهر فكلف التصديق
به فكان اول من صدقه وشهد انه كلمة الله وروحه وكان ذلك احدى معجزات عيسى عم واقوى الاسباب لاظهار امره فان الناس
يقبلون قول يحيى لمعرفتهم بصدقه وسيدا اي في العلم والعبادة عن قتادة وقيل في الحلم وحسن الخلق والتقى عن الضحاك
وقيل الكريم على ربه عن ابن عباس وقيل الفقيه العالم عن سعيد بن المسيب وقيل المطيع لربه عن سعيد بن جبير وقيل الحليم
عن الخليل وقيل سيدا للمؤمنين بالرياسة عليهم عن الجبائي والجميع يرجع الى اصل واحد وهو انه اهل لان يملك تدبيرهم
عليه طاعة لما هو عليه من هذه الاحوال وحصورا وهو الذي لا يأتي النساء عن ابن مسعود وابن عباس والحسن وقتادة
وهو المروي عن ابي عبد الله عم ومعناه انه يحصر نفسه عن الشهوات اي يمنعها وقيل الحصور الذي لا يدخل في اللعب
والاباطيل عن المبرد وقيل هو العنين عن ابن المسيب والضحاك وهذا لا يجوز على الانبياء لانه عيب وذم ولان الكلام
خرج مخرج المدح ونبيا من الصالحين اي رسولا شريفا رفيع المنزلة من جملة الانبياء لان الانبياء كلهم كانوا صالحين
وفي هذه الآية دلالة على ان زكريا انما طمع في الولد لما رأى تلك المعجزات وهو ان كان عالما بان الله تعالى يقدر على
ان يخلق الولد من العاقر فقد كان يجوز ان لا يفعل ذلك لبعض التدبير فلما رأى خرق العادة بخلق الفاكهة في غير وقتها
قوي ظنه في انه يفعل ذلك اذا اقتضته المصلحة كما ان ابراهيم وان كان عالما بانه تعالى يقدر على احياء الموتى سأله
ذلك مشاهدة ليتأكد معرفته وفيه دلالة على ان الولد الصالح نعمة من الله تعالى على العبد فلذلك بشر به قوله تعالى قال
رب انى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء • اية اللغة العاقر من الرجال
الذي لا يولد له ومن النساء التي لا تلد يقال عقرت تعقر عقرا وهي عاقر وقال بعضهم عاقر مثل ذات رحم ام غانم مثل
من يخيب والعقر ديت فرج المرأة اذا غصبت نفسها وبيضة العقر اخر بيضة والعقر محلة القوم والعقر اصل كل شيء
ويقال غلام بين الغلومية والغلومة وهي الشباب من الناس الغلمة والاغتلام شدة طلب النكاح وسمي الغلام غلاما لانه في
حال يطلب في مثلها النكاح والغلام مبلغ لما دون البالغ لانه طالب لظهور المعنى قال زكريا يا رب لا يجيء لي ان يكون
اي من اين يكون وقيل كيف يكون لي غلام اي ولد وقد بلغني الكبر اي اصابني الشيب نالني الهرم وانما جاز ان يقول بلغني
الكبر لان الكبر بمنزلة الطالب فهو يأتيه بحدوثه فيه والانسان ايضا يأتي الكبر بمروره السنين عليه ولو قلت بلغني البلد بمعنى
بلغت البلد لم يجز لان البلد لا يأتيك اصلا وقال ابن عباس كان زكريا يوم بشر بالولد ابن عشرين ومائة سنة وكانت امرأته
بنت ثمان وتسعين سنة وامرأتي عاقر اي عقيم لا تلد فان قيل لم راجع زكريا هذه المراجعة وقد بشره الله تعالى بان يهب له ذرية
طيبة بعد ان سأل ذلك على سبيل الاستفهام عن كيفية حصول الولد ايعطيهما الله تعالى اياه وهما على ما كانا عليه من الشيب ام يصرفهما
الى حال الشباب ثم يرزقهما الولد عن الحسن ويحتمل ان يكون اشتبه الامر عليه ايعطيه الولد عن امرأته العجوز ام من امرأة اخرى
شابة فقال الله تعالى كذلك وتقديره كذلك الامر الذي انتما عليه وعلى تلك الحال الله يفعل ما يشاء معناه يرزقك الولد
منها فانه هين عليه كما انشأكما ولم تكونا شيئا فانه سبحانه قادر يفعل ما يشاء وقيل فيه وجه اخر وهو انه انما قال ذلك على
سبيل الاستعظام لمقدور الله والتعجيب للانسان عند ظهور اية عظيمة كمن يقول كيف سمحت نفسك باخراج
ذلك الملك النفيس من يدك تعجبا من جوده وقيل انه قال ذلك على وجه التعجب من انه كيف اجابه الله تعالى الى مراده فيما

١٦٣

دعا ويكفل يحيى بذلك ومن زعم ان ذلك من الوسوسة التي خالطت قلبه من قبل الشيطان اذا خيلت اليه ان النداء
كان من غير الملائكة فقد اخطأ لان الانبياء لابد ان يعرفوا الفرق بين كلام الملك ووسوسة الشيطان ولا يجوز ان
يتلاعب الشيطان بهم حتى يختلط عليهم طريق الافهام قوله تعالى قال رب اجعل لي آية قال آيتك الا تكلم الناس ثلاثة ايام الا رمزا
واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار • آية الاعراب في وزن آية ثلاثة اقوال احدها فعلة الا انه شذ من جهة اعلال
العين مع كون اللام حرف علة وانما القياس في مثله اعلال اللام نحو حوة ونواة ونظيرها راية وغاية وطاية والثاني
فعلة ونظيره آية الا انها قلبت كراهة التضعيف نحو طائي من طي والثالث فاعلة منقوصة عن علي بن عيسى وهذا ضعيف
لان تصغيرها أيية ولو كانت فاعلة لقالوا أويّة الا انه يجوز على ترخيم التصغير نحو فطيمة والرمز الايماء بالشفتين وقد
يستعمل في الايماء بالحاجب والعين واليد والاول اغلب قال جوية بن عائذ كان تكلم الابطال رمزا وغمغمة لهم مثل الهدير والعشي
من حين زوال الشمس الى غروبها في قول مجاهد قال الشاعر فلا الظل من برد الضحى يستطيعه ولا الفيء من برد العشي يذوق
والعشاء من لدن غروب الشمس الى ان يولي صدر الليل والعشا […] العشي والعشاء مقصور ضعف العين واصل الباب
الظلمة والابكار من حين طلوع الفجر الى وقت الضحى واصله التعجيل بالشيء يقال بكر وبكر يبكر بكورا ومنه الباكورة المعنى
ثم سأل الله تعالى زكريا علامة يعرف بها وقت حمل امرأته ليزيد في العبادة شكرا وقيل ليتعجل السرور عن الحسن وقتادة
رب اجعل لي آية اي علامة لوقت الحمل والولد فجعل الله تعالى تلك العلامة في امساك لسانه عن الكلام الا ايماء من غير آفة
حدثت فيه بقوله قال آيتك اي قال الله ويحتمل ان يكون المراد قال جبرئيل آيتك اي علامتك الا تكلم الناس ثلاثة ايام الا رمزا
اي ايماء عن قتادة وقيل الرمز تحريك الشفتين عن مجاهد وقيل اراد به صوم ثلاثة ايام لانهم كانوا اذا صاموا لم يتكلموا
الا رمزا عن عطاء واذكر ربك كثيرا يعني في هذه الايام الثلاثة ومعناه انه لما منع من الكلام عرف انه لم يمنع من الذكر لله سبحانه
والتسبيح له وذلك ابلغ في الاعجاز وسبح اي نزه الله تعالى واراد التسبيح المعروف وقيل معناه صل يقال فرغت من سبحتي اي من
صلوتي بالعشي والابكار في آخر النهار واوله قوله تعالى واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء
العالمين • يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين • آيتان المعنى ثم ذكر الله تعالى امرأة عمران وفضلهما
على الجملة ثم ذكر تفصيل تلك الجملة فقال واذ قالت الملائكة اذ هذه معطوفة على اذ في قوله اذ قالت امرأة عمران او يكون معناه
واذكر اذ قالت الملائكة وقيل يعني جبرئيل وحده ان الله اصطفاك اي اختارك والطف لك حتى تفرغت لعبادته واتباع مرضاته
وقيل معناه اصطفاك لولادة المسيح عن الزجاج وطهرك بالايمان وبالطاعة عن المعصية عن الحسن وسعيد بن جبير وقيل طهرك
من الادناس والاقذار التي تعرض للنساء مثل الحيض والنفاس حتى صرت صالحة لخدمة المسجد عن الزجاج وقيل طهرك
عن الاخلاق الذميمة والطبايع الردية واصطفاك على نساء العالمين اي على نساء عالمي زمانك لان فاطمة بنت رسول الله صلعم
سيدة نساء العالمين وهو قول ابي جعفر ع وقد روي عن النبي صلعم انه قال فضلت خديجة على نساء امتي كما فضلت مريم
على نساء العالمين وقال ابو جعفر ع معنى الآية اصطفاك من ذرية الانبياء وطهرك من السفاح واصطفاك لولادة
عيسى من غير فحل وخرج بهذا من ان يكون تكريرا اذ يكون الاصطفاء على معنيين مختلفين يا مريم اقنتي لربك اي اعبدي
واخلصي له العبادة عن سعيد بن جبير وقيل معناه اديمي الطاعة عن قتادة وقيل اطيلي القيام في الصلوة عن مجاهد
واسجدي واركعي مع الراكعين اي كما يعمل الساجد والراكعون لا ان يكون ذلك امرا لها بان تعمل السجود والركوع
معهم في الجماعة وقدم السجود على الركوع لان الواو لا يوجب الترتيب وانما في الاشياء المتغايرة نظير التثنية في المماثلة
وانما توجب الجمع والاشتراك وقيل معناه اسجدي لله شكرا واركعي اي وصلي مع المصلين وقيل معناه صلي في الجماعة مع الجماعة
قوله تعالى ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم
اذ يختصمون • آية اللغة الانباء الاخبار واحدها نبأ والايحاء هو القاء المعنى الى النفس على وجه يخفى و

والايحاء الارسال الى الانبياء تقول اوحى الله اليه اي ارسل اليه ملكا والايحاء الالهام ومنه قوله تعالى واوحى ربك الى النحل
وقوله تعالى بان ربك اوحى لها معناه القى اليها معنى ما اراد منها قال العجاج اوحى لها القرار فاستقرت وشدها بالراسيات
الثبت والايحاء الايماء قال فاوحت الينا والانامل رسلها ومنه قوله تعالى فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا اي اشار
اليهم والوحي الكتابة قال رؤبة لقدر كان وحاه الواحي قال في سور من ربنا موحية والقلم الذي يكتب به والقلم الذي
يجال بين القوم كالازلام […] وقلم وهو القدح والقلم قص الظفر ومقلم الرمح كعوبه واصله قطع طرف الشيء الاعراب
قال ابو علي اذ في قوله اذ يلقون متعلق بكنت واذ في قوله اذ قالت الملائكة بعد اذ يختصمون متعلق بيختصمون ويجوز
ان يكون متعلقا بكنت كانه قال وما كنت لديهم اذ قالت الملائكة وهذا انما يجوز عندي على ان تجعل اذ الثانية بدلا
من الاولى فان لم يجعله على هذا التقدير لم يجز وانما يجوز البدل في هذا اذا كان وقت اختصامهم وقت قول الملائكة
ليكون البدل هو المبدل منه في المعنى المعنى ذلك اشارة الى ما تقدم ذكره من حديث مريم وزكريا ويحيى من انباء
الغيب اي من اخبار ما غاب عنك وعن قومك نوحيه اليك اي نلقيه اليك معجزة لك وتذكيرا وتبصرة وموعظة
وعبرة ووجه الاعجاز فيه ان ما غاب عن الانسان يمكن ان يحصل علمه بقراءة الكتب والتعلم او الوحي والنبي
صلعم لم يشاهد هذه القصص ولا قرأها من الكتب ولا تعلمها اذ كان نشوه بين اهل مكة ولم يكونوا اهل كتاب
فوضح ان الله سبحانه اوحى اليه بها وفي ذلك صحة نبوته وما كنت يا محمد لديهم عندهم اذ يلقون اقلامهم التي كانوا
يكتبون بها التورية في الماء على ما تقدم ذكره قبل وقيل اقلامهم قداحهم للاقتراع جعلوا عليها علامات يعرفون بها من
يكفل مريم على جهة القرعة ايهم يكفل مريم وفيه حذف اي لينظروا ايهم يظهر له القرعة ليكفل مريم وهذا تعجب من الله
سبحانه نبيه من شدة حرصهم على كفالة مريم والقيام بامرها عن قتادة وقيل هو تعجب من تدافعهم لكفالتها لشدة
الازمة التي لحقتهم حتى وفق لها خير الكفلاء زكرياء عليه السلام وما كنت لديهم اذ يختصمون يعني لم تكن عندهم اذ
يختصمون في التشاح عليها وفي وقت التشاح قولان احدهما حين ولادتها وحمل امها اياها الى الكنيسة تشاحوا
في الذي يحضنها ويكفل تربيتها وهذا الاكثر وقال بعضهم كان ذلك وقت كبرها وعجز زكريا عن تربيتها وفي هذه الآية
دلالة على ان القرعة لها مدخل في تمييز الحقوق وقد قال الصادق ع ما تقارع قوم ففوضوا امرهم الى الله عز وجل الا خرج
سهم المحق وقال اي قضية اعدل من القرعة اذا فوض الامر الى الله عز وجل اليس الله تعالى يقول فساهم فكان من المدحضين وقال
الباقر ع اول من سوهم عليه مريم بنت عمران ثم تلى وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم والسهام ستة ثم استهموا في يونس ع
ثم كان عبد المطلب ولد له تسع بنين فنذر في العاشر ان رزقه الله غلاما ان يذبحه فلما ولد عبد الله لم يقدر ان يذبحه
ورسول الله ص في صلبه فجاء بعشر من الابل فساهم عليها وعلى عبد الله فخرجت السهام على عبد الله فزاد عشرا فلم تزل
السهام تخرج على عبد الله ويزيد عشرا فلما ان خرجت مائة خرجت السهام على الابل فقال عبد المطلب ما انصفت
ربي فاعاد السهام ثلثا فخرجت على الابل فقال الآن علمت ان ربي قد رضي فنحرها قوله تعالى اذ قالت الملائكة
يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد
وكهلا ومن الصالحين • آيتان القراءة ذكرنا القراءة في يبشرك والقول فيه اللغة المسيح فعيل بمعنى مفعول
واصله انه مسح من الاقذار وطهر والمسيح ايضا الذي احد شقي وجهه ممسوح لا عين له ولا حاجب ولذلك سمي الدجال
وقيل المسيح عيسى بفتح الميم والتخفيف هو الصديق والمسيح بكسر الميم وتشديد السين مخفف السير الدجال عن
ابراهيم النخعي وانكره غيره قال الشاعر اذا المسيح يقتل المسيحا والوجيه الكريم على من يسئله فلا يرده لكرم وجهه
عنده خلاف من يبذل وجهه للمسئلة فيرد يقال وجه الرجل يوجه وجاهة عند الناس وجاه اي منزلة رفيعة
والكهل ما بين الشاب والشيخ ومنه اكتهل النبت اذا طال وقوي والمرأة كهلة قال الشاعر م ولا اعود بعدها

١٦٣

كونها امارة الكهولة والصبا ومنه الكاهل ما فوق الظهر الى ما يلي العنق وقيل الكهولة بلوغ اربع وثلثين سنة
الاعراب وجيها منصوب على الحال والمعنى يبشرك بهذا الولد وجيها ويكلم في موضع النصب على الحال ايضا عطفا على
وجيها وجاز ان يعطف بلفظ يفعل على فاعل لمضارعته يفعل فاعلا قال الشاعر بات يغشيها بعضب باتر يقصد في اسوقها
وجائر قاصد في اسوقها وجائر وكهلا حالا من يكلم المعنى اذ قالت الملائكة قال ابن عباس يريد جبرئيل ان الله يبشرك
يخبرك بما يسرك بكلمة منه فيه قولان احدهما ان المسيح عليه السلام سماه كلمة عن ابن عباس وقتادة وجماعة من المفسرين وانما سمي
بذلك لانه كان بكلمة من الله من غير والد وهو قوله كن فيكون يدل عليه قوله ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم الآية وقيل
سمي بذلك لان الله تع بشر به في الكتب السالفة كما يقول الذي يخبر بامر اذا خرج موافقا لامر قد جاء كلامي فمما
جاء من البشارة به في التورية اتانا الله من سينا واشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران وساعير هو الموضع الذي بعث منه
المسيح وقيل لان الله يهدي به كما يهدي بكلمته والقول الثاني ان الكلمة معنى البشارة كانه قال ببشارة منه ولد اسمه المسيح
والاول اقوى ويقويه قوله انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه وانما ذكر الضمير
في اسمه وهو عائد الى الكلمة لانه واقع على مذكر فذهب الى المعنى واختلف فيه لم سمي المسيح فقيل لانه مسح بالبركة
واليمن عن الحسن وسعيد وقيل لانه مسح بالتطهير من الذنوب وقيل لانه كان يمسح بدهن زيت بورك فيه وكانت الانبياء
تمسح به عن الجبائي وقيل لانه مسحه جبرئيل بجناحيه وقت ولادته ليكون عوذة من الشيطان وقيل لانه كان يمسح
راس اليتامى لله وقيل لانه كان يمسح عين الاعمى فيبصر عن الكلبي وقيل لانه كان لا يمسح ذا عاهة بيده الا برئ عن ابن عباس
في رواية عطا والضحاك وقال ابو عبيدة هو بالسريانية مشيحا فعربته العرب عيسى بن مريم نسبه الى امه ردا
على النصارى قولهم انه ابن الله وجيها اي ذا جاه وقدر وشرف في الدنيا والآخرة ومن المقربين الى ثواب الله وكرامته
ويكلم الناس في المهد اي صغيرا والمهد الموضع الذي يمهد لنوم الصبي ويعني بكلامه في المهد قوله اني عبد الله
آتاني الكتاب الآية ووجه كلامه في المهد تنزيه لامه مما قذفت به وجلالة له بالمعجزة التي ظهرت فيه وكهلا اي ويكلمهم
كهلا بالوحي الذي ياتيه من الله اعلمها الله سبحانه انه يبقى الى حال الكهولة وفي ذلك اعجاز لكون المخبر على وفق خبره وقيل
ان المراد به الرد على النصارى بما كان فيه من التقلب في الاحوال لان ذلك مناف لصفة الاله ومن الصالحين اي ومن
النبيين مثل ابرهيم وموسى على نبينا وعليهما السلام وقيل ان المراد بالآية ويكلمهم في المهد دعاء الى الله وكهلا بعد نزوله من السماء
لقتل الدجال وذلك لانه رفع الى السماء وهو ابن ثلث وثلثين سنة ولم يكتهل الكهولة عن زيد بن اسلم وفي كلامه
في المهد قولان احدهما ان الكلام معجزة مقرونة بنبوة المسيح لانه سبحانه اكمل عقله في تلك الحال وجعله نبيا واوحى اليه بما تكلم به عن
الجبائي وقيل كان ذلك على التاسيس والارهاص لنبوته عن ابن الاخشيد ويجوز عندنا الوجهان ويجوز ايضا ان يكون معجزة
لمريم تدل على طهارتها وبراءة ساحتها اذ لا مانع من ذلك وقد دلت الادلة الواضحة على جوازه وانما جحد النصارى
كلام المسيح في المهد مع كونه آية لان في ذلك ابطال مذهبهم لانه قال اني عبد الله وهذا ينافي قولهم انه ابن الله فاستمروا
على تكذيب من اخبر انه شاهد ذلك قوله تعالى قالت رب انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق
ما يشاء اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون • آية الاعراب فيكون هاهنا لا يجوز فيه غير الرفع لانه لا يصلح ان يكون جوابا
للامر الذي هو كن لان الجواب يجب بوجوب الاول نحو ائتني اكرمك وقم فاقوم معك ولا يجوز قم فتقوم لانه يكون على تقدير
ان تقم تقم وهذا لا معنى له ولكن الوجه الاخبار انه سيقوم ويجوز في قوله ان يقول له كن فيكون النصب عطفا على يقول
المعنى قالت مريم رب انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر لم تقل ذلك استبعادا واستنكارا بل انما قالت استفهاما او
استعظاما لقدرة الله تعالى لان في طبع البشر التعجب مما خرج عن المعتاد وقيل انما قالت ذلك لتعلم ان الله سبحانه يرزقها
الولد وهي على حالتها لم يمسها بشر او يقدر ان تزوج ثم يرزقها الولد على مجرى العادة قال كذلك الله يخلق ما يشاء

اي كيف يكون ولد

اي يخلق ما يشاء مثل ذلك وهي حكاية ما قال لها الملك اي يرزقك الولد وانت على هذه الحالة لم يمسسك بشر اذا قضى
امرا اي خلق امرا وقيل اذا قدر امرا فانما يقول له كن فيكون وقيل في معناه قولان احدهما انه اخبار بسرعة حصول مراد الله تعالى
في كل شيء اراد حصوله من غير مهلة ولا معاناة ولا تكلف سبب ولا اداة وانما كنى بهذا الوجه اللفظ لانه لا يدخل في وهم
العباد شيء اسرع من كن فيكون والآخر ان هذه الكلمة كلمة جعلها الله علامة للملائكة فيما يريد احداثه وايجاده لما فيه من المصلحة
والاعتبار وانما استعمل لفظ الامر فيما ليس بامر هاهنا ليدل به على ان فعله بمنزلة فعل المامور في انه لا كلفة فيه على الآمر
قوله تعالى ويعلمه الكتاب والحكمة والتورية والانجيل ورسولا الى بني اسرائيل اني قد جئتكم باية من ربكم اني اخلق لكم من
الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وابرئ الاكمه والابرص واحيي الموتى باذن الله وانبئكم بما تاكلون
وما تدخرون في بيوتكم ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين • آيتان عد اهل الكوفة التورية والانجيل آية ولم يعدوا
بني اسرائيل لتكلف الاستيناف بانا المفتوحة وعد غيرهم بني اسرائيل ولم يعدوا الانجيل لطلوع تمام صفة المسيح لان تقديره
ومعلما او رسولا القراءة قرا اهل المدينة وعاصم ويعقوب وسهل ويعلمه بالياء والباقون بالنون ونافع قوله اني
اخلق بكسر الالف والباقون بالفتح وقرا اهل المدينة ويعقوب طائرا ومثله في المائدة وقرا ابو جعفر كهيئة الطير
فيهما والباقون طيرا بغير الف الحجة من قرا يعلمه بالياء عطفه على قوله ان الله يبشرك ومن قرا نعلمه جعله على نحو نحن قدرنا
بينكم الموت ومن فتح اني اخلق جعلها بدلا من آية كانه قال جئتكم باني اخلق لكم ومن كسر احتمل وجهين احدهما
الاستيناف وقطع الكلام مما قبله والآخر انه فسر الآية بقوله اني اخلق كما فسر الوعد في قوله وعد الله الذين آمنوا
بقوله لهم مغفرة وفسر المثل في قوله كمثل آدم بقوله خلقه من تراب وهذا الوجه احسن لانه في المعنى كمن فتح
وابدل من آية ومن قرا طائرا اراد فيكون ما انفخ فيه او ما اخلقه طائرا فافرد لذلك او اراد يكون كل واحد من
ذلك طائرا كما قال فاجلدوهم ثمانين جلدة اي اجلدوا كل واحد منهم اللغة الحكمة والحكم بمعنى فنظير الذلة
والذل والطين معروف وطينت الكتاب جعلت عليه طينا لاختمه به وطينت البيت تطيينا والهيئة الحال
الظاهرة هاء يهاء هيئة والنفخ معروف نفخ ينفخ نفخا والنفاخة للمثانة والاكمه الاعمى قال سويد بن ابي كاهل
كمهت عيناه حتى ابيضتا فهو يلحى نفسه لما نزع والادخار افتعال من الذخر وجوز النحويون تذخرون بالذال
الاعراب موضع نعلمه يحتمل ان يكون نصبا بالعطف على وجيها ويحتمل ان يكون لا موضع له من الاعراب لانه عطف
على جملة لا موضع لها من الاعراب وهي قوله كذلك الله يخلق ما يشاء وقيل هو عطف على نوحيه اليك وهذا لا يجوز
لانه يخرج من معنى البشارة لمريم ورسولا نصب على تقدير ويجعله رسولا فحذف لدلالة البشارة عليه ويجوز ان يكون
نصبا على الحال عطفا على وجيها لانه في ذلك الوقت يكون رسولا بل المعنى انه يرسل رسولا وقال الزجاج
يكلمهم رسولا باني قد جئتكم ولو قرئ بالكسر اني قد جئتكم لكان صوابا والمعنى فيقول اني قد جئتكم وموضع اني اخلق
يحتمل ان يكون خفضا ورفعا فالخفض على البدل من آية والرفع على اضمار هي وبما تاكلون جائز ان يكون ما بمعنى
الذي اي بما تاكلونه وتدخرونه ويجوز ان يكون بمعنى المصدر اي وانبئكم باكلكم وادخاركم والاول اجود المعنى ويعلمه
الكتاب اراد الكتابة عن ابن جريج قال اعطى الله عيسى ع تسعة اجزاء من الخط وسائر الناس جزءا وقيل اراد به بعض الكتب التي انزلها
تع على انبيائه سوى التورية والانجيل مثل الزبور وغيره عن ابي علي الجبائي وهو الاليق بالظاهر والحكمة اي الفقه وعلم
الحلال والحرام عن ابن عباس كما روي عن النبي ص انه قال اوتيت القرآن ومثليه قالوا اراد به السنن وقيل اراد بذلك
جميع ما علمه الله من اصول الدين والتورية والانجيل ان قيل لم افردهما بالذكر مع دخولهما في الحكمة قيل تنبيها على
جلالة موقعهما كقوله وملائكته ورسله وجبرئيل وميكال وقطع هاهنا قصة مريم وولادتها ويأتي تمام قصتها
في سورة مريم واتبعه بقصة عيسى فقال ورسولا الى بني اسرائيل وقد ذكرنا تقديره ومعناه بعد عليه

١٦٥

اني قد جئتكم اي قال لهم وكلمهم لما بعثه اليهم باني قد جئتكم باية اي بدلالة وحجة من ربكم دالة على نبوتي ثم حذف
الباء فوصل الفعل اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير معناه وهذه الاية اني اقدر لكم واصور لكم من الطين مثل صورة
الطير فانفخ فيه اي في الطير المقدر من الطين وقال في موضع اخر فيها اي في الهيئة المقدرة فيكون طيرا باذن الله تعالى
وقدرته وقيل بامر الله تعالى وانما وصل قوله باذن الله بقوله فيكون طيرا دون ما قبله لان تصوير الطين على هيئة الطير
مما يدخل تحت مقدور العباد فاما جعل الطين طيرا حتى يكون لحما ودما وخلق فيه الحيوة مما لا يقدر عليه غير الله سبحانه
فقال باذن الله تعالى ليعلم انه من فعله وليس من فعل عيسى ع وفي التفسير انه صنع من الطين كهيئة الخفاش ونفخ فيه فصار
طائرا وابرئ الاكمه الذي ولد اعمى عن ابن عباس وقتادة وقيل هو الاعمى عن الحسن والسدي والابرص الذي به وضح
قال وهب ربما اجتمع على عيسى من المرضى في اليوم خمسون الفا من اطاق منهم ان يبلغه بلغه ومن لم يطق اتاه عيسى عليه السلام
يمشي اليه وانما كان يداويهم بالدعاء على شرط الايمان واحيي الموتى باذن الله انما اضاف الاحياء الى نفسه على وجه المجاز
والتوسع لان الله كان يحيي الموتى عند دعائه وقيل احيا اربعة انفس عاذر وكان صديقا له وكان قد مات منذ
ثلثة ايام فقال لاخته انطلقي بنا الى قبره ثم قال اللهم رب السموات السبع ورب الارضين السبع انك ارسلتني
الى بني اسرائيل ادعوهم الى دينك فاخبرهم باني احيي الموتى فاحي عاذر فقام فخرج من قبره وبقي وولد له وابن العجوز
مر به ميتا على سريره فدعا الله عيسى عليه السلام فجلس على سريره ونزل عن اعناق الرجال ولبس ثيابه ورجع الى اهله وبقي
وولد له وابنة العاشر قيل له احيها وقد ماتت امس فدعا الله عز وجل فعاشت وبقيت وولدت وسام بن
نوح دعا عليه باسم الله الاعظم فخرج من قبره وقد شاب نصف راسه فقال قد قامت القيمة قال لا ولكني دعوتك باسم الله
الاعظم قال ولم يكونوا يشيبون في ذلك الزمان لان سام بن نوح قد عاش خمسمائة سنة وهو شاب ثم قال مت قال بشرط
ان يعيذني الله من سكرات الموت فدعا الله سبحانه ففعل قال الكلبي كان عيسى يحيي الاموات بيا حي يا قيوم وانما خص
عيسى بهذه المعجزات لان الغالب في زمانه الطب فاراهم الله سبحانه الايات من جنس ما هم عليه ليكون المعجز اظهر كما ان الغالب
في زمان موسى السحر اتاهم من جنس ذلك بما اعجزهم عن الاتيان بمثله وكان الغالب في زمان نبينا صلى الله عليه وآله البيان
والبلاغة والفصاحة فاراهم الله سبحانه الفصاحة المعجزة بالقرآن الذي بهرهم بما فيه من عجائب النظم وغرائب البيان ليكون
ابلغ في باب الاعجاز وابين اي كل امة من امم الانبياء بمثل ما هم عليه ويعجزون عن الاتيان بمثله اذا اتاهم بما لا يهتدون اليه بمكان
ان يختص بالعلم ان ذلك مقدور للبشر عرفوا انهم لا يهتدون اليه وانبئكم اي اخبركم بما تاكلون اي بالذي تاكلونه مما لم تعاينوه
كان يقول للرجل تغديت بكذا وكذا او رفعت الى الليل كذا وكذا ان في ذلك اي فيما ذكرت لكم لاية لكم اي حجة ومعجزة
ودلالة لكم ان كنتم مؤمنين بالله اذ كان لا يصح العلم بمدلول المعجز الا من الله لان العلم بالمدلول لا يتم الا ان يكون
قبله العلم بالرسول وفيها لا يرد دلالة على ان عيسى عليه السلام كان مبعوثا الى الجميع بغير سيف وقوله اني اخلق لكم يدل على ان
العبد يحدث ويفعل ويخلق خلاف قول المجبرة لكن الخالق على الاطلاق هو الله عز وعلا قوله تعالى ومصدقا لما بين
يدي من التوراة ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم باية من ربكم فاتقوا الله واطيعون ان الله ربي وربكم فاعبدوه
هذا صراط مستقيم آيتان اللغة الفرق بين التصديق والتقليد ان التصديق لا يكون الا فيما يبرهن عند صاحبه
والتقليد يكون فيما لم يبرهن ولهذا لا نكون مقلدين لنبينا صلى الله عليه وآله وان كنا مصدقين له والاحلال هو الاطلاق
في الفعل بتحسينه والتحريم هو حظر الفعل بتقبيحه والاستقامة خلاف الاعوجاج الاعراب مصدقا نصب على الحال
تقديره جئتكم مصدقا قال الزجاج لان اول الكلام يدل عليه ونظيره جئته بما يحب ومعرفا له لا يكون عطفا على وجيها لان الوجيه لا
لقوله لما بين يدي ولم يقل لما بين يديه وقال ابو عبيدة اراد بقوله بعض الذي حرم كل الذي حرم واستشهد
بقول لبيد تراك امكنة اذا لم ارضها او يعتلق بعض النفوس حمامها قال معناه او يعتلق كل النفوس وانكر عليه

ذلك

ذلك وقال معناه او يعتلق نفسي حمامها وخطأوا ابا عبيدة من وجهين احدهما ان البعض لا يكون بمعنى الكل والثاني انه لا يجوز
تحليل جميع المحرمات لانه يدخل فيه الكذب والظلم والقتل في ذلك المعنى ومصدقا لما بين يدي اي لما انزل قبلي
من التوراة وما فيه من البشارة بي ومن رسل قبلي من الانبياء ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم هذا معطوف على معنى قوله
مصدقا وتقديره ولاصدق ما بين يدي من التوراة ولاحل لكم كما يقول جئته معتذرا ولاجتلب عطفه وقيل ان
الذي احل لهم لحوم الابل والثروب وبعض الطيور والحيتان مما كان قد حرم على بني اسرائيل عن قتادة والربيع وابن
جريج ووهب وقيل احل لهم السبت عن الكلبي وجئتكم باية من ربكم اي بحجة تشهد بصدقي فاتقوا الله في مخالفتي
وتكذيبي واطيعون كما امركم الله تعالى بان الله ربي وربكم اي مالكي ومالككم وانما قال ذلك ليكون حجة على النصارى
في قولهم المسيح ابن الله والمعنى لا تنسبوني اليه فانا عبد له كما انكم عبيد له فاعبدوه وحده هذا صراط مستقيم اي دين مستقيم
اي عبادته دين مستقيم وقد استوفينا الكلام في الرب والصراط المستقيم في سورة الحمد قوله تعالى فلما احس عيسى منهم
الكفر قال من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله امنا بالله واشهد بانا مسلمون ربنا امنا بما انزلت
واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ثلث آيات اللغة الاحساس الادراك
بالحاسة والحس القتل لانه يحس بالمه والحس العطف لاحساس الرقة على صاحبه والانصار جمع نصير كالاشراف جمع
شريف واصل الحواري الحور وهو شدة البياض ومنه الحواري من الطعام لشدة بياضه قال الحرث بن حلزة فقل
للحواريات يبكين غيرنا ولا تبكنا الا الكلاب النوابح يعني النساء لشدة بياضهن والشاهد هو المخبر بالشيء عن مشاهدة
هذا حقيقته وقد يتصرف فيه فيقال البرهان شاهد بحق اي هو بمنزلة المخبر عن مشاهدة ويقال هذا شاهد
اي معدل للشهادة والمكر اصله الالتفاف ومنه قولهم لضرب من الشجر مكر لالتفافه والممكورة من النساء الملتفة
الخلق وحد المكر خب يختدع به العبد لايقاعه في الضرر والفرق بين المكر والحيلة ان الحيلة قد تكون لاظهار
ما يعسر من الفعل من غير قصد الى الاضرار بالعبد والمكر حيلة على العبد توقعه في مثل الوهق الاعراب قيل ان الى
بمعنى مع كقولهم الذود الى الذود ابل اي مع الذود قال الزجاج لا يجوز ان يقال ان بعض الحروف من حروف المعاني
بمعنى الاخر وانما معنى هذا ان اللفظ لو عبر عنه بمع افاد هذا المعنى لا ان الى بمعنى مع لو قلت ذهب زيد الى عمرو لم يجز
ان يقول ذهب زيد مع عمرو لان الى غاية ومع تضم الشيء الى الشيء والحروف قد يتقارب في الفائدة فيظن الضعيف
العلم باللغة ان معناهما واحد من ذلك قوله عز وجل ولاصلبنكم في جذوع النخل ولو كانت على هاهنا لادت هذه الفائدة
واصل في انما هو للوعاء واصل على لما علا الشيء فقولك التمر في الجراب لو قلت على الجراب لم يصلح ذلك ولكن جاز
في جذوع لان الجذع مشتمل على المصلوب لانه قد اخذه من اقطاره ولو قلت زيد على الجبل او في الجبل يصلح لان الجبل
قد اشتمل على زيد فعلى هذا مجاز هذه الحروف المعنى فلما احس اي وجد وقيل ابصر وقيل علم عيسى منهم الكفر وانهم
لا يزدادون الا اصرارا على الكفر بعد ظهور الايات والمعجزات ميز المؤمنين من قومه بالسؤال والتعرف عما في اعتقادهم
من نصرته فقال من انصاري الى الله وقيل انه لما عرف منهم العزم على قتله قال من انصاري الى الله وفيه اقوال احدها
ان معناه من اعواني على هؤلاء الكفار مع معونة الله عن السدي وابن جريج والثاني ان معناه من انصاري في السبيل الى الله
عن الحسن لانه دعاهم الى سبيل الله والثالث ان معناه من اعواني في اقامة الدين المؤدي الى الله اي الى نيل ثوابه كقوله
اني ذاهب الى ربي ومما يسئل على هذا ان عيسى عليه السلام انما بعث للوعظ دون الحرب فلم استنصر عليه فيقال لهم
للحماية من الكافرين الذين ارادوا قتله عند اظهار الدعوة عن الحسن ومجاهد وقيل ايضا يجوز ان يكون طلب النصرة
للتمكين من اقامة الحجة وللتميز الموافق من المخالف قال الحواريون واختلف في سبب تسميتهم بذلك على اقوال احدها
انهم سموا بذلك لنقاء ثيابهم عن سعيد بن جبير وثانيها انهم كانوا قصارين يبيضون الثياب عن ابن ابي نجيح عن ابي

١٦٦

ارطاة وثالثها انهم كانوا صيادين يصيدون السمك عن ابن عباس والسدى ورابعها انهم كانوا خاصة الانبياء
عن قتادة والضحاك هذا اوجه لانهم مدحوا بهذا الاسم تذهب الى نقاء قلوبهم كنقاء الثوب الابيض بالتحوير وقيل
عن الحسن انه قال الزبير ابن عمتى وحوارى من امتى وقال الحسن حوارى الناصر والحواريون الانصار وقال الكلبى وابو روق
الحواريون اصفياء عيسى ع وكانوا اثنى عشر رجلا قال عبد الله بن المبارك سموا حواريون لانهم كانوا نورانيين
عليهم اثر العبادة ونورها وحسنها كما قال سبحانه سيماهم فى وجوههم من اثر السجود نحن انصار الله معناه نحن اعوان الله
على الكافرين من قومك اى اعوان رسول الله او اعوان دين الله امنا بالله اى صدقنا بالله انه واحد لا شريك له
واشهد يا عيسى بانا مسلمون اى كن شهيدا لنا عند الله واشهد وهو اسلامهم لان الانبياء شهداء الله على خلقه يوم القيمة
كما قال سبحانه ويوم نبعث من كل امة شهيدا ربنا اى يا ربنا امنا بما انزلت على عيسى واتبعناه فاكتبنا مع الشاهدين اى فى
جملة الشاهدين بجميع ما انزلت لنفوز بما فازوا به وننال بما نالوا من كرامتك وقيل معناه واجعلنا مع محمد ص وامته
عن ابن عباس وقد سماهم الله شهداء بقوله لتكونوا شهداء على الناس اى مع الشاهدين بالحق عندك هذا كله حكاية
قول الحواريين انهم اتبعوا عيسى ع وكانوا اذا جاعوا قالوا يا روح الله جعنا فيضرب بيده على الارض سهلا كان او جبلا
فيخرج لكل انسان منهم رغيفين يأكلهما واذا عطشوا قالوا يا روح الله عطشنا فيضرب بيده على الارض سهلا كان
او جبلا فيخرج ماء فيشربون قالوا يا روح الله من افضل منا اذا شئنا اطعمتنا واذا شئنا سقيتنا وقد امنا بك
واتبعناك قال افضل منكم من يعمل بيده ويأكل من كسبه فصاروا يغسلون الثياب بالكراء وقوله ومكروا ومكر الله يعنى كفار
بنى اسرائيل الذين عناهم الله بقوله فلما احس عيسى الاية ومعناه دبروا لقتل عيسى ومكر الله اى جازاهم على مكرهم وسمى
الجزاء على المكر مكرا كما قال سبحانه الله يستهزئ بهم وجاء فى التفسير ان عيسى ع بعد اخراج قومه اياه وامه من بين اظهرهم
عاد اليهم مع الحواريين وصاح بهم بالدعوة فهموا بقتله وتواطؤا على الفتك به فذلك مكرهم به ومكر الله تعالى بهم القاء الشبه
على صاحبهم الذى اراد قتل عيسى ع حتى قتل وصلب ورفع عيسى الى السماء وقال ابن عباس لما اراد ملك بنى اسرائيل
قتل عيسى ع دخل خوخة وفيها كوة فرفعه جبرئيل من الكوة الى السماء وقال الملك لرجل منهم خبيث ادخل عليه فاقتله فدخل
الخوخة فالقى الله تعالى عليه شبه عيسى فخرج الى اصحابه يخبرهم انه ليس فى البيت فقتلوه وصلبوه وظنوا انه عيسى ع وقال
وهب اسروه ونصبوا خشبة ليصلبوه فاظلمت الارض وارسل الله الملائكة فحالوا بينهم وبينه فاخذوا رجلا
فقال له يهوذا وهو الذى دلهم على عيسى وذلك ان عيسى جمع الحواريين تلك الليلة واوصاهم ثم قال ليكفرن بى احدكم
قبل ان يصيح الديك فيبيعنى بدراهم يسيرة فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فاتى احد الحواريين اليهم وقال ما تجعلون
لى ان دللتكم عليه فجعلوا له ثلثين درهما فاخذها ودلهم عليه فالقى الله تعالى عليه شبه عيسى عليه لما دخل البيت ورفع عيسى عليه السلام فاخذ
وقال انا الذى دللتكم عليه فلم يلتفتوا الى قوله وصلبوه وهم يظنون انه عيسى فلما صلب شبه عيسى واتى على ذلك سبعة ايام
قال الله عز وجل لعيسى عليه السلام اهبط على مريم ثم لتجمع لك الحواريين وبثهم فى الارض دعاة فهبط عليها واشتعل الجبل نورا فجمعت
له الحواريين فبثهم فى الارض دعاة ثم رفعه الله سبحانه وتلك الليلة هى الليلة التى تدخن فيها النصارى فلما اصبح الحواريون
حدث كل واحد منهم بلغة من ارسله عيسى اليهم فذلك قوله عز وجل ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين اى افضل المعاقبين
وقيل انصف الماكرين واعدلهم لان مكرهم ظلم ومكره عدل وانصاف وانما اضاف الله سبحانه المكر الى نفسه على مزاوجة
الكلام كما قال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم والثانى ليس باعتداء وانما هو جزاء وهذا احد
وجوه البلاغة كالمجانسة والمطابقة والمقابلة والمجانسة كقوله تتقلب فيه القلوب والابصار والمطابقة كقوله ماذا
انزل ربكم قالوا خيرا بالنصب مطابقة للسؤال والمقابلة كقوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ووجوه يومئذ
باسرة تظن ان يفعل بها فاقرة قوله تعالى اذ قال الله يا عيسى انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين

اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيمة ثم الى مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون * اية الاعراب العامل
فى اذ قوله ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين اذ قال ويحتمل ان يكون تقديره ذلك اذ قال الله وتمثيله ذاك واقع
اذ قال ثم حذفت واقع وهو العامل فى اذ وايضا فمقام وعيسى فى موضع الضم لانه منادى مفرد معرفة لكن لا يتبين فيه
الاعراب لانه مقصور وهو لا ينصرف لاجتماع العجمة والتعريف المعنى لما بين الله سبحانه ما اهم به قوم عيسى من المكر به قبله
عقبه بما انعم به عليه من لطف التدبير وحسن التقدير فقال واذ قال الله يا عيسى انى متوفيك وقيل فى معناه اقوال احدها
ان المراد انى قابضك برفعك من الارض الى السماء من غير وفاة بموت عن الحسن وكعب وابن جريج وابن زيد والكلبى وغيرهم
وعلى هذا القول يكون للمتوفى تاويلان احدهما انى رافعك الى وافيا لم ينالوا منك شيئا من قولهم توفيت كذا واستوفيته
اى اخذته تاما والاخر انى متسلمك من قولهم توفيت منه كذا اى تسلمته وثانيها انى متوفيك وفاة نوم ورافعك الى فى
النوم عن الربيع قال رفعه نائما ويدل عليه قوله وهو الذى يتوفيكم بالليل اى ينيمكم لان النوم اخ الموت وقال الله تعالى يتوفى
الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها الاية وثالثها انى متوفيك وفاة موت عن ابن عباس ووهب قالا اماته
ثلث ساعات فاما النحويون فيقولون هو على التقديم والتأخير اى انى رافعك ومتوفيك لان الواو لا توجب الترتيب
بدلالة قوله فكيف كان عذابى ونذر والنذر قبل العذاب بدلالة وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وهذا مروى
عن الضحاك ويدل عليه ما روى عن النبى ص انه قال ان عيسى لم يمت وانه راجع اليكم قبل يوم القيمة وقد صح انه ص قال كيف
انتم اذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم رواه البخارى ومسلم فى الصحيح فعلى هذا يكون تقديره انى قابضك بالموت بعد نزولك
من السماء ورافعك الى فيه قولان احدهما انى رافعك الى سمائى وسمى رفعه الى السماء رفعه اليه تفخيما لامر السماء
يعنى رافعك الى موضع لا يكون عليك الا امرى والاخر ان معناه رافعك الى كرامتى كما قال حكاية عن ابراهيم عليه السلام
انى ذاهب الى ربى اى الى حيث امرنى ربى وسمى ذهابه الى الشام ذهابا الى ربه وقوله ومطهرك من الذين كفروا فيه قولان
احدهما مطهرك باخراجك من بينهم وانجائك منهم فانهم ارجاس جعل مقامه فيما بينهم بمنزلة مقاساة النجاسة من كان يحتاج
الى مجاورتهم ومخالطتهم والاخر ان تطهيره منعه من كفر يفعلونه بالقتل الذى كانوا هموا به لان ذلك رجس طهره الله
منه عن الجبائى وقوله وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيمة معناه وجاعل الذين امنوا فوق الذين
كذبوا عليك وكذبوك فى العزة والغلبة والظفر والنصرة وقيل فى البرهان والحجة والمعنى النصارى قال ابن
زيد ولهذا لا نرى اليهود حيث كانوا الا اذل من النصارى ولهذا ازال الملك عنهم وان كان ثابتا فى بلاد الروم
فى النصارى وغيرها فهم اعز منهم وفوقهم الى يوم القيمة وقال الجبائى فيه دلالة على ان لا يكون لليهود مملكة الى يوم
القيمة كما للروم وقيل المعنى به امة محمد صلعم وانما سماهم تبعا وان كانت لهم شريعة على حدة لانه وجد فيهم
التبعية صورة ومعنى اما الصورة فانه يقال يتبع فلان فلانا اذا جاء بعده واما المعنى فلان نبينا صلعم كان مصدقا بعيسى
وكتابه ويقال لمن يصدق غيره انه يتبعه على ان شريعة نبينا صلعم وسائر الانبياء متحدة فى باب التوحيد فعلى هذا
هو متبع له اذا كان معتقدا اعتقاده ويؤيد بقوله وهذا القول اوجه لان فيه ترغيبا فى الاسلام ودلالة على ان
امة محمد صلعم يكونون ظاهرين الى يوم القيمة ولا يعزى دعاءه انما لا يكون فى الحقيقة تابعا له ثم الى مرجعكم
مصيركم فاحكم بينكم فاقضى بينكم فيما كنتم فيه تختلفون من امر عيسى عليه السلام قوله تعالى فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا
شديدا فى الدنيا والاخرة وما لهم من ناصرين * واما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم والله لا يحب
الظالمين * ذلك نتلوه عليك من الايات والذكر الحكيم * ثلث ايات القراءة قرأ حفص ورويس عن يعقوب فيوفيهم بالياء
والباقون بالنون الحجة من قرأ بالنون فهو مثل فاعذبهم ويحسن بقوله ذلك نتلوه عليك من الايات ومن قرأ بالياء
فلان ذكر الله قد تقدم فى قوله اذ قال الله يا عيسى انى متوفيك اذ صار من لفظ الخطاب الى الغيبة كقوله

فاولئك هم المضعفون بعد قوله وما آتيتم من زكوة. الاعراب نتلوه عليك في موضع رفع بانه خبر ذلك ويجوز ان يكون
صلة لذلك ويكون ذلك بمعنى الذي وعلى هذا الوجه يكون قوله نتلوه وتقديره الذي نتلوه ويكون قوله من الآيات في موضع
رفع بانه خبر ونظيره قول الشاعر عدس ما لعباد عليك امارة وهذا تحملين طليق تقديره والذي تحملين طليق. المعنى
فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة عذابهم في الدنيا اخذهم بالقتل والاسر والسبي والخسف والجزية
وكل ذلك يكون على وجه الاستحقاق والاهانة وفي الآخرة عقاب الابد في النار وما لهم من ناصرين اي اعوان يدفعون عنهم عذابه
واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اي يوفر عليهم ويتم اجورهم اي جزاء اعمالهم والله لا يحب الظالمين اي لا
يريد تعظيمهم واثابتهم ولا يرحمهم ولا يثني عليهم وهذه الحجة على من قال بالاحباط لانه سبحانه وعد بتوفية الاجر وعدا وهو لا يخلف
والتوفية منافية للاحباط ذلك اشارة الى الاخبار عن عيسى ويحيى وزكريا ويحيى وغيرهم نتلوه عليك نقرؤه عليك
يا محمد وقيل ان نتلوه عليك عن جبرائيل من الآيات اي من جملة الآيات والحجج الدالة على صدق نبوتك اذ علمتهم بما لا يعلمه
الا قارئ كتاب او معلم ولست بواحد منهما فلم يبق الا انك قد علمته من طريق الوحي والذكر الحكيم والقرآن المحكم وانما وصفه
بانه حكيم لانه بما فيه من الحكمة فكانه ينطق بالحكمة كما يسمى الدليل دليلا لانه بما فيه من البيان كانه ينطق بالبيان
والبرهان وان كان الدليل في الحقيقة هو الدال. قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال
له كن فيكون. الحق من ربك فلا تكن من الممترين. فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا
وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين. ثلث آيات. اللغة المثل
ذكر سائر يدل على ان سبيل الثاني سبيل الاول وتعالوا اصله من العلو يقال تعاليت اتعالى اي جئت واصله
المجيء الى الارتفاع الا انه كثر في الاستعمال حتى صار بمعنى هلم وقيل في الابتهال قولان احدهما بمعنى الالتعان افتعال
بمعنى تفاعل كقولهم اشتوروا بمعنى تشاوروا وبهله الله لعنه وعليه بهلة الله اي لعنة الله والآخر بمعنى الدعاء
بالهلاك قال لبيد نظر الدهر عليهم فابتهل اي دعا عليهم بالهلاك والبهل كاللعن وهو المباعدة من رحمة الله عقابا
على معصيته ولذلك لا يجوز ان يلعن من ليس بعاص من طفل او بهيمة او نحوهما. الاعراب قوله خلقه من تراب لا
موضع له من الاعراب لانه لا يصلح ان يكون صفة لآدم من حيث هو نكرة ولا يكون حالا له لانه ماض فهو متصل في المعنى
غير متصل في اللفظ [illegible] لا اتصال فيكون رفعا على تقدير فهو يكون والحق رفع لانه خبر مبتدأ محذوف [illegible]
تقديره ذلك الاخبار في امر عيسى الحق من ربك فحذف ذلك لدلالة شاهد الحال عليه كما يقولون الهلال والله اي هذا الهلال
والله وقيل الحق مبتدأ ومن ربك خبره. النزول قيل نزلت الآيات في وفد نجران العاقب والسيد ومن معهما قالوا
لرسول الله هل رأيت ولدا من غير ذكر فنزلت ان مثل عيسى عند الله الآية فقرأها عليهم عن ابن عباس وقتادة والسدي
فلما دعاهم رسول الله صلعم الى المباهلة استنظروه الى صبيحة غد من يومهم ذلك فلما رجعوا الى رحالهم قال لهم الاسقف انظروا
محمدا ان غدا فان جاء بولده واهله فاحذروا مباهلته وان غدا باصحابه فباهلوه فانه على غير شيء فلما كان من الغد جاء النبي
صلعم آخذا بيد علي بن ابي طالب عليه الصلوة والسلم والحسن والحسين عليهما السلم بين يديه يمشيان وفاطمة عليها السلم تمشي خلفه وخرج
النصارى يقدمهم اسقفهم فلما رأى النبي صلعم قد اقبل بمن معه سأل عنهم فقيل له هذا ابن عمه وزوج ابنته واحب الخلق
اليه وهذان ابنا بنته من علي ع وهذه الجارية بنته فاطمة عليها السلم اعز الناس عليه واقربهم الى قلبه وتقدم رسول الله
فجثا على ركبتيه قال ابو حارثة الاسقف جثا والله كما جثا الانبياء للمباهلة فكع ولم يقدم على المباهلة فقال له السيد
ادن يا ابا حارثة للمباهلة فقال لا اني لارى رجلا جريئا على المباهلة واني اخاف ان يكون صادقا ولئن كان صادقا لم يحل والله
علينا الحول وفي الدنيا نصراني يطعم الماء فقال الاسقف يا ابا القاسم انا لا نباهلك ولكن نصالحك فصالحنا على
ما ننهض به فصالحهم رسول الله صلعم على الفي حلة من حلل الاواقي قيمة كل حلة اربعون درهما فما زاد او نقص فعلى

حساب

حساب ذلك وعلى عارية ثلثين درعا وثلثين رمحا وثلثين فرسا ان كان باليمن كيد ورسول الله ص ضامن حتى يؤديها
وكتب لهم بذلك كتابا وروي ان الاسقف قال لهم اني لارى وجوها لو سألوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله
فلا تبتهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم القيمة وقال النبي صلى الله عليه وآله والذي نفسي بيده
لو لاعنوني لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم الوادي عليهم نارا ولما حال الحول على النصارى حتى يهلكوا كلهم
قالوا فلما رجع وفد نجران لم يلبث السيد والعاقب الا يسيرا حتى رجعا الى النبي صلعم واهدى العاقب له حلة وعصا
وقدحا ونعلين واسلما. المعنى ثم رد الله سبحانه على النصارى قولهم في المسيح انه ابن الله فقال ان مثل عيسى عند الله
كمثل آدم اي مثل عيسى في خلق الله اياه من غير اب كمثل آدم في خلق الله اياه من غير اب ولا ام فليس هو بابدع ولا
اعجب من ذلك فكيف انكروا هذا واقروا بذلك ثم بين سبحانه كيف خلقه فقال خلقه اي انشأه من تراب وهذا اخبار
عن آدم ومعناه خلق عيسى من الريح ولم يخلق احدا قبله من الريح كما خلق آدم من التراب ولم يخلق احدا قبله من التراب
ثم قال له اي لآدم وقيل لعيسى كن اي كن حيا بشرا سويا فيكون اي فكان في الحال على ما اراد وقد مر تفسير هذه الكلمة
فيما قبل في سورة البقرة مستوفى وفي هذه الآية دلالة على صحة النظر والاستدلال لان الله تعالى احتج به على النصارى
ودلهم على جواز خلق عيسى من غير اب بخلقه آدم من غير اب ولا ام الحق من ربك اي هذا هو الحق من ربك اضافه الى نفسه
تأكيدا وتعليلا اي هو الحق لانه من ربك فلا تكن ايها السامع من الممترين وقد مر تفسيره في سورة البقرة فمن حاجك منهم
من جادلك وخاصمك يا محمد فيه اي في قصة عيسى من بعد ما جاءك من العلم اي من البرهان الواضح على انه عبدي ورسولي
عن قتادة وقيل معناه فمن حاجك في الحق والهاء في فيه عائد الى قوله الحق من ربك فقل يا محمد لهؤلاء النصارى تعالوا
اي هلموا الى حجة اخرى ماضية فاصلة تميز الصادق عن الكاذب ندع ابناءنا وابناءكم اجمع المفسرون على ان المراد
بابنائنا الحسن والحسين عليهما السلم قال ابو بكر الرازي هذا يدل على ان الحسن والحسين ابنا رسول الله ص وان ولد
الابنة ابن على الحقيقة وقال ابن ابي علان وهو احد ائمة المعتزلة هذا يدل على ان الحسن والحسين كانا مكلفين في تلك
الحالة لان المباهلة لا تجوز الا مع البالغين وقال اصحابنا ان صغر السن ونقصانها عن حد بلوغ الحلم لا ينافي كمال
العقل وانما جعل بلوغ الحلم حدا لتعلق الاحكام الشرعية وقد كان سنهما في تلك الحال سنا لا يمتنع معها ان يكونا
كاملي العقل على ان عندنا يجوز ان يخرق الله العادات للائمة ويخصهم بما لا يشركهم فيه غيرهم فلو صح ان كمال العقل
غير معتاد في تلك السن لجاز ذلك فيهم ابانة لهم عمن سواهم ودلالة على مكانهم من الله واختصاصهم به ومما يؤيده
من الاخبار قول النبي ص ابناي هذان امامان قاما او قعدا ونساءنا اتفقوا على ان المراد به فاطمة عليها السلم لانه لم
يحضر المباهلة غيرها من النساء وهذا يدل على تفضيل الزهراء عليها السلم على جميع النساء ويعضده ما جاء في الخبر ان
النبي ص قال فاطمة بضعة مني يريبني ما رابها وقال ص ان الله يغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها وقد صح عن
حذيفة انه قال سمعت النبي ص يقول اتاني ملك فبشرني ان فاطمة سيدة نساء اهل الجنة او نساء امتي وعن الشعبي
عن مسروق عن عائشة قالت اسر النبي ص الى فاطمة ع شيئا فضحكت فسألتها فقالت قال لي الا ترضين ان تكوني سيدة
نساء هذه الامة او نساء المؤمنين فضحكت لذلك ونساءكم اي من شئتم من نسائكم وانفسنا يعني عليا عليه السلم
خاصة ولا يجوز ان يكون المعني به رسول الله ص لانه هو الداعي ولا يجوز ان يدعو الانسان نفسه وانما يصح ان
يدعو غيره واذا كان قوله وانفسنا لا بد ان يكون اشارة الى غير الرسول وجب ان يكون اشارة الى علي ع لانه لا احد
يدعي دخول غير امير المؤمنين علي عليه السلم وزوجته وولديه عليهم السلم في المباهلة وهذا يدل على غاية الفضل وعلو الدرجة
والبلوغ منه الى حد لا يبلغه احد اذ جعله الله سبحانه نفس الرسول وهذا ما لا يدانيه فيه احد ولا يقاربه ومما
يعضده من الروايات ما صح عن النبي ص انه سئل عن بعض اصحابه فقال له قائل فعلي فقال انما سألتني عن الناس ولم

تسلى عن النبي وهو له عم لبريدة الاسلمي يا بريدة لا تبغض عليا فانه مني وانا منه ان الناس خلقوا من شجر شتى وخلقت
انا وعلي من شجرة واحدة وقوله صلعم باحد وقد ظهر من نكايته المشركين ووقايته اياه بنفسه حتى قال جبرئيل
يا محمد ان هذه لهي المواساة فقال يا جبرئيل انه مني وانا منه فقال جبرئيل وانا منكما وانفسكم يعني من شئتم من رجالكم
ثم نبتهل اي نتضرع في الدعاء عن ابن عباس وقيل نلتعن فنقول لعن الله الكاذبين فنجعل لعنة الله على الكاذبين
منا وفي هذه الاية دلالة على انهم علموا ان الحق مع النبي صلعم لانهم امتنعوا عن المباهلة واقروا بالذل والخزي
وانقادوا لقبول الجزية فلو لم يعلموا ذلك لباهلوه وكان ما زعموا يظهر من بطلان قوله في الحال ولو لم يكن النبي صلعم
متيقنا بنزول العقوبة بعدوه دونه لما ادخل اولاده وخواص اهله في ذلك مع شدة اشفاقه عليهم
قوله تعالى ان هذا لهو القصص الحق وما من اله الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين
ايتان اللغة القصص القصة فعال بمعنى مفعول كالنقض والقبض والقصص جمع القصة يقال اقصصت الحديث
واقصصته قصا وقصصا رويته على جهته وهو من اقتصصت الاثر اي اتبعته ومنه اشتق القصاص والقصص
الخبر الذي تتابع فيه والتولي عن الحق اعتقاد خلافه لانه كالادبار عنه بعد الاقبال عليه واصل التولي كون
الشيء يلي غيره من غير فصل بينه وبينه والافساد ايقاع الشيء على خلاف ما توجبه الحكمة والاصلاح ايقاعه
على ما توجبه الحكمة والفرق بين الفساد والقبح ان الفساد تغيير عن المقدار الذي تدعو اليه الحكمة وليس
كذلك القبح لانه ليس فيه معنى المقدار وانما هو ما تزجر عنه الحكمة كما ان الحسن ما تدعو اليه الحكمة الاعراب من
اله الا الله دخلت من فيه لعموم النفي لكل اله غير الله وانما افادت من هذا المعنى لان اصلها لابتداء الغاية
فدلت على استغراق النفي لابتداء الغاية الى انتهائها وقوله لهو يجوز ان يكون هو فصلا ويسميه الكوفيون عمادا
فلا يكون له موضع من الاعراب ويكون القصص خبر ان ويجوز ان يكون مبتدأ والقصص خبره والجملة خبر ان
المعنى ان هذا لهو القصص الحق معناه ان هذا الذي اوحينا اليك في امر عيسى لهو الحديث الصدق فمن خالفك
فيه مع وضوح الامر فهو معاند وما من اله الا الله اي ما من احد يستحق اطلاق اسم الالهية الا الله وان عيسى ليس
باله كما زعموا فانما هو عبد الله ورسوله ولو قال ما اله الا الله لم يفد هذا المعنى وان الله لهو العزيز اي القادر
على الكمال الحكيم في الاقوال والافعال والتقدير والتدبير فان تولوا فان اعرضوا عن اتباعك وتصديقك وعما
اتيت به من الدلالات والبينات فان الله عليم بالمفسدين اي بمن يفسد في خلقه فيجازيهم على افسادهم وانما ذكر ذلك
على جهة الوعيد والا فانه سبحانه عليم بالمصلح والمفسد جميعا ونظيره قول القائل للغير انا عالم بشرك وفسادك وقيل
معناه انه عليم بهؤلاء المجادلين بغير حق وبانهم لا يقدمون على مباهلتك لمعرفتهم بنبوتك قوله تعالى قل يا اهل
الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون
الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون اية اللغة قال الزجاج معنى كلمة كلام فيه شرح قصة وان طال ولذلك
لا يقول العرب للقصيدة كلمة يروى ان حسان بن ثابت كان اذا قيل له انشد قال هل انشد كلمة الحويدرة يعني
قصيدته التي اولها بكرت سمية غدوة فتمتع ومعنى سواء اي عدل وسوى وسوى بمعناه قال زهير اروني خطة
لا ضيم فيها يسوي بيننا فيها السواء فان ترك السواء فليس بيني وبينكم حصن بقاء وقيل سواء مستو وهو مصدر
وضع موضع اسم الفاعل ومعناه الى كلمة مستوية وهو قول الزجاج اسم ليس بصفة وانما جر بتقدير ذات سواء
وجوز نصبه على المصدر الاعراب موضع ان لا نعبد فيه وجهان احدهما ان يكون في موضع جر على البدل من كلمة
كانه قال تعالوا الى ان لا نعبد الا الله والاخر ان يكون في موضع رفع على تقدير هي ان لا نعبد الا الله ولو قرئ
ان لا نعبد بالرفع كانت ان المخففة من الثقيلة وكانه قال انه لا نعبد الا الله كقوله افلا يرون ان لا يرجع اليهم قولا وقال

هذا

هذا ثبت النون في الخط وتكون ان هي التي تعمل في الاسماء وعلى الاول لا يكون لها عمل في الافعال ولا تثبت النون
في الخط ولو قرئ ان لا نعبد الا الله بالاسكان كان مفسرة كالتي في قوله ان امشوا ولا نعبد نهي النزول قيل
في سبب نزولها اقوال احدها انها نزلت في نصارى نجران عن الحسن والسدي وابن زيد ومحمد بن جعفر بن
الزبير وثانيها انها نزلت في يهود المدينة عن قتادة والربيع وابن جريج وقد رواه اصحابنا ايضا وثالثها
انها نزلت في الفريقين من اهل الكتاب على الظاهر عن ابي علي الجبائي وهذا اولى لعمومه المعنى لما تم الحجاج
على القوم دعاهم تعالى الى التوحيد والى الاقتداء بمن اتفقوا انه كان على الحق فقال قل يا محمد يا اهل الكتاب
تعالوا اي هلموا الى كلمة سواء اي عدل بيننا وبينكم بمعنى عادلة لا ميل لها كما يقال رجل عدل اي عادل
لا ميل فيه وقيل معناه كلمة مستوية بيننا وبينكم فيها ترك العبادة لغير الله وهي ان لا نعبد الا الله لان العبادة
لا تحق الا له ولا نشرك به في العبادة شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله اختلف في معناه فقيل
معناه ولا يتخذ بعضنا عيسى ربا فانه كان بعض الناس وقيل ان معناه لا يتخذ الاحبار والرهبان اربابا بان نطيعهم طاعة
الارباب كقوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وروي عن ابي عبد الله عليه السلام انه قال ما عبدوهم من
دون الله ولكنهم حرموا لهم حلالا واحلوا لهم حراما وكان ذلك اتخاذهم اربابا من دون الله وقد روي ايضا
انه لما نزلت هذه الاية قال عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله فقال اما كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون
بقولهم فقال نعم فقال النبي هو ذاك فان تولوا اي اعرضوا عن الاقرار لله بالعبودية وان احدا لا يستحق العبادة
غيره فقولوا انتم ايها المسلمون مقابلة لاعراضهم عن الحق وتجديدا للاقرار ومخالفة لهم اشهدوا بانا مسلمون
اي مخلصون معترفون بالتوحيد وقيل مستسلمون منقادون لما اتى به النبي والانبياء من الله وقيل مقيمون
على الاسلام وهذا تاديب من الله تعالى لعبده المؤمن وتعليم له كيف يفعل عند اعراض المخاطب عن طاعته وتحقيق
يعلم المبطل ان مخالفته لا تؤثر في حقه ولم يدل على ان الحق يجب اتباعه من غير اعتبار بالقلة والكثرة قوله تعالى
يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده افلا تعقلون اية ها انتم
هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وانتم لا تعلمون ايتان القراءة
قرأ اهل الكوفة ها انتم بالمد والهمز وقرأ اهل المدينة وابو عمرو بغير همز ولا مد الا بقدر خروج
الالف الساكن وقرأ ابن كثير ويعقوب بالهمز والقصر بغير مد في وزن هعنتم وقرأ ابن عامر بالمد دون الهمز الحجة
الكلام في المد والهمز كثير والوجه ان من حقق فعلى الاصل لانهما حرفان ها وانتم ومن لم يمد ولم يهمز فللتخفيف من
غير اخلال اللغة الفرق بين الحجاج والجدال ان الحجاج يتضمن اما حجة او شبهة في صورة الحجة والجدال
هو فتل الخصم الى المذهب بحجة او شبهة او ايهام في الحقيقة لان اصله في الحقيقة من الجدل وهو شدة
الفتل والحجة هي البيان الذي يشهد بصحة المقال وهو والدلالة بمعنى واحد الاعراب ها انتم ها للتنبيه
للتنبيه وقد كثر التنبيه في هذا ولم يكثر في هذا انت لان ذا مبهم من حيث يصلح لكل حاضر والمعنى فيه تحقيق
بعينه مما يصلح له فقوي بالتنبيه لتحريك النفس على طلبه بعينه وليس كذلك انت لانه لا يصلح لكل حاضر في الجملة
وانما هو للمخاطب وجاز ان يكون حاججتم على ان يكون هؤلاء عطف بيان ويجوز ان يكون خبر هؤلاء على
ان اولاء بمعنى الذين وما بعده صلة له النزول قال ابن عباس والحسن وقتادة ان احبار اليهود ونصارى
نجران اجتمعوا عند رسول الله صلى الله فتنازعوا في ابراهيم فقالت اليهود ما كان الا يهوديا و
قالت النصارى ما كان الا نصرانيا فانزل الله هذه الاية المعنى يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم
اي لم تتنازعون وتجادلون انه على دينكم وما انزلت التورية والانجيل الا من بعد ابراهيم افلا تعقلون

ان الاقامة على الدعوى من غير برهان غير جائزة في العقل فكيف يجوز الاقامة على الدعوى بعد ما ظهر فسادها
فان قيل لو دل نزول التورية والانجيل بعد ابراهيم على انه لا يكون على اليهودية والنصرانية لوجب ان يدل نزول القران
بعده على انه لم يكن على الاسلام فالجواب ان الكل متفقون على انه عم مقسم باسم الاسلام غير ان اليهودية ادعوا ان الاسلام
هو اليهودية والنصارى ادعوا انه هو النصرانية والتورية والانجيل انزلتا من بعد ابراهيم وليس فيهما اسم الاسلام ولا في
واحد منهما انه كان على دين اليهودية او النصرانية واما القران وان كان منزلا بعده ففيه وصف ابراهيم بدين الاسلام ونفي
اليهودية والنصرانية عنه ففي هذا اوضح حجة على انه كان مسلما وان محمدا وامته الذين لهم اسم الاسلام اولى به منهم وقد قيل
ان اليهود اعتقدوا ان اليهودية اسم لمن تمسك بالتورية واعتقد شريعته والنصارى اعتقدوا ان النصرانية اسم لمن تمسك
بالانجيل واعتقد شريعته فرد الله تعالى دعوى الفريقين واخبر ان التورية والانجيل انما انزلا من بعد ابراهيم فكيف يكون
متمسكا بحكمهما واما نحن فلم ندع ان المسلم هو المتمسك بحكم القران اذ الاسلام عبارة عن الدين دون احكام الشريعة فوصفنا
بالاسلام كما وصفه الله تعالى به فان قيل فهل كان ابراهيم متمسكا بشرائع الاسلام كلها التي نحن عليها قلنا انه كان متمسكا
بدين الاسلام وببعض شريعته احكام بينا لا بجميعها لانه من حكم الشريعة قراءة القران في الصلوة ولم يكن ذلك
في شريعته وانما قلنا انه مسلم وان كان متمسكا ببعض الشريعة احكام لان اصحاب النبي صلعم في بدو الاسلام كانوا
مسلمين قبل استكمال الشرع وقبل نزول تمام القران والواحد منهم مسلم على الحقيقة وان لم يعلم بجميع احكام الشريعة
ها انتم هؤلاء يا معشر اليهود والنصارى وهو في الظاهر تنبيه على انفسهم والمراد به التنبيه على حالهم اذ التنبيه
انما يكون فيما يغفل عنه الانسان دون ما يعلمه حاججتم اي جادلتم وخاصمتم فيما لكم به علم معناه حاججتم في ابراهيم
ولكم به علم لوجود اسمه في التورية والانجيل فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم اي فلم تحاجون في دينه وشانه وليس لكم به
علم لم ينكر الله تعالى عليهم محاجتهم فيما علموه وانما انكر عليهم محاجتهم فيما لم يعلموه والله يعلم شأن ابراهيم ودينه
وكلما ليس عليه دليل والله يعلم لانه العالم بجميع المعلومات وانتم لا تعلمون ذلك فلا تتكلموا فيه ولا تتبعوا
ما لا تعلمونه واطلبوا علم ذلك ممن يعلمه قوله تعالى ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما
وما كان من المشركين • ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين امنوا والله ولي المؤمنين • اية
اللغة قد ذكرنا الاصل في اليهود والنصارى والحنيف في سورة البقرة واولى الذي هو بمعنى افعل من غيره لا يجمع ولا
يثنى لانه تضمن معنى الفعل والمصدر على تقدير يزيد فضله على فضله في افضل منه ومعنى هو لنا ههنا افعل اولى
من غيره اي ان يفعل وقولنا زيد اولى من غيره معناه انه على حال هو احق بها من غيره والاتباع جريان الثاني على طريقة
الاول من حيث هو عليه كالمدلول الذي يتبع الدليل في سلوك الطريق او في التصحيح لانه اخذ الدليل صحة
عليه بعينه وكذلك المأموم الذي يتبع طريقة الامام المعنى ثم كذب الله اليهود والنصارى فقال ما كان ابراهيم
يهوديا ولا نصرانيا نزه ابراهيم وبراه عن اليهودية والنصرانية لانهما صفتا ذم قد دل القران والاجماع على ذلك
وهذا يدل على ان موسى لم يكن يهوديا ولم يكن عيسى نصرانيا فان الدين عند الله الاسلام واليهودية والنصرانية
ملة محرفة عن شرع عيسى فهما صفتا ذم جاريا على فرقتين ضالتين ولكن كان حنيفا اي مائلا عن الاديان كلها
الى دين الاسلام وقيل معناه مستقيما في دينه مسلما اي كاينا على دين الاسلام وما كان من المشركين قيل
ان هذا يتضمن ان كون اليهودية والنصرانية شركا وقيل ان معناه لم يكن مشركا على ما تدعيه مشركوا العرب
ان اولى الناس بابراهيم يعني ان احق الناس بنصرة ابراهيم بالحجة وبالمعونة للذين اتبعوه في وقته وزمانه
تولوه بالنصرة على عدوه حتى ظهر امره وعلت كلمته وهذا النبي والذين امنوا يتولون نصرته بالحجة لما كان
عليه من الحق وتبرئة كل عيب منه اي هم الذين ينبغي لهم ان يقولوا انا على دين ابراهيم ولهم الولاية والله

ملة محرفة عن شرع موسى

ولي المؤمنين لانه يتولى نصرتهم والمؤمن ولي الله لهذا المعنى بعينه وقيل لانه يتولى نصرة ما امر الله به من التدين
وانما افرد النبي بالذكر تعظيما لامره واجلالا لقدره كما افرد جبرئيل وميكائيل وقيل ليدخل في الولاية وهو
اليق بالكناية فان التقدير ان الذين امنوا به وفي هذه الاية دلالة على ان الولاية تثبت بالدين لا بالنسب ويعضد ذلك
قول امير المؤمنين ع ان اولى الناس بالانبياء اعلمهم بما جاؤا به ثم تلا هذه الاية وقال ان ولي محمد من اطاع الله وان
بعدت لحمته وان عدو محمد من عصى الله وان قربت قرابته وروى عمر بن يزيد قال قال ابو عبد الله عليه السلام انتم والله
من ال محمد ص قلت من انفسهم جعلت فداك قال نعم والله من انفسهم قالها ثلثا ثم نظر الي ونظرت فقال يا عمر ان الله يقول
في كتابه ان اولى الناس بابراهيم رواه علي بن ابراهيم عن ابيه عن ابن ابي عمير عن منصور بن يونس عنه قوله تعالى ودت طائفة
من اهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم وما يشعرون • اية اللغة ودت بمعنى تمنت فلما كان بمعنى التمني
صلح للماضي والحال والاستقبال فلذلك جاز لو وليس كذلك المحبة والارادة لا يتعلقان الا بالمستقبل فلا يجوز ان
يقال اراد لو يضلونكم لان الارادة تجري مجرى الاستدعاء للفعل او مجرى العلة في ترتيب الفعل واما التمني
فهو تقدير يتوقع في نفس يقتنع بتقديره والفرق بين ود لو يضله وبين ان يضله ان ان للاستقبال وليس كذلك لو
المعنى ثم بين تعالى ان هؤلاء كما ضلوا ادعوا الى الضلال فقال ودت اي تمنت وقيل ارادت طائفة اي جماعة
من اهل الكتاب اي من اليهود والنصارى وقيل من اليهود خاصة هم اليهود الذين دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا
الى اليهودية لو يضلونكم اي يهلكونكم بادخالكم في الضلال ودعائكم اليه ويستعمل الضلال بمعنى الهلاك ومنه قوله
ءاذا ضللنا في الارض معناه هلكنا او بطلت صورنا وما يضلون الا انفسهم معناه لا يرجع وبال اضلالهم
الا على انفسهم ولا يلحق ضرره الا بهم فان المسلمين لا يجيبونهم الى ما يدعونهم اليه من ترك الاسلام الى غيره من الاديان
فيبقى عليهم اثم الكفر ووبال الدعاء الى الكفر وقيل معناه وما يهلكون الا انفسهم اي لا يعتد بما يحصل لغيرهم
من الهلاك في جنب ما يحصل لهم وما يشعرون اي وما يعلمون ان وبال الكفر يعود اليهم وقيل وما يشعرون ان الله
يدل المؤمنين على ضلالهم واضلالهم وقيل وما يشعرون انهم ضلال لجهلهم عن ابي علي الجبائي قوله تعالى
يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله وانتم تشهدون يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم
تعلمون • اية الاعراب لم اصله لما حذفت الالف لاتصالها بالحرف الجار مع وقوعها طرفا وللدلالة الفتحة عليها
وكذلك بم وعم المعنى ثم خاطب الله تعالى الفريقين فقال يا اهل الكتاب لم تكفرون بما يتلى عليكم من ايات الله يعني القران
وانتم تشهدون اي تعلمون وتشاهدون ما يدل على صحتها او وجوب الاقرار بها من التورية والانجيل اذ فيهما ذكر
النبي والاخبار بصدق نبوته وبيان صفته وقيل يعني بايات الله ما في كتبهم من البشارة بنبوته وانتم تشهدون
الحجة الدالة على نبوته وقيل يعني بالايات ما في كتبهم ان ابراهيم كان حنيفا مسلما وان الدين هو الاسلام وانتم
تشاهدون ذلك في كتبكم وقيل يعني ما يتلو عليهم من غرائب اخبارهم التي علموا انها في كتبهم عن ابي مسلم وقيل
يعني بالايات الحجج الدالة على نبوة محمد ص وانتم تشهدون ان ظهور المعجزة يدل على صدق الرسالة وثبوت
النبوة وقيل وانتم تشهدون اذا خلوتم بصحة دين الاسلام يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل معناه لم
تخلطون الحق بالباطل وفيه اقوال احدها ان المراد تحريفهم التورية والانجيل عن الحسن وابن زيد وثانيها ان
المراد به اظهارهم الاسلام وابطانهم النفاق في قلوبهم من اليهودية والنصرانية لانهم تداعوا الى اظهار الاسلام
في صدر النهار والرجوع عنه في اخره تشكيكا للناس عن ابن عباس وقتادة وثالثها ان المراد الايمان بموسى وعيسى
والكفر بمحمد ص ورابعها ان المراد ما يعلمونه في قلوبهم من ان محمدا محق بما يظهرونه من تكذيبه عن ابي علي
الجبائي وابي مسلم وتكتمون الحق اي نبوة محمد ص وما وجدتموه في كتبكم من البشارة به وتفسيره وانتم تعلمون

انه حق وانما انزلت هذه فی طایفة من علمائهم لان الکتمان انما یجوز من الطائفة القلیلة دون الکثیرة وقیل
معناه لعلهم یعلمون الامور التی یصح بها التکالیف والاول اصح لان فی الایة الذم علی الکتمان قوله تعالی
وقالت طایفة من اهل الکتاب امنوا بالذی انزل علی الذین امنوا وجه النهار واکفروا اخره لعلهم یرجعون • و
لا تؤمنوا الا لمن تبع دینکم قل ان الهدی هدی الله ان یؤتی احد مثل ما اوتیتم او یحاجوکم عند ربکم قل ان الفضل
بید الله یؤتیه من یشاء والله واسع علیم • یختص برحمته من یشاء والله ذو الفضل العظیم • ثلث ایات
القراءة قرا ابن کثیر آن یؤتی احد بمد وقرا الباقون بغیر مد واستفهام الحجة قال ابو علی من قرا ان یؤتی
احد فتقدیره ولا تؤمنوا بان یؤتی احد مثل ما اوتیتم الا لمن تبع دینکم وقوله ان الهدی هدی الله اعتراض بین
المفعول وفعله واذا حذف الجار من ان کان علی الخلاف یکون فی موضع الجر او فی قول سیبویه نصبا فاما اللام
فی قوله لمن تبع دینکم فلا یسهل ان تعلقه بتؤمنوا وانت قد اوصلته بحرف اخر جار فتعلق بالفعل جارین کما لا یستقیم
ان تعدیه الی مفعولین اذا کان یتعدی الی مفعول واحد الا ان تعدیة الفعل بالجار کتعدیته بالهمزة وتضعیف
العین فکما لا ینکر هذا کذلک لا ینکر الجار فاذا لم یجز تعلیق المفعولین به حملته علی المعنی والمعنی لا تقروا بان
یؤتی احد مثل ما اوتیتم الا لمن تبع دینکم کما تقول اقررت لزید بالف فیکون اللام متعلقا بالمعنی ولا یکون زائدة
علی حد ان کنتم للرؤیا تعبرون ولکن یتعلق بالاقرار وان شئت حملت الکلام علی معنی الجحد لان معنی لا تؤمنوا لا تجحدوا
وکانه قال لا تجحدوا الناس الا لمن تبع دینکم فیکون اللام زائدة علی هذا وقد یعدی آمن باللام فی غیر هذه قال الله تعالی
فما امن لموسی الا ذریة وقال امنتم له قبل ان اذن لکم وقال یؤمن بالله ویؤمن للمؤمنین فیعدی مرة بالباء ومرة باللام
و وجه قراءة ابن کثیر ان ان فی موضع رفع بالابتداء لانه لا یجوز ان یحمل علی ما قبله من الفعل لقطع الاستفهام بینهما
و خبره تصدقون به او تعترفون به ونحو ذلک مما دل علیه قوله ولا تؤمنوا الا لمن تبع دینکم وهذا علی قول من قال
ازید ضربته کان ان عنده فی موضع نصب ویجوز ان یکون الموضع ان نصبا علی معنی اتذکرون ان یؤتی احد مثل
ما اوتیتم او تشیعون ویدل علی ذلک قوله اتحدثونهم بما فتح الله علیکم لیحاجوکم به عند ربکم فحدیثهم بذلک اشاعة
منهم له وافشاء فاشاع بعضهم بعضا بحدیثهم بما علموه من امر النبی صلعم من وصفه فهذه الایة فی قراءة ابن کثیر ولعله اعنی
فی قراءته اللغة الطایفة الجماعة وفی اصلها قولان احدهما انها کالرفقة التی من شانها ان تطوف بالبلاد فی السفر
التی یجتمع علیها الاجتماع والاخر انها جماعة یستوی بها حلقة یطاف حولها وجه النهار اوله وسمی وجها لانه
اول ما یواجهک منه کما یقال لاول الثوب وجه الثوب وقیل لانه کالوجه فی انه اعلاه واشرفه ما هزة قال الربیع بن
من کان مسرورا بمقتل مالک فلیات نسوتنا بوجه نهار النزول قال الحسن والسدی تواطأ اثنا عشر حبرا
من احبار یهود خیبر وقری عرینة وقال بعضهم لبعض ادخلوا فی دین محمد صلعم اول النهار باللسان دون الاعتقاد
واکفروا به اخر النهار وقولوا انا نظرنا فی کتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمدا لیس بذاک وظهر لنا کذبه
وبطلان دینه فاذا فعلتم ذلک شک اصحابه فی دینهم وقالوا انهم اهل الکتاب وهم اعلم به فیرجعون عن دینهم
الی دینکم وقال مجاهد ومقاتل والکلبی کان هذا فی شان القبلة لما حولت الی الکعبة شق ذلک علی الیهود فقال
کعب بن الاشرف لاصحابه امنوا بالذی انزل علی محمد من امر الکعبة وصلوا الیها اول النهار وارجعوا الی قبلتکم
اخره لعلهم یشکون المعنی لما ذکر الله تعالی صدا من کیاد القوم عقبه بذکر هذه المکیدة الشنیعة فقال وقالت
طائفة اخری ای جماعة من اهل الکتاب ای بعضهم لبعض امنوا بالذی انزل علی الذین امنوا یعنون النبی صلعم واصحابه
وجه النهار ای اول النهار واکفروا اخره واختلف فی معناه علی اقوال احدها اظهروا الایمان اول النهار وارجعوا
عنه الی اخره فانه احری ان ینقلبوا عن دینهم عن الحسن وجماعة وثانیها امنوا بصلوتهم الی الکعبة اول النهار واکفروا

اخره لیرجعوا بذلک عن دینهم عن مجاهد وثالثها اظهروا الایمان فی صدر النهار بما سلف لکم من الاقرار بصفته
ثم ارجعوا فی اخره لتوهموهم انه کان قد وقع لکم غلط فی صفته لعلهم یرجعون عن دینهم الاسلام عن ابن عباس
وجماعة و لا تؤمنوا ای ولا تصدقوا الا لمن تبع دینکم الیهودیة وقام بشرایعکم وهو عطف علی ما مضی واختلف فی
معنی الایة علی اقوال احدها ان معناه ولا تصدقوا بان یؤتی احد مثل ما اوتیتم من العلم والحکمة والبیان والحجة الا لمن
تبع دینکم من اهل الکتاب وقیل انما قال ذلک یهود خیبر لیهود المدینة لئلا یعترفوا به فیلزمهم العمل به لاقرارهم
بصحته وقیل معناه لا تعترفوا بالحق الا لمن تبع دینکم وقوله او یحاجوکم عطف علی ان یؤتی ای ولا تصدقوا بان
یحاجوکم عند ربکم لانکم اصح دینا منهم فلا تکون لهم الحجة علیکم عند الله فیکون هذا کله من کلام الیهود وقوله قل ان الهدی
هدی الله وقل ان الفضل بید الله فلا ینبغی لهم ان ینکروا ان یؤتی احد مثل ما اوتوا وهذا قول الحسن والاخفش وابی
علی الفارسی وثانیها ان یکون قوله ولا تؤمنوا الا لمن تبع دینکم من کلام الیهود وما بعده عن الله تعالی ویکون المعنی قل ان
الهدی هدی الله ان یؤتی احد مثل ما اوتیتم ایها المسلمون کقوله یبین الله لکم ان تضلوا ای ان لا تضلوا وان لا
یحاجوکم عند ربکم لانه لا حجة لهم ویکون هدی الله بدلا من الهدی والخبر ان لا یؤتی احد مثل ما اوتیتم
وهذا قول السدی وابن جریج وقال ابو العباس المبرد ان لا لیست مما تحذف هاهنا ولکن الاضافة هاهنا معلومة
فحذف الاول واقیم الثانی مقامه والمعنی قل ان الهدی هدی الله کراهة ان یؤتی احد مثل ما اوتیتم ای ممن
خالف دین الاسلام لان الله لا یهدی من هو کاذب کفار فهدی الله بعید من غیر المؤمنین وکذلک تقدیر قوله
یبین الله لکم کراهة ان تضلوا وقال قوم ان هذا قیل قل یا محمد ان الهدی الی الخیر هدی الله فلا تجحدوا الیهود
ان یؤتی احد مثل ما اوتیتم من النبوة او ان یحاجوکم بذلک عند ربکم ان لم تقبلوا ذلک منهم عن قتادة والربیع
والجبائی وقیل ان الهدی هدی الله معناه ان الحق ما امر الله به ثم فسر تلک فقال ان یؤتی احد مثل ما
اوتیتم او یحاجوکم فالمؤتی هو الشرع وما یحاج به هو العقل وتقدیر الکلام ان هدی الله ما شرع او ما عهد به فی العقل
هذه اربعة اقوال وثالثها ان یکون الکلام من اول الایة الی اخرها لله تعالی وتقدیره ولا تؤمنوا ایها المؤمنون
الا لمن تبع دینکم وهو دین الاسلام ولا تصدقوا بان یؤتی احد مثل ما اوتیتم من الدین فلا نبی بعد نبیکم ولا
شریعة بعد شریعتکم الی یوم القیامة ولا تصدقوا بان یکون لاحد علیکم حجة عند ربکم لان دینکم خیر الادیان وان الهدی
هدی الله وان الفضل بید الله فتکون الایة کلها خطابا للمؤمنین من الله تعالی عند تلبیس الیهود علیهم لئلا یتزلزلوا
ویدل علیه ما قاله الضحاک ان الیهود قالوا انا نحاج عند ربنا من خالفنا فی دیننا فبین الله تعالی انهم هم المدحضون
المغلوبون وان المؤمنین هم الغالبون وقوله قل ان الفضل بید الله قیل یرید به النبوة وقیل الحجج التی اوتیها محمد ومن معه
وقیل نعم الدین والدنیا وقوله بید الله ای فی ملکه وهو القادر علیه العالم بمحله یؤتیه من یشاء وفی هذه الایة دلالة
علی ان النبوة لیست بمستحقة وکذلک الامامة لان الله تعالی علقه بالمشیة والله واسع ای جواد وقیل واسع المقدرة
یفعل ما یشاء علیم بمصالح الخلق وقیل علیم یعلم حیث یجعل رسالته یختص برحمته من یشاء والله ذو الفضل العظیم مر تفسیره
فی سورة البقرة فی العشر التی بعد المائة وفی هذه الایات دلالة معجزة باهرة لنبینا صلعم اذ فیها اخبار عن سرایر القوم
التی لا یعلمها الا علام الغیوب وفیها ذم لمکایدهم ولطف للمؤمنین فی الثبات علی عقایدهم قوله تعالی ومن اهل الکتاب
من ان تامنه بقنطار یؤده الیک ومنهم من ان تامنه بدینار لا یؤده الیک الا ما دمت علیه قائما ذلک بانهم قالوا
لیس علینا فی الامیین سبیل ویقولون علی الله الکذب وهم یعلمون • بلی من اوفی بعهده واتقی فان الله یحب المتقین •
ایتان القراءة قرا حمزة وابو بکر عن عاصم یؤده بسکون الهاء وروی یحیی عن ابی عمرو وقالون عن نافع وابو جعفر
بکسر الهاء مع الاختلاس وهو المحکی من مذهب ابی عمرو والباقون بالکسر والاشباع الحجة اما سکون الهاء

١٧١ الهدی

فان النحويين على انه لا يجوز وغلط الزجاج الراوي هذا عن ابي عمرو وقال وحكى عن سيبويه وهو ضابط بمثل هذا انه كان يكسر كسرا خفيفا وقال الفراء هذا مذهب لبعض العرب يسكنون الهاء اذا تحرك ما قبلها يقولون ضربته كما يسكنون ميم انتم وقمتم واما الاختلاس فانه للاكتفاء بالكسرة عن الياء واما الاشباع فعلى الاصل اللغة القنطار قد ذكرنا الخلاف في مقداره فيما تقدم والدينار اصله دنّار فابدلت احدى النونين ياء لكثرة الاستعمال طلبا للخفة وجمعه دنانير ودمت ودمت لغتان مثل مِتّ ومُتّ لكن من كسر الدال قال تدام قال في المضارع يمات ويدام وهي لغة ازد السراة وبلى ووفى واوفى لغتان واهل الحجاز يقولون اوفى واهل نجد يقولون وفى الاعراب الفرق بين ان تقول تأمنه بقنطار وبين ان تقول على قنطار ان معنى الباء الالصاق للامانة ومعنى على الاستعلاء للامانة وهما يتعاقبان في هذا الموضع لتقارب المعنى كما تقول مررت به ومررت عليه وبلى يحتمل معنيين احدهما الاضراب عن الاول على جهة الانكار للاول وعلى هذا الوجه يكون من اوفى بعهده واتقى مكتفية نحو قولك ما قام زيد فيقال بلى اي بلى قد قام زيد قال الزجاج هاهنا وقف تام ثم استأنف من اوفى الخ لانهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل فقيل لهم بلى عليهم سبيل والثاني الاضراب عن الاول والاعتماد على البيان الثاني وعلى هذا الوجه لا يكون مكتفية والفرق بين بلى ونعم ان بلى جواب النفي ونعم جواب الاثبات وانما جاز الامالة في بلى لمشابهتها الاسم من وجهين احدهما انه يوقف عليها كما يوقف على الاسم والآخر انها على ثلاثة احرف ولذلك خالفت لا فلم تجز الامالة النزول عن ابن عباس قال يعني بقوله من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك عبد الله بن سلام اودعه رجل الفا ومائتي اوقية من ذهب فاداه اليه فمدحه الله تعالى ويعني بقوله من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك فنحاص بن عازوراء وذلك ان رجلا من قريش استودعه دينارا فخانه وفي التفاسير ان الذي يؤدي الامانة في هذه الآية النصارى والذين لا يؤدونها اليهود المعنى ثم ذكر تعالى معايب القوم وان فيهم من يخرج عن العيب فقال ومن اهل الكتاب من ان تأمنه اي تجعله امينا على قنطار اي مال كثير على ما قدمناه من الاقوال التي مضى ذكرها في ال عمران يؤده اليك اي يؤديه عند المطالبة ولا يخون فيه ومنهم من ان تأمنه بدينار اي على ثمن دينار والمراد تجعله امينا على قليل المال لا يؤده اليك عند المطالبة وهم كفار اليهود بالاجماع الا ما دمت عليه قائما معناه الا ان تلازمه وتتقاضاه عن الحسن وابن زيد وقيل الا ان تدوم قائما بالتقاضي والمطالبة عن قتادة ومجاهد وقيل الا ما دمت عليه قائما بالاجتماع معه والملازمة له عن السدي قال ما دمت قائما على راسه وقيل قائما اي ملحا عن ابن عباس وذلك اي ذلك الاستحلال والخيانة بانهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل هذا بيان العلة التي لاجلها كانوا لا يؤدون الامانة ويميلون الى الخيانة وقالت اليهود ليس علينا في اموال العرب التي اصبناها سبيل لانهم مشركون عن قتادة والسدي وقيل لانهم تحولوا عن دينهم الذي عاملناهم عليه وذلك انهم عاملوا جماعة منهم ثم اسلم من له الحق فامتنع من عليه الحق من اداء الحق وقالوا انما عاملناكم وانتم على ديننا فاذا فارقتموه سقط حقكم وادعوا ان ذلك في كتبهم فاكذبهم الله تعالى في ذلك بقوله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون انهم يكذبون لان الله تعالى امرهم بخلاف ما قالوا عن الحسن وابن جريج ولما سموهم اميين لعدم كونهم من اهل الكتاب ولكونهم من مكة وهي ام القرى ثم رد تعالى عليهم قولهم فقال بلى وهو نفي لما قبله واثبات لما بعده كانه قال ليس الامر كما قالوا ذلك ولا اجبر ولا اراده بل اوجب الوفاء بالعهد واداء الامانة من اوفى بعهده يحتمل ان يكون الهاء في بعهده عائدة الى اسم الله تعالى في قوله على الله الكذب فيكون معناه بعهد الله وعهد الله الى عباده امره ونهيه ويحتمل ان يكون عائدة على من ومعناه من اوفى بعهده لغيره لان العهد مضاف تارة الى العاهد وتارة الى المعهود له واتقى الخيانة ونقض العهد فان الله يحب المتقين معناه فانه

يحبهم لا انه عاد الذكر الى من ليبين الصفة التي يجب بها محبة الله تعالى وهذه صفة المؤمن وكانه قال والله يحب المؤمنين ولا يحب اليهود وروي عن النبي صلعم انه لما قرأ هذه الآية قال كذب اعداء الله ما من شيء كان في الجاهلية او هو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر وعنه عم قال ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مؤمن اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان وعنه عم قال لمن اؤتمن على امانة فاداها ولو شاء لم يؤدها فانه يزوجه الله من الحور العين ما شاء قوله تعالى ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا اولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم • آية النزول نزلت في احبار اليهود ابي رافع وكنانة بن ابي الحقيق وحيي بن اخطب وكعب بن الاشرف كتموا ما في التورية من امر محمد وكتبوا بايديهم غيره وحلفوا انه من عند الله لئلا تفوتهم الرياسة وما كان لهم على اتباعهم عن عكرمة وقيل نزلت في الاشعث بن قيس وخصم له في ارض قام ليحلف عند رسول الله فلما نزلت الآية نكل الاشعث واعترف بالحق ورد الارض عن ابن جريج وقيل نزلت في رجل حلف يمينا فاجرة في تنفيق سلعته عن مجاهد والشعبي المعنى ثم ذكر تعالى الوعيد لهم على افعالهم الخبيثة فقال ان الذين يشترون اي يستبدلون بعهد الله اي بامر الله تعالى وما يلزمهم الوفاء به وقيل معناه ان الذين يحصلون بنكث عهد الله ونقضه وايمانهم اي وبالايمان الكاذبة ثمنا قليلا اي عوضا نزرا وسماه قليلا لانه قليل في جنب ما يفوتهم من الثواب ويحصل لهم من العقاب وقيل العهد ما اوجبه الله على الانسان من الطاعة والكف عن المعصية وقيل هو ما في عقل الانسان من الزجر عن الباطل والانقياد للحق اولئك لا خلاق لهم اي لا نصيب وافر لهم في نعيم الآخرة ولا يكلمهم الله فيه قولان احدهما انه لا يكلمهم بما يسرهم بل بما يسوءهم وقت الحساب لهم عن الجبائي والآخر انه لا يكلمهم اصلا ويكون المحاسبة لهم الملائكة بامر الله تعالى استهانة بهم ولا ينظر اليهم يوم القيامة معناه لا يعطف عليهم ولا يرحمهم كما يقول القائل للغير انظر الي تريد ارحمني وفي هذا دلالة على ان النظر اذا عدي بحرف الى لا يفيد الرؤية لانه لا يجوز حملها هاهنا على انه لا يراهم بلا خلاف ولا يزكيهم اي لا يطهرهم وقيل لا ينزلهم منزلة الازكياء عن الجبائي وقيل لا يطهرهم عن دنس الذنوب والاوزار بالمغفرة بل يعاقبهم وقيل لا يحكم بانهم ازكياء ولا يسميهم بذلك بل يحكم بانهم كفرة فجرة عن القاضي ولهم عذاب اليم مؤلم موجع وفي تفسير الكلبي عن ابن مسعود قال سمعت رسول الله صلعم يقول من حلف على يمين كاذبة ليقتطع بها مال اخيه المسلم لقي الله وهو عليه غضبان وتلا هذه الآية وروى مسلم بن الحجاج في الصحيح باسناده من طرق عن ابي ذر الغفاري عن النبي صلعم قال ثلاث لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم المنان الذي لا يعطي شيئا الا منة والمنفق سلعته بالحلف الفاجر والمسبل ازاره وعن عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلعم قال من حلف على يمين صبر يقتطع بها مال امرئ مسلم هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان اورده مسلم في الصحيح قوله تعالى وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون • آية اللغة اصل اللي الفتل من قولك لويت يده اذا فتلتها ومنه لويت الغريم ليا وليانا اي مطلته حقه قال الشاعر تطيلين لياني وانت ملية واحسن يا ذات الوشاح التقاضيا ومنه الحديث لي الواجد ظلم والالسنة جمع اللسان على التذكير كحمار واحمرة وبها الالسن على التأنيث كعناق واعنق والفرق بين حسبت وزعمت ان زعمت يحتمل ان يكون يقينا وظنا وحسبت لا يحتمل اليقين اصلا الاعراب لفريقا نصب بانه اسم ان واللام للتأكيد دخلت على الاسم لانه اذا كان مؤخرا ولا يجوز ان زيدا لقائم لئلا يجتمع حرفا تأكيد كما لا يجوز دخول التعريف على التعريف فاما قولهم جاءني القوم كلهم اجمعون تأكيدا للحال النزول قيل نزلت في جماعة من احبار اليهود كتبوا بايديهم ما ليس في كتاب الله من نعت النبي صلعم وغيره

واضافوه الى كتاب الله وقيل نزلت فى اليهود والنصارى حرفوا التورية والانجيل وضربوا كتاب الله بعضه ببعض
والحقوا به ما ليس منه واسقطوا منه الحنيف عن ابن عباس المعنى وان منهم من اهل الكتاب وهو عطف على قوله ومن
اهل الكتاب من ان تأمنه لفريقا اى طائفة يلوون السنتهم بالكتاب يحرفون الكتاب عن جهته ويعدلون به عن القصد
بالسنتهم ليحسبوه اى لتحسبوا ما حرفوه من الكتاب عن جهته ليا باللسان وهذا المعنى قول مجاهد وقتادة وابن جريج والربيع وقيل ليحرفونه
بجدالهم لتحسبوه من الكتاب لتظنوا ايها المسلمون من كتاب الله تعالى وما هو من الكتاب المنزل على موسى ولكنهم يخترعونه
ويبتدعونه ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله وفى هذا دلالة على ان المعاصى ليست من عند الله ولا من فعله
لانها لو كانت من فعله لكانت من عند الله فان قالوا انها من عنده خلقا وهذا ليست من عنده انزالا ولا امرا قلنا
لو كانت كذلك لكانت من عنده على اكد الوجوه فلم يجز اطلاق النفى بانها ليست من عند الله وكما لا يجوز ان يكون من الكتاب
على وجه من الوجوه لاطلاق النفى بانه ليس من الكتاب كذلك لا يجوز ان يكون من عند الله لاطلاق النفى بانه ليس من عند الله
ويقولون على الله الكذب فى نسبتهم ذلك الى الكتاب وهم يعلمون ان ذلك كذب وقيل وهم يعلمون ما عليهم فى ذلك
من العقاب قوله تعالى ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله
ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون • ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين
اربابا ايأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون • ايتان القراءة قرأ اهل الكوفة وابن عامر تعلمون بالتشديد والباقون
تعلمون وقرأ عاصم غير الاعشى والبرجمى وحمزة وابن عامر ويعقوب ولا يأمركم بنصب الراء والباقون بالرفع الحجة حجة من
قرأ تعلمون بالتشديد ان التعليم ابلغ فى هذا الموضع لانه اذا علم الناس ولا يعمل بعلمه كان مع استحقاق الذم بترك العمل
داخلا فى جملة من وبخ بقوله اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وحجة من قرأ تعلمون ان العالم الدارس قد يدرك
بعلمه ودرسه ما يكون داعيا الى التمسك بعلمه والعمل بما لا يدرك العالم المعلم فى تعليمه ومن قرأ ولا يأمركم فعلى القطع
من الاول والاول ولا يأمركم الله ومن نصب فعلى قوله وما كان لبشر ان يأمركم ان تتخذوا وما يقوى الرفع ما روى فى حرف ابن مسعود
ولن يأمركم فهذا يدل على الانقطاع من الاول ومما يقوى النصب ما جاء فى التفسير ان اليهود قالوا للنبى صلعم يا محمد تريد
ان نتخذك ربا فقال الله ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب ثم يأمركم اللغة البشر يقع على القليل والكثير فهو بمنزلة
المصدر مثل الخلق تقول هذا بشر وهؤلاء بشر كما تقول هذا خلق وهؤلاء خلق وانما وقع المصدر على القليل والكثير
لانه جنس الفعل فصار كاسماء الاجناس مثل الماء والتراب ونحو ذلك والربانى هو الذى يرب امر الناس بتدبيره واصلاحه
يقال رب فلان امره ربابة وهو ربان اذا دبره واصلحه ونظيره نعس ينعس فهو نعسان واكثر ما يجىء فعلان من فعل يفعل فيكون
العالم ربانيا لانه بالعلم يدبر الامر ويصلحه وقيل انه مضاف الى علم الرب وهو علم الدين الذى يأمر به الا انه غير فى الاضافة
ليدل على هذا المعنى كما قيل فى الاضافة الى البحر بحرانى وقيل للعظيم الرقبة رقبانى وللعظيم اللحية لحيانى فقيل
لصاحب العلم الذى امر به الرب ربانى النزول قيل ان ابا رافع القرظى من اليهود ورئيس وفد نجران قالا يا محمد تريد ان
نعبدك ونتخذك الها فقال معاذ الله ان اعبد غير الله وان آمر بعبادة غير الله ما بذلك بعثنى ولا بذلك امرنى فنزلت
الاية عن ابن عباس وعطا وقيل نزلت فى نصارى نجران عن الضحاك ومقاتل وقيل ان رجلا قال يا رسول الله نسلم عليك
كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغى ان يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله فانزل
الله الاية المعنى لما تقدم ذكر اهل الكتاب وانهم اضافوا ما يدينون به الى الانبياء نزههم الله تعالى عن ذلك فقال ما كان لبشر
ما ينبغى لبشر كقوله وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا وما كان لنا ان نتكلم بهذا اى ما ينبغى وقيل معناه لا يجوز لبشر ولا يحل
له ان يؤتيه الله اى يعطيه الله الكتاب والحكم اى العلم والنبوة اى الرسالة الى الخلق ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله
اى اعبدونى من دونه واعبدونى معه عن الضحاك وقيل معناه ليس من صفة الانبياء الذين خصهم الله برسالته و

واجتباهم لنبوته وانزل عليهم كتبه وجعلهم حكماء علماء ان يدعوا الناس الى عبادتهم وانما قال ذلك على جهة التنزيه
للنبى صلعم عن مثل هذا القول لا على وجه النهى قوله عبادا هو من العبادة قال القاضى عبيد بخلاف عبد لانه بمعنى العبودية
ولا يمتنع ان يكونوا عبيدا لغير الله ويمتنع ان يكونوا عبادا لغيره ولكن كونوا ربانيين فيه حذف اى لا ينبغى لهذا
البشر ان يقول للناس اعبدونى ولكن ينبغى ان يقول لهم كونوا ربانيين وقيل فيه اقوال احدها ان معناه كونوا فقهاء علماء
عن على عليه السلام وابن عباس والحسن وثانيها كونوا علماء حكماء عن قتادة والسدى وابن ابى رزين وثالثها كونوا حكماء
اتقياء عن سعيد بن جبير ورابعها كونوا مدبرى امور الناس فى الولاية بالاصلاح عن ابن زيد وخامسها كونوا معلمين للناس
من علمكم كما يقال انفق مما لك اى من مالك عن الزجاج وروى عن النبى صلعم انه قال ما من مؤمن ولا مؤمنة ولا حر ولا مملوك
الا ولله عليه حق واجب ان يتعلم من العلم ويتفقه فيه وقال ابو عبيدة سمعت رجلا عالما يقول الربانى العالم بالحلال والحرام
والامر والنهى بما كان ويكون وقال ابو عبيدة لم تعرف العرب الربانى وهذا فاسد لان القرآن نزل بلغتهم وروى عن
محمد بن الحنفية انه قال يوم مات ابن عباس مات ربانى هذه الامة وقد ذكرنا اشتقاقه قبل بما كنتم تعلمون الكتاب
اى القرآن وبما كنتم تدرسون اى تقرءون ومن قرأ بالتشديد اراد تعلمون غيركم فيفيد انهم يعلمون ويعلمون
غيرهم والتخفيف لا يفيد اكثر من كونهم عالمين ودخلت الباء فى قوله بما كنتم تعلمون لاحد ثلثة اشياء اما ان يريد
كونوا معلمى الناس بعلمكم كما يقال انفعوهم بما لكم او يريد كونوا ربانيين فى علمكم ودراستكم وهما لا بد معهم فى او يريد
كونوا ممن يستحق ان يطلق عليه صفة عالم بعلمه على جهة المدح بان تعلموا ما علمتم وذلك ان الانسان انما يستحق الوصف
بانه عالم اذا عمل بعلمه ويدل عليه قوله انما يخشى الله من عباده العلماء ولا يأمركم اى لا يأمركم الله عن الزجاج وقيل ولا
يأمركم محمد عن ابن جريج وقيل لا يأمركم عيسى ومن نصب الراء عطفه على ان يؤتيه الله فمعناه ولا كان لهذا النبى ان يتخذوا
الملائكة والنبيين اربابا اى الهة كما فعلت الصابئون والنصارى ايأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون الالف للانكار
واصله الاستفهام وانما استعمل فى الانكار لانه لو اقر به المخاطب لظهرت فضيحته فلذلك جاء على السؤال وان لم يكن
الغرض تعرف الجواب ومعناه ان الله تعالى انما يبعث النبى ليدعو الناس الى الايمان فلا يبعث من يدعو المسلمين الى الكفر
قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن
به ولتنصرنه قال ءاقررتم واخذتم على ذلكم اصرى قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين فمن تولى
بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون • ايتان القراءة قرأ حمزة وحده لما آتيتكم بكسر اللام والباقون بفتحها وقرأ
نافع آتيناكم على الجمع والباقون آتيتكم على التوحيد الحجة الوجه فى قراءة حمزة لما آتيتكم بكسر اللام انه يتعلق باخذ
كان المعنى اخذ ميثاقهم لهذا اولما يكون على هذا المعنى موصولة والعائد الى الموصول من الجملة المعطوفة على صلته
وهى قوله جاءكم رسول مصدق لما معكم مظهر بمنزلة المضمر وهو قوله لما معكم لانه فى معنى ما اوتيتم من الكتاب
والحكمة فهذا يكون مثل قوله من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين لانه فى موضع لا يضيع اجرهم ويجوز ان يكون
ويجوز ان يكون ما على هذه القراءة حرفا فيكون بمعنى المصدر والوجه على من فتح اللام فقال لما آتيتكم فان ما فيه
يحتمل تأويلين احدهما ان يكون موصولة والآخر ان يكون للجزاء فمن قدرها موصولة فالقول فيها يقتضيه قوله ثم
جاءكم رسول مصدق لما معكم من الراجع الى الموصول ما تقدم ذكره فى قراءة حمزة واما الراجع الى الموصول من
الجملة الاولى فالضمير المحذوف من الصلة تقديره لما آتيتكموه واللام فى لما ممن قدرها موصولة لام الابتداء وهى
المتلقية لما اجرى مجرى القسم من قوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين وموضعها رفع بالابتداء والخبر لتؤمنن به ولتؤمنن
متعلق بقسم محذوف والمعنى والله لتؤمنن والذكر الذى فيه يعود على الذى آتيتكموه الذى هو المبتدأ ونحوه قوله تعالى
لعبد الله والله لتأتينه والذكر الذى فى لتنصرنه يعود على رسول المتقدم ذكره واذا قدرت ما للجزاء كانت ما فى

موضع نصب باتيتكم واحسكم في موضع جزم بالشرط وجاءكم في موضع جزم بالشرط بالعطف على اتيتكم واللام
الاخلة على ما لا يكون المتلقية للقسم ولكن يكون بمنزلة اللام في قوله لئن لم ينته المنافقون لنغرينك بهم
وهذه اللام الداخلة على ان للاعتماد القسم عليها فلذلك جاز حذفها تارة واثباتها تارة كما قال وان لم ينتهوا
عما يقولون ليمسن الذين فلحق هذه اللام ان مرة ولا يلحق اخرى كما ان اني الك في قولك والله ان لو فعلت لفعلت
ووالله لو فعلت لفعلت المعنى كما قدم ذكر النبيين عقبه تعالى بذكر نبينا وما اخذ من عهده عليهم اجمعين فقال واذ اخذ
الله ميثاق النبيين العامل في اذ محذوف وتقديره واذكر اذ اخذ الله وقيل هو عطف على ما تقدم من قوله واذ قالت
وروى عن امير المؤمنين ع وابن عباس وقتادة ان الله تعالى اخذ الميثاق على الانبياء قبل نبينا ان يخبروا اممهم
بمبعثه ونعته ويبشروهم به ويامروهم بتصديقه وقال طاوس اخذ الله الميثاق على الانبياء على الاول والاخر
فاخذ الله ميثاق الاول لتؤمنن بما جاء به الاخر وقال الصادق ع تقديره واذ اخذ الله ميثاق امم النبيين بتصديق
نبيها والعمل بما جاءهم به وانهم خالفوهم فيما بعد وما وفوا به وتركوا كثيرا من شريعته وحرفوا كثيرا منها وقوله
لما اتيتكم بفتح اللام اذا كانت ما موصولة فتقديره للذي اتيتكم اي اعطيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول
اي نبي قيل يعني محمدا صلعم مصدق لما معكم اي لما اتيتكم من الكتب لتؤمنن به اي لتؤمنن بالرسول ولتنصرنه
او به لتؤمنن بالذي اتيتكم ولتنصرن الرسول فعلى هذا يكون المعنى انه انما اخذ الميثاق ليصدق بعضهم
بعضا بامر بعضهم بالايمان ويكون النصرة بالتصديق والحجة وهو المروي عن الحسن وسعيد بن جبير وطاوس وان
كانت للجزاء فتقديره اي شيء اتيتكم ومهما اتيتكم من كتاب لتؤمنن به فالشرط هو ايتاؤه اياهم الكتاب والحكمة
بمجيء الرسول والجزاء القسم والمقسم عليه وهو قوله لتؤمنن به فاغنى جواب القسم عن الجزاء كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك
وقوله من كتاب من هذه للتبيين لما نحو قولك ما عندك من ورق وعين وهذا خاتم من فضة ويكون على هذا تقدير
ان الله تعالى قال لهم مهما اوتيتكم كتابا وحكمة ثم يجيئكم به رسول مصدق لما معكم من ذلك الكتاب والحكمة والله لتؤمنن
به ولتنصرنه فاقروا بذلك واعطوا عليه مواثيقهم وهذا اشبه بما ذكر ان الميثاق اخذ على الانبياء ليأخذوه على
اممهم بتصديق محمد اذا بعث ويأمرهم بنصرته على اعدائه ان ادركوه وهو المروي عن علي امير المؤمنين ع وابن عباس
وقتادة والسدي واختاره ابو علي الجبائي وابو مسلم ويكون معنى قوله جاءكم جاء اممكم واتباعكم وانما خرج الكلام على
النبيين لانما الزمهم ليلزموا اممهم ومن قرأ لما اتيتكم بكسر اللام فالمعنى اخذ الله ميثاقهم لما اوتوا اي لاجل ما اوتوا من
الحكمة والكتاب ولانهم الافاضل وخيار الناس ويكون اللام للتعليل فيقتضي ان يكون الايتاء سابقا لاخذ الميثاق
وقوله لتؤمنن به متعلق باخذ الميثاق وهو في الحاصل راجع الى معنى الشرط والجزاء وقوله لتنصرنه اي لتنصرنه
الامم به قال اي قال الله تعالى للانبياء اقررتم وصدقتم واخذتم على ذلكم اصري معناه وقبلتم على ذلكم عهدي
ونظيره فانا وبينهم هذا يأخذونه وقيل معناه اخذتم العهد بذلك على اممكم قالوا اي قال الانبياء واممهم اقررنا
امنا بالاقرار قال الله فاشهدوا بذلك على اممكم وانا معكم من الشاهدين عليكم وعلى اممكم عن علي ع وقيل فاشهدوا
اي فاعلموا ذلك وانا معكم اعلم عن ابن عباس وقيل معناه ليشهد بعضكم على بعض وقيل قال الله للملائكة اشهدوا
عليهم فيكون ذلك كناية عن غير مذكور عن سعيد بن المسيب هذه الاية من مشكلات ايات القرآن وقد غاص
النحويون في وجوه اعرابها وتحقيقها وشقوا الشعر في تدقيقها ولاجل ذلك في موضع وجز لفظا واكثر فائدة
فيما ذكرته وبالله التوفيق فمن تولى بعد ذلك اي فمن اعرض عن الايمان بمحمد صلعم بعد هذه الاية والدلالات
والحجج وبعد اخذ الميثاق على النبيين الذي سبق ذكره والمقصود بهذا الامم دون النبيين لانهم قد عصموا
وجاز ذلك لان اخذ الميثاق على النبيين يتضمن الاخذ على اممهم وقد روى عن علي ع انه قال لم يبعث الله نبيا

آدم ومن بعده الا اخذ عليه العهد لئن بعث الله محمدا وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه وامره ان ياخذ العهد بذلك على قومه
فاولئك هم الفاسقون ولم يقل الكافرون لان المراد الخارجون في الكفر الى افحش مراتب الكفر بتمردهم وذلك ان
اصل الفسق الخروج عن امر الله تعالى الى حال توبقه وفي الكفر ما هو اكبر كما ان الجحود في الكفر من المعاصي هو اكبر مما هو صغير
بالاضافة اليه قوله تعالى افغير دين الله يبغون وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها واليه يرجعون • قل امنا
بالله وما انزل الينا وما انزل على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من
ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون • ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين •
ثلث ايات القراءة قرأ ابو عمرو ويبغون بالياء واليه ترجعون بالتاء مضمومة وقرأ بالياء فيهما عباس وحفص ويعقوب
وسهل والباقون بالتاء فيهما جميعا الحجة من قرأ بالتاء فيهما فلان اول الاية خطاب للنبي ص ومن قرأ بالياء فعلى تقدير
قل لهم افغير دين الله يبغون جميعا فجاء على لفظ الغيبة لانهم غيب وقد تقدم القول في ترجعون ويرجعون الاعراب
افغير دين الله يبغون عطف جملة على جملة كانه قال او غير دين الله يبغون الا ان الهمزة ... تلك الاية
افغير دين الله يبغون طوعا وكرها مصدران وضعا موضع الحال وتقديره طائعين وكارهين كما يقال اتاني ركضا
اي راكضا ولا يجوز ان يقال اتاني كلاما اي متكلما لان الكلام ليس بضرب من الاتيان والركض ضرب منه النزول
عن ابن عباس لما اختصم اهل الكتاب الى رسول الله ص فيما اختلفوا بينهم من دين ابراهيم كل فرقة زعمت انهم اولى بدينه
فقال النبي ص كلا الفريقين برئ من دين ابراهيم فغضبوا وقالوا والله ما نرضى بقضائك ولا ناخذ بدينك فانزل الله
افغير دين الله يبغون المعنى لما بين تعالى بطلان اليهود وسائر الملل غير الاسلام بين عقيبه ان من يبتغ غير دينه فهو
ضال لا يجوز قبوله منه فقال افغير دين الله يبغون يعني افبعد هذه الايات والحجج يطلبون دينا غير دين الله تعالى وله
اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها وقيل فيه اقوال احدها ان معناه اسلم من في السموات والارض بالحالة الناطقة
عند الدلالة عليه عند اخذ الميثاق عليه عن ابن عباس وثانيها اسلم اي اقر بالعبودية وان كان فيهم من اشرك في العبادة كقوله
ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ومعناه ما ركب الله في عقول الخلق من الدعاء الى الاقرار بالربوبية لينتبهوا على ما
من الدلالة عن مجاهد وابي العالية وثالثها اسلم المؤمن طوعا والكافر كرها عند موته كقوله فلم يك ينفعهم ايمانهم لما
رأوا باسنا عن قتادة واختاره البلخي ورابعها التخويف لهم من ان تخرجوا عنه سبيله ويرجعها ان معناه استسلم له بالانقياد
والذلة كقوله تعالى قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا اي استسلمنا عن الشعبي والجبائي والزجاج و
خامسها ان معناه اكره اقوام على الاسلام وجاء اقوام طائعين عن الحسن وهو المروي عن ابي عبد الله ع قال كرها اي فرقا
من السيف وقال الحسن والمفضل الطوع لاهل السموات خاصة واما اهل الارض فمنهم من اسلم طوعا ومنهم من اسلم كرها
واليه ترجعون اي الى جزائه تصيرون فبادروا الى دينه ولا تخالفوا الاسلام قل امنا بالله خطاب للنبي ص واعلم
بان يقول عن نفسه وعن امته امنا بالله وما انزل علينا الاية كما خاطب بمثل القوم بان يقولوا عن انفسهم وعن نبيه
وقد سبق معنى الاية في سورة البقرة فان قيل ما معنى قوله ونحن له مسلمون بعد ما سبق الاقرار بالايمان على التفصيل
قلنا ان معناه ونحن له مستسلمون بالطاعة والانقياد في جميع ما امر به ونهى عنه وايضا فان اهل الملل المخالفة للاسلام
كان يقرون كلهم بالايمان ولكن لم يقروا بلفظة الاسلام فلهذا قال ونحن له مسلمون ومن يبتغ اي يطلب غير الاسلام
دينا يدين به فلن يتقبل منه بل يعاقب عليه ويدل عليه قوله وهو في الاخرة من الخاسرين اي هالكين لان الخسران
ذهاب راس المال وفي هذا دلالة على ان من ابتغى غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ويدل ذلك على ان الدين و
الاسلام والايمان واحد وهي عبارات عن معبر واحد قوله تعالى كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا
ان الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين • اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله و

الملائكة والناس أجمعين ۝ خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون ۝ إلا الذين تابوا من بعد
ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم ۝ أربع آيات اللغة الخلود في اللغة طول المكث ولذلك قيل
خلد في الحبس وقيل للأثافي خوالد لما دامت في موضعها فإذا دامت لا تنتقل خوالد والفرق بين الخلود والدوام
أن الخلود يقتضي طول المكث في نحو الحبس كالخلد في الحبس ولا يقتضي ذلك الدوام ولذلك وصف تعالى بالدوام
دون الخلود إلا أن الخلود للكفار المراد به التأبيد بلا خلاف بين الأمة والإنظار التأخير للعبد لينظر في أمره
وبينه وبين الإمهال أن الإمهال تأخير لتسهيل ما يتكلفه من عمل الإعراب كيف أصله الاستفهام والمراد به الإنكار
هنا لأن يقع هذه الهداية من جهته أي لا يهديهم كقوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد أي لا يكون وقال الشاعر كيف
على الفراش ولا يجد الشام ساعة سواء وإنما دخله معنى الإنكار مع أن أصله الاستفهام لأن المسؤول يسأل عن
أغراض مختلفة فقد يسأل للتعجيز عن إقامة البرهان وقد يسأل للتوبيخ لما يظهر من معنى الجواب في السؤال وقد يسأل
لما يظهر فيه من الإنكار وإنما عطف قوله وشهدوا وهو فعل على إيمانهم وهو اسم لأن الإيمان مصدر والمراد
الفعل والتقدير بعد أن آمنوا وشهدوا أجمعين تأكيد للناس ودخلت الفاء في قوله فإن الله غفور رحيم
لأنه شبه الجزاء إذ كان الكلام قد تضمن إن تابوا فإن الله غفور رحيم يغفر لهم ولا يجوز أن يكون في موضع جر الذين
الذين في موضع النصب بالاستثناء من الجملة التي هي قوله أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله الآية ولا يحمل على المنقطع
مع حسن الاتصال لأنه الأصل في الكلام والأسبق إلى الأفهام النزول قيل نزلت الآيات في رجل من الأنصار يقال
له الحرث بن سويد بن الصامت وقتل المجذر بن زياد البلوي غدرا وهرب وارتد عن الإسلام ولحق بمكة ثم ندم
فأرسل إلى قومه أن يسألوا رسول الله صلى الله عليه وآله هل لي من توبة فسألوا فنزلت الآيات إلى قوله إلا الذين تابوا فحملها إليه
رجل من قومه فقال إني لأعلم أنك لصدوق وأن رسول الله صلى الله عليه وآله أصدق منك وأن الله تعالى أصدق الثلاثة ورجع
إلى المدينة وتاب وحسن إسلامه عن مجاهد والسدي وهو المروي عن أبي عبد الله عليه السلام وقيل نزلت في أهل الكتاب
الذين كانوا يؤمنون بالنبي قبل مبعثه ثم كفروا بعد البعثة حسدا وبغيا عن الحسن والجبائي وأبي مسلم المعنى
لما بين الله تعالى أن الإسلام هو الدين الذي لا نجاة إلا به بين حال من خالفه فقال كيف يهدي الله قوما كفروا بعد
إيمانهم فيه وجوه أحدها أن معناه كيف يسلك الله بهم سبيل المهتدين بالإثابة لهم والثناء عليهم وقد كفروا
بعد إيمانهم وثانيها أنه على طريق التبعيد كما يقال كيف أهديك إلى الطريق وقد تركته أي لا طريق يهديهم إلى
الإيمان إلا من الوجه الذي هداهم به وقد تركوه ولا طريق غيره وثالثها أن المراد كيف يهديهم الله إلى الجنة
ويثيبهم والحال هذه وقوله وشهدوا أن الرسول حق عطف على قوله بعد إيمانهم دون قوله كفروا وتقديره بعد
أن آمنوا وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات أي البراهين والحجج وقيل القرآن وقيل جاءهم ما في كتبهم من
البشارة بمحمد صلى الله عليه وآله والله لا يهدي القوم الظالمين أي لا يسلك بالقوم الظالمين مسالك المهتدين ولا يثيبهم
ولا يهديهم إلى طريق الجنة لأن المراد به الهداية المختصة بالمؤمنين دون الهداية العامة المرادة في قوله وأما ثمود
فهديناهم فالمراد بالإيمان هنا إظهار الإيمان دون الإيمان الذي يستحق به الثواب وليس في الآية ما يدل على أنهم
قد كانوا في باطنهم مؤمنين مستحقين للثواب فزال ذلك بالكفر فالمتعلق المخالف به أولئك جزاؤهم على ما عملوا
أن عليهم لعنة الله وهي الإبعاد إياهم من رحمته ومغفرته ولعنة الله والملائكة والناس وهي دعاؤهم عليهم باللعنة
وبأن يبعدهم الله من رحمته خالدين فيها أي في تلك اللعنة وخلودهم فيما استحقوا باللعنة وهو العذاب
لا يخفف عنهم العذاب أي لا يسهل عليهم ولا هم ينظرون أي ولا يمهلون للتوبة ولا يؤخر عنهم العذاب
من وقت إلى وقت آخر وإنما نفي إنظارهم للتوبة ولا نائبة لما علم من حالهم أنهم لا ينيبون ولا يتوبون

كما قال

كما قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه على أن البقية ليست بواجبة والمعلوم أنه لو بقاه لتاب ولو تاب عند أكثر المتكلمين
إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا أي تابوا من الكفر ورجعوا إلى الإيمان وأصلحوا ضمائرهم وعزموا على
أن يثبتوا على الإسلام وهذا أحسن من قول من قال وأصلحوا أعمالهم بعد التوبة وصلوا وصاموا فإن ذلك ليس
بشرط في صحة التوبة إذ لو مات قبل فعل الصالحات مات مؤمنا بالإجماع فإن الله غفور يغفر لهم ذنوبهم
رحيم يوجب الجنة لهم وذكر المغفرة دل على أن إسقاط العقاب بالتوبة تفضل منه فإن ما لا يجوز المؤاخذة به
لا يحسن تعليقه بالمغفرة وإنما يعلق بالمغفرة ما يكون المؤاخذة به حسنا قوله تعالى إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا
كفرا لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون ۝ آية النزول قيل نزلت في أهل الكتاب آمنوا برسول الله صلى الله عليه وآله
قبل مبعثه ثم كفروا به بعد مبعثه عن الحسن وقيل نزلت في اليهود كفروا بعيسى والإنجيل بعد إيمانهم بأنبيائهم وكتبهم
ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد والقرآن عن قتادة وعطا وقيل نزلت في الأحد عشر من أصحاب الحرث بن سويد لما
رجع الحرث قالوا نقيم بمكة على الكفر ما بدا لنا فمتى ما أردنا الرجعة رجعنا فينزل فينا ما نزل في الحرث فلما
افتتح رسول الله مكة دخل في الإسلام من دخل منهم فقبلت توبته فنزل فيمن مات منهم كافرا إن الذين كفروا
وماتوا وهم كفار المعنى لما تقدم ذكر التوبة المقبولة عقبه الله تعالى بما لا يقبل منها فقال إن الذين كفروا
من بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا قد ذكرنا الاختلاف في سبب نزوله وعلى ذلك يرد معناه وقيل كلما نزلت آية
كفروا بها فازدادوا كفرا إلى كفرهم لن تقبل توبتهم عند رؤية البأس لأنه يكون في حال الإلجاء ومعناه أنهم
لا يتوبون إلا عند حضور الموت والمعاينة عن الحسن وقتادة والجبائي وقيل لأنها أظهرت الإسلام تورية فأطلع الله
تعالى رسوله على سرائرهم عن ابن عباس وقد دل السمع على وجوب قبول التوبة إذا حصلت شرائطها وعليه إجماع
الأمة وأولئك هم الضالون عن الحق والصواب وقيل الهالكون المعذبون قوله تعالى إن الذين كفروا و
ماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا ولو افتدى به أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين ۝
آية اللغة الملء أصله الملأ وهو تطفيح الإناء ومنه الملأ الأشراف لأنهم يملؤون العيون هيبة ومنه رجل
مليء بالأمر وهو الثقة من غير والملء اسم للمقدار الذي يملأ والملأ المصدر والفدية البدل من الشيء
في إزالة الأذية ومنه فداء الأسير لأنه بدل منه في إزالة القتل أو الأسر عنه وإذا كسر مد وإذا فتح قصر
يقول فدى لك وفداء لك ويجوز قصر هذا الممدود في الضرورة ولا مد المقصور الإعراب
ذهبا منصوب على التمييز وإنما استحق النصب لاشتغال العامل بالإضافة أو ما قام مقامها من النون إلا أنه يجري
ذلك مجرى الحال في اشتغال العامل بصاحبها ومجرى المفعول في اشتغال العامل عنه بالفاعل وقوله ولو
افتدى به قال الفراء هذه الواو زائدة وغلطه الزجاج لأن الكلام إذا أمكن حمله على فائدة تحمل عليها ولا تحمل
على الزيادة وقال الفراء إذا دخلت الواو في مثل هذا كان بمعنى التأكيد كقولك لا أبالي وإن أعطيتني لأنها
دخلت لتفصيل نفي القبول بعد الإجمال ولو جعلنا الواو زائدة لأوهم ذلك أنه لا يقبل منه ملء الأرض ذهبا في
الافتداء ويقبل في غيره المعنى إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أي على كفرهم فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض
ذهبا أي مقدار ما يملأ الأرض من الذهب ولو افتدى به لو عوضا فمعناه أن الكافر الذي يعتقد الكفر
وإن أظهر الإيمان لا ينفعه الإنفاق بمعنى أنه لا يوجب له الثواب وقيل معناه لا يقبل منه في الآخرة ولو وجد
إليه السبيل قال قتادة يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهبا أكنت تفتدي
فيقول نعم فيقال له لقد سئلت أيسر من ذلك فلم تفعل ورواه أيضا أنس عن النبي أولئك لهم عذاب أليم
وما لهم من ناصرين ذكرنا معناه قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فإن الله

١٧٥

بعليم * اية اللغة البر اصله من السعة ومنه البر خلاف البحر والفرق بين البر والخير ان البر هو النفع الواصل الى الغير
مع القصد الى ذلك والخير يكون خيرا وان وقع عن سهو وضد البر العقوق وضد الخير الشر المعنى لن تنالوا البر اى
لن تدركوا بر الله تع باهل طاعته والتقوى عن مقاتل وعطا وقيل معناه لن تكونوا ابرارا اى صالحين اتقياء عن الحسن
حتى تنفقوا مما تحبون اى حتى تنفقوا المال وانما كنى بهذا اللفظ عن المال لان الجميع الناس يحبون المال وقيل معناه
ما تحبون من نفائس اموالكم دون رذالها كقوله تعالى ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون وقيل هو الزكوة الواجبة وما فرضه الله
في الاموال عن ابن عباس والحسن وقيل هو جميع ما ينفقه المرء في سبيل الخيرات عن مجاهد وجماعة فقد روى عن ابي الطفيل
قال اشترى علي ع ثوبا فاعجبه فتصدق به وقال سمعت رسول الله صم يقول من آثر على نفسه آثره الله يوم القيمة بالجنة
ومن احب شيئا فجعله لله قال الله عز وجل يوم القيمة قد كان العباد يكافئون فيما بينهم بالمعروف وانا اكافئك اليوم بالجنة
وروى ان ابا طلحة قسم حائطا له في اقاربه عند نزول هذه الاية وكان احب امواله اليه فقال رسول الله صم بخ بخ ذلك
مال رابح لك وجاء زيد بن حارثة بفرس له يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله صم اسامة بن زيد فكان
زيدا وجد في نفسه فقال انما اردت ان اتصدق به فقال رسول الله صلعم اما ان الله قد قبلها منك واعتق
ابن عمر جارية كان يحبها وتلا هذه الاية وقال لولا اني لا اعود في شيء جعلته لله لنكحتها واضاف ابو ذر الغفاري
ضيفا فقال للضيف اني مشغول وان لي ابلا فاخرج فأتني بخيرها فذهب وجاء بناقة مهزولة فقال ابو ذر خنتني فقال
وجدت خير الابل فحلها فذكرت يوم حاجتكم اليه فقال ابو ذر يوم حاجتي ليوم اوضع في حفرتي مع ان الله يقول
لن تنالوا البر الاية وقال ابو ذر في المال ثلثة شركاء القدر لا يستامرك ان تذهب بخيرها او شرها من هلاك
موت والوارث ينتظرك ان تضع راسك ثم يستاقها وانت ذميم وانت الثالث فان استطعت ان لا تكون اعجز الثلثة
فلا تكن ان الله تعالى يقول لن تنالوا البر الاية وان هذا الجمل كان مما احب من مالي فاحببت ان اقدمه لنفسي وقال
بعضهم دلهم تعالى بهذه الاية على الفتوة فقال لن تنالوا البر اى بري بكم الا ببركم باخوانكم والانفاق عليهم من مالكم
وجاهكم وما تحبون فاذا فعلتم ذلك نالكم بري وعطفي وما تنفقوا من شيء فان الله به عليم جاء بالفاء على جواب الشرط
وان كان الله تعالى يعلم ذلك على كل حال وفيه وجهان احدهما ان تقديره وما تنفقوا من شيء فان الله يجازيكم به قل او كثر
لانه عليم لا يخفى عليه شيء منه والاخر ان تقديره فانه يعلمه الله موجودا على الحد الذي يفعلونه من حسن النية او قبحها
فان قيل كيف قال تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون والفقير ينال الجنة وان لم ينفق قيل الكلام يخرج مخرج الحث على
الانفاق وهو مقيد بالامكان وانما اطلق على سبيل المبالغة في الترغيب والاولى ان يكون المراد لن تنالوا البر
الكامل الواقع على اشرف الوجوه حتى تنفقوا مما تحبون ويروى عن ابن عمر ان النبي صلعم سئل عن هذه الاية فقال
هو ان ينفق العبد المال وهو صحيح يامل الدنيا ويخاف الفقر النظم وجه اتصال هذه الاية بما قبلها انه لما ذكر في
الاية الاولى لن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا وصل ذلك بقوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا الاية لئلا يؤدي امتناع
مال الفدية الى الفتور في الصدقة وما جرى مجراها من وجوه الطاعة قوله تعالى كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا
ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التورية قل فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين فمن اظلم ممن افترى على
الله الكذب من بعد ذلك فاولئك هم الظالمون * اية اللغة الافتراء اقتراف الكذب واصله قطع ما قدر
من الاديم يقال فرى الاديم يفريه فريا اذا قطعه وعلى الاستعارة معناه هنا اضافة الكذب الى الله من جهة انه
امر بما لم يامر به الله واوجب ما لم يوجبه الله وفرق بين كذب عليه وكذبه لان من كذب عليه يفسد انه كذب بما
يكرهه وكذبه يجوز ان يخاطبه به النزول لما انكر اليهود تحليل النبي صم لحوم الابل وكان يقول انه كان حلالا لابراهيم
فقالت اليهود كل شيء نحرمه فانه كان محرما على نوح وابراهيم هلم جرا حتى ينتهي الينا فنزلت الاية تكذيبا لهم واني ورد

المعنى كل الطعام اى كل الماكولات كان حلا اى حلالا لبني اسرائيل واسرائيل هو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم الا ما حرم اسرائيل
اى يعقوب على نفسه واختلفوا في ذلك الطعام فقيل ان يعقوب اخذه وجع العرق الذي يقال له النساء فنذر
ان شفاه الله ان يحرم العروق ولحوم الابل وهو احب الطعام اليه عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك
وقيل حرم اسرائيل على نفسه لحم الجزور تعبدا لله وسال الله تع ان يجيز له فحرم الله على ولده ذلك عن الحسن وقيل
حرم زائدتى الكبد والكليتين والشحم الا ما حملت الظهور عن عكرمة واختلف في انه كيف حرم على نفسه فقيل
بالاجتهاد وقيل بالنذر وقيل بنص ورد عليه وقيل حرمه كما يحرم المستظهر في دينه من الزهاد اللذة على نفسه من قبل
ان تنزل التورية معناه ان كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل قبل ان تنزل التورية على موسى فانها تضمنت تحريم
بعض ما كان حلالا لبني اسرائيل واختلفوا فيما حرم عليهم وحللها بعد نزول التورية فقيل انه حرم عليهم بعد التورية
بظلمهم وكفرهم وكانت بنو اسرائيل اذا اصابت ذنبا عظيما حرم الله عليهم طعاما طيبا وصب عليهم رجزا وهو الموت
وذلك قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم عن الكلبي وقيل لم يكن شيئا من ذلك حراما عليهم في التورية
وانما هو شيء حرموه على انفسهم اتباعا لابيهم واضافوا تحريمه الى الله تعالى عن الضحاك فكذبهم الله تعالى وقال قل لهم
فاتوا بالتورية حتى يتبين انه كما قلت لا كما قلتم ان كنتم صادقين في دعواكم فاحتج الله عليهم بالتورية والزمهم
بالاتيان بها وبان يقروا ما فيها فانه كان في التورية انها كانت حلالا للانبياء وانما حرمها اسرائيل فلم يجسروا
على اتيان اخراج التورية لعلمهم بصدق النبي وكذبهم وكان ذلك دليلا ظاهرا على صحة نبوة نبينا صم اذ علم
بان ما في التورية يدل على كذبهم من غير تعلم التورية وقراءتها فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك اى من بعد
الكذب على الله من بعد قيام الحجة وظهور البينة فاولئك المفترون على الله الكذب هم الظالمون لانفسهم بفعل
ما اوجب الله العقاب عليهم وانما قال من بعد ذلك مع انه يستحق الوعيد بالكذب على الله على كل حال لانه الذي
انه انما يؤاخذ به بعد اقامة الحجة عليه ومن كذب فليس بمحجوج فيجري مجرى الصبي الذي لا يستحق الوعيد بكذبه
النظم وجه اتصال هذه الاية بما قبلها انها تفصيل الجملة المتقدمة فانه ذكر الترغيب في الانفاق من المحبوب لطعام
مما يحب ويرغب فيه وذكر حكمه عن علي بن عيسى وقيل انه لما تقدم محاجتهم في ملة ابراهيم وكان مما انكروا على نبينا
تحليل لحم الجزور وادعوا تحريمه على ابراهيم وان ذلك مذكور في التورية فانزل الله تع هذه الاية تكذيبا لهم
قوله تعالى قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين * اية اللغة الاتباع الحاق الثاني
بالاول لما له به من التعلق فالقوة للاول والثاني يستمد منه والتابع ثان متدبر بتدبير الاول متصرف بتصرفه
في نفسه واصل الحنيف الاستقامة وانما وصف المائل القدم باحنف تفاؤلا وقيل اصله الميل فالحنيف هنا
هو المائل الى الحق فيما كان عليه ابراهيم من الشرع المعنى ثم بين سبحانه ان الصدق فيما اخبر به فقال قل صدق
الله في ان كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه وقيل في ان محمدا على دين ابراهيم وان دينه
الاسلام فاتبعوا ملة ابراهيم في استباحة لحوم الابل والبانها حنيفا اى مستقيما على الدين الذي هو شريعته في
حجه ونسكه وطيب ماكله وتلك الشريعة هي الحنيفية وقيل مائلا عن سائر الاديان الباطلة الى دين الحق وما
كان من المشركين برأ الله تع ابراهيم مما كان ينسبه اليهود والنصارى اليه بزعمهم انهم على دينه وانه كان مشركو
العرب واخبر ان ابراهيم كان بريئا من المشركين ودينهم والصحيح ان نبينا صلعم لم يكن متعبدا بشريعة من تقدم الانبياء
ولكن وافقت شريعته شريعة ابراهيم فلذلك قال فاتبعوا ملة ابراهيم والا فالله تعالى هو الذي اوحى بها اليه
واوجبها عليه وكانت شريعة له وانما رغب الله تعالى في شريعة الاسلام بانها ملة ابراهيم لانها المصالح ان
وفقت ما تميل اليه النفس ويقبله العقل من غير كلفة كانت احق بالرغبة فيها وكان المشركون يميلون الى

١٧٦

ابراهيم فلذلك خوطبوا بذلك قوله تعالى ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين
فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر
فان الله غنى عن العالمين ۞ القراءة قرأ اهل الكوفة غير ابى بكر وابو جعفر حج البيت بكسر الحاء والباقون بفتحها
الحجة قال سيبويه حج حجا مثل ذكر ذكرا فجاء على هذا مصدرا فهذا حجة لمن كسر الحاء وقال ابو زيد الحج السنون واحدها
حجة قال ابو على يدل على ذلك قولهم ثمانى حجج فالحجة من الحج البيت الواحدة قال سيبويه قالوا حجة يريدون عمل سنة ولم
يجيئوا بها على الاصل ولكنه اسم لما فعلوه لم يجيئوا بها على الاصل اراد انه لم يرد بها المرة من الفعل ولكن كسروا فجعلوه اسما
لهذا المعنى كما قالوا غزاة لعمل وجه واحد ولم يجئ على الغزوة وكان القياس ۞ اللغة اول الشئ ابتداؤه ويجوز ان يكون
المبتدأ له آخر ويجوز ان يكون لا آخر له لان الواحد اول العدد ولا نهاية لآخره ونعيم اهل الجنة له اول ولا آخر له
واصل بكة من البك وهو الزحم يقال بكه يبكه بكا اذا زحمه وتباك الناس اذا ازدحموا فبكة مزدحم الناس للطواف
وهو ما حول الكعبة من داخل المسجد الحرام وقيل سميت بكة لانها تبك اعناق الجبابرة اذا الحدوا فيها بظلم
ولم يمهلوا والبك دق العنق واما مكة فيجوز ان يكون اشتقاقها كبكة وابدلت الميم من الباء كقولهم ضربة لازب
و لازم ويجوز ان يكون من قولهم امتك الفصيل ما فى الضرع اذا امتصه امتصاصا شديدا حتى لا يبقى فيه شيئا و
بك المشاش بكا اذا تمشش نفسه فسميت بكة بذلك لقلة مائها واصل البركة الثبوت ومنه قولهم برك بروكا
اذا ثبت على حاله فالبركة ثبوت الخير بنموه ومنه البركة شبه حوض تمسك الماء لثبوته فيه ومنه قول الناس تبارك الله
لثبوته لم يزل ولا يزال ۞ الاعراب مباركا نصب على الحال الظرف من ببكة على المعنى الذى استقر ببكة مباركا
ويجوز ان يكون من الضمير فى وضع كانه قيل وضع مباركا وعلى هذا يجوز ان يكون قد وضع قبله بيت ولا يجوز
فى التقدير الاول واما رفع مقام ابراهيم فانه خبر مبتدأ محذوف وتقديره هى مقام ابراهيم وعن مقام ابراهيم
عن الاخفش وقيل هو بدل من الآيات عن ابى مسلم ومن استطاع اليه سبيلا فى موضع جر بدل من الناس وهو بدل
البعض من الكل ۞ النزول قال مجاهد تفاخر المسلمون واليهود فقالت اليهود بيت المقدس افضل واعظم من الكعبة
لانه مهاجر الانبياء وفى الارض المقدسة وقال المسلمون بل الكعبة افضل فانزل الله تعالى ان اول بيت وضع للناس
۞ المعنى اول بيت وضع للناس اى بنى للناس ولم يكن قبله بيت مبنى وانما دحيت الارض من تحتها وهو اول بيت ظهر
على وجه الماء عند خلق الله تعالى السماء والارض خلقه الله قبل الارض بالفى عام وكانت زبدة بيضاء على الماء عن مجاهد
وقتادة والسدى وروى عن ابى عبد الله عم انها كانت مهاة بيضاء يعنى درة بيضاء وروى ابو خديجة عنه
قال ان الله تعالى انزله لآدم من الجنة وكانت درة بيضاء فرفعه الله تعالى الى السماء وبقى اسه وهو بحيال هذا البيت يدخله
كل يوم سبعون الف ملك لا يرجعون اليه فامر الله تعالى ابراهيم واسمعيل ببنيان القواعد وقيل ان اول بيت
وضع للناس للعبادة ولم يكن قبله بيت يحج اليه البيت الحرام وقد كانت قبله بيوت كثيرة لكنه اول بيت مبارك
وهدى للناس عن على عم والحسن وقيل اول ما رغب فيه وطلب منه البركة مكة عن الضحاك وروى اصحابنا ان اول
شئ خلق الله من الارض موضع الكعبة ثم دحيت الارض من تحتها وروى ابو ذر انه سأل النبى ص ان اول مسجد وضع
للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس للذى ببكة قيل بكة المسجد ومكة الحرام كله يدخل فيه البيوت عن الزهرى
وضمرة بن ربيعة وهو المروى عن ابى جعفر عم وقيل بكة بطن مكة عن ابى عبيدة وقيل بكة موضع البيت والمطاف
ومكة اسم البلد وعليه الاكثر وقيل بكة هى مكة والعرب تبدل الباء ميما مثل سبد راسه وسمده عن مجاهد
والضحاك مباركا يعنى كثير الخير والبركة وقيل مباركا لانه يثوب للعبادة فيه دائما حتى يحكى ان الطواف به لا
ينقطع ابدا وقيل انه يضاعف فيه ثواب العبادة عن ابن عباس وروى فيه حديثا وقيل لانه يغفر فيه الذنوب

حمله على الجميع اذ لا تنافى وهدى للعالمين اى دلالة لهم على الله تعالى باهلاك كل من قصده من الجبابرة كاصحاب الفيل
وغيرهم وباجتماع الظبى فى حرمه مع الكلب والذئب ولا ينفر عنهم مع نفرته عنه فى غيره من البلاد وبانمحاق الجمار على
كثرة الرماة فلولا انها ترفع لكان يجتمع هناك من الحجارة مثل الجبال وباستيناس الطيور فيه بالناس وباستشفاء
المريض بالبيت وبان لا يعلو طير اعظاما له الى غير ذلك من الدلالات وقيل انهم يهتدون به الى جهة صلوتهم او
يهتدون الى الجنة بحجه والطواف به فيه آيات بينات اى دلالات واضحات والهاء فى فيه عائدة الى البيت وروى
عن ابن عباس انه قرأ فيه آية بينة مقام ابراهيم فجعل مقام ابراهيم وحده هو الآية وقال الاثر قدميه فى المقام آية بينة
والاول عليه القراءة والمفسرون ارادوا مقام ابراهيم والحجر الاسود والحطيم وزمزم والمشاعر كلها واركان البيت و
ازدحام الناس عليها وتعظيمهم لها وقد مضى ذكر مقام ابراهيم فى سورة البقرة وسئل الصادق عم عن الحطيم فقال هو ما
بين الحجر الاسود والباب قيل ولم سمى الحطيم قال لان الناس يحطم بعضهم بعضا وهو الموضع الذى فيه تاب الله على
آدم وقال عليه السلام ان تهيأ لك ان تصلى صلوتك كلها الفرايض وغيرها عند الحطيم فافعل فانه افضل بقعة على وجه
الارض وبعده الصلوة فى الحجر افضل وروى ابو حمزة الثمالى قال قال لنا على بن الحسين عليهما السلام اى البقاع افضل
فقلنا الله ورسوله وابن رسوله اعلم فقال لنا افضل البقاع ما بين الركن والمقام ولو ان رجلا عمر ما عمر نوح
فى قومه الف سنة الا خمسين عاما يصوم النهار ويقوم الليل فى ذلك المقام ثم لقى الله عز وجل بغير ولايتنا لم ينفعه
ذلك شيئا وقال الصادق عم الركن اليمانى بابنا الذى ندخل منه الجنة وروى ان من روى من ماء زمزم احدث له
شفاء وصرف عنه داء وقال المفسرون ومن تلك الآيات مقام ابراهيم وامن الداخل فيه وامن الوحش من
السباع الضارية و[illegible] على الكعبة الاعتق واذا كان الغيث من ناحية الركن اليمانى كان الخصب
باليمن واذا كان من ناحية الركن الشامى كان الخصب بالشام واذا عم البيت كان فى جميع البلدان وغير
ما ذكرناه قبل من الآيات وقوله ومن دخله كان آمنا عطف على مقام ابراهيم وفى مقام ابراهيم دلالة واضحة
لانه حجر صلد يرى فيه اثر قدميه ولا يقدر احد على ان يجعل الحجر فى لين الطين الا الله تعالى وروى عن ابن
عباس انه قال الحرم كله مقام ابراهيم يعنى الحرم كان آمنا وفيه اقوال احدها ان الله عطف قلوب العرب
فى تلك العرض على الاذى بالحرم والالتجاء اليه وان كثرت جريمته ولم يزده الاسلام الا شدة عن الحسن وثانيها
انه خبر والمراد به الامر ومعناه ان من وجب عليه حد فلاذ بالحرم لا يبايع ولا يشارى ولا يعامل حتى يخرج
من الحرم فيقام عليه الحد فيه ثم بين الله تعالى فضيلة بيته الحرام عقيبه بذكر وجوب حجة الاسلام فقال ولله على
الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا معناه ولله على من استطاع الحج البيت سبيلا من الناس حج البيت
اى من وجد اليه طريقا بنفسه وماله واختلف فى الاستطاعة فقيل انها الزاد والراحلة عن ابن عباس وابن
عمر وقيل ما يمكنه معه بلوغ مكة باى وجه يمكن عن الحسن ومعناه القدرة على الوصول اليه والمروى عن ائمتنا عم
انه وجود الزاد والراحلة ونفقة من يلزم نفقته والرجوع الى كفاية اما من صناعة او حرفة مع الصحة فى النفس
وتخلية السرب من الموانع وامكان السير ومن كفر معناه ومن جحد فرض الحج ولم يره واجبا عن ابن عباس والحسن فان الله
غنى عن العالمين لم يتعبدهم بالعبادة لحاجته اليها وانما تعبدهم لما علم فيها من مصالحهم وقيل ان المعنى
به اليهود فانه لما نزل قوله ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه قالوا نحن مسلمون فامروا بالحج فلم يحجوا فعلى هذا
يكون معنى كفر من ترك الحج من هؤلاء فهو كافر والله غنى عن العالمين وقيل المراد به كفران النعمة لان امتثال الامر
شكر لنعمته وقد روى عن ابى امامة عن النبى صلعم انه قال من لم يحبسه حاجة ظاهرة او مرض حابس او
سلطان جائر ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا وروى عن ابى عبد الله عم قال

١٧٧

الحج والعمرة ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد وفي هذه الآية دلالة على فساد قول من قال ان الاستطاعة مع الفعل لان الله تعالى اوجب الحج على المستطيع ولم يوجب على غير المستطيع وذلك لا يمكن الا قبل الحج. النظم وجه اتصال هذه الآية بما قبلها ان الله تعالى امر اهل الكتاب باتباع ملة ابراهيم ومن ملته تعظيم بيت الله الحرام فذكر تعالى البيت وفضله وحرمته وما يتعلق به في قوله ان اول بيت وضع للناس قوله تعالى قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون. قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وانتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون. اللغة البغية الطلب يقال بغيت الشيء ابغيه قال عبد بني الحسحاس بغاك وما تبغيه حتى وجدته كأنك قد واعدته امس موعدا اي طلبك وما تطلبه ويقال ابغني بكذا بكسر الهمزة اي اطلبه لي واصله ابغ لي فحذف اللام لكثرة الاستعمال واذا قلت ابغني بفتح الهمزة بمعناه اعني على طلبه ومثله احلبني واحلبني والمسني والمسني اي اعني على الجانب العوج بفتح العين مثل كل شيء منتصب نحو الحائط والعوج بكسر العين هو الميل عن الاستواء في طريق الدين وفي القول وفي الارض ومنه قوله لا ترى فيها عوجا ولا امتا. الاعراب من آمن في موضع نصب بانه مفعول تصدون والكناية في قوله تبغونها ترجع الى السبيل المعنى ثم عاد الكلام الى حجاج اهل الكتاب فقال تعالى مخاطبا للنبي صلى الله عليه وآله يأمره بخطاب اليهود والنصارى وقيل اليهود خاصة قل يا اهل الكتاب اي قل يا محمد لهم لم تكفرون بآيات الله اي بالمعجزات التي آتاها محمد والعلامات التي ما وافقت في صفته ما تقدمت البشارة به وسماهم اهل الكتاب وان لم يعملوا به ولم يجز مثل ذلك في اهل القرآن لوجهين احدهما ان القرآن اسم خاص لكتاب الله تعالى واما الكتاب فلا يمنع عن ذلك ويجوز ان يراد به اهل الكتاب المحرف من جهته والثاني الاحتجاج عليهم بالكتاب لاقرارهم به فكانه قيل يا من يقر بانه من اهل كتاب الله لم تكفرون بآيات الله ولفظه لفظ الاستفهام والمراد به التوبيخ وانما جاء التوبيخ على لفظ الاستفهام من حيث انه سؤال لا يجيزهم العذر فكانه قال هاتوا العذر في ذلك ان امكنكم والله شهيد على ما تعملون اي حفيظ على اعمالكم محص لها ليجازيكم عليها وقيل معناه مطلع عليها عالم بها مع قيام الحجة عليكم بها وقال الحسن في هذا الموضع قل يا اهل الكتاب وفي موضع آخر يا اهل الكتاب لانه سبحانه خاطبهم في موضع على جهة التلطف في استدعائهم الى الايمان واعرض عن خطابهم في موضع آخر وامر نبيه بمخاطبتهم استخفافا بهم لصدهم عن الحق قل يا محمد يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن به اي لم تمنعون المؤمنين عن دين الاسلام الذي هو دين الله وسبيله واختلف في كيفية صدهم عن سبيل الله فقيل انهم كانوا يغرون بين الاوس والخزرج بتذكيرهم الحروب التي كانت بينهم في الجاهلية حتى تدخلهم الحمية والعصبية فينسلخوا من الدين عن زيد بن اسلم فعلى هذا يكون الآية في اليهود خاصة وقيل الآية في اليهود والنصارى ومعناها لم تصدون بالتكذيب بالنبي وان صفته ليست في كتبكم عن الحسن وقيل بالتحريف والبهت عن الاصم تبغونها عوجا اي تطلبون لسبيل الله عوجا عن سمت الحق وهو الضلال وكانوا يدعون انهم على دين الله وسبيله فقال انهم ابغوها ضلالا لا بالشبه التي يدخلونها على الناس وقيل معناه تطلبون ذلك السبيل الا على وجه الاستقامة اي على الوجه الذي ينبغي ان تطلب قوله وانتم شهداء فيه قولان احدهما ان معناه انتم شهداء بتقدم البشارة بمحمد صلى الله عليه وآله في كتبكم فكيف تصدون عنه من تطلبون ولا عذر له عند ولا عذر لكم والاخر ان المراد وانتم عقلاء كما قال سبحانه او القى السمع وهو شهيد اي عاقل وذلك انه يشهد الدلائل الذي يميز به بين الحق والباطل فيما يتعلق بالدين وما الله بغافل عما تعملون هذا تهديد لهم على كفرهم قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين. وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم. اللغة الطاعة موافقة الارادة الجاذبة للفعل بالترغيب فيه والاجابة موافقة الارادة الداعية الى الفعل ولذلك يجوز

يجوزان يكون سبحانه مجيبا لعباده اذا فعل ما دعا العبد به ولم يجز ان يكون مطيعا له واصل الاعتصام الامتناع وعصمه يعصمه اذا منعه ولا عاصم اليوم من امر الله اي لا مانع والاعتصام بالحبل لانه يعتصم به والاعتصام الاتصال لامتناعها بالحبال. النزول نزلت في الاوس والخزرج لما اغرى قوم من اليهود بينهم بذكر حروبهم في الجاهلية ليفتنوهم عن دينهم عن زيد بن اسلم والسدي وقيل نزلت في قوله وكيف تكفرون في مشركي العرب عن الحسن المعنى ثم حذر سبحانه المؤمنين عن قبول قولهم فقال يا ايها الذين آمنوا اي صدقوا الله ورسوله وهو خطاب للاوس والخزرج ويدخل غيرهم من المؤمنين في عموم اللفظ ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب معناه ان تطيعوا هؤلاء اليهود في قبول قولهم واحياء الضغائن التي كانت بينكم في الجاهلية يردوكم بعد ايمانكم كافرين اي يرجعوكم كفارا بعد ايمانكم ثم اكد سبحانه الامر وعظم الشأن فقال وكيف تكفرون اي على اي حال يقع منكم الكفر وانتم تتلى عليكم آيات الله وهو استبعاد ان يقع منهم الكفر مع معرفتهم بآيات الله وفيهم داع يدعوهم الى الايمان وقيل هو على التعجب اي لا ينبغي لكم ان تكفروا مع ما يقرأ عليكم في القرآن المجيد من الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى ونبوة نبيه صلى الله عليه وآله وفيكم رسوله يعني محمدا ترون معجزاته والكفر وان كان فظيعا في كل حال فهو في مثل هذه الحالة افظع ويجوز ان يكون المراد بقوله وفيكم رسوله القوم الذين كان النبي صلى الله عليه وآله بين اظهرهم خاصة ويجوز ان يكون المراد به جميع امته لان آثاره وعلاماته من القرآن وغيره فينا قائمة باقية وذلك بمنزلة وجوده فينا حيا ومن يعتصم بالله ورسوله اي يتمسك بكتابه وآياته وبدينه وقيل من يمتنع بالله عن سواه بان يعبده لا يشرك به شيئا وقيل من يمتنع من الكفر والهلاك بالايمان بالله وبرسوله فقد هدي الى صراط مستقيم الى طريق واضح قال قتادة وفي هذه الآية علمان بينان كتاب الله ونبي الله فاما نبي الله فقد مضى واما كتاب الله فابقاه الله بين اظهركم رحمة منه ونعمة فيه حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته وقيل انهم قد شاهدوا له معجزات كثيرة منها انه كانت يرى من خلفه كما يرى من قدامه ومنها انه كان ينام عينه ولا ينام قلبه ومنها ان ظله لم يقع على الارض ومنها انه لم يقع الذباب عليه ومنها ان الارض تبتلع ما يخرج منه فكان لا يرى له بول ولا غائط ومنها انه كان لا يطول له احد وان طال ومنها انه كان بين كتفيه خاتم النبوة ومنها انه كان اذا مر بموضع يعلمه الناس لطيبه ومنها انه كان يسطع نور من جبهته في الليلة المظلمة ومنها انه قد ولد مختونا الى غير ذلك من الآيات قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون. واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون. اللغة تقاة من وقيت قال الزجاج يجوز فيه ثلاثة اوجه تقاة وتقية وتقاء جمعه على قياس وجه ووجوه وان كان هذا المثال لم يجئ منه شيء على الاصل نحو تخمة وتكاة غير انه حمله على الاكثر من نظائره الحبل السبب الذي يوصل به الى البغية كالحبل الذي يتمسك به للنجاة من بئر ونحوها ومنه الحبل الامان لانه سبب النجاة قال الاعشى واذا تجوزها حبال قبيلة اخذت من الاخرى اليك حبالها ومنه الحبل للحمل في البطن واصل الحبل الفتل قال ذو الرمة هل حبل خرقاء بعد اليوم مرموم ام هل لها آخر الايام تكليم وشفا الشيء مقصور حرفه ويثنى شفوان وجمعه اشفاء واشفى على الشيء اشرف عليه واشفى المريض على الموت من ذلك. الاعراب قوله وانتم مسلمون جملة في موضع الحال وقوله جميعا نصب على الحال ايضا اي واعتصموا في

حال اجتماعكم اى كونوا مجتمعين على الاعتصام ولا تفرقوا اصله ولا تتفرقوا فحذف احدى التائين كراهة اجتماع المثلين
والمحل وفي الثانية لان الاولى علامة الاستقبال وهو مجزوم بالنهي وعلامة الجزم سقوط النون وقوله
فانقذكم منها الكناية في منها عائدة الى الحفرة وترك شفا ومثله قول العجاج طول الليالي اسرعت في نقضي
طوين طولي وطوين عرضي فترك الطول واخبر عن الليالي النزول قال مقاتل افتخر رجلان من الخزرج و
الاوس ثعلبة بن غنم من الاوس واسعد بن زرارة من الخزرج فقال الاوسي منا خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين
ومنا حنظلة غسيل الملائكة ومنا عاصم بن ثابت بن افلح حمي الدين ومنا سعد بن معاذ الذي اهتز عرش الرحمن له
ورضي الله بحكمه في بني قريظة وقال الخزرجي منا اربعة احكموا القرآن ابي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت
وابو زيد ومنا سعد بن عبادة خطيب الانصار ورئيسهم فجرى الحديث بينهما فغضبا وتفاخرا وناديا فجاء
الاوس الى الاوسي والخزرج الى الخزرجي ومعهم السلاح فبلغ ذلك النبي صلعم فركب حمارا واتاهم فانزل الله
الايات فقرأها عليهم فاصطلحوا المعنى لما نهى سبحانه عن قبول اقوال الكافرين بين في هذه الآيات ما يجب
قوله فقال يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته معناه اتقوا الله اتقوا عذاب الله اى احترسوا وامتنعوا
بالطاعة من عذاب الله كما يحق وكما يجب ان يتقى وينبغي ان يحترس منه وذكر في قوله حق تقاته وجوه احدها
ان معناه ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى عن ابن مسعود والحسن وقتادة وهو المروي
عن ابي عبد الله عليه السلام وثانيها انه اتقاء جميع معاصيه عن الجبائي وثالثها انه المجاهدة في الله وان لا تأخذه فيه
لومة لائم وان يقام له بالقسط في الخوف والامن عن مجاهد ثم اختلف فيه على قولين احدهما انه منسوخ
بقوله فاتقوا الله ما استطعتم عن قتادة والربيع والسدي وهو المروي عن ابي عبد الله وابي جعفر عليهما السلام
والآخر انه غير منسوخ بقوله فاتقوا الله ما استطعتم عن قتادة والربيع والسدي وهو المروي عن ابي جعفر
وابي عبد الله عليهما السلام والآخر انه غير منسوخ عن ابن عباس وطاوس وانكر الجبائي نسخ الآية لما فيه من اباحة
بعض المعاصي قال الرماني والذي عندي انه اذا وجه قوله اتقوا الله حق تقاته على ان يقوموا له بالحق في
الخوف والامن لم يدخل عليه ما ذكره ابو علي لانه لا يمتنع ان يكون اوجب عليهم ان يتقوا الله على كل حال ثم
اباح ترك الواجب عند الخوف على النفس كما قال الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان وقوله ولا تموتن الا
وانتم مسلمون قد ذكرنا في سورة البقرة ان معناه لا تتركوا الاسلام وكونوا عليه حتى اذا ورد عليكم الموت
صادفكم عليه وانما قال بلفظ النهي عن الموت من حيث ان الموت لا بد منه وانما النهي في الحقيقة عن ترك
الاسلام لئلا يهلكوا بالانقطاع عن التمكن منه بالموت الا انه وضع كلام موضع كلام على جهة تصرف الابدال
لحسن الاستعارة وزوال اللبس وروي عن ابي عبد الله عم وانتم مسلّمون بالتشديد ومعناه مستسلمون لما
اتى به النبي صلعم ومنقادون له واعتصموا بحبل الله اى تمسكوا به وقيل امتنعوا به وقيل في معنى
حبل الله اقوال احدها انه القرآن عن ابي سعيد الخدري وعبد الله وقتادة والسدي وروي ذلك مرفوعا
وثانيها انه دين الله والاسلام عن ابن عباس وابن زيد وثالثها ما رواه ابان بن تغلب عن جعفر بن محمد قال نحن حبل الله
الذي قال واعتصموا بحبل الله جميعا والاولى حمله على الجميع والذي يؤيده ما رواه ابو سعيد الخدري عن النبي
صلعم انه قال ايها الناس اني قد تركت فيكم خليفتين ان اخذتم بهما لن تضلوا بعدي احدهما اكبر من الآخر كتاب الله
حبل ممدود من السماء الى الارض وعترتي اهل بيتي الا وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض ولا تفرقوا
معناه ولا تتفرقوا عن دين الله الذي امركم فيه بلزوم الجماعة والائتلاف على الطاعة واثبتوا عليه عن ابن مسعود
وقتادة وقيل معناه ولا تتفرقوا عن رسول الله صلعم عن الحسن وقيل عن القرآن بترك العمل به واذكروا نعمة الله

عليكم

عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم قيل اراد ما كان بين الاوس والخزرج من الحروب التي تطاولت مائة وعشرين
سنة الى ان ألف الله بين قلوبهم بالاسلام فزالت تلك الاحقاد عن ابن اسحاق وقيل هو ما كان بين مشركي
العرب من الطوائل عن الحسن والمعنى احفظوا نعمة الله ومنته عليكم بالاسلام وبالائتلاف ورفع ما كان بينكم
من التنازع والاختلاف فهذا هو النفع الحاصل لكم في العاجل مع ما اعد لكم من الثواب الجزيل في الآجل اذ كنتم
اعداء فألف بين قلوبكم بجمعكم على الاسلام ورفع البغضاء والشحناء عن قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا متواصلين
احبابا متحابين بعد ان كنتم متعادين متحاربين وصرتم بحيث يقصد كل واحد منكم مراد الآخر لان اصل
الاخ من توخى الشيء اذا قصده وطلبه وكنتم على شفا حفرة من النار وكنتم يا اصحاب محمد على طرف حفرة من جهنم
لم يكن بينكم وبينها الا الموت فانقذكم منها بان ارسل اليكم رسولا هداكم للايمان ودعاكم اليه فنجوتم
باجابته من النار وانما قال فانقذكم منها وان لم يكونوا فيها لانهم كانوا بمنزلة من هو فيها من حيث كانوا مستحقين
لدخولها قال الحوزي قرأ ابن عباس وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها واعرابي يسمع فقال والله ما
انقذهم منها وهو يريد ان يقحمهم فيها فقال ابن عباس اكتبوها كذلك يبين الله اى مثل البيان الذي
تلي عليكم يبين الله لكم الآيات والحجج فيما امركم به ونهاكم عنه لعلكم تهتدون اى لكي تهتدوا الى الحق

قوله تعالى ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون
ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم • آيتان

اللغة الامة اشتقاقها من الام الذي هو القصد وفي اللغة يستعمل على ثمانية اوجه منها الجماعة ومنها
اتباع الانبياء لاجتماعهم على مقصد واحد ومنها القدوة لانه يأتم به الجماعة ومنها الدين والملة
كقوله انا وجدنا آباءنا على امة ومنها الحين والزمان كقوله تعالى وادكر بعد امة والى امة معدودة ومنها
القامة يقال رجل حسن الامة اى القامة ومنها النعمة ومنها الام بلغة بعض الاعراب منكم امة من ههنا
للتبعيض على قول اكثر المفسرين لان الامر بالمعروف وانكار المنكر ليس بواجبين على الاعيان وهما من فروض
الكفايات فاى فرقة قامت بهما سقطا عن الباقين ومن قال انهما من فروض الاعيان قال ان من ههنا
للتبيين وتخصيص المخاطبين من بين سائر الاجناس كقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان وقول الشاعر
اخو رغائب يعطيها ويسألها يأبى الظلامة منه النوفل الزفر اى هو النوفل الزفر لا وصفه باعطاء الرغائب والنوفل
الكثير العطاء والزفر الذي يحمل الاثقال المعنى ولتكن منكم امة اى جماعة يدعون الى الخير اى الدين
ويأمرون بالمعروف اى بالطاعة وينهون عن المنكر اى المعصية واولئك هم المفلحون اى الفائزون
وقيل هو كل ما امر الله ورسوله به فهو معروف وما نهى الله ورسوله عنه فهو منكر وقيل المعروف ما يعرف حسنه
عقلا او شرعا والمنكر ما ينكره الشرع او العقل وهذا يرجع في المعنى الى الاول وروي عن ابي عبد الله عليه السلام
ولتكن منكم ائمة وكنتم خير ائمة اخرجت للناس وفي هذه الآية دلالة على وجوب الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر وعظم محلهما وموقعهما من الدين لانه تعالى علق الفلاح بهما واكثر المتكلمين على انهما من فروض الكفايات ومنهم
من قال انهما من فروض الاعيان واختاره الشيخ ابو جعفر قدس الله روحه والصحيح ان ذلك انما يجب بالسمع وليس في
العقل ما يدل على ذلك اذا كان على سبيل دفع الضرر وقال ابو علي الجبائي يجب عقلا والسمع يؤكده ومما ورد فيه
ما رواه الحسن عن النبي صلعم قال من امر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في ارضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه
وعن درة بنت ابي لهب قالت جاء رجل الى النبي صلعم وهو على المنبر فقال يا رسول الله من خير الناس فقال آمرهم
بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله وارضاهم وقال ابو الدرداء لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر

او ليسلطن الله عليكم سلطانا ظالما لا يجل كبيركم ولا يرحم صغيركم ويدعو اخياركم فلا يستجاب لهم وتستنصرون
فلا تنصرون وتستغفرون فلا تغفرون وقال حذيفة يأتي على الناس زمان لا يكون فيهم جيفة حمار احب
اليهم من مؤمن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ثم امر الله تعالى بالجماعة وترك الفرقة فقال سبحانه ولا تكونوا كالذين
تفرقوا وهم اليهود والنصارى عن الحسن والربيع مخاطبة ليا ايها الذين امنوا ولا تكونوا كاليهود والنصارى اختلفوا
قيل معناه تفرقوا ايضا وذكرها للتاكيد واختلاف اللفظين كقول الشاعر من دونه متنائيا عنه ويبعد وقيل معناه
كالذين تفرقوا بالعداوة واختلفوا بالديانة من بعد ما جاءتهم البينات اي الحجج والكتب بين لهم الطرق اولئك
لهم عذاب عظيم عقوبة على تفرقهم واختلافهم بعد مجيء الايات والبينات وظاهر الاية يدل على تحريم الاختلاف
في الدين وان ذلك مذموم قبيح منهي عنه قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم
اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون • واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون
بيان الاعراب العامل في قوله يوم قوله عظيم وتقديره عذابهم يوم تبيض وجوه ولا يجوز ان يكون العامل
فيه عذاب لانه موصوف قد فصلت صفته بينه وبين معموله لكن يجوز ان يعمل فيه الجملة لانها في معنى يعذبون
كما يقول المال لزيد يوم الجمعة فالعامل الفعل والجملة خلف منه وجواب اما في قوله فاما الذين اسودت وجوههم
محذوف وتقديره فاما الذين اسودت وجوههم فيقال لهم اكفرتم فحذف لدلالة اسوداد الوجه على حال التوبيخ
حتى كانه ناطق به وقد يحذف القول في مواضع كثيرة استغناء بما قبله من البيان كقوله ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا
رؤسهم عند ربهم ربنا ابصرنا اي يقولون ربنا ابصرنا لدلالة تنكيس الرأس من المجرمين على سؤال الاقالة ومثله
كثير المعنى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه اخبر تعالى بوقت ذلك العذاب اي يثبت لهم العذاب في يوم هذه
صفته وانما تبيض فيه وجوه المؤمنين وتسود فيه وجوه الكافرين عقوبة لهم على الكفر والسيئات بدلالة ما بعده
وهو قوله فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم اي يقال لهم اكفرتم بعد ايمانكم واختلف فيمن عنوا به على اقوال احدها
انهم الذين كفروا بعد اظهار الايمان بالنفاق عن الحسن وثانيها انه يرجع للكفار لاعراضهم عما وجب عليهم الاقرار به
من التوحيد حين اشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى فيقول اكفرتم بعد ايمانكم يوم الميثاق عن ابي بن كعب وثالثها انهم
اهل الكتاب كفروا بالنبي بعد ايمانهم به اي بنعته وصفته قبل مبعثه عن عكرمة واختاره الزجاج والجبائي
ورابعها انهم اهل البدع والاهواء من هذه الامة عن علي عم ومثله عن قتادة انهم الذين كفروا بالارتداد وروي
عن النبي صلعم انه قال والذي نفسي بيده ليردن على الحوض ممن صحبني اقوام حتى اذا رأيتهم اختلجوا دوني فلاقولن اصيحابي
اصيحابي فيقال انك لا تدري ما احدثوا بعدك انهم ارتدوا على اعقابهم القهقري ذكره الثعلبي في تفسيره وقال
ابو امامة الباهلي هم الخوارج وروي عن النبي صلى الله عليه وآله يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية والالف في
اكفرتم بعد ايمانكم اصله الاستفهام والمراد به هاهنا التقريع اي لم كفرتم والمراد به التقرير اي قد كفرتم فذوقوا
العذاب بما كنتم تكفرون انما قال بلفظ الذوق على التوبيخ ومعناه انظروا ما صار اليه عاقبتكم من عذاب الله تعالى
بما كنتم تكفرون اي بكفركم واما الذين ابيضت وجوههم وهم المؤمنون ففي رحمة الله اي ثواب الله وقيل جنة الله
هم فيها خالدون اعاد كلمة الظرف وهي قوله فيها تاكيدا لتمكين المعنى في النفس وقيل انما اعادها لانه دل بقوله ففي
رحمة الله على دخالهم في الرحمة وبقوله هم فيها خالدون على خلودهم فيها وسمى الله سبحانه الثواب رحمة لان
الرحمة نعمة يستحق بها الشكر وكل نعمة تفضل والوجه في ذلك ان سبب الثواب الذي هو التكليف تفضل فيكون
الثواب على هذا الوجه تفضلا وانما جاز ان يكون تفضلا لانه بمنزلة انجاز الوعد فانه تفضل مستحق
لان المبتدي به قد كان له ان لا يفعله فلما فعله وجب عليه الوفاء به لان الخلف قبيح وهو مع ذلك

تفضل

تفضل وقال بعضهم المراد بابيضاض الوجوه اشراقها واستبشارها بالسرور بنيل البغية والظفر بالمنية والاستبشار
بما يصير اليه من الثواب كقوله وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة والمراد باسودادها ظهور اثر الحزن
عليها لما يصير اليه من العقاب كقوله تعالى ووجوه يومئذ عليها غبرة وفي هذا القول عدول عن حقيقة اللفظ من غير ضرورة
والاول اصح قوله تعالى تلك ايات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين • ولله ما في السموات
وما في الارض والى الله ترجع الامور بيان المعنى تلك ايات الله التي قد جرى ذكرها حجج الله وعلاماته وبيناته
نتلوها عليك نقرأها عليك يا محمد وعلى امتك ونذكرها لك ونعرفك اياها ونقصها عليك بالحق اي بالحكمة و
الثواب وما الله يريد ظلما للعالمين معناه لا يظلمهم بان يحملهم من العقاب ما لم يستحقوه او ينقصهم من الثواب عما
استحقوها وانما يظلم من يظلم لجهله بقبح الظلم او لحاجته اليه من دفع ضرر او جر نفع تعالى الله عن صفة الجهل والحاجة
وسائر صفات النقص علوا كبيرا وكيف يجوز ان يظلم احدا وهو الذي خلقهم وانشأهم واتاهم من النعم ما لم يحصوا
اليهم وعرضهم بها لما هو اعظم منها قدرا واجل خطرا وهو نعيم الاخرة ثم ذكر تعالى وجه غناه عن الظلم فقال ولله
ما في السموات وما في الارض ملكا وملكا وخلقا والى الله ترجع الامور اختلفوا في كيفية رجوع الامر اليه تعالى فقيل
ان الامور يذهب بالفناء ثم يعيدها الله تعالى للمجازاة وقيل ان الله تعالى قد ملك عباده في الدنيا امورا وجعل لهم
تصرفا ويزول جميع ذلك في الاخرة ويرجع اليه كله كما قال سبحانه لمن الملك اليوم وفي وقوع المظهر موضع المضمر في قوله
والى الله ترجع الامور قولان احدهما ليكون كل واحد من الكلامين مكتفيا بنفسه ليكون اقوى في الذكر والوضع موضع
تفخيم وليس كقول الشاعر لا ارى الموت يسبق الموت شيء نغص الموت ذا الغنى والفقيرا لان البيت مفتقر الى الضمير
والاية مستغنية عنه قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر
وتؤمنون بالله ولو امن اهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون • بيان المعنى لما تقدم ذكر الامر
والنهي عقبه سبحانه بذكر من تصدى القيام بذلك ومدحهم ترغيبا في الاقتداء بهم فقال كنتم خير امة
اخرجت للناس قيل فيه ثلاثة اقوال احدها ان معناه انتم خير امة وانما قال كنتم خير امة لتقدم البشارة
بهم في الكتب الماضية عن الحسن ويعضده ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال انتم وفيتم سبعين امة انتم خيرها
واكرمها على الله عز وجل وثانيها ان المراد كنتم خير امة عند الله في اللوح المحفوظ عن الفراء والزجاج وثالثها ان كان
تامة وخير امة نصب على الحال ومعناه وجدتم خير امة ورابعها ان كان مزيدة دخولها كخروجها الا ان فيها
تاكيدا لوقوع الامر لا محالة لانه بمنزلة ما قد كان في الحقيقة فهي بمنزلة قوله واذكروا اذ انتم قليل وفي موضع اخر
اذ كنتم قليلا فكثركم ونظيره قوله وكان الله غفورا رحيما لان مغفرته السابقة كالماضية في تحقيق الوقوع
وخامسها ان كان بمعنى صار كقول الشاعر فخر على الالاءة لم يوسد وقد كان الدماء له خمارا ومعناه صرتم
خير امة خلقت لامركم بالمعروف ونهيكم عن المنكر وايمانكم بالله فيصير هذه الخصال على هذا القول شرطا
في كونهم خيرا وقد روي عن بعض الصحابة انه قال من سره ان يكون من هذه الامة فليؤد شرط الله تعالى فيها من
الايمان بالله والامر بالمعروف والنهي عن المنكر واختلف في المعني بالخطاب فقيل هم المهاجرون خاصة عن ابن عباس
والسدي وقيل نزلت في ابن مسعود وابي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى ابي حذيفة عن عكرمة وقيل هم اصحاب
رسول الله صلعم خاصة عن الضحاك وقيل هو خطاب للصحابة ولكنه يعم سائر الامة ثم ذكر مناقبهم فقال
تأمرون بالطاعة بالمعروف وتنهون عن المعاصي عن المنكر وقيل ان القبيح ايضا يعرف انه قبيح فلم خص
الحسن باسم المعروف وجوابه ان القبيح بمنزلة ما لا يعرف لخموله وسقوطه وجعل الحسن بمنزلة البين الجليل
لانه يعرف لنباهته وعلو قدره وتؤمنون بالله اي بتوحيده وعدله ودينه ولو امن اهل الكتاب الذين صدقوا

بالنبي وبما جاء به لكان خيراً لهم اي لكان ذلك الايمان خيراً لهم في الدنيا والآخرة لانهم ينجون بها في الدنيا
من القتل وفي الآخرة من العذاب ويفوزون بالجنة منهم اي من اهل الكتاب المؤمنون اي المعترفون بما دلت عليه
كتبهم من صفة نبينا صلعم والبشارة به كعبد الله بن سلام واصحابه من اليهود والنجاشي واصحابه من النصارى و
اكثرهم الفاسقون اي الخارجون عن طاعة الله وانما وصفهم بالفسق دون الكفر الذي هو اعظم لان الغرض
الايذان بانهم خرجوا عما يوجبه كتابهم من الاقرار بالحق في نبوة نبينا صلعم وقيل لانهم في الكفار بمنزلة الفساق
في العصاة لخروجهم الى الحال الفاحشة التي هي اشنع وافظع قوله تعالى لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم
يولوكم الادبار ثم لا ينصرون ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس
وباؤوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق
ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون • الاعراب الا اذى استثناء متصل وقوله اذى في تقدير النصب
ومعناه لن يضروكم الا ضرراً يسيراً فالاذى وقع موقع المصدر وقيل هو استثناء منقطع لان الاذى ليس
من الضرر كقوله لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً الا حميماً وغساقاً قال علي بن عيسى هذا ليس بصحيح لان الكلام
اذا امكن فيه الاستثناء الحقيقي لم يجز حمله على المنقطع وان يقاتلوكم شرط ويولوكم جزاء وعلامة الجزم فيهما سقوط
النون وقوله ثم لا ينصرون رفع على الاستيناف ولم يجزم على العطف لان سبب التولية القتال وليس كذلك منع
النصر لان سببه الكفر ولان رفعه اشكل برؤس الآي المتقدمة وهو على ذلك عطف جملة على جملة والباء من قوله بحبل
صلة على معنى ضربت عليهم الذلة بكل حال الا بحبل وقال الفراء العامل فيه محذوف وتقديره الا ان يعتصموا
بحبل من الله وانشد رأتني بحبليها فصدت مخافة وفي الحبل روعاء الفؤاد فروق اراد رأتني اقبلت بحبليها فحذف
العامل في الباء وقال الآخر في الحظ ويحسب من رآني ولست مقيداً انني بها دان اي قيدت بقيد قال علي بن عيسى
ما ذكره الفراء ضعيف من وجهين احدهما ان حذف الموصول على البصريين لا يجوز لانه اذا احتاج الى صلة يبين
عنه فالحاجة الى البيان عنه بذكره اشد وانما يجوز حذف الشيء للاستغناء عنه بدلالة غيره عليه فلو دل دليل
عليه لحذف مع صلته لانهما بمنزلة شيء واحد والوجه الآخر ان الكلام اذا صح معناه من غير حذف لم يجز تأويله
على الحذف وقيل في هذا الاستثناء انه منقطع لان الذلة لازمة لهم على كل حال فجرى مجرى قوله وما كان لمؤمن
ان يقتل مؤمناً الا خطأ فان الاعراب موجود والعامل على الانقطاع ومثل لا يسمعون فيها لغواً الا سلاماً وكل
انقطاع ففيه ازالة الايهام الذي يلحق الكلام وقوله لا يسمعون فيها لغواً قد يوهم انه من حيث لا يسمعون فيها اللغو
لا يسمعون كلاماً فقيل الا ان لهم سلاماً وقوله كذلك وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمناً قد يوهم ان لا يقتل مؤمن مؤمناً
على وجه فقيل الا خطأ وكذلك ضربت عليهم الذلة قد يوهم انه من غير جواز موادعة فقيل الا بحبل
وقيل ان الاستثناء متصل لان عز المسلمين عزلهم بالذمة وهذا لا يخرجهم من الذلة في انفسهم النزول قال مقاتل
ان رؤس اليهود مثل كعب بن الاشرف وابي رافع وابي ياسر وكنانة وابن صوريا عمدوا الى مؤمنيهم كعبد الله بن سلام واصحابه فآذوهم
لاسلامهم فنزلت الآية المعنى لن يضروكم الا اذى وعد الله المؤمنين انهم منصورون وان اهل الكتاب لا يقدرون
عليهم ولا ينالهم مضرة الا اذى من جهة القول ثم اختلفوا في هذا القول فقيل هو كذبهم على الله وتحريفهم كتاب الله وقيل هو ما
كانوا يسمعون المؤمنين من الكلام المؤذي وان يقاتلوكم اي وان تجاوزوا الايذاء باللسان الى القتال والمحاربة يولوكم
الادبار منهزمين ثم لا ينصرون اي لا يعاونون لكفرهم وفي هذه الآية دلالة على صحة نبوة نبينا صلعم لوقوع مخبره
على وفق خبره لان يهود المدينة من بني قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر الذين حاربوا النبي والمسلمين ثم لم
يثبتوا لهم قط وانهزموا ولم ينالوا من المسلمين الا السب والطعن ضربت عليهم الذلة اي اثبتت عليهم الذلة

ازالت بهم وجعلت محيطة بهم وهو استعارة من ضرب القباب والخيام عن ابي مسلم وقيل معناه الزموا الذلة
فثبتت فيهم من قولهم ضرب فلان الضريبة على عبده اي الزمها اياه قال الحسن ضربت الذلة على اليهود فلا يكون لهم
منعة وقيل معناه فرضت عليهم الجزية والهوان فلا يكونون الا بالجزية في موضع وقيل ادركهم الاسلام
وهم يؤدون الجزية الى المجوس اينما ثقفوا اي وجدوا او ثقفوا الاخذ والظفر بهم الا بحبل من الله اي
بعهد من الله وعهد من الناس على وجه الذمة وغيرها من وجوه الامان عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة
وسمي العهد حبلاً لانه يتمسك به على الامان كما يتعلق المتعلق بالحبل وباؤوا بغضب من الله اي رجعوا بالغضب
الذي سوغ عقابه ولعنه وقيل معناه استوجبوا غضباً من الله وضربت عليهم المسكنة اي الذلة لان المسكين
لا يكون الا ذليلاً فسمي الذلة مسكنة عن ابي مسلم وقيل لان المراد به الفقر لان اليهود ابداً يتفاقرون وان
كانوا اغنياء وقد ذكرنا تفسير ما في هذه الآية في سورة البقرة النظم وجه اتصال الآية بما قبلها اتصال
البشارة بالظفر لما تقدم الامر من المحاربة لان الامر قد تقدم بانكار المنكر وقيل لما تقدم ان اكثرهم
الفاسقون اتصل بما يسكن قلوب المؤمنين من عاديتهم ويؤمن من مضرتهم قوله تعالى ليسوا سواء من
اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون • يؤمنون بالله واليوم الآخر
ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات واولئك من الصالحين • اللغة
قيل في واحد آناء قولان احدهما انى مثل نحي والآخر انى مثل معي قال الشاعر حلو ومر كعطف القدح
مرته بكل انى حذاه الليل ينتعل وحكى الاخفش انو بالواو والمسارعة المبادرة ومن السرعة والفرق بين
السرعة والعجلة ان السرعة هي التقدم فيما يجوز ان يتقدم فيه وهي محمودة وضدها الابطاء وهو مذموم
والعجلة التقدم فيما لا ينبغي ان يتقدم فيه وهي مذمومة وضدها الاناة وهي محمودة النزول
قيل سبب نزول الآية انه لما اسلم عبد الله بن سلام وجماعة قالت احبار اليهود ما آمن بمحمد الا اشرارنا فانزل
الله تعالى ليسوا سواء الى قوله من الصالحين عن ابن عباس وقتادة وابن جريج وقيل انها نزلت في اربعين من اهل
نجران واثنين وثلثين من اهل الحبشة وثمانية من الروم كانوا على عهد عيسى فصدقوا محمداً عن عطاء المعنى
ليسوا سواء اختلفوا في تقديره فالقول الصحيح ان هذا وقف تام وقوله من اهل الكتاب ابتداء كلام ومعنا
ليس الذين ذكرنا من اهل الكتاب سواء اي ليس الذين آمنوا من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه والذين
لم يؤمنوا سواء في الدرجة والمنزلة ثم استأنف وبين افتراقهم فقال من اهل الكتاب امة قائمة فحصل بهذا
بيان الافتراق وهذا كما لو اخبر انسان عن قوم بخبر فقال بنو فلان يعملون كذا وكذا ثم قال ليسوا سواء
فان منهم من يفعل كذا وكذلك لو قيل القوم مشهورون بالبخل والجبن فقال غيره ليسوا سواء منهم الجواد ومنهم
الشجاع فيكون منهم الجواد ومنهم الشجاع ابتداء كلام وقال ابو عبيدة وهو على لغة من قال اكلوني البراغيث
ومثله قوله ثم عموا وصموا كثير منهم وقول الشاعر ورأين الغواني الشيب لاح بعارضي فاعرضن عني بالخدود
النواضر قال الزجاج والرماني ليس الامر كما قال لان ذكر اهل الكتاب قد جرى فاخبر الله تعالى انهم غير
متساوين ولان هذه اللغة ردية في القياس والاستعمال وقال الفراء المعنى منهم امة قائمة وامة غير قائمة
فحذف اكتفاء بذكر احد الفريقين كما قال ابو ذؤيب عصيت اليها القلب اني لامرها مطيع فما ادري
ارشد طلابها ولم يقل ام غي وقال الآخر فلا ادري اهم هم ممته وذو الهم قدماً خاشع متضائل
ولم يقل ام غيره لان حاله في التغير تنبئ ان الهم غيره فعلى هذا يكون رفع امة على معنى الفعل
تقديره لا يستوي امة هادية وامة ضالة وعلى القول الاول رفع على الابتداء وانكر الزجاج هذا القول

وقال ليست بناجاحة هنا الى تقدير محذوف لانه ذكر الفريقين فيما جرى في قوله منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون
ثم قال ليسوا سواء فهو لا يحتاج الى تقدير وامة غير قائمة وقيل تقديره صفتهم في قوله يكفرون بايات الله ويقتلون
الانبياء. وقوله امة قائمة فيه وجوه احدها ان معناها جماعة ثابتة على امر الله تعالى عن ابن عباس وقتادة والربيع وثانيها
عادلة عن الحسن ومجاهد وابن جريج وثالثها قائمة بطاعة الله عن السدي ورابعها انها [illegible] قائمة
مستقيمة عن الزجاج واشتقاقه [illegible] وهل يأتمن ذو امة وهو طائع اي طريقة من طرائق الدين قال علي بن عيسى
وهذا القول ضعيف لانه عدول عن الظاهر وحكم بالحذف من غير دليل يتلون آيات الله يقرؤن كتاب الله وهو
القرآن آناء الليل ساعاته واوقاته عن الحسن والربيع وقيل هي جوف الليل عن السدي وقيل اراد به وقت صلاة العتمة
لان اهل الكتاب لا يصلونها يعني انهم يصلون صلاة العتمة عن ابن مسعود وقيل انها الصلاة ما بين المغرب والعشاء
الآخرة عن الثوري وهي التي تسمى ساعة الغفلة وهم يسجدون قيل اراد السجود المعروف في الصلاة فعلى هذا يكون
معناه وهم مع ذلك يسجدون ويكون الواو لعطف جملة على جملة وقيل معناه يصلون فعبر بالسجود عن الصلاة لان
السجود ابلغ الاركان في التواضع عن الزجاج والفراء والجبائي لان التلاوة لا تكون في السجود ولا في الركوع فعلى هذا يكون
الواو للحال اي يتلون آيات الله بالليل في صلاتهم وهو قول البلخي ايضا يؤمنون بالله اي يوحدونه ويصفونه بصفاته واليوم
الآخر المتأخر عن الدنيا يعني البعث يوم القيامة ويأمرون بالمعروف بالاقرار بنبوة محمد صلعم وينهون عن المنكر
انكار نبوته ويسارعون في الخيرات اي يبادرون الى فعل الخيرات والطاعات خوف الفوات بالموت وقيل معناه
يعملون الاعمال الصالحة غير متثاقلين فيها لعلمهم بجلالة موقعها وحسن عاقبتها واولئك من الصالحين اي من جملتهم
وفي عدادهم وهذا نفي لقولهم ما آمن به الا شرارنا وفي هذه الآية دلالة على عظم موقع صلاة الليل من الله تعالى
وقد صح عن النبي صلعم انه قال ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل الآخر خير له من الدنيا وما فيها ولولا ان
اشق على امتي لفرضتهما عليهم وقال ابو عبد الله عم ان البيوت التي يصلى فيها بالليل بتلاوة القرآن يضيء لاهل السماء
كما يضيء نجوم السماء لاهل الارض وقال عليكم بصلاة الليل فانها سنة نبيكم ودأب الصالحين قبلكم ومطردة
الداء عن اجسادكم قوله تعالى وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين * القراءة قرأ اهل الكوفة
الا ابا بكر بالياء فيهما والباقون بالتاء غير ابي عمرو فكانه كان يخير الحجة وجه القراءة بالياء ان يكون كناية عمن تقدم
ذكره من اهل الكتاب ليكون الكلام على طريقة واحدة ووجه التاء انه خاطبهم وغيرهم من المكلفين ويكون خطابا
للجميع فان حكمهم واحد الاعراب وما تفعلوا ما للمجازاة وتفعلوا مجزوم بالشرط وما مجزوم بالجزاء بكيف
لان ما ممكن من كيف لانها تكون معرفة ونكرة لانها للجنس وكيف لا تكون الا نكرة لانها للحال والحال لا تكون
الا نكرة لانها للفائدة المعنى وما تفعلوا من خير اي من طاعة فلن تكفروه اي لن يمنع منكم جزاؤه وسمى منع الجزاء كفرا
على الاتباع لانه بمنزلة الجحود لما ستر له ومعناه لا يجحد طاعتكم ولا يستر لمنع الجزاء وهذا كما وصف الله تعالى
بانه شاكر وحقيقته انه يثيب على الطاعة ثواب الشاكر على النعمة فلما استعير للثواب الشكر استعير لنقيضه من منع
الثواب الكفر لان الشكر في الاصل هو الاعتراف بالنعمة والكفر ستر النعمة من المنعم عليه فتضييع حقها والله عليم بالمتقين
اي باحوالهم ومجازيهم وانما خص المتقين بالذكر وان كان عليما بالكل لان الكلام اقتضى ذكر جزاء المتقين فقد
بين الله انه لا يضيع شيء من عملهم [illegible] لان المجازي عليم بكل ذلك وهذه الآية تدل على ان شيئا من اعمال
الخير والطاعة لا يبطل البتة خلافا لقول من قال بالاحباط قوله تعالى ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا
اولادهم من الله شيئا واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون * مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها
صر اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم فاهلكته وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون * اللغة

القراءة

يقا

يقال اغنى عنه اذا دفع عنه ضررا لولاه لنزل به واذا قيل اغناه كان [illegible] الاحرف
في الحاجة والغنى لاختصاص ما ينفي الحاجة فان خص بما ينفي الحاجة من الغنى وكذلك بالجاه والاصحاب
وغير ذلك فاما الغنى في صفة الله سبحانه فهو اختصاصه بكونه قادرا على وجه لا يعجزه شيء وقولنا هذا عني
معناه انه لا يجوز عليه الحاجة اصحاب النار وانما سموا بذلك لملازمتهم فيها كما يقال هؤلاء اصحاب الصحراء اذا كانوا
ملازمين لها وكذلك الصحابة لصاحبه بمعنى ملازمته اصحاب الرجل اتباعه واعوانه واصحاب العالم المتعلمون منه
فالاضافات مختلفة واصل الصحابة الملازمة والنار اصلها من النور وهي جسم لطيف فيه حرارة ونور واعتماد علو
والريح واحدة الرياح ومنه الروح لدخول الريح الطيبة على النفس ولذلك الارتياح والروح والراحة من التعب ومنه
الروح لانها كالريح في اللطافة ومنه الرائحة لان الريح يحملها الى الحس والصر البرد الشديد واصله من الصرير وهو الصوت
قال الزجاج الصر صوت لهب النار كانت في تلك الريح ويجوز ان يكون الصر صوت الريح الباردة الشديدة
وذلك من صفات الشمال فانها توصف بان لها قعقعة والصرة شدة الصياح المعنى لما تقدم وصف
المؤمنين عقبه تعالى ببيان حال الكافرين فقال ان الذين كفروا بالله ورسوله لن تغني عنهم اي لن تدفع عنهم
اموالهم ولا اولادهم من عذاب الله شيئا وانما خص الاموال والاولاد بالذكر لان هذين معتمدي
الخلق واعز الاشياء عليهم واذا لم يغنيا عن الانسان شيئا فغيرهما اولى ابعد فاولئك اصحاب النار
اي ملازموها هم فيها خالدون اي دائمون ثم ضرب مثلا لانفاقهم فقال مثل ما ينفقون اي شبه ما
ينفقون اموالهم في هذه الحيوة الدنيا قيل هو ما ينفقون على الكهانة في عداوة الرسول وقيل هو ما انفقه ابو سفيان
واصحابه ببدر واحد لما تظاهروا على النبي وقيل ما انفقه سفلة اليهود على علمائهم وقيل هو مثل لجميع صدقات
الكفار ونفقاتهم في الدنيا عن مجاهد وفي الآية حذف وتقديره مثل اهلاك ما ينفقون كمثل اهلاك
ريح فيها صر فحذف اهلاك لدلالة آخر الكلام عليه وقيل تقديره مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح فيكون
تشبيه ذلك الانفاق بالمهلك من الحرث بالرياح فيها صر قيل برد شديد عن ابن عباس والحسن وقتادة وقيل
السموم الحارة القاتلة عن ابن عباس ايضا اصابت حرث قوم اي زرع ظلموا انفسهم بالمعاصي فظلمهم
اقتضى هلاك حرثهم عقوبة لهم وقيل ظلموا انفسهم بان زرعوا في غير موضع الزراعة او في غير وقتها
فجاءت الريح فاهلكته تأديبا من الله لهم في وضع الشيء غير موضعه الذي هو حقه وما ظلمهم الله باهلاك
زرعهم لانهم استحقوا ذلك بظلمهم وقيل في قتلهم وسبيهم لانهم استحقوها بكفرهم ولكن انفسهم
يظلمون حيث فعلوا ما استحقوا به ذلك قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم
خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر قد بينا لكم الآيات ان
كنتم تعقلون * اللغة البطانة خاصة الرجل الذين يستبطنون امره ماخوذة من بطانة الثوب التي
تلي البدن لقربها منه فهي نقيض الظهارة ويسمى بها الواحد والجمع والمذكر والمؤنث قال الشاعر اولئك خلصاني
نعم وبطانتي وهم عيبتي من دون كل قريب لا يألونكم اي لا يقصرون فيما لكم والا يتركون جهدهم
فيما لكم يقال ما ألوت اي ما فترت وضعفت ونقصت وما الوته خيرا او شرا اي ما قصرت في فعل ذلك وقال
امرؤ القيس وما المرء ما دامت حشاشة نفسه بمدرك اطراف الخطوب ولا آل اي مقصر في الطلب
والخبال الشر والفساد ومنه الخبل بفتح الباء وسكونها الجنون لانه فساد العقل ورجل مخبل الرأي اي
فاسد الرأي ومنه الاستخبال طلب اعارة المال لفساد الزمان * قال زهير هنالك ان يستخبلوا المال
يخبلوا وان يسألوا يعطوا وان ييسروا يغلوا واصل العنت المشقة عنت الرجل يعنت عنتا دخلت عليه

١٨٢

بطانة سم

المشقة والكلفة عنوت صعبة المسالك لمشقة السلوك فيها واعنت فلانا فلان حمله على المشقة الشديدة فيما يطيقه
بر ومنه قوله ولو شاء الله لاعنتكم لاتتخذوا بطانة من دونكم من للتبعيض او التقدير ولا تتخذوا بعض المخالفين في
الدين بطانة ويجوز ان يكون لتبيين الصفة وكانه قال لا تتخذوا بطانة من المشركين وهذا اولى لانهم لا يجوز
ان يتخذ المؤمن كافرا بطانة على كل حال وقيل انه من صلة ايا وهذا غير حسن لان الحرف اذا صح حمله على الفائدة
لا يحكم فيه بالزيادة وقوله خبالا انتصب بانه المفعول الثاني لان الا لا يتعدى الى مفعولين ويجوز ان يكون نصبه
لان المعنى يخبلونكم خبالا وموضع قوله ودوا ما عنتم يجوز ان يكون نصبا بانه صفة لبطانة ويجوز ان يكون لا
موضع له من الاعراب لانه استيناف جملة وما في قوله ودوا ما عنتم مصدرية وتقديره ودوا عنتكم النزول
نزلت في رجال من المسلمين كانوا يواصلون رجالا من اليهود لما كان بينهم من الصداقة والقرابة والجوار والحلف
والرضاع عن ابن عباس وقيل نزلت في قوم من المؤمنين كانوا يصادقون المنافقين ويخالطونهم عن مجاهد
المعنى نهى الله المؤمنين عن موالاة الكفار ومخالطتهم خوفا للفتنة منهم عليهم فقال يا ايها الذين امنوا
اي صدقوا لا تتخذوا بطانة من دونكم اي لا تتخذوا الكافرين اولياء وخواص من دون المؤمنين
تفشون اليهم اسراركم وقوله من دونكم اي من غير اهل ملتكم ثم بين تعالى العلة في المنع من مواصلتهم
فقال لا يالونكم خبالا اي لا يقصرون فيما يؤدي الى افساد امركم ولا يدعون جهدهم في مضرتكم
وقال الزجاج لا يسعون في افسادكم فيما يضركم قال واصل الخبال ذهاب الشيء وقوله ودوا ما عنتم معناه
تمنوا ادخال المشقة عليكم وقيل تمنوا اضلالكم عن دينكم عن السدي وقيل تمنوا ان يفتنوكم في دينكم اي يحملوكم
على المشقة فيه عن ابن جريج وقوله تعالى قد بدت البغضاء من افواههم معناه ظهرت امارات
العداوة لكم على السنتهم وفي فحوى اقوالهم وفلتات كلامهم وما تخفي صدورهم من البغضاء اكبر مما يبدونه
بالسنتهم قد بينا لكم الايات اي اظهرنا لكم الدلالات الواضحات التي يتميز بها الولي من العدو ان كنتم
تعقلون اي تعلمون الفصل بين الولي والعدو وقيل ان كنتم مؤمنين تعقلون مواعظ الله ومنافعها وقيل
ان كنتم عقلاء فقد اتاكم من الله البيان الشافي قوله تعالى ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب
كله واذا لقوكم قالوا امنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور
اية اللغة العض بالاسنان معروف ومنه العض علف الامصار لانه مضغة فالعض يعني علف الامصار
ورجل عض لزاز الخصم لانه يعضه بالخصومة والانامل اطراف الاصابع واصلها النمل المعروف فهو مشتبه به في
الدقة والتصرف بالحركة ومنه رجل نمل اي نمام لانه ينقل الاحاديث لكراهته كنقل النملة في خفاء وكثرة
الاعراب قال الازهري يحتمل ان يكون اولاء منادى في معنى الذين كانه قال ها انتم الذين تحبونهم
ولا يحبونكم وجائز ان يكون تحبونهم حالا وتؤمنون عطف تحبون ولا يجوز ان يكون يقول ها قومك اولاء
كما جاز انتم اولاء لان المضمر احق بهاء التي للتنبيه لانه كالمبهم في عموم ما يصلح له وليس كذلك الظاهر المعنى
ثم بين ما هم عليه من عداوة المؤمنين تاكيدا للنهي عن مصافاتهم فقال ها انتم اولاء تحبونهم وقد ذكر
معناه في الاعراب تقديره ها انتم الذين تحبونهم او ها انتم اولاء محبين لهم اذا قلنا انه في معنى الحال اي تحبونهم
في حال محبتكم اياهم ولا يحبونكم هم لما بينكم من مخالفة الدين وقيل تحبونهم لانكم تريدون لهم الاسلام
وتدعونهم الى الجنة ولا يحبونكم لانهم يريدون لكم الكفر والضلال وفيه الهلاك وتؤمنون بالكتاب كله الكتاب
واحد في موضع الجمع لانه اريد به الجنس كما يقال كثر الدرهم في ايدي الناس ويجوز ان يكون مصدرا من قولك
كتبت كتابا والمراد به كتب الله التي انزلها على انبيائه والمراد وفائدة هذه الصفة من الايمان اشعار بالتفضل

في الاعتقاد ومعناه انكم تصدقون بها في الجملة والتفصيل من حيث تؤمنون بما انزل على ابراهيم وموسى وعيسى
ومحمد صلعم وسائر الانبياء والاعتقاد بالانبياء وهم لا يصدقون بكتابكم واذا لقوكم قالوا امنا معناه واذا راوكم
قالوا صدقنا واذا خلوا مع انفسهم عضوا عليكم الانامل اي اطراف الاصابع من الغيظ اي من الغضب والحنق لما
يرون من ايتلاف المؤمنين واجتماع كلمتهم ونصرة الله اياهم وهذا مثل وليس هناك عض كقول الشاعر اذا راوني
اطال الله غيظهم عضوا من الغيظ اطراف الاباهيم وقول ابي طالب يعضون غيظا خلفنا بالانامل قل يا محمد موتوا بغيظكم
صيغته الامر والمعنى الدعاء عليهم كانه قال اماتكم الله بغيظكم وفيه معنى الذم لهم لانه لا يجوز ان يتحقق عليهم هذا
الدعاء الا وقد استحقوا بما اتوه من القبح وقيل معناه دام لكم هذا الغيظ ما دمتم فيه حتى تموتوا لظهور كلمة الاسلام
ان تولوا ان الله عليم بذات الصدور اي بما يضمرونه من النفاق والغيظ على المسلمين قوله تعالى ان تمسسكم
حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ان الله بما يعملون محيط
اية القراءة قرا نافع وابن كثير وابو عمرو ويعقوب لا يضركم خفيفة مكسورة الضاد والباقون مشددة مضمومة
الضاد والراء وقرا الحسن وابو حاتم تعملون بالتاء على الخطاب وقراءة المشهورة بالياء الحجة من قرا لا يضركم
فهو من ضار يضير ضيرا ومن قرا لا يضركم فهو من ضر يضر ضرا والضير والضر بمعنى واحد وقد جاء في
القران لا ضير واذا مسكم الضر ولا يضركم اصله لا يضرركم فقلبت ضمة الراء الاولى الى الضاد وادغمت
في الراء الثانية بعد ان ضمت اتباعا لاقرب الحركات اليها والعرب تدغم في موضع الجزم واهل الحجاز يظهرون
التضعيف قال الزجاج وهذه الاية جاءت فيها اللغتان جميعا في قوله ان تمسسكم على لغة اهل الحجاز وقوله
لا يضركم على لغة غيرهم من العرب ويجوز لا يضركم ولا يضركم ومن قال بالفتح فلان الفتح خفيف مستعمل
في التقاء الساكنين في التضعيف ومن قال بالكسر فعلى اصل التقاء الساكنين اللغة الكيد والمكيدة
المكر الذي يغتال به صاحبه من جهة حيلة عليه ليقع في مكروه واصله المشقة بقولهم رايت فلانا
يكيد بنفسه اي يقاسي المشقة في سياق الميتة ومنه المكايدة لايراد ما فيه المشقة المعنى ثم اخبر تعالى
عمن تقدم ذكرهم فقال ان تمسسكم حسنة اي ان تصبكم ايها المؤمنون نعمة من الله تعالى عليكم بالالفة واجتماع
كلمة او ظفر بالاعداء تسؤهم اي تحزنهم وان تصبكم سيئة اي محنة باصابة العدو منكم لاختلاف الكلمة
وما يؤدي اليه من الفرقة يفرحوا بها هذا قول الحسن وقتادة والربيع وجماعة المفسرين وان تصبروا على اذاهم وعلى
طاعة الله وطاعة رسوله والجهاد في سبيله وتتقوا الله بالامتناع من معاصيه وفعل طاعاته لا يضركم ايها المؤمنون
كيدهم اي مكر المنافقين وما يحتالون به لكم شيئا يعني لا يقل لكم ولا يكثر لانه سبحانه ينصركم ويدفع شرهم
عنكم ان الله بما يعملون محيط اي عالم بذلك من جميع جهاته مقتدر عليه لان اصل المحيط بالشيء المطيف به
وذلك من صفات الاجسام فلا يليق به عز وجل قوله تعالى واذ غدوت من اهلك تبوئ المؤمنين مقاعد
للقتال والله سميع عليم • واذ همت طائفتان منكم ان تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون • اية
اللغة التبوء اتخاذ الموضع للغير يقال بوات القوم منازلهم وبوات لهم منزلا اي اوطنتهم واسكنتهم اياها
وتبوؤهم اي توطنوا ومنه المباءة المراح لانه لا يرجع الى المستقر المتخذ ومنه بوات النبي اي رجعت
به مجتمعا له والفشل الجبن يقال فشل يفشل فشلا والفشل الرجل الضعيف الاعراب العامل في اذ محذوف
تقديره واذكر اذ غدوت وقيل هو عطف على ما تقدم في السورة من قوله قد كان لكم اية في فئتين اي في فئتين
التقتا الفئة القليلة على الطائفة الكثيرة اذ غدا النبي صلى الله عليه وسلم وقيل العامل فيه محيط وتقديره والله
عالم باحوالكم واحوالهم اذ غدوت من اهلك وتبوئ حال من غدوت المعنى واذكر يا محمد اذ

غدوت من اهلك اي خرجت من المدينة غدوة تبوئ المؤمنين مقاعد اي تهيء للمؤمنين مواطن للقتال
وقيل معناه تجلسهم وتقعدهم في مواضع القتال ليقفوا فيها ولا يفارقوها واختلف في اي يوم كان ذلك فقيل
يوم احد عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والربيع والسدي وابن اسحق وهو المروي عن ابي جعفر ع وقيل كان يوم الاحزاب
عن مقاتل وقيل كان يوم بدر عن الحسن والله سميع اي سميع لما يقوله النبي ص عليم بما يضمرونه لانهم اختلفوا
فمنهم من اشار بالخروج ومنهم من اشار بالمقام وفيه تزكية للزاكي وتهديد للغاوي وقيل سميع بقول المشيرين على النبي صلعم
عليم بضمايرهم وقيل سميع بجميع المسموعات بصير بجميع المبصرات اذ همت اي قصدت وعزمت طائفتان فرقتان منكم اي من المسلمين
ان تفشلا اي تجبنا والطائفتان هما بنو سلمة وبنو حارثة حيان من الانصار عن ابن عباس وجابر بن عبد الله والحسن وقتادة
ومجاهد والربيع وابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلم قال الجبائي نزلت في طائفة من المهاجرين وطائفة من الانصار وكان
سبب همهم بالفشل ان عبد الله بن ابي سلول دعاهما الى الرجوع الى المدينة عن لقاء المشركين يوم احد فهما به ولم يفعلاه
والله وليهما اي ناصرهما روي عن جابر بن عبد الله انه قال فينا نزلت وما احب انها لم تكن لقوله والله وليهما وقال
بعض المحققين هذا الهم خطرة غريبة لا عزيمة لان الله سبحانه مدحهما واخبر انه وليهما ولو كان همهم عزيمة وتصميما لكان ذمهم
اولى من مدحهم وعلى الله فليتوكل المؤمنون في جميع احوالهم وامورهم ذكر غزوة احد عن ابي عبد الله ع قال
كان سبب غزوة احد ان قريشا لما رجعت من بدر الى مكة وقد اصابهم ما اصابهم من القتل والاسر لانهم قتل
منهم سبعون واسر سبعون قال ابو سفيان يا معشر قريش لا تدعوا نساءكم يبكين على قتلاكم فان الدمعة اذا
خرجت اذهبت بالحزن والعداوة لمحمد ص فلما غزوا رسول الله يوم احد اذنوا لنسائهم في البكاء والنوح
خرجوا من مكة في ثلثة آلاف فارس والفي راجل واخرجوا معهم النسوان فلما بلغ ذلك رسول الله ص جمع اصحابه
وحثهم على الجهاد فقال عبد الله بن ابي يا رسول الله لا نخرج من المدينة حتى نقاتل في ازقتها فيقاتل الرجل الضعيف
والمرأة والعبد والامة على افواه السكك وعلى السطوح فما ارادنا قوم قط فظفروا بنا ونحن في حصوننا ودورنا
وما خرجنا على عدو لنا قط الا كان الظفر لهم علينا فقام سعد بن معاذ وغيره من الاوس فقالوا يا رسول الله ما طمع فينا
احد من العرب ونحن مشركون نعبد الاصنام فكيف يطمعون فينا وانت فينا لا حتى نخرج اليهم فنقاتلهم فمن قتل منا
كان شهيدا ومن نجا منا كان قد جاهد في سبيل الله فقبل رسول الله صلعم رايه وخرج مع نفر من اصحابه يتبوؤن
مواضع للقتال كما قال سبحانه واذ غدوت الاية وقعد عبد الله بن ابي وجماعة من الخزرج اتبعوا رايه ووافت قريش
الى احد وكان رسول الله صلعم عبأ اصحابه وكانوا سبعمائة رجل ووضع عبد الله بن جبير في خمسين من الرماة على باب
الشعب واشفق ان يأتي كمينهم من ذلك المكان فقال ص لعبد الله بن جبير واصحابه ان رأيتمونا قد هزمناهم حتى ادخلناهم
مكة فلا تبرحوا من هذا المكان وان رأيتموهم قد هزمونا حتى ادخلونا المدينة فلا تبرحوا والزموا مراكزكم ووضع
ابو سفيان خالد بن الوليد في مائتي فارس كمينا وقال اذا رأيتمونا قد اختلطنا فاخرجوا عليهم من هذا الشعب
حتى تكونوا وراءهم وعبأ رسول الله ص اصحابه ودفع الراية الى امير المؤمنين ع فحمل الانصار على مشركي قريش فانهزموا
هزيمة قبيحة ووقع اصحاب رسول الله ص في سوادهم وانحط خالد بن الوليد في مائتي فارس على عبد الله بن جبير
فاستقبلوهم بالسهام فرجع ونظر اصحاب عبد الله بن جبير الى اصحاب رسول الله ص ينهبون سواد القوم فقالوا لعبد الله
قد غنم اصحابنا ونبقى نحن بلا غنيمة فقال لهم عبد الله اتقوا الله فان رسول الله ص قد تقدم الينا ان لا نبرح
فلم يقبلوا منه واقبل ينسل رجل فرجل حتى اخلوا مراكزهم وبقي عبد الله بن جبير في اثني عشر رجلا وكانت
راية قريش مع طلحة بن ابي طلحة العبدي من بني عبد الدار فقتله علي ع فاخذ الراية ابو سعيد بن ابي طلحة فقتله
علي ع وسقطت الراية فاخذها مسافع بن ابي طلحة فقتله علي ع حتى قتل تسعة نفر من بني عبد الدار حتى صار لواؤهم

الى عبد لهم اسود يقال له صواب فانتهى اليه علي ع فقطع يده فاخذ اللواء باليسرى فضرب يسراه فقطعها فاعتنقها
بالجذماوين الى صدره ثم التفت الى ابي سفيان فقال هل اعذرت في بني عبد الدار فضربه علي ع على راسه فقتله فسقط اللواء
فاخذتها عمرة بنت علقمة الكنانية فرفعتها وانحط خالد بن الوليد على عبد الله بن جبير وقد فر اصحابه وبقي في نفر
قليل فقتلهم على باب الشعب ثم اتى المسلمين من ادبارهم ونظرت قريش في هزيمتها الى الراية قد رفعت فلاذوا بها
وانهزم اصحاب رسول الله ص هزيمة عظيمة واقبلوا يصعدون في الجبال وفي كل وجه فلما رأى رسول الله صلعم
الهزيمة كشف البيضة عن راسه وقال اني انا رسول الله الى اين تفرون عن الله وعن رسوله وكانت هند بنت عتبة
في وسط العسكر فكلما انهزم رجل من قريش دفعت اليه ميلا ومكحلة وقالت انما انت امرأة فاكتحل بهذا وكان حمزة
بن عبد المطلب يحمل على القوم فاذا راوه انهزموا ولم يثبت له احد وكانت هند قد اعطت وحشيا عهدا لئن
قتلت محمدا او عليا او حمزة لاعطينك كذا وكذا وكان وحشي عبدا لجبير بن مطعم حبشيا فقال وحشي اما محمد ص
فلا اقدر عليه واما علي ع فرأيته حذرا كثير الالتفات فلا مطمع فيه فكمنت لحمزة قال فرأيته يهد الناس هدا
فوطئ على جرف نهر فسقط فاخذت حربتي فهززتها ورميته فوقعت في خاصرته وخرجت من ثنته فسقط
فاتيته فشققت بطنه واخذت كبده وجئت به الى هند وقلت هذه كبد حمزة فاخذتها في فيها فلاكتها
فجعله الله في فمها مثل الداعصة وهي عظم رأس الركبة فلفظتها ورمت بها قال رسول الله ص فبعث الله
ملكا فحمله ورده الى موضعه قال فجاءت اليه فقطعت مذاكيره وقطعت اذنيه وقطعت يده ورجله
ولم يبق مع رسول الله صلعم الا ابو دجانة وسماك بن خرشه وعلي ع فكلما حملت طائفة على رسول الله
صلعم استقبلهم علي ع فيدفعهم عنه حتى انقطع سيفه ودفع اليه رسول الله ص ذا الفقار وانحاز رسول
الله ص الى ناحية احد فوقف وكان القتال من وجه واحد فلم يزل علي عليه السلم يقاتلهم حتى اصابه
في وجهه وراسه ويديه وبطنه ورجليه سبعون جراحة كذا اورده علي بن ابراهيم في تفسيره فقال
جبرئيل ان هذه لهي المواساة يا محمد فقال محمد صلعم انه مني وانا منه فقال جبرئيل ع وانا منكما قال الصادق عليه السلم
نظر رسول الله صلعم الى جبرئيل عليه السلم بين السماء والارض على كرسي من ذهب وهو يقول لا سيف الا
ذو الفقار ولا فتى الا علي ع وروى ابن اسحاق وابن عمر والسدي والواقدي وابن جرير وغيرهم قالوا كان المشركون
نزلوا باحد يوم الاربعاء في شوال سنة ثلث من الهجرة وخرج رسول الله صلعم يوم الجمعة وكان القتال يوم السبت
النصف من الشهر وكسرت رباعية رسول الله صلعم وشج في وجهه ثم رجع المهاجرون والانصار بعد الهزيمة
وقد قتل من المسلمين سبعون وشد رسول الله صلعم بمن معه حتى كشفهم وكان الكفار مثلوا بجماعة
وكان حمزة رضي الله عنه اعظمهم مثلة وضربت يد طلحة فشلت وسعد بن ابي وقاص كان يرمي بين يديه وهو
يقول ارم فداك ابي وامي النظم لما امر الله سبحانه بالصبر في قوله وان تصبروا وتتقوا عقبه بذكر ما انجز من
نصره يوم بدر وصبرهم على القتال ثم ذكر امتحانهم يوم احد لما تركوا الصبر وقيل نظمه ان تصبروا ينصركم الله
يوم بدر وان لم تصبروا نزل بكم ما نزل يوم احد حيث خالفتم رسول الله صلعم وذكر ابو مسلم انه متصل
بقوله قد كان لكم آية في فئتين كما تقدم ثم ذكره قوله تعالى ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة فاتقوا الله
لعلكم تشكرون • اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلثة آلاف من الملائكة منزلين • بلى ان
تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين • وما جعله الله
الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم • اربع آيات القراءة قرأ ابن عامر
منزلين مشددة الزاء وقرأ الآخرون منزلين مخففة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم مسومين بكسر الواو

وقراء الباقون بفتح الواو. الحجة: حجة من قرأ منزلين بالتخفيف قوله لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا ولأن
الانزال يعم التنزيل وغيره، وحجة ابن عامر ما ننزل الملائكة وتنزل الملائكة والروح، ولأن تنزل مطاوع نزل
ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة، وقال أبو الحسن من قرأ مسومين بالكسر فلأنهم سوموا الخيل، ومن قال مسومين
فلأنهم سوموا، فالمسومين معلمين، ويكون من سوم الخيل إذا أرسلها، ومنه السائمة، وقال علي بن عيسى إن الاختيار
الكسر لنظام الأخبار بأنهم سوموا خيلهم بعلامة، وقال رسول الله صلعم سوموا فإن الملائكة قد سومت. اللغة:
بدر ما بين مكة والمدينة، وقال الشعبي سمي بدرا لأن هناك ماء لرجل يسمى بدرا فسمي الموضع باسم صاحبه، وقال
الواقدي هو اسم للموضع، وكل شيء تم فهو بدر، وسمي بدر السماء بدرا لتمامه وامتلائه، وعين بدرة ممتلئة. الكفاية
الأمر كفاف، وكفاك هذا الأمر أي حسبك، والفرق بين الاكتفاء والاستغناء أن الاكتفاء هو الاقتصار على ما ينفي الحاجة
والاستغناء الاتساع فيما ينفي الحاجة، والإمداد هو إعطاء الشيء حالا بعد حال، والمد في السير هو الاستمرار عليه، وامتد
بهم السير إذا طال واستمر، وأمددت في الخير، وأصل الفور فور القدر وهو غليانها عند شدة الحمى، ومنه فورة
الغضب لأنه كفوران القدر، ومنه فارت العين بالماء أي جاشت به، ومنه الفوارة لأنها تفور بالماء كما تفور القدر
بمائها، ومنه جاءوا على الفور أي على الابتداء الحي قبل أن يبرد عن نفسه، وقيل الفور القصد إلى الشيء بجد.
الإعراب: واسم إذ في موضع نصب على الحال، وأن يمدكم ربكم في موضع رفع بأنه فاعل يكفيكم، وتقديره ألن يكفيكم إمداد ربكم
وقوله من فورهم هذا في موضع جر صفة لفورهم، قوله ولتطمئن به قلوبكم معطوف على قوله بشرى لكم
لأن تقديره للبشرى ولتطمئن. المعنى: ثم بين سبحانه ما فعله بهم من النصر يوم بدر فقال ولقد نصركم الله ببدر
أيها المؤمنون بتقوية قلوبكم وبما أمدكم من الملائكة وبإلقاء الرعب في قلوب أعدائكم وأنتم أذلة أي ضعفاء
عن المقاومة قليلو العدد قليلو العدة، جمع ذليل، وروي عن ابن عباس أنه قال كان المهاجرون يوم بدر
سبعة وسبعين رجلا والأنصار مائتين وستة وثلاثين رجلا، الجميع ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا، وكان المشركون
نحوا من ألف رجل، وروي عن بعض الصادقين أنه قرأ وأنتم ضعفاء وقال لا يجوز وصفهم بأنهم أذلة وفيهم
رسول الله صلعم، وكان صاحب راية رسول الله صلعم يومئذ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عم، وصاحب راية
الأنصار سعد بن عبادة، وقيل سعد بن معاذ، فاتقوا الله أي اجتنبوا معاصيه واعملوا طاعته لعلكم تشكرون أي
لتقوموا بشكر نعمته، وإذ تقول خطاب للنبي صلعم أي إذ تقول يا محمد للمؤمنين من أصحابك ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم
بثلاثة آلاف من الملائكة، هو إخبار بأن النبي صلعم قال للقوم ألم يكفيكم يوم بدر أن جعل ربكم ثلاثة آلاف من الملائكة
مددا لكم، عن ابن عباس والحسن وقتادة وغيرهم أن الإمداد بالملائكة كان يوم بدر، وقال ابن عباس لم تقاتل الملائكة
إلا يوم بدر، وكانوا في غيره من الأيام عدة ومددا، وقال الحسن كان جميعهم خمسة آلاف، فمعناه يمددكم ربكم بتمام
خمسة آلاف، وقال غيره كانوا ثمانية آلاف، فمعناه بخمسة آلاف أخر، وقيل معناه أنه وعد بالإمداد بالملائكة
كان يوم أحد وعدهم الله المدد إن صبروا، عن عكرمة والضحاك، منزلين أي أنزلهم الله من السماء إلى الأرض، قوله
بلى تصديق للوعد أي يفعل كما وعدكم ويزيدكم إن تصبروا، ومعناه إن صبرتم في الجهاد وعلى ما أمركم الله تعالى وتتقوا
معاصي الله ومخالفة رسوله ويأتوكم يعني المشركين إن رجعوا إليكم من فورهم هذا أي من وجههم هذا، عن ابن
عباس والحسن وقتادة والربيع والسدي، وعلى هذا فإنما هو من قول الأمداد لهم وهو ابتدائي، وقيل معناه
من غضبهم هذا، عن مجاهد والضحاك وأبي صالح، وكانوا قد غضبوا يوم أحد ليوم بدر مما لقوا فهو من
الغضب وهو غليانه يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة أي يعطكم مددا لكم ونصرة، وإنما قال ذلك لأن
الكفار في غزاة أحد ندموا بعد انصرافهم لم لم يغيروا على المدينة وهموا بالرجوع فأوحى الله تعالى إلى النبي

أن يأمر أصحابه بالتهيؤ للرجوع إليهم، وقال لهم إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله، ثم قال إن صبروا على الجهاد وراجعوا
الكفار أمدكم الله بخمسة آلاف من الملائكة مسومين، فأخذوا في الجهاد وخرجوا يتبعون الكفار على ما كان بهم
من الجراح، فأخبر المشركين من مر برسول الله صلعم أنه خرج يتبعكم، فخاف المشركون إن رجعوا أن يكون الغلبة للمسلمين
وأن يكون قد التأم إليهم من كان تأخر عنهم وانضم إليهم غيرهم، فدسوا نعيم بن مسعود الأشجعي حتى يصدهم بتعظيم
أمر قريش، وأسرعوا في الذهاب إلى مكة، وكفى الله المسلمين أمرهم، والقصة معروفة، وقال قوم من المفسرين إن جميعهم ثلاثة
آلاف، وقال الحسن جميعهم خمسة آلاف منهم ثلاثة آلاف المنزلين، على أن الظاهر يقتضي أن الإمداد بثلاثة آلاف كان
يوم بدر، لأن قوله إذ تقول للمؤمنين الآية متعلق بقوله ولقد نصركم الله ببدر الآية، ثم استأنف حكم يوم أحد فقال
بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا أي إن رجعوا إليكم بعد انصرافهم أمدكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة
مسومين، وهذا قول البلخي، وروي عن عمرو بن دينار عن عكرمة قال لم يمدوا يوم أحد ولا بملك واحد، وعلى هذا فلا تنافي
بين الآيتين، ومتى يسأل كيف لم يمد الملائكة في سائر الحروب فالجواب أن ذلك تابع للمصلحة، فإذا علم الله
في الإمداد المصلحة أمدهم، وقوله مسومين بالكسر أي معلمين أي أعلموا أنفسهم، ومسومين بالفتح سومهم الله
أعلمهم، قال ابن عباس والحسن وقتادة وغيرهم كانوا أعلموا بالصوف في نواصي الخيل وأذنابها، وقال عروة نزلت
الملائكة يوم بدر على خيل بلق وعليهم عمائم صفر، وقال علي عم وابن عباس كانت عليهم عمائم بيض أرسلوا أذنابها
بين أكتافهم، وقال السدي معنى مسومين بالفتح مرسلين من الناقة السائمة أي المرسلة في المرعى، وما جعله الله إلا
بشرى لكم أي وما جعل الإمداد والوعد به، فالهاء عائد إلى غير مذكور باسمه وهو معلوم بالدلالة عليه لأن
يمددكم يدل على الإمداد، وبشرى لكم أي بشارة لكم لتبشروا به ولتطمئن قلوبكم أي ولتسكن قلوبكم فلا تخافوا
كثرة عدد العدو وقلة عددكم، وما النصر أي المعونة إلا من عند الله، ومعناه أن الحاجة إلى الله سبحانه لازمة في
المعونة وإن أمدكم بالملائكة فلا استغناء عن معونته طرفة عين في تقوية قلوبكم وخذلان عدوكم بضعف قلوبهم
إلى غير ذلك، وقيل إن معناه وما هذا النصر بإمداد الملائكة إلا من عند الله العزيز القادر على انتقامه من الكفار
بأيدي المؤمنين الحكيم في تدبير العالمين، وإنما قال ذلك ليعلم أن الحرب للمشركين إنما هو لإعزاز الدين، وقيل
العزيز المنيع بالاقتدار والحكيم في تدبير الخلق. فصل وجيز في مغازي رسول الله صلعم، قال المفسرون جميع
ما غزا رسول الله صلعم بنفسه ستة وعشرون غزوة، فأول غزوة غزاها غزوة الأبواء، ثم غزوة بواط، ثم غزوة
العشيرة، ثم غزوة بدر الأولى، ثم غزوة بدر الكبرى، ثم غزوة بني سليم، ثم غزوة السويق، ثم غزوة ذي أمر،
ثم غزوة أحد، ثم غزوة نجران، ثم غزوة حمراء الأسد، ثم غزوة بني النضير، ثم غزوة ذات الرقاع، ثم غزوة
بدر الآخرة، ثم غزوة دومة الجندل، ثم غزوة الخندق، ثم غزوة بني قريظة، ثم غزوة بني لحيان، ثم غزوة
بني قرد، ثم غزوة بني المصطلق، ثم غزوة الحديبية، ثم غزوة خيبر، ثم غزوة الفتح، ثم غزوة مكة، ثم
حنين، ثم غزوة الطائف، ثم غزوة تبوك ... قاتل منها في تسع غزوات: غزوة بدر الكبرى وهي يوم الجمعة
السابع عشر من شهر رمضان سنة اثنتين من الهجرة، وأحد وهو في شوال سنة ثلاث، والخندق، وبني قريظة
في شوال سنة ثمان ... فأول غزوة غزاها بنفسه وقاتل فيها بدر، وآخرها تبوك، وأما عدد سراياه فست وثلاثون
سرية على ما عدد في مواضع. قوله تعالى: ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين. ليس لك
من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون. اللغة: الكبت الخزي وهو مصدر كبت الله العدو إذا أخزاه
وأذله، قال الخليل الكبت صرع الشيء على وجهه، كبتهم الله فانكبتوا، وحقيقة الكبت شدة الوهن الذي يقع
في القلب فيصرع الإنسان لوجهه للخزي الذي يدخله، والخائب المنقطع عما أمل، ولا يكون الخيبة إلا بعد

الامل لانها امساع بل ما امل وما يأس فقد يكون قبل الامل وقد يكون بعد الامل واليأس والرجا نقيضان يتعاقبان
كتعاقب الخيبة والظفر. الاعراب نصب ويتوب عليهم على ضربين احدهما ان يكون عطفا على ليقطع ويكون قوله
ليس لك من الامر شيء اعتراضا بين المعطوف والمعطوف عليه كما تقول ضربت زيدا فافهم ذلك وعمرا والاخر ان يكون
او بمعنى الا ان فكانه قال ليس لك من الامر شيء الا ان يتوب الله عليهم او يعذبهم فيكون امرك تابعا لامر الله لرضاك بتدبيره
فيهم. المعنى ليقطع طرفا من الذين كفروا اختلف في جهة اتصاله بما قبله فقيل يتصل بقوله وما النصر الا من عند الله
ومعناه اعطاكم الله هذا النصر وخصكم به ليقطع طائفة من جميع الذين كفروا بالقتل والاسر وقيل هو متصل بقوله
ولقد نصركم الله ببدر اي ولقد نصركم ببدر ليقطع طرفا وقيل معناه ذلك التدبير ليقطع طرفا اي قطعة منهم والمعنى
ليهلك طائفة منهم وقيل ليهدم ركنا من اركان الشرك بالقتل والاسر واليوم الذي قطع الله فيه الطرف من الذين كفروا
يوم بدر قتل فيه صناديدهم ورؤساءهم وقادتهم الى الكفر في قول الحسن والربيع وقتادة وقيل هو احد قتل
فيه منهم ثمانية عشر رجلا وانما قال ليقطع طرفا منهم ولم يقل ليقطع وسطا منهم لانه لا يوصل الى الوسط منهم الا
بعد قطع الطرف ولان الطرف اقرب الى المؤمنين فهو كما قال قاتلوا الذين يلونكم من الكفار او يكبتهم معناه او يخزيهم
فما الموا من الظفر بكم عن قتادة والربيع وقيل معناه يردهم عنكم منهزمين عن الجبائي والكلبي وقيل يصرعهم الله على
وجوههم وقيل يظفر عليهم عن المبرد وقيل يلعنهم عن السدي وقيل يهلكهم عن ابي عبيدة فينقلبوا خائبين لم ينالوا مما
املوا شيئا. ليس لك من الامر شيء قيل هو متصل بقوله وما النصر الا من عند الله فيكون معناه نصركم الله وليقطع
طرفا منهم او يكبتهم وليس لك ولا لغيرك من هذا النصر شيء عن ابي مسلم وقيل انه اعتراض بين الكلامين وقوله
او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم قد استحقوا العقاب ليس لك اي ليس اليك من هذا الامر شيء وذلك لله
واختلف في سبب نزوله فروي عن انس بن مالك وابن عباس والحسن وقتادة والربيع انه لما كان من المشركين يوم احد كسر
رباعية النبي ص وشجوه حتى جرت الدماء على وجهه قال كيف يفلح قوم نالوا هذا من نبيهم وهو مع ذلك حريص على
دعائهم الى ربهم فاعلمه الله انه ليس اليه فلاحهم وانه ليس اليه الا ان يبلغ الرسالة ويجاهد حتى يظهر الدين والامر لك
لله تعالى وكان الذي كسر رباعيته وشجه في وجهه عتبة بن ابي وقاص فدعا عليه بان لا يحول الحول عليه حتى يموت كافرا
فمات كافرا قبل حول الحول وادمى وجهه رجل من هذيل يقال له عبد الله بن قمئة فدعا عليه وكان حتفه ان
سلط الله عليه تيسا فنطحه حتى قتله وروي انه صلعم كان يمسح الدم عن وجهه ويقول اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون
فعلى هذا يمكن ان يكون صلعم على وجل من عنادهم واصرارهم على الكفر فاخبر سبحانه انه ليس اليه الا ما امره من تبليغ
الرسالة ودعائهم الى الهدى ونحو ذلك مثل قوله فلعلك باخع نفسك على آثارهم الآية وقيل انه صلعم استأذن ربه يوم احد
في الدعاء عليهم فنزلت الآية فلم يدع عليهم بعذاب الاستيصال وانما لم يؤذن له فيه لما كان في المعلوم من توبة
بعضهم عن الجبائي وقيل اراد رسول الله صلعم ان يدعو على المنهزمين عنه من اصحابه يوم احد فنهاه الله تعالى عن ذلك
وتاب عليهم ونزلت هذه الآية ليس لك من الامر شيء اي ليس لك ان تلعنهم وتدعو عليهم عن ابن مسعود وقيل انه لما رأى
رسول الله صلعم والمسلمون ما فعل باصحابه وبعمه حمزة من المثلة من جدع الانوف والآذان وقطع المذاكير قالوا لئن ادالنا الله
منهم لنفعلن بهم مثل ما فعلوا بنا ولنمثلن بهم مثلة لم يمثلها احد من العرب باحد قط فانزل الله الآية عن محمد بن اسحق
والشعبي وقيل نزلت في اهل بئر معونة وهم سبعون رجلا من قراء اصحاب رسول الله صلعم واميرهم المنذر بن عمرو بعثهم
رسول الله الى بئر معونة في صفر سنة اربع من الهجرة على رأس اربعة اشهر من احد ليعلموا الناس القرآن والعلم
فقتلهم جميعا عامر بن الطفيل وكان فيهم عامر بن فهيرة مولى ابي بكر فوجد رسول الله صلعم من ذلك وجدا شديدا وقنت
عليهم شهرا فنزل ليس لك من الامر شيء عن مقاتل والاصح انها نزلت في احد لان اكثر العلماء عليه ويقتضيه سياق

الكلام

الكلام والمعنى انه قال ليس لك من الامر شيء مع ان عليك ان تدعوهم الى الله وتؤدي اليهم ما امرت بتبليغه لان معناه
ليس لك شيء من عقابهم او استيصالهم او الدعاء عليهم او لعنهم حتى يقع انابتهم فجاء الكلام على الايجاز
لان المعنى مفهوم لدلالة الكلام عليه واضافة لانه لا يعتد بما للنبي صلعم في تدبيرهم مع تدبير الله سبحانه لهم فكانه قال
ليس لك من الامر شيء على وجه من الوجوه وقوله او يتوب عليهم وقيل في معناه وجهان احدهما او يلطف لهم بما
يقع معه توبتهم فيتوب عليهم بلطفه لهم والآخر او يقبل توبتهم اذا تابوا كقوله سبحانه غافر الذنب وقابل التوب ولا
تصح هذه الصفة الا لله عز وجل لانه يملك الجزاء بالثواب والعقاب ويعذبهم اي يعذبهم الله ان لم يتوبوا فانهم
ظالمون اي مستحقون للعذاب بظلمهم وفي هذه الآية دلالة على ان ما يتعلق بالنصر والظفر وقبول التوبة
والتعذيب فانما هو الى الله تعالى وليس الى النبي من ذلك شيء وانما اليه الهداية والدعاء فكانه سبحانه قال لا ارفع
عنهم السيف الا ان يتوبوا فيتوب عليهم او يقيموا على كفرهم فيعذبهم بظلمهم قوله تعالى ولله ما في السموات
وما في الارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم • اية الاعراب انما ذكر لفظة ما
لانها اعم من من فانها تتناول ما يعقل وما لا يعقل لانها يقصد بها الجنس ولو قال من في السموات لم يدخل فيه
الا العقلاء الا ان يحمل على التغليب فقال ليس بحقيقة المعنى لما قال ليس لك من الامر شيء عقبه بان ذلك
كله له فقال ولله ما في السموات وما في الارض ملكا وملكا وخلقا واقتدارا على الجميع يصرفهم كيف يشاء
ايجادا وافناء واعادة يغفر لمن يشاء من المؤمنين ذنوبهم فلا يؤاخذهم بها الا انه يعاقبهم عليها رحمة منه
وفضلا ويعذب من يشاء اي ويعذب الكافرين ومن يشاء من مذنبي المؤمنين ان مات بلا التوبة
عدلا ويدل عليه قوله مفسرا ان الله لا يغفر ان يشرك به الآية ولولا ذلك لجاز العفو عن جميع عقلا
وقيل انما ابهم الله سبحانه الامر في التعذيب والمغفرة ولم يبين من يغفر له ومن يشاء يعذب ليقف المكلف
بين الخوف والرجاء فلا يأمن من عذاب الله سبحانه ولا ييأس من روح الله اذ الامن من عذاب الله تعالى
واليأس من رحمته كفر كما قال سبحانه فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون وقال ولا ييأس من روح الله الا
القوم الكافرون ويلتفت الى هذا قول الصادق ع لو وزن رجاء المؤمن وخوفه لاعتدلا وقيل انما
علق الغفران والعذاب بالمشية فقال لمشيته مطابقة للحكمة فلا يشاء الا ما يقتضي الحكمة مشيته وسأل
بعضهم كيف يعذب الله تعالى عباده بالاجرام مع سعة رحمته فقال رحمته لا تغلب حكمته اذ لا تكون رحمته
من رقة القلب كما تكون الرحمة منا وعن ابن عباس قال معنى الآية يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء من لم يتب
قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا اضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون • و
اتقوا النار التي اعدت للكافرين • واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون • ثلث آيات المعنى لما ذكر الله
سبحانه ان له التعذيب لمن يشاء والمغفرة لمن يشاء وصل ذلك بالنهي عما لو فعلوه لاستحقوا عليه العقاب وهو
الربوا فقال سبحانه يا ايها الذين آمنوا اي صدقوا الله ورسوله لا تأكلوا الربوا ذكر الاكل لانه معظم
الانتفاع وان كان غيره من التصرفات ايضا منهيا عنه والربوا الزيادة على اصل المال بالتأخير عن الاجل
الحال وقيل الجاهلية عن مجاهد وعطا اضعافا مضاعفة قيل في معناه قولان احدهما ان يضاعف
بالتأخير اجلا بعد اجل كلما اخر عن اجل الى غيره زيد زيادة على المال والثاني معناه تضاعفون به
اموالكم ويدخل فيه كل زيادة محرمة في المعاملة من جهة المضاعفة ووجه تحريم الربوا هو المصلحة التي علمها
الله سبحانه وذكر فيه وجوه على وجه التقريب منها انه للفصل بينه وبين البيع ومنها انه يدعو الى العدل
ويحض عليه ومنها انه يدعو الى مكارم الاخلاق بالاقراض وانظار المعسر من غير زيادة وهو المروي عن

عبدالله عليه السلم وانما اعاد سبحانه تحريم الربوا بعد ما سبق ذكره في سورة البقرة لامرين احدهما التصريح بالنهي عنه
بعد الاخبار بتحريمه لما في ذلك من تصريف الخطاب وشدة التحذير منه والثاني التأكيد للنهي عن هذا الضرب منه
الذي يجري على الاضعاف المضاعفة واتقوا الله معناه اتقوا معاصيه وقيل اتقوا عقابه بترك معاصيه
لعلكم تفلحون اي لكي تفلحوا بادراك ما تاملونه وتفوزوا بالجنة واتقوا النار اي اتقوا الافعال الموجبة
لدخول النار التي اعدت اي هيئت واتخذت للكافرين والوجه في تخصيص الكفار باعداد النار لهم انهم معظم
اهل النار فهم العمدة في عداد النار لهم وغيرهم من الفاسقين يدخلونها على وجه التبع وهو كقوله تعالى في صفة الجنة اعدت
للمتقين ومعلوم انه قد يدخلها غير المتقين من الاطفال والمجانين والفساق وقال الحسن تخصيص الكفار باعداد
النار لا يمنع لهم من مشاركة غيرهم اياهم كما ان تخصيص الشيء بالذكر لا يدل على ان ما عداه بخلافه واطيعوا الله
فيما امركم به واطيعوا الرسول فيما شرع لكم لعلكم ترحمون اي لكي ترحموا فلا يعذبكم ومما يسئل على هذا ان
يقال اذا كانت طاعة الرسول طاعة الله فما وجه التكرار فالجواب عنه شيئان احدهما ان المقصود بطاعة
الرسول فيما دعا اليه مع القصد لطاعة الله تعالى والثاني انما قال ذلك ليعلم ان من اطاعه فيما دعا اليه
فهو كمن اطاع الله فيسارع الى ذلك بامر الله النظم وقد قيل في وجه اتصال هذه الاية بما قبلها هو لان اتصال
لاتصال الامر بالطاعة بالنهي عن اكل الربوا فكانه قال واطيعوا الله فيما نهاكم عنه من اكل الربوا وغيره والثاني
ما قاله محمد بن اسحاق بن يسار انه معاتبة للذين عصوا رسول الله صلعم لما امرهم يوم احد من لزوم مراكزهم
فخالفوا واشتغلوا بالغنيمة الا طائفة منهم قاتلوا فكان ذلك سبب هزيمة اصحاب رسول الله صلى الله عليه واله
قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين • الذين
ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين • ايتان القرائة
قرأ اهل المدينة والشام سارعوا بغير واو وكذلك هو في مصاحفهم والباقون بالواو وكذلك هو في
مصاحف مكة والعراق الحجة والفرق بينهما استيناف الكلام اذا كان بغير واو ووصلها بما تقدم اذا اوتي بالواو
لانه يكون عطفا على ما تقدم ويجوز ايضا ترك الواو لان الجملة الثانية ملتبسة بالاولى مستغنية بذلك عن
عطفها عليها اللغة يقال كظمت القربة اذا ملأتها ماء ثم شددت رأسها وفلان كظيم ومكظوم اذا كان ممتليا حزنا
وكذلك اذا كان ممتليا غضبا لم ينتقم وكظم البعير والناقة اذا لم يجترا والكظامة القناة التي تجري تحت الارض سميت
لامتلائها تحت الارض وفي غريب الحديث لابي عبيدة عن اوس بن ابي اوس انه راى النبي صلى الله عليه واله اتى كظامة
قوم فتوضأ ومسح على قدميه ويقول احد يكظمه اي يحوي نفسه لانه موضع لامتلائه بالتفرق والفرق بين الغيظ والغضب
ان الغضب ضد الرضا وهو ارادة العقاب المستحق بالمعاصي ولعنه وليس كذلك الغيظ لانه هيجان الطبع بكره ما يكون
من المعاصي ولذلك يقال غضب الله على الكفار ولا يقال اغتاظ منهم المعنى لما حذر الله سبحانه عن الافعال الموجبة
للعقاب عقبه بالحث على الافعال الموجبة للثواب فقال وسارعوا الى مغفرة اي بادروا الى مغفرة من ربكم باجتناب معاصيه
ومعناه الى الاعمال الصالحة التي توجب المغفرة واختلف في ذلك فقيل سارعوا الى الاسلام عن ابن عباس وقيل الى اداء
الفرائض عن علي بن ابي طالب عم وقيل الى الهجرة عن ابي العالية وقيل الى التكبيرة الاولى عن انس بن مالك وقيل الى اداء
الطاعات عن سعيد بن جبير وقيل الى الصلوات الخمس عن يمان وقيل الى الجهاد عن الضحاك وقيل الى التوبة عن عكرمة
وجنة عرضها السموات والارض اختلف في معناه على اقوال احدها ان المعنى عرضها كعرض السموات السبع والارضين
السبع اذا ضم بعضها الى بعض عن ابن عباس والحسن واختاره الجبائي والبلخي وانما ذكر العرض بالعظم دون الطول لانه يدل
على ان الطول اعظم وليس كذلك لو ذكر الطول دون العرض ومثله الاية قوله ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة

ومعناه

ومعناه الا كخلق وبعث نفس واحدة وقال الشاعر كان عذيرهم بجنوب سلى نعام قاق في بلد قفار اي
عذير نعام وقال اخر حسبت بغام راحلتي عناقا وما هي ويب غيرك بالعناق اي صوت عناق وثانيها
ان معناه ثمنها لو بيعت كثمن السموات والارض لو بيعتا كما يقال عرضت هذا المتاع للبيع والمراد بذلك
عظم مقدارها وجلالة قدرها وانه لا يساويها شيء وان عظم عن ابي مسلم الاصفهاني وهذا وجه مليح
الا ان فيه تعسفا وثالثها ان عرضها لم يرد به العرض الذي هو خلاف الطول وانما اراد سعتها وعظمتها
والعرب اذا وصفت الشيء بالسعة وصفته بالعرض قال امرؤ القيس بلاد عريضة وارض اريضة مدافع
غيث في فضاء عريض وقال ذو الرمة فاعرض في المكارم واستطالا اي توسع فيها ومما يسأل فيقال اذا كانت
الجنة عرضها السموات والارض فاين تكون النار وجوابه انه روي ان النبي صلعم سئل عن ذلك فقال سبحان الله
اذا جاء النهار فاين الليل وهذه معارضة فيها اسقاط المسئلة لان القادر ان يذهب الليل حيث شاء قادر
على ان يخلق النار حيث شاء ويسئل ايضا فيقال اذا كانت الجنة في السماء فكيف يكون لها هذا العرض
فالجواب انه قيل الجنة فوق السموات السبع تحت العرش عن انس بن مالك وقيل ان الجنة فوق السموات
السبع والنار تحت الارضين السبع عن قتادة وقيل معنى قولهم ان الجنة في السماء اي في ناحية السماء
وجهة السماء لا ان السماء تحويها ولا ينكر ان يخلق الله في العلو امثال السموات والارضين فان صح
الخبر انها في السماء الرابعة كما يقال في الدار بستان لاتصالها بها وكونه في ناحيتها او يشرع بابه اليها
وان كان اضعافها وقيل ان الله تعالى يزيد في عرضها يوم القيمة فيكون عرضها السموات والارض
يوم القيمة لا في الحال عن ابي بكر احمد بن علي مع تسليم انها في السماء وقوله اعدت للمتقين اي المطيعين
لله ولرسوله لاجتنابهم المقبحات وفعلهم الطاعات وحوزا لاحتجاجهم بالطاعات عن العقوبة
وانما اضيف الى المتقين لانهم المقصودون بها وان دخلها غيرهم من الاطفال والمجانين فعلى وجه
التبع وكذلك حكم الفساق لو عفي عنهم وقيل معناه انه لولا المتقون لما خلقت الجنة كما يقال وضعت
المائدة للامير وهذا يدل على ان الجنة مخلوقة اليوم لانها لا تكون معدة الا وهي مخلوقة الذين
ينفقون في السراء والضراء صفة للمتقين وفي معنى السراء والضراء قولان احدهما ان معناه في اليسر
والعسر عن ابن عباس اي في حال كثرة المال وقلته والثاني في حال السرور والاغتمام اي لا يقطعهم
شيء من ذلك عن انفاق المال في وجوه البر والكاظمين الغيظ اي المتجرعين للغيظ عند امتلاء نفوسهم
منه ولا ينتقمون ممن يدخل عليهم الضرر بل يصبرون على ذلك والعافين عن الناس يعني الصافحين عن
الناس المتجاوزين عما يجوز العفو والتجاوز عنه مما لا يؤدي الى الاخلال بحق الله تعالى وقيل العافين عن المملوك
والله يحب المحسنين اي من فعل ذلك فهو محسن والله يحبه بايجاب الثواب له ويحتمل ان يكون الاحسان
شرطا مضموما الى هذه الشرائط قال الثوري الاحسان ان تحسن الى من اساء اليك فاما الى من احسن
اليك فانه متاجرة كنقد السوق خذ مني وهات مني فصل فاول ما عدد الله سبحانه من اخلاق اهل الجنة
السخاء ومما يؤيد ذلك من الاخبار ما رواه انس بن مالك عن النبي صلعم انه قال السخاء شجرة في الجنة اغصانها
في الدنيا من تعلق بغصن من اغصانها قادته الى الجنة والبخل شجرة في النار اغصانها في الدنيا من تعلق
بغصن من اغصانها قادته الى النار وقال صلعم الجنة دار الاسخياء وقال صلعم السخي قريب من الله
قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب
من النار ثم عقب ذلك سبحانه باخلاق اهل الجنة كظم الغيظ ومما جاء في الاخبار ما رواه ابو امامة

ما قال رسول الله صلعم من كظم الغيظ وهو يقدر على انفاذه ملأه الله يوم القيمة رضا وفي خبر آخر ملأه الله
يوم القيمة ايمانا وامنا وقال صلعم كاظم الغيظ كضارب السيف في سبيل الله في وجه عدوه وملأ الله قلبه
رضا ان ليس الشديد بالصرعة ولكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب ثم ذكر سبحانه العافين عن الناس وروي
ان رسول الله صلعم قال ان هؤلاء في امتي قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت وفي هذا دليل واضح
على ان العفو عن العاصي مرغب فيه مندوب اليه وان لم يكن واجبا وقال النبي صلى الله عليه وآله ما عفى رجل
من مظلمة قط الا زاده الله بها عزا ثم ذكر سبحانه ان الله يحب المحسنين والمحسن هو المنعم على غيره على وجه عار
من وجوه القبح ويكون المحسن ايضا هو الفاعل للافعال الحسنة من وجوه الطاعات والقربات وبالله التوفيق
وروي ان جارية لعلي بن الحسين عليهما السلم جعلت تسكب عليه الماء ليتهيأ للصلوة فسقط الابريق من يدها
فشجه فرفع راسه اليها فقالت الجارية ان الله تعالى يقول والكاظمين الغيظ فقال لها قد كظمت غيظي قالت
والعافين عن الناس قال قد عفى الله عنك قالت والله يحب المحسنين قال اذهبي فانت حرة لوجه الله تعالى قوله تعالى
والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم
يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون • اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها ونعم اجر العاملين • ايتان اللغة اصل الفاحشة الفحش وهو الخروج الى عظم القبح او راى العين فيه ولذلك
للطويل المفرط انه لفاحش الطول وافحش فلان اذا افحش بذكر الفحش والاصرار اصله الشدة من الصر وهو
الصر شدة البرد فكانما هو ارتباط الذنب بالاقامة عليه وقيل اصله الثبات على الشيء وقال الحطيئة يصف
الخيل عوابس بالشعث الكماة اذا ابتغوا علالتها بالمحصدات اصرت اي اذا اختار واهيبة حربها بالشيطان
ثبت على حربها الاعراب والذين عطف على المتقين وقيل رفع على الاستيناف كانه عطف جملة على جملة فعلى
القول الاول هم فرقة واحدة وعلى القول الثاني هم فرقتان ويجوز ان يكون من صفات الاولين ويكون محله
نصبا على المدح وقوله الا الله يرتفع الله حملا على المعنى لا على اللفظ اذ ليس قبله جحد وتقديره وهل يغفر
الذنوب احد الا الله او هل راى احد يغفر الذنوب الا الله ومعناه لا يغفر الذنوب الا الله لان الاستفهام قد
يقع موقع النفي ونعم اجر العاملين المخصوص بالمدح محذوف وتقديره ونعم اجر العاملين اجرهم • النزول روي
ان قوما من المؤمنين قالوا يا رسول الله بنو اسرائيل اكرم على الله منا كان احدهم اذا اذنب اصبحت كفارة ذنبه مكتوبة
على عتبة بابه اجدع انفك او اذنك افعل كذا فسكت رسول الله صلعم فنزلت الاية فقال صلعم الا اخبركم بخير من ذلكم
وقرأ عليهم الاية عن ابن مسعود ففي ذلك التسهيل لما كان قد شدد على بني اسرائيل اذ جعل الاستغفار بدلا منه وقيل
نزلت في نبهان التمار اتته امرأة تبتاع منه تمرا فقال لها ان هذا التمر ليس بجيد وفي البيت اجود منه وذهب بها الى بيته
فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم واتى النبي صلعم وذكر له ذلك فنزلت الاية عن عطا
المعنى والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم اختلفوا في الفاحشة وظلم النفس فقيل الفاحشة
الزنا وظلم النفس سائر المعاصي عن السدي وجابر وقيل الفاحشة الكباير وظلم النفس الصغاير عن القاضي
عبد الجبار بن احمد الهمداني وقيل الفاحشة اسم لكل معصية ظاهرة وباطنة الا انها لا تكاد تقع الا على الكبيرة عن علي
بن عيسى وقيل فعلوا فاحشة فعلا او ظلموا انفسهم قولا ذكروا الله اي ذكروا وعيد الله فانزجروا عن المعصية فاستغفروا
لذنوبهم فيكون من الذكر بعد النسيان لانهم تعرضوا للذكر وقيل ذكروا الله بان قالوا اللهم اغفر لنا ذنوبنا فانا تبنا
نادمين عليها مقلعين بالطاعة عنها وقوله ومن يغفر الذنوب الا الله من لطيف فضل الله سبحانه وبليغ كرمه وجليل
منه وهو الغاية في ترغيب العاصين في التوبة وطلب المغفرة والنهاية في تحسين الظن للمذنبين وتقوية رجا [illegible]

وهذا

وهذا كما يقول السيد لعبده وقد اذنب ذنبا اعتذر لمن يقبل عذرك سواي واذا سئل ان العباد قد
يغفر بعضهم لبعض الاساءة فالجواب ان الذنوب التي يستحق عليها العقاب لا يغفرها الا الله سبحانه وايضا
فانه سبحانه يغفر الكباير العظام والاساءة عن بعضنا الى بعض صغيرة بالاضافة اليها ولم يصروا على ما فعلوا
وهم يعلمون اي لم يقيموا على المعصية ولم يواظبوا عليها ولم يلزموها وقال الحسن هو فعل الذنب
من غير توبة وهو قريب من الاول وذلك لا يكون فان التوبة مجرد الاستغفار مع الاصرار وذلك ان
الاستغفار انما يوثر عند ترك الاصرار وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة
مع الاستغفار يعني لا تبقى الكبيرة كبيرة مع التوبة والاستغفار ولا تبقى الصغيرة صغيرة مع الاصرار وفي تفسير
ابن عباس الاصرار السكوت على الذنب بترك التوبة والاستغفار ومثله وهم يعلمون يحتمل وجوها احدها
ان معناه وهم يعلمون الخطيئة ذاكرين لها غير ساهين ولا ناسين لان الله تعالى يغفر للعبد ما نسيه من
ذنوبه وان لم يتب منه بعينه عن الجبائي والسدي وثانيها ان معناه وهم يعلمون الحجة في انها خطيئة
فاما اذا لم يعلموا ولا طريق لهم الى العلم بها كان الاثم موضوعا عنهم كمن تزوج امة من الرضاع او النسب وهو لا
يعلم به فانه لا يأثم وهذا معنى قول ابن عباس والحسن وثالثها ان المراد وهم يعلمون ان الله يملك مغفرة
ذنوبهم عن الجبائي اولئك اشارة الى ما تقدم وصفهم من المتقين الذين ينفقون في السراء والضراء
اي هؤلاء جزاؤهم على اعمالهم وتوبتهم مغفرة من ربهم اي ستر لذنوبهم وجنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها قد مر تفسيره في سورة البقرة ونعم اجر العاملين هذا يعني ما وصفه من الجنات ونوع
الثواب والمغفرة بستر الذنوب حتى كانها لم تعمل في زوال العار بها والعقوبة عليها والله سبحانه متفضل
بذلك لان اسقاط العقاب عند التوبة تفضل منه سبحانه واما استحقاق الثواب بالتوبة فواجب لا محالة
عقلا لانه لو لم يكن مستحقا بالتوبة لقبح تكليفه بالتوبة لما فيها من المشقة النظم قيل ان الاية اتصلت
بما قبلها لانها من صفة المتقين وقيل بل هما فرقتان بين سبحانه ان الجنة للمتقين المنفقين في السراء والضراء
ولمن عثر ثم تاب لم يصر قوله تعالى قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة
المكذبين • هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين • ايتان اللغة السنة الطريقة المجعولة
ليقتدى بها فمن ذلك سنة رسول الله صلعم قال لبيد من معشر سنت لهم اباؤهم ولكل قوم سنة وامامها
وقال سليمان بن قتة وان الالى بالطف من آل هاشم تاسوا فسنوا للكرام التاسيا واصل السنة
الاستمرار في جهة يقال سن الماء اذا صبه حتى يفيض من الاناء وسن السكين بالمسن اذا امره عليه
ليحد به ومنه السن واحد الاسنان لاستمرارها على منهاج والسنان لاستمراره في الطعن به والسنن المستمر
الطريق والعاقبة ما يؤدي اليها السبب المتقدم وليس كذلك الاخرة لانه قد يمكن ان يتخلى الاولى
في الخلق والموعظة ما يلين القلب ويدعو الى التمسك بما فيه من الزجر عن القبيح والدعاء الى الجميل
وقيل الموعظة هو ما يدعو بالرغبة والرهبة الى الحسنة بدلا من السيئة المعنى لما بين سبحانه ما
يفعله بالمؤمن والكافر في الدنيا والاخرة بين ان ذلك عادته سبحانه في خلقه فقال قد خلت اي مضت
من قبلكم يا اصحاب محمد وقيل هو خطاب لما انهزم يوم احد سنن من الله في الامم السالفة اذا
كذبوا رسله وجحدوا نبوتهم بالاستيصال وبقية اثارهم في الديار للاتعاظ والاعتبار عن الحسن وابن
اسحاق وقيل سنن امثال عن ابن زيد وقيل سنن امم والسنة الامة عن المفضل قال الشاعر ما
عاين الناس من فضل كفضلكم ولا رأوا مثلكم في سالف السنن وقيل معناه اهل سنن وقيل معناه

١٨٨

من الهلاك

لكل امة سنة ومنهاج اذا اتبعوها رضي الله عنهم عن الجبائي فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين
اي تعرفوا اخبار المكذبين وما نزل بهم لتتعظوا بذلك وتنتهوا عن مثل ما فعلوه ولا تسلكوا طريقهم في التكذيب
والانكار فيحل بكم ما حل بهم واراد بالمكذبين الجاحدين للبعث والنشور والثواب والعقاب اهلكهم الله سبحانه
في الدنيا بعذاب الاستيصال وفي الآخرة بأليم العذاب وعظيم النكال هذا بيان للناس يعني دلالة وحجة لهم كافة
عن الحسن وقتادة وقيل اشارة الى ما تقدم من قوله قد خلت من قبلكم سنن اي هذا الذي عرفتكم بيان للناس

اشارة الى القرآن

عن ابن اسحق واختاره البلخي والطبري وهدى قال علي بن عيسى الفرق بين البيان والهدى ان البيان اظهار المعنى
للنفس كائنا ما كان والهدى بيان لطريق الرشد ليسلك دون طريق الغي وموعظة للمتقين انما خص المتقين به
مع كونه بيانا وهدى وموعظة للناس كافة لان المتقين هم المنتفعون به والمهتدون بهداه والمتعظون
بمواعظه قوله تعالى ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين ۝ ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح
مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين ۝ القراءة
قرأ اهل الكوفة غير حفص قرح بضم القاف فيهما وكذلك قرح من بعد ما اصابهم القرح والباقون بفتح القاف
الحجة قال ابو علي القرح والقرح مثل الضعف والضعف والكره والكره والشهد والشهد والدف والدف
وقال ابو الحسن قرح يقرح قرحا وقرحا فهذا يدل على انهما مصدران وممن قال ان القرح الجراح باعيانها والقرح
ألم الجراح قال ذلك منه اذا اتى فيه رواية لان ذلك مما لا يعلم الناس بالقياس اللغة الوهن
الضعف الوهن والوهن ساعة يمضي من الليل الاعلون واحدهم الاعلى ومؤنثه العليا وجمعها العليات والعلى
والفرق بين المس والمماسة ان المس لصوق باحساس والمماسة لصوق فقط والدولة الكرة يقال ادال الله
فلانا من فلان اذا جعل الكرة له عليه وتداول القوم الشيء اذا صار من بعضهم الى بعض وضم الدال في الدولة وفتحها
لغتان وقيل الضم في المال والفتح في الحرب الاعراب وانتم الاعلون جملة في موضع الحال كانه قال لا تحزنوا عالين اي
منصورين على الاعداء ويحتمل ان يكون لا موضع لها من الاعراب لانها اعتراض وعد مؤكد وتقديره ولا تهنوا
ولا تحزنوا ان كنتم مؤمنين وانتم الاعلون مع ذلك وقوله وليعلم الله العامل في اللام محذوف يدل عليه اول الكلام
وتقديره وليعلم الله الذين آمنوا فعلنا ويجوز ان يعمل فيه نداولها الذي في اللفظ وتقديره نداولها بين الناس لضرب
من التدبير وليعلم الله الذين آمنوا النزول قيل نزلت الآية تسلية للمسلمين لما نالهم يوم احد من القتل والجراح
عن الزهري وقتادة وابن ابي نجيح وقيل لما انهزم المسلمون في الشعب واقبل خالد بن الوليد بخيل المشركين يريد ان
يعلو عليهم الجبل فقال النبي صلعم اللهم لا يعلن علينا اللهم لا قوة لنا الا بك اللهم ليس يعبدك بهذه البلدة الا
هؤلاء النفر فانزل الله الآية وثاب نفر رماة فصعدوا الجبل ورموا خيل المشركين حتى هزموهم وعلا المسلمون
الجبل فذلك قوله وانتم الاعلون عن ابن عباس وقيل نزلت الآية يوم احد حين امر رسول الله صم اصحابه بطلب القوم
وقد اصابهم من الجراح ما اصابهم وقال صم لا يخرج الا من شهد معنا بالامس فاشتد ذلك على المسلمين فانزل الله
تعالى هذه الآية عن الكلبي ودليله قوله ولا تهنوا في ابتغاء القوم الآية المعنى ثم حث الله سبحانه المسلمين على الجهاد
ونهاهم عن الوهن والحزن ووعدهم العلية في الحال وحسن العاقبة في المآل فقال ولا تهنوا اي لا تضعفوا عن قتال
عدوكم ولا تحزنوا بما يصيبكم في اموالكم وابدانكم وقيل لا تضعفوا بما نالكم من الجراح ولا تحزنوا على ما نالكم
من المصائب بقتل الاخوان وقيل لا تهنوا بما نالكم من الهزيمة ولا تحزنوا على ما فاتكم من الغنيمة وانتم الاعلون
اي الظافرون المنصورون الغالبون عليهم في العاقبة وقيل اراد وانتم الاعلون في المكان ان كنتم مؤمنين معناه
ان كنتم مصدقين بوعدي لكم بالنصر والظفر على عدوكم فلا تهنوا ولا تحزنوا ثم اخذ سبحانه في تسلية

المؤمنين

المؤمنين فقال ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله معناه ان تصبكم جراح فقد اصاب القوم جراح مثلها عن ابن عباس
وقيل ان تصبكم الجراح يوم احد فقد اصاب القوم ذلك يوم بدر وقال انس بن مالك اتي رسول الله صم بعلي عم
يومئذ وعليه نيف وستون جراحة من طعنة وضربة ورمية فجعل رسول الله صم يمسحها وهي تلتئم باذن الله
كأن لم تكن وعن ابن عباس قال لما كان يوم احد صعد ابو سفيان الجبل فقال رسول الله صم اللهم انه ليس لهم
ان يعلونا فمكث ابو سفيان ساعة فقال يوم بيوم ان الايام دول وان الحرب سجال فقال رسول الله صلعم
اجيبوه فقالوا لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار فقال لنا عزى ولا عزى لكم فقال صلعم الله مولانا
ولا مولى لكم فقال ابو سفيان اعل هبل فقال صلعم الله اعلى واجل وتلك الايام نداولها بين الناس اي نصرفها
مرة لفرقة ومرة عليها عن الحسن وقتادة والربيع والسدي وابن اسحاق وانما يصرف الله الايام بين المسلمين وبين الكفار
تخفيفا للمحنة عن المسلمين احيانا وتشديدها عليهم احيانا لا بنصرة الكفار عليهم لان الله سبحانه لا ينصر الكفار
على المسلمين لان النصرة تدل على المحبة والله سبحانه لا يحب الكافرين وانما جعل الله سبحانه الدنيا متقلبة
لكي لا يطمئن المسلم اليها ولتقل رغبته فيها وحرصه عليها اذ تفنى لذاتها ويظعن مقيمها ويسعى للآخرة
التي يدوم نعيمها وانما جعل الدولة مرة للمسلمين ومرة عليهم ليدخل الناس في الايمان على الوجه الذي يجب
الدخول فيه كذلك وهو قيام الحجة فانه لو كانت الدولة ابدا للمؤمنين لكان الناس يدخلون في الايمان
على سبيل اليمن والفال على ان كل موضع حضره النبي صلعم لم يخل من ظفر اما في ابتداء الامر واما في انتهائه
وانما لم يتبين ذلك لما بيناه وقوله وليعلم الله الذين آمنوا المعلول الثاني ليعلم محذوف وتقديره وتلك
الايام نداولها بين الناس لوجوه من المصالح وضروب من الحكمة وليعلم الله الذين آمنوا متميزين بالايمان من
غيرهم وعلى هذا لا يكون يعلم بمعنى يعرف لانه ليس المعنى انه يعرف الذوات بل المعنى انه يعرف تميزها
بالايمان ويجوز ان يكون المعنى ليعلم الله الذين آمنوا بما يظهر من غيرهم على جهاد عدوهم اي يعاملهم
معاملة من يعرفهم بهذه الحال فاذا كان الله تع يعلمهم قبل اظهارهم الايمان كما يعلمهم بعد فانما يعلم قبل الاظهار
انهم سيتميزون فاذا اظهروه علمهم متميزين ويكون التغير حاصلا في المعلوم لا في العالم كما ان احدنا يعلم
الغد قبل مجيئه على معنى انه سيجيء فاذا جاء علمه جائيا وعلمه يوما لا غدا واذا انقضى فانما يعلمه امسا لا يوما
ولا غدا ويكون التغير واقعا في المعلوم لا في العالم وقيل معناه ليعلم اولياء الله الذين آمنوا وانما اضاف الى
نفسه تفخيما وقيل معناه وليظهر المعلوم من صبر من يصبر وجزع من يجزع وايمان من يؤمن وقيل ليظهر المعلوم
من الاخلاص والنفاق وتقديره ليعلم الله المؤمن من المنافق فاستغنى بذكر احدهما عن الآخر وقوله ويتخذ منكم
شهداء فيه قولان احدهما ان معناه ليكرم بالشهادة من قتل يوم احد عن الحسن وقتادة وابن اسحاق والآخر
ويتخذ منكم شهداء على الناس بما يكون منهم من العصيان لما لكم في ذلك من جلالة القدر وعلو المرتبة
والشهداء تكون جمع شاهد وجمع شهيد عن ابي علي الجبائي وانما سموا شهداء بمشاهدتهم الاعمال التي
يشهدون بها واما في جمع الشهيد فلانهم بذلوا الروح عند شهود الوقعة ولم يفروا والله لا يحب الظالمين
ظاهر المعنى وفائدته انه تعالى بين انه لا يمكن الظالمين منهم لمحبته لهم ولكن لاجل الفوائد التي ذكرها ولتمحيص
ذنوب المؤمنين كما قاله فيما بعد قوله تعالى وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين ۝ اللغة اصل التمحيص
التخليص قال الخليل المحص خلوص الشيء من العيب ومحصته امحصه محصا اي خلصته من كل عيب ويقال اللهم
محص عنا ذنوبنا اي اذهبها عنا لانه تخليص الحسنات بتكفير السيئات واصل المحق فناء الشيء حالا بعد
حال ولهذا دخله معنى النقصان والمحاق لشيء الهلال وانمحى ومحق اذهب بركته حالا بعد حال والمحاق

اخر الشهر الذهاب ضوء الهلال فيه لا لابطال المعنى ثم بين حكمة وجه المصلحة في مداولة الايام بين
الناس فقال وليمحص الله الذين امنوا قيل في معنى الاية اقوال احدها وليمحص الله اي ليبتلي الله المؤمنين ويمحق
الكافرين ينقصهم عن ابن عباس ومجاهد والسدي وثانيها ليخلص الله المؤمنين من الذنوب عن الزجاج وثالثها يمحص
الله الذين امنوا من الذنوب بالابتلاء ويهلك الكافرين بالذنوب عند الابتلاء عن علي بن عيسى والفرق بين
التمحيص والمحق لان محص هؤلاء باهلاك ذنوبهم نظير محق اولئك باهلاك انفسهم وهذه مقابلة في المعنى في
هذه الاية دلالة على انه سبحانه انما يداول بين الناس ليمحص ذنوب المؤمنين ويمحق الكافرين وانما يمحصهم بالمداولة
لشيئين احدهما انه يعرضهم للثواب وتمكين الكافرين منهم تعريضا اياهم للصبر الذي به يستحقون عظيم الاجر ويحط
عنهم كثيرا من ... والثاني ان في ذلك لطفا لهم يعصمهم عن مراقي الاثم قوله تعالى ام حسبتم
ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ولقد كنتم تمنون الموت من قبل
ان تلقوه فقد رأيتموه وانتم تنظرون • اللغة الفرق بين التمني والارادة ان الارادة من افعال القلوب
والتمني هو قول القائل ليت كان كذا وليت لم يكن وقيل ان التمني معنى في القلب يطابق هذا القول والصحيح هو الاول
الاعراب ام في قوله ام حسبتم هي المنقطعة وتقديره بل احسبتم وهو استفهام على وجه الانكار والفرق بين لم ولما ان لما
جواب لقول القائل قد فعل فلان يريد به الحال واذا قال فعل فجوابه لم يفعل فلما كانت لما اصلها لم مؤكدة بحرف كانت
جوابا لما هو مؤكد بحرف وقوله ويعلم الصابرين نصب على الصرف عن العطف وليس المعنى على نفي الثاني والاول
وانما هو على نفي اجتماع الثاني والاول وتقديره وان لا يعلم ليكون منصوبا باضمار ان والمعنى لما يجتمع العلم
بالجهاد والعلم بصبر الصابرين وروي عن الحسن انه قرأ ويعلم الصابرين بالكسر عطفا على الاول المعنى
لما حث الله سبحانه على الجهاد ورغب فيه زاد في البيان والاخبار بان الجنة لا تنال الا بالبلوى والاختبار
فقال ام حسبتم ان تدخلوا الجنة المراد به الانكار اي اظننتم ايها المؤمنون انكم تدخلون الجنة ولما يعلم
الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين اي ولما يجاهد المجاهدون منكم فيعلم الله جهادهم ويصبر الصابرون
منكم فيعلم صبرهم على الجهاد والقتال وانما جاز ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم على معنى نفي الجهاد العلم لما في ذلك
من الايجاز فان انتفاء جهادهم لانه لو كان لعلمه وتقديره ولما يكن المعلوم من الجهاد الذي اوجب عليكم لان المعنى
مفهوم لا يشتبه ولقد كنتم يا اصحاب محمد تمنون اي تتمنون الموت فحذف احدى التائين للتخفيف وذلك ان قوما
ممن فاتهم شهود بدر كانوا يتمنون الموت بالشهادة بعد بدر قبل احد فلما رأوه يوم احد اعرض كثير منهم عنه
فانهزموا فعاتبهم الله على ذلك عن الحسن ومجاهد والربيع وقتادة والسدي من قبل ان تلقوه فقد رأيتموه الهاء في فقد
رأيتموه راجعة الى الموت اي من قبل ان تلقوا اسباب الموت وهو الحرب فقد رأيتموها لان الموت لا يرى كما قال
الشاعر والموت تحت لواء المعلم اي اسباب الموت وقيل الهاء راجعة الى الجهاد وانتم تنظرون قيل انه تاكيد
للرؤية كما يقال رأيته عيانا ورأيته بعيني وسمعته باذني لئلا يتوهم رؤية القلب وسمع العلم وقيل معناه وانتم تتأملون
الحال في ذلك كيف هي فعلى هذا يكون النظر بمعنى الفكر وقيل معناه وانتم تنظرون الى محمد ص وفيه حذف
اي فلم انهزمتم لانه موضع عتاب فان قيل كيف يتمنى قتال المشركين لهم لينالوا منزلة الشهادة وهل يجوز ذلك
قلنا لا يجوز ذلك لان قتال المشركين معصية لهم ولا يجوز تمني المعاصي كما لا يجوز ارادتها ولا الامر بها واذا ثبت
ذلك فانما تمنوا الشهادة بالصبر على الجهاد الى ان يقتلوا قوله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل
افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين
اللغة محمد اخذ من الحمد والتحميد في قولك محمد هو المستغرق لجميع المحامد لان التحميد لا يستوجبه الا المستولي على

الامر

الامر في الكمال فاكرم الله عز اسمه نبيه وحبيبه باسمين مشتقين من اسمه جل جلاله محمد واحمد واليه اشار حسان بن ثابت
في قوله الم تر ان الله ارسل عبده ببرهانه والله اعلى وامجد وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد نبي
اتانا بعد ياس وفترة من الرسل والاوثان في الارض تعبد الاعراب انما دخل حرف الاستفهام على حرف الشرط
وتقديره أتنقلبون ان مات او قتل لان الشرط لما انعقد به صار جملة واحدة وخبرا واحدا فكان بمنزلة
تقديم الاسم على الفعل في الذكر اذا قال ازيد قائم تقديره في القسم والاكتفاء بجواب الشرط عن جواب القسم كما قال
الشاعر حلفت له ان تدلج الليل لا يزل امامك بيت من بيوتي سائر النزول قال اهل التفسير سبب نزول
هذه الاية انه لما ارجف بان النبي صلعم قد قتل يوم احد واشيع ذلك قال ناس لو كان نبيا لما قتل و
قال اخرون نقاتل على ما قاتل عليه حتى نلحق به وارتد بعضهم وانهزم بعضهم وكان سبب انهزامهم وتضعضعهم
اخلال الرماة بمكانهم من الشعب وكان رسول الله صلعم نهاهم عن الاخلال به وامر عبد الله بن جبير وهو اخو
خوات بن جبير على الرماة وهم خمسون رجلا وقال لا تبرحوا مكانكم فانا لا نزال غالبين ما ثبتم بمكانكم وجاءت
قريش وعلى ميمنتهم خالد بن الوليد وعلى ميسرتهم عكرمة بن ابي جهل ومعهم النساء يضربن بالدفوف
وينشدن الاشعار فقالت هند نحن بنات طارق نمشي على النمارق ان تقبلوا نعانق وان تدبروا
نفارق فراق غير وامق وكان ابو عامر عبد عمرو بن الصيفي اول من لقيهم بالاحابيش وعبيد اهل مكة
فقاتلهم قتالا شديدا وحميت الحرب فقال رسول الله صلعم من يأخذ هذا السيف بحقه ويضرب به
العدو حتى ينحني فاخذه ابو دجانة سماك بن خرشة الانصاري فلما اخذ السيف اعتم بعمامة حمراء وجعل
يفخر ويقول انا الذي عاهدني خليلي ان لا اقوم الدهر في الكيول اضرب بسيف الله والرسول فقال
رسول الله صلى الله عليه واله انها لمشية يبغضها الله ورسوله الا في هذا الموضع ثم حمل النبي صلعم
واصحابه على المشركين حتى هزموهم وحمل علي بن ابي طالب عليه السلام صاحب اللواء كما قدمنا بيانه وانزل الله نصره على المسلمين
المشركين قال الزبير فرأيت هندا وصواحبها هاربات مصعدات في الجبل باديات خدامهن ما دون اخذهن شيء
فلما نظرت الرماة الى القوم قد انكشفوا ورأوا النبي صلعم ينتهبون الغنيمة اقبلوا يريدون النهب واختلفوا
وقال بعضهم لا نترك امر رسول الله صلعم وقال بعضهم ما بقي من الامر شيء ثم انطلقوا عامتهم ولحقوا بالعسكر فلما رأى
خالد بن الوليد قلة الرماة واشتغال الناس بالغنيمة ورأى ظهورهم خالية صاح في خيله من المشركين وحمل على اصحاب
النبي صلعم من خلفهم فهزموهم وقتلوهم ورمى عبد الله بن قمئة الحارثي رسول الله صلعم بحجر وكسر انفه ورباعيته
وشجه في وجهه فاثقله وتفرق عنه اصحابه واقبل يريد قتله فذب عنه مصعب بن عمير فقتله ابن قمئة فرجع
وهو يرى انه قتل رسول الله ص وقال اني قتلت محمدا وصاح الصارخ الا ان محمدا قد قتل وقيل ان ذلك
الصائح كان ابليس عليه اللعنة فانكفأ الناس وجعل رسول الله ص يدعو الناس يقول الي عباد الله الي عباد الله
فاجتمع اليه ثلاثون رجلا فحموه حتى كشفوا عنه المشركين ورمى سعد بن ابي وقاص حتى اندقت سية
قوسه واصيبت يد طلحة بن عبيد الله فيبست واصيبت عين قتادة بن النعمان يومئذ حتى وقعت على وجنته
فردها رسول الله ص مكانها فعادت كاحسن ما كانت فلما انصرف رسول الله ص ادركه ابي بن خلف
الجمحي وهو يقول لا نجوت ان نجوت فقال القوم يا رسول الله الا يعطف عليه رجل منا فقال دعوه حتى اذا دنا منه
وكان ابي قبل ذلك يلقى رسول الله صلعم فيقول عندي رمكة اعلفها كل يوم فرق ذرة اقتلك عليها فقال رسول الله
صلعم بل انا اقتلك ان شاء الله فلما كان يوم احد ودنا منه تناول رسول الله صلعم الحربة من الحرث
بن الصمة ثم استقبله فطعنه في عنقه وخدشه خدشة فتدهدى عن فرسه وهو يخور كما يخور الثور

١٩٠

وهو يقول قتلت محمدا فاحتمله الخطاب وقالوا ليس عليك بأس فقال بلى لو كانت هذه الطعنة بربيعة ومضر لقتلتهم أليس قال
لي أقتلك فلو بزق علي بعد تلك المقالة لقتلني فلم يلبث إلا يوما حتى مات قالوا وفشا في الناس أن رسول الله
قد قتل فقال بعض المسلمين ليت لنا رسولا إلى عبد الله بن أبي فيأخذ لنا أمانا من أبي سفيان وبعضهم جلسوا
وألقوا بأيديهم وقال أناس من أهل النفاق إن كان محمد قد قتل فالحقوا بدينكم الأول فقال أنس بن النضر عم
مالك أنس إن كان محمد قد قتل فإن رب محمد لم يقتل وما تصنعون بالحيوة بعد رسول الله صلعم فقاتلوا على ما
قاتل عليه رسول الله صلعم وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم إني أعتذر إليك مما يقول هؤلاء يعني المسلمين
وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء يعني المنافقين ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله
انطلق إلى الصخرة وهو يدعو الناس فأول من عرف رسول الله صلعم كعب بن مالك قال عرفت عينيه تحت المغفر تزهران
فناديت بأعلى صوتي يا معاشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله صلعم فأشار إلي أن اسكت فانحازت إليه طائفة
من أصحابه فلامهم النبي على الفرار فقالوا يا رسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا أتانا الخبر بأنك قتلت
فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين فأنزل الله تعالى وما محمد إلا رسول الآية المعنى ثم بين سبحانه أنه لا ينبغي
أن يترك أمر الله تعالى كان ظاهرهم أو لم يكن فقال وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل يعني أنه
بشر اختاره الله لرسالته إلى خلقه قد مضت قبله رسل بعثوا فأدوا الرسالة ومضوا وماتوا وقتل
بعضهم وأنه يموت كما ماتت الرسل قبله فليس الموت بمستحيل عليه ولا القتل وقيل إن أصحاب الأنبياء لم يرتدوا لما
موتهم أو قتلهم فاقتدوا بهم ثم أكد ذلك فقال سبحانه أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم معناه أفإن أماته الله
أو قتله الكفار ارتددتم كفارا بعد إيمانكم فسمى الارتداد انقلابا على العقب وهو الرجوع القهقرى لأن الردة
خروج إلى أقبح الأديان كما أن الانقلاب خروج إلى أقبح ما يكون من المشي والألف في قوله أفإن مات لفظها لفظ
صورة الاستفهام ومثله لمجاز الإنشاد على الصلاح والخطأ على الصواب وفي قوله مات أو قتل دلالة على أن الموت
غير القتل لأن الشيء لا يعطف على نفسه فالقتل هو نقض بنية الحيوة والموت إفساد البنية التي تحتاج الحيوة إليها بفعل
معان فيه يضاد المعاني التي تحتاج إليها الحيوة وقيل الموت معنى يضاد الحيوة والصحيح الأول ومن ينقلب على عقبيه يعني من يرتد
عن دينه فلن يضر الله شيئا لا يجوز عليه المضار بل مضرته عائدة إليه لأنه يستحق العقاب الدائم وسيجزي الله الشاكرين
أي يثيبهم الله الشاكرين على شكرهم لنعم الله تعالى واعترافهم بها وقيل أراد بالشاكرين المطيعين لأن الطاعات هي شكر الله
على نعمه وهذا يتصل بما قبله اتصال الوعد بالوعيد لأن قوله فلن يضر الله شيئا دليل على معنى الوعيد وكأنه قال
يرتد عاد ضرره عليه ومن شكر وآمن فنفعه يعود إليه فصل في ذكر ما جاء في اسم محمد صلعم كانت قريش يشتمون
مذمما يعنون اسم النبي صلعم وروى أبو هريرة عن النبي صلعم أنه قال ألم تروا كيف صرف الله عني لعن قريش وشتمهم
يشتمون مذمما وأنا محمد وفي سند علي بن موسى الرضا عليهما السلام عن آبائه عليهم السلام عن النبي صلعم أنه قال إذا سميتم الولد
محمدا فأكرموه وأوسعوا له في المجالس ولا تقبحوا له وجها وما من قوم كانت لهم مشورة وفيهم من اسمه أحمد أو محمد
فأدخلوه في مشورتهم إلا خير لهم وما من مائدة وضعت فحضرها من اسمه محمد أو أحمد إلا قدس في كل يوم ذلك المنزل
مرتين وعن أنس بن مالك قال كان النبي صلى الله عليه وآله في السوق فقال الرجل يا أبا القاسم فالتفت إليه رسول الله
فقال الرجل إنما أدعو ذاك فقال رسول الله صلعم تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وآله لا تجمعوا بين اسمي وكنيتي أنا أبو القاسم الله يعطي وأنا أقسم ثم رخص في ذلك لعلي وابنه عليهما السلام عن
علي بن أبي طالب عم قال قلت يا رسول الله إن ولد لي غلام نحلته اسمي وكنيتي قوله تعالى وما كان لنفس أن تموت
إلا بإذن الله كتابا مؤجلا ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين

(١٤٦) الإعراب كتابا انتصب على المصدر بفعل محذوف دل عليه أول الكلام مع العلم بأن كل ما يكون فقد كتبه الله
فتقديره كتب الله ذلك كتابا وقال الأخفش اللام في قوله وما كان لنفس منقولة عما دخلت عليه الخبر وتقديره
وما كان نفس لتموت إلا بإذن الله المعنى وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله ومعناه وما كانت
نفس لتموت إلا بإذن الله وقال الأخفش اللام في قوله وما كان لنفس منقولة عما دخلت عليه إلى غير وتقديره
وما كان نفس لتموت أي لأن تموت ومثله وما كان الله أن يضل وإنما أي ما كان الله ليضل وكذلك قوله
وما كان لكم أن تنبتوا شجرها معناه وما كنتم لتنبتوا شجرها لأن إنبات الشجر لا يصح منكم قد قال الشيخ في الآية إخبار
بأن الموت لا يكون إلا بإذن الله وهذا تسلية عما لحق النفوس بموت النبي صلعم من جهة أنه بإذن الله ومعناه أنه صلعم إن مات
فإنما يموت بأمر الله تعالى وعلمه كغيره من الناس فلا عذر لأحد في ترك دينه بعد موته وقيل إن فيه حثا على الجهاد
من حيث لا يموت أحد إلا بإذن الله أي فلا تتركوا الجهاد خشية القتل فإن ذلك لا يؤخر أجلا قد حضر ولا يقدم
أجلا لم يحضر والمعنى الإقدام وقوله بإذن الله يحتمل أمرين أحدهما بعلم الله والآخر بأمر الله وقال أبو علي
الجبائي فيه دلالة على أنه لا يقدر على الموت إلا الله كما لا يقدر على ضده من الحيوة غير الله ولو كان من مقدور
غيره لم يكن بإذنه وقوله كتابا مؤجلا معناه كتب الله لكل حي أجلا ووقتا لحيوته ووقتا لموته لا يتقدم ولا
يتأخر وقيل حتما موقتا وحكما لازما مبرما ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها قيل في معناه أقوال أحدها
أن المراد من عمل للدنيا لم نحرمه ما قسمنا له فيها من غير حظ في الآخرة عن ابن إسحاق أي ولا نعم بحاله في الدنيا
وثانيها من أراد بجهاده ثواب الدنيا وهو النصيب من الغنيمة نؤته منها فبين أن حصول الدنيا للإنسان
ليس بموضع غبطة لأنها مبذولة للبر والفاجر عن أبي علي الجبائي وثالثها من تعرض لثواب الدنيا بعمل النوافل
مع مواقعة الكبائر جوزي بها في الدنيا دون الآخرة لإحباط عمله بفسقه وهذا على مذهب من
يقول بالإحباط ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها أي من يرد بجهاده وأعماله ثواب الآخرة نؤته منها ولا ينبغي لأحد
أن يطلب بطاعته غير ثواب الله ومثله قوله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه وقريب منه قول النبي صلعم من طلب
الدنيا بعمل الآخرة فما له في الآخرة من نصيب ومن في قوله منها يحتمل أن يكون زائدة ويحتمل أن يكون للتبعيض لأنه
إنما يستحق الثواب على قدر العمل وسنجزي الشاكرين أي نعطيهم جزاء الشكر وفي تكرارها قولان أحدهما أنه للتأكيد
والتنبيه على عظم منزلة الشاكرين والثاني أن معناه سنجزي الشاكرين من الرزق في الدنيا لئلا يتوهم أن الشاكر
يحرم ما يعطى الكافر من نعيم الدنيا عن ابن إسحاق وروى أبان بن عثمان عن أبي جعفر عم أنه أصاب عليا
يوم أحد ستون جراحة وأن النبي صلعم أمر أم سليم وأم عطية أن تداوياه فقالتا إنا لا نعالج منه مكانا
إلا انفتق مكان وقد خفنا عليه ودخل رسول الله صلعم والمسلمون يعودونه وهو قرحة واحدة فجعل يمسحه بيده
ويقول إن رجلا لقي هذا في الله فقد أبلى وأعذر وكان القرح الذي يمسحه رسول الله صلعم يلتئم فقال علي عليه السلام
الحمد لله إذ لم أفر ولم أول الدبر فشكر الله له ذلك في موضعين من القرآن وهو قوله وسيجزي الله الشاكرين
قال أبو علي الجبائي وفي هذه الآية دلالة على أن أجل الإنسان إنما هو أجل واحد وهو الوقت الذي يموت فيه
لأنه لا يقتطع بالقتل عن الأجل الذي أجله الله تعالى بأن أجل الموت قال ابن الإخشيد لا دليل فيه على ذلك لأن
للإنسان أجلين أجلا يموت فيه لا محالة وأجلا هو موهبة من الله تعالى له ومع ذلك فلن يموت إلا عند الأجل
الذي جعله الله لموته والأقوى الأول النظم اتصل قوله وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله بما قبله
لأنه حث على الجهاد وقيل لأنه تسلية عما لحق النفوس بموت النبي صلعم وقيل للبيان بأن حالهم لا يختلف
في التكليف بأن يموت النبي صلى الله عليه وآله فينبغي أن يتمسك بأمره في حياته وبعد وفاته قوله تعالى

وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين
وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين
فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين • ثلث آيات القراءة قرأ ابن كثير كائن
على وزن كاعن وأبو جعفر بلين الهمزة وهي قراءة الحسن والباقون كأين على وزن كعين وقرأ أهل البصرة وابن كثير
ونافع قتل بضم القاف بغير ألف وهي قراءة ابن عباس والباقون قاتل بالألف وهو قراءة ابن مسعود الحجة أصل
كأين أي دخلت عليه كاف التشبيه كما دخلت على ذا من كذا وعلى أن من كأن وكثر استعمال الكلمة فصارتا ككلمة واحدة
فقلبت قلب الكلمة الواحدة فصار كيأين فخففت الياء الثانية كما حذفت في كينونة فصار كيأن فسكنت الياء ثم أبدلت
من الياء الألف كما أبدلت من طائي فصار كائن ثم لينت الهمزة على قراءة أبي جعفر قال الشاعر وكائن رددنا عنكم
من مدجج يجيء أمام القوم يردي مقنعا وقال آخر وكائن إليكم قاد من رأس فتنة جنودا وأمثال الجبال كتائبه
وقد حذفت الياء منه في قول الفرزدق تطرت نصرا والسماكين أيهما على من الغيث استهلت مواطره
وأما قتل فيجوز أن يكون مسندا إلى الضمير في نبي وإذا أسند إلى هذا الضمير احتمل قوله معه ربيون أمرين أحدهما
أن يكون صفة لنبي فإذا قدر هذا التقدير كان قوله ربيون مرتفعا بالظرف بلا خلاف لأن الظرف إذا اعتمد
على ما قبله جاز أن يرفع على مذهب سيبويه أيضا والآخر أن لا يجعله صفة ولكن حالا من الضمير في قتل والآخر
أن يكون الاسم الذي أسند إليه قتل قوله ربيون فيكون على هذا التقدير قوله معه متعلقا بقتل وعلى القولين
الآخرين اللذين هما الصفة والحال متعلقا في الأصل بمحذوف وكذلك من قرأ قاتل معه فيجوز فيه ما جاز في
قتل ومن وجه من قرأ قتل أنه أقام ما تلو وقتلوا وحجة من قرأ قاتل أن المقاتل قد يمدح كما يمدح المقتول قال
سبحانه وقاتلوا وقتلوا ومن جعل قوله قتل معه ربيون صفة أجري على النكرة الذي هو كأين خبرا أو موضع الكاف
الجارة في كأين مع المجرور رفع كما أن موضع الكاف في قوله كذا وكذا رفع ولا معنى للتشبيه هنا كما أنه لا معنى للتشبيه
في كذا وكذا اللغة الوهن الضعف وإنما قال وما ضعفوا من حيث أن الوهن انكسار الجد بالخوف ونحوه و
الضعف نقصان القوة و الاستكانة أصلها من الكينة وهي الحالة السيئة يقال فلان بات بكينة أي بنية
سوء ونحوه أي خال سوء الإسراف مجاوزة المقدار والإفراط بمعناه وضدهما التقتير وقيل الإسراف مجاوزة الحق
إلى الباطل بزيادة أو نقصان والأول أظهر يقال سرفت الشيء أي نسيته لأنه جاوزه إلى غيره بالسهو عنه •
المعنى ثم أكد سبحانه ما تقدم بقوله وكأين من نبي أي فكم من رسول قاتل أي حارب أو قتل معه ربيون كثير
ذكرنا ما فيه في الحجة وقيل في ربيون ثلاثة أقوال أحدها أنهم علماء وفقهاء وحبر عن ابن عباس والحسن وثانيها
أنها جموع كثيرة عن مجاهد وقتادة وثالثها أنهم منسوبون إلى الرب ومعناه المتمسكون بعبادة الله عن الأخفش وقال
غيره أنهم منسوبون إلى علم الرب ورابعها أن الربيون عشرة آلاف عن الزجاج وهو المروي عن أبي جعفر ع وخامسها
أن الربيون الأتباع والربانيون الولاة عن ابن زيد ومن أسند الضمير الذي في قتل إلى نبي فالمعنى كم من نبي قتل ذلك
النبي وكان معه جماعة كثيرة فما أنكر أصحابه ما وهنوا وما فتروا ومن أسند قتل إلى الربيين دون ضمير نبي فالمعنى
ما وهن باقيهم بعد ما قتل كثير منهم في سبيل الله قالوا هذا مذهب الحسن لأنه كان يقول لم يقتل نبي قط في المعركة وإلى
القول الأول ذهب ابن إسحاق وقتادة والربيع والسدي فعلى هذا يكون النبي ص المقتول والذين معه لا يهنون بين الله سبحانه
أنه لو كان قتل النبي كما أرجف بذلك يوم أحد لما أوجب ذلك أن يضعفوا ويهنوا كما لم يهن من كان مع الأنبياء بقتلهم
وهو المروي عن أبي جعفر ع وقيل معناه فما وهنوا أي ما فشلوا بقتل نبيهم ولا ضعفوا عن عدوهم ولا استكانوا لما أصابهم
والجهاد عن دينهم عن ابن إسحاق وقيل فما وهنوا أي ما جبنوا عن قتال عدوهم وما ضعفوا أي ما فتروا وما استكانوا

أي ما خضعوا لعدوهم عن الزجاج والله يحب الصابرين في الجهاد وقال أبو علي الجبائي فقد كان واجبا عليكم أن
تقاتلوا على أمر نبيكم لو قتل كما قاتل أمم الأنبياء بعد قتلهم ولم يرجعوا عن دينهم وما كان قولهم عند لقاء العدو
إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا والمعنى ما كان قولهم إلا استغفارهم أي إلا قولهم ربنا اغفر لنا ذنوبنا وقولهم
أن قالوا اسم كان وقولهم خبر والضمير يعود إلى النبي ومن معه على أحد القولين وإلى الربيين في القول الآخر وقوله
اغفر لنا ذنوبنا أي استرها علينا بترك عقابنا ومجازاتنا عليها وإسرافنا في أمرنا أي تجاوزنا الحد وتفريطنا
تقصيرنا أدبهم الله سبحانه أصحاب الرسول في أن يقولوا هذا القول ولا يقولوا قولا يدل على الضعف ويطمع الأعداء فيهم
وثبت أقدامنا في جهاد عدوك بتقوية القلوب وبفعل الألطاف التي معها تثبت الأقدام فلا تزول للانهزام وقيل
معناه ثبتنا على الدين فتثبت بذلك أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين بإلقاء الرعب في قلوبهم وإمدادنا بالملائكة
ثم بين سبحانه ما آتاهم عقيب دعائهم فقال فآتاهم الله يعني الذين وصفهم أعطاهم الله ثواب الدنيا وهو نصرهم
على عدوهم حتى ظفروا بهم وقهروهم وغلبوهم ونالوا منهم الغنيمة وحسن ثواب الآخرة وهو الجنة والمغفرة
ويجوز أن يكون ما آتاهم في الدنيا من الظفر والفتح والنصر وإحلال الغنيمة ثوابا استحقوه على طاعاتهم
لأن في ذلك التعظيم لهم والإجلال ولذلك يقول أن المدح على أهل الطاعة والتسمية بالأسماء الشريفة بعض
الثواب ويجوز أن يكون سبحانه أعطاهم ذلك تفضلا منه تعالى أو لما فيه من اللطف فيكون تسميته بأنه ثواب
مجازا أو توسعا والثواب هو النفع الخالص المستحق المقارن للتعظيم والتبجيل والله يحب المحسنين في أفعالهم ويثيبهم
والمحسن فاعل الحسن وقيل المحسن الذي يحسن إلى نفسه بطاعة ربه وقيل الذي يحسن إلى غيره قوله تعالى •
يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين • بل الله مولاكم وهو خير الناصرين

١٩٢

آيتان • اللغة الطاعة موافقة الإرادة المرغبة في الفعل بالترغيب فيه فصلا من الإجابة وإن كان موافقة
الإرادة خاصة في الناس من قال الطاعة هي موافقة الأمر والأول أصح لأن من فعل ما يقتضي العقل وجوبه
أو حسنه كان مطيعا لله وإن لم يأت هنا أمر الإعراب يردوكم جزم لأنه جواب الشرط فتنقلبوا عطف عليه
وخاسرين نصب على الحال بل حقيقته للإضراب عن الأول إلى الثاني النزول قيل نزلت في المنافقين إذ قالوا
للمؤمنين يوم أحد عند الهزيمة ارجعوا إلى إخوانكم وارجعوا في دينهم عن علي ع وقيل هم اليهود والنصارى عن الحسن
وابن جريج المعنى ثم أمر سبحانه بترك الاستماع لمن يثبطهم عن الجهاد من الكفار فقال يا أيها الذين آمنوا أي
صدقوا الله ورسوله إن تطيعوا الذين كفروا أي إن أصغيتم إلى قول اليهود والنصارى أن محمدا قتل فارجعوا
إلى عشائركم يردوكم على أعقابكم أي يرجعوكم كفارا كما كنتم فتنقلبوا خاسرين أي ترجعوا خاسرين لأنفسكم ولا
خسران أعظم من أن تبدلوا الكفر بالإيمان والنار بالجنة بل الله مولاكم أي هو أولى بأن تطيعوه وهو أولى بنصرتكم
وهو خير الناصرين إنما قال ذلك وإن كان نفع الإنسان بعضهم بعضا استظهارا في الحجة أي إن اعتد بنصر غيره
فهو خير الناصرين لأنه لا يجوز أن يغلب وأن نصره هو النصر في الحقيقة إن شاء أمدكم بأهل السماء وإن شاء أمدكم
بأهل الأرض وإن شاء نصركم بإلقاء الرعب في قلوب أعدائكم قوله تعالى سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما
أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين • آية القراءة قرأ ابن عامر وأبو جعفر و
الكسائي ويعقوب وأبو حاتم الرعب بضمتين والآخرون بتسكين العين وقد تقدم القول في مثله اللغة
هنا معناه الحجة والبرهان وأصله القوة فسلطان الملك قوته والسلطان البرهان لقوته على دفع الباطل و
التسلط على الشيء التقوي عليه مع الاعتزاز به والسلاطة حدة اللسان مع شدة الصخب للقوة على ذلك مع
إيثار فعله والسليط الزيت لقوة اشتعاله بحدته والإلقاء أصله في الأعيان يقال ألقيته قوله وألقى الألواح

والقواجبا لهم واستعمل في غير عين اتساعا اذ ليس للرعب عين وكذلك قوله والقيت عليك محبة مني ومثل الالقاء
في ذلك الرمي قال سبحانه والذين يرمون ازواجهم اي بالزنا فهذا اتساع لانه ليس بعين وكذلك قوله رماني
بامر كنت منه ووالدي بريئا ومن جول الطوي رماني والمثوى المنزل واصله من الثواء وهو طول الاقامة
واما المثوبة البيت والثوي الضيف لانه مقيم مع القوم النزول قال السدي لما ارتحل ابو سفيان والمشركون
يوم احد متوجهين الى مكة قالوا بئسما صنعنا قتلناهم حتى اذا لم يبق منهم الا الشريد تركناهم ارجعوا فاستأصلوهم
فلما عزموا على ذلك القى الله في قلوبهم الرعب حتى رجعوا عما هموا به وستاتي هذه القصة بتمامها بعد هذه الآية المعنى
ثم بين سبحانه ان من جملة نصرته للمؤمنين القاء الرعب في قلوب المشركين فقال سنلقي اي سنقذف في قلوب
الذين كفروا الرعب اي الخوف والفزع بما اشركوا بالله اي بشركهم بالله وقولهم عليه ما لا يجوز تعالى الله عن ذلك والشرك
ما لم ينزل به سلطانا اي برهانا وحجة يعني لم يجعل لهم في ذلك حجة ومأواهم اي مستقرهم النار يعذبون
بها وبئس مثوى الظالمين معناه وبئس مقام الظالمين النار وروي ان الكفار دخلوا مكة كالمنهزمين
مخافة ان يكون لرسول الله صلعم واصحابه الكرة عليهم وقال رسول الله صلعم نصرت بالرعب مسيرة شهر
قوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد
ما اريكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم
والله ذو فضل على المؤمنين • اية اللغة الحس القتل على وجه الاستئصال واصله من الاحساس ومنه حس
تحس منهم وسمي القتل حسا لانه يبطل الحس والفشل الجبن الاعراب صدق يتعدى الى مفعولين وجواب اذا في
قوله حتى اذا فشلتم قيل فيه وجهان احدهما انه محذوف وتقديره حتى اذا فشلتم امتحنتم والثاني انه على زيادة
الواو والتقديم والتاخير وتقديره حتى اذا تنازعتم في الامر فشلتم عن الفراء وقال هذا كقوله فلما اسلما وتله
للجبين وناديناه معناه ناديناه والواو زائدة وحتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها وانشد حتى اذا امتلأت بطونكم ورأيتم
ابناءكم شبوا وقلبتم ظهر المجن لنا ان اللئيم العاجز الخب يعني لا يجيزون هذا ويتأولون جميع ما
استشهد به على الحذف لانه ابلغ في الكلام واحسن النزول ذكر ابن عباس والبراء بن عازب والحسن وقتادة ان الوعد
المذكور في الآية كان يوم احد لان المسلمين كانوا يقتلون المشركين حتى اخل الرماة بمكانهم الذي امرهم الرسول
بالمقام عليه فاتاهم خالد بن الوليد من ورائهم وقتل عبد الله بن جبير ومن معه وتراجع المشركون وقتل من المسلمين سبعين رجلا
ونادى مناد قتل محمد ثم من الله على المسلمين فرجعوا وفي ذلك نزلت الآية المعنى ثم بين سبحانه انه صدقهم وعده
فقال ولقد صدقكم الله وعده معناه وفى الله لكم بما وعدكم من النصر على عدوكم وفي قوله بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم
من فورهم هذا يمددكم ربكم الآية وقيل كان الوعد قول رسول الله صلعم للرماة لا تبرحوا هذا المكان فانا لا نزال
غالبين ما ثبتم في مكانكم اذ تحسونهم اي تقتلونهم باذنه اي بعلمه وقيل بلطفه لان اصل الاذن هو الاطلاق في الفعل
فاللطف هو تيسير الفعل كما ان الاذن كذلك فحسن اجراء اسمه عليه حتى اذا فشلتم معناه جبنتم عن عدوكم وكععتم
وتنازعتم في الامر اي اختلفتم وعصيتم امر نبيكم في حفظ المكان من بعد ما اريكم ما تحبون من النصر على الكفار
وهزيمتهم والظفر بهم والغنيمة واكثر المفسرين على ان المراد بالجميع يوم احد وقال ابو علي الجبائي معناه اذ تحسونهم
يوم بدر حتى اذا فشلتم يوم احد وتنازعتم وعصيتم يوم احد من بعد ما اريكم ما تحبون يوم بدر والاول اظهر ويكون
حكاية عن يوم احد على ما بيناه وجواب اذا محذوف يدل الكلام عليه وتقديره اذا فشلتم ذلك ابتلاكم
وامتحنكم ورفع النصر عنكم منكم من يريد الدنيا يعني الغنيمة وهم الذين اخلوا المكان الذي رتبهم النبي صلعم
فيه واقبلوا على النهب ومنكم من يريد الآخرة اراد عبد الله بن جبير ومن ثبت مكانه اي نفس الجهاد [illegible]

فودي

وروي عن ابن مسعود قال ما كنت ارى ان احدا من اصحاب رسول الله صلعم يريد الدنيا حتى نزلت فينا هذه الآية يوم احد
ثم صرفكم عنهم قد ذكر في صرفهم انصرافهم الى الله سبحانه وجوه احدها انهم كانوا فريقين منهم من عصى بانصرافه
ومنهم من لم يعص لانهم قالوا بعد انهزام [illegible] الفرقة وانصرفوا باذن الله لا الا انهم لا ان الله تعالى اوجب ثبات المائة
للمائتين فاذا نقصوا لا يجب عليهم ذلك فجاز ان يذكر الله سبحانه الفريقين بانه صرفهم وعفا عنهم يعني صرف بعضهم
وعفا عن بعض عن ابي علي الجبائي وثانيها ان معناه رفع النصرة عنكم ووكلكم الى انفسكم بخلافكم للنبي صلعم فانهزمتم عن جعفر
بن حرب وثالثها ان معناه لم يأمركم بمعاودتهم من فوركم ليبتليكم بالمظاهرة في الانعام عليكم والتخفيف عنكم عن البلخي
وقوله ليبتليكم معناه ليختبركم اي يعاملكم معاملة المختبر مظاهرة في العدل وذلك انه سبحانه انما يجازي عباده على
ما يفعلونه دون ما يعلمه منهم ولقد عفا عنكم اي صفح عنكم بعد ان خالفتم امر الرسول وقيل عفا عنكم بتتبعهم
بعد ان امركم بالتتبع لهم عن البلخي قال لما بلغوا حمراء الاسد عفا عنكم من ذلك وقال ابو علي الجبائي هو خاص
بمن لم يعص الله بانصرافه والاولى ان يكون عاما في الجميع فانه لا يمتنع ان يكون الله سبحانه قد عفا لهم عن المعصية
والله ذو فضل على المؤمنين وروى الواقدي باسناده عن سعد الساعدي انه لما جرح رسول الله صلعم يوم احد
وكسرت رباعيته وهشمت البيضة على راسه وكانت فاطمة عليها السلام بنته تغسل عنه الدم وعلي بن ابي طالب
يسكب عليها بالمجن فلما رأت فاطمة ان الماء لا يزيد الدم الا كثرة اخذت قطعة حصير فاحرقته حتى
صار رمادا والزقته بالجرح فاستمسك الدم قوله تعالى اذ تصعدون ولا تلوون على احد والرسول يدعوكم
في اخراكم فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم والله خبير بما تعملون • ثم انزل
عليكم من بعد الغم امنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد اهمتهم انفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية
يقولون هل لنا من الامر من شيء قل ان الامر كله لله يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الامر
شيء ما قتلنا هاهنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم
وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور • ايتان القراءة قرأ اهل الكوفة غير عاصم تغشى بالتاء و
الباقون يغشى بالياء وقرأ اهل البصرة كله لله بالرفع والباقون بالنصب الحجة قال ابو علي حجة من قال
يغشى بالياء قوله اذ يغشيكم النعاس امنة منه فالنعاس هو الغاشي ولان يغشى اقرب الى النعاس فاسناده الفعل اليه
اولى ويقال غشيني النعاس وغلب علي النعاس ولا يقال غشيني الامنة وحجة من قرأ بالتاء ان النعاس وان كان
بدلا من الامنة وليس المبدل منه في طريق ما يسقط من الكلام وذلك قولهم الذي مررت به زيد ابو عبد الله فقد
جاز ان يكون [illegible] المنزلة كانه ما جاءه [illegible] لسواد فجعل الخبر عن الذي ابدل منه وحجة من نصب كله ان كله بمنزلة
اجمعين في انه للاحاطة والعموم فالوجه ان لا يلي العوامل كما لا يليها اجمعون وحجة ابي عمرو في رفعه كله وابتدائه به
انه وان كان في اكثر الامر بمنزلة اجمعين لعمومها فقد يبتدأ بها كما ابتدأ بسائر الاسماء نحو قوله وكلهم
اتيهم يوم القيمة فردا فابتدأ به في الآية اللغة الفرق بين الاصعاد والصعود ان الاصعاد في مستوى من
الارض والصعود في ارتفاع يقال اصعدنا من مكة ابتداء السفر منها ومنه قول الشاعر هواي مع الركب
اليمانين مصعد جنيب وجثماني بمكة موثق وروي عن الحسن انه قرأ تصعدون بفتح التاء والعين وقال
انهم صعدوا في الجبل [illegible] الاصعاد الابتداء في كل شيء والاخذ [illegible] الرجوع عنه ولا تلوون اي لا
تعرجون على احد كما يفعله المنهزم ولا يذكر هذا الا في النفي ولا يقال لويت على كذا واصله من لي العنق
للالتفات والغاش [illegible] وناقة [illegible] الاعراب [illegible] قوله اذ تصعدون العامل في اذ
قوله ولقد عفا الله عنكم واللام في قوله لكيلا تحزنوا يتعلق بأثابكم وقيل يتعلق بعفا [illegible] ولا تحزنوا [illegible]

امنة مفعول انزل ونعاسا بدل منها وطائفة الاولى مفعول يغشى وطائفة الثانية مرفوعة بالابتداء وخبرها
يظنون وقد اهمتهم انفسهم في موضع رفع بالصفة ويجوز ان يكون قد اهمتهم انفسهم خبرا والواو في وطائفة
واو الحال على تقدير يغشى النعاس طائفة في حال ما اهمت طائفة منهم انفسهم فالجملة في موضع الحال ويجوز النصب
على ان يجعل الواو واو العطف كما تقول ضربت زيدا وعمرا اكرمته فيكون منصوبا على اضمار وهذا الذي قد
تقدم المعنى ثم ذكر سبحانه المنهزمين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه يوم احد فقال اذ تصعدون معناه ولقد
عفا عنكم اذ تذهبون في وادي احد للانهزام فرارا من العدو عن قتادة والربيع ولا تلوون على احد اى لا تعرجون
على من خلفكم في الحرب ولا تلتفتون اليهم ولا يقف احد منكم على احد والرسول يعني محمدا صلى الله عليه يدعوكم في اخراكم
اى يناديكم من ورائكم فيقول ارجعوا الي عباد الله ارجعوا الي انا رسول الله يقال جاء فلان في اخر الناس واخرة
الناس واخرى الناس اذا جاء خلفهم فاثابكم غما بغم اختلف فيه على اقوال احدها ان معناه جعل مكان ما ترجون
من الثواب ان غمكم بالهزيمة وظفر المشركين بغمكم رسول الله صلى الله عليه اذ عصيتموه وضيعتم امره فالغم الاول لهم
والثاني للنبي صلى الله عليه واختاره الزجاج وثانيها ان معناه غما على غم او غما مع غم او غما بعد غم كما يقال نزلت بفلان
وعلى فلان حتى فعل كذا فيقال ما زلت بزيد حتى فعل اى مع زيد فالاول كثرة الغم بالندم على ما فعلوا وبما
اصابهم من الشدائد والغم لا يدرون ما استحقوا من عقاب الله تع وثالثها ان الغم الاول القتل والجراح
والثاني الارجاف بقتل محمد صلى الله عليه عن قتادة والربيع ورابعها اثابكم غما يوم احد بغم لحق المشركين يوم بدر
عن الحسن وفي هذا القول نظر لان ما لحق المشركين من الغم يوم بدر من جهة المسلمين انما يوجب المجازاة بالكرامة
دون الغم وخامسها ان المراد غم المشركين بما ظهر من قوة المسلمين على طلبهم وخروجهم الى حمراء الاسد فجعل هذا
الغم عوضا من غم المسلمين بما نالهم عن الحسين بن علي المغربي وانما قال في الغم ثواب لان اصله ما يرجع الى
المجازاة على الفعل طاعة كانت او معصية ثم كثر في جزاء الطاعة وهو كما قال الشاعر واران الطير يا في اثرهم طرب
الولدان او كالجنادل وقيل انه تعالى وضع مكان خير كقوله سبحانه فبشرهم بعذاب اليم اى ضعه موضع البشارة ومثله
قال الشاعر اخاف زيادا ان يكون عطاؤه اداهم سودا او محدرجة سمرا لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم
معناه فعل بكم هذا الغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من الغنيمة ولا تتركوا امر النبي صلى الله عليه ولكيلا تحزنوا ايضا على ما اصابكم
من الشدائد في سبيل الله ولتكونوا عالمين بان ما هم النبي صلى الله عليه فقط وتقليل لسعلكم حربكم على سوء ما صنعتم من
الحزن على غيره وقيل معناه ولقد عفا عنكم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم فان الله تع عفوه يذهب كل حزن والله خبير بما
تعملون فيه ترغيب في الطاعة وترهيب عن المعصية ثم ذكر سبحانه ما انعم به عليهم بعد ذلك حتى تراجعوا واقبلوا
الى رسول الله صلى الله عليه فانزل النعاس عليهم في تلك الحال حتى كانوا يسقطون على الارض وكان المنافقون لا يستقرون
قد طارت عقولهم فقال ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا لفظ الانزال توسع ومعناه ثم وهب لكم
ايها المؤمنون من بعد ما نالكم يوم احد من الغم امنة يعني امنا نعاسا اى نوما وهو بدل الاشتمال عن امنة لان
النوم يشتمل على الامن فان الخائف لا ينام ثم بين سبحانه ان تلك الامنة لم تكن عامة بل كانت لاهل الاخلاص وبقي لاهل
النفاق والخوف فقال يغشى طائفة منكم يعني المؤمنين الذين عليهم النوم وكان السبب في ذلك توعد المشركين
لهم بالرجوع الى القتال فقعد المسلمون تحت الحجف متهيئين للحرب فانزل الله تع الامنة على المؤمنين فناموا
دون المنافقين الذين ازعجهم الخوف بان يرجع الكفار عليهم او يغيروا على المدينة لسوء الظن فطير عنهم النوم عن ابن عباس
وابن زيد وقتادة والربيع وطائفة قد اهمتهم انفسهم اى وجماعة قد شغلتهم انفسهم وقيل حملتهم على الهم
ومنه قول العرب همك ما اهمك ومعناه كان همهم خلاص انفسهم والعرب يطلق هذا اللفظ على كل خائف وجل

شغله هم نفسه عن غيره يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية اى يتوهمون ان الله لا ينصر محمدا واصحابه كظنهم في
الجاهلية وقيل كظن اهل الجاهلية وهم الكفار المكذبون بوعد الله ووعيده فكان ظن المنافقين كظنهم
وقيل ظنهم ما ذكر بعد من قوله يقولون هل لنا من الامر من شيء هذا تفسير لظنهم يعني يقول بعضهم لبعض هل
لنا من النصر والفتح والظفر نصيب قالوا ذلك على سبيل التعجب والانكار اى الطمع في ان يكون لنا الغلبة على
هؤلاء اى ليس لنا من ذلك شيء وقيل معناه انا اخرجنا كرها ولو كان الامر الينا ما خرجنا عن الحسن وكان
القائل عبد الله بن ابي ومعتب بن قشير واصحابهما عن الزبير بن العوام وابن جريج قل يا محمد ان الامر كله لله ينصر
من يشاء ويخذل من يشاء لا خاذل لمن نصره ولا ناصر لمن خذله وربما عجل النصر وربما اخره لضرب
من الحكمة ولا يكون لوعده خلف والمراد بالامر في الموضعين النصر يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك اى
يخفون في انفسهم الشك والنفاق وما لا يستطيعون اظهاره لك يقولون لو كان لنا من الامر اى من الظفر
كما وعد شيء ما قتلنا هاهنا اى ما قتل اصحابنا انكارهم فيما وعد الله نبيه صلى الله عليه من الاستعلاء
على اهل الشرك وتكذيبا به قل يا محمد لهم في جواب ذلك لو كنتم في بيوتكم وفي منازلكم لبرز الذين كتب
عليهم القتل الى مضاجعهم فيه قولان احدهما ان معناه لو لزمتم منازلكم ايها المنافقون والمرتابون
وتخلفتم عن القتال لخرج الى البراز المؤمنون الذين فرض عليهم القتال صابرين محتسبين فيقتلون ويقتلون
والتقدير لو تخلفتم عن القتال لما تخلف المؤمنون والثاني ان معناه لو كنتم في منازلكم لخرج الذين
كتب عليهم القتل اى كتب اجالهم وموتهم وقتلهم في اللوح المحفوظ في ذلك الوقت الى مصارعهم
وذلك ان ما علم الله تعالى كونه فانه يكون كما علمه لا محالة وليس في ذلك ان المشركين غير قادرين على ترك القتال
من حيث علم الله تع ذلك منهم وكتبه لانه كما علم انهم لا يختارون ذلك علم انهم قادرون ولو وجب ذلك
لوجب ان لا يكون تع قادرا على ما علم انه لا يفعله والقول بذلك كفر وليبتلي الله ما في صدوركم
اى ليختبر الله ما في صدوركم باعمالكم لانه قد علمه غيبا فيعلمه شهادة لان المجازاة انما تقع على ما علم مشاهدة
لا على ما هو معلوم منه غير معمول عن الزجاج وقيل معناه ليعاملكم معاملة المبتلين مظاهرة في
العدل عليكم وقيل انه عطف على قوله ثم صرفكم عنهم ليبتليكم وليبتلي ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم
اى يخلص وقيل هذا خطاب للمنافقين اي ليامركم بالخروج فلم تخرجوا فيظهر للمسلمين معاداتكم لهم
وكشف اسراركم فلا يعدكم المسلمون من جملتهم وقيل معناه وليبتلي اولياء الله ما في صدوركم كما في قوله
الذين يحادون الله ورسوله ويؤذون الله ورسوله وقيل انه عطف على قوله امنة نعاسا اى ليظهر عند
هذه الاحوال موافقة باطنكم ظاهركم وليمحص ما في قلوبكم اى يطهرها من الشك بما يريكم من عجائب صنعته
ويخلص نياتكم وهذا التمحيص خاص للمؤمنين دون المنافقين والله عليم بذات الصدور معناه ان الله
لا يبتليكم ليعلم ما في صدوركم فانه عليم بذلك وانما ابتليكم ليظهر اسراركم فيقع الجزاء على ما ظهر قوله تعالى
ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم
ان الله غفور حليم. المعنى ثم ذكر سبحانه الذين انهزموا يوم احد ايضا فقال ان الذين تولوا
منكم اى ان الذين ولوا الدبر عن المشركين باحد منكم ايها المسلمون عن قتادة والربيع وقيل هم الذين
هربوا الى المدينة في وقت الهزيمة عن السدي يوم التقى الجمعان جمع المسلمين وسيدهم رسول الله صلى الله عليه وآله
وجمع المشركين ورئيسهم ابو سفيان عليه اللعنة انما استزلهم الشيطان اى طلب زلتهم عن الجبائي وقيل
ازل واستزل بمعنى ببعض ما كسبوا من معاصيهم السالفة فلحقتهم شؤمها وقيل استزلهم بمحبتهم الغنيمة

مع حرصهم على تبقية الجيوش عن الجبانة لضعف ذلك الزجر عما يؤدي الى الفتور فيما يلزم من الامور وقيل استزلهم
بذكر خطايا سلفت لهم فكرهوا القتال قبل اخلاص التوبة منها والخروج من المظلمة فيها عن الزجاج ولقد عفا الله عنهم
اعاد سبحانه ذكر العفو تأكيدا لطمع المذنبين في العفو ومنعا لهم عن الياس وتحسينا لظنون المؤمنين ان الله غفور
حليم ولم يعاجلهم وذكر ابو القاسم البلخي انه لم يبق مع النبي صلى الله عليه وآله يوم احد الا ثلاثة عشر نفسا خمسة من المهاجرين
وثمانية من الانصار فاما المهاجرون فعلي عليه السلام وابو بكر وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص
واختلف في الجميع الا في علي وطلحة وقد روي عن عمر بن الخطاب انه قال رأيتني اصعد في الجبل كأني اروى
ولم يرجع عثمان من الهزيمة الا بعد ثلاثة فقال له النبي صلى الله عليه وآله لقد ذهبت فيها عريضة قوله تعالى
يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض او كانوا غزى لو كانوا عندنا
ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير . ولئن قتلتم في سبيل الله
او متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون . ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون . ثلث آيات القراءة
قرأ ابن كثير واهل الكوفة غير عاصم بما يعملون بالياء والباقون بالتاء وقرأ نافع واهل الكوفة غير
عاصم متم بالكسر ووافقهم حفص في سائر المواضع الا ههنا وقرأ الباقون بضم الميم وقرأ مما يجمعون
بالياء حفص عن عاصم والباقون تجمعون بالتاء الحجة قال ابو علي حجة من قرأ بالتاء قوله ولا تكونوا كالذين كفروا
وحجة من قرأ بالياء ان قبلها ايضا غيبة وهو قوله وقالوا لاخوانهم ويجوز ان يجعل الكلام على الغيبة والاشهر الاقيس
في متم ضم الميم والكسر شاذ في القياس ومجيئه مما شذ فضل يفضل في الصحيح وانشدوا ذكرت ابن عباس بباب ابن
عامر وما مر من عمري ذكرت وما فضل واما تجمعون بالتاء فالمعنى على تجمعون يا ايها المقتولون في سبيل الله والميتون
ومعنى الياء ان المغفرة من الله خير مما يجمعه غيركم اللغة الضرب في الارض السير فيها واصل الضرب باليد
ويقال هو الايقاع في السير وغزى جمع غاز نحو ضارب وضرب وطالب وطلب الاعراب قوله وقالوا لاخوانهم
اذا ضربوا في الارض وضع اذا موضع اذ لاحد امرين احدهما انه متصل بقوله لا تكونوا كهؤلاء اذا ضربوا اخوانهم في الارض ولما لان الذي
اذا كان مبهما غير موقت يجري مجرى ما في الجزاء فيقع الماضي فيه موقع المستقبل نحو ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله
معناه يكفرون ويصدون ويجوز الكريم الذي يكرمك اذا زرته لابهام الذي ولا يجوز الكريم هذا الذي
اكرمك اذا زرته لتوقيت الذي من حال الاشارة اليه بهذا وقوله ليجعل الله ذلك حسرة اللام فيه يتعلق بقوله لا تكونوا
اي لا تكونوا كهؤلاء الكفار في هذا القول ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم دونكم وقيل انه يتعلق بقوله وقالوا لاخوانهم
فيكون لام العاقبة على ما مر وقوله ولئن قتلتم استغنى عن جواب الجزاء بجواب القسم في قوله لمغفرة من الله ورحمة خير
وقد اجتمع شيئان كل واحد منهما يحتاج الى جواب وكان جواب القسم اولى بالذكر لان له صدر الكلام مع ان ذكره في حشو
الكلام ولئن متم يحتمل امرين احدهما ان يكون حلفا من القسم وتكون اللام في قوله لالى الله تحشرون جوابا كقولك والله
لئن متم او قتلتم لتحشرون الى الله والثاني ان يكون مؤكدة لما بعدها كما تؤكد ان ما بعدها ويكون الثانية جواب القسم محذوفة
والنون لابد منها في هذا المضارع مع لام القسم لان القسم احق بالتأكيد من كل ما يدخله النون من جهة ان ذكر القسم
دليل على انه من مواضع التأكيد فاذا جازت في غيره من الامر والنهي والاستفهام والعرض والجزاء مع ما انه ليس في القسم
لانه احق بها من غيرها والفرق بين لام القسم ولام الابتداء ان لام الابتداء يصرف الاسم الى الحال فلا يعمل فيما قبلها ولا تعلق
لنحو منك وقد علمنا ان زيدا ليقوم وليس كذلك لام القسم لانها لا تدخل على الاسم ولا تكسر لها الهمزة تقول علمت
ان زيدا ليقومن وتلزمها النون في المستقبل المحكي ثم نهى الله المؤمنين عن الاقتداء بالمنافقين في اقوالهم
وافعالهم فقال يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا يعني عبد الله بن سلول واصحابه من المنافقين

عن السدي

عن السدي ومجاهد وقيل هو عام وقالوا لاخوانهم من اهل النفاق اذا ضربوا في الارض اي سافروا فيها
لتجارة او طلب معاش فماتوا عن السدي وابن اسحق وانما خص الضرب بالذكر لان اكثر اسفارهم كان في البر
فلعله اكتفى بذكر البر عن ذكر البحر كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر وقيل لان الارض تشتمل البر والبحر او كانوا غزى
اي غزاة محاربين للعدو فقتلوا لو كانوا مقيمين عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم
معناه قالوا هذا القول ليثبطوا المؤمنين عن الجهاد فلم يقبل المؤمنون ذلك وخرجوا ونالوا العز والغنيمة
فصار حسرة في قلوبهم فاللام على هذا في ليجعل لام العاقبة وقيل معناه ولا تكونوا انتم كالكفار في هذه المقالة
لكي يجعل تلك المقالة سببا لالزام الحسرة والحزن في قلوبهم لما يحصل لهم من الخيبة فيما املوا من الموادعة
ولما فاتهم من عز الظفر والغنيمة والله يحيي ويميت اي هو الذي يحيي ويميت في السفر والحضر عند حضور الاجل
لا مؤخر لما قدم ولا مقدم لما اخر ولا راد لما قضى ولا محيص عما قدر وهذا يتضمن منع الناس عن التخلف في الجهاد
خشية القتل فان الاحياء والاماتة بيد الله سبحانه فلا يحيى من قدر الله موته ولا يموت من قدر الله حياته
والله بما تعملون بصير اي مبصر وقيل عليم وهذا يتضمن الترغيب في الطاعة والترهيب عن المعصية
ثم حث سبحانه على الجهاد وبين ان الشهادة فيه خير من اموال الدنيا المستفادة بالقعود فقال ولئن قتلتم ايها
المؤمنون في سبيل الله اي في الجهاد او متم قاصدين لمجاهدة الكفار استوجبتم مغفرة الله ورحمته والمغفرة
الصفح عن الذنوب والرحمة الثواب والجنة وهما لكم خير مما يجمعونه من الاموال والمقاصد الدنيوية وهذا
يتضمن تعزية المؤمنين وتسليتهم عما اصابهم في سبيل الله وفيه تقوية لقلوبهم وتهوين الموت والقتل عليهم
ثم قال ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون اي سواء متم او قتلتم فانكم تحشرون الى الله تعالى فيجزي كلا منكم كما يستحق
المحسن على احسانه والمسيء على اساءته فآثروا ما يقربكم منه ويوجب لكم رضاه من العمل بطاعته والجهاد في سبيله
ولا تركنوا الى الدنيا وفي هذا المعنى البيت الذي ينسب الى الحسين عليه السلام فان تكن الابدان للموت انشئت
فقتل امرء بالسيف والله افضل سؤال ان قيل كيف عادل بين مغفرة الله ورحمته وبين حطام الدنيا مع
تفاوت ما بينهما ولا يقول احد ان الدرة خير من البعرة فجوابه ان الناس يؤثرون الدنيا على الآخرة حتى انهم يتركون
الجهاد في سبيل الله محبة للاستكثار من الدنيا والمقام فيها فعلى هذا جاز ذلك قوله تعالى فبما رحمة من الله
لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر فاذا عزمت
فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين . آية اللغة الفظ الغليظ الجافي القاسي القلب يقال منه فظظت تفظ
فظاظة وانت فظ على وزن فعل لانه مدغم كصب والفظاظة خشونة الكلام والافتظاظ شرب ماء الكرش
لجفائه على الطباع واصل الفظاظة الخشونة والفظ ماء الكرش والفض بالضاد تفريق الشيء والانفضاض التفرق
وشاورت الرجل مشاورة والاسم المشورة وقيل المشورة وفلان حسن المشورة والصورة اي الهيئة واللباس
وانه لصير شير وهو حسن الشارة ومعنى قولهم شاورت فلانا اظهرت ما في رأيي وما عندي وما عنده وشرت
الدابة اشورها اذا امتحنتها فعرفت هيئتها في سيرها وشرت العسل واشرته اذا اخذته من مواضع النحل
وعسل مشور ومشار قال الاعشى كان القرنفل والزنجبيل باتا بفيها واريا مشورا وقال عدي بن زيد في سماع
يأذن الشيخ له وحديث مثل ماذي مشار والعزم عقد القلب على الشيء يريد ان يفعله والعزيمة كذلك قال
ابن دريد يقال عزمت عليك بمعنى اقسمت عليك والتوكل اظهار العجز والاعتماد على الغير والتوكل على الله هو
تفويض الامر اليه والثقة بحسن تدبيره واصله الاتكال وهو الاكتفاء في فعل ما يحتاج اليه بمن يسند اليه
ومنه الوكالة لانها عقد بالكفاية على النيابة والوكيل هو المتكفل بما يفوض الامر اليه الاعراب

وشوارته

فبما رحمة ما لغو باجماع المفسرين ومثله عما قليل ليصبحن نادمين وكذا الكلام ودخولها لحسن النظم كدخولها لاتزان الشعر
في نحو قول عنترة يا شاة ما قنص لمن حلت له حرمت علي وليتها لم تحرم وقول الفرزدق فناديت ابان ان تموت فعلما
يأس وقد نظرت اليك شعوب وذلك لتمكن المعنى في النفس تجري مجرى التكرير للمعنى ثم بين سبحانه ان مساهلة
النبي صلى الله عليه وآله اياهم وتجاوزه عنهم من رحمته سبحانه حيث جعله لين العطف حسن الخلق فقال فبما رحمة
اى برحمة من الله لنت لهم ومعناه ان لينك لهم مما يوجب دخولهم في الدين لانك تاتيهم مع سماحة اخلاقك
وكرم سجيتك بالحجج والبراهين ولو كنت فظا اى جافيا سيئ الخلق غليظ القلب اى قاسي الفؤاد غير ذي
رحمة ولا رأفة لانفضوا من حولك اى لتفرق اصحابك عنك ونفروا منك وقيل انما جمع بين الفظاظة والغلظة
وان كانا متقاربين لان الفظاظة في الكلام فنفى الجفاء عن لسانه والقسوة عن قلبه فاعف عنهم ما بينك وبينهم واستغفر لهم
ما بينهم وبيني وقيل معناه فاعف عنهم فرارهم باحد واستغفر لهم من ذلك الذنب وشاورهم في الامر
اى استخرج آراءهم واعلم ما عندهم واختلفوا في فائدة مشاورته اياهم مع استغنائه بالوحي عن تعرف صواب الرأي
من العباد على اقوال احدها ان ذلك على وجه التطييب لنفوسهم والتألف لهم والرفع من اقدارهم لتبين انهم
ممن يوثق باقوالهم ويرجع الى آرائهم عن قتادة والربيع وابن اسحق وثانيها ان ذلك ليقتدى به امته في المشاورة ولا
يروها نقيصة كما مدحوا بان امرهم شورى بينهم عن سفيان بن عيينة وثالثها ان ذلك للامرين للاجلال لهم وليقتدي
به امته في ذلك عن الحسن والضحاك ورابعها ان ذلك ليمتحنهم بالمشاورة فيتميز الناصح من الغاش وخامسها ان ذلك في
امور الدنيا ومكايد الحرب ولقاء العدو وفي مثل ذلك يجوز ان يستعين بآرائهم عن ابي علي الجبائي فاذا عزمت اى فاذا
عقدت قلبك على الفعل وامضائه وروي عن جعفر بن محمد عليهما السلام وعن جابر بن زيد فاذا عزمت بالضم ليكون
معناه فاذا عزمت لك ووفقتك وارشدتك فتوكل على الله اى فاعتمد على الله وثق به وفوض امرك اليه ان الله يحب المتوكلين
يعني الواثقين به والمعتمدين عليه والمنقطعين اليه الواكلين امورهم اليه لطفه وتدبيره وفي هذه الآية دلالة
على اختصاص نبينا صلعم بمكارم الاخلاق ومحاسن الافعال ومن عجيب امره صلى الله عليه وآله انه كان اجمع الناس
لدواعي الترفع ثم كان ادناهم الى التواضع وذلك انه صلى الله عليه وآله كان اوسط الناس نسبا واوفرهم حسبا
واسخاهم واشجعهم وازكاهم وافصحهم وهذه كلها من دواعي الترفع ثم كان من تواضعه انه كان يرقع الثوب ويخصف
النعل ويركب الحمار ويعلف الناضح ويجيب دعوة المملوك ويجلس على الارض وياكل على الارض وكان يدعو الى الله
من غير زبر ولا كهر ولا زجر ولقد احسن من مدحه في قوله فما حملت من ناقة فوق ظهرها ابر واوفى ذمة من محمد وفي
الآية ترغيب للمؤمنين في العفو عن المسيء وحثهم على الاستغفار لمن يذنب منهم وعلى مشاورة بعضهم بعضا فيما يعرض
لهم من الامور ونهيهم عن الفظاظة في القول والغلظة والجفاء في الفعل ودعاؤهم الى التوكل عليه وتفويض الامور اليه
وفيها ايضا دلالة على ما نقول في اللطف لانه سبحانه نبه على انه لولا رحمته لم يقع اللين والتواضع ولو لم يكن كذلك لما
اجابوه فبين ان الامور المنفرة منفية عنه وعن سائر الانبياء عليهم السلام ومن يجري مجراهم في انهم حجة على الخلق وهذا
يوجب تنزيههم ايضا عن الكبائر لان التنفير في ذلك اكثر **قوله تعالى ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم
فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون** . آية **المعنى** لما امر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله
بالتوكل بين معنى وجوب التوكل عليه فقال ان ينصركم الله على من ناواكم فلا غالب لكم اى فلا يقدر احد على غلبتكم
وان كثر عدد من يناويكم وقل عددكم وان يخذلكم اى يمنعكم معونته ويخل بينكم وبين اعدائكم لمعصيتكم
اياه فمن ذا الذي ينصركم من بعده الهاء عائدة الى اسم الله على الظاهر والمعنى على حذف المضاف فمن ذا من
بعد خذلانه يعني انه لا ناصر لكم ينصركم بعد خذلان الله اياكم ومن ههنا معناه التقرير بالنفي في صورة

الاستفهام اى لا ينصركم احد من بعده وانما تضمن حرف الاستفهام معنى النفي لان جوابه يجب ان يكون
بالنفي فصار ذكره يغني عن ذكر جوابه وكان ابلغ لتقرير المخاطب به وعلى الله فليتوكل المؤمنون ظاهر المراد
وتضمنت الآية الترغيب في طاعة الله التي يستحق بها النصرة والتحذير من معصية الله التي يستحق بها الخذلان
مع ايجاب التوكل عليه الذي معه ان يكلهم الى انفسهم فيهلكوا اقلالا او على الجاني وفي الآية دلالة على ان من غلبه
اعداء الله من الباغين لم ينصره الله لانه لو نصره لما غلبوه وذلك بحسب ما في المعلوم من المصالح للعباد مع تعريض
المؤمنين لمنازل الابرار بالصبر على الجهاد مع خوف القتل من حيث لم يجعل على اليقين من غلبة الفجار وهذا انما هو
في النصر بالغلبة فاما النصر بالحجة فان الله تعالى نصر المؤمنين من حيث هداهم الى طريق الحق بما نصب لهم من الادلة
الواضحة والبراهين الساطعة ولولا ذلك لما احسن التكليف وقال ابو القاسم البلخي المؤمنون منصورون ابدا ان
غلبوا فهم المنصورون بالغلبة وان غلبوا فهم المنصورون بالحجة ولا يجوز ان ينصر الله الكافر على وجه وقال الجبائي
النصر بالغلبة ثواب لانه لا يجوز ان ينصر الله الظالمين من حيث لا يريد استعلاءهم بالظلم على غيرهم وقال
الاخشيد ليس بثواب كيف تصرفت الحال لان الله تعالى قد امرنا ان ننصر الفئة المبغي عليها وقد لا يكون مستحقة
للثواب فاما الخذلان فلا خلاف في انه عقاب والخذلان هو الامتناع من المعونة على العدو في وقت الحاجة اليها
لانه لو امتنع انسان من معونة من يستغني عن معونته لم يكن خاذلا له **قوله تعالى وما كان لنبي ان يغل ومن
يغلل يأت بما غل يوم القيمة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون** . آية **القراءة** قرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم
ان يغل بفتح الياء وضم الغين وقرأ الباقون بضم الياء وفتح الغين **الحجة** من قرأ يغل فمعناه يخون يقال
غل في الغنيمة اذا خان فيها واغل بمعناه قال النمر بن تولب جزى الله عنا حمزة بنت نوفل جزاء مغل بالامانة
كاذب بما سالت عني الوشاة ليكذبوا علي وقد اوليتها في الثواب ومن قرأ يغل فمعناه على وجهين احدهما
ما كان لنبي ان يخون اى ينسب الى الخيانة اى يقال له غللت كقولك اسقيته اى قلت له سقاك الله
قال ذو الرمة واسقيه حتى كاد مما ابثه تكلمني احجاره وملاعبه وقال الكميت وطائفة قد اكفرتني بحبكم
وطائفة قالت مسيء ومذنب اى نسبوني الى الكفر والآخر ما كان لنبي ان يخان بمعنى يسرق منه ويؤخذ من الغنيمة
التي حازها فيكون تخصيص النبي بذلك تعظيما للذنب وقال ابو علي الفسوي الحجة لمن قرأ يغل ان ما جاء في
التنزيل من هذا النحو اسند الفعل فيه الى الفاعل نحو ما كان لنا ان نشرك بالله وما كان لي ان اخذه وما كان الله ليضل
قوما وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله وما كان ليطلعكم على الغيب ولا يكاد يقال ما كان لزيد ان يضرب وما كان
ليضرب فيسند الفعل فيه الى المفعول به فكذلك قوله وما كان لنبي ان يغل يسند الفعل فيه الى الفاعل وروي عن ابن
عباس انه قرأ يغل فقيل له ان عبد الله قرأ يغل فقال ابن عباس بلى والله ويقتل وروي عن ابن عباس ايضا انه قال
قد كان النبي صم يقتل فكيف لا يخون واصل الغلول من الغلل وهو دخول الماء في خلال الشجر يقال انغل الماء في
خلال الشجر فالغلول الخيانة لانها تجري في الملك على خفاء من غير الوجه الذي يحل كالغلل ومنه الغل الحقد لانه يجري
في النفس كالغلل ومنه الغليل حرارة العطش والغلة لانها تجري في الملك من جهات مختلفة والغلالة لانها شعار
تحت البدن **النزول** روي عن ابن عباس وسعيد بن جبير انها نزلت في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر من المغنم
وقال بعضهم لعل النبي صم اخذها وفي رواية الضحاك عنه ان رجلا غل بمخيط اى بابرة من غنائم هوازن يوم حنين
فنزلت الآية وعن مقاتل انها نزلت في غنائم احد حين ترك الرماة المركز طلبا للغنيمة وقالوا نخشى ان يقول
رسول الله صم من اخذ شيئا فهو له ولا يقسم كما لم يقسم يوم بدر ووقعوا في الغنائم فقال صلعم ظننتم انا
نغل ولا نقسم لكم فانزل الله تعالى وقيل انه قسم المغنم ولم يقسم للطلايع فلما قدمت الطلايع قالوا قسم الفيء

١٩٦

ولم يقسم لنا فعرفه الله تعالى الحكم فيه ونزلت الآية وقيل نزلت في أداء الوحي كان صلى الله عليه وآله يقرأ القرآن وفيه
عيب دينهم وسب آلهتهم فسألوه أن يطوي ذلك فأنزل الله الآية المعنى لما تقدم سبحانه أمر الجهاد ذكر بعده
ما يتعلق به من حديث الغنائم والنهي عن الخيانة فيها فقال وما كان لنبي أن يغل وتقديره ما كان لنبي الغلول
لأن أن مع الفعل بمعنى المصدر أي لا يجتمع النبوة والخيانة وقيل معناه ما كان له أن يكتم شيئاً من الوحي عن أمته
وتقديره ما كان له أن يغل أمته فيما يؤديه إليهم وقيل اللام منقولة وتقديره ما كان النبي ليغل كقوله ما كان لله أن يتخذ
من ولد معناه ما كان الله ليتخذ ولداً وعلى القراءة الأخرى ما كان لنبي أن يخون أي يخونه أصحابه بأن
يكتموه شيئاً من المغنم على ما مضى القول فيه وخصه صلعم بالذكر وإن كان لا يجوز أن يغل غيره من إمام وأمير المسلمين
لوجهين أحدهما أن المعظم خيانته وأنها أعظم من خيانة غيره وهذا كقوله فاجتنبوا الرجس من الأوثان وإن كان اجتناب
جميع الأرجاس واجباً والآخر أن النبي صلعم إنما خص بالذكر لأنه القائم بأمر الغنائم فإذا حرمت الخيانة عليه وهو صاحب
الأمر فتحريمها على غيره أولى واحدة وقوله ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة معناه أنه يأتي به حاملاً على
كما روي في خبر طويل ألا لا يغلن أحد بعيراً فيأتي به على ظهره يوم القيامة له رغاء ألا لا يغلن أحد فرساً فيأتي
به على ظهره له حمحمة فيقول يا محمد يا محمد فأقول قد بلغت قد بلغت لا أملك لك من الله شيئاً وقال البلخي
يجوز أن يكون ما تضمنه الخبر على وجه المثل كأن الله تعالى إذا فضحه يوم القيامة جرى مجرى أن يكون حاملاً
له وله صوت وقد روي في خبر آخر أن النبي صلعم كان إذا غنم مغنماً بعث منادياً فنادى في الناس ردوا الخيط والمخيط فإن الغلول عار وشنار
يوم القيامة فجاء رجل من سعد وقال في يده هذا الخيط أخذته لأخيط به بردعة بعير لي فقال النبي صلعم أما نصيبي منها
فهو لك فقال الرجل أما إذا بلغ الأمر هذا المبلغ فلا حاجة لي فيها والأولى أن يكون معناه ومن يغلل يواف بما
غل يوم القيامة فيكون حمله غلوله على عنقه أمارة يعرف بها وذلك حكم الله تعالى في كل من وافى القيامة بمعصية
لم يتب منها فأراد الله سبحانه أن يعامله بالعدل يظهر عليه من معصيته ليعلم أهل القيامة بها ويعلموا سبب
استحقاقه العقوبة كما قال سبحانه فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان وهكذا حكمه سبحانه في كل من وافى القيامة
بطاعة فإنه سبحانه يظهر من طاعته علامة يعرف بها ثم توفى كل نفس ما كسبت أي يعطى كل نفس جزاء ما عملت
تاماً وافياً وهم لا يظلمون أي لا ينقص أحد عن مقدار ما استحقه من الثواب ولا يزاد أحد على مقدار ما استحقه
من العقاب وهم لا يظلمون سبق معناه وفي هذه الآية دلالة على فساد الجبر أن الله تعالى لو جبر على المعاصي
لم يكن ذلك ظلماً منه لأنه قد بين أنه لو لم يوفهم ما كسبت لكان ظلماً قوله تعالى أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط
من الله ومأواه جهنم وبئس المصير هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون اللغة باء أي رجع يقال
باء بذنبه يبوء بوءاً إذا رجع به وبوأته منزلاً أي هيأته له لأنه يرجع إليه والسخط من الله هو إرادة العقاب
لمستحقه ولعنه وهو خلاف الغيظ لأن الغيظ هو هيجان الطبع وانزعاج النفس فلا يجوز إطلاقه على الله تعالى
والمصير المرجع ويفرق بينهما بأن المرجع هو انقلاب الشيء إلى حال قد كان عليها والمصير انقلاب الشيء إلى خلاف
الحال التي عليها نحو مصير الطين خزفاً ولا يقال رجع الطين خزفاً لأنه لم يكن قبل خزفاً والدرجة الرتبة والدرجات
مثل الطبق لتقارب الرتب والرقي في العلو درجة بعد درجة أي منزلة بعد منزلة كالدرجة المعروفة النزول
لما أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالخروج إلى أحد قعد عنه جماعة من المنافقين واتبعه المؤمنون فأنزل الله
تعالى هذه الآية المعنى لما بين سبحانه أن كل نفس توفى جزاء ما كسبت من خير وشر عقبه ببيان من كسب الخير
والشر فقال أفمن اتبع رضوان الله وفيه أقوال أحدها أن معناه أفمن اتبع رضوان الله في طاعته كمن باء
بسخط منه فاعلم بمعصيته عن ابن إسحق وثانيها أفمن اتبع رضوان الله في ترك الغلول كمن باء بسخط من الله في

الغلول

الغلول عن الحسن والضحاك واختاره الطبري لأنه أشبه بما تقدم وثالثها أفمن اتبع رضوان الله بالجهاد في سبيله
كمن باء بسخط من الله في الفرار منه رغبة عنه عن الزجاج والجبائي وهذا الوجه يطابق ما سبق ذكره من سبب النزول
ومأواه جهنم أي مصيره ومرجعه جهنم وبئس المصير أي المكان الذي صار إليه والمستقر والآية استفهام
والمراد به التقرير والفرق بين الفريقين أي ليس من اتبع رضوان الله أي رضاء الله كمن باء بسخط هم درجات أي هم ذوو
درجات عند الله والمؤمنون ذوو درجة رفيعة والكافرون ذوو دركة خسيسة وقيل في معناه قولان أحدهما
أن المراد اختلاف مرتبتي أهل الثواب والعقاب بما لهؤلاء من النعيم والكرامة ولأولئك من العقاب والمهانة وعبر
عن ذلك بدرجات مجازاً وتوسعاً والثاني أن المراد اختلاف مراتب كل من الفريقين فإن الجنة درجات بعضها
أعلى من بعض كما جاء في الخبر أن أهل الجنة ليرون أهل عليين كما يرى النجم في أفق السماء والنار دركات بعضها
أسفل من بعض مثله في حذف المضاف قول ابن هرمة أنشده سيبويه أنصب للمنية تعتريهم رجالي أم هم درج
السيول أي هم ذوو درج والله بصير بما تعملون أي عالم بهم وفي هذا ترغيب الناس في اتباع مرضاة الله تعالى وتحذير
عما يوجب سخطه وإعلام بأن أسرار العباد عنده علانية وفيه توثيق بأنه لا يضيع عمل عامل لديه إذ لا يخفى عليه شيء
من ذلك فيجازي عليه فيثيب على الطاعة ويعاقب على المعصية قوله تعالى لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً
من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين. اللغة
أصل المن القطع يقال منه يمنه إذا قطعه والمنة النعمة لأنه يقطع بها عن البلية يقال من فلان على كذا أي
استنقذه بها مما أتاه والمن تكدير النعمة لأنه قطع لها عن وجوب الشكر عليها والمنة القوة لأنه يقطع
بها الأعمال المعنى ثم ذكر سبحانه عظيم نعمته على الخلق ببعثة نبينا صلى الله عليه وآله فقال ولقد
من الله أي أنعم على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً خص المؤمنين بالذكر وإن كان صلعم مبعوثاً على جميع الخلق لأن
النعمة عليهم أعظم لاهتدائهم به وانتفاعهم ببيانه ونظير ذلك ما تقدم بيانه من قوله هدى للمتقين وقوله
من أنفسهم فيه أقوال أحدها أن المراد به من رهطهم يعرفون منشأه وصدقه وأمانته وكونه أمياً لم يكتب كتاباً
ولم يقرأه ليعلموا أن ما يأتي به وحي منزل ويكون ذلك شرفاً لهم وداعياً إلى الإيمان وثانيها أن المراد به أنه
يتكلم بلسانهم فيسهل عليهم تعلم الحكمة منه فيكون خاصاً بالعرب وثالثها أنه عام لجميع المؤمنين والمراد بأنفسهم أنه
من جنسهم لم يبعث ملكاً ولا جنياً وموضع المنة فيه أنه بعث فيهم من عرفوا أمره وخبروا شأنه وقوله يتلو عليهم آياته
يعني القرآن ويزكيهم ويعلمهم الكتاب مضى بيانه في سورة البقرة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين يعني أنهم
كانوا في ضلال مبين ظاهر أي كفار أو كفرهم هو ضلالهم فاستنقذهم الله بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم
قوله تعالى أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شيء
قدير. الإعراب إنما دخلت الواو في أو لما لعطف جملة على جملة إلا أنه تقدمتها ألف الاستفهام لأن له
صدر الكلام وإنما وصلت هذه الواو الكلام الثاني بالأول ليدل على تعلقه به في المعنى وذلك أنها وصلت
التقريع على الخطيئة بالتذكير بالنعمة لفرقة واحدة المعنى ثم عاد الكلام إلى ذكر الجهاد فقال أولما أصابتكم
مصيبة قد أصبتم مثليها أي حين أصابكم القتل والجرح وذلك ما أصاب المسلمين يوم أحد فإنه قتل منهم
سبعون رجلاً وكانوا هم أصابوا من المشركين يوم بدر مثليها فإنهم كانوا قتلوا من المشركين سبعين رجلاً وأسروا
سبعين وبأخذ سبعين عن الزجاج وقتادة وعكرمة والربيع والسدي أي قد أصبتم أيها المسلمون يوم بدر مثليها
وقيل قتلتم منهم ببدر سبعين وبأحد سبعين وأسروا سبعين عن الزجاج وهذا ضعيف لأنه خلاف ما
ذكره أهل السير فإنه لا خلاف بينهم أنه قتل منهم بأحد نفر يسير فقوله قلتم أنى هذا أي

١٩٧

آل عمران

من اين وجه اصابنا هذا ونحن مسلمون وفينا رسول الله وينزل عليه الوحي وهم مشركون وقتلاهم اثنا
استنكروا ذلك لانه وعدهم بالنصر من الله ان اطاعوا عن الجبائي وقوله قل هو من عند انفسكم اي قل يا محمد ما ابتليتم
من الهزيمة والقتل من عند انفسكم اي بخلافكم اي بخيانتكم وترككم طاعة الرسول وفيه اقوال احدها ان ذلك بخلافهم
الرسول صلى الله عليه واله في الخروج من المدينة للقتال يوم احد وكان النبي صلى الله عليه واله دعاهم الى ان يتحصنوا بها ويدعوا
المشركين الى ان يقصدوهم فيها فقالوا كنا نمتنع من ذلك في الجاهلية ونحن الان في الاسلام وانت يا رسول الله
احق بالامتناع وانت اعز عن قتادة والربيع وثانيها ان ذلك باختيارهم الفداء من الاسرى يوم بدر وكان الحكم فيهم
القتل وشرط عليهم انكم ان قبلتم الفداء قتل منكم في القابل بعدتهم فقالوا رضينا فانا نأخذ الفداء وننتفع به
واذا قتل منا فيما بعد كنا شهداء عن علي عليه السلام وعبيدة السلماني وهو المروي عن الباقر وثالثها ان ذلك بخلاف
الرماة يوم احد لما امرهم رسول الله صلى الله عليه واله به من ملازمة مركزهم ان الله على كل شيء قدير
اي فهو قادر على نصركم فيما بعد وان لم ينصركم في الحال لمخالفتكم قوله تعالى وما اصابكم يوم التقى الجمعان
فباذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا قالوا لو نعلم
قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم والله اعلم بما يكتمون
اية الاعراب الفاء انما دخلت في قوله فباذن الله لان خبر ما الذي بمعنى الذي يشبه الجزاء لانه معلق
بالفعل في الصلة كتعليقه بالفعل في الشرط كقولك الذي قام فهو من اجل انه كريم اي لاجل انه قام فهو كريم
ومن اجل كرمه قام المعنى وما اصابكم ايها المؤمنون يوم التقى الجمعان جمع المسلمين وجمع المشركين
يعني يوم احد من النكبة بقتل من قتل منكم فباذن الله اي بعلم الله ومنه قوله واذان من الله اي اعلام وقيل
بتخلية الله بينكم وبينهم التي يقوم مقام الاطلاق في الفعل برفع الموانع والتمكين من الفعل الذي يصح معه
التكليف وقيل بعقوبة الله فان الله تعالى جعل لكل ذنب عقوبة فكان ذلك عقوبة لهم من الله على ترك امر رسوله
ولا يجوز ان يكون المراد بالاذن ههنا الاباحة والاطلاق كما يقتضيه ظاهر اللفظ لان الله تعالى لا يبيح المعاصي
ولا يطلقها وقتل الكافر المسلم من اعظم المعاصي فكيف ياذن فيه وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا معناه
وليميز المؤمن من المنافق لان الله سبحانه عالم بالاشياء قبل كونها فلا يجوز ان يعلم عند ذلك ما لم يكن عالما به الا
انه اجرى على المعلوم لفظ العلم مجازا اي ليظهر المعلوم من المؤمن والمنافق وقيل لهم اي للمنافقين تعالوا قاتلوا
في سبيل الله قالوا ان عبد الله بن ابي والمنافقين معه من اصحابه انخزلوا يوم احد نحو من ثلثمائة رجل وقالوا علام
نقتل انفسنا وقال لهم عبد الله بن عمرو بن حرام الانصاري تعالوا قاتلوا في سبيل الله واتقوا الله ولا تخذلوا
نبيكم وادفعوا عن حريمكم وانفسكم ان لم تقاتلوا في سبيل الله وقيل معناه او ادفعوا معناه وكثروا سوادنا وهذا
يدل على ان تكثير سواد المجاهدين معدود في الجهاد وبمنزلة القتال قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم يعني قول
المنافقين لو علمنا قتالا لقاتلنا معكم لولا ذلك ابلاء لعذرهم في الرجوع الى المدينة فقال لهم ابعدكم الله
يغني عنكم وقيل انما القائل لذلك رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يدعوهم الى القتال عن الاصم هم للكفر
يومئذ اقرب منهم للايمان يعني باظهارهم هذا القول صاروا اقرب الى الكفر اذ كانوا قبل ذلك في ظاهر احوالهم
اقرب الى الايمان حتى هتكوا الستر فعلم المؤمنون منهم ما لم يعلموا واللام بمعنى الى يعني هم الى الكفر اقرب منهم الى
الايمان كقوله سبحانه الحمد لله الذي هدانا لهذا اي الى هذا يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم ذكر الافواه تاكيدا
لان القول قد يضاف اليها وقيل انما ذكر الافواه فرقا بين قول اللسان وقول الكتاب والمراد بقولهم لو نعلم قتالا
لاتبعناكم واضمارهم انه لو كان قتالا لم نقاتل معهم ولم ننصرهم وقيل معناه يقولون بافواههم التقرب الى الرسول

والايمان

والايمان ما ليس في قلوبهم فان في قلوبهم الكفر والله اعلم بما يكتمون اي بما يضمرونه من النفاق والشرك قوله تعالى
الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو اطاعونا ما قتلوا قل فادرؤوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين • اية اللغة
الدرء الدفع يقال درأه عنه اي دفعه عنه قال الشاعر تقول اذا درأت لها وضيني اهذا دينه ابدا وديني الاعراب موضع الذين
يحتمل ان يكون نصبا على البدل من الذين نافقوا ويحتمل ان يكون رفعا على البدل من الضمير في يكتمون ويحتمل
ان يكون رفعا على الخبر للابتداء على تقدير هم الذين قالوا المعنى الذين قالوا يعني المنافقين
لاخوانهم في النسب لا في الدين يعني عبد الله بن ابي واصحابه قالوا في قتلى احد وقعدوا وهم يعني هؤلاء
القائلون عن قتادة وجابر والسدي والربيع لو اطاعونا في القعود في البيت وترك الخروج الى القتال ما قتلوا
قل يا محمد فادرؤوا اي فادفعوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين في هذه المقالة ولا يمكنهم دفع الموت
لانه يجوز ان يدخل عليهم العدو فيقتلوهم في بيوتهم وانما الزمهم الله دفع الموت عن انفسهم بمقالتهم انهم
لو لم يخرجوا لم يقتلوا لان من علم الغيب في السلامة من القتل يجب ان يمكنه ان يدفع عن نفسه الموت فينبغي
ان يدفعه هذا القائل فانه اجدى عليه وفي هذا ترغيب في الجهاد وبيان ان كل احد يموت باجله فلا ينبغي
ان يجعل ذلك علة في ترك القعود عن الجهاد لان المجاهد ربما يسلم والقاعد ربما يموت فيجب ان يكون على الله
سبحانه التوكل قوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون
فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون
يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع اجر المؤمنين • ثلث ايات بالاخلاف يرزقون اية و
يحزنون اية القراءة قرا ابن عامر قتلوا بالتشديد والباقون بالتخفيف وقرا الكسائي وحده
وان الله لا يضيع بكسر الالف والباقون بالفتح الحجة من قرا قتلوا بالتخفيف فالوجه فيه ان التخفيف
يصلح للقليل والكثير وفعل مثقلا يصلح للكثرة كما تقول ضربت زيدا ضربة فيصلح للقلة ووجه
التثقيل ان المقتولين كثير وفعل يختص به الكثير دون القليل ووجه الفتح في ان المعنى ويستبشرون
بان الله لا يضيع اجرهم يتوفر ذلك عليهم ويوصله اليهم من غير نقص وبخس ووجه الكسر على الاستئناف
اللغة اصل البشارة من البشرة لظهور السرور فيها ومنه البشر لظهور بشرته والمستبشر من طالب السرور في
بشارته فوجد ولحقت الشيء والحقته غيري وقيل لحقت والحقت لغتان بمعنى واحد ومنه في الدعاء ان عذابك
بالكفار ملحق بكسر الحاء اي لاحق والنعمة هي المنفعة التي يستحق بها الشكر اذا كانت خالية من وجوه القبح لان المنفعة
على ضربين احدهما منفعة اغترار وحيلة والاخر منفعة خالصة من شائبة الاساءة والنعمة تعظم بعظم المنعم
كنعمة النبي صلى الله عليه واله على من دعاه الى الاسلام فاستجاب له لان دعاءه انفع من وجهين احدهما حسن النية
في دعائه الى الحق ليستجيب له والاخر قصد الى الحق يعلم انه يستجيب المدعو وانما يتقبل الفعل بعظم المنعم على موضع النعمة
في الجلالة وعظم المنزلة الاعراب احياء رفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي بل هم احياء ولا يجوز النصب فيه
على الحال لانه يصير المعنى بل احسبهم احياء والمراد بل اعلمهم احياء ويرزقون في موضع رفع صفة لاحياء وفرحين نصب على الحال
من يرزقون وهو اولى من رفعه على بل احياء لان النصب ينبئ عن اجتماع الرزق والفرح في حالة واحدة ولو رفع على
الاستئناف لكان جائزا والحال موضع ان لا خوف عليهم جرا بالبدل على تقدير بان لا خوف عليهم وقال غيره موضعه
نصب على انه لما حذف حرف الجر وصل الفعل اليه فنصبه كما قيل امرتك الخير وقيل موضع ان لا خوف عليهم
جر على بدل من قوله الذين لم يلحقوا وهو بدل الاشتمال قوله يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه النزول
قيل نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر رجلا ثمانية من الانصار وستة من المهاجرين وقيل نزلت

في سهم واحد وكانوا سبعين رجلا اربعة من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير وعثمان بن شماس
وعبد الله بن جحش وسايرهم من الانصار عن ابن مسعود وقتادة والربيع وقال الباقر وكثير من المفسرين انها تتناول
قتلى بدر واحد معا وقيل نزلت في شهداء بئر معونة وكان سبب ذلك ما رواه محمد بن اسحق بن يسار باسناده
عن انس بن مالك وغيره قال قدم ابو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الاسنة وكان سيد بني عامر بن صعصعة
على رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة واهدى له هدية فابى رسول الله صلعم ان يقبلها وقال يا ابا براء لا اقبل
هدية مشرك فاسلم ان اردت ان اقبل هديتك وقرأ عليه القرآن فلم يسلم ولم يبعد وقال يا محمد ان امرك هذا
الذي تدعو اليه حسن جميل فلو بعثت رجالا من اصحابك الى اهل نجد فدعوتهم الى امرك رجوت ان يستجيبوا لك
فقال رسول الله صلعم اني اخشى عليهم اهل نجد فقال ابو براء انا لهم جار فابعثهم فليدعوا الناس الى امرك فبعث
رسول الله صلعم المنذر بن عمرو اخا بني ساعدة في سبعين رجلا من خيار المسلمين منهم الحارث بن الصمة وحرام بن
ملحان وعروة بن اسماء بن الصلت السلمي ونافع بن بديل بن ورقاء الخزاعي وعامر بن فهيرة مولى ابي بكر وذلك
في شهر صفر سنة اربع من الهجرة على راس اربعة اشهر من احد فساروا حتى نزلوا بئر معونة فلما نزلوا قال بعضهم
لبعض ايكم يبلغ رسالة رسول الله صلعم اهل هذا الماء فقال حرام بن ملحان انا فخرج بكتاب رسول الله صلعم الى عامر بن
الطفيل فلما اتاهم لم ينظر عامر في كتاب رسول الله صلعم وقال حرام يا اهل بئر معونة اني رسول رسول الله صلعم اليكم واني
اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فامنوا بالله ورسوله فخرج اليه رجل من كسر البيت برمح فضربه به في جنبه حتى
خرج من الشق الاخر فقال الله اكبر فزت ورب الكعبة ثم استصرخ عامر بن الطفيل بني عامر على المسلمين فابوا ان يجيبوا
الى ما دعاهم اليه وقالوا لن نخفر ابا براء وقد عقد لهم عقدا وجوارا فاستصرخ عليهم قبايل من بني سليم عصية
ورعلا وذكوان فاجابوه الى ذلك فخرجوا حتى غشوا القوم فاحاطوا بهم في رحالهم فلما راوهم اخذوا السيوف
فقاتلوهم حتى قتلوا عن اخرهم الا كعب بن زيد فانهم تركوه وبه رمق فارتث من بين القتلى فعاش حتى قتل
يوم الخندق وكان في سرح القوم عمرو بن امية الضمري ورجل من الانصار احد بني عمرو بن عوف فلم ينبئهما
بمصاب اصحابهما الا الطير تحوم حول العسكر فقالوا والله ان لهذا الطير لشانا فاقبلا لينظرا اليه فاذا القوم
في دمائهم واذا الخيل التي اصابتهم واقفة فقال الانصاري لعمرو بن امية ماذا ترى قال ارى ان نلحق برسول الله صلى الله عليه وآله
فنخبره الخبر فقال الانصاري لكني ما كنت لارغب بنفسي عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو ثم قاتل القوم حتى قتل
واخذ عمرو بن امية اسيرا فلما اخبرهم انه من مضر اطلقه عامر بن الطفيل وجز ناصيته واعتقه عن رقبة زعم
انها كانت على امه فقدم عمرو بن امية على رسول الله صلى الله عليه وآله واخبره الخبر فقال رسول الله صلى الله عليه وآله
هذا عمل ابي براء وقد كنت لهذا كارها متخوفا فبلغ ذلك ابا براء فشق عليه اخفار عامر اياه وما اصاب رسول الله صلى الله عليه وآله
بسببه فقال حسان بن ثابت يحرض ابا براء على عامر بن الطفيل بني ام البنين الم يرعكم • وانتم من ذوائب اهل نجد تهكم
عامر بابي براء • ليخفره وما خطا كعمد • الا ابلغ ربيعة ذا المساعي • فما احدثت في الحدثان بعدي • ابوك ابو الحروب
ابو براء • وخالك ماجد حكم بن سعد • وقال كعب بن مالك بن سعد • لقد طارت شعاعا كل وجه حفاظا ما اجار
ابو براء • بخالكم ام البنين اما سمعتم • دعاء المستغيث مع المساء • وتنويه الصريح بلى ولكن عرفتم انه صدق اللقاء
فلما بلغ ربيعة بن ابي براء قول حسان وقول كعب حمل على عامر بن الطفيل وطعنه فخر عن فرسه فقال هذا عمل ابي براء
ان مت فدمي لعمي فلا يتبعن به وان اعش فاري فيه رايي قال انس فانزل الله تعالى في شهداء بئر معونة قرآنا بلغوا
بلغوا قومنا عنا انا لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه ثم نسخت ورفعت بعدما قرأناها وانزل الله عز وجل ولا
تحسبن الآية المعنى لما حكى الله سبحانه قول المنافقين في المقتولين الشهداء تثبيطا للمؤمنين عن جهاد الاعداء

ذكر بعده ما اعد الله للشهداء من الكرامة وحضهم من النعيم في دار المقامة فقال ولا تحسبن وهو خطاب للنبي صلعم
او يكون على معنى لا تحسبن ايها السامع او ايها الانسان الذين قتلوا في سبيل الله اي في الجهاد وفي نصرة دين الله
امواتا اي موتى كما مات من لم يقتل في سبيل الله اي في الجهاد بل احياء اي بل هم احياء وقد مضى تفسيره في سورة البقرة
عند قوله ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله وقوله عند ربهم فيه وجهان احدهما انهم بحيث لا يملك لهم احد نفعا ولا ضرا
الا ربهم وليس المراد بذلك قرب المسافة لان ذلك من صفة الاجسام وذلك مستحيل عليه سبحانه والآخر انهم عند ربهم احياء
من حيث يعلمهم كذلك دون الناس عن ابي علي الجبائي وروي عن ابن عباس وابن مسعود وجابر ان النبي صلعم قال لما اصيب
اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم في حواصل طير خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها وروي عنه انه قال لجعفر بن
ابي طالب رضي الله عنهما وقد استشهد في غزاة موتة رايته له جناحان يطير بهما مع الملائكة في الجنة وانكر بعضهم
حديث الارواح وقال ان الروح عرض لا يجوز ان ينعم وهذا لا يصح لان الروح جسم رقيق هوائي ماخوذ من الريح
ويدل على ذلك انه يخرج من البدن ويرد اليه وهي الحساسة الفعالة دون البدن وليست من الحياة في شيء لان
ضد الحياة الموت وليس كذلك الروح وهذا قول علي بن عيسى يرزقون من نعيم الجنة غدوا وعشيا
وقيل يرزقون النعيم في قبورهم فرحين بما آتاهم الله من فضله اي مسرورين بما اعطاهم الله من ضروب نعمه
في الجنة وقيل في قبورهم وقيل فرحين بما نالوا من الشهادة وجزائها ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم
من خلفهم اي يسرون باخوانهم الذين فارقوهم وهم احياء في الدنيا على مناهجهم من الايمان والجهاد
لعلمهم بانهم ان استشهدوا لحقوا بهم وصاروا من كرامة الله تعالى الى مثل ما صاروا اليه يقولون اخواننا
يقتلون كما قتلنا فيصيبون من النعيم مثل ما اصبنا عن ابن جريج وقتادة وقيل انه يؤتى الشهيد بكتاب
فيه ذكر من يقدم عليه من اخوانه فيسر بذلك ويستبشر كما يستبشر اهل الغايب بقدومه في الدنيا
عن السدي وقيل معناه لم يلحقوا بهم في الفضل الا ان لهم فضلا عظيما بتصديقهم وايمانهم عن الزجاج الا خوف
عليهم ولا هم يحزنون اي يستبشرون بان لا خوف عليهم وذلك لانه بدل من قوله الذين لم يلحقوا بهم لان الذين
يلحقون بهم مشتملون على عدم الحزن فالاستبشار هنا انما يقع بعدم حزن هؤلاء اللاحقين ومعناه لا خوف عليهم
فيمن خلفوه من ذريتهم لان الله يتولاهم ولا هم يحزنون على ما خلفوا من اموالهم لان الله قد اجزل لهم ما عوضهم وقيل معناه
لا خوف عليهم فيما يقدمون عليه لان الله سبحانه محص ذنوبهم بالشهادة ولا هم يحزنون على مفارقة الدنيا
فرحا بالآخرة يستبشرون يعني هؤلاء الذين قتلوا في سبيل الله الذين وصفهم بانهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله
من فضله بنعمة من الله وفضل النعمة والفضل عبارتان يعبر بهما عن معنى واحد وقيل في تكرارهما قولان احدهما
ان المراد انها ليست نعمة على قدر الكفاية من غير مضاعفة السرور بها واللذة فالنعمة ما استحقوه بطاعتهم
والفضل ما زادهم به سبحانه من المضاعفة في الاجر والآخر انه للتاكيد وتمكين المعنى في النفس والمبالغة وان
الله لا يضيع اجر المؤمنين اي يوفر جزاءهم وانما ذكر ذلك وان كان غيرهم يعلم ذلك لانهم يعلمونه بعد
الموت ضرورة وانما يعلم ذلك في دار التكليف استدلالا وليس الاستدلال كالمشاهدة ولا الخبر كالمعاينة
فان مع الضرورة والعيان يتضاعف سرورهم ويشتد اغتباطهم وفيه دلالة على ان الثواب مستحق
وان الله لا يبطله البتة وان الاثابة لا تكون الا من قبله سبحانه ولذلك اضاف نفي الاضاعة الى نفسه وقد
روي من الاخبار في ثواب الشهداء اكثر من ان تحصى اعلاها اسنادا ما رواه علي بن موسى الرضا عليه السلام
عن ابائه عن الحسين بن علي عليهم السلام قال بينا امير المؤمنين عليه السلام يخطب الناس ويحضهم
على الجهاد اذ قام اليه شاب فقال يا امير المؤمنين اخبرني عن فضل الغزاة في سبيل الله فقال عليه السلام

كنت رديف رسول الله صلعم على ناقته العضباء ونحن منصرفون من غزوة ذات السلاسل فسألته عما سألتني
عنه فقال صلعم ان الغزاة اذا هموا بالغزو كتب الله لهم براءة من النار فاذا تجهزوا لغزوهم باهى الله بهم
الملائكة فاذا ودعهم اهلوهم بكت عليهم الحيطان والبيوت ويخرجون من ذنوبهم كما تخرج الحية من سلخها ويوكل الله
عز وجل بكل رجل منهم اربعين ملكا يحفظونه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ولا يعمل حسنة
الا ضعفت له ويكتب له كل يوم عبادة الف رجل يعبدون الله الف سنة كل سنة ثلثمائة وستون يوما اليوم
مثل عمر الدنيا واذا صاروا بحضرة عدوهم انقطع علم اهل الدنيا عن ثواب الله اياهم فاذا برزوا لعدوهم واشرعت الاسنة
وفوقت السهام وتقدم الرجل الى الرجل حفتهم الملائكة باجنحتها يدعون الله بالنصر والتثبيت فنادى مناد الجنة
تحت ظلال السيوف فتكون الطعنة والضربة على الشهيد اهون من شرب الماء البارد في اليوم الصائف واذا
زال الشهيد عن فرسه بطعنة او ضربة لم يصل الى الارض حتى يبعث الله اليه زوجته من الحور العين فتبشره بما اعد الله له من
الكرامة فاذا وصل الى الارض تقول له الارض مرحبا بالروح الطيبة الذي خرج من البدن الطيب ابشر فان لك
ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ويقول الله عز وجل انا خليفته في اهله من ارضاهم فقد
ارضاني ومن اسخطهم فقد اسخطني ويجعل الله روحه في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث تشاء تأكل
من ثمارها وتأوي الى قناديل من ذهب معلقة بالعرش ويعطى الرجل منهم سبعين غرفة من غرف الفردوس
سلوك كل غرفة ما بين الصنعاء والشام يملأ نورها ما بين الخافقين في كل غرفة سبعون بابا وعلى كل باب
سبعون مصراعا من ذهب على كل باب سبعون خيمة في كل خيمة سبعون سريرا من ذهب قوائمها الدر
والزبرجد مرصوصة بقضبان الزمرد على كل سرير اربعون فراشا غلظ كل فراش اربعون ذراعا على كل فراش زوجة من الحور
العين عربا اترابا فقال الشاب يا امير المؤمنين اخبرني عن العروبة قال هي الغنجة الرضية الشهية لها سبعون الف
وصيف وسبعون الف وصيفة صفر الحلي بيض الوجوه عليهن تيجان اللؤلؤ على رقابهم المناديل بايديهم
الاكوبة والاباريق فاذا كان يوم القيمة فوالذي نفسي بيده لو كان الانبياء على طريقهم لترجلوا لهم لما يرون من بهائهم
حتى يأتوا الى موائد من الجواهر فيقعدون عليها ويشفع الرجل منهم في سبعين الفا من اهل بيته وجيرته حتى ان الجارين
يتخاصمان ايهما اقرب جوارا فيقعدون معي ومع ابراهيم على مائدة الخلد فينظرون الى الله عز وجل في كل يوم بكرة
وعشيا قوله تعالى الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم
الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة
من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم اللغة استجاب واجاب بمعنى
وقيل استجاب طلب الاجابة واجاب فعل الاجابة والقرح الجرح واصله الخلوص من الكدر ومنه ماء قراح اي خالص والقراح
من الارض ما خلص طينه من السبخ وغيره والقريحة خالص الطبيعة واقترحت عليه كذا اي اشتهيته عليه لخلوصه
على ما سواه بما تنزع نفسه اليه كانه استخلصته وفرس قارح طلع نابه لخلوصه عن نقض الصغار ببلوغ تلك الحال والقرح
الجراح لخلوص ألمه الى النفس والاحسان هو النفع الحسن والافضال النفع الزائد على اقل المقدار حسبنا الله اي كافينا الله و
اصله من الحساب لان الكفاية بحسب الحاجة وبحساب الحاجة ومنه الحسبان وهو الظن والوكيل الحفيظ وقيل هو الولي
واصله القيام بالتدبير فمعنى الوكيل في صفات الله هو المتولي للقيام بتدبير خلقه لانه مالكهم الرحيم بهم وهو في صفة
غيره انما يعقد بالتوكيل الاعراب موضع الذين يحتمل ثلثة اوجه من الجر على ان يكون نعتا للمؤمنين والاشبه بالآية ان يكون
الرفع على الابتداء وخبر الجملة التي للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم ويجوز النصب على المدح وتقديره اعني الذين
استجابوا او اذكروا هي اذ ذاك القول في موضع الذين في الآية الثانية لانها نعت لموصوف واحد وقوله لم يمسسهم سوء

في موضع نصب على الحال وتقديره فانقلبوا بنعمة من الله وفضل سالمين والعامل فيه فانقلبوا القصة
لما انصرف ابو سفيان واصحابه من احد فبلغوا الروحاء ندموا على انصرافهم عن المسلمين وتلاوموا فقالوا لا محمدا
قتلتم ولا الكواعب اردفتم قتلتموهم حتى اذا لم يبق منهم الا الشريد تركتموهم ارجعوا فاستأصلوهم فبلغ ذلك
الخبر رسول الله صلعم فاراد ان يرهب العدو ويريهم من نفسه واصحابه قوة فندب اصحابه للخروج في طلب ابي سفيان
وقال الا عصابة تشدد لامر الله وتطلب عدوها فانها انكأ للعدو وابعد للسمع فانتدب عصابة منهم مع ما بهم
من الجرح والقرح الذي اصابهم يوم احد ونادى منادي رسول الله صلى الله عليه وآله الا لا يخرجن معنا احد الا
من حضر يومنا بالامس وانما خرج رسول الله صلعم ليرهب العدو وليبلغهم انه خرج في طلبهم فيظنوا به قوة
وان الذي اصابهم لم يوهنهم عن عدوهم فينصرفوا فخرج في سبعين رجلا حتى بلغ حمراء الاسد وهي من المدينة
على ثمانية اميال وذكر علي بن ابراهيم بن هاشم في تفسيره ان رسول الله صلعم قال هل من رجل يأتينا بخبر القوم
فلم يجبه احد فقال امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه الصلوة والسلام انا آتيك بخبرهم قال اذهب فان كانوا
ركبوا الخيل وجنبوا الابل فانهم يريدون المدينة وان كانوا ركبوا الابل وجنبوا الخيل فانهم يريدون مكة
فمضى امير المؤمنين على ما به من الالم والجراح حتى كان قريبا من المدينة القوم فرآهم قد ركبوا الابل و
جنبوا الخيل فرجع واخبر رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك فقال صلعم ارادوا مكة فلما دخل رسول الله صلعم
المدينة نزل عليه جبرئيل عم فقال يا محمد ان الله عز وجل يأمرك ان تخرج ولا يخرج معك الا من به جراحة فاقبلوا
يضمدون جراحاتهم ويداوونها فانزل الله على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ولا تهنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون
فانهم يألمون كما تألمون الآية فخرجوا على ما بهم من الالم والجراح حتى بلغوا حمراء الاسد وروى محمد بن اسحق بن يسار
عن عبد الله بن خارجة بن زيد بن ثابت عن ابي السائب ان رجلا من اصحاب النبي صلعم من بني عبد الاشهل كان شهد
احدا قال شهدت احدا انا واخ لي فرجعنا جريحين فلما اذن مؤذن رسول الله صلعم بالخروج في طلب العدو
قلنا لا تفوتنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وآله والله ما لنا دابة نركبها وما منا الا جريح ثقيل فخرجنا
مع رسول الله صلى الله عليه وآله وكنت ايسر جرحا من اخي فكنت اذا غلب حملته عقبة ومشى عقبة حتى انتهينا
مع رسول الله صلعم الى حمراء الاسد فمر برسول الله صلى الله عليه وآله معبد الخزاعي بحمراء الاسد وكانت خزاعة
مسلمهم وكافرهم عيبة رسول الله صلى الله عليه وآله بتهامة صفقتهم معه لا يخفون عنه شيئا ومعبد يومئذ مشرك
فقال يا محمد والله لقد عز علينا ما اصابك في اصحابك ولوددنا ان الله كان اعفاك فيهم ثم خرج من عند رسول الله
حتى لقي ابا سفيان ومن معه بالروحاء واجمعوا الرجعة الى رسول الله صلى الله عليه وآله وقالوا قد اصبنا حد
اصحابه وقادتهم واشرافهم ثم نرجع قبل ان نستأصلهم فلما رأى ابو سفيان معبدا قال ما وراءك يا معبد قال
محمد قد خرج في اصحابه يطلبكم في جمع لم ار مثله قط يتحرقون عليكم تحرقا وقد اجتمع عليه من كان تخلف عنه في
يومكم وندموا على صنيعهم وفيهم من الحنق عليكم ما لم ار مثله قط قال ويلك ما تقول قال فانا والله ما اراك
ترتحل حتى ترى نواصي الخيل قال فوالله لقد اجمعنا الكرة عليهم لنستأصلهم قال فاني والله انهاك عن
ذلك فوالله لقد حملني ما رأيت على ان قلت ابياتا فيه من شعر قال وما قلت قال قلت كادت تهد من الاصوات
راحلتي اذ سالت الارض بالجرد الابابيل تردي باسد كرام لا تنابلة عند اللقاء ولا خرق معازيل
فظلت عدوا اظن الارض مائلة لما سموا برئيس غير مخذول وقلت ويل ابن حرب من لقائكم اذا تغطمطت البطحاء
بالجيل اني نذير لاهل البسل ضاحية لكل ذي اربة منهم ومعقول من جيش احمد لا وخش تنابلة وليس
يوصف ما انذرت بالقيل قال فثنى ذلك ابا سفيان ومن معه ومر به ركب من عبد القيس فقال

٢٠٠

اين تريدون قالوا نريد المدينة ونريد الميرة قال فهل انتم مبلغون عني محمدا رسالة ارسلكم بها اليه واحمل لكم
ابلكم هذه زبيبا بعكاظ غدا اذا وافيتموها قالوا نعم قال فاذا جئتموه فاخبروه انا قد اجمعنا الكرة اليه والى اصحابه
لنستاصل بقيتهم وانصرف ابو سفيان الى مكة ومر الركب برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو بحمراء الاسد
فاخبروه بقول ابي سفيان فقال رسول الله صلى الله عليه وآله حسبنا الله ونعم الوكيل ثم انصرف رسول الله صلى الله
الى المدينة بعد الثالثة وقد ظفر في وجهه ذلك بمعوية بن المغيرة بن العاص وابي عزة الجمحي هذا قول اكثر المفسرين
وقال مجاهد وعكرمة نزلت هذه الآيات في غزوة بدر الصغرى وذلك ان ابا سفيان قال يوم احد حين اراد ان ينصرف
يا محمد موعد ما بيننا وبينك موسم بدر الصغرى لقابل ان شئت فقال رسول الله صلى الله ذلك بيننا وبينك فلما كان
العام المقبل خرج ابو سفيان في اهل مكة حتى نزل مجنة من ناحية مر الظهران ثم القى الله عليهم الرعب فبدا له
في الرجوع فلقي نعيم بن مسعود الاشجعي وقد قدم معتمرا فقال له ابو سفيان اني واعدت محمدا واصحابه ان نلتقي
بموسم بدر الصغرى وان هذه عام جدب ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدا لي ان لا
اخرج واكره ان يخرج محمد ولا اخرج فيزيدهم ذلك جرأة فالحق بالمدينة فثبطهم ولك عندي عشرة من الابل اضعها على يدي سهيل بن عمرو
فاتى نعيم المدينة فوجد الناس يتجهزون لميعاد ابي سفيان فقال لهم بئس الراي رايكم اتوكم في دياركم وقراركم
فلم يفلت منكم الا شريد فتريدون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم عند الموسم فوالله لا يفلت منكم احد فكره اصحاب رسول الله
الخروج فقال رسول الله صلى الله عليه وآله والذي نفسي بيده لاخرجن ولو وحدي فاما الجبان فانه رجع واما
الشجاع فانه تاهب للقتال وقال حسبنا الله ونعم الوكيل فخرج رسول الله صلعم في اصحابه حتى وافوا بدر الصغرى وهو
ماء لبني كنانة وكانت موضع سوق لهم في الجاهلية يجتمعون اليها في كل عام ثمانية ايام فاقام ببدر ينتظر
ابا سفيان وقد انصرف ابو سفيان من مجنة الى مكة فسماهم اهل مكة جيش السويق ويقولون انما خرجتم تشربون السويق
ولم يلق رسول الله صلى الله عليه وآله واصحابه احدا من المشركين ببدر ووافقوا السوق وكانت لهم تجارات
فباعوا واصابوا للدرهم درهمين وانصرفوا الى المدينة سالمين غانمين وقد روى ذلك ابو الجارود عن ابي جعفر
عليه الصلوة والسلام المعنى الذين استجابوا لله والرسول اي اطاعوا الله في امره واطاعوا رسوله من بعد ما اصابهم
القرح اي نالهم الجراح يوم احد للذين احسنوا منهم بطاعة رسول الله صلعم واجابته الى الغزو واتقوا معاصي الله
اجر عظيم اي ثواب جزيل الذين قال لهم الناس في معنى الناس الاول ثلثة اقوال احدها انهم الركب الذين دسهم
ابو سفيان الى المسلمين ليجبنوهم عند منصرفهم من احد لما ارادوا الرجوع اليهم عن ابن عباس وابن اسحق وقد مضت
قصتهم والثاني انه نعيم بن مسعود الاشجعي وهو قول ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام والثالث انهم المنافقون عن السدي
ان الناس قد جمعوا لكم يعني ابا سفيان واصحابه عند اكثر المفسرين اي جمعوا جموعا كثيرة لكم وقيل اجمعوا الآلات والرجال
وانما عبر بلفظ الواحد عن الجميع في قوله قال لهم الناس لامرين احدهما انه جاء من جهة الناس فاقيم كلامه مقام كلامهم
وسمي باسمهم والآخر انه لتفخيم الشان فاخشوهم اي خافوهم ثم بين سبحانه ان ذلك القول زادهم ايمانا وثباتا على دينهم
واقامة على نصرة نبيهم صلى الله عليه وآله بان قال فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله اي كافينا الله ووليّنا وحفيظنا
والمتولي لامرنا ونعم الوكيل اي نعم الكافي والمعتمد والملجأ الذي توكل عليه الامور فانقلبوا اي فرجع النبي صلى الله
ومن معه من اصحابه بنعمة من الله وفضل اي بعافية من السوء وتجارة رابحة لم يمسسهم سوء اي قتل عن
مجاهد وقيل النعمة ههنا الثبوت على الايمان في طاعة الله والفضل الربح في التجارة عن الزجاج وقيل ان كل
ما يفعله الله تعالى بالخلق فهو نعمة فاراد على ذلك فهو الموصوف بانه فضل والفرق بين النعمة والمنفعة ان النعمة
لا يكون نعمة الا اذا كانت حسنة والمنفعة قد تكون حسنة وقد تكون قبيحة فهذا الا ان النعمة يستحق بها

الشكر

الشكر ولا يستحق الشكر بالمنفعة واتبعوا رضوان الله بالخروج الى لقاء العدو والله ذو فضل عظيم على المؤمنين
وقد تضمنت الآية البينة على ان كل من دهمه امر فينبغي ان يقول هذه الكلمة وقد صحت الرواية عن الصادق عليه السلام
انه قال عجبت لمن خاف كيف لا يفزع الى قوله سبحانه حسبنا الله ونعم الوكيل فاني سمعت الله سبحانه يقول بعقبها (ان يفزع)
فانقلبوا بنعمة من الله الآية وروي عن ابن عباس انه قال آخر كلام ابراهيم على نبينا وعليه السلام حين القي في النار
حسبنا الله ونعم الوكيل وقال نبيكم مثل هذا وتلا هذه الآية قوله تعالى انما ذلكم الشيطان يخوف
اولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين الاعراب كم من ذلكم للخطاب المحض لا للضمير
فلا موضع له من الاعراب وقوله يخوف يتعدى الى مفعولين يقال خاف زيد القتال وخوفته القتال
المعنى ثم ذكر سبحانه ان ذلك التخويف والتثبيط عن الجهاد من عمل الشيطان فقال انما ذلكم الشيطان
يخوف اولياءه والمعنى انما ذلك التخويف الذي كان من نعيم بن مسعود من فعل الشيطان وباغوائه وتسويله
يخوف اولياءه المؤمنين قال ابن عباس ومجاهد وقتادة يخوف المؤمنين بالكافرين وقال الزجاج وابو علي
الفارسي وغيرهما ان تقديره يخوفكم اولياءه اي من اوليائه بدلالة قوله فلا تخافوهم وخافون ان كنتم
مؤمنين اي ان كنتم مصدقين بالله فقد اعلمتكم اني انصركم عليهم ومثله قوله لينذر باسا شديدا اي لينذركم
باس شديد فلما حذف الجار نصبه وقيل معناه ان الشيطان يخوف المنافقين الذين هم اولياؤه وقوله
هم الذين يخافون من ذلك التخويف بان يوسوس اليهم ويرهبهم ويعظم امر العدو في قلوبهم فيقعدوا عن
متابعة الرسول والمسلمون لا يخافونه لانهم يثقون بالنصر الموعود ونظيره قوله سبحانه انه ليس له سلطان
على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون والاول اصح قوله تعالى ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر انهم (٣٠١)
لن يضروا الله شيئا يريد الله الا يجعل لهم حظا في الآخرة ولهم عذاب عظيم ان الذين اشتروا
الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم القراءة قرأ نافع في جميع القرآن يحزن
بضم الياء وكسر الزاي الا قوله لا يحزنهم الفزع الاكبر فانه فتح الياء وضم الزاي وقرأ الباقون في جميع ذلك
يحزن بفتح الياء وضم الزاي وقرأ ابو جعفر عكس ما قرأه نافع فانه فتح الياء في جميع القرآن الا قوله لا يحزنهم
فانه ضم الياء الحجة قال ابو علي قال سيبويه تقول فتن الرجل وفتنته وحزن وحزنته وزعم الخليل
انك حيث قلت فتنته وحزنته لم ترد ان تقول جعلته حزينا وجعلته فاتنا كما انك حين تقول ادخلته اردت
جعلته داخلا ولكنك اردت ان تقول جعلت فيه حزنا وفتنة كما تقول كحلته جعلت فيه كحلا ودهنته
جعلت فيه دهنا فجئت بفعلته على حدة ولم ترد بفعلته ههنا تغيير قوله حزن وفتن ولو اردت ذلك
لقلت احزنته وافتنته وقال بعض العرب افتنت الرجل واحزنته اذا جعلته فاتنا وحزينا فعدوا
فقال ابو علي فهذا الذي حكاه عن بعض العرب حجة نافع واما قوله لا يحزنهم الفزع الاكبر فيشبه
ان يكون اتبع اثرا او احب الاخذ بالوجهين الاعراب قوله شيئا نصب على انه وقع موقع المصدر ويحتمل
ان يكون نصبا بحذف الباء كانه قال بشيء مما يضر به كما يقال ما ضرت زيدا شيئا من نقص ماله
المعنى لما علم الله سبحانه المؤمنين ما يصلحهم عند تخويف الشيطان اياهم خص رسوله
بضرب من التعليم فيه فقال ولا يحزنك ايها الرسول الذين يسارعون في الكفر يعني المنافقين
عن مجاهد وابن اسحق وقوما من العرب ارتدوا عن الاسلام عن ابي علي الجبائي انهم لن يضروا الله
شيئا بكفرهم ونفاقهم وارتدادهم لان الله سبحانه لا يجوز عليه المنافع والمضار وانما قال ذلك
على جهة التسلية لنبيه صلعم لانه كان يصعب عليه كفر هؤلاء ويعظم عليه امتناعهم من الايمان

ولا يمد انه بما كان يخطر بباله ان مسارعتهم الى الكفر واستباعهم من الايمان لتفريط منه حصل من قبله فامنه
الله تعالى من ذلك واخبره ان ضرر كفرهم راجع اليهم ومقصود عليهم يريد الله ان لا يجعل لهم حظا
في الاخرة اى نصيبا في الجنة واذا كانت الارادة يتعلق بما يصح حدوثه ولا يتعلق بالا يكون الشئ فلابد من
حذف في الكلام ومعناه يريد ان يحكم بحرمان ثوابهم الذى عرضوا له بتكليفهم وان يعاقبهم في الاخرة على
سبيل الجزاء لكفرهم ونفاقهم ولهم عذاب عظيم ظاهر المعنى وهذا يدل على بطلان مذهب المجبرة لانه
سبحانه ثبت اليهم المسارعة الى الكفر واذا كان ذلك قد خلقه فيهم فكيف يصح نسبته اليهم ثم استأنف سبحانه
الاخبار بان من اشترى الكفر بالايمان وهم جميع الكفار بهذه الصفة فقال ان الذين اشتروا الكفر بالايمان
اى استبدلوا الكفر بالايمان وقد بينا فيما تقدم ان اطلاق لفظ الشراء على ذلك مجاز وتوسع والمناسبة
استبدالهم الكفر بالايمان بشراء السلعة بالثمن لن يضروا الله شيئا انما كرر هذه الاية انما ذكر ذلك في الاية
الاول على طريقة العلة لما يجب من التسلية عن المسارعة الى الضلالة وذكر في هذه الاية على وجه العلة لاختصاص
المضرة بالعاصى دون المعصوم والفرق بين المضرة والاساءة ان الاساءة لا تكون الا قبيحة والمضرة قد تكون حسنة
اذا كانت مستحقة او على وجه اللطف او فيها نفع يوفى عليها او دفع ضرر عظيم منها ولهم عذاب اليم اى مولم
قوله تعالى ولا يحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خير لانفسهم انما نملى لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين
اية القراءة قرأ ابن كثير وابو عمرو ولا يحسبن الذين كفروا ولا يحسبن الذين يبخلون ولا يحسبن الذين
يفرحون كلهن بالياء وكسر السين وكذا فلا يحسبنهم بضم الباء وبالياء وكسر السين وقرأ حمزة كلها بالتاء
وفتح السين وفتح الباء من تحسبنهم وقرأ اهل المدينة والشام ويعقوب كلها بالياء الا قوله فلا تحسبنهم بالتاء
وفتح الباء الا ان اهل المدينة ويعقوب كسروا السين وفتحها الشامى وقرأ عاصم والكسائى وخلف كلها
بالتاء الا الحرفين ولا يحسبن الذين كفروا ولا يحسبن الذين يبخلون فانهما بالياء وعن عاصم فتح السين
وكسرها الكسائى الحجة من قرأ بالياء فالذين في هذه الاية في موضع الرفع بانه فاعل واذا كان الذين فاعلا و يقتضى
حسبت مفعولين او ما يسد مسد المفعولين نحو حسبت ان زيدا منطلق وحسبت ان يقوم عمرو فقوله انما نملى لهم خير
لانفسهم قد سد مسد المفعولين اللذين يقتضيهما يحسبن وما يحتمل حرفين احدهما ان يكون بمعنى الذى فيكون
التقدير لا يحسبن الذين كفروا ان الذى نمليه لهم خير لانفسهم والاخر ان يكون نملى بمنزلة الاملاء فيكون
مصدرا واذا كان مصدرا لم يقتض راجعا اليه قال المبرد من قرأ يحسبن بالياء فتح ان وهو الكسر مع الياء قبيح
على قبحه لان الحسبان ليس بفعل حقيقى فهو مبطل عمله مع ان المكسورة كما يبطل مع اللام كما يجوز حسبت لعبد الله
منطلق يجوز على بعد حسبت ان عبد الله منطلق لو كان الموصل الحجر فيها ان يتلقى بها القسم كما يتلقى بلام الابتداء
ويدخل كل واحد منهما على الابتداء والخبر فكانه قال هذا لا يحسبن الذين كفروا للاخرة خير لهم واما قراءة
حمزة بالتاء من تحسبن وفتح ان فقد خطاه البصريون في ذلك لانه يصير المعنى ولا تحسبن الذين كفروا املاءنا
وذلك لا يصح عندنا الزجاج قال يجوز على البدل من الذين والمعنى لا تحسبن املاءنا للذين كفروا خيرا لهم ومثله في الشعر
وما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما قال ابو على لا يجوز ذلك لانك اذا ابدلت ان من الذين كفروا
لزمك ان تنصب خيرا من حيث كان المفعول الثانى فلم ينصبه احد من القراء فاذا لم ينصبه ابدا لم يجز فيه الا الكسر ان على
ان يكون ان وخبره في موضع المفعول الثانى من تحسبن اللغة الاملاء اطالة المدة والملا الحين الطويل والملاوة
الدهر والملوان الليل والنهار لطولهما تعاقبهما المعنى قيل نزلت في مشركى مكة عن مقاتل وفي قريظة والنضير عن عطا
المعنى ثم بين سبحانه ان امهاله الكفار لا ينفعهم اذا كان يؤدى الى العقاب فقال ولا يحسبن اى لا يظنن

الذين كفروا انما نملى لهم خير لانفسهم اى ان اطالتنا لاعمارهم وامهالنا التاخير لهم من القتل في سبيل الله بايدى
لان قتلا الشهداء ادى هم الى الجنة وبقاء هؤلاء في الكفر يؤديهم الى العقاب ثم ابتداء سبحانه فقال انما نملى
لهم اى انما نطيل عمرهم ونترك المعاجلة لعقوبتهم ليزدادوا اثما ليكون عاقبة امرهم ازدياد الاثم فيكون اللام
لام العاقبة مثل اللام في قوله فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وهم انما اخذوه ليكون لهم
سرورا وقرة عين ولكن لما علم الله انه يصير في خاتمة عدوا وحزنا قال كذلك ومثاله قول الشاعر اموالنا
لذوى الميراث نجمعها ودورنا لخراب الدهر نبنيها وقول الاخر ام سماك فلا تجزعى فللموت ما تلد الوالدة
وقول الاخر وللموت تغذو الوالدات سخالها كما لخراب الدهر تبنى المساكن وقول الاخر لدوا للموت
وابنوا للخراب ولا يجوز ان يكون اللام لام الارادة والغرض لوجهين احدهما ان ارادة القبيح قبيحة وتلك عنه منفية
والاخر انه لو كان لام الارادة لوجب ان يكون الكفار مطيعين لله تعالى من حيث فعلوا ما وافق ارادته وذلك خلاف الاجماع
وقد قال عز اسمه وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله وما امروا الا
ليعبدوا الله مخلصين له الدين والقران يصدق بعضه بعضا وعلى هذا فلا بد من تخصيص الاية بمن علم منه
انه لا يؤمن لانه لو كان فيهم من يؤمن لما توجه اليهم هذا الوعيد المخصوص وقال ابو القاسم البلخى معناه ولا
يحسبن الذين كفروا ان املاءنا لهم رضاء باعمالهم وقبول لها بل هو شر لهم انما نملى لهم وهم يزدادون
اثما يستحقون به العذاب الاليم ومثله ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس اى ذرأنا كثيرا من الخلق سيصيرون
الى جهنم بسوء افعالهم وقد يقول الرجل لغيره وقد نصحه فلم يقبل نصحه ما زادك نصحى الا شرا وعظى الا فسادا
ونظيره قوله سبحانه حتى انسوكم ذكرى ومعلوم ان الرسول ما انسوا ذكر الله على الحقيقة وما بعثوا الا للتذكير
والتنبيه دون الانساء مع ان الانساء ليس من فعلهم فلا يجوز اضافته اليهم ولكنه انما اضيف اليهم لان علوقهم
اياهم لما كان لا ينجع فيهم ولا يردهم عن معاصيهم فاضيف الانساء اليهم وفي هذا المعنى قوله سبحانه
حكاية عن نوح ع فلم يزدهم دعائى الا فرارا وروى عن ابى الحسن الاخفش والاسكافى انهما قالا ان في الاية
تقديما وتاخيرا وتقديره ولا يحسبن الذين كفروا انما نملى لهم ليزدادوا اثما انما نملى لهم خير لانفسهم وهذا بعيد
لانه لو كان كذلك لوجب ان يكون انما الاخيرة مفتوحة الهمزة لانها معمول يحسبن على هذا القول وان يكون
انما الاولى مكسورة الهمزة لانها مبتداة على هذا التقديم والتاخير لا تغير ان الاعراب عن جهاته وذلك خلاف
ما عليه القراءة لان القراء اجمعوا على كسر الثانية واكثرهم على فتح الاولى ولهم عذاب مهين يهينهم في نار جهنم
قوله تعالى ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب
ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء فامنوا بالله ورسله وان تؤمنوا وتتقوا فلكم اجر عظيم اية القراءة قرأ
اهل الحجاز والشام وابو عمرو وعاصم حتى يميز وليميز بالتخفيف والباقون بالتشديد وضم الياء الاولى الحجة
ماز يميز فعل متعد الى مفعول واحد كما ان ميز فعل متعد الى مفعول واحد يقال عزلته فلم يتميز
وزلته فلم يزل وتضعيف في مثل ميز ليس للتعدية والنقل كما ان التضعيف في عوض ليس للنقل من عاض
لان عاض متعد الى مفعولين كما في قول الشاعر عاضها الله غلاما بعد ما شابت الاصداغ والضرس من نقد
فلو كان التضعيف في عوض للنقل لتعدى الى ثلثة مفعولين فعوض وعاض لغتان في معنى واحد مثل ماز وميز
النزول قيل ان المشركين قالوا لابى طالب ان كان محمد صلعم صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فان وجدنا
كما اخبر امنا به فذكر ذلك للنبى صلعم فانزل الله هذه الاية عن السدى والكلبى وقيل سأل المؤمنون ان
يأتوا علامة يفرقون بها بين المؤمن والمنافق فنزلت الاية عن ابى العالية والضحاك المعنى ما كان الله ليذر اى ليدع

ومعناه لا يدع الله المؤمنين على ما انتم عليه يا اهل الكفر من الاهمال واشتباه المخلص بالمنافق اي لم يكن يجوز في
حكم الله ان يذرهم على ما انتم عليه قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بل يتعبدكم حتى يميز الخبيث من الطيب اي الكافر من المؤمن
عن قتادة والسدي وقيل حتى يميز المنافق من المخلص يوم احد على ما مضى شرحه عن مجاهد وابن اسحق وابن جريج
وقيل هو خطاب للمؤمنين وتقديره ما كان الله ليذركم يا معشر المؤمنين على ما انتم عليه من التباس المؤمن بالمنافق
وعلى هذا فيكون قد رجع من الخبر الى الخطاب كقوله حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم واختلف في انه بماذا يتميز
بين الخبيث والطيب فقيل بالامتحان وتكاليف الجهاد ونحو مما يظهر به الحال كما ظهر يوم احد بان يثبت المؤمنون
وتخلف المنافقون عن الجهاد وقيل بالآيات الدالة على الامارات التي يستدل بها عليهم وقيل بان ينصر سبحانه المؤمنين
ويكثرهم ويعز الدين ويذل الكافرين عن ابي مسلم وقيل بان يفرض الفرائض فيثبت المؤمن على ايمانه ويتغير هم ممن
ينقلب على عقبيه وما كان الله ليطلعكم على الغيب اي ما كان الله ليظهر على غيبه احدا منكم فيعلمون ما في القلوب
ان هذا مؤمن وهذا منافق ولكن الله يجتبي من رسله اي يختار لرسالته من يشاء فيطلعه على الغيب اي يوقفه
على الغيب ويعرفه اياه فآمنوا بالله ورسله كما امركم وان تؤمنوا اي تصدقوا وتتقوا عقابه بلزوم امره واجتناب
نهيه فلكم اجر عظيم وقيل معناه يصطفي من رسله من يشاء ممن يصلح له ولا يطلعه على الغيب عن السدي وفي
هذه الآية دلالة على انه يجوز ان يصلح جماعة من للرسالة فيختار سبحانه منهم من يشاء اما لانه اصلح وبالتأدية اقوم
وعن المنفرات ابعد واما لانهم قد تساووا في جميع الوجوه فيختار من يشاء من بينهم لان النبوة ليست مستحقة ولا جزاء
وفيها دلالة على ان الثواب مستحق بالايمان والتقوى خلافا لمن قال انه تفضل قوله تعالى ولا يحسبن
الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة ولله ميراث
السموات والارض والله بما تعملون خبير • القراءة والحجة قد ذكرنا اختلاف القراءة فيه فمن قرأ يحسبن
بالياء فالذين يبخلون فاعل يحسبن والمفعول الاول محذوف من اللفظ لدلالة اللفظ عليه وهو مثل قولك
من كذب كان شرا له اي كان الكذب شرا له وكذلك في الآية لا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من
فضله البخل خيرا لهم فدخلت هو فصلا لان تقدير يبخلون بمنزلة تقدم البخل ومن قرأ بالتاء فالفاعل
المخاطب وهو النبي صلى الله عليه وآله والذين يبخلون مفعول الاول لتحسبن وخيرا لهم المفعول الثاني وفي الكلام
حذف تقديره لا تحسبن يا محمد بخل الذين يبخلون خيرا لهم وهو فصل وانما احتمل هذا الحذف ويكون
المفعول الثاني هو الاول في المعنى لان هذه الافعال انما تدخل على المبتدأ والخبر واذا كان مضمرا فيجب ان يكون
هو المبتدأ في المعنى والبخل هو منع الواجب لانه تعالى توعد عليه وذم به واصله في اللغة المشقة بالاعطاء
وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب يعملون بالياء كناية عن الذين يبخلون والباقون بالتاء على الخطاب المعنى
لا تحسبن الباخلون الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله اي اعطاهم الله من فضله اي من الاموال فيبخلون
باخراج الحقوق الواجبة فيها ان ذلك البخل هو خير لهم بل هو شر لهم وعلى القراءة الاخرى لا تحسبن ايها
السامع او لا تظنن يا محمد فالخطاب له والمراد غيره بخل الذين يبخلون خيرا لهم بل هو شر لهم اي ذلك كما
يظنون بل ذلك البخل شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة اختلف في معناه فقيل يجعل ما بخل به من
المال طوقا في عنقه والآية نزلت في مانعي الزكوة وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلام وهو قول ابن مسعود وابن عباس
والسدي والشعبي وغيرهم وروي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال ما من رجل لا يؤدي زكوة ماله الا
جعل في عنقه شجاع يوم القيمة ثم تلا هذه الآية وقال عليه السلام ما من ذي رحم يأتي ذا رحمه يسأله من فضل
ما اعطاه الله فيبخل به عنه الا اخرج الله له من جهنم شجاعا يتلمظ بلسانه حتى يطوقه وتلا هذه الآية وقيل

معناه يجعل في عنقه يوم القيمة طوق من نار عن النخعي وقيل معناه يكلفون يوم القيمة ان يأتوا بما بخلوا به من
اموالهم عن مجاهد وقيل هو كقوله يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ومعناه
انه يجعل طوقا فيعذب بها عن الجبائي وقيل معناه انه يعود عليهم وباله فيصير طوقا لاعناقهم كقوله وكل انسان الزمناه
طائره في عنقه عن ابي مسلم قال والعرب تعبر بالرقبة والعنق عن جميع البدن الا ترى الى قوله سبحانه فتحرير رقبة
وروي عن ابن عباس ان المراد بالآية الذين يبخلون ببيان نعت محمد صلى الله عليه وآله والفضل هو التورية الذي فيها صفته والاول اليق
بسياق الآية ولله ميراث السموات والارض معناه يموت من في السموات والارض ويبقى هو جل جلاله لم يزل ولا يزال
فيبطل ملك كل مالك الا ملكه وقد تضمنت الآية الحث على الانفاق والمنع من الامساك من قبل ان الاموال اذا كانت تعرض
للزوال اما بالموت او بغيره من الآفات فاجدر بالعاقل ان لا يبخل بانفاقه ولا يحرص على امساكه فيكون عليه وزره ولغيره نفعه
والله بما تعملون خبير هذا تأكيد للوعد والوعيد في انفاق المال لاحراز الثواب والاجر والسلامة من الاثم والوزر قوله تعالى
النظم الوجه في اتصال الآية بما قبلها هو انهم كما يبخلون بالجهاد بخلوا بالانفاق والزكوة عن علي بن عيسى وقيل انهم
مع ما قدمنا من احوالهم كتموا امر محمد صلى الله عليه وآله وبخلوا ببيانه قوله تعالى لقد سمع الله قول الذين قالوا
ان الله فقير ونحن اغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق • ذلك بما قدمت
ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد • آيتان القراءة قرأ حمزة سيكتب بضم الياء وقتلهم بالرفع ويقول بالياء
وقرأ الباقون سنكتب بالنون وقتلهم بالنصب ونقول بالنون الحجة الوجه في قراءة من قرأ سنكتب ان النون
هنا لعله الاسم الموضوع للغيبة فهو مثل قوله بل الله مولاكم ثم قال سنلقي في قلوب الذين كفروا ولو قال سيكتب
بالياء لكان في المعنى كقوله وقذف في قلوبهم الرعب وقوله كتب الله لاغلبن انا ورسلي ونقول معطوف على
سنكتب والوجه في قراءة حمزة وقتلهم انه عطف على ما قالوا وهو في موضع رفع ومن قال وقتلهم فانه عطفه
على ما قالوا ايضا وهو في موضع نصب بانه مفعول به اللغة قيل سمع يسمع سمعا اذا ادركه بحاسة الاذن والله سبحانه
سميع من غير ادراك بحاسة وانما السميع من كان على صفة يسمع لاجلها المسموعات اذا وجدت والسامع المدرك لذلك
وقال المحققون ان الله سبحانه سميع فيما لم يزل وسامعا عند وجود المسموع وكونه سميعا بصيرا ليس بصفة زائدة على كونه
حيا عالما وكونه سامعا مبصرا يثبت له وقالوا انما الحي لا آفة به فانه كونه سميعا بصيرا انه يعلم المسموعات والمبصرات
وهو لا يثبت القديم سبحانه صفة الادراك وقال الخليل كل ما نال الانسان من مكروه فقد ذاقه الا انه توسع وقد جاء في
الخبر حتى تذوق من عسيلته ويذوق من عسيلتك كنى بذلك عن الجماع وهذا من الكنايات المليحة والحريق النار وكذلك
الحرق بفتح الراء والحرق بسكون الراء مصدر كقوله حرقت الشيء بردته بالمبرد الاعراب قال موضع الباء في قوله بما
قدمت ايديكم وان الله ما فرقان لانه معطوف على ما عملت فيه الباء وتقديره وبان الله غير ظالم النزول لما نزلت
من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قالت اليهود ان الله فقير يستقرض منا ونحن اغنياء وقائله حيي بن اخطب عن
الحسن ومجاهد وقيل كتب النبي صلعم مع ابي بكر الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى اقامة الصلوة وايتاء الزكوة وان
يقرضوا الله قرضا حسنا فدخل ابو بكر بيت مدارسهم فوجد ناسا كثيرا منهم اجتمعوا على رجل منهم يقال له فنحاص بن عازورا
فدعاهم الى الاسلام والصلوة والزكوة فقال فنحاص ان كان ما تقول حقا فان الله اذا لفقير ونحن اغنياء ولو كان غنيا
لما استقرضنا اموالنا فغضب ابو بكر وضرب وجه فنحاص فانزل الله تعالى هذه الآية عن عكرمة والسدي ومقاتل
ومحمد بن اسحق المعنى ثم ذكر سبحانه خصلة اخرى من خصالهم الذميمة فقال لقد سمع الله قول الذين قالوا
قيل معناه ادرك قولهم وعلم ذلك عن الجبائي ان الله فقير الذي تضمنه الخبر لانه يستقرض منا ونحن اغنياء
عن الحاجة وقد علموا ان الله سبحانه لا يطلب القرض وانما ذلك تلطف في الاستدعاء الى الانفاق وانما قالوا

بليسنا على عوامهم وقيل معناه قالوا ان الله فقير لانه يضيق علينا الرزق ونحن اغنياء لانا نوسع الرزق على
اهالينا سنكتب ما قالوا قيل معناه سنحفظ ما قالوا حتى يجازوا به وكنى بالكتابة عن الحفظ لانه طريق الى الحفظ وقيل
يامر بكتب ذلك في صحايف اعمالهم وانما يفعل الله ذلك مبالغة في الزجر عن المعصية لان المكلف اذا علم
ان ما يعمله مكتوب في الصحايف وانه لا بد من عرضها عليه ومن قراءته على رؤس الاشهاد يوم القيامة كان ذلك
ابلغ له في الزجر عن المآثم والتمنع عن ارتكاب الجرائم وقتلهم الانبياء بغير حق اي سنكتب قتل اسلافهم الانبياء و
رضاء هؤلاء به فجازى كلا بفعله وفيه دلالة على ان الرضاء بفعل القبيح يجري مجرى فعله في عظم الجرم لان اليهود
الذين وصفوا بقتل الانبياء لم يتولوا ذلك بانفسهم وانما ذموا بذلك لانهم بمنزلة من تولاه في عظم الاثم ونقول
ذوقوا عذاب الحريق يعني المحرق ولهذا الفايدة ان يعلم ان العذاب بالنار التي تحرق وهي الملتهبة لان النار الملتهبة
لا تسمى حريقا وقد يكون العذاب بغير النار ويقال قوله ذوقوا الكلام للمخصوص من النار ومقال ذق هذا البلاء
اي انك لست بناج منه ذلك اشارة الى ما سبق اي ذلك العقاب بما قدمت ايديكم معناه بما كنتم عملتم
وجنيتم على انفسكم وان الله ليس بظلام للعبيد اي وان الله لا يظلم احدا من عبيده وانما اضاف الى اليد
وان كان يكتسب الذنوب بجميع الجوارح لان عامة ما يكتسبه الانسان انما يكتسبه بيده ولان العادة قد جرت باضافة
الافعال التي يلابسها الانسان الى اليد وان اكتسبها بجارحة اخرى فجرى مجرى خطاب القديم تعالى على ما تفهمه وفيه
دلالة على بطلان مذهب المجبرة لانه يدل على انه لو وقع العقاب من غير جرم سلف من العبد لكان ظلما
وذلك على خلاف ما يذهبون اليه من انه سبحانه يعذب الاطفال من غير جرم سلف منهم وانه يخلق فيهم الكفر
ثم يعذبهم عليه لانه لا ظلم اعظم من ذلك وانما ذكر لفظ ظلام وهو للتكثير تأكيدا لنفي الظلم عنه في قوله تعالى
الذين قالوا ان الله عهد الينا ان لا نؤمن لرسول حتى ياتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلي
بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات
والزبر والكتاب المنير ❊ اثبات القراءة قرأ ابن عامر وحده وبالزبر بالباء وكذلك هي في مصاحف الشام
كما في الحاظر والباقون بغير باء الحجة من حذف فلان واو العطف اغنت عن تكرار العامل ومن اثبتها فانما
كرر العامل تأكيدا وكلاهما حسن اللغة القربان مصدر على وزن عدوان وخسران يقول قربت للقربى قربانا
وقد يكون اسما كالبرهان والسلطان وهو كل بر يتقرب به العبد الى الله سبحانه والزبر جمع زبور وهو كل كتاب
فيه حكم فهو زبور قال امرؤ القيس لمن طلل ابصرته فشجاني كخط زبور في عسيب يماني يقال زبرت الكتاب
اذا كتبته وزبرت الرجل اذا زجرته والزبر مجمع الشعر على كتف الاسد وزبرت البئر اذا احكمت طيها بالحجارة وفي
من يوسف ما احكم العقل وقال جمع بين الزبر والكتاب ومعناهما واحد لان اصلهما مختلف فهو كتاب لضم حروف
بعضها الى بعض وزبور لما فيه من الزجر عن خلاف الحق ولهذا سمي كتاب داود زبورا لكثرة ما فيه من المواعظ والزواجر
الاعراب الذين قالوا في محله جر رد على الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء وسمع هذا البيت الذي قيل نزلت
الآية في جماعة من اليهود منهم كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهوذا ومخاص بن عازورا قالوا يا محمد
ان الله عهد الينا في التورية ان لا نؤمن لرسول حتى ياتينا بقربان تأكله النار فان زعمت ان الله بعثك الينا
فجئنا به فانزل الله تعالى هذه الآية عن الكلبي وقيل ان الله امر بني اسرائيل في التورية من جاءكم يزعم انه نبي فلا تصدقوه
حتى ياتي بقربان تأكله النار حتى ياتيكم المسيح ومحمد صلى الله عليه وآله فاذا اتياكم فآمنوا بهما بغير قربان المعنى
ثم ذكر سبحانه قولهم الآخر الذين قالوا لنبيهم صلى الله عليه وآله ان الله عهد الينا اي امرنا واوصانا في كتبه
وعلى السن رسله ان لا نؤمن لرسول اي لا نصدق رسولا فيما يقوله من انه جاء من عند الله تعالى حتى ياتينا

بقربان اي حتى يجيئنا بما يتقرب به الى الله تعالى من صدقة وبر يقبل منه وقوله تأكله النار بيان لعلامة القبول
فانه كان علامة القبول قربانهم ان تنزل نار من السماء فتأكله وكان يكون ذلك دلالة لنبيهم على صدق المقرب فيما ادعاه
عن ابن عباس قال يا محمد لهؤلاء اليهود قد جاءكم رسل من قبلي يعني جاء اسلافكم بالبينات يعني بالحجج الدالة على صدقهم
وصحة رسالتهم وحقيقة قولهم كما كنتم تقترحون وتطلبون منهم وبالذي قلتم معناه وبالقربان الذي قلتم
فلم قتلتموهم اراد بذلك زكريا ويحيى وجميع من قتلهم اليهود من الانبياء اي فلم قتلتموهم وانتم مقرون بان الذي جاؤكم به
كان حجة لهم عليكم ان كنتم صادقين فيما عهد اليكم مما ادعيتم وهذا تكذيب لهم في قولهم ودلالة على عنادهم
وعلى ان النبي صلعم لو اتاهم بالقربان المتقبل كما ارادوه لم يؤمنوا به كما لم يؤمن آباؤهم بالانبياء الذين اتوا به وغيره من المعجزات
وانما لم يقطع الله سبحانه عذرهم بما سألوه من القربان الذي تأكله النار لعلمه سبحانه بان في الاتيان به مفسدة لهم
والمعجزات تابعة للمصالح ولان ذلك اقتراح في الادلة على الله والذي يلزم في ذلك ان ينبئ عليهم بنصب الادلة
فقط فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك هذا تسلية للنبي في تكذيب الكفار اياه وذلك ان الله سبحانه اخبر
بانه ليس باول من كذب من الرسل بل كذب قبله رسل جاؤا بالبينات اي المعجزات الباهرات والزبر اي الكتب
التي فيها الحكم والزواجر والكتاب المنير قيل المراد به التورية والانجيل لان اليهود كذبت عيسى وما جاء به من الانجيل
وحرفت ما جاء به موسى من صفة النبي صلعم وبدلت عهده اليهم والنصارى ايضا جحدت ما في الانجيل
من نعته وغيرت ما امرهم به فيه والمنير الذي ينير الحق لمن اشتبه عليه وقيل المنير الهادي الى الحق قوله تعالى
كل نفس ذائقة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحيوة الدنيا الا متاع
الغرور اللغة يقال لكل من نجى من هلكة وكل من لقي ما يغتبط به فقد فاز ومعنى فاز تباعد من المكروه ولقي ما يحب
ومعنى قولهم مفازة للمهلكة التفاؤل وانما المفازة المنجاة كما سموا اللديغ سليما والاعمى بصيرا المعنى ثم بين سبحانه
ان مرجع الخلق اليه ليجازي المكذبين برسله على اعمالهم من حيث حتم الموت على جميع خلقه فقال كل نفس ذائقة
الموت اي ينزل بها الموت لا محالة فكانها ذائقة وقيل معناه كل نفس ذائقة مقدمات الموت وشدائده وسكراته
كقوله تعالى حتى اذا جاء احدهم الموت وعلى هذا جاء قوله لقنوا موتاكم شهادة ان لا اله الا الله وهذا الظاهر يدل
على ان كل نفس تذوق الموت وان كانت مقتولة وان المقتول لا ينفك عن الموت الذي هو فعل الله تعالى وقيل ان المراد
بالموت هنا انتفاء الحيوة والمقتول قد انتفت الحيوة عنه فهو داخل في الآية وانما توفون اجوركم معناه انما تعطون جزاء
اعمالكم وافيا يوم القيامة ان خيرا فخير وثوابا وان شرا فشر وعقابا فان الدنيا ليست بدار جزاء وانما هي دار تكليف
دار جزاء وليست بدار عمل فمن زحزح عن النار اي بوعد من نار جهنم ونحي عنها وادخل الجنة فقد فاز اي نال المنية
وظفر بالبغية ونجا من الهلكة وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور معناه ما اللذات الدنيا وشهواتها وزينتها الا
متعة متعكموها الغرور فلا تركنوا اليها ولا تغتروا بها فانما هي غرور وصاحبها مغرور وقيل متاع الغرور القوارير
وهو في الاصل ما لا بقاء له عن عكرمة وفي الآية دلالة على ان قليل نعيم الآخرة خير من نعيم الدنيا باسرها ولذلك
قال صلعم موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها وفيها دلالة على ان كل حي سيموت ولو لا ورود السمع بذلك
لكان يجوز في العقل ان يتصل حياتهم الى وقت المجازات واذا قيل اليس من قولكم لا بد من قطع بين حالة
التكليف وحالة المجازات فكيف يعلم ان ذلك القطع كان يجوز ان يحصل مع بقاء الحيوة وفيها دلالة على ان القطع
يحصل بغير الموت وقد اختلف في الموت فقال ابو علي وابو هاشم هو عرض يضاد الحيوة وعند ابي هاشم
عدم الحيوة فعلى كلا المذهبين يجوز حصوله في المقتول قوله تعالى لتبلون في اموالكم وانفسكم ولتسمعن
من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور

[illegible]

الاعراب اللام في قوله لتبلون لام التأكيد وفيه معنى القسم والنون لتأكيد القسم وضمت الواو في لتبلون ولم
تكسر لالتقاء الساكنين لانها واو الضمير حركت بما كان يجب قبلها من الضم ومثله اشتروا الضلالة بالهدى
ولو كانت الواو حرفا للاعراب لفتحت نحو هل تغزون زيدا النزول نزلت الآية في كعب بن الاشرف وكان يهجو النبي
والمؤمنين ويحرض المشركين عليهم ويشبب بنساء المؤمنين فقال صلى الله عليه وآله من لي بابن الاشرف فقال
محمد بن مسلمة انا يا رسول الله فخرج هو وابو نائلة مع جماعة فقتلوه غيلة واتوا برأسه الى النبي صلى الله عليه وآله
آخر الليل وهو قائم يصلي عن الزهري وقيل نزلت في فنحاص اليهودي سيد بني قينقاع لما بعث رسول الله
ابا بكر اليه يستمده وكتب اليه كتابا فلما قرأه قال قد احتاج ربكم الى ان نمده فهم ابو بكر ان يضربه ثم ذكر قول
النبي ص لا تفتاتن بشيء حتى ترجع فكف عن عكرمة ومقاتل المعنى ثم بين سبحانه ان الدنيا دار محنة وابتلاء
وانها انما زويت عن المؤمنين ليصبروا فيؤجروا فقال لتبلون اي لتوقع عليكم المحن وتلحقكم الشدائد في اموالكم
بذهابها ونقصانها وفي انفسكم ايها المؤمنون بالقتل والمصائب مثل ما نالكم يوم احد وقيل بفرض الجهاد وغيره
من الفرائض والقرب المحتاج الى الصبر عليها وانما سمي ذلك بلوى مجازا لان حقيقته الاختبار والتجربة لا تجوز على الله تعالى لانه العالم
بالاشياء قبل كونها وانما يفعل ذلك لتمييز المحق من المبطل عن ابي علي الجبائي ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم يعني اليهود والنصارى ومن الذين اشركوا يعني كفار مكة وغيرهم اذى كثيرا يعني ما سمعوه من
تكذيب النبي صلى الله عليه وآله ومن الكلام الذي يغمهم وان تصبروا وتتقوا يعني ان صبرتم على ذلك وتمسكتم
بالطاعة ولم تجزعوا عنده جزعا يبلغ الاثم فان ذلك من عزم الامور اي مما بان رشده وصوابه ووجب على العاقل
العزم عليه وقيل من محكم الامور قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا
تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون • آية القراءة قرأ ابن كثير وابو عمرو
وابو بكر عن عاصم ليبيننه ولا يكتمونه بالياء ايضا والباقون بالتاء فيهما الحجة حجة من قرأ بالتاء قوله واذ اخذنا
ميثاق النبيين لما آتيتكم والاتفاق عليه وكذلك قوله واذ اخذ الله ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وقد تقدم
القول في ذلك ومن حجة من قرأ بالياء ان الكلام محمول على الغيبة لانهم غيب المعنى ثم حكى الله سبحانه عنهم
نقض المواثيق والعهود بعد ما حكاه عنهم التكذيب بالرسل فقال واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب
قيل العلماء اليهود خاصة وقيل ارادوا اليهود والنصارى وقيل اراد به كل من اوتي علم كتاب لتبيننه للناس اي
لتظهرنه للناس والهاء عائدة الى محمد صلى الله عليه وآله عن سعيد بن جبير والسدي لان في كتابهم ان محمدا رسول الله
وان الدين هو الاسلام وقيل الهاء عائدة الى الكتاب فيدخل فيه بيان امر النبي ص لانه في الكتاب عن الحسن وقتادة
ولا تكتمونه اي لا تخفونه عند الحاجة فنبذوه وراء ظهورهم اي طرحوه خلف ظهورهم ومعناه ضيعوه وتركوه
فلم يعملوا به وان كانوا مقرين به عن ابن عباس ويقال لمن يطرح الشيء ولا يعبأ به رماه بظهره قال الفرزدق تميم بن
قيس لا تكونن حاجتي بظهر ولا يعيا علي جوابها واشتروا به ثمنا قليلا اي استبدلوا بعهد الله عليهم وطاعته
ومشاقه عرضا يسيرا من حطام الدنيا يعني ما حصلوه لانفسهم من المآكل والرشى والهدايا التي اخذوها من
شيوخهم وسفلتهم فبئس ما يشترون اي بئس الشيء ذلك اذ يستحقون به العذاب الاليم وان كان نفعا عاجلا
ودلت الآية على وجوب اظهار الحق وتحريم كتمانه فيدخل فيه بيان الدين والاحكام والفتاوى والشهادات
وغير ذلك من الامور التي يختص بها العلماء وروى الثعلبي في تفسيره باسناده عن الحسن بن عمارة قال
اتيت الزهري بعد ان ترك الحديث فالفيته على بابه فقلت ان رأيت ان تحدثني فقال اما علمت اني تركت الحديث
فقلت اما ان تحدثني واما ان احدثك فقال حدثني فقلت حدثني الحكم بن عتيبة عن نجم الجزار قال

سمعت علي بن ابي طالب عم يقول ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا قال فحدثني باربعين
حديثا قوله تعالى لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من
العذاب ولهم عذاب اليم آية القراءة قد ذكرنا اختلاف القراء في تحسبن وتحسبنهم فيما قبل الحجة قال ابو علي من قرأ
لا يحسبن بالياء فلا يحسبنهم فالذين في موضع رفع بانه فاعل يحسبن ولم يوقع يحسبن على شيء قال ابو الحسن لا يعجبني
قراءة من قرأ الاول بالياء لانه لم يوقعه على شيء وربما انه يحسن لان يحسب اجري مجرى اليمين نحو علم الله
ليفعلن وقال ولقد علمت لتأتين منيتي وظنوا ما لهم من محيص فكما ان القسم لا يتكلم به حتى يعلق بالمقسم عليه فكذلك
ظننت وعلمت في هذا الباب وايضا فقد جرى في كلامهم لغوا وما جرى لغوا لا يكون في حكم الجمل المفيدة ومنه جاء نحو
وما خلت ابقى بيننا من مودة عراض المذاكي المسنفات القلائصا وانما هو وما ابقى بيننا فالوجه في هذه القراءة انه لم
يعد حسبت الى مفعوليها اللذين يقتضيهما لان حسبت في قوله فلا يحسبنهم بمفازة من العذاب لما جعل بدلا من الاول
وعدي الى مفعوليه استغنى بهما عن تعدية الاول اليهما كما استغني في قوله باي كتاب ام باية سنة ترى حسبهم
عارا علي وتحسب بتعدية احد المفعولين عن تعدية الآخر اليهما فالفاء زائدة والمعنى لا يحسبن الذين
يفرحون بما اتوا انفسهم بمفازة من العذاب واما قراءة فلا تحسبنهم بضم الباء فان فعل الفاعل الذي هو يحسبن
يتعدى الى ضميره وحذفت واو الضمير لدخول النون الثقيلة فان قيل هلا لم يحذف الواو من يحسبون وابدلها كما
بقيت في لتبلون والحاجون ونحو ذلك مما ثبت فيه لالتقاء الساكنين لما في الساكن الاول من زيادة المد التي هي
مقام الحركة فالقول فيه انه حذفت كما حذفت مع الخفيفة الا ترى انك لو قلت لا تحسبن زيدا ذاهبا لرأيت الحذف
فاجري الثقيلة مجرى الخفيفة في هذا وقوله بمفازة من العذاب في موضع المفعول الثاني وفيه ذكر للمفعول الاول
وفعل الفاعل في هذا الباب يتعدى الى ضمير نفسه نحو ظننتني اخاك لان هذه الافعال لما كانت تدخل على
المبتدأ والخبر اشبهت ان واخواتها في دخولهن على المبتدأ والخبر كدخول هذه الافعال عليهما وذلك قولهم ظننتني ذاهبا
كما تقول انك ذاهب ومما يدل على ذلك في دخول النفس عليهما لو قلت اظن نفسي تفعل كذا لم يحسن كما يحسن اظنني
فاعلا فاما قراءة نافع وابي جعفر وابن عامر لا يحسبن بالياء فلا تحسبنهم بالتاء وفتح الباء فمثل قراءة ابن كثير وابي عمرو
الا في قوله فلا تحسبنهم والمفعولان اللذان يقتضيهما الحسبان في قوله لا يحسبن الذين يفرحون محذوفان لدلالة ما ذكر
من بعد عليهما ولا يجوز البدل هنا كما جاز هناك لاختلاف الفعلين باختلاف فاعليهما فاما قراءة حمزة بالتاء فيهما
فحذف المفعول الثاني الذي يقتضيه تحسبن لان ما يجيء من بعد من قوله فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب يدل عليه ويجوز
ان يجعل تحسبنهم بدلا من تحسبن والفاء زائدة كما في قوله واذا هلكت فعند ذلك فاجزعي النزول نزلت في اليهود
حيث كانوا يفرحون باجلال الناس لهم ونسبتهم الى العلم عن ابن عباس وقيل نزلت في اهل النفاق لانهم كانوا يجمعون
على التخلف عن الجهاد مع رسول الله ص فاذا رجعوا اعتذروا واحبوا ان يقبل منهم العذر ويحمدوا بما ليسوا عليه
من الايمان عن ابي سعيد الخدري وزيد بن ثابت وقيل ان يهود خيبر اتوا النبي ص فقالوا نحن نعرفك ونؤمن بك وذلك
ليس في قلوبهم فحمدهم المسلمون فنزلت فيهم الآية عن قتادة المعنى ثم بين سبحانه حالة اخرى من احوال اليهود
الذميمة فقال لا تحسبن الذين يفرحون اي الفارحين الذين يفرحون بالنفاق ويحبون ان يحمدوا بالايمان
وقيل هم اليهود الذين فرحوا بكتمان امر النبي ص ويحبون ان يحمدوا بانهم ائمة وهم ليسوا كذلك وقد عرفت
المعنى في القراءة بالتاء والياء في الحجة بما اتوا اي ولا احبار ولا اهل الصلوة ولا اهل الصيام ولكنهم اهل شرك
ونفاق وهو المروي عن ابي جعفر الباقر عم وقيل انهم يحبون ان يحمدوا على ابطالهم امر محمد صلى الله عليه وآله وتكذيبهم
والاولى ان يكون المعنى بالآية من اخبر الله عنهم انه اخذ ميثاقهم في ان يبينوا امر محمد صلى الله عليه وآله ولا يكتموه

عليه أكثر أهل التأويل وقوله فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب أي لا تظنهم بمنجاة من النار ولهم عذاب أليم أي مؤلم
موجع قوله تعالى ولله ملك السموات والأرض والله على كل شيء قدير ۝ آية المعنى لما ذكر الله سبحانه في
الآية المتقدمة من فرح بمعصية يكتمها وأحب أن يحمد بما لم يفعله وأخبر أنه لا نجاة لهم من عذابه قال ولله ملك
السموات والأرض أي هو مالك ما في السموات وما في الأرض بمعنى أنه يملك تدبيرهما وتصريفهما على ما يشاء
من جميع الوجوه ليس لغيره الاعتراض عليه فكيف يطمع في النجاة والخلاص منه والله على كل شيء قدير فيه
تنبيه على أنه قادر على إهلاك من أراد هلاكه وعلى الإنشاء والإفناء كما يشاء قوله تعالى إن في خلق السموات
والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب ۝ الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم
ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ۝ ربنا إنك
من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار ۝ ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا
بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار ۝ ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا
تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد ۝ خمس آيات فضلها روى الثعلبي في تفسيره بإسناده عن محمد بن
الحنفية عن علي بن أبي طالب عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان إذا قام من الليل يتسوك ثم ينظر إلى السماء
ثم يقول إن في خلق السموات إلى قوله فقنا عذاب النار وقد اشتهرت الرواية عن النبي صلعم أنه لما نزلت هذه الآيات
قال ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتأمل ما فيها وورد عن الأئمة من آل محمد صلعم الأمر بقراءة هذه الآيات الخمس
وقت القيام بالليل للصلوة وفي الضجعة بعد ركعتي الفجر وروى علي بن محمد بن محبوب عن العباس بن معروف
عن عبد الله بن المغيرة عن معاوية بن وهب قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام وذكر أن النبي صلعم كان يؤتى بطهور فيخمر عند
رأسه ويوضع سواكه تحت فراشه ثم ينام ما شاء الله فإذا استيقظ جلس ثم قلب بصره في السماء وتلا
الآيات من آل عمران إن في خلق السموات والأرض الآيات ثم يستن ويتطهر ثم يقوم إلى المسجد فيركع أربع ركعات
على قدر قراءته ركوعه وسجوده على قدر ركوعه حتى يقال متى يرفع رأسه ويسجد حتى يقال متى يرفع رأسه ثم يعود
إلى فراشه فينام ما شاء الله ثم يستيقظ فيجلس فيتلو الآيات من آل عمران ويقلب بصره في السماء ثم يستن ويتطهر
ويقوم إلى المسجد فيصلي أربع ركعات كما ركع قبل ذلك ثم يعود إلى فراشه فينام ما شاء الله ثم يستيقظ
فيجلس فيتلو الآيات من آل عمران ويقلب بصره إلى السماء ثم يستن فيتطهر ويقوم إلى المسجد فيوتر ويصلي الركعتين
ثم يخرج إلى الصلوة اللغة اللب العقل سمي به لأنه خير ما في الإنسان واللب من كل شيء خيره وخالصه
سبحانك معناه تنزيها لك من أن يكون خلقتهما باطلا وبراءة مما لا يليق بصفاتك قال الشاعر سبحانه ثم سبحانا
يعود له وقبلنا سبح الجودي والجمد والأبرار جمع بر وهو الذي بر الله بطاعته إياه حتى أرضاه وأصل البر الاتساع
فالبر الواسع من الأرض خلاف البحر والبر صلة الرحم والبر العمل الصالح والبر الحنطة وأبر الرجل على أصحابه أي زاد
عليهم الإعراب الذين يذكرون في موضع جر صفة لأولي الألباب قياما وقعودا نصب على الحال وعلى جنوبهم
أيضا في موضع نصب على الحال لأنه عطف على قياما وقعودا أي ومضطجعين لأن الظرف قد يكون
حالا عن المعرفة كما يكون نعتا للنكرة لما فيه من معنى الاستقرار تقول مررت برجل على الحائط أي مستقر على
الحائط وكأنه مررت برجل في الدار وهذا الصبي في الخلاخيل ماشيا وعلى الفرس فيكون موضع على الفرس
نصبا على الحال من الضمير في صبي وقوله ما خلقت هذا باطلا أي يقولون ما خلقت هذا باطلا وهذا إشارة إلى
الخلق ههنا ولا هو لأنه وباطلا نصب على أنه المفعول الثاني وقيل تقديره بالباطل أو للباطل ثم
نزع الحرف ووصل الفعل وخبر إن في قوله من تدخل النار فقد أخزيته جملة مركبة من الشرط والجزاء في محل

رفعا جملتان كل واحد من فعل وفاعل لأن موضع من نصب بتدخل على أنه مفعول به وقوله أن آمنوا يحتمل أن يكون أن الناصبة
للفعل لأنه يصلح في مثله دخول الباء نحو ينادي بأن آمنوا ويحتمل أن يكون أن هي المفسرة المعنى لما بين سبحانه بأن له
ملك السموات والأرض عقبه ببيان الدلالة على ذلك فقال إن في خلق السموات والأرض أي في إيجادهما بما فيهما
من العجائب والبدائع واختلاف الليل والنهار أي تعاقبهما ومجيء كل واحد منهما خلف الآخر لآيات أي دلالات
على توحيد الله وصفاته العلى لأولي الألباب لذوي البصائر والعقول ووجه الدلالة في خلق السموات والأرض هو أنهما
مختص بأعراض حادثة وما لا ينفك عن الحادث فهو حادث مثله والمحدث لا بد له من محدث يحدثه وموجد يوجده فكان
وجودهما وحدوثهما على أن لهما محدثا قادرا وأبدعهما بما فيهما من البدائع والأمور الجارية على غاية الانتظام و
الاتساق على أن مبدعهما عالم لأن الفعل المحكم المنتظم لا يصح إلا من عالم كما أن الإيجاد لا يصح إلا من قادر ويدل
أيضا على أن صانعهما قديم لم يزل لأنه لو كان محدثا لاحتاج إلى محدث فيؤدي إلى التسلسل ووجه الدلالة في تعاقب
الليل والنهار أنهما يدلان على ذلك من حيث أنه معلوم لا يقدر على الانتقاص منه ونقصان كل واحد منهما عن الآخر
في حال وزيادته عليه في حال وازدياد أحدهما بقدر نقصان الآخر دلالة ظاهرة على أن لهما صانعا قادرا حكيما لا يلحقه
عجز ولا يخفى عليه شيء ثم وصف سبحانه ذوي الألباب فقال الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم أي هؤلاء الذين
يستدلون على توحيد الله بخلقه السموات والأرض هم الذين يذكرون الله قائمين وقاعدين ومضطجعين
أي في سائر الأحوال لأن أحوال المكلفين لا تخلو من هذه الأحوال الثلاثة وقد أمر الله سبحانه في جميعها
وقيل معناه يصلون على قدر إمكانهم في صحتهم وسقمهم فالصحيح يصلي قائما والمريض جالسا وعلى جنوبهم
مضطجعا فسمى الصلوة ذكرا رواه علي بن إبراهيم في تفسيره والأشبه بين المفسرين فإنه عز اسمه وصفهم
بالذكر في هذه الأحوال وهم في الصلوة وهو قول ابن جريج وقتادة ويتفكرون في خلق السموات والأرض
ويتدبرون في ذلك ليستدلوا به على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته وعلمه وحكمته ثم يقولون ربنا ما خلقت هذا
باطلا أي ما خلقت هذا الخلق عبثا وقيل بالباطل وللباطل خلقته لغرض صحيح وحكمة ومصلحة ليكون ذلك دليلا
على وحدانيتك وحجة على كمال حكمتك ثم ينزهونه عن كل ما لا يليق بصفاته فيقولون سبحانك
أي تنزيها لك عما لا يجوز عليك فلم تخلقه عبثا ولا لعبا بل عرضا للثواب لأنه لا يعاقب فقنا عذاب النار بلطفك الذي
نتمسك معه بطاعتك وفي هذه الآية دلالة على أن الكفر والضلال والقبائح ليست خلقا لله تعالى لأن هذه الأشياء
كلها باطلة بالاتفاق وقد نفى الله سبحانه ذلك حكاية عن أولي الألباب الذين رضي قولهم بأنه لا باطل فيما خلقه
سبحانه فيجب بذلك القطع على أن القبائح كلها غير مضافة إليه سبحانه ومنفية عنه تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا
ثم حكى عن أولي الألباب الذين وصفهم بأنهم أيضا يقولون ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته قيل فيه وجوه أحدها
أن معناه فضحته وأهنته فيكون منقولا من الخزي ونظيره قوله تعالى ولا تخزون في ضيفي وثانيها قال المفضل أهلكته
وأنشد أخزى الإله من الصليب عبيده واللابسين ملابس الرهبان وثالثها أن معناه أحللته محل خزي ومقت ووقفته موقفا
يستحي منه فيكون منقولا من الخزاية التي معناها الاستحياء وقال ذو الرمة خزاية أدركته بعد جولته من جانب
الحبل مخلوطا بها الغضب واختلف التأويل في المعنى بهذه الآية فروي عن أنس بن مالك وسعيد بن المسيب وقتادة
وابن جريج أن الإخزاء يكون بالتأبيد في النار وهي خاصة بمن لا يخرج منها وقال جابر بن عبد الله أن الخزي يكون بالدخول
فيها وروي عن عمرو بن دينار وعطاء نحو ذلك وما أخزاه حين أحرقه بالنار وإن دون ذلك لخزيا وهذا هو الأقوى
لأن الخزي إنما هو هتك المخزي وفضيحته ومن عاقبه الله تعالى على ذنوبه فقد فضحه وهذا لا ينافي ما ذهب إليه الشيخ
جواز العفو عن المذنبين لأنه لا يعطي قول من قال الخزي هو الخلود في النار من حيث قد منعه لا يكون إخزاء بأن أدخله النار

لتحرجه منها بعد استيفاء العقاب وعلى قول من اثبت الخزي بفضل المخوف فانه وان كان خزيا
فليس كخزي الكفار ويجوز حمل قوله يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه على كلا الوجهين وعلى قول من حمله
من الخزاية التي هي الاستحياء فيكون اخزاء المؤمنين محمولا على الحياء واخزاء الكافرين على الاهانة والخلود في النار
وقوله وما للظالمين من انصار اي ليس لهم من يدفع عنهم عذاب الله على وجه المغالبة والقهر لان الناصر هو الذي
يدفع عن المنصور على وجه المغالبة ولا ينافي ذلك ما صح من شفاعة النبي صلعم والاولياء لاهل الكبائر لان الشفاعة
على سبيل المسئلة والخضوع والتضرع الى الله تع وليست من النصرة في شيء وصح عن النبي صلعم انه قال ليصيبن
اقواما سفع بذنوب اصابوها ثم يخرجون فيسميهم اهل الجنة الجهنميين رواه البخاري في الصحيح باسناده عن
انس بن مالك وفيما رواه ابو سعيد الخدري عنه صلعم قال يخرجون وقد امتحشوا وصاروا حمما قال فيلقون
في نهر يقال له نهر الحيوة قال فينبتون فيه كما تنبت الحبة في حميل السيل رواه البخاري ومسلم ايضا في الصحيح وما اشبه
في مثل ذلك من الاخبار لا يحصى وهذا كما ترى صريح في وقوع العفو عن مرتكبي الكبائر ربنا اننا سمعنا مناديا
قيل ان المنادي محمد صلعم عن ابن مسعود وابن عباس وابن جريج واختاره الجبائي وقيل هو القرآن عن محمد بن كعب
القرظي وقتادة واختاره الطبري قال لانه ليس يسمع كل واحد قول النبي صلى الله عليه وآله ولا يراه والقرآن
سمعه من رآه ومن لم يره كما قال سبحانه مخبرا عن الجن انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد ولمن نصر القول الاول
ان يقول من بلغه قول النبي صلعم ودعوته جاز ان يقول سمعنا مناديا وان كان فيه ضرب من التجوز ومعنى قوله
سمعنا مناديا ينادي مناديا لان المنادي لا يجمع وقوله ينادي للايمان معناه الى الايمان كقوله سبحانه الحمد لله الذي هدانا
لهذا معناه الى هذا وكقول الراجز اوحى لها القرار فاستقرت وشدها بالراسيات الثبت ومثله قوله
بان ربك اوحى لها فالمعنى ربنا اننا سمعنا مناديا داعيا يدعو الى الايمان والتصديق بك والاقرار بتوحيدك
واتباع رسولك واتباع امره ونهيه وقوله ان آمنوا بربكم معناه بان آمنوا بربكم محمد خاطبنا وقيل معناه قال لنا
آمنوا بربكم فآمنا اي صدقنا المنادي فيما دعا اليه من التوحيد والدين واجبناه ربنا فاغفر لنا ذنوبنا معناه استرها
علينا ولا تفضحنا بها يوم القيمة على رؤس الاشهاد بعقوبتك وكفر عنا سيئاتنا معناه امحها بفضلك ورحمتك ايانا
وتوفنا مع الابرار معناه واقبضنا اليك في جملة الابرار واحشرنا معهم فان قيل ما معنى قوله وكفر عنا سيئاتنا وقد
اغنى عنه قوله فاغفر لنا فالجواب عنه من وجهين احدهما ان معناه اغفر لنا ذنوبنا ابتداء بلا توبة وكفر عنا سيئاتنا
ان تبنا والثاني ان معناه اغفر لنا ذنوبنا بالتوبة وكفر عنا باجتناب الكبائر السيئات لان الغفران قد يكون ابتداء وعن
سبب والتكفير لا يكون الا عن فعل من العبد والابرار الذين بروا الله بطاعتهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك هذا حكاية ايضا
عن هؤلاء وصفهم بانهم يقولون اعطنا ما وعدتنا على لسان رسلك من الثواب ولا تخزنا اي لا تفضحنا ولا تهلكنا يوم
القيمة انك لا تخلف الميعاد وهو كلام مستانف بدلالة انه كسرت ان والمعنى انك وعدت الجنة لمن آمن بك وانك لا تخلف
وعدك فان قيل ما وجه المسئلة في انجاز الوعد والمعلوم انه يفعله لا محالة فالجواب عنه من وجوه احدها ان ذلك
على وجه الانقطاع الى الله تعالى والتضرع له والتعبد كما قال الله سبحانه وقال رب احكم بالحق واختاره علي بن عيسى والجبائي
والثاني ان الكلام خرج مخرج المسئلة والمراد الخبر اي فوفقنا للاعمال التي بها تؤتينا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيمة
لانهم علموا ان ما وعد الله حق ولا بد ان ينجزه والثالث ان معناه السؤال والدعاء بان يجعلهم ممن آتاهم ما وعدهم
من الكرامة على السن رسله لا انهم قد استحقوا الكرامة عند الله في انفسهم ثم سئلوه ان يؤتيهم ما وعدهم بعد علمهم
باستحقاقهم عند انفسهم لانهم لو كانوا كذلك لكانوا قد زكوا انفسهم وشهدوا انها ممن توجب كرامة الله
ولا يليق ذلك بصفة اهل الفضل من المؤمنين والرابع انهم انما سئلوا ذلك على وجه الرغبة منهم الى الله في ان يؤتيهم

ما وعدهم

ما وعدهم من النصر على اعدائهم من اهل الكفر واعلاء كلمة الحق على الباطل فيعجل ذلك لهم لانه لا يجوز ان يكونوا
مع ما وصفهم الله به من الخير والتقى ولا على غير يقين ان الله لا يخلف الميعاد فرغبوا الى الله في تعجيل ذلك ولكنهم
كانوا وعدوا بالنصر ولم يوقت لهم في ذلك وقت فرغبوا الى الله في تعجيل النصر على اعدائهم وقالوا لا صبر لنا
على اناتك وحلمك وهذا نحو ذلك مما تعبد هذه الآية من قوله فاستجاب لهم ربهم الآيات والى هذا اومى
ابو القاسم البلخي ايضا قوله تعالى فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم من بعض
فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات
تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب . القراءة قرأ حمزة والكسائي وخلف
وقتلوا وقاتلوا بتقديم الفعل المبني للمفعول به على الفعل المبني للفاعل والتخفيف وقرأ الباقون بتقديم قاتلوا على
قتلوا وشدد التاء من قتلوا ابن كثير وابن عامر . الحجة اما التقديم قاتلوا على قتلوا فلان القتال قبل القتل
وحسن التشديد لتكرار الفعل فهو مثل مفتحة لهم الابواب ومن خفف فلان قتلوا يقع على القليل والكثير
والتشديد يختص بالكثير واما تقديم قتلوا على قاتلوا فلان المعطوف بالواو يجوز ان يكون اولا في المعنى وان كان
مؤخرا في اللفظ ويمكن ان يكون الوجه فيه ان يكون لما قتل منهم قاتلوا ولم يهنوا اي لم يضعفوا للقتال الذي وقع
بهم كقوله سبحانه فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله . اللغة الاضاعة الاهلاك ضاع الشيء يضيع ضياعا
اذا هلك واضاع وضيع بمعنى ومنه الضيعة للقرية وانما قولهم وكل رجل وضيعته فان الضيعة هنا بمعنى
الحرفة هاجر فاعل من الهجرة وهو ضد الوصال يقال هاجر القوم من دار الى دار اي تركوا الاولى للثانية
وتهاجر الرجال تشبيها بالمهاجرين الاول . الاعراب من في قوله من ذكر او انثى للتبيين والتفسير عن قوله منكم معنى لا اضيع
عمل عامل منكم من الذكور والاناث فهو بيان الجنس من صيغة العمل اليه ويقال انها مؤكدة بمعنى النفي في لا اضيع اي لا اضيع
عمل ذكر وانثى منكم وبعضكم مبتدا وقوله من بعض في موضع رفع بانه خبره وثوابا مصدر مؤكد لان معنى ولادخلنهم
جنات لاثيبنهم ومثله قوله كتاب الله عليكم لان معنى قوله حرمت عليكم امهاتكم كتب الله عليكم هذا كتاب الله فهو مصدر
مؤكد . النزول روي ان ام سلمة قالت يا رسول الله ما بال الرجال يذكرون في الهجرة دون النساء فانزل الله تع هذه الآية
قال البلخي نزلت الآية وما قبلها في المتبعين للنبي صلعم والمهاجرين معه ثم هي في جميع من سلك سبيلهم ودخل احد منهم
المسلمين . المعنى ثم عقب سبحانه دعوة المؤمنين بذكر الاجابة فقال فاستجاب لهم ربهم اي اجاب المؤمنين الذين تقدم
خبرهم اني لا اضيع اي باني لا ابطل عمل واحد منكم لا قليلا ولا كثيرا في صفة الايمان وهذا يتضمن الحث على مواظبة الذكر
التي في الآيات المتقدمة ولا سيما ان الله تعالى حث عليها وندب اليها وذلك لانه تضمن الاجابة لمن دعا بها فالذين
هاجروا الى المدينة وفارقوا قومهم من اهل الكفر واخرجوا من ديارهم اخرجهم المشركون من مكة واوذوا في سبيلي
اي في طاعتي وعبادتي وديني وذلك هو سبيل الله فتحملوا الاذى لاجل الدين وقاتلوا في سبيل الله وقتلوا فيها
لاكفرن عنهم سيئاتهم يعني لامحونها عنهم ولاتفضلن عليهم بعفوي ومغفرتي ورحمتي وهذا يدل على ان اسقاط
العقاب تفضل من الله تع ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار اي من تحت ابنيتها واشجارها ثوابا
اي جزاء لهم من عند الله على اعمالهم والله عنده حسن الثواب اي عنده من حسن الجزاء على الاعمال ما لا يبلغه وصف واصف
ولا يدرك نعت ناعت مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقيل حسن الثواب في دوامه وسلامته عن كل
شوب من النقصان والتكدير . قوله تعالى لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد . متاع قليل ثم مأويهم جهنم
وبئس المهاد . لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله
خير للابرار . ثلاث آيات . القراءة قرأ يعقوب برواية رويس وزيد لا يغرنك ولا يحطمنكم ولا يستخفنك

٢٠٧

ناما ان هاس ناب لو يزينك بخفيفة النون فالجيم والباقون بالتثقيل بها وقرأ ابو جعفر لكن الذين اتقوا بتشديد
النون والباقون لكن بالتخفيف اللغة الغرور ايهام حال السرور فيما الامر بخلافه في المعلوم وليس كل
ايهام غرورا لانه قد يتوهمه مخوفا فيحذر منه فلا يقال غره والغرر نظير الخطر والفرق بينهما ان الغرر قبيح كله لانه
ترك الحزم فيما يمكن ان يتوثق منه والخطر قد يحسن على بعض الوجوه لانه من العظم ومن قولهم رجل خطير اي عظيم
والمتاع النفع الذي تعجل به اللذة اما بوجود اللذة او بما يكون به اللذة نحو المال الجليل والملك والاولاد والاخوان
والمهاد الذي يكون فيه الانسان ... ترشه ... مهدت والذي ... واصله ... ولكن
الرفع ... للتضعيف الاعراب بني المضارع مع نون التاكيد لانه بمنزلة ضم اسم الى اسم كخمسة عشر ونحوه متاع
خبر مبتدأ محذوف وتقديره تقلبهم متاع قليل وحذف المبتدأ لدلالة ما تقدم عليه وبئس المهاد
حذف المخصوص بالذم لدلالة الكلام عليه لما تقدم عليه تقديره بئس المهاد جهنم ونزلا منصوب مؤكدا ايضا
مثل ما تقدم ذكره في قوله ثوابا من عند الله لان خلودهم في الجنة انزالهم فيها فصار كانه قال نزلوها نزلا
وهو بمعنى نزلوها انزالا وقيل هو نصب على التفسير كما يقال هو لك هبة او صدقة عن الفراء وخالدين
فيها منصوب على الحال اي مقدرين الخلود فيها المعنى نزلت في مشركي العرب وكانوا يتجرون
ويتنعمون بها فقال بعض المسلمين ان اعداء الله في العيش الرخي وقد هلكنا من الجوع فنزلت هذه الآية
وقال الفراء كانت اليهود يضربون في الارض فيصيبون الاموال فانزل الله سبحانه لا يغرنك الآية المعنى لا يغرنك ايها
الخطاب له والمراد غيره وقيل معناه لا يغرنك ايها الانسان او السامع تقلب الذين كفروا اي تصرفهم في البلاد
سالمين غانمين غير مؤاخذين باجرامهم اعلم الله سبحانه ان ذلك مما لا ينبغي ان يغبطوا به لان مآلهم ومصيرهم بكفرهم
الى النار ولا خير بعده النار وقوله متاع قليل معناه تصرفهم في البلاد والتمتع متاع قليل اي يتمتعون بذلك
قليلا ثم يزول وسماه متاعا لانهم متعوا به في الدنيا ثم مأواهم اي مصيرهم ومرجعهم جهنم وبئس المهاد
اي ساء المستقر هي ثم اعلم الله سبحانه ان من اراد الله واتقاه فله الجنة فقال لكن الذين اتقوا ربهم ولفظة لكن
للاستدراك فيكون بخلاف المعنى المتقدم فمعناه ليس للكفار عاقبة خير انما هي للمؤمنين المتقين الذين اتقوا ربهم بفعل
الطاعات وترك المعاصي لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله بين سبحانه ما يصيرون اليه
من النعيم المقيم فدار القرار المعدة للابرار وما النزل ما يقال للضيف من الكرامة والبر والطعام والشراب وما عند الله
من الثواب والكرامة خير للابرار مما يتقلب فيه الذين كفروا لان ذلك عن قريب سيزول وما عند الله سبحانه دائم
لا يزول ويروى عن عبد الله بن مسعود انه قال ما من نفس برة ولا فاجرة الا والموت خير لها فمن البر فاما الابرار
فقد قال الله تعالى وما عند الله خير للابرار واما الفجار فقال ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم الآية
وقوله في النفس الفاجرة ان الموت خير لها انما يعني به ذلك اذا كانت تدوم على فجورها فقوله تعالى وان من اهل الكتاب
لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا اولئك لهم اجرهم عند ربهم
ان الله سريع الحساب • اية واحدة اللغة اصل الخشوع السهولة من قولهم الخشعة وهي السهولة في الرمل كالربوة
والخاشع من الارض الذي لا يهتدى له لان الرمل يعفي آثاره والخاشع الخاضع بصره والخشوع هو التذلل الاعراب خاشعين نصب على الحال من الضمير في يؤمن وهو عائد الى من وقيل هو حال من الضمير في انزل اليهم المعنى في
والاول احسن النزول اختلفوا في نزولها وقيل نزلت في النجاشي ملك الحبشة واسمه اصحمة وهو بالعربية عطية وذلك
انه لما مات نعاه جبرئيل عليه السلام لرسول الله ص في اليوم الذي مات فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله اخرجوا فصلوا على
اخ مات بغير ارضكم قالوا ومن قال النجاشي فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله الى البقيع وكشف له من المدينة الى ارض الحبشة

فاصحر سيد النجاشي وصلى عليه وقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني حبشي لم يره قط وليس على دينه
فانزل الله تعالى هذه الآية عن جابر بن عبد الله وقتادة وابن عباس وانس وقيل نزلت في اربعين رجلا من اهل نجران
من بني الحارث بن كعب واثنين وثلاثين من ارض الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى فآمنوا بالنبي صلى الله عليه وآله
عن عطاء وقيل نزلت في جماعة من اليهود كانوا اسلموا منهم عبد الله بن سلام ومن معه عن ابن جريج وابن زيد وابن اسحق
وقيل نزلت في مؤمني اهل الكتاب كلهم لان الآية نزلت على سبب وتكون عامة في كل من بيناه عن مجاهد المعنى
لما ذم سبحانه اهل الكتاب فيما تقدم وصف طائفة منهم بالايمان واظهار الحق والصدق فقال وان من اهل
الكتاب اي من اليهود والنصارى لمن يؤمن بالله اي يصدق الله ويقر بوحدانيته وما انزل اليكم ايها المؤمنون
من القرآن وما انزل اليهم وهو التوراة والانجيل خاشعين لله اي خاضعين له مستكينين بالطاعة متذللين بها
قال ابن زيد الخاشع المتذلل الخائف وقال الحسن الخشوع الخوف اللازم للقلب من الله لا يشترون بآيات الله
ثمنا قليلا اي لا ياخذون عوضا يسيرا على تحريف الكتاب وكتمان الحق من الرشى والماكل كما فعله غيرهم ممن
وصفهم سبحانه بقوله اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى لكن ينقادون بالحق ويعملون بما امرهم
به وينتهون عما نهاهم عنه ثم قال اولئك يعني هؤلاء الذين وصفناهم لهم اجرهم عند ربهم معناه لهم
ثواب اعمالهم واجر طاعاتهم عند الله مذخور حتى يوفيهم الله يوم القيامة ان الله سريع الحساب وصف
الحساب بالسرعة لانه سبحانه لا يؤخر الجزاء عمن يستحقه لطول الحساب لانه لا يخفى عليه شيء من اعمالهم قبل
ان يعملوها وبعد ان عملوها فلا حاجة به الى احصاء عدد فيقع في الاحصاء ابطاء وقيل معناه انه يحاسب جميع
الخلق معا فاذا حاسب واحدا فقد حاسب الجميع لانه قادر على ان يكلمهم في حالة واحدة كل واحد بكلام يخصه
لانه القادر لنفسه عز وجل على الجنايات وانما خص الله سبحانه هذه الطائفة بالوعد ليبين ان جزاء ايمانهم موفر
عليهم ولا يضرهم كفر من كفر منهم قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم
تفلحون • اية اللغة اصل الرباط ارتباط الخيل للعدو والارتباط الشد ومنه قولهم ربط الله على قلبه بالصبر ثم استعمل
في كل مقيم في ثغر يدفع عمن وراءه من اراده بسوء ويسمى الرباط ايضا اسم لما يشد به المعنى لما حكى الله سبحانه
احوال المؤمنين والكافرين فيما تقدم حث بعد ذلك على الصبر على الطاعة ولزوم الدين والجهاد في سبيل الله
فقال يا ايها الذين آمنوا اي صدقوا الله ورسوله اصبروا وصابروا ورابطوا اختلف في معناها على وجوه احدها
ان المعنى اصبروا على دينكم اي اثبتوا عليه وصابروا الكفار ورابطوهم في سبيل الله عن الحسن وقتادة وابن جريج
والضحاك وعلى هذا يكون معناه اصبروا على طاعة الله وعن معاصيه وقاتلوا العدو واصبروا على قتالهم في الحق كما
يصبرون على ما لهم في الباطل وانما اتى بلفظ صابروا وهو على وزن فاعل لما يكون بين اثنين والرباط هو المرابطة
فيكون بين اثنين يعني اعدوا لهم من الخيل ما يعدونه لكم كقوله سبحانه واعدوا لهم ما استطعتم من قوة وثانيها ان المراد
اصبروا على دينكم وصابروا وعدي اياكم ورابطوا عدوي وعدوكم عن محمد بن كعب القرظي وثالثها ان المراد
اصبروا على الجهاد عن زيد بن اسلم وقيل ان المعنى رابطوا اي رابطوا الصلوة ومعناها انتظروها واحدة بعد واحدة
لان المرابطة لم تكن حينئذ وروي ذلك عن امير المؤمنين علي عليه السلام وعن جابر بن عبد الله وابي سلمة بن عبد الرحمن وروي
عن النبي صلى الله عليه وآله انه سئل عن افضل الاعمال فقال اسباغ الوضوء في السبرات ونقل الاقدام الى الجماعات
وانتظار الصلوة بعد الصلوة فذلكم الرباط وروي عن ابي جعفر الباقر عليه السلام انه قال معناه اصبروا على المصائب وصابروا
على عدوكم ورابطوا عدوكم وهو قريب من القول الاول وقوله واتقوا الله لعلكم تفلحون معناه اتقوا ان تخالفوا الله
فيما يامركم به لكي تفلحوا بنعيم الابد وقيل معناه اتقوا عذاب الله بلزوم امره واجتناب نهيه لكي تظفروا بالفلاح

ومصبروا بأنيل المنية وبدرك البغية والوصول الى النجح في الطلب وذلك حقيقة الفلاح وهذه الآية تتضمن جميع ما يتناوله التكليف لان قوله اصبروا يتناول لزوم العبادات وتجنب المحرمات وصابروا يتناول ما يتصل بالغير كمجاهدة الجن والانس وما هو اعظم من جهاد النفس ورابطوا يدخل فيه الدفاع عن المسلمين والذب عن الدين واتقوا الله يتناول الانتهاء عن جميع المناهي والزواجر والايتمار بجميع الاوامر ثم يتبع جميع ذلك الفلاح والنجاح

سورة النساء مدنية كلها

وقيل الا هذه مدنية الا قوله ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها الآية وقوله ويستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة الخ فان الآيتين نزلتا بمكة عدد آيها مائة وسبع وسبعون آية شامي ست كوفي وخمس في الباقين خلافها آيتان ان تضلوا السبيل كوفي شامي فيعذبهم عذابا اليما فضلها ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه واله قال من قرأها فكانما تصدق على كل من ورث ميراثا واعطي من الاجر كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان في مشية الله تعالى من الذين يتجاوز عنهم وروي عن بعض الصحابة انه قال تعلموا سورة البقرة وسورة النساء وسورة المائدة وسورة الحج وسورة النور فان فيهن الفرائض وروى العياشي باسناده عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام قال من قرأ سورة النساء في كل يوم جمعة امن من ضغطة القبر اذا دخل في قبره تفسيرها لما ختم الله سبحانه السورة التي يذكر فيها آل عمران بالامر بالتقوى افتتح ايضا هذه السورة به الا انه هنا خص المؤمنين وعم هاهنا المكلفين فقال بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا ١ آية القراءة قرأ اهل الكوفة تساءلون بتخفيف السين والباقون بتشديدها وقرأ حمزة والارحام بالجر والباقون بالنصب وفي الشواذ والارحام بالرفع الحجة من خفف تساءلون اراد تتساءلون فحذف التاء من تتفاعلون لاجتماع حروف متقاربة ومن شدد فقال تساءلون فانه ادغم التاء في السين وحسن ذلك لاجتماعهما في انهما من حروف طرف اللسان واصول الثنايا واجتماعهما في الهمس فخفف هنا بالادغام كما خفف هناك بالحذف وقال ابو علي من نصب الارحام احتمل انتصابه وجهين احدهما ان يكون معطوفا على موضع الجار والمجرور والآخر ان يكون معطوفا على اتقوا وتقديره واتقوا الله واتقوا الارحام فصلوها ولا تقطعوها واما من جره فانه عطفه على الضمير المجرور بالباء وهذا في القياس ضعيف وقليل في الاستعمال وما كان كذلك فترك الاخذ به احسن وانما ضعف في القياس لان الضمير قد صار عوضا مما كان متصلا بالاسم من التنوين فقبح ان يعطف عليه كما لا يعطف الظاهر على التنوين وذلك انه جرى مجرى التنوين حذفهم الياء من المنادى المضاف اليها كحذفهم التنوين وذلك في قولهم يا غلام وهو الاكثر من غيره وجهة الشبه بينهما انه على حرف كما ان التنوين كذلك واجتماعهما في السكون وانه لا يوقف على الاسم منفصلا منه كما ان التنوين كذلك والمضمر اذهب في مشابهة التنوين من المظهر لانه قد يفصل بين المضاف والمضاف اليه اذا كان ظاهرا بالظروف وبغيرها نحو قول الشاعر كان اصوات من ايغالهن بنا اواخر الميس اصوات الفراريج وقول الآخر من وراء اليوم الكيان وليس المضمر في هذا كالظاهر فلما كان كذلك لم يستجيزوا عطف الظاهر عليه لان المعطوف ينبغي ان يكون مشاكلا للمعطوف عليه وقد جاء ذلك في ضرورة الشعر انشد سيبويه فاليوم قربت تهجونا وتشتمنا فاذهب فما بك والايام من عجب عطف الايام على موضع الكاف وقال الآخر تعلق في مثل السواري سيوفنا وما بينها والكعب غوط نفانف عطف بالكعب على الهاء والالف في بينها ومثل ذلك لا يجوز في القرآن والكلام الفصيح قال المازني وذلك لان الثاني في العطف شريك للاول فان كان الاول يصلح ان يكون شريكا للثاني والا لم يصلح ان يكون الثاني شريكا له فكما لا تقول مررت بزيد وك كذلك لا تقول مررت بك وزيد واما القراءة

الشاذة في رفع الارحام فالوجه فيه انه على الابتداء والارحام مما يجب ان تتقوه وحذف الخبر للعلم به اللغة ابث الشيء فانبث اي اثار الخلق ومنه قوله كالفراش المبثوث وبعضهم يقول ابث ثلاثي ويقال بثثتك سري وابثثتك سري لغتان واصل الرقيب من الترقب وهو الانتظار ومنه الرقبى لان كل واحد منهما ينتظر موت صاحبه يقال رقب يرقب رقوبا ورقبة فهو راقب ورقيب فعيل بمعنى الفاعل وهو الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء المعنى ابتدأ الله سبحانه هذه السورة بالموعظة والامر بالتقوى فقال يا ايها الناس خطاب للمكلفين من جميع البشر وقيل انما كان في سائر كتب الله السالفة يا ايها المساكين ولما في القرآن فان المكي يا ايها الناس وما نزل بالمدينة فيه يا ايها الذين آمنوا وفيه يا ايها الناس اتقوا ربكم معناه اتقوا معصية ربكم اي مخالفة ربكم بترك ما امر به وارتكاب ما نهى عنه وقيل معناه اتقوا حقه ان تضيعوه وقيل اتقوا عقابه ومخالفة الحق عليكم ان تتقوا عذابه لانه منعم عليكم باعظم النعم وهي ان خلقكم من نفس واحدة واوجدكم ومن عظمت علائم النعماء فهو بالتقوى اولى وقيل ان المراد بيان كمال قدرته فكانه قال الذي قدر على ان خلقكم من نفس واحدة فهو على عقابكم اقدر فيحق عليكم ان تتركوا مخالفته وتتقوا عقوبته وقوله الذي خلقكم من نفس واحدة المراد بالنفس هنا آدم عند جميع المفسرين وانما لم يقل نفس واحد بالتذكير وان كان المراد آدم لان لفظ النفس مؤنث بالصيغة فهو كقول الشاعر ابوك خليفة ولدته اخرى وانت خليفة ذاك الكمال فانث على اللفظ ولو قال من نفس واحد لجاز وخلق منها زوجها يعني حوا ذهب اكثر المفسرين الى انها خلقت من ضلع من اضلاع آدم ورووا عن النبي صلى الله عليه واله انه قال خلقت المرأة من ضلع ان اقمتها كسرتها وان تركتها وفيها عوج استمتعت بها وروي عن ابي جعفر الباقر عليه السلام ان الله تعالى خلق حوا من فضل الطينة التي خلق منها آدم وفي تفسير علي بن ابراهيم من اسفل اضلاعه وبث منهما رجالا كثيرا ونساء اي نشر وفرق من هاتين النفسين على وجه التناسل رجالا كثيرا ونساء وانما من علينا بان خلقنا من نفس واحدة لانه اقرب الى ان يعطف بعضنا على بعض ويرحم بعضنا بعضا لرجوعنا جميعا الى اصل واحد ولانه ذلك ابلغ في القدرة وادل على العلم والحكمة وقوله واتقوا الله الذي تساءلون به قيل في معناه قولان احدهما انه يسأل بالله ان تفعل كذا او نسالك بالله وبالرحم ونشدتك الله والرحم كما كانت العرب تقول عن الحسن وابراهيم وعلى هذا يكون قوله والارحام عطفا على موضع قوله به والمعنى انكم كما تعظمون الله باقوالكم فعظموه بطاعتكم اياه والآخر ان معنى تساءلون به تطلبون حقوقكم وحوائجكم فيما بينكم به والارحام معناه واتقوا الارحام ان تقطعوها عن ابن عباس وقتادة ومجاهد والضحاك والربيع وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلام وعلى هذا يكون منصوبا عطفا على اسم الله تعالى وهذا يدل على وجوب صلة الرحم ويؤيده ما روي عن النبي صلعم انه قال قال الله تعالى انا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته وفي امثال هذا الخبر كثيرة وصلة الرحم قد تكون بقبول النسب وقد تكون بالانفاق على ذوي الرحم وما يجري مجراه وروى الاصبغ بن نباتة عن امير المؤمنين عليه السلام قال ان احدكم ليغضب فما يرضى حتى يدخل به النار فايما رجل منكم غضب على ذي رحمه فليمسه فان الرحم اذا مست الرحم استقرت وانها متعلقة بالعرش تقول اللهم صل من وصلني واقطع من قطعني ان الله كان عليكم رقيبا اي حافظا عن مجاهد وقيل الرقيب العالم عن ابن زيد والمعنى متقارب واتى بلفظ كان المفيدة للماضي لانه اراد انه كان حفيظا على من تقدم زمانه من عهد آدم وولده الى زمان المخاطبين وعالما بمقاصدهم لم يعزب عنه من ذلك شيء قوله تعالى وآتوا اليتامى اموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم انه كان حوبا كبيرا ٢ آية اللغة الحوب الاثم يقال حاب يحوب حوبا وحيابة والاسم الحوب وروي عن الحسن انه قرأ حوبا ذهب الى المصدر وتحوب فلان من كذا اذا تحرج منه ومنه الحوبة من الارض

موضع سوء والحوبة الحزن والحوب التحزن والحوبا الزوج المعنى لما امر الله سبحانه بالتقوى وصلة الارحام عقبه
بباب حرز من التقوى وهو قضى حقوق اليتامى فقال وآتوا اليتامى اموالهم وهذا خطاب للاوصياء اي اليتامى
اي اعطوهم اموالهم بالانفاق عليهم في حال الصغر وبالتسليم اليهم بعد البلوغ واذا آنس منهم الرشد وسماهم
يتامى بعد البلوغ مجازا لان النبي صلعم قال لا يتم بعد الحلم وكما قالوا النبي صلعم يتيم ابو طالب بعد كبر يعنون
انه رباه وهو لم يحتجز والي اليحرة ساجلين اي الذين كانوا ... ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب معناه لا تستبدلوا
ما حرمه الله تعالى عليكم من اموال اليتامى بما احله الله لكم من اموالكم واختلف في صفة التبديل فقيل كان اولياء اليتامى
يأخذون الجيد من مال اليتيم والرفيع منه ويجعلون مكانه الخسيس والردى عن ابراهيم النخعي والسدي وسعيد بن
المسيب والزهري والضحاك وقيل معناه لا تتبدلوا الخبيث بالطيب بان تتعجلوا الحرام قبل ان يأتيكم الرزق الحلال
الذي قدر لكم عن ابي صالح ومجاهد وقيل معناه ما كان اهل الجاهلية يفعلونه من انهم كانوا لم يكونوا يورثون النساء
ولا الصغار بل يأخذه الكبار عن الجبائي والاقوى الوجه الاول لانه انما ذكر عقيب اموال اليتامى فيكون معناه لا تأخذوا
السمين والجيد من اموالهم وتضعوا مكانها المهزول والردي فتحفظون عليهم عدد اموالهم ومقاديرها وتجحفون
بهم في صفاتها ومعانيها وهو قوله ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم اي مع اموالكم ومعناه لا تضيفوا اموالهم الى اموالكم
فتأكلوهما جميعا ويحتمل ان يكون معناه لا تخلطوا الجيد من اموالهم بالردي من اموالكم فتأكلوهما جميعا فان في ذلك
اجحافا او اضرارا بهم فاما اذا لم يكن في ذلك اضرار ولا ظلم فلا بأس بخلط مال اليتيم بماله فقد روي انه لما نزلت
هذه الآية كرهوا مخالطة اليتامى فشق ذلك عليهم فشكوا ذلك الى رسول الله صلعم فانزل الله سبحانه ويسألونك
عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم في الدين الآية عن الحسن وهو المروي عن السيدين
الباقر والصادق عليهما الصلوة والسلام انه كان حوبا كبيرا اي اثما عظيما قوله تعالى وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى
فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم ذلك ادنى الا تعولوا
وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا. آيتان عند ان لا تعولوا آية بالاتفاق وهذا
مما يتكلف فيه القراءة قرأ ابو جعفر واحدة بالرفع والباقون بالنصب الحجة القراءة بالنصب على انه مفعول به وتقديره
فانكحوا واحدة ومن رفع فعلى انه فواحدة كافية او فواحدة مجزية كقوله فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان اللغة
الاقساط العدل والانصاف والقسط الجور يقال قسط ومثنى وثلث مثلث ورباع ومربع ولم يسمع فيما زاد عليه مثل
خماس ومخمس الا عشار في بيت الكميت وهو قوله فلم يستريثوك حتى رميت فوق الرجال خصالا عشارا وقال
صخر الغي ولقد قتلتكم ثناء وموحدا وتركت مرة مثل امس الدابر وعال الرجل يعول عولا وعيالة اي مال
وجار ومنه عول الفرايض لان سهامها اذا زادت دخلها النقص قال ابو طالب بميزان قسط وزنه غير عائل وعال
يعيل عيلة اذا احتاج قال الشاعر فما يدري الفقير متى غناه وما يدري الغني متى يعيل اي يفتقر فمن قال
معنى قوله الا تعولوا الا تفتقروا فقد اخطأ لانه من باب الياء كما ترى ومن قال ان معناه الا يكثر عيالكم فقد اخطأ
ايضا لان ذلك يكون من الاعالة يقال اعال الرجل يعيل فهو معيل اذا كثر عياله وعال العيال اذا مانهم ومنه قوله
ابدأ بمن تعول وقد حكى الكسائي عال الرجل يعول اذا كثر عياله والصداق والصدقة والصدقة والصدقة المهر
والنحلة عطية تكون على غير جهة المثامنة يقال نحلت الرجل اذا وهبت له نحلة ونحلا وسمي النحل نحلا لان الله تعالى
نحل منها الناس العسل الذي في بطونها وهناه تأخذ من هنأت البعير بالقطران والهنوء شفاء من الجرب كما ان الهناء
الذي هو القطران شفاء من الجرب قال ما ان رايت ولا سمعت به كاليوم هانئ أينق جرب متبذلا يبدو محاسنه
يضع الهناء مواضع النقب يقال منه هنأني الطعام ومرأني اي صار لي دواء وعلاجا وشفاء وهنئني

مرئني بالكسر وهي قليلة وتقول في المستقبل يهنأني ويمرأني ويهني ويمرئني واذا افردوا قالوا امرأني ولا يقولون
اهناني وقد هنأ هذا الطعام مراءة ويقال هنأت القوم اذا علتهم وهنأت فلانا المال اذا وهبته له
اهنأه هنأ ومنه المثل انما هي هنأتها انما تهنأ اي لمعطي الاعراب من قوله ما طاب ما ها هنا مصدر تقديره
الفرائ اي فانكحوا الحلال وروى عن مجاهد ايضا فانكحوا النساء نكاحا طيبا وقال المبرد ما ها هنا للجنس كقولك
ما عندك فالجواب رجل وامرأة وقيل لما كان المكان مكان ابهام جاءت ما لما فيها من الابهام كقول العرب خذ
من عندي ما شئت وقوله مثنى وثلث ورباع بدل مما طاب وموضعه النصب وتقديره اثنين اثنين وثلثا ثلثا
واربعا اربعا الا انه لا ينصرف لعلتين العدل والوصف قال الزجاج انه لا ينصرف لجهتين لا اعلم احدا من النحويين
ذكرهما وهما انه معدول عن اثنين اثنين وثلث ثلث وانه عدل عن تأنيث وخطأه ابو علي الفارسي في ذلك
ورد عليه كلاما كثيرا يطول بذكره الكتاب ثم قال لو جاز ان يقول قائل انه مثنى وانه معدول عن مؤنث لما
جرى على المذكر والمؤنث وذلك ان مثنى يجوز لاخر ان يقول انه معدول عن مذكر لانه جرى صفة على الجمع وهو
مذكر وانما جرى على النساء من حيث كان تأنيثها تأنيث الجمع وهذا الضرب من التأنيث ليس بحقيقي انما هو من اجل
اللفظ فهو مثل النار والدار وما اشبه ذلك وقد جرت هذه الاسماء على المذكر الحقيقي قال صخر الغي منيت
بان تلاقيني المنايا احاد احاد في شهر حلال وبيت الكتاب لكنما اهلي بواد انيسه ذئاب تبغي الناس مثنى وموحد
جرى فيه مثنى وموحد على ذئاب وهو جمع مذكر وقال تميم بن مقبل ترى النعرات الزرق تحت لبانه احاد ومثنى
اصعقتها صواهله فاحاد ومثنى حال من النعرات وقال ابو علي في القصريات ان مثنى وثلث ورباع حال من قوله
ما طاب لكم من النساء فهو كقولك جئتك ماشيا او راكبا ومنحدرا ومصعدا تريد انك جئته في كل حال
من الاحوال ولست تريد انك جئته وهذه الاحوال لك في وقت واحد ومن قدرها على البدل من ما قال
انما جاءت الواو هنا ولم يأت او لانه على طريق البدل كانه قال وثلث بدلا من مثنى ورباع من ثلث ولو جاء باو
لكان لا يجوز لصاحب المثنى ثلث ولا لصاحب الثلث رباع وقوله نحلة منصوب على المصدر وقوله نفسا منصوب
على التمييز كما يقال ضقت بهذا الامر ذرعا وقررت به عينا والمعنى ضاق به ذرعي وقرت به عيني ولذلك
وحد النفس لما كانت منصرفة والنفس المراد به الجنس يقع على الواحد والجمع كقول الشاعر بها جيف الحسرى
فاما عظامها فبيض واما جلدها فصليب ولم يقل جلودها وقوله فان طبن لكم انما جاز ويقول بالاخر
انما جمع لانه قوله ذهم انه انما يضاف الى الجميع كما يضاف الواحد الى الجماعة اذا رضوا به ومن في قوله من شيء منه للتبيين
للجنس لا للتبعيض لانها لو وهبت المهر كله لجاز بالاخلاف وهنيئا مريئا نصب على الحال النزول واختلف النظم
اختلف في سبب نزوله وكيف تنظم بحصوله تضمنه على اقوال احدها انها نزلت في اليتيمة يكون في حجر
وليها فيرغب في مالها وجمالها ويريد ان ينكحها بدون صداق مثلها فنهوا عن ان ينكحوهن الا ان يقسطوا لهن
في كمال مهور امثالهن وامروا ان ينكحوا ما سواهن من النساء الى الاربع عن عائشة وروي ذلك في تفسير اصحابنا
وقالوا انها متصلة بقوله ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء
اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون ان تنكحوهن وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا الآية وبه قال الحسن
والجبائي والمبرد وثانيها انها نزلت في الرجل منهم كان يتزوج الاربع والخمس والست والعشر ويقول ما يمنعني
ان اتزوج كما تزوج فلان فاذا فني ماله مال على مال اليتيم الذي في حجره فانفقه فنهاهم الله عن ان يتجاوزوا
الاربع لئلا يحتاجوا الى اخذ مال اليتيم وان خافوا ذلك مع الاربع ايضا اقتصروا على واحدة عن ابن عباس وعكرمة
وثالثها انهم كانوا يشددون في اموال اليتامى ولا يشددون في النساء ينكح احدهم النسوة فلا يعدل بينهن

فقال مجاهد كما تخافون ان لا تعدلوا في اليتامى فخافوا في النساء فانكحوا واحدة الى اربع عن سعيد بن جبير والسدي
وقتادة والربيع والضحاك والواحدي لرواية عن ابن عباس وثانيها انهم كانوا يتحرجون من ولاية اليتامى واكل
اموالهم ايمانا وتصديقا فقال سبحانه ان تحرجتم من ذلك فكذلك فتحرجوا من الزنا وانكحوا النكاح المباح من
واحدة الى اربع عن مجاهد وخامسها ما قال الحسن ان خفتم الا تقسطوا في اليتيمة المرباة في حجوركم فانكحوا ما
طاب لكم من النساء مما احل لكم من يتامى قراباتكم مثنى وثلث ورباع وبه قال الجبائي وقال الخطاب متوجه الى ولي
اليتيمة اذا اراد ان يتزوجها وسادسها ما قال الفراء ان كنتم تتحرجون من مواكلة اليتامى فتحرجوا من الجمع بين النساء
وان لا تعدلوا بينهن ولا تتزوجوا منهن الا من تأمنون منه الجور قال القاضي ابو عاصم القول الاول اولى واقرب
الى نظم الاية ولفظها المعنى وان خفتم الا تقسطوا اي الا تنصفوا والا تعدلوا يا معشر اولياء اليتامى في اليتامى
وقد ذكرنا معناه والاختلاف فيه في النزول فانكحوا ما طاب لكم اي ما حل لكم ولم يقل من طاب لكم لان معناه فانكحوا
الطيب من النساء والحلال منهن اي من اللاتي يحل نكاحهن دون المحرمات اللاتي ذكرن في قوله حرمت عليكم
امهاتكم الاية ويكون تقديره على القول الاول ان خفتم الا تعدلوا في نكاح اليتامى ان نكحتموهن فانكحوا البوالغ
من النساء وذلك انه ان وقع حيف في حق البوالغ امكن التخلص منه بتطييب نفوسهن والتماس تحليلهن لانهن من اهل
التحليل واسقاط الحقوق بخلاف اليتامى فانه ان وقع حيف في حقهن لم يمكن التخلص منه لانهن لسن من اهل التحليل
ولا من اهل اسقاط الحقوق وقوله مثنى وثلث ورباع معناه اثنتين اثنتين وثلثا ثلثا واربعا اربعا فلا يقال
ان هذا يؤدي الى جواز التسع فان اثنتين وثلثة واربعة تسعة لما ذكرناه وان من قال دخل القوم البلد مثنى و
ثلث ورباع لا يقتضي اجتماع الاعداد في الدخول ولان هذا العدد لفظه موضوع وهو تسع فالعدول عنه الى مثنى
وثلث ورباع نوع من العي جل كلامه سبحانه عن ذلك وتقدس وقال الصادق ع لا يحل لماء الرجل ان يجري في
اكثر من اربعة ارحام من الحرائر فان خفتم ان لا تعدلوا بين هؤلاء الاربع والثلث في القسم او النفقة وسائر وجوه التسوية
فواحدة اي فتزوجوا واحدة او ما ملكت ايمانكم اي واقتصروا على الاماء حتى لا تحتاجوا الى القسم بينهن
لانهن لا حق لهن في القسم ذلك اشارة الى العقد على الواحدة مع الخوف من الجور فيما سواها ادنى ان لا تعولوا اي اقرب
ان لا تميلوا وتجوروا عن ابن عباس والحسن وقتادة ومن قال معناه ادنى ان لا يكثر عيالكم فانه مع ضعفه في اللغة
في الاية ما يبطله وهو قوله او ما ملكت ايمانكم ومعلوم انما يحتاج اليهن للنفقة عند كثرة الجواري من النساء مثل
ما يحتاج اليه عند كثرة الاماء وقيل كان الرجل قبل نزول هذه الاية يتزوج بما شاء من النساء وقوله واتوا النساء
صدقاتهن نحلة معناه واعطوا النساء مهورهن عطية من الله تعالى وذلك ان الله سبحانه جعل الاستمتاع مشتركا
بين الزوجين ثم اوجب لها بازاء الاستمتاع مهرا على زوجها وذلك عطية من الله للنساء وقيل اراد نحلة فريضة
مسماة عن قتادة وابن جريج وقيل اراد بالنحلة الدين كما يقال فلان ينتحل كذا اي يدين به ذكره الزجاج وابن
خالويه واختلف فيمن خوطب بقوله واتوا النساء صدقاتهن فقيل هم الازواج امرهم الله باعطاء المهر
المدخول بها كاملا وغير المدخول بها على النصف على ما مر من غير مطالبتهن ولا مواخذة ولا مخاصمة لان ما
يؤخذ لا يقال له نحلة وهو قول ابن عباس وقتادة وابن جريج واختاره الطبري والجبائي والرماني والزجاج وقيل
هم الاولياء لان الرجل منهم كان اذا زوج ايمه اخذ صداقها دونها فنهاهم الله عن ذلك عن ابي صالح
وهو المروي عن الباقر ع رواه ابو الجارود عنه والاول اشبه بالظاهر فان طبن لكم عن شيء منه نفسا خطاب للازواج
معناه فان طابت نفوسهن بهبة شيء من الصداق فكلوه اي فكلوا الموهوب لكم هنيئا مريئا فالهنيء الطيب
المساغ الذي لا ينغصه شيء والمريء المحمود العاقبة التام الهضم الذي لا يضر ولا يؤذي وفي كتاب العياشي

مرفوعا الى امير المؤمنين عليه السلام انه جاء رجل فقال يا امير المؤمنين اني اوجع بطني فقال الك زوجة قال
نعم قال استوهب منها شيئا طيبة به نفسها من مالها ثم اشتر به عسلا ثم اسكب عليه من ماء السماء ثم اشربه فاني
سمعت الله سبحانه يقول في كتابه ونزلنا من السماء ماء مباركا وقال يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه
شفاء للناس وقال فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا فاذا اجتمعت البركة والشفاء والهنيء
المريء شفيت ان شاء الله تعالى قال ففعل ذلك فشفي وقد استدل بعض الناس على وجوب التزويج بقوله فانكحوا من
حيث ان ظاهر الامر يقتضي الوجوب وهذا خطاء لانه يجوز العدول عن الظاهر بدليل وقد قام الدليل على ان
التزويج غير واجب قوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا
لهم قولا معروفا ٥ اية القراءة قرأ نافع وابن عامر قيما بغير الف والباقون قياما بالالف الحجة قال ابو الحسن في قيام
ثلث لغات قيام وقيم وقوام وهو الذي يقيمك قال لبيد افتلك ام وحشية مسبوعة خذلت وهادية الصوار
قوامها قال ابو علي ليس قوله قيما لان القيم جمع قيمة كديمة وديم وانما القيم بمعنى القيام وهو مصدر يريد لعله قوله
دينا قيما فالقيمة التي هي معادلة الشيء ومقاومته لا مذهب له هاهنا انما المعنى دينا ثابتا دائما لا ينسخ كما نسخت
الشرائع التي قبله فيكون مصدرا وصفا به ولا يجوز ان يكون جمعا لان الصفة لا يجيء هذا البناء في الصفة الا نحو
ترى انما جاء في قوله قوم عدى ومكان سوى وهكذا في المصادر كالشبع والرضا ونحوهما اوسع من الوصف
فاذا كان كذلك حمل على الاكثر المعنى لما امر الله سبحانه فيما تقدم بدفع مال الايتام اليهم عقبه بذكر من لا يجوز
الدفع اليهم فقال ولا تؤتوا السفهاء اي ولا تعطوا السفهاء اموالكم اختلف في المعنى بالسفهاء على اقوال
احدها انهم الصبيان والنساء عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن والضحاك وابي مالك وقتادة ورواه ابو الجارود عن ابي
جعفر ع قال ابن عباس اذا علم الرجل ان امرأته سفيهة مفسدة للمال وعلم ان ولده سفيه مفسد لم ينبغ له ان
يسلطهما على ماله وثانيها ان المراد به النساء خاصة عن مجاهد وابن عمر وروي عن انس بن مالك قال جاءت
امرأة سوداء جريئة المنطق ذات ملح الى رسول الله صلعم فقالت بابي انت وامي يا رسول الله قل فينا خيرا
مرة واحدة فانه بلغني انك تقول فينا كل شر قال اي شيء قلت لكن قالت سميتنا السفهاء قال الله سماكن
السفهاء في كتابه قالت وسميتنا النواقص فقال وكفى نقصانا ان تدعن من كل شهر خمسة ايام لا تصلين فيها
ثم قال اما يكفي احداكن انها اذا حملت كان لها كاجر المرابط في سبيل الله فاذا وضعت كانت كالمتشحط بدمه في
سبيل الله فاذا ارضعت كان لها بكل جرعة كعتق رقبة من ولد اسمعيل فاذا سهرت كان لها بكل سهرة تسهرها
كعتق رقبة من ولد اسمعيل وذلك للمؤمنات الخاشعات الصابرات اللاتي لا يكلفن العشير قالت
السوداء يا له فضلا لولا ما يتبعه من الشرط وثالثها انه عام في كل سفيه من صبي او مجنون او محجور عليه للتبذير
وقريب منه ما روي عن ابي عبد الله ع ان السفيه شارب الخمر ومن جرى مجراه وهذا القول اولى
لعمومه وقوله التي جعل الله لكم قياما اي اموالكم التي جعلها الله قواما لمعاشكم ومعادكم يقيمكم فتقومون
بها قياما وقيل معناه لا تعط ولدك السفيه مالك الذي جعله الله لك قواما لعيشك فيفسده عليك
وتضطر اليه فيصير ربا عليك ينفق مالك عليك وارزقوهم فيها واكسوهم اختلف في معناه فقيل يريد
لا تؤتوهم اموالهم التي تملكونها ولكن ارزقوهم منها ان كانوا ممن يلزمكم نفقته واكسوهم الاية عن ابن
عباس والحسن وقتادة ومجاهد وقيل يريد لا تعط امرأتك وولدك مالك فيكونوا هم الذين ينفقون
عليك واطعمهم من مالك واكسهم عن السدي وابن زيد وهذا امر باحراز المال وحسن سياسته
كقوله سبحانه ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل وبلغنا انه قال النبي صلعم نعم المال الصالح للرجل الصالح

٢١١

وقيل عني بقوله اموالكم اموالهم كما قال ولا تقتلوا انفسكم اي لا تؤتوا السفهاء اموالهم وارزقوهم فيها واكسوهم
فيها واكسوهم عن سعيد بن جبير والاول احمل لان الآية على العموم فلا يجوز ان يعطى المال السفيه الذي يفسده
ولا اليتيم الذي لم يبلغ ولا الذي بلغ ولم يؤنس منه الرشد وانما يكون اضافة مال اليتيم الى من له القيام بامرهم ضربا
من المجاز او يكون التقدير ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي بعضها لكم وبعضها لهم فيضيعوها وقد روي عن
الصادق عليه السلام عن هذا فقيل كيف يكون اموالهم اموالنا فقال اذا كنت انت الوارث له وقولوا لهم قولا معروفا اي الطفوا
لهم في القول ولا تخاشنوهم وقولوا لهم ما ينبههم على الرشد والصلاح في امر المعاش والمعاد حتى اذا بلغوا كانوا
على بصيرة من ذلك وفي هذه الآية دلالة على جواز الحجر على اليتيم اذا بلغ ولم يؤنس منه الرشد لان الله تعالى منع من دفع المال
الى السفهاء وفيها ايضا دلالة على وجوب الوصية اذا كانت الورثة سفهاء لان ترك الوصية والحال هذه بمنزلة
اعطاء المال الى اهل السفه وانما سمي الناقص العقل سفيها لان السفه خفة الحلم ولذلك سمي الفاسق ايضا سفيها
لانه لا قدر له عند اهل الدين قوله تعالى وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا
اليهم اموالهم ولا تأكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف
فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا آية اللغة الايناس الابصار ومنه قوله آنس من جانب الطور
نارا احذر ان انسان العين وهو حدقتها التي يبصر بها وانست بها انسا الفته وفي قراءة عبد الله بن مسعود
فان احستم اي حسستم بمعنى وجدتم فحذف احدى السينين كقوله فظلتم تفكهون واصل الاسراف تجاوز
الحد المباح الى ما لم يبح وربما كان ذلك في الافراط وربما كان في التقصير غير انه اذا كان في الافراط يقال اسرف يسرف
اسرافا واذا كان في التقصير يقال سرف يسرف سرفا وفي الحديث بكم فسرفتكم يريد سهوت عنكم واخطأتكم
قال الشاعر اعطوا هنيدة يحدوها ثمانية ما في عطائهم من ولا سرف يريد انهم يصيبون مواضع العطاء ولا يخطئونها
والبدار المبادرة واصل ذلك الامتلاء ومنه البدر لامتلائه نورا والبدرة لامتلائها بالمال والبيدر لامتلائه
بالطعام وحسيبا حاسبا بمعنى محاسب والحسيب الكافي من قولهم احسبني الشيء اذا كفاني والحسيب من الرجال
المرتفع النسب وقيل الحسيب بمعنى المحاسب الاعراب اسرافا مصدر وضع موضع الحال وكذلك قوله وبدارا
وموضع ان يكبروا نصب بالمبادرة اي لا تأكلوها مسرفين ومبادرين كبرهم وقوله بالمعروف الجار والمجرور في موضع
نصب على الحال وكفى بالله الباء مزيدة والجار والمجرور في موضع رفع بانه فاعل كفى وحسيبا منصوب على الحال او التمييز
كفى الله فحذف الباء المعنى لما امر الله سبحانه بايتاء الايتام اموالهم ومنع من دفع المال الى السفهاء بين هنا
الحد الفاصل بين ما يحل من ذلك للولي وما لا يحل فقال وابتلوا اليتامى هذا خطاب لاولياء اليتامى امرهم الله
ان يختبروا عقول اليتامى في افهامهم وصلاحهم في اديانهم واصلاحهم اموالهم وهو قول قتادة والحسن والسدي
ومجاهد وابن عباس حتى اذا بلغوا النكاح معناه حتى اذا بلغوا الحال التي يقدرون معها على المواقعة وينزلون وليس
المراد البلوغ الاحتلام لان في الناس من يحتلم او يتأخر احتلامه وهو قول اكثر المفسرين فمنهم من قال اذا كمل عقله
وأونس منه الرشد سلم اليه ماله وهو الاولى ومنهم من قال لا يسلم ماله اليه وان كان عاقلا حتى يبلغ خمس عشرة سنة
وقال اصحابنا حد البلوغ اما كمال خمس عشرة سنة او بلوغ النكاح او الانبات وقوله فان آنستم منهم رشدا اي عرفتم
واختلف في معنى قوله رشدا فقيل عقلا ودينا وصلاحا عن قتادة والسدي وقيل صلاحا في الدين واصلاحا
للمال عن الحسن وابن عباس وقيل عقلا عن مجاهد والشعبي قالا لا يدفع الى اليتيم ماله وان اخذ بلحيته وان كان شيخا
حتى يؤنس منه رشده العقل والاولى ان يحمل على ان المراد به العقل والصلاح للمال على ما قاله ابن عباس والحسن وهو المروي
عن الباقر للاجماع على ان من يكون كذلك لا يجوز عليه الحجر في ماله وان كان فاجرا في دينه فكذلك اذا بلغ وهو بهذه

الصفة وجب تسليم ماله اليه وفيه ايضا دلالة على جواز الحجر على العاقل اذا كان مفسدا لماله من حيث انه اذا جاز
ان يمنع المال بعد البلوغ اذا كان مفسدا له فلان يجوز الحجر عليه اذا كان مفسدا له بعد البلوغ وهو المشهور في
اخبارنا وقوله فادفعوا اليهم اموالهم خطاب لاولياء اليتيم وهو تعليق لجواز الدفع بالشرطين البلوغ وايناس
الرشد فلا يجوز الدفع قبلهما ولا تأكلوها اسرافا وبدارا اي بغير ما اباحه الله لكم وقيل معناه لا تأكلوا من
مال اليتيم فوق ما يحتاجون اليه فان لولي اليتيم ان يتناول من ماله قدر القوت اذا كان محتاجا على وجه الاجرة
على عمله في مال اليتيم وقيل ان تأكل من مال اليتيم فهو الاكل على وجه الاسراف والاول اليق بمذهبنا فقد روى
محمد بن مسلم عن احدهما عليهما السلام قال سألته عن رجل بيده ماشية لابن اخ له يتيم في حجره ايخلط امرها بامر ماشيته
قال ان كان يليط حياضها ويقوم على مهنتها ويرد نادتها فليشرب من البانها غير منهك للحلاب ولا مضر
بالولد وقوله وبدارا ان يكبروا اي مبادرة كبرهم ومعناه لا تبادروا باكل مالهم كبرهم ورشدهم
حذرا ان يبلغوا فيلزمكم تسليم المال اليهم ومن كان غنيا فليستعفف اي من كان غنيا من الاولياء
فليستعفف بماله عن اكل مال اليتيم ولا يأخذ لنفسه منه لا قليلا ولا كثيرا يقال استعفف عن الشيء
وعف عنه اذا امتنع منه وتركه ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف معناه من كان فقيرا فليأخذ من مال
اليتيم قدر الحاجة والكفاية على جهة القرض ثم يرد عليه ما اخذ اذا وجد عن سعيد بن جبير ومجاهد وابي
العالية والزهري وعبيدة السلماني وهو مروي عن الباقر وقيل معناه يأخذ قدر ما يسد جوعته ويستر
عورته لا على جهة القرض عن عطاء بن رباح وقتادة وجماعة ولم يوجبوا اجرة المثل لان اجرة المثل
ربما كان اكثر من قدر الحاجة والظاهر في روايات اصحابنا ان له اجرة المثل سواء كان قدر كفايته او لم يكن
وسئل ابن عباس عن ولي يتيم له ابل هل له ان يصيب من البانها فقال ان كنت تلوط حوضها
وتهنأ جرباها اصبت من رسلها غير مضر بنسل ولا ناهك في الحلب والرسل اللبن والنهك المبالغة في
الحلب فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم وهذا ايضا خطاب لاولياء اليتيم اي اذا دفعتم الى اليتامى
اموالهم بعد البلوغ فاحتاطوا لانفسكم بالاشهاد عليهم كيلا يقع منهم جحود وتكونوا ابعد من التهمة فانظر
الى حسن نظر الله سبحانه لليتامى وللاوصياء وكمال لطفه بهم ورحمته لهم وانعامه عليهم وكذلك
نظره ولطفه بجميع عباده في امور معاشهم ومعادهم وكفى بالله حسيبا اي شاهدا على دفع المال اليهم
وكفى به وبعلمه وقيل محاسبا فاحذروا محاسبته في الآخرة كما تحذرون محاسبة اليتيم بعد البلوغ قوله تعالى
للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر
نصيبا مفروضا آية اللغة الفرق بين الفرض والوجوب ان الفرض يقتضي فارضا فرضه وليس
كذلك الواجب لانه قد يجب الشيء من غير ايجاب موجب ولذلك صح وجوب الثواب والعوض عليه
سبحانه ولم يجز ان يقال لذلك فرض ومفروض واصل الفرض الثبوت فالفرض الحز في سية القوس
لثبوته والفرض ما اثبته على نفسك من هبة او صلة والفرض ما اعطيته من غير قرض لثبوت
تمليكه واصل الوجوب الوقوع يقال وجب الحائط وجوبا اذا وقع وسمعت وجبة اي دفعة كالهدة ووجب
الحق وجوبا اذا وقع سببه ووجب القلب وجيبا اذا خفق من فزع وهيبة الاعراب نصيبا مفروضا
نصب على الحال لان المعنى فرض للرجال نصيب ثم قال نصيبا مفروضا مؤكدا وقيل هو اسم
في موضع المصدر كقولك قسما واجبا وفرضا لازما ولو كان اسما ليس فيه معنى المصدرية لم يجز
نحو قولك عندي حق درهما ونحو ذلك عندي درهم هبة مقبوضة النزول قيل كانت العرب في

الجاهلية يورثون الذكور دون الاناث فنزلت الآية ردا لقولهم عن قتادة وابن جريج وابن زيد وقيل كانوا لا يورثون
الا من طاعن بالرمح وذاد عن الحريم والمال فقال الله تعالى مبينا حكم اموال الناس بعد موتهم ليعلمان بين حكمها في جميع
المعنى للرجال نصيب اى حظ وسهم مما ترك الوالدان والاقربون اى من قرابة الميت حصة
وسهم من تركته مما قل منه او كثر اى من قليل التركة وكثيرها نصيبا مفروضا اى حظا فرض تسليمه الى مستحقيه
ومحتقيه لا محالة وهذه الآية تدل على بطلان القول بالعصبة لانه تعالى فرض الميراث للرجال فلو جاز منع النساء من
في موضع كما ان يجرى الرجال الجرى في المنع من الميراث وتدل ايضا على ان ذوى الارحام يرثون لانهم من جملة الرجال
والنساء الذين مات عنهم الاقربون على ما ذهبنا اليه وهو مذهب ابي حنيفة نصا او تدخل في عموم اللفظ ايضا
الانبياء وغير الانبياء وتدل على ان الانبياء يورثون كغيرهم على ما ذهبت اليه الفرقة المحقة قوله تعالى واذا حضر
القسمة اولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا. آية المعنى واذا حضر القسمة اولوا
القربى واليتامى والمساكين ممن لا يرث واختلف الناس في هذه الآية على قولين احدهما انها محكمة غير منسوخة عن ابن
عباس وسعيد بن جبير والحسن وابراهيم ومجاهد والشعبي والزهري والسدي وهو المروى عن الباقر عليه السلام
واختاره الجبائي والبلخي والزجاج واكثر المفسرين والفقهاء والثاني انها منسوخة بآية المواريث عن سعيد بن المسيب
وابي مالك والضحاك واختلف من قال انها محكمة على قولين احدهما ان الامر فيها على الوجوب واللزوم عن مجاهد وقيل هو ما
طابت به النفس لمن حضر والآخرون ان الامر فيها على الندب قوله اذا حضر القسمة معناه اذا شهد قسمة الميراث
اولوا القربى اى فقراء قرابة الميت واليتامى والمساكين اى يتاماهم ومساكينهم يرجون ان تعودوا عليهم فارزقوهم
منه اى اعطوهم من التركة قبل القسمة شيئا واختلف في المخاطبين بقوله فارزقوهم على قولين احدهما ان المخاطب بذلك
الورثة امروا ان يرزقوا المذكورين اذا كانوا لا سهم لهم في الميراث عن ابن عباس وابن الزبير والحسن وسعيد بن جبير
واكثر المفسرين والآخر ان المخاطب بذلك من حضرته الوفاة واراد الوصية فقد امر بان يوصى لمن لا يرث من
المذكورين بشئ من تركته عن ابن عباس ايضا وسعيد بن المسيب واختاره الطبري وقولوا لهم قولا معروفا اى حسنا
غير خشن واختلف فيه ايضا فقال سعيد بن جبير امر الله الولي ان يقول للذي لا يرث من المذكورين قولا معروفا اذا كانت
الورثة صغارا يقول ان هذا لليتامى صغار وليس لكم فيه حق ولسنا نملك ان نعطيكم منه وقيل المأمور بذلك الرجل
الذي يوصي في ماله والقول المعروف ان يدعو لهم بالرزق والغناء وما اشبه ذلك وقيل الآية في الوصية على ان يوصى
للقرابة ويقولوا لغيرهم قولا معروفا عن ابن عباس وسعيد بن المسيب وقد دلت الآية على ان الانسان قد يرزق غيره على معنى
التمليك وهي حجة على المجبرة قوله تعالى وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا
قولا سديدا. ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا. آيتان القراءة
قرأ ابن عامر وابو بكر عن عاصم سيصلون بضم الياء والباقون بفتحها الحجة قراءة العامة من فتح الياء قوله تعالى
اصلوها فاصبروا او لا تصبروا وجه من ضم تصلونها ولا من هو صال الجحيم وحجة من ضم الياء انه من اصلاه الله النار كقوله
فسوف نصليه نارا اللغة ضعاف جمع ضعيف وضعيفة والسديد السليم من خلل الفساد واصله من سد الخلل يقال
سددته اسده سدا والسداد الصواب ومنه سهم سديد اى مقوم وسددت السهم اذا قومته والسد الردم وصلى النار
يصليها صلى وصلاء وصليا لزمها واصلاه الله اصلاء وهو صال النار من قوم صلى وصالين ويقال صلى الامر
اذا قاسى حره وشدته قال العجاج وصاليات للصلى صلى قال الفرزدق وقاتل الحي عن باب له ليبعث فيها
والصلا مكنف وشاة مصلية اى مشوية وسعير سعرت اى مثل كف خضيب والشعل اشعال النار واسعرت النار
في الحطب ومنه سعر السوق لاستعاره فيها الاعراب ظلما نصب على المصدر لان معنى الذين يأكلون اموال

اليتامى يظلمونهم ويجوز ان يكون في موضع الحال كقولهم جاء فلان ركضا اى يركض المعنى لما امر الله
سبحانه بالقول المعروف نهيهم عن خلافه وامر بالاقوال السديدة والافعال الحميدة فقال وليخش الذين لو
تركوا من خلفهم ذرية ضعافا فيه اقوال احدها انه كان الرجل اذا حضرته الوفاة قعد عنده اصحاب رسول الله
فقالوا انظر لنفسك فان ولدك لا يغنون عنك من الله شيئا فيقدم جل ماله فقال وليخش الذين لو تركوا من بعدهم
اولادا صغارا خافوا عليهم الفقر وهذا نهي عن الوصية بما يجحف بالورثة وامر لمن حضر الميت عند الوصية ان
يأمره بان يبقى لورثته ولا يزيد وصيته على الثلث كما ان هذا القائل لو كان هو الموصي لاحب ان يحثه
من حضره على حفظ ماله لورثته ولا يدعهم عالة اى كما تحبون ورثتكم فاحبوا ورثة غيركم وهذا معنى قول
ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وقتادة ومجاهد والضحاك وثانيها ان الامر في الآية لولي مال اليتيم
يأمره باداء الامانة فيه والقيام بحفظه كما لو خاف على مخلفيه اذا كانوا صغارا واحب ان يفعل بهم
عن ابن عباس ايضا فيكون معناه من كان في حجره يتيم فليفعل به ما يحب ان يفعل بذريته من بعده والى هذا المعنى
يؤول ما روي عن موسى بن جعفر عليه السلام قال ان الله اوعد في مال اليتيم عقوبتين اثنتين اما احدهما
فعقوبة الدنيا فقوله وليخش الذين لو تركوا الآية قال يعني بذلك ليخش ان اخلفه في ذريته كما يصنع بهؤلاء
اليتامى وثالثها انها وردت في حرمان ذوي القربى ان يوصى لهم بان يقول الحاضر لا توص لاقاربك ووفر
على ورثتك وقوله خافوا عليهم معناه خافوا من جفاء يلحقهم او ظلم يصيبهم او عضاضة او ضيعة فليتقوا الله
اى فليتق كل واحد من هؤلاء في يتامى غيره ان يجفوهم ويظلمهم وليعاملهم بما يحب ان يعامل به يتاماه بعد موته
وقيل فليتقوا الله في الاضرار بالمؤمنين وليقولوا قولا سديدا اى مصيبا عدلا موافقا للشرع والحق وقيل انه الذي
لا خلل فيه وقيل معناه فليخاطبوا اليتامى بخطاب حسن وقول جميل ومعنى الآية ما روي عن النبي
انه قال من سره ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
ويحب ان يأتي الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه وعن رسول الله صلعم انه اوصى باكثر من الثلث فقال الثلث والثلث كثير
وقال لسعد لان تدع ورثتك اغنياء احب الي من ان تدعهم عالة يتكففون الناس ثم اوعد الله سبحانه اكلي اموال اليتيم
نار جهنم فقال ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما اى ينفقون باموالهم ويأخذونها ظلما بغير حق
ولم يرد به قصر الحكم على الاكل الذي هو عبارة عن المضغ والابتلاع وفائدة تخصيص الاكل بالذكر انه معظم منافع
المال المقصودة فذكره الله سبحانه تنبيها على ما في معناه من وجوه الانتفاع وكذلك معنى قوله لا تأكلوا اموالكم
بينكم بالباطل ولا تأكلوا الربوا وانما علق الوعيد بكونه ظلما لانه قد يأكل الناس على وجه الاستحقاق بان يؤخذ
منه اجرة المثل او يأكل منه بالمعروف او يأخذه قرضا على نفسه على ما تقدم القول في ذلك فلا يكون ظلما فان قيل
اذا اخذه قرضا او اجرة المثل فانما اكل مال نفسه ولم يأكل مال اليتيم فجوابه لا يلزم ان يكون اكلا مال اليتيم
لكن على وجه لا يكون ظلما بان التزم عوضه على نفسه او استحقه بالعمل ولو سلم ذلك لجاز ان يكون انما ذكر
كونه ظلما ضربا من التأكيد والبيان لان اكل مال اليتيم لا يكون الا ظلما وسئل الرضا عليه السلام كم ادنى ما يدخل
به آكل مال اليتيم تحت الوعيد في هذه الآية فقال قليله وكثيره واحد اذا كان من نيته ان لا يرده اليهم وقوله
انما يأكلون في بطونهم نارا قيل فيه وجهان احدهما ان النار ستلتهب من افواههم واسماعهم وآنافهم
يوم القيمة ليعلم اهل الموقف انهم اكلة اموال اليتامى عن السدي وروي عن الباقر عليه السلام انه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وآله يبعث ناس من قبورهم يوم القيمة تأجج من افواههم فقيل يا رسول الله
من هؤلاء فقرأ هذه الآية والآخر انه ذكر ذلك على وجه المثل من حيث ان من فعل ذلك يصير الى جهنم فتمتلي

فيمتلئ بالنار اجوافهم عقابا على اكلهم مال اليتيم كما قال الشاعر وان الذي اصبحتم تحلبونه دم غير ان اللون ليس
باحمرا يصف قوما اخذوا الابل في الدية يقول انما تحلبون دم اهلكم الا ان اللون وسيصلون سعيرا اي
سيلزمون النار المسعرة للاحراق وانما ذكر البطون تأكيدا كما يقال نظرت بعيني وقلت بلساني واخذت بيدي
ومشيت برجلي وروى الحلبي عن الصادق ع قال ان في كتاب علي ع ان آكل مال اليتيم ظلما سيدركه وبال ذلك في عقبه
من بعده ويلحقه وبال ذلك في الآخرة اما في الدنيا فان الله تعالى يقول ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما الآية قوله تعالى
يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وان كانت واحدة
فلها النصف ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فلامه الثلث
فان كان له اخوة فلامه السدس من بعد وصية يوصي بها او دين آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا فريضة من الله ان الله
كان عليما حكيما. القراءة قرأ اهل المدينة وان كانت واحدة بالرفع والباقون بالنصب وقرأ حمزة والكسائي
فلامه وفي امها بكسر الهمزة والميم وحمزة بطون امهاتكم وبيوت امهاتكم بكسرهما والكسائي بكسر الهمزة وفتح الميم
والباقون بضم الهمزة في الجميع وقرأ ابن عامر وابن كثير وابو بكر عن عاصم يوصى بفتح الصاد في الموضعين وقرأ حفص
الاولى بكسر الصاد والثانية بالفتح والباقون بكسرهما. الحجة الاختيار في واحدة النصب لان التي قبلها لها خبر منصوب
وهو قوله فان كن نساء اي وان كانت المولودة واحدة ووجه الرفع ان وقعت واحدة او حدثت واحدة اي ان حدث
حكم واحدة لان المراد حكمها لا ذاتها ووجه قراءة حمزة والكسائي فلامه بكسر الهمزة ان الهمزة حرف مستثقل بدلالة
تخفيفهم لها فاتبعوها ما قبلها من الكسرة والياء ليكون العمل فيها من وجه واحد ويقوي ذلك انهم قد ابدلوا منها الهاء
فعلوا ذلك بالهاء في نحو عليه وبه ومن قرأ يوصى فلان ذكر الميت قد تقدم في قوله فان كان له اخوة فلامه السدس ومن قرأ
يوصى فانما يحسن لانه ليس لميت معين انما هو شائع في الجميع فهو في المعنى يؤول الى يوصي. الاعراب للذكر مثل حظ الانثيين
جملة من مبتدأ وخبر تفسير لقوله يوصيكم الله انما لم يعمل للذكر مثل حظ الانثيين نصب لام مثل فيه معنى قوله يوصيكم
لانه في هذا القول في حكاية الجملة بعد القول فكأنه قال قال الله تعالى في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين وقوله ثلث والثلث
والربع ومنع مجيئها التخفيف لثقل الضم ونقل ثلث وسدس وربع ومنع الزجاج من ذلك لان الاصل التخفيف فيها
فثقل فغلط لان الكلام موضوع على الايجاز لا على التثقيل وانما قيل للاب والام ابوان تغليبا للفظ الاب ولا يقال
في ابن وابنة ابنان لانه يوهم فان لم يوهم جاز ذلك ذكره الزجاج وفريضة منصوبة على التوكيد والحال من قوله ولابويه
الورثة ما ذكرنا مفروضا فريضة مؤكدة لقوله يوصيكم ويجوز ان يكون نصبا على المصدر من يوصيكم الله لان معناه يفرض
عليكم فريضة. النزول روى محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال مرضت فعادني رسول الله صلى الله عليه وآله و
ابو بكر وهما يمشيان فاغمي علي فدعا بماء فتوضأ ثم صبه علي فافقت فقلت يا رسول الله كيف اصنع في مالي فسكت
رسول الله صلعم فنزلت في آية المواريث وقيل نزلت في عبد الرحمن اخي حسان الشاعر وذلك انه مات وترك
امرأة وخمس اخوات فجاءت الورثة واخذوا ماله ولم يعطوا امرأته شيئا فشكت ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وآله
فانزل الله سبحانه آية المواريث عن السدي وقيل كانت المواريث للاولاد وكانت الوصية للوالدين والاقربين فنسخ الله
وانزل آية المواريث فقال رسول الله صلى الله عليه وآله ان الله تعالى لم يرض بملك مقرب ولا نبي مرسل حتى تولى قسم التركات
واعطى كل ذي حق حقه عن ابن عباس. المعنى ثم بين سبحانه ما اجمله فيما قبل من قوله للرجال نصيب مما ترك الوالدان
بما فصله في هذه الآية فقال يوصيكم الله اي يأمركم ويفرض عليكم لان الوصية منه سبحانه امر وفرض يدل على ذلك قوله ولا تقتلوا
النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به وهذا من الفرض المحكم علينا في اولادكم اي في توريث اولادكم وقيل في امر
اولادكم اذا متم ثم بين سبحانه ما اوصى به فقال للذكر مثل حظ الانثيين اي للابن من الميراث مثل نصيب البنتين

ثم ذكر

ثم ذكر نصيب الاناث من الاولاد فقال فان كن نساء فوق اثنتين اي فان كانت المتروكات او الاولاد نساء فوق اثنتين
فلهن ثلثا ما ترك من الميراث ظاهر الكلام يقتضي ان البنتين لا يستحقان الثلثين لكن الامة اجمعت على ان حكم البنتين
حكم من زاد عليهما من البنات وذكر في الظاهر وجوه احدها ان في الآية بيان حكم البنتين لان فوق صلة والمعنى فان كن
نساء اثنتين فما فوقهما فلهن ثلثا ما ترك لا انه قدم ذكر الفوق على الاثنتين كما روي عن النبي صلعم انه قال لا
تسافر المرأة سفرا فوق ثلاثة ايام الا ومعها زوجها او ذو محرم لها ومعناه لا تسافر سفرا ثلاثة ايام فما فوقها وثانيها
ما قاله ابو العباس المبرد ان في الآية دليلا على ان للبنتين الثلثين لانه اذا قال للذكر مثل حظ الانثيين وكان اول
العدد ذكرا وانثى وللذكر الثلثان وللانثى الثلث علم من ذلك ان للبنتين الثلثين ثم اعلم الله تعالى ان ما فوق البنتين
لهن الثلثان وثالثها ان البنتين اعطيتا الثلثين بدليل لا بفرض مسمى والدليل قوله يستفتونك قل الله
يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك فقد صار للاخت النصف كما ان للبنت
النصف وان كانتا اثنتين فلهما الثلثان فاعطيت البنتان الثلثين كما اعطيت الاختان الثلثين واعطيت جملة
الاخوات الثلثين كما اعطيت البنات الثلثين ويدل عليه ايضا الاجماع على ان حكم البنتين حكم البنات في استحقاق
الثلثين الا ما روي عن ابن عباس ان للبنتين النصف وان الثلثين فرض الثلاث من البنات وحكى النظام في كتاب
النكت عن ابن عباس انه قال للبنتين نصف وقيراط لان للواحدة النصف وللثلاث الثلثين فينبغي ان يكون للبنتين
ما بينهما وان كانت واحدة اي وان كانت المولودة او المتروكة واحدة فلها النصف اي نصف ما ترك الميت ثم
ذكر ميراث الوالدين فقال ولابويه يعني لابوي الميت الاب والام والهاء التي اضيف اليها الابوان كناية عن غير مذكور
تقديره ولابوي الميت لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فللاب السدس مع الولد وكذلك الام لها السدس
معه ذكرا كان ام انثى واحدا كان او اكثر ثم ان كان الولد ذكرا كان الباقي له وان كانوا ذكورا فالباقي لهم بالسوية
وان كانوا ذكورا واناثا فللذكر مثل حظ الانثيين وان كانت بنتا فلها النصف بالتسمية ولكل واحد من الابوين
السدس او لهما السدسان والباقي عند ائمتنا عليهم السلام يرد على البنت وعلى كل واحد من الابوين او عليهما على قدر سهامهم
بدلالة قوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله وقد ثبت ان قرابة الولد وقرابة الابوين متساوية
لان الولد يتقرب الى الميت بنفسه كما ان الوالدين يتقربان اليه بانفسهما وولد الولد يقوم مقام الولد للصلب
مع الوالدين كل سهم يقوم مقام من يتقرب به وفي بعض هذه المسائل خلاف بين الفقهاء فان لم يكن له اي
للميت ولد اي ابن ولا بنت ولا اولادهما لان اسم الولد يعم الجميع وورثه ابواه فلامه الثلث وظاهره يدل على ان
الباقي للاب وبالاجماع فان كان في الفريضة زوج فان له النصف وللام الثلث والباقي للاب وهو مذهب ابن عباس
وائمتنا عليهم السلام ومن قال في هذه المسألة ان للام ثلث ما بقي فقد ترك الظاهر وكذلك ان كان بدل الزوج زوجة
فلها الربع وللام الثلث والباقي للاب وقوله فان كان له اخوة فلامه السدس قال اصحابنا انما يكون لها السدس
اذا كان هناك اب ويدل عليه ما تقدم من قوله وورثه ابواه فلامه الثلث وقال بعض اصحابنا ان لها السدس مع
وجود الاخوة وان لم يكن هناك اب وبه قال جميع الفقهاء واتفقوا على ان الاخوين يحجبان الام من الثلث الى السدس وقد روي
عن ابن عباس انه قال لا يحجب الام من الثلث الى السدس باقل من ثلاثة من الاخوة والاخوات كما يقتضيه ظاهر الآية واصحابنا
يقولون لا يحجب الام عن الثلث الى السدس الا اخوان او اخ واختان او اربع اخوات من قبل الاب والام او من قبل الاب
خاصة دون الام وفي ذلك خلاف بين الفقهاء قالوا والعرب تسمي الاثنين بلفظ الجمع وحكي عن كلامهم حكى
سيبويه انهم يقولون وضعا رحالهما يريدون رحلي راحلتيهما وقال سبحانه وكنا لحكمهم شاهدين يعني حكم داود
وسليمان وقال قتادة انما تحجب الاخوة الام مع انهم لا يرثون من المال شيئا معونة للاب لان الاب يقوم بنفقتهم

٢١٣

ويحجبهم دون الام وهذا يدل على انه مذهب اهل البيت لان الاخوة عندهم لا يحجبون على ما ذهب اليه اصحابنا الا ان الاب لا يلزمه
نفقتهم بالاجماع من بعد وصية يوصى بها او دين اى يقسم ما تركه على ما ذكرنا بعد قضاء الدين وانفاذ الوصية
ولا خلاف فى ان الدين مقدم على الوصية والميراث وان احاط بالمال فاما الوصية فقد قيل انها مقدمة على الميراث
وقيل ان الموصى له شريك الوارث له الثلث ولهم الثلثان وقد روى عن امير المؤمنين على عليه السلام انه قال انكم تقرؤن
فى هذه الاية الوصية قبل الدين وان رسول الله صلعم قضى بالدين قبل الوصية والوجه فى تقديم الدين على الوصية
فى الاية ان لفظة او انما هى لاحد الشيئين او الاشياء ولا يوجب الترتيب فكأنه قال من بعد احدهما مفردا او مضموما
الى الآخر وهذا كقولهم جالس الحسن او ابن سيرين اى جالس احدهما مضموما الى الاخر اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم
اقرب لكم نفعا ذكر فيه وجوه احدها ان معناه لا تدرون اى هؤلاء انفع لكم فى الدنيا فتعطونه من الميراث ما يستحق
ولكن الله سبحانه قد فرض الفرائض على ما هو عنده حكمة عن مجاهد وثانيها ان معناه لا تدرون ان نفعكم بتربية اباءكم
اكثر ام نفع ابنائكم بخدمتهم اياكم وانفاقهم عليكم عند كبركم اكثر عن الجبائى ورابعها ان المعنى اطوعكم لله عز وجل من
الاباء والابناء ارفعكم درجة يوم القيمة لان الله تعالى يشفع المؤمنين بعضهم فى بعض فان كان ابنك ارفع درجة فى الجنة
من والدك رفع الله اليه والدك فى درجته لتقر بذلك عينه وان كان الوالد ارفع درجة فى الجنة من ولده رفع الله ولده
الى درجته لتقر بذلك اعينهم عن ابن عباس وخامسها ان المراد لا تدرون اى الوارثين والموروثين اسرع موتا
فيرثه صاحبه فلا تتمنوا موت الموروث ولا تستعجلوا عن ابى مسلم فريضة من الله تعالى اى فرض الله ذلك فريضة
او كما ذكرناه فى الاعراب ان الله كان عليما حكيما اى لم يزل عليما بمصالحكم حكيما فيما حكم به عليكم من الاموال وغيرها
قال الزجاج فى كان هنا ثلاثة اقوال قال سيبويه كان القوم شاهدوا علما وحكمة ومغفرة وتفضيلا فقيل لهم ان الله تعالى
كان كذلك اى لم يزل الله على ما شاهدتم وقال الحسن كان عليما بالاشياء قبل خلقها حكيما فيما يقدر تدبيره منها وقال
بعضهم الخبر عن الله سبحانه فى هذه الاشياء بالمضى كالخبر بالاستقبال والحال لان الاشياء عند الله فى حال واحدة
ما مضى وما يكون وما هو كائن قوله تعالى ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع
مما تركن من بعد وصية يوصين بها او دين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم
من بعد وصية توصون بها او دين وان كان رجل يورث كلالة او امرأة وله اخ او اخت فلكل واحد منهما السدس
فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار وصية من الله والله عليم
حليم آية القراءة روى فى الشواذ قراءة الحسن يورث كلالة بكسر الراء وقراءة عيسى بن عمر الثقفى يورث
وقرأ الحسن ايضا غير مضار وصية الحجة كلاهما منقول من ورث فهذا من ورث وفى كلتى القراءتين المفعولان محذوفان
فكأنه قال يورث وارثه ماله وقد جاء حذف المفعولين جميعا قال الكميت باى كتاب ام باية سنة ترى حبهم
عارا على وتحسب فلم يقل تحسب انه وقوله غير مضار وصية فيعود غير مضار من جهة الوصية او عند الوصية كقول
طرفة بضة المتجرد اى بضة عند تجردها وهذا كما يقال شجاع حرب وكريم مسئلة اى شجاع عند الحرب وكريم عند
المسئلة اللغة الكلالة الاحاطة ومنه الاكليل لاحاطته بالرأس ومنه الكل لاحاطته بالعدد والكلالة تحيط
باصل النسب الذى هو الولد والوالد وقال ابو مسلم اصلها من كل اى اعيا فكان الكلالة تناول الميراث من بعد على
كلال واعياء وقال الحسين بن على المغربى اصلها عندى ما تركه الانسان وراء ظهره ماخوذ من الكل وهو الظهر
قول العرب ولانى فلان على وزن الطلة اى ولانى ظهره قال والعرب تجعل الاسم عن جملة النسب والوراثة
قال عامر بن الطفيل وانى وان كنت ابن فارس عامر وفى السر منها والصريح المهذب فما سودتنى عامر عن كلالة
ابى الله ان اسمو بام ولا اب ويمتنعون وراثة وقال زياد بن زيد العذرى ولم ارث المجد التليد كلالة

ولم يأن

ولم يأن فترة لمغتيب ونفيل ويقال رجل كلالة وقوم كلالة وامرأة كلالة لا يثنى ولا يجمع لانه مصدر الاعراب
ينتصب كلالة على انه مصدر وقع موضع الحال والتقدير يورث متكللا ويجوز ان يكون كان التامة ويورث صفة رجل وتقديره ان رجل
رجلا موروثا متكلل النسب والعامل فى الحال يورث وذو الحال الضمير فى يورث ويجوز ان ينتصب كلالة
على انه خبر كان على ان تكون كان ناقصة قال الزجاج من قرأ يورث بكسر الراء فكلالة مفعول ومن قرأ يورث
بفتح الراء فكلالة منصوب على الحال وغير مضار منصوب على الحال ايضا ووصية نصب على المصدر اى يوصيكم
الله وصية المعنى ثم خاطب الله سبحانه الازواج فقال ولكم يا ايها الازواج نصف ما ترك ازواجكم اى زوجاتكم
ان لم يكن لهن ولد لا ذكر ولا انثى ولا ولد ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن اى من ميراثهن من بعد وصية يوصين
بها او دين قدم تفسيره ولهن اى ولزوجاتكم الربع مما تركتم من الميراث ان لم يكن لكم ولد واحدة كانت الزوجة
او ثنتين او ثلاثا او اربعا لم يكن لهن اكثر من ذلك فان كان لكم ولد ذكرا او انثى او ولد ولد فلهن الثمن مما تركتم
من الميراث واحدة كانت الزوجة او اكثر من ذلك من بعد وصية توصون بها ايها الازواج او دين وقد تقدم تفسيره
مضى بيان ميراث الازواج ثم ذكر ميراث ولد الام فقال وان كان رجل يورث كلالة واختلف فى معنى الكلالة
فقال جماعة من الصحابة والتابعين منهم ابو بكر وعمر وابن عباس فى احدى الروايتين عنه وقتادة والزهرى
وابن زيد هو من عدا الوالد والولد وفى الرواية الاخرى عن ابن عباس انه من عدا الولد وقال الضحاك والسدى
انه اسم الميت الذى يورث عنه والمروى عن ائمتنا عليهم السلام ان الكلالة الاخوة والاخوات والمذكور فى الاية من كان
من قبل الام منهم والمذكور فى اخر السورة من كان منهم من قبل الاب والام او من قبل الاب وان كان رجل معناه وان كان رجل كلالة
يورث ماله او امرأة كلالة تورث مالها على قول من قال ان الميت نفسه يسمى كلالة ومن قال الكلالة من قبل الاب وامرأة عطف
على قوله وان كان رجل معناه وان كان رجل كلالة يورث ماله او امرأة كلالة تورث مالها على قول من قال ان
الميت يسمى نفسه كلالة ومن قال الكلالة الحى الوارث فتقديره فان كان رجل يورث فى حال تكلل نسبه او امرأة
تورث كذلك وهو قول ابن عمر واهل الكوفة ويؤيده ما روى عن جابر انه قال اتانى رسول الله صلى الله عليه وآله
وانا مريض فقلت وكيف الميراث وانما يرثنى كلالة فنزلت اية الفرائض فالكلالة الذين احاطوا بالميت من حوله
من الاخوة والاخوات والولد والوالد ليسا بكلالة لانهما اصل النسب الذى ينتهى الى الميت ومن سواهما خارج
عنهما وانما يشتمل عليهما بالانتساب من غير جهة الولادة فعلى هذا تكون الكلالة كالاكليل المشتمل على الرأس المحيط
به وليس من اصله فان الوالد والولد طرفان للرجل فاما اذا مات الرجل ولم يخلفهما فقد مات عن ذهاب طرفيه
فسمى ذهاب طرفيه كلالة وقوله وله اخ او اخت يعنى الاخ والاخت من الام فلكل واحد منهما السدس فان كانوا
اكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث جعل الانثى والذكر هنا سواء ولا خلاف بين الامة ان الاخوة والاخوات
من قبل الام متساوون فى الميراث من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار منع الله سبحانه من الضرار فى
الوصية اى غير موص وصية تضر بالورثة وقيل اراد غير مضار فى الميراث كره سبحانه الضرار فى الحياة وبعد الممات
عن قتادة وتقدير الايصاء يضر بعض الورثة بعضا وقيل هو ان يوصى بدين ليس عليه يريد بذلك ضرر الورثة فالضرار
فى الوصية راجع الى الميراث وهو ان يضر فى وصيته بماله او بعضه لاجنبى او يقر بدين لا حقيقة له دفعا للميراث
عن وارثه او يقر باستيفاء دين له فى مرضه او يبيع ماله فى مرضه ويستوفى ثمنه لئلا يصل الى الوارث وجاء فى
الحديث ان الضرار فى الوصية من الكبائر والله عليم بمصالح عباده حليم بما اوجب الحكمة فى قسمة الميراث
والوصايا وقيل حليم لا يعاجل العصاة بالعقوبة ومن عليهم بالانظار والامهال وفى هاتين الايتين دلالة
على تقديم سهام اصحاب الفرائض المواريث ونحن نذكر من ذلك جملة موجزة منقولة عن اهل البيت عليهم السلام

دون غيرهم فان الاختلاف في مسائل المواريث بيننا وبين الفقهاء كثير يطول بذكره الكتاب ونذكر جملة في هذا الباب
اعلم ان الارث يستحق بامرين نسب وسبب فالسبب الزوجية والولاء فالميراث بالزوجية يثبت مع كل نسب
والميراث بالولاء لا يثبت الا مع فقد كل نسب واما النسب فعلى ضربين احدهما ابوا الميت ومن يتقرب بهما والاخر
ولده وولد ولده وان سفلوا والمانع من الارث بعد وجود سبب وجوبه ثلثة الكفر والرق وقتل الوارث من كان يرثه
لولا القتل ولا يمنع الابوين والزوج والزوجة من اصل الارث مانع ثم هم على ثلثة اضرب الاول لا يمنعهم من
يتقرب بهم ومن يجري مجراهم من الاخوة والاخوات من اصل الارث ويمنع من يتقرب بالابوين ويمنع الابوين عما زاد على السدس
الا على سبيل الفرض مع البنت او البنات والابوان يمنعان من يتقرب بهما او باحدهما ولا يمنعان معهما الا عن ذلك والزوج والزوجة
لا حظ لهما في المنع وولد الولد وان سفلوا يقومون مقام آبائهم الادنى فالادنى في الارث والمنع ويترتبون الاقرب فالاقرب عند عدم
ولد الاخوة والاخوات وان سفلوا عند فقد الاخوة والاخوات مع الاجداد والجدات ثم ان الميراث بالنسب يستحق على
وجهين بالفرض والقرابة فالفرض ما سماه الله تعالى ولا يجتمع في ذلك الا من كانت قرابتهم متساوية الى الميت مثل البنت او
البنات مع الابوين او احدهما لان كل واحد منهم يتقرب الى الميت بنفسه فمتى انفرد احدهم بالميراث اخذ المال كله بعضه
بالفرض والباقي بالقرابة وعند الاجتماع يأخذ كل واحد منهم ما سمي له والباقي يرد عليهم على قدر سهامهم فان نقصت
التركة عن سهامهم لمزاحمة الزوج او الزوجة لهم كان النقص داخلا على البنت او البنات دون الابوين او احدهما ودون الزوج
او الزوجة ومتى اجتمع الكلالتان معا لتساوي قرابتهما واذا فضلت التركة عن سهامهم يرد الفاضل على كلالة الاب
والام او الاب دون كلالة الام والزوج والزوجة لا يدخل عليهم النقصان على حال هذا اذا اجتمع كلالة الاب مع
كلالة الام كان لكلالة الام للواحد السدس وللاثنين فصاعدا الثلث لا ينقصون منه والباقي لكلالة الاب
ولا يرث كلالة الاب مع كلالة الاب والام ذكورا كانوا او اناثا فاما من يرث بالقرابة دون الفرض فالولد للصلب
ثم ولد الولد يقوم مقام الولد ويأخذ نصيب من يتقرب به ذكرا كان او انثى فالمنفرد منهم يأخذ المال كله
ثم الاب يأخذ جميع المال اذا انفرد ثم من يتقرب به اما ولده او ولد ولده ومن يتقرب بهما من عم او عمة فالجد للاب مع الاخ
الذي هو ولده في درجة وكذلك الجدة مع الاخت فهم يقتسمون المال للذكر مثل حظ الانثيين ومن له سببان يمنع من له
سبب واحد وولد الاخوة والاخوات يقومون مقام آبائهم وامهاتهم في مقاسمة الجد والجدة كما يقوم ولد الولد مقام الولد للصلب
مع الاب وكذلك الجد والجدة وان علوا يقاسمان الاخوة والاخوات واولادهم وان نزلوا على حد واحد واما من يرث
بالقرابة ممن يتقرب بالام فهو الجد والجدة من قبلها او من يتقرب بهما من الخال والخالة والاخوة والاخوات لام واولادهم ويرثون بالفرض
دون القرابة والجد والجدة من قبلها يقاسمان الاخوة والاخوات من قبلها ومتى اجتمع قرابة الاب مع قرابة الام مع استوائهم
في الدرج كان لقرابة الام الثلث بالسوية والباقي لقرابة الاب للذكر مثل حظ الانثيين ومتى بعدت احدى القرابتين بدرجة
سقطت مع التي هي اقرب سواء كان الاقرب من قبل الاب او من قبل الام الا في مسئلة واحدة وهي ابن عم لاب وام مع عم لاب
فان المال لابن العم هذه اصول مسائل الفرائض ولتفريعها شرح طويل دونه المشايخ في كتب الفقه قوله تعالى
تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله
ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين • القراءة قرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون
والباقون بالياء حجة من قرأ بالياء ان ذكر الله قد تقدم فحمل الكلام على الغيبة ومن قرأ بالنون عدل عن لفظ الغيبة
الى الاخبار عن الله سبحانه بنون الكبرياء ويقوي ذلك قوله آباؤكم وابناؤكم ثم قال • اللغة الحد الحاجز بين الشيئين
واصله المنع والفصل وحدود الدار فصلها من غيرها والفوز الفلاح والنجاح نظائر • الاعراب خالدين
فيها نصب على الحال والعامل فيه يدخلهم مقدرين الخلود فيها والحال يستقبل بها كقولهم مررت برجل معه

والولاء

بانتصابا

انتصابا به غدا اي مقدرا الصيد به غدا وقوله خالدا فيها منصوب على احد وجهين احدهما الحال من الهاء
في يدخله نارا والاخر ان يكون صفة لقوله نارا كما تقول زيد مررت بدار ساكن فيها
فيكون على حذف الضمير من ساكن هو فيها لان اسم الفاعل اذا جرى على غير من هو له لم يتضمن الضمير كما يتضمن
الفعل ولو قلت يسكن فيها لم يجب ابرازه فتقول زيد مررت بدار ساكن هو فيها • المعنى لما فرض الله سبحانه فرائض المواريث
عقبها بذكر الوعد في الائتمار بها والوعيد على التعدي بحدوده فقال تلك حدود الله اي هذه التي تبينت في
امر الفرائض وامر اليتامى حدود الله اي الامكنة التي لا ينبغي ان يتجاوز عنها المكلف واختلف في معنى الحد على اقوال
احدها تلك شروط الله عن السدي وثانيها تلك طاعة الله عن ابن عباس وثالثها تلك تفصيلات الله لفرائضه
وهذا الاقوى فيكون المراد بهذه القسمة التي قسمها الله لكم والفرائض التي فرضها لاحيائكم من امواتكم
فصول بين طاعة الله ومعصيته فان معنى حدود الله حدود طاعة الله وانما اختصر لوضوح معناه
ومن يطع الله ورسوله فيما امره من الاحكام وقيل فيما فرض الله من فرائض المواريث يدخله جنات تجري
من تحتها اي من تحت اشجارها وابنيتها الانهار اي من ماء الانهار فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
في الموضعين خالدين فيها اي دائمين فيها وذلك الفوز العظيم اي الفلاح العظيم ووصفه بالعظيم
ولم يبق بالاضافة الى منافع الدنيا لانه عظيم بالاضافة الى منفعة الجنة من حيث كان المراد
حقيرا بالاضافة الى الامور الاخرة وانما خص الله سبحانه الطاعة في قسمة الميراث بالوعد مع انه واجب في
كل طاعة اذا فعلت لوجهها او لوجه وجوبها لبيان سبحانه عظم موقع هذه الطاعة بالترغيب فيها
والترهيب عن تجاوزها وتعديها ومن يعص الله ورسوله فيما بين من الفرائض وغيرها ويتعد حدوده
اي يتجاوز ما حد له من الطاعات يدخله نارا خالدا فيها اي دائما فيها وله عذاب مهين سماه مهينا لانه
يفعله على وجه الاهانة كما انه يثيب المؤمن على وجه الكرامة ومن استدل بهذه الآية على ان صاحب الكبيرة
من اهل الصلوة مخلد في النار ومعاقب لا محالة فقوله بعيد لان قوله تعالى ويتعد حدوده يدل على ان المراد به
من تعدى جميع حدود الله وهذه صفة الكفار ولان صاحب الصغيرة بلا خلاف خارج من عموم الآية
وان كان فاعلا للمعصية ومتعديا حدا من حدود الله واذا جاز اخراجه منه بدليل جاز لغيره
ان يخرج من عمومها من يشفع له النبي صلى الله عليه وآله او يتفضل الله تعالى عليه بالعفو بدليل آخر وايضا فان التائب
لابد له من اخراجه من عموم الآية لقيام الدليل على وجوب قبول التوبة فكذلك يجب اخراج من يتفضل الله تعالى
باسقاط عقابه منها لقيام الدلالة على جواز وقوع التفضل بالعفو فان جعلوا الآية دلالة على ان الله سبحانه
لا يختار العفو جاز لغيرهم ان يجعلها دلالة على ان المعاصي لا يختار التوبة على ان في المفسرين من حمل
الآية على من تعدى حدود الله وعصاه مستحلا لذلك ومن كان كذلك لا يكون الا كافرا قوله تعالى
واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن في البيوت
حتى يتوفاهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فان تابا واصلحا فاعرضوا
عنهما ان الله كان توابا رحيما • القراءة قرأ ابن كثير واللذان يأتيانها بتشديد النون وكذلك
هذان وفذانك وهاتين وقرأ الباقون بتخفيف ذلك كله الا ابا عمرو فانه شدد فذانك وحدها
الحجة قال ابو علي القول في تشديد نون التثنية انه عوض من الحذف الذي لحق الكلمة الا ترى ان الذي
قد حذف لامها وقد حذف الياء من اللذان في التثنية واتفق اللذان وهذان في التعويض كما اتفقا
في فتح الاوائل منهما في التحقير مع ضمها في غيرها وذلك قولك اللذيا واللتيا وذيا وتيا • اللغة

٣١٦

٤٢٧

اللاتي جمع التي وكذلك اللواتي قال ابن اللواتي واللي واللائي زعمن أني كبرت لداتي وغيرهن فلسن من اللاتي
ويقال اللائي قال من اللائي لم يحججن يبغين حسبة ولكن ليقتلن البريء المغفلا المعنى لما بين الله سبحانه حكم الرجال
والنساء في باب الميراث والنكاح بين حكم الحدود فيهن اذا ارتكبن الحرام فقال واللاتي يأتين الفاحشة اي يفعلن الزنا
من نسائكم الحرائر فالمعنى اللاتي يزنين فاستشهدوا عليهن اربعة منكم اي من المسلمين يخاطب الحكام والائمة ويأمرهم
بطلب اربعة من الشهود في ذلك عند عدم الاقرار وقيل هو خطاب للازواج في نسائهم اي فاشهدوا عليهن اربعة منكم
وقال ابو مسلم المراد بالفاحشة في الآية ان تخلو المرأة بالمرأة في الفاحشة المذكورة عنهن وهذا القول مخالف
للاجماع ولما عليه المفسرون فانهم اجمعوا على ان المراد بالفاحشة هنا الزنا فان شهدوا عليهن بالزنا فامسكوهن اي فاحبسوهن
في البيوت حتى يتوفاهن الموت اي يدركهن الموت فيمتن في البيوت وكان في مبتدأ الاسلام اذا فجرت المرأة وقام عليها اربعة
شهود حبست في البيت ابدا حتى تموت ثم نسخ ذلك بالرجم في المحصنين والجلد في البكرين او يجعل الله لهن سبيلا قالوا
لما انزل الله قوله الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة قال النبي صلى الله عليه وآله خذوا عني خذوا عني
قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة والرجم وقال اصحابنا ان من
وجب عليه الرجم يجلد اولا ثم يرجم وبه قال الحسن وقتادة وجماعة من الفقهاء وقال اكثر اصحابنا ان ذلك مخصوص بالشيخ

[illegible]

٤٢٨

[illegible]

٤٢٨

[illegible]

٤٢٩

[illegible]

الكفار وقد بين الكفار بقوله ولا الذين يموتون وهم كفار ومعناه وليست التوبة ايضا للذين يموتون على الكفر
ثم يندمون بعد الموت او لحال المعاينة اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما موجعا وانما لم يقبل الله عز اسمه التوبة في حال اليأس
من الحياة لانه يكون العبد هناك ملجأ الى فعل الحسنات وترك القبائح فيكون خارجا عن حد التكليف اذ لا
يستحق على فعله المدح ولا الذم واذا زال عنه التكليف لم تصح منه التوبة ولهذا لم يكن اهل الآخرة مكلفين ولا
تقبل توبتهم ومن استدل بظاهر قوله سبحانه اعتدنا لهم عذابا اليما على وجوب العقاب لمن مات من مرتكبي الكبائر
من المؤمنين قبل التوبة فلا يصح استدلاله لان قوله اعتدنا لهم العذاب انما هو خلق النار التي هي مصير
فالظاهر يقتضي استحقاقهم لدخولها وليس في الآية ان الله تعالى يفعل بهم ما يستحقونه لا محالة ويحتمل ايضا ان يكون اولئك
اشارة الى الذين يموتون وهم كفار لانه اقرب اليه من قوله للذين يعملون السيئات ويحتمل ايضا ان يكون المعنى اعتدنا
العذاب لهم ان عاملناهم بالعدل لعدم تفضل العفو عنهم وتكون الفائدة فيه اعلامهم بما يستحقونه من العقاب واذا جوزوا
من الله ان يفعل بهم ذلك فان قوله سبحانه ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء لا يتناول المشية فيه الا المؤمنين
من اهل الكبائر الذين يموتون قبل التوبة لان المؤمن المطيع خارج عن هذه الجملة وكذلك التائب لانه لا خلاف
في ان الله تعالى لا يعذب اهل الطاعة من المؤمنين ولا التائبين من المعصية والكافر ايضا خارج عن المشية
لاخبار الله عز وجل بانه لا يغفر الكفر فلم يبق تحت المشية الا من مات مؤمنا موحدا وقد ارتكب الكبائر ثم
وقال الجبائي ان الآية منسوخة بقوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء لانه حكم من الله تعالى والنسخ جائز في الاحكام
كما جاز في الاوامر والنواهي وانما يمتنع النسخ في الاخبار بان يقول كان كذا وكذا ثم يقول لم يكن او يقول في المستقبل
لا يكون كذا ثم يقول يكون وهذا لا يصح لان قوله اعتدنا لهم خبر ومورد الخبر لا يجوز النسخ فيه كما لا يجوز في سائر الاخبار
قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن
الا ان يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه
خيرا كثيرا • القراءة قرأ حمزة والكسائي كرها بضم الكاف هنا وفي التوبة والاحقاف
وافقهما عاصم وابن عامر ويعقوب في الاحقاف وقرأ الباقون بفتح الكاف في جميع ذلك وقرأ بفاحشة مبينة
بفتح الياء ابن كثير وابو بكر عن عاصم والباقون بكسر الياء وروي في الشواذ عن ابن عباس مبينة بكسر الياء خفيفة
الحجة الكره والكره لغتان مثل الضعف والضعف والعقر والعقر والدف والدف وقال سيبويه بين
الشيء وبينته وابان الشيء وابنته واستبان الشيء واستبنته وبين وتبينه من بينات الكتاب
لكل معطي راسه بالجمح طمحت متعيس مثال الجمل بين عنقه في منكب بين المطي عريض
الى ربه يثبتهم دعا اللب حتى بدا لهم بيضا الخاتم واصلها من كلامهم قد بين الصبح لذي عينين
اللغة العضل التضييق بالمنع من التزويج واصله الامتناع يقال عضلت الدجاجة ببيضها اذا عسرت عليها
وعضل الفضاء بالجيش الكثير اذا لم يمكن سلوكه لضيقه ومنه الداء العضال الذي لا يبرأ والفاحشة الشنيعة
كالفاحشة والعاقبة قال ابو عبيدة الفاحشة الشناعة والفحش القبيح والمعاشرة المصاحبة وهو من العشرة الاعراب
ان ترثوا النساء في موضع رفع بانه فاعل يحل وكرها مصدر وضع موضع الحال من النساء والعامل فيها ترثوا
ولا تعضلوهن يجوز ان يكون نصبا بكونه معطوفا على ترثوا وتقديره لا يحل لكم ان ترثوا ولا ان تعضلوا ويجوز ان
يكون مجزوما على النهي النزول قيل ان ابا قيس بن الاسلت لما مات عن زوجته كبيشة بنت معن القى ابنه
محصن بن ابي قيس ثوبه عليها فورث نكاحها ثم تركها فلم يقربها ولم ينفق عليها فجاءت الى النبي صلعم فقالت يا نبي
الله لا انا ورثت زوجي ولا انا تركت فانكح فنزلت هذه الآية عن مقاتل وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلام وقيل

كان

كان اهل الجاهلية اذا مات الرجل جاء ابنه من غيرها او وليه فورث امرأته كما يورث ماله والقى عليها ثوبا فان
شاء تزوجها بالصداق الاول وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها ثم نهوا عن ذلك عن الحسن ومجاهد وروي
ذلك ابو الجارود عن ابي جعفر وقيل نزلت في الرجل يكون تحته المرأة يكره صحبتها ولها عليه مهر فيطول عليها
ويضارها لتفتدي بالمهر فنهوا عن ذلك عن ابن عباس وقيل نزلت في الرجل يحبس المرأة عنده لا حاجة له
اليها وينتظر موتها حتى يرثها عن الزهري وروي ذلك عن ابي جعفر المعنى لما نهى الله سبحانه فيما تقدم
عن عادات اهل الجاهلية في امر اليتامى والاموال عقبه بالنهي عن الاستنان بسنتهم في النساء فقال
يا ايها الذين امنوا اي ايها المؤمنون لا يحل لكم اي لا يسعكم في دينكم ان ترثوا النساء اي نكاح النساء
كرها اي على كره منهن وقيل ليس لكم ان تحبسوهن على كره منهن طمعا في ميراثهن وقيل ليس لكم ان تسيئوا
صحبتهن ليفتدين بما لهن او بما سقتم اليهن من مهورهن او ليمتن فترثوهن ولا تعضلوهن اي ولا تحبسوهن
وقيل لا تمنعوهن عن النكاح لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن واختلف في المعني بهذا النهي على اقوال احدها
انه الزوج امره الله بتخلية سبيلها اذا لم يكن له فيها حاجة وان لا يمسكها اضرارا بها حتى تفتدي ببعض مالها
عن ابن عباس وقتادة والسدي والضحاك وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلام وثانيها انه الوارث نهي عن منع
المرأة من التزويج كما كان يفعله اهل الجاهلية على ما بيناه عن الحسن وثالثها انه المطلق اي لا يمنع المطلقة من
التزويج كما كانت تفعله قريش في الجاهلية ينكح الرجل منهم المرأة الشريفة فاذا لم توافقه فارقها على ان لا
تتزوج الا باذنه ويشهد عليها ويكتب كتابا فاذا خطبها خاطب فان ارضته اذن لها وان لم تعطه
شيئا عضلها فنهى الله عن ذلك عن ابن زيد ورابعها انه الولي خوطب بان لا يمنعها عن النكاح عن مجاهد والقول
الاول اصح واظهر الا ان يأتين بفاحشة مبينة اي ظاهرة وقيل فيه قولان احدهما يعني الا ان يزنين
عن الحسن وابي قلابة والسدي وقالوا اذا اطلع منها على زنية فله اخذ الفدية والآخر ان الفاحشة النشوز
عن ابن عباس والاولى حمل الآية على كل معصية وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلام واختاره الطبري واختلف
في هذا الاستثناء وهو قوله الا ان يأتين من ماذا هو فقيل هو من اخذ المال وهو قول اهل التفسير وقيل انه
من قبل الحد وقد كان الاخذ منهن على وجه العقوبة لهن ثم نسخ عن الاصم وقيل هو الحبس والامساك على ما
تقدم في قوله فامسكوهن في البيوت عن ابي علي الجبائي وابي مسلم الا ان ابا علي قال هو منسوخ وابى ابو مسلم
النسخ وعاشروهن بالمعروف اي خالطوهن من العشرة التي هي المصاحبة بما امركم الله به من اداء حقوقهن
التي هي النصفة في القسم والنفقة والاجمال في القول والفعل وقيل المعروف ان لا يضربها ولا يسيء
القول فيها ويكون منبسط الوجه معها وقيل هو ان يصنع لها كما تصنع له فان كرهتموهن اي كرهتم صحبتهن
وامساكهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه اي في ذلك الشيء وهو امساكهن على كره منكم خيرا كثيرا من ولد
يرزقكم او عطف لكم عليهن بعد الكراهة وبه قال ابن عباس ومجاهد وعلى هذا فيكون المعنى فان كرهتموهن
فلا تعجلوا بطلاقهن لعل الله يجعل فيهن خيرا كثيرا وفي هذا حث للازواج على حسن الصبر فيما يكرهون من الازواج
وترغيبهم في امساكهن مع كراهة صحبتهن اذا لم يجاوزوا في ذلك ضررا على النفس او الدين او المال ويحتمل ان يكون
الهاء عائدا الى الذي تكرهونه اي عسى ان يجعل الله فيما تكرهونه خيرا كثيرا والمعنى مثل الاول وقيل المعنى
ويجعل الله في فراقكم لهن خيرا كثيرا عن الاصم قال وهذا نظير وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته قال القاضي
وهذا بعيد لان الله سبحانه حث على الاستمرار على الصحبة فكيف يحث على المفارقة قوله تعالى وان اردتم
استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا اتأخذونه بهتانا واثما

بهن وان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف
ان الله كان غفورا رحيما • اللغة الربائب جمع ربيبة وهي بنت زوجة الرجل من غيره سميت به
لانه يربيها وهي في معنى مربوبة نحو قتيلة في موضع مقتولة ويجوز ان تسمى ربيبة سواء تولى تربيتها ام لم يتول
وسواء كانت في حجره او لم تكن لانه اذا تزوج بامها سمي هو ربيبها والعرب تسمي الفاعلين والمفعولين بما يقع بهم
ويوقعونه يقولون هذا مقتول وان لم يقتل بعد وهذا ذبيح وان لم يذبح بعد اذا كان يراد ذبحه او قتله وكذلك
يقولون هذه اضحية لما اعد للتضحية وهذه حلوبة اي هي مما تحلب وركوب وعلى هذا يقال لزوج المرأة ربيب
امرأته يعني به رابها كما يقال شهيد بمعنى شاهد وخبير بمعنى خابر والحلائل جمع الحليلة وهي بمعنى المحلة مشتقة من الحلال
وذكرها حليل وجمعه احلة كعزيز واعزة سميا بذلك لان كل واحد منهما يحل له مباشرة صاحبه وقيل هو من الحلول
لان كل واحد منهما يحال صاحبه اي يحل معه في الفراش المعنى ثم بين سبحانه المحرمات من النساء فقال حرمت
عليكم امهاتكم اي نكاح امهاتكم لان التحريم لا يتعلق بالاعيان وانما يتعلق بافعال المكلف ثم يختلف باختلاف ما اضيف اليه
فاذا اضيف الى مأكول نحو قوله حرمت عليكم الميتة والدم فالمراد الاكل واذا اضيف الى النساء فالمراد العقد فتقديره
حرمت عليكم نكاح امهاتكم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه لدلالة مفهوم الكلام عليه وكل امرأة رجع نسبك
اليها بالولادة من جهة ابيك او من جهة امك باناث رجعت اليها او بذكور فهي امك وبناتكم اي ونكاح بناتكم
وكل امرأة رجع نسبها اليك بالولادة بدرجة او بدرجات باناث رجع نسبها اليك او بذكور فهي بنتك واخواتكم
هي جمع الاخت وكل انثى ولدها شخص ولدك في الدرجة الاولى فهي اختك وعماتكم هي جمع العمة وكل ذكر
رجع نسبك اليه فاخته عمتك وقد تكون العمة من جهة الام مثل اخت ابي امك واخت جد امك فصاعدا و
خالاتكم جمع الخالة وكل انثى رجع نسبك اليها بالولادة فاختها خالتك وقد تكون الخالة من جهة الاب مثل اخت
ام ابيك واخت جدة ابيك فصاعدا واذا خاطب سبحانه المكلفين بلفظ الجمع بقوله حرمت عليكم ثم اضاف المحرمات
اليهم بلفظ الجمع فالاحاد يقع بازاء الاحاد فكانه سبحانه قال حرم على كل واحد منكم نكاح امه ومن يقع عليها اسم الام
ونكاح بنته ومن يقع عليها اسم البنت وكذلك الجميع وبنات الاخ وبنات الاخت فهذا ايضا على ما ذكرناه جمع بازاء
جمع فيقع الاحاد بازاء الاحاد والتحديد في هؤلاء كالتحديد في بنات الصلب فهؤلاء السبع هن المحرمات بالنسب وقد
صح عن ابن عباس انه قال حرم الله سبحانه من النساء سبعا بالنسب وسبعا بالسبب وتلا الاية ثم قال والسابعة ولا تنكحوا ما
نكح اباؤكم من النساء ثم ذكر سبحانه المحرمات بالسبب فقال وامهاتكم اللاتي ارضعنكم سماهن امهات للحرمة وكل انثى انتسبت اليها
باللبن فهي امك فالتي ارضعتك او ارضعت امرأة ارضعتك او رجلا ارضعت بلبانه من زوجته او ام ولد فهي
امك من الرضاعة وكذلك كل امرأة ولدت امرأة ارضعتك او رجلا ارضعك فهي امك من الرضاعة واخواتكم من
الرضاعة يعني بنات المرضعة وهن ثلث الصغيرة الاجنبية التي ارضعتها امك بلبان ابيك سواء ارضعتها
معك او مع قبلك او بعدك والثانية اختك لامك دون ابيك وهي التي ارضعتها امك بلبان رجل غير ابيك
والثالثة اختك لابيك دون امك وهي التي ارضعتها زوجة ابيك بلبن ابيك وام الرضاعة واخت الرضاعة لولا
الرضاعة لم تحرما فالرضاع سبب تحريمهما وكل من تحرم من النسب من اللاتي مضى ذكرهن تحرم امثالهن بالرضاع لقول النبي ص
ان الله عز وجل حرم من الرضاعة ما حرم من النسب فثبت بهذا الخبر ان السبع المحرمات بالنسب على التفصيل الذي ذكرناه
محرمات بالرضاع والكلام في الرضاع يشتمل على ثلثة فصول احدها مدة الرضاع وقد اختلف فيها فقال اكثر اهل
العلم لا يحرم الا ما كان في مدة الحولين وهو مذهب اصحابنا وبه قال الشافعي وابو يوسف ومحمد وقال ابو حنيفة مدة
الرضاع حولان ونصف وقال مالك حولان وشهر وقد اتفقوا على ان رضاع الكبير لا يحرم وثانيها قدر الرضاع وقد اختلف

فيه ايضا فقال ابو حنيفة ان قليله وكثيره يحرم وروي ذلك عن ابن عمر وابن عباس وهو مذهب مالك و
الاوزاعي وقال الشافعي انما يحرم خمس رضعات وبه قالت عائشة وسعيد بن جبير وقال اصحابنا لا يحرم
الا ما انبت اللحم وشد العظم وانما يعتبر ذلك برضاع يوم وليلة لا يفصل بينه برضاع امرأة اخرى او بخمس
عشرة رضعة متواليات لا يفصل بينها رضاع امرأة اخرى وقال بعض اصحابنا المحرم عشر رضعات
متواليات وثالثها كيفية الرضاع فعند اصحابنا لا يحرم الا ما وصل الى الجوف من الثدي في المجرى المعتاد
الذي هو الفم فاما ما يوجر او يسعط او يحقن به فلا يحرم بحال ولبن الميتة لا حرمة له في التحريم وفي جميع
ذلك خلاف وقوله وامهات نسائكم اي وحرم عليكم نكاحهن وهذا يقتضي تحريم نكاح امهات الزوجات وجداتهن
قربن او بعدن من اي وجه كن من النسب او من الرضاع وهن يحرمن بنفس العقد على البنت سواء دخل
بالبنت ام لم يدخل لان الله تعالى اطلق التحريم ولم يقيده بالدخول وربائبكم يعني بنات نسائكم من غيركم اللاتي
في حجوركم وهو جمع حجر الانسان والمعنى في ضمانكم وتربيتكم ويقال فلان في حجر فلان اي في تربيته ولا خلاف
بين العلماء ان كونهن في حجوركم ليس بشرط في التحريم وانما ذكر ذلك لان الغالب ان يكون كذلك وهذا يقتضي تحريم بنت
المرأة من غير زوجها على زوجها وتحريم بنت ابنتها وبنت ابنها قربت ام بعدت لوقوع اسم الربيبة عليهن من نسائكم
اللاتي دخلتم بهن وهذه نعت لامهات الربائب لا غير لحصول الاجماع على ان الربيبة تحل اذا لم يدخل بامها قال
المبرد ومن اجاز ان يكون قوله من نسائكم اللاتي دخلتم بهن هو لامهات نسائكم فيكون المعنى وامهات نسائكم من
نسائكم اللاتي دخلتم بهن ويخرج ان يكون اللاتي دخلتم بهن لامهات الربائب قال الزجاج والدليل على صحة
ذلك ان الخبرين اذا اختلفا لم يكن نعتهما واحدا لا يجيز النحويون مررت بنسائك وهربت من نساء زيد
الظريفات على ان تكون الظريفات نعتا لهؤلاء النساء وهؤلاء النساء وروى العياشي في تفسيره باسناده
عن اسحاق بن عمار عن جعفر بن محمد عن ابيه عليهما السلام ان عليا عليه السلام كان يقول الربائب عليكم حرام من الامهات
اللاتي قد دخلتم بهن في الحجور وغير الحجور والامهات مبهمات دخل بالبنات او لم يدخل بهن فحرموا ما حرم
الله وابهموا ما ابهم الله واختلف في معنى الدخول على قولين احدهما ان المراد به الجماع عن ابن عباس والاخر انه الجماع وما
يجري مجراه من المسيس والتجريد عن عطا وهو مذهبنا وفي ذلك خلاف بين الفقهاء فان لم تكونوا دخلتم بهن
يعني بامهات الربائب فلا جناح عليكم اي لا اثم عليكم في نكاح بناتهن اذا طلقتموهن او متن وحلائل ابنائكم الذين من
اصلابكم اي وحرم عليكم نكاح ازواج ابنائكم لصلبكم دون المتبنين فان زوجة المتبنى به فقال الذين من اصلابكم
لئلا يظن ان زوجة المتبنى به تحرم على المتبني وروي عن عطا ان هذه نزلت حين نكح النبي ص امرأة زيد بن
حارثة فقال المشركون في ذلك فنزل وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم ونزل وما جعل ادعياءكم ابناءكم وما كان محمد
ابا احد من رجالكم واما حلائل الابناء من الرضاع فمحرمات ايضا بقوله عليه السلام ان الله عز وجل حرم من الرضاعة ما حرم
من النسب وان تجمعوا بين الاختين اي حرم عليكم الجمع بين الاختين لان ان مع صلتها في حكم المصدر وهذا يقتضي تحريم الجمع
بين الاختين في العقد على الحرائر وتحريم الجمع بينهما في الوطي بملك اليمين فاذا وطي احديهما فقد حرمت عليه الاخرى
حتى تخرج تلك من ملكه وهو قول الحسن واكثر المفسرين والفقهاء الا ما قد سلف استثناء منقطع ومعناه لكن
ما قد سلف لا يؤاخذكم الله به وليس المراد ان ما سلف حال النهي يجوز استدامته بلا خلاف وقيل معناه الا ما كان من
يعقوب عليه السلام فانه جمع بين الاختين ليا ام يهوذا وراحيل ام يوسف عن عطا والسدي ان الله كان غفورا رحيما
لا يؤاخذكم بحكم ما سلف منكم من هذه الانكحة قبل نزول التحريم ولكن ما حرمه الله سبحانه في هذه الاية فانما هو على التأبيد
سواء كن مجتمعات او متفرقات الا الاختين فانهما يحرمان على وجه الجمع لا الافراد ويمكن ان يستدل بهذه الاية على ان
هؤلاء المحرمات من رقاب الانساب لا يصح ان تملك واحدة منهن لان التحريم عام في المحرمات بالنسب والسبب

٣٣٠

على وجه التأبيد يسمون مبهمات لانهن يحرمن من جميع الجهات وهو مأخوذ من البهيم الذي لا يخالط معظم لونه
لونا اخر يقال فرس بهيم لا شية له قوله تعالى والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم كتاب الله عليكم واحل لكم
ما وراء ذلكم ان تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فآتوهن اجورهن فريضة ولا جناح
عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ان الله كان عليما حكيما • القراءة قرأ الكسائي وحده والمحصنات
ومحصنات بكسر الصاد في سائر القرآن الا قوله والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم فانه فتح الصاد فيه وقرأ الباقون
بفتح الصاد في كل القرآن وقرأ اهل الكوفة الا ابا بكر وابو جعفر واحل لكم بالضم وكسر الحاء وقرأ الباقون بفتح الهمزة والحاء
الحجة وجه الاتفاق على فتح العين من قوله والمحصنات في هذه الاية ومعناها اللاتي احصن بالازواج والاحصان يقع على
الحرية يدل عليه قوله والذين يرمون المحصنات الاية يعني الحرائر يدل عليه ان من قذف غير حرة لم يجلد ثمانين ويقع ايضا
على العفة يدل عليه قوله ومريم بنت عمران التي احصنت فرجها وقد فسر قوله ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات
العفائف ويقع على التزويج كما في الاية ويقع على الاسلام كما فسر من قرأ احصن بفتح الهمزة باسلمن واصل الجميع المنع
لان الحرية تمنع عن امتهان الرق والعفة حظر النفس عما حظره الشرع والتزويج في المرأة يحظر خلطتها التي كانت مباحة
قبل ويمنع صيانتها للتزويج والاسلام يحظر الدم والمال اللذين كانا مباحين قبل الاسلام ومن قرأ واحل لكم ما وراء
ذلكم فالبناء للفعل للفاعل اشبه بما قبله لان معنى كتاب الله عليكم كتب الله عليكم كتابا واحل الله لكم ومن قرأ واحل
لكم فالبناء للمفعول يدل على الاول ويفضي الى ما يؤول اليه قوله حرمت عليكم اللغة قال الازهري يقال للرجل اذا تزوج
احصن فهو محصن كقولهم الفج فهو ملفج اذا اعدم وافتقر واسهب فهو مسهب اذا اكثر الكلام وكلام العرب كله على افعل
فهو مفعل قال سيبويه حصنت المرأة حصانة مثل جبنت جبانة فهو جبان وقد قالوا الحصنتا كما قالوا
علقا والحصان الفحل من الافراس واحصن الرجل امرأته واحصنت المرأة فرجها من الفجور والمسافحة والسفاح الزنا
اصله من السفح وهو صب الماء لانه يصب الماء باطلا ومنه سفح الجبل اسفله لانه يصب الماء فيه والمسافحة الملازمة
والمسافح الزاني لانه لا يمتنع من زانية فاذا كانت ترافق واحدا فهي ذات خدن الاعراب كتاب الله نصب على المصدر
من فعل محذوف واصله كتب الله كتابا عليكم ثم اضيف المصدر الى الفاعل لانه تقدم من الكلام ما يدل عليه وهو قوله حرمت عليكم
فانه يدل على ان ما هو مذكور مكتوب عليهم فهو كتاب الله عليكم ثم اضيف المصدر الى الفاعل كما اضيف الى المفعول
في قولهم ضرب زيد ومثل ذلك قوله صنع الله ومثل ذلك قول الشاعر • ما ان يمس الارض الا جانب منه وحرف
الساق طي المحمل الا انما في البيت يدل على السلطان وكان قتيبة طوى طي المحمل قال الزجاج ويجوز ان يكون منصوبا
على جهة الامر ويكون بمعنى الزموا كتاب الله ولا يجوز ان يكون منصوبا بعليكم لان عليكم لا يجوز تقديم منصوبه وقوله ما وراء
ذلكم ما اسم موصول في موضع نصب بانه مفعول على قراءة من قرأ احل لكم بفتح الهمزة ومن قرأ واحل بالضم فمحله رفع
ويجوز ان يكون محل ان تبتغوا نصبا على البدل من ما ان كان منصوب الموضع ورفعا ان كان محله رفعا ويجوز ان يكون على
حذف اللام من لان تبتغوا على ما مر امثاله فيما مضى فيكون مفعولا له محصنين نصب على الحال وكذلك الواو من تبتغوا
غير مسافحين صفة لمحصنين وفريضة نصب على المصدر ويجوز ان يكون مصدرا وضع موضع الحال اي مفروضة
المعنى ثم عطف سبحانه على ما تقدم ذكرهن من المحرمات فقال والمحصنات اي وحرمت عليكم اللاتي احصن من النساء
واختلف في معناه على اقوال احدها ان المراد به ذوات الازواج الا ما ملكت ايمانكم من سبي من كان لها زوج عن علي عليه السلام
وابن مسعود وابن عباس ومكحول والزهري واستدل بعضهم على ذلك بخبر ابي سعيد الخدري ان الاية نزلت
في سبي اوطاس وان المسلمين اصابوا نساء المشركين وكان لهن ازواج في دار الحرب فلما نزلت نادى منادي رسول الله
الا لا توطأ الحبالى حتى يضعن ولا الحيالى حتى يستبرئن بحيضة ومن خالف فيه ضعف هذا الخبر بان سبي اوطاس
كانوا عبدة الاوثان ولم يدخلوا في الاسلام ولا يحل نكاح الوثنية واجيب عنه بان الخبر محمول على ما بعد الاسلام

وثانيها ان المراد به ذوات الازواج الا ما ملكت ايمانكم ممن كان لها زوج فان بيعها طلاقها عن ابي بن كعب
وجابر بن عبد الله وانس وابن المسيب والحسن وقال ابن عباس طلاق الامة يثبت بستة اشياء سبيها
وبيعها وعتقها وهبتها وميراثها وطلاق زوجها وهو الظاهر من روايات اصحابنا وقال عمر بن الخطاب
وعبد الرحمن بن عوف ليس بيع الامة طلاقها بل طلاقها كطلاق الحرة وانما هو في النبي خاصة لان النبي ص
خير بريرة بعدما اشترتها عائشة واعتقتها بالفسخ فاختارت تخييرها وقال الاولون ان بيع بريرة كان علما
ان لو كان طلاقها لم يخيرها النبي صلى الله عليه وآله وثالثها ان المراد بالمحصنات العفائف الا ما ملكت ايمانكم بالنكاح
او بالثمن ملك استمتاع بالمهر والنفقة او ملك استخدام بالثمن عن ابي العالية وسعيد بن جبير وعطا
والسدي كتاب الله عليكم يعني كتب الله تحريم ما حرم وتحليل ما حلل عليكم كتابا والتحقيق وتمسكوا به
وقوله واحل لكم ما وراء ذلكم ان تبتغوا باموالكم قيل في معناه اربعة اقوال احدها احل ما وراء ذلكم دون الخمس من اقاربكم
عن عطا وثانيها ان معناه احل لكم ما دون الخمس وهي الاربع فما دونها ان تبتغوا باموالكم على وجه النكاح عن السدي
وثالثها ما وراء ذلكم مما ملكت ايمانكم عن قتادة ورابعها احل لكم ما وراء ذوات المحارم والزيادة على الاربع ان
تبتغوا باموالكم نكاحا او ملك يمين وهذا الوجه احسن الوجوه ولا تنافي بين هذه الاقوال ومعنى ان تبتغوا ان
تطلبوا او تلتمسوا باموالكم اما شراء بثمن او نكاحا بصداق عن ابن عباس محصنين غير مسافحين اي متزوجين
غير زانين وقيل معناه اعفة غير زناة وقوله فما استمتعتم به منهن فآتوهن اجورهن فريضة قيل المراد بالاستمتاع
هنا درك البغية والمباشرة وقضاء الوطر منهن وقيل المراد به نكاح المتعة وهو النكاح المنعقد بمهر معلوم
الى اجل معلوم عن ابن عباس والسدي وسعيد بن جبير وجماعة من التابعين وهو مذهب اصحابنا الامامية وهو الواضح
لان لفظ الاستمتاع والتمتع وان كان في الاصل واقعا على الانتفاع والالتذاذ فقد صار بعرف الشرع مخصوصا
بهذا العقد المعين لاسيما اذا اضيف الى النساء فعلى هذا يكون معناه فمتى عقدتم عليهن هذا العقد المسمى متعة
فآتوهن اجورهن ويدل على ذلك ان الله سبحانه علق وجوب اعطاء المهر بالاستمتاع وذلك يقتضي ان يكون معناه
هذا العقد المخصوص دون الجماع والاستلذاذ لان المهر لا يجب الا به هذا وقد روي عن جماعة من الصحابة منهم ابي بن كعب
وعبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود انهم قرأوا فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى فآتوهن اجورهن وفي ذلك
تصريح بان المراد به عقد المتعة وقد اورد الثعلبي في تفسيره عن حبيب بن ثابت قال اعطاني ابن عباس مصحفا
فقال هذا على قراءة ابي فرأيت فيه فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى وباسناده عن ابي نضرة قال سألت ابن عباس
عن المتعة فقال اما تقرأ سورة النساء فقلت بلى قال فما تقرأ فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى قلت لا اقرأها
هكذا قال ابن عباس والله هكذا انزلها الله ثلث مرات وباسناده عن سعيد بن جبير انه قرأ فما استمتعتم به منهن الى
اجل مسمى وباسناده عن شعبة عن الحكم بن عتيبة قال سألته عن هذه الاية فما استمتعتم به منهن امنسوخة هي قال لا
قال الحكم قال علي بن ابي طالب عليه السلام لولا ان عمر نهى عن المتعة ما زنى الا شقي وباسناده عن عمران بن الحصين قال
نزلت اية المتعة في كتاب الله عز وجل لم تنزل اية بعدها تنسخها فامرنا بها رسول الله صلعم وتمتعنا مع رسول الله
ومات ولم ينهنا عنها فقال رجل برأيه ما شاء ومما اورده مسلم بن الحجاج في الصحيح حدثنا الحسن الحلواني
قال حدثنا عبد الرزاق قال اخبرنا ابن جريج قال قال عطا قدم جابر بن عبد الله معتمرا فجئناه في منزله
فسأله القوم عن اشياء ثم ذكروا المتعة فقال نعم استمتعنا على عهد رسول الله ص وابي بكر وعمر ومما يدل
ايضا على ان لفظ الاستمتاع في الاية لا يجوز ان يكون المراد به الانتفاع والجماع انه لو كان كذلك لوجب ان لا يلزم
شيء من المهر من لا ينتفع من المرأة بشيء وقد علمنا انه لو طلقها قبل الدخول لزمه نصف المهر ولو كان المراد

٣٣١

بالنكاح الدائم لوجب للمرأة بحكم الآية جميع المهر بنفس العقد في نكاح المتعة ومما يمكن التعلق به في هذه المسألة
الرواية المشهورة عن عمر بن الخطاب أنه قال متعتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله حلالا أنا أنهى عنهما
وأعاقب عليهما فأخبر أن هذه المتعة كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وأضاف النهي إلى نفسه لضرب من الرأي
فلو كان النبي صلى الله عليه وآله نسخها أو نهى عنها أو أباحها في وقت مخصوص دون غيره لأضاف التحريم عنها إليه
دون نفسه وأيضا فإنه قرن بين متعة الحج ومتعة النساء في النهي ولا خلاف أن متعة الحج غير منسوخة ولا محرمة فوجب
أن يكون حكم متعة النساء حكمها وقوله ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة من قال المراد بالاستمتاع الانتفاع والجماع
قال المراد به لا حرج ولا إثم عليكم فيما تراضيتم به من زيادة مهر أو نقصان أو حط أو إبراء بعد أن يكون معلوما ومن حمله
على المتعة قال لا جناح عليكم فيما تراضيتم به من استيناف عقد آخر بعد انقضاء مدة الأجل المضروب في عقد المتعة يزيدها الرجل في الأجر وتزيده
في المدة وهذا قول الإمامية وتظاهرت به الروايات عن أئمتهم عليهم السلام إن الله كان عليما بما يصلح أمر الخلق حكيما
فيما فرض لهم من عقد النكاح الذي تحفظ به الأموال والأنساب قوله تعالى ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح
المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات والله أعلم بإيمانكم بعضكم من بعض فانكحوهن بإذن أهلهن
وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان فإذا أحصن فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما
على المحصنات من العذاب ذلك لمن خشي العنت منكم وأن تصبروا خير لكم والله غفور رحيم • آية القراءة قرأ أهل
الكوفة غير حفص فإذا أحصن مفتوحة الهمزة والباقون أحصن بضم الهمزة وكسر الصاد الحجة اللغة الطول
الغنى وهو مأخوذ من الطول خلاف القصر شبه الغنى به لأنه ينال به معالي الأمور والطول الإفضال يقال للرجل تطول
على الناس تفضل عليهم وكذلك لا أستطيع الطول على بلوغ كذا أي لا أستطيع التوصل إليه في الطول الذي هو الطاق
طايل أي نفع له أو فضل وطال الطول وطيلك أي طالت مدتك قال الشاعر أمحوك ما سلم إليها الكلال
وإن بليت وإن طالت بك الطيل والطول الحبل قال طرفة لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى لكالطول المرخى وثنياه
باليد والفتى الشاب والفتاة الشابة والفتاة الأمة وإن كانت عجوزا إلا أنها كالصغيرة في أنها لا توقر توقير الحرة
والفتوة حالة الحداثة ومنه الفتيا فقول أفتى الفقيه بمعنى أنه في مسألة قد فتيت والحداثة الطريق ويجمع أحدان
نحو ترب وأتراب ويستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع الخليل بعضا أو المستتر والصديق كأنه عنت
صعبة المرتقى والعنت الهلاك هاهنا المعنى ثم بين سبحانه نكاح الإماء فقال ومن لم يستطع منكم طولا أي من لم
يجد منكم غنى عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة والسدي وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام أن ينكح أي يتزوج المحصنات
المؤمنات أي الحرائر المسلمات يعني من لم يقدر على مهر مما يصلح لنكاح الحرائر من المهر والنفقة فمما ملكت أيمانكم أي
فلينكح مما ملكت أيمانكم من فتياتكم أي إمائكم المؤمنات فإن مهور الإماء أقل ومؤنتهن أخف في العادة والمراد بالإماء الغير
لأنه لا يجوز أن يتزوج الرجل أمة نفسه بالإجماع وقيل أن المعنى من هوي الأمة فله أن يتزوجها وإن كانت ذا يسار
عن جابر وعطاء وإبراهيم وربيعة والقول الأول هو الصحيح وعليه أكثر الفقهاء وفي الآية دلالة على أنه لا يجوز نكاح الأمة
الكتابية لأنه تعالى قيد جواز العقد عليهن بالإيمان بقوله من فتياتكم المؤمنات وهو مذهب مالك والشافعي والله أعلم
بإيمانكم بعضكم أراد عز اسمه بهذا بيان أنه لم يخف علينا الإيمان أحد بالظاهر في هذا الحكم إذ لا سبيل لنا إلى الوقوف على
حقيقة الإيمان والله سبحانه هو المتفرد بعلم ذلك لا يطلع عليه أحد غيره فإنه العالم بالسرائر المطلع على الضمائر بعضكم من بعض
فيه قولان أحدهما أن المراد به كلكم ولد آدم فلا تستنكفوا من نكاح الإماء فإنهن من جنسكم كالحرائر والآخر أنه
كلكم على الإيمان ودينكم واحد فلا ينبغي أن يعير بعضكم بعضا بالهجنة فنهى الله سبحانه عن عادة أهل الجاهلية في الطعن بالنسب
بالإماء فانكحوهن يعني فتياتكم المؤمنات أي تزوجوهن بإذن أهلهن أي بأمر سادتهن وموالي هن وفي هذه الآية دلالة

على أنه لا يجوز نكاح الأمة بغير إذن مالكها وآتوهن أجورهن أي أعطوا مالكهن مهورهن بالمعروف أي بما لا نكر في
الشرع وهو ما تراضى عليه الأهلون ووقع عليه العقد وقيل معناه من غير مطل وضرار محصنات أي عفائف بتزويج
تزوجوهن عفائف غير مسافحات أي غير زواني وقيل متزوجات غير زانيات وقد قرئ محصنات ومحصنات
بكسر الصاد وفتحها على ما مر ذكره في الآية الأولى ولا متخذات أخدان أي أخلاء في السر لأن الرجل منهم كان يتخذ
صديقة فيزني بها والمرأة تتخذ صديقها فيزني بها وروي عن ابن عباس أنه قال كان قوم في الجاهلية يحرمون ما
ظهر من الزنا ويستحلون ما خفي منه فنهى سبحانه عن الزنا سرا أو جهرا أهل هذا يكون المراد بقوله غير مسافحات
ولا متخذات أخدان غير زانيات لا سرا ولا جهرا فإذا أحصن من قرأ بضم الهمزة فمعناه فإذا زوجن فأحصنهن
أزواجهن وهو معنى تزوجن عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة ومن قرأ بالفتح فمعناه أسلمن عن عمر بن الخطاب
وابن مسعود وإبراهيم والشعبي والسدي وقال الحسن يحصنها الزوج ويحصنها الإسلام فإن أتين بفاحشة
أي فإن زنين فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب أي نصف ما على الحرائر من حد الزنا وهو خمسون جلدة
نصف حد الحرة وذلك إشارة إلى نكاح الأمة عند عدم الطول لمن خشي العنت منكم يعني الزنا وهو أن يخاف
أن يحمله شدة الشبق على الزنا فيلقى الحد في الدنيا والعذاب في الآخرة وعليه أكثر المفسرين وقيل معناه لمن خاف
أن يهواها ويزني بها وقيل معنى العنت الضرر الشديد في الدين والدنيا الغلبة الشهوة والأول أصح وأن تصبروا
خير لكم معناه وصبركم عن نكاح الإماء وعن الزنا خير لكم وأن تصبروا مبتدأ وخير خبره والله غفور لذنوب
عباده رحيم بهم وقال يريد أن من لم يصبر على ذلك أمره لمضطر عنه ثم تاب عفا الله له ورحمه واستدلت
الخوارج بهذه الآية على بطلان الرجم قالوا إن الرجم لا يمكن تبعيضه وقد قال تعالى فعليهن نصف ما على
المحصنات من العذاب فعلمنا أن الرجم لا أصل له والجواب عن ذلك أن المراد بالمحصنات الحرائر سقط عنهن
ويدل على ذلك قوله سبحانه في أول الآية ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات ولا شك أن المراد بها
الحرائر والعفائف لأن اللاتي لهن أزواج لا يمكن العقد عليهن على أن في الناس من قال أن المحصنات هنا المراد
بها الحرائر دون العفائف لأنه لو كان مختصة بالعفائف لما جاز العقد على غيرهن ومعلوم أن ذلك جائز هذا
والرجم أجمعت الأمة على أنه من أحكام الشرع وتواتر المسلمون بأن النبي صلى الله عليه وآله رجم ماعز بن مالك الأسلمي
ورجم يهوديا ويهودية ولم يختلف فيه الفقهاء من عهد الصحابة إلى يومنا هذا إلا الخوارج في ذلك شاذ عن الإجماع
فلا يعتد به قوله تعالى يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم والله يريد
أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما • يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان
ضعيفا • ثلث آيات الإعراب ذكر في اللام من قوله ليبين لكم ثلاثة أقوال أحدها أن معناها أن وأن تأتي مع
أمرت وأردت لأنها تطلب الاستقبال ولا يجوز أردت أن قمت فلما كانت أن في سائر الأفعال تطلب الاستقبال
استوثقوا لها باللام وربما جمعوا بين اللام وكي لتأكيد الاستقبال قال الشاعر أردت لكيما لا ترى لي عثرة
ومن ذا الذي يعطى الكمال فيكمل وهذا قول الكسائي والفراء وأنكره الزجاج وأنشد أردت لكيما يعلم الناس أنها
سراويل قيس والوفود شهود قال ولو كانت اللام بمعنى أن لم تدخل على كي كما لا تدخل أن على كي والثاني مذهب سيبويه
وأصحابه أن اللام دخلت هنا على تقدير المصدر أي الإرادة للتبيين نحو قوله إن كنتم للرؤيا تعبرون أي إن كانت
عبارتكم للرؤيا وكذلك قوله والذين هم لربهم يرهبون أي هم رهبتهم لربهم قال كثير أريد لأنسى ذكرها فكأنما
تمثل لي ليلى بكل سبيل والقول الثالث أن بعض النحويين ضعف هذين الوجهين بأن جعل اللام بمعنى أن لم تقم
حجة قاطعة وحمله على المصدر يقتضي جواز ضربت لزيد بمعنى ضربت زيدا وهذا لا يجوز ولكن يجوز في التقديم

والتأخير نحو لزيد ضربت وللرؤيا تعبرون لأن عمل الفعل في التقديم والتأخير يضعف كعمل المصدر في التأخير ولذلك
لم يجز إلا في المصدر فالتقدير فيه على تأويل يريد ما يريد لكم وعلى ذلك يريد ما يريد لكم وكذلك قوله وأمرنا
لنسلم لرب أي أمرنا بما أمرنا لنسلم وهذه الأقوال كلها مضطربة والوجه الصحيح فيه أنه مفعول يريد محذوف تقديره يريد الله
تبصيركم ليبين لكم المعنى ثم بين سبحانه بعد التحليل والتحريم أنه يريد بذلك مصالحنا ومنافعنا فقال الله سبحانه
يريد الله ما يريد ليبين لكم أحكام دينكم ودنياكم وأمور معاشكم ومعادكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم فيه قولان أحدهما
ليهديكم إلى طرق الذين كانوا من قبلكم من أهل الحق لتكونوا مقتدين بهم متبعين آثارهم لما لكم فيه من المصلحة والآخر
سنن الذين من قبلكم من أهل الحق والباطل لتكونوا على بصيرة مما تفعلون وتجتنبون من طرائقهم ويتوب عليكم أي ويقبل
توبتكم ويهديكم التوبة عليكم بالدعاء إليها والحث عليها وتيسير السبيل إليها وفي هذا دلالة على بطلان مذهب المجبرة
لأنه سبحانه بين أنه لا يريد إلا الخير والصلاح والله عليم حكيم مر تفسيره والله يريد أن يتوب عليكم أي يلطف في توبتكم
أن وقع منكم زلل وقيل يريد أن يوفقكم لها ويتوب ويدلكم إليها ويريد الذين يتبعون الشهوات فيه أقوال أحدها أن المراد
بذلك جميع المبطلين فإن كل مبطل متبع شهوة نفسه في باطله عن ابن زيد وثانيها أن المراد به الزناة عن مجاهد
وثالثها أنهم اليهود والنصارى عن السدي ورابعها أنهم اليهود خاصة أنهم قالوا إن الأخت من الأب حلال في التوراة
والقول الأول أقوى أن تميلوا ميلا عظيما أن تعدلوا عن الاستقامة على طريق الحق بالاستكثار من المعصية وذلك
أن الاستقامة هي المؤدية إلى الثواب والفوز من العقاب والميل عنها يؤدي إلى الهلاك واستحقاق العذاب وإنما قال
لم كرر قوله سبحانه يتوب عليكم فجوابه أنه للتأكيد وأيضا فإن في الأول بيان أنه يريد الهداية وفي الثاني بيان أن الإرادة
خلاف إرادة أصحاب الأهواء وأيضا أنه أتى في الثاني بأن ليزول الإيهام أنه يريد ليتوب ولا يريد أن يتوب وإنما قال
ميلا عظيما لأن العاصي يأنس بالعاصي كما أن المطيع يأنس بالمطيع ويسكن الشكل إلى الشكل ويألف به ولأن العاصي
يريد مشاركة الناس إياه في المعصية ليسلم عن ذمهم وتوبيخهم ونظيره قوله سبحانه ودوا لو تدهن فيدهنون ودوا لو تكفرون
كما كفروا وفي المثل من احترق كدسه تمنى احتراق كدس غيره على ذلك جبلت القلوب يريد الله أن يخفف عنكم يعني في التكليف
في أمر النساء والنكاح بإباحة نكاح الإماء عن مجاهد وطاوس ويجوز أن يريد بالتخفيف قبول التوبة والتوفيق لها ويجوز أن يريد
التخفيف في التكليف على العموم وذلك أنه سبحانه خفف عن هذه الأمة ما لم يخفف عن غيرها من الأمم الماضية وخلق
الإنسان ضعيفا في أمر النساء وقلة الصبر عنهن وقيل خلق الإنسان ضعيفا يستميله هواه وشهوته ويستشيطه خوفه وحزنه
قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم
إن الله كان بكم رحيما • ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا • آيتان
القراءة قرأ أهل الكوفة تجارة نصبا والباقون بالرفع الحجة قال أبو علي من رفع فقدره إلا أن تقع تجارة فالاستثناء منقطع
لأن التجارة عن تراض ليس من أكل المال بالباطل ومن نصب تجارة احتمل ضربين أحدهما إلا أن تكون التجارة تجارة عن تراض
ومثل ذلك قول الشاعر إذا كان يوما ذا كواكب أشنعا أي إذا كان اليوم يوما والآخر إلا أن تكون الأموال أموال تجارة
فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه والاستثناء على هذا الوجه أيضا منقطع المعنى لما بين سبحانه تحريم النساء
على غير الوجوه المشروعة عقبه بتحريم الأموال في الوجوه الباطلة فقال يا أيها الذين آمنوا أي صدقوا الله ورسوله
لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ذكر الأكل والمراد سائر التصرفات وإنما خص الأكل لأنه معظم المنافع وقيل لأنه يطلق
على وجوه الانتفاعات اسم الأكل يقال أكل ماله بالباطل وإن أنفقه في غير الأكل ومعناه لا يأكل بعضكم أموال
بعض وفي قوله بالباطل قولان أحدهما أنه الربا والقمار والبخس والظلم عن السدي وهو المروي عن الباقر عليه السلام
والآخر أن معناه بغير استحقاق من طريق الأعواض عن الحسن قال وكان الرجل يتحرج عن أن يأكل عند أحد من الناس

بعد ما نزلت هذه الآية إلى أن نسخ ذلك بقوله في سورة النور ليس عليكم جناح أن تأكلوا من بيوتكم إلى قوله أن تأكلوا
جميعا أو أشتاتا والأول أقوى لأن ما أكل على وجه مكارم الأخلاق لا يكون أكلا بالباطل وثانيها أن معناه أخذه من غير
وجهه وصرفه فيما لا يحل إلا أن تكون تجارة أي مبايعة ثم وصف التجارة فقال عن تراض منكم أي يرضى كل واحد منكما بذلك
وقيل في معنى التراضي بالتجارة قولان أحدهما أنه إمضاء البيع بالتفرق أو التخاير بعد العقد وهو قول ابن شريح والشعبي
وابن سيرين ومذهب الشافعي والإمامية لقوله البيعان بالخيار ما لم يفترقا أو يكون بيع خيار وربما قالوا أو يقول
أحدهما للآخر اختر والثاني أن البيع بالعقد فقط عن السدي ومالك وأبي حنيفة ولا تقتلوا أنفسكم فيه أقوال
أحدها أن معناه لا يقتل بعضكم بعضا لأنكم أهل دين واحد وأنتم كنفس واحدة كقوله فسلموا على أنفسكم عن الحسن وعطاء
والسدي والجبائي وثانيها أنه نهي للإنسان عن قتل نفسه في حال الغضب والضجر عن أبي القاسم البلخي وثالثها أن معناه
لا تقتلوا أنفسكم بأن تهلكوها بارتكاب الإثم والعدوان في أكل المال بالباطل وغيره من المعاصي التي تستحقون
بها العقاب ورابعها ما روي عن أبي عبد الله عليه السلام أن معناه لا تخاطروا بنفوسكم في القتال فتقاتلوا من لا تطيقونه
إن الله كان بكم رحيما أي لم يزل سبحانه كان بكم رحيما ومن رحمته أن حرم عليكم قتل النفس بغير حق وإفساد الأموال
ومن يفعل ذلك قيل أنه ذلك إشارة إلى أكل الأموال بالباطل وقتل النفس بغير حق وقيل إشارة إلى المحرمات
في هذه السورة من قوله يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها وقيل إشارة إلى فعل كل ما نهى الله
عنه من أول السورة وقيل إلى قتل النفس المحرمة خاصة عن عطاء عدوانا وظلما إنما جمع بينهما وإن كان معناهما واحدا لاختلاف
اللفظين كما قال الشاعر وألفى قولها كذبا ومينا وقيل العدوان أن يتجاوز ما أمر به والظلم أن يأخذه على غير وجه
الاستحقاق وقيل إنما قيده سبحانه بالعدوان والظلم لأنه أراد المستحلين فسوف نصليه نارا أي نجعله صلاء النار
ونحرقه بها وكان ذلك أي إدخاله النار وتعذيبه بها على الله سبحانه يسيرا هينا لا يمنعه منه مانع ولا
يدفعه عنه دافع ولا يشفع عنه إلا بإذنه شافع قوله تعالى إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم
وندخلكم مدخلا كريما • آية القراءة قرأ أبو جعفر ونافع مدخلا كريما مفتوحة الميم وقرأ الباقون مدخلا بضم الميم
الحجة قال أبو علي من قرأ مدخلا يحتمل أن يكون مصدرا وأن يكون مكانا قال فإن حملته على المصدر أضمرت له
فعلا دل عليه الفعل المذكور تقديره يدخلكم فتدخلون مدخلا وإن حملته على المكان فتقديره ندخلكم مكانا
كريما وهذا أشبه لأنه المكان وقد وصف بالكريم في قوله سبحانه ومقام كريم ومن قرأ مدخلا فيجوز فيه أيضا أن يكون
مكانا وأن يكون مصدرا اللغة الاجتناب المباعدة من الشيء وتركه جانبا ومنه الأجنبي ويقال ما يأتينا فلان
إلا عن جنابة أي عن بعد قال علقمة بن عبدة فلا تحرمني نائلا عن جنابة فإني امرؤ وسط القباب غريب وقال
الأعشى أتيت حريثا زائرا عن جنابة وكان حريث عن عطائي جامدا والتكفير أصله الستر المعنى لما
قدم سبحانه ذكر السيئات عقبه بالترغيب في اجتنابها فقال إن تجتنبوا أي تتركوا جانبا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم
اختلف في معنى الكبيرة فقيل كل ما أوعد الله عز اسمه عليه في الآخرة عقابا وأوجب منه في الدنيا حدا فهو كبيرة وهو المروي
عن سعيد بن جبير ومجاهد وقيل كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة عن ابن عباس وإلى هذا ذهب أصحابنا رضي الله عنهم فإنهم قالوا المعاصي
كلها كبيرة من حيث كانت قبائح لكن بعضها أكبر من بعض وليس في الذنوب صغيرة وإنما يكون صغيرا بالإضافة إلى ما هو
أكبر منه ويستحق العقاب عليه أكثر والقولان متقاربان وقالت المعتزلة الصغيرة ما نقص عقابه عن ثواب صاحبه والكبيرة
ما زاد عليه فيحبط بالاتفاق بينهم وهل يحبط مثله من ثواب صاحبه فعند أبي هاشم ومن يقول بالموازنة يحبط وعند أبي
علي الجبائي لا يحبط بل يسقط الأقل ويبقى الأكثر بحاله والكبيرة عندهم ما يكون عقابه عن ثواب صاحبه أكثر ولا يعرف
شيء من الصغائر ولا معصية إلا ويجوز أن يكون كبيرة فإن في تعريف الصغائر إغراء بالمعصية لأنه إذا علم المكلف

انه لا تضرر عليه في فعلها او دعته الشهوة اليها فعلها مع لواعد احتنابل الكبائر يجب غفران الصغاير ولا يحسن معه
المواخذة بها وليس في ظاهر الاية ما يدل عليه وان معناها ما رواه الكلبي عن ابن عباس ان تجتنبوا الذنوب
التي اوجب الله فيها الحد وسمى بهذا النار يكفر عنكم ما سوى ذلك من الصلوة الى الصلوة ومن الجمعة الى الجمعة
ومن شهر رمضان الى شهر رمضان وقيل ان معناه ان تجتنبوا كبائر ما نهيتم عنه في هذه السورة من المناكح
واكل الاموال بالباطل وغيره من المحرمات من اول السورة الى هذا الموضع وتركتموها في المستقبل كفرنا عنكم ما كان منكم
من ارتكابها فيما سلف عن هذا قال ابن مسعود كلما نهى الله عنه من اول السورة الى راس الثلثين فهو كبيرة ويعضد هذا القول
من التنزيل قوله قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وقوله ولا تنكحوا ما نكح اباءكم من النساء الا ما قد سلف
وندخلكم مدخلا كريما اي مكانا طيبا حسنا لا ينقصه شيء وقد ذكرنا المعنى في القرائتين فاما تفصيل الكبائر
الموبقة على ما وردت به الروايات فنذكر منه جملة مقنعة وروى عبد العظيم بن عبد الله الحسيني عن ابي جعفر محمد بن علي
عن ابيه علي بن موسى الرضا عليه السلام عن ابيه موسى بن جعفر قال دخل عمرو بن عبيد البصري على ابي عبد الله جعفر بن محمد
الصادق عليهما السلام فلما سلم وجلس تلا هذه الاية الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش ثم امسك فقال ابو عبد الله عليه السلام
ما اسكتك قال احب ان اعرف الكبائر من كتاب الله عز وجل فقال نعم يا عمرو اكبر الكبائر الشرك بالله العظيم يقول
عز وجل ان الله لا يغفر ان يشرك به وقال ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وماواه النار وبعده الياس من
روح الله لان الله يقول ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ثم الامن من مكر الله لان الله يقول فلا يأمن
مكر الله الا القوم الخاسرون ومنها عقوق الوالدين لان الله جعل العاق جبارا شقيا في قوله وبرا بوالدتي ولم يجعلني
جبارا شقيا ومنها قتل النفس التي حرم الله الا بالحق لان الله سبحانه يقول ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها
الاية وقذف المحصنات لان الله عز وجل يقول ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والاخرة ولهم
عذاب عظيم واكل مال اليتيم ظلما لقوله عز وجل ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما الاية والفرار من الزحف لان الله
عز وجل يقول ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله وماواه جهنم وبئس المصير
واكل الربوا لان الله عز وجل يقول الذين ياكلون الربوا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ويقول فان لم
تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله والسحر لان الله عز وجل يقول ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الاخرة من خلاق والزنا لان الله
يقول ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيمة ويخلد فيه مهانا واليمين الغموس لان الله عز وجل يقول
ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا اولئك لا خلاق لهم في الاخرة والغلول لان الله سبحانه يقول ومن يغلل يات بما
غل يوم القيمة ومنع الزكوة المفروضة لان الله عز وجل يقول يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم
الاية وشهادة الزور وكتمان الشهادة لان الله عز وجل يقول ومن يكتمها فانه اثم قلبه وشرب الخمر لان الله عز وجل عدل بها
عبادة الاوثان وترك الصلوة متعمدا او شيئا مما فرض الله عز وجل لان رسول الله صلعم يقول من ترك الصلوة متعمدا فقد برئ
من ذمة الله وذمة رسوله ونقض العهد وقطيعة الرحم لان الله تعالى يقول اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار قال فخرج
عمرو وله صراخ من بكائه وهو يقول هلك من قال برايه ونازعكم في الفضل والعلم وروى عن النبي صلعم انه قال الكبائر
سبع اعظمهن الاشراك بالله وقتل النفس المؤمن واكل الربوا واكل مال اليتيم وقذف المحصنة وعقوق الوالدين والفرار
من الزحف فمن لقى الله عز وجل وهو برئ منهن كان معي في بحبوحة جنة مصاريعها من ذهب وروى سعيد بن جبير انه قال لابن
عباس كم الكبائر سبع هي قال هي الى سبعمائة اقرب منها الى سبع غير انه لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع اصرار
رواهما الواحدي في تفسيره بالاسناد مرفوعا قوله تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب
مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسئلوا الله من فضله ان الله كان بكل شيء عليما . اية القراءة قرا ابن

كثير

كثير والكسائي وسلوا الله بغير همز وكذلك كل ما كان امرا مواجها في كل القرآن والباقون بالهمز
ولم يختلفوا في ليسألوا لانه امر الغائب بهمز. الحجة قال ابو علي الهمز وترك الهمز حسنان ولو خفف الهمز
في قوله وليسألوا لكان ايضا حسنا. اللغة التمني هو قول القائل لما لم يكن ليته كان كذا وليته لم يكن كذا
لما كان وقال ابو هاشم في بعض كلامه التمني معنى في القلب ومن قال بذلك ليس هو من قبيل الشهوة ولا من قبيل
الارادة لان الارادة لا تتعلق الا بما يصح حدوثه والشهوة لا تتعلق بما مضى كالارادة والتمني قد يتعلق بما مضى
واهل اللغة ذكروا التمني في اقسام الكلام. النزول قيل جاءت وافدة النساء الى رسول الله صلعم فقالت يا رسول الله
اليس الله رب الرجال والنساء وانت رسول الله اليهم جميعا فما بالنا يذكر الله الرجال ولا يذكرنا نخشى ان لا يكون
فينا خير ولا لله فينا حاجة فنزلت هذه الاية وقيل ان ام سلمة قالت يا رسول الله يغزو الرجال ولا نغزو والنساء ولنا
نصف الميراث فليتنا رجال فنغزو ونبلغ ما يبلغ الرجال فنزلت الاية عن مجاهد وقيل لما نزلت اية المواريث
قالت الرجال نرجو ان نفضل على النساء بحسناتنا في الاخرة كما فضلنا عليهم في الميراث فيكون اجرنا على الضعف
من اجر النساء وقالت النساء انا لنرجو ان يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال في الاخرة كما لنا الميراث
على النصف من نصيبهم في الدنيا فنزلت الاية عن قتادة والسدي. المعنى لما بين سبحانه حكم المحرمات المواريث
وفضل بعضهم على بعض فيه ذكر تحريم التمني الذي هو سبب التباغض فقال ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم
على بعض اي لا يقل احدكم ليت ما اعطي فلان من المال والنعمة والمراة الحسناء كان لي فان ذلك يكون حسدا
ولكن له ان يقول اللهم اعطني مثله عن ابن عباس وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلام وقيل ان المعنى
لا يجوز للرجل ان يتمنى لو كان امراة ولا للمراة ان تتمنى ان لو كانت رجلا لان الله تعالى لا يفعل الا ما هو صلاح فيكون
قد تمنى ما ليس بصلاح او ما يكون مفسدة عن البلخي ويمكن ان يقال في ذلك انه يجوز ذلك بشرط ان لا يكون مفسدة
كما يقول فحسن السؤال سواء. للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن قيل فيه وجوه احدها
ان المعنى لكل حظ من الثواب على حسب ما كلفه الله سبحانه من الطاعات بحسن تدبيره فلا تتمنوا خلاف هذا التدبير
لما فيه من حرمان الحظ الجزيل عن قتادة وثانيها ان لكل فريق من الرجال والنساء نصيبا مما اكتسب من نعيم الدنيا بالتجارات
والزراعات وغير ذلك من انواع المكاسب فينبغي ان يقنع كل واحد ويرضى بما قسم الله له وثالثها ان لكل منهما نصيبا
من الميراث على ما قسمه الله تعالى عن ابن عباس فالاكتساب على هذا القول بمعنى الاصابة والاحراز واسئلوا الله من فضله
معناه ان احتجتم الى ما لغيركم واعجبكم ان يكون لكم مثل ما له فاسئلوا الله ان يعطيكم مثل ذلك من فضله بشرط ان لا يكون
مفسدة لكم ولا لغيركم لان المسئلة لا تحسن الا كذلك وجاء في الحديث عن ابن مسعود عن النبي صلعم قال سلوا الله من فضله
فانه يحب ان يسئل وافضل العبادة انتظار الفرج وقال سفيان بن عيينة لم يامر بالمسئلة الا ليعطي ان الله كان بكل شيء عليما
معناه ان الله عليم بكل شيء ولم يزل كذلك يعلم ما يظهرونه وما يضمرونه من الحسد وهو يقسم الارزاق بين العباد على ما يعلم فيه
من الصلاح والرشاد فلا يتمنى احدكم ما قسم لغيره فانه لا يحصل من تمنيه الا على الغم والاثم. قوله تعالى ولكل جعلنا
موالي مما ترك الوالدان والاقربون والذين عقدت ايمانكم فاتوهم نصيبهم ان الله كان على كل شيء شهيدا . اية القراءة قرا اهل
الكوفة عقدت بغير الف والباقون عاقدت بالف. الحجة قال ابو علي الذكر الذي يعود من الصلة الى الموصول ينبغي ان يكون
ضميرا منصوبا فالتقدير والذين عاقدتهم ايمانكم فجعل الايمان في اللفظ هي المعاقدة والمعنى على الحالفين الذين هم اصحاب
الايمان والمعنى والذين عاقدت حلفهم ايمانكم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فعاقدت اشبه بهذا المعنى
لان لكل نفر من المعاقدين يمينا على المحالفة ومن قال عقدت ايمانكم كان المعنى عقدت حلفهم ايمانكم فحذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه والوجه في قول من قال عاقدت تحمل الكلام على المعنى اذ كان من كل واحد من الفريقين يمين والذين قال عقدت

حملوا الكلام على لفظ الايمان لان الفعل لم يسند الى اصحاب الايمان في اللفظ انما اسند الى الايمان
اللغة اصل المولى من ولى الشيء يليه ولاية وهو اتصال الشيء بالشيء من غير فاصل والمولى يقع على وجوه المعتق
والمعتق وابن العم والوارث والحليف والولي والسيد والمطاع والاولى بالشيء والاحق وهو الاصل في الجميع فمولى المعتق
مولى لانه اولى بميراث المعتق والمعتق اولى بنصرة المعتق من غيره وابن العم اولى بنصرة ابن عمه لقرابته والوارث اولى بميراث
الميت من غيره والحليف اولى بامر محالفه للمحالفة التي بينهما والولي اولى بنصرة من يواليه والسيد اولى بعبيده
من غيره ومنه الحديث ايما امراة نكحت بغير اذن مولاها اي من هو اولى بالعقد عليها وقال ابو عبيدة في قوله تعالى النار مولاكم اي هي
اولى بكم وانشد بيت لبيد فغدت كلا الفرجين تحسب انه مولى المخافة خلفها وامامها والايمان جمع اليمين وهو اسم يقع على
القسم والجارحة والقوة والاصل في الجارحة وذلك انهم كانوا يضربون الصفقة للبيع والبيعة بايمانهم فيأخذ بعضهم بيد بعض
على الوفاء والتمسك بالعهد بما تعاقدوا عليه فسمي القسم يمينا وقال اذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين اي بالقوة الاعراب
قوله مما ترك الوالدان الجار والمجرور في موضع الصفة لقوله موالي اي موالي كائنين مما ترك اي خلف الوالدان والاقربون
والذين عقدت ايمانكم معطوف على قوله الوالدان والاقربون فيكون مرفوع الموضع ويحتمل ان يكون مما ترك الوالدان متعلقا
بفعل محذوف وتقديره موالي يعطون مما ترك الوالدان والاقربون ويكون والذين عقدت ايمانكم مبتدأ وقوله فاتوهم نصيبهم
خبره. المعنى ثم عاد سبحانه الى ذكر المواريث فقال ولكل اي ولكل واحد من الرجال والنساء جعلنا موالي اي ورثة هم
اولى بميراثه عن السدي وقيل عصبة عن ابن عباس والحسن والاول الاصح لقوله سبحانه فهب لي من لدنك وليا يرثني فجعله مولى
وليا لما كان اولى به من غيره ومعنى الكلام لكل جعلنا الوارث مولى مما ترك الوالدان اي يرثون او يعطون مما ترك الوالدان
والاقربون الموروثون والذين عقدت ايمانكم عطفا على قوله اي يرثون مما ترك الذين عقدت ايمانكم لان لهم ورثتهم
اولى بميراثهم فيكون قوله والذين عقدت ايمانكم عطفا على قوله الوالدان والاقربون فاتوهم نصيبهم اي فاعطوا الموالي نصيبهم
من الميراث وهذا اختيار الجبائي وقال الحليف لم يورث بنوع اصلا وقال اكثر المفسرين ان قوله والذين عقدت ايمانكم
مقطوع من الاول وكانه قال والذين عاقدت ايمانكم ايضا فاتوهم نصيبهم ثم اختلفوا فيه على اقوال احدها ان المراد
بهم الحلفاء عن قتادة وسعيد بن جبير والضحاك وقالوا ان الرجل في الجاهلية كان يعاقد الرجل فيقول دمي دمك
وحربي حربك وسلمي سلمك وترثني وارثك وتعقل عني واعقل عنك فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف فاقر
ابو بكر وغيره ذلك بقوله فاتوهم نصيبهم اي اعطوهم حظهم من الميراث ثم نسخ ذلك بقوله واولوا الارحام بعضهم
اولى ببعض وقال مجاهد معناه اعطوهم نصيبهم من النصر والعقل والرفد ولا ميراث فعلى هذا لا يكون الاية منسوخة ويؤيده
قوله تعالى اوفوا بالعقود وقول النبي صلعم في خطبته يوم فتح مكة ما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به فانه لم يزده الاسلام
الا شدة ولا تحدثوا حلفا في الاسلام وروى عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله صلعم قال شهدت حلف المطيبين وانا غلام مع
عمومتي فما احب ان لي حمر النعم واني انكثه وثانيها ان المراد بهم قوم اخى بينهم رسول الله صلعم من المهاجرين والانصار حين
قدموا المدينة وكانوا يتوارثون بتلك المواخاة ثم نسخ الله ذلك بالفرائض عن ابن عباس وابن زيد وثالثها انهم الذين كانوا
يتبنون ابناء غيرهم في الجاهلية ومنهم زيد مولى رسول الله صلعم فامروا في الاسلام ان يوصوا لهم عند الموت بوصية
وذلك قوله فاتوهم نصيبهم عن سعيد بن المسيب ان الله كان على كل شيء شهيدا اي لم يزل عالما بجميع الاشياء مطلعا عليها
جليها وخفيها قوله تعالى الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم فالصالحات
قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فان
اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ان الله كان عليا كبيرا . اية القراءة قرا ابو جعفر وحده بما حفظ الله بالنصب و
الباقون بالرفع وفي الشواذ فالصوالح قوانت حوافظ للغيب عن طلحة بن مصرف. الحجة قوله حفظ الله يكون على حذف المضاف

كانه

كانه قال حفظ عهد الله او دين الله ان تنصروا الله اي تنصروا دين الله وحذف المضاف كثير في الكلام والوجه
في قراءة من قرا فالصوالح قوانت ان جمع التكسير يدل على الكثرة والالف والتاء موضوعتان للقلة فهما
على حد التثنية بمنزلة الزيدون من الواحد فيكون من الثلث الى العشر والكثرة اليق بهذا الموضع غير ان الالف
والتاء قد جاء ايضا على معنى الكثرة كقوله تعالى ان المسلمين والمسلمات الى قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات
والغرض في الجميع الكثرة لا ما هو لما بين الثلثة الى العشرة وقال ابن جني كان ابو علي الفارسي ينكر الحكاية المروية
عن النابغة وقد عرض عليه حسان شعره وانه لما صار الى قوله لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى واسيافنا يقطرن
من نجدة دما قال له النابغة لقد قللت جفانك وسيوفك وقال هذا خبر مجهول لا اصل له لان الله تعالى يقول
وهم في الغرفات امنون ولا يجوز ان تكون الغرف كلها في الجنة من الثلث الى العشر. اللغة يقال رجل قيم وقيام
وقوام وهذا البناء للمبالغة والتكثير واصل القنوت دوام الطاعة ومنه القنوت في الوتر لطول القيام فيه
واصل النشوز الترفع على الزوج بخلافه ماخوذ من قولهم فلان على نشز من الارض اي ارتفاع يقال نشزت المراة
تنشز وتنشز والهجر الترك عن قلى يقال هجرت الرجل اذا تركت كلامه عن قلى والهاجرة نصف النهار لانه وقت يهجر
فيه العمل وهجر الرجل البعير اذا ربطه بالهجار واصل الضجوع الاستلقاء يقال ضجع ضجوعا واضطجع اضطجاعا
اذا استلقى للنوم واضجعته انا وكل شيء اماله فقد اضجعته والبغية الطلب يقال بغيت الضالة
اذا طلبتها وقال الشاعر يصف الموت بغاك وما تبغيه حتى وجدته كانك قد واعدته امس موعدا. الاعراب
الباء في قوله بما فضل الله وبما انفقوا يتعلق بقوله قوامون وما في الموضعين مصدرية لا يحتاج الى العائد اليها
من صلتها لانها حرف وفي قوله بما حفظ الله ايضا يكون ما فيه مصدرية فيكون تقديره بان يحفظهن الله ومن قرا بما
حفظ الله نصبا يكون ما اسما موصولا فيكون التقدير بالشيء الذي يحفظ الله اي يحفظ امر الله. النزول
قال مقاتل نزلت الاية في سعد بن الربيع بن عمرو وكان من النقباء وفي امراته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير
وهما من الانصار وذلك انها نشزت عليه فلطمها فانطلق ابوها معها الى النبي صلعم فقال افرشته كريمتي فلطمها
فقال النبي صلعم لتقتص من زوجها فانصرفت مع ابيها لتقتص منه فقال النبي صلعم ارجعوا هذا جبرئيل عليه السلام اتاني
وانزل الله هذه الاية فقال النبي صلى الله عليه واله اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير ورفع القصاص وقال
الكلبي نزلت في سعد بن الربيع وامراته خولة بنت محمد بن سلمة وذكر القصة نحوها وقال ابو روق نزلت في جميلة بنت
عبد الله بن ابي وفي زوجها ثابت بن قيس بن شماس وذكر قريبا منه. المعنى لما بين سبحانه فضل الرجال على النساء ذكر
عقيبه فضلهم في القيام بامر النساء فقال الرجال قوامون على النساء اي قيمون على النساء مسلطون عليهن في التدبير
والتاديب والرياضة والتعليم بما فضل الله بعضهم على بعض هذا بيان سبب تولية الرجال عليهن اي انما ولاهم الله
امرهن لما لهم من زيادة الفضل عليهن بالعلم والعقل وحسن الراي والعزم وبما انفقوا من اموالهم عليهن من المهر والنفقة
كل ذلك بيان سبب تغليبهم عليهن وتوليتهم امورهن فالصالحات قانتات اي مطيعات لله ولازواجهن عن قتادة
والثوري وسفيان وقيل عليه قوله تعالى يا مريم اقنتي لربك اي قومي على طاعته حافظات للغيب يعني لانفسهن وفروجهن
في حال غيبة ازواجهن عن قتادة والثوري وعطاء وقيل حافظات لاموال ازواجهن في حال غيبتهم وراعيات
لحقوقهم وحرمتهم والاولى ان يحمل على الامرين لانه لا تنافي بينهما بما حفظ الله اي بما حفظهن الله في مهورهن والزام
ازواجهن النفقة عليهن عن الزجاج وقيل بحفظ الله لهن وعصمته ولولا ان حفظهن الله وعصمهن لما حفظن
ازواجهن بالغيب واللاتي تخافون نشوزهن معناه والنساء اللاتي تخافون نشوزهن بظهور اسبابه وامارته
ونشوز المراة عصيانها لزوجها واستيلاؤها عليه ومخالفتها اياه وقال الفراء تعلمون نشوزهن قال وقد يكون الخوف

نعوا لهم الا ان خوف النشوز العلم بموقعه فعظوهن واهجروهن في المضاجع معناه فعظوهن اولاً بالقول والنصيحة فان رجع
الوعظ ولم يؤثر النصح فاهجروهن في المضاجع عن سعيد بن جبير الذي هو الجماع الا انه ذكر المضاجع لاختصاص الجماع بها
وقيل معناه فاهجروهن في الفراش والبيت وذلك بان يظهر بذلك حبها للزوج وبغضها لانها ان كانت مائلة اليه
لم تصبر على فراقه في المضجع وان كانت بخلاف ذلك صبرت عنه عن الحسن وقتادة وعطاء والى هذا المعنى يؤول ما روي
عن ابي جعفر عليه السلام [illegible] ظهره اليها وفي تفسير الكلبي عن ابن عباس فعظوهن بكتاب الله تعالى اولاً وذلك ان
يقول اتقي الله وارجعي الى طاعتك فان رجعت والا اغلظ لها القول فان رجعت والا ضربها ضرباً غير مبرح وقيل
ومعنى غير مبرح ان لا يقطع لحماً ولا يكسر عظماً وروي عن ابي جعفر عليه السلام انه الضرب بالسواك فان اطعنكم اي رجعن
الى طاعتكم في الائتمار لامركم فلا تبغوا عليهن سبيلاً اي لا تطلبوا عليهن علل بالباطل وقيل سبيلاً للضرب والهجران
مما ابيح لكم فعله عند النشوز عن ابي مسلم وابي علي الجبائي وقيل معناه لا تكلفوهن الحب عن سفيان بن عيينة فيكون المعنى
اذا استقام لكم ظاهرهن فلا تعتلوا عليهن بما في باطنهن ان الله كان علياً كبيراً اي متعالياً عن ان يكلف الا الحق
ومقدار الطاقة [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

والعامل فاذا جواب المحذوف لدلالة ما تقدم عليه وشهيدا منصوب على الحال والعامل في يومئذ يود ولما
عامل في يومئذ ما بعده لم يجز ذلك فاذا جئنا لانه لما اضيف يوم الى اذ صار اسما للجملة ومعنى اذ ليدل على تمام
الاسم المعنى لما ذكر الله سبحانه اليوم الآخر وصف حال المكذبين له فقال فكيف اذا اى فكيف حال الامم وكيف يصنعون
اذا جئنا من كل امة من الامم بشهيد وجئنا بك يا محمد على هؤلاء يعني قومك شهيدا وهذا كما يقول العرب للرجل في الامر الهائل
يتوقعه كيف بك اذا كان كذا اراد بذلك تعظيم الامر وتهويله وتحذير الرجل عنه وانذاره وحثه على الاستعداد ومعنى الآية ان
يستشهد يوم القيامة كل نبي على امته فيشهد لهم وعليهم ويستشهد نبينا صلعم على امته وفي الآية مبالغة في الحث على الطاعة
واجتناب المعصية والزجر عن كل ما يستحيى منه على رؤس الاشهاد لانه يشهد الانسان وعليه يوم القيمة شهود عدول
لا يتوقف في الحكم بشهادتهم ولا يتوهم القدح فيها وهم الانبياء والمعصومون والكرام الكاتبون والجوارح والمكان والزمان
كما قال سبحانه وجعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس وقال ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقال ان السمع والبصر والفؤاد
كل اولئك كان عنه مسئولا ويوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون وفي بعض الاخبار ان المكان والزمان
يشهدان على الرجل باعماله فليتذكر العاقل هذه الشهادة وليستعد لهذه الحالة فكان قد وقعت وكان قد الشهادة قد
اقيمت وروي عن عبد الله بن مسعود قراءة هذه الآية على النبي صلعم ففاضت عيناه فاذا كان الشاهد تفيض عيناه لهول
هذه المقالة وعظم هذه الحالة فماذا لعمري ينبغي ان يصنع المشهود عليه يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول
لو تسوى بهم الارض معناه لو يجعلون والارض سواء كما قال سبحانه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا ومن التسوية قوله
تعالى بلى قادرين على ان نسوي بنانه اى نجعلها صفحة واحدة لا تفصل بعضها من بعض فيكون كالكفة ونظير ذلك مما يستعمل
عليه [illegible] البنان وروي عن ابن عباس ان معناه يودون ان يمشي عليهم اهل الجمع يطئونهم باقدامهم كما يطئون الارض
وعلى القول الاول المراد به ان الكفار يوم القيمة يودون انهم لم يبعثوا وانهم كانوا والارض سواء لعلمهم بما يصيرون اليه
من العذاب والخلود في النار وروي ايضا ان البهائم يوم القيمة تصير ترابا فيتمنى عند ذلك الكفار انهم صاروا كذلك
ترابا وهذا لا يجوز الا على قول من قال ان العوض منقطع وهو الصحيح ومن قال ان العوض دائم لم يصح هذا وقوله ولا يكتمون الله حديثا
قيل فيه اقوال احدها انه عطف على قوله لو تسوى اى ويودون انهم لم يكتموا الله حديثا لانهم اذا سئلوا قالوا والله ربنا ما كنا
مشركين فتشهد عليهم جوارحهم بما عملوا فيقولون يا ليتنا كنا ترابا ويا ليتنا لم نكتم الله شيئا وليس ذلك بحقيقة الكتمان
فانه لا يكتم شيء عن الله تعالى لكنه في صورة الكتمان وهذا قول ابن عباس وثانيها انه كلام مستأنف والمراد به انهم لا يكتمون
الله شيئا من امور دنياهم وكفرهم بل يعترفون به فيدخلون النار باعترافهم وانما لا يكتمون لعلمهم بانه لا ينفعهم الكتمان وانما
يقولون والله ربنا ما كنا مشركين في بعض الاحوال فان للقيمة مواطن واحوالا ففي موطن لا يسمع كلامهم الا همسا كما اخبر سبحانه
عنهم وفي موطن ينكرون ما فعلوه من الكفر والمعاصي ظنا منهم ان ذلك ينفعهم وفي موضع يعترفون بما فعلوه عن الحسن وثالثها
ان المراد انهم لا يقدرون على كتمان شيء من الله تعالى لان جوارحهم تشهد عليهم بما فعلوه والتقدير لا تكتمه جوارحهم وان يكتموه
ورابعها ان المراد ودوا لو تسوى بهم الارض وانهم لم يكونوا كتموا امر محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبعثه عن عطاء وخامسها
ان الآية على ظاهرها فالمراد لا يكتمون الله شيئا لانهم ملجؤون الى ترك القبائح والكذب وقولهم والله ربنا ما كنا مشركين
اى ما كنا مشركين عند انفسنا لانهم كانوا يظنون في الدنيا ان ذلك ليس بشرك من حيث تقربهم الى الله تعالى
عن ابي القاسم البلخي قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى ولا جنبا الا عابري سبيل حتى
تغتسلوا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا
فامسحوا بوجوهكم وايديكم ان الله كان عفوا غفورا ۝ آية القراءة قرأ اهل الكوفة او لمستم بغير الف ههنا وفي
المائدة وقرأ الباقون لامستم الحجة حجة من قرأ لمستم ان هذا المعنى جاء في التنزيل على فعلت في غير موضع

قال سبحانه لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان ولم يمسسني بشر وحجة من قرأ لامستم ان فاعل قد جاء في معنى فعل نحو عاقبت اللص
وطارقت النعل اللغة يقال قرب يقرب متعد وقرب يقرب لازم وقرب الماء يقربه اذا ورده
اصل السكر من السكر وهو سد مجرى الماء واسم الموضع السكر فالسكر يسد طريق المعرفة وسكرة الموت
غشيته ورجل سكران من قوم سكارى وسكرى والمرأة سكرى ايضا ويقال رجل جنب اذا اجنب ويستوي
فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع يقال رجل جنب وقوم جنب وامرأة جنب والعابر من العبور يقال عبرت
النهر والطريق عبورا اذا قطعته من هذا الجانب الى الجانب الآخر والغائط اصله المطمئن من الارض يقال
غائط وغيطان وكانوا يتبرزون هناك ليغيبوا عن عيون الناس ثم كثر ذلك حتى قالوا للحدث غائط وكنوا
بالتغوط عن الحدث في الغائط وقيل انهم كانوا يلقون النجو في هذا المكان فسمي باسمه على سبيل المجاورة والغوطة
موضع كثير الماء والشجر بدمشق وقال الصحاح الغائط قرارة من الارض يحفها آكام تسترها والفعل منه غاط يغوط
مثل عاد يعود واللمس يكون باليد ثم اتسع فيه فاوقع على غيره وقالوا الالتماس وهو افتعال من اللمس فاوقع على ما لا يقع
عليه اللمس قال [illegible] فانهم تلمس [illegible] تطلب والملتمس المعروف طالبه ليس هناك
مماسة ولا مباشرة والتيمم القصد ومنه الامام قال الاعشى تيممت قيسا وكم دونه من الارض من مهمه ذي شزن
وقال الآخر تيممت دارا لو يمر [illegible] وقد صار في الشرع اسما للقصد المخصوص وهو ان يقصد الصعيد ويستعمل التراب
في اعضاء مخصوصة والصعيد وجه الارض من غير نبات ولا شجر قال ذو الرمة كانه بالضحى ترمي الصعيد به دبابة
في عظم الرأس خرطوم وقال الزجاج الصعيد ليس هو التراب انما هو وجه الارض ترابا كان او غيره وانما سمي صعيدا
لانه نهاية ما يصعد اليه من باطن الارض الاعراب وانتم سكارى جملة منصوبة الموضع على الحال والعامل فيه تقربوا
وذو الحال الواو من تقربوا وقوله جنبا انما انتصب لكونه عطفا عليه والمراد به الجمع وعابري سبيل منصوب على الاستثناء
وتعلموا منصوب باضمار ان وعلامة النصب سقوط النون ثم ان مع الفعل في موضع الجر بحتى والجار مع المجرور في
موضع النصب لكونه مفعولا لتقربوا وكذلك قوله حتى تغتسلوا وقوله على سفر في موضع نصب عطفا على قوله مرضى معناه
او مسافرين المعنى لما امر سبحانه في الآية المتقدمة بالعبادة ذكر عقيبها ما هو اكبر العبادات وهو الصلوة فقال يا ايها
الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة اى لا تصلوا وانتم سكارى عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وابن زيد وقيل معناه
لا تقربوا اماكن الصلوة اى المساجد [illegible] الصلوة ويريد بها كقوله وصلوات اى مواضع الصلوات عن عبد الله وسعيد بن المسيب
والضحاك وعكرمة والحسن ويؤيد هذا القول الا عابري سبيل فان العبور انما يكون في الموضع دون الصلوة وقوله وانتم
سكارى اى نشاوى واختلف فيه على قولين احدهما ان المراد به سكر الشراب عن ابن عباس ومجاهد وقتادة ثم نسخها
تحريم الخمر وروي ذلك عن موسى بن جعفر عليهما السلام وقد يسأل عن هذا فيقال كيف يجوز نهي السكران في حال السكر مع زوال
العقل واجيب بجوابين احدهما انه قد يكون سكران من غير ان يخرج من نقصان العقل الى ما لا يحتمل الامر والنهي والآخر ان النهي
انما ورد عن التعرض للسكر في حال وجوب اداء الصلوة عليهم واجاب ابو علي الجبائي بجواب ثالث وهو ان النهي انما دل على ان اعادة
الصلوة واجبة عليهم ان ادوها في حال السكر وقد سئل ايضا فقيل اذا كان السكران مكلفا فكيف يجوز ان ينهى عن الصلوة
في حال سكره مع اتفاق المسلمين على خلافه واجيب عن ذلك بجوابين احدهما انه منسوخ والآخر انهم امروا بتركها لكن
بان يصلوها في بيوتهم ونهوا عن الصلوة مع النبي صلعم في جماعة تعظيما له وتوقيرا والقول الثاني ان المراد به سكر
النوم خاصة عن الضحاك وروي ذلك عن ابي جعفر عليه السلام ويعضد ذلك ما روته عائشة عن النبي صلى الله عليه وآله
انه قال اذا نعس احدكم وهو يصلي فليرقد [illegible] على نفسه وهو لا يدري حتى تعلموا ما تقولون حتى تميزوا

ما تقولون من الكلام وقيل معناه حتى تحفظوا ما تتلون من القرآن وقوله ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا
في معناه قولان احدهما ان المراد به ولا تقربوا الصلوة وانتم جنب الا ان تكونوا مسافرين فيجوز لكم اداؤها بالتيمم
وان كان لا يرتفع حكم الجنابة بمجرد التيمم وان كان يبيح الصلوة فانه لا يرفع الحدث عن علي عليه السلام وابن عباس وسعيد بن جبير
ومجاهد والاخر ان معناه لا تقربوا مواضع الصلوة من المساجد وانتم جنب الا مجتازين عن جابر والحسن وعطا والزهري
وابراهيم والمروي عن ابي جعفر عليه السلام وعابري سبيل اي مارين في طريق حتى تغتسلوا من الجنابة وهذا القول الاخير
اقوى لانه سبحانه بين حكم الجنب في آخر الآية اذا عدم الماء فلو حملناه على ذلك لكان تكرارا وانما اراد سبحانه ان يبين حكم الجنب
في دخول المساجد في اول الآية وبين حكمه في الصلوة عند عدم الماء في آخر الآية وان كنتم مرضى قيل نزلت في رجل من الانصار
كان مريضا فلم يستطع ان يقوم فيتوضأ فالمرض الذي يجوز معه التيمم مرض الجراح والكسر والقروح اذا خاف صاحبها من مس
الماء عن ابن عباس وابن مسعود والسدي والضحاك ومجاهد وقتادة وقيل هو المرض الذي لا يستطيع معه تناول الماء ولا يكون
هناك من يناوله عن الحسن وابن زيد وكان الحسن لا يرخص للجريح التيمم والمروي عن السيدين الباقر والصادق عليهما السلام جواز التيمم
في جميع ذلك او على سفر معناه او كنتم مسافرين او جاء احد منكم من الغائط وهو كناية عن قضاء الحاجة قيل ان او هاهنا
بمعنى الواو كقوله سبحانه وارسلناه الى مائة الف او يزيدون يعني ويزيدون وجاء احد منكم من الغائط وذلك لان المجيء من الغائط ليس
من جنس المرض والسفر حتى يصح عطفه عليهما فانهما سبب لاباحة التيمم والرخصة والمجيء من الغائط سبب لايجاب الطهارة
او لامستم النساء المراد به الجماع عن علي عليه السلام وابن عباس ومجاهد وقتادة واختاره ابو حنيفة والجبائي وقيل المراد به اللمس
باليد وغيرها عن عمر بن الخطاب وابن مسعود والشعبي وعطا واختاره الشافعي والصحيح الاول لان الله سبحانه بين حكم الجنب
في حال العود الى المسجد بقوله ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا ثم بين عند عدم الماء حكم الحدث بقوله او جاء احد منكم
من الغائط فلا يجوز ان يدع بيان حكم الجنب عند عدم الماء مع جري ذكره في الآية ويبين حكم الحدث ولم يجر له ذكر فعلمنا
ان المراد بقوله او لامستم الجماع ليكون بيانا لحكم الجنب عند عدم الماء والمس في الملامسة معناهما واحد لانه لا يلمسها الا وهي تلمسه
وروي ان العرب والموالي اختلفوا فيه فقالت الموالي المراد به الجماع وقالت العرب المراد به مس المرأة فارتفعت اصواتهم الى ابن
عباس فقال غلبت الموالي المراد به الجماع وسمي الجماع لماسا لانه به يتوصل الى الجماع كما يسمى المطر سماء وقوله فلم تجدوا ماء راجع الى
المرضى والمسافرين جميعا اي مسافر لا يجد الماء ومريض لا يجد من يوضيه او يخاف الضرر من استعمال الماء لان الاغلب
ان حال المرض يغلب فيها خوف الضرر من استعمال الماء وحال السفر يغلب فيها عدم الماء فتيمموا اي تعمدوا وتحروا
واقصدوا صعيدا قال الزجاج لا اعلم خلافا بين اهل اللغة في ان الصعيد وجه الارض وهذا يوافق مذهب اصحابنا
في ان التيمم يجوز بالحجر سواء كان عليه تراب او لم يكن طيبا اي طاهرا وقيل حلالا عن سفيان وقيل منبتا دون السبخة
التي لا تنبت كقوله والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه فامسحوا بوجوهكم وايديكم هذا هو التيمم بالصعيد الطيب
واختلف في كيفية التيمم على اقوال احدها ان ضربة للوجه وضربة لليدين الى المرفقين وهو قول اكثر الفقهاء
ابي حنيفة والشافعي وغيرهما وبه قال قوم من اصحابنا وثانيها ان ضربة للوجه وضربة لليدين الى الزندين واليه
ذهب عمار بن ياسر ومكحول واختاره الطبري وهو مذهبنا في التيمم اذا كان بدلا من الجنابة واذا كان بدلا من الوضوء
كفاه ضربة واحدة يمسح بها وجهه من قصاص شعره الى طرف انفه ويديه من الزندين الى اطراف الاصابع وهو المروي
عن سعيد بن المسيب وثالثها انه الى الآباط عن الزهري ان الله كان عفوا غفورا اي لم يزل العفو لان في قوله فتيمموا
بدلا من الوضوء تسهيل الامر علينا وقيل عفو كثير الصفح والتجاوز غفورا كثير الستر لذنوب عباده وفي الآية
دلالة على ان السكران لا تصح صلوته وقد حصل الاجماع على انه يلزمه القضاء ولا يصح من السكران شيء من العقود كالنكاح
والبيع والشراء وغير ذلك ولا رفعهما كالطلاق والعتاق وفي الطلاق خلاف بين الفقهاء فعند ابي حنيفة يقع طلاقه

وعند الشافعي

وعند الشافعي لا يقع في احد القولين فاما ما يلزمه من الحدود والقصاص فعندنا انه يلزمه جميع ذلك فيقطع بالسرقة
ويجلد بالقذف والزنا لعموم الآيات المتناولة لذلك ولاجماع الطائفة عليه قوله تعالى الم تر الى الذين
اوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون ان تضلوا السبيل • والله اعلم باعدائكم وكفى بالله وليا
وكفى بالله نصيرا • آيتان في الكوفي عدوا ان تضلوا السبيل آية واحدة في غيرهم اللغة العداوة
الابعاد من حال النصرة وضدها الولاية وهي التقريب من حال النصرة واما البغض فهي ارادة الاستخفاف والاهانة
وضده المحبة وهي ارادة الاعظام والكرامة والكفاية بلوغ الغاية في مقدار الحاجة كفى يكفي كفاية فهو كاف والاكتفاء
الاجتزاء بالشيء دون الشيء ومثله الاستغناء والنصرة الزيادة في القوة للغلبة ومثلها المعونة وضدها الخذلان
ولا يكون ذلك الا عقوبة لانه منع المعونة من يحتاج اليها عقوبة الاعراب في دخول الباء في قوله بالله قولان
احدهما انه لتأكيد الاتصال والثاني لانه دخله معنى اكتفوا بالله ذكره الزجاج وموضعه رفع بلا اتفاق
النزول نزلت في رفاعة بن زيد بن التابوت ومالك بن دخشم كانا اذا تكلم رسول الله صلعم لويا لسانهما وعاباه
عن ابن عباس المعنى لما ذكر سبحانه الاحكام التي اوجب العمل بها وصلها بالتحذير مما دعا الى خلافها فقال الم تر
الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب اي الم ينته علمك الى الذين اعطوا حظا من علم الكتاب يعني التورية وهم اليهود
عن ابن عباس يشترون الضلالة اي يستبدلون الضلالة بالهدى ويكذبون النبي صلعم بدلا من التصديق وقيل
كانت اليهود تعطي احبارها كثيرا من اموالهم على ما كانوا يصنعونه لهم فجعل ذلك اشتراء منهم عن ابي علي الجبائي
وقيل كانوا يأخذون الرشى عن الزجاج ويريدون ان تضلوا السبيل اي يريد هؤلاء اليهود ان تزلوا ايها المؤمنون
عن طريق الحق وهو الدين والاسلام فتكذبوا بمحمد فتكونوا ضلالا وفي ذلك تحذير للمؤمنين ان يستنصحوا احدا
من اعداء الدين في شيء من امورهم الدينية والدنيوية ثم اخبر سبحانه بانه اعلم بعداوة اليهود فقال والله اعلم باعدائكم
ايها المؤمنون فانتهوا الى طاعتي فيما نهيتكم عنه من استنصاحهم في دينكم فاني اعلم بباطنهم منكم وما هم عليه من الغش
والحسد والعداوة لكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا معناه ان ولاية الله لكم ونصرته اياكم تغنيكم عن نصرة هؤلاء اليهود
ومن جرى مجراهم ممن تطمعون في نصرته قوله تعالى من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا
وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بالسنتهم وطعنا في الدين ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا
لهم واقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا • اللغة اصل اللي الفتل يقال لويت العود الويه
ليا ولويت الغريم اذا مطلته واللوية ما تخص المرأة ضيفها لتلوي بقلبه اليها والوى بهم الدهر اذا افناهم
ولوى البقل اذا اصفر ولم يستحكم نباته والالسنة جمع اللسان وهو آلة الكلام واللسان اللغة ومنه وما ارسلنا
من رسول الا بلسان قومه وتقول لسنته السنه اذا اخذته بلسانك فالطرف واذا قلت السني اليها اتى لست
موهوبة وقد واصل الطعن بالرمح ونحوه الطعن باللسان الاعراب قيل في من هاهنا وجهان احدهما انه تبيين
للذين اوتوا نصيبا من الكتاب ويكون العامل فيه اوتوا وهو في صلة الذين فيجوز ان لا يكون في الصلة كما تقول انظر الى
النفر من قومك ما صنعوا والثاني ان يكون على الاستيناف والتقدير من الذين هادوا فريق يحرفون الكلم والغي الموصوف
لدلالة الصفة عليه كما قال ذو الرمة فظلوا ومنهم دمعه سابق له واخر يثني دمعة العين بالهمل وانشد سيبويه وما الدهر
الا تارتان فمنها اموت واخرى ابتغي العيش اكدح فقال الفراء المحذوف من الموصولة والتقدير من الذين هادوا من يحرفون
الكلم كما تقولون منا يقول ذلك ومنا لا يقوله قال والعرب تضمر من في مبتدأ الكلام بمن لان من بعض لما هي منه كما قال
وما منا الا له مقام معلوم وان منكم الا واردها وانكر المبرد والزجاج هذا القول قالا لان من يحتاج الى حضور
صلة او صفة تقوم مقام الصلة ولا يحسن حذف الموصول مع بقاء الصلة كما لا يحسن حذف بعض الكلمة عند جميع

نصب على الحال ودعاء من نونها جعلها كلمة الامر كقولك رعيا وهينا ومن لم ينون جعلها من المراعاة كما تقول قاصنا
لا مصدر في موضع الحال وكذلك قوله ولحنا وتقديره يلوون السنتهم ليا ويطعنون في الدين طعنا الا قليلا فهو قليل
يؤمنون وهم قليل فيكون قليلا منتصبا على الحال ويجوز ان يكون صفة لمصدر محذوف تقديره ايمانا قليلا كما قال الشاعر
فالفيته غير مستعتب ولا ذاكر الله الا قليلا يريد الا ذاكرا قليلا وسقط التنوين من ذاكر لاجتماع الساكنين المعنى
ثم بين سبحانه من تقدم ذكرهم فقال من الذين هادوا اى الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب من اليهود فيكون قوله
يحرفون الكلم في موضع الحال وان جعلته كلاما مستأنفا فالمعنى من اليهود فريق يحرفون الكلم عن مواضعه اى يبدلون
كلام الله واحكامه عن مواضعها وقيل يحرفون كلم التورية وذلك انهم كتموا ما في التورية من صفة النبي صلعم ويقولون سمعنا
وعصينا معناه يقولون بالسنتهم سمعنا وفي قلوبهم عصينا وقيل معناه سمعنا قولك وعصينا امرك واسمع غير مسمع
اى ويقولون كذلك اليهود للنبي صلى الله عليه واله اسمع منا غير مسمع كما يقول القائل لغيره اذا سبه بالقبيح اسمع لا اسمعك الله
عن ابن عباس وابن زيد وقيل معناه اسمع غير مجاب الى ما تدعو اليه ولا مقبول منك عن الحسن ومجاهد وهذه كلمة اخبر الله
سبحانه عن اليهود الذين كانوا حوالي المدينة في عصر النبي صلعم لانهم كانوا يسبونه ويؤذونه بالشيء من القول وراعنا
قد ذكرنا معناه في سورة البقرة وقيل انه كان سبا للنبي صلعم تواضعوا عليه وقيل كانوا يقولونه استهزاء وسخرية
وقيل انهم كانوا يقولون ... كما يقول القائل لغيره انصت لكلامنا وتفهم منا وانما هو من المراعاة ...
ليا بالسنتهم اى تحريكا منهم السنتهم بتحريفهم لمعناه الى المكروه وطعنا في الدين اى وقيعة فيه ولو انهم قالوا سمعنا
قولك واطعنا امرك وقبلنا ما جئتنا به واسمع منا وانظرنا اى انتظرنا نفهم عنك ما تقول لنا لكان خيرا لهم
يعني انفع لهم عاجلا واجلا واقوم اى اعدل واصوب في الكلام من الكفر والطعن في الدين ولكن لعنهم الله بكفرهم
اى طردهم عن ثوابه ورحمته بسبب كفرهم ثم اخبر سبحانه عنهم فقال فلا يؤمنون الا قليلا منهم فخرج مخبره سبحانه
على وفق خبره فلم يؤمن منهم الا عبد الله بن سلام واصحابه وهم نفر قليل وقيل معناه لا يؤمنون الا ايمانا قليلا اى ضعيفا
لا اخلاص فيه ولكنهم عصموا به دماءهم واموالهم ويجوز ان يكون المعنى ولا يؤمنون الا قليلا مما يجب الايمان به
قوله تعالى يا ايها الذين اوتوا الكتاب امنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها
او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت وكان امر الله مفعولا . اللغة الطمس عفو الاثر والطامس والدارس بمعنى
والادبار جمع دبر واصله من الدبر يقال دبر يدبر فهو دابر اذا صار خلفه والدابر التابع وقوله والليل اذا ادبر معناه تبع
النهار ... وادبار الامور هي عواقبها المعنى ثم خاطب سبحانه اهل الكتاب من اليهود والنصارى فقال يا ايها الذين
اوتوا الكتاب اى اعطوا علم الكتاب امنوا اى صدقوا بما نزلنا يعني بما انزلنا على محمد صلعم من القرآن وغيره من احكام
الدين مصدقا لما معكم من التورية والانجيل اللذين تضمنا صفة نبينا صلى الله عليه واله وصحة ما جاء به من قبل ان نطمس وجوها
فنردها على ادبارها اختلف في معناه على اقوال احدها ان معناه من قبل ان نمحو اثار وجوهكم حتى تصير كالاقفية ونجعل
عيونها في اقفيتها فتمشي القهقرى عن ابن عباس وعطية العوفي وثانيها ان المعنى ان نطمسها عن الهدى فنردها على ادبارها في
ضلالتها ذما لها بانها لا تفلح ابدا عن الحسن ومجاهد والضحاك والسدى وروى ابو الجارود عن ابي جعفر عليه السلام وثالثها ان
نجعل في وجوههم الشعر كوجوه القردة عن الفراء وابي القاسم البلخي والحسين بن علي المغربي ورابعها ان المراد حتى نمحو اثارهم من
وجوههم اى نواحيهم التي هم بها وهي الحجاز الذي هو مسكنهم ونردها على ادبارها حتى يعودوا الى حيث جاؤوا منه وهو الشام
وحمله على اجلاء بني النضير الى اريحا واذرعات الشام عن ابن زيد وهذا اضعف الوجوه لانه ترك للظاهر فان قيل على القول الاول
كيف وعد سبحانه ولم يفعل فجوابه على وجوه احدها ان هذا الوعيد كان متوجها اليهم لو لم يؤمن واحد منهم فلما امن
جماعة منهم كعبد الله بن سلام وثعلبة بن سعنة واسد بن عبيد ومخيرق واسلم كعب في ايام عمر رفع العذاب عن الباقين

وقيل

وجعل ذلك فيهم في الاخرة على انه سبحانه قال او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت والمعنى او نفعل احدهما وقد لعنهم
الله بذلك وثانيها ان الوعيد يقع بهم في الاخرة لانه سبحانه لم يذكر انه يفعل ذلك في الدنيا تعجيلا للعقوبة
ذكره البلخي والجبائي وثالثها ان هذا الوعيد باق منتظر لهم ولا بد من ان يطمس الله وجوها لليهود قبل قيام
الساعة بان يمسخها عن المبرد او نلعنهم اى نخزيهم ونعذبهم عاجلا عن ابي مسلم وقيل معناه نمسخهم قردة كما لعنا
اصحاب السبت يعني الذين اعتدوا في السبت عن السدي وقتادة والحسن وانما قال سبحانه لعنهم بلفظ الغيبة
وقدم خطابهم لاحد امرين اما للتصرف في الكلام كقوله حتى اذا كنتم في الفلك فخاطب ثم قال وجرين بهم
بريح طيبة فكنى عنهم واما لان الضمير عائد الى اصحاب الوجوه لانهم في حكم المذكورين وكان امر الله مفعولا
فيه قولان احدهما ان كل امر من امور الله سبحانه من وعد او وعيد او خبر فانه يكون على ما اخبر عن الجبائي والاخر
ان معناه ان الذي يامر به بقوله كن يكون لا محالة وفي قوله سبحانه من قبل ان نطمس وجوها دلالة على ان
لفظة قبل تستعمل في الشيء قبل ان يوجد لانه لم يوجد ذلك الى الان ولا خلاف فان استعماله لا يصح ولذلك
قيل كان الله سبحانه قبل خلقه قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء
ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما . اللغة افترى اختلق وكذب واصله من فلق الاديم يقال
فريت الاديم افريه فريا اذا قطعته على وجه الاصلاح وافريته اذا قطعته على وجه الافساد الاعراب
اثما عظيما منصوب على المصدر لان افترى بمعنى اثم وهذا كما تقول حمدته شكرا النزول قال الكلبي
نزلت في المشركين وحشي واصحابه وذلك انه لما قتل حمزة وكان قد جعل له على قتله ان يعتق فلم يوف له بذلك
فلما قدم مكة ندم على صنيعه هو واصحابه فكتبوا الى رسول الله صلعم انا قد ندمنا على الذي صنعناه وليس
يمنعنا عن الاسلام الا انا سمعناك تقول وانت بمكة والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس
التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون الايتان وقد دعونا مع الله الها اخر وقتلنا النفس التي حرم الله وزنينا
ولولا هذه لاتبعناك فنزلت الاية الا من تاب وامن وعمل صالحا الايتان فبعث بهما رسول الله صلعم الى وحشي واصحابه
فلما قرأهما كتبوا اليه ان هذا شرط شديد نخاف ان لا نعمل عملا صالحا فلا نكون من اهل هذه الاية فنزلت ان الله لا
يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فبعث بها اليهم فقرأها فبعثوا اليه انا نخاف ان لا نكون من اهل
مشيته فنزلت يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا فبعث بها اليهم فلما
قرأها دخل هو واصحابه في الاسلام ورجعوا الى رسول الله صلعم فقبل منهم ثم قال لوحشي اخبرني كيف قتلت حمزة
فلما اخبره قال ويحك غيب وجهك عني فلحق وحشي بعد ذلك بالشام وكان بها الى ان مات ابو مجلز عن ابن عمر
قال نزلت في المؤمنين وذلك انه لما نزلت قل يا عبادي الذين اسرفوا الاية قام النبي صلى الله عليه واله على المنبر فتلاها
على الناس فقام اليه رجل فقال والشرك بالله فسكت ثم قام اليه مرتين او ثلاثا فنزلت ان الله لا يغفر ان يشرك به الاية
واثبتت هذه في الزمر وهذه في النساء وروى مطرف بن الشخير عن عمر بن الخطاب قال كنا على عهد رسول الله صلى الله عليه واله
اذا مات الرجل منا على كبيرة شهدنا بانه من اهل النار حتى نزلت هذه الاية فامسكنا عن الشهادات المعنى
ثم ان سبحانه ايس الكفار من رحمته فقال ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء معناه ان الله
لا يغفر ان يشرك به احد ولا يغفر ذنب المشرك لاحد ويغفر ما دون الشرك لمن يريد قال المحققون هذه الاية
ارجى اية في القرآن لان فيه ادخال ما دون الشرك من جميع المعاصي في مشية الغفران وقف الله سبحانه المؤمنين
الموحدين بهذه الاية بين الخوف والرجاء وبين العدل والفضل وذلك صفة المؤمن ولذلك قال الصادق
لو وزن رجاء المؤمن وخوفه لاعتدلا ويؤيده قوله سبحانه ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون ولا يأمن مكر الله

الا القوم الخاسرون وروي عن ابن عباس انه قال ثمان آيات نزلت في سورة النساء خير مما طلعت عليه الشمس و
غربت قوله سبحانه يريد الله ليبين لكم ويريد الله ان يخفف عنكم ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يظلم مثقال ذرة
ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ان الله لا يغفر ان يشرك به في الموضعين ما يفعل الله بعذابكم وبيان وجه الاستدلال
بهذه الآية على ان الله تعالى يغفر الذنوب من غير توبة انه نفى غفران الشرك ولم ينف غفران ما عداه على كل حال بل نفى ان
يغفر من غير توبة لان الامة اجمعت على انه سبحانه يغفر بالتوبة وان كان الغفران مع التوبة عند المعتزلة على وجه الوجوب
وعندنا على وجه التفضل فعلى هذا يجب ان يكون المراد بقوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء انه يغفر ما دون الشرك
من الذنوب بغير توبة لمن يشاء من المذنبين غير الكافرين وانما قلنا ذلك لانه موضع الكلام الذي يختص بالشق الثاني
ويضم اليه الاعلى والادون ان يخالف الثاني الاول الا ترى انه لا يحسن ان يقول الرجل انا لا ادخل على الامير الا اذا دعاني
وادخل على من دونه اذا دعاني وانما يكون الكلام مفيدا اذا قال وادخل على من دونه وان لم يدعني فلا معنى لقول
من يقول من المعتزلة انه اذا حمل الآية على ظاهرها وادخال ما دون الشرك في المشية اغراء على المعصية لان الاغراء على
المعصية لان الاغراء انما يحصل بالقطع على الغفران فاما اذا كان الغفران متعلقا بالمشية فلا اغراء فيه بل يكون العبد
واقفا بين الخوف والرجاء على الصفة التي وصف تعالى بها عباده المرتضين في قوله يدعون ربهم خوفا وطمعا وقوله يحذر
الآخرة ويرجو رحمة ربه وبهذا وردت الاخبار الكثيرة من طريق الخاص والعام وانعقد عليه اجماع السلف من اهل الاسلام
ومن قال ان في غفران ذنوب البعض دون البعض ميلا ومحاباة ولا يجوز الميل والمحاباة على الله سبحانه فقيل له ان الله سبحانه
متفضل بالغفران والمتفضل ان يتفضل على قوم دون قوم وانسان دون انسان وهو عادل في تعذيب من يعذبه
وليس يمنع العقل ولا الشرع من الفضل والعدل وان قيل ان لفظة ما دون ذلك وان كانت عامة في الذنوب التي هي دون الشرك
فانا نخصها ونحملها على الصغائر او ما يقع منه التوبة لاجل عموم ظاهر آيات الوعيد قيل له انا نعكس عليكم ذلك فنقول
بل خصصوا ظاهر تلك الآيات لعموم ظاهر هذه الآية وهذا اولى لما روي عن بعض السلف انه قال ان هذه الآية استثناء على
جميع القرآن يريد به والله اعلم جميع آيات الوعيد وايضا فان الصغائر تقع عندكم محبطة ولا يجوز المؤاخذة بها وما هذا حكمه
فكيف يعلق بالمشية فان احدا لا يقول اني افعل الواجب ان شئت واترك القبيح ان شئت وقوله ومن يشرك بالله فقد افترى
اي فقد كذب بقوله ان العبادة يستحقها غير الله تعالى واثما عظيما اي غير مغفور وجاءت الرواية عن امير المؤمنين عليه السلام
انه قال ما في القرآن آية ارجى عندي من هذه الآية قوله تعالى الم تر الى الذين يزكون انفسهم بل الله يزكي من يشاء
ولا يظلمون فتيلا • انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به اثما مبينا • ايتان اللغة التزكية التطهير
والتنمية وقد يكون الوصف بالتطهير تزكية واصله من زكا وهو النمو يقال زكا الزرع يزكو زكاء وزكا الشيء اذا نما
في اصلاح واصل الفتيل من الفتل وهو لي الشيء والفتل معروف وامرأة فتلاء اذا كان في ذراعيها فتل عن الجنب والفتيل
بمعنى المفتول وهو عبارة عن الشيء الحقير قال النابغة يجمع الجيش ذا الالوف ويغزو ثم لا يرزأ العدو فتيلا والنظر الاقبال
على الشيء بالبصر ومنه النظر في الكتاب انما هو اقبال على الشيء بالقلب وكذلك النظر بالرحمة والنظر الى الشيء التأميل له
والانتظار الاقبال على الشيء بالتوقع له والمناظرة اقبال كل واحد على الآخر بالمحاجة والنظير مثل الشيء لاقباله على نظيره
بالمماثلة والفرق بين النظر والرؤية ان الرؤية هي ادراك المرئي والنظر الاقبال بالبصر نحو المرئي ولذلك قد ينظر
ولا يراه ولذلك يجوز ان يقال لله تعالى انه راء ولا يقال انه ناظر • الاعراب فتيلا منصوب على انه مفعول ثان كقولك
ظلمته حقه قال علي بن عيسى ويحتمل ان يكون نصبا على التمييز كقولك تصببت عرقا • النزول قيل نزلت في رجال
من اليهود اتوا باطفالهم الى النبي صلى الله عليه وآله فقالوا هل على هؤلاء من ذنب فقال لا فقالوا والله ما نحن الا كهيئتهم ما
عملناه بالنهار كفر عنا بالليل وما عملناه بالليل كفر عنا بالنهار فكذبهم الله تعالى عن الحسن وقيل نزلت في اليهود والنصارى

حين قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى عن الحسن والضحاك وقتادة
والسدي وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلام المعنى ثم ذكر سبحانه تزكية هؤلاء انفسهم مع كفرهم وتحريفهم الكتاب فقال الم
تر معناه الم تعلم وقيل الم تخبر وهو سؤال على وجه الاعلام وتأويله اعلم قصتهم الم ينته علمك الى هؤلاء الذين يزكون انفسهم
اي يمدحونها ويصفونها بالزكاء والطهارة بان يقولوا نحن ازكياء وقيل هو تزكية بعضهم بعضا عن ابن مسعود
وانما قال انفسهم لانهم على دين واحد وهم كنفس واحدة بل الله يزكي من يشاء اي يطهر من الذنوب من يشاء وقيل معناه بل
الله يصير زكيا ولا يزكي اليهود بل يعذبهم ولا يظلمون فتيلا معناه لا يظلمون في تعذيبهم وترك تزكيتهم فتيلا اي مقدار الفتيل
وذكر الفتيل مثلا واختلف في معناه فقيل هو ما يكون في شق النواة عن ابن عباس وعطا ومجاهد وقتادة وقيل الفتيل
هو ما في بطن النواة والنقير ما في ظهرها والقطمير قشرها عن الحسن وقيل الفتيل ما فتلته بين اصبعيك من الوسخ
عن ابن عباس وابي مالك والسدي وفي هذه الآية دلالة على تنزيه الله سبحانه عن الظلم وانما ذكر الفتيل ليعلم
انه لا يظلم قليلا ولا كثيرا انظر يا محمد كيف يفترون على الله الكذب في تحريفهم كتابه وقيل في تزكيتهم انفسهم
وقولهم نحن ابناء الله واحباؤه ولن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى عن ابن جريج وكفى به اي كفى هو اثما
مبينا اي عظيما بينا وانما يقال كفى في العظم على جهة المدح او الذم يقال كفى بحال المؤمن نبلا وكفى بحال الكافر خزيا
ونكالا وقيل ليس يحتاج اليها الى حال اعظم منه ويحتمل ان يكون معناه كفى هذا اثما اي ليس ينقص عن منزلة الآثام قوله تعالى
الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين
آمنوا سبيلا • اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا • ايتان اللغة الجبت الاصل لا تصريف
له في اللغة العربية وروي عن سعيد بن جبير انه قال هو الساحر بلغة الحبشية وهذا يحمل على موافقة اللغتين او على
ان العرب ادخلوها في لغتهم فصارت لغة لهم واللعنة الابعاد من رحمة الله تعالى عقابا على معصيته فلذلك
لا يجوز لعن البهائم ولا من ليس بعاقل من المجانين والاطفال لانه سؤال العقوبة لمن لا يستحقها فمن لعن بهيمة او حشرة
فقد اخطأ لانه سأل الله تعالى ما لا يجوز في حكمته فان قصد بذلك الابعاد لا على وجه العقوبة جاز • الاعراب
سبيلا منصوب على التمييز كما تقول هذا احسن منك وجها اولئك لفظه جمع وواحده ذا في المعنى كما تقول
نسوة في جمع امرأة ودخلت على اولاء ها للتنبيه ولم تلحق اولئك لان الكاف حرف خطاب تنبيها للمخاطب فصار الكاف معاقبا
لهاء التنبيه في اكثر الاستعمال • النزول قيل كان ابو برزة كاهنا في الجاهلية فتنافر اليه ناس ممن اسلم فنزلت الآية
عن عكرمة وقيل وهو قول اكثر المفسرين ان كعب بن الاشرف خرج في سبعين راكبا من اليهود الى مكة بعد وقعة احد
ليحالفوا قريشا على رسول الله صلى الله عليه وآله وينقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وآله فنزل كعب على ابي سفيان
واحسن مثواه ونزلت اليهود في دور قريش فقال اهل مكة انكم اهل الكتاب ومحمد صاحب كتاب فلا نأمن ان يكون هذا
مكرا منكم فان اردت ان نخرج معك فاسجد لهذين الصنمين وآمن بهما ففعل ذلك فذلك قوله يؤمنون بالجبت والطاغوت
ثم قال كعب ليجيء منا ثلاثون ومنكم ثلاثون فنلزق اكبادنا بالكعبة فنعاهد رب البيت على قتال محمد صلى الله عليه وآله ففعلوا
ذلك فلما فرغوا قال ابو سفيان لكعب انك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن اميون لا نعلم فاينا اهدى طريقا واقرب
الى الحق نحن ام محمد صلى الله عليه وآله قال كعب اعرضوا علي دينكم فقال ابو سفيان نحن ننحر للحجيج الكوماء ونسقيهم
الماء ونقري الضيف ونفك العاني ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ونحن اهل الحرم ومحمد فارق
دين آبائه وقطع الرحم وفارق الحرم وديننا القديم ودين محمد الحديث فقال كعب انتم والله اهدى سبيلا مما عليه
محمد صلى الله عليه وآله فانزل الله الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يعني كعب بن الاشرف وجماعة من اليهود الذين كانوا
معه المعنى ثم بين سبحانه انهم اهل العصبية وحمية الجاهلية دعاهم الى ما هم عليه فقال يؤمنون بالجبت والطاغوت

بعينهما الصنمين اللذين كانا لقريش وجدلهما كعب بن الاشرف ويقولون للذين كفروا ابي سفيان واصحابه هؤلاء اهدى
من الذين آمنوا محمد صلعم واصحابه سبيلا اى دينا عن عكرمة وجماعة من المفسرين وقيل ان المعني بالآية حيي بن اخطب و
كعب بن الاشرف وسلام بن ابي الحقيق وابو رافع في جماعة من علماء اليهود والجبت الاصنام والطاغوت تراجمة الاصنام
الذين كانوا يتكلمون بالكذب عنها عن ابن عباس وقيل الجبت الساحر والطاغوت الشيطان عن ابن زيد وقيل
الجبت السحر عن مجاهد والشعبي وقيل الجبت الساحر والطاغوت الكاهن عن ابي العالية وسعيد بن جبير وقيل
الجبت ابليس والطاغوت اولياؤه وقيل هما كل ما عبد من دون الله من حجر او صورة او شيطان عن ابي عبيد وقيل الجبت
هنا حيي بن اخطب والطاغوت كعب بن الاشرف عن الضحاك وبعض الرواة عن ابن عباس والمراد بالسبيل في الآية الدين
وانما سمي سبيلا لانه كالطريق في الاستمرار عليه ليؤدي الى المقصود اولئك اشارة الى الذين تقدم ذكرهم الذين لعنهم
اى ابعدهم من رحمته واخزاهم وخذلهم واقصاهم ومن يلعن الله اى من يلعنه الله فلن تجد له نصيرا اى معينا يدفع عنه عقاب
الله الذى اعده له وقيل فلن تجد له نصيرا في الدنيا والآخرة ولانه لا يعتد بنصر من نصره مع خذلان الله اياه قوله تعالى
ام لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون الناس نقيرا ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم
الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا آيتان اللغة النقير
النقرة في ظهر النواة من النقر وهو النكت ومنه المنقار لانه ينقر به والناقور الصور لانه ينقر فيه بالنفخ المصوت والنقير خشبة ينقر وينبذ فيها
والنقير احقر ما يكون كما يخص الفتيل واحدا واحدا والطوق من القطمير في الخسة لا ترى الادب فيها يختص والحسد
تمنى زوال النعمة عن صاحبها لما يلحق من المشقة في نيله لها وهو خلاف الغبطة لان الغبطة تمنى مثل تلك النعمة
لاجل السرور بها لصاحبها فلهذا صار الحسد مذموما والغبطة غير مذمومة وقيل الحسد من افراط البخل لان البخل
منع النعمة لمشقة بذلها والحسد تمنى زوالها لمشقة نيل صاحبها او العامل فيها المشقة بنيل النعمة واصل السعير من السعر
وهو ايقاد النار واستعرت النار والحرب والشر وسعرتها واسعرتها وسعرتها والسعر سعر المتاع وسعر تسعيرا وذلك
لاستعار السوق بحاجة في البيع والشراء كاستعار النار الاعراب ام هاهنا منقطعة وليست المعادلة لهمزة الاستفهام التي تقتضي المتصلة
وتقديره بل الهم نصيب من الملك وقال بعضهم ان همزة الاستفهام محذوفة من الكلام لان ام لا تجيء مبتداة بها وتقديره
أهم اولى بالنبوة ام لهم نصيب من الملك فيلزم الناس طاعتهم وهذا ضعيف لان حذف الهمزة انما يجوز في ضرورة الشعر ولا ضرورة في
القرآن واذا لا يعمل في يؤتون لانها اذا وقعت بين الفاء والفعل او بين الواو والفعل جاز ان تقدر متوسطة فتلغى كما تلغى
ظننت واخواتها اذا توسطت وتأخرت لان النية به التأخير فالتقدير فلا يؤتون الناس نقيرا اذن ولا يلتبس ذلك
بالاملاء اذن ويجوز ان تقدر مستأنفة فتعمل مع حرف العطف فيقرأ فاذن لا يؤتوا الناس كذلك في قراءة
ابن مسعود واذن لا تعمل في الفعل النصب الا بشروط اربعة ان تكون جوابا للكلام وان تكون مبتداة في اللفظ وان لا يكون ما
بعدها متعلقا بما قبلها ويكون الفعل بعدها مستقبلا المعنى لما حكم اليهود بان المشركين اهدى من المسلمين رد ذلك عليهم
بين الله سبحانه ان الحكم ليس لهم انما الملك لله فقال ام لهم نصيب من الملك وهذا استفهام معناه الانكار اى ليس لهم ذلك
وقيل المراد بالملك هاهنا النبوة عن الجبائي اى الهم نصيب من النبوة فيلزم الناس اتباعهم وطاعتهم وقيل المراد بالملك
ما كانت اليهود تدعيه من ان الملك يعود اليهم في آخر الزمان وانه يخرج منهم من يجدد ملكهم ويدعو الى دينهم فكذبهم الله تعالى
فاذا لا يؤتون الناس نقيرا اى لو اعطوا الدنيا وملكها لما اعطوا الناس من الحقوق قليلا ولا كثيرا وفي تفسير ابن عباس
لو كان لهم نصيب من الملك ما اعطوا محمدا واصحابه شيئا وقيل انهم كانوا اصحاب بساتين واموال وكانوا لا يعطون الفقراء
شيئا ام يحسدون الناس معناه بل يحسدون الناس واختلف في معنى الناس هاهنا فقيل اراد به النبي صلعم حسدوه على ما آتاه
الله من فضله من النبوة واباحة تسع نسوة وميله الى النساء وقالوا لو كان نبيا لشغلته النبوة عن ذلك فبين الله سبحانه ان

النبوة

ان النبوة ليست ببدع في آل ابراهيم فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة يعني النبوة وقد آتينا داود وسليمان
الحكمة وكان لداود تسع وتسعون امرأة ولسليمان مائة امرأة وقال بعضهم كان لسليمان الف امرأة سبعمائة
سرية وثلاثمائة امرأة وكان لداود مائة امرأة فلا معنى لحسدكم محمدا على هذا وهو من اولاد ابراهيم عليه السلام
وهم كانوا اكثر نساء واوسع ملكا منه عن ابن عباس والضحاك والسدي وقيل لما كان قوام الدين به صار حسدهم
له كالحسد لجميع الناس وثانيها ان المراد بالناس النبي صلى الله عليه واله والائمة عليهم السلام عن ابي جعفر والمراد بالفضل فيه النبوة
وفي آله الامامة وفي تفسير العياشي باسناده عن ابي الصباح الكناني قال قال ابو عبد الله عم يا ابا الصباح نحن قوم فرض الله
طاعتنا لنا الانفال ولنا صفو المال ونحن الراسخون في العلم ونحن المحسودون الذين قال الله تعالى ام يحسدون الناس
على ما آتاهم الله من فضله قال والمراد بالكتاب النبوة وبالحكمة الفهم والقضاء وبالملك العظيم افتراض الطاعة وثالثها
ان المراد بالناس محمد صلعم واصحابه لانه قد جرى ذكرهم في قوله هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا ومن فضله من غنيمته
عن ابي علي الجبائي ورابعها ان المراد بالناس العرب اى يحسدون العرب لما صارت النبوة فيهم عن الحسن وقتادة وابن
جريج وقيل المراد بالكتاب التورية والزبور والانجيل وبالحكمة ما اوتوا من العلم وقوله وآتيناهم ملكا عظيما
المراد بالملك العظيم النبوة عن مجاهد والحسن وقيل الملك العظيم ملك سليمان عن ابن عباس وقيل ما احل لداود
وسليمان عليهما السلام من النساء عن السدي وقيل الجمع بين سياسة الدنيا وشرع الدين فمنهم من آمن به فيه قولان احدهما
ان المراد من اهل الكتاب من آمن بمحمد صلعم ومنهم من صد عنه اى اعرض عنه ولم يؤمن به عن مجاهد والزجاج والجبائي
ووجه اتصال هذا المعنى بالآية انهم مع هذا الحسد وعنوا من اهل الصحيح وقد آمن بعضهم به والآخر ان المراد
من امة ابراهيم من آمن بابراهيم ومنهم من اعرض عنه كما اختلف في امر محمد صلعم كذلك وليس في ذلك توهين امره كما لم
يكن اعراضهم عن ابراهيم موهنا لامر ابراهيم وكفى بجهنم سعيرا اى كفى هؤلاء المعرضين عنه في العذاب النار الجحيم على
جهنم نارا موقدة ايقادا شديدا يعني بذلك انه ان انصرف عنهم بعض العذاب في العقبى قوله تعالى ان الذين كفروا
بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ان الله كان عزيزا
حكيما والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا لهم فيها
ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا آيتان اللغة تقول اصليته النار اذا القيته فيها واصليته صليا
اذا اشويته وشاة مصلية مشوية والصلاء الشواء وصلى فلان بشر فلان والتبديل تغيير الشيء يقال ابدلت الشيء
بالشيء اذا ازلت عينا بعين كما قال الشاعر: عزل الامير بالامير المبدل. وبدلت بالتشديد اذا غيرت هيئة والعين
واحد يقولون بدلت جبتي اى جعلتها قميصا ذكره المغربي وقد يكون التبديل بوضع غيره موضعه قال الله تعالى
يوم تبدل الارض غير الارض والظل اصله الستر من الشمس فالدوحة كل موضع يكون فيه الشمس فئ ولا يقال فيه ظل و
ما سوى ذلك ظل لا يقال فيه فئ والظل الليل لانه كالستر من الشمس والظلة السترة والظليل الكنين المعنى
لما تقدم ذكر المؤمن والكافر عقبه بذكر الوعد والوعيد على الايمان والكفر فقال ان الذين كفروا بآياتنا اى جحدوا
حججنا وكذبوا انبياءنا ودفعوا الآيات الدالة على توحيدنا وصدق نبينا سوف نصليهم نارا اى نلزمهم نارا نحرقهم
فيها ونعذبهم بها وسوف دخلت لتدل على انه يفعل بهم في المستقبل كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها
قيل فيه اقوال احدها ان الله سبحانه يجددها بان يردها الى الحالة التي كانت عليها غير محترقة كما يقال جئني
بغير ذلك الوجه اذا كان قد تغير وجهه من الحالة الاولى وكما اذا انكسر الخاتم فاتخذ منه خاتما آخر يقال هذا غير
الخاتم الاول وان كان اصلهما واحدا فعلى هذا يكون الجلد واحدا وانما يتغير الاحوال عليه وهو اختيار الزجاج والبلخي
وابي علي الجبائي وثانيها ان التبديل انما هو للسرابيل التي ذكرها الله سبحانه سرابيلهم من قطران وضعفت

الى ايلام الجلود على المجاورة للزومها الجلود وهذا ترك للظاهر بغير دليل وعلى القولين الاخيرين لا يلزم سؤال التعذيب
لغير العاصي فاما من قال ان الانسان غير هذه الجملة المشاهدة وانه المعذب في الحقيقة فقد تخلص من هذا السؤال
وقوله ليذوقوا العذاب معناه ليجدوا الم العذاب وانما قال ذلك ليبين انهم كالمبتداء عليهم العذاب في كل حال
يحسون في كل حال الما لكن يحسون الشيء فانه يصير اخف عليه ان الله كان عزيزا اى لم يزل منيعا لا يدافع ولا
يمانع ويقال معناه انه قادر لا يمتنع عليه انجاز ما توعد به او وعد حكيما في تدبيره وتقديره وفي تعذيب من يعذبه وروى
الكلبي عن الحسن قال بلغنا ان جلودهم تنضج كل يوم سبعين الف مرة والذين امنوا بكل ما يجب به الايمان وعملوا الصالحات
اى الطاعات الخالصة سندخلهم جنات تجري من تحتها اى من تحت اشجارها وقصورها الانهار اى ماء الانهار
خالدين فيها اى دائمين فيها ابدا لهم فيها ازواج مطهرة طهرن من الحيض والنفاس ومن جميع المعايب والادناس والاخلاق
الدنية والطباع الردية لا يفعلن ما يوحش ازواجهن ولا يوجد فيهن ما ينفر عنهن وندخلهم مع ذلك ظلا ظليلا
اى كنا ليس فيه حر ولا برد بخلاف ظل الدنيا وقيل ظلا دائما لا ينسخه الشمس كما في الدنيا وقيل ظلا متمكنا قويا كما يقال
يوم اليوم وليل اليل وداهية دهيا ويصفون الشيء بمثل لفظه اذا ارادوا المبالغة قوله تعالى ان الله يامركم
ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا
بصيرا اللغة الاداء تادية الشيء تادية ويقال يوضع الاداء موضع التادية فيقام الاسم مقام المصدر والسميع هو من كان
على صفة يجب لاجلها ان يسمع المسموعات اذا وجدت والبصير من كان على صفة يجب لاجلها ان يبصر المبصرات اذا وجدت
والسامع هو المدرك للمسموعات والمبصر هو المدرك للمبصرات ولهذا يوصف القديم سبحانه فيما لم يزل بانه سميع بصير
ولا يوصف في القديم بانه سامع مبصر الاعراب قوله نعما يعظكم به تقديره نعم شيئا شيء يعظكم به فيكون شيئا تمييزا
لاسم الجنس المضمر الذي هو فاعل نعم والمخصوص بالمدح قد حذف واقيم صفته مقامه وهو قوله يعظكم به جملة في
موضع رفع بانها خبر ان المعنى ثم امر سبحانه باداء الامانة فقال ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها قيل
في المعنى بهذه الاية اقوال احدها انها في كل من اؤتمن امانة من الامانات فامانات الله تعالى اوامره ونواهيه وامانات
عباده فيما يأتمن بعضهم بعضا من المال وغيره عن ابن عباس وابي بن كعب وابن مسعود والحسن وقتادة وهو المروي عن ابي جعفر
وابي عبد الله عم وثانيها ان المراد به ولاة الامر امرهم الله سبحانه ان يقوموا برعاية الرعية وحملهم على موجب الدين
والشريعة عن زيد بن اسلم ومكحول وشهر بن حوشب وهو المروي عن الجبائي ورواه اصحابنا عن ابي جعفر الباقر
وابي عبد الله عليهما السلام قالا امر الله سبحانه كل واحد من الائمة ان يسلم الامر الى من بعده ويعضده انه سبحانه امر الرعية
بعد هذا بطاعة ولاة الامر وروي عنهم عليهم السلام انهم قالوا ايتان احديهما لنا والاخرى لكم قال الله سبحانه ان الله يامركم
ان تؤدوا الامانات ثم قال يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم الاية وهذا القول داخل في
القول الاول لانه من جملة ما ائتمن الله سبحانه عليه الائمة الصادقين ولذلك قال ابو جعفر عليه السلام ان اداء الصلوة والزكوة
والصوم والحج من الامانة ويكون من جملتها الامر لولاة الامر بقسم الصدقات والغنائم وغير ذلك مما يتعلق به حق
الرعية وقد عظم الله سبحانه امر الامانة بقوله يعلم خائنة الاعين وقوله ولا تخونوا الله والرسول وقوله ومن اهل الكتاب
من ان تامنه الاية وثالثها انه خطاب للنبي صلعم برد مفتاح الكعبة الى عثمان بن طلحة حين قبض منه المفتاح يوم فتح
مكة واراد ان يدفعه الى العباس ليكون له الحجابة والسقاية عن ابن جريج والمعول على ما تقدم وان صح القول الاخير
والقصة فيه فقد دل الدليل على ان الامر اذا ورد على سبب لا يجب قصره عليه بل يكون على عمومه واذا حكمتم
بين الناس ان تحكموا بالعدل امر الله الولاة والحكام ان يحكموا بالعدل والنصفة ونظيره قوله يا داود انا جعلناك
خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق وروى عن النبي صلعم انه قال لعلي عليه السلام سو بين الخصمين في لحظك ولفظك

وورد في الاثار ان صبيين ارتفعا الى الحسن بن علي عم في خط كتباه وحكماه في ذلك ليحكم اى الخطين اجود فبصر
به علي عم فقال يا بني انظر كيف تحكم فان هذا حكم والله سائلك عنه يوم القيمة ان الله نعما يعظكم به اى نعم الشيء ما يعظكم
به من الامر برد الامانات والنهي عن الخيانة والحكم بالعدل ومعنى الوعظ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقيل هو الامر
بالخير والنهي عن الشر ان الله كان سميعا بجميع المسموعات بصيرا بجميع المبصرات وقيل معناه عالما باقوالكم واعمالكم
وادخل كان تنبيها على ان هذه الصفة واجبة له فيما لم يزل قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا
الرسول واولي الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر ذلك
خير واحسن تاويلا الاية المعنى لما بدا سبحانه في الاية المتقدمة بحث الولاة على تادية حقوق الرعية والنصفة
والتسوية بين البرية ثناه في هذه الاية بحث الرعية على طاعتهم والاقتداء بهم والرد اليهم فقال يا ايها الذين امنوا
اطيعوا الله اى الزموا طاعة الله فيما امركم به ونهاكم عنه واطيعوا الرسول اى الزموا طاعة رسوله صلى الله عليه واله
ايضا وانما افرد الامر بطاعة الرسول وان كانت طاعته مقترنة بطاعة الله سبحانه مبالغة في البيان وقطعا لتوهم
من توهم انه لا يجب لزوم ما ليس في القران من الاوامر ونظيره قوله سبحانه من يطع الرسول فقد اطاع الله وما
اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وما ينطق عن الهوى وقيل معناه اطيعوا الله في الفرائض واطيعوا
الرسول في السنن عن الكلبي والاول اوضح لان طاعة الرسول هي طاعة الله تعالى امتثال الاوامر والمعرفة
لله واما المعرفة بانه رسول فهو معرفة رسالته ولا يتم ذلك الا بعد معرفة الله وليست احديهما هي الاخرى
وطاعة الرسول واجبة في حياته وبعد وفاته لان اتباع شريعته لازم لجميع المكلفين ومعلوم ضرورة
انه دعا اليها جميع العالمين الى يوم القيمة كما علم انه رسول الله اليهم اجمعين وقوله واولي الامر منكم للمفسرين فيه
قولان احدهما انهم الامراء عن ابي هريرة وابن عباس في احدى الروايتين وميمون بن مهران والسدي و
اختاره الجبائي والبلخي والطبري والاخر انهم العلماء عن جابر بن عبد الله وابن عباس في رواية الاخرى
ومجاهد والحسن وعطا وجماعة وقال بعضهم لانهم الذين يرجع اليهم في الاحكام ويجب الرجوع اليهم
عند التنازع دون الولاة واما اصحابنا فانهم رووا عن الباقر والصادق عليهما السلام ان اولي الامر هم الائمة
من ال محمد صلعم اوجب الله طاعتهم بالاطلاق كما اوجب طاعته وطاعة رسوله صلعم ولا يجوز ان يوجب
الله طاعة احد على الاطلاق الا من ثبتت عصمته وعلم ان باطنه كظاهره وامن منه الغلط والامر بالقبيح وليس
ذلك بحاصل في الامراء ولا العلماء سواهم جل الله سبحانه عن ان يامر بطاعة من يعصيه او بالانقياد للمختلفين في القول
والفعل لانه محال ان يطاع المختلفون كما انه محال ان يجتمع ما اختلفوا فيه ومما يدل على ذلك ايضا ان الله سبحانه
لم يقرن طاعة اولي الامر بطاعة رسوله كما قرن طاعة رسوله بطاعته الا واولو الامر فوق الخلق جميعا كما ان الرسول فوق
اولي الامر وفوق سائر الخلق وهذه صفة ائمة الهدى من ال محمد صلى الله عليه واله الذين ثبتت امامتهم وعصمتهم واتفقت
الامة على علو رتبتهم وعدالتهم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول معناه فان اختلفتم في شيء من امور دينكم
فردوا المتنازع فيه الى كتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه واله وهو قول مجاهد وقتادة والسدي ونحن نقول
الرد الى الائمة القائمين مقام الرسول صلعم بعد وفاته هو مثل الرد الى الرسول في حيوته لانهم الحافظون لشريعته
وخلفاؤه في امته فجروا مجراه فيه ثم اكد سبحانه ذلك بقوله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر فما ابين هذا لمن انصف
ذلك اشارة الى طاعة الله وطاعة رسوله واولي الامر والرد الى الله والرسول خير لكم واحسن تاويلا اى احمد
عاقبة عن قتادة والسدي وابن زيد قالوا لان التاويل انما هو ما يؤول اليه المرجع والعاقبة سمي تاويلا
لانه مآل الامر وقيل معناه احسن جزاء عن مجاهد وقيل خير لكم في الدنيا واحسن عاقبة في الاخرة وقيل معناه احسن

٢٢٣

من تاويلكم انتم اياه من غير رد الى كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلعم عن الزجاج وهو الاقوى لان الرد الى الله وبعد وله
ومن يقوم مقامهم من المعصومين احسن لا محالة من تاويل بغير حجة واستدل بعضهم بقوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله
والرسول على ان اجماع الامة حجة قالوا لانما اوجب الله الرد الى الكتاب والسنة بشرط وجود التنازع دل على انه
اذا لم يوجد التنازع لا يجب الرد ولا يكون كذلك الا والاجماع حجة وهذا الاستدلال فاسد لانه لو فرض ان في الامة
معصوما حافظا للشرع فاما اذا لم نفرض ذلك فلا تصح لان تعليق الحكم بشرط او صفة لا يدل على ان ما عداه بخلافه
عند اكثر العلماء فكيف احمد واعلى ظاهرها على ان الامة لا تجتمع على شيء الا عن كتاب وسنة فكيف يقال انها اذا اجمعت
على شيء لا يجب عليها الرد الى الكتاب وقد ورد لمطابقة تعالى الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك وما
انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا
واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول رايت المنافقين يصدون عنك صدودا ○ اللغة الطاغوت
ذو الطغيان على جهة المبالغة في الصفة فكل من يعبد من دون الله فهو طاغوت وقد سمي به الاوثان كما سميت بانها
رجس من عمل الشيطان وتوصف به ايضا كل من طمع ان يحكم بغير حكم الله تعالى واصل الضلال الهلاك بالعدول
عن الطريق الموصل الى البغية ولانه ضد الهدى الذي هو الدلالة الى الطريق الموصل الى البغية وله تصرف في كثير
يرجع جميعه الى هذا المعنى ذكرناه في سورة البقرة عند قوله وما يضل به الا الفاسقين وتعالوا اصله من العلو فاذا
قلت لغيرك تعال فمعناه ارتفع الي وصد وصدود الاصل فيه ان لا يتعدى تقول صددت عن فلان اصد بمعنى
اعرضت عنه ويجوز صددت فلانا عن فلان بالتعدي الا ان دخاله منعته عنه ومثله رجعت انا ورجعت غيري الا ان دخله
معنى تعدية الاعراب صدودا نصب على المصدر على وجه التاكيد للفعل كقوله وكلم الله موسى تكليما والمعنى انه يشرك
على بيان مثال التاكيد بالحكمة في الحقيقة وقيل في معنى تكليما انه كلمه تكليما شريفا عظيما ويمكن تقديره مثله في الاية
اي يصدون عنك صدودا عظيما النزول كان بين رجل من اليهود ورجل من المنافقين خصومة فقال اليهودي
احاكمك الى محمد صلى الله عليه وآله لانه علم انه لا يقبل الرشوة ولا يجور في الحكم فقال المنافق لا بل بيني وبينك كعب بن الاشرف
لانه علم انه ياخذ الرشوة فنزلت الاية عن اكثر المفسرين المعنى لما امر الله تعالى اولي الامر بالحكم بالعدل وامر المسلمين
بطاعتهم وصل ذلك بذكر المنافقين الذين لا يرضون بحكم الله ورسوله فقال الم تر الم تعلم وقيل التعجب اي الا تعجب من
صنيع هؤلاء وقيل الم ينته علمك الى هؤلاء الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك يعني القرآن وما انزل من قبلك من التورية
والانجيل يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت يعني كعب بن الاشرف عن ابن عباس ومجاهد والربيع والضحاك وقيل انه كاهن
من جهينة اراد المنافق ان يتحاكم اليه عن الشعبي وقتادة وقيل اراد به ما كانوا يتحاكمون فيه الى الاوثان بضرب القداح عن الحسن
وروى اصحابنا عن السيدين الباقر والصادق عليهما السلام ان المعنى كل من يتحاكم اليه ممن يحكم بغير الحق وقد امروا ان يكفروا به
يعني بقوله سبحانه فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ويريد الشيطان بما يزينهم
ان يضلهم ضلالا بعيدا عن الحق فنسب ضلالهم الى الشيطان ولو كان الله سبحانه قد اضلهم بخلق الضلال فيهم على ما
يقوله المجبرة لنسب ضلالهم الى نفسه دون الشيطان تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا واذا قيل لهم اي للمنافقين تعالوا الى
ما انزل الله من القرآن ومن الاحكام والى الرسول لحكمه رايت يا محمد المنافقين يصدون عنك صدودا اي يعرضون عنك
اي عن المصير اليك لتحكم اعراضا فقال تعالى فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم ثم جاؤك يحلفون بالله
ان اردنا الا احسانا وتوفيقا ○ اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فاعرض عنهم وعظهم وقل لهم في انفسهم قولا بليغا ○ البيان
اللغة الحلف القسم ومنه الحلف لانه لعقدهم فيه على الامر واصل البلاغة البلوغ يقال بلغ الرجل بلاغة فهو بليغ
اذا كان يبلغ بعبارته كثيرا مما في قلبه ويقال احمق بلغ وبلغ اي انه مع حماقته يبلغ حيث يريد

وقيل معناه وبلغ في الحماقة الاعراب موضع كيف رفع بانه خبر مبتدأ محذوف والتقدير فكيف صنيعهم اذا اصابتهم
مصيبة فكانه قال الاساءة صنيعهم بالجرأة على كذبهم ام الاحسان صنيعهم بالتوبة من جرمهم ويجوز ان يكون موضع كيف
نصبا وتقديره كيف يكونون امصرين ام تائبين يكونون ولو قلت انه رفع على معنى كيف بك كانه قال اصلاح شانهم فاذا ذلك ويكون
مبتدأ محذوف الخبر ويحلفون في موضع نصب على الحال وان اردنا الا احسانا وتوفيقا جواب القسم واحسانا مفعول المعنى
ثم عطف سبحانه على ما تقدم بقوله فكيف صنيع هؤلاء اذا اصابتهم مصيبة اي نالتهم من الله عقوبة بما قدمت ايديهم
بما كسبت ايديهم من النفاق واظهار السخط لحكم النبي ثم جاؤك يا محمد يحلفون يقسمون بالله ان اردنا الا احسانا اي ما اردنا
بالتحاكم الى غيرك الا التخفيف عنك فانا نحتشمك برفع الصوت في مجلسك ونقتصر على من يتوسط لنا برضاء الخصمين
دون الحكم الموجب للضغائن فقوله الا احسانا اي احسانا الى الخصوم وتوفيقا بينهم بالتماس التوسط دون الحمل على مر الحكم
والا ارادة التوفيق والتاليف وقيل توفيقا اي طلبا لما يوافق الحق وقيل ان المعني بالاية عبد الله بن ابي والمصيبة ما امتحن
من الذل مرجعهم من غزوة بني المصطلق وهي غزوة المريسيع حين نزلت سورة المنافقين فاضطر الى الخشوع والاعتذار
وسنذكر ذلك ان شاء الله في سورة المنافقين او مصيبة الموت لما تضرع الى رسول الله في الاقالة او الاستغفار وسأله
توبة لقيه بالنار وهم يقولون ما اردنا بالكلام بين الفريقين المتنازعين في غزوة بني المصطلق ذكره الحسين بن علي المغربي
وفي هذا دلالة على انه قد يصيب المصيبة بما يكتسب العبد من الذنوب ثم اختلف في ذلك فقال ابو علي الجبائي
لا يكون ذلك الا عقوبة الا في التائب وقال ابو هاشم يكون ذلك لطفا وقال القاضي عبد الجبار قد يكون لطفا وقد يكون
جزاء وهو موقوف على الدليل اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم من الشرك والنفاق والخيانة فاعرض
عنهم اي لا تعاقبهم وعظهم بلسانك وقل لهم في انفسهم قولا بليغا اي قل لهم ان اظهرتم ما في قلوبكم من النفاق قتلتم
فهذا هو القول البليغ لانه يبلغ من نفوسهم كل مبلغ وقيل عن الحسن معناه فاعرض عن قبول الاعتذار منهم وعظهم مع ذلك
وخوفهم بمكاره تنزل بهم في انفسهم ان عادوا لمثل ما فعلوه عن ابي علي الجبائي وفي قوله سبحانه وقل لهم في انفسهم قولا بليغا
دلالة على فضل البلاغة وحث على اعتمادها وايثارها لكونها احد اقسام الحكمة لما فيها من بلوغ المعنى الذي يحتاج
الى التعبير باللفظ الوجيز مع حسن الترتيب قوله تعالى وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك
فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما ○ الاعراب من في قوله وما ارسلنا زائدة وكذلك
في من رسول الا ان من لها مزية في الايجاب وزيادتها تؤذن باستغراق الجنس كقولك ما جاءني من احد ولو موضوعة للفعل
لما فيها من معنى الجزاء تقول لو كان كذا لكان كذا ولا يأتي بعدها الا ان خاصة وانما اجيز في ان خاصة ان يقع بعدها
لانها كالفعل في افادة التاكيد فموضع ان بعد لو مع اسمها وخبرها رفع بكونها فاعلا للفعل المضمر بعد لو وتقديره لو وقع
انهم جاؤك وقت ظلمهم انفسهم اي لو وقع مجيئهم ○ المعنى ثم ذمهم سبحانه على تركهم امره وذكر ان غرضه من البعثة الطاعة
فقال وما ارسلنا من رسول اي لم نرسل رسولا من رسلنا الا ليطاع عن ابن عباس الغرض من الارسال ان يطاع الرسول
ويمتثل بما يامر به ولعله اقتصر على ذكر طاعة الرسول هنا لان هؤلاء المنافقين الذين تحاكموا الى الطاغوت زعموا انهم
يؤمنون به واعرضوا عن طاعته فبين الله سبحانه انه ارسل رسوله الا ليطاع وقوله باذن الله اي بامر الله الذي دل به
على وجوب طاعتهم والاذن على وجوه احدها يكون بمعنى اللطف كقوله وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله وثانيها
بمعنى التخلية كقوله وما هم بضارين به من احد الا باذن الله وثالثها بمعنى الامر كما في هذه الاية ولو انهم اذ ظلموا انفسهم اي بخسوها
حقها بادخال الضرر عليها بفعل المعصية من استحقاق العقاب وتفويت الثواب بفعل الطاعة وقيل ظلموا انفسهم
بالكفر والنفاق جاؤك تائبين مقبلين عليك مؤمنين بك فاستغفروا الله لذنوبهم ونزعوا عما هم عليه واستغفر لهم
الرسول رجع من لفظ الخطاب في قوله جاؤك الى الغيبة جريا على عادة العرب المالوفة واستغفر لهم باجهاد قوم

أي سألت الله تعالى أن يغفر لهم ذنوبهم لوجدوا الله هنا احتمال معنيين أحدهما لوجدوا مغفرة الله لذنوبهم
ورحمته إياهم والثاني لعلموا الله توابا رحيما والوجدان يكون بمعنى العلم وبمعنى الإدراك فلا يجوز أن يكون
على ظاهره هنا بمعنى الإدراك لأنه سبحانه غير مدرك في نفسه توابا أي قابلا لتوبتهم رحيما بهم في التجاوز عنهم ما قد سلف
وفي قوله وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع أوكد دلالة على بطلان مذهب المجبرة القائلين بأن الله سبحانه يريد أن يعصي
أنبياءهم قوم ويطيعهم آخرون وذكر الحسن في هذه الآية أن اثني عشر رجلا من المنافقين ائتمروا فيما بينهم واجتمعوا على أمر
مكيدة لرسول الله صلى الله عليه وآله فأتاه جبرئيل عليه السلام فأخبره بها فقال إن قوما دخلوا يريدون أمرا لا ينالونه فليقوموا وليستغفروا الله
وليعترفوا بذنوبهم حتى أشفع لهم فلم يقوموا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله مرارا ألا تقومون فلم يقم أحد منهم فقال صلى الله عليه وآله قم يا فلان قم
يا فلان حتى عد اثني عشر رجلا فقاموا وقالوا كنا عزمنا على ما قلت ونحن نتوب إلى الله من ظلمنا فاشفع لنا فقال الآن اخرجوا
عني أنا كنت في أول أمركم أطيب نفسا بالشفاعة وكان الله أسرع إلى الإجابة فخرجوا عنه حتى لم يرهم وفي الآية دلالة
على أن مرتكب الكبيرة يجب عليه الاستغفار فإن الله سبحانه سيتوب عليه بأن يقبل توبته ويدل أيضا على أن مجرد الاستغفار
لا يكفي مع كونه مصرا على المعصية لأنه لا يكفي ليستغفر لهم الرسول ما لم يتوبوا بل ينبغي أن يتوب ويندم على ما فعله ويعزم في القلب
على أن لا يعود أبدا إلى مثله ثم يستغفر بعد ذلك باللسان ليتوب الله عليه قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم
ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما آية اللغة شجر الأمر يشجر شجورا إذا اختلط وشاجره في الأمر إذا نازعه
وتشاجروا فيه وكل ذلك لتداخل كلام بعضهم في بعض كتداخل الشجر بالتفافه وأصل الحرج الضيق وفي الحديث حدثوا عن
بني إسرائيل ولا حرج أي لا ضيق ويقال للإثم الإعراب لا دخلت في أول الكلام لا ينادي الكلام فكأنه قال ليس الأمر كما يزعمون
لأنهم آمنوا وهم يخالفون حكمك ثم استأنف القسم فقال وربك لا يؤمنون وقيل إن لا هنا توطئة للنفي الذي يأتي فيما بعد
لأن ذكر النفي في أول الكلام وآخره أوكد فإن النفي يقتضي أن يكون له صدر الكلام وقد اقتضى القسم أن يكون النفي في الجواب
وتسليما مصدر مؤكد والمصادر المؤكدة بمنزلة ذكر الفعل ثانيا ومن حق التوكيد أن يكون محققا لما يذكر في صدر الكلام
كلامك فإذا قلت ضربت ضربا فكأنك قلت أحدثت ضربا أحقه حقا ولا شك فيه النزول قيل نزلت في الزبير ورجل من الأنصار خاصمه إلى
النبي صلى الله عليه وآله في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل كلاهما فقال النبي صلى الله عليه وآله للزبير اسق ثم أرسل إلى جارك فغضب
الأنصاري وقال يا رسول الله لأن كان ابن عمتك فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال للزبير اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى
الجدر واستوف حقك ثم أرسل إلى جارك كان رسول الله صلى الله عليه وآله أشار إلى الزبير برأي فيه السعة له وللخصم فلما أحفظ رسول الله صلى الله عليه وآله
استوعب للزبير حقه في صريح الحكم ويقال إن الرجل كان حاطب بن أبي بلتعة قال الراوي ثم خرجا فمرا على المقداد
فقال لمن كان القضاء يا أبا بلتعة قال قضى لابن عمته ولوى شدقه ففطن له يهودي كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء
يشهدون أنه رسول الله ثم يتهمونه في قضاء يقضي بينهم وأيم الله لقد أذنبنا مرة واحدة في حياة موسى فدعانا موسى إلى التوبة
فقال اقتلوا أنفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين ألفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس أما والله إن الله ليعلم
مني الصدق ولو أمرني محمد أن أقتل نفسي لقتلتها فأنزل الله في شأن حاطب بن أبي بلتعة وليه هذه الآية وقيل إنها
نزلت في قصة بشر المنافق واليهودي اللذين اختصما إلى عمر وقد مضى ذكرها المعنى ثم بين الله سبحانه أن الإيمان إنما هو بالتزام
حكم رسول الله صلى الله عليه وآله والرضا به فقال فلا أي ليس كما يزعمون أنهم يؤمنون مع محاكمتهم إلى الطاغوت وربك لا يؤمنون أقسم الله
سبحانه أن هؤلاء المنافقين لا يكونون مؤمنين ولا يدخلون في الإيمان حتى يحكموك أي حتى يجعلوك حكما أو حاكما فيما شجر بينهم
أي فيما وقع بينهم من الخصومة والتبس عليهم من أحكام الشريعة ثم لا يجدوا في أنفسهم أي في قلوبهم حرجا أي شكا في أن ما قلته
حق عن مجاهد وقيل إثما أي لا يأثمون بإنكار ذلك عن الضحاك وقيل ضيقا بشك أو إثم عن أبي علي الجبائي وهو الوجه مما قضيت
أي حكمت ويسلموا تسليما أي ينقادوا لحكمك إذعانا وخضوعا لأمرك وروي عن الصادق عليه السلام أنه قال لو أن قوما عبدوا الله

وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وصاموا رمضان وحجوا البيت ثم قالوا لشيء صنعه رسول الله صلى الله عليه وآله ألا صنع خلاف ما صنع
أو وجدوا من ذلك حرجا في أنفسهم لكانوا مشركين ثم تلا هذه الآية قوله تعالى ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا
أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا وإذا
لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما آيات القراءة قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر و
الكسائي أن اقتلوا بضم النون أو اخرجوا بضم الواو وقرأ حمزة وعاصم بكسرهما وقرأ أبو عمرو بكسر النون وضم الواو
وقراءة ابن عامر وحده إلا قليلا بالنصب وكذلك هو في مصاحف أهل الشام وقرأ الباقون بالرفع الحجة قال
أبو علي ما فصل أبو عمرو بين الواو والنون لأن الضم في الواو أحسن لأنها تشبه واو الضمير والجميع يضمون واو الضمير نحو اشتروا
الضلالة فكره الضمة في النون لأنها كأن الهمزة التي ضمت يضم لها الحرف الثالث فجعلت بين بينها وإن كانت منفصلة
وفي الواو هذا المعنى والمعنى الذي اشتركا فيه من مشابهة واو الضمير والضمير فيه سائغ هذا أحسن لأنها في موضع همزة
قال أبو الحسن وهي لغة حسنة وهو كثير في الكلام والقياس ووجه قول من كسر أن هذه الحروف منفصلة من الفعل المضموم الثالث
والهمزة متصلة بها فلم يجروا المنفصل مجرى المتصل ولم يجيء قوله إلا قليل بالرفع على البدل مجاز قوله ما فعلوه إلا قليل
فإن معنى ما أتاني أحد إلا زيد وما أتاني إلا زيد واحد ومن نصب فإنه جعل النفي بمنزلة الإيجاب فإن قولك ما أتاني أحد
كلام تام كما أن جاءني القوم كذلك فنصب مع النفي كما نصب مع الإيجاب الإعراب لو يمتنع بها الشيء لامتناع غيره تقول
لو أتاني زيد لأكرمته والمعنى أن إكرامي امتنع لامتناع إتيان زيد فحقها أن يليها الفعل فالتقدير هنا لو وقع كتبنا عليهم
ويجوز أن يكون أن المشددة كما نابت عن الاسم والخبر في قولك حسبت أن زيدا عالم نابت هنا عن الفعل فيكون المعنى في قوله
ولو أنا كتبنا عليهم كالمعنى في لو كتبنا عليهم وإذا دخلت هنا لتدل على معنى الجزاء ومعنى إذن جواب وجزاء وهي تقع
متقدمة ومتوسطة ومتأخرة وإنما تعمل متقدمة خاصة إلا أن يكون الفعل بعدها للحال فتلغى خارجا
واللام في قوله لآتيناهم ولهديناهم اللام التي تقع في جواب لو كما تقع في جواب القسم ونحو قول امرئ القيس حلفت
لها بالله حلفة فاجر لناموا فما إن من حديث ولا صال الفرق بين لام الجواب ولام الابتداء أن لام الابتداء لا تدخل إلا على
اسم المبتدأ إلا في باب إن خاصة فإنها تدخل على الفعل أيضا بعد الاسم وتقول علمت أن زيدا ليقوم وعلمت أن زيدا ليقومن
فيكسر إن في الأول لأن علمت صارت معلقة باللام في ليقوم لأنها لام الابتداء أخرت للخبر لئلا يجتمع حرفان متفقان في
المعنى وتفتح في الثانية لأنها لام الجواب فاعرفه فإنه من دقائق النحو [illegible] المعنى ثم أخبر سبحانه
عن سرائر القوم فقال ولو أنا كتبنا أي أوجبنا عليهم أي على هؤلاء الذين تقدم ذكرهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم
كما أوجبنا على قوم موسى وألزمناهم ذلك فقتلوا أنفسهم وخرجوا إلى التيه ما فعلوه أي ما فعله هؤلاء لمشقته إلا قليل
منهم قيل إن القليل الذي استثنى الله تعالى هو ثابت بن قيس بن شماس وقال جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله قالوا والله
لو أمرنا لفعلنا فالحمد لله الذي عافانا ومنهم عبد الله بن مسعود وعمار فقال النبي صلى الله عليه وآله إن من أمتي لرجالا الإيمان أثبت
في قلوبهم من الجبال الرواسي ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به أي ما يؤمرون به لكان ذلك خيرا لهم وأشد تثبيتا أي بصيرة
في أمر الدين كذا عن البصري وقيل أشد تثبيتا لأن من كان على بصيرة من أمر دينه كان ذلك أدعى له إلى الثبات عليه وهو أجمع
اعتقاد الحق والدوام عليه ممن لم يكن على بصيرة منه وقيل معناه لو أنهم فعلوا ما وعظوا به لكان في أمور الدين
والدنيا أشد تثبيتا لهم على الحق في الثواب وأمنع لهم من الضلال وأبعد من الشبهات كما قال سبحانه والذين اهتدوا زادهم
هدى وقيل معناه أكثر انتفاعا بالحق لأن الانتفاع بالحق يدوم ولا يبطل لأنه يتصل بثواب الآخرة والانتفاع بالباطل
يبطل ويضمحل ويتصل بعقاب الآخرة قال البلخي معنى الآية لو فرض عليهم القتل والخروج من الديار لم يفعلوا فإذا لم نفرض
عليهم ذلك فليفعلوا ما أمروا به مما هو أسهل عليهم منه فإن ذلك خير لهم وأشد تثبيتا لهم على الإيمان وفي التفاتهم

٢٣٥

تثبيتا على ذلك ومعناه اللطف لنا ما نثبت معه عليه واذا لآتيناهم هذا متصل بما قبله اى ولو انهم فعلوا ذلك
لآتيناهم اى لاعطيناهم من لدنا اى من عندنا اجرا عظيما لا يبلغ احد مداه ولا يعرف منتهاه ولا يدرك تصوره
وانما ذكر من لدنا تاكيدا بانه لا يقدر عليه غيره وليدل على الاختصاص فان الاجر يجوز ان يصل الى المثاب على يد بعض العباد
فاذا وصل الثواب اليه بنفسه كان اشرف للعبد وابلغ فى النعمة ولهديناهم صراطا مستقيما اى ولثبتناهم مع ذلك على
الطريق المستقيم بما نفعله بهم من الالطاف التى يثبتون معها على الطاعة ويلزمون الاستقامة وقيل ولوفقناهم
للثبات على الطريق المستقيم وقيل معناه ولهديناهم فى الاخرة الى طريق الجنة عن ابى على الجبائى قال ولا يجوز ان يكون
الهداية هنا الارشاد الى الدين لانه سبحانه وعد بها المؤمن المطيع ولا يكون كذلك الا وقد اهتدى قوله تعالى
ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك
رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما ايتان اللغة الصديق المداوم على التصديق بما يوجبه الحق
وقيل الذى عادته الصدق وهذا البناء يكون لمن غلب على عادته فعل يقال لملازم السكر سكير ولملازم الشرب
شريب والشهداء جمع شهيد وهو المقتول فى سبيل الله وليست الشهادة من فعل القتل الذى معصية لكنها حال
المقتول فانه حصل القيام بالحق لله مقرا به وداعيا اليه وهى من اسماء المدح فيجوز للمرء ان يتمناها ولا يجوز ان يتمنى
قتل الكافر اياه لانه معصية وقيل الشهادة هى الصبر على امر الله تعالى بمن قاتل العدو فاما الصبر على الالم بترك الانين
فليس بواجب وليس الانين بممنوع عنه بل هو مباح اذا لم يقل ما يكره الله تعالى والصالح من استقامت نفسه بحسن عمله
والرفيق الصاحب هو مشتق من الرفق فى العمل وهو الارتفاق فيه ومنه المرافقة والمرفق من اليد بكسر الميم لانه يرتفق به
وقوله ويهيئ لكم من امركم مرفقا اى رفقا يصلح به امركم والمرفق بفتح الميم من مرافق الدار والرفقة الجماعة فى السفر لارتفاق
بعضهم ببعض والفضل فى اصل اللغة هو الزيادة على المقدار وقد استعمل فى النفع ايضا وافعال الله تعالى كلها فضل
وتفضل وافضال لانه لا يقتصر بالعبد على مقدار ما يستحق بل يزيد عليه بما بين الناس زيادات كثيرة ولا يجوز ذلك
على طريق المساواة الاعراب رفيقا نصب على التمييز ولذلك لم يجمع ومعناه حسن اولئك رفيقا وقيل انه لم يجمع لان المعنى
حسن كل واحد منهم رفيقا كقوله سبحانه ثم يخرجكم طفلا وقال الشاعر نصبن الهوى ثم ارتمين قلوبنا باعين اعداء وهن
صديق وقيل انه نصب على الحال فانه قد يدخل من فى مثله فاذا سقطت من كان الحال الوجه لا الاختيار لانه من الصفات التى تدخل
فى اسماء الاجناس وقد يكون للتوحيد لما دخله من معنى حسن كل واحد منهم رافقا ولله دره فارسا اى فى حال
الفروسية النزول قيل نزلت فى ثوبان مولى رسول الله صلعم كان شديد الحب لرسول الله صم قليل الصبر عنه
فاتاه ذات يوم وقد تغير لونه ونحل جسمه فقال صلعم يا ثوبان ما غير لونك فقال يا رسول الله ما بى من مرض ولا وجع
لكنى اذا لم ارك اشتقت اليك حتى القاك ثم ذكرت الاخرة فاخاف انى لا اراك هناك لانى عرفت انك ترفع مع النبيين وانى
ان ادخلت الجنة كنت فى منزل ادنى من منزلك وان لم ادخل الجنة فذاك حين لا اراك ابدا فنزلت الاية ثم قال صلعم
والذى نفسى بيده لا يؤمن عبد حتى اكون احب اليه من نفسه وابويه واهله وولده والناس اجمعين وقيل
ان اصحاب رسول الله صلعم قالوا ما ينبغى لنا ان نفارقك فانا لا نراك الا فى الدنيا واما فى الاخرة فانك ترفع فوقنا
بفضلك فلا نراك فنزلت الاية عن قتادة ومسروق بن الاجدع المعنى ثم بين سبحانه حال المطيعين فقال
ومن يطع الله بالانقياد لامره ونهيه والرسول باتباع شريعته والرضا بحكمه فاولئك مع الذين انعم الله عليهم فى
الجنة ثم بين المنعم عليهم فقال من النبيين والصديقين يريد انه يستمتع برؤية النبيين والصديقين وزيارتهم والحضور معهم
فلا ينبغى ان يتوهم من اجل انهم فى اعلى عليين انه لا يراهم وقيل فى معنى الصديق انه المصدق بكل ما امر الله به وبانبيائه
لا يدخله فى شىء من ذلك شك ويؤيده قوله والذين امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء يعنى المقتولين فى الجهاد انما

سمى الشهيد شهيدا لقيامه بشهادة الحق على وجه الاخلاص واقراره به ودعائه اليه حتى قتل وقيل انما سمى شهيدا لانه من
شهداء الاخرة على الناس وانما يستشهدهم الله لفضلهم وشرفهم فهم عدول الاخرة عن الجبائى وقال الشيخ ابو جعفر قدس
روحه الاصح على مذهبنا ان هذا لا يجوز ان يدخل الجنة الا من هو عدل والله سبحانه قد وعد من يطيعه بان يحشره مع
هؤلاء وينبغى ان يكون الموعود له غير الموعود بالكون معه والا فيصير التقدير انهم مع نفوسهم والصالحين ومعناه صلحاء
المؤمنين الذين لم يبلغ درجتهم درجة النبيين والصديقين والشهداء والصالح الفاعل للصلاح الملازم له المتمسك به
وقيل هو الذى صلحت حاله واستقامت طريقته والمصلح الفاعل لما فيه الصلاح ولهذا لا يجوز المصلح فى صفات
الله تعالى ولا يجوز الصالح وانما يقول رجل صالح ومصلح لانه يصلح نفسه وعمله وحسن اولئك رفيقا معناه من كان هؤلاء
رفقاءه فما احسنهم من رفيق او فما احسنهم من رفيق وقد مر معناه واعرابه وروى ابو بصير عن ابى عبد الله عليه السلام قال
يا ابا محمد لقد ذكركم الله فى كتابه ثم تلا هذه الاية وقال النبى رسول الله صم ونحن الصديقون والشهداء وانتم الصالحون
فتسموا بالصلاح كما سماكم الله تعالى ذلك اشارة الى الكون مع النبيين والصديقين الفضل من الله يتفضل به على
الطائع وكفى بالله عليما بالعصاة والمطيعين والمنافقين والمخلصين ومن يصلح لمرافقة هؤلاء ومن لا يصلح لانه
يعلم خائنة الاعين وقيل معناه حسبك بربك عالما بكيفية جزاء المطيعين على حقه وتوفير الحظ فيه قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات او انفروا جميعا اللغة الحذر والحذر لغتان مثل
الاثر والاثر والمثل والمثل والنفر الخروج الى الغزو واصل النفر الفزع نفر ينفر نفورا اذا فزع ونفر اليه فزع من امر اليه
والنفر جماعة تفزع الى مثلها والمنافرة المحاكمة للفزع اليها فيما يختلف فيه وقيل انما سميت بذلك لانهم يسالون
الحاكم عند المنافرة ايهما اعز نفرا والثبات جماعات فى تفرقة واحدتها ثبة قال ابو ذويب فلما اجتلاها بالايام
تحيزت ثبات عليها ذلها واكتئابها والايام الدخان يصف العاسل وتدخينه على النحل وتجمع الثبة
ثبون وانما جمع على الواو والنون وان كان هذا الجمع مختصا بما يعقل للتعويض عن النقص الذى لحقه لان اصله ثبية ومثله
عضون وسنون وعزون فان صغرت قلت ثبيات وسنيات لان النقص قد زال الاعراب ثبات نصب على الحال
من انفروا وكذا الحال الاولى وجميعا ايضا منصوب على الحال المعنى ثم امر سبحانه المؤمنين بمجاهدة الكفار والتاهب
لقتالهم فقال يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم قيل فيه قولان احدهما ان معناه احذروا عدوكم باخذ السلاح
كما يقال للانسان خذ حذرك اى احذر والثانى ان معناه خذوا اسلحتكم سمى الاسلحة حذرا لانها الالة التى
بها يتقى الحذر وهو المروى عن ابى جعفر وغيره واقول ان هذا القول الاصح لانه اوفق بمقاييس كلام العرب ويكون
من باب حذف المضاف وتقديره خذوا الات حذركم واهب حذركم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
حذركم واحذروا فانفروا الى قتال عدوكم اى اخرجوا الى الجهاد ثبات اى جماعات فى تفرقة ومعناه اخرجوا فرقة بعد فرقة
وفرقة فى جهة وفرقة فى جهة اخرى او انفروا جميعا اى مجتمعين فى جهة واحدة اذا اوجب الراى ذلك وروى عن ابى جعفر ع
ان المراد بالثبات السرايا وبالجميع العسكر قوله تعالى وان منكم لمن ليبطئن فان اصابتكم مصيبة قال قد انعم الله
على اذ لم اكن معهم شهيدا ولئن اصابكم فضل من الله ليقولن كان لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتنى كنت معهم فافوز
فوزا عظيما ايتان القراءة قرا اهل الكوفة غير حفص ونافع وابو عمرو وابن عامر غير هشام كان لم يكن بالياء
والباقون كان لم تكن بالتاء وروى فى الشواذ عن الحسن ليقولن بضم اللام وروى عن يزيد النحوى والحسن فافوز بالرفع
الحجة من قرا بالياء فلان التانيث غير حقيقى وحسن لتذكير الفصل الواقع بين الفاعل والفعل ومثله التذكير واخذ
الذين ظلموا الصيحة فمن جاءه موعظة من ربه وفى موضع اخر قد جاءتكم موعظة من ربكم ونحوه الامرين قد جاء
التنزيل به ومن قرا ليقولن بالضم فانه اعاد الضمير على معنى من مثل قوله ومنهم من يستمعون اليك وان فى لمن

ليبطئن لا يعني برجل بعينه وانما معناه ان هناك جماعة هذه صفتهم والشأن قراءة فأفوز فانه على ان يتمنى الفوز
فكأنه قال يا ليتني أفوز ولو جعله جوابا لنصبه اي ان أكن معهم أفز **اللغة** المبطئ المتأخر عن الامر يقال ما بطأك
عنا اي ما أخرك عنا ومثله الابطاء وهو اطالة مدة العمل لقلة الانبعاث وضده الاسراع وهو قصر مدة العمل للتبرع
فيه يقال بطؤ في مشيه يبطؤ بطوءا اذا ثقل **الاعراب** اللام الاولى التي في قوله لمن لام ان التي هي لام الابتداء بدلالة
دخولها على الاسم والثانية في ليبطئن لام القسم بدلالة دخولها على الفعل مع نون التأكيد ومن موصولة والجالب
للقسم وتقديره وان منكم لمن حلف بالله ليبطئن وانما جاز صلة من بالقسم ولم يجز بالامر والنهي لان القسم خبر يوضح
الموصول كما يوضح الموصوف في قولك مررت برجل ليكرمنه لانك خصصته بوقوع الاكرام منه في المستقبل من كل
عين وليس كذلك الامر في قولك مررت برجل اضربه لانه لا يخصص الضرب في الامر كتخصيص الخبر كان حقيقة
لانك اردت كانه يحقق في الحال وصار القسم عوضا مما حذف منه وقوله كأن لم يكن بينكم وبينه مودة اعتراض بين
المفعول وفعله فان قوله يا ليتني كنت معهم في موضع نصب بكونه مفعول يقولن كما ان قوله قد انعم الله علي اذ لم اكن
معهم شهيدا في موضع نصب بكونه مفعول يقول وقوله فافوز منصوب على جواب التمني بالفاء واشتقاقه باضمار ان
فيكون عطف اسم على اسم وتقديره يا ليتني كان لي حضور معهم ففوز ولو كان العطف على الظاهر لكان يا ليتني كنت معهم ففزت
النزول قيل انها نزلت في المؤمنين لانه سبحانه خاطبهم بقوله وان منكم وقد فرق بين المؤمنين والمنافقين بقوله
ما هم منكم ولا منهم وقال اكثر المفسرين نزلت في المنافقين وانما جمع بينهم في الخطاب من جهة الجنس والنسب لا من جهة
الايمان وهو اختيار الجبائي **المعنى** لما حث الله سبحانه على الجهاد بين حال المتخلفين عنه فقال وان منكم خاطب
المؤمنين ثم اضاف المنافقين اليهم فقال لمن ليبطئن اي من هو منكم في الحال الظاهرة او في حكم الشريعة من حقن الدم
والمناكحة والموارثة وقيل منكم اي من عدادكم ودخلائكم ويبطئن ويبطئ بالتشديد والتخفيف معناهما واحد اي من
تأخر عن الخروج مع النبي صلعم فان اصابتكم مصيبة من قتل وهزيمة قال هذا المتأخر المتخلف قد انعم الله
علي اذ لم اكن معهم شهيدا اي شاهدا حاضرا في القتال فكان يصيبني ما اصابهم وقال [illegible]
السماء والارض قالوا قد انعم الله علينا اذ لم نكن مع رسول الله صلعم لكانوا بذلك مشركين ولئن اصابكم فضل من
الله اي فتح او غنيمة ليقولن بحسرة ويقول يا ليتني كنت معهم وقوله كأن لم تكن بينكم وبينه مودة اعتراض متصل بالقول
وتقديره فقال قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا كأن لم تكن بينكم وبينه مودة اي لا يعاضدكم على قتال عدوكم ولا يرعى
الذمام الذي بينكم عن ابي علي الفارسي وقيل انه اعتراض بين القول والتمني وتقديره ليقولن يا ليتني كنت معهم فافوز
من الغنيمة فوزا عظيما كأنه ليس بينكم وبينه مودة اي يتمنى الحسود لا للنصرة لكم وانما يتمنى النفع لنفسه وقيل ان الكلام
في موضعه من غير تقديم وتأخير معناه ولئن اصابكم فضل من الله ليقولن هذا المبطئ قول من لا تكون بينه وبين المسلمين
مودة اي كأنه لم يعاقدكم على الايمان ولم يظهر لكم مودة على حال يا ليتني كنت معهم اي يتمنى الغنيمة دون شهود
الحرب وليس هذا من قول المخلصين فقد عد التخلف في احدى الحالتين نعمة من الله تع وتمنى الخروج معهم في
احدى الحالتين لاجل الغنيمة وليس ذلك من امارات المودة وعلى هذا يكون قوله كأن لم تكن بينكم وبينه في موضع
النصب على الحال وقال ابو علي الجبائي انه حكاية عن المنافقين قالوا للذين اقعدوهم عن الجهاد كأن لم تكن بينكم وبينه
مودة اي بين محمد مودة فيخرجكم معه لنأخذ من الغنيمة وابطأوا لولا ذلك ليبغضوا اليهم الرسول ص يا ليتني كنت
معهم وهذا التمني من قول المبطئين القاعدين فتمنوا ان يكونوا معهم في تلك الغزوة فافوز فوزا عظيما اي اصيب
غنيمة عظيمة واخذ حظا وافرا منها قوله تع فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالاخرة
ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما ● اية **اللغة** يقال شريت بمعنى بعت

واشتريت

واشتريت بمعنى بعت ويشرون يبيعون قال يزيد بن المفرغ وشريت بردا ليتني من بعد برد كنت هامه وبرد اسم غلام له **الاعراب**
فيقتل او يغلب عطف على يقاتل وجواب الشرط فسوف نؤتيه **المعنى** لما اخبر سبحانه في الاية الاولى
ان قوما يتأخرون عن القتال ويثبطون المؤمنين عنه حث في هذه الاية على القتال فقال فليقاتل في سبيل الله
هذا امر منه سبحانه وظاهر الامر يقتضي الوجوب اي فليجاهد في سبيل الله اي في طريق دين الله الذين يشرون
الحيوة الدنيا بالاخرة اي الذين يبيعون الحيوة الفانية بالحيوة الباقية ويجوز يبيعون الحيوة الدنيا بنعيم الاخرة
اي يبذلون اموالهم وانفسهم في سبيل الله بتوطين انفسهم على الجهاد في طاعة الله وبيعهم اياها بالاخرة هو استبدالهم
اياها بالاخرة ومن يقاتل في سبيل الله اي يجاهد في طريق دين الله وقيل في طاعته بان يبذل ماله ونفسه
ابتغاء مرضاته فيقتل اي فيستشهد او يغلب او يظفر بالعدو وفيه حث على الجهاد ومجازاة هو فائز باحدى الحسنيين
ان غلب او غلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما اي نعطيه على ثمانه العمل وقيل ثوابا دائما لا نغيض فيه قوله تع
وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا
من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا ● اية **اللغة**
الولدان جمع ولد مثل خرب وخربان وبرق وبرقان وورل وورلان والاملح على الجمع والخرج [illegible]
وقد ذكرنا القرية في سورة البقرة **الاعراب** ما للاستفهام في موضع رفع بالابتداء ولا تقاتلون في موضع نصب
على الحال وتقديره اي شئ لكم تاركين للقتال والمستضعفين جر بالعطف على ما عملت فيه في اي وفي
المستضعفين وقال المبرد هو عطف على اسم الله تع ولما جاز ان يجري الظالم صفة على القرية وهو في المعنى
للاهل لانه فعل في الحال في الفاعل الفعل ومكنتها في الوصفية بانها توحد وتذكر وتثنى وتجمع نحو باب
اعجمونك فلذلك جاز مررت برجل ظالم ابوه ولم يجز مررت برجل حسن منه ابوه بل يقال مررت برجل حسن منه
ابوه لتكون الجملة في موضع الجر **المعنى** ثم حث سبحانه على تخليص المستضعفين فقال وما لكم ايها المؤمنون
لا تقاتلون اي اي عذر لكم في ترك القتال مع اجتماع الاسباب الموجبة للقتال في سبيل الله اي في طاعة الله
ويقال في دين الله ويقال في نصرة دين الله ويقال في اعزاز دين الله واعلاء كلمته والمستضعفين اي وفي
سبيل الله المستضعفين اي نصرة المستضعفين وقيل في اعزاز المستضعفين وقيل في [illegible] المستضعفين من
الرجال والنساء والولدان قال يريد بذلك قوما من المسلمين بقوا بمكة ولم يستطيعوا الهجرة منهم سلمة بن هشام
والوليد بن الوليد وعياش بن ربيعة وابو جندل بن سهيل وكانوا جماعة يدعون الله ان يخلصهم من ايدي المشركين
ويخرجهم من مكة وهم الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها اي يقولون في دعائهم ربنا
سهل لنا الخروج من هذه القرية يعني مكة عن ابن عباس والحسن والسدي ووصفهم الظالم اهلها اي التي ظلم اهلها
بافتان المؤمنين عن دينهم ومنعهم من الهجرة واجعل لنا بالطاقات وتأييدك من لدنك اي من عندك وليا
يلي امرنا بالكفاية حتى ينقذنا من ايدي الظلمة واجعل لنا من لدنك نصيرا ينصرنا على من ظلمنا فاستجاب
الله تع دعاءهم فلما فتح رسول الله صلعم مكة جعل الله سبحانه نبيه صلعم لهم وليا فاستعمل على مكة عتاب بن
اسيد وجعل الله لهم نصيرا فكان ينصف الضعيف من الشديد فاغاثهم الله تع فكانوا اعز بها من الظلمة قبل
ذلك وفي هذه الاية دلالة على عظم موقع الدعاء من الله تع وابطال قول من زعم ان العبد لا يستفيد بالدعاء
شيئا لان الله سبحانه حكى عنهم انهم دعوا فاجابهم الله فأتاهم ما سألوه ولولا انه سبحانه استجاب دعاءهم لما كان لذكر
دعائهم معنى قوله عز وجل الذين امنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت
فقاتلوا اولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا ● اية **اللغة** الطاغوت [illegible]

والكيد في فساد الحال على وجه الاحتيال قوله كاد ميكيد فهو كائد في اثناء الحال في قطع الضرر به على وجه الحيلة في
المعنى ثم شجع المجاهدين ورغبهم في الجهاد بقوله الذين امنوا يقاتلون في سبيل الله اى في طاعة الله وفي نصرة دينه
اعلاء كلمته وابتغاء مرضاته لا يبتغي الا سلب ولا يطمع في غنيمة والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت وطاعة
فقاتلوا اولياء الشيطان يعني جميع الكفار وهذا يقوى قول من قال ان الطاغوت الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا
دخلت كان تفاصيلها مؤكدة لتدل على ان الضعف لكيد الشيطان في جميع الاحوال والاوقات ما مضى منها وما يستقبل
وليس هو عارضا في حال دون حال وانما وصف سبحانه كيد الشيطان بالضعف بالاضافة الى نصرة الله المؤمنين على الجهاد
وقيل لانه اخبر انه سيظهرهم عليهم المؤمنين عن الحسن وقيل لضعف دواعيه اولياء الشيطان الى القتال لانهم
انما يقاتلون بما يدعوا اليه الشبهة والمؤمنون يقاتلون بما يدعو اليه الحجة قوله تعالى الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم
واقيموا الصلوة واتوا الزكوة فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية وقالوا ربنا
لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب قل متاع الدنيا قليل والاخرة خير لمن اتقى ولا يظلمون فتيلا
القراءة لا يظلمون بالياء مكي وابو جعفر وعاصم والباقون بالتاء الحجة من قرأ بالياء فلما تقدم من ذكر الغيبة من قوله الم
تر الى الذين قيل لهم ومن قرأ بالتاء فلانه ضم اليهم في الخطاب المسلمين فغلب الخطاب على الغيبة الاعراب اذا فريق منهم اذا هذه
ظرف مكان وهي بمعنى الفاء في تعليق الجملة بالشرط وتجيء ظرف المكان كما في قول الشاعر وكنت ادرى زيد اذا
كما قيل سيدا واذا انه عبد القفا واللهازم ومحلها في محل النصب يخشون والكاف في كخشية في محل النصب للصلة
واشد معطوف عليه وخشية منصوب على التمييز وهو محل النصب بعد تمام الاسم المصدر ولولا معناها التحضيض ولا
يليها الا الفعل النزول قال الكلبي نزلت في عبد الرحمن بن عوف الزهري والمقداد بن الاسود الكندي وقدامة
بن مظعون الجمحي وسعد بن ابي وقاص كانوا يلقون من المشركين اذى شديدا وهم بمكة قبل ان يهاجروا الى المدينة
فيشكون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ائذن لنا في قتال هؤلاء فانهم قد اذونا فلما امروا بالقتال والمسير الى بدر شق على بعضهم
فنزلت الاية المعنى ثم عاد سبحانه الى ذكر القتال ومن كره منهم فقال الم تر الى الذين قيل لهم وهم بمكة كفوا ايديكم
اي امسكوا عن قتال الكفار فاني لم امركم بقتالهم واقيموا الصلوة واتوا الزكوة فلما كتب اي فرض عليهم القتال وهم
اذا فريق منهم اي جماعة منهم يخشون الناس كخشية الله اي يخافون القتال من الناس كما يخافون الموت من الله وقيل
يخافون الناس ان يقتلوهم كما يخافون الله ان يتوفاهم وقيل يخافون عقوبة الموت كما يخافون عقوبة الله او اشد
خشية قيل او هنا بمعنى الواو اي واشد خشية وقيل ان او هنا لابهام الامر على المخاطب وقد ذكرنا الوجوه فيها
عند ذكر قوله سبحانه او اشد قسوة في سورة البقرة وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال قال الحسن لم يقولوا ذلك كراهة
لامر الله ولكن لدخول الخوف عليهم بذلك على ما يكون من طبع البشر ويحتمل ان يكونوا قالوا ذلك استفهاما لا انكارا وقيل
قالوا ذلك لانهم ركنوا الى الدنيا وآثروا نعيمها وعلى الاقوال كلها فلم يقولوا ذلك لكان خيرا لهم لولا اخرتنا اي هلا
اخرتنا الى اجل قريب وهو الى ان نموت باجالنا ثم اعلم الله تعالى ان الدنيا بما فيها من وجوه المنافع قليل فقال قل يا محمد
لهؤلاء متاع الدنيا قليل اي ما يستمتع به من وجوه المنافع من منافع الدنيا قليل لا يبقى والاخرة خير لمن اتقى ولا يظلمون
فتيلا اي ولا ينقصون هذا القدر فكيف ما زاد عليه والفتيل ما تفتله بيدك من الوسخ ثم تلقيه عن ابن عباس وقيل
ما في شق النواة لانه كالخيط المفتول قوله تعالى اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وان
تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فما لهؤلاء
القوم لا يكادون يفقهون حديثا القراءة روي في الشواذ ان طلحة بن سليمان قرأ يدرككم برفع الكاف
الحجة قال ابن جني في هذه القراءة ضعف وفيها وجهان احدهما ان يكون على حذف الفاء كانه قال فيدرككم

الناس القتال

الموت ومثله بيت الكتاب من يفعل الحسنات الله يشكرها والشر بالشر عند الله مثلان اي فالله يشكرها اللغة
البروج جمع برج واصله من الظهور يقال تبرجت المرأة اذا اظهرت محاسنها والبرج البناء في العين الظاهر
العين بالاتساع والمشيدة المزينة بالشيد وهو الجص والشيد رفع البناء ويقال شاد بناءه يشيده اذا رفعه
وانما قيل للجص شيد لانه يرفع به البناء ويجوز شاد الرجل بناءه اذا رفعه ايضا والكلمة تفيد الاشادة لا غيره
الفقه الفهم يقال فقه الرجل يفقه فقها والاسم الفقيه وصار بعرف الاستعمال كالعلم على الفقه من علوم الدين وفقه
الرجل يفقه فقاهة اذا صار فقيها والفقه تعلم الفقه الاعراب اين من الظروف التي يجازى بها تضمنها معنى ان الجزائية
ما تقول اين تكن اكن واينما تكن اكن وهي تستغرق الامكنة كما ان متى تستغرق الازمنة وكتبت اينما هنا موصولة وفي قوله
اين ما كنتم تعبدون مفصولة لانها هنا مزيدة وهناك بمعنى الذي فوصلت هذه كما توصل الحروف وفصلت تلك كما
فصل الاسماء وما لهؤلاء كثرت في الكلام حتى توهموا ان اللام متصلة بها وانها حرف واحد ففصلوا اللام مما بعدها في
بعض المواضع ووصلوها في بعضها ولا يجوز الوقف على اللام لانها لام الجارة المعنى ثم خاطب سبحانه فقال
اينما تكونوا يدرككم الموت اي بما كنتم من المواضع والاماكن ينزل بكم الموت ويلحقكم ولو كنتم في بروج مشيدة
قيل يعني بالبروج القصور عن مجاهد وقتادة وابن جريج وقيل قصور في السماء باعيانها عن السدي والربيع وقيل
المراد بروج السماء وقيل البيوت التي فوق الحصون عن ابي علي الجبائي وقيل الحصون والقلاع عن ابن عباس فمعناه
حصنة طوال والمشيدة المجصصة عن عكرمة وقيل المزينة عن ابي عبيدة وقيل المطولة في ارتفاع عن الزجاج وغيره
وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله اختلف فيمن حكى عنهم هذه المقالة فقيل هم اليهود قالوا ما زلنا نعرف النقص
في ثمارنا ومزارعنا منذ قدم علينا هذا الرجل عن الزجاج والفراء فعلى هذا يكون معناه وان اصابهم خصب ومطر قالوا
هذه من عند الله وان اصابهم جدب وقحط قالوا هذا من شؤم محمد كما حكى عن قوم موسى عليه السلام وان تصبهم سيئة
يطيروا بموسى ومن معه ذكره البلخي والجبائي وهو المروي عن الحسن وابن زيد وقيل هم المنافقون عبد الله بن ابي واصحابه
الذين تخلفوا عن القتال يوم احد وقالوا للذين قتلوا في الجهاد لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فعلى هذا يكون معناه
ان تصبهم ظفر وغنيمة قالوا هذه من عند الله وان تصبهم مكروه وهزيمة قالوا هذه من عندك يا محمد وبسوء تدبيرك
وهو المروي عن ابن عباس وقتادة وقيل هو عامة في اليهود والمنافقين وهو الاصح وقيل هو حكاية عمن سبق ذكره قبل
الاية وهم الذين يقولون ربنا لم كتبت علينا القتال فقيل وان تصب هؤلاء حسنة يقولوا هذه من عند الله وان
تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قال ابن عباس وقتادة الحسنة والسيئة السراء والضراء والبؤس والرخاء والنعم
والمصيبة والخصب والجدب وقال الحسن وابن زيد هو القتل والهزيمة والظفر والغنيمة قل يا محمد كل من عند الله اي
جميع ما مضى ذكره من الموت والحياة والخصب والجدب من عند الله وبقضائه وقدره لا يقدر احد على رده ودفعه على
بذلك عباده ليعرضهم لثواب الشكر عند العطية والصبر على البلية فما لهؤلاء القوم اي ما شأن هؤلاء المنافقين
لا يكادون يفقهون حديثا اي لا يفقهون فقه معنى الحديث الذي هو القرآن لانهم يبعدون منه باعراضهم عنه وكفرهم
وقيل معناه لا يفقهون حديثا اي لا يعلمون حقيقة ما يخبرهم به من عند الله من الشدة والرخاء على ما وصفنا
قوله تعالى ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك وارسلناك للناس رسولا وكفى بالله
شهيدا الاعراب رسولا منصوب بارسلناك وانما ذكر تأكيدا لان ارسلناك دل على انه رسول وشهيدا
نصب على التمييز ومعنى من حسنة ومن سيئة التبيين ولو قال ان اصابك من حسنة كانت من زائدة لا معنى لها
المعنى ما اصابك من حسنة فمن الله قيل هذا خطاب للنبي صلعم والمراد به الامة عن الزجاج وقيل هو خطاب للانسان
اي ما اصابك ايها الانسان عن قتادة والجبائي قال وعنى بقوله من حسنة من نعمة في الدين والدنيا

فانها من الله وما اصابك من سيئة اي من المعاصي فمن نفسك وقيل عني بالحسنة ما اصابهم يوم بدر من الغنيمة
وبالسيئة ما اصابهم يوم احد من الهزيمة عن ابن عباس قال ابو مسلم معناه لما ثبتوا وانهم ... في القتال والطاعة لله
انتهى الى النصر ولما خالفوا يوم احد خلى بينهم فهزموا وقيل الحسنة الطاعة والسيئة المعصية عن ابي العالية
قال ابو القاسم وهذا كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها وقيل الحسنة النعمة والرخاء والسيئة القحط والمرض
والبلاء والمكاره والالام والشدائد التي تصيبهم في الدنيا بسبب المعاصي التي يفعلونها وربما يكون لطفا
وربما يكون على سبيل العقوبة وانما سماها سيئة مجازا لان الطبع ينفر عنها وان كانت انما لا حسنة في الحقيقة
فيكون المعنى على هذا ما اصابك من الخصب والسلامة وسعة الرزق وجميع نعم الدين والدنيا فمن الله وما اصابك
من المحن والشدائد والالام والمصائب فبسبب ما تكسبه من الذنوب كما قال سبحانه وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت
ايديكم وقوله فمن نفسك معناه فبذنبك عن الحسن وجماعة من المفسرين وضعف ابو القاسم البلخي هذا فقال ما اصاب
المكلف من مصيبة وهي كفارة ذنب صغير او عقوبة ذنب كبير او تاديب وقع لاجل تفريط وقلة تحفظ لما روي
ما من خدش بعود ولا اختلاج عرق ولا عثرة قدم الا بذنب وما يعفو الله عنه اكثر وقيل فمن نفسك اي من
ضلالك وقال علي بن عيسى وفيه لا يجوز لانه على ان الله تعالى لا يفعل الالام الا للطف او العقاب دون
العوض لان المصائب كلها من قبل ذنب العبد فهي اما ان يكون عقوبة واما من قبيل تاديب المصلحة وقوله
وارسلناك للناس رسولا معناه ومن الحسنة ارسلناك يا محمد ومن السيئة خلافك يا محمد وكفى بالله شهيدا لك
عليك وقيل في معنى اتصاله بما قبلها ان ما اصابهم بشؤم ذنوبهم وانما انت رسول طاعتك طاعة الله
ومعصيتك معصية الله لا يطير بك بل الخير كله فيك وكفى بالله شهيدا اي كفى الله ومعناه حسبك الله شاهدا
لك على رسالتك وقيل معناه كفى بالله شهيدا على عباده بما يعملون من خير وشر فعلى هذا يكون متضمنا
للترغيب والحث والتحذير من الشر قوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى فما ارسلناك عليهم
حفيظا . ويقولون طاعة فاذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول والله يكتب
ما يبيتون فاعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا . ايتان القراءة قرأ ابو عمرو بادغام التاء في الطاء
في بيت طائفة وبه قرأ حمزة والباقون بالاظهار الحجة انما حسن ادغام التاء في الطاء للتقارب الذي بينهما
بانهما من حيز واحد ولم يحسن ادغام الطاء في التاء لان الطاء يزيد على التاء بالاطباق فحسن ادغام الانقص صوتا
من الحروف في الازيد صوتا بحسب قبح ادغام الازيد في الانقص ومن لم يدغم فلانفصال الحرفين واختلاف
المخرجين اللغة التبييت كل شيء دبر ليلا قال عبيدة بن همام اتوني فلم ارض ما بيتوا وكانوا اتوني بشيء نكر
لانكح ... والبيوت الامر بيت عليه صاحبه مصمما والبيات والتبييت ان ياتي العدو ليلا واصل التبييت الاحكام
واصل الوكيل القائم بما فوض اليه من التدبير الاعراب جواب الجزاء في قوله فما ارسلناك عليهم حفيظا
تقديره ومن تولى فليس عليك باس لانك لم ترسل حفيظا عليهم وطاعة مبتدا اي عندنا طاعة او خبر مبتدا
محذوف اي امرنا طاعة ولو نصب على نطيع طاعة جاز المعنى ثم بين سبحانه ان طاعة الرسول فقال
من يطع الرسول فقد اطاع الله بين ان طاعة طاعة الله وانما كان كذلك لانها وان كانت طاعة للنبي
من حيث وافقت الارادة المستدعية للفعل فانها طاعة الله ايضا على الحقيقة اذا كانت بامره وارادته فاما
الواحد فلا يكون على الحقيقة من اثنين كما ان الفعل الواحد لا يكون من فاعلين ومن تولى اي اعرض عنه
ولم يطع فما ارسلناك عليهم حفيظا اي حافظا لهم من التولي حتى يسلموا عن ابن زيد قال فكان هذا اول ما
بعث كما قال في موضع اخر ان عليك الا البلاغ ثم امر بعد بالجهاد وقيل معناه ما ارسلناك حافظا لاعمالهم

التي يقع الجزاء عليها فتخاف ان لا تقوم بها لانها نحن نجازيهم عليها وقيل حافظا لهم من المعاصي حتى لا تقع عن الجبائي وفي هذه
الاية تسلية للنبي صلعم في تولي الناس عنه مع ما فيها من تعظيم شأنه بكون طاعته طاعة الله ثم بين سبحانه ان المنافقين
اظهروا الطاعة واضمروا خلافها فقال ويقولون يعني هؤلاء المنافقين عن الحسن والسدي او المسلمين الذين
حكى عنهم انهم يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية يقولون امرك طاعة كانهم قالوا امرك بطاعة فاذا برزوا اي
خرجوا من عندك بيت طائفة منهم اي قدر جماعة منهم ليلا غير الذي تقول اي غير ما يقولون على جهة التكذيب عن الحسن
وقيل معناه غيروا بالليل ما قالوا اولا فالتي بان اضمروا الخلاف عليك فيما امرتهم به او نهيتهم عنه عن ابن عباس وقتادة والسدي
وقيل دبروا ليلا غير ما اعطوك نهارا عن ابي عبيدة والقتيبي والله يكتب ما يبيتون في اللوح المحفوظ ليجازيهم به وقيل يكتبه
بان ينزل اليك في الكتاب عن الزجاج فاعرض عنهم امر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بالاعراض عنهم والا يسميهم
باعيانهم ابقاء عليهم وستر الامورهم الى ان يستقر امر الاسلام وتوكل على الله اي فوض امرك اليه وثق به وكفى بالله وكيلا
اي حفيظا لما تفوض اليه من التدبير قوله تعالى افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا
واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله
عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا . ايتان اللغة التدبر هو النظر في عواقب الامور والتدبير التقاطع لان كل
واحد يولي الآخر دبره بعداوته له ودبرت القوم ادبرهم دبرا اذا كنت اخرهم يذهبون في جهة الادبار عن الغرض والفرق
بين التدبر والتفكر ان التدبر تصرف القلب بالنظر في عواقب الامور والتفكر تصرف القلب بالنظر في الدلائل
والاختلاف هو امتناع احد الشيئين ان يسد مسد الاخر فيما يرجع الى ذاته كالسواد الذي لا يسد مسد البياض وكذلك
الذهاب في الجهات المختلفة واصل الاذاعة التفريق قال تبع لما ورد المدينة ولقد شربت على براجم شربة كادت باقيه
الجوع يبيع اي تفرق وبراجم ماء المدينة كان بيثرب فنشبت بحلقه علقة فراح الخبر فيها ودخل مليا لا يستطيع
كتمان حب وذاع الناس بما في الحوض اذا شربوه واذاعوا المتاع ذهبوا به والاذاعة والاشاعة والافشاء والاظهار نظائر
ونقيض الكتمان والاسرار والاخفاء واصل الاستنباط الاستخراج يقال لكل ما استخرج حتى يقع عليه رؤية العين
او معرفة القلب قد استنبط والنبط الماء الذي يخرج من البئر اول ما يحفر وانبط فلان اي استنبط الماء من الطين
ومنه اشتقاق النبط لاستنباطهم العيون المعنى افلا يتدبرون القرآن اي افلا يتفكرون اليهود والمنافقون
في القرآن اذ ليس فيه خلل ولا تناقض ليعلموا انه حجة وقيل ليعلموا انهم لا يقدرون على مثله فيعرفوا انه ليس بكلام
احد من الخلق وقيل ليعرفوا اتساق معانيه وائتلاف احكامه وشهادة بعضه لبعض وحسن عباراته وقيل ليعلموا كيف
اشتمل على انواع الحكم من امر بحسن ونهي عن قبيح وخبر عن مخبر صادق ودعاء الى مكارم الاخلاق وحث على الخير والزهد
مع فصاحة اللفظ وجودة النظم وصحة المعنى فيعرفوا انه خلاف كلام البشر والاولى ان يحمل على الجميع لان من تدبر فيه
اطلع على جميع ذلك ولو كان من عند غير الله اي كلام غير الله اي لو كان من عند النبي او كان يعلمه بشر كما زعموا لوجدوا فيه
اختلافا كثيرا قيل فيه اقوال احدها ان معناه لوجدوا فيه اختلاف تناقض من جهة حق وباطل عن قتادة وابن عباس والثاني
اختلافا في الاخبار عما يسرون عن الزجاج والثالث من جهة بليغ ومرذول عن ابي علي الجبائي والرابع تناقضا كثيرا عن ابن
عباس وذلك ان كلام البشر اذا طال وتضمن من المعاني ما تضمنه القرآن لم يخل من التناقض في المعاني والاختلاف
في اللفظ وكل هذه المعاني منفي عن كتاب الله تعالى كما قال لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهذه الاية
تضمنت الدلالة على معان كثيرة منها بطلان التقليد وصحة الاستدلال في اصول الدين لانه سبحانه دعا الى التفكر
والتدبر وحث على ذلك ومنها فساد قول من زعم ان القرآن لا يفهم معناه الا بتفسير الرسول من الحشوية وغيرهم
لانه حث على تدبره ليعرفوا به ومنها انه لو كان من عند غير الله لكان على وزن كلام عباده ولوجدوا الاختلاف فيه

ومنها ان التناقض من الكلام لا يكون في مثل الله سبحانه لانه لو كان من فعله لكان منفصلا لا من جهة عيب والاختلاف في
الكلام يكون على ثلاثة اضرب اختلاف تناقض واختلاف تفاوت واختلاف تلاوة فاختلاف التناقض يكون في الحسن
القبح والخطاء والصواب ونحو ذلك مما تدعوا اليه الحكمة وتصرف عنه وهذا الجنس من الاختلاف لا يوجد في القران
البتة كما لا يوجد اختلاف التناقض واما اختلاف التلاوة وهو ما يتلاءم في الحسن كاختلاف وجوه القراءات
واختلاف مقادير الايات والسور واختلاف الاحكام في الناسخ والمنسوخ فذلك موجود في القران وكله حق وكله صواب
واستدل بعضهم بانتفاء التناقض عن القران على انه من عند الله تعالى بان قال لو لم يكن ذلك دالا لما احتج الله تعالى به
ولو لم يختص بذلك لكان لقائل ان يقول انه يمكن ان يتحفظ في الكلام فيهذب تهذيبا لا يوجد لذلك فيه شيء
من التناقض وعلى هذا فلا يمكن ان يجعل انتفاء التناقض جهة اعجاز القران الا بعد معرفة صحة التوحيد ثم عاد سبحانه الى
ذكر المنافقين فقال واذا جاءهم يعني هؤلاء الذين سبق ذكرهم من المنافقين وقيل هم الذين ذكرهم من ضعفة المسلمين
امر من الامن او الخوف يريد ما كان يجب به من الاخبار في المدينة اما من قبل عدو يقصدهم وهو الخوف او من ظهور
المؤمنين على عدوهم وهو الامن اذاعوا به اي افشوه وبثوه في الناس من غير ان يعلموا صحته كره الله تعالى لهم ذلك لان من اذاع هذا
فلا يخلو حاله من كذب او ما يدخل على المؤمنين به من الخوف ثم قال ولو ردوه الى الرسول اي الحق ولو سكتوا الى ان يظهره
الرسول والى اولي الامر منهم قال ابو جعفر عليه السلام هم الائمة المعصومون وقال السدي وابن زيد وابو علي الجبائي هم امراء
السرايا والولاة وقال الحسن وقتادة وغيرهم انهم اهل العلم والفقه والملازمون للنبي لانهم لو سألوهم عن حقيقة
ما اوجفوا به لعلموا واختاره الزجاج وانكر ابو علي الجبائي هذا الوجه وقال انما يطلق اولي الامر على من له الامر على الناس
لعلمه الذين يستنبطونه اي يعلم ذلك الخبر الذي يستخرجونه عن الزجاج وقيل يتحسسونه عن ابن عباس وابي العالية
وقيل يتبعونه ويطلبون علم ذلك عن الضحاك وقيل يسألون عنه عن عكرمة فالاستنباط سؤالهم الرسول عنه
وجميع هذه الاقوال متقاربة المعنى منهم قال الزجاج الضمير في منهم يعود الى اولي الامر وهو الاظهر وقيل يعود الى الفرقة المذكورة
من المنافقين او الضعفة ولولا فضل الله عليكم ورحمته اي لولا انعامه وافضاله بجهة الله تعالى وقيل فضل الله
ورحمته القرآن عن ابن عباس وقيل فضل الله النبي صلى الله عليه وآله ورحمته القرآن عن الضحاك والسدي واختاره
الجبائي وروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام فضل الله النبي ورحمته علي ع لاتبعتم الشيطان الا قليلا فيه اقوال
احدها ان في الكلام تقديما وتأخيرا والاستثناء من قوله اذاعوا به عن ابن عباس فيكون معناه اذاعوا به الا قليلا
وهو اختيار المبرد والكسائي والفراء والبلخي والطبري قال لان هذا اولى لان الاذاعة اكثر من الاستنباط وثانيها
ان الاستثناء من قوله لعلمه الذين يستنبطونه منهم الا قليلا ويكون تقديره ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم
لعلمه الذين يستنبطونه الا قليلا عن الحسن وقتادة واختاره الجبائي وثالثها ان المراد ولولا فضل الله عليكم و
رحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا منكم على الظاهر من غير تقديم وتأخير وهذا كما اتبع الشيطان من كان قبل بعثة
النبي صلى الله عليه وآله الا قليلا لم يتبعوه واهتدوا بعقولهم لترك عبادة الاوثان بغير رسول ولا كتاب وآمنوا بالله
ووحدوه مثل قس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل والبراء الشني وابي ذر الغفاري وطلاب الدين
قاله الانباري ورابعها ان معناه لولا فضل الله عليكم ورحمته بالنصر والفتح مرة بعد اخرى لاتبعتم الشيطان فيما يلقي
اليكم من الوساوس والخواطر الفاسدة المؤدية الى الجبن والفشل المؤدية لضعف النية والبصيرة الا قليلا من افاضل
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذين هم اهل البصائر النافذة والعزائم الثابتة والنيات الخالصة لا
ييأسون من رحمة الله ولا يشكون في نصره وانجاز وعده وان ابطأ بعض الابطاء فهؤلاء النظم اختلف في وجه
اتصال قوله فلا يتدبرون القرآن بما قبله فقيل انه يتصل بقوله ومن يطع الرسول فقد اطاع الله الاية وان الله المطلع على سرائرهم

ثم بين هنا انه من جهة علام الغيوب ولو كان من جهة غيره لكان المخبر بخلاف الخبر وقيل انه يتصل بقوله وارسلناك للناس
ارسلناه امر بتدبير ما جرى قوله تعالى فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله ان يكف
بأس الذين كفروا والله اشد بأسا واشد تنكيلا (٨٤) اللغة التنكيل والردع والزجر نظائر واصل النكول النكوص
الخوف يقال نكل عن اليمين وغيرها والنكال ما يمتنع به من الفساد خوفا من مثله من العذاب والنكل القيد المعنى
ثم عاد سبحانه الى الامر بالقتال فقال فقاتل في سبيل الله قيل في لقائه قولان احدهما انه جواب لقوله ومن يقاتل في
سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما فقاتل في سبيل الله فيكون المعنى ان اردت الاجر العظيم فقاتل والاخر
ان يكون متصلا بقوله وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله فقاتل في سبيل الله عن الزجاج وجوابه لا تحفظ الثاني في ترك القتال
فتتركوا الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله خاصة امره سبحانه ان يقاتل في سبيل الله وحده بنفسه وقوله لا تكلف الا نفسك
معناه لا تكلف الا فعل نفسك لانه لا ضرر عليك في فعل غيرك ولا تهتم بتخلف المنافقين عن الجهاد فان ضرر ذلك عليهم
وحرض المؤمنين على القتال اي حثهم عليه عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا اي يمنع شدة الكفار قال الحسن
عسى من الله واجب ووجه ذلك ان اطماع الكريم انجاز وانما الاطماع تقوية احد الامرين على الاخر دون قيام الدليل
على التكافؤ في الجواز وخرج عسى في هذا من معنى الشك كخروجها في قول القائل اطع ربك في كل ما امرك به وبها لك عسى
عسى ان تفلح بطاعتك والله اشد بأسا اي اشد نكاية في الاعداء منكم واشد تنكيلا اي عقوبة عن الحسن وقتادة وقيل
التنكيل الشهرة بالامور الفاضحة عن ابي علي الجبائي وقيل هو ما ينال منهم على ايدي المسلمين من الاذلال والسبي والقتل
وتخريب الديار وقيل هو الانتقام والاهلاك القصة قال الكلبي ان ابا سفيان لما رجع الى مكة يوم احد واعد
رسول الله صلى الله عليه وآله موسم بدر الصغرى وهو سوق تقوم في ذي القعدة فلما بلغ الميعاد قال للناس اخرجوا الى الميعاد
فتثاقلوا عنه وكرهوا ذلك كراهة شديدة او بعضهم فانزل الله عز وجل هذه الاية فحرض النبي المؤمنين فتثاقلوا عنه
ولم يخرجوا فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله في سبعين راكبا حتى اتى موسم بدر فكفاهم الله سبحانه بأس العدو ولم يوافهم
ابو سفيان ولم يكن قتال يومئذ وانصرف رسول الله صلعم بمن معه سالمين قوله تعالى من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب
منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء مقيتا (٨٥) اللغة اصل الشفاعة من الشفع
الذي هو ضد الوتر فان الرجل اذا شفع لصاحبه فقد شفعه اي صار ثانيه ومنه الشفيع في الملك لانه يضم ملك غيره الى
نفسه واختلفت الامة في كيفية شفاعة النبي صلى الله عليه وآله يوم القيمة فقالت المعتزلة ومن تابعهم يشفع لاهل الجنة لزيادة
درجاتهم وقال غيرهم من فرق الامة بل يشفع لمذنبي امته ممن ارتضى الله دينهم ليسقط عقابهم بشفاعته والكفل في اللغة
النصيب واخذ من قولهم اكفلت البعير اذا ادرت على سنامه كساء وركبت عليه وانما قيل له ذلك لانه لم يستعمل الظهر كله
انما استعمل نصيبه من الظهر قال الازهري الكفل الذي لا يحسن الركوب فهو يمسك اصله الكفل وهو ردف العجز ومنه الكفالة
بالنفس والمال والكفيل الضامن والمقيت اصله من القوت فانه يقوت قوتا اذا اعطاه ما يمسك به رمقه والمقيت المقتدر
لاقتداره على ذلك والمقيت الحافظ قال الزبير بن عبد المطلب وذي ضغن كففت النفس عنه وكنت على مساءته مقيتا
المعنى من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها قيل فيه اقوال احدها ان معناه من يصلح بين اثنين يكن له اجر
منها ومن يشفع شفاعة سيئة اي يمشي بالنميمة يكن له كفل منها اي اثم منها عن الكلبي عن ابن عباس وثانيها ان الشفاعة
الحسنة والشفاعة السيئة شفاعة الناس بعضهم لبعض عن مجاهد والحسن قال الحسن ما يجوز في الدين ان يشفع فيه فهو شفاعة
حسنة وما لا يجوز ان يشفع فيه فهو شفاعة سيئة قال ومن يشفع شفاعة حسنة كان له فيها اجر وثواب وان لم
يشفع لان الله سبحانه قال ومن يشفع ولم يقل ومن يشفع ويؤيده قوله عليه السلام اشفعوا تؤجروا ومن حالت
شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله في ملكه ومن اعان على خصومة بغير علم كان في سخط الله حتى ينزع

٢٤٠

وثالثها ان المراد بالشفاعة الحسنة الدعاء للمؤمنين وبالشفاعة السيئة الدعاء عليهم عن ابي علي الجبائي قال لان
اليهود كانت تفعل ذلك فتوعدهم الله عليه ورابعها ما قاله بعضهم ان المراد بالشفاعة هنا ان يصير الانسان شفع صاحبه
في جهاد عدوه فيحصل له من هذه الشفاعة نصيب في العاجل من الغنيمة والظفر وفي الآجل من الثواب المنتظر
وان صار شفيعا له في معصية او شر حصل له نصيب من المآثم في العاجل والعقوبة في الآجل والكفل الوزر عن الحسن
وقتادة والحظ والنصيب واصله من الشدة والرجع وجميع اهل اللغة مكانه النصيب من الشر وكان الله على كل شيء مقيتا
قيل في معنى المقيت اقوال احدها انه المقتدر عن السدي وابن زيد وثانيها الحفيظ الذي يعطي الشيء قدر الحاجة عن
ابن عباس وثالثها الشهيد عن مجاهد ورابعها الحسيب عنه ايضا وخامسها المجازي عن الجبائي اي يجازي على كل شيء
من الحسنات والسيئات النظم وجه اتصال هذه الآية بما قبلها انه سبحانه لما قال لا تكلف الا نفسك عقب ذلك بالحث
مع هذا في دعاء المؤمنين الى الحق بان الانسان في شفاعته صاحبه لخير يصل الى المشفوع له انما يؤجر لانه لعمله من اجله
لا يؤاخذ بعمل غيره لا يتعدى به بعمل غيره عن علي بن عيسى وقيل الوجه فان كل من طلب لغيره خيرا فوصل اليه حصل له
نصيب منه وانت قد طلبت لهم الخير حيث دعوتهم الى الجهاد وحرصتهم عليه قال القاضي هذا احسن ما قيل قوله تعالى
واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها ان الله كان على كل شيء حسيبا ○ آية اللغة التحية السلام يقال حيى يحيي
تحية اذا سلم قال الشاعر: انا محيوك يا سلمى فحيينا * وان سقيت كرام الناس فاسقينا * والتحية البقاء قال ابن كلثوم الا كل
الفتى قد نلته الا التحية يعني الملك وانما سمي بذلك لان الملك يحيى بالسلام والتحية والحسيب الحفيظ للحساب على الشيء
حتى لا يشذ منه شيء والحسيب فعيل من الحساب الذي هو الاحصاء يقال حاسب فلان فلانا على كذا وهو حسيبه
اذا كان صاحب حسابه وقيل الحسيب الكافي فهو من قولهم حسبي كذا اي كافي وحسبك كذا اي كفاك وقال
الزجاج معنى الحسيب يعطي كل شيء من العلم والحفظ والجزاء مقدار ما يحسبه اي يكفيه ومنه قوله عطاء حسابا اي
كافيا المعنى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها امر الله تعالى المسلمين برد السلام على المسلم باحسن مما سلم ان كان مؤمنا
والا فليقل وعليكم لا يزيد على ذلك فقوله باحسن منها للمسلمين خاصة وقوله او ردوها لاهل الكتاب عن ابن عباس فاذا قال
المسلم السلام عليكم فقل وعليكم السلام واذا قال السلام عليكم ورحمة الله فقل وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فقد حييته
باحسن منها وهذا منتهى السلام وقيل ان قوله او ردوها للمسلمين ايضا عن السدي وعطاء وابراهيم وابن جريج قالوا اذا سلم عليك
فرد عليه باحسن مما سلم عليك او بمثل ما قال وهذا اقوى لما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال اذا سلم عليكم اهل
الكتاب فقولوا وعليكم وذكر علي بن ابراهيم في تفسيره عن الصادقين عليهم السلام ان المراد بالتحية في الآية السلام وغيره من البر
وذكر الحسن ان رجلا دخل على النبي صلى الله عليه وآله فقال السلام عليك فقال النبي صلعم وعليك السلام ورحمة الله فجاء آخر وسلم
عليه فقال السلام عليك ورحمة الله فقال النبي صلى الله عليه وآله وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فجاء آخر فقال السلام عليك ورحمة
الله وبركاته فقال صلعم وعليك فقيل يا رسول الله زدت للاول والثاني في التحية ولم ترد للثالث فقال انه لم يبق لي من التحية
شيئا فرددت عليه مثله وروى الواحدي باسناده عن ابي امامة عن مالك بن التيهان قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
من قال السلام عليكم كتبت له عشر حسنات ومن قال السلام عليكم ورحمة الله كتبت له عشرون حسنة ومن قال السلام عليكم ورحمة الله
وبركاته كتبت له ثلثون حسنة ان الله كان على كل شيء حسيبا اي حفيظا عن مجاهد وقيل كافيا وقيل مجازيا عن ابن عباس وفي
هذه الآية دلالة على وجوب رد السلام لان ظاهر الامر يقتضي الوجوب وقال الحسن وجماعة من المفسرين ان السلام
تطوع والرد فريضة والرد ربما كان من فروض الكفاية قد سقط بان يحصل السلام ولا احد على فيتعين عليه الرد
النظم وجه اتصال هذه الآية بما قبلها ان المراد بالسلم المسالمة التي هي ضد الحرب فلما امر سبحانه بالقتال للمشركين
عقبه بان قال من مال الى السلم فاعط ذلك من نفسه وحق المؤمنين بتحية واقبلوا منهم قوله تعالى الله لا اله الا هو

ليجمعنكم الى يوم القيمة لا ريب فيه ومن اصدق من الله حديثا ○ آية الاعراب اللام في ليجمعنكم لام القسم وحديثا
نصب على التمييز كما تقول من احسن من زيد وجها وهو استفهام في اللفظ وهو نفي في المعنى المعنى الله لا اله الا هو قد
قسم ليجمعنكم الى يوم القيمة اي ليبعثنكم من بعد مماتكم ويحشرنكم جميعا الى موقف الحساب الذي يقضي فيه بين اهل
الطاعة والمعصية وقال الزجاج معناه ليجمعنكم في الموت وفي قبوركم لا ريب فيه اي لا شك في هذا القول وانما سمي يوم القيمة
لان الناس يقومون فيه من قبورهم وفي التنزيل يوم يقوم الناس لرب العالمين ومن اصدق من الله حديثا اي موعدا لا خلف
لوعده وقيل معناه لا احد اصدق من الله في الخبر الذي يخبر به النظم لما امر سبحانه ونهى فيما قبل بين ان الله هو الاله الذي
لا يستحق العبادة سواه ليعملوا على حسب ما اوجبه عليكم وانه يجازيكم يوم لا ريب في وقت الجزاء وقيل انما اتصل بقوله حسيبا اي ان
الحسيب هو الله قوله تعالى فما لكم في المنافقين فئتين والله اركسهم بما كسبوا اتريدون ان تهدوا من اضل
الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا ○ آية اللغة الاركاس الرد ومنه قول امية بن ابي الصلت فاركسوا في جحيم النار
انهم كانوا عصاة وقالوا الافك والزور وقال الفراء اركسهم وركسهم وقد ذكر ان عبد الله وابي بن كعب قرءا ركسهم
بغير الف الاعراب فئتين نصب على الحال كما يقول مالك قائما والعامل في الحال المعنى الذي في الظرف المعنى قوله لك
النزول اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية فيه فقيل نزلت في قوم قدموا المدينة من مكة فاظهروا للمسلمين الاسلام ثم رجعوا
الى مكة لانهم استوخموا المدينة فاظهروا الشرك ثم سافروا ببضائع المشركين الى اليمامة فاراد المسلمون ان يغزوهم
فاختلفوا فقال بعضهم لا نفعل فانهم مؤمنون وقال الآخرون انهم مشركون فانزل الله الآية فيهم عن مجاهد والحسن
وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلام وقيل نزلت في الذين تخلفوا عن احد فقالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم الآية فاختلف اصحاب
رسول الله صلعم فقال فريق منهم نقتلهم وقال آخرون لا نقتلهم فنزلت الآية عن زيد بن ثابت المعنى ثم عاد الكلام الى
ذكر المنافقين فقال سبحانه فما لكم ايها المؤمنون صرتم في امر هؤلاء المنافقين فئتين فرقتين مختلفتين فمنكم من يكفرهم
ومنكم من لا يكفرهم والله اركسهم بما كسبوا اي ردهم الى حكم الكفار بما اظهروا من الكفر عن ابن عباس وقيل معناه اهلكهم
بكفرهم عن قتادة وقيل خذلهم فاقاموا على كفرهم وترددوا فيه واخبر عن خذلانه اياهم بانه اركسهم عن ابي مسلم اتريدون ان تهدوا
اي تحكموا بهداية من اضل الله اي حكم الله بضلاله وسماهم ضالا وقيل معنى اضل الله خذله ولم يوفقه كما وفق المؤمنين لانهم
لما عصوا وخالفوا استحقوا هذا الخذلان عقوبة لهم على معصيتهم اي اتريدون ان تدافعوا عن قتالهم مع ان الله حكم بضلالهم
وخذلهم وتحكموا باسلامهم وقال ابو علي الجبائي معناه اتريدون ان تهدوا الى طريق الجنة من اضله الله عن طريق الجنة
والثواب وطعن على القول الاول بانه لو اراد التسمية والحكم لقال من ضلل الله وهذا لا يصح لان العرب تقول اكفرته وكفرته قال
الكميت وطائفة قد اكفروني بحبكم وطائفة قالوا مسيء ومذنب وايضا فانه سبحانه انما وصف المؤمنين بما ذكر لانهم سموهم مؤمنين
لانهم كانوا يقولون انهم مؤمنون فقال سبحانه لا تختلفوا فيهم وقولوا باجمعكم انهم منافقون ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا
معناه ومن نسبه الله الى الضلال فلن ينفعه ان ينسبه غيره الى الهداية كما ان من جرحه الحاكم فلا ينفعه تعديل غيره وقيل معناه
من يضلله الله في حكمه فما لك الى ان تجد له سبيلا عن جعفر بن حرب وقال الواحدي ليعلم انهم هم الذين اكتسبوا ما صاروا به
من الكفر دون ان يكون الله سبحانه اضطرهم اليه وقد اعلم ان ذلك ودوا لو تكفرون كما كفروا فاضاف سبحانه الكفر اليهم قوله
ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فان تولوا فخذوهم واقتلوهم
حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا ○ آية المعنى ثم بين سبحانه حال هؤلاء المنافقين فقال ودوا اي تمنى
هؤلاء المنافقون الذين اختلفتم في امرهم يقول تمنوا لو تكفرون انتم بالله ورسوله كما كفروا هم فتكونون سواء اي فتستوون
انتم وهم تكونون مثلهم كفارا ثم نهى المؤمنين ان يوالوهم فقال ولا تتخذوا منهم اولياء اي فلا تستنصحوهم ولا تستنصروهم
ولا تستعينوا بهم في الامور حتى يهاجروا اي يخرجوا من دار الشرك ويفارقوا اهلها المشركين بالله في سبيل الله اي في ابتغاء

دينه وهو سبيله فيصيروا غير ذلك مثلكم لهم ما لكم وعليهم ما عليكم وهذا قول ابن عباس وانما سمى الدين سبيلا
وطريقا لان من سلكه اداه الى النعيم وباقى الجنة فان تولوا اى اعرضوا عن الهجرة فى سبيل الله عن ابن عباس فخذوهم
ايها المؤمنون واقتلوهم حيث وجدتموهم اى اين اصبتموهم من ارض الله فى الحل والحرم ولا تتخذوا منهم وليا اى خليلا
ولا نصيرا اى ناصرا ينصركم على عدوكم قوله تعالى الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق او جاؤكم
حصرت صدورهم ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم
والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا ● اية اللغة الحصر الضيق وكل من ضاقت نفسه على شيء من فعل
او كلام فقد حصر ومنه الحصر فى القراءة والحصر اعتقال البطن والاعتزال التنحى والتجنب عن الشيء يقال اعتزلت
البيت وتعزلت قال الاحوص يا بيت عاتكة الذى اتعزل حذر العدى وبه الفؤاد موكل وسميت المعتزلة معتزلة لاعتزالهم
مجلس الحسن البصرى بعد ان كانوا من اهله وقيل ان واصل بن عطا لما اظهر القول بالمنزلة بين المنزلتين وتبعه عمرو بن عبيد
على المذهب ووافقهم جماعة على هذا المذهب قال لاهم ... الاعتزال الحسن البصرى واعتزلنا فسماهم الناس معتزلة
وجرى عليهم ذلك الاسم الاعراب حصرت صدورهم فى موضع نصب على الحال وقد مضمرة لان الفعل الماضى لا يكون
حالا الا ان يكون معه قد اما مضمرة او مظهرة لان قد تقرب الماضى الى الحال فكانه قال جاؤكم قد حصرت صدورهم كما قالوا جاء فلان
ذهب عقله اى قد ذهب عقله ويجوز ان يكون حصرت صدورهم منصوب الموضع بانه صفة لموصوف هو حال على تقدير جاؤكم
قوما حصرت صدورهم فحذف المنصوب المنتصب على الحال واقيم صفته مقامه والماجاز ان يكون هذا حالا لانه معنى
قد لك اى جاؤكم موصوفين بحصر الصدور وهو معروف بذلك المعنى لما لم اره سمة المؤمنين فقال الذين لا يهاجرون
من بلاد الشرك وان لم يكونوا لهم استثنى من جملتهم فقال الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق معناه الا من يتصل
من هؤلاء الى قوم بينكم وبينهم موادعة وعهد فيدخلوا فيهم بالحلف والجوار فحكمهم حكم هؤلاء فى حقن دمائهم واختلف فى
هؤلاء فالمروى عن ابى جعفر عليه السلام انه قال المراد بقوله بينكم وبينهم ميثاق هو هلال بن عويمر السلمى واثق عن قومه رسول الله
صلى الله عليه وآله وقال فى موادعته على ان لا نحيف يا محمد من اتانا ولا نحيف من اتاك فنهى سبحانه ان لا يعرض لاحد عهد اليهم
وبه قال السدى وابن زيد وقيل هم بنو مدلج وكان سراقة بن مالك بن جعشم المدلجى جاء الى النبى صلى الله عليه وآله بعد احد
فقال انشدك الله والنصرة واخذ منه ان لا يغزو قومه فان اسلم قريش اسلموا لانهم كانوا فى عقد قريش فحكم الله فيهم ما حكم فى قريش
ففيهم نزل هذا ذكره عمر بن شبة ثم استثنى لهم حالة اخرى فقال او جاؤكم حصرت صدورهم اى ضاقت قلوبهم عن ان يقاتلوكم
او يقاتلوا قومهم يعنى من قتالكم وقتال قومهم فلا عليكم ولا عليهم وايما عنى به اشجع فانهم قدموا المدينة فى سبعمائة يقودهم
مسعود بن رخيلة فاخرج اليهم النبى احمال التمر ضيافة وقال لهم انتم الحدبية امام الحاجة وقال لهم ما جاء بكم قالوا قرب
دارنا منك وكرهنا حربك وحرب قومنا يعنون بنى ضمرة الذين بينهم وبينهم عهد لقلتنا فيهم فجئنا لنوادعك فقبل
النبى صلى الله عليه وآله ذلك منهم ووادعهم فرجعوا الى بلادهم ذكره على بن ابراهيم فى تفسيره فامر الله سبحانه المسلمين ان لا
يتعرضوا لهؤلاء ولو شاء الله لسلطهم عليكم بتقوية قلوبهم فيجترون على قتالكم وقيل هذا اخبار عن قدرته وانه
لو يفعل ذلك بان يأمرهم او يأذن لهم فيه ومعناه انه يقدر على ذلك لو شاء لكنه لا يشاء ذلك بل يلقى فى قلوبهم الرعب
حتى يفزعوا ويطلبوا الموادعة ويدخل بعضهم فى حلف من بينكم وبينه ميثاق فلقاتلوكم اى لو فعل ذلك لقاتلوكم فان
اعتزلوكم يعنى هؤلاء الذين امر بالكف عن قتالهم بدخولهم فى عهدكم او بمصيرهم اليكم حصرت صدورهم ان يقاتلوكم
والقوا اليكم السلم يعنى صالحوكم واستسلموا لكم كما يقول القائل القيت اليك قيادى والقيت اليك زمامى اذا استسلم
وانقاد لامره والسلم الصلح فما جعل الله لكم عليهم سبيلا يعنى اذا سالموكم فلا سبيل لكم الى نفوسهم واموالهم قال الحسن و
عكرمة نسخت هذه والاية التى بعدها والايات التى فى سورة الممتحنة لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين الى قوله فاولئك

هم الظالمون

هم الظالمون الايات الاربع بقوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الاية قوله تعالى
ستجدون اخرين يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم كلما ردوا الى الفتنة اركسوا فيها فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم
السلم ويكفوا ايديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا ● اية النزول اختلف
فيمن عنى بهذه الاية فقيل نزلت فى ناس كانوا يأتون النبى فيسلمون رياء ثم يرجعون الى قريش فيرتكسون فى الاوثان يبتغون
بذلك ان يأمنوا قومهم ويأمنوا نبى الله فابى الله ذلك عليهم عن ابن عباس ومجاهد وقيل نزلت فى نعيم بن مسعود الاشجعى
كان ينقل الحديث بين النبى وبين المشركين عن السدى وقيل نزلت فى اسد وغطفان عن مقاتل وقيل نزلت فى عيينة
بن الحصين الفزارى وذلك انهم اجدبت بلادهم فجاء الى رسول الله صلى الله عليه وآله ووادعه على ان يقيم ببطن نخل ولا يتعرض له
وكان منافقا ملعونا وهو الذى سماه رسول الله صلى الله عليه وآله الاحمق المطاع فى قومه وهو المروى عن الصادق عليه السلام
المعنى ثم اخبر سبحانه عن طائفة اخرى منهم فقال ستجدون اخرين يعنى قوما اخرين غير الذين وصفهم فيما تقدم يريدون ان يأمنوكم
فيظهرون الاسلام ويأمنوا قومهم فيظهرون لهم الموافقة فى دينهم كلما ردوا الى الفتنة اركسوا فيها المراد بالفتنة هنا الشرك
اى كلما دعوا الى الكفر اجابوا ورجعوا اليه والفتنة فى اللغة الاختبار والاركاس الرد قال الزجاج اركسوا فيها انتكسوا
فى عقدهم فالمعنى كلما ردوا الى الاختبار ليرجعوا الى الكفر رجعوا اليه فان لم يعتزلوكم ايها المؤمنون اى فان لم يعتزلوا قتالكم هؤلاء
الذين يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم ويلقوا اليكم السلم يعنى ولم يستسلموا لكم فيعطوكم المقادة ويصالحوكم ولم يكفوا ايديهم
عن قتالكم فخذوهم اى فأسروهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم اى وجدتموهم واصبتموهم واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا
مبينا اى حجة ظاهرة وقيل عذرا بينا فى القتال وسميت الحجة سلطانا لانها يتسلط بها على الخصم كما يتسلط بالسلطان على الخلق
وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى اهله الا ان يصدقوا
فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله
وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما ● اية اللغة الخطا خلاف
الصواب والفعل منه خطئ والخطأ فى الامر اى لم يصب الصواب والخطأ بالفتح فيهما والخطاء بالكسر فيهما وخالد
الذنب والفعل منه خطأ يخطأ اذا اذنب والتحرير تفعيل من الحرية وهو اخراج العبد من الرق الى الحرية الاعراب
اجمع المحققون من النحويين على ان قوله الا خطأ استثناء منقطع من الاول لان معنى ما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا البتة
الا ان يخطئ المؤمن ومثله قول الشاعر من البيض لم تظعن بعيدا ولم تطأ على الارض الا ريط برد مرحل والمعنى لم تطأ على الارض
الا ان تطأ ريط البرد اذ ليس ريط البرد من الارض وقد ذكرنا ما قيل فى مثله فى سورة البقرة عند قوله الا الذين ظلموا منهم
وقال بعضهم ان الاستثناء متصل والمعنى لم يكن لمؤمن ان يقتل مؤمنا متعمدا ومن قتله متعمدا لم يكن مؤمنا فان ذلك
يخرجه عن الايمان ثم قال الا خطأ اى فان قتله له خطأ فلا يخرجه عن الايمان فتحرير رقبة مبتدأ محذوف الخبر ان الدلالة
الكلام عليه وموضع ان فى قوله الا ان يصدقوا نصب لان المعنى عليه ذلك الا ان يصدقوا فقد الى الا على ان يصدقوا
ثم سقط على وعمل فيما بعده على معنى الحال فهو مصدر وقع موقع الحال واصل يصدقوا يتصدقوا فادغمت التاء فى الصاد
لقرب مخرجهما وقيل ان فى قوله الا ان يصدقوا توبة من الله كقولهم فعلت ذلك حذر الشر عن الزجاج فيكون مفعولا
له وقيل انتصب بان الله بذلك عليكم توبة فيكون مصدرا مثل كتاب الله عليكم وقد مر ذكره النزول نزلت فى عياش بن ابى
ربيعة المخزومى اخى ابى جهل لامه كان اسلم وقتل بعد اسلامه رجلا مسلما وهو لا يعلم باسلامه والمقتول الحرث بن يزيد
ابن نبشة العامرى عن مجاهد وعكرمة والسدى قال قتله بالحرة بعد الهجرة وكان احد من رده عن الهجرة وكان يعذب عياشا
مع ابى جهل وهو المروى عن ابى جعفر عليه السلام وقيل نزلت فى رجل قتله ابو الدرداء كانوا فى سرية فعدل ابو الدرداء الى شعب
يريد حاجة فوجد رجلا من القوم فى غنم له فحمل عليه بالسيف فقال لا اله الا الله فضربه ثم جاء بغنمه الى القوم

ثم وجد في نفسه شيئا فاتى رسول الله صلى الله عليه وآله فذكر ذلك له فقال صلعم الا شققت عن قلبه وقيل خرج ليلا
ثم صلاة فقر فقال كيف لي يا رسول الله فقال فكيف بلا اله الا الله قال اسامة فتمنيت ان ذلك اليوم مبدأ ايماني فنزلت
الاية عن ابن زيد المعنى ما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ معناه ما اذن الله ولا اباح لمؤمن فيما عهد اليه ان يقتل
مؤمنا الا ان يقتله خطأ عن قتادة وغيره وقيل معناه ما كان له ذلك ليس له الا ان يقتل مؤمنا الا ان يقتل خطأ وقيل لقوله
وما كان لمؤمن ليقتل مؤمنا الا خطأ كقوله سبحانه وما كان لله ان يتخذ من ولد اي معناه ما كان الله ليتخذ ولدا وقوله سبحانه
ما كان لكم ان تنبتوا شجرها اي ما كنتم لتنبتوا شجرها وانما قلنا ان معناه ما ذكرناه لانه سبحانه لا يجوز الامر والنهي والتبعات
الخطأ لا يدخله تحت مقدور البشر ولا يصح النهي عنه فمعنى الاية على ما وصفنا ليس من صفة المؤمن ان يقتل مؤمنا
الا خطأ وعلى هذا يكون الاستثناء متصلا ومن قال ان الاستثناء منقطع قال وقد تم الكلام عند قوله ان يقتل مؤمنا
ثم قال فان كان القتل خطأ فحكمه كذا وانما لم يحمل قوله الا خطأ على حقيقة الاستثناء لان ذلك يؤدي الى الامر بالقتل
الخطأ او اباحته ولا يجوز واحد منهما والخطأ هو ان يريد شيئا فيصيب غيره مثل ان يرمي الى غرض او الى صيد فيصيب انسانا
فيقتله وكذلك لو قتل رجلا ظنه كافرا كما فعل عياش بن ابي ربيعة واول الاية دليل على ما ذكرناه ومن قتل مؤمنا خطأ
فتحرير رقبة مؤمنة اي فعليه اعتاق رقبة مؤمنة في ماله خاصة على وجه الكفارة تعالى والرقبة المؤمنة هي
التي آمنت وصلت وصامت ولا يجزي في كفارة القتل الطفل ولا الكافر عن ابن عباس والشعبي وابراهيم والحسن وقتادة
وقيل يجزي كل رقبة ولدت على الاسلام عن عطاء والاول اقوى لان لفظ المؤمن لا يطلق الا على البالغ الملتزم للفرائض
الا من ولد من مؤمنين فانه يحكم له بالايمان ودية اي وعليه او على عاقلته دية مسلمة الى اهله اي الى اهل القتيل
والمسلمة هي المدفوعة اليهم موفرة غير منتقصة حقوق اهلها منها الذين الى اهل القتيل فيقسم بينهم على حسب الميراث الا ان
يصدقوا يعني الا ان يتصدق اولياء المقتول بالدية على عاقلة القاتل فيتركوها عليهم وان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن
معناه فان كان القتيل من جملة قوم هم اعداء لكم يناصبونكم الحرب وهو في نفسه مؤمن ولم يعلم قاتله انه مؤمن فقتله وهو يظنه
مشركا فتحرير رقبة اي فعلى قاتله تحرير رقبة مؤمنة كفارة وليس فيه دية عن ابن عباس وقيل ان معناه اذا كان القتيل
في عداد قوم اعداء وهو مؤمن بين اظهرهم لم يهاجر فمن قتله فلا دية وعليه تحرير رقبة مؤمنة فقط لان الدية ميراث
واهله كفار لا يرثونه عن ابن عباس في رواية اخرى وابراهيم والسدي وقتادة وابن زيد وان كان من قوم بينكم وبينهم
ميثاق اي عهد وذمة وليسوا اهل الحرب لكم فدية مسلمة الى اهله يلزم عاقلة قاتله وتحرير رقبة مؤمنة تلزم قاتله
كفارة لقتله وهو المروي عن الصادق عليه السلام واختلف في صفة هذا القتيل اهو مؤمن ام كافر فقيل انه كافر الا انه لزم
قاتله ديته بسبب العهد عن ابن عباس والزهري والشعبي وابراهيم النخعي وقتادة وابن زيد وقيل بل هو مؤمن يلزم قاتله الدية يؤديها
الى قومه المشركين لانهم اهل ذمة عن الحسن وابراهيم وقال اصحابنا ايضا الا انهم قالوا يعطى ديته ورثته المسلمين دون الكفار
ولفظ الميثاق يقع على الذمة والعهد جميعا فمن لم يجد اي لم يقدر على عتق رقبة بان لا يجد العبد ولا ثمنه فصيام شهرين
اي فعليه صيام شهرين متتابعين توبة من الله اي ليتوب الله به عليكم فيكون التوبة من فعل الله تعالى وقيل ان المراد بالتوبة
هنا التخفيف من الله لانه سبحانه انما جوز للقاتل العدول الى الصيام تخفيفا عليه ويكون كقوله سبحانه علم ان لن تحصوه فتاب عليكم
وكان الله عليما اي لم يزل عليما بكل شيء حكيما فيما يأمر به وينهى عنه واما الدية الواجبة في قتل الخطأ فمائة من الابل ان كانت
العاقلة من اهل الابل بلا خلاف وان اختلفوا في اسنانها فقيل هي ارباع عشرون بنت مخاض وعشرون ابن لبون ذكر
وثلاثون بنت لبون وثلاثون حقة ورووا ذلك عن عثمان وابن زيد وهو قول اصحابنا ايضا وقد روي في اخبارنا اخماس عشرون
بنت مخاض وعشرون بنت لبون وعشرون حقة وعشرون جذعة وعشرون ابن لبون وعشرون
وعشرون بنت مخاض وهو قول ابن مسعود والزهري والثوري واليه ذهب الشافعي وقال ابو حنيفة هي اخماس

ايضا

ايضا الا انه جعل مكان ابن لبون ابن مخاض وبه قال النخعي وروي ايضا عن ابن مسعود قال الطبري اي هذه الروايات سلك فهو
فللاول التخيير فاما الدية من الذهب فالف دينار ومن الورق عشرة آلاف درهم وهو الاصح وقيل اثنا عشر الفا
ودية الخطأ تستأدى في ثلاث سنين ولو خلينا وظاهر الاية لقلنا ان دية الخطأ على القاتل لكنا علمنا بالسنة
والاجماع ان الدية في الخطأ على العاقلة وهم الاخوة وبنو الاخوة والاعمام وبنو الاعمام واعمام الاب وابناؤهم والموالي وقال
الشافعي وقال ابو حنيفة يدخل الوالد والولد فيها ايضا والقاتل وقد روي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال
لا يؤخذ الرجل بجريرة ابنه ولا الابن بجريرة ابيه وليس الزام الدية العاقلة على سبيل مؤاخذة البريء بالسقيم لان ذلك
ليس بعقوبة بل هو حكم شرعي تابع للمصلحة وقد قيل ان ذلك على سبيل المواساة والمعاونة النظم انه سبحانه ذكر الكف
والمنع قتالهم ثم ذكر من كان بينهم وبين المسلمين عهد ومنع من قتالهم ثم ذكر من في حكم قتالهم ثم ذكر قتل المؤمن ووصل به
احكامه من دية وعتق قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا
عظيما آية النزول نزلت في مقيس بن صبابة الكناني وجد اخاه هشاما قتيلا فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله
فارسل معه قيس بن هلال الفهري فقال لبني النجار ان علمتم قاتل هشام فادفعوه الى اخيه ليقتص منه وان لم تعلموا فادفعوا
اليه ديته فبلغ الفهري الرسالة فاعطوه الدية فلما انصرف وسوس اليه الشيطان فقال ما صنعت شيئا اخذت دية
اخيك فيكون عليك سبة اقتل الذي معك لتكون نفس بنفس والدية فضل فرماه بصخرة فقتله وركب بعيرا ورجع
الى مكة كافرا وانشد يقول قتلت به فهرا وحملت عقله سراة بني النجار ارباب فارع فادركت ثاري واضطجعت موسدا
وكنت الى الاوثان اول راجع فقال النبي صلى الله عليه وآله لا اؤمنه في حل ولا حرم فقتل يوم الفتح رواه الضحاك وجماعة
المفسرين المعنى لما بين سبحانه قتل الخطأ وحكمه عقبه ببيان قتل العمد وحكمه فقال ومن يقتل مؤمنا متعمدا اي قاصدا الى قتله
عالما بايمانه وحرمة قتله وعصمة دمه وقيل معناه مستحلا لقتله عن عكرمة وابن جريج وجماعة وقيل معنى التعمد ان يقتله على
دينه رواه العياشي باسناده عن الصادق عليه السلام فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه ابعده من الخير وطرده
على وجه العقوبة واعد له عذابا عظيما ظاهر المعنى وصفة قتل العمد ان يقصد قتل غيره بما جرت العادة بان يقتل مثله
سواء كان بحديدة حادة كالسلاح او يخنق او يسم او احراق او تغريق او موالاة ضرب بالعصا او بالحجارة حتى يموت فان جميع ذلك
عمد يوجب القود وبه قال ابراهيم والشافعي واصحابه وقال قوم لا يكون قتل العمد الا بالحديد وبه قال سعيد بن المسيب وطاوس
وابو حنيفة واصحابه واما القتل شبيه العمد فهو ان يضربه بعصا او غيرها مما لم تجر العادة بحصول الموت عنده فيموت
وفيه الدية مغلظة تلزم القاتل خاصة في ماله دون العاقلة وفي هذه الاية وعيد شديد لمن قتل مؤمنا متعمدا حرم الله
تعالى قتل المؤمن وغلظ فيه وقال جماعة من التابعين الاية اللينة وهي ان الله لا يغفر ان يشرك به الاية نزلت بعد الشديدة وهي
ومن يقتل مؤمنا متعمدا وقال ابو مجلز في قوله فجزاؤه جهنم خالدا فيها هي جزاؤه ان جازاه وروى عاصم بن ابي النجود عن ابن
عباس في قوله فجزاؤه جهنم قال هي جزاؤه ان شاء عذبه وان شاء غفر له وروي عن ابي صالح وبكر بن عبد الله وغيرهما انه كما يقول
الانسان لمن يزجره عن امر ان فعلته فجزاؤك القتل والضرب ثم ان لم يجازه بذلك لم يكن ذلك منه كذبا واعترض على هذا
ابو علي الجبائي فقال ما لا يفعل لا يسمى جزاء الا ترى ان الاجير اذا استحق الاجرة فالدراهم التي يستأجر لا يسمى جزاء على عمله
وهذا لا يصح لان الجزاء عبارة عن المستحق سواء فعل ذلك او لم يفعل ولهذا يقال جزاء المحسن الاحسان وجزاء المسيء الاساءة
وان لم يتعين المحسن والمسيء حتى يقال انه لو فعل ذلك او لم يفعل ويقال لمن قتل غيره جزاء هذا ان يقتل واما الاجير والدراهم
انما جزاء الاجير لان الاجير انما يستحق الاجرة في الذمة لا في الدراهم المعينة فللمستأجر ان يعطيه منها ومن غيرها ومن تعلق
بهذه الاية من اهل الوعيد فان مرتكب الكبيرة لا بد ان يخلد في النار فانا نقول له ما انكرت ان يكون المراد به لا ثواب له اصلا
بان يكون كافرا او يكون قتله مستحلا لقتله او قتله لايمانه ولا خلاف ان هذه صفة من يخلد في النار وبعضهم من

ما تقدم ذكره في سبب نزول الآية واقوال الائمة في معناها وبعد فقد وافقنا على ان الآية مخصوصة بمن لا يتوب وان
التائب خارج من عمومها واما ما روي عن ابن عباس انه قال لا توبة لقاتل المؤمن الا اذا قتله في حال الشرك ثم اسلم وتاب
وبه قال ابن مسعود وزيد بن ثابت فالاولى ان يكون هذا القول منهم محمولا على سلوك سبيل التغليظ في القتل كما روي عن
سفيان الثوري انه سئل عن توبة القاتل فقال كان اهل العلم اذا سئلوا قالوا لا توبة له واذا ابتلي الرجل قالوا له تب
وروى الواحدي باسناده مرفوعا الى عطاء عن ابن عباس ان رجلا سأله ألقاتل المؤمن توبة فقال لا وسأله آخر ألقاتل
المؤمن توبة فقال نعم فقيل له في ذلك فقال جاءني ذلك ولم يكن قتل فغلظت لئلا يقتل وجاءني هذا وقد قتل
فقلت له توبة لكيلا يلقي نفسه بيده الى التهلكة ومن قال من اصحابنا ان قاتل المؤمن لا يوفق للتوبة لا ينافي ما قلناه لانه
هذا القول ان صح فانما يدل على انه لا يختار التوبة مع انها لو حصلت لازالت العقاب واذا كان لا بد من تخصيص الآية بالتوبة
جاز ان يخص بعض من يتفضل عليه بالعفو وروى الواحدي باسناده مرفوعا الى الاصمعي قال جاء عمرو بن عبيد
الى ابي عمرو بن العلاء فقال يا ابا عمرو ويخلف الله ما وعده فقال لا فقال أفرأيت من وعده الله على عمل عقابا يخلف الله وعده فيه
فقال ابو عمرو من العجمة اتيت يا ابا عثمان ان الوعد غير الوعيد ان العرب لا تعد عارا ولا خلفا ان تعد شرا ثم لا تفعله
ترى ذلك كرما وفضلا وانما الخلف ان تعد خيرا ثم لا تفعله قال فاوجدني هذا في كلام العرب قال نعم اما سمعت قول
الاول وإني وان اوعدته او وعدته لمخلف ايعادي ومنجز موعدي ووجدنا في الدعاء المروي بالرواية الصحيحة
عن الصادقين عليهم السلام يا من اذا وعد وفى واذا توعد عفى وهذا تأييد لما تقدم وقد احسن يحيى بن معاذ في هذا المعنى
حيث قال الوعد حق والوعيد حق فالوعد حق العباد على الله ضمن لهم اذا فعلوا كذا ان يعطيهم كذا ومن اولى بالوفاء
من الله والوعيد حقه على العباد قال لا تفعلوا كذا فاعذبكم ففعلوا فان شاء عفى وان شاء آخذ لانه حقه واولاهما بربنا
العفو والكرم لانه غفور رحيم وروى الحسن بن ابراهيم قال سمعت قريش بن انس يقول كنت عند عمرو بن عبيد في بيته فانشأ
يقول يؤتى بي يوم القيمة فاقام بين يدي الله فيقول لي قلت ان القاتل في النار وانا قلت قلت [illegible] الآية
فقلت له وما في البيت اصغر سنا مني أرأيت ان قال الله فاني قلت ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء من اين
علمت اني لا اشاء ان اغفر لهذا قال فما استطاع ان يرد علي شيئا قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله
فتبينوا ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم لست مؤمنا تبتغون عرض الحيوة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله
عليكم فتبينوا ان الله كان بما تعملون خبيرا ۞ القراءة قرأ اهل الكوفة غير عاصم فتثبتوا ههنا في الموضعين وفي الحجرات
وقرأ الباقون بالياء والنون في الجميع وقرأ اهل المدينة والشام وحمزة وخلف السلم بغير الف وقرأ في الرواية عن عاصم السلم بكسر
السين وسكون اللام وقرأ الباقون السلام بالالف وروي عن ابي جعفر القارئ في بعض الطرق لست مؤمنا بفتح الميم الثانية
وحكى ابو القاسم البلخي قراءة محمد بن علي الباقر عليهما السلام ۞ الحجة قال ابو علي من قرأ فتثبتوا فحجته ان التثبت خلاف الاقدام والمراد
التأني وهو اشد اختصاصا بهذا الموضع ويبين ذلك قوله اشد تثبيتا اي اشد وقفا لهم عما وعظوا بان لا يقدموا عليه
ومن قرأ فتبينوا فحجته ان التبين ليكون التثبت وقد جاء التبين من الله والعجلة من الشيطان فمقابلة التبين بالعجلة
دلالة على تقارب التثبت والتبين قال الشاعر في موضع التوقف والزجر ازيد مناة توعد يا ابن تيم تبين اين تاه بك الوعيد قال
قرأ السلم احتمل ضربين احدهما ان يكون بمعنى التحية اي لا تقولوا لمن حياكم بتحية المسلمين انما قالها تعوذا ولكن ارفعوا السيف
والآخر ان يكون المعنى لا تقولوا لمن اعتزلكم لست [illegible] قال ابو الحسن يقال فلان سلام اذا كان لا يخالط احدا ومن قرأ السلم بكسر
السين فمعناه الاسلام والاسلام مصدر اسلم اي صار سلما وخرج عن ان يكون حربا ومن قرأ مؤمنا فانه من الامان ومعناه لا نؤمنك
لم تستسلم لكم لسانا وتسلم ۞ اللغة جميع متاع الدنيا عرض يقال الدنيا عرض حاضر ويقال لكل ما لا ثبات له عرض
ومنه العرض الذي خلاف الجوهر عند المتكلمين لانها لا ثبات لها لبث ما يلبث الاجسام والعرض ما يعرض للانسان من مرض

وعن الاعراب تبتغون في موضع النصب على الحال من الواو في تقولوا والكاف من كذلك في موضع نصب بكونه خبر كان
كنتم ۞ النزول قيل نزلت في اسامة بن زيد واصحابه بعثهم النبي في سرية فلقوا رجلا قد انحاز بغنم له الى جبل وكان قد اسلم فقال
لهم السلام عليكم لا اله الا الله محمد رسول الله فبدر اليه اسامة فقتله واستاقوا غنمه عن السدي وروي عن ابن عباس وقتادة
انه لما نزلت الآية حلف اسامة لا يقتل رجلا قال لا اله الا الله وبهذا اعتذر الى علي عليه السلام لما تخلف عنه وان كان عذره غير مقبول
لانه قد دل الدليل على وجوب طاعة الامام في محاربة من حاربه من البغاة وقد صح ان النبي صلى الله عليه وآله قال حربك يا علي حربي وسلمك
سلمي وقيل نزلت في محلم بن جثامة الليثي وكان بعثه النبي صلى الله عليه وآله في سرية فلقيه عامر بن الاضبط الاشجعي فحياه بتحية
الاسلام وكان بينهما احنة فرماه بسهم فقتله فلما جاء الى النبي صلى الله عليه وآله جلس بين يديه وسأله ان يستغفر له فقال صلى الله عليه وآله
لا غفر الله لك فانصرف لا غفر الله لك فانصرف باكيا فما مضت عليه سبعة ايام حتى هلك ودفن فلفظته الارض
فقال صلى الله عليه وآله لما اخبر به ان الارض تقبل من هو شر من محلم صاحبكم ولكن الله اراد ان يعظم من حرمتكم ثم طرحوه بين صدفي جبل والقوا
عليه الحجارة فنزلت الآية عن الواقدي ومحمد بن اسحق بن يسار باسناده عن ابن عمر وابن مسعود وابي حدرد وقيل كان صاحب السرية
المقداد عن سعيد بن جبير وقيل كان ابو الدرداء عن ابن زيد ۞ المعنى لما بين سبحانه احكام القتل والوعيد عقب ذلك بالامر
بالتثبت والتأني حتى لا يفعل ما يعقب الندامة فقال يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم اي سرتم وسافرتم في سبيل الله للغزو
والجهاد فتبينوا اي ميزوا بين الكافر والمؤمن وبالتثبت والتأني فقفوا وتأنوا حتى تعلموا من يستحق القتل والمعنيان متقاربان
والمراد به لا تعجلوا في القتل لمن اظهر اسلاما ظنا منكم بانه لا حقيقة لذلك ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم اي حياكم
بتحية اهل الاسلام او من استسلم لكم فلم يقاتلكم مظهرا انه من اهل ملتكم لست مؤمنا اي لست من اهل الايمان حقيقة وانما اسلمت
خوفا من القتل او لست بآمن تبتغون عرض الحيوة الدنيا يعني الغنيمة والمال ومتاع الحيوة الدنيا الذي لا بقاء له فعند الله مغانم
اي في مقدوره فواضل ونعم ورزق ان اطعتموه فيما امركم به وقيل معناه ثواب كثير لمن ترك قتل المؤمنين كذلك كنتم من قبل
اختلف في معناه فقيل كما كان هذا الذي قتلتموه مستخفيا في قومه بدينه خوفا على نفسه منهم كنتم اذلاء آحادا اذا سار
الرجل منكم وحده خاف ان يختطف من العرب فمن الله عليكم [illegible] فمن الله عليكم باظهار دينه واعزاز اهله حتى اظهرتم الاسلام
بعد ما كنتم تكتمونه من اهل الشرك عن سعيد بن جبير وقيل معناه فمن الله عليكم فتبينوا اعاد هذا اللفظ للتأكيد بعد ما طال
الكلام وقيل الاول معناه [illegible] والثاني تبينوا نعمة الله عليكم واعرفوها واشكروها ان الله كان اي لم يزل بما تعملون خبيرا عليما
بعد قبل ان تعملوه قوله تعالى لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم
فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا
عظيما ۞ درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما ۞ آيتان ۞ القراءة قرأ اهل المدينة والشام والكسائي وخلف غير
اولي الضرر بنصب الراء والباقون بالرفع ۞ الحجة قال [illegible] غير صفة للقاعدين عند سيبويه وكذلك قوله غير المغضوب
عليهم انعمت عليهم ومثله قول لبيد ۞ واذا جوزيت قرضا فاجزه ۞ انما يجزي الفتى غير الجمل ۞ [illegible] لا يستوي القاعدون
والاصحاء والمجاهدون والنصب على الاستثناء من القاعدين [illegible] لا يستوي القاعدون
في حال صحتهم والمجاهدون كما تقول جاءني زيد غير مريض اي صحيحا ويجوز ان يكون [illegible] صفة للمؤمنين في غير الضرر
۞ اللغة الضرر النقصان وهو كل ما يضر وينقص من عمى ومرض وعلة والدرجة المنزلة ومدرج [illegible] اي رفعه اليه
من منزل [illegible] وادرجت الكتاب طويته [illegible] الى منزلة الآخرة ومنه
[illegible] ۞ الاعراب درجة منصوب على [illegible] وضع موضع المصدر اي فضيلة
بدرجة وكلا مفعول وعد والحسنى مفعول ثان ودرجات في موضع نصب بدلا من قوله اجرا عظيما وهو مفسر للاجر
المعنى فضل الله المجاهدين درجات ومغفرة ورحمة ويجوز ان يكون منصوبا على التوكيد لاجرا عظيما لان الاجر العظيم هو

مع الدرجات من الله والمغفرة والرحمة كما تقول له على الف درهم عرفا فقولك له عرفا مؤكد لقولك له على الف درهم لان قولك
له على الف درهم هو اعتراف فكانك قلت اعترفها عرفا فكانه قيل غفر الله لهم مغفرة واجرهم اجرا عظيما لان قوله اجرا عظيما
فيه معنى غفر ورحم وفضل الفعل ـ نزلت الاية في كعب بن مالك من بني سلمة ومرارة بن الربيع من بني عمرو بن عوف
وهلال بن امية من بني واقف تخلفوا عن رسول الله صلعم يوم تبوك وعذر الله اولى الضرر وهو عبد الله ابن ام مكتوم رواه البخاري
عن البراء في صحيحه وقال زيد بن ثابت كنت عند النبي صلعم حين نزلت الاية عليه لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون
في سبيل الله ولم يذكر اولى الضرر فقال ابن ام مكتوم فكيف وانا اعمى لا ابصر فغشى النبي صلى الله عليه وسلم الوحي المعنى
ثم سرى عنه فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين اي لا يعتدل المتخلفون عن الجهاد في سبيل الله من اهل الايمان
بالله وبرسوله المؤثرون الدعة والرفاهية على مقاساة الحرب والمشقة بلقاء العدو غير اولى الضرر اي لا اهل الضرر
منهم بذهاب ابصارهم وغير ذلك من العلل التي لا سبيل لاهلها الى الجهاد للضرر الذي بهم والمجاهدون في سبيل الله
ومنهاج دينه لتكون كلمة الله هي العليا والمستفرغون وسعهم في قتال اعداء الله واعداء دينه باموالهم انفاقا فيما اوهن كيد
الاعداء وانفسهم حملا لها على الكفاح في اللقاء فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة معناه فضيلة
ومنزلة وكلا وعد الله الحسنى معناه وكلا الفريقين من المجاهدين والقاعدين عن الجهاد وعد الله الجنة عن قتادة وغيره
من المفسرين وفي هذه الاية دلالة على ان الجهاد من فروض الكفاية لانه لو كان فرضا على الاعيان لما استحق القاعدون
عنه اجرا وقيل ان المراد لكل من المجاهدين والقاعدين من اولى الضرر المغفرة وعن مقاتل وفضل الله المجاهدين
على القاعدين من غير اولى الضرر اجرا عظيما درجات منه اي منازل بعضها اعلى من بعض من منازل الكرامة وقيل هي
درجات الاعمال كما يقال الاسلام درجة والفقه درجة والهجرة درجة والجهاد في الهجرة درجة والقتل في الجهاد درجة عن
قتادة وقيل معنى الدرجات هي الدرجات السبع التي ذكرها في سورة براءة في قوله ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب
ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطؤن موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح الى قوله ليجزيهم
الله احسن ما كانوا يعملون فهذه الدرجات السبع عن عبد الله بن زيد ومغفرة ورحمة فهذا بيان خلوص النعم بانه لا يشوبه غم
بما كان منه من الذنوب بل غفر له ذلك ثم رحمه باعطاء النعم والكرامة وكان الله غفورا لم يزل الله تعالى غفارا للذنوب صفوحا
لعبيده عن العقوبة رحيما بهم متفضلا عليهم وقد يسئل فيقال كيف قال في اول الاية فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم
على القاعدين درجة ثم قال في اخرها وفضل الله المجاهدين على القاعدين من غير اولى الضرر درجة وفي اخرها فضلهم على
القاعدين من غير اولى الضرر درجات فلا تناقض لان قوله وكلا وعد الله الحسنى يدل على ان القاعدين لم يكونوا عاصين وان كانوا تاركين
للفضل والثاني لما قاله الاول على الحال وهو انه اراد بالدرجة الاولى علو المنزلة وارتفاع القدر على وجه المدح لهم كما يقال فلان
اعلى درجة عند الخليفة من فلان يريدون بذلك انه اعظم منزلة وبالثانية الدرجات في الجنة التي يتفاضل بها المؤمنون
بعضهم على بعض على قدر استحقاقهم وقال المعتزلي انما كرر لفظ التفضيل لان الاول اراد تفضيلهم في الدنيا واراد بالثاني تفضيلهم في الاخرة
وجاء في الحديث ان الله سبحانه فضل المجاهدين على القاعدين سبعين درجة بين كل درجتين مسيرة سبعين خريفا للفرس الجواد المضمر

قوله تعالى ان الذين توفيهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا الم تكن ارض الله
واسعة فتهاجروا فيها فاولئك ماويهم جهنم وساءت مصيرا الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون
حيلة ولا يهتدون سبيلا فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا ـ ايات القراءة روى في الشواذ عن
عن ابراهيم انه قرأ ان الذين توفيهم الملائكة بضم التاء الحجة قال ابن جني ينبغي ان يكون هذا محمولا على ان الذين يعد ون الملائكة يتوفون
عليهم نفوسهم فيحوزونها اليهم فهو من قولك انا الذي توفيه امر الله اي يدفع اليها ويجلب عليها كان ملك الموت حمل اليه نفس
نفس بعض الناس ثم تمكن من ذلك فتوفيه اللغة التوفي القبض والتوفية الشيء واستوفيته قبضته والوفاة الموت

لان الميت قبض روحه والوفاة الاصطلاء وقال الشاعر ان بني الاسود لم يتركوا ليس لهم من احد الاسد ولا توفاهم في العدد
والماوى المرجع من اوى الى منزله ياوي اويا والاستضعاف وجدان الشيء ضعيفا ـ الاعراب توفيهم ان شئت كان
لفظه ماضيا ويكون مفتوحا لان الماضي مبني على الفتح ويجوز ان يكون مستقبلا ويكون مرفوعا على معنى تتوفيهم حذف التاء الاولى
لاجتماع التاءين وقد ذكرنا مثله فيما تقدم ظالمي انفسهم نصب على الحال والاصل ظالمين انفسهم الا ان النون حذف استخفافا
وهي ثابتة في التقدير كما قال ثم هديا بالغ الكعبة اي بالغا الكعبة فيم حذف الالف من ما الاستفهام وهو في موضع جر
والجار مع المجرور في موضع نصب لانه خبر كان وكان وخبره في قوله فيم كنتم قالوا الم تكن ارض الله واسعة الجملة في موضع رفع
خبر ان وهذا على قول من جعل قوله فاولئك ماويهم جهنم ويكون قالوا لهم في موضع نصب بكونه صفة لظالمي انفسهم لانه نكرة المستضعفين نصب
على الاستثناء من قوله ماويهم جهنم الا المستضعفين لا يستطيعون حيلة في موضع نصب على الحال من المستضعفين

النزول قال ابو حمزة الثمالي بلغنا ان المشركين يوم بدر لم يخلفوا احدا الا صبيا او شيخا كبيرا او مريضا فخرج معهم ناس
ممن تكلم بالاسلام فلما التقى المشركون ورسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الذين كانوا قد تكلموا بالاسلام الى قلة المسلمين فارتابوا
واصيبوا فيمن اصيب من المشركين فنزلت فيهم الاية وهو المروي عن ابن عباس والسدي وقتادة وقيل انهم قيس بن الفاكه
بن المغيرة والحارث بن زمعة بن الاسود وقيس بن الوليد بن المغيرة وابو العاص بن منبه بن الحجاج وعلي بن امية بن خلف عن عكرمة
ورواه ابو الجارود عن ابي جعفر عليه السلام قال ابن عباس كنت انا من المستضعفين وكنت غلاما صغيرا وذكر عنه ايضا انه قال كان ابي
من المستضعفين من الرجال وكانت امي من المستضعفات من النساء وكنت انا من المستضعفين من الولدان المعنى
ثم اخبر سبحانه عن حال من قعد عن نصرة الرسول صلى الله عليه وسلم عند الوفاة فقال ان الذين توفيهم اي تقبض ارواحهم
الملائكة او ملك الموت وعنى فان الملائكة تتوفى والملك الموت يتوفى والله يتوفى وما يفعله الملك الموت
او الملائكة يجوز ان يضاف الى الله تعالى اذا فعلوه بامره وما يفعله الملائكة جاز ان يضاف الى ملك الموت اذا فعلوه بامره
ظالمي انفسهم اي في حال هم فيها ظالموا انفسهم اي بخسوها حقها من الثواب وادخلوا عليها العقاب بفعل الكفر
قالوا فيم كنتم اي في اي شيء كنتم من دينكم على وجه التقرير لهم والتوبيخ لفعلهم قالوا كنا مستضعفين في الارض
يستضعفنا اهل الشرك بالله في ارضنا وبلادنا بكثرة عددهم وقوتهم ويمنعونا من الايمان بالله واتباع رسوله صلى الله عليه وآله
على جهة الاعتذار قالوا اي قالت لهم الملائكة الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها اي فتخرجوا من ارضكم ودوركم وتفارقوا
من يمنعكم من الايمان بالله وبرسوله الى ارض يمنعكم اهلها من اهل الشرك فتوحدوا الله وتعبدوه وتتبعوا رسوله صلى الله عليه وآله
وروي عن سعيد بن جبير انه قال معناه اذا عمل بالمعاصي في ارض فاخرج منها فاولئك ماويهم اي مسكنهم جهنم
وساءت هي اي جهنم مصيرا لاهلها الذين صاروا اليها استثنى من ذلك فقال الا المستضعفين الذين استضعفهم المشركون
من الرجال والنساء والولدان وهم الذين يعجزون عن الهجرة لاعسارهم وقلة حيلتهم وهو قوله لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون
سبيلا في الخلاص من مكة وقيل معناه لا يستطيعون بسوء معرفتهم بالطريق طريق الخروج منها اي لا يعرفون طريقا الى المدينة
عن مجاهد وقتادة وجماعة من المفسرين وعسى الله ان يعفو عنهم معناه لعل الله ان يعفو عنهم مالهم من الفقر ويتفضل
عليهم بالصفح عنهم من في تركهم الهجرة من حيث لم يتركوها اختيارا وكان الله عفوا اي لم يزل الله ذا صفح بفضله من ذنوب
عباده بتركه عقوبتهم على معاصيهم غفورا اي ساترا عليهم ذنوبهم بعفوه لهم عنها قال عكرمة وكان النبي صلى الله عليه وآله
يدعو عقيب صلوة الظهر اللهم خلص الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن ربيعة وضعفة المسلمين من ايدي المشركين

قوله تعالى ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله
ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيما ـ اية اللغة المهاجرة المفارقة واصله من
الهجر الذي هو ضد الوصل والمراغم المضطرب في البلاد والمذهب واصله من الرغام وهو التراب ومعنى راغمت

ذلا وهاجرته ولم ابال رغم انفه اى وان لصق التراب انفه وارغم الله انفه الصقه بالتراب وقيل اصله الذل والشدة
والمراغم المعاذ الذى يروم انه لا يصاحبه ومنه الحديث اذا صلى احدكم فليلزم جبهته وانفه الارض حتى يخرج منه
الرغم اى حتى يذل ويخضع لله تعالى وقال غيره على نعمائه على ظله لما يكره وارغم الله انفه اذله والمراغم الموضع الذى
والمصدر من المراغم قال الى مدينة غيره انى الطل لهذا المراغم والمضطرب التحول قيل لما نزلت آيات الهجرة سمعها رجل
من المسلمين وهو جندع او جندب بن ضمرة وهو كان بمكة فقال والله ما انا ممن استثنى الله انى لاجد حيلة وانى لعالم
بالطريق وكان مريضا شديد المرض فقال لبنيه والله لا ابيت بمكة حتى اخرج منها فانى اخاف ان اموت فيها فخرجوا
يحملونه على سريره حتى اذا بلغ التنعيم مات فنزلت الاية عن ابى حمزة الثمالى وعن قتادة وعن سعيد بن جبير وقال عكرمة
لعكرمة وقال خرج جماعة من مكة مهاجرين فلحقهم المشركون وفتنوهم عن دينهم فافتتنوا فانزل الله فيهم ومن الناس من يقول
امنا بالله فاذا اوذى فى الله جعل فتنة الناس كعذاب الله فكتب بها المسلمون اليهم ثم نزلت فيهم ثم ان ربك للذين هاجروا
من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم المعنى ثم قال سبحانه ومن يهاجر يعنى فارق
اهل الشرك وهرب بدينه من وطنه الى ارض الاسلام فى سبيل الله اى فى منهاج دينه وطريقته التى شرعها
لخلقه يجد فى الارض مراغما كثيرا وسعة اى متحولا من الارض وسعة فى الرزق عن ابن عباس والضحاك والربيع وقيل
متزحزحا عما يكره وسعة من الضلالة الى الهدى عن مجاهد وقتادة وقيل مهاجرا فسيحا ومتسعا مما كان فيه من تضييق المشركين
عليه ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله اى من يخرج من بلده مهاجرا من ارض الشرك فارا بدينه الى الله
ورسوله ثم يدركه الموت قبل بلوغه دار الهجرة وارض الاسلام فقد وقع اجره على الله اى ثواب عمله وجزاء هجرته على الله
وكان الله غفورا ساترا على عباده ذنوبهم بالعفو عنهم رحيما بهم رفيقا وفى معنى الاية من الحديث ما رواه الحسن عن النبى
ص من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجب الجنة وكان رفيق ابراهيم ومحمد صلى الله عليه وآله
وروى العياشى باسناده عن ابن عمير قال وجه زرارة بن اعين ابنه عبيدا الى المدينة ليستخبر له خبر ابى الحسن موسى
عليهما السلام وعبد الله فمات قبل ان يرجع اليه عبيد ابنه قال محمد بن ابى عمير حدثنى محمد بن حكيم قال ذكرت لابى الحسن زرارة
وتوجيهه عبيدا الى المدينة فقال انى لارجو ان يكون زرارة ممن قال الله ومن يخرج من بيته مهاجرا الاية قوله تعالى
واذا ضربتم فى الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا
لكم عدوا مبينا اللغة فى قصر الصلوة ثلث لغات قصرت الصلوة اقصرها وهى لغة القران وقصرتها تقصيرا
واقصرتها اقصارا وفتنت الرجل افتنه فهو مفتون لغة اهل الحجاز وتميم وربيعة واهل نجد كلهم واسد يقولون
افتنت الرجل فهو مفتن وقد فاتن فتونا اذا دخل فى الفتنة وانما قال فى الكافرين عدوا لان لفظه فعول يقع على الواحد والجمع
المعنى واذا ضربتم فى الارض معناه اذا سرتم فيها اى سافرتم فليس عليكم جناح اى حرج واثم ان تقصروا من الصلوة
فيه اقوال احدها ان معناه ان تقصروا من عدد الصلوة فتصلوا الرباعيات ركعتين عن مجاهد وجماعة من المفسرين وهو
قول الفقهاء ومذهب اهل البيت عليهم السلام وقيل تقصير صلوة الخائف من صلوة المسافر وهما قصران قصر الامن من اربع الى ركعتين
وقصر الخوف من ركعتين الى ركعة واحدة عن جابر ومجاهد وقد رواه اصحابنا ايضا وثانيها ان معناه القصر من حدود الصلوة
عن ابن عباس وطاوس وهو ما رواه فى صلوة شدة الخوف وانها تصلى ايماء والسجود اخفض من الركوع فان
لم يقدر على ذلك فالتسبيح المخصوص كاف عن كل ركعة وثالثها ان المراد بالقصر الجمع بين الصلوتين والصحيح الاول ان خفتم ان يفتنكم
الذين كفروا يعنى خفتم فتنة الذين كفروا فى انفسكم او دينكم وقيل معناه ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا فى الصلوة عن ابن عباس
ومثله قوله تعالى على خوف من فرعون وملائهم ان يفتنهم اى يقتلهم وقيل معناه ان يعذبكم الذين كفروا بنوع من انواع العذاب
ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا اى ظاهر العداوة وفى قراءة ابى بن كعب فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان

ان يفتنكم الذين كفروا من غير ان يقرأ ان خفتم وقيل ان معنى هذه القراءة ان لا يفتنكم او لكراهة ان يفتنكم كما قال
يبين الله لكم ان تضلوا وظاهر الاية يقتضى ان القصر لا يجوز الا عند الخوف لكنا قد علمنا جواز القصر عند الامن ببيان النبى
صلى الله عليه وآله ويحتمل ان يكون ذكر الخوف فى الاية قد خرج مخرج الاعم الاغلب عليهم فى اسفارهم فانهم كانوا يخافون الاعداء فى عامتها
ومثله فى القران كثير واختلف الفقهاء فى قصر الصلوة فى السفر فقال الشافعى هو رخصة واختاره الجبائى وابو حنيفة
هو عزيمة وفرض وهو مذهب اهل البيت عليهم السلام قال زرارة ومحمد بن مسلم قلنا لابى جعفر عليه السلام ما تقول فى الصلوة فى السفر
كيف هى وكم هى قال ان الله تعالى يقول واذا ضربتم فى الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة فصار التقصير واجبا فى السفر
كوجوب التمام فى الحضر قالا قلنا انه قال لا جناح عليكم ان تقصروا من الصلوة ولم يقل افعلوا فكيف اوجب ذلك كما اوجب التمام
قال اوليس قد قال الله فى الصفا والمروة فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما الا ترى ان الطواف واجب مفروض
لان الله سبحانه ذكرهما فى كتابه وصنعه نبيه صلى الله عليه وآله وكذا التقصير فى السفر شىء صنعه رسول الله صلى الله عليه وآله
وذكره الله تعالى فى الكتاب قال قلنا فمن صلى فى السفر اربعا ايعيد ام لا قال ان كانت قرئت عليه اية التقصير وفسرت له فصلى اربعا
اعاد وان لم تكن قرئت عليه ولم يعلمها فلا اعادة والصلوة فى السفر كل فريضة ركعتان الا المغرب فانها ثلث ليس فيها تقصير
تركها رسول الله صلى الله عليه وآله فى السفر والحضر ثلث ركعات وفى هذا الخبر دلالة على ان فرض المسافر مخالف لفرض المقيم وقد اجمعت
الطائفة على ذلك وعلى انه ليس بتقصير وقد روى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه قال فرض المسافر ركعتان غير قصر وعندهم
ان الخوف بانفراده موجب للقصر وفيه خلاف بين الفقهاء وذهب جماعة من الصحابة والتابعين الى ان الله تعالى عنى بالقصر فى الاية
قصر صلوة الخوف من صلوة السفر لا من صلوة الاقامة لان صلوة السفر عندهم ركعتان تمام غير قصر منهم جابر بن عبد الله و
حذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت وابن عباس وابو هريرة وكعب وكان من الصحابة قطع يده يوم اليمامة وابن عمر وسعيد بن جبير
والسدى واما حد السفر الذى يجوز فيه القصر فعندنا ثمانية فراسخ وقيل مسيرة ثلثة ايام لياليها وهو مذهب ابى حنيفة
واصحابه وقيل ستة عشر فرسخا ثمانية واربعون ميلا وهو مذهب الشافعى النظم وجه اتصال هذه الاية بما قبلها انه لما امر الله تعالى
بالجهاد والهجرة بين صلوة السفر والخوف رحمة منه تعالى وتخفيفا لعباده قوله تعالى واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة فلتقم
طائفة منهم معك وليأخذوا اسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا فليصلوا معك
وليأخذوا حذرهم واسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم ان كان
بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم وخذوا حذركم ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا اللغة الاسلحة جمع
سلاح وهو جماع ... والسلاح اسم لجملة ما يتقى به الناس عن انفسهم فى الحروب مما يقاتل به خاصة لا يقال للدواب وما اشبهها
سلاح والجناح الاثم من جنحت عن المكان اذا عدلت عنه واخذت جانبا عن القصد واذى مقصور يقال اذى فلان ياذى
اذى اذا تاذى مثل فزع يفزع فزعا الاعراب وليأخذوا القراءة على سكون اللام والاصل وليأخذوا بالكسر الا ان الكسر يستثقل
فيحذف استخفافا وكذلك فلتقم ولتأت وموضع ان تضعوا نصب اى لا اثم عليكم فى ان تضعوا فلما سقطت فى عمل ما قبلها فيها
وعلى المذهب الاخر يكون موضعها جرا باضمار حرف الجر وانما قال طائفة اخرى ولم يقل اخرون ثم قال لم يصلوا فليصلوا ولم يقل
لم يصل فليصل حملا للكلام تارة على اللفظ واخرى على المعنى كما قال وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ولم يقل اقتتلتا ومثله كثير
المعنى ثم ابتدأ سبحانه ببيان صلوة الخوف فى جماعة فقال واذا كنت يا محمد فيهم يعنى فى اصحابك الضاربين فى الارض الخائفين
عدوهم ان يغزوهم فاقمت لهم الصلوة يعنى اتممت لهم الصلوة بحدودها وركوعها وسجودها عن الحسن وقيل معناه اقمت لهم الصلوة
بان تؤمهم فلتقم طائفة منهم اى من طائفتك الذين انت فيهم معك فى صلوتك وليكن سائرهم فى وجه العدو وتقدير
فلتقم طائفة منهم تجاه العدو ولم يذكر ما ينبغى ان يفعله الطائفة غير المصلية لدلالة الكلام عليه وليأخذوا اسلحتهم
اختلف فى هذا فقيل المامورون باخذ السلاح الطائفة المصلية مع رسول الله صلى الله عليه وآله ياخذون من

السلاح مثل السيف يتقلدون به والخنجر يشدونه الى دروعهم وكالآلة السكين ونحو ذلك وهو الصحيح وقيل هم اعني الطائفة
التي بازاء العدو دون المصلية عن ابن عباس فاذا سجدوا يعني الطائفة التي تصلي معه وفرغوا من سجودهم فليكونوا من ورائكم
يعني فليصيروا بعد فراغهم من سجودهم مصاف العدو واختلف في الطائفة الاولى اذا رفعت من السجود وفرغت من الركعة
كيف يصنعون فعندنا انهم يصلون ركعة اخرى ويتشهدون ويسلمون والامام قائم الى ان تأتي الثانية ثم ينصرفون الى مواقفهم
وتجيء الاخرون فيستفتحون الصلوة ويصلي معهم الامام الركعة الثانية ويطيل تشهده حتى يقوموا ويصلوا بقية صلاتهم
ثم يسلم بهم الامام فيكون للطائفة الاولى تكبيرة الافتتاح وللثانية التسليم وهو مذهب الشافعي ايضا وقيل ان الطائفة
الاولى اذا فرغت من ركعة يسلمون ويمضون الى وجه العدو وتأتي الطائفة الاخرى فيصلي بهم ركعة وهذا مذهب جابر ومجاهد
ومن يرى ان صلوة الخوف ركعة واحدة وقيل ان الامام يصلي بكل طائفة ركعتين مرتين بكل طائفة مرة عن الحسن
وقيل انه اذا صلى بالطائفة الاولى ركعة مضوا الى وجه العدو وتأتي الطائفة الاخرى فيقضون ركعة بغير قراءة لانهم
لاحقون ويسلمون ويرجعون الى وجه العدو وتأتي الطائفة الثانية ويقضون ركعة بقراءة لانهم مسبوقون عن
عبد الله بن مسعود وهو مذهب ابي حنيفة ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا وهم الذين كانوا بازاء العدو فليصلوا
معك وليأخذوا حذرهم واسلحتهم يعني وليكونوا حذرين من عدوهم متأهبين لقتالهم باخذ الاسلحة اي آلات الحرب وهذا
يدل على ان الفرقة المامورة باخذ السلاح في الاول هم المصلون دون غيرهم ود الذين كفروا معناه تمنى الذين كفروا لو تغفلون
لو تغفلون عن اسلحتكم وتسهون عن اخذها تأهبا للقتال وامتعتكم اي وعن متعتكم التي بها بلاغكم في اسفاركم فتسهون
عنها فيميلون عليكم ميلة واحدة وانتم متشاغلون بصلوتكم فيصيبون منكم غرة فيقتلونكم ويستبيحون عسكركم وما معكم المعنى
لا تتشاغلون باجمعكم بالصلوة عند مواقفة العدو فيتمكنون عدوكم من انفسكم واسلحتكم ولكن اقيموا على ما امرتكم به ومن عادة
العرب ان يقولوا ملنا عليهم بمعنى حملنا قال العباس بن عبادة بن نضلة الانصاري لرسول الله صلى الله عليه وآله ليلة العقبة
الثانية والذي بعثك بالحق ان شئت لنميلن على اهل منى باسيافنا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لم نؤمر بذلك في
ذلك الوقت ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر معناه لا حرج عليكم ولا اثم ولا ضيق عليكم ان نالكم اذى من مطر
وانتم مواقفوا عدوكم او كنتم مرضى يعني لا اثم او حرج ان تضعوا اسلحتكم اذا ضعفتم عن حملها ولكن اذا وضعتموها فاحفظوا
وخذوا حذركم لئلا يميلوا عليكم وانتم غافلون غارون ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا مذلا يبقون فيه ابدا وفي الآية دلالة
على صدق النبي صلى الله عليه وآله وصحة نبوته وذلك انها نزلت والنبي بعسفان والمشركون بضجنان فتوافقوا فصلى النبي صلى الله عليه وآله
صلوة الظهر بتمام الركوع والسجود فهم المشركون بان يغيروا عليهم فقال بعضهم ان لهم صلوة اخرى احب اليهم من هذه يعني
صلوة العصر فانزل الله عز وجل عليه الآية فصلى بهم العصر صلوة الخوف وكان ذلك سبب اسلام خالد بن الوليد القصة
وفيها دلالة اخرى ذكر ابو حمزة الثمالي في تفسيره ان رسول الله صلى الله عليه وآله غزا محاربا وبني انمار فهزمهم الله واحرزوا الذراري
والمال فنزل رسول الله صلى الله عليه وآله والمسلمون ولا يرون من العدو واحدا فوضعوا اسلحتهم وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله ليقضي
حاجته وقد وضع سلاحه فجعل بينه وبين اصحابه الوادي فالى ان يفرغ من حاجته وقد درى الوادي والسماء ترش فحال الوادي بين رسول الله
صلى الله عليه وآله وبين اصحابه فجلس في ظل شجرة فبصر به غورث بن الحارث المحاربي فقال له اصحابه يا غورث هذا محمد قد انقطع من اصحابه
فقال قتلني الله ان لم اقتله وانحدر من الجبل ومعه السيف ولم يشعر به رسول الله صلى الله عليه وآله الا وهو قائم على راسه ومعه السيف
قد سله من غمده فقال يا محمد من يعصمك مني الآن فقال رسول الله صلى الله عليه وآله الله فانكب عدو الله لوجهه فقام رسول الله صلى الله عليه وآله
واخذ سيفه فقال يا غورث من يمنعك مني الآن فقال لا احد فقال تشهد ان لا اله الا الله واني عبد الله ورسوله قال لا
ولكني اعهد ان لا اقاتلك ابدا ولا اعين عليك عدوا فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وآله سيفه فقال له غورث
والله لانت خير مني قال عليه السلام اني احق بذلك وخرج غورث الى اصحابه فقالوا يا غورث لقد رأيناك قائما على راسه بالسيف

فاسقط سيفه من يده فقال قد والله اهويت له بالسيف لاضربه فما ادري من زلجني بين كتفي فخررت لوجهي وخر سيفي وسبقني اليه محمد واخذه
فاخذه ولم يلبث الوادي ان سكن فقطع رسول الله صلى الله عليه وآله الى اصحابه فاخبرهم الخبر وقرأ عليهم ان كان بكم اذى من مطر
الآية كلها قوله تعالى فاذا قضيتم الصلوة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فاذا اطمأننتم فاقيموا الصلوة ان الصلوة كانت على
المؤمنين كتابا موقوتا • آية اللغة اطمأن الشيء اي سكن وطامنه سكنه وقيل الطمأنينة يعني الحمد
المعنى فاذا قضيتم الصلوة معناه واذا فرغتم من صلوتكم ايها المؤمنون وانتم مواقفوا عدوكم فاذكروا الله قياما اي في
حال قيامكم وقعودا اي في حال قعودكم وعلى جنوبكم اي مضطجعين فقوله على جنوبكم في موضع نصب عطفا على ما قبله من الحال
اي ادعوا الله في هذه الاحوال لعله ينصركم على عدوكم ويظفركم بهم مثل قوله يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا
الله كثيرا لعلكم تفلحون عن ابن عباس واكثر المفسرين وقيل معناه فاذا اردتم الصلوة فصلوا قياما اذا كنتم اصحاء وقعودا اذا كنتم
مرضى لا تقدرون على القيام وعلى جنوبكم اذا لم تقدروا على القعود عن ابن مسعود وروي عن ابن عباس انه قال عقيب تفسير الآية
لم يعذر الله احدا في ترك ذكره الا المغلوب على عقله فاذا اطمأننتم فاقيموا الصلوة اختلف في تأويله على وجهين فاذا اطمأننتم
فاقيموا الصلوة اختلف في تأويله فقيل معناه فاذا استقررتم في اوطانكم واقمتم في امصاركم فاتموا الصلوة التي اذن لكم في
قصرها عن مجاهد وقتادة وقيل معناه فاذا استقررتم بزوال خوفكم فاتموا حدود الصلوة عن السدي وابن زيد ومجاهد في رواية
اخرى ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا اختلف في تأويله فقيل معناه ان الصلوة كانت على المؤمنين واجبة مفروضة
عن ابن عباس وعطية العوفي والسدي ومجاهد وهو المروي عن الباقر والصادق عليهما السلام وقيل معناه فرضا موقوتا
اي منجما تؤدونها في انجمها عن ابن مسعود وقتادة والقولان متقاربان قوله تعالى ولا تهنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون
فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما • آية القراءة روي في الشواذ عن ابي عبد الرحمن
الاعرج ان تكونوا تألمون بفتح الالف الحجة قال ابن جني المعنى لا تهنوا في ابتغاء القوم لانكم تألمون فان تألمون
نصب لانه بعد حذف حرف الجر عنها فان هاهنا منصوبة الموضع وهي على مذهب الخليل مجرورة الموضع باللام المرادة وصار
ان تكونوا حرفا كالعوض في اللفظ من اللام اللغة الوهن الضعف وهن يهن وهنا في الامر وهنا ووهنا فهو واهن
والالم الوجع الذي يخشى من الاعراض يكون من فعل الله تعالى ابتداء وبسبب وقد يكون من فعل العباد بسبب والرجاء قد
يستعمل بمعنى الخوف نحو قول الشاعر : لا ترتجي حين تلاقي الذائد اسبعة لاقت معا ام واحدا : وقال ابو ذؤيب اذا لسعته
النحل لم يرج لسعها وخالفها في بيت نوب عوامل قال الفراء نوب ونوب جمع نحل وقال سبحانه ما لكم لا ترجون لله وقارا
والمعنى لا تخافون لله عظمة وانما استعمل الرجاء بمعنى الخوف لان الراجي آمل وقد يخاف ان لا يتم الذي قد يأمله النزول
في الذهاب الى بدر الصغرى لموعد ابي سفيان يوم احد وقيل نزلت يوم احد في الذهاب خلف ابي سفيان وعسكره
الى حمراء الاسد عن عكرمة المعنى ثم عاد الكلام الى الحث على الجهاد فقال سبحانه ولا تهنوا اي ولا تضعفوا في ابتغاء القوم اي في
طلب القوم الذين هم اعداء الله تعالى واعداء المؤمنين من اهل الشرك ان تكونوا ايها المؤمنون تألمون مما ينالكم من الجراح منهم فانهم
يعني المشركين يألمون ايضا مما ينالكم من الجراح والاذى كما تألمون اي مثل ما تألمون انتم من جراحهم واذاهم وترجون ايها المؤمنون
من الله الظفر عاجلا والثواب آجلا على ما ينالكم منهم ما لا يرجون هم على ما ينالهم منكم اي ولستم اذا كنتم موقنين من ثواب الله لكم
على ما يصيبكم منهم بما هم مكذبون به اولى واحرى ان تصبروا على حربهم وقتالهم منهم على حربكم وقتالكم عن ابن عباس وقتادة
ومجاهد والسدي وكان الله عليما بمصالح خلقه حكيما في تدبيره اياهم وتقدير احوالهم قال ابن عباس وعكرمة لما اصاب
المسلمين ما اصابهم يوم احد وصعد النبي صلى الله عليه وآله الى الجبل قال ابو سفيان يا محمد لنا يوم ولكم يوم فقال النبي
صلى الله عليه وآله اجيبوه فقال المسلمون لا سواء لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار فقال ابو سفيان لنا عزى ولا عزى لكم
فقال النبي صلى الله عليه وآله قولوا الله مولانا ولا مولى لكم فقال ابو سفيان اعل هبل فقال النبي صلى الله عليه وآله

٢٢٨

وتولوا الى اعلى واجل فقال ابو سفيان موعدنا وموعدكم بدر الصغرى وقام المسلمون وبهم الكلام وفيهم نزلت ان يمسسكم
قرح فقد مس القوم قرح مثله الآية وفيهم نزلت ان تكونوا تألمون الآية لان الله تعالى امرهم على ما بهم من الجراح ان يتبعوهم
واراد بذلك ارهاب المشركين فخرجوا الى حمراء الاسد وبلغ المشركين ذلك فاسرعوا حتى دخلوا مكة قوله تعالى انا انزلنا
اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله ولا تكن للخائنين خصيما . واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما . اسباب
النزول نزلت في بني ابيرق كانوا ثلثة اخوة بشر وبشير ومبشر وكان بشير يكنى ابا طعمة وكان منافقا يقول الشعر يهجو به اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وآله ثم يقول قال فلان وكانوا اهل حاجة في الجاهلية والاسلام فنقب ابو طعمة على علية رفاعة بن زيد واخذ له
طعاما وسيفا ودرعا فشكى ذلك الى ابن اخيه قتادة بن النعمان وكان قتادة بدريا فتجسسا في الدار وسألا اهل الدار في
ذلك فقال بنو ابيرق والله ما صاحبكم الا لبيد بن سهل رجل ذو حسب ونسب فاصلت عليهم لبيد بن سهل سيفه وخرج اليهم
وقال يا بني ابيرق اترمونني بالسرق وانتم اولى به مني وانتم المنافقون تهجون رسول الله صلى الله عليه وآله وتنسبونه الى قريش
لتبينن ذلك او لاضعن سيفي فيكم فداروه واتى قتادة رسول الله صلى الله عليه وآله فقال يا رسول الله ان اهل بيت منا اهل بيت
سوء عدوا على عمي فخرقوا علية له من ظهرها واصابوا له طعاما وسلاحا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله انظروا في شأنكم
فلما سمع بذلك رجل من بطنهم الذي هم منه يقال له اسير بن عروة جمع رجالا من اهل الدار ثم انطلق الى رسول الله فقال
ان قتادة بن النعمان وعمه عمدا الى اهل بيت منا لهم حسب ونسب وصلاح وابنوهم بالقبيح وقالوا لهم ما لا ينبغي وانصرف فلما
اتى قتادة رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ذلك ليكلمه جبهه رسول الله صلى الله عليه وآله جبها شديدا وقال عمدت الى اهل
بيت تاتيهم بالقبيح وتقول لهم ما لا ينبغي قال فرجع قتادة من عند رسول الله صلى الله عليه وآله ورجع الى عمه وقال ليتني مت ولم
اكن كلمت رسول الله صلى الله عليه وآله فقد قال لي ما كرهت فقال عمه رفاعة الله المستعان فنزلت الآيات انا انزلنا اليك
الكتاب بالحق الى ان الله لا يغفر ان يشرك به فبلغ بشيرا ما نزل فيه من القرآن فهرب الى مكة وارتد كافرا فنزل على سلافة
بنت سعد بن شهيد وكانت امرأة من الاوس من بني عمرو بن عوف نكحت في بني عبد الدار فهجاها حسان فقال فقد انزلته بنت
سعد واصبحت ينازعها جلد استها وتنازعه ظننتم بان يخفى الذي قد صنعتم وفينا نبي عنده الوحي واضعه فحملت رحله على
راسها فالقته بالابطح فقالت ما كنت تأتيني بخير اهديت الي شعر حسان هذا قول قتادة بن النعمان ومجاهد وعكرمة وابن جريج الا ان
قتادة وعكرمة قالا ان بني ابيرق طرحوا ذلك على يهودي يقال له زيد بن السمين فجاء اليهودي الى رسول الله صلى الله عليه وآله
وجاء بنو ابيرق اليه فكلموه بان يجادل عنهم فهم رسول الله صلى الله عليه وآله ان يفعل وان يعاقب اليهودي فنزلت الآية وقال
ابن عباس وقال الضحاك نزلت في رجل من الانصار استودع درعا فجحد صاحبها فخونه رجال من اصحاب النبي صلى الله عليه وآله
فغضب له قومه وقالوا يا نبي الله خون صاحبنا وهو مسلم فاعذره النبي وكذب عنه وهو يرى انه بريء مكذوب عليه فانزل الله
فيه الآيات واختار الطبري هذا الوجه قال لان الخيانة انما تكون في الوديعة لا في السرقة المعنى ثم خاطب سبحانه نبيه
فقال انا انزلنا اليك يا محمد الكتاب يعني القرآن بالحق الذي يجب فعل عبادة وقيل معناه انك الحق لتحكم بين الناس
يا محمد بما اراك الله اي اعلمك الله في كتابه ولا تكن للخائنين خصيما اي لا تكون لمن خان مسلما او معاهدا في نفسه او ماله
خصيما تدافع من طالبه عنه بحقه الذي خانه فيه وتخاصم عنه ثم قال واستغفر الله امره بان يستغفر الله من مخاصمته عن الخائن
ان الله كان غفورا رحيما يصفح عن ذنوب عباده المسلمين ويترك مؤاخذتهم بها وانما خاطب بذلك النبي صلى الله عليه وآله
من حيث خاصم عن ذلك على ظاهر الايمان والعدالة وكان في الباطن بخلافه فالمراد بذلك امته وانما ذكر ذلك على وجه التأديب
في ان لا يبادر بالخصام والدفاع عن خصم الا بعد ان يتبين وجه الحق فيه وبين ذلك بنهيه عن جميع المعاصي والقبائح وقيل انه صلى الله عليه وآله
لم يخاصم عن الخصم وانما هم بذلك فعاتبه الله عليه النظم وجه اتصال الآية بما قبلها ان ما تقدم ذكر المنافقين و
الكافرين والامر بمجاهدتهم عقبه ذلك بذكر الخائنين والامر باجتناب الدفع عنهم وقيل انه سبحانه لما بين الاحكام في القتال

في التوبة عنها ان جميع ذلك نازل بالحق قوله تعالى ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم ان الله لا يحب من كان
خوانا اثيما . يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا
ها انتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة ام من يكون عليهم وكيلا . اللغة
المخاصمة والمجادلة والمناظرة والمحاجة نظاير وان كان بينها فرق فان المجادلة هي المخاصمة والمنازعة فيما يقع فيه خلاف
بين اثنين والمخاصمة المنازعة بالمخالفة بين اثنين على وجه المغالطة والمناظرة فيما يقع بين النظيرين والمحاجة في مجادلة
اظهار الحجة واصل الجدال من الجدل وهو شدة الفتل ورجل مجدول كانه قد جدل اي فتل والاجدل الصقر لانه اشد
الطيور قوة والتبييت التدبير للشيء بالليل لان ذلك يكون في وقت رواح الناس الى بيوتهم الاعراب ها للتنبيه واعيدت في اولاء
والمعنى ها انتم الذين جادلتم عنهم لان هؤلاء وهذا يكونان في الاشارة للمخاطبين الى انفسهم بمنزلة الذين وقد يكونان لغير
المخاطبين بمنزلة الذين نحو قول الشاعر عدس ما لعباد عليك امارة وهذا تحملين طليق اي والذي تحملين طليق النزول
نزلت الآيات في القصة التي ذكرناها قبل المعنى ثم نهى تعالى عن المجادلة والدفع عن اهل الخيانة مؤكدا لما تقدم
فقال ولا تجادل قيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله حين هم ان يرمي اليهودي اي ابا طعمة لانه سعى في اصلاح السرقة وقيل الخطاب لكل
من سمع قوله هذا ولا تجادل اي لا تخاصم عن الذين يختانون انفسهم اي يخونون انفسهم ويظلمونها اراد من سرق الدرع
ومن شاركه في السرقة والخيانة وقيل اراد به قومه وهم الذين سألوا النبي صلى الله عليه وآله ان يجادل عنه ويبرئه تعصبا
ونسبا اليه من السرقة وقيل اراد السارق وقومه ومن عوف معاصيهم وانما قال يختانون انفسهم وان خانوا غيرهم لان ضرر
خيانتهم كان راجعا اليهم لاحقا بهم كما يقال لمن ظلم غيره ما ظلمت الا نفسك وكقوله سبحانه ان احسنتم احسنتم لانفسكم
ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما هو مبالغة في الخيانة اي من كان كثير الخيانة وقد الفها واعتادها وقد يطلق الخوان على
الخائن في شيء واحد اذا عظمت تلك الخيانة والاثيم فاعل الاثم وقيل معناه لا يحب من كان خوانا للناس في الدرع واثيما
اذ رمى به اليهودي وقال ابن عباس في معنى الآية لا تجادل عن الذين يظلمون انفسهم بالخيانة ويرمون غيرهم يريد بسارق
الدرع سرقة الدرع ورميه بالسرقة اليهودي فصار خائنا بالسرقة اثيما في رميه غيره بها يستخفون من الناس اي يكتمون
من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم يعني الذين مشوا في الدفع عن ابن ابيرق او معناه يستترون عن الناس بمعاصيهم
في اخذ الاموال لئلا تفتضحوا في الناس ولا يستترون من الله وهو مطلع عليهم وقيل معناه يستحيون من الناس ولا يستحيون
من الله تعالى مع علمه بهم فيكون معناه يخفون الخيانة عن الناس ويطلبون اخفاءها حياء منهم ولا يتركونها حياء من الله تعالى
وهو عالم بهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول اي يدبرون بالليل ما لا يرضاه الله تعالى وقيل يعني من القول
ويكذبون فيه وقيل انه قول ابن ابيرق في نفسه بالليل ارمي بهذا الدرع في دار اليهودي ثم احلف اني بريء منه فيصدقني
المسلمون لاني على دينهم ولا يصدقون اليهودي لانه ليس على دينهم وقيل انه رمى الدرع الى دار لبيد بن سهل وكان الله بما يعملون
محيطا قال الحسن حفيظا لاعمالهم وقيل عالما باعمالهم لا يخفى عليه شيء منها وفي هذه الآية تقريع بليغ لمن يمنعه
حياء الناس وحشمتهم عن ارتكاب القبائح ولا يمنعه خشية الله عن ارتكابها وهو سبحانه احق ان يراقب
واحق ان يخاف وفيها ايضا توبيخ لمن يعمل القبيح ثم يقرف به غيره سواء كان ذلك الغير مسلما او كافرا ها انتم خطاب
للذابين عن السارق هؤلاء يعني الذين جادلتم اي خاصمتم ودافعتم عنهم عن الخائنين في الحيوة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم
القيمة استفهام يراد به النفي لانه في معنى التقريع والتوبيخ اي لا يجادل عنهم ولا يشاهدهم على براءتهم بين يدي الله
سبحانه يوم القيمة وفي هذه الآية النهي عن الدفع عن الظالم والمجادلة عنه ام من يكون عليهم وكيلا اي من يحفظهم
ويتولى معونتهم يعني لا يكون عليهم يوم القيمة وكيل يقوم بامرهم ويخاصم عنهم واصل الوكيل من جعل القيام اليه
بالامر والله سبحانه وكيل بمعنى انه القائم بالامر ويقال لانه شيء وكيلا يعني الحافظ ولا يقال انه وكيل لنا وانما

ولوا القتال واجل فقال ابو سفيان موعدنا موعدكم بدرا الصغرى ونام المسلمون وبهم الكلام وفيهم نزلت ان تكو
نوا فقد مس القوم قرح مثله الآية وفيهم نزلت ان تكونوا تألمون الآية لان الله تعالى امرهم على ما بهم من الجراح ان يتبعوهم
واراد بذلك ارهاب المشركين فخرجوا الى حمراء الاسد فبلغ المشركين ذلك فاسرعوا حتى دخلوا مكة قوله تعالى انا انزلنا
اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله ولا تكن للخائنين خصيما . واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما . اسباب
النزول نزلت في بني ابيرق كانوا ثلثة اخوة بشر وبشير ومبشر وكان بشير يكنى ابا طعمة وكان يقول الشعر يهجو به اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وآله ثم يقول قال فلان وكانوا اهل حاجة في الجاهلية والاسلام فنقب ابو طعمة على علية رفاعة بن زيد واخذ له
طعاما وسيفا ودرعا فشكى ذلك الى ابن اخيه قتادة بن النعمان وكان قتادة بدريا فتجسسا في الدار وسئلا اهل الدار في
ذلك فقال بنو ابيرق والله ما صاحبكم الا لبيد بن سهل رجل ذو حسب ونسب فاصلت عليهم لبيد بن سهل سيفه وخرج اليهم
وقال يا بني ابيرق اترمونني بالسرق وانتم اولى به مني وانتم المنافقون تهجون رسول الله صلى الله عليه وآله وتنسبون الى قريش
لتبينن ذلك او لاضعن سيفي فيكم فداروه واتى قتادة رسول الله صلى الله عليه وآله فقال يا رسول الله ان اهل بيت منا اهل بيت
سوء عدوا على عمي فخرقوا علية له من ظهرها واصابوا له طعاما وسلاحا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله انظروا في شأنكم
فلما سمع بذلك رجل من بطنهم الذي هم منه يقال له اسير بن عروة جمع رجالا من اهل الدار ثم انطلق الى رسول الله فقال
ان قتادة بن النعمان عمد الى اهل بيت منا لهم حسب ونسب وصلاح فابنهم بالقبيح وقال لهم ما لا ينبغي وانصرف فلما
اتى قتادة رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ذلك ليكلمه جبهه رسول الله صلى الله عليه وآله جبها شديدا وقال عمدت الى اهل
بيت منهم بالقبيح وقلت لهم ما لا ينبغي قال فقام قتادة من عند رسول الله صلى الله عليه وآله ورجع الى عمه وقال ليتني مت ولم
اكن كلمت رسول الله صلى الله عليه وآله فقد قال لي ما كرهت فقال عمه والله المستعان فنزلت الآيات انا انزلنا اليك
الكتاب الى قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به فبلغ بشيرا ما نزل فيه من القرآن فهرب الى مكة وارتد كافرا فنزل على سلافة
بنت سعد بن شهيد وكانت امرأة من الاوس من بني عمرو بن عوف نكحت في بني عبد الدار فهجاها حسان فقال فقد انزلته بنت
سعد وأصبحت ينازعها جلد استها وتنازعه ظننتم بان يخفى الذي قد صنعتم وفينا نبي عنده الوحي واضعه فحملت رحله على رأسها
فالقته بالابطح فقالت ما كنت تأتيني بخير اهديت الي شعر حسان هذا قول قتادة بن النعمان ومجاهد وعكرمة وابن جريج الا ان
قتادة وعكرمة قالا ان بني ابيرق طرحوا ذلك على يهودي يقال له زيد بن السمين فجاء اليهودي الى رسول الله صلى الله عليه وآله
وجاء بنو ابيرق اليه وكلموه ان يجادل عنهم فهم رسول الله صلى الله عليه وآله ان يفعل وان يعاقب اليهودي فنزلت الآية وقال
ابن عباس وقال الضحاك نزلت في رجل من الانصار استودع درعا فجحد صاحبها فخونه رجال من اصحاب النبي صلى الله عليه وآله
فغضب له قومه وقالوا يا نبي الله خون صاحبنا وهو مسلم امين فعذره النبي وكذب عنه وهو يرى انه بريء مكذوب عليه فانزل الله
فيه الآيات واختار الطبري هذا الوجه قال لان الخيانة انما تكون في الوديعة لا في السرقة المعنى ثم خاطب سبحانه نبيه
فقال انا انزلنا اليك يا محمد الكتاب يعني القرآن بالحق اي بالحق الذي يجب لله على عباده وقيل معناه انه الحق لتحكم بين الناس
يا محمد بما اراك الله اي اعلمك الله في كتابه ولا تكن للخائنين خصيما اي لا تكن لمن خان مسلما او معاهدا في نفسه او ماله
خصيما تدافع من طالبه عنه بحقه الذي خانه فيه ويخاصم عنه ثم قال واستغفر الله امره بان يستغفر الله من مخاصمته عن الخائن
ان الله كان غفورا رحيما يصفح عن ذنوب عباده المسلمين ويترك مؤاخذتهم بها والخطاب وان توجه الى النبي صلى الله عليه وآله
من حيث خاصم عنه على ظاهر الايمان والعدالة وكان في الباطن بخلافه فالمراد بذلك امته وانما ذكر ذلك على وجه التأديب
في انه لا يبادر بالخصام والدفاع عن خصم الا بعد ان يتبين وجه الحق فيه جل نبي الله عن جميع المعاصي والقبائح وقيل انه صلى الله عليه وآله
لم يخاصم عن الخصم وانما هم بذلك فعاتبه الله عليه النظم ووجه اتصال الآية بما قبلها انه لما تقدم ذكر المنافقين و
الكافرين والامر بمحاربتهم عقب ذلك بذكر الخائنين والامر باجتناب الدفع عنهم وقيل انه سبحانه لما بين الاحكام في الشرائع

في الشرع بعدها ان جميع ذلك نزل بالحق قوله تعالى ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم ان الله لا يحب من كان
خوانا اثيما . يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا .
ها انتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة ام من يكون عليهم وكيلا . اللغة
المخاصمة والمجادلة والمناظرة والمحاجة نظاير وان كان بينها فرق فان المجادلة هي المخاصمة والمنازعة فيما يقع فيه خلاف
بين اثنين والمخاصمة المنازعة بالمخالفة بين اثنين على وجه المغالطة والمناظرة فيما يقع بين النظيرين والمحاجة في مجادلة
لاظهار الحجة واصل المجادلة من الجدل وهو شدة الفتل ورجل مجدول كانه فتل والاجدل الصقر لانه اشد
الطيور قوة والتبييت التدبير للشيء بالليل لان ذلك يكون في وقت رواح الناس الى بيوتهم الاعراب ها للتنبيه [illegible]
والمعنى ها انتم الذين جادلتم عنهم لان هؤلاء وهذا يكونان في الاشارة للمخاطبين الى انفسهم بمنزلة الذين وقد يكونان لغير
المخاطبين بمنزلة الذين نحو قول الشاعر عدس ما لعباد عليك امارة وهذا تحملين طليق اي والذي تحملين طليق النزول
نزلت الآيات في القصة التي ذكرناها قبل المعنى ثم نهى تعالى عن المجادلة والدفع عن اهل الخيانة مؤكدا لما تقدم
فقال ولا تجادل قيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله حين هم ان يعذر ابا طعمة لما اتاه قومه لعذره السرقة وقيل الخطاب لكل
من [illegible] ولا تجادل ايها الانسان عن الذين يختانون انفسهم اي يخونون انفسهم ويظلمونها اراد من سرق الدرع
ومن شاركه في السرقة والخيانة وقيل اراد بني ابيرق ومن الذين مشوا معه الى النبي صلى الله عليه وآله وشهدوا له بالبراءة تعصبا
نسبا اليه من السرقة وقيل اراد به السارق ومن عاونه ومن عرف معاملتهم وانما قال يختانون انفسهم وان خانوا غيرهم لان
جنايتهم كانت راجعة اليهم لاحقة بهم كما قال من ظلم عبدي فما ظلمت الا نفسك وكقوله سبحانه ان احسنتم احسنتم لانفسكم
ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما هو فعال من الخيانة اي من كان كثير الخيانة وقد الفها واعتادها وقد يطلق الخوان على
الخائن في شيء واحد اذا عظمت تلك الخيانة والاثيم فاعل الاثم وقيل معناه لا يحب من كان خوانا اذا سرق الدرع واثيما
اذا رمى به اليهودي وقال ابن عباس في معنى الآية لا تجادل عن الذين يظلمون انفسهم بالخيانة ويرمون غيرهم يريد بذلك
الذين سرقا الدرع ورميا بالسرقة اليهودي فصار خائنا بالسرقة اثيما في رميه غيره بها يستخفون من الناس اي يكتمون
من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم يعني الذين مشوا في الدفع عن ابن ابيرق ومعناه يستترون عن الناس بمعاصيهم
في اخذ الاموال لئلا يفتضحوا في الناس ولا يستترون من الله وهو مطلع عليهم وقيل معناه يستحيون من الناس ولا يستحيون
من الله وهو معهم فيكون معناه يخفون الخيانة عن الناس ويطلبون اخفاءها حياء منهم ولا يتركونها حياء من الله تعالى
وهو عالم بهم اي حافظ لهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول اي يدبرون بالليل ما لا يرضاه الله تعالى وقيل يعني بالقول
ويكذبون فيه وقيل انه قول ابن ابيرق في نفسه بالليل ارمي بهذا الدرع في دار اليهودي ثم احلف اني بريء منه فيصدقني
المسلمون لاني على دينهم ولا يصدقون اليهودي لانه ليس على دينهم وقيل انه رمى الدرع الى دار لبيد بن سهل وكان الله بما يعملون
محيطا قال الحسن حفيظا لاعمالهم وقال غيره عالما باعمالهم لا يخفى عليه شيء منها وفي هذه الآية تقريع بليغ لمن يمنعه
حياء الناس وحشمتهم وخشيتهم عن ارتكاب القبائح ولا يمنعه خشية الله عن ارتكابها وهو سبحانه احق ان يراقب
واحق ان يخاف وفيها ايضا توبيخ لمن يعمل القبيح ثم يقذف به غيره سواء كان ذلك الغير مسلما او كافرا ها انتم خطاب
للذابين عن السارق هؤلاء يعني الذين جادلتم اي خاصمتم ودافعتم عنهم عن الخائنين في الحيوة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم
القيمة استفهام يراد به النفي لان فيه معنى التقريع والتوبيخ اي لا يجادل عنهم ولا شاهد لهم على براءتهم بين يدي الله
سبحانه يوم القيمة وفي هذه الآية النهي عن الدفع عن الظالم والمجادلة عنه ام من يكون عليهم وكيلا اي من يحفظهم
ويتولى معونتهم يعني لا يكون عليهم يوم القيمة وكيل يقوم بامرهم ويخاصم عنهم واصل الوكيل من جعل اليه القيام
بالامر والله سبحانه وكيل بمعنى انه القائم بالامر وقيل انه سمي وكيلا بمعنى الحافظ ولا يقال انه وكيل لنا فانه

هو وكيل عليهم قوله تعالى ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه
وكان الله عليما حكيما • ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا • ثلث آيات
اللغة السوء القبيح الذي يسوء به صاحبه من ساءه يسوءه سوءا اذا واجهه بقبيح يكرهه ورجل سوء من شأنه ان يواجه الناس
بالمكاره واما السيئة وهي نقيض الحسنة ويجد اصله من الوجدان وهو الادراك تقول وجدت الضالة وجدانا اذا ادركتها
بعد ذهابك عنها ووجدت وجود علت والوجود ضد العدم لانه يظهر بالوجود كظهوره بالادراك والكسب ما يجر
نفعا او يدفع به ضررا ولذلك لا يوصف سبحانه به المعنى ثم بين سبحانه طريق التلافي والتوبة مما سبق منهم من المعصية
فقال ومن يعمل سوءا اي معصية وامرا قبيحا او يظلم نفسه بارتكاب جريمة وقيل يعمل سوءا بان يسرق الدرع او يظلم نفسه
بان يرمي بها بريئا وقيل المراد بالسوء الشرك وبالظلم ما دون الشرك ثم يستغفر الله اي يتب اليه ويطلب منه المغفرة يجد الله
غفورا رحيما بين سبحانه انه يقبل توبته وان عظمت جريمته ... ومن يكسب اثما
فانما يكسبه على نفسه ظاهر المعنى ونظيره ولا تكسب كل نفس الا عليها ومن عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها وكان الله عليما
بكسبه حكيما في عقابه وقيل عليما بافعال العباد حكيما في قضائه فيهم وقيل عليما بالسارق حكيما في ايجاب القطع
عليه ثم بين سبحانه ان من ارتكب اثما ثم قذفه غيره كيف يعظم عقابه فقال ومن يكسب خطيئة اي يعمل ذنبا على عمد
او غير عمد او اثما اي ذنبا تعمده وقيل الخطيئة الشرك والاثم ما دون الشرك ثم يرم به بريئا ثم ينسب ذلك الى برئ منه
البرئ هو اليهودي الذي عليه الدرع عن الحسن ... وقيل هو لبيد بن سهل وقد مضى ذكرهما ... لم يرم به
اختلف في الضمير الذي هو الهاء في به فقيل يعود الى الاثم اي بالاثم وقيل الى الخطيئة والاثم ... فقد احتمل
بهتانا اي كذبا عظيما ... واثما مبينا اي ذنبا ظاهرا بينا وفي هذه الآيات دلالة على ان فاعل المعصية هو
... ان الكسب مضاف الى العبد ...
... الفعل ... ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك وما يضلون الا
انفسهم وما يضرونك من شيء وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما
لا خير في كثير من نجويهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه
اجرا عظيما • آيتان القراءة قوله فسوف يؤتيه بالياء ابو عمرو وحمزة وقتيبة عن الكسائي وسهل وخلف والباقون بالنون
الحجة من قرأ بالياء فلانه قد تقدم من قوله ولولا فضل الله وانزل الله عليك الكتاب ومن قرأ بالنون فلانه اشبه بالعدول
لانه ما قبله ... اللغة الهم ما هممت به ومنه الهمة والهمام الملك العظيم الهمة ... النجوى
هو الاسرار عند اهل اللغة وقال الزجاج النجوى في الكلام ما ينفرد به الجماعة او الاثنان ومعنى نجوت الشيء في اللغة خلصته
والقيته ... عن ... قال الشاعر ...
...
فالمراد بنجويهم ما يتناجى به بينهم من الكلام ... اي متناجين ... الاعراب الا من امر يجوز ان يكون
في موضع جر والمعنى لا في نجوى من امر ويجوز ان يكون استثناء من الاول ويكون موضعها نصبا ويكون معناه لكن من امر
بصدقة او معروف ... ونصب ابتغاء مرضات الله لانه مفعول له ويجوز ان يكون من امر مجرورا الموضع ...
لكثير بمعنى لا خير في كثير الا من امر بصدقة ... ويكون النجوى هنا بمعنى المتناجين ...
... ويجوز ايضا ان يكون استثناء ... لا خير في نجوى الناس الا نجوى من امر بصدقة وهذا اولى مما تقدم
من الاستثناء المنقطع لان حمل الكلام على الاتصال اولى اذا امكن المعنى النزول قيل نزلت في بني ابيرق وقد مضت

قصتهم عن ابي صالح عن ابن عباس وقتادة وقيل نزلت في وفد ثقيف قد موا على رسول الله صلى الله عليه وآله
وقالوا يا محمد جئناك نبايعك على ان تكسر اصنامنا بايدينا وعلى ان تمتع بالعزى سنة فلم يجبهم الى ذلك وعصمه
الله منه عن الضحاك عن ابن عباس المعنى ثم بين سبحانه لطفه برسوله صلى الله عليه وآله وفضله عليه اذا صرف كيدهم
عنه وعصمه من ميل اليهم فقال ولولا فضل الله عليك ورحمته قيل فضل الله النبوة ورحمته نصرته اياه بالوحي وقيل فضل الله
تاييده بالطافه ورحمته نعمته عن الجبائي وقيل فضله النبوة ورحمته العصمة لهمت طائفة منهم لقصدت واضمرت جماعة
من هؤلاء الذين تقدم ذكرهم ان يضلوك وقيل فيه اقوال احدها ان المعني بهم الذين شهدوا والخائنين من بني ابيرق
عن ابن عباس والحسن والجبائي ويكون المعنى همت جماعة منهم ان يزيلوك عن الحق بتلبيسهم حتى اطلعك الله على اسرارهم وثانيها
انهم وفد ثقيف الذين التمسوا من رسول الله صلى الله عليه وآله ما لا يجوز وقد مضى ذكرهم عن ابن عباس ايضا وثالثها انهم
المنافقون الذين هموا باهلاك النبي صلى الله عليه وآله والمراد بالاضلال القتل والاهلاك كما في قوله انا ضللنا في
الارض فيكون المعنى لولا حفظ الله تعالى لك وحراسته اياك لهمت طائفة من المنافقين ان يقتلوك ويهلكوك ومثله
وهموا بما لم ينالوا عن ابي مسلم وما يضلون الا انفسهم اي ما يزيلون عن الحق الا انفسهم وما يهلكون الا انفسهم
ومصالة وبال ما هموا به من الاهلاك والاضلال لا يعود الا عليهم حتى استحقوا العذاب الاليم وما يضرونك من شيء اي لا يضرونك
بكيدهم ومكرهم شيئا فان الله تعالى حافظك وناصرك ومسددك ومؤيدك وانزل الله عليك الكتاب والحكمة
اي القرآن والسنة واضافه بما قبله ان المعنى كيف يضلونك وهو ينزل عليك الكتاب ويوحي اليك بالاحكام وعلمك
ما لم تكن تعلم اي ما لم تعلمه من الشرائع وانباء الاولين وغير ذلك من العلوم وكان فضل الله عليك عظيما قيل فضله عليك منذ خلقك
الى ان بعثك عظيما وقيل فضله عليك عظيم لانه جعلك خاتم النبيين وسيد المرسلين واعطاك الشفاعة وغيرها
ثم قال سبحانه لا خير في كثير من نجويهم اي اسرارهم ومعنى النجوى الاسرار الا من امر بصدقة
فان في نجواه خيرا او معروف يعني بالمعروف ابواب البر لاعتراف العقول بها وقيل لان اهل الخير يعرفونها او اصلاح بين الناس
اي تاليف بينهم بالمودة وقال علي بن ابراهيم في تفسيره حدثني ابي عن ابن ابي عمير عن حماد عن ابي عبد الله عليه السلام قال ان الله
فرض التحمل في القرآن فقلت وما التحمل جعلت فداك قال ان يكون وجهك اعرض من وجه اخيك فتحمل له وهو قوله
لا خير في كثير من نجويهم الا من امر بصدقة الآية وقال حدثني ابي رفعه الى امير المؤمنين عليه السلام قال ان الله عز وجل
فرض عليكم زكوات جاهكم كما فرض عليكم زكوات ما ملكت ايديكم ومن يفعل ذلك يعني ما تقدم ذكره ابتغاء مرضات الله اي طلب رضاء الله
فسوف نؤتيه اي نعطيه اجرا عظيما اي مثوبة عظيمة في الكثرة والمنزلة والصفة اما الكثرة فلانه دائم واما المنزلة
فلانه مقارن للتعظيم والاجلال واما الصفة فانه غير مشوب بما ينقصه وفي الآية دلالة على ان فاعل المعصية هو الذي
يضر بنفسه بما يعود اليه من وبال فعله وفيها دلالة ايضا على ان الذي يدعو الى الضلال هو المضل وعلى ان فاعل الضلال
مضل لنفسه وعلى ان الدعاء الى الضلال يسمى اضلالا • قوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع
غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا • آية اللغة الشقاق الخلاف مع العداوة وشق العصا اي
فارق الجماعة والشق النصف واصله من الشق وهو القطع ... سميت العداوة مشاقة لان احد المتعادين يصير في شق غير
شق الآخر ... العداوة التي بينهما ومنه الاشتقاق لانه قطع الفرع من الاصل ... من الولي وهو القرب يقال ولي الشيء
يليه اذا قرب منه وكل ما يليك اي ما يقاربك والولي المطر الذي يلي الوسمي النزول قيل نزلت في شأن ابن ابيرق سارق
الدرع ولما انزل الله تعالى في تقريعه وتقريع قومه الآيات كفر وارتد ولحق بالمشركين من اهل مكة ثم نقب على حائط
للسرقة فوقع عليه الحائط فقتله عن الحسن وقيل انه خرج من مكة نحو الشام فنزل منزلا وسرق بعض المتاع
وهرب واخذ ورمي بالحجارة حتى قتل عن الحسن المعنى لما بين سبحانه التوبة عقبه بذكر الاصرار فقال

ومن يشاقق الرسول اى من يخالف محمدا ويعاده من بعد ما تبين له الهدى اى ظهر له الحق والاسلام وقامت له
الحجة ووضحت الادلة بثبوت نبوته ورسالته ويتبع طريقا غير سبيل المؤمنين اى غير طريقهم الذى هو دينهم نوله ما تولى
اى نكله الى ما اختاره واتكل عليه من الاوثان وحقيقته نجعله واليا لما اختاره من دون الله تع اى يقرب منه وقيل معناه نخلى
بينه وبين اختياره لنفسه ونصله جهنم اى نلزمه دخول جهنم عقوبة له على اختياره من الضلالة بعد الهدى وساءت مصيرا
قد مر معناه وقد استدل بهذه الاية على ان الاجماع الامة حجة لانه سبحانه توعد على مخالفة سبيل المؤمنين كما توعد على
مشاقة الرسول والصحيح انه لا يدل على ذلك لان ظاهر الاية يقتضى ايجاب متابعة من هو مؤمن على الحقيقة ظاهرا وباطنا
لان من اظهر الايمان لا يوصف بانه مؤمن الا مجازا فكيف يحمل ذلك على ايجاب متابعة من اظهر الايمان وليس كل من اظهر الايمان مؤمنا
ومتى حملوا الاية على بعض الامة حملها غيرهم على من هو مقطوع على عصمته عنده من المؤمنين وهم الائمة من آل محمد صلى الله عليه وآله
على ان ظاهر الاية يقتضى ان الوعيد انما يتناول من جمع بين مشاقة الرسول واتباع غير سبيل المؤمنين فمن اين لهم انه من فعل
احدهما يتناوله الوعيد ونحن انما علمنا ان الوعيد يتناول مشاقة الرسول بانفرادها بدليل غير الاية فيجب ان يستند
تناول الوعيد اتباع غير سبيل المؤمنين الى دليل اخر سوى الاية ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن
يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا • اية قد مر تفسيرها فيما تقدم وقوله فقد ضل ضلالا بعيدا اى ذهب
عن طريق الحق والغرض المطلوب وهو النعيم المقيم فى الجنة ذهابا بعيدا لان الذهاب عن نعيم الجنة يكون على مراتب
ابعدها الشرك بالله قوله تعالى ان يدعون من دونه الا اناثا وان يدعون الا شيطانا مريدا • لعنه الله وقال لاتخذن
من عبادك نصيبا مفروضا • ولاضلنهم ولامنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ
الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا • يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا • اولئك
مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا • القراءة القراءة المشهورة الا اناثا وروى فى الشواذ عن النبى صلى الله عليه وآله
الا اثنا بالثاء قبل النون والا انثا بالنون قبل الثاء رويتهما عنه عائشة وروى عن ابن عباس الا اوثنا والا اثنا
بالثاء قبل النون والا انثا بالنون قبل الثاء وعن عطاء بن ابى رباح الا اثنا الثاء قبل النون وهى ساكنة الحجة
اما اثن فجمع وثن واصله وثن قلبت الواو همزة كما قلبت فى وجوه واعد فى وعد واما اثن بسكون الثاء فهو كاسد
بسكون السين واما انثا بتقديم النون على الثاء فيمكن ان يكون جمع انيث كقولهم سيف انيث الحديد ويمكن ان يكون
جمع اناث اللغة المريد والمارد والمتمرد بمعنى وهو العاتى الخارج عن الطاعة والمتملس منها يقال حائط ممرد اى مملس
وشجرة مرداء تناثر ورقها ومنه قيل لمن لم تنبت لحيته امرد اى املس موضع اللحية ومرد الرجل يمرد مرودا اذا عتا وخرج عن الطاعة
واصل اللعن الابعاد ومنه قيل للطريد اللعين واصل الفرض القطع والفرضة الثلمة تكون فى النهر والفرض الحز الذى يكون
فى السواك وغيره يشد فيه الخيط والفرض فى القوس الحز الذى يكون فيه الوتر والفريضة ما امر الله تعالى به العباد فجعله
حتما عليهم قاطعا واما قول الشاعر: اذا اكلت سمكا وفرضا ذهبت طولا وذهبت عرضا فالفرض ههنا التمر وانما سمى
التمر فرضا لانه يؤخذ فى فرائض الصدقة البتك الشق والبتك القطع قال زهير حتى اذا ما هوت كف الغلام لها
طارت وفى كفها من ريشها بتك والمحيص المعدل يقال حصت عن الحيص حيصا وحيوصا ومحيصا بمعنى قال
ولم يدر ان حيص عن الموت حيصة يم العراق والمدى متطاول وروى باللغتين الاعراب ان على ثلثة اوجه احدها
ان النافية كما فى الاية ان يدعون اى ما يدعون والثانى ان المخففة من المثقلة كما فى قوله وان كانت لكبيرة ولزمها
لام التاكيد والثالث للجزاء كما فى قوله وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا والرابع ان المزيدة نحو ما ان جاءنى
وما ان طبنا جبن ولكن منايانا ودولة آخرينا لعنه الله جملة فى موضع نصب بانها صفة لقوله شيطانا واللام فى لاتخذن
لام اليمين فانها يدخل على جواب القسم لان المقسم عليه فعل فهذا يكون القسم ههنا مضمرا فى جميع المعنى

لما ذكر فى الاية المتقدمة اهل الشرك وضلالهم ذكر فى هذه الاية حالهم وضلالهم فقال ان يدعون من دونه الا اناثا اى ما يدعو
هؤلاء المشركون وما يعبدون من دونه اى من دون الله الا اناثا فيه اقوال احدها الا اوثانا وكان الاوثان يسمون باسم
الاناث اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى واساف ونايلة عن ابى مالك والسدى ومجاهد وابن زيد قال ابو حمزة الثمالى
فى تفسيره قال كان فى كل واحدة منهن شيطانة انثى تتراءى للسدنة وتكلمهم وذلك من صنع ابليس وهو الشيطان الذى
ذكره الله تعالى فقال لعنه الله قالوا اللات كان اسما للصخرة والعزى كان اسما للشجرة الا انهم نقلوهما الى الوثن وجعلوهما علما
عليهما وقيل العزى تانيث الاعز واللات تانيث لفظ الله وقال الحسن كان لكل حى من العرب وثن يسمونه باسم الانثى وثانيها
ان المعنى الا امواتا عن ابن عباس والحسن وقتادة فعلى هذا يكون تقديره ما يعبدون من دون الله الا جمادا او مواتا لا يعقل ولا ينطق
ولا يبصر ولا ينفع وذلك دلالة على غاية جهلهم وضلالهم وسماها اناثا لاعتقاد مشركى العرب الانوثة فى كل ما اتضعت منزلته ولان
الاناث من كل جنس ارذله وقال الزجاج لان الموات يخبر عنها بلفظ التانيث تقول الحجارة تعجبنى ولا تقول يعجبنى ويجوز ان
يكون سماها اناثا لضعفها وقلة خيرها وعدم نصرها وثالثها ان المعنى الا الملائكة لانهم كانوا يزعمون ان الملائكة بنات الله وكانوا
يعبدون الملائكة عن الضحاك وان يدعون الا شيطانا مريدا اى ماردا شديدا فى كفره وعصيانه متماديا فى شركه وطغيانه
يسئل عن هذا فيقال كيف نفى فى اول الكلام عبادتهم لغير الاناث ثم اثبت فى اخره عبادتهم الشيطان فاثبت فى الاخر ما نفاه
اجاب الحسن عن هذا فقال انهم لا يعبدون الا الشيطان فى الحقيقة لان الشيطان كان يدعوهم الى عبادتها
لما اطاعوه الى عبادتها فاضيف العبادة الى الشيطان بحكم الطاعة ولان الاصنام لا حياة لها كانوا يعبدونها ويدل عليه
قوله تعالى ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون
الجن اضافت الملائكة عبادتهم الى الجن من قبل ان الجن دعتهم الى عبادة الملائكة وقال ابن عباس كان فى كل واحد من
اصنامهم التى كانوا يعبدونها شيطان مريد يدعو المشركين الى عبادتها وكذلك حسن اضافة العبادة الى
الاصنام والى الشيطان وقيل ابليس فى الاية اثبات المنفى بعينه الا الاوثان او الا الشيطان وهو ابليس لعنه الله ابعده الله
عن الخير بايجاب الخلود فى نار جهنم وقال يعنى الشيطان لما لعنه الله لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا اى حظا مفروضا
اى معلوما عن الضحاك وقيل مقدرا ومحدودا واصل الاتخاذ اخذ الشيء على وجه الاختصاص فكل من اطاعه
فهو من نصيبه وحزبه كما قال سبحانه كتب عليه انه من تولاه فانه يضله وروى ان النبى صلى الله عليه وآله قال فى هذه
الاية من بنى آدم تسعة وتسعون فى النار وواحد فى الجنة وروى فى رواية اخرى من كل الف واحد لله وسائرهم للنار
ولابليس اوردها ابو حمزة الثمالى فى تفسيره فيقال كيف علم ابليس ان له اتباعا يعصون والجواب علم ذلك من قوله تعالى
لاملأن جهنم منك وممن تبعك وقيل انه لما نال من آدم ما نال طمع فى ولده وانما قال ذلك ظنا ويؤيده قوله ولقد صدق
عليهم ابليس ظنه ولاضلنهم هذا من مقالة الشيطان يعنى لاضلنهم عن الحق والصواب واضلاله دعاؤه الى الضلال وتسببه
له بحباله وغروره ووساوسه ولامنينهم يعنى امنينهم طول البقاء فى الدنيا فيؤثرون بذلك الدنيا ونعيمها على
الاخرة وقيل معناه اقول لهم ليس بعث ولا نشر ولا جنة ولا نار ولا ثواب ولا عقاب فافعلوا ما شئتم عن الكلبى
وقيل معناه امنينهم بالاهواء الباطلة الداعية الى المعصية وازين لهم شهوات الدنيا وزهراتها وادعو كلا منهم الى نوع
يميل طبعه اليه فاصده بذلك عن الطاعة والقيه فى المعصية ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام قطعا ولآمرنهم بتبتيك
آذان الانعام فليبتكن اى ليشققن آذانهم عن الزجاج وقيل ليقطعن الاذان من اصلها وهو المروى عن ابى عبد الله عليه السلام
وهذا شيء قد كان مشركوا العرب يفعلونه يجدعون آذان الانعام ويقال كانوا يفعلونه بالبحيرة والسائبة وسنذكر ذلك
فى سورة المائدة ان شاء الله تعالى ولآمرنهم فليغيرن خلق الله اى لآمرنهم بتغيير خلق الله فليغيرنه واختلف فى معناه
فقيل يريد دين الله وامره عن ابن عباس وابراهيم ومجاهد والحسن وقتادة وجماعة وهو المروى عن ابى عبد الله عليه السلام

ويؤيده قوله فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله واراد بذلك تحريم الحلال وتحليل الحرام
وقيل الدين عن الحسن وعكرمة وشهر بن حوشب وابى صالح عن ابن عباس وكرهوا الاخصاء فى البهائم وقيل
انه الوشم عن ابن مسعود وقيل انه اراد الشمس والقمر والحجارة عدلوا عن الانتفاع بها الى عبادتها عن الزجاج ومن يتخذ الشيطان
وليا اى ناصرا وقيل ربا يطيعه من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا ظاهرا واى خسران اعظم من استبدال الجنة
بالنار واى صفقة اخسر من استبدال رضاء الرحمن برضاء الشيطان يعدهم الشيطان ان يكون لهم ناصرا ويمنيهم الامانى
والاباطيل وقيل معناه يعدهم الفقر ان انفقوا اموالهم فى ابواب البر ويمنيهم طول البقاء فى الدنيا ودوام النعيم فيها
ليؤثروها على الآخرة وما يعدهم الشيطان الا غرورا اى لا يكون لما يعدهم ويمنيهم اصل وحقيقة واصل الغرور ايهام
النفع فيما فيه ضرر اولئك اشارة الى الذين اتخذوا الشيطان وليا من دون الله فاغتروا بغروره وتابعوه فيما
دعاهم اليه مأويهم مستقرهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا اى مخلصا ولا مهربا ولا معدلا قوله تعالى والذين
آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وعد الله حقا ومن اصدق
من الله قيلا . آية قد مر تفسير صدر هذه الآية فى هذه السورة وقوله ومن اصدق من الله قيلا مجرى باشمام
الزاى كوفى غير عاصم ورويس والباقون بالصاد وقد ذكرنا الوجه عند ذكرنا الصراط فى الفاتحة وقوله وعد الله
نصب على المصدر وتقديره وعدهم الله ذلك وعدا فهو مصدر مؤكد لمعنى الكلام الذى تقدمه على فعل الناصب له
وحقا ايضا مصدر مؤكد لما قبله كانه قال احقه حقا وقيل منصوب على التمييز كما تقول هو اكرم منك فعلا ومعنا
وعد الله ذلك وعدا حقا لا خلف فيه ومن اصدق استفهام فيه معنى النفى اى لا اصدق من الله قولا فيما اخبر
ووعد ايما وعد قوله تعالى ليس بامانيكم ولا امانى اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا
ولا نصيرا ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا . آيتان
القراءة يدخلون الجنة بضم الياء هنا وفى مريم وحم مكى بصرى غير روح وابو جعفر وابو بكر والباقون يدخلون بفتح
الياء وضم الخاء الحجة حجة من قرأ يدخلون قوله ادخلوا الجنة ادخلوها بسلام ومن قرأ يدخلون فلانهم لا يدخلونها
حتى يدخلوها اللغة الامانى جمع الامنية وهى تقدير الامر فى النفس على جهة الاستمتاع به وتمنى امنية اصله
من المنية واصله التقدير يقال منى له المانى اى قدر له المقدر ومنه حيث المنية وهى فعلية اى مقدرة
والنقير النقبة فى ظهر النواة وكان ذلك نقر فيه الاعراب اسم ليس مضمر لدلالة الكلام عليه والتقدير ليس الامر
بامانيكم او ليس الثواب بامانيكم ولا يجد مجزوم عطفا على الجزاء لا على الشرط وهو يجز والوقف عند قوله اهل
الكتاب وقف تام ثم استونف الخبر بعدها بمن يعمل ومن موضعه رفع بالابتداء على ما تقدم ذكره امثاله ومن فى قوله
من الصالحات مزيدة وقيل هو للتبعيض وقيل انه لتبيين الجنس وقوله وهو مؤمن فى محل نصب ثم قال فاولئك يدخلون الجنة
فجمع لان من اسم مبهم موحد اللفظ مجموع المعنى فعود الضمير مرة على اللفظ ومرة على المعنى المعنى قيل تفاخر
المسلمون واهل الكتاب فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن اولى بالله منكم فقال المسلمون
نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضى على الكتب وديننا الاسلام فنزلت الآية فقال اهل الكتاب نحن وانتم سواء
فانزل الله تعالى الآية التى بعدها ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن ففلج المسلمون عن قتادة والضحاك
وقيل لما قالت اليهود نحن ابناء الله واحباؤه وقال اهل الكتاب لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى نزلت الآية
عن مجاهد المعنى لما ذكر سبحانه الوعد والوعيد قال عقيب ذلك ليس بامانيكم ومعناه ليس الثواب والعقاب
بامانيكم ايها المسلمون عن مسروق والسدى وقيل الخطاب لاهل الشرك من قريش لانهم قالوا لا نبعث ولا نعذب
عن مجاهد وابن زيد ولا امانى اهل الكتاب اى ولا بامانى اهل الكتاب فى انه لا يدخل الجنة الا من كان هودا

او نصارى نزلت الآية عن مجاهد وهذا يقوى القول الاخير على انه لم يجر للمسلمين ذكر فى الامانى وذكر امانى الكفار
قد جرى فى قوله ولامنينهم هذا وعد من الله للمؤمنين بما بعدها هو غاية الامانى من يعمل سوءا يجز به اختلف فى
تأويله على اقوال احدها انه يريد به جميع المعاصى صغائرها وكبائرها وان من ارتكب شيئا منها يجازيه عليها اما فى
الدنيا واما فى الآخرة عن عائشة وقتادة ومجاهد وعن ابى هريرة انه قال لما نزلت هذه الآية بكينا وحزنا وقلنا يا رسول الله
ما ابقت هذه الآية من شئ فقال اما والذى نفسى بيده انها لكما انزلت ولكن ابشروا وقاربوا وسددوا انه لا يصيب
احدا منكم مصيبة الا كفر الله بها خطيئته حتى الشوكة يشاكها احدكم فى قدمه رواه الواحدى فى تفسيره مرفوعا وقال
القاضى ابو عاصم العامرى فى جميع هذا قطع لتوهم من توهم ان المعصية لا تضر مع الايمان كما ان الطاعة لا تنفع مع الكفر وثانيها
ان المراد به مشركوا قريش واهل الكتاب عن الحسن والضحاك وابن زيد قالوا هو كقوله وهل نجازى الا الكفور وثالثها ان المراد
هنا بالسوء الشرك عن ابن عباس وسعيد بن جبير ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ولا يجد الذى يعمل سوءا من معاصى الله
وخلاف امره وليا يلى امره وينصره ويحامى عنه ويدفع عنه ما ينزل به من عقوبة الله ولا نصيرا اى ناصرا ينصره وينجيه من عقاب الله
ومن استدل بهذه الآية على المنع من جواز العفو عن المعاصى فانا نقول له ان من ذهب الى ان العموم لا ينفرد بصيغة فى اللغة
مختصة لا يسلم انها تستغرق جميع من فعل السوء بل يجوز ان يكون المراد بها بعضهم على ما ذكره اهل التأويل كابن عباس وغيره
على انهم قد اتفقوا على ان الآية مخصوصة فان التائب ومن كانت معصيته صغيرة لا يتناولها العموم فاذا جاز لهم تخصيص
العموم فى الآية بالفريقين جاز لنا ان نخصها بمن يتفضل الله عليه بالعفو وهذا بين والحمد لله وقوله سبحانه ومن يعمل من الصالحات
من ذكر او انثى وهو مؤمن ليبين ان الطاعة لا تنفع من دون الايمان فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا
وعد الله سبحانه بهذه الآية جميع المكلفين من الرجال والنساء اذا عملوا الاعمال الصالحات اى الطاعات الخالصة وهم
مؤمنون موحدون مصدقون نبيه بانه يدخلهم الجنة ويثيبهم فيها ولا يبخسهم شيئا مما يستحقونه من الثواب وان كان
وان كان مقدار النقير وقد قابل سبحانه الوعيد العام فى الآية التى قبل هذه الآية بالوعد العام فى هذه الآية ليقف المؤمن
بين الخوف والرجاء قوله تعالى ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ الله
ابراهيم خليلا . ولله ما فى السموات وما فى الارض وكان الله بكل شئ محيطا . آيتان اللغة الخليل مشتق من الخلة
بضم الخاء التى هى المحبة او من الخلة بفتح الخاء التى هى الحاجة وانما استعمل بمعنى الصداقة لان كل واحد من المتصادقين
يسد خلل صاحبه وقيل لان كل واحد منهما يطلع صاحبه على اسراره فكانه فى خلل قلبه وانما استعمل فى الحاجة
للاختلال الذى يلحق الفقير فيما يحتاج اليه ومنه قول زهير وان اتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالى ولا حرم
وقال الازهرى الخليل الذى خص بالمحبة يقال دعا فلان فخلل اى خص الاعراب دينا منصوب على التمييز وهو مما
انتصب بعد تمام الاسم وقوله محسن جملة فى موضع النصب على الحال وكذلك قوله وهو مؤمن فى الآية التى قبلها حنيفا
منصوب على الحال والعامل فى الحال الضمير فى اتبع والضمير هو للنبى ويجوز ان يكون حنيفا حالا من ملة ابراهيم وكان حقه
ان يكون فيه الهاء لان فعيلا اذا كان بمعنى فاعلة للمؤنث ثبتت فيه الهاء الا انه قد جاء محذوف الهاء ريح خريق
ويجوز ان يكون حالا من ابراهيم والحال من المضاف اليه عزيز وقد جاء ذلك فى الشعر قال النابغة قالت بنو عامر
خالوا بنى اسد يا بؤس للجهل ضرارا لاقوام اى يا بؤس الجهل فاللام مقحمة لتوكيد الاضافة وخليلا مفعول ثان لاتخذ
المعنى ثم بين سبحانه من يستحق الوعد الذى ذكره قبل فقال ومن احسن دينا وهو فى صورة الاستفهام والمراد به التقرير
ومعناه ومن اصوب طريقا واهدى سبيلا اى لا احد احسن اعتقادا ممن اسلم وجهه لله اى استسلم وجهه والمراد بوجهه
هاهنا ذاته ونفسه كما قال سبحانه كل شئ هالك الا وجهه والمعنى انقاد لله بالطاعة ولنبيه بالتصديق وقيل
معنى اسلم وجهه قصده سبحانه بالعبادة وحده كما اخبر عن ابراهيم انه قال وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض الآية وقيل

معناه اخلص اعماله لله اي انقياداً خالصاً لله فيها وهو محسن اي فاعل للفعل الحسن الذي امر الله تعالى وقيل معناه وهو
محسن في جميع اقواله وافعاله وقيل المحسن هنا الموحد وروي ان النبي صلعم سئل عن الاحسان فقال ان تعبد الله
كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك واتبع ملة ابراهيم اي اقتدى بدينه وسيرته وطريقته يعني ما كان عليه ابراهيم
وامر به بنيه من بعده واوصاهم به من الاقرار بتوحيده وعدله وتنزيهه عما لا يليق به ومن ذلك الصلوة الى الكعبة والطواف
حولها وسائر المناسك حنيفاً اي مستقيماً على منهاجه وطريقته وقد مر معنى الحنيف في سورة البقرة واتخذ الله ابراهيم
خليلاً اي محباً لا خلل في محبته ومودته لكمال خلته والمراد بخلته لله انه كان موالياً لاولياء الله ومعادياً لاعداء الله والمراد بخلة
الله سبحانه له نصرته على من اراده بسوء كما انقذه من نار نمرود وجعلها عليه برداً وسلاماً وكما نصره على ملك مصر حين اراد
اهله وجعله اماماً للناس وقدوة لهم وقال الزجاج جاز ان يكون سمي خليل الله بانه الذي احبه الله باصطفاء محبة تامة كاملة
واحب الله هو محبة تامة كاملة وقيل سمي خليلاً لانه افتقر الى الله جل وتوكل عليه وانقطع بحوائجه اليه وهو اختيار الفراء
والقاسم البلخي وانما خصه الله بهذا الاسم وان كان الخلق كلهم فقراء الى رحمته تشريفاً له بالنسبة اليه من حيث انه فقير اليه
لا يرجو لسد خلته سواه كما خص موسى ع بانه كليم الله وعيسى ع روح الله ومحمد صلى الله عليه واله حبيب الله وقيل انما سمي خليلاً
لانه سبحانه خصه بما لم يخصص غيره من انزال الوحي عليه وغير ذلك من خصائصه وانما خصه من بين سائر الانبياء الذين
لهذا الاسم على المعنيين اللذين ذكرناهما وان كان كل واحد من الانبياء خليل الله في زمانه لانه سبحانه خصهم بالنبوة وقد
عن النبي صلى الله عليه واله انه قال قد اتخذ الله صاحبكم خليلاً يعني نفسه وهذا الوجه اختيار ابو علي الجبائي قال وكل
تعبد الله ابراهيم فقد تعبد به نبينا وزاده اشياء لم يتعبد بها ابراهيم ومما قيل في سبب خلة ابراهيم ما روي في القصص
ان ابراهيم كان يضيف الضيفان ويطعم المساكين وان الناس اصابهم جدب فارتحل ابراهيم الى خليل له بمصر يلتمس منه
طعاماً لاهله فلم يصب ذلك عنده فلما قرب من اهله مر بمفازة ذات رمل لينة فملأ غرائره من ذلك الرمل لئلا يغتم اهله
برجوعه من غير ميرة فحول الله تعالى ما في غرائره دقيقاً فلما وصل الى البيت دخل ونام استحياء منهم ففتحوا الغرائر فعجنوا
وخبزوا وقدموا اليه طعاماً طيباً فقال لهم عليه السلام من اين خبزتم هذا فقالوا من الدقيق الذي جئت به من عند خليلك
المصري فقال اما انه خليلي ليس بمصري فسماه الله تعالى خليلاً رواه علي بن ابراهيم عن ابيه عن هارون بن مسلم عن مسعدة
بن صدقة عن ابي عبد الله عليه السلام ثم بين سبحانه انه انما اتخذ ابراهيم خليلاً لطاعته ومسارعته الى رضاه لا لحاجته منه
فقال ولله ما في السموات وما في الارض ملكاً وملكاً فهو مستغن عن جميع خلقه وجميع خلقه محتاجون اليه وكان الله بكل
شيء محيطاً يعني ان الله سبحانه عالم بجميع ما يفعله عباده ومعنى المحيط بالشيء انه العالم به من جميع وجوهه قوله تعالى
ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون ان
تنكحوهن والمستضعفين من الولدان وان تقوموا لليتامى بالقسط وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليماً . آية
اللغة الاستفتاء والاستقضاء بمعنى يقال افتاه وقاضيته قال الشاعر تعالوا نفاتيكم اعياء وفقعس الى المحلل
ام عشيرة حاتم هكذا انشد الحسين بن علي المغربي وهو استفعال من الفتيا والفتوى وافتى في المسئلة بين حكمها
الاعراب وما يتلى عليكم موضعه رفع بالابتداء تقديره يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم ايضاً يفتيكم فيهن وقال الفراء يجوز ان يكون
موضعه جراً على الضمير المجرور في فيهن وهذا بعيد لان الظاهر لا يحسن عطفه على الضمير المجرور وقيل يجوز ان يكون عطفاً
على النساء في قوله يستفتونك في النساء اي ويستفتونك فيما يتلى عليكم وفي المستضعفين وقال الواحدي قوله يتامى
النساء قيل ان تقديره في النساء اليتامى فاضيف الصفة الى الموصوف نحو قولك كتاب الكامل ومسجد الجامع ويوم الجمعة
وهذا قول الكوفيين وهذا عند المحققين لا يجوز انما اضاف اليتامى الى النساء لانهن من جملتهن فتكون الاضافة
بمعنى من كما تقول ثياب الخز وخاتم الفضة ... النساء وهذا اشبه بما نسقنا له معنى الاية والمستضعفين

جر عطف على يتامى النساء وان تقوموا لليتامى بالقسط في موضع جر ايضاً والتقدير وما يتلى عليكم من الايات
في يتامى النساء وفي المستضعفين وفي ان تقوموا لليتامى بالقسط يفتيكم ايضاً المعنى ثم عاد كلام الله عز اسمه
الى ذكر النساء والايتام وقد جرى ذكرهم في اول السورة فقال ويستفتونك اي يسئلونك ما هو من
المشكل من الاحكام في النساء يستفتونك يا محمد عن الحكم فيهن وعما يجب لهن وعليهن وانما حذف ذلك لاحاطة العلم
بان السؤال في امر الدين انما يقع عما يجوز وعما لا يجوز وعما يجب وعما لا يجب قل الله يفتيكم فيهن تعالى قل يا محمد الله يبين لكم ما
سألتم في شأنهن وما يتلى عليكم في الكتاب اي ويفتيكم ايضاً ما يقرء عليكم في الكتاب اي القرآن وفي تقدير
وكتابه يفتيكم اي يبين لكم الفرائض المذكورة في يتامى النساء الصغار اللاتي لم يبلغن وفي قوله اللاتي لا تؤتونهن
اي لا تعطونهن ما كتب لهن واختلف في تأويله على اقوال اولها ان المعنى ما يتلى عليكم في توريث صغار النساء
وهو آيات الفرائض التي في اول السورة وكان اهل الجاهلية لا يورثون المولود حتى يكبر ولا يورثون المرأة وكانوا
يقولون لا نورث الا من قاتل ودفع عن الحريم فانزل الله تعالى آية المواريث في اول السورة وهو قوله لا تؤتونهن ما كتب لهن
اي من الميراث عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وهو المروي عن ابي جعفر ع وثانيها ان المعنى اللاتي لا تؤتونهن
ما وجب لهن من الصداق وكانوا لا يؤتون اليتامى اللاتي يكون عليهن حق الصداق فنهى الله عز وجل عن ذلك
بقوله وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم وقوله ما يتلى عليكم هو ما ذكر في اول السورة من قوله
وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى الاية عن عائشة وهو اختيار ابي علي الجبائي واختيار الطبري القول الاول واعترض على هذا
القول بان قال ليس الصداق مما كتب الله للنساء الا بالنكاح فما لم تنكح فلا صداق لها عند احد وثالثها ان المراد بقوله
لا تؤتونهن ما كتب لهن النكاح الذي كتب الله لهن في قوله وانكحوا الايامى منكم الاية فكان الولي يمنعهن من التزوج عن الحسن
وقتادة والسدي وابن مالك وابراهيم فلو كانت لرجل في حجره اليتيمة بها دمامة ولها مال فكان يرغب ان يتزوجها
ويحبسها طمعاً ان تموت فيرثها قال السدي وكان جابر بن عبد الله الانصاري لبنت عم عمياء دميمة وقد ورثت عن ابيها
مالاً فكان جابر يرغب عن نكاحها ولا ينكحها مخافة ان يذهب الزوج بمالها فسأل النبي ع عن ذلك فنزلت الاية وقوله
وترغبون ان تنكحوهن معناه على الاول والثالث وترغبون عن ان تنكحوهن اي عن نكاحهن ولا تؤتونهن نصيبهن
من الميراث فيرغب فيهن من يطمع فيه ... من وجههن وفي قول عائشة معناه وترغبون في ان تنكحوهن اي في نكاحهن لجمالهن
او لمالهن والمستضعفين من الولدان معناه ويفتيكم في المستضعفين من الصبيان ان تعطوهم حقوقهم وكانوا لا يورثون
صغيراً من الغلمان ولا من الجواري لان ما يتلى عليكم في باب اليتامى من قوله واتوا اليتامى اموالهم يدل على الفتوى
في اعطاء حقوق الصغار من الميراث وان تقوموا لليتامى بالقسط اي يفتيكم في ان تقوموا لليتامى بالعدل في القيام
في حوائجهم ونصرتهم واعطاء كل ذي حق منهم حقه صغيراً كان او كبيراً ذكراً كان او انثى وفيما سبق الى قوله
سبحانه وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى وما تفعلوا من خير اي مهما تفعلوا ايها المؤمنون من عدل وبر في امر اليتامى
والنساء في ذلك لامر الله وطاعته فان الله كان به عليماً اي لم يزل عالماً به ولا يزال وهو مجازيكم به فلا يضيع عنده
شيء منه قوله تعالى وان امرأة خافت من بعلها نشوزاً او اعراضاً فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحاً والصلح
خير واحضرت الانفس الشح وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيراً . آية القراءة قرأ اهل الكوفة
ان يصلحا بضم الياء وكسر اللام وسكون الصاد والباقون ان يصالحا بتشديد الصاد وفتح الياء واللام والحجة
الاعرف في الاستعمال يصالحا وزعم سيبويه ان بعضهم قرأ يصطلحا يفتعلا وافتعل وتفاعل بمعنى ولذلك
صحت الواو في اجتوروا واعتوروا لما كان بمعنى تجاوروا وتعاوروا فهذا حجة لمن قرأ ان يصالحا ومن قرأ يصلحا فالاصلاح
عند التنازع قد استعمل كما في قوله تعالى فاصلح بينهم وقوله صلحاً يكون مفعولاً على قراءة من قرأ يصلحا كما تقول اصلحت ثوباً

ومن قرأ يصالحا يجوز ان يكون صلحا مفعولا ايضا لان فاعل قد جاء متعديا ويجوز ان يكون مصدرا حذفت زوائده كما قال فانبتكم نباتا
ولذلك كان ... اى تقديري ويجوز ان يكون وضع المصدر موضع الاسم كما يقع الاسم موضع المصدر في قوله ... يا كرب ما حبتها
الهداج نحوه وقوله بعد اعطائك المائة الرتاعا اللغة الشح ... في صفة الشح ما الشح اولا والحرص على الشيء
ويكون بالمال وبغيره من الاغراض يقال هو شحيح بودك اى حريص على دوامه ولا يجيء الا بالبخل يكون بالمال خاصة
قال الشاعر لقد كنت في قوم عليك اشحة بفقدك الا ان من طاح طائح يودون لو خاطوا عليك جلودهم وهل يدفع الموت
النفوس الشحائح الاعراب وان امرأة خافت ترتفع بفعل مضمر يفسره الفعل الظاهر بعدها وهو اضمار قبل الذكر على
شريطة التفسير وتقديره وان خافت ولو قلت ان امرأة تخف ... ان يكون الجزاء في المستقبل ... لانه لا
يفصل بينهما بين ما يجزم وذلك في الشعر جائز ... وغيرها قال الشاعر ... يطعن ... عليه كاس الساقي
فاما الماضي فان غير عاملة في لفظه وان حرف الجزاء فجاز ان يفرق بينه وبين الفعل فاما غيرها فالفصل ... مع الماضي والمستقبل
النزول كانت بنت محمد بن مسلمة عند رافع بن خديج وكانت قد دخلت في السن وكانت عنده امرأة شابة سواها فطلقها
تطليقة حتى اذا بقي من اجلها يسير قال ان شئت راجعتك وصبرت على الاثرة وان شئت تركتك قالت بل راجعني واصبر
على الاثرة فراجعها فذلك الصلح الذي بلغنا ان الله تعالى انزل فيه هذه الآية عن ابي جعفر وسعيد بن المسيب وقيل
خشيت سودة بنت زمعة ان يطلقها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت لا تطلقني واحبسني مع نسائك واجعل
يومي لعائشة فنزلت الآية عن ابن عباس المعنى لما تقدم ذكر نشوز المرأة بين سبحانه حكم نشوز الرجل فقال
وان امرأة خافت اي علمت وقيل ظنت من بعلها اي من زوجها نشوزا اي استعلاء وارتفاعا بنفسه عنها الى غيرها
اما لبغضها واما لكراهة شيء منها اما دمامتها واما علو سنها او غير ذلك او اعراضا يعني انصرافا بوجهه او ببعض منافعه
التي كانت لها منه وقيل يعني باعراضه عنها هجرانه اياها وجفاءه لها وميله الى غيرها فلا جناح عليهما اي لا حرج على
كل واحد من الزوج والزوجة ان يصالحا بينهما صلحا بان تترك المرأة له يومها او تضع عنه بعض ما يجب لها من نفقة
او كسوة او غير ذلك تستعطفه بذلك وتستديم المقام في حباله والصلح خير معناه والصلح بترك بعض الحق
خير من طلب الفرقة بعد الالفة وهذا اذا كانت بطيبة من نفسها فان لم يكن كذلك فلا يجوز له الا ما يسوغ في الشرع من القيام
بالكسوة والنفقة والا طلقها ... قال الصحابة والتابعون منهم امير المؤمنين علي ... والسلام وابن عباس وابن عمر
وسعيد بن جبير وقتادة ومجاهد وغيرهم واحضرت الانفس الشح اختلف في تأويله فقيل معناه واحضرت نفس النساء
الشح على انصبائهن من انفس ازواجهن واموالهن وايامهن منهم عن ابن عباس وسعيد بن جبير وعطاء والسدي وقيل معناه واحضرت
انفسهم كل واحد من الرجل والمرأة الشح بحقه قبل صاحبه فشح المرأة يكون بترك حقها من النفقة والكسوة والقسمة
وغيرها وشح الرجل بانفاقه على التي لا يريدها وهذا اعم وقال ابن وهب ابن زيد وان تحسنوا خطاب للرجال اي ان تفعلوا الجميل بالصبر
على من تكرهون من النساء وتتقوا الجور عليهن في النفقة والكسوة والعشرة بالمعروف وقيل ان تحسنوا في اقوالكم وافعالكم
وتتقوا معاصي الله فان الله كان بما تعملون خبيرا اي هو عالم خبير بما يكون منكم في امرهن يحفظه لكم ويجازيكم عليه
ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وان تصلحوا وتتقوا فان الله
كان غفورا رحيما. وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما. اللغة الاستطاعة والقوة والقدرة
نظائر والسعة خلاف الضيق والواسع في صفات الله تعالى اختلف في معناه فقيل انه واسع العطاء اي لكثير منه وقيل واسع
الرحمة وقيل يعني انه تعالى محيط ووسعت كل شيء وقيل معناه واسع المقدرة المعنى لما تقدم ذكر النشوز والصلح بين
الزوجين عقبه سبحانه بان لا يكلف من ذلك ما لا يستطاع فقال ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم
اي لن تقدروا ان تسووا بين النساء في المحبة والمودة بالقلب ولو حرصتم على ذلك كل الحرص فان ذلك ليس اليكم فلا

تملكوه ولا تؤاخذون به عن الحسن وقتادة وقيل معناه لن تقدروا ان تعدلوا بالتسوية بين النساء في كل الامور
من جميع الوجوه من النفقة والكسوة والعطية والمسكن والصحبة والبشر والبر وغير ذلك والمراد ان ذلك لا يجب
عليكم بل يثقل ويشق لميلكم الى بعضهن فلا تميلوا كل الميل اي فلا تعدلوا باهوائكم عن من لم تملكوا محبته منهن
كل العدل حتى يحملكم ذلك على ان تجوروا على صواحبها في ترك اداء الواجب لهن عليكم من حق القسمة والنفقة والكسوة
والعشرة بالمعروف فتذروها كالمعلقة اي تذروا التي لا تميلون اليها كالتي هي لا ذات زوج ولا ايم عن ابن عباس ومجاهد
والحسن وقتادة وغيرهم وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام وذكر علي بن ابراهيم بن هاشم في تفسيره انه سأل
رجل من الزنادقة ابا جعفر الاحول عن قوله سبحانه فان خفتم الا تعدلوا فواحدة ثم قال ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء
ولو حرصتم وبين القولين فرق قال فلم يكن عندي جواب في ذلك حتى قدمت المدينة فدخلت على ابي عبد الله عليه السلام فسألته
عن ذلك فقال اما قوله فان خفتم الا تعدلوا فانه عنى في النفقة واما قوله ولن تستطيعوا ان تعدلوا فانه عنى في المودة فانه لا
يقدر احد ان يعدل بين امرأتين في المودة قال فرجعت الى الرجل فاخبرته فقال هذا ما حملته من الحجاز وروى ابو قلابة
عن النبي صلى الله عليه وآله انه يقسم بين نسائه ويقول اللهم هذا قسمي فيما املك فلا تلمني فيما تملك ولا املك
وقوله وان تصلحوا يعني في القسمة بين الازواج والتسوية بينهن في النفقة وغير ذلك وتتقوا الله في امرهن وتتركوا الميل
الذي نهاكم عنه في تفضيل واحدة على الاخرى فان الله كان غفورا رحيما يستر عليكم ما مضى منكم من الحيف في ذلك
اذا تبتم ورجعتم الى الاستقامة والتسوية بينهن ويرحمكم بترك المؤاخذة على ذلك وكذلك كان يفعل فيما مضى مع غيركم
وروي عن جعفر الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام ان النبي صلى الله عليه وآله كان يقسم بين نسائه في مرضه فيطاف
بينهن وروي ان عليا عليه السلام كان له امرأتان فكان اذا كان يوم واحدة لا يتوضأ في بيت الاخرى وكان معاذ
بن جبل له امرأتان ماتتا في الطاعون فاقرع بينهما ايهما تدفن قبل الاخرى وقوله وان يتفرقا يغن الله كلا من
سعته يعني ان ابى كل واحد من الزوجين مصالحة الآخر بان تطالب المرأة بنصيبها من القسمة والنفقة والكسوة وجميل
وحسن العشرة ويمتنع الزوج من اجابتها الى ذلك ويتفرقا بالطلاق فان الله يغني كل واحد منهما من سعته اي من
سعة فضله ورزقه وكان الله واسعا حكيما اي لم يزل كان واسع الفضل على عباده حكيما فيما يدبرهم به وفي هذه
الآية دلالة على ان الارزاق كلها بيد الله وهو الذي يتولاها بحكمته وان كان ربما اجراها على يدي من يشاء من خلقه
ولله ما في السموات وما في الارض ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله
وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض وكان الله غنيا حميدا. ولله ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا
البيان المعنى ثم ذكر سبحانه بعد ما جاز اغناء كل واحد من الزوجين بعد الافتراق من سعة فضله ما يوجب الرغبة
اليه في ابتغاء الخير منه فقال ولله ما في السموات وما في الارض اخبار عن كمال قدرته وسعة ملكه اي فان من يملك
ما في السموات وما في الارض لا يتعذر عليه الاغناء بعد الفرقة والايناس بعد الوحشة ثم ذكر الوصية بالتقوى
فان بها ينال خير الدنيا والآخرة فقال ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم من اليهود والنصارى وغيرهم
واياكم اي واوصيناكم ايضا ايها المسلمون في كتابكم ان اتقوا الله اي اتقوا عقابه باتقاء معاصيه ولا تخالفوا امره ونهيه
وان تكفروا اي تجحدوا وصيته اياكم فتخالفوها فان لله ما في السموات وما في الارض لا يضره كفركم ولا عصيانكم وفي هذا
اشارة الى ان امره جميع الامم بطاعته ونهيه اياهم عن معصيته ليس لاستكثاره بهم من قلة ولا لاستنصاره بهم
عن ذلة ولا لاستعانته بهم عن عجز فان لله ما في السموات وما في الارض ملكا وخلقا ولا تلحقه العجز ولا يعتريه
الضعف ولا يجوز عليه الحاجة وانما امرنا وهذا نعمة منه علينا ورحمة منا وكان الله غنيا اي لم يزل سبحانه
غير محتاج الى الخلق بل الخلق كلهم محتاجون اليه حميدا اي مستوجبا للحمد عليكم بصنائعه الجميلة اليكم

ولامة الحيلة لديكم فاستدعوا ذلك باتقاء معاصيه والمسارعة الى طاعته فيما امركم به ثم قال ولله ما في السموات
وما في الارض وكفى بالله وكيلا اي حافظا لجميعه لا يعزب عنه علم شيء منه ولا يؤده حفظه وتدبيره ولا يحتاج مع
سعة ملكه الى غيره واما وجه التكرار لقوله ما في السموات وما في الارض في الايتين ثلث مرات فقد قيل انه للتاكيد
والتذكير وقيل انه للابانة عن علل ثلث جملها بيان ايجاب تقواه لان له ملك السموات والارض والثاني بيان غناه
عن خلقه وحاجتهم اليه واستحقاقه الحمد على النعم لان له ما في السموات وما في الارض والثالث بيان حفظه اياهم وتدبيره
لهم لان له ملك السموات والارض قوله تعالى ان يشأ يذهبكم ايها الناس ويأت باخرين وكان الله على ذلك
قديرا • من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والاخرة وكان الله سميعا بصيرا • ايتان المعنى
لما ذكر تعالى غناه عن الخلق بان له ملك السموات والارض عقب ذلك بذكر كمال اقتداره على خلقه بان له اهلاكهم وافنائهم
والاستبدال بهم لاهلاكهم فقال ان يشأ يذهبكم معنى ان يشأ الله يهلككم ايها الناس ومفعول يشأ فيه محذوف
اي ان يشأ يذهبكم ويأت باخرين اي بقوم اخرين ينصرون نبيه ويوازرونه ويروى انه لما نزلت هذه الاية ضرب
النبي صلى الله عليه وآله يده على ظهر سلمان فقال قوم هذا يعني عجم الفرس وكان الله على ذلك قديرا اي لم يزل قادرا
على الابدال والافناء والاعادة ثم ذكر سبحانه عظم ملكه وقدرته ان جزاء الناس عنده فقال من كان يريد
ثواب الدنيا اي الغنيمة والمنافع الدنيوية اخبر سبحانه عمن اظهر الايمان لمحمد صلى الله عليه وآله من اهل النفاق يريد
عرض الحياة الدنيا باظهاره ما اظهر من الايمان بلسانه فعند الله ثواب الدنيا والاخرة اي يملك سبحانه الدنيا والاخرة
فليطلب المجاهد الثوابين عند الله سبحانه عن ابي علي الجبائي وقيل انه وعيد للمنافقين وثوابهم في الدنيا ما ياخذونه من
الغنيمة اذا شهدوا الحرب مع المسلمين وامنهم على نفوسهم واموالهم وذراريهم وثوابهم في الاخرة النار وكان الله
سميعا بصيرا اي لم يزل على صفة يجب لاجلها ان يسمع المسموعات ويبصر المبصرات عند الوجود وهذه الصفة هي كونه
حيا لا آفة به وقيل انه انما ذكر ذلك هنا ليبين انه يسمع ما يقوله المنافقون اذا خلوا الى شياطينهم ويعلم ما يبيتونه من
نفاقهم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين ان يكن غنيا
او فقيرا فالله اولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وان تلووا او تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا • اية
القراءة قرأ ابن عامر وحمزة ان تلوا بضم اللام وواو واحدة ساكنة والباقون تلووا بواوين الاولى مضمومة
اللام ساكنة الحجة من قرأ تلووا بواوين فحجته ان يقول انه من لوى يلوي [illegible] وخلاف الاعراض
فيكون المعنى ان تلووا او تعرضوا فان الله خبير باعمالكم يجازي المحسن المقبل باحسانه والمسيء المعرض باعراضه وتركه
الاقبال على ما يلزمه ان يقبل عليه قال واذا قرأت ان تلوا فهو من الولي مثل الاعراض فيكون كالتكرير لان
ان تلووا [illegible] صدقت معناه الاعراض وترك الاقبال على الحق ومن قرأ تلوا فله وجهان احدهما ان يقول
لا يكره ان يتكرر اللفظان بمعنى واحد نحو قوله فسجد الملائكة كلهم اجمعون وقال الشاعر وهند اتى من دونها النأي
والبعد وقول الاخر والفى قولها كذبا ومينا وقيل ان تلووا يجوز ان يكون تلوا وان الواو التي هي عين همزت لانضمامها
كما همزت في ادؤر ثم طرحت الهمزة والقيت حركتها على اللام التي هي فاء فصار تلوا كما تطرح الهمزة ادؤر وتلقى حركتها
على الدال فيصير ادر اللغة القسط والاقساط العدل يقال اقسط الرجل اقساطا اذا عدل واتى بالقسط وقسط
الرجل يقسط قسوطا اذا جار ويقسط البعير يقسط قسطا اذا يبست يده وقسطاء اي يابسة فكانه بمعنى قسطا
الشيء على حقيقته في التعديل وكان قسطا اي حالا معتدلا بين الشيئين افاد حجته المستقيمة والقوام مبالغ
من القيام وهو ان يكون عادته القيام واللي الدفع يقال لويت فلانا حقه اذا دفعته ومطلته ومنه الحديث لي الواجد
ظلم اي مطل الغني جور الاعراب شهداء نصب على الحال من الضمير في قوله قوامين وهو الضمير الذي في امنوا

ويجوز ان يكون خبر كان على انه خبر بعد خبر مثل هذا حلو حامض ويجوز ان يكون صفة لقوامين ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما
انما قال بهما لانه اراد فالله اولى بغنى الغني وفقر الفقير لان ذلك منه سبحانه وقيل انما ثنى الضمير لان او في هذا الموضع بمعنى الواو
وقيل انه سبحانه لم يقصد غنيا بعينه ولا فقيرا بعينه فهو مجهول وما كان كذلك يجوز ان يعود اليه الضمير بالتوحيد والتثنية والجمع
وقد ذكر ان في قراءة ابي فالله اولى بهم وقيل انما قال بهما لانهما قد ذكرا كما قال وله اخ او اخت فلكل واحد منهما السدس
وقيل انما جاز ذلك لانه اضمر فيه من خاصم على ما ذكره في المعنى مشروحا وان تعدلوا يجوز ان يكون في موضع نصب بانه مفعول له
اي هربا من ان تعدلوا او كراهة ان تعدلوا ويجوز ان يكون في موضع جر على معنى فلا تتبعوا الهوى لتعدلوا المعنى لما ذكر سبحانه
ان عنده ثواب الدنيا والاخرة عقبه بالامر بالقسط والقيام بالحق وترك الميل والجور فقال يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط
اي دائمين على القيام بالعدل ومعناه ولتكن عادتكم القيام بالعدل في القول والفعل شهداء لله وهو جمع شهيد امر الله سبحانه
عباده بالثبات والدوام على قول الحق والشهادة بالصدق تقربا اليه وطلبا لمرضاته وعن ابن عباس كونوا قوالين بالحق
في الشهادة على من كانت ولمن كانت من قريب او بعيد ولو على انفسكم اي ولو كانت شهادتكم على انفسكم او الوالدين والاقربين اي على الوالدين
وعلى اقرب الناس اليكم فقوموا فيها بالقسط والعدل واقيموها على الصحة والحق ولا تميلوا فيها لغنى غني او فقر فقير فان الله تعالى
قد سوى بين الغني والفقير فيما الزمكم من اقامة الشهادة لكل واحد منهما بالعدل وفي هذا دلالة على جواز شهادة الولد
لوالده والوالد لولده وعليه وشهادة كل ذي قرابة لقريبه وعليه والى هذا ذهب ابن عباس في قوله امر الله سبحانه المؤمنين
ان يقولوا الحق ولو على انفسهم او ابائهم او ابنائهم ولا يحابوا غنيا لغناه ولا مسكينا لمسكنته وعن ابن شهاب الزهري كان سلف
المسلمين على ذلك حتى دخل الناس فيما بعدهم وظهرت منهم امور حملت الولاة على اتهامهم وتركت شهادة من يتهم واما شهادة
الانسان على نفسه فيكون بالاقرار للخصم فاقراره له شهادة منه على نفسه وشهادته لنفسه لا تقبل ان يكن غنيا او فقيرا اي
ان يكن المشهود عليه غنيا او فقيرا او المشهود له غنيا او فقيرا فلا يمنعكم ذلك عن قول الحق والشهادة بالصدق وذلك
ان الشاهد ربما امتنع عن اقامة الشهادة للغني على الفقير لاستغناء المشهود له وفقر المشهود عليه ولا يقيم الشهادة شفقة عليه
وربما امتنع عن اقامة الشهادة للفقير على الغني تهاونا بالفقير وتوقيرا للغني او خشية منه او حشمة له فبين سبحانه فقال
فالله اولى بهما اي اولى بالغني والفقير وانظر لهما من سائر الناس اي فلا تمتنعوا عن اقامة الشهادة على الفقير شفقة عليه
ونظرا له ولا عن اقامة الشهادة للغني لاستغنائه عن المشهود به فان الله تعالى امركم بذلك مع علمه بغنى الغني وفقر الفقير فراعوا امره فيما امركم
فانه اعلم بمصالح العباد منكم فلا تتبعوا الهوى يعني هوى الانفس في اقامة الشهادة فتشهدوا على انسان لاحنة بينكم وبينه او عداوة
او عصبية وتمتنعوا عن الشهادة له لاحد هذه المعاني او تشهدوا لانسان بغير حق لميلكم اليه بحكم سلامة او قرابة ان تعدلوا اي
لان تعدلوا او لئلا تعدلوا في الشهادة فلا تعدلوا كقولهم لا تتبع هواك لترضي ربك اي كيما ترضي ربك
اي كيما ترضي ربك وقيل انه من العدل الذي هو الميل والجور ومعناه لا تتبعوا الهوى في ان لا تعدلوا عن الحق وان لا تعدلوا
عن الحق وان تلووا اي تمطلوا في اداء الشهادة او تعرضوا عن ادائها عن ابن عباس ومجاهد وقيل ان الخطاب للحكام اي وان تلووا
ايها الحكام في الحكم لاحد الخصمين على الاخر او تعرضوا عن احدهما الى الاخر عن ابن عباس وعن السدي وقيل معناه ان تلووا اي
تبدلوا الشهادة او تعرضوا اي تكتموها عن ابن زيد والضحاك وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلام فان الله كان بما تعملون خبيرا معناه انه
كان عالما بما يكون منكم من اقامة الشهادة او تحريفها والاعراض عنها وفي هذه الاية دلالة على وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
وسلوك طريقة العدل في النفس والغير وقد روي عن ابن عباس في معنى قوله ان تلووا او تعرضوا انهما الرجلان يجلسان بين
يدي القاضي فيكون لي القاضي واعراضه لاحدهما على الاخر قوله تعالى يا ايها الذين امنوا امنوا بالله ورسوله والكتاب الذي
نزل على رسوله والكتاب الذي انزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله والكتاب الذي انزل من قبل ومن
يكفر بالله وملائكته ورسله واليوم الاخر فقد ضل ضلالا بعيدا • اية القراءة قرأ ابن كثير وابن عامر وابو عمرو

وأنزلوا بالضم وكذا نزّل وأنزل الباقون نزّل وأنزل بالفتح الحجة من قرأ بالضم فحجته قوله لتبين للناس
ما نزل إليهم ويعلمون أنه منزل من ربك بالحق ومن قرأ نزّل وأنزل فحجته إنا نحن نزلنا الذكر وأنزلنا إليك الذكر
المعنى يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله فيه أقوال أحدها وهو الصحيح المعتمد عليه أن معناه يا أيها الذين
آمنوا في الظاهر بالإقرار بالله ورسوله آمنوا في الباطن ليوافق ظاهركم باطنكم ويكون الخطاب للمنافقين الذين
يظهرون خلاف ما يبطنون والكتاب الذي نزل على رسوله وهو القرآن والكتاب الذي أنزل من قبل وهو التوراة
والإنجيل عن الزجاج وغيره وثانيها أن يكون الخطاب للمؤمنين على الحقيقة ظاهرا وباطنا فيكون المعنى اثبتوا على هذا
الإيمان في المستقبل وداوموا عليه ولا تنتقلوا عنه عن الحسن واختاره الجبائي قال لأن الإيمان هو التصديق
وإنما يستمر أن يجدده الإنسان حالا بعد حال وثالثها أن الخطاب لأهل الكتاب أمروا بأن يؤمنوا بالنبي والكتاب الذي
عليه كما آمنوا بما فيهما من صفات نبينا عليه السلام معهم من الكتب فيكون قوله والكتاب الذي أنزل من قبل إشارة
إلى ما معهم من التوراة والإنجيل ويكون وجه أمرهم بالتصديق بهما وإن كانوا مصدقين بهما لأحد أمرين إما لأن التوراة و
الإنجيل فيهما صفات نبينا وتصديقه وتصحيح نبوته فمن لم يصدقه ولم يصدق القرآن لا يكون مصدقا بهما لأن في تكذيبه
تكذيب التوراة والإنجيل فيجب عليهم التصديق بهما معه ليكونوا مصدقين بما معهم من التوراة والإنجيل وإما أن يكون الله
أمرهم بالإقرار بمحمد وبالقرآن وبالكتاب الذي نزل من قبل وهو الإنجيل وذلك لا يصح إلا بالإقرار بعيسى أيضا وأنه نبي
مرسل ويعضد هذا الوجه ما روي عن عبد الله بن عباس أنه قال إن الآية نزلت في مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام
وأسد وأسيد ابني كعب وثعلبة بن قيس وابن أخت عبد الله بن سلام ويامين بن يامين وهؤلاء من كبار أهل الكتاب
قالوا نؤمن بك وبكتابك وبموسى وبالتوراة وعزير ونكفر بما سواه من الكتب ومن سواهم من الرسل فقال لهم بل
آمنوا بالله ورسوله الآية فآمنوا كما أمرهم الله تعالى ومن يكفر بالله أي يجحده أو يشبهه بخلقه أو يرد أمره ونهيه
وملائكته أي ينفيهم أو ينزلهم منزلة لا يليق بهم كما قالوا إنهم بنات الله وكتبه فيجحدها ورسله فينكرهم
واليوم الآخر أي يوم القيامة فقد ضل ضلالا بعيدا أي ذهب عن الحق وقصد السبيل ذهابا بعيدا وقال الحسن
ضلالا بعيدا وهو ما لا يتلافى له معه والمعنى أن من كفر بمحمد صلى الله عليه وآله وجحد نبوته فكأنه جحد جميع ذلك
لأنه لا يصح إيمان أحد من الخلق بشيء مما أمر الله تعالى بالإيمان به مما أنزل الله عليه وفي هذا تهديد لأهل الكتاب
وإعلام لهم أن إقرارهم بالله ووحدانيته ورسله وكتبه وملائكته واليوم الآخر لا ينفعهم مع جحدهم
نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فيكون وجوده وعدمه سواء النظم وجه اتصال الآية بما قبلها أن الله تعالى
لما بين الإسلام عقبه بالدعاء إلى الإيمان وشرائطه وقيل إنها تتصل بقوله كونوا قوامين بالقسط والقيام بالقسط
هو الإيمان على الوجه المذكور قوله تعالى إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله
ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا • بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما • الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون
المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا • ثلاث آيات اللغة أصل البشارة الخبر السار الذي
يظهر به السرور في بشرة الوجه ثم يستعمل في الخبر الذي يغم أيضا وضع إخبارهم بالعذاب موضع البشارة لهم
والعرب تقول تحيتك الضرب وعتابك السيف أي تضع الضرب موضع العذاب والسيف موضع العتاب
وقال الشاعر وخيل قد دلفت لها بخيل تحية بينهم ضرب وجيع وأصل العزة الشدة ومنه قيل
للأرض الصلبة الشديدة عزاز ومنه قيل عز علي أن يكون كذا أي اشتد علي وعز الشيء إذا صعب وجوده
واشتد حصوله واعتز فلان بفلان إذا اشتد ظهره به والعزيز القوي المنيع خلاف الذليل المعنى
ثم قال سبحانه إن الذين آمنوا ثم كفروا قيل في معناه أقوال أحدها أنه عنى به أن الذين آمنوا بموسى ثم

كفروا بعبادة العجل وغير ذلك ثم آمنوا يعني النصارى بعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد عن قتادة وثانيها أن المراد آمنوا بموسى
ثم كفروا بعد موسى ثم آمنوا بعزير ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد عن قتادة وثالثها أنه عنى به طائفة من
أهل الكتاب أرادوا تشكيك نفر من أصحاب رسول الله صلعم وكانوا يظهرون الإيمان بحضرتهم ثم يقولون قد عرضت
لنا شبهة في أمره ونبوته فيظهرون الكفر ثم يظهرون الإيمان ثم يقولون وقد عرضت لنا شبهة أخرى فيكفرون ثم ازدادوا
كفرا بالثبات عليه إلى الموت عن الحسن وذلك معنى قوله تعالى وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين
آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ورابعها أن المراد به المنافقون آمنوا ثم ارتدوا ثم آمنوا ثم ارتدوا ثم ماتوا
على كفرهم عن مجاهد وابن زيد وقال ابن عباس دخل في هذه الآية كل منافق كان في عهد النبي صلى الله عليه وآله في البر والبحر
لم يكن الله ليغفر لهم بإظهارهم الإيمان ولو كانت بواطنهم كظواهرهم في الإيمان لما كفروا فيما بعد ولا ليهديهم سبيلا
معناه ولا ليهديهم إلى سبيل الجنة كما قال فيما بعد ولا ليهديهم طريقا إلا طريق جهنم ويجوز أن يكون المعنى يخذلهم ولا يلطف
بهم عقوبة لهم على كفرهم المتقدم ثم قال سبحانه بشر المنافقين أي أخبرهم يا محمد بأن لهم في الآخرة عذابا أليما أي وجيعا
إن ماتوا على كفرهم ونفاقهم وفي هذه الآية دلالة على أن الآية المتقدمة نزلت في شأن المنافقين وأنه الأصح من الأقوال
المذكورة ثم وصف هؤلاء المنافقين فقال الذين يتخذون الكافرين أي مشركي العرب وقيل اليهود أولياء أي أنصارا و
معينين وأخلاء من دون المؤمنين أي من غيرهم أيبتغون عندهم العزة أي أيطلبون عندهم العزة أي القوة والمنعة باتخاذهم
هؤلاء أولياء من دون أهل الإيمان بالله ثم أخبر سبحانه أن العزة والمنعة له فقال فإن العزة لله جميعا يريد سبحانه أنهم لو آمنوا
مخلصين له وطلبوا الاعتزاز بالله ورسوله وبدينه والمؤمنين لكان ذلك أولى بهم من الاعتزاز بالمشركين فإن العزة جميعها لله
سبحانه يعز من يشاء ويذل من يشاء قوله تعالى وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها و
يستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم
جميعا • القراءة قرأ عاصم ويعقوب نزل بالفتح والباقون نزل بضم النون وكسر الزاي الحجة الوجه
في القراءتين ما ذكرناه قبل الإعراب من قرأ نزل بالفتح فأن في موضع نصب كأن تقديره نزل الله ذلك ومن قرأ بضم
النون فأن في موضع رفع وأن هذه هي المخففة من الثقيلة النزول كان المنافقون يجلسون إلى أحبار اليهود فيسخرون
من القرآن فنهاهم الله عن ذلك عن ابن عباس المعنى لما تقدم ذكر المنافقين وموالاتهم للكفار عقب ذلك بالنهي
عن مجالستهم ومخالطتهم فقال وقد نزل عليكم في الكتاب أي في القرآن أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ
بها أي يكفر بها المشركون والمنافقون ويستهزئون بها فلا تقعدوا معهم أي مع هؤلاء المستهزئين الكافرين حتى يخوضوا
في حديث غيره أي حتى يأخذوا في حديث غير الاستهزاء بالدين وقيل يرجعوا إلى الإيمان ويتركوا الكفر والذي أنزل
الله في الكتاب هو قوله سبحانه في سورة الأنعام وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في
حديث غيره وفي هذه الآية دلالة على تحريم مجالسة الكفار عند كفرهم بآيات الله واستهزائهم بها وعلى إباحة
مجالستهم عند خوضهم في حديث غيره وروي عن الحسن أن إباحة القعود مع الكفار عند خوضهم في حديث غير
كفرهم واستهزائهم بالقرآن منسوخ بقوله تعالى فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين إنكم إذا مثلهم يعني إنكم إذا
جالستموهم على الخوض في كتاب الله والهزء به فأنتم مثلهم وإنما حكم بأنهم مثلهم لأنهم لم ينكروا عليهم مع قدرتهم
على الإنكار ولم يظهروا الكراهية لذلك ومتى كانوا راضين بالكفر كانوا كفارا لأن الرضا بالكفر كفر
وفي الآية دلالة على وجوب إنكار المنكر مع القدرة على ذلك وزوال العذر وأن من ترك ذلك مع القدرة عليه
فهو مخطئ آثم وفيها أيضا دلالة على تحريم مجالسة الفساق والمبتدعين من أي جنس كانوا وبه قال جماعة من المفسرين
وذهب إليه عبد الله بن مسعود وإبراهيم وأبو وائل قال إبراهيم ومن ذلك إذا تكلم الرجل في مجلس بكذب فيضحك

٢٥٦

منه مثلاً ثم يحفظ الله عليهم وبه قال عمر بن عبد العزيز ومن مالك وروى انه ضرب رجلاً صائماً كان قاعداً مع قوم
يشربون الخمر وروى العياشي باسناده عن علي بن موسى الرضا عليه السلام في تفسير هذه الآية قال اذا سمعت الرجل يجحد
الحق ويكذب به ويقع في اهله فقم من عنده ولا تقاعده وروى عن ابن عباس ان الله سبحانه جعل هذه الآية الانقياد
وعن الاختلاف والفرقة والمراء والخصومة وبه قال الطبري والبلخي والجبائي وجماعة من المفسرين وقال الجبائي انما الكون
بالقرب منهم بحيث يسمع صوتهم ولا يقدر على انكاره فليس بمحظور وانما المحظور مجالستهم من غير اظهار كراهية
لما يسمعه او يرى قال وفي الآية دلالة على بطلان قول نفاة الاعراض وقولهم ليس ههنا شيء غير الاجسام لانه قال حتى يخوضوا
في حديث غيره فاثبت غير ما كانوا فيه وذلك هو العرض انّ الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً اي ان الله يجمع الفريقين
من اهل الكفر والنفاق في القيامة في النار والعقوبة فيها كما اتفقوا في الدنيا على عداوة المؤمنين والمظاهرة عليهم قوله تعالى
الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب قالوا الم نستحوذ عليكم ونمنعكم
من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً . اية اللغة التربص الانتظار
والاستحواذ الغلبة والاستيلاء يقال حاذ الحمار اتنه اذا استولى عليها وجمعها وكذلك حاذها قال العجاج يصف ثوراً
يحوذهن وله حوذي ويروى يحوزهن وله حوزي واستحوذ مما خرج عن اصله فمن قال احاذ يحيذ لم يقل الا استحاذ
يستحيذ ومن قال احوذ كما قيل احوذت واطيبت بمعنى احذت واطبت فاخرجه على الاصل قال استحوذ والاحوذي
الحاذ المنكمش الخفيف في اموره المعنى ثم وصف الله سبحانه المنافقين والكافرين فقال الذين يتربصون بكم
اي ينتظرون بكم ايها المؤمنون لانهم كانوا يقولون سيهلك محمد فنستريح منه ويظهر قومنا وديننا فان كان لكم
فتح من الله اي فان اتفق لكم فتح وظفر على الاعداء قالوا الم نكن معكم نجاهد عدوكم ونغزو معكم فاعطونا نصيبا من الغنيمة
فانا شهدنا القتال وان كان للكافرين نصيب اي حظ باصابتهم من المؤمنين قالوا يعني المنافقين اي قال المنافقون للكافرين
الم نستحوذ عليكم اي الم نغلب عليكم عن السدي ومعناه الم نغلبكم على رأيكم بالموالاة لكم ونمنعكم من المؤمنين من الدخول في جملة المؤمنين
وقيل معناه الم نبين لكم انا على ما انتم عليه اي الم نضمكم الى انفسنا ونطلعكم على سر محمد واصحابه ونكتب اليكم بخبارهم
حتى غلبتم عليهم فاعرفوا لنا هذا الحق عليكم عن الحسن وابن جريج ونمنعكم من المؤمنين اي ندفع صولة المؤمنين بتخذيلنا
اياهم عنكم وكوننا عيوناً لكم حتى انصرفوا عنكم وغلبتموهم فالله يحكم بينكم يوم القيامة هذا الخطاب منه سبحانه عن نفسه بانه
الذي يحكم بين الخلائق يوم القيامة ويفصل بينهم بالحق ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً قيل فيه اقوال
احدها ان المراد لن يجعل الله لليهود على المؤمنين نصراً ولا ظهوراً عن ابن عباس وقيل لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً
بالحجة وان جاز ان يغلبوهم بالقوة لكن المؤمنين منصورون بالدلالة والحجة عن السدي والزجاج والبلخي قال الجبائي ولو حمل
على الغلبة لكان ذلك صحيحاً لان غلبة الكفار للمؤمنين ليس مما فعله الله تعالى فانه لا يفعل القبيح وليس كذلك غلبة المؤمنين للكافر
فانه يجوز ان ينسب اليه سبحانه وقيل لن يجعل لهم في الآخرة عليهم سبيلاً لانه مذكور عقيب قوله فالله يحكم بينكم يوم القيامة
بين الله سبحانه انه ان ثبت لهم سبيل على المؤمنين في الدنيا بالقهر والقتل والنهب والاسر وغير ذلك من وجوه الغلبة
فلن يجعل الله لهم يوم القيامة عليهم سبيلاً بحال قوله تعالى ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلوة
قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلاً مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ومن يضلل الله
فلن تجد له سبيلاً القراءة في الشواذ قراءة عبد الله بن ابي اسحق يرؤن مثل يرعون والقراءة المشهورة يراؤن مثل يراعون وقراءة ابن
عباس مذبذبين بكسر الذال الثانية الحجة قال ابن جني يراؤن يفعلون من رأيت ومعناه يبصرون الناس ويحملونهم على ان يروهم
يفعلون ما يتعاطونه واقوى من يرؤن بالمد على فاعلون لان معناه يتعرضون لان يروهم يراؤن معناه يحملونهم على
الرئاء وهو قال الشاعر ترى او تأت عند معقد غرزها تهالك من اجلاد هرهامة وقد يبدو ... من مثل اهم الملك

سيرة شعر للبريد المذبذب اي المضطرب القلق الذي لا يثبت في مكان فكذلك هؤلاء اللغة يقال ذبذبته فتذبذب اي حركته فتحرك
او هو كتحرك شيء معلق قال النابغة الم تران الله اعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب الاعراب كسالى منصوب على الحال من الواو
في قاموا ومذبذبين نصب على الحال من المنافقين المعنى ثم بين سبحانه احوالهم القبيحة فقال ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم
قد ذكرنا معناه في اول البقرة وعلى الجملة خداع المنافقين اظهارهم الايمان الذي حقنوا به دماءهم واموالهم وقيل معناه يخادعون نبي الله كما يخادعون الله
صلى الله عليه وآله كما قال ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله فجعل مبايعة النبي مبايعة الله للاختصاص لان ذلك بامره عن الحسن والزجاج ومعنى خداع الله اياهم
اي مجازيهم على خداعهم كما قلنا في قوله الله يستهزئ بهم وقيل هو حكمه بحقن دمائهم مع علمه بباطنهم وقيل هو ان يعطيهم الله نوراً يوم القيامة
يمشون به مع المسلمين ثم يسلبهم ذلك النور ويضرب بينهم بسور عن الحسن والسدي وجماعة من المفسرين واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى
اي متثاقلين يراؤن الناس يعني انهم لا يعملون شيئاً من اعمال العبادات على وجه القربة الى الله وانما يفعلون ذلك ابقاء على انفسهم وحذراً من
القتل وسلب الاموال واذا رآهم المسلمون صلوا ليروهم انهم يدينون بدينهم وان لم يرهم احد لم يصلوا به قال قتادة وابن زيد وروى العياشي
باسناده عن مسعدة بن زياد عن ابي عبد الله عن ابيه عليهما السلام ان رسول الله صلى الله عليه وآله سئل فيما النجاة غداً قال انما النجاة
ان لا تخادعوا الله فيخدعكم فانه من يخادع الله يخدعه ونفسه يخدع لو يشعر فقال له وكيف يخادع الله قال يعمل بما امر الله ثم يريد به غيره
فاتقوا الرياء فانه شرك بالله ان المرائي يدعى يوم القيامة باربعة اسماء يا كافر يا فاجر يا غادر يا خاسر حبط عملك وبطل اجرك فلا خلاق لك
اليوم فالتمس اجرك ممن كنت تعمل له صدق الله وقوله ولا يذكرون الله الا قليلاً اي ذكراً قليلاً ومعناه لا يذكرون الله عن نية واخلاص
ولو ذكروه مخلصين لكان كثيراً وانما وصف بالقلة لانه لغير الله عن الحسن وابن عباس وقيل لا يذكرون الا ذكراً يسيراً نحو التكبير والاذكار التي
يجهر بها ويتركون التسبيح وما يخافت به من القراءة وغيرها عن ابي علي الجبائي وقيل انما وصف الذكر بالقلة لانه سبحانه لم يقبله وكل ما رده الله
فهو قليل مذبذبين بين ذلك اي مرددين بين الكفر والايمان يريد انه يخليهم وان كان الفعل لهم على الحقيقة وقيل معنى مذبذبين مطردين
من هؤلاء ومن هؤلاء من الذب الذي هو الطرد ووصفهم سبحانه بالحيرة في دينهم وانهم لا يرجعون الى صحة نية لا مع المؤمنين على بصيرة ولا
مع الكافرين على جهالة وقال رسول الله صلى الله عليه وآله مثلهم مثل الشاة العائرة بين الغنمين تتحير فتنظر الى هذه والى هذه
لا يدري ايهما تتبع لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء اي لا مع هؤلاء في الحقيقة ولا مع هؤلاء يظهرون الايمان كما يظهره المؤمنون ويضمرون
الكفر كما يضمره المشركون فلم يكونوا مع احد الفريقين في الحقيقة فان المؤمنين يضمرون الايمان كما يظهرونه والمشركون يظهرون الكفر
كما يضمرونه ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلاً اي طريقاً ومذهباً وقد مضى ذكر معنى الاضلال مشروحاً في سورة البقرة عند قوله تعالى
وما يضل به الا الفاسقين فلا معنى لاعادته قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين
اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطاناً مبيناً ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً الا
الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله فاولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين اجراً عظيماً ثلث
ايات القراءة قرأ اهل الكوفة الا ابا بكر الدرك بسكون الراء والباقون الدرك بفتحها الحجة هما لغتان كالنهر والنهر والقص والقصص والشمع والشمع
القصص اللغة السلطان الحجة قال الزجاج وهو يذكر ويؤنث قالوا قضت عليك السلطان وامرك به السلطان والتذكير في القرآن اكثر
وقيل للامير سلطان ومعناه ذو الحجة واصل الدرك الحبل الذي يوصل به الرشاء ويعلق به الدلو ثم لما كان في النار سفال من جهة الصورة و
المعنى قيل له درك ودرك وجمع الدرك ادراك ودروك وجمع الدرك ادراك المعنى ثم نهى سبحانه عن موالاة المنافقين فقال
يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء اي انصاراً من دون المؤمنين فتكونوا مثلهم اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطاناً
مبيناً اي حجة ظاهرة وهو استفهام يراد به التقرير وفيه دلالة على ان الله تعالى لا يعاقب احداً الا بعد قيام الحجة عليه والاستحقاق
وانه لا يعاقب الاطفال بذنوب الآباء وانه كان لا حجة له سبحانه على الخلق لولا معاصيهم قال الحسن معناه اتريدون ان تجعلوا لله
عليكم سبيلاً الى عذابكم بكفركم وتكذيبكم ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار اي في الطبق الاسفل من النار فان للنار طبقات
ودركات كما ان للجنة درجات فيكون المنافق في اسفل طبقة منها لقبح فعله عن ابن كثير وابي عبيدة وجماعة وقيل ان المنافقين في توابيت

من حديد مغلقة عليهم في النار عن عبد الله بن مسعود وابن عباس وقيل ان الادراك يجوز ان يكون منازل بعضها اسفل من بعض بالمسافة ويجوز ان يكون
ذلك اخبارا عن بلوغ الغاية في العقاب كما يقال ان السلطان بلغ فلانا الحضيض وبلغ فلانا العرش يريدون بذلك انحطاط المنزلة وعلوها لا انه
عن ابي القاسم البلخي ولن تجد لهم نصيرا او لا تجد يا محمد لهؤلاء المنافقين ناصرا ينصرهم فينقذهم من عذاب الله اذ جعلهم في اسفل طبقة من النار ثم
استثنى سبحانه فقال الا الذين تابوا من نفاقهم واصلحوا نياتهم وقيل ثبتوا على التوبة في المستقبل واعتصموا بالله اي تمسكوا بكتاب الله وصدقوا
رسله وقيل وثقوا به واخلصوا دينهم لله اي تبرؤوا من الالهة والانداد وقيل طلبوا بايمانهم رحمة الله ورضاه مخلصين عن الحسن فاولئك مع المؤمنين
اي فانهم اذا فعلوا ذلك يكونون مع المؤمنين في الجنة ومحل الكرامة وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما سوف كلمة ترجية ووعد واطماع وهي من
سبحانه ايجاب لانه سبحانه اكرم الاكرمين ووعد الكريم انجاز ولم يشترط على غير المنافقين في التوبة من الاصلاح والاعتصام ما شرط عليهم ثم
شرط عليهم بعد ذلك الاخلاص لان النفاق ذنب القلب والاخلاص توبة القلب ثم قال فاولئك مع المؤمنين ولم يقل فاولئك المؤمنون اي
المؤمنين غيظا عليهم ثم اتى بلفظ سوف في اجر المؤمنين لانضمام المنافقين اليهم هنا انا اعني جميع المؤمنين من تقدم منا الكفر او لم يتقدم ويحتمل
ان يكون المراد به زيادة الثواب لمن لم يسبق منه كفر ولا نفاق قوله تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم وكان الله شاكرا عليما . اية
المعنى خاطب الله سبحانه بهذه الاية المنافقين الذين امنوا واصلحوا اعمالهم فقال ما يفعل الله بعذابكم اي ما يصنع بعذابكم والمعنى لا حاجة
لله الى عذابكم وجعلكم في الدرك الاسفل من النار لانه لا يجتلب بعذابكم نفعا ولا يدفع به عن نفسه ضررا انما يستحيل ان علينا في شكركم
اي اديتم الحق الواجب لله عليكم وشكرتموه على نعمه وامنتم به وبرسوله واقررتم بما جاء به من عنده وكان الله شاكرا عليما يعني لم يزل الله سبحانه
مجازيا لكم على الشكر فسمي الجزاء باسم المجزي عليه عليما بما يستحقونه من الثواب على الطاعات فلا يضيع عنده شيء منها عن قتادة وغيره وقيل معناه
انه يشكر القليل من اعمالكم ويعلم ما ظهر منها وما بطن من افعالكم واقوالكم ويجازيكم عليها وقال الحسن معناه انه يشكر خلقه على طاعتهم مع غناه
عنهم ويعلم افعالهم باعمالهم قوله تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وكان الله سميعا عليما ان تبدوا خيرا او تخفوه
او تعفوا عن سوء فان الله كان عفوا قديرا . ايتان القراءة القراءة على ضم الظاء من ظلم وروي عن ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك
وعطاء بن السائب وغيرهم الا من ظلم بفتح الظاء واللام الاعراب من الذين جنى ظلم وظلم على الاستثناء المنقطع اي لكن من ظلم فان الله لا يخفى عليه ما صنع به
ودل عليه قوله وكان الله سميعا عليما وموضع من نصب في الوجهين جميعا قال الزجاج فيكون المعنى لكن المظلوم يجهر بظلامته تشكيا ولكن الظالم
يجهر بذلك ظلما قال ويجوز ان يكون موضع من رفعا على معنى لا يحب الله ان يجهر بالسوء من القول الا من ظلم فيكون من بدلا من معنى احد والمعنى لا يحب
الله ان يجهر احد بالسوء من القول الا المظلوم قال وفيها وجه اخر لا اعلم احدا من النحويين ذكره وهو ان يكون على معنى لكن الظالم اجهروا له بالسوء من
القول المعنى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول قيل في معناه اقوال احدها لا يحب الله الشتم في الانتصار الا من ظلم فلا باس له ان ينتصر ممن ظلمه
مما يجوز الانتصار به في الدين عن الحسن والسدي وهو المروي عن ابي جعفر والسدي ونظيره ولمن انتصر بعد ظلمه قال الحسن ولا يجوز للرجل اذا قيل
له يا زاني ان يقابل له بمثل ذلك من انواع الشتم وثانيها ان معناه لا يحب الله الجهر بالدعاء على احد الا ان يظلم انسان فيدعو على من ظلمه فلا يكره له
عن ابن عباس وقريب منه قول قتادة يكره رفع الصوت بما يسوء الغير الا المظلوم يدعو على من ظلمه وثالثها ان المراد لا يحب ان يذم احد احدا او
يشكوه او يذكره بالسوء الا ان يظلم فيجوز له ان يشكو ظالمه ويظهر امره ويذكره بسوء ما قد صنعه ليحذره الناس عن مجاهد وروي عن ابي عبد الله عليه السلام
ان الضيف ينزل بالرجل فلا يحسن ضيافته فلا جناح عليه في ان يذكره بسوء ما فعله وكان الله سميعا عليما يعني سميعا لما يجهر به من سوء القول
عليما بصدق الصادق وكذب الكاذب فيجازي كلا بعمله وفي هذه الاية دلالة على ان الرجل اذا هتك ستره واظهر فسقه جاز اظهار ما فيه من
وقد جاء في الحديث قولوا في الفاسق ما فيه يعرفه الناس ولا غيبة لفاسق وفيها ترغيب في مكارم الاخلاق ونهي عن كشف عيوب الخلق واخبار
بتنزيه ذاته عن ارادة القبائح فان المحبة اذا تعلقت بالفعل فمعناها الارادة ثم خاطب جميع المكلفين فقال ان تبدوا اي تظهروا
خيرا اي حسنا جميلا من القول عن حسن اليكم شكرا له على انعامه عليكم او تخفوه اي تتركوا اظهاره وقيل معناه ان تفعلوا خيرا او تعزموا
عليه وقيل يريد بالخير المال الذي تظهرونه صدقة او تخفونها او تعفوا عن سوء معناه او تصفحوا عمن اساء اليكم مع القدرة على الانتقام منه
فلا تجهروا له بالسوء من القول الذي اذن لكم في ان تجهروا به فان الله كان عفوا اي صفوحا عن خلقه يصفح لهم عن معاصيهم قديرا

اي قادرا

اي قادرا على الانتقام منهم وهذا حث منه سبحانه لخلقه على العفو عن المسيء مع القدرة على الانتقام والمكافات فانه سبحانه مع كمال قدرته
يعفو عنهم ذنوبا اكثر من ذنب من يسيء اليهم وقد تضمنت الاية التي قبلها اباحة الانتصار من الظالم بشرط ان يقف فيه على حد الظلم وحكم
الشرع النظم الوجه في اتصال هذه الاية بما قبلها انه لما سبق ذكر اهل النفاق وهو الاظهار خلاف الابطان بين سبحانه انه ليس كل ما
يقع في النفس يجوز اظهاره فانه ربما يكون ظنا فاذا تحقق ذلك جاز اظهاره عن علي بن عيسى قوله تعالى ان الذين يكفرون بالله ورسله و
يريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون
حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين امنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم اولئك سوف يؤتيهم اجورهم وكان الله غفورا
رحيما . ثلث ايات القراءة قرا حفص يؤتيهم بالياء والباقون بالنون الحجة حجة حفص قوله سوف يؤت الله المؤمنين وحجة
من قرا نؤتيهم قوله واتيناه اجره اولئك سنؤتيهم اجرا المعنى لما تقدم سبحانه ذكر المنافقين عقبه بذكر اهل الكتاب والمؤمنين
فقال ان الذين يكفرون بالله ورسله من اليهود والنصارى ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسوله ويقولون نؤمن ببعض
ونكفر ببعض اي يقولون نصدق بهذا ونكذب بذاك كما فعلت اليهود صدقوا بموسى ومن تقدمه من الانبياء وكذبوا بعيسى عليه السلام
وبمحمد صلى الله عليه واله وكما فعلت النصارى صدقوا بعيسى ومن تقدمه من الانبياء عليهم السلام وكذبوا بمحمد صلى الله عليه واله
ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اي طريقا الى الضلالة التي احدثوها والبدعة التي ابتدعوها يدعون جهال الناس اليه اولئك هم
الكافرون حقا اي هؤلاء الذين اخبرنا عنهم بانهم يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض هم الكافرون حقيقة فاستيقنوا ذلك ولا ترتابوا
بدعواهم انهم يقرون بما زعموا انهم مقرون به من الكتب والرسل فانهم لو كانوا صادقين في ذلك لصدقوا جميع رسل الله وانما
قال سبحانه هم الكافرون حقا على وجه التاكيد لئلا يتوهم متوهم ان قولهم نؤمن ببعض يخرجهم من حيز الكفار ويلحقهم بالمؤمنين
واعتدنا اي هيانا للكافرين عذابا مهينا يهينهم ويذلهم والذين امنوا بالله ورسله اي صدقوا الله ووحدوه واقروا
بنبوة رسله ولم يفرقوا بين احد منهم بل امنوا بجميعهم اولئك سوف نؤتيهم اي نعطيهم اجورهم سمى الله سبحانه الثواب اجرا دلالة على انه
مستحق اي نعطيهم ثوابهم الذي استحقوه على ايمانهم بالله ورسله وكان الله غفورا رحيما اي لم يزل كان غفورا لمن هذه صفته ما تقدم
من المعاصي والاثام رحيما متفضلا عليهم بانواع الانعام هاديا لهم الى دار السلام قوله تعالى يسالك اهل الكتاب ان تنزل
عليهم كتابا من السماء فقد سالوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما
جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك واتينا موسى سلطانا مبينا ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا
لهم لا تعدوا في السبت واخذنا منهم ميثاقا غليظا . ايتان القراءة قرا اهل المدينة لا تعدوا باسكان العين وتشديد الدال
وروى ورش عن نافع لا تعدوا بفتح العين وتشديد الدال وقرا الباقون لا تعدوا خفيفة الحجة من قرا لا تعدوا فاصله لا تعتدوا
فادغم التاء في الدال لتقاربهما ولان الدال يزيد على التاء في الجهر والاطباق وكثير من النحويين ينكرون الجمع بين الساكنين اذا كان الثاني
منهما مدغما ولم يكن الاول حرف لين نحو دابة وتمود الثوب ويقولون ان المد يصير عوضا عن الحركة وقد قالوا ثوب بكر وجيب بكر
فادغموا المد الذي فيهما اقل من المد الذي يكون فيهما اذا كان حركة ما قبلهما منهما فاذا جاز ذلك مع نقصان المد الذي فيه لم يمتنع
ان يجمع بين ساكنين في نحو تعدوا وقد روي ذلك وجاز عن عاصم ودويبة ومديق ومن قرا لا تعدوا فان الاصل فيه لا تعتدوا فيكون
التاء ليدغمها في الدال ونقل حركتها الى العين الساكنة قبلها فصار لا تعدوا ومن قرا لا تعدوا فهو لا تفعلوا مثل قوله تعالى اذ يعدون
في السبت وحجة الاولين قوله لا تعتدوا منكم في السبت اللغة قال ابو زيد تقول عدا علي اللص اشد العدو والعدوان والعداء و
العدو وانما سرقك وعدا الرجل يعدو عدوا في الحضر وقد عدت عنه من ذلك اشد العدو تعدو وعدا يعدو عدا اذا جاوز يقال ما
عدوت ان زرتك اي ما جاوزت ذلك الاعراب قوله جهرة يجوز ان يكون صفة لقولهم اي قالوا جهرة اي مجاهرة ارنا الله ويجوز
ان يكون على ارنا الله وفيه تظاهرة النزول روي ان كعب بن الاشرف وجماعة من اليهود قالوا يا محمد ان كنت نبيا فاتنا بكتاب من
السماء جملة كما اتى موسى بالتورية جملة فنزلت الاية عن السدي المعنى لما انكر سبحانه على اليهود التفريق بين الرسل في الايمان عقبه بالكلام

٢٥٨

عليهم واختلف في معناه على اقوال ... فانهم في طلبهم لها لا مع ظهور الايات والمعجزات فقال يسألك يا محمد اهل الكتاب يعني اليهود
ان تنزل عليهم كتابا من السماء واختلف في معناه على اقوال احدها انهم سالوا ان ينزله عليهم كتابا مكتوبا من عند الله في الالواح
عن محمد بن كعب والسدي وثانيها انهم سالوا ان ينزل على رجال منهم باعيانهم مكتوبا كما كانت التورية من السماء كتابا يامرهم باتباعه
بتصديقه واتباعه عن ابن جريج واختاره الطبري وثالثها انهم سالوا ان ينزل عليهم كتابا خاصا لهم عن قتادة قال الحسن انما سالوا ذلك
للتعنت والتحكم في طلب المعجزات لا لظهور الحق ولو سالوا ذلك استرشادا لا عنادا لاعطاهم الله ذلك فقد سالوا موسى اكبر من ذلك اي لا يعظمن
عليك ذلك يا محمد ما سالوه من انزال الكتاب عليهم من السماء فانهم سالوا موسى يعني اليهود اعظم من ذلك بعد ما اتاهم بالايات الظاهرة و
المعجزات القاهرة التي يكفي الواحد منها في معرفة صدقه وصحة نبوته فلم يقنعهم ذلك فقالوا ارنا الله جهرة اي معاينة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم
انفسهم في هذا القول وقد ذكرنا قصة هؤلاء مع موسى اكثر ما في الاية في سورة البقرة عند قوله تعالى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة الاية قوله
واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور الاية ثم اتخذوا العجل اي عبدوه واتخذوه الها من بعد ما جاءتهم البينات اي الحجج الباهرة وقد دل
سبحانه على جهل القوم وعنادهم ضعفوا عن ذلك لعظم جرمهم وجنايتهم وقد اخبر سبحانه عن سعة رحمته ومغفرته وتمام نعمته لا
جرمة تضيق عنها رحمته ولا جناية يقصر عنها مغفرته واتينا موسى اي اعطيناه سلطانا مبينا اي حجة بينة ظاهرة تبين عن صدقه وصحة
نبوته ورفعنا فوقهم الطور اي الجبل لما امتنعوا من العمل بما في التورية وقبول ما جاءهم به موسى بميثاقهم اي بما اعطوا الله عهدا من انهم
ليعملن بما في التورية وقيل معناه رفعنا الجبل فوقهم بنقض ميثاقهم الذي اخذ عليهم بان يعملوا بما في التورية وانما نقضوا بعبادة العجل
وغيرها عن ابي علي الجبائي وقال ابو مسلم انما نتق الله الجبل فوقهم اظلالا لهم من الشمس بميثاقهم اي بعهدهم جزاء لهم على ذلك وبهذا الفعل
على اقوال المفسرين وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا يعني باب حطة وقد مر بيانه هناك وقلنا لهم لا تعدوا في السبت
اي لا تجاوزوا في يوم السبت ما اباح الله لكم الى ما حرم الله تعالى عليكم عن قتادة قال حرم الله ان لا تاكلوا الحيتان يوم السبت
واحل لهم ما عداه واخذنا منهم ميثاقا غليظا اي عهدا وثيقا وكيدا بان يمتثلوا باوامره وينتهوا عن مناهيه وزواجره قوله تعالى فبما نقضهم
ميثاقهم وكفرهم بايات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا وبكفرهم
وقولهم على مريم بهتانا عظيما وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين
اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما اربع ايات
اللغة البهتان الكذب الذي يتحير من شدته وعظمته وقد مر معنى المسيح في سورة ال عمران يقال قتلت الشيء خبرا وعلما اي علمته علما
تاما وذلك لان القتل هو التذليل ويكون كالدرس يعني التذليل ومنه الوسم للدارس لذلك فقولك درست العلم معناه ذللته وقيل
في المثل قتل ارضا عالمها وقتلت ارض جاهلها وقال الاصمعي معناه ضبط الامر بعلمه والقول الاول المعنى ان العالم بها يغلبها والجاهل
مغلوب مقهور كما ان الجاهل بالطريق لا يهتدي فيتردد الاعراب ما في قوله فبما نقضهم لغو اي فبنقضهم ومعناه التوكيد اي فبنقضهم ميثاقهم حقا
والجار في الباء في بنقضهم والعامل فيه قيل انه محذوف اي لعناهم وقيل العامل فيه قوله حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقوله فبظلم من الذين
هادوا بدل من قوله فبنقضهم ميثاقهم عن الزجاج وعلى هذا فقوله بل طبع الله عليها بكفرهم في الاية اعتراض وكذلك قوله وما قتلوه وما صلبوه
الى قوله شهيدا وقوله عيسى بن مريم عطف بيان ركب مع ابن وجعلا كاسم واحد لو وقع الابن بين علمين مع كونه صفة والصفة ربما ركبت مع الموصوف
فجعلا كاسم واحد نحو لا رجل ظريف في الدار ورسول الله صفة المسيح او بدل منه واتباع الظن منصوب على الاستثناء وهو استثناء منقطع و
ليس من الاول لان المعنى ما لهم به من علم ولكنهم يتبعون الظن المعنى ثم ذكر سبحانه افعالهم القبيحة ومجازاته اياهم بها فقال فبما نقضهم اي
فبنقض هؤلاء الذين تقدم ذكرهم ووصفهم ميثاقهم اي عهودهم التي عاهدوا الله عليها ان يعملوا بما في التورية وكفرهم بايات الله اي جحودهم
باعلام الله وحججه وادلته التي احتج بها عليهم في صدق انبيائه ورسله وقتلهم الانبياء بعد قيام الحجة عليهم بصدقهم بغير حق اي بغير
استحقاق منهم لذلك بكبيرة اتوها او خطيئة استوجبوا بها القتل وقد قدمنا القول في امثال هذا وانما يذكر على سبيل التوكيد
فان قتل الانبياء لا يكون الا بغير حق فهو مثل قوله ومن يدع مع الله الها اخر لا برهان له به والمعنى ان ذلك لا يكون الا وهو علينا

وقولهم قلوبنا غلف معنى تفسيره في سورة البقرة بل طبع الله عليها بكفرهم قد شرحنا معنى الختم عند قوله ختم الله على قلوبهم فلا يؤمنون
الا قليلا اي لا يصدقون الا قليلا لا تصديقا وانما وصفه بالقلة لانهم لم يصدقوا بجميع ما كان يجب عليهم التصديق به ويجوز ان يكون الا قليلا
من الذين نفى عنهم الايمان فيكون المعنى الا جمعا قليلا فكانه سبحانه علم انه يؤمن من جملتهم جماعة قليلة فيما بعد فاستثناهم من جملة من اخبر
عنهم انهم لا يؤمنون وبه قال جماعة من المفسرين قتادة وغيره وذكر بعضهم ان الباء في قوله بما نقضهم متصل بما قبله والمعنى فاخذتهم الصاعقة
بظلمهم وبما نقضهم وكفرهم وكذا وكذا فيتبع الكلام بعضه بعضا وقال الطبري ان معناه ما قبله منفصل يعني فبهذه الاشياء لعناهم
وغضبنا عليهم فترك ذكر ذلك لدلالة قوله بل طبع الله عليها بكفرهم على معنى ذلك لان من طبع على قلبه فقد لعن وسخط عليه قال وانما
قلنا ذلك لان الذين اخذتهم الصاعقة كانوا على عهد موسى والذين قتلوا الانبياء والذين رموا مريم بالبهتان العظيم وقالوا قتلنا عيسى
كانوا بعد موسى بزمان طويل ومعلوم ان الذين اخذتهم الصاعقة لم يكن ذلك عقوبة على رميهم مريم بالبهتان ولا على قولهم انا قتلنا المسيح عيسى
فبان بذلك ان الذين قالوا هذه المقالة غير الذين اخذتهم الصاعقة وهذا الكلام انما يصح على من قال انه يتصل بما قبله ولا يتجه على
قول الزجاج وهو لا هوى لانه اذا امكن اجراء الكلام على ظاهره من غير تقدير حذف فالاولى ان يجرى عليه وقوله بكفرهم اي بجحود هؤلاء
هؤلاء لعيسى وقولهم على مريم بهتانا عظيما اي اعظم كذبا واشنعه وهو رميهم اياها بالفاحشة عن ابن عباس والسدي وقال الكلبي مر عيسى
برهط فقال بعضهم لبعض قد جاءكم الساحر ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة فقذفوه بامه فسمع ذلك عيسى فقال اللهم انت ربي خلقتني
ولم اتهم من تلقاء نفسي اللهم العن من سبني وسب والدتي فاستجاب الله دعوته فمسخهم خنازير وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله
يعني وقول اليهود انا قتلنا عيسى بن مريم رسول الله حكاه الله سبحانه عنهم اي رسول الله في زعمه وقيل انه من قول الله لا على وجه الحكاية عنهم
وتقديره الذي هو رسولي وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ولكن اختلفوا في كيفية التشبيه فروي عن ابن عباس انه قال لما
ان الذين سبوا عيسى وامه بدعائه بلغ ذلك يهودا وهو راس اليهود فخاف ان يدعو عليه فجمع اليهود فاتفقوا على قتله فبعث الله تعالى
جبرئيل يمنعه منهم ويعينه عليهم وذلك معنى قوله وايدناه بروح القدس فاجتمع اليهود حول عيسى فجعلوا يسالونه فيقول لهم يا معشر اليهود
ان الله يبغضكم فثاروا اليه ان يقتلوه فادخله جبرئيل خوخة البيت الداخل لها روزنة في سقفها فرفعه جبرئيل الى السماء وبعث
يهودا راس اليهود رجلا من اصحابه اسمه ططيانوس ليدخل عليه الخوخة فيقتله فدخل فلم يره فابطأ عليهم فظنوا انه يقاتله في الخوخة
فالقى الله تعالى شبه عيسى عليه فلما خرج على اصحابه قتلوه وصلبوه وقيل القي عليه شبه وجه عيسى ولم يلق عليه شبه جسده فقال بعض القوم
ان الوجه وجه عيسى والجسد جسد ططيانوس فاشتبه الامر عليهم وقال وهب بن منبه اتى عيسى ومعه سبعة عشر من الحواريين في بيت
فاحاطوا بهم فلما دخلوا عليهم صيرهم الله كلهم على صورة عيسى فقالوا لهم سحرتمونا لتبرزن لنا عيسى او لنقتلنكم جميعا فقال عيسى لاصحابه
من يشتري نفسه منكم اليوم بالجنة فقال رجل منهم اسمه رجل فخرج اليهم فقال انا عيسى فاخذوه وقتلوه وصلبوه ورفع الله عيسى من يومه ذلك
وبه قال قتادة والسدي ومجاهد وابن اسحق وان اختلفوا في عدد الحواريين ولم يذكر احد غير وهب ان شبهه القي على جميعهم بل قالوا القي
شبهه على واحد ورفع عيسى من بينهم قال الطبري وقول وهب اقوى لانه لو القي على واحد منهم الشبه مع قول عيسى ايكم يلقى عليه شبهي فله
الجنة ثم راوا عيسى رفع من بينهم لما اشتبه عليهم ولما اختلفوا فيه وان جاز ان يشتبه على اعدائهم من اليهود الذين لم يعرفوه لكن القي شبهه
على جميعهم فكانوا يرون كل واحد منهم بصورة عيسى فلما قتل احدهم اشتبه الحال عليهم وقال ابو علي الجبائي ان رؤساء اليهود اخذوا
انسانا فقتلوه وصلبوه على موضع عال ولم يمكنوا احدا من الدنو منه فتغيرت خلقته وقالوا قد قتلنا عيسى ليوهموا بذلك على عوامهم
لانهم كانوا احاطوا بالبيت الذي فيه عيسى فلما دخلوه كان عيسى قد رفع من بينهم فخافوا ان يكون ذلك سببا لايمان اليهود به ففعلوا ذلك
وان الذين اختلفوا فيه هم غير الذين صلبوا من صلبوه وانما هم باقي اليهود وقيل ان الذين دلهم عليه وقال هذا احد الحواريين
اخذ على ذلك ثلثين درهما وكان منافقا ثم انه ندم على ذلك واختنق حتى قتل نفسه وكان اسمه بودس ذكريا بوطا وهو ملعون في
النصارى وبعض النصارى يقول ان بودس ذكريا بوطا هو الذي شبه لهم فصلبوه وهو يقول لست بصاحبكم انا الذي دللتكم
عليه وقيل انهم حبسوا المسيح مع عشرة من اصحابه في بيت فدخل عليهم رجل من اليهود فالقى الله عليه شبه عيسى ورفع عيسى فقتل الرجل من اليهود

وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه قيل انه يعني بذلك عامتهم لان علماءهم علموا انه غير مقتول عن الجبائي وقيل اراد بذلك جماعتهم اختلفوا فقال
بعضهم قتلناه وقال بعضهم لم نقتله ما لهم به من علم الا اتباع الظن اي لم يكن لهم بمن قتلوه علم لكن اتبعوا ظنهم فقتلوه ظنا منهم انه عيسى
ولم يكن به وانما شكوا في ذلك لانهم عرفوا عدتهم في البيت فلما دخلوا عليهم وفقدوا واحدا منهم التبس عليهم امر عيسى وقتلوا من قتلوه
على شك منهم في امر عيسى هذا على قول من قال لم يتفرق اصحابه حتى دخل عليهم اليهود واما من قال تفرق اصحابه عنه فانه يقول كان اختلافهم في ان عيسى
هل كان فيمن بقي او كان فيمن خرج اشتبه الامر عليهم وقال الحسن معناه اختلفوا في عيسى فقالوا مرة هو عبد الله ومرة هو ابن الله ومرة هو الله
وقال الزجاج معنى اختلاف النصارى فيه ان منهم من ادعى انه اله لا يقتل ومنهم من قال قتل وما قتلوه يقينا اختلف في الهاء في قتلوه فقيل
انه يعود الى الظن اي ما قتلوا ظنهم يقينا كما يقال قتلته علما عن ابن عباس وجويبر وما معناه ما قتلوا ظنهم الذي اتبعوه في المقتول الذي
وهم يحسبونه عيسى يقينا اي حقا فهو من باب تأكيد الخبر عن الحسن اراد الله تعالى نفي عن عيسى القتل على وجه التحقيق واليقين بل رفعه الله اليه يعني بل
رفع الله عيسى اليه ولم يصلبوه ولم يقتلوه وقد مر تفسيره في سورة آل عمران عند قوله اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي وكان الله
عزيزا حكيما لم يزل الله سبحانه منتقما من اعدائه حكيما في افعاله وتقديراته فاحذروا ايها السائلون محمدا ان ينزل عليكم كتابا من
السماء حلول عقوبته بكم كما حل باوائلكم في تكذيبهم رسله عن ابن عباس وما مر في تفسير هذه الآية من ان الله سبحانه القى شبه عيسى على غيره فان
ذلك من مقدور الله سبحانه بلا خلاف بين المسلمين فيه ويجوز ان يفعله سبحانه على وجه التغليظ في المحنة والتشديد في التكليف وان كان ذلك
خارقا للعادة فانه يكون معجزا للمسيح كما روي ان جبرئيل كان يأتي نبيا على صورة دحية الكلبي ومما يسأل عن هذه الآية ان يقال قد تواترت
اليهود والنصارى مع كثرتهم واجمعت على ان المسيح قتل وصلب فكيف يجوز عليهم ان يخبروا عن الشيء بخلاف ما هو به ولو جاز ذلك فكيف
يوثق بشيء من الاخبار والجواب ان هؤلاء دخلت عليهم الشبهة كما اخبر سبحانه عنهم بذلك ولكن اليهود يعرفون عيسى بعينه وانما اخبروا
انهم قتلوا رجلا قيل لهم انه عيسى فهم في خبرهم صادقون وان لم يكن المقتول عيسى وانما اشتبه الامر على النصارى لان شبه المسيح القي
على غيره فرأوا من هو على صورته مقتولا مصلوبا فلم يخبر احد من الفريقين الا عما رآه فظن ان الامر على ما اخبر به فلا يؤدي ذلك الى بطلان
الاخبار بحال. قوله تعالى وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا آية الاعراب ان في قوله
وان من اهل الكتاب نافية وهو اكثر ما تأتي مع الا وقد تأتي مع غير الا نحو قوله ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه اي في الذي ما مكناكم
فيه قال الزجاج المعنى وما منهم احد الا ليؤمنن به وكذلك قوله وان منكم الا واردها معناه وما منكم احد الا واردها وكذلك وما منا
الا له مقام معلوم اي وما منا احد الا له مقام ومثله قول الشاعر لو قلت ما في قومها لم تيثم يفضلها في حسب وميسم اي ما في قومها
احد يفضلها وذهب الكوفيون الى ان المعنى وما من اهل الكتاب الا من ليؤمنن به وما منكم الا من هو واردها وما منا الا من له مقام
واهل البصرة لا يجيزون حذف الموصول وتبقية الصلة المعنى ثم اخبر سبحانه انه لا يبقى احد منهم الا يؤمن فقال وان من اهل
الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته اختلف فيه على اقوال احدها ان كلا الضميرين يعود الى المسيح اي ليس يبقى احد من اهل الكتاب من اليهود
والنصارى الا ويؤمن بالمسيح قبل موت المسيح اذا انزله الله الى الارض وقت خروج المهدي في آخر الزمان لقتل الدجال فتصير الملل كلها ملة واحدة
وهي ملة الاسلام الحنيفية دين ابراهيم عن ابن عباس وابي مالك والحسن وقتادة وابن زيد وذلك حين لا ينفعهم الايمان واختاره الطبري
قالوا الآية خاصة لمن يكون منهم في ذلك الزمان وذكر علي بن ابراهيم في تفسيره ان اباه حدثه عن سليمان بن داود المنقري عن ابي حمزة
الثمالي عن شهر بن حوشب قال قال لي الحجاج بن يوسف آية من كتاب الله قد اعيتني قوله وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به الآية والله اني لآمر
باليهودي والنصراني فيضرب عنقه ثم ارمقه بعيني فما اراه يحرك شفتيه حتى يخمد فقلت اصلح الله الامير ليس على ما اولت قال كيف هو
قلت ان عيسى بن مريم ينزل قبل يوم القيمة الى الدنيا ولا يبقى اهل ملة يهودي ولا نصراني الا آمن به قبل موت عيسى ويصلي خلف المهدي
قال ويحك انى لك هذا ومن اين جئت به قلت حدثني محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام فقال جئت والله بها من عين صافية
فقال لشهر ما اردت بذلك قال اردت ان اغيظه وذكره ابو القاسم البلخي مثل ذلك وضعف الزجاج هذا الوجه قال ان الذين
يبقون الى زمن عيسى من اهل الكتاب قليل والآية تقتضي عموم ايمان اهل الكتاب الا ان يحمل على ان جميعهم يقولون ان عيسى الذي ينزل

في آخر الزمان نحن نؤمن به وثانيها ان الضمير في به يعود الى المسيح والضمير في موته يعود الى الكتابي ومعناه لا يكون احد من اهل الكتاب يخرج
من دار الدنيا الا ويؤمن بعيسى قبل موته اذا زال التكليف وتحقق الموت ولكن لا ينفعه الايمان حينئذ وانما ذكر اليهود والنصارى لان جميعهم
مبطلون اليهود بالكفر به والنصارى بالغلو في امره وذهب اليه ابن عباس في رواية اخرى ومجاهد والضحاك وابن سيرين وجويبر قالوا ولو
ضربت رقبته لم تخرج نفسه حتى يؤمن وثالثها ان يكون المعنى ليؤمنن بمحمد قبل موت الكتابي عن عكرمة ورواه ايضا اصحابنا وضعف
الطبري هذا الوجه بان قال لو كان ذلك صحيحا لما جاز اجراء احكام الكفار عليهم اذا ماتوا وهذا لا يصح لان ايمانهم بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم
انما يكون في حال زوال التكليف فلا يعتد به وانما يضعف هذا القول من حيث لم يجر ذكر نبينا هنا ولا ضرورة توجب رد الكناية اليه وقد جرى
ذكر عيسى فالاولى ان يصرف ذلك اليه ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا يعني عيسى يشهد عليهم بانه قد بلغ رسالات ربه واقر على نفسه بالعبودية
وانه لم يدعهم الى ان يتخذوه الها عن قتادة وابن جريج وقيل يشهد عليهم بتصديق من صدقه وتكذيب من كذبه عن ابي علي الجبائي وفي هذه
الآية دلالة على ان كل كافر يؤمن عند المعاينة وعلى ان ايمانه ذلك غير مقبول كما لم يقبل ايمان فرعون في حال اليأس عند زوال التكليف
ويقرب من هذا ما رواه الامامية ان المحتضرين من جميع الاديان يرون رسول الله وخلفاءه عند الوفاة ويروون في ذلك عن علي عليه السلام
انه قال للحارث الهمداني يا حار همدان من يمت يرني من مؤمن او منافق قبلا يعرفني طرفه واعرفه بعينه واسمه وما فعلا فان صحت هذه
الرواية فالمراد برؤيتهم في تلك الحال العلم بثمرة ولايتهم وعداوتهم على اليقين بعلامات يجدونها من نفوسهم ومشاهدة احوال يدركونها
كما قد روي ان الانسان اذا عاين الموت اري في تلك الحالة ما يدل على انه من اهل الجنة او من اهل النار قوله تعالى فبظلم من الذين
هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل
واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما آيتان المعنى ثم عطف سبحانه على ما تقدم بقوله فبظلم من الذين هادوا اي من
اليهود معناه فبما ظلموا انفسهم بارتكاب المعاصي التي تقدم ذكرها وقد مضى ما تقدم عن الزجاج انه قال فبظلم من الذين هادوا
بدل من قوله فبما نقضهم ميثاقهم وما بعده والعامل في الباء قوله حرمنا عليهم طيبات ولكنه لما طال الكلام اجمل في قوله فبظلم
ما ذكره قبل واجراه مجرى على الذين نقضوا ميثاقهم واتقوا الله عليه وكفروا بآياته وقتلوا انبياءه وقالوا على مريم بهتانا عظيما
وضلوا ما وصفه الله طيبات من المأكل وغيرها احلت لهم اي كانت حلالا لهم قبل ذلك فلما فعلوا اقتضت المصلحة تحريم هذه
الاشياء عليهم عن مجاهد واكثر المفسرين وقال ابو علي الجبائي حرم الله تعالى هذه الطيبات على الظالمين منهم عقوبة لهم على ظلمهم وهو ما بين
في قوله سبحانه وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم الآية وبصدهم عن سبيل الله اي بمنعهم عباد الله عن دينه
وسبيله الذي شرعها لعباده صدا كثيرا وكان صدهم عن سبيل الله بقولهم على الله الباطل وادعائهم ان ذلك عن الله وتبديلهم
كتاب الله وتحريفهم معانيه عن وجوهه واعظم من ذلك كله جحدهم نبوة محمد وتركهم بيان ما علموا من امره لمن جهله من الناس عن مجاهد
وغيره واخذهم الربوا اي ما فضل على رؤوس اموالهم بتأخيرهم له عن محله الى اجل آخر وقد نهوا عنه اي عن الربوا واكلهم اموال الناس بالباطل
اي بغير استحقاق ولا استيجاب وهو ما كانوا يأخذونه من الرشى في الاحكام كقوله واكلهم السحت وما كانوا يأخذونه من اثمان
الكتب التي يكتبونها بايديهم ويقولون هو من عند الله وما اشبه ذلك من المآكل الخبيثة فعاقبهم الله تعالى على جميع ذلك
بتحريم ما حرم الله عليهم من الطيبات واعتدنا للكافرين منهم اي هيأنا ليوم القيمة لمن جحد الله ورسله من هؤلاء اليهود عذابا اليما
اي مؤلما موجعا واختلف في ان التحريم هل يكون على وجه العقوبة وقال جماعة من المفسرين ان ذلك كان عقوبة واذا جاز التحريم
ابتداء على جهة المصلحة جاز ايضا عند ارتكاب المعصية على جهة العقوبة وقال ابو علي الجبائي كان تحريمه عقوبة لمن تعاطى ذلك
الظلم ومصلحة في غيرهم وقال ابو هاشم ان التحريم لا يكون الا للمصلحة وانما صار التحريم مصلحة عند اقدامهم على هذا الظلم
وانما يقال حرم الله عليهم بظلمهم قال لان التحريم تكليف يستحق الثواب بفعله ويجب الصبر على ادائه فهو معدود في النعم بخلاف
العقوبات قوله تعالى لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك والمقيمين
الصلوة والمؤتون الزكوة والمؤمنون بالله واليوم الآخر اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما آية القراءة قرء حمزة وحده سيؤتيهم

٣/٦٠

بالياء والباقون بالنون الحجة ذكرنا الوجه فيهما قبل عند قوله اولئك سوف نؤتيهم اجورهم الاعراب اختلف في نصب المقيمين فذهب سيبويه
الى انه نصب على المدح على تقدير اعني المقيمين كما لو قلت مررت بزيد الكريم وانت تريد ان تعرف زيدا الكريم من زيد غير الكريم فالوجه
الجر واذا اردت المدح والثناء فان شئت نصبت فقلت مررت بزيد الكريم كأنك قلت اذكر الكريم وان شئت رفعت فقلت الكريم على هو الكريم
وقال الكسائي موضع المقيمين جر وهو معطوف على ما من قوله بما انزل اليك اي وبالمقيمين الصلوة وقال قوم انه معطوف على الهاء والميم
في قوله منهم على معنى لكن الراسخون في العلم منهم ومن المقيمين الصلوة وقال الآخرون انه معطوف على الكاف في قبلك وهذه الاقوال الاخيرة
لا تجوز عند البصريين لانه لا يعطف بالظاهر على المضمر المجرور من غير اعادة الجار وقد شرحنا هذا في مبتدأ السورة عند قوله والارحام
واما ما روي عن عروة عن عائشة قال سألتها عن قوله والمقيمين الصلوة وعن قوله والصابئون وعن قوله ان هذان فقالت يا ابن
اختي هذا عمل الكتاب اخطأوا في الكتاب وما روي عن بعضهم ان في كتاب الله اشياء ستصلحها العرب بألسنتها قالوا وفي مصحف ابن مسعود
والمقيمون الصلوة فمما لا يلتفت اليه لانه لو كان كذلك لم يكن ليعلمه الصحابة على الغلط وهم القدوة والذين اخذوه عن النبي صلى الله عليه وآله
المعنى ثم ذكر سبحانه مؤمني اهل التورية فقال لكن الراسخون في العلم وذلك ان عبد الله بن سلام واصحابه قالوا للنبي صلى الله عليه وآله
ان اليهود لتعلم ان الذي جئت به حق وانك لعندهم مكتوب في التورية فقالت اليهود ليس كما يقولون انهم لا يعلمون شيئا وانهم
يغرونك ويحدثونك بالباطل فقال الله عز اسمه لكن الراسخون البالغون في العلم المدارسون بالتورية منهم اي من اليهود يعني
ابن سلام واصحابه من علماء اليهود والمؤمنون يعني اصحاب النبي صلى الله عليه وآله من غير اهل الكتاب يؤمنون بما انزل اليك يا محمد
من القرآن والشرايع الحق وما انزل من قبلك من الكتب على الانبياء والرسل وقيل انما استثنى الله سبحانه من وصفهم من هداه للايمان
ووفقه لرشده من اليهود الذين ذكرهم فيما مضى من قوله يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم فقال لكنهم لا يسألونك ما سأل هؤلاء
الجهال من انزال الكتاب من السماء لانهم قد علموا بصدق قولك بما قرأوا من الكتب المنزلة على الانبياء ووجوب اتباعك عليهم فلا حاجة
لهم الى ان تأتيهم بمعجزة اخرى ولا دلالة غير ما علموا من امرك بالعلم الراسخ في قلوبهم من قبل والمقيمين الصلوة اذا كان نصبا
على الثناء والمدح على تقدير واذكر المقيمين الصلوة وهم المؤتون الزكوة ويكون هذا عطفا على قوله الراسخون في العلم والمؤمنون
ومعناه والذين يؤدون الصلوة بشرائطها واذا كان جرا عطفا على ما انزل اي يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالمقيمين
الصلوة فقيل ان المراد بهم الانبياء اي يؤمنون بالانبياء المقيمين الصلوة وقيل المراد بهم الملائكة واقامتهم الصلوة تسبيحهم
ربهم واستغفارهم لمن في الارض اي بالملائكة واختاره الطبري قال لانه في قراءة ابي كذلك وكذلك هو في مصحفه وقيل المراد بهم
الائمة المعصومين والمؤتون الزكوة اي والمعطون زكوة اموالهم والمؤمنون بالله بانه واحد لا شريك له واليوم الآخر والبعث
الذي فيه جزاء الاعمال اولئك اي هؤلاء الذين وصفهم الله سنؤتيهم اي سنعطيهم ثوابا وجزاء على ما كان منهم من طاعة الله واتباع
امره عظيما اي جزيلا وهو الخلود في الجنة قوله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده واوحينا الى
ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبورا ١ آية القراءة قرأ حمزة
وخلف زبورا بضم الزاي حيث وقع والباقون بفتحها الحجة زبور يجوز ان يكون جمع زبور بحذف الزيادة ومثله تخوم وتخوم وعذوب
وعذوب ولا نظير لهذه الثلاثة ويجوز ان يكون جمع زبر بمعنى المزبور كقولهم ضرب الامير ونسج اليمن اللغة الزبر احكام العمل
في البئر خاصة تقول بئر مزبورة اي مطوية بالحجارة ويقال ما لفلان زبر اي عقل وزبرة من الحديد قطعة منه وجمعه زبر وزبرت الكتاب
ازبره زبرا وزبرته ازبره زبرا كتبته المعنى ثم خاطب الله سبحانه نبيه بقوله انا اوحينا اليك يا محمد فقدمه في الذكر وان تأخرت نبوته
لتقدمه في الفضل كما اوحينا الى نوح وقدم نوحا لانه اب البشر كما قال وجعلنا ذريته هم الباقين وقيل لانه كان اطول الانبياء عمرا
وكانت معجزته في نفسه لبث في قومه الف سنة الا خمسين عاما لم يسقط له سن ولم ينقص قوته ولم يشب شعره وقيل لانه لم يبالغ احد
منهم في الدعوة مثل ما بالغ فيها ولم يقاس احد من قومه مثل ما قاساه وهو اول من عذبت امته بسبب ان ردت دعوته والنبيين
من بعده اي واوحينا الى النبيين من بعد نوح واوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب عاد ذكر هؤلاء بعد ذكر النبيين

تعظيما

تعظيما للامر وتفخيما لشأنهم والاسباط وهم اولاد يعقوب وقيل ان الاسباط في ولد اسحق كالقبائل في ولد اسمعيل وقد بعث منهم
عدة رسل كيوسف وداود وسليمان وموسى وعيسى فيجوز ان يكون اراد الوحي اليهم الوحي الى الانبياء منهم كما تقول ارسلت الى بني تميم
اذا ارسلت الى وجوههم ولم يصح ان الاسباط الذين كانوا اخوة يوسف كانوا انبياء وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان قدم عيسى
على انبياء كانوا قبله لشدة العناية بامره لغلو اليهود في الطعن فيه والواو لا توجب الترتيب وآتينا داود زبورا اي كتابا يسمى زبورا واشتهر به
كما اشتهر كتاب موسى بالتورية وكتاب عيسى بالانجيل النظم هذه الآية تتصل بما قبلها من قوله يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا
من السماء وهذا يدل على انهم قد سألوا ما يدل على نبوته فاخبر سبحانه انه ارسله كما ارسل من تقدمه من الانبياء واظهر عليه من
المعجزات كما اظهرها على ايديهم وقيل ان اليهود لما تلى النبي عليهم تلك الآيات قالوا ما انزل الله على بشر من شيء بعد موسى فكذبهم الله تعالى
بهذه الآية اذ اخبر انه قد انزل على من بعد موسى من الذين سماهم ومن الذين لم يسمهم عن ابن عباس رضي الله عنه قوله تعالى ورسلا
قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة
بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما آيتان الاعراب ورسلا منصوب من وجهين احدهما ان يكون بفعل مضمر يفسره الذي ظهر في
قصصناهم ورسلا قد قصصناهم عليك كما تقول رأيت زيدا وعمرا اكرمته اي واكرمت عمروا اكرمته ويجوز ان ينصب رسلا على معنى اوحينا
لان معنى اوحينا اليك انا ارسلناك موحين اليك وارسلنا رسلا قد قصصناهم عليك هذا قول الزجاج وقال الفراء انه على تقدير
انا اوحينا اليك كما اوحينا الى رسل قد قصصناهم عليك ورسل لم نقصصهم عليك فلما حذف الى نصب الفعل رسلا مبشرين منصوب على
الحال ويجوز ان يكون منصوبا على المدح على تقدير اعني رسلا المعنى ثم اجمل ذكر الرسل بعد تسمية بعضهم فقال ورسلا اي وارسلنا رسلا
آخرين قد قصصناهم اي ما حكينا لك اخبارهم وعرفناك شأنهم وامورهم من قبل قال بعضهم قصصهم عليك بالوحي في غير القرآن
من قبل ثم قصهم عليه من بعد في القرآن وقال بعضهم قصصهم من قبل هؤلاء بمكة في سورة الانعام وفي غيرها لان هذه السورة
مدنية ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما فائدته انه سبحانه كلم موسى بلا واسطة ابانة له بذلك من سائر الانبياء
لان جميعهم كلمهم الله سبحانه بواسطة الوحي وقيل انما قال تكليما ليعلم ان كلام الله عز وجل من جنس هذا المعقول الذي يشتق من التكليم
خلاف ما قاله المبطلون وروي ان رسول الله صلى الله عليه وآله لما قرأ الآية التي قبلها على الناس قالت اليهود فيما بينهم ذكر
محمد النبيين ولم يبين لنا امر موسى عليه السلام فلما نزلت هذه الآية وقرأها عليهم قالوا ان محمدا قد ذكر موسى وفضله بالكلام عليهم رسلا
مبشرين بالجنة والثواب لمن آمن واطاع منذرين بالنار والعقاب لمن كفر وعصى لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل
فيقولوا لولا ارسلت الينا رسولا ولو ارسلت لآمنا بك كما اخبر سبحانه في آية اخرى بقوله لقالوا لولا ارسلت الينا رسولا وفي
هذه الآية دلالة على فساد من زعم ان عند الله تعالى من اللطف ما لو فعله بالكافر لآمن لانه لو كان كذلك لكان للكفار الحجة
بذلك على الله سبحانه قائمة فاما من لم يعلم من حاله انه لا يؤمن فقد ارسل اليه لطفا فالحجة قائمة عليه بالعقل والادلة الدالة على
توحيده وعدله ولو لم تقم الحجة الا بانفاذ الرسل لفسد ذلك من وجهين احدهما ان صدق رسول الله لا يمكن العلم به الا بعد
تقدم العلم بالتوحيد والعدل فان كانت الحجة عليه بالعقل غير قائمة فلا طريق له الى معرفة النبي وصدقه والثاني انه لو كانت
الحجة لا تقوم الا بالرسل لاحتاج الرسول ايضا الى رسول آخر حتى تكون الحجة قائمة عليه والكلام في رسوله كالكلام فيه حتى
يتسلسل وذلك باطل فمن استدل بهذه الآية على ان التكليف لا يصح عقلا الا بعد انفاذ الرسل فقد ابعد لما قلناه وكان الله عزيزا
اي مقتدرا على الانتقام ممن يعصيه ويكفر به حكيما فيما امر به عباده وفي جميع افعاله قوله تعالى لكن الله يشهد بما انزل اليك
انزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا آية النزول قيل ان جماعة من اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وآله
فقال النبي صلى الله عليه وآله اني اعلم انكم تعلمون اني رسول الله فقالوا ما نعلم ذلك ولا نشهد به فانزل الله تعالى هذه الآية
المعنى ثم قال سبحانه بعد انكارهم وجحودهم لكن الله يشهد بما انزل اليك معناه ان لم يشهد هؤلاء بالنبوة فالله يشهد بذلك
قال الزجاج هو المبين لما يشهد به والله سبحانه يبين ما انزل الى رسوله بنصب المعجزة ويبين صدقه بما يغني عن بيان اهل الكتاب

انزله بل معناه انزل القران وهو عالم انك موضع لانزاله عليك لقيامك فيه بالحق ودعائك الناس اليه وقيل معناه انزل القران
الذي فيه علمه عن الزجاج والملائكة يشهدون بانك رسول الله وان القران نزل من عند الله وكفى بالله شهيدا ومعناه ان شهادة
الله يكفي في تثبيت المشهود به ولا يحتاج معها الى شهادة وفي هذه الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم على تكذيب من كذبه والحجة
قول من يستدل على ان الله سبحانه عالم بعلم بما في هذه الآية من قوله انزله بعلمه لانه لو لا العلم ما ذهبوا اليه من كونه عالما لذاته لوجب
ان يكون انزله في الانزال ... بالكتب بالقبيح وعلم التجار بالقديم ولا خلاف ان العلم ليس بآلة في الانزال قوله تعالى ان الذين كفروا
وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم
خالدين فيها ابدا وكان ذلك على الله يسيرا المعنى ان الذين كفروا بانفسهم وصدوا غيرهم عن الدين الذي بعثك به الى خلقه
قد ضلوا ضلالا بعيدا يعني جازوا عن قصد الطريق جورا شديدا وزالوا عن المحجة التي هي دين الله الذي ارتضاه لعباده وبعثك به الى خلقه
ضلالا بعيدا من الرشاد ان الذين كفروا وجحدوا رسالة محمد صلى الله عليه وآله وظلموا محمدا بتكذيبهم اياه ومقامهم على الكفر على علم منهم بظلمهم
اولياء الله حسدا لهم وبغيا عليهم لم يكن الله ليغفر لهم اي لم يكن ليعفو عن ذنوبهم بتركه عقابهم عليها ولا ليهديهم طريقا اي لا يهديهم
الى طريق الجنة لان الهداية الى طريق الايمان قد سبقت وعم الله سبحانه بها جميع المكلفين الا طريق معناه لكن يهديهم طريق جهنم جزاء لهم على ما
فعلوه من الكفر والظلم خالدين فيها اي مقيمين فيها ابدا وكان ذلك اي تخليد هؤلاء الذين وصفهم في جهنم على الله يسيرا لانه اذا اراد ذلك لم يقدر
على الامتناع منه النظم واتصال هذه الآية بما قبلها اتصال النقيض بالنقيض على جهة المقابلة لان ما قبلها يتضمن الشهادة له بالنبوة
تسلية له عما يلحقه من تكذيب الكفار وهذه الآيات تتضمن عيب الكفار بذهابهم عن الرشد قوله تعالى يا ايها الناس قد جاءكم
الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض وكان الله عليما حكيما الاعراب الباء في
قوله بالحق للتعدية كهمزة افعل تقول جئت الى عمرو والجائي زيد الى عمرو وجاءني الى عمرو وقوله خيرا لكم قال الزجاج اختلفوا في نصب خيرا
فقال الكسائي انتصب بخروجه من الكلام هذا قول لم يقولون خيرا لك فاذا كان الكلام ناقصا رفعوا فقالوا ان تنته خير لك وقال الفراء
انتصب هذا وقوله انتهوا خيرا لكم لانه متصل بالامر ولو قلت انته هو خير لك فاذا قلت انته خيرا لك فانت تدعوه عن امر وتدخله في غيره كانك
قلت انته وائت خيرا لك وادخل فيما هو خير لك وانشد سيبويه قول ابي ربيعة عمرو بن ... فواعديه سرحتي مالك او الربى بينهما
اسهلا كانه قال ائتي مكانا اسهلا المعنى ثم عاد سبحانه الى الموعظة وعم الخلق فقال يا ايها الناس خطاب لجميع المكلفين وقيل خطاب للكفار
قد جاءكم الرسول بالحق يعني بالدين الذي ارتضاه الله تعالى لعباده وقيل بولاية من امره الله تعالى بولايته عن ابي جعفر من ربكم اي من عند ربكم فآمنوا اي
صدقوه وصدقوا بما جاءكم به من عند ربكم خيرا لكم اي ائتوا خيرا لكم مما انتم عليه من الجحود والتكذيب وان تكفروا اي تكذبوه فيما جاءكم به من عند
الله تعالى فان لله ما في السموات والارض اي فان ضرر ذلك يعود عليكم دون الله عز اسمه فانه يملك ما في السموات والارض لا ينقص كفركم
فيما كذبتم به شيئا من ملكه وسلطانه وكان الله عليما اي بما انتم صائرون اليه من طاعته او معصيته حكيما في امره ونهيه
اياكم وتدبيره فيكم وفي غيركم قوله تعالى يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله
وكلمته القاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد له ما في السموات
وما في الارض وكفى بالله وكيلا اللغة اصل الغلو مجاوزة الحد يقال غلا في الدين يغلو غلوا وغلا بالجارية لحمها وعظمها اذا اسرعت
الشباب وتجاوزت لداتها تغلو غلوا وغلاء قال الحارث بن خالد المخزومي خمصانة قلق موشحها رؤد الشباب غلا بها عظم وغلا بسهمه غلوا اذا رمى
به اقصى الغاية وتغالى الرجلان ... واصل المسيح الممسوح سماه بذلك لتطهيره اياه من الذنوب والادناس التي تكون في الادميين
وقيل انه سرياني اصله مشيحا فعرب كما عربت اسماء الانبياء وقيل انه ليس مشتقا ... وغيرهما من اسماء الاعلام لا الصفات والمسيح
صفة ولا يجوز ان يخاطب الله سبحانه في صفة خلقه ... وانما الدجال انما سمي المسيح لانه ممسوح العين اليمنى او اليسرى وعيسى
ممسوح البدن من الادناس والآثام كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله الاعراب ثلاثة خبر مبتدأ محذوف دل عليه ظاهر الكلام ولا تقولوا
هم ثلاثة وكذلك كل ما ورد من مرفوع بعد القول لا ارتفع معه ففيه اضمار اسم رافع لذلك وذلك لان القول حكاية والحكاية تكون الكلام

انما هو

تم

تامر انتهوا خيرا لكم وقد ذكرنا وجه النصب في خيرا فيما قبل وان يكون في موضع نصب اي سبحانه من ان يكون فلما حذف حرف الجر وصل اليه الفعل
فنصبه وقيل انه في موضع جر وقد مر نظائره المعنى ثم عاد سبحانه الى حجاج اهل الكتاب فقال يا اهل الكتاب قيل انه خطاب لليهود والنصارى
عن الحسن قال لان النصارى غلت في المسيح فقالت هو ابن الله وبعضهم قال هو الله وبعضهم قال هو ثالث ثلاثة الاب والابن وروح القدس
واليهود غلت فيه حتى قالوا ولد لغير رشدة فالغلو لازم للفريقين وقيل للنصارى خاصة عن ابي علي الجبائي وابن مسلم وجماعة من المفسرين
لا تغلوا في دينكم اي لا تفرطوا في دينكم ولا تجاوزوا الحق فيه ولا تقولوا على الله الا الحق اي قولوا انه جل جلاله واحد لا شريك له ولا صاحبة
ولا ولد ولا تقولوا انه اي عيسى ابن الله او شبهه فانه قول بغير الحق انما المسيح قد ذكرنا معناه وقيل سمي لانه كان يمسح الارض ...
عيسى بن مريم هذا بيان لقوله عليه السلام المسيح يعني انه ابن مريم لا ابن الله كما زعمت النصارى ولا ابن اب كما زعمت اليهود رسول الله ارسله الله بالحق
الحق كما زعمت الفرقتان المبطلتان وكلمته يعني انه حصل بكلمته التي هي قوله كن عن الحسن وقتادة وقيل معناه انه يهتدى به الخلق كما اهتدى
بكلام الله ووحيه عن ابي علي الجبائي وقيل معناه بشارة الله قد بشر بها مريم عليها السلام على لسان الملائكة كما قال اذ قالت الملائكة يا مريم
ان الله يبشرك بكلمة وهو المراد بقوله القاها الى مريم كما يقال القيت اليك كلمة حسنة اي قلت وقيل معنى القاها الى مريم خلقها
في رحمها عن الجبائي وروح منه فيه اقوال احدها انه انما سماه روحا لانه حدث عن نفخة جبرئيل في درع مريم بامر الله تعالى وانما نسبه
اليه لانه كان بامره وقيل انما اضافه الى نفسه تفخيما لشأنه كما قال الصوم لي وانا اجزي به وقد يسمى النفخ روحا واستشهد على ذلك ببيت
ذي الرمة يصف نارا فقلت لها ارفعها اليك واحيها بروحك واقته لها قيتة قدرا وظاهر لها من يابس الشخت واستعن عليها
الصبا واجعل يديك لها سترا ومعنى احيها بروحك اي بنفخك ويقال اقتت النار اذا اطعمتها حطبا والثاني ان المراد به يحيا به الناس
كما يحيون بالارواح عن الجبائي فيكون المعنى انه جعله نبيا يهتدى به ويحيى بسنته ويهتدى بهديه والثالث ان معناه انسان
احياه الله بتكوينه بلا واسطة من جماع ونطفة كما جرت العادة بذلك عن ابي عبيدة والرابع ان معناه ورحمة منه كما قال في موضع
اخر وايدهم بروح منه اي برحمة فجعل عيسى رحمة على من آمن به واتبعه لانه هداهم الى سبيل الرشاد والخامس ان معناه روح من الله
خلقها فصورها ثم ارسلها الى مريم فدخلت في فيها فصيرها الله سبحانه عيسى عن ابي العالية عن ابي بن كعب والسادس ان معنى الروح
ههنا جبرئيل فيكون عطفا على ما في القاها من ضمير ذكر الله تعالى تقديره القاها الله الى مريم وروح من الله اي جبرئيل عليه السلام القاها
ايضا اليها فآمنوا بالله ورسله امرهم الله سبحانه بتصديقه والاقرار بوحدانيته وتصديق رسله فيما جاؤوا به من عنده وفيما اخبرتهم به
من ان الله سبحانه لا شريك له ولا صاحبة ولا ولدا ولا تقولوا ثلاثة هذا خطاب للنصارى اي لا تقولوا الهتنا ثلاثة عن الزجاج
وقيل هذا لا يصح لان النصارى لم يقولوا بثلاثة آلهة ولكنهم يقولون اله واحد ثلاثة اقانيم اب وابن وروح القدس ومعناه الله
ثلاثة اب وابن وروح القدس وقد شبهوا قولهم جوهر واحد ثلاثة اقانيم بقولنا سراج واحد ثم نقول انه ثلاثة اشياء دهن وقطن
ونار وشمس واحدة وانما هي جسم وضوء وشعاع وهذا غلط بعيد لانا لا نعني بقولنا سراج واحد انه شيء واحد بل هو اشياء على
الحقيقة وكذلك الشمس كما تقول عشرة واحدة وانسان واحد ودار واحدة وانما هي اشياء متغايرة فان قالوا ان الله شيء واحد
وانه واحد حقيقة فقولهم ثلاثة مناقضة وان قالوا انه في الحقيقة اشياء مثل ما ذكرناه في الانسان والسراج وغيرهما فقد تركوا القول
بالتوحيد والتحقوا بالمشبهة والا فلا واسطة بين الامرين انتهوا عن هذه المقالة الشنيعة اي انتهوا امتنعوا عنها خيرا لكم اي ائتوا
بالانتهاء عن قولكم خيرا لكم مما تقولون انما الله اله واحد اي ليس كما تقولون انه ثالث ثلاثة لان من كان له ولد وصاحبة لا يجوز ان يكون
الها معبودا ولكن الله الذي له الالهية وتحق له العبادة اله واحد لا ولد له ولا شبيه له ولا صاحبة له ولا شريك ثم نزه سبحانه نفسه عما
يقوله المبطلون فقال سبحانه ان يكون له ولد ولفظ سبحان يفيد التنزيه عما لا يليق به اي هو منزه عن ان يكون له ولد له ما في
السموات وما في الارض ملكا وملكا وخلقا وهو يملكهما وله التصرف فيهما وفيما بينهما ومن جملته عيسى وامه فكيف يكون المملوك
والمخلوق ابنا للمالك الخالق وكفى بالله وكيلا اي حسب ما في السموات وما في الارض الله قيما ومدبرا ورازقا وقيل معناه وكفى به
حافظا لاعمال العباد حتى يجازيهم عليها وهو تسلية للرسول ووعيد للقائلين فيه سبحانه ما لا يليق به قوله تعالى لن يستنكف المسيح ان

يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعاً فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذاباً اليماً ولا يجدون لهم من دون الله
ولياً ولا نصيراً ثلاث آيات اللغة الاستنكاف الانفة من الشيء واصله في اللغة من نكفت الدمع اذا نحيته باصبعك من خدك
قال الشاعر فباتوا فلولا ما تذكر منهم من الحلف لم ينكف لعينيك مدمع ودرهم منكوف بهرج وردي لا يمتنع من اخذه لرداءته
ونكفت من الامر بكسر الكاف بمعنى استنكفت ايضاً حكاها ابو عمرو وهاول لن يستنكف لن يمضي ولن يمتنع والاستكبار طلب الكبر
عن استحقاق بخلاف التكبر فانه قد جاز في صفة الله تعالى المتكبر ولا يجوز المستكبر النزول روي ان وفد نجران قالوا لنبينا صلى الله عليه وآله
يا محمد لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واي شيء اقول فيه قالوا تقول انه عبد الله ورسوله فنزلت الآية المعنى
لما تقدم ذكر النصارى واحتجاجه عليهم في امر المسيح عقبه سبحانه بالرد عليهم فقال لن يستنكف اي لن يأنف ولن يمتنع المسيح يعني عيسى من
ان يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون اي ولا الملائكة المقربون يأنفون ويستكبرون من الاقرار بعبوديته والاذعان
له بذلك والمقربون الذين قربهم الله تعالى ورفع منازلهم على غيرهم من خلقه ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر اي يتعظم بترك الاذعان
لطاعته فسيحشرهم اليه اي فيبعثهم يوم القيامة جميعاً يجمعهم لموعدهم عنده ومعنى قوله اليه الى الموضع الذي لا يملك التصرف
فيه سواه كما يقال صار امر فلان الى الامير اي لا يملكه غير الامير ولا يراد المكان الذي فيه الامير واستدل بهذه الآية من قال ان الملائكة
افضل من الانبياء وقالوا ان تأخير ذكر الملائكة في مثل هذا الخطاب يقتضي تفضيلهم لان العادة لم تجر بان يقال لن يستنكف الامير ان
يفعل كذا ولا الحارس بل بتقديم الادون وتأخير الاعظم فيقال لن يستنكف الوزير ان يفعل كذا ولا السلطان فهذا يقتضي فضل الملائكة
على الانبياء واجاب اصحابنا من ذلك بان قالوا انما أخر ذكر الملائكة عن ذكر المسيح لان جميع الملائكة افضل واكثر ثواباً من المسيح وهذا
لا يقتضي ان يكون كل واحد منهم افضل من الملائكة وانما الخلاف في ذلك ايضاً فانا وان ذهبنا الى ان الانبياء افضل من الملائكة فانا نقول
مع ان قولنا بالتفاوت انه لا تفاوت في الفضل بين الانبياء والملائكة ومع التقارب والتداني يحسن ان تقدم ذكر الافضل الارفع
انما يحسن ان يقال ما يستنكف الامير فلان من كذا ولا الامير فلان اذا كانا متساويين في المنزلة او متقاربين وانما لا يحسن ان يقال
ما يستنكف الامير فلان من كذا ولا الحارس لاجل التفاوت فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم وعد الله سبحانه الذين
يقرون بوحدانيته ويعملون بطاعته ان يوفيهم اجورهم ويؤتيهم جزاء اعمالهم الصالحة وافياً تاماً ويزيدهم من فضله اي يزيدهم
على ما كان وعدهم من الجزاء على اعمالهم الحسنة والثواب عليها من الفضل والزيادة ما لم يعرفهم مبلغه لانه وعد على الحسنة
عشر امثالها من الثواب الى سبعين ضعفاً والى سبعمائة والى الاضعاف الكثيرة والزيادة على المثل تفضل من الله عليهم
فاما الذين استنكفوا اي انفوا عن الاقرار بوحدانيته واستكبروا اي تعظموا عن الاذعان له بالطاعة والعبودية فيعذبهم
عذاباً اليماً اي مولماً موجعاً ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً اي لا يجد هؤلاء المستنكفون المستكبرون لانفسهم
ولياً ينجيهم من عذابه وناصراً ينقذهم من عقابه قوله تعالى يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نوراً مبيناً فاما
الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطاً مستقيماً عدد آيها آيتان اللغة
البرهان الشاهد بالحق وقيل البرهان البيان يقال برهن قوله اي بينه بحجة والاعتصام الامتناع فاعتصم فلان بالله اي امتنع
من الشر والعصمة من الله دفع الشر عن عبده واعتصمت فلاناً هيأت ما يعتصم به والعصمة من الله تعالى على وجهين احدهما
الحفظ وهو ان يمنع عنه كيد الكائدين كما قال سبحانه لنبيه صلى الله عليه وآله يعصمك من الناس والآخر ان يلطف لعبده بشيء يمتنع
عنده من المعاصي الاعراب صراطاً انتصب على انه مفعول ثان ليهديهم فانه على معنى يعرفهم صراطاً ويجوز ان يكون حالاً من الهاء في اليه
ويهديهم الى الحق صراطاً المعنى لما فصل سبحانه ذكر الاحكام التي يجب العمل بها ذكر البرهان بعد ذلك ليكون الانسان على ثقة و
يقين فقال يا ايها الناس وهو خطاب للمكلفين من سائر الملل الذين قص قصصهم في هذه السورة قد جاءكم برهان من ربكم
اي اتاكم حجة من الله تعالى يبرهن لكم عن صحة ما امركم به وهو محمد صلى الله عليه وآله بما معه من المعجزات القاهرة الشاهدة بصدقه وقيل هو

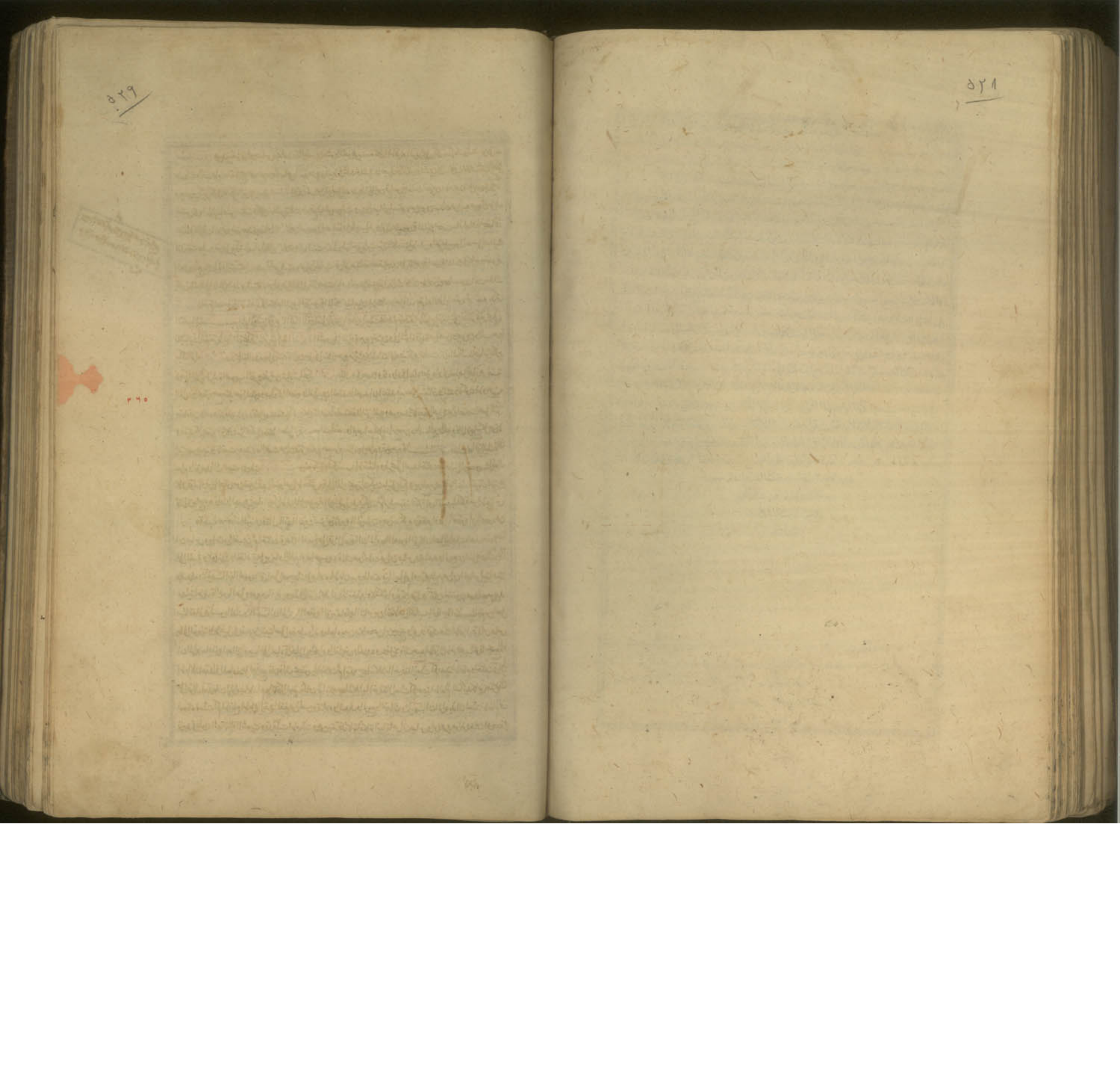
القرآن وانزلنا اليكم معه نوراً مبيناً يبين لكم المحجة الواضحة ويهديكم السبل النافعة النجاة لكم من عذابه واليم عقابه وذلك النور هو القرآن عن مجاهد وقتادة
والسدي وقيل النور ولاية علي امير المؤمنين عليه السلام عن ابي عبد الله عليه السلام فاما الذين آمنوا بالله اي صدقوا بوحدانية الله تعالى واعترفوا ب
بعث محمد صلى الله عليه وآله والنبي واعتصموا به اي تمسكوا بالنور الذي انزله على نبيه صلى الله عليه وآله فسيدخلهم في رحمة منه اي نعمة منه وهي الجنة
عن ابن عباس وفضل يعني ما يبسط لهم من الكرامة وتضعيف الحسنات وما يزاد لهم من النعم على ما يستحقونه ويهديهم اليه صراطاً مستقيماً اي
يوفقهم لاصابة فضله الذي يتفضل على اوليائه ويسددهم لسلوك منهج من انعم عليه من اهل طاعته واقتفاء آثارهم والاهتداء بهداهم
والاستنان بسنتهم واتباع دينهم وهو الصراط المستقيم الذي ارتضاه الله منهجاً لعباده قوله تعالى يستفتونك
قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد فان
كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وان كانوا اخوة رجالاً ونساءً فللذكر مثل حظ الانثيين يبين الله لكم ان تضلوا والله بكل
شيء عليم آية اللغة قد ذكرنا معنى الكلالة في اول السورة والاستفتاء السؤال عن الحكم وهو استفعال من الفتيا ويقال
افتى في المسألة اذا بين حكمها فتوى وفتيا الاعراب يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة تنازع الفعلان اعني في الكلالة
والصواب ان المعمل الثاني وهو يفتيكم والتقدير يستفتونك في الكلالة قل الله يفتيكم فيها في الكلالة ولو اعمل الفعل الاول لقال
وعليه جاء القرآن نحو قوله واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله فاعمل يستغفر ولو اعمل تعالوا لقال تعالوا يستغفر لكم
الى رسول الله ومنه قول طفيل وكمتاً مدماة كأن متونها جرى فوقها واستشعرت لون مذهب فاعمل استشعرت ولو اعمل
جرى لقال واستشعرته لون مذهب ومثل ذلك قول كثير قضى كل ذي دين فوفى غريمه وعزة ممطول معنى غريمها فاعمل وفى ولو اعمل
قضى كل ذي دين فوفاه غريمه وهو كثير في القرآن والشعر وقوله ان امرؤ هلك ارتفع امرؤ باضمار فعل يفسره ما بعده
والتقدير ان هلك امرؤ هلك ولا يجوز اظهار هلك الثاني لانه تفسير عنه وقوله فان كانتا اثنتين انما ذكر اثنتين وان
دلت الالف في فعلهما لاحد امرين اما ان يكون تأكيداً للضمير كما تقول فعلت انا واما ان يبين ان المطلوب في ذلك العدد دون
غيره من الصفات من صغر او كبر او عقل او عدمه بل انما يستحق حصر العدد بحيث الميراث وهذا قول علي الفارسي وهو الصحيح
وقوله رجالاً ونساءً بدل من قوله اخوة وهو خبر كان وقوله يبين الله لكم ان تضلوا فيه ثلاثة اقوال احدها ان لا تضلوا
ان لا تضلوا فاضمر حرف النفي ويحققه لئلا تضلوا عن الكسائي وانشد القطامي رأينا ما رأى البصراء فيها فآلينا عليها
ان تباعا يريد ان لا تباع وثانيها ما قاله البصريون ان المعنى كراهة ان تضلوا فهو على هذا في موضع نصب بانه مفعول له ومثله
قول عمرو بن كلثوم فعجلنا القرى ان تشتمونا اي كراهة ان تشتمونا قالوا ولا يجوز ان يضمر لا لانه حرف جاء لمعنى فلا يجوز حذفه ولكن يجوز
ان تدخل لا في الكلام مؤكدة وهي لغو كقوله لئلا يعلم اهل الكتاب ان لا يقدرون المعنى لان يعلم وكقول الشاعر وما الوم البيض
ان لا تسخرا وقد رأين الشمط القفندرا والمعنى ان تسخر وثالثها ما قاله الاخفش وهو ان ان مع الفعل بتأويل المصدر وموضع ان
نصب بيبين وتقديره يبين الله لكم الضلال لتجتنبوه النزول اختلف في نزول الآية فروي عن جابر بن عبد الله انه قال
اشتكيت وعندي تسع اخوات او سبع فدخل علي النبي صلى الله عليه وآله فنفخ في وجهي فافقت فقلت يا رسول الله الا اوصي
لاخواتي بالثلثين قال احسن قلت الشطر قال احسن ثم خرج وتركني ورجع الي فقال يا جابر اني لا اراك ميتاً من وجعك هذا و
ان الله قد انزل في الذي لاخواتك فجعل لهن الثلثين قالوا وكان جابر يقول انزلت هذه الآية في وعن قتادة قال ان الصحابة كان همهم
شأن الكلالة فانزل الله فيها هذه الآية وقال البراء بن عازب آخر سورة نزلت براءة كاملة وآخر آية نزلت خاتمة سورة النساء
يستفتونك الآية اورده البخاري ومسلم في صحيحيهما وقال جابر نزلت بالمدينة وقال ابن سيرين نزلت في مسيرة كان فيها رسول الله صلى الله عليه وآله
واصحابه وتسمى هذه الآية آية الصيف وذلك انه سبحانه انزل في الكلالة آيتين احداهما في الشتاء وهي التي في اول هذه السورة والاخرى
في الصيف وهي هذه الآية وروي عن عمر بن الخطاب انه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن الكلالة فقال يكفيك آية الصيف
المعنى لما بين سبحانه في اول السورة بعض سهام الفرائض ختم السورة ببيان ما بقي من ذلك فقال يستفتونك يا محمد

في الكلالة تنازع الاول والثاني
عليه ولو اعمل الاول لقال يستفتونك
قل الله يفتيكم

اى يطلبون منك الفتيا فى ميراث الكلالة قل الله يفتيكم اى يبين لكم الحكم فى الكلالة وهو اسم للاخوة والاخوات عن الحسن
وهو المروى عن ائمتنا عليهم السلم وقيل هو ما سوى الوالد والولد عن ابى بكر وجماعة من المفسرين ان امرؤ هلك ليس له ولد قال
السدى يعنى ليس له ولد ذكر وانثى وهو موافق لمذهب الامامية ومعناه ان مات رجل ليس له ولد ولا والد وانما اضمر نفى الوالد
للاجماع ولان لفظ الكلالة ينبئ عنه فان الكلالة اسم للنسب المحيط بالميت دون اللصيق والوالد لصيق لو كان الولد لصيق
الوالد والاخوة والاخوات هم المحيطون بالميت وله اخت يعنى وللميت اخت لابيه وامه او لابيه لان ذكر اولاد الام قد سبق اول
السورة فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد يعنى ان الاخت اذا كانت الميتة ولها اخ من ابيها وامها او من ابيها فالمال كله له
بلا خلاف اذا لم يكن هناك ولد ولا والد فان كانتا اثنتين يعنى ان كانت الاخت اثنتين فلهما الثلثان مما ترك الاخ
او الاخت من التركة وان كانوا اخوة رجالا ونساء اى اخوة واخوات مجتمعين لاب وام او لاب فللذكر مثل حظ الانثيين
وهو فى قوله سبحانه ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد دلالة على ان الاخ
او الاخت لا يرثان مع البنت لانه سبحانه شرط فى ميراث الاخ والاخت عدم الولد والولد يقع على الابن والبنت بلا خلاف
بين اهل اللغة وما روى من الخبر فى ان الاخوات مع البنات عصبة فخبر واحد يخالف نص القرآن والى هذا الذى ذكرناه
ذهب ابن عباس وهو المروى عن سادة اهل البيت عليهم السلم يبين الله لكم امور دينكم ان تضلوا معناه كراهة ان تضلوا
ولئلا تضلوا اى لئلا تخطئوا فى الحكم فيها وقيل معناه يبين الله لكم جميع الاحكام لتهتدوا فى دينكم عن ابى مسلم والله بكل شىء عليم
فائدته هنا بيان كونه سبحانه عالما بجميع ما يحتاج اليه عباده من امر معاشهم ومعادهم على ما توجبه وقد تضمنت الاية التى بيان
ما امرنا الله فى اول هذه السورة بيان ميراث الولد والوالد والاية التى بعدها ميراث الازواج والزوجات والاخوة والاخوات
من قبل الام وتضمنت هذه الاية التى ختم بها السورة بيان ميراث الاخوة والاخوات من الاب والام او الاب والاخوة والاخوات من قبل الاب عند
عدم الاخوة والاخوات من الاب والام وتضمنت قوله سبحانه اولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله ان الملك سبب فى
استحقاق الميراث من كان اقرب رحما وادنى قرابة كان اولى بالميراث من الابعد والخلاف بين الفقهاء فى هذه المسائل وفروعها
مذكور فى كتب الفقه تم بعون الله وحسن توفيقه على يد المحتاج الى رحمة ربه الغفار ابن محمد على محمد امين العطائى عفى عنهما

فى يوم الاحد ثامن عشر شهر رمضان المبارك من شهور
سنة ثمان وثمانين بعد الالف من الهجرة
فى مشهد الرضا عليه آلاف
التحية والثناء

٤٢



سورة المائدة هي مدنية في قول ابن عباس ومجاهد وقال جعفر بن مبشر والشعبي هي مدنية كلها الا قوله اليوم اكملت لكم دينكم فانه نزل والنبي صلى الله
عليه وآله واقف على راحلته في حجة الوداع عدة آيها هي مائة وعشرون آية كوفي ثلث وعشرون بصري واثنتان وعشرون في الباقين خلاف ثلث بالعقود
ويعفو عن كثير الكوفي فانكم غالبون بصري فضلها ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله قال من قرأ سورة المائدة اعطي من الاجر بعدد كل يهودي ونصراني
يتنفس في دار الدنيا عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات وروى العياشي باسناده عن عيسى بن عبد الله عن ابيه عن جده عن علي
عليه السلام قال كان القرآن ينسخ بعضه بعضا وانما يؤخذ من امر رسول الله باخره وكان من اخر ما نزل عليه سورة المائدة نسخت ما قبلها ولم ينسخها شيء
لقد نزلت عليه وهو على بغلة شهباء وثقل عليه الوحي حتى وقفت وتدلى بطنها حتى رايت سرتها تكاد تمس الارض واغمي على رسول الله صلى الله عليه
حتى وضع يده على ذؤابة شيبة بن وهب الجمحي وباسناده عن ابي الجارود عن ابي عبد الله جعفر بن محمد بن علي قال من قرأ سورة المائدة في كل يوم خميس لم
يلبس ايمانه بظلم ولا يشرك ابدا وباسناده عن ابي حمزة الثمالي قال سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول نزلت المائدة كملا ونزل معها سبعون الف ملك
تفسيرها لما ختم الله سورة النساء بذكر احكام الشريعة افتتح سورة المائدة ايضا ببيان الاحكام واجمل ذلك بقوله اوفوا بالعقود ثم اتبعه بذكر
التفصيل بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم غير محلي
الصيد وانتم حرم ان الله يحكم ما يريد آية القراءة المشهور في القراءة حرم بضمتين وفي الشواذ قراءة عن الحسن ويحيى بن وثاب حرم
ساكنة الراء الحجة هذا كما يقال في رسل وكتب قال ابن جني في اسكان حرم مزية وذلك ان الراء فيه تكرير فكادت الراء الساكنة لما فيها من التكرير
في حكم المتحرك كزيادة الصوت بالنحو ويحول من زيادته بالحركة اللغة يقال وفى بعهده وفاء واوفى ايفاء بمعنى واوفى لغة اهل الحجاز وهي لغة
القرآن والعقود جمع عقد بمعنى المعقود وهو اوكد العهود والفرق بين العقد والعهد ان العقد فيه معنى الاستيثاق والشد ولا يكون الا بين
متعاقدين والعهد قد ينفرد به الواحد فكل عقد عهد ولا يكون كل عهد عقدا واصله عقد الشيء بغيره وهو وصله به كما يعقد الحبل ويقال اعقدت العسل فهو معقد
وعقيد قال عنترة وكان ربا او كحيلا معقدا حش الوقود به جوانب قمقم والبهيمة اسم لكل ذي اربع من دواب البر والبحر وقال الزجاج كل حي لا
يميز فهو بهيمة وانما سميت بهيمة لانها ابهمت عن ان تميز والحرم جمع حرام يقال رجل حرام وقوم حرم قال الشاعر فقلت لها فيئي اليك فانني
حرام واني بعد ذاك لبيب اي ملب الاعراب موضع ما يتلى عليكم نصب بالاستثناء وغير محلي الصيد اختلف فيه فقيل انه منصوب على الحال
كان قوله اوفوا بالعقود من ضمير الذين آمنوا عن الاخفش وقيل الفراء يجوز ان يكون ما يتلى عليكم في موضع رفع كما يقال جاء اخوتك الا زيد
قال الزجاج وهذا عند البصريين جاء الرجل الا زيد على معنى جاء الرجل غير زيد فيكون الا زيد صفة للنكرة او ما قارب النكرة من الاجناس
المعنى خاطب الله سبحانه المؤمنين فقال يا ايها الذين آمنوا وتقديره يا ايها المؤمنون وهو اسم تكريم وتعظيم اوفوا بالعقود او بالعهود عن
ابن عباس وجماعة من المفسرين ثم اختلف في هذه العهود على اقوال احدها ان المراد بها العهود التي كان اهل الجاهلية عاهد بعضهم بعضا
على النصرة والموازرة والمظاهرة على من حاول ظلمهم او بغاهم سوءا وذلك هو الحلف عن ابن عباس ومجاهد والربيع بن انس والضحاك وقتادة
والسدي وثانيها انها العهود التي اخذ الله سبحانه على عباده بالايمان به وطاعته فيما احل لهم او حرم عليهم عن ابن عباس ايضا في
رواية اخرى قال هو ما احل وحرم وما فرض وحد في القرآن كله اي فلا تتعدوا ولا تنكثوا ويؤيده قوله والذين ينقضون عهد الله من بعد
ميثاقه الى قوله سوء الدار وثالثها ان المراد بها العقود التي يتعاقدها الناس من الله لاهل الكتاب بالوفاء بما اخذ به ميثاقهم من العمل
بما في التوراة والانجيل في تصديق نبينا صلى الله عليه وآله وما جاء به من عند الله عن ابن جريج وابي صالح واقوى هذه الاقوال قول ابن عباس
ان المراد بها عقود الله التي اوجبها على العباد في الحلال والحرام والفرائض والحدود ويدخل في ذلك جميع الاقوال الاخر فيجب الوفاء بجميع ذلك
الا ما كان عقدا في المعاونة على امر قبيح فان ذلك محظور بلا خلاف ثم ابتدأ سبحانه كلاما آخر فقال احلت لكم بهيمة الانعام واختلف في تأويله
على اقوال احدها ان المراد به الانعام وانما ذكر البهيمة تأكيدا كما يقال نفس الانسان
فمعناه احلت لكم الانعام الابل والبقر والغنم عن الحسن وقتادة والسدي والربيع والضحاك وثانيها ان المراد بذلك اجنة الانعام التي
توجد في بطون امهاتها اذا اشعرت وقد ذكيت الامهات وهي ميتة فذكاتها ذكاة امهاتها عن ابن عباس وابن عمر وهو المروي عن ابي جعفر

ابي عبد

وابي عبد الله عليهما السلام وثالثها ان بهيمة الانعام وحشيها كالظباء وبقر الوحش وحمر الوحش عن الكلبي والفراء والاولى حمل الآية على الجميع الا ما
يتلى عليكم معناه الا ما يقرأ عليكم تحريمه في القرآن وهو قوله حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير الآية عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة و
السدي غير محلي الصيد وانتم حرم من قال انه حال من اوفوا بالعقود غير محلي الصيد وانتم محرمون اي في حال الاحرام ومن قال انه حال من يتلى
عليكم فمعناه احلت لكم بهيمة الانعام كلها الا ما يتلى عليكم من الصيد في آخر السورة غير مستحلين اصطيادها في حال احرامكم ان الله يحكم ما يريد
معناه ان الله يقضي في الخلق ما يشاء من تحليل ما يريد تحليله وتحريم ما يريد تحريمه وايجاب ما يريد ايجابه وغير ذلك من احكامه وقضاياه
فافعلوا ما امركم به وانتهوا عما نهاكم عنه في قوله احلت لكم بهيمة الانعام دلالة على تحليل اكلها وذبحها والانتفاع بها قوله عز وجل
يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا
واذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم و
العدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب القراءة قرأ ابن عامر وابو بكر عن عاصم واسمعيل عن نافع شنآن بسكون النون الاولى في
الموضعين والباقون شنآن بفتحها وقرأ ابن كثير وابو عمرو ان صدوكم بكسر الهمزة والباقون بفتحها الحجة من قرأ شنآن بالفتح فحجته انه
مصدر والمصدر يكون على الفعلان نحو الضربان والغليان ومن قرأ شنآن فحجته ان المصدر يجيء على فعلان ايضا نحو الليان كقول الشاعر
وما العيش الا ما تلذ وتشتهي وان لام فيه ذو الشنآن وفندا يدل على الشنآن بالسكون ايضا تخفيف الهمزة والقى حركتها على الساكن قبلها على
القياس فيكون المعنى في القراءتين واحدا وقوله ان صدوكم من كسر ان جعل الجزاء وقوله صدوكم وان كان ماضيا فان الماضي قد يقع للجزاء وليس
المراد على ان الجزاء يكون بالماضي ولكن المراد ما كان مثل هذا الفعل فيكون اللفظ على ما مضى والمعنى على مثله كانه يقول ان وقع مثل هذا الفعل
يقع منكم كذا وعلى هذا حمل الخليل وسيبويه قول الفرزدق اتغضب ان اذنا قتيبة حزتا جهارا ولم تغضب لقتل ابن خازم وعلى ذلك
قول الشاعر اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة ولم تجدي من ان تقري به بدا فانتفاء الولادة امر ماض وقد جعله جزاء والجزاء انما يكون بالمستقبل
فيكون المعنى ان ننتسب لا تجدني مولود لئيمة وجواب ان قد اغنى عنه ما تقدم من قوله ولا يجرمنكم المعنى ان صدوكم عن المسجد الحرام فلا
تكتسبوا عدوانا ومن فتح ان صدوكم فقوله بين لانه مفعول له والتقدير ولا يجرمنكم شنآن قوم لان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا فان
الثانية في موضع نصب بانه المفعول الثاني وان الاولى منصوبة لانه مفعول له اللغة الشعائر جمع شعيرة وهي اعلام الحج واعماله واشتقاقها
من قولهم شعر فلان بهذا الامر اذا علم به والمشاعر المعالم من ذلك والاشعار الاعلام من جهة الحس وقيل الشعيرة والقلائد والامية واحدة
والحلال والحل المباح وهو ما لا حرج في فعله على ترك والحرام والحرم ضده وحريم البئر ما حولها لانها تحرم على غير حافرها والحرم الاحرام
واحرم الرجل اذا صار محرما واحرم في الشهر الحرام صار حرمي منسوب الى الحرم والهدي ما يهدى الى الحرم من النعم والقلائد جمع قلادة و
هو ما يقلد به الهدي والتقليد في البدن ان يعلق في عنقها شيء ليعلم انها هدي والقلائد السوار لانها كالقلادة لليد والام القصد يقال
اممت كذا اذا قصدته ويممت بمعناه قال الشاعر اني كذاك اذا ما سار في بلد يممت صدر بعيري غيره بلدا ومنه الامام الذي يقتدى
به والامة الدين لانه يقصد والامة بالكسر النعمة لانها تقصد ويقال حللت من الاحرام احل واحل حلالا وقالوا احرم الرجل فهو حرام و
قيس وتميم ويقولون احل من احرامه فهو محل واحرم فهو محرم والجرم القطع والكسب ولا يجرمنكم ولا يكسبنكم وهو فعل يتعدى الى مفعولين
وقيل معناه لا يحملنكم عن الكسائي قال بعضهم يقال جرمني فلان على ان صنعت واستشهدوا بقول الشاعر ولقد طعنت ابا عيينة طعنة
جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا اي حملت وقيل معناه احقت الطعنة لفزارة الغضب وقيل معناه كسبت فزارة الغضب وشنئت الرجل اشنؤه
شنأ وشنآة وشنآنا وشنآنا ابغضته وذهب سيبويه الى ان ما كان من المصادر على فعلان بالفتح لم يتعد فعله الا ان يشذ نحو شنآنا
وقد قال سيبويه وقد قالوا لويته حقه ليانا على فعلان فعلى هذا يجوز ان يكون الشنآن مصدرا لمثله وقال ابو عبيدة رجل شنآن مصدر لمثله وامرأة
شنآنة مصروفان ويقال ايضا رجل شنآن وامرأة شنآى وقد جاء الشنآن مصدرا ووصفا وهما جميعا قليلا النزول قال ابو جعفر الباقر عليه السلام نزلت
هذه الآية في رجل من بني ربيعة يقال له الحطم وقال السدي اقبل الحطم بن هند البكري حتى اتى النبي صلى الله عليه وآله وحده وخلف خيله خارج المدينة
فقال الى ما تدعو وقد كان النبي صلى الله عليه وآله قال لاصحابه يدخل عليكم اليوم رجل من بني ربيعة يتكلم بلسان شيطان فلما اجابه النبي صلى الله عليه وآله قال انظرني

شنآنه
غير منصرف

لعلى اسلم ولى من اشاوره فخرج من عنده فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لقد دخل بوجه كافر وخرج بعقب غادر فمر بسرح من سرح المدينة فساقه وانطلق به
وهو يرتجز ويقول قد لفها الليل بسواق حطم ليس براعي ابل ولا غنم ولا بجزار على ظهر وضم باتوا نياما وابن هند لم ينم بات يقاسيها غلام كالزلم خدلج
الساقين ممسوح القدم ثم اقبل من عام قابل حاجا قد قلد هديا فاراد رسول الله صلى الله عليه وآله ان يبعث اليه فنزلت الآية ولا آمين البيت الحرام وهو
قول عكرمة وابن جريج وقال ابن زيد نزلت يوم فتح مكة في اناس يأتون البيت من المشركين يهلون بعمرة فقال المسلمون يا رسول الله ان هؤلاء مشركون
مثل هؤلاء دعنا نغير عليهم فانزل الله تعالى الآية **المعنى** ثم ابتدأ سبحانه بتفصيل الاحكام فقال يا ايها الذين آمنوا اى صدقوا الله ورسوله فيما اوجب عليهم
لا تحلوا شعائر الله اختلف في معنى شعائر الله على اقوال احدها ان معناه لا تحلوا حرمات الله ولا تتعدوا حدوده وحملوا الشعائر على المعالم اى
معالم حدود الله وامره ونهيه وفرائضه عن عطا وغيره وثانيها ان معناه لا تحلوا حرم الله وحملوا الشعائر على معالم حرم الله من البلاد عن السدى
وثالثها ان معنى شعائر الله مناسك الحج ولا تحلوا مناسك الحج فتضيعوها عن ابن جريج وابن عباس ورابعها ما روى عن ابن عباس ان المشركين
كانوا يحجون البيت ويهدون الهدايا ويعظمون حرمة المشاعر وينحرون في حجهم فاراد المسلمون ان يغيروا عليهم فنهاهم الله عن ذلك و
خامسها ان شعائر الله هي الصفا والمروة والهدى من البدن وغيرها عن مجاهد وقال الفراء كانت عامة العرب لا ترى الصفا والمروة من
شعائر الله ولا يطوفون بينهما فنهاهم الله عن ذلك وهو المروى عن ابي جعفر عليه السلم وسادسها ان المراد لا تحلوا ما حرم الله عليكم في احرامكم عن ابن
عباس في رواية اخرى وسابعها ان الشعائر هي العلامات المنصوبة للفرق بين الحل والحرم نهاهم الله سبحانه ان يتجاوزوها الى مكة بغير
احرام عن ابي علي الجبائي وثامنها ان المعنى لا تحلوا الهدايا المشعرة اى المعلمة لتهدى الى بيت الله عن الزجاج والحسين بن علي المغربي واختاره
البلخي واقوى الاقوال هو القول الاول لانه يدخل فيه جميع الاقوال من مناسك الحج وغيرها وحمل الآية على ما هو اعم اولى ولا الشهر الحرام
معناه ولا تستحلوا الشهر الحرام بان تقاتلوا فيه اعداءكم من المشركين كما قال سبحانه يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير عن ابن عباس
وقتادة واختلف في معنى الشهر الحرام هنا فقيل هو رجب وكان يحرم فيه القتال وقيل هو ذو القعدة عن عكرمة وقيل هي الاشهر الحرم كلها
نهاهم الله عن القتال فيها عن الجبائي والبلخي وهذا اليق بالعموم وقيل المراد به النسيء كقوله انما النسيء زيادة في الكفر عن القتيبي ولا الهدى ولا
تستحلوا الهدى وهو ما يهديه الانسان من بعير او بقرة او شاة الى بيت الله تعالى تقربا اليه وطلبا لثوابه فيكون المعنى لا تستحلوا ذلك فتغصبوه
اهله ولا تحولوا بينهم وبين ان يبلغوه محله من الحرم لكن خلوهم حتى يبلغوا المحل الذي جعله الله له وقوله ولا القلائد معناه ولا تحلوا القلائد
وفيه قولان احدهما ان المعنى بالقلائد الهدى المقلد وانما كرره لانه اراد المنع من حل الهدى الذي لم يقلد والهدى الذي قلد عن ابن عباس واختاره
الجبائي وثانيها ان المراد بذلك القلائد التي كان المشركون يتقلدونها فاذا ارادوا الحج مقبلين الى مكة من لحا السمر واذا خرجوا منها
الى منازلهم منصرفين منها الى الشعر قتادة قال كان في الجاهلية اذا خرج الرجل من اهله يريد الحج تقلد من السمر فلا يعرض له احد واذا رجع
تقلد قلادة شعر فلا يتعرض له احد وقال عطا انهم كانوا يتقلدون من لحاء شجر الحرم يأمنون به اذا خرجوا من الحرم وقال الفراء اهل الحرم
كانوا يتقلدون بلحاء الشجر واهل غير الحرم كانوا يتقلدون بالصوف والشعر وغيرهما وثالثها ان المعنى به المؤمنين نهاهم ان ينزعوا شيئا
من شجر الحرم يتقلدونه به كما كان المشركون يفعلونه في جاهليتهم عن عطا في رواية اخرى والربيع بن انس ورابعها ان القلائد ما تقلده
الهدى نهاهم عن حلها لانه كان يجب ان يتصدق بها عن ابي علي الجبائي قال هو صوف يفتل ويعلق به على عنق الهدى وقال الحسن هو نعل
يقلد بها الابل والبقر ويجب التصدق بها ان كانت لها قيمة ولا وجه ان يكون نهيا عن حل القلائد فيدخل فيه الانسان البعيد ويكون نهيا
عن استحلال حرمة المقلد هديا كان ذلك او انسانا ولا آمين البيت ولا تحلوا قاصدين البيت الحرام اى لا تقاتلوهم لان من قاتل في الاشهر
الحرم فقد احل فقال لا تحلوا قتال الآمين البيت الحرام اى القاصدين والبيت الحرام بيت الله بمكة وهو الكعبة سمى حراما لحرمته وقيل لانه
يحرم فيه ما يحل في غيره واختلف في المعنى بذلك فمنهم من حمله على الكفار واستدل بقوله فيما بعد ولا يجرمنكم شنآن قوم الآية ومنهم من حمله على المسلم
فكانه نهى ان يوخذ بعد الاسلام برجل الجاهلية لان الاسلام يجب ما قبله يبتغون اى يطلبون يعنى الذين يأتون البيت فضلا من ربهم و
رضوانا اى ارباحا في تجاراتهم من الله وان يرضى عنهم بنسكهم على زعمهم فلا يرضى الله عنهم وهم مشركون وقيل يلتمسون رضوان الله عنهم بان لا
يحل ما حل بغيرهم من الامم من العقوبة في عاجل دنياهم عن قتادة ومجاهد وقيل فضلا من الله في الآخرة ورضوانا منه فيها وقيل فضلا في الدنيا

ورضوانا الجنة في الآخرة وقيل ابن عباس ان ذلك في كل من توجه حاجا وبه قال الضحاك والربيع واختلف في هذا فقيل منسوخ بقوله اقتلوا المشركين
حيث وجدتموهم عن اكثر المفسرين وقيل لم ينسخ من هذه السورة شيء ولا من هذه الآية لانه لا يجوز ان يبتدأ المشركين في الاشهر الحرم بالقتال الا اذا
قاتلوا عن ابن جريج وهو المروى عن ابي جعفر عليه السلم ومروى نحوه عن الحسن وذكر ابو مسلم ان المراد به الكفار الذين كانوا في عهد النبي صلى الله عليه وآله
فلما زال العهد بسورة براءة زال ذلك الحظر ودخلوا في حكم قوله سبحانه فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وقيل لم ينسخ من المائدة غير هذه الآية
لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد عن الشعبي ومجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد وقيل انما نسخ منها قوله ولا الشهر
الحرام الى آمين البيت الحرام ذكره لك ابن ابي عروبة عن قتادة قال نسخها قوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله ما كان للمشركين ان يعمروا
مساجد الله وقوله انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا في السنة التي نادى علي فيها بالاذان وهو قول ابن عباس وقيل لم ينسخ
من هذه الآية الا القلائد عن ابن ابي نجيح عن مجاهد واذا حللتم فاصطادوا معناه اذا احللتم فاصطادوا ومعناه اذا احللتم من احرامكم
فاصطادوا وان شئتم لان السبب المحرم قد زال عن جميع المفسرين ولا يجرمنكم اى ولا يحملنكم وقيل لا يكسبنكم شنآن قوم اى بغض قوم ان صدوكم
عن المسجد الحرام يعني النبي صلى الله عليه وآله واصحابه لما صدوهم عام الحديبية ان تعتدوا ومعناه لا يكسبنكم بغضكم قوما الاعتداء عليهم لصدهم اياكم عن المسجد الحرام
قال ابو علي الفارسي معناه لا يكسبنكم المعنى بالنهي المخاطبون كما قال لا اريتك ههنا ولا تموتن الا وانتم مسلمون ومن جعل شنآن صفة فقد اقام الصفة
مقام الموصوف ويكون تقديره لا يحملنكم بغيض قوم والمعنى على الاول ومن قرأ ان صدوكم بكسر الالف فقد مر ذكر معناه ان تعتدوا معناه
ان تجاوزوا حكم الله فيهم الى ما نهاكم عنه نهى المسلمين عن الطلب بذحول الجاهلية عن مجاهد وقال هذا غير منسوخ وتعاونوا على البر و
التقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان هو استيناف كلام وليس بعطف على تعتدوا فيكون في موضع نصب امر الله سبحانه عباده بان يعين
بعضهم بعضا على البر وهو العمل بما امرهم الله به واتقاء ما نهاهم عنه ونهاهم ان يعين بعضهم بعضا على الاثم وهو ترك ما امرهم به وارتكاب ما نهاهم
عنه من العدوان وهو مجاوزة ما حد الله سبحانه لعباده في دينهم وفرض لهم في انفسهم عن ابن عباس وابي العالية وغيرهما من المفسرين
واتقوا الله ان الله شديد العقاب هذا امر منه سبحانه بالتقوى ووعيد وتهديد لمن تعدى حدوده وتجاوز امره يقول احذروا معصيته فيما
امركم به ونهاكم عنه فتستوجبوا عقابه وتستحقوا اليم عذابه ثم وصف سبحانه عقابه بالشدة لانه نار لا يطفأ حرها ولا يخمد جمرها نعوذ بالله منها

قوله عز وجل حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل
السبع الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وان تستقسموا بالازلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم اكملت
لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم آية **القراءة** وروى
في الشواذ قراءة ابن عباس واكيل السبع وعن الحسن وما اكل السبع بسكون الباء وقراءة يحيى بن وثاب وابراهيم غير متجنف **الحجة** قال ابن جني
اكيله اسم للماكول كالنطيحة والاكيل الجنس والعموم يصلح للمذكر والمؤنث تقديره مررت بشاة اكيل اى قد اكلها الاسد ونحوه وتقول
ما لنا طعام الا الاكيلة اى الشاة والجزور والمعدة للاكل وان كانت قد اكلت فهي بلاها فاكيل السبع ما اكل السبع بعضه والسبع بالتخفيف
للسبع قال حسان بن عتبة بن ابي لهب حين يرجع العام الى اهله فما اكيل السبع بالراجع وقوله متجانف ومتجنف يعنى وتفعل ابلغ من تفاعل
فمتجنف بمعنى متميل ومتاود ومتجانف مثل متمايل ومتاود **اللغة** اصل الاهلال رفع الصوت بالشيء ومنه استهلال الصبي وهو
صياحه اذا سقط من بطن امه ومنه اهلال المحرم بالحج او العمرة اذا لبى به قال ابن احمر يهل بالفرقد ركبانها كما يهل الراكب المعتمر وسمى الهلال
هلالا لانه يرفع الصوت عنده وخنقه يخنقه خنقا اذا ضغطه ومنه المخنقة القلادة والوقذ شدة الضرب يقال وقذها وقذا و
اوقذها ايقاذا اذا اثخنها ضربا قال الفرزدق شغارة تقذ الفصيل برجلها فطارة لقوادم الابكار والردى الهلاك والتردي التهور
والنطيحة المنطوحة نقلت من مفعول الى فعيل وانما يثبت فيها الهاء وان كان فعيل بمعنى المفعول لا يثبت فيه الهاء مثل لحية دهين وعين كحيل و
كف خضيب لانها ادخلت في حيز الاسماء وقال بعض الكوفيين انما يحذف الهاء من فعيلة بمعنى مفعولة اذا كانت صفة لاسم تقدمها مثل كف خضيب
وعين كحيل فاما ان احذفت الكف والعين وما يكون فعيل نعتا له واجتزئ بفعيل اثبتوا فيه هاء التانيث ليعلم بثبوتها فيه انها صفة لمؤنث
فيقال رأينا كحيلة وخضيبة والمذكى ما ادرك ذبحه من الاوداج والحلقوم لما كانت فيه حياة ولا يكون بحكم الميت واصل الذكوة في اللغة تمام الشيء فمن ذلك

الذكى فى السن والفهم قال الخليل الذكاء ان يأتى فى السن على القروحة وهى فى ذات الحافر وهى البزولة فى ذات الخف وهى الصلوغة فى ذات الظلف
وذاك تمام استكمال القوة قال زهير يفضله اذا اجتهدا عليها تمام السن منه والذكاء وفى المثل جرى المذكيات غلاب اى جرى المسان التى قد
اسنت مغالبة يريد ان المسان يحتمل ان تؤخذ بالغلبة لفضل قوتها والصغار لا تحمل على ذلك وتدارك ويروى غلاء وهو جمع غلوة اى هى تمد امتدادا
كما تريد وليست كالجذع الذى لا علم له بالجرى والقلق شوطا اقصى ما عنده من الحضر ثم هو مسبوق ومعنى تمام السن النهاية فى الشباب فاذا انقص عن ذلك
او زاد فلا يقال له والذكاء فى الفهم ان يكون تاما سريع القبول وذكيت النار من هذا اى اتممت اشتعالها والنصب الحجارة التى كانوا يعبدونها
واحدها انصاب وجاز ان يكون واحدا وجمعه انصاب والازلام جمع زلم وزلم وهو القدح والاستقسام طلب القسم والقسم المصدر والقسم
بالكسر النصيب والمخمصة شدة ضمور البطون وهو مفعلة مثل المحبنة والمبخلة من خمص البطن وهو طيه اضطرارا من الجوع وشدة السغب دون
ان يكون مخلوقا كذلك قال النابغة والبطن ذو عكن خميص لين والنحر تنفجه بثدى مقعد فلم يصفها بالجوع وانما وصفها بلطافة طى البطن واما
قول الاعشى يبيتون فى المشتى ملاء بطونكم وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا فمن الاضطرار من الجوع والمتجانف المتمايل ثم المنحرف المنحرف
القدم اذا مال وكل اعوج فهو اجنف **المعنى** ثم بين سبحانه ما استثناه فى الاية المتقدمة بقوله الا ما يتلى عليكم فقال مخاطبا للمكلفين
حرمت عليكم الميتة اى حرم عليكم اكل الميتة والانتفاع بها وهو كل ما له نفس سائلة من دواب البر وطيره مما اباح الله اكلها اهليها او
وحشيها فارقه روحه من غير تذكية وقيل الميتة كل ما فارقته الحيوة من دواب البر وطيره بغير تذكية فقد روى عن النبى صلى الله عليه وآله انه سمى الجراد و
السمك ميتا فقال الميتتان مباحتان الجراد والسمك والدم اى وحرم عليكم الدم وكانوا يجعلونه فى المباعر ويشوونه وياكلونه فاعلم الله سبحانه
ان الدم المسفوح اى المصبوب حرام فاما المتلطخ بالدم فانه كاللحم وما كان كاللحم مثل الكبد فهو مباح واما الطحال فقد روى الكراهية فيه عن
على وابن مسعود واصحابهما واجمعت الامامية على انه حرام وذهب ساير الفقهاء على انه مباح ولحم الخنزير وانما ذكر لحم الخنزير ليبين انه حرام
بعينه لا لكونه ميتة حتى انه لا يحل تناوله وان حصل فيه ما يكون ذكاة لغيره وفائدة تخصيصه بالتحريم مع مشاركة الكلب اياه فى التحريم حالة
وجود الحيوة وعدمها وكذلك السباع والمسوخ وما لا يحل اكله من الحيوانات ان كثيرا من الكفار اعتادوا اكله والفوه اكثر مما اعتادوا اكل
غيره وما اهل لغير الله به موضع ما رفع وتقديره وحرم عليكم ما اهل لغير الله به وقد ذكرنا معناه فى سورة البقرة وقيله لا اله على ان
ذبايح من خالف الاسلام لا يجوز اكله لانهم يذكرون عليه غير اسم الله لانهم يعنون به من ابد شرع موسى ام اتخذ عيسى او اتخذها ابنا وذلك
غير الله فاما من اظهر الاسلام ودان بالتجسيم والتشبيه او الجبر او خالف الحق فعندنا لا يجوز اكل ذبيحته وفيه خلاف بين الفقهاء والمنخنقة
وهى التى تدخل راسها بين شعبتين من شجرة فتختنق وتموت عن السدى وقيل هى التى تختنق بحبل الصايد فتموت عن الضحاك وقتادة وقال ابن
عباس كان اهل الجاهلية يخنقونها فياكلونها والموقوذة وهى التى تضرب حتى تموت عن ابن عباس وقتادة والسدى والمتردية وهى التى
تقع من جبل او مكان عال او تقع فى بئر فتموت عن ابن عباس وقتادة والسدى ومتى وقع فى بئر لا يقدر على تذكيته جاز ان يطعن ويضرب
بالسكين فى غير المذبح حتى يبرد ثم يؤكل والنطيحة وهى التى ينطحها غيرها فتموت وما اكل السبع اى وحرم عليكم ما اكله السبع بمعنى قتله السبع وهى فريسة السبع
عن ابن عباس وقتادة والضحاك الا ما ذكيتم معناه الا ما ادركتم ذكاته فذكيتموه من هذه الاشياء وموضع ما نصب بالاستثناء وروى عن السيد
الصادق والباقر عليهما السلام ان ادنى ما يكون مدرك به الذكاة ان تدركه يحرك اذنه او ذنبه او تطرف عينه وبه قال الحسن وقتادة وابرهيم وطاوس والضحاك
وابن زيد واختلف فى الاستثناء الى ما ذا يرجع فقيل يرجع الى جميع ما تقدم ذكره من المحرمات سوى ما لا يقبل الذكاة من الخنزير والدم عن ابن عباس
وعلى عليه السلم وقيل هو استثناء من التحريم لا من المحرمات لان الميتة لا ذكاة لها ولا الخنزير فمعناه حرمت عليكم سايرها ذكر الا ما ذكيتم ما احله الله لكم بالتذكية
فانه حلال لكم عن مالك وجماعة من اهل المدينة واختاره الجبائى ومتى قيل ما وجه تكرار قوله والمنخنقة والموقوذة الى آخرها مع حكمه بتحريم الميتة فى اول
الاية بقوله حرمت عليكم الميتة والميتة تعم جميع ذلك وان اختلفت اسباب الموت من خنق او ترد او نطح او اهلال لغير الله به او اكل سبع فالجواب
ان الفائدة فى ذلك انهم كانوا لا يعدون الميت الا ما مات حتف انفه من دون شىء من هذه الاسباب فاعلم الله سبحانه ان حكم الجميع واحد
وان وجه الاستباحة هو التذكية المشروعة فقط قال السدى ان ناسا من العرب كانوا ياكلون جميع ذلك ولا يعدونه ميتا انما يعدون الميت الذى
يموت من الوجع وما ذبح على النصب يعنى الحجارة التى كانوا يعبدونها وهى الاوثان عن مجاهد وقتادة وابن جريج يعنى وحرم عليكم ما ذبح على النصب

او على اسم الاوثان وقيل معناه وما ذبح للاوثان تقربا اليها واللام وعلى يتعاقبان الا ترى الى قوله سبحانه فسلام لك من اصحاب اليمين بمعنى عليك وكانوا
يقربون ويلطخون اوثانهم بدمائها قال ابن جريج ليست النصب اصناما انما الاصنام ما تصوير ونقش بل كانت احجارا منصوبة حول الكعبة وكانت
ثلثمائة وستين حجرا وقيل كانت ثلثمائة منها لخزاعة فكانوا اذا ذبحوا نضحوا الدم على ما اقبل من البيت وشرحوا اللحم وجعلوه على الحجارة فقال
المسلمون يا رسول الله كان اهل الجاهلية يعظمون البيت بالدم فنحن احق بتعظيمه فانزل الله سبحانه لن ينال الله لحومها ولا دماؤها الاية وان
تستقسموا بالازلام موضعه رفع اى وحرم عليكم الاستقسام بالازلام ومعناه طلب قسم الارزاق بالقداح التى كانوا يتفاءلون بها فى
اسفارهم وابتداء امورهم وهى سهام كانت للجاهلية مكتوب على بعضها امرنى ربى وعلى بعضها نهانى ربى وبعضها غفل لم يكتب عليه شىء فاذا
ارادوا سفرا او امرا يهتمون به ضربوا بتلك القداح فان خرج السهم الذى عليه امرنى ربى مضى الرجل لحاجته فان خرج الذى عليه نهانى ربى لم يمض
وان خرج الذى ليس عليه شىء اعادوها فبين الله تعالى ان العمل بذلك حرام عن الحسن وجماعة من المفسرين وروى على بن ابرهيم فى تفسيره عن
الصادقين عليهم السلم ان الازلام عشرة سبعة لها انصباء وثلثة لا انصباء لها فالتى لها انصباء الفذ والتوام والمسبل والنافس والحلس و
الرقيب والمعلى فالفذ له سهم والتوام له سهمان والمسبل له ثلثة اسهم والنافس له اربعة اسهم والحلس له خمسة اسهم والرقيب له ستة اسهم والمعلى
له سبعة اسهم والتى لا انصباء لها السفيح والمنيح والوغد وكانوا يعمدون الى الجزور فيجزونه اجزاء ثم يجتمعون عليه فيخرجون السهام ويدفعونها
الى رجل وثمن الجزور على من تخرج له التى لا انصباء لها وهو القمار فحرمه الله عز وجل وقيل هو كعاب فارس والروم التى كانوا يتقامرون بها
عن مجاهد وقيل هو الشطرنج عن ابى سفيان بن وكيع ذلكم فسق معناه ان جميع ما سبق ذكره فسق اى ذنب عظيم وخروج عن طاعة الله الى معصيته
عن ابن عباس وقيل ان ذلكم اشارة الى الاستقسام بالازلام اى ان ذلك الاستقسام فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم ليس يريد يوما
بعينه بل معناه الآن يئس الكافرون من دينكم كما يقول القائل اليوم قد كبرت يريد ان الله تعالى حول الخوف الذى كان يلحقهم من الكافرين اليهم
ويئسوا من بطلان الاسلام وجاءكم ما كنتم توعدون به فى قوله ليظهره على الدين كله والدين اسم لجميع ما تعبد الله به خلقه وامرهم بالقيام
به ومعنى يئسوا انقطع طمعهم من دينكم ان تتركوه وترجعوا منه الى الشرك عن ابن عباس والسدى وعطاء وقيل ان المراد باليوم يوم عرفة من حجة
الوداع بعد دخول العرب كلها فى الاسلام عن مجاهد وابن جريج وابن زيد وكان يوم جمعة ونظر النبى صلعم فلم ير الا مسلما موحدا ولم ير مشركا
فلا تخشوهم خطاب للمؤمنين نهاهم ان يخشوا ويخافوا من الكفار ان يظهروا على دين الاسلام ويقهروا المسلمين ويردوهم عن دينهم واخشون
اى ولكن اخشونى اى خافونى ان خالفتم امرى وارتكبتم معصيتى ان احل بكم عقابى عن ابن جريج وغيره اليوم اكملت لكم دينكم قيل فيه اقوال احدها
ان معناه اكملت لكم فرائضى وحدودى وحلالى وحرامى بتنزيلى ما انزلت وبيانى ما بينت لكم فلا زيادة فى ذلك ولا نقصان منه بالنسخ بعد هذا
اليوم وكان ذلك يوم عرفة عام حجة الوداع عن ابن عباس والسدى واختاره الجبائى والبلخى قالوا فلم ينزل بعد هذا على النبى صلعم شىء من الفرائض
فى تحليل ولا تحريم وانه مضى بعد ذلك باحد وثمانين ليلة فان اعترض معترض فقال كان دين الله ناقصا وقتا من الاوقات حتى اتمه فى ذلك اليوم فجوابه
ان دين الله لم يكن الا كاملا فى كل حال ولما كان معرضا للنسخ والزيادة فيه ونزول الوحى بتحليل شىء وتحريم شىء لم يمتنع ان يوصف بالكمال اذا امن من
جميع ذلك فيه كما توصف العشرة بانها كاملة ولا يلزم ان يوصف بالنقصان لما كانت المائة اكثر منها واكمل وثانيها ان معناه اليوم اكملت لكم
حجكم وافردتكم بالبلد الحرام تحجونه دون المشركين ولا يخالطكم مشرك عن سعيد بن جبير وقتادة واختاره الطبرى قال لان الله سبحانه انزل بعده
يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة قال الفراء وهى آخر آية نزلت وهذا الذى ذكره اوضح لو كان لهذا القول ترجيح لكن فيه خلاف وثالثها ان
معناه اليوم كفيتكم الاعداء واظهرتكم كما تقول الآن كمل لنا الملك وكمل لنا ما نريد بان كفينا ما كنا نخافه عن الزجاج والمروى عن الامامين ابى
جعفر وابى عبد الله عليهما السلام انه انما انزل بعد ان نصب النبى صلى الله عليه وآله عليا عليه السلم علما للانام يوم غدير خم منصرفه عن حجة الوداع قالا
هو آخر فريضة انزلها الله تعالى ثم لم ينزل بعدها فريضة وقد حدثنا السيد العالم ابو الحمد مهدى بن نزار الحسينى قال حدثنا ابو القسم عبيد الله بن
عبد الله الحسكانى قال اخبرنا ابو عبد الله الشيرازى قال اخبرنا ابو بكر الجرجانى قال حدثنا ابو احمد البصرى قال حدثنا احمد بن عمار بن خالد قال
حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحمانى قال حدثنا قيس بن الربيع عن ابى هرون العبدى عن ابى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وآله لما نزلت

٣٦٨

الجرجاني

هذه الآية قال الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضا الرب برسالتي وولاية علي بن أبي طالب من بعدي وقال من كنت مولاه فعلي مولاه
اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله قال علي بن ابراهيم في تفسيره حدثني أبي عن صفوان عن العلا ومحمد بن
مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال كان نزولها بكراع الغميم فأقامها رسول الله صلى الله عليه وآله بالجحفة وقال الربيع بن انس نزلت في المسير في حجة
الوداع وأتممت عليكم نعمتي خاطب سبحانه المؤمنين بإتمام النعمة عليهم بإظهارهم على المشركين ونفيهم عن بلادهم عن ابن عباس وقتادة وقيل
معناه أتممت عليكم نعمتي بأن أعطيتكم من العلم والحكمة ما لم يعط قبلكم نبي ولا أمة وقيل إن تمام النعمة دخول الجنة ورضيت لكم الإسلام دينا
أي رضيت لكم الإسلام لأمري والانقياد لطاعتي على ما شرعت لكم من حدوده وفرائضه ومعالمه دينا أي طاعة منكم لي والفائدة في هذا
أن الله سبحانه لم يزل يصرف نبيه محمدا صلى الله عليه وآله وأصحابه في درجات الإسلام ومراتبه درجة بعد درجة ومنزلة حتى أكمل لهم شرائعه وبلغ
بهم أقصى درجاته ومراتبه ثم قال ورضيت لكم الحال التي أنتم عليها اليوم فالزموها ولا تفارقوها ثم عاد الكلام إلى القضية المتقدمة في التحريم
والتحليل وإنما ذكر قوله اليوم يئس الذين كفروا إلى ورضيت لكم الإسلام دينا اعتراضا فمن اضطر في مخمصة معناه فمن دعته الضرورة في
مجاعة حتى لا يمكنه الامتناع من أكله عن ابن عباس وقتادة والسدي غير متجانف أي غير مائل إلى إثم وهو نصب على الحال يعني فمن اضطر
إلى أكل الميتة وما عدد الله تحريمه عند المجاعة الشديدة غير متعمد لذلك ولا مختار له ولا مستحل له فإن الله سبحانه أباح تناول ذلك له قدر
ما يمسك به رمقه بلا زيادة عليه عن ابن عباس وقتادة ومجاهد وبه قال أهل العراق وقال أهل المدينة يجوز أن يشبع منه عند الضرورة
وقيل إن معنى قوله غير متجانف لإثم غير عاد بأن يكون باغيا أو عاديا أو خارجا في معصية عن قتادة فإن الله غفور رحيم في الكلام
محذوف دل ما ذكر عليه والمعنى فمن اضطر إلى ما حرمت عليه غير متجانف لإثم فأكله فإن الله غفور له غير مؤاخذ له بأكله لا يؤاخذه وليس
يريد أنه يغفر له عقاب ذلك الأكل لأنه إباحة له ولا يستحق العقاب على فعل المباح وهو رحيم أي رفيق بعباده ومن رحمته أباح لهم
ما حرم عليهم في حال الخوف على النفس قوله عز وجل يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن
مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله إن الله سريع الحساب القراءة المشهور في القراءة مكلبين
بالتشديد وروي عن ابن مسعود والحسن مكلبين بالتخفيف الحجة المكلب للكلب هو مغريه بالصيد والإياد يقال كلب و
أكلبه كما يقال أسد واستأسد ويحتمل أن يكون من أكلب الرجل إذا كثرت كلابه كما يقال أمشى إذا كثرت ماشيته والمكلب بالتشديد صاحب
الكلاب يقال رجل مكلب وكلاب إذا كان صاحب صيد بالكلاب وقيل هو الذي يعلم الكلاب أخذ الصيد اللغة الطيب هو الحلال
وقيل هو المستلذ والجوارح الكواسب من الطير والسباع الواحد جارحة وسميت جوارح لأنها تكسب أربابها الطعام بصيدها يقال جرح
فلان أهله خيرا إذا أكسبهم خيرا فلان جارحة أهله أي كاسبهم ولا جارحة لفلانة أي لا كاسب لها قال الأعشى يصف ثعلبة ذات خد منضج
ميسمها يذكر الجارح ما كان اجترح أي اكتسب الإعراب ماذا أحل لهم يحتمل أن يكون ما وحدها اسما وخبره قوله ذا وأحل من صلة
ذا وتقديره أي الذي أحل لهم ويحتمل أن يكون ما وذا اسما واحدا مرفوعا بالابتداء وأحل خبره وتقديره أي شيء أحل لهم ومكلبين نصب على
الحال أي وما علمتم من الجوارح في حال مصيركم أصحاب كلاب تعلمونهن في موضع نصب أيضا بأنه حال من مكلبين وقوله مما أمسكن عليكم قيل
إن من هنا زائدة لأن جميع ما يمسكنه مباح كقوله وينزل من السماء من جبال فيها من برد وتقديره وينزل من السماء جبالا فيها برد وذكر
في الآية غير ذا من الوجوه سنذكرها إذا انتهينا إلى موضعها من الكتاب إن شاء الله تعالى وقيل إن من للتبعيض لأنه لا يجوز أن يؤكل جميع
ما يمسكه الكلب فإن في جملته ما هو حرام من الدم والفرث والغدد وغيرها لكنها لا يجوز أكلها ومعناه فكلوا مما أباح الله لكم أكله مما أمسكن
عليكم النزول عن أبي رافع قال جاء جبرئيل عليه السلام إلى النبي صلعم يستأذن عليه فأذن له وقال قد أذنا لك يا رسول الله فقال أجل ولكنا
لا ندخل بيتا فيه كلب قال أبو رافع فأمرني رسول الله صلى الله عليه وآله أن أقتل كل كلب بالمدينة فقتلت حتى انتهيت إلى امرأة عندها كلب
ينبح عليها فتركته رحمة لها ثم جئت إلى رسول الله صلعم وآله فأخبرته فأمرني فرجعت وقتلت الكلب فجاؤوا فقالوا يا رسول الله ماذا
يحل لنا من هذه الأمة التي أمرت بقتلها فسكت رسول الله صلى الله عليه وآله فأنزل الله الآية فأذن رسول الله صلعم في اقتناء الكلاب التي

الاستسلام

ينتفع بها ونهى عن إمساك ما لا نفع فيها وأمر بقتل العقور وما يضر ويؤذي وعن أبي حمزة الثمالي والحكم بن ظهير أن زيد الخيل وعدي بن حاتم الطائيين
أتيا رسول الله صلى الله عليه وآله فقالا إن فينا رجلين لهما ستة أكلب تأخذ بقر الوحش والظباء فمنها ما يدرك ذكاته ومنها ما يموت وقد حرم الله
الميتة فماذا يحل لنا من هذا فنزلت فكلوا مما أمسكن عليكم وسماه رسول الله صلعم زيد الخير المعنى لما تقدم سبحانه ذكر المحرمات عقبه بذكر
ما أحل فقال يسألونك يا محمد ماذا أحل لهم معناه أي شيء أحل لهم أي يستخبرك المؤمنون ما الذي أحل لهم من المطاعم والمآكل وقيل من الصيد
والذبائح قل يا محمد أحل لكم الطيبات منها وهي الحلال الذي أذن لكم ربكم في أكله من المأكولات والذبائح والصيد عن أبي علي الجبائي وأبي مسلم
وقيل ما لم يرد بتحريمه كتاب ولا سنة وهذا أولى لما روي أن الأشياء كلها على الإطلاق والإباحة حتى يرد الشرع بالتحريم وقال البلخي الطيبات ما
يستلذ وما علمتم من الجوارح أي وأحل لكم أيضا مع ذلك صيد ما علمتم من الجوارح أي الكواسب من سباع الطير والبهائم فحذف المضاف
لدلالة قوله مما أمسكن عليكم عليه ولأنه جواب عن سؤال السائل عن الصيد وقيل الجوارح هي الكلاب فقط عن ابن عمر والضحاك والسدي و
هو المروي عن أئمتنا عليهم السلام فإنهم قالوا هي الكلاب المعلمة خاصة أحله الله إذا أدركه صاحبه وقد قتله لقوله فكلوا مما أمسكن عليكم
وروى علي بن ابراهيم في تفسيره بإسناده عن أبي بكر الحضرمي عن أبي عبد الله عليه السلام قال سألته عن صيد البزاة والصقور والفهود والكلاب
فقال لا تأكل إلا ما ذكيت إلا الكلاب فقلت فإن قتله قال كل فإن الله يقول وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا
مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه ثم قال عليه السلام كل شيء من السباع تمسك الصيد على نفسها إلا الكلاب المعلمة فإنها تمسك على صاحبها وقال
إذا أرسلت الكلب المعلم فاذكر اسم الله عليه فهو ذكاته وهو أن يقول بسم الله والله أكبر ويؤيد هذا المذهب ما يأتي بعد من قوله
مكلبين أي أصحاب الكلاب وقيل أصحاب التعليم الكلاب تعلمونهن مما علمكم الله أي تؤدبونهن حتى يصرن معلمة مما ألهمكم الله بعقولكم
حتى ميزتم بين المعلم وغير المعلم وفي هذا دلالة أيضا على أن صيد الكلب غير المعلم حرام إذا لم يدرك ذكاته أيضا وقيل تعلمونهن كما علمكم الله عن
السدي وهذا بعيد لأن من بمعنى الكاف لا يعرف في اللغة ولا تقارب بينهما لأن الكاف للتشبيه ومن للتبعيض واختلف في صفة الكلب
المعلم فقيل هو أن يستشلي لطلب الصيد إذا أرسله صاحبه ويمسك عليه إذا أخذه ويستجيب له إذا دعاه ولا يفر منه فإذا توالى منه كان معلما
عن سعد بن أبي وقاص وسلمان وابن عمر وقيل ما ذكرناه وأن لا يأكل منه عن ابن عباس وعدي بن حاتم وعطاء والشعبي وطاوس والسدي
روى عدي بن حاتم عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال إذا أكل الكلب من الصيد فلا تأكل منه وإنما أمسك على نفسه وقيل حد التعليم أن يفعل
ذلك ثلاث مرات عن أبي يوسف ومحمد وقيل لا حد لتعلم الكلاب وإذا فعل ما قلناه فهو معلم ويدل على ذلك ما رواه أصحابنا أنه إذا أخذ كلب
المجوسي فعلمه في الحال فاصطاد به جاز أكل ما يقتله وقد تقدم أن عند أهل البيت عليهم السلام لا يحل أكل الصيد غير الكلب إلا ما أدرك ذكاته ومن جملة
ذلك قال إن تعلم البازي هو أن يرجع إلى صاحبه وتعلم كل جارحة من البهائم والطير هو أن يشلى على الصيد فيستشلي ويأخذ الصيد ويدعوه صاحبه
فيجيب فإذا كان كذلك كان معلما أكل منه ولم يأكل وروي ذلك عن سلمان وسعد بن أبي وقاص وابن عمر وقال آخرون ما أكل منه فلا يؤكل
وروي عن علي والشعبي وعكرمة وقوله فكلوا مما أمسكن عليكم أي مما أمسك الجوارح عليكم وهذا يقوي قول من قال ما أكل منه الكلب لا يجوز أكله
لأنه أمسك على نفسه ومن شرط في استباحة ما يقتله الكلب أن يكون صاحبه قد سمى عند إرساله فإذا لم يسم لم يجز أكله إلا إذا أدرك ذكاته و
أدنى ما يدرك به ذكاته أن يجده تتحرك عينه أو أذنه أو ذنبه فيذكيه بفري الحلقوم والأوداج واذكروا اسم الله عليه أي قبل الإرسال عن
ابن عباس والحسن والسدي وقيل معناه اذكروا اسم الله على ذبح ما تذبحونه وهذا صريح في وجوب التسمية والقول الأول أصح واتقوا الله
أي اجتنبوا ما نهاكم الله عنه فلا تقربوه واحذروا معاصيه التي منها أكل صيد الكلب غير المعلم أو ما لم يمسكه عليكم أو ما لم يذكر اسم الله عليه من الصيد
والذبائح إن الله سريع الحساب قد مر تفسيره قوله عز وجل اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم
والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي
أخدان ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين آية المعنى ثم بين سبحانه في هذه الآية ما يحل من الأطعمة و
الأنكحة إتماما لما تقدم وقال اليوم أحل لكم الطيبات وقد مر معناه وهذا يقتضي تحليل كل مستطاب من الأطعمة إلا ما قام الدليل على تحريمه و
طعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم اختلف في الطعام المذكور في الآية فقيل المراد به ذبائح أهل الكتاب عن أكثر المفسرين وأكثر الفقهاء و

٢٦٩

الأكل

قال جماعة من اصحابنا ثم اختلفوا فمنهم من قال المراد به ذباحة كل كتابي ممن انزل عليه التورية والانجيل ومن دخل في ملتهم ودان بدينهم من
ابن عباس والحسن وعكرمة وسعيد بن المسيب والشعبي وعطا وقتادة واجازوا ذبايح نصارى بني تغلب ومنهم من قال يعني به من انزلت التورية
والانجيل عليهم او من كان من ابنائهم فاما من كان دخيلا فيهم من ساير الامم ودان بدينهم فلا تحل ذبايحهم حكى ذلك الربيع عن الشافعي وحرم
ذبايح بني تغلب من النصارى وهو المروي عن علي عليه السلام وسعيد بن جبير وقيل المراد بطعام الذين اوتوا الكتاب ذبايحهم وغيرها من الاطعمة
عن ابي الدرداء وعن ابن عباس وابرهيم وقتادة والسدي والضحاك ومجاهد وبه قال الطبري والجبائي والبلخي وغيرهم وقيل انه مختص
بالحبوب وما لا يحتاج فيه الى التذكية وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلام وبه قال جماعة من الزيدية فاما ذبايحهم فلا تحل وطعامكم حل لهم معناه
وطعامكم يحل لهم ان تطعموهم والمحصنات من المؤمنات معناه واحل لكم العقد على المحصنات اي العفايف من المؤمنات عن الحسن والشعبي
وابرهيم وقيل المراد الحراير عن مجاهد واختاره ابو علي فعلى هذا القول لا تدخل الاماء في الاباحة مع القدرة على طول الحرة والمحصنات من الذين
اوتوا الكتاب من قبلكم وهم اليهود والنصارى واختلف في معناه فقيل هن العفايف حراير كن او اماء حربيات كن او ذميات عن مجاهد
والحسن والشعبي وغيرهم وقيل هن الحراير ذميات كن او حربيات وقال اصحابنا لا يجوز عقد نكاح الدوام على الكتابية لقوله تعالى ولا تنكحوا
المشركات حتى يؤمن ولقوله تعالى ولا تمسكوا بعصم الكوافر واولوا هذه الاية بان المراد بالمحصنات الذين اوتوا الكتاب اللاتي اسلمن منهن والمراد
بالمحصنات من المؤمنات اللاتي كن في الاصل مؤمنات بان ولدن على الاسلام وذلك ان قوما كانوا يتحرجون من العقد على من اسلمت عن كفر فبين
سبحانه انه لا حرج في ذلك فلهذا افردهن بالذكر حكى ذلك ابو القسم البلخي قالوا ويجوز ان يكون مخصوصا ايضا بنكاح المتعة وملك اليمين
فان عندنا يجوز وطيهن بكلا الوجهين على انه قد روى ابو الجارود عن ابي جعفر عليه السلام انه منسوخ بقوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن
وبقوله ولا تمسكوا بعصم الكوافر وقوله اذا اتيتموهن اجورهن اي مهورهن وهو عوض الاستمتاع بهن عن ابن عباس وغيره محصنين
غير مسافحين يعني اعفاء غير زانين بكل فاجرة وهو منصوب على الحال ولا متخذي اخدان اي ولا متفردين ببغية خادنها وخادنته
اتخذ لنفسه صديقة يفجر بها وقد مر معنى الاحصان والاسفاح والاخدان في سورة النساء ومن يكفر بالايمان اي ومن يجحد ما امر الله
بالاقرار به والتصديق من توحيد الله وعدله ونبوة نبيه فقد حبط عمله الذي عمله واعتقده قربة الى الله وانما يحبط الاعمال بان لا يستحق عليها
ثواب وهو في الاخرة من الخاسرين اي الهالكين وقيل المعنى بقوله ومن يكفر بالايمان اهل الكتاب ويكون معناه ومن يمتنع من الايمان ولم
يؤمن وفي قوله فقد حبط عمله هنا دلالة على ان حبوط الاعمال لا يترتب على ثبوت الثواب فان الكافر لا يكون له عمل قد ثبت عليه ثواب وانما
يكون له عمل في الظاهر لولا كفره لكان يستحق الثواب عليه فعبر سبحانه عن هذا العمل بانه حبط فهو حقيقة معناه قوله عز وجل يا ايها الذين
امنوا اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق وامسحوا برؤسكم وارجلكم الى الكعبين وان كنتم جنبا فاطهروا وان
كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه ما
يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون اية القراءة قرا نافع وابن عامر ويعقوب
والكسائي والاعشى عن ابي بكر عن عاصم وارجلكم بالنصب والباقون وارجلكم بالجر وقد ذكرنا اختلافهم في او لامستم النساء فلم تجدوا
ماء فتيمموا صعيدا طيبا وسنذكر ما قيل في ارجلكم على القراءتين في المعنى لان الكلام فيه يتعلق بما اختلف فيه الامة من القول بوجوب غسل
الرجلين او مسحهما او التخيير بين الغسل والمسح او وجوب الامرين كليهما على ما سنبينه ان شاء الله تعالى الحجة الجنب يقع على
الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كما يقال رجل عدل وقوم عدل ورجل زور وقوم زور ويقال رجل جنب وقوم جنب ورجلان جنب وامرأة
جنب وانما هو على تاويل ذو جنب لانه مصدر والمصدر يقوم مقام ما اضيف اليه ومن العرب من يثنى ويجمع ويجعل المصدر بمنزلة
اسم الفاعل واجنب الرجل وجنب واصل الجنابة البعد قال علقمة ولا تحرمني نائلا عن جنابة فاني امرؤ وسط القباب غريب فاطهروا
معناه فتطهروا الا ان التاء ادغم في الطاء فسكن اول الكلمة فزيد فيها الف الوصل وقيل اطهروا المعنى لما تقدم الامر بالوفاء بالعقود
ومن جملتها اقامة الصلوة ومن شرايطها الطهارة بين سبحانه ذلك بقوله يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلوة معناه اذا اردتم
القيام الى الصلوة وانتم على غير طهر وحذف الارادة لان في الكلام دلالة على ذلك ومثله قوله فاذا قرات القران فاستعذ بالله واذا

كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة والمعنى اذا اردت تلاوة القران واذا كنت فيهم اذا اردت ان تقيم لهم الصلوة وهو قول ابن عباس واكثر المفسرين
وقيل معناه اذا اردتم القيام الى الصلوة فعليكم الوضوء عن عكرمة واليه ذهب داود قال وكان علي يتوضأ لكل صلوة ويقرأ هذه الاية وكان الخلفاء
يتوضاون لكل صلوة والقول الاول هو الصحيح واليه ذهب الفقهاء كلهم وما روي من تجديد الوضوء فمحمول على الندب والاستحباب وقيل ان
الفرض كان في بدء الاسلام الوضوء عند كل صلوة ثم نسخ بالتخفيف وبه قال ابن عمر قال حدثتني اسماء بنت زيد بن الخطاب ان عبد الله بن حنظلة
بن ابي عامر الغسيل حدثنا ان النبي صلى الله عليه واله امر بالوضوء عند كل صلوة فشق ذلك عليه فامر بالسواك ورفع عنه الوضوء الا من حدث فكان
عبد الله يرى ان فرضه على ما كان عليه فكان يتوضأ وروى سليمن بن بريدة عن ابيه قال كان رسول الله صلعم يتوضأ لكل صلوة فلما كان عام الفتح
صلى الصلوات كلها بوضوء واحد فقال عمر بن الخطاب يا رسول الله صنعت شيئا ما كنت تصنعه قال عمدا فعلته يا عمر وقيل ان هذا اعلام
بان الوضوء لا يجب الا للصلوة لانه روي ان النبي صلى الله عليه واله كان اذا احدث امتنع من الاعمال كلها حتى لا يرد جواب السلام حتى يتطهر
للصلوة ثم يجيب حتى نزلت هذه الاية فاغسلوا وجوهكم هذا امر منه سبحانه بغسل الوجه والغسل هو امرار الماء على المحل حتى يسيل والمسح ان
يبل المحل بالماء من غير ان يسيل واختلف في حد الوجه فالمروي عن ائمتنا عليهم السلام انه من قصاص شعر الراس الى محادر شعر الذقن طولا وما دخل بين
الابهام والوسطى عرضا وقيل حده ما ظهر من بشرة الانسان من قصاص شعر راسه منحدرا الى منقطع ذقنه طولا وما بين الاذنين عرضا دون
ما غطاه الشعر من الذقن وغيره او كان داخل الفم والانف والعين فان الوجه عندهم ما ظهر للناظر ويواجهه دون غيره كما قلناه وهو
المروي عن ابن عباس وابن عمر والحسن وقتادة والزهري وشعبة وغيرهم واليه ذهب ابو حنيفة واصحابه وقيل الوجه كل ما دون منابت الشعر من
الراس الى منقطع الذقن طولا ومن الاذن الى الاذن عرضا ما ظهر من ذلك لعين الناظر من منابت شعر اللحية والعارض وما بطن وما كان منه
داخل الفم والانف وما اقبل من الاذنين على الوجه من الاذنين عن انس بن مالك وام سلمة وعمار ومجاهد وسعيد بن جبير وجماعة واليه ذهب
الشافعي وايديكم الى المرافق اي واغسلوا ايديكم ايضا والمرافق جمع المرفق وهو المكان الذي يرتفق به اي يتكأ عليه من اليد قال الواحدي كثير من النحويين
يجعلون الى هنا بمعنى مع ويوجبون غسل المرفق وهو مذهب اكثر الفقهاء وقال الزجاج لو كان معناه مع المرافق لم يكن في المرافق فائدة و
كان اليد كلها يجب ان يغسل ولكنه لما قيل الى المرافق اقتطعت في الغسل من حد المرفق فالمرافق حد ما ينتهي اليه في الغسل منها والظاهر انها
ذكر لكن الامة اجمعت على ان من بدأ من المرفقين في غسل اليدين صح وضوءه واختلفوا في صحة وضوء من بدأ من الاصابع الى المرفق واجمعت
الامة ايضا على ان من غسل المرفقين صح وضوءه واختلفوا فيمن لم يغسلها هل يصح وضوءه وقال الشافعي لا اعلم خلافا فان المرافق يجب
غسلها وقد جاء في القران الى بمعنى مع قوله تعالى من انصاري الى الله اي مع الله وقوله ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم ونحوه قول امرئ القيس
له كفل كالدعص لبده الندى الى حارك مثل الرتاج المضبب وفي امثال ذلك كثرة وامسحوا برؤسكم وهذا امر بمسح الراس والمسح ان
تمسح شيئا بيدك كمسح العرق عن جبينك والظاهر لا يوجب التعميم في مسح الراس لان من مسح البعض يسمى ماسحا والى هذا ذهب اصحابنا قالوا
يجب ان يمسح منه ما يقع عليه اسم المسح وبه قال ابن عمر وابرهيم والشعبي وهو مذهب الشافعي وقيل يجب مسح جميع الراس وهو مذهب مالك
وقيل يجب مسح ربع الراس عند ابي حنيفة وروي عنه روايات في ذلك لا نطول بذكرها وارجلكم الى الكعبين اختلف في ذلك فقال جمهور الفقهاء
ان فرضها الغسل وقالت الامامية فرضها المسح دون غيره وبه قال عكرمة وقد روي القول بالمسح عن جماعة من الصحابة والتابعين كابن عباس وانس و
ابي العالية والشعبي وقال الحسن البصري بالتخيير بين المسح والغسل واليه ذهب الطبري والجبائي الا انهما قالا يجب مسح جميع القدمين ولا يجوز
الاقتصار على مسح ظاهر القدم قال ناصر الحق من جملة ائمة الزيدية يجب الجمع بين الغسل والمسح وروي عن ابن عباس انه وصف وضوء رسول الله
صلعم فمسح على رجليه وروي عنه انه قال ان في كتاب الله المسح ويابى الناس الا الغسل وقال الوضوء غسلتان ومسحتان وقال قتادة افترض الله
غسلتين ومسحتين وروى ابن علية عن حميد عن موسى بن انس قال لانس ونحن عنده ان الحجاج خطبنا بالاهواز فذكر الطهور فقال اغسلوا
وجوهكم وايديكم وامسحوا برؤسكم وارجلكم وانه ليس شيء من بني ادم اقرب من خبثه من قدميه فاغسلوا بطونهما وظهورهما وعراقيبهما فقال
انس صدق الله وكذب الحجاج قال الله سبحانه وامسحوا برؤسكم وارجلكم قال وكان انس اذا مسح قدميه بلهما وقال الشعبي نزل جبرئيل بالمسح ثم قال
الا ترى التيمم يمسح ما كان غسلا ويلغى ما كان مسحا وقال يونس حدثني من صحب عكرمة الى واسط قال فما رايته غسل رجليه انما كان يمسح عليهما واما

ما روي عن سادة اهل البيت عليهم السلم في ذلك فاكثر من ان يحصى فمن ذلك ما رواه الحسين بن سعيد الاهوازي عن فضالة عن حماد بن عثمن عن غالب
بن هذيل قال سالت ابا جعفر عليه السلم عن المسح على الرجلين فقال هو الذي نزل به جبرئيل عليه السلم وعنه عن احمد بن محمد قال سالت ابا الحسن موسى بن جعفر ع
عن المسح على القدمين كيف هو فوضع بكفه على الاصابع ثم مسحها الى الكعبين فقلت له لو ان رجلا قال باصبعين من اصابعه هكذا الى الكعبين
قال لا الا بكفه كلها واما وجه القراءتين في ارجلكم فمن قال بالغسل حمل الجر فيه على انه عطف على الجوار وكذا قال المراد بالمسح هو الغسل و
روي عن ابي زيد انه قال المسح خفيف الغسل فقد قالوا تمسحت للصلوة وقوى ذلك بان التحديد والتوقيت انما جاء في المغسول ولم يجئ في
الممسوح فلما وقع التحديد في المسح علم انه في حكم الغسل لموافقته الغسل في التحديد وهو قول ابي علي الفارسي وقال بعضهم هو
خفض على الجوار كما قالوا جحر ضب خرب وخرب من صفات الجحر لا الضب وكما قال امرؤ القيس كان ثبيرا في عرانين وبله كبير اناس
في بجاد مزمل وقال الزجاج اذا قرئ بالجر يكون عطفا على الرؤس فيقتضي كونه ممسوحا وذكر عن بعض السلف انه قال نزل جبرئيل عليه السلم
بالمسح والسنة الغسل قال والخفض على الجوار لا يجوز في كتاب الله تعا ولكن المسح على هذا التحديد في القرآن كالغسل وقال الاخفش هو
معطوف على الرؤس في اللفظ مقطوع عنه في المعنى كقول الشاعر علفتها تبنا وماء باردا المعنى وسقيتها ماء باردا واما القراءة
بالنصب فقالوا فيها انه معطوف على ايديكم لانا راينا فقهاء الامصار عملوا على الغسل دون المسح ولما روي عن النبي صلعم رأى قوما توضاوا
واعقابهم تلوح فقال ويل للعراقيب من النار ذكره ابو علي الفارسي واما من قال بوجوب مسح الرجلين حمل الجر والنصب في وارجلكم على
ظاهره من غير تعسف فالجر للعطف على الرؤس والنصب للعطف على موضع الجار والمجرور وامثال ذلك في كلام العرب اكثر من ان يحصى
قالوا ليس فلان بقائم ولا ذاهبا وانشد معاوي اننا بشر فاسجح فلسنا بالجبال ولا الحديدا وقال تأبط شرا هل انت باعث دينار
لحاجتنا او عبد رب اخا عون بن مخراق فعطف بعبد على موضع دينار فانه منصوب في المعنى وابعد من ذلك قول الشاعر جئني بمثل
بني بدر لقومهم او مثل اخوة منظور بن سيار فانه لما كان معنى جئني هات او احضر لي مثلهم عطف بالنصب على المعنى واجابوا الاولين عما
ذكروه في وجه الجر والنصب من وجوه احدها ان فائدة اللفظين في اللغة والشرع مختلفة وقد فرق الله سبحانه بين الاعضاء المغسولة
وبين الاعضاء الممسوحة فكيف يكون معنى الغسل والمسح واحدا وثانيها ان الارجل اذا كانت معطوفة على الرؤس وكان الفرض في
الرؤس المسح الذي ليس بغسل بلا خلاف فيجب ان يكون حكم الارجل كذلك لان حقيقة العطف تقتضي ذلك وثالثها ان المسح لو كان بمعنى
الغسل لسقط استدلالهم بما رووه عن النبي صلى الله عليه واله انه توضأ وغسل رجليه لان على هذا لا ينكر ان يكون مسحهما فسموا المسح غسلا وفي
هذا ما فيه فاما استشهاد ابي زيد بقولهم تمسحت للصلوة فالمعنى فيه انهم لما ارادوا ان يخبروا عن الطهور بلفظ موجز ولم يجز ان يقولوا
تغسلت للصلوة لان ذلك تشبيه بالغسل قالوا بدلا من ذلك تمسحت لان المغسول من الاعضاء ممسوح ايضا فتجوزوا بذلك تعويلا على ان
المراد مفهوم وهذا لا يقتضي ان يكونوا جعلوا المسح من اسماء الغسل واما ما قالوه في تحديد طهارة الرجلين فقد ذكر المرتضى قدس الله روحه
في الجواب عنه ان ذلك لا يدل على الغسل وذلك لان المسح فعل اوجبته الشريعة كالغسل فلا ينكر تحديده كتحديد الغسل ولو صرح سبحانه فقال
وامسحوا بارجلكم وانتهوا بالمسح الى الكعبين لم يكن منكرا فان قالوا ان تحديد اليدين لما اقتضى الغسل قلنا انا لم نوجب الغسل في اليدين
للتحديد بل للتصريح بغسلهما وليس كذلك في الرجلين وان قالوا عطف المحدود على المحدود اولى واشبه بترتيب الكلام قلنا هذا لا يصح لان
الايدي محدودة وهي معطوفة على الوجوه التي ليست في الاية محدودة فاذا جاز عطف الارجل وهي محدودة على الرؤس التي ليست بمحدودة
وهذا اشبه مما ذكروه لان الاية تضمنت ذكر عضو مغسول غير محدود وهو الوجه وعطف عضو محدود مغسول عليه ثم استؤنف ذكر عضو
ممسوح غير محدود فيجب ان يكون الارجل ممسوحة محدودة معطوفة على الرؤس دون غيرها لتتقابل الجملتان فقد ذكرنا عن الزجاج انه لم يجوز ذلك
في القرآن ومن اجاز ذلك في الكلام فانما يجوز مع فقد حرف العطف وكل ما استشهد به على الاعراب بالمجاورة فلا حرف فيه حائل بين هذا وذاك
وايضا فان المجاورة انما ترد في كلامهم عند ارتفاع اللبس والامن من الاشتباه فان احدا لا يشتبه عليه ان خربا لا يكون من صفة الضب ولفظ
مزمل لا يكون من صفة البجاد وليس كذلك الارجل فانه يجوز ان تكون ممسوحة كالرؤس وايضا فان المحققين من النحويين نفوا ان يكون
الاعراب بالمجاورة جائزا في كلام العرب وقالوا في جحر ضب خرب انهم ارادوا خرب جحره فحذف المضاف الذي هو جحر واقيم المضاف اليه و

فكذلك تحديد الرجلين لا تقتضي الغسل

الضمير المجرور مقامه واذا ارتفع الضمير استكن في خرب وكذلك القول في كبير اناس في بجاد مزمل فتقديره مزمل كبيره فبطل الاعراب بالمجاورة جملة و
هذا واضح لمن تدبره واما من حمله على قول الشاعر علفتها تبنا وماء باردا كانه قدر في الاية واغسلوا ارجلكم فقوله ابعد من الجميع لان مثل ذلك
لو جاز في كتاب الله تعا على ضعفه وبعده في سائر الكلام فانما يجوز اذا استحال حمله على ظاهره فاما اذا كان الكلام مستقيما ومعناه ظاهرا فكيف
يجوز مثل هذا التقدير الشاذ البعيد فاما ما قال ابو علي في القراءة بالنصب على انه معطوف على الايدي فقد ذكر الجواب عنه المرتضى قدس الله روحه
بان قال جعل التاثير في الكلام للقريب اولى من جعله للبعيد فنصب الارجل عطفا على الموضع اولى من عطفهما على الايدي البعيد والوجه على
ان الجملة الاولى المأمور فيها بالغسل قد نقضت وبطل حكمها باستئناف الجملة الثانية ولا يجوز بعد انقطاع حكم الجملة الاولى ان تعطف على ما
فيها فان ذلك يجري مجرى قولهم ضربت زيدا وعمرا واكرمت خالدا وبكرا فان رد بكر الى خالد في الاكرام هو الوجه في الكلام الذي لا يسوغ سواه
ولا يجوز رده الى الضرب الذي قد انقطع حكمه ولو جاز ذلك ايضا لترجح ما ذكرناه لتطابق معنى القراءتين ولا يتنافيان فاما ما روي في الحديث
انه عليه السلم قال ويل للعراقيب من النار وغيره من الاخبار التي رووها عن النبي صلى الله عليه واله انه توضأ وغسل رجليه فالكلام في ذلك انه لا
يجوز ان يرجع عن ظاهر القرآن المعلوم بظاهر الاخبار الذي لا يوجب علما وانما يقتضي الظن على ان هذه الاخبار معارضة باخبار كثيرة وردت
طرقهم ووجدت في كتبهم ونقلت عن شيوخهم مثل ما روي عن اوس بن ابي اوس انه قال رايت النبي صلعم توضأ ومسح على نعليه ثم قام فصلى وعن حذيفة
قال اتى رسول الله صلى الله عليه واله سباطة قوم فبال عليها ثم دعا بماء فتوضأ ومسح على قدميه وذكره ابو عبيدة في غريب الحديث الى غير ذلك مما
يطول ذكره وقوله ويل للعراقيب من النار فقد روي عنهم ان قوما من اجلاف الاعراب كانوا يبولون وهم قيام فيتشرشر البول على اعقابهم و
ارجلهم فلا يغسلونها ويدخلون المسجد للصلوة وكان ذلك سببا لهذا الوعيد واما الكعبان فقد اختلف في معناهما فعند الامامية هما العظمان
الناتيان في ظهر القدم عند معقد الشراك ووافقهم في ذلك محمد بن الحسن صاحب ابي حنيفة وان كان يوجب غسل الرجلين الى هذا الموضع وقال
جمهور المفسرين والفقهاء الكعبان هما عظما الساقين قالوا ولو كان كما قالوه لقال سبحانه وارجلكم الى الكعاب ولم يقل الى الكعبين لان على
ذلك القول يكون في كل رجل كعبان وان كنتم جنبا فاطهروا معناه ان كنتم جنبا عند القيام الى الصلوة فتطهروا بالاغتسال وهو ان تغسلوا
جميع البدن والجنابة انما تكون بانزال الماء الدافق على كل حال او بالتقاء الختانين وحد غيبوبة الحشفة في الفرج سواء كان معه انزال او لم
يكن وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه
قد مر تفسيره في سورة النساء فلا معنى لاعادته ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج معناه ما يريد الله بما فرض عليكم من الوضوء اذا قمتم للصلوة
والغسل من الجنابة والتيمم عند عدم الماء او تعذر استعماله ليلزمكم في دينكم من ضيق ولا ليعنتكم فيه عن مجاهد وجميع المفسرين ولكن يريد
ليطهركم بما فرض عليكم من الوضوء والغسل من الاحداث والجنابة اي ينظف اجسادكم ويطهركم من الذنوب واللام دخلت فيه لتبيين الارادة
اي يريد ذلك لتطهيركم كما قال الشاعر اريد لانسى ذكرها فكانما تمثل لي ليلى بكل سبيل ويؤيد ما قلناه ما روي عن قتادة عن شهر بن حوشب
عن ابي امامة ان النبي صلعم قال ان الوضوء يكفر ما قبله وليتم نعمته عليكم اي ويريد الله تعا تطهيركم من ذنوبكم بطاعتكم اياه فيما فرض عليكم من الوضوء
والغسل واذا قمتم الى الصلوة مع وجود الماء او التيمم عند عدمه ان يتم نعمته باباحته لكم التيمم وتصييره لكم الصعيد طهورا رخصة منه لكم مع سائر
نعمه التي انعم بها عليكم لعلكم تشكرون اي لكي تشكروا الله على نعمته بطاعتكم اياه فيما امركم به ونهاكم وتضمنت هذه الاية احكام الوضوء وصفته
واحكام الغسل والتيمم ومسائلها المتفرعة عنها كثيرة موضعها الكتب المؤلفة في الفقه قوله عز وجل واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي
واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا واتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور اية الاعراب انما قال ذات الصدور على لفظ التانيث لان المراد
بذات الصدور الحقائق التي تحل القلوب ولم يقل ذوات لينبئ عن التفصيل في كل ذات المعنى لما قدم سبحانه ذكر بيان الشرائع عقبه بتذكير نعمه فقال
اذكروا نعمة الله عليكم ولم يقل نعم الله للاشعار بعظم النعمة لا من جهة التضعيف اذ كل نعمة من الله فانه يستحق عليها اعظم الشكر لكونها اصل النعم
اذ هي مثل خلق الحيوة والعقل والحواس والقدرة والالات وقيل بل لانه ذهب مذهب الجنس في ذلك وجعل النعم تسمى نعمة كما ان قطاعين
الارض تسمى ارضا وميثاقه الذي واثقكم به قيل فيه اقوال احدها ان معناه ما اخذ عليهم رسول الله صلى الله عليه واله عند اسلامهم وبيعتهم بان
يطيعوا الله في كل ما يفرضه عليهم مما ساءهم او سرهم عن ابن عباس والسدي وثانيها ان المراد بالميثاق ما بين لهم في حجة الوداع من تحريم

اوس بن

المحرمات وكيفية الطهارة وفرض الولاية وغير ذلك عن ابي الجارود عن ابي جعفر عليه السلم وهذا داخل في القول الاول اذ هو بعض ما فرض الله تعالى وثانيها ان المراد به مبايعتهم للنبي صلعم يوم بيعة العقبة وبيعة الرضوان عن ابي علي الجبائي ورابعها ان معناه ما اخذ عليهم حين اخرجهم من صلب ادم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى عن مجاهد وهذا اضعف الاقوال اذ قلتم سمعنا واطعنا يعني سمعنا ما تقول واطعناك فيما تامرنا واتقوا الله يعني يا بنا ان الله عليم بذات الصدور اي بما تضمرونه في صدوركم من المعاني والمراد بالصدور ههنا القلوب وانما جاز ذلك لان موضع القلب الصدر قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنان قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر عظيم والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم ثلث ايات اللغة جرمت واجرمت بمعنى وقيل يعني لا يجرمنكم لا يدخلنكم في الجرم كما يقال اثمته اي ادخلته في الاثم وتقول وعدت الرجل تريد الخير واوعدت الرجل تريد الشر فاذا ذكرت الموعود قلت فيهما وعدته واوعدته فقوله سبحانه وعد الله الذين امنوا يدل على الخبر ثم بين ذلك الخير فقال لهم مغفرة الاعراب قوامين نصب بانه خبر كان وشهداء نصب على الحال وقوله لهم مغفرة جملة وقعت موقع المفرد كقول الشاعر وجدنا الصالحين لهم جزاء وجنات وعينا سلسبيلا وتكون الجملة التي هي لهم مغفرة في موضع نصب ولذلك عطف في البيت عينا ونصب على الموضع ويحتمل ان يكون موضع لهم مغفرة رفعا ويكون الموعود به محذوفا المعنى لما ذكر سبحانه الوفاء بالعهود بين سبحانه ما يلزم الوفاء به ما ذكر في الاية فقال سبحانه يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين اي قائمين لله اي ليكن من عادتكم القيام لله بالحق في انفسكم بالعمل الصالح وفي غيركم بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ويعني بقوله لله افعلوا ذلك ابتغاء مرضات الله شهداء بالقسط اي بالعدل وقيل معناه كونوا دعاة لله مبينين عن دين الله بالعدل والحق والحجج لان الشاهد يبين ما شهد عليه وقيل معناه كونوا من اهل العدالة الذي حكم الله تعالى بان مثلهم يكونون شهداء على الناس يوم القيامة ولا يجرمنكم شنان قوم ذكرنا معناه في اول السورة قال الزجاج من حرك النون من شنان اراد بغض قوم ومن سكن اراد بغيض قوم ذهب الى ان الشنان مصدر والشنان بالسكون صفة على ان لا تعدلوا اي لا يحملنكم بغضكم اياهم وعلى القول الاخر فتقديره لا يحملنكم بغيض قوم وعدو قوم على ان لا تعدلوا في حكمكم فيهم وسيرتكم بينهم فتجوروا عليهم اعدلوا اي اعملوا بالعدل ايها المؤمنون في اوليائكم واعدائكم هو اقرب للتقوى اي العدل اقرب الى التقوى واتقوا الله اي خافوا عقابه بفعل الطاعات واجتناب السيئات ان الله خبير اي عالم بما تعملون اي باعمالكم يجازيكم عليها وعد الله الذين امنوا اي صدقوا بوحدانية الله تعالى واقروا بنبوة محمد صلعم واله وعملوا الصالحات اي الحسنات من الواجبات والمندوبات لهم مغفرة اي مغفرة لذنوبهم وتكفير لسيئاتهم والمراد به التغطية والستر واجر عظيم يريد ثوابا عظيما والفرق بين الثواب والاجر ان الثواب يكون جزاء على الطاعات والاجر قد يكون على سبيل المعاوضة بمعنى الاجرة والوعد هو الخبر الذي يتضمن النفع من المخبر والوعيد هو الخبر الذي يتضمن الضرر من المخبر والذين كفروا اي جحدوا توحيد الله وصفاته وانكروا نبوة نبيه وكذبوا بايات الله اي بدلائله وبراهينه اولئك اصحاب الجحيم معناه انهم يخلدون في النار لان المصاحبة تقتضي الملازمة قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمت الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون اية اللغة الذكر هو حضور المعنى للنفس وقد يستعمل الذكر بمعنى القول لان من شانه ان يذكر به المعنى والتذكر طلب المعنى لا طلب القول والهم بالامر هو حديث النفس بفعله يقال هم بالامر يهم هما ومنه الهم وهو الفكر الذي يغم وجمعه هموم واهمه الامر اذا عني به فحدث نفسه والفرق بين الهم بالشيء والقصد اليه انه قد يهم بالشيء قبل ان يريده ويقصده بان يحدث نفسه به وهو مع ذلك مقبل على فعله المعنى ثم خاطب الله سبحانه المؤمنين وذكرهم نعمة عليهم بما دفع عنهم كيد الاعداء فقال يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم اي قصدوا ان يبسطوا اليكم ايديهم فيمن بسط اليهم الايدي على اقوال احدها انهم اليهود هموا بان يفتكوا بالنبي صلعم وهم بنو النضير دخل رسول الله صلعم مع جماعة من اصحابه عليهم وكانوا قد عاهدوه على ترك القتال وعلى ان يعينوه في الديات فقال عليه السلم رجل من اصحابي اصاب رجلين معهما مني امان فلزمني ديتهما فاريد ان تعينوني فقالوا نعم اجلس حتى نطعمك ونعطيك الذي تسالنا وهموا بالفتك بهم فاذن به رسول فاطلع النبي صلعم اصحابه على ذلك وانصرفوا وكان ذلك احدى معجزاته عن مجاهد وقتادة واكثر المفسرين وثانيها ان قريشا بعثوا رجلا ليقتل النبي صلى الله عليه واله فدخل عليه وفي يده صلى الله عليه واله السيف مسلول فقال اعارنيه فاعطاه اياه فلما حصل في يده قال فما الذي يمنعني من قتلك قال الله يمنعك فرمى السيف ورام

نعمة م

نظرم

واسم الرجل عمرو بن وهب الجمحي بعثه صفوان بن امية ليغتاله بعد بدر وكان سبب ذلك اسلام عمرو بن وهب عن الحسن وثالثها ان المعنى بذلك ما لطف الله للمسلمين من كف اعدائهم عنهم حين هموا باستيصالهم باشياء شغلهم بها من الامراض والقحط وموت الاكابر وهلاك المواشي وغيرها من الاشياء التي انصرفوا عندها عن قتل المؤمنين عن ابي علي الجبائي ورابعها ما قاله الواقدي ان رسول الله صلعم واله غزا جمعا من بني ذبيان ومحارب بذي امر فتحصنوا برؤس الجبال ونزل رسول الله صلى الله عليه واله بحيث يراهم فذهب لحاجته فاصابه مطر فبل ثوبه فنشره على شجرة واضطجع تحته والاعراب ينظرون اليه فجاء سيدهم دعثور بن الحرث حتى وقف على راسه بالسيف مشهورا فقال يا محمد من يمنعك اليوم مني فقال الله ودفع جبرئيل عليه السلم في صدره فوقع السيف من يده واخذ رسول الله صلى الله عليه واله وقام على راسه فقال من يمنعك اليوم مني فقال لا احد وانا اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فنزلت الاية وعلى هذا فيكون تخلص النبي صلعم مما هموا به نعمة على المؤمنين من حيث ان مقامه بينهم نعمة عليهم فلذلك اعتد به عليهم وقوله فكف ايديهم عنكم اي منعهم من الفتك بكم واتقوا الله ظاهر المعنى وعلى الله فليتوكل المؤمنون اي فليتوكل المؤمنون بنصر الله وليتوكلوا عليه فان الله سبحانه كافيهم وناصرهم قوله عز وجل ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله اني معكم لئن اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة وامنتم برسلي وعزرتموهم واقرضتم الله قرضا حسنا لاكفرن عنكم سيئاتكم ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل اية اللغة الميثاق اليمين المؤكدة لانها يستوثق بها من الامر واصل النقيب في اللغة من النقب وهو الثقب الواسع ونقيب القوم كالكفيل والضمين ينقب عن الاسرار ومكنون الاضمار ومنه نقاب المراة ومنه المناقب الفضائل لانها تظهر بالتنقيب عليها والنقب الطريق في الجبل ويقال نقب الرجل على القوم اذا صار نقيبا وصناعته النقابة ولقد نقب وكذلك عرف عليهم اذا صار عريفا ونكب عليهم ينكب نكابة اذا صار منكبا وهو دون العريف والنقاب الرجل العالم بالاشياء الذكي القلب الكثير البحث عن الامور والتنقير عن الخير وجمعها النقب والنقب قال سلابد وعاسر يتبع الحداء مواضع النقب واصل الباب كله ومعناه التاثير الذي له عمق ودخول من ذلك نقبت الحائط اي بلغت في النقب اخره ومن ذلك النقبة في الجرب لانه داء شديد الدخول والنقبة السراويل لان رجليها قد بولغ في فتحها فانما قيل نقيب لانه يعلم دخلة امور القوم يعرف مناقبهم وهو الطريق الى معرفة امورهم وقال ابو عبيدة التعزير التوقير وانشد وكم من ماجد لهم كريم ومن لبث يعزر في الندى اي يعظم والعزر الرد والمنع في قول الفراء يقول عزرت فلانا اذا ادبته وفعلت به ما يردعه عن القبيح ومنه التعزير في الشرع والتعظيم لان ذلك يمنع صاحبه من ان يرده بسوء والضلال الركوب على غير هدى وسواء كل شيء وسطه الاعراب انما قال قرضا ولم يقل اقراضا لانه ردة الى قرض فرضا فان في قرضتم معنى القرض وهذا كقوله والله انبتكم من الارض نباتا ولم يقل انباتا وقال امرؤ القيس رضت فذلت صعبة اي اذلال اي رضت معنى اذللت المعنى لما بين سبحانه خيانة اليهود وهمهم بقتله وانه دفع عنه شرهم عقبه بذكر احوال اليهود وخبث سرايرهم وقبح عادتهم في خيانة الرسل تسلية للنبي صلعم والدفيما هموا به فقال ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل اي عهدهم المؤكد باليمين باخلاص العبادة له والايمان برسله وما ياتون به من الشرائع وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا اي امرنا موسى بان يبعث من الاسباط الاثني عشر اثني عشر رجلا كالطلايع يتجسسون وياتون بني اسرائيل باخبار ارض الشام واهلها الجبارين فاختار من كل سبط رجلا يكون لهم نقيبا اي امينا كفيلا فرجعوا ينهون قومهم عن قتالهم لما راوا من شدة باسهم وعظم خلقهم الا رجلين منهم كالب بن يوفنا ويوشع بن نون عن مجاهد والسدي وقيل معناه اخذنا من كل سبط منهم ضمينا بما عقدنا عليهم من الميثاق في امر دينهم عن الحسن والجبائي وقيل معناه اثني عشر نبيا وقيل شهيدا على قومه عن قتادة وقال البلخي يجوز ان يكونوا رسلا ويجوز ان يكونوا قادة وقال ابو مسلم بعثوا انبياء ليقيموا الدين ويعلموا الاسباط التورية ويامروهم بما فرض الله عليهم وامرهم به وقال الله اني معكم قيل انه خطاب للنقباء عن الربيع وقيل خطاب لبني اسرائيل الذي اخذ منهم الميثاق ويجوز ان يدخل فيهم النقباء عن اكثر المفسرين اي قال الله لهم وحذف لدلالة الكلام عليه اني معكم بالنصر والحفظة انصركم على عدوي وعدوكم الذين امرتكم بقتالهم فاتلتموهم ووفيتم بعهدي وميثاقي الذي اخذته عليكم ثم ابتدا سبحانه فقال لئن اقمتم الصلوة معشر بني اسرائيل واتيتم الزكوة اي اعطيتموها وامنتم برسلي اي صدقتم بما اتاكم به رسلي من شرائع ديني وقيل انه خطاب للنقباء وعزرتموهم اي نصرتموهم عن الحسن ومجاهد والزجاج وقيل عظمتموهم ووقرتموهم واطعتموهم وامنتم برسلي اي صدقتم بما اتاكم به رسلي من شرائعي عن ابن زيد وابي عبيدة واقرضتم الله قرضا

٢٧٢

حسنا اي انفقتم في سبيل الله واعمال البر نفقة حسنة تجازيكم بها فكانه قرض من هذا الوجه وقيل يعني قرضا حسنا عفوا من طيبة النفس ولا لامن ولا اذى
وقيل يعني حلالا لاكفرن عنكم سيئاتكم اي لاغطين على ما مضى من اجرامكم بعفوي واسقاطي عنكم وبال ذلك ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار
ظاهر المعنى فمن كفر بعد ذلك منكم اي بعد بعث النقباء واخذ الميثاق فقد ضل سواء السبيل اي اخطا قصد الطريق الواضح وزال عن منهاج الحق وفي
هذا دلالة واشارة الى ان الحق بين الغلو والتفريط كما روي عن امير المؤمنين عليه السلام اليمين والشمال مضلة والطريق الوسطى هي الجادة
قوله عز وجل فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة
منهم الا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين اية القراءة قرا حمزة والكسائي قسية بغير الف وقرا الباقون قاسية بالف
الحجة حجة من قرا قسية ان فعيلا قد يجيء بمعنى فاعل مثل شاهد وشهيد وعالم وعليم وعارف وعريف ومن قرا قاسية فلانه اعرف والاكثر
في مجرى العادة اللغة القسوة خلاف اللين والرقة قال ابو عبيدة قد قسوت وقسا الذي اي ما رقني من الشباب وللدونية قال
الشديد الصلابة قال ابو العباس الدرهم انما سمي قسيا اذا كان فاسدا زائفا لشدة صوته بالغش الذي فيه قال ابو زبيد يصف وقع المساحي في حجارة
لها صواهل في صم السلام كما صاح القسيات في ايدي الصياريف قال ابو علي ايجب قسيا في الدراهم معربا واذا كان معربا لم يكن من القسوة العربي
في شيء الا ترى ان قابوس وابليس وجالوت وطالوت ونحو ذلك من الاسماء الاعجمية التي من الفاظها عربي لا يكون مشتقة من باب القبس و
الابلاس بدلالة امتناع ذلك من الصرف والخائنة الخيانة وفاعلة في اسماء المصادر كثيرة نحو ما قالوا عافاه الله عافية واهلكوا بالطاغية وليس لوقعتها
كاذبة ويقال سمعت راغية الغنم وراغية الابل وقد يقال رجل خائنة على المبالغة قال الشاعر حدثت نفسك بالوفاء ولم تكن للغدر خائنة
مغل الاصبع قوله مغل يعني خائنة الاعراب ما في قوله فبما نقضهم زائدة مؤكدة اي فبنقضهم ومثله قول الشاعر لشيء ما يسود من يسود يحرفون
في موضع نصب على الحال من قوله فبما نقضهم ميثاقهم اي محرفين الكلم ويجوز ان يكون كلاما مستانفا ويكون التمام عند قوله قاسية وقليلا منهم
نصب على الاستثناء من الهاء والميم في قوله على خائنة منهم المعنى ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم في تسلية
للنبي صلى الله عليه وآله يقول لا تعجبن يا محمد من هؤلاء اليهود الذين اخذت ميثاقهم هموا ان يبسطوا ايديهم اليك والى اصحابك ونكثوا العهد
الذي بينك وبينهم وغدروا بك فان ذلك دابهم وعادة اسلافهم الذين اخذت ميثاقهم على طاعتي في زمن موسى وبعثت منهم اثني عشر نقيبا
نقضوا ميثاقي وعهدي فلعنتهم بنقضهم ذلك الميثاق والعهد وفي الكلام محذوف اكتفى بدلالة الظاهر عليه وتقديره فنقضوا ميثاقهم
فلعناهم بنقضهم ذلك الميثاق والعهد المؤكد اي طردناهم وابعدناهم من رحمتنا عن عطا وجماعة وقيل معناه مسخناهم قردة و
خنازير عن الحسن ومقاتل وقيل عذبناهم بالجزية عن ابن عباس وكان نقضهم الميثاق من وجوه منها انهم كذبوا الرسل وقتلوا الانبياء و
نبذوا الكتاب وضيعوا حدوده وفرائضه عن قتادة ومنها انهم كتموا صفة النبي صلى الله عليه وآله عن ابن عباس وجعلنا قلوبهم قاسية غليظة
تنبو عن قبول الحق ولا تلين عن ابن عباس ومعناه سلبناهم التوفيق واللطف الذي تنشرح به صدورهم حتى ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون
وهذا كما يقول الانسان لغيره افسدت سيفك اذا ترك تعاهده حتى صدي وجعلت اظافيرك سلاحك اذا لم يقصها وقيل معناه بينا عن حال
قلوبهم وما هي عليه من القساوة وحكمنا بانهم لا يؤمنون ولا تنجع فيهم موعظة عن الجبائي وقيل يعني قاسية ردية فاسدة من الدراهم القسية
اذا كانت زائفة وهذا راجع الى معنى اليبس ايضا لانها تكون يابسة الصوت لما فيها من الغش والفساد ويقال الرحيم لين القلب والجبار
يابس القلب يحرفون الكلم عن مواضعه اي يغيرونه على غير ما انزل ويغيرون صفة النبي صلى الله عليه وآله فيكون التحريف بامرين احدهما سوء
التاويل والاخر التغيير والتبديل كقوله سبحانه ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ونسوا حظا مما ذكروا به وتركوا نصيبا مما وعظوا
به وما امروا به في كتابهم من اتباع النبي صلى الله عليه وآله والاقرار به وصفته عندهم ولو امنوا به واتبعوه كان لهم حظا وقيل معناه ضيعوا ما ذكرهم الله
به في كتابهم مما فيه رشدهم وتركوا التلاوة ونسوه على مر الايام ولا تزال تطلع على خائنة منهم يعني على خائنة خيانة اي معصية عن ابن عباس
وقيل كذب وزور ونقض عهد ومظاهرة للمشركين على رسول الله صلى الله عليه وآله وغير ذلك مما كان يظهر من اليهود من انواع الخيانات
وقيل ان معناه تطلع على فرقة خائنة اي جماعة خائنة منهم اذا قالوا ولا خائن فعله واذا عاهدوا عهدا نقضوه الا قليلا منهم لم يخونوا فاعف
عنهم واصفح ما داموا على عهدك ولم يخونوك عني بهم القليل الذي استثناهم عن ابي مسلم وقيل معناه فاعف عنهم اذا تابوا وبذلوا الجزية

عن الحسن وجعفر بن مبشر واختاره الطبري وقيل انه منسوخ بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله الاية عن قتادة وقيل منسوخ بقوله واما تخافن من
قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء عن الجبائي ان الله يحب المحسنين ظاهر المعنى قوله عز وجل ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم فنسوا حظا
مما ذكروا به فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون اية اللغة معنى الاغراء تسليط بعضهم على
بعض وقيل معناه التحريش واصله اللصوق يقال غريت بالرجل غرى اذا لصقت به عن الاصمعي وقال غيره غريت به غراء ممدود واغريت زيدا بكذا
حتى غري به ومنه الغراء الذي تلصق به الاشياء المعنى ثم بين سبحانه حال النصارى في نقضهم ميثاق عيسى عليه السلام كما بين حال اليهود في نقضهم
ميثاق موسى عليه السلام فقال ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم اي من الذين ذكروا انهم نصارى اخذنا الميثاق بالتوحيد والاقرار بنبوة
المسيح وجميع انبياء الله وانهم كلهم عبيد الله فنقضوا هذا الميثاق واعرضوا عنه وهذا اشارة الى انهم ابتدعوا النصرانية التي هم عليها اليوم وتسموا
بها ولهذا لم يقل من النصارى لانه سبحانه اطلق هذا الاسم في مواضع عليهم لانتصار بعضهم ببعض وعلامة عن الحسن فنسوا حظا مما ذكروا به مر بيانه فاغرينا
بينهم العداوة والبغضاء اختلف فيه فقيل ان المراد بين اليهود والنصارى عن الحسن وجماعة من المفسرين وقيل المراد بين اصناف النصارى خاصة
من اليعقوبية والملكانية والنسطورية من الخلاف والعداوة عن الربيع واختاره الزجاج والطبري وانما اغرى بينهم العداوة بانهم اختلفوا
في الدين وذلك لان النسطورية قالت ان عيسى ابن الله واليعقوبية قالت ان الله هو المسيح بن مريم والملكانية وهم الروم ان الله ثالث ثلاثة
الله وعيسى ومريم وقيل امر بعضهم ان يعادي بعضا عن الجبائي فكانه يذهب الى الامر بمعاداة الكفار وان هؤلاء يكفر بعضهم بعضا وقوله الى
يوم القيامة يعني ان المعاداة تبقى بينهم الى يوم القيامة ما بين اليهود والنصارى وما بين فرق النصارى وقيل الوجه في قوله سبحانه فاغرينا بينهم
العداوة والبغضاء انه اخبر انهم اختلفوا فيما بينهم وكلهم على خطا وضلال وقد جعل الله سبحانه على كل مقالة من مقالاتهم التي اخطاوا فيها دلالة
عرف بها بعضهم خطا بعض فتعادوا لاجل ذلك وتباغضوا ولم يعرف كل فرقة منهم خطا انفسهم فلما لم يصل كل منهم الى الحق بخطا صاحبه من جهة
كتاب الله ودلائله والتعادي بينهم كان من اجل ذلك جاز ان يقول فاغرينا بينهم على هذا الوجه عن جعفر بن حرب وقيل الوجه في ذلك انا
احلنا على كل منهم ما يوجب الوحشة والتفرق عن صاحبه وما يهيج العصبية والعداوة عقوبة لهم على تركهم الميثاق وسوف ينبئهم الله
عند المحاسبة بما كانوا يصنعون في الدنيا من نقض الميثاق ويعاقبهم على ذلك بحسب استحقاقهم فكانه لما قال سبحانه وتعالى فاعف عنهم واصفح
بين بعد ذلك انه من وراء الانتقام منهم وانه مجازيهم على صنيعهم وقبيح فعلهم قوله عز وجل يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين
لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام و
يخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم ايتان كوفي وثلث عند غيرهم اللغة الرضوان والرضا من الله ضد
السخط وهو ارادة الثواب لمستحقه وقال قوم هو المدح على الطاعة والثناء وقال علي بن عيسى هو جنس من الفعل تقتضي وقوع الطاعة
ما يبطلها وينافي الغضب قال لان الرضا بما مضى يصح وارادة ما مضى لا يصح اذ قد يصح ان يرضى بما كان ولا يصح ان يريد ما كان وهذا الذي ذكره
غير صحيح لان الرضا عبارة عن ارادة حدوث الشيء من الغير غير انها لا تسمى بذلك الا اذا وقع مرادها ولم يتخللها كراهية فيتفق تسميتها بالرضا
على وقوع المراد لان بعد وقوع المراد يفعل ارادة ينفي التعلق بما كان فسقط ما قاله المعنى لما ذكر سبحانه ان اليهود والنصارى نقضوا العهد
وتركوا ما امروا به عقب ذلك بدعائهم الى الايمان بمحمد صلعم وذكرهم ما اتاهم من اسرار كتبهم حجة عليهم فقال يا اهل الكتاب يخاطب اليهود والنصارى
قد جاءكم رسولنا محمد صلى الله عليه وآله يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب يعني ما بينه عليه السلام من رجم الزانيين واشياء كانوا يحرفونها من
كتابهم بسوء التاويل وانما قال يا اهل الكتاب لان الكتاب اسم جنس وفيه معنى العهد فسلك طريقة الايجاز في اللفظ من حيث كانوا كانهم اهل كتاب
واحد ويعفو عن كثير معناه يترك كثيرا لا يذكره ولا ياخذكم به لانه لا يؤمر به عن ابي علي الجبائي وقيل معناه يصفح عن كثير منهم بالتوبة عن الحسن فالوجه
في تبيين بعضه وترك بعضه انه يبين ما فيه دلالة على نبوته من صفاته ونعته والبشارة به وما يحتاج الى علمه غيره لك مما يتفق له الاسباب
التي يحتاج معها الى استعلام كما اتفق ذلك في الرجم وما عدا هذين مما ليس في تفصيله فائدة يكتفى بذكره في الجملة قد جاءكم من الله نور يعني بالنور
محمدا صلعم لانه يهتدي به الخلق كما يهتدى بالنور عن قتادة واختاره الزجاج وقيل يعني به القران لانه يبين الحق من الباطل عن ابي علي الجبائي
والاول اولى لقوله وكتاب مبين فيكون اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين يهدي به الله اي بالكتاب المبين وهو القران وقيل بالنبي صلعم

من اتبع رضوانه اي من اتبع رضى الله في قبول القرآن والايمان وتصديق النبي صلى الله عليه وآله واتباع الشرائع سبل السلام قيل السلام هو الله سبحانه عن الحسن والسدي ومعناه سبل الله وهو الشرائع التي شرعها لعباده وهو الاسلام وقيل انه السلامة من كل مخافة ومضرة الا ما لا يعتد به لانه يؤول الى نفع في العاقبة عن الزجاج اي يهدي الى طرق السلامة من اتبع ما فيه رضا الله والسلام والسلامة كالضلال والضلالة والمراد بقوله يهدي انه يفعل اللطف المؤدي به الى سلوك طريق الحق ويخرجهم من الظلمات الى النور معناه من الكفر الى الايمان لان الكفر يتحير فيه صاحبه كما يتحير في الظلام ويهتدي بالايمان الى النجاة كما يهتدي بالنور باذنه اي بلطفه ويهديهم الى صراط مستقيم اي يرشدهم الى طريق الحق وهو دين الاسلام عن الحسن وقيل الى طريق الجنة عن ابي علي الجبائي قوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض جميعا ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والارض وما بينهما واليه المصير آيتان اللغة الاحباء جمع الحبيب والحب المحبة وقد يكون بمعنى الارادة وقد يكون بمعنى الشهوة ويستعمل في كل واحد منهما ولم يقل وما بينهن مع انه ذكر السموات على الجمع لانه اراد به النوعين والصنفين كما قال الشاعر طرقا فتلك هماهمي اقريهما قلصا لواقح كالقسي وحولا فقال طرقا ثم قال فتلك هماهمي المعنى ثم حكى سبحانه عن النصارى ما قالوا في المسيح فقال لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم كفرهم الله سبحانه بهذا القول لانهم قالوه على وجه التدين به والاعتقاد لا على وجه الحكاية والانكار وانما كفروا بذلك لوجهين احدهما انهم كفروا بالنعمة من حيث اضافوها الى غير من اذ ادعوا الالهية والاخر انهم كفروا بالله ووصفوا المسيح وهو محدث بصفات الله تعالى فقالوا هو اله وكل جاهل بالله كافر لانه اضاع نعمة الله تعالى كان بمنزلة من اضافها الى غيره قل يا محمد فمن يملك من الله شيئا اي من يقدر ان يدفع من امر الله شيئا من قولهم ملكت على فلان امره اذا اقتدرت عليه حتى لا يمكنه انفاذ شيء من امره الا بك وتقديره من يملك من امر الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض جميعا معنى بذلك انه لو كان المسيح الها لقدر على دفع امر الله تعالى اذا اراد اهلاكه واهلاك غيره وليس بقادر عليه لاستحالة القدرة على مغالبة القديم اي فكيف يجوز اعتقاد الربوبية فيه مع انه مخلوق مربوب مقهور وقيل معناه ان من قدر على هذا لم يجز ان يكون معه اله ولا ان يشبهه شيء ولله ملك السموات والارض وما بينهما ومن كان بهذه الصفة فلا ثاني له وذلك يدل على ان المسيح ملك له واذا كان ملكا لم يكن الها وانما دل لان المملوك لا يجوز ان يكون مالكا فكيف يكون الها وقوله يخلق ما يشاء اي ما يشاء ان يخلقه فان شاء خلق من ذكر او انثى وان شاء خلق من انثى بغير ذكر فدل بهذا على انه ليس في كون المسيح من انثى بغير ذكر دلالة على كونه الها والله على كل شيء قدير اي يقدر على كل شيء يريد ان يخلقه وفي هذه الاية دلالة رد على النصارى القائلين بان الله جل جلاله اتحد بالمسيح فصار الناسوت لاهوتا يجب ان يبعد ويتخذ الها فاحتج عليهم بان من جاز عليه الهلاك لا يجوز ان يكون الها وكذلك من كان مولودا مربوبا لا يكون ربا ثم حكى عن الفريقين من اهل الكتاب فقال وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قيل ان اليهود قالوا نحن في القرب من الله بمنزلة الابن من ابيه والنصارى لما قالوا المسيح ابن الله جعلوا نفوسهم ابناء الله واحباءه لانهم تاولوا ما في الانجيل من قول المسيح اذهب الى ابي وابيكم عن الحسن وقيل ان جماعة من اليهود منهم كعب بن الاشرف وكعب بن اسيد وزيد بن التابوه وغيرهم قالوا للنبي صلى الله عليه وآله حين حذرهم بنقمات الله وعقوباته لا تخوفنا فانا ابناء الله واحباؤه فان غضب علينا فانما يغضب كغضب الرجل على ولده يعني انه يزول عن قريب عن ابن عباس وقيل انه لما قال قوم ان المسيح ابن الله اجرى ذلك على جميعهم كما تقول العرب هذيل شعراء اي فيهم شعراء وكما قالوا رهط مسيلمة نحن انبياء اي قال قائلهم وكما قال جرير ندسنا ابا مندوسة القين بالقنا فقال ندسنا وانما الناد س رجل من قوم جرير ثم قال سبحانه لنبيه صلى الله عليه وآله قل لهؤلاء المفترين على ربهم فلم يعذبكم بذنوبكم اي فلاي شيء يعذبكم بذنوبكم ان كان الامر على ما زعمتم فان الاب يشفق على ولده والحبيب على حبيبه فلا يعذبه وهم يقرون بانهم يعذبون لانهم لو لم يقولوا بذلك لكذبوا كتبهم وقد اقرت اليهود بانهم يعذبون اربعين اياما عدد الايام التي عبدوا فيها العجل وقيل ان معناه الماضي وان كان لفظه المستقبل اي فلم عذبكم وقد اقررتم بانه عذبكم عند عبادتكم العجل وعذبكم بان جعل منكم القردة والخنازير وخلى بينكم وبين بخت نصر حتى فعل بكم ما فعل والحبيب لا

وقوله

يعذب حبيبه فلو كنتم احباءه لما عذبكم بل انتم بشر ممن خلق اي ليس الامر على ما قلتم انكم ابناء الله واحباؤه بل انتم خلق من بني آدم ان احسنتم جوزيتم على احسانكم وان اسأتم جوزيتم على اساءتكم كما يجازى غيركم وليس لكم عند الله الا ما لغيركم من خلقه يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء انما تعلق بالمشية مع انه سبحانه لا يشاء العقوبة الا لمن كان عاصيا لما في ذلك من البلاغة والايجاز برد الامور الى العالم الحكيم لانه يجريها على وجه الحكمة ولله ملك السموات والارض يملك ذلك وحده لا شريك له يعارضه وما بينهما اي ما بين الصنفين ودل ذلك على انه لا ولد له لان الولد يكون من جنس الوالد فلا يكون مملوكا واليه المصير معناه انه يؤول اليه امر العباد فلا يملك ضرهم ونفعهم غيره لانه يبطل تمليكه لغيره ذلك اليوم كما يقال صار امرنا الى القاضي وانما يراد بذلك انه المتصرف فينا والامر لنا الا على معنى قرب المكان قوله عز وجل يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير آية اللغة الفترة فعلة من فتر عن عمله يفتر فتورا اذا سكن فيه وفتر عنه والفترة انقطاع ما بين النبيين عند جميع المفسرين والاصل فيها الانقطاع عما كان الامر اليه من الجد في العمل وفتر الماء اذا انقطع عما كان عليه من البرد الى السخونة وامرأة فاترة الطرف اي منقطعة عن حدة النظر الاعراب موضع ان تقولوا نصب عند البصريين وتقديره كراهة ان تقولوا فحذف المضاف الذي هو مفعول له واقيم المضاف اليه مقامه وقال الكسائي والفراء تقديره لئلا تقولوا ومن في قوله من بشير مزيدة وفائدتها نفي الجنس وموضع الجار والمجرور رفع تقديره ما جاءنا بشير ولا نذير المعنى ثم عاد سبحانه الى خطاب اهل الكتاب وحجاجهم واستعطافهم والزامهم الحجة برسول الله صلعم فقال يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يعني محمدا عليه السلام يبين لكم اي يوضح لكم اعلام الدين وفيه دلالة على انه سبحانه اختصه من العلم بما ليس مع غيره على فترة من الرسل اي على انقطاع من الرسل ودروس من الدين والكتب وفيه دلالة على ان زمان الفترة لم يكن فيه نبي وكان الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام وكانت النبوة متصلة قبل ذلك في بني اسرائيل وروي عن ابن عباس انه لم يكن بينهما الا اربعة من الرسل وهو قوله اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث ولا ادري من الرابع وكان من تلك المدة مائة واربعة وثلاثون سنة نبوة وسائرها فترة عن الكلبي ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير معناه قد جاءكم رسولنا كراهة ان تقولوا او لئلا تقولوا محتجين يوم القيامة ما جاءنا بشير بالثواب على الطاعة ولا نذير بالعقاب على المعصية ثم بين سبحانه انه قد قطع عذرهم وازاح علتهم بارسال رسوله فقال فقد جاءكم بشير ونذير وهو محمد صلعم يبشر كل مطيع بالثواب ويخوف كل عاص بالعقاب والله على كل شيء قدير ظاهر وفي هذه الآية دلالة على بطلان مذهب المجبرة لان المجبر يمنع القدرة او كون المجبر يمنع اللطف ويكون الحجة في ذلك لمن يعلم الله تعالى ان بعثة الانبياء مصلحة فاذا لم يبعث تكون لهم الحجة فاما من لا يعلم الله منهم فلا حجة لهم وان لم يبعث اليهم الرسل قوله عز وجل واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين آيتان اللغة اصل التقديس التطهير ومنه قيل السطل الذي يتطهر القدس ومنه تسبيح الله وتقديسه وهو تنزيهه عما لا يليق به ولا يجوز عليه من الصاحبة والولد وفعل الظلم والكذب الاعراب انبياء لا ينصرف معرفة ولا نكرة لعلامة التانيث ولزومها بخلاف علامة التانيث في حمزة وقائمة فانها لا تلزم فلذلك انصرفت في النكرة وقوله خاسرين منصوب على الحال من الواو في فتنقلبوا المعنى ثم ذكر سبحانه صنع اليهود في المخالفة لنبيهم صلى الله عليه وآله والمرسلة لنبينا صلعم ومخالفتهم اياه فقال واذ قال موسى لقومه اي واذكر يا محمد اذ قال لهم موسى يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم وايادية لديكم وآلاءه فيكم اذ جعل فيكم انبياء يخبرونكم بانباء الغيب وينصرون بهم على الاعداء ويبينون لكم الشرائع وقيل هم الانبياء الذين كانوا مع موسى مقيمين فيهم الى زمن عيسى سبعون الفا مرد بينهم وجعلكم ملوكا بان حرركم من غيركم حتى ما يخدمونكم عن قتادة وقيل انما خاطبهم موسى بذلك لانهم كانوا يملكون الدور والخدم ولهم نساء وازواج وكل من ملك ذلك ولا يدخل عليه الا باذنه فهو ملك كائنا من كان عن عبد الله بن عمرو بن العاص وزيد بن اسلم والحسن ويؤيد ذلك ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال من اصبح امنا في سربه معافا في بدنه وعنده قوت يومه كانما حيزت له الدنيا بحذافيرها وقيل الملك هو الذي له ما يستغني به عن تكلف الاعمال وتحمل المشاق والتكفف في المعاش عن ابي علي الجبائي وقيل انهم جعلوا ملوكا بالمن والسلوى والحجر والغمام عن ابن عباس ومجاهد وقيل لا يمتنع ان يكون الله سبحانه جعل لهم الملك والسلطان ووسع عليهم التوسعة التي بها يكون الانسان ملكا عن ابي القسم البلخي وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين اي اعطاكم ما لم يعط احدا

واختلفوا في مدة الفترة بينهما فقيل ستمائة سنة عن الحسن وقتادة وقيل خمسمائة وستون سنة عن قتادة وفي رواية اخرى وقيل اربعمائة وبضع وستون سنة عن الضحاك وقيل خمسمائة وشيء عن ابن عباس وقيل ان بين ميلاد عيسى ومحمد خمسمائة وتسع وستون سنة

من مالى زمانهم عن الحسن والبلخي وقيل معناه اعطاكم من اجتماع ملة الامور وكثرة الانبياء والايات التي جاءتهم وانزال المن والسلوى
عليهم عن الزجاج والجبائي واختلفوا في المخاطب بقوله واتاكم فقيل هم قوم موسى عن ابن عباس ومجاهد وغيرهم وهو الاظهر وقيل هم امة نبينا
عن سعيد بن جبير وابي مالك ثم كلفهم سبحانه دخول الارض المقدسة بعد ذكر النعم فقال (يا قوم) حكاية عن خطاب موسى لقومه (ادخلوا الارض
المقدسة) هي بيت المقدس عن ابن عباس والسدي وابن زيد وقيل هي دمشق وفلسطين وبعض الاردن عن الزجاج وقيل هي الشام عن
قتادة وقيل هي ارض الطور وما حوله عن مجاهد والمقدسة المطهرة طهرت من الشرك وجعلت مسكنا وقرارا للانبياء والمؤمنين (التي
كتب الله لكم) في اللوح المحفوظ انها لكم وقيل معناه وهبها الله لكم عن ابن عباس وقيل معناه امركم الله بدخولها عن قتادة والسدي فان اعترض
معترض فقال كيف كتب الله لهم مع قوله فانها محرمة عليهم فجوابه انها كانت هبة من الله لهم ثم حرمها عليهم عن ابن اسحق وقيل ان المراد
بالخصوص وان كان الكلام على العموم فصار كانه مكتوب لبعضهم وحرام على البعض والذين كتب الله لهم دخولها هم الذين كانوا مع يوشع
بن نون بعد موت موسى عليه السلام بشهرين (ولا ترتدوا على ادباركم) اي لا ترجعوا عن الارض التي امرتم بدخولها عن اكثر المفسرين وقيل لا ترجعوا
عن طاعة الله الى معصيته عن الجبائي (فتنقلبوا خاسرين) الثواب في الاخرة وانما قال ذلك لانهم كانوا امروا بدخولها كما امروا بالصلوة و
غيرها عن قتادة والسدي وقيل انهم لم يؤمروا بذلك فيكون المراد فتنقلبوا خاسرين حظكم في دخولها يقال خسر في البيع فلان (القصة)
لما عبر موسى وبنو اسرائيل البحر وهلك فرعون امرهم الله سبحانه بدخول الارض المقدسة فلما نزلوا على نهر الاردن خافوا من الدخول فبعث موسى
من كل سبط رجلا وهم الذين ذكرهم الله تعالى بقوله وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا فعاينوا من عظم شانهم وقوتهم شيئا عجيبا فرجعوا الى بني اسرائيل فاخبروا
موسى بذلك فامرهم ان يكتموا فوفى اثنان منهم يوشع بن نون من سبط بن يامين وقيل انه كان من سبط يوسف وكالب بن يوفنا من سبط يهودا و
عصى العشرة واخبروا بذلك وقيل كتم الخمسة منهم واظهر الباقون وفشا الخبر في الناس فقالوا ان دخلنا عليهم يكون نساؤنا واهالينا غنيمة لهم و
هموا بالانصراف الى مصر وهموا بيوشع وكالب وارادوا ان يرجموهما بالحجارة فاغتاظ لذلك موسى وقال رب اني لا املك الا نفسي واخي فاوحى الله
اليه انهم يتيهون في الارض اربعين سنة فانما يخرج منهم من لم يعص الله في ذلك فبقوا في التيه اربعين سنة في ستة عشر فرسخا وقيل تسعة فراسخ وهم
ستمائة الف مقاتل لا تخرق ثيابهم وثبتت معهم وينزل عليهم المن والسلوى ومات النقباء غير يوشع وكالب ومات اكثرهم وقد ذراريهم
خرجوا الى حرب اريحا وفتحوها واختلفوا فيمن فتحها فقال فتحها موسى ويوشع على مقدمته وقيل فتحها يوشع بعد موت موسى وكان قد توفي موسى
وبعثه الله نبيا وروي انهم كانوا في المحاربة اذ غابت الشمس فدعا يوشع فرد الله تعالى عليهم الشمس حتى فتحوا اريحا وقيل كانت وفاة موسى وهرون في
التيه وتوفي هرون قبل موسى بسنة وكان عمر موسى مائة وعشرين سنة في ملك افريدون ومنوجهر وكان عمر يوشع مائة وستة
وعشرين وبقي بعد وفاته مدبرا لامر بني اسرائيل سبعا وعشرين سنة (قوله تعالى) قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا
منها فان يخرجوا منها فانا داخلون قال رجلان من الذين يخافون انعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون وعلى الله
فتوكلوا ان كنتم مؤمنين قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون اربع ايات بصري
ثلث عند الباقين عد بصري غالبون وقوله جبارين مما يكل ولا يعد الجميع (اللغة) الجبار هو الذي لا ينال بالقهر واصله في النخل وهو
ما فات اليد طولا والجبار من الناس هو الذي يجبرهم على ما يريد والجبر جبر العظم وهو كالاكراه على الصلاح قال العجاج قد جبر الدين الاله فجبر وعور
الرحمن من ولى العور والجبار في صفة الله تعالى صفة تعظيم لانه يفيد الاقتدار وهو سبحانه يجبر بالمعنى اذ انه تدعو العرب بها الى
تعظيمها والفرق بين الجبار والقهار ان القهار هو الغالب لمن ناوى او كان في حكم المنادي بمعصيته اياه ولا يوصف سبحانه فيما لم يزل بانه
قهار والجبار في صفة المخلوقين صفة ذم لانه يتعظم بما ليس له فان العظمة لله سبحانه (الاعراب) فاذهب انت وربك انا اي الضمير المرفوع
المنفصل تاكيدا للضمير المستكن في اذهب ليصح العطف عليه فانه يقبح العطف بالاسم الظاهر على الضمير المستكن والمتصل
من غير ان تؤكده لانه يصير كانه معطوف على الفعل اذ اعطف على ما هو متصل بالفعل غير مفارق له ولا يجوز ان يقال انا ابو الضمير فان الضمير اذا
ابرز يصير الفعل خاليا منه وقوله اذهب غير خال من الضمير وانما حسن العطف على الضمير المتصل في قوله فاجمعوا امركم وشركاءكم لان ذكر المفعول
صار عوضا من الضمير المنفصل كما كان لا في قوله لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا عوضا منه (المعنى) ثم ذكر جواب القوم فقال سبحانه (قالوا يا

بني اسرائيل ان فيها اي في الارض المقدسة (قوما) اي جماعة (جبارين) شديد البطش والباس والخلق قال ابن عباس بلغ من جبرية هؤلاء القوم
انه لما بعث موسى من قومه اثنى عشر نقيبا ليخبروه خبرهم رآهم رجل من الجبارين يقال له عوج فاخذهم في كمه مع فاكهة كان يحملها من
بستانه واتى بهم الملك فنثرهم بين يديه وقال للملك تعجبا منهم هؤلاء يريدون قتالنا فقال الملك ارجعوا الى صاحبكم فاخبروه وعن
مجاهد وكان فاكهتهم لا يقدر على حمل عنقود منها خمسة رجال بالخشب ويدخل في قشر نصف رمانة خمسة رجال وان موسى كان طوله عشرة
اذرع وله عصا طولها عشرة اذرع ونزا من الارض مثل ذلك فبلغ كعب عوج بن عنق فقتله وقيل كان طول سرير عوج ثمانمائة ذراع (وانا
لن ندخلها) يعني لن نقاتلهم (حتى يخرجوا) فان يخرجوا يعني الجبارين (منها فانا داخلون قال رجلان) من جملة النقباء الذين بعثهم موسى ليعرف
خبر القوم وقيل هما يوشع بن نون وكالب وقيل كلاب بن يوفنا عن ابن عباس ومجاهد والسدي وقتادة والربيع وقيل رجلان كانا من
مدينة الجبارين وكانا على دين موسى فلما بلغهما خبر موسى جاءاه فاتبعاه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (من الذين يخافون) الله تعالى (انعم الله
عليهما) بالاسلام عن قتادة والحسن وقيل يخافون الجبارين اي لم يمنعهم الخوف من الجبارين ان قالا الحق انعم الله عليهما بالتوفيق للطاعة عن
الجبائي وكان سعيد بن جبير يقرأ يخافون بضم الياء وروى تاويل ذلك عن ابن عباس انهما كانا من الجبارين انعم الله عليهما بالاسلام (ادخلوا
عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون) اخبر عن الرجلين انهما قالا ادخلوا يا بني اسرائيل على الجبارين باب مدينتهم وانما علما انهم
مظفرون بهم ويغلبونهم اذا دخلوا الباب من مدينتهم لما اخبر به موسى ووعد الله تعالى بالنصرة وقيل لما راوه من القاء الله الرعب في قلوب
الجبارين فعلما انهم ان دخلوا الباب غلبوا (وعلى الله فتوكلوا) في نصرة الله على الجبارين (ان كنتم مؤمنين) بالله وما اتيكم به رسوله من خبره ثم اخبر
عن قوم موسى بانهم (قالوا يا موسى انا لن ندخلها) اي هذه المدينة (ابدا ما داموا فيها) اي دام الجبارون فيها وانما قالوا ذلك لانهم جبنوا و
خافوا من قتالهم لعظم اجسامهم وشدة بطشهم ولم يثقوا بوعد الله سبحانه بالنصر لهم عليهم (فاذهب) يا موسى (انت وربك فقاتلا) الجبارين (انا
ههنا قاعدون) اي حتى يظفر بهم وترجع الينا فندخل وانما ذكر موسى قولهم اذهب انت وربك لامرين احدهما ان الكلام كله يدل على الانكار
عليهم والتعجب من جهلهم في تقليهم امر ربهم بالرد والمخالفة عليه والاخر انهم لما قالوا ذلك مجازا بمعنى وربك معين لك على ما قاله ابو القسم
البلخي والاول الذي يجهل اولئك القوم قال وهذا الحسن هذا القول منهم يدل على انهم كانوا مشبهة ولذلك عبدوا العجل ولو عرفوا الله تعالى
حق معرفته لما عبدوا العجل ولو عرفوا الله تعالى حق معرفته لما عبدوا العجل وقال الجبائي ان كانوا قالوا ذلك على وجه الذهاب عن مكان الى
مكان فانه كفر وان قالوا على وجه الخلاف فانه فسق واما قوله سبحانه قاتلهم الله انى يؤفكون فانه مجاز والمعنى انه يعاديهم عداوة المقاتل
ويحل بهم ما يحل المقاتل المستعلي بالاقتدار وعظم السلطان لمن يقاتله (قوله تعالى) قال رب اني لا املك الا نفسي واخي فافرق بيننا وبين
القوم الفاسقين قال فانها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون في الارض فلا تاس على القوم الفاسقين ايتان (اللغة) اصل التيه
التحير الذي لا يهتدى لاجله للخروج عن الطريق الى الغرض المقصد يقال تاه يتيه تيها وتيها اذا تحير وتيهته وتوهته والياء اكثر و
التيهاء من الارض هي التي لا يهتدى فيها وارض تيهاء والاسى الحزن يقال اسى ياسى اسى اذا حزن قال امرؤ القيس وقوفا بها صحبي
على مطيهم يقولون لا تهلك اسى وتجمل (الاعراب) اخي يجوز ان يكون في موضع رفع ويجوز ان يكون في موضع نصب ورفعه من وجهين
احدهما ان يكون عطفا على موضع اني ومثله ان الله بريء من المشركين ورسوله والاخر ان يكون معطوفا على انا اي انى املك اي لا املك
انا واخي الا انفسنا ونصبه ايضا من وجهين احدهما ان يكون عطفا على الياء في اني اي اني واخي لا نملك الا انفسنا والاخر ان يكون
عطفا على نفسي اي لا املك الا نفسي ولا املك الا اخي واربعين نصب على الظرف والعامل فيه قوله يتيهون وقيل هو منصوب بقوله محرمة
قال الزجاج هذا خطا لاجماع اهل التفسير انها محرمة عليهم ابدا (المعنى) ثم ذكر سبحانه دعاء موسى على قومه عند مخالفتهم اياه فقال تعالى (قال)
اي موسى اذ غضب على قومه (رب اني لا املك الا نفسي) اي لا املك الا تصريف نفسي في طاعتك لانها التي تجيبني اذا دعوت (واخي) اي و
اخي كذلك لا يملك الا نفسه او يكون معناه ولا املك ايضا الا اخي لانه يجيبني اذا دعوت (فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين) اي
فافصل بيننا وبينهم بحكمك وسمهم فساقا وان كانوا قد كفروا بالرد على نبيهم لخروجهم عن الايمان الى الكفر والفسق الخروج من الطاعة الى
المعصية والكفر من اعظم المعاصي قال الله تعالى الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه وقيل انه سال موسى الفرق بينه وبينهم (قوله)

احدهما انه سال الله تعالى ان يحكم ويقضي بما يليق بهم من الحق والصواب فيما ارتكبوا من العصيان ولذلك لقوا في التيه عن ابن عباس والضحاك والاخر انه سال الله ان يفرق بينه وبينهم في الآخرة بان يكون هؤلاء في النار وهو في الجنة واولياءه ... عن الجبائي قال اي قال سبحانه لموسى عليه السلام فانها محرمة عليهم اي ان الارض المقدسة حرمت عليهم وفي كيفية التحريم قولان احدهما انه تحريم منع كقول امرئ القيس

جالت لتصرعني فقلت لها اقصري اني امرؤ صرعي عليك حرام يعني دابته التي هو راكبها ويريد بذلك اني فارس بك لا تتمكنين ان تصرعيني

وقيل يجوز ان يكون تحريم تعبد عن ابي علي الجبائي والاول اظهر قال البلخي يجوز ان يكونوا امروا بان يطوفوا فيها اربعين سنة يتيهون في الارض يعني يتحيرون في المسافة التي بينهم وبينها لا يهتدون الى الخروج منها وكان مقدارها ستة فراسخ عن الربيع وكانوا يصبحون حيث امسوا ويمسون حيث اصبحوا عن الحسن ومجاهد وقال اكثر المفسرين ان موسى وهرون كانا معهم في التيه وقيل ايضا انهما لم يكونا في التيه لان التيه عذاب وعذبوا عن كل يوم عبدوا فيه العجل سنة والانبياء لا يعذبون قال الزجاج ان كانا في التيه فجائز ان يكون الله تعالى سهل عليهما ذلك كما سهل على ابرهيم النار فجعلها عليه بردا وسلاما وسائر الاحراق ومات موسى في التيه وفتح المدينة يوشع وصي موسى بعده وكان يوشع ابن اخت موسى ووصيه والنبي في قومه بعده عن ابن عباس وقيل لم يمت في التيه عن الحسن ومجاهد قال وفتح المدينة موسى ومتى سئل فقيل كيف يجوز على عقلاء كثيرين ان يسيروا في فراسخ يسيرة فلا يهتدوا الخروج منها فالجواب عنه من وجهين احدهما ان يكون ذلك بان تحول الارض التي هم عليها اذا ناموا فيردوا الى المكان الذي ابتدءوا منه عن ابي علي والآخر ان يكون ذلك بالاسباب المانعة من الخروج عنها اما بان تمحى العلامات التي يستدل بها او بان يلقى شبه بعضها على بعض ويكون ذلك معجزا خارقا للعادة وقال قتادة لم يدخل بلد الجبارين احد من القوم الا يوشع بن نون وكالب بن يوفنا بعد موت موسى بشهرين فانما دخلها اولادهم معهما فلا تأس على القوم الفاسقين خطاب لموسى عليه السلام امره الله تعالى ان لا يحزن على هلاكهم لفسقهم وقال الزجاج هو خطاب للنبي صلعم

قوله تعالى واتل عليهم نبأ ابني ادم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر قال لاقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين آية

اللغة القربان ما يقصد به القرب من رحمة الله من اعمال البر وهو على وزن فعلان من القرب كالفرقان من الفرق والشكران من الشكر والكفران من الكفر وقربان الملك جلساؤه لقربهم اليه

الاعراب اذ قربا متعلق بقوله نبأ والتقدير خبر ابني ادم وحديثهما حين قربا قربانا اي قرب كل واحد منهما قربانا فجمعهما في الفعل وافرد الاسم لانه يستدل بفعلهما على ان لكل واحد منهما قربانا وقيل ان القربان اسم جنس فهو يصلح للواحد والعدد على انه مصدر من قرب الرجل قربانا

المعنى واتل اي واقرأ عليهم يا محمد نبأ ابني ادم اي خبرهما بالحق اي بالصدق واجمعوا انهما كانا ابني ادم لصلبه الا الحسن فانه قال كانا رجلين من بني اسرائيل اذ قربا قربانا اي فعلا فعلا يتقرب الى الله تعالى فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر تقبل الطاعة ايجاب الثواب عليها قالوا وكانت علامة القبول في ذلك الزمان نارا تاتي فتاكل المتقبل ولا تاكل المردود وقيل كانت النار تاكل المردود عن مجاهد والاول اظهر قال لاقتلنك في الكلام حذف تقديره قال الذي لم يتقبل منه للذي تقبل منه لاقتلنك فقال له لم تقتلني قال لانه تقبل قربانك ولم يتقبل قرباني فقال له وما ذنبي انما يتقبل الله من المتقين للمعاصي فالحق للعلم بان المراد انها اتقوا ما يجب ان يخاف منه قال ابن عباس اراد انما يتقبل الله ممن كان زاكي القلب ورد عليك لانك لست بزاكي القلب واستدل بهذا على ان طاعة الفاسق غير متقبلة لكنها تسقط عقاب تركها وهذا لا يصح لان المعنى ان الثواب انما يستحقه من يوقع الطاعة لكونها طاعة فاما اذا فعلها لغير ذلك فلا يستحق عليها ثوابا ولا يمتنع على هذا ان يقع من الفاسق طاعة يوقعها على الوجه الذي يستحق عليه الثواب فيستحقه

النظم ووجه اتصال الآية بما قبلها ان الله تعالى اراد ان يبين ان حال اليهود في نقض العهد وارتكاب الفواحش كارتكاب ابن ادم في قتل اخاه وما عاد عليه من الوبال بتعديه فامر نبيه صلعم ان يتلو عليهم اخبارهما تسلية للنبي صلعم والرد فيها لهم من جهلهم وتكذيبهم وتبكيتا لليهود

القصة قالوا ان حواء امراة ادم كانت تلد في كل بطن غلاما وجارية فولدت في اول بطن قابيل بن ادم وقيل قابين وتوامته اقليما بنت ادم والبطن الثاني هابيل وتوامته لبوذا فلما ادركوا جميعا امر الله تعالى ادم ان ينكح قابيل اخت هابيل وهابيل اخت قابيل فرضي هابيل وابى قابيل لان اخته كانت احسنهما وقال ما امر الله سبحانه بهذا ولكن هذا من رايك فامرهما ادم ان يقربا قربانا فرضيا بذلك فعمد هابيل وكان صاحب ماشية فاخذ من خير غنمه

زبدا

زبدا ولبنا وكان قابيل صاحب زرع فاخذ من شر زرعه ثم صعدا فوضعا القربانين على الجبل فاتت النار فاكلت قربان هابيل وتجنبت قربان قابيل وكان ادم غائبا عنهما بمكة خرج اليها ليزور البيت بامر ربه فقال قابيل لا عشت يا هابيل في الدنيا وقد تقبل قربانك ولم يتقبل قرباني واردت ان تاخذ اختي الحسناء واخذ اختك القبيحة فقال له هابيل ما حكاه الله تعالى فشدخه بحجر فقتله روي ذلك عن ابي جعفر الباقر وغيره من المفسرين وكان سبب قبول قربان احدهما دون الآخر ان قابيل لم يكن زاكي القلب فقرب بشر ماله واخبثه وقرب هابيل بخير ماله واشرفه واضمر الرضا بحكم الله تعالى وقيل ان سبب اكل النار للقربان انه لم يكن هناك فقير يدفع اليه ما يتقرب به الى الله تعالى فكان ينزل نار من السماء فياكله وعن اسمعيل بن رافع ان قربان قابيل كان يرفع في الجنة حتى فدي ابن ابرهيم

قوله تعالى لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين فطوعت له نفسه قتل اخيه فقتله فاصبح من الخاسرين ثلث آيات

اللغة البسط المد وهو ضد القبض تبوء ترجع يقال باء اذا رجع الى المباءة وهي المنزل وباءوا بغضب من الله اي رجعوا والبوء الرجوع بالقود وهم في هذا الامر بواء اي سواء وطوعت له فعلت من الطوع والعرب تقول طاع لهذه الظبية اصول هذه الشجرة وطاع لفلان كذا اي انطاع له ولا يقال اطاعته نفسه لان اطاع يدل على قصد لموافقة معنى الامر وليس كذلك طوع لانه بمنزلة ان طاع له اصول الشجرة وفي الفعل ما يتعدى الى نفس الفاعل نحو حرك نفسه وقتل نفسه ومنه ما لا يتعدى الى ذلك نحو امر ونهى لان الامر والنهي لا يكونان الا من هو اعلى الى من هو دونه

الاعراب لئن بسطت اللام للقسم وجوابه ما انا بباسط ولا يقع ما جوابا للشرط لان ما يكون لها صدر الكلام والقسم لا يخرجها عن ذلك كما جاز ان يكون جواب القسم بان ولام الابتداء ولم يجز بالفاء لان المقسم عليه ليس يجب بوجوب القسم وانما القسم يؤكده وجواب الشرط اذا اجتمع جواب القسم والجزاء كان جواب القسم اولى من الجزاء لانه لما تقدم القسم وصار الجزاء في حشو الكلام عند على الجواب فصار له واكتفي به من جواب الشرط لدلالته عليه

المعنى ثم اخبر سبحانه عن هابيل انه قال لاخيه حين هدده بالقتل لما تقبل قربانه ولم يتقبل قربان اخيه لئن بسطت الي يدك ومعناه لئن بسطت الي يدك لتقتلني اي لان تقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك اي لان اقتلك قال اهل التفسير ان القتل على سبيل المدافعة لم يكن مباحا في ذلك الوقت وكان الصبر عليه هو المامور به ليكون الله تعالى هو المتولي للانتصاف عن الحسن ومجاهد واختاره الجبائي وقيل ان معنى الآية لئن بسطت الي يدك على سبيل الظلم والابتداء وعن ابن عباس وجماعة قالوا انه قتله غيلة بان القى عليه وهو نائم صخرة شدخه بها قال المرتضى قدس الله روحه والظاهر بغير الوجهين اشبه لانه تعالى اخبر عنه انه وان بسط اليه يده ليقتله لا يبسط يده ليقتله وهو من يد لتقتل لان اللام بمعنى كي وهي مبنية عن الارادة والغرض ولا شبهة في قبح ذلك لان المدافع انما يحسن منه ان يدفع الظالم طلبا للتخلص من غير ان يقصد الى قتله فكانه قال لئن ظلمتني لم اظلمك اني اخاف الله رب العالمين معناه اني اخاف الله في مد يدي اليك لقتلك اني اريد ان تبوء باثمي واثمك معناه اني لا ابدؤك بالقتل لاني اريد ان ترجع باثم قتلي ان قتلتني واثمك الذي كان منك قبل قتلي عن ابن عباس وابن مسعود والحسن وقتادة ومجاهد والضحاك وقال الجبائي والزجاج واثمك الذي من اجله لم يتقبل قربانك وقيل معناه باثم قتلي واثمك الذي هو قتل جميع الناس حيث سننت القتل ومعنى تبوء باثمي تبوء بعقاب اثمي لانه لا يجوز لاحد ان يريد معصية الله تعالى من غيره ولكن يجوز ان يريد عقابه المستحق عليه بالمعصية ومتى قيل كيف يحسن ارادة ما لم يقع سببه فان القتل على هذا لم يكن واقعا فالجواب ان ذلك يحسن بشرط وقوع ما يستحق به العقاب فهابيل لما راى من اخيه العزم على قتله وغلب على ظنه ذلك جاز ان يريد عقابه بشرط ان يفعل ما عزم عليه فتكون من اصحاب النار اي فتصير بذلك من الملازمين النار وذلك جزاء الظالمين اي عقاب العاصين ويحتمل ان يكون هذا اخبارا عن قول هابيل ويحتمل ان يكون ابتداء حكم من الله تعالى فطوعت له نفسه قتل اخيه قيل فيه اقوال احدها ان معناه شجعته نفسه على قتل اخيه اي على ان يقتل اخاه عن مجاهد وثانيها ان المراد زينت له نفسه قتل اخيه وثالثها ان المراد ساعدته نفسه وطاوعته نفسه على قتله اخاه فلما حذف حرف الجر نصب قتل اخيه ومن قال ان معناه زينت له فيكون قتل اخيه مفعولا به فقتله قال مجاهد لم يدر قابيل كيف يقتله حتى ظهر له ابليس في صورة طير واخذ طيرا آخر وترك راسه بين حجرين فشدخه ففعل قابيل مثله وقيل هو اول قتيل كان في الناس فاصبح من الخاسرين اي صار ممن خسر الدنيا والآخرة وذهب عنه خيرهما واستدل بعضهم

بقوله فاصبح على انه قتله ليلا وهذا ليس بشيء لان من عادة العرب ان يقولوا اصبح فلان خاسر الصفقة اذا فعل امرا كانت ثمرته الخسران يعني
حصوله كذلك الآن لا يتعلق بوقت دون وقت **قوله تعالى** فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوأة اخيه قال يا ويلتى
أعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوأة اخي فاصبح من النادمين آية **اللغة** اصل البحث طلب الشيء في التراب ثم قال بحث
عن الامر بحثا واصل السوأة التكرة يقال ساءه يسوءه سوءا اذا اتى بما يكرهه قال سيبويه الويل كلمة تقال عند الهلكة وعجزت عن الامر عجزا
ومعجزة **الاعراب** يا ويلتى قال الزجاج الوقف في غير القرآن يا ويلتاه والنداء لغير الآدميين نحو يا حسرتا ويا ويلتا انما وقع في كلام
العرب على تنبيه المخاطبين وان الوقت الذي يدعى له هذه الاشياء هو وقتها فالمعنى يا ويلتا تعالي فانه من اوانك اي قد لزمني الويل و
كذلك يا عجباه المعنى يا ايها العجب هذا وقتك على هذا كلام العرب وقرأ الحسن يا ويلتي مضافا وذكر الازهري انها بمعنى **المعنى** فبعث
الله غرابا يبحث في الارض قالوا كان هابيل اول ميت من الناس فلذلك لم يدر قابيل كيف يواريه وكيف يدفنه حتى بعث الله غرابين احدهما
حي والآخر ميت وقيل كانا حيين فقتل احدهما صاحبه ثم بحث الارض ودفنه فيها ففعل قابيل مثله عن ابن عباس وابن مسعود وجماعة
وفي ذلك دلالة على فساد قول الحسن والجبائي وابي مسلم ان ابني آدم كانا من بني اسرائيل وقيل معناه بعث الله غرابا يبحث في الارض التراب على
القتيل فلما رأى قابيل ما اكرم الله به هابيل وانه بعث طيرا ليواريه وتقبل قربانه قال يا ويلتا عن الاصم وقيل كان ملكا في صورة الغراب وفي هذا
دلالة على ان الفعل من الغراب وان كان المعني به الطير كان مقصودا اولا فلهذا اضاف سبحانه بعثه الى نفسه ولم يقع اتفاقا فاما قال الرسول ﷺ و
لكنه بغا الحجة وقال الجبائي كان ذلك معجزا مثل حديث الهدهد وحمله الكتاب ورده الجواب الى سليمان ويجوز ان يريد الله سبحانه في فهم الغراب
حتى يعرف هذا القدر كما ان موسى انما فيفهمون منا ليريه اي ليري الغراب قابيل كيف يواري اي يغطي او يستر سوأة اخيه اي عورة اخيه
وقال الجبائي يريد جيفة اخيه لانه كان تركه حتى انتن فقيل للجيفة سوأة قال يا ويلتا ههنا حذف فان التقدير ليريه كيف يواري سوأة
اخيه فواراه فقال القاتل اخاه يا ويلتى اعجزت ان اكون في العلم مثل هذا الغراب فاواري اي استر سوأة اخي والسوأة عبارة عما يكره
ومما ينكر فاصبح من النادمين على قتله ولكن لم يندم على الوجه الذي يكون توبة كمن يندم على الشرب لانه يصدع عنه فلذلك لم يقبل
ندمه عن الجبائي وقيل من النادمين على حمله لا على قتله وقيل من النادمين على موت اخيه لا على ارتكاب الذنب **القصة**
روت العامة عن جعفر الصادق عليه السلام قال فقتل قابيل هابيل وتركه بالعراء لا يدري ما يصنع به فقصده السباع فحمله في جراب على ظهره
حتى اروح وعكفت عليه الطير والسباع تنظر متى يرمي فتأكله فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما صاحبه ثم حفر له بمنقاره و
برجليه ثم القاه في الحفيرة وواراه وقابيل ينظر اليه فدفن اخاه وعن ابن عباس لما قتل قابيل هابيل اشاك الشجر وتغيرت الاطعمة و
حمضت الفواكه وامر الماء واغبرت الارض فقال آدم عليه السلام قد حدث في الارض حدث فاتى الهند فاذا قابيل قد قتل هابيل
فانشأ يقول تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الارض مغبر قبيح * تغير كل ذي لون وطعم * وقل بشاشة الوجه الصبيح * وقال سالم بن ابي
الجعد لما قتل قابيل هابيل مكث آدم سنة حزينا لا يضحك ثم اتي فقيل له حياك الله وبياك اي اضحكك الله قالوا ولما مضى
من عمر آدم مائة وثلثون سنة وذلك بعد قتل هابيل بخمس سنين ولدت له حواء شيثا وتفسيره هبة الله يعني انه خلف من هابيل وكان
وصي آدم عليه السلام وولي عهده فاما قابيل فقيل له اذهب طريدا شريدا فزعا مذعورا لا يأمن من يراه وذهب الى عدن من اليمن فاتاه
ابليس فقال انما اكلت النار قربان هابيل لانه كان يعبدها فانصب انت ايضا نارا تكون لك ولعقبك فبنى بيت نار وهو اول
من نصب النار وعبدها واتخذ اولاده آلات اللهو من اليراع والطبول والمزامير والعيدان وانهمكوا في اللهو وشرب الخمر وعبادة
النار والزنا والفواحش حتى اغرقهم الله ايام نوح بالطوفان وبقي نسل شيث **قوله تعالى** من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه
من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا ولقد جاءتهم رسلنا
بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون آية **القراءة** قرأ ابو جعفر يزيد وحده من اجل ذلك مكسورة النون
موصولة والباقون من اجل ذلك مقطوعة الهمزة مفتوحة **الحجة** قال ابن جني يقال فعلت ذلك من اجلك ومن اجلك
ومن جلالك ومن جلالك ومن جراك فيجب على هذا ان يكون قراءة ابي جعفر على تخفيف همزة اجل بحذفها والقاء حركتها على

نون من كقولك في تخفيف كم ابلك كم بلك **اللغة** الاجل في اللغة الجناية يقال اجل عليهم شرا اجله اجلا اذا جنى عليهم جناية قال خوات بن
جبير واهل خباء صالح ذات بينهم قد احتربوا في عاجل انا اجلله اي انا جانيه وفي هذا المعنى يقال جر عليهم جريرة ثم يقال فعلت ذلك من جراك
من اجلك اي من جريرتك كانه يقول انتجر بي اليه ذلك وانت جنيت على هذا ومنه الاجل الوقت لانه يستحق عليه العقد الاول والاجل بمعنى نعم
لانه انقياد الى ما يجب والاجل القطيع من البقر الوحش واحد الآجال لان بعضها ينجر الى بعض قال عدي * وأجل ان الله قد فضلكم
فوق من احكا صلبا بازار * اراد من اجل فحذف الجار فوصل الفعل فنصب والاسراف الخروج عن التقصير والاقتصاد وضده التقصير
والاقتصاد وهو التعديل بلا اسراف ولا اقتصاد **الاعراب** اختلف في قوله من اجل ذلك فقيل انه من صلة النادمين اي من اجل انه حين
قتل اخاه لم يواره ندم وروي عن نافع انه كان يقف على قوله من اجل ذلك ويجعله من تمام الكلام الاول وعامة المفسرين على ان قوله من
اجل ذلك ابتداء كلام وليس يتصل بما قبله واحتج ابن الانباري انها راس آية وراس الآية فصل وقال من جعله من صلة الندم اسقط
العلة للكتابة ومن جعله من صلة الكتابة لا يسقط معنى الندم اذ قد تقدم ما كشف عنه فكان هذا اولى **المعنى** ثم بين سبحانه التكليف
في باب القتل فقال من اجل ذلك قال الزجاج معناه من جناية ذلك وذلك اشارة الى قتل احد ابني آدم اخاه ظلما كتبنا على بني اسرائيل اي
حكمنا عليهم وفرضنا انه من قتل نفسا اي من قتل منهم نفسا ظلما بغير نفس او بغير قود عن ابن عباس او فساد في الارض ومن قتل نفسا
منهم بغير فساد كان منها في الارض فاستحقت بذلك قتلها وفسادها في الارض انما يكون بالحرب لله ولرسوله واخافة السبيل على ما
ذكره الله سبحانه في قوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله الآية فكانما قتل الناس جميعا ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا
قيل في تأويله اقوال احدها ان معناه هو ان الناس كلهم خصماؤه في قتل ذلك الانسان وقد وترهم وتر من قصد لقتلهم جميعا
فاوصل اليهم من المكروه ما يشبه القتل الذي اوصله الى المقتول فكانه قتلهم كلهم ومن استنقذها من حرق او غرق او هدم او ما
يميت لا محالة او يستنقذها من الضلال فكانما احيا الناس جميعا اي اجره على الله اجر من احياهم اجمعين لانه في اسدائه المعروف اليهم
باحيائه اخاه المؤمن بمنزلة من احيا كل واحد منهم عن مجاهد والزجاج واختاره ابن الانباري وهذا المعنى مروي عن ابي عبد الله عليه السلام
قال وافضل من ذلك ان يخرجها من ضلال الى هدى وثانيها ان معناه من قتل نبيا او امام عدل فكانما قتل الناس جميعا اي يعذب
عليه كما لو قتل الناس كلهم ومن شد على عضد نبي او امام عدل فكانما احيا الناس جميعا في استحقاق الثواب عن ابن عباس وثالثها ان
معناه من قتل نفسا بغير حق فعليه مثل مآثم من قتل الناس جميعا لانه سن القتل وسهله لغيره فكان بمنزلة المشارك فيه ومن زجر عن قتلها
بما فيه حياتها على وجه يقتدى به فيه بان يعظم تحريم قتلها كما حرمه الله تعالى فلم يقدم على قتلها لذلك فقد احيا الناس بسلامتهم منه
فذلك احياؤه اياها عن ابي علي الجبائي وهو اختيار الطبري ويؤيده قوله من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيمة
ومن سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة ورابعها ان المراد فكانما قتل الناس جميعا عند المقتول ومن
احياها فكانما احيا الناس جميعا عند المستنقذ عن ابن مسعود وغيره من الصحابة وخامسها ان معناه ويجب عليه من القصاص
بقتلها مثل الذي يجب عليه لو قتل الناس جميعا ومن عفا عن دمها وقد وجب القود عليها كان كما لو عفا عن الناس جميعا عن
الحسن وابن زيد والله سبحانه هو المحيي للخلق لا يقدر على خلق الحياة غيره وانما قال احياها على سبيل المجاز كما حكي عن نمرود انه قال انا
احيي واميت فاستحيا واحدا وقتل الآخر وقوله ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات معناه ولقد اتت بني اسرائيل الذين ذكرنا قصتهم
واحوالهم رسلنا بالآيات الواضحة والمعجزات الدالة على صدقهم وصحة نبوتهم ثم ان كثيرا منهم يعني من بني اسرائيل بعد ذلك في الارض لمسرفون
اي مجاوزون حد الحق بالشرك عن الكلبي وبالقتل عن غيره والاولى ان يكون عاما في كل مجاوز عن الحق ويؤيده ما روي عن ابي جعفر عليه السلام
المسرفون هم الذين يستحلون المحارم ويسفكون الدماء **قوله تعالى** انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا
ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب
عظيم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم آيتان **اللغة** اصل النفي الاهلاك بالاعدام ومنه
النفاية لردي المتاع ومنه النفي وهو ما يتطاير من الماء عن الدلو قال الراجز كان متنيه من النفي مواقع الطير على الصفا النفي الطرد

قال اوس بن حجر يبغون عن طرق الكرام كما ينفي المطارق ما لدى القرد والخزي الفضيحة يقال خزي يخزي خزيا اذا افتضح وخزي يخزى
خزاية فهو خزيان اذا استحيى وخزوته اخزوه اذا سسته ومنه قول لبيد واخزها بالبر لله الاجل **الاعراب** فسادا مصدر وضع موضع
الحال اى يسعون في الارض مفسدين وان يقتلوا في موضع رفع بانه خبر المبتدا الذي هو جزاء الذين تابوا يحتمل ان يكون في موضع رفع
بالابتداء وخبره فاعلموا ان الله غفور رحيم ويجوز ان يكون في موضع نصب بالاستثناء من قوله ان يقتلوا الى اخره من الحد **النزول**
اختلف في سبب نزول الاية فقيل نزلت في قوم كان بينهم وبين النبي صلعم موادعة فنقضوا العهد وافسدوا في الارض عن ابن عباس و
الضحاك وقيل نزلت في اهل الشرك عن الحسن وعكرمة وقيل نزلت في العرنيين لما نزلوا المدينة مظهرين الاسلام فاستوخموا واصفرت
الوانهم فامرهم النبي صلعم ان يخرجوا الى ابل الصدقة فيشربوا من البانها وابوالها ففعلوا ذلك فصحوا ثم قالوا الى الرعاة فقتلوهم واستاقوا
الابل وارتدوا عن الاسلام فاخذهم النبي صلعم وقطع ايديهم وارجلهم من خلاف وسمل اعينهم عن قتادة وسعيد بن جبير والسدي وقيل
نزلت في قطاع الطريق عن اكثر المفسرين وعليه جلة الفقهاء **المعنى** لما تقدم سبحانه ذكر القتل وحكمه عقبه بذكر قطاع الطريق والحكم
فيهم فقال انما جزاء الذين يحاربون الله اى اولياء الله كقوله سبحانه الذين يؤذون الله ورسوله اى يحاربون رسوله ويسعون في
الارض فسادا المروي عن اهل البيت ان المحارب هو كل من شهر السلاح واخاف الطريق سواء كان في المصر او خارج المصر فان اللص
المجاهر في المصر وخارج المصر سواء وهو مذهب الشافعي والاوزاعي ومالك وذهب ابو حنيفة الى ان المحارب هو قاطع الطريق في غير
المصر وهو المروي عن عطاء الخراساني والمعنى في قوله انما جزاؤهم الا هذا عن الزجاج قال لان القائل اذا قال جزاؤك دينار يجوز ان
يكون معه غيره واذا قال انما جزاؤك دينار كان المعنى ما جزاؤك الا دينار ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم قال ابو جعفر وابو
عبد الله عليهما السلام ان جزاء المحارب على قدر استحقاقه فان قتل فجزاؤه ان يقتل وان قتل واخذ المال فجزاؤه ان يقتل ويصلب وان
اخذ المال ولم يقتل فجزاؤه ان يقطع يده ورجله من خلاف وان اخاف السبيل فقط فانما عليه النفي لا غير وبه قال ابن عباس وسعيد بن جبير
وقتادة والسدي والربيع وعلى هذا فان او ليست للاباحة هنا وانما هي مرتبة الحكم لاختلاف الجناية وقال الشافعي ان اخذ المال جهرا
كان للامام صلبه حيا ولم يقتل قال ويحد كل واحد بقدر فعله فمن اوجب عليه القتل والصلب قتل قبل صلبه كراهية تعذيبه ويصلب
ثلثا ثم ينزل قال ابو عبيدة سالت محمد بن الحسن عن قوله او يصلبوا فقال يصلب حيا ثم يطعن بالرماح حتى يقتل وهو راى ابي
حنيفة فقيل له هذا اشد قال المثلة يراد به وقيل ان معنى او هنا الاباحة والتخيير ان شاء الامام قتل وان شاء صلب وان شاء
نفى عن الحسن وسعيد بن المسيب ومجاهد وقد روى ذلك ايضا عن ابي عبد الله عليه السلام وقوله من خلاف معناه اليد اليمنى و
الرجل اليسرى او ينفوا من الارض قيل فيه اقوال فالذي يذهب اليه اصحابنا الامامية ان ينفى من بلد الى بلد الى ان يتوب و
يرجع وبه قال ابن عباس والحسن والسدي وسعيد بن جبير وغيرهم واليه ذهب الشافعي قال اصحابنا ولا يمكن من الدخول الى
بلاد الشرك ويقاتل المشركون على تمكينهم من الدخول الى بلادهم حتى يتوبوا وقيل ان ينفى من بلده الى بلد غيره عن عمر بن عبد العزيز و
عن سعيد بن جبير في رواية اخرى وقال ابو حنيفة واصحابه ان النفي هو الحبس والسجن واحتجوا ان المسجون يكون بمنزلة المخرج
من الدنيا اذا كان ممنوعا من التصرف محولا بينه وبين اهله مع مقاساته الشدائد في الحبس وانشد قول بعض المسجونين خرجنا من
الدنيا ونحن من اهلها فلسنا من الاحياء فيها ولا الموتى اذا جاءنا السجان يوما لحاجة عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا
ذلك اى فعل ما ذكرناه لهم خزي اى فضيحة وهوان في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم زيادة على ذلك وفي هذا دلالة على بطلان
قول من ذهب الى ان اقامة الحدود تكفير المعاصي لانه سبحانه بين ان لهم في الاخرة عذابا عظيما مع انه اقيمت عليهم الحدود والمعنى
انهم يستحقون العذاب العظيم وليس في الاية انه يفعل بهم ذلك لا محالة لانه يجوز ان يعفو عنهم ويتفضل عليهم باسقاط ما يستحقونه
من العذاب الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم لما بين سبحانه حكم المحارب استثنى من جملتهم من يتوب مما ارتكبه من قبل ان
يؤخذ ويقدر عليه لان توبته بعد قيام البينة عليه ووقوعه في يد الامام لا تسقط بل يجب عليه اقامة الحد عليه فاعلموا ان الله غفور
رحيم يقبل التوبة ويغفر الجرم وفي هذه الاية حجة على من قال لا تصح التوبة من معصية مع الاقامة على معصية لانه تعلق بالتوبة

حكم الاخلال بالاقامة على معصية هي السكر او غيره **قوله تعالى** يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم
تفلحون آية **اللغة** اصل الاتقاء في اللغة الحجز بين الشيئين يقال اتقى السيف بالترس ويقال اتقوا الغرم بحقه والوسيلة فعيلة من قولهم
توسلت اليه اى تقربت اليه قال عنترة بن شداد ان الرجال لهم اليك وسيلة ان ياخذوك تكحلي وتخضبي ويقال وسل اليه اى تقرب قال
لبيد بلى كل ذي راى الى الله واسل فمعنى الوسيلة الوصلة والقربة **المعنى** لما تقدم ذكر القتل والمحاربين عقب ذلك بالموعظة والامر
بالتقوى فقال يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله اى اتقوا معاصيه واجتنبوها وابتغوا اليه الوسيلة اى اطلبوا اليه القربة بالطاعات عن الحسن و
مجاهد وعطاء والسدي وغيرهم فكانه قال تقربوا اليه بما يرضيه من الطاعات وقيل الوسيلة افضل درجات الجنة عن عطاء ايضا وروى عن
النبي صلى الله عليه وآله سلوا الله لي الوسيلة فانها درجة في الجنة لا ينالها الا عبد واحد ارجو ان يكون انا هو وروى سعد بن طريف عن الاصبغ
بن نباتة عن علي بن ابي طالب عليه السلام قال في الجنة لؤلؤتان الى بطنان العرش احدهما بيضاء والاخرى صفراء في كل واحدة منهما سبعون الف
غرفة ابوابها واكوابها من عرق واحد فالبيضاء الوسيلة لمحمد واهل بيته والصفراء لابراهيم عليه السلام واهل بيته وجاهدوا في سبيله اى طريق
دينه مع اعدائه امر سبحانه بالجهاد في دين الله لانه وصلة الى ثوابه والدليل على الشيء طريق الى العلم به والتعرض للشيء طريق الى الوقوع فيه
واللطف طريق الى طاعة الله والجهاد في سبيل الله قد يكون باليد واللسان والقلب وبالسيف والقول والكتاب لعلكم تفلحون اى
لكي تظفروا بنعيم الابد والمعنى اعملوا على رجاء الفلاح والفوز وقيل لعل من الله واجب فكانه قال اعملوا لتفلحوا **قوله تعالى**
ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيمة ما تقبل منهم ولهم عذاب اليم يريدون
ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم آيتان **الاعراب** خبر ان في لو وجوابها وقوله ولهم عذاب اليم يحتمل ان
يكون في موضع الحال وان يكون عطفا على خبر ان لا يجوز ان يكون الخبر يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولو في موضع
الحال كما تقول مررت بزيد لو ابنه عنده لرجمه لانه في موضع معتمد الفائدة مع انه ليس في استيناف اثر وانما اجيبت لو هنا لان ما هاهنا صلة
الكلام وجواب لو لا يخرجها من هذا المعنى كما لا يخرجها جواب القسم لانه غير عامل وان عامله فلذلك صلح ان يجاب ان بلا و لم
يصلح ان يجاب بما تقول ان تاتني لا يفعل سوء ولا يجوز ما الان ينفي ما بعدها وسلبت ما قبلها في اصل موضوعها كقولك قام زيد
لا عمرو ما ينفي ما بعدها لم يجب لغيرها فلذلك كان لها صدر الكلام **المعنى** ثم اخبر سبحانه عن وعيد الكفار فقال ان الذين كفروا
لو ان لهم ولكل واحد منهم ما في الارض جميعا من المال والولاية والملك ومثله معه اى ومثل ذلك ليفتدوا به اى يجعلوه لانفسهم فداء من
عذاب يوم القيمة الذي يستحقونه على كفرهم فافتدوا بذلك ما تقبل منهم ذلك الفداء ولهم عذاب اليم اى وجيع يريدون ان يخرجوا من النار اى
يتمنون ان يخرجوا من النار عن ابي علي الجبائي قال ان الارادة هنا بمعنى التمني وقيل معناه الارادة على الحقيقة اى كلما رفعتهم النار بلهبها رجوا
ان يخرجوا من النار منها اذا دفعتهم بلهبها كما قال سبحانه جدارا يريد ان ينقض اى يكاد ويقارب فان قال قائل كيف يجوز ان يريدوا
من ارادته وانما الداعي الى الارادة حسنها والحاجة اليها وما هم بخارجين منها فالجواب ان العلم بالشيء لا يكون صارفا عن ارادته كما ان
العلم بانه يكون لا يصرف عن ارادته وانما الداعي الى الارادة حسنها والحاجة اليها وما هم بخارجين منها يعني من جهنم ولهم عذاب مقيم اى
دائم ثابت لا يزول ولا يحول كما قال الشاعر فان لكم بيوم الشعب مني عذابا دائما لكم مقيما **قوله تعالى** والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما
جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم فمن تاب من بعد ظلمه واصلح فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم الم تعلم ان الله له
ملك السموات والارض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير ثلث آيات **الاعراب** قال سيبويه وكثير من النحويين
ارتفع السارق والسارقة على معنى وفيما فرض عليكم السارق والسارقة اى حكم السارق والسارقة ومثله قوله عز وجل الزانية و
الزاني فاجلدوا واللذان ياتيانها منكم فآذوهما قال سيبويه والاختيار في هذا النصب في العربية كما تقول زيدا اضربه وابت العامة
القراءة الا بالرفع يعني بالعامة الجماعة وقرا عيسى بن عمر والسارق والسارقة وكذلك الزانية والزاني وقال ابو العباس المبرد الاختيار
في الرفع بالابتداء لان القصد ليس الى واحد بعينه فليس هو مثل قولك زيدا فاضربه انما هو كقولك من سرق فاقطع يده ومن زنى فاجلده
قال الزجاج وهذا القول هو المختار وانما دخلت الفاء في الخبر للشرط المنوي وذكر في قراءة ابن مسعود والسارقون والسارقات

اخرى تعلم صاحبها انها معصية صح

دفعتهم
الخروج من النار مع علمهم بانهم لا يخرجون صح

فاقطعوا ايمانهم وانما قال ايديهما ولم يقل يديهما لانه اراد يمينا من هذا ويمينا من هذه فجمع اذ ليس في الجسد الا يمين واحدة قال الفراء كل شيء موحد من خلق الانسان اذا ذكر مضافا الى اثنين فصاعدا جمع فقيل قد هشمت رؤوسهما وملأت ظهورهما وبطونهما ضربا ومثله قوله ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما قال وانما اختير الجمع على التثنية لان اكثر ما يكون عليه الجوارح اثنان اثنان في الانسان كاليدين والرجلين واثنان من اثنين جمع لذلك قال قطعت ارجلهما وفقأت عيونهما فلما جرى الاكثر على هذا ذهب بالواحد اذا اضيف الى اثنين مذهب الاثنين قال ويجوز التثنية كقول الهذلي فتخالسا نفسيهما بنوافذ كنوافذ العبط التي لا ترقع لانه الاصل ويجوز هذا فيما ليس من خلق الانسان كقولك للاثنين خليتما نساءكما وانت تريد امرأتين قال ويجوز التوحيد ايضا لو قلت في الكلام السارق والسارقة فاقطعوا يمينهما جاز لان معنى اليمين من كل واحد منهما قال الشاعر كلوا في بعض بطنكم تعيشوا ويجوز في الكلام ان يقول ائتني برأس شاتين اراد الرأس من كل شاة منهما ومن قال برأسي هذا الجنس قال الزجاج انما جمع ما كان في الشيء منه واحد عند الاضافة الى الاثنين لان الاضافة تبين ان المراد بذلك الجمع التثنية لا الجمع وذلك انك اذا قلت اشبعت بطونهما علم ان للاثنين بطنين فقط واصل التثنية الجمع لانك اذا ثنيت الواحد فقد جمعت واحدا الى واحد وربما كان لفظ الجمع اخف من لفظ الاثنين فتختار لفظ الجمع ولا يشتبه ذلك بالتثنية عند الاضافة الى اثنين لانك اذا قلت قلوبهما فالتثنية في هما قد اغنتك عن تثنية قلب قال وان ثنيت ما في الشيء منه واحد فذلك جائز عند جميع النحويين وانشد ظهراهما مثل ظهور الترسين فجاء باللغتين وهذا كما حكينا عن الفراء في قول الهذلي فتخالسا نفسيهما البيت وقوله جزاء بما كسبا قال الزجاج انتصب جزاء بانه مفعول له وكذلك نكالا من الله وان شئت كانا منصوبين على المصدر الذي دل عليه فاقطعوا لان معنى فاقطعوا جازوهم ونكلوهم قال الازهري تقديره لينكل غيره نكالا عن مثل فعله من نكل ينكل اذا جبن **المعنى** لما ذكر سبحانه الحكم فيمن اخذ المال جهارا اعقبه ببيان الحكم فيمن اخذ المال سرا فقال السارق والسارقة والالف واللام للجنس والمعنى كل من سرق رجلا كان او امرأة وبدأ بالسارق هنا لان الغالب وجود السرقة في الرجال وبدأ بالزانية في النساء فقال الزانية والزاني لان الغالب وجود ذلك في النساء فاقطعوا ايديهما اي ايمانهما عن ابن عباس والحسن والسدي وعامة التابعين قال ابو علي وتحقيق المسلمين الى قطع الرجل اليسرى بعد قطع اليد اليمنى وتركهم قطع اليد اليسرى دلالة على ان اليد اليسرى لم ترد بقوله فاقطعوا ايديهما الاترى انها لو دخلت في ذلك لم يكونوا ليدعوا نص القرآن الى غيره وهذا يدل على ان جمع اليد في هذه الاية على حد جمع القلب في قوله فقد صغت قلوبكما ودلت على قراءة ابن مسعود على ان المراد بالايدي الايمان واجمع العلماء ان هذه الاية مجملة في ايجاب القطع على السارق وبيان ذلك ماخوذ من السنة واختلف في القدر الذي تقطع به يد السارق فقال اصحابنا يقطع في ربع دينار فصاعدا وذهب ابو حنيفة واصحابه انه تقطع في عشرة دراهم فصاعدا وهو مذهب الشافعي والاوزاعي وابي ثور وقد روي عن عائشة عن النبي صلعم انه قال لا تقطع يد السارق الا في ربع دينار فصاعدا وذهب ابو حنيفة واصحابه انه تقطع في عشرة دراهم فصاعدا واحتجوا بما روي عن عطا عن ابن عباس ان ادنى ما تقطع فيه ثمن المجن قال وكان ثمن المجن على عهد رسول الله صلعم عشرة دراهم وقال مالك يقطع في ثلثة دراهم فصاعدا وروي عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلعم قطع سارقا في مجن ثمنه ثلثة دراهم وقال بعضهم لا تقطع الخمس الا في خمسة دراهم واختاره ابو علي الجبائي وقال لانه بمنزلة من منع خمسة دراهم من الزكوة في انه فاسق وقال بعضهم تقطع يد السارق في القليل والكثير واليه ذهب الخوارج واحتجوا بعموم الاية وبما روي عن النبي صلعم انه قال لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده وهذا الخبر قد طعن اصحاب الحديث في سنده وذكروا ايضا في تاويله ان المراد بالبيضة الحديد التي تغفر الرأس في الحرب والحبل حبل السفينة واختلفوا ايضا في كيفية القطع فقال اكثر الفقهاء وانما تقطع من الرسغ وهو المفصل بين الكف والساعد ثم ان مذهب الشافعي ان تقطع يده اليمنى في المرة الاولى ورجله اليسرى في المرة الثانية ويده اليسرى في المرة الثالثة ورجله اليمنى في المرة الرابعة ويحبس في المرة الخامسة وعند ابي حنيفة لا قطع في الثالثة وقال اصحابنا انه يقطع من اصول الاصابع وتترك الابهام والكف وفي المرة الثانية تقطع رجله اليسرى من اصل الساق وتترك عقبه يعتمد عليها في الصلوة فان سرق بعد ذلك خلد في السجن وهو المشهور من علي عليه السلم واجتمعت الطائفة عليه وقال المستدل عليه على ذلك بقوله سبحانه فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ولا شك في انهم انما

يكتبونه بالاصابع ولا خلاف ان السارق انما يجب عليه القطع اذا سرق من حرز الا ما روي عن داود انه قال يقطع وان سرق من غير حرز والحرز من كل شيء انما يعتبر فيه حرز مثله في العادة وحده عندنا كل موضع لم يكن لغير مالكه الدخول اليه والتصرف فيه الا باذنه جزاء بما كسبا اي فعلوا ذلك بهما مجازاة بكسبهما وفعلهما نكالا من الله اي عقوبة على ما فعلاه وليس نهيا ولولا ان ينال بالحريف عذابه من خزيه او نكال اي عقوبة والله عزيز لا يغلب ولا يقهر عباده حكيم يفعل على وجه الحكمة فمن تاب من بعد ظلمه اي اقلع وندم على ما كان منه من فعل الظلم بالسرقة واصلح اي فعل الفعل الصالح الجميل فان الله يتوب عليه اي يقبل توبته باسقاط العقاب بها من المعصية التي تاب منها ووصف تعالى بانه يتوب على التائب فيه فائدة عظيمة وهي ان في ذلك ترغيب العاصي في فعل التوبة ولذلك وصف سبحانه نفسه بالتواب الرحيم ووصف العبد بانه تائب ومعناه انه اواب وهو من صفات المدح ان الله غفور رحيم فيه دلالة على ان قبول التوبة تفضل من الله تعالى الم تعلم قيل هو خطاب للنبي صلى الله عليه وآله والمراد به امته كقوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء وقيل هو خطاب للمكلفين وتقديره الم تعلم ايها الانسان وانما يتصل هذا الخطاب بما قبله اتصال الحجاج والبيان عن صحة ما تقدم من الوعد والوعيد والاحكام ومعناه الم تعلم يا انسان ان الله له ملك السموات والارض اي له التصرف فيهما بلا دافع ولا منازع يعذب من يشاء اذا كان مستحقا للعقاب ويغفر لمن يشاء اذا عصاه ولم يتب لانه اذا تاب فقد وعد سبحانه انه لا يواخذه بذلك بعد التوبة عند اهل الوعيد فيقبح منه ان يواخذه بعد التوبة فعلى الوجهين معا لا تعلق لذلك بالمشية والله على كل شيء قدير مر معناه **قوله تعالى** يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم ياتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم اية **اللغة** سماعون للكذب اي قابلون له يقال لا تسمع من فلان قوله اي لا تقبل قوله ومنه سمع الله لمن حمده اي تقبل الله منه حمده وفيه وجه آخر وهو ان معناه انهم يسمعون منك ليكذبوا عليك والسماع الجاسوس والفتنة الاختبار واصله التخليص من قولهم فتنت الذهب في النار اي خلصته من الغش **الاعراب** ارتفع سماعون لانه خبر مبتدأ محذوف اي هم سماعون ويجوز ان يرتفع على معنى ومن الذين هادوا سماعون فيكون مبتدأ على قول سيبويه ومعمولا لمنهم على قول الاخفش ويكون تقديره ومنهم فريق سماعون للكذب وقوله لم ياتوك في موضع جر لانه صفة لقوم وقوله يحرفون الكلم صفة لقوله سماعون فيكون موضعه رفعا ويجوز ان يكون موضعه نصبا على انه حال من الضمير في اسم الفاعل اي محرفين الكلم يعني مقدرين تحريفه اي يسمعون كلام النبي صلعم ويقدرون في انفسهم تحريف ما يسمعون كقولهم معه صقر صائدا به غدا وقوله من بعد مواضعه من باب حذف المضاف والتقدير من بعد وضعه كلامه مواضعه ولو قال في معناه عن لجاز لان معناهما متقارب كما تقول اتيتك بعد فراغي من الشغل ومن فراغي منه ولا يجوز ان يقول رميت بعد القوس بدلا من قولك رميت عن القوس لان المعنى يختلف وذلك ان عن لما عدا الشيء الذي هو كالسبب له وبعد انما هو لما تاخر عن كون الشيء فيما صح فيه معنى السبب ومعنى التاخر جاز فيه الامران وما لم يصح فيه الا احد الامرين لم يجز الا احد الحرفين **النزول** قال الباقر عليه السلم وجماعة من المفسرين ان امرأة من خيبر ذات شرف بينهم زنت مع رجل من اشرافهم وهما محصنان فكرهوا رجمهما فارسلوا الى يهود المدينة وكتبوا اليهم ان يسألوا النبي صلى الله عليه وآله عن ذلك طمعا في ان ياتي لهم برخصة فانطلق قوم منهم كعب بن الاشرف وكعب بن اسد وسعد بن عمرو ومالك بن الصيف وكنانة بن ابي الحقيق وغيرهم فقالوا يا محمد اخبرنا عن الزاني والزانية اذا احصنا ما حدهما فقال عليه السلم وهل ترضون بقضائي في ذلك قالوا نعم فنزل جبرئيل عليه السلم بالرجم فاخبرهم بذلك فابوا ان ياخذوا به فقال له جبرئيل اجعل بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه له فقال النبي صلى الله عليه وآله هل تعرفون شابا امرد ابيض اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم فقال فاي رجل هو فيكم قالوا اعلم يهودي بقي على ظهر الارض بما انزل الله على موسى قال فارسلوا اليه ففعلوا فاتاهم عبد الله بن صوريا فقال له النبي صلعم اني انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي انزل التورية على موسى وفلق لكم البحر وانجاكم واغرق آل فرعون وظلل عليكم الغمام وانزل عليكم المن والسلوى هل تجدون في كتابكم الرجم على من احصن قال ابن صوريا نعم والذي ذكرتني به لولا خشية ان يحرقني رب التورية ان كذبت او غيرت ما اعترفت لك ولكن اخبرني كيف هي في كتابك

يا محمد قال يا محمد قال اذا شهد اربعة رهط عدول انه قد ادخله فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب عليه الرجم فقال ابن صوريا هكذا انزل الله في
التورية على موسى فقال له النبي صلعم ولم فماذا كان اول ما ترخصتم به امر الله قال كنا اذا زنى الشريف تركناه واذا اخذنا الضعيف اقمنا
عليه الحد فكثر الزنا في اشرافنا حتى زنى ابن عم ملك لنا فلم نرجمه ثم زنى رجل اخر فاراد الملك رجمه فقال له قومه لا حتى ترجم فلانا يعنون ابن
عمه فقلنا تعالوا نجتمع فلنضع شيئا دون الرجم يكون على الشريف والوضيع فوضعنا الجلد والتحميم وهو ان يجلد اربعين جلدة ثم تسود
وجوههما ثم يحملان على حمارين ويجعل وجوههما من قبل دبر الحمار ويطاف بهما فجعلوا هذا مكان الرجم فقالت اليهود لابن صوريا ما اسرع
ما اخبرته وما كنت لما اثنينا عليك باهل ولكنك كنت غائبا فكرهنا ان نغتابك فقال انه انشدني بالتورية ولولا ذلك لما اخبرته بها فامر
بهما النبي صلعم واله فرجما عند باب مسجده وقال انا اول من احيى امرك اذا اماتوه فانزل سبحانه فيه يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا
يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير فقام ابن صوريا فوضع يديه على ركبتي رسول الله صلعم ثم قال هذا مقام العائذ
بالله وبك ان تذكر لنا الكثير الذي امرت ان تعفو عنه فاعرض النبي صلعم عن ذلك ثم ساله ابن صوريا عن نومه قال تنام عيناى ولا ينام
قلبي فقال صدقت فاخبرني عن شبه الولد بابيه ليس فيه من شبه امه شيء او بامه ليس فيه من شبه ابيه شيء فقال صلعم ايهما علا وسبق
ماؤه ماء صاحبه كان الشبه له قال صدقت فاخبرني ما للرجل من الولد وما للمراة منه قال فاغمي على رسول الله صلعم طويلا ثم خلي عنه
محمرا وجهه يفيض عرقا فقال اللحم والدم والظفر والشعر للمراة والعظم والعصب والعروق للرجل قال له صدقت امرك امر نبي فاسلم
ابن صوريا عند ذلك وقال يا محمد من ياتيك من الملائكة قال جبرئيل قال صفه لي فوصفه النبي صلعم فقال اشهد انه في التورية كما قلت وانك
رسول الله حقا فلما اسلم ابن صوريا وقعت فيه اليهود وشتموه فلما ارادوا ان ينهضوا تعلقت بنو قريظة ببني النضير فقالوا يا محمد اخواننا
بنو النضير ابونا واحد وديننا واحد ونبينا واحد اذا قتلوا منا قتيلا لم يقيدونا واعطونا ديته سبعين وسقا من تمر واذا قتلنا منهم قتيلا
قتلوا القاتل واخذوا منا الضعف مائة واربعين وسقا من تمر وان كان القتيل امراة قتلوا بها الرجل منا وبالرجل منهم الرجلين منا وبالعبد
منهم الحر منا وجراحاتنا على النصف من جراحاتهم فاقض بيننا وبينهم فانزل الله في الرجم والقصاص الايات المعنى لما تقدم ذكر اليهود
والنصارى عقبه سبحانه بتسلية النبي صلعم وامانه من كيدهم فقال يا ايها الرسول لا يحزنك اي لا يغمك وقرئ لا يحزنك ومعناهما واحد الذين يسارعون
اي مسارعة الذين يسارعون في الكفر اي يبادرون فيه بالاصرار عليه والتمسك به من المنافقين الذين قالوا امنا
بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا اي من اليهود سماعون للكذب قيل هو كناية عن اليهود والمنافقين وقيل هو عن اليهود خاصة
والمعنى سماعون قولك ليكذبوا عليك سماعون كلامك لقوم اخرين لم ياتوك ليكذبوا عليك اذا رجعوا اليهم اي هم عيون عليك لانهم كانوا
رسل خيبر واهل خيبر لم يحضروا عن الحسن والزجاج واختاره ابو علي وقيل معنى سماعون اي قائلون للكذب سماعون لقوم اخرين ارسلوهم في
قصة زان محصن فقالوا لهم ان اتاكم محمد بالجلد فخذوه وان افتاكم بالرجم فلا تقبلوه لانهم كانوا حرفوا حكم الرجم الذي في التورية عن ابن عباس وجابر
وسعيد بن المسيب والسدي وقيل انما كان ذلك في قتيل منهم قالوا ان افتاكم بالدية فاقبلوه وان افتاكم بالقود فاحذروه عن قتادة وقال
ابو جعفر عليه السلم كان ذلك في امر بني النضير وبني قريظة يحرفون الكلم اي كلام الله تعالى من بعد مواضعه اي من بعد وضع الله تعالى مواضعه
اي فرض فروضه واحل حلاله وحرم حرامه يعني بذلك ما غيروه من حكم الله في الزنا ونقلوه من الرجم الى اربعين جلدة عن جماعة من المفسرين
وقيل نقلوا حكم القتل من القود الى الدية حتى كثر القتل فيهم عن قتادة وقيل المراد بتحريفهم التورية بتحليلهم الحرام وتحريمهم الحلال فيها
وقيل معناه يحرفون كلام النبي صلعم بعد سماعه ويكذبون عليه عن الحسن وابو علي الجبائي وكانوا يكتبون بذلك الى خيبر وكان اهل خيبر حربا
لرسول الله وهذا تسلية للنبي صلعم يقول ان اليهود كيف يؤمنون بك مع انهم يحرفون كلام الله في التورية ويحرفون كلامك يقولون ان
اوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا اي يقول يهود خيبر ليهود المدينة ان اعطيتم هذا اي ان امركم محمد صلعم بالجلد فاقبلوه وان لم
يعطوه يعني الجلد اي ان افتاكم محمد بالرجم فاحذروه عن الحسن وقيل معناه ان اوتيتم الدية فاقبلوه وان اوتيتم القود فلا تقبلوه
ومن يرد الله فتنته قيل فيه اقوال احدها ان الفتنة العذاب اي من يرد عذابه كقوله على النار يفتنون اي يعذبون وقوله ذوقوا
فتنتكم اي عذابكم عن الحسن وقتادة واختاره الجبائي وابو مسلم وثانيها ان معناه من يرد الله اهلاكه عن السدي والضحاك و

ثالثها ان المراد به من يرد الله خزيه وفضيحته باظهار ما ينطوي عليه عن الزجاج ورابعها ان المراد ومن يرد الله اختباره بما يبتليه به
من القيام بحدوده فيدع ذلك ويحرفه والاصح الاول فلن تملك له من الله شيئا اي فلن تستطيع ان تدفع لاجله امر الله الذي هو من
العذاب والفضيحة والهلاك شيئا اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم معناه اولئك اليهود لم يرد الله ان يطهر قلوبهم من
عقوبات الكفر التي هي الختم والطبع والضيق قلوبهم كما طهر قلوب المؤمنين منها بان كتب في قلوبهم الايمان وشرح صدورهم للاسلام
عن الحسن والجبائي وقيل معناه لم يرد الله ان يطهرها من الكفر بالحكم عليها بانها برية منه ممدوحة بالايمان عن البلخي قال القاضي
وهذا لا يدل على انه سبحانه لم يرد منهم الايمان لان ذلك لا يعقل من تطهير القلب الا على جهة التوسع ولان قوله لم يرد الله ان يطهر
قلوبهم يقتضي نفي كونه مريدا وليس فيه بيان الوجه الذي لم يرد ذلك عليه والمراد بذلك انه لم يرد تطهير قلوبهم مما تحلقها من الغموم بالذم
والاستخفاف والعقاب ولذلك قال عقيبه لهم في الدنيا خزي ولهم في الاخرة عذاب عظيم ولو كان ارادها قال المجبرة لم يجعل ذلك ذما لهم
ولا عقبه بالذم ولا جعله في حكم الجزاء على ما لاجله عاقبهم وارادة ذلك منهم والخزي الذي لهم في الدنيا هو ما لحقهم من الذل والصغار والفضيحة
بالزام الجزية واظهار كذبهم في كتمان الرجم واجلاء بني النضير من ديارهم وخزي المنافقين باطلاع النبي صلعم على كفرهم قوله تعالى
سماعون للكذب اكالون للسحت فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وان حكمت فاحكم
بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين وكيف يحكمونك وعندهم التورية فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين
ايات القراءة السحت بضم السين والحاء مكي وبصري وابو جعفر والكسائي وقرا الباقون السحت باسكان الحاء الحجة قال ابو علي
السحت والسحت لغتان ويسير التخفيف والتثقيل في هذا النحو وهما اسم الشيء المسحوت كما اوقع الضرب على المضروب في قولهم هذا
الدرهم ضرب الامير والصيد على المصيد في قوله لا تقتلوا الصيد وانتم حرم اللغة اصل السحت الاستيصال يقال سحته واسحته
اذا استاصله ومن اسحت قول الفرزدق وعض زمان يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحتا او مجلف ويقال للحالق اسحت اي
استاصل وفلان مسحوت المعدة اذا كان اكولا لا يشبع واسحت ماله افسده واذهبه والحكم هو فصل الامر على وجه الحكمة فيما يفصل به وقد
يفصل بالبيان انه الحق وقد يفصل بالزام الحق والماخذ به كما يفصل الحكام بين الخصوم بما يقطع الخصومة ويبت القضية والتولي الانصراف
عن الشيء والتولي عن الحق الترك له وهو خلاف التولي اليه لانه الاقبال عليه والتولي له هو صرف النصرة والمعونة اليه المعنى ثم وصفهم
سبحانه فقال سماعون للكذب قد مر تفسيره اعاد الله سبحانه ذمهم على استماع الكذب او قبوله تاكيدا وتشديدا ومبالغة في الزجر عنه اكالون
للسحت اي يكثرون الاكل للسحت وهو الحرام وروي عن النبي صلى الله عليه واله ان السحت هو الرشوة في الحكم وهو المروي عن ابن مسعود والحسن
وقيل السحت هو الرشوة في الحكم ومهر البغي وكسب الحجام وعسيب الفحل وثمن الكلب وثمن الميتة وحلوان الكاهن والاستعمال في المعصية
عن علي عليه السلم وروي عن ابي عبد الله عليه السلم ان السحت انواع كثيرة فاما الرشا في الحكم فهو الكفر بالله وقيل في اشتقاق السحت اقوال احدها ان
الحرام انما سمي سحتا لانه يعقب عذاب الاستيصال والبوار عن الزجاج وثانيها انما سمي سحتا لانه لا بركة فيه لاهله فيهلك هلاك الاستيصال
عن الجبائي وثالثها انما سمي سحتا لانه القبيح الذي فيه العار نحو ثمن الكلب والخمر فعلى هذا يسحت مروة الانسان عن الخليل فان جاؤك
فاحكم بينهم او اعرض عنهم اراد اليهود الذين تحاكموا الى النبي صلعم في حد الزنا عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقيل انه اراد بني قريظة والنضير
لما تحاكموا اليه قد خيره الله تعالى بين ان يحكم بينهم وبين ان تعرض عنهم عن ابن عباس في رواية اخرى وقتادة وابن زيد والظاهر في اخبارنا
ان هذا التخيير ثابت في الشرع للائمة والحكام وهو قول قتادة وعطاء والشعبي وابرهيم وقيل انه منسوخ بقوله وان احكم بينهم بما انزل الله عن
الحسن وعكرمة ومجاهد وان تعرض عنهم اي عن الحكم بينهم فلن يضروك شيئا اي لا يقدرون لك على ضرر في دين او دنيا فدع
النظر بينهم ان شئت وان حكمت اي وان اخترت ان تحكم بينهم فاحكم بينهم بالقسط اي بالعدل وقيل بما في القرآن وشريعة الاسلام ان الله
يحب المقسطين اي العادلين وكيف يحكمونك اي كيف يحكمك يا محمد هؤلاء اليهود فيرضوا بك حكما وعندهم التورية التي انزلتها
على موسى وهي التي يقرون بها انها كتابي الذي انزلته وانه حق وان ما فيه من حكمي يعلمونه ولا يتناكرونه فيها حكم الله اي احكامه التي لم
تنسخ عن ابي علي وقيل فيها الحكم بالرجم عن الحسن وقيل معناه فيها حكم الله بالقود عن قتادة ثم يتولون من بعد ذلك اي يتركون الحكم بجلده وتولى

د في هذا تعجيب للنبي صلى الله عليه وآله وتقريع لليهود الذين نزلت الآية فيهم فكأنه قال كيف تقرون ايها اليهود بحكم نبي محمد صلعم مع
انكاركم نبوته وتكذيبكم اياه وانتم تتركون حكمي الذي تقرون بوجوبه وتعترفون بانه حاكم من عندي وقوله من بعد ذلك اشارة الى حكم
الله في التورية عن ابن كثير وقيل من بعد ذلك اي من بعد تحكيمك او حكمك بالرجم لانهم ليسوا منه على ثقة وانما طلبوا به الرخصة وما
اولئك بالمؤمنين اي وما هم بالمؤمنين بحكمك انه من عند الله مع جحدهم نبوتك وقيل ان هذا اخبار من الله تعالى عن اولئك اليهود انهم لا
يؤمنون بالنبي صلى الله عليه وآله وبحكمه **قوله تعالى** انا انزلنا التورية فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا و
الربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ومن لم
يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون آية **القراءة** قرأ اهل البصرة وابو جعفر واسمعيل عن نافع واخشوني بياء في الوصل ويعقوب
بالياء ايضا يقف والباقون واخشون بغير ياء في الوقف والوصل **الحجة** قال ابو علي الاثبات حسن والوقف حسن لان الفواصل في
انها اواخر اي مثل القوافي انها اواخر البيوت فمما حذفت منه الياء في القوافي قول الاعشى فهل يمنعني ارتيادي البلاد من حذر الموت
ان يأتين ومن شاني كاسف وجهه اذا ما انتسبت له انكرن **اللغة** الربانيون فسرناه فيما مضى وهم العلماء البصراء بسياسة الامور في تدبير الناس
الاحبار جمع حبر وهو العالم مشتق من التحبير وهو التحسين فالعالم يحسن الحسن ويقبح القبيح قال الفراء اكثر ما سمعت فيه حبر بالكسر **الاعراب**
الباء في قوله بما استحفظوا يتعلق بالاحبار فكأنه قال العلماء بما استحفظوا وقال الزجاج تقديره يحكمون للناس من الكفر بما استحفظوا **المعنى**
لما بين سبحانه ان اليهود تولوا عن احكام التورية وصف التورية وما انزل فيها فقال انا انزلنا التورية فيها هدى اي بيان الحق ودلالة
على الاحكام ونور اي ضياء لكل ما تشابه عليهم وجلاء لما اظلم عليهم عن ابن عباس وقيل معناه فيها هدى بيان الحكم الذي جاؤوا يستفتون
فيه النبي صلى الله عليه وآله ونور بيان ايضا ان امر النبي صلعم حق عن الزجاج يحكم بها النبيون الذين اسلموا معناه يحكم بالتورية النبيون
الذين اذعنوا لحكم الله تعالى واقروا به ونبينا صلعم داخل فيهم عن الحسن وقتادة وعكرمة والسدي والزهري وقال اكثرهم هو المعني بذلك لما
حكم في رجم المحصن وهذا لا يدل على انه صلعم كان متعبدا بشرع موسى عليه السلام لان الله تعالى هو الذي اوجب ذلك بوحي انزله عليه لا بالرجوع الى
التورية فصارت لذلك شريعة له وان وافق ما في التورية ونبه بذلك اليهود على صحة نبوته من حيث اخبر بما في التورية من غامض العلم الذي كتموه
على كثير منهم وقد عرفوا جميعا انه لم يقرأ كتابهم ولم يرجع في ذلك الى علمائهم فكان من دلائل صدقه صلعم وآله وقيل يريد بالنبيين الانبياء
الذين كانوا بعد موسى وذلك انه كان في بني اسرائيل الوف من الانبياء بعثهم الله سبحانه لاقامة التورية يحدون حدودها ويحلون حلالها
ويحرمون حرامها عن ابن عباس فمعناه يقضي بها النبيون الذين اسلموا من وقت موسى الى زمان عيسى عليه السلام ووصفهم بالاسلام لان الاسلام
دين الله فكل نبي مسلم وليس كل مسلم نبيا وقوله للذين هادوا اي تابوا من الكفر عن ابن عباس وقيل لليهود واللام فيه متعلق بيحكم اي يحكمون
بالتورية لهم وفيما بينهم قال الزجاج وجائز ان يكون المعنى على التقديم والتأخير وتقديره انا انزلنا التورية فيها هدى ونور للذين هادوا
يحكم بها النبيون الذين اسلموا والربانيون الذين علت درجاتهم في العلم وقيل الذين يعلمون بما والاحبار العلماء الكبار عن الزجاج بما
استحفظوا اي بما استودعوا من كتاب الله عن ابن عباس وقيل بما امروا بحفظ ذلك والقيام به وترك تضييعه عن الجبائي وكانوا عليه شهداء
اي وكانوا على حكم النبي صلعم في الرجم انه ثابت في التورية شهداء عن ابن عباس وقيل كانوا شهداء على انه وحده لا شريك له عن عطا فلا تخشوا الناس
واخشون اي لا تخشوا يا علماء اليهود الناس في اظهار صفة محمد وامر الرجم واخشوني في كتمان ذلك عن السدي والكلبي وقيل ان الخطاب
للنبي صلعم وآله وامته اي لا تخشوهم في اقامة الحدود وامضائها على اهلها كائنا ما كان واخشوني في ترك امري فان النفع والضر بيدي
عن الحسن ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا اي لا تأخذوا بترك الحكم الذي انزلته على موسى ايها الاحبار عوضا خسيسا وهو الثمن القليل
نهاهم الله عز اسمه بهذا عن اكل السحت على تحريفهم كتاب الله وتغييرهم حكمه ومن لم يحكم بما انزل الله معناه من كتم حكم الله الذي انزله في
كتابه فاخفاه وحكم بغيره من رجم المحصنين والقود فاولئك هم الكافرون واختلف في ذلك فمنهم من اجراه على ظاهره على العموم عن ابن
مسعود وابرهيم ومنهم من خصصه بالجاحد لحكم الله عن ابن عباس ومنهم من قال هي في اليهود خاصة عن الجبائي فانه قال لا حجة للخوارج فيها
من حيث هي خاصة في اليهود واختار علي بن عيسى القول الاول وكذلك نقول ان من حكم بغير ما انزل الله مستحلا لذلك فهو كافر وروى

البراء

البراء بن عازب عن النبي صلى الله عليه وآله ان قوله ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون وبعده فاولئك هم الظالمون وبعده
فاولئك هم الفاسقون كل ذلك في الكفار خاصة اورده مسلم في الصحيح وبه قال ابن مسعود وابو صالح والضحاك وعكرمة وقتادة **قوله تعالى**
وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو
كفارة له ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون آية **القراءة** قرأ الكسائي العين وما بعده كله بالرفع وقرأ ابو جعفر وابن كثير وابن
عامر وابو عمرو كلها بالنصب الا قوله والجروح فانه بالرفع والباقون ينصبون جميع ذلك وكلهم ثقل الاذن الا نافعا فانه خففها في كل
القرآن **الحجة** قال ابو علي حجة من نصب العين بالعين وما بعده انه عطف ذلك كله على ان وجعل الواو للاشتراك في نصب ان و
لم يقطع الكلام مما قبله كما فعل ذلك من رفع واما من رفع بعد النصب فقال ان النفس بالنفس والعين بالعين فانه يحتمل ثلثة اوجه احدها
ان يكون الواو عاطفة جملة على جملة كما يعطف المفرد على المفرد والثاني انه حمل الكلام على المعنى لانه اذا قال وكتبنا عليهم فيها ان
النفس بالنفس فمعناه قلنا لهم النفس بالنفس فحمل العين بالعين على هذا كما انه لما كان المعنى في قوله يطاف عليهم بكأس من معين يمنحون
كاسا من معين حمل حورا عينا على ذلك كأنه يمنحون كاسا ويمنحون حورا عينا ومن ذلك قول الشاعر بادت وغير آيهن مع البلى الا
رواكد جمرهن هباء ومشجج اما سواء قذاله فبدا وغير ساره المعزاء لما كان المعنى في بادت وغير آيهن الا رواكد بها رواكد حمل مشججا عليه
فكأنه قال هناك رواكد ومشجج ومثل هذا في الحمل على المعنى كثير واقول ان من هذا القبيل بيت الفرزدق الذي اخبره الا مستحقا او مجلف و
قد ذكرناه قبل لانه لما كان المعنى لم يبق من المال الا مستحق حمل مجلفا عليه والوجه الثالث ان يكون عطف قوله والعين بالعين على الذكر المرفوع
في الظرف الذي هو الخبر وان لم تؤكد المعطوف عليه بالضمير المنفصل كما اكد في نحو قوله انه يراكم هو وقبيله الا ترى انه قد جاء لو شاء الله ما
اشركنا ولا آباؤنا فلم تؤكد بالمنفصل كما اكد في الآي الاخرى قال فان قلت فان لا في قوله ولا آباؤنا عوض من التأكيد لان الكلام قد طال
به كما طال في حضر القاضي اليوم امرأة قيل ان هذا انما يستقيم ان يكون عوضا اذا وقع قبل حرف العطف ثم يسد ذلك المسد واما قوله
والجروح قصاص فمن رفعه فانه يحتمل هذه الوجوه الثلثة التي ذكرناها ويجوز ان يستأنف والجروح قصاص استيناف ايجاب وابتداء
شريعة لا على انه مكتوب عليهم في التورية ويقوي انه من المكتوب عليهم في التورية نصب من نصب فقال والجروح قصاص واما التخفيف
في الاذن فلغة مثل السحت والسحت وقد تقدم القول في ذلك **المعنى** ثم بين سبحانه حكم التورية في القصاص فقال وكتبنا اي فرضنا
عليهم اي على اليهود الذين تقدم ذكرهم فيها اي في التورية ان النفس بالنفس ومعناه اذا قتلت نفس نفسا اخرى عمدا فانه يستحق عليها القود
اذا كان القاتل عاقلا مميزا وكان المقتول مكافيا للقاتل اما بان يكونا مسلمين حرين او كافرين او مملوكين فاما اذا كان القاتل حرا مسلما
والمقتول كافرا او مملوكا ففي وجوب القصاص هناك اختلاف بين الفقهاء وعندنا لا يجب القصاص وبه قال الشافعي وقال الفقهاء
لا يجعل في التورية دية في نفس ولا جرح انما كان العفو او القصاص والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن قال
العلماء كل شخصين جرى القصاص بينهما في النفس جرى القصاص بينهما في العين والانف والاذن والسن وجميع الاطراف اذا تماثلا في السلامة
من الشلل واذا امتنع القصاص في النفس امتنع ايضا في الاطراف والجروح قصاص هذا عام في كل ما يمكن ان يقتص فيه مثل الشفتين والذكر
والانثيين واليدين والرجلين وغيرها ويقتص الجراحات بمثلها الموضحة بالموضحة والهاشمة بالهاشمة والمنقلة بالمنقلة الا المامومة و
الجائفة فانه لا قصاص فيهما وهي التي تبلغ ام الرأس والتي تبلغ الجوف في البدن لان في القصاص فيهما تغريرا بالنفس واما ما لا يمكن القصاص
فيه من رض لحم او كسر عظم او جراحة يخاف فيها التلف ففيه ارش مقدرة والقصاص هنا مصدر يراد به المفعول اي والجروح متقاصة
بعضها ببعض واحكام الجراحات وتفاصيل الاروش في الجنايات كثيرة وفروعها جمة موضعها كتب الفقه فمن تصدق به اي بالقصاص الذي
وجب له تصدق به على صاحبه بالعفو واسقاطه عنه فهو اي التصدق كفارة له اي للمتصدق الذي هو المجروح او ولي الدم هذا قول اكثر
المفسرين فقد قيل معناه فمن عفى فهو مغفرة له عند الله وثواب عظيم عن ابن عمرو وابن عباس في رواية عطا والحسن والشعبي وهو المروي عن ابي عبد الله ع
قال يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما عفى من جراح او غيره وروى عبادة بن الصامت ان النبي صلى الله عليه وآله قال من تصدق من جسده بشيء كفر الله عنه
بقدره من ذنوبه وقيل ان الضمير في له يعود الى المتصدق عليه اي كفارة للمتصدق عليه لانه يقوم مقام اخذ الحق منه عن ابن عباس في رواية سعيد
بن جبير ومجاهد وابرهيم وزيد بن اسلم وعلى هذا فان الجاني اذا عفا عنه المجني عليه كان العفو كفارة لذنب الجاني لا يؤخذ به في الآخرة و

٣٨١

فاما اذا وقع بعد حرف العطف لم

ء القول الاول اظهر لان الهاء في فيه ترجع الى مذكور وهو من وفي القول الثاني يعود الى من لم يذكر وهو المتصدق عليه ويدل عليه قوله فمن تصدق به ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون قيل هم اليهود الذين لم يحكموا بما انزل الله وقيل هو عام في كل من حكم بخلاف ما انزل الله فيكون ظالما لنفسه بارتكاب المعصية الموجبة للعقاب وهذا الوجه يوجب ان يكون ما تقدم من الاحكام يجب العمل به في شرعنا وان كان مكتوبا في التورية **قوله تعالى** وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقا لما بين يديه من التورية وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التورية وهدى وموعظة للمتقين وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون آيتان **القراءة** قرأ حمزة وحده وليحكم بكسر اللام ونصب الميم والباقون وليحكم بالجزم وسكون اللام على الامر **الحجة** حجة من كسر اللام متعلقة بقوله وآتيناه الانجيل فان معناه وانزلنا عليه الانجيل فصار بمنزلة وانزلنا عليه الكتاب ليحكم وحجة من قرأ بالجزم ان قوله وان احكم بينهم بما انزل فكما امر النبي صلى الله عليه وآله بذلك فكذلك امر اهل الانجيل **اللغة** التقفية اتباع الاثر يقال قفاه ويقفوه والتقفية الاتباع يقال قفيته بكذا اي اتبعته به وانما سميت قافية الشعر لانها تتبع الوزن والآثار جمع الاثر وهو العلم الذي يظهر للحس وآثار القوم ما ابقوا من اعمالهم والمأثرة المكرمة التي يأثرها الخلف عن السلف لانها علم يظهر فضله للنفس والايثار الكريم على القوم لانه يؤثره بالنفع والايثار الاختيار فانه اظهار فضل احد العملين على الآخر وقد مر تفسير الانجيل في اول آل عمران والوعظ والموعظة هو الزجر عما يكرهه الله تعالى الى ما يحبه والتنبيه عليه **الاعراب** قوله بعيسى بن مريم مصدقا نصب مصدقا على الحال وهدى رفع بالابتداء و فيه خبره قدم عليه ونور عطف على هدى ومصدقا لما بين يديه من التورية نصب على الحال وليس بتكرير لان الاول حال لعيسى وبيان انه يدعو الى التصديق بالتورية والثاني حال من الانجيل وبيان ان فيه ذكر التصديق بالتورية وهما مختلفان وهو عطف على موضع قوله فيه هدى فانه نصب على الحال وتقديره آتيناه الانجيل مستقرا فيه هدى ونور مصدقا وهدى في موضع نصب بالعطف على مصدقا وموعظة عطف على هدى وتقديره هاديا وواعظا **المعنى** لما قدم سبحانه ذكر اليهود اتبعه بذكر النصارى فقال وقفينا على آثارهم اي واتبعنا على آثار النبيين الذين اسلموا عن اكثر المفسرين واختاره علي بن عيسى والبلخي وقيل معناه على آثار الذين فرضنا عليهم الحكم الذي مضى ذكره عن الجبائي والاول الوجه في العربية واوضح في المعنى بعيسى بن مريم اي بعثناه رسولا بعدهم مصدقا لما بين يديه اي لما مضى من التورية التي انزلت على موسى يصدق بها ويؤمن بها وانما قال لما مضى قبله ما بين يديه لانه اذا كان ما ياتي بعده خلفه فالذي مضى قبله يكون قدامه وبين يديه وآتيناه اي واعطينا عيسى الكتاب المسمى الانجيل والمعنى وانزلنا عليه الانجيل فيه يعني في الانجيل هدى اي بيان وحجج ودلائل على الاحكام ونور سماه نورا لانه يهتدى به كما يهتدى بالنور ومصدقا لما بين يديه من التورية يعني الانجيل يصدق بالتورية لان فيه ان التورية حق وقيل معناه انه تضمن وجوب العمل بالتورية وانها لم تنسخ وقيل معناه انه اتى على النحو الذي وصف في التورية وهدى ودلالة وارشادا ومعناه وهاديا ومرشدا وموعظة اي واعظا للمتقين يزجرهم عن المعاصي ويدعوهم الى الطاعة وانما خص المتقين بالذكر لانهم اختصوا بالانتفاع به والا فانه هدى لجميع الخلق وليحكم اهل الانجيل هذا امر لهم وقيل في معناه قولان احدهما ان تقديره وقلنا ليحكم اهل الانجيل فيكون على حكاية ما فرض عليهم وحذف القول لدلالة ما قبله عليه من قوله وقفينا كما قال سبحانه والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم اي يقولون والثاني انه سبحانه استأنف امرا لاهل الانجيل على غير الحكاية لان احكامه كانت موافقة لاحكام القرآن لم تنسخ بعد عن الجبائي والاول اقوى وهو اختيار علي بن عيسى بما انزل الله فيه اي في الانجيل ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون قيل ان من هنا بمعنى الذي وهو خبر عن قوم معروفين وهم اليهود الذين تقدم ذكرهم عن الجبائي وقيل ان من للجزاء اي من لم يحكم من المكلفين بما انزل الله فهو فاسق لان هذا الاطلاق يدل على ان المراد من ذهب الى ان الحكم في خلاف ما امر الله به فلذا قال فيما قبل فاولئك هم الكافرون لكون معنى الفاسقين الخارجين عن الدين وجعلوا الكفر والظلم والفسق صفة لموصوف واحد وقيل ان الاول في الجاحد والثاني والثالث في المقر التارك **قوله تعالى** وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون آية **اللغة** اصل مهيمن مؤيمن فقلبت الهمزة ياء كما قيل في ارقت الماء اي هرقت وقد صرف فقيل هيمن الرجل اذا ارتقب وحفظ وشهد يهيمن هيمنة فهو مهيمن

وعلى هذا فيكون وزنه مفيعلا مثل مسيطر ومبيطر وقال الازهري كان في الاصل ايمن يؤيمن كما ان الاصل في يفعل يافعل فعلى هذا يكون على وزن مؤفعل فقلبت الهمزة هاء وروي في الشواذ مهيمنا بفتح الميم عن مجاهد والشرعة والشريعة واحد وهي الطريقة الذي يوصل منه الى الماء الذي فيه الحيوة فقيل الشريعة في الدين للطريق الذي يوصل منه الى الحيوة في النعيم وهي الامور التي تعبد الله تعالى بها من جهة السمع قال الشاعر: اتنسونني يوم الشريعة والقنا بصفين في لباتكم قد تكسرا والاصل فيه الظهور ويقال اشرعت القنا اذا اظهرت وشرعت في الامر شروعا اذا دخلت فيه دخولا ظاهرا والناس فيه شرع اي متساوون والمنهاج الطريق المستقيم قال وهذه الالفاظ اذا تكررت فلزيادة فائدة فيه ومنه قول الحطيئة: وهند اتى من دونها النأي والبعد فالنأي لما قل بعده والبعد لما كثر بعده وقد جاء ايضا بمعنى واحد قال عنترة: حييت من طلل تقادم عهده اقوى واقفر بعد ام الهيثم اقوى واقفر بمعنى واحد ويقال انهجت لك الطريق وانهجته فهو منهوج ومنهج ونهج الطريق وانهج اذا وضح والاستباق ان يكون بين شيئين فصاعدا يجتهد كل منهم ان يسبق غيره قال سبحانه واستبقا الباب يعني يوسف وصاحبته تبادرا الى الباب **الاعراب** مصدقا حال من الكتاب ومهيمنا كذلك وقيل انه حال من الكاف الذي هو خطاب للنبي صلى الله عليه وآله والاول اقوى لاجل حرف العطف لانه قال وانزلنا اليك الكتاب مصدقا ومهيمنا ولا يجوز ان يعطف حال على حال لغير الاول لا تقول ضربت هندا زيدا قاعدا وقائمة ولو قلت قائمة بغير واو لجاز ويجوز ان يكون عطفا على مصدقا ويكون مصدقا حالا للنبي والاول اظهر **المعنى** لما بين سبحانه نبوة موسى وعيسى عقب ذلك ببيان نبوة محمد صلعم احتجاجا على اليهود والنصارى بان طريقه كطريقهم في الوحي والمعجز فقال وانزلنا اليك يا محمد الكتاب يعني القرآن بالحق اي بالعدل مصدقا لما بين يديه من الكتاب يعني التورية والانجيل وما فيهما من توحيد الله وعدله والدلالة على نبوته والحكم بالرجم والقود على ما تقدم ذكره وقيل المراد بالكتاب الكتب المنزلة على الانبياء ومعنى الكتاب المكتوب كقولهم هذه الدراهم ضرب الامير اي مضروبه عن ابي مسلم ومهيمنا عليه معناه امينا عليه شاهدا بانه الحق عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وقيل مؤتمنا عن سعيد بن جبير وابي عبيدة وابن جريج وهو قريب من الاول قال ابن جريج امانة القرآن ان ما اخبر به الكتب ان كان موافقا للقرآن يجب التصديق به والا فلا وقيل معناه حافظا رقيبا عليه عن الخليل وابي عبيدة قالوا وفيه دلالة على ان ما حكى الله سبحانه انه كتب عليهم في التورية يلزمنا العمل به لانه جعل القرآن مصدقا لذلك وشاهدا به فاحكم بينهم بما انزل الله يعني بين اليهود بالقرآن في الرجم على الزانيين عن ابن عباس قال اذا ترافع اهل الكتاب الى الحكام يجب ان يحكموا بينهم بحكم القرآن وشريعة الاسلام لانه امر الله تعالى بان يحكم بينهم والامر يقتضي الايجاب وبه قال الحسن ومسروق قال الجبائي هذا ناسخ للتخيير في الحكم بين اهل الكتاب والاعراض عنهم والترك ولا تتبع اهواءهم يريد فيما حرفوا وبدلوا من امر الرجم عن ابن عباس عما جاءك من الحق اي عادلا عما جاءك من الحق ويجوز ان يكون عن من صلة معنى لا تتبع اهواءهم لان معناه لا تزغ فكانه قال لا تزغ عما جاءك من الحق باتباع اهوائهم ومتى قيل كيف يجوز ان يتبع النبي صلى الله عليه وآله اهواءهم مع كونه معصوما فالجواب ان النبي يجوز ان يرد عما يعلم انه لا يفعله ويجوز ان يكون الخطاب له صلعم واله والمراد جميع الحكام لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا الخطاب للامم الثلث امة موسى وامة عيسى وامة محمد صلعم ولا يعني به قوم كل نبي الا ترى ان ذكر هؤلاء قد تقدم في قوله انا انزلنا التورية الآية ثم قال وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم ثم قال وانزلنا اليك الكتاب ثم قال لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا فعلق الخطاب بهم اي شريعة فللتورية شريعة وللانجيل شريعة وللقرآن شريعة عن قتادة وجماعة من المفسرين وفي هذا دلالة على جواز النسخ وعلى ان نبينا صلعم كان متعبدا بشريعته فقط وكذلك امته وقيل الخطاب لامة نبينا صلعم عن مجاهد والاول اقوى لانه سبحانه بين ان لكل نبي شريعة ومنهاجا اي سبيلا واضحا غير شريعة صاحبه وطريقته ويقوي ذلك قوله ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ومعناه لو شاء الله لجمعكم على ملة واحدة في دعوة جميع الانبياء لا تبدل شريعة منها ولا تنسخ عن ابن عباس وقيل المراد به مشية القدرة اي لو شاء الله لجعلكم على الحق كما قال ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها عن الحسن ولكن ليبلوكم اي ولكن جعلكم على شرايع مختلفة ليمتحنكم فيما آتاكم اي فيما فرض عليكم وشرع لكم وقيل فيما اعطاكم من السنن والكتاب وقال الحسين بن علي المغربي المعنى لو شاء الله لم يبعث اليكم نبيا فتكونون متعبدين بما في العقل

ويكونوا امة واحدة ولكن ليختبركم بما كلفتم من العبادات وهو اعلم بما يؤول اليه امركم فاستبقوا الخيرات اى بادروا فوت الحظ بالتقدم فى الخير وقيل
معناه بادروا الفوت بالموت او العجز وبادروا الى ما امركم به فانى لا امر الا بالصلاح عن الجبائى وقيل معناه سابقوا الامم الماضية الى الطاعات و
الاعمال الصالحة عن الكلبى وفى هذا دلالة على وجوب المبادرة الى افعال الخيرات ويكون محمولا على الواجبات ومن قال ان الامر على الندب حمله على
جميع الطاعات الى الله مرجعكم اى مصيركم جميعا فينبئكم فيخبركم بما كنتم فيه تختلفون اى مرجعكم ثم يجازيكم على حسب استحقاقكم قوله تعالى
وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك فان تولوا فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض
ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون افحكم الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون اياتان القراءة قرا ابن عامر وحده
تبغون بالتاء والباقون بالياء وروى بالشواذ قراءة يحيى بن يعمر وابراهيم النخعى افحكم الجاهلية يبغون برفع الميم وقراءة الاعمش افحكم الجاهلية
بفتح الحاء والكاف والميم الحجة من قرا يبغون بالياء فلان قبله غيبة وان كثيرا من الناس لفاسقون ومن قرا بالتاء فعلى تقدير قل
لهم يا محمد افحكم الجاهلية تبغون ومن قرا افحكم الجاهلية فعلى نحو ما جاء فى الشعر قد اصبحت ام الخيار تدعى على ذنبا كله لم اصنع اى لم اصنعه
فيكون التقدير افحكم الجاهلية تبغونه فحذف العائد من الخبر كما حذف من الصفة والحال فى قولهم الناس رجلان رجل اكرمت ورجل اهنت اى اكرمته
واهنته ومررت بهند تضرب زيدا اى ضربها زيد وقوله افحكم الجاهلية فيكون بمعنى الشياع اى فحكام الجاهلية يبغون وجاز ان يقع المضاف
جنسا كما جاء عنهم من قوله منعت العراق قفيزها ودرهمها ثم يرجع المعنى الى قوله افحكم الجاهلية لانه ليس المراد هنا نفس الحكم فهو اذا على حذف المضاف
والمراد افحكم حكم الجاهلية يبغون الاعراب موضع ان احكم نصب بالعطف على الكتاب والتقدير انزلنا اليك الكتاب وان احكم ويجوز ان يكون
موضعه رفعا وتقديره ومن الواجب ان احكم بينهم بما انزل الله ووصلت ان بالامر وان كان لا يجوز صلة الذى بالامر لان الذى اسم ناقص يجرى فى الصلة
عند البيان مجرى الصفة فى بيان النكرة ولذلك لا بد لها من عائد يعود اليها كما ان الصفة لا بد من عائد يعود منها الى الموصوف وليس كذلك ان لانها
حرف وهو مع ما بعدها بمنزلة شئ واحد فلما كان فى فعل الامر معنى المصدر جاز وصل الحرف به على معنى مصدره وحكما نصب لانه مفعول يبغون و
حكما نصب على التمييز المعنى وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم امر سبحانه بالحكم بينهم لامرين احدهما انهما كان امرا بها جميعا
لانهم احتكموا اليه فى زنا المحصن ثم احتكموا اليه فى قتيل كان بينهم عن الجبائى وجماعة من المفسرين وهو المروى عن ابى جعفر والثانى ان الامر الاول
مطلق والثانى يدل على انه منزل فاحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك قيل فيه قولان احدهما ان معناه احذرهم ان يضلوك عن ذلك
الى ما يهوون من الاحكام بان يطمعوك منهم فى الاجابة الى الاسلام عن ابن عباس والثانى ان معناه فاحذرهم ان يضلوك بالكذب على التوراة
انه ليس كذلك الحكم فيها فانى قد بينت لك حكمها عن ابن زيد وفى هذه الاية دلالة على وجوب مجانبة اهل البدع والضلال وذوى الاهواء و
ترك مخالطتهم فان تولوا اى فان اعرضوا عن حكمك بما انزل الله فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم قيل فيه اقوال احدها ان معناه
فاعلم يا محمد انما يريد الله ان يعاقبهم ببعض اجرامهم وذكر البعض والمراد به الكل كما يذكر العموم ويراد به الخصوص عن الجبائى والثانى انه ذكر البعض
تغليظا للعقاب والمراد انه يكفى ان يؤخذوا ببعض ذنوبهم فى اهلاكهم والتدمير عليهم والثالث انه اراد تعجيل بعض العقاب بما كان من التمرد
فى الاجرام لان عذاب الدنيا يختص ببعض الذنوب دون بعض وعذاب الاخرة يعم وقيل المراد بذلك اجلاء بنى النضير لان علماءهم لما كفروا
وكتموا الحق عوقبوا بالجلاء عن الحسن وقيل المراد بنو قريظة لما نقضوا العهد يوم الاحزاب عوقبوا بالقتل وان كثيرا من الناس لفاسقون
هذا تسلية للنبى صلعم عن امتناع القوم من الاقرار بنبوته والاسراع باجابته بان اهل الايمان قليل واهل الفسق كثير فلا ينبغى ان يعظم ذلك
عليك ثم انكر سبحانه عليهم فعلهم فقال افحكم الجاهلية يبغون والمراد به اليهود عن مجاهد واختاره الجبائى قال لانهم كانوا اذا وجب الحكم على
ضعفائهم الزموهم اياه فاذا وجب على اقويائهم واشرافهم لم يأخذوهم به فقيل لهم احكم الجاهلية اى عبدة الاوثان تطلبون وانتم اهل الكتاب
وقيل المراد به كل من طلب غير حكم الله فانما يخرج منه الى حكم الجاهلية وكفى بذلك خزيا ان يحكم بما يوجبه الجهل دون ما يوجبه العلم ومن احسن من الله
حكما اى لا احد حكمه احسن من حكم الله لقوم يوقنون اى عند قوم اقيمت اللام مقام عند عن الجبائى وهذا جائز اذا تقاربت المعانى وارتفع اللبس فاذا
قيل الحكم لهم فلانهم يحتسبونه واذا قيل عندهم فلان عندهم العلم بصحته قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم
اولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدى القوم الظالمين فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى ان

تصيبنا دائرة فعسى الله ان ياتى بالفتح او امر من عنده فيصبحوا على ما اسروا فى انفسهم نادمين ويقول الذين امنوا اهؤلاء الذين اقسموا بالله
جهد ايمانهم انهم لمعكم حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين ثلث ايات القراءة قرا ابن عامر وابن كثير ونافع يقول بلا واو والباقون بالواو و
كلهم قرءوا بضم اللام الا ابا عمرو فانه فتحها الحجة من حذف الواو من قوله ويقول الذين امنوا فلان الجملة المعطوفة ذكر امر المعطوف عليها
وذلك ان من وصف بقوله سبحانه يسارعون فيهم الى قوله نادمين هم الذين قال فيهم الذين امنوا اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم
لمعكم فلما صار فى كل واحدة من الجملتين ذكر من الاخرى حسن عطفها بالواو وبغير الواو وكما ان قوله سيقولون ثلثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة
سادسهم كلبهم لما كان فى كل واحدة من الجملتين ذكر ما تقدم اكتفى بذلك عن الواو لانهما بالذكر يلابس بعضها ببعض فترتبط احداهما بالاخرى كما ترتبط
بحرف العطف ويدل على حسن دخول الواو قوله وثامنهم فحذف الواو من ويقول كاحداثها فى هذه الاية والحاقها كالحاقها فيها والوجه
قراءة ابى عمرو ويقول بالنصب على ان يحمله على ان يكون ان ياتى بدلا من اسم الله تعالى كما كان ان اذكره بدلا من الهاء فى انسانيه فى قوله وما انسانيه
الا الشيطان ان اذكره ثم يكون ويقول منصوبا عطفا على ذلك فكانه قال عسى ان ياتى بالفتح ويقول الذين امنوا ومن رفع فحجته ان يعطف جملة على
جملة لا مفردا على مفرد اللغة الاتخاذ هو الاعتماد على الشئ فى اعداده لامر وهو افتعال من الاخذ واصله ائتخاذ فابدلت الهمزة تاء و
ادغمت فى التاء التى بعدها ومثله الاتعاد من الوعد والاخذ يكون على وجوه تقول اخذ الكتاب اذا تناوله واخذ القربان اذا تقبله واخذه
الله من مأمنه اذا اهلكه واصله جوز الشئ من جهة من الجهات والاولياء جمع ولى وهو النصير لانه يلى بالنصر صاحبه والدائرة ههنا
الدولة التى تحول الى من كانت له عمن فى يديه قال حميد الارقط كنت حسبت الخندق المحفورا يرد عنك القدر المقدورا ودائرات الدهر
ان تدورا يعنى دول الدهر الدائرة من قوم الى قوم وعسى موضوعة للشك وهى من الله تعالى تفيد الوجوب لان الكريم اذا اطمع فى خير يفعله فهو
بمنزلة الوعد به لتعلق النفس به ورجائها له ولذلك لحق لا يضيع ومنزلة لا يخيب والفتح القضاء والفصل وقيل للحاكم الفتاح لانه يفتح الحكم
ويفصل به الامر النزول اختلف فى سبب نزوله وان كان حكمها عاما لجميع المؤمنين فقال عطية بن سعد العوفى والزهرى لما انهزم اهل
بدر قال المسلمون لاوليائهم من اليهود امنوا قبل ان يصيبكم الله بيوم مثل يوم بدر فقال مالك بن ضيف اغركم ان اصبتم رهطا من قريش
لا علم لهم بالقتال اما لو امررنا العزيمة ان نستجمع عليكم لم يكن لكم يدان بقتالنا فجاء عبادة بن الصامت الخزرجى الى رسول الله صلعم فقال يا
رسول الله ان لى اولياء من اليهود كثير عددهم قوية انفسهم شديدة شوكتهم وانى ابرأ الى الله والى رسوله من ولايتهم ولا مولى لى الا الله ورسوله
فقال عبد الله بن ابى لكنى لا ابرأ من ولاية اليهود لانى اخاف الدوائر ولا بد لى منهم فقال رسول الله يا ابا الحباب ما نفست به من ولاية اليهود
على عبادة بن الصامت فهو لك دونه قال اذا اقبل فانزل الله هذه الاية وقال السدى لما كانت وقعة احد اشتدت على طائفة من الناس
فقال رجل من المسلمين انا الحق بفلان اليهودى وآخذ منه امانا وقال آخر انا الحق بفلان النصرانى ببعض ارض الشام وآخذ منه امانا فنزلت الاية و
قال عكرمة نزلت فى ابى لبابة بن عبد المنذر حين قال لبنى قريظة اذ رضوا بحكم سعد انه الذبح المعنى لما تقدم ذكر اليهود والنصارى امر الله
عقيب ذلك بقطع موالاتهم والتبرؤ منهم فقال يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى بالذكر مع ان سائر الكفار مثلهما فى وجوب
معاداتهم بعضهم اولياء بعض هذا ابتداء كلام اخبر سبحانه ان بعض الكفار ولى بعض فى العون والنصرة ويدهم واحدة على المسلمين و
فى هذا دلالة على ان الكفر كله كالملة الواحدة فى احكام المواريث لعموم قوله بعضهم اولياء بعض وقال الصادق عليه السلام لا يتوارث اهل
ملتين ونحن نرثهم ولا يرثونا ومن يتولهم منكم اى من استنصر بهم واتخذهم انصارا فانه منهم اى هو كافر مثلهم عن ابن عباس والمعنى انه محكوم
له حكمهم فى وجوب لعنه والبراءة منه وانه من اهل النار ان الله لا يهدى القوم الظالمين الى طريق الجنة لكفرهم واستحقاقهم العذاب الدائم
بل يضلهم عنها الى طريق النار عن ابى على الجبائى وقيل معناه لا يحكم لهم بحكم المؤمنين فى المدح والثناء والنصرة على الاعداء فترى يا محمد الذين فى
قلوبهم مرض اى شك ونفاق يعنى عبد الله بن ابى عن ابن عباس يسارعون فيهم اى فى موالاة اليهود ومناصحتهم وقيل فى معاونتهم على
المسلمين وقيل فى موالاة اليهود ونصارى نجران لانهم كانوا يميرونهم عن الكلبى يقولون اى قائلين وهو فى موضع الحال نخشى ان تصيبنا
دائرة اى دولة تدور لاعداء المسلمين على المسلمين فنحتاج الى نصرتهم عن مجاهد والسدى وقتادة وقيل معناه نخشى ان يدور الدهر علينا
بمكروه يعنون الجدب فلا يميرونا عن الكلبى فعسى الله ان ياتى بالفتح يعنى فتح مكة عن السدى وقيل بفتح بلاد المشركين عن الجبائى و
قيل المراد بالفتح القضاء الفصل عن قتادة ويجمع هذه الاقوال قول ابن عباس يريد بفتح الله تعالى لمحمد صلعم على جميع خلقه او امر من عنده فيه

اعزاز المسلمين واذلال المشركين واظهار الاسلام عن السدي وقيل هو اظهار نفاق المنافقين مع الامر بقتلهم عن الحسن والزجاج وقيل هو امر
دون الفتح الاعظم او موت هذا المنافق عن الجبائي وقيل هو القتل وسبي الذراري لبني قريظة والجلاء لبني النضير عن مقاتل وهذا معنى قول
ابن عباس او امر من عنده يريد فيه هلاكهم وهو يحتمل هلاك اليهود وهلاك المنافقين فيصبحوا على ما اسروا في انفسهم نادمين اي فيصبح اهل
النفاق على ما كان منهم من نفاقهم وولايتهم لليهود ودس الاخبار اليهم نادمين على ما فعلوا عن ابن عباس وقتادة والمعنى اذا فتح الله على
المؤمنين ندم المنافقين والكفار على تفويتهم انفسهم ذلك وكذلك اذا ماتوا وتحققوا دخول النار ندموا على ما فعلوا في الدنيا من الكفر والنفاق
ويقول الذين آمنوا اي يصدق الله ورسوله ظاهرا وباطنا تعجبا من نفاق المنافقين واجترائهم على الله بالايمان الكاذبة اهؤلاء الذين
اقسموا بالله يعني المنافقين حلفوا بالله جهد ايمانهم انتصب جهد لانه مصدر اي جهدوا جهد ايمانهم قال عطاء اي حلفوا باغلظ الايمان و
اوكدها انهم لمعكم اي انهم لمؤمنون ومعكم في معاونتكم على اعدائكم ونصرتكم يريد حلفوا انهم لامثالكم في الايمان حبطت اعمالهم اي ضاعت
اعمالهم التي عملوها لانهم اوقعوها على خلاف الوجه المأمور به وبطل ما اظهروه من الايمان لانه لم يوافق باطنهم ظاهرهم فلم يستحقوا به الثواب فاصبحوا
اي صاروا خاسرين اي خسروا الدنيا والاخرة اما الدنيا فليسوا من الانصار واما الاخرة فقد بهم الله تعالى مع الكفار عن ابن عباس وقيل
مغبونين بانفسهم ومنازلهم في الجنة اذا صاروا الى النار وورثها المؤمنون عن الكلبي **قوله تعالى** يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه
فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله
يؤتيه من يشاء والله واسع عليم آية **القراءة** قرأ ابو جعفر ونافع وابن عامر يرتدد بدالين والباقون يرتد بدال واحدة مشددة **الحجة**
حجة من ادغم انه لما اسكن الحرف الاول لتدغم في الثاني وكان الثاني ساكنا حرك المدغم فيه لالتقاء الساكنين وهذه لغة بني تميم وحجة
من اظهر ان الحرف المدغم لا يكون الا ساكنا والمدغم فيه اذا كان ساكنا والمدغم فيه كذلك التقى ساكنان والتقاء الساكنين في هذا النحو ليس من
كلامهم فاظهر الحرف الاول وحرك واسكن الثاني من المثلين وهذه لغة اهل الحجاز **اللغة** الذل بكسر الذال ضد الصعوبة وبضمها ضد
العز يقال ذلول بين الذل من قوم اذلة وذليل بين الذل من قوم اذلاء فالاول من اللين والانقياد والثاني من الهوان والاستخفاف
والعز الشدة يقال عززت فلانا على امره اي غلبته عليه والعزاز الارض الصلبة ويعز الشيء يعز اذا لم يقدر عليه واصل الباب الامتناع
المعنى لما بين سبحانه حال المنافقين وانهم يتربصون الدوائر بالمؤمنين وعلم ان قوما منهم يرتدون بعده وفاته اعلم ان ذلك كائن فانهم لا
ينالون امانيهم والله تعالى ينصر دينه بقوم لهم صفات مخصوصة تميزوا بها بين العالمين فقال يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه
اي من يرجع منكم اي من جملتكم الى الكفر بعد اظهار الايمان فلن يضر الله شيئا فان الله لا يخلي دينه من انصار يحمونه فسوف يأتي الله
بقوم يحبهم ويحبونه اي ويحبهم الله ويحبون الله اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين اي رحماء على المؤمنين غلاظ شداد على
الكافرين وهو من الذل الذي هو اللين لا من الذل الذي هو الهوان قال ابن عباس تراهم للمؤمنين كالولد لوالده وكالعبد لسيده و
هم في الغلظة على الكافرين كالسبع على فريسته يجاهدون في سبيل الله تعالى بالقتال لاعلاء كلمة الله واعزاز دينه ولا يخافون لومة لائم
فيما يأتون من الجهاد والطاعات واختلف فيمن وصف بهذه الاوصاف منهم فقيل هم ابو بكر واصحابه الذين قاتلوا اهل الردة عن الحسن
وقتادة والضحاك وقيل هم الانصار عن السدي وقيل هم اهل اليمن عن مجاهد قال قال رسول الله صلعم اتاكم اهل اليمن هم الين
قلوبا وارق افئدة الايمان يمان والحكمة يمانية وقال عياض بن غنم الاشعري لما نزلت هذه الاية اومى رسول الله صلعم واله الى ابي
موسى الاشعري فقال هم قوم هذا وقيل انهم الفرس وروي ان النبي ص سئل عن هذه الاية فضرب بيده على عاتق سلمان فقال هذا
وذووه ثم قال لو كان الدين معلقا بالثريا لتناوله رجال من ابناء فارس وقيل هم امير المؤمنين علي عليه السلم واصحابه حين قاتل من قاتله
من الناكثين والقاسطين والمارقين روي ذلك عن عمار وحذيفة وابن عباس وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله ع ويؤيد هذا القول
ان النبي صلعم وصفه بهذه الصفات المذكورة في الاية فقال وقد ندبه لفتح خيبر بعد ان رد عنها حامل الراية اليه مرة بعد اخرى وهو يجبن الناس
ويجبنونه لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرارا غير فرار لا يرجع حتى يفتح الله على يديه ثم اعطاها اياه واما الوصف
باللين على اهل الايمان والشدة على الكفار والجهاد في سبيل الله مع انه لا يخاف فيه لومة لائم فمما لا يمكن احدا دفع علي عليه السلم عن استحقاق ذلك

لما ظهر

لما ظهر من شدته على اهل الشرك والكفر ونكايته فيهم ومقاماته المشهورة في تشييد الملة ونصرة الدين والرأفة بالمؤمنين ويؤيد ذلك ايضا
انذار رسول الله صلعم قريشا بقتال علي عليه السلم لهم من بعده حيث جاء سهيل بن عمرو في جماعة منهم فقالوا يا محمد ان ارقاءنا لحقوا بك فارددهم
علينا فقال رسول الله صلعم لتنتهن يا معشر قريش او ليبعثن الله عليكم رجلا يضربكم على تأويل القرآن كما ضربتكم على تنزيله فقال له بعض اصحابه
من هو يا رسول الله ابو بكر فقال لا فقال عمر قال لا ولكنه خاصف النعل في الحجرة وكان علي عليه السلم يخصف نعل رسول الله ص وروي عن
علي عليه السلم انه قال يوم البصرة والله ما قوتل اهل هذه الاية حتى اليوم وتلا هذه الاية وروى ابو اسحق الثعلبي في تفسيره بالاسناد عن الزهري
عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة ان رسول الله ص قال يرد علي يوم القيمة رهط من اصحابي فيحلؤون عن الحوض فاقول يا رب اصحابي اصحابي
فيقال انك لا علم لك بما احدثوا بعدك انهم ارتدوا على ادبارهم القهقرى وقيل ان الاية عامة في كل من استجمع هذه الخصال الى يوم القيمة وذكر
علي بن ابرهيم بن هاشم في تفسيره انها نزلت في مهدي الامة واصحابه واولها خطاب لمن ظلم آل محمد وقتلهم وغصبهم حقهم ويمكن ان ينصر
هذا القول بان قوله سبحانه فسوف يأتي الله بقوم يوجب ان يكون ذلك القوم غير موجودين في وقت نزول الخطاب فهو يتناول من يكون
بعدهم بهذه الصفة الى قيام الساعة ذلك فضل الله اي محبتهم لله سبحانه ولين جانبهم للمؤمنين وشدتهم على الكافرين تفضل من الله وتوفيق
ولطف منه ومنة من جهته يؤتيه من يشاء اي يعطيه من يعلم انه محل له والله واسع اي جواد لا يخاف نفاد ما عنده عليم بموضع جوده وعطائه
فلا يبذله الا لمن تقتضي الحكمة اعطاءه وقيل معناه واسع الرحمة عليم بمن يكون من اهلها **قوله تعالى** انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا
الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون آيتان **اللغة** الولي
هو الذي يلي النصرة والمعونة والولي الذي يلي تدبير الامر يقال فلان ولي المرأة اذا كان يملك تدبير نكاحها وولي الدم من كان اليه المطالبة بالقود
والسلطان ولي امر الرعية ويقال لمن يرشحه لخلافته عليهم بعده ولي عهد المسلمين قال الكميت يمدح عليا عليه السلم ونعم ولي الامر بعد وليه
ومنتجع التقوى ونعم المؤدب وروي التقوى وانما اراد ولي الامر القائم بتدبيره قال المبرد في كتاب العبارة عن صفات الله تعالى اصل الولي الذي
هو اولى اي احق ومثله المولى والركوع هو التطاطؤ المخصوص قال الخليل كل شيء ينكب لوجهه فتمس ركبته الارض او لا تمس بعد ان يطاطئ رأسه فهو
راكع وانشد للبيد اخبر اخبار القرون التي مضت ادب كاني كلما قمت راكع وقال ابن دريد الراكع الذي يكبو على وجهه ومنه
الركوع في الصلوة قال الشاعر وافلت حاجب فوت العوالي على شقاء تركع في التراب وقد يوصف الخاضع بانه راكع على سبيل التشبيه
والمجاز لما يستعمله من التطامن والتطاطؤ وعلى ذلك قول الشاعر لا تهين الفقير علك ان تركع يوما والدهر قد رفعه والحزب الطائفة
والجماعة واصله من قولهم حزبه الامر يحزبه حزبا اذا نابه وكل قوم تشابهت قلوبهم واعمالهم فهم احزاب وتحزب القوم اذا اجتمعوا وحمار
حزابية مجتمع الخلق غليظ **الاعراب** لفظة انما مخصصة لما يثبت بعدها نافية لما لم يثبت تقول القائل لغيره انما لك عندي درهم فيكون مثل
ان يقول له ليس لك عندي الا درهم وقالوا انما السخاء حاتم يريدون نفي السخاء عن غيره والتقدير انما السخاء سخاء حاتم فحذف المضاف و
المفهوم من قول القائل انما اكلت رغيفا وانما لقيت اليوم زيدا نفي اكل اكثر من رغيف ونفي لقاء غير زيد وقال الاعشى ولست
بالاكثر منهم حصى وانما العزة للكاثر اراد نفي العزة عمن ليس بكاثر وقوله وهم راكعون جملة في موضع النصب على الحال من يؤتون اي يؤتون
الزكوة وهم راكعون كما تقول الجواد من يجود بماله وهو ضاحك ومن موضعه رفع بالابتداء وفي يتول ضمير يعود الى من وهو مجزوم بالشرط ويقع
الفاء مع ما بعدها جزم لما في ذلك من معنى الجزاء لان تقديره فهو غالب وفيه معنى ان فلهذا جزم الفعل المضارع ومعنى هذا الحرف [illegible]
في من مع الشرط والجزاء في موضع رفع بكونه خبر المبتدأ **النزول** حدثنا السيد ابو الحمد مهدي بن نزار الحسيني القايني قال حدثنا الحاكم ابو
القاسم الحسكاني قال حدثني ابو الحسن محمد بن القاسم الفقيه الصيدلاني قال اخبرنا ابو محمد عبد الله بن محمد الشعراني قال حدثنا ابو علي احمد
بن علي بن رزين الباشاني قال حدثنا المظفر بن الحسين الانصاري قال حدثني السدي بن علي الوراق قال حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني عن قيس بن
الربيع عن الاعمش عن عباية بن ربعي قال بينا عبد الله بن عباس جالس على شفير زمزم يقول قال رسول الله ص اذ اقبل رجل متعمم بعمامة فجعل
ابن عباس لا يقول قال رسول الله ص الا قال الرجل قال رسول الله صلعم واله فقال ابن عباس سألتك بالله من انت فكشف العمامة عن وجهه
وقال يا ايها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فانا جندب بن جنادة البدري ابو ذر الغفاري سمعت رسول الله صلعم بهاتين

٢٨٤

والا فصمتا ورأيته بهاتين والا فعميتا يقول علي قائد البررة وقاتل الكفرة منصور من نصره ومخذول من خذله اما اني صليت مع رسول
الله صلعم يوما من الايام صلوة الظهر فسأل سائل في المسجد فلم يعطه احد فرفع السائل يده الى السماء وقال اللهم اشهد اني سألت في مسجد رسول
الله صلعم فلم يعطني احد شيئا وكان علي عليه السلام راكعا فاومأ بخنصره اليمنى اليه وكان يتختم فيها فاقبل السائل حتى اخذ الخاتم من خنصره وذلك بعين النبي
فلما فرغ النبي من صلوته رفع راسه الى السماء وقال اللهم ان اخي موسى سألك فقال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري واحلل عقدة من لساني
يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا من اهلي عليا اخي اشدد به ظهري قال ابو ذر فوالله ما استتم رسول الله صلعم الكلام حتى نزل عليه جبرئيل من عند الله
فقال يا محمد اقرأ قال وما اقرأ قال اقرأ انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الاية روى هذا الخبر ابو اسحق الثعلبي في تفسيره بهذا الاسناد بعينه
وروى ابو بكر الرازي في كتاب احكام القرآن على ما حكاه المغربي عنه والطبري والرماني انها نزلت في علي عليه السلام حين تصدق بخاتمه وهو راكع و
هو قول مجاهد والسدي وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام وجميع علماء اهل البيت عليهم السلام وقال الكلبي انها نزلت في عبد الله
بن سلام واصحابه لما اسلموا فقطعت اليهود موالاتهم فنزلت الاية وفي رواية عطا قال عبد الله بن سلام يا رسول الله انا رأيت عليا
تصدق بخاتمه وهو راكع فنحن نتولاه وقد رواه لنا السيد ابو الحمد عن ابي القاسم الحسكاني بالاسناد المتصل المرفوع الى ابي صالح عن ابن
عباس قال اقبل عبد الله بن سلام ومعه نفر من قومه ممن قد آمنوا بالنبي صلعم فقالوا يا رسول الله ان منازلنا بعيدة وليس لنا مجلس ولا متحدث
دون هذا المجلس وان قومنا لما رأونا آمنا بالله ورسوله وصدقناه رفضونا وآلوا على انفسهم ان لا يجالسونا ولا يناكحونا ولا يكلمونا فشق
ذلك علينا فقال لهم النبي صلعم انما وليكم الله ورسوله الاية ثم ان النبي صلعم خرج الى المسجد والناس بين قائم وراكع فبصر بسائل فقال النبي صلعم
هل اعطاك احد شيئا فقال نعم خاتم من فضة فقال النبي صلعم من اعطاكه قال ذلك القائم واومأ بيده الى علي عليه السلام فقال النبي صلعم على اي حال
اعطاك قال اعطاني وهو راكع فكبر النبي صلعم ثم قرأ ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون فانشأ حسان
بن ثابت يقول في ذلك ابا حسن تفديك نفسي ومهجتي وكل بطيء في الهدى ومسارع ايذهب مدحيك المحبر ضايعا وما المدح
في جنب الاله بضايع فانت الذي اعطيت اذ كنت راكعا زكوة فدتك النفس يا خير راكع فانزل فيك الله خير ولاية وثبتها ثني
الكتاب الشرايع وفي حديث ابرهيم بن الحكم بن ظهير ان عبد الله بن سلام اتى رسول الله صلعم ومعه رهط من قومه فشكوا الى رسول
الله صلعم ما لقوا من قومهم فبيناهم يشكون اذ نزلت الاية واذن بلال فخرج رسول الله صلعم الى المسجد واذا مسكين يسأل فقال عليه السلام ماذا
اعطيت قال خاتم من فضة قال من اعطاكه قال ذلك القائم فاذا هو علي عليه السلام قال صلعم على اي حال اعطاكه قال اعطاني وهو راكع فكبر رسول
الله صلعم وقال ومن يتول الله ورسوله الاية **المعنى** ثم بين سبحانه من له الولاية على الخلق والقيام بامورهم وتجب طاعته عليهم فقال
انما وليكم الله ورسوله والذي يتولى مصالحكم ويحقق تدبيركم هو الله تعالى ورسوله يفعله بامر الله والذين آمنوا ثم وصف الذين آمنوا
فقال الذين يقيمون الصلوة بشرايطها ويؤتون الزكوة اي يعطون الزكوة وهم راكعون اي في حال الركوع وفي هذه الاية من اوضح الدلالة
على صحة امامة علي عليه السلام بعد النبي بلا فصل والوجه فيه انه اذا ثبت ان لفظة وليكم في الاية تفيد من هو اولى بتدبير اموركم ويجب طاعته عليكم وثبت
ان المراد بالذين آمنوا علي عليه السلام ثبت النص عليه بالامامة ووضح والذي يدل على الاول فهو الرجوع الى اللغة فمن تاملها علم ان القوم نصوا
على ذلك وقد ذكرنا قول اهل اللغة قبل فلا وجه لاعادته ثم ان الذي يدل على انها في الاية تفيد ذلك دون غيره ان لفظة انما على ما تقدم
ذكره يقتضي التخصيص ونفي الحكم عمن عدا المذكور كما يقولون انما الفصاحة للجاهلية يعنون نفي الفصاحة من غيرهم واذا تقرر هذا لم يجز
حمل لفظة الولي على الموالاة في الدين والمحبة لانه لا تخصيص في هذا المعنى لمؤمن دون آخر والمؤمنون كلهم مشتركون في هذا المعنى كما قال سبحانه
والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض واذا لم يجز حمله على ذلك لم يبق الا الوجه الاخر وهو التحقق بالامور وما يقتضي فرض الطاعة على
الجمهور ولانه لا يحتمل اللفظ الا الوجهان فاذا بطل احدهما ثبت الاخر والذي يدل على ان المعني بالذين آمنوا هو علي عليه السلام الرواية الواردة
من طريق العامة والخاصة بنزول الاية فيه لما تصدق بخاتمه في حال الركوع وقد تقدم ذكرها وايضا فان كل من قال ان المراد بلفظة ولي
ما يرجع الى فرض الطاعة والامامة ذهب الى انه هو المقصود بالاية والمتفرد بمعناها ولا احد من الامة يذهب الى ان هذه اللفظة تقتضي
في الاية ما ذكرناه ويذهب الى ان المعني بها سواه وليس لاحد ان يقول ان لفظة الذين آمنوا لفظ جمع فلا يجوز ان يتوجه اليه على الانفراد

وذلك ان اهل اللغة قد يعبرون بلفظ الجمع عن الواحد على سبيل التفخيم والتعظيم وذلك اشهر في كلامهم من ان يحتاج الى الاستدلال
عليه وليس لهم ان يقولوا ان المراد بقوله وهم راكعون ان هذه شيمتهم وعادتهم ولا يكون حالا لايتاء الزكوة وذلك لان قوله يقيمون
الصلوة قد دخل فيه الركوع ولو لم يحمل قوله وهم راكعون على انه حال من يؤتون الزكوة وحملناه على ان من صفتهم الركوع كان ذلك
كالتكرار غير المفيد والتاويل المفيد اولى من البعيد الذي لا يفيد ووجه اخر في الدلالة على ان الولاية في الاية مختصة انه سبحانه قال انما
وليكم الله فخاطب جميع المؤمنين ودخل في الخطاب النبي صلعم وغيره ثم قال ورسوله فاخرج النبي من جملتهم لكونهم مضافين الى ولايته
ثم قال والذين آمنوا فوجب ان يكون الذي خوطب بالاية غير الذي جعلت له الولاية والا ادى الى ان يكون المضاف هو المضاف
اليه بعينه والى ان يكون كل واحد من المؤمنين ولي نفسه وذلك محال واستيفاء الكلام في هذا الباب يطول به الكتاب فمن اراده
فليطلبه من مظانه قال الواحدي واستدل اهل العلم بهذه الاية على ان العمل القليل لا يقطع الصلوة واذا دفع الزكوة الى السائل في الصلوة
جاز مع نية الزكوة ومن يتول الله بالقيام بطاعته ورسوله باتباع امره والذين آمنوا بالموالاة والنصرة فان حزب الله اي جند الله عن الحسن
وقيل انصار الله هم الغالبون اي الظاهرون على اعدائهم الظافرون بهم **قوله تعالى** يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم
هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين آية **القراءة** قرأ اهل البصرة والكسائي والكفار
بالجر والباقون بالنصب **الحجة** حجة من قرأ بالجر انه حمل الكلام على اقرب العاملين وهو عامل الجر وحجة من نصب انه عطف على العامل
الناصب فكانه قال لا تتخذوا الكفار اولياء قال الزجاج يجوز في هزوا اربعة اوجه ان شئت قلت هزوا بضم الزاي وتحقيق الهمزة
وهو الاصل والاجود وان شئت قلت هزوا وابدلت من الهمزة الواو لانضمام ما قبلها وان شئت قلت باسكان الزاي وتحقيق الهمزة
فهذه الاوجه الثلثة جيدة يقرأ بهن وفيها وجه اخر لا يجوز القراءة به وهو ان تقول هزا مثل هدى وذلك انه يجوز اذا اردت تخفيف
همزة هزؤ ان تطرح حركتها على الزاي كما تقول رأيت خبا تريد خبأ **اللغة** الهزؤ السخرية وهو اظهار ما يلهي تعجبا مما يجري قال الله تعالى
ولقد استهزئ برسل من قبلك قال الشاعر الا هزئت واعجبها المشيب فلا نكر لديك ولا عجيب يقال هزأ يهزأ هزوا وتهزأ و
استهزأ واللعب الاخذ على غير طريق الحق ومثله العبث واصله من لعاب الصبي يقال لعب يلعب لعبا اذا سال لعابه لانه يخرج الى غير جهته
فكذلك اللاعب يمر الى غير جهة الصواب **النزول** قيل كان رفاعة بن زيد التابوت وسويد بن الحرث قد اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان
رجال من المسلمين يوادونهما فنزلت الاية عن ابن عباس **المعنى** ثم اكد سبحانه النهي عن موالاة الكفار فقال يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا
الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا اي اظهروا الايمان باللسان واستبطنوا الكفر فذلك معنى تلاعبهم بالدين من الذين اوتوا الكتاب من
قبلكم يعني اليهود والنصارى والكفار بالجر اي ومن الكفار اولياء اي بطانة واخلاء فيكون الهزؤ من الكتابي ومن المشرك والمنافق
ويدل على استهزاء المشركين قوله سبحانه انا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله الها اخر ويدل على استهزاء المنافقين قوله واذا
خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن وكل من ذكرنا من المشركين والمنافقين ومن لم يسلم من اليهود والنصارى يقع عليه اسم
الكافر ويدل على ذلك قوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين فاذا وقع على المستهزئين اسم كافر حسن ان يكون قوله
والكفار تبيينا للاسم الموصول وهو الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا كما كان قوله من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم تبيينا له ولو قال من
الكفار فتبين به الجميع ولكن الكفار كانه على المشركين اغلب واهل الكتاب على من اذا عاهد دخل في ذمة المسلمين وقبلت منه الجزية
واقر على دينه اغلب فلذلك فصل بينهما واما القراءة بالنصب فمعناه لا تتخذوا المستهزئين من اهل الكتاب ولا تتخذوا الكفار اولياء
واتقوا الله في موالاتهم بعد النهي عنه ان كنتم مؤمنين بوعده ووعيده اي ليس من صفات المؤمنين موالاة من يطعن في الدين فمن كان
مؤمنا غضب لايمانه على من طعن فيه وكافاه بما يستحقه من المقت والعداوة **قوله تعالى** واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا
ولعبا ذلك بانهم قوم لا يعقلون آية **اللغة** النداء الدعاء الذي يمد الصوت على طريقة يا فلان واصله من ندى الصوت وهو بعد
مذهبه وصحة جرمه ومنه قوله اناديك ولا اناجيك اي اعالنك النداء ولا اسر لك النجوى قال ابو ذهيل فابرزتها من بطن
مكة بعدما اصات المنادي بالصلوة فاعتما واصل الباب الندى وهو الاجتماع يقال ندا القوم يندون ندوا اي اجتمعوا في

وتخفيف
٢٨٥

النادى ومنه دار الندوة وندى الماء لانه يجتمع قليلا قليلا وندى الصوت منه لانه يخرج من مخرج ندى المعنى ثم اخبر سبحانه عن صفة الكفار الذين
يعادون المؤمنين من موالاتهم فقال واذا ناديتم ايها المؤمنون الى الصلوة اى دعوتم اليها اتخذوها اى اتخذوا الصلوة هزوا ولعبا وقيل فى
معناه قولان احدهما انهم كانوا اذا اذن المؤذن للصلوة تضاحكوا فيما بينهم وتغامزوا على طريق السخف والمجون تجهيلا لاهلها وتنفيرا
للناس عنها وعن الداعى اليها والاخر انهم كانوا يرون المنادى اليها بمنزلة اللاعب والهازئ بفعلها جهلا منهم بمنزلتها ذلك بانهم قوم لا
يعقلون قيل فيه قولان احدهما انهم لا يعقلون ما لهم فى اجابتهم لو اجابوا اليها من الثواب وما عليهم فى استهزائهم بها من العقاب والثانى
انهم بمنزلة من لا عقل له يمنعه من القبائح ويردعه عن الفواحش قال السدى كان رجل من النصارى بالمدينة فسمع المؤذن ينادى
اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقال حرق الكاذب فدخلت خادمة له ليلة بنار وهو نائم واهله فسقطت شرارة
فاحترق هو واهله واحترق البيت قوله تعالى قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الا ان آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل
وان اكثركم فاسقون آية اللغة يقال نقم الامر ينقم نقما ونقم ينقم اذا انكره ونقم اكثر قال عبد الله بن قيس الرقيات ما نقموا
من بنى امية الا انهم يحلمون ان غضبوا وسمى العقاب نقمة لانه يجب على ما ينكر من الفعل الاعراب قوله وان اكثركم فاسقون فى موضع
النصب وكذلك قوله ان آمنا بالله والتقدير هل تنقمون منا الا ايماننا وفسقكم النزول قيل ان نفرا من اليهود اتوا رسول الله صلعم فسالوه عمن
يؤمن به من الرسل فقال اؤمن بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق الى قوله ونحن له مسلمون فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته و
قالوا والله ما نعلم اهل دين اقل حظا فى الدنيا والآخرة منكم ولا دينا اشر من دينكم فانزل الله الآية وما بعدها المعنى ثم امر سبحانه رسوله
بحجاجهم فقال قل يا محمد يا اهل الكتاب هل تنقمون منا اى هل تكرهون منا وقيل هل تسخطون منا وقيل هل تنكرون منا والمعانى متقاربة الا
ان آمنا بالله فوحدناه ووصفناه بما يليق به من الصفات العلى ونزهناه عما لا يجوز عليه فى ذاته وصفاته وما انزل الينا من القرآن وما
انزل من قبل على الانبياء وان اكثركم فاسقون قال الزجاج معناه هل تكرهون الا ايماننا وفسقكم اى انما كرهتم ايماننا وانتم تعلمون انا على
حق لانكم فسقتم بان اقمتم على دينكم لمحبتكم الرياسة وكسبكم بها الاموال وهذا معنى قول الحسن لفسقكم نقمتم علينا قال بعض اهل التحقيق
فعلى هذا يجب ان يكون موضع ان فى قوله وان اكثركم فاسقون نصبا باضمار اللام على تاويل ولان اكثركم فاسقون وقيل لما ذكر سبحانه
ما نقم اليهود عليهم من الايمان بجميع الرسل وليس هو مما ينقم ذكر فى مقابلته فسقهم وهو مما ينقم ومثل هذا يحسن فى الازدواج لقول
القائل هل تنقم منى الا انى عفيف وانك فاجر والا انى غنى وانك فقير فيحسن ذلك لاتمام المعنى بالمقابلة ومعنى فاسقون خارجون
عن امر الله طلبا للرياسة وحسدا على منزلة النبوة والمراد باكثرهم من لم يؤمن منهم لان قليلا من اهل الكتاب آمن وقيل فى قوله وان اكثركم
فاسقون وقيل لما ذكر سبحانه ما نقم اليهود عليهم من الايمان بجميع الرسل وليس هو مما ينقم ذكر فى مقابلته فسقهم وهو مما ينقم ومثل هذا يحسن
فى الازدواج لقول القائل هل تنقم منى الا انى عفيف وانك فاجر والا انى غنى وانك فقير فيحسن ذلك لاتمام المعنى بالمقابلة ومعنى
فاسقون خارجون عن امر الله طلبا للرياسة وحسدا قولا آخر ذكره ابو على الجرجانى صاحب النظم قال يحتمل ان يكون المعنى ما تنقمون منا الا انا آمنا بالله على اول
آمنا بالله وبان اكثركم فاسقون فيكون موضع ان جرا بالباء وهذا وجه حسن قوله تعالى قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من
لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت اولئك شر مكانا واضل عن سواء السبيل آية القراءة قرا حمزة
وحده وعبد الطاغوت بضم الباء وجر التاء والباقون وعبد الطاغوت بفتح الباء ونصب التاء وروى فى الشواذ قراءة الحسن وابن هرمز
مثوبة ساكنة الثاء مفتوحة الواو وكذلك فى سورة البقرة لمثوبة وقرا ابن عباس وابن مسعود وابرهيم النخعى والاعمش وابان بن تغلب
وعبد الطاغوت بضم العين والباء وفتح الدال وخفض الطاغوت وقراءة ابى بن كعب وعبدوا الطاغوت وبرواية عكرمة عن ابن عباس
وعبّد الطاغوت بتشديد الباء وفتح الدال وقراءة ابى واقد وعباد الطاغوت وقراءة ابى جعفر الرواسى النحوى وعُبِد الطاغوت كقولك
ضُرِب زيد على ما لم يسم فاعله وقراءة عون العقيلى وابن بريدة وعابد الطاغوت وبرواية علقمة عن ابن مسعود وعُبُد الطاغوت على وزن
فعل عشر قراءات اثنان منها فى السبعة الحجة قال ابو على حجة حمزة فى قراءته وعَبُد الطاغوت انه يحمله على ما عمل فيه جعل كانه وجعل
منهم عبد الطاغوت ومعنى جعل خلق كقوله وجعل الظلمات والنور وجعل منها زوجها وليس عبد لفظ جمع لانه ليس من ابنية الجموع شئ على

هذا البناء ولكنه واحد يراد به الكثرة الا ترى ان فى الاسماء المفردة المضافة الى المعارف ما لفظه لفظ الافراد ومعناه الجمع كما فى قوله
ان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ولان بناء فعل يراد به المبالغة والكثرة نحو يقظ وندس فكان تقديره انه قد ذهب فى عبادة الطاغوت كل
مذهب وتكرر منه ذلك واما من فتح فقال وعبد الطاغوت فانه عطفه على بناء الماضى الذى فى الصلة وهو قوله لعنه الله وافرد الضمير فى عبد وان
كان المعنى فيه الكثرة لان الكلام محمول على اللفظ دون معناه وفاعله ضمير من كما ان فاعل الافعال المعطوفة عليها ضمير من فافرد لحمله جميعا على اللفظ
ولو حمل الكل على المعنى او البعض على اللفظ والبعض على المعنى لكان مستقيما واما الوجه فى المثوبة فانه قد خرج على الاصل شاذا قال ابو الفتح ومثله ما
يحكى عنهم الفكاهة مقودة الى الاذى وقياسها مقادة ومقادة ومثله زيد فيما سواه اجاز الزان مزيد اعلم والاعلام وقد يحتمل فيها ما يكره من الاجناس
نحو مجيب ومكوزة ومريم ومدين ورجاء بن حيوة ومثوبة مفعلة ومثوبة مفعلة ونظيرها المبطخة والمبطخة والمشرفة والمشرفة واصل مثوبة مثوبة
فنقلت الضمة من الواو الى الثاء ومثلها معونة وقيل هى مفعول مثل معقول ومضوفة على معنى المصدر قال الشاعر وكنت اذا جارى دعا لمضوفة
اشمر حتى ينصف الساق مئزرى قال واما قوله وعبد الطاغوت فهو جمع عبد وانشد انسب العبد الى ابائه اسود الجلدة من قوم عبد هكذا قال ابو
الحسن وقال الحلبيون هى عبد جمع عابد كبازل وبزل وسارف وسرف وكذلك عبد جمع عابد ومثله عباد وعباد ويجوز ان يكون عباد جمع عبد واما
عبدة الطاغوت وعبدوا الطاغوت فظاهر واما عابد الطاغوت فهو واحد فى معنى جماعة وكذلك عبد الطاغوت لانه كحطم ولبد كان عبد كحذر و
فطن وقطيف بمعنى الاعراب مثوبة نصب على التمييز كقوله هو خير ثوابا وموضع من يحتمل ثلثة اوجه من الاعراب احدها الجر على البدل والتقدير
هل انبئكم بمن لعنه الله والثانى الرفع على خبر المبتدأ المحذوف اى هو من لعنه الله والثالث النصب على البدل من موضع الجار والمجرور والتقدير
انبئكم من لعنه الله ومكانا نصب على التمييز المعنى ثم امر الله سبحانه نبيه صلعم ان يخاطبهم فقال قل يا محمد لهؤلاء المستهزئين من اليهود والكفار هل
انبئكم اى هل اخبركم بشر من ذلك مثوبة عند الله اى بشر مما نقمتم من ايماننا ثوابا اى جزاء المعنى ان كان ذلك عندكم شرا فانا اخبركم بشر منه عاقبة عند الله
فقيل معناه هل اخبركم بشر من الذين طعنتم عليهم من المسلمين وانما قال بشر من ذلك وان لم يكن فى المؤمنين شر على الانصاف فى المخاطبة والمظاهرة فى
الحجاج كقوله وانا او اياكم لعلى هدى او فى ضلال مبين من لعنه الله اى ابعده من رحمته وغضب عليه لفسقه وكفره وغضب الله عليه ارادته
العقوبة والاستخفاف به وقيل غضبه ان ضرب عليهم الذلة والمسكنة والجزية اينما كانوا من الارض وجعل منهم القردة والخنازير اى مسخهم
قردة وخنازير قال المفسرون يعنى بالقردة اصحاب السبت وبالخنازير كفار مائدة عيسى وروى الوالبى عن ابن عباس ان الممسوخين من اصحاب السبت
لان شبانهم مسخوا قردة وشيوخهم مسخوا خنازير وعبد الطاغوت قال الزجاج هو نسق على لعنه الله التقدير من لعنه الله ومن عبد الطاغوت
قال وتاويله وجعل منهم القردة ومن عبد الطاغوت فعلى هذا يكون الموصول محذوفا وذلك لا يجوز عند البصريين فالصحيح الاول والطاغوت
هنا الشيطان عن ابن عباس والحسن لانهم اطاعوه طاعة المعبود وقيل هو العجل الذى عبده اليهود عن الجبائى لان الكلام كله فى صفتهم ولا تعلق
فى هذه الآية للمجبرة لان اكثر ما تضمنته الاخبار بانه خلق من تعبد الطاغوت على قراءة حمزة وغيره ممن قرا عباد او عبّاد او عبدا وغير ذلك وانه
تعالى خلق الكافر وانه لا خالق للكافر سواه غير ان ذلك لا يوجب ان يكون خلق كفره وجعله كافرا وليس لهم ان يقولوا انا نستفيد من قوله
وجعل منهم القردة ومن عبد الطاغوت او عبدوا الطاغوت انه خلق ما به كانوا عبادا كما نستفيد من قوله وجعل منهم القردة والخنازير انه جعل ما به
كانوا كذلك وذلك انا انما استفدنا ما ذكروه لان الدليل قد دل على ان ما به يكون القرد قردا والخنزير خنزيرا لا يكون الا من فعل الله تعالى
وليس كذلك ما به يكون الكافر كافرا فانه قد دل الدليل على انه سبحانه وتعالى يتعالى عن فعله وخلقه فافترق الامران اولئك شر مكانا اى هؤلاء
الذين وصفهم الله بانه لعنهم وغضب عليهم وانهم عبدوا الطاغوت شر مكانا لان مكانهم سقر ولا شر فى مكان المؤمن ومثله اصحاب الجنة يومئذ
خير مستقرا ومقاما وقيل معناه انهم شر مكانا فى عاجل الدنيا وآجل الآخرة ممن نقمتم عليه من المؤمنين اما فى الدنيا فبالقتل والسبى وضرب الذل و
المسكنة عليهم والزام الجزية واما فى الآخرة فبعذاب الابد واضل عن سواء السبيل اى اجور عن الطريق المستقيم وابعد من النجاة قال المفسرون
فلما نزلت هذه الآية عير المسلمون اهل الكتاب وقالوا يا اخوان القردة والخنازير فنكسوا رؤوسهم وافتضحوا قوله تعالى واذا جاؤكم
قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله اعلم بما كانوا يكتمون وترى كثيرا منهم يسارعون فى الاثم والعدوان واكلهم السحت
لبئس ما كانوا يعملون لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون ثلث آيات اللغة

الفرق بين الاثم والعدوان ان الاثم الجرم كائنا ما كان والعدوان الظلم وقد مر معنى السحت قبل والصنع والعمل واحد وقيل الفرق بينهما
ان الصنع مضمن بالجودة من قولهم ثوب صنيع فلان وصنيعة فلان اذا استخلصه على غيره وصنع الله لفلان اى احسن اليه وكل ذلك
كالفعل الجيد **الاعراب** قد يدخل في الكلام على وجهين اذا كان مع الماضي قربه من الحال واذا كانت مع المستقبل دلت على التقليل
وموضع الباء من قوله وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به نصب على الحال لان المعنى دخلوا كافرين وخرجوا كافرين لانه لا يريد انهم دخلوا
يحملون شيئا وهو كقولك خرج زيد بثيابه اى وثيابه عليه ولم يرد انه خرج لابسا ثيابه ومثله قول الشاعر ومستنة كاستنان الخروف
قد قطع الحبل بالمرود اى وفيه المرود يعنى وهذه صفة الفرق بين قولك متى جاء زيد وكم واذا جاء زيد كم ان متى يتضمن معنى ان الجزاء ويعمل
فيه جاء وكم ولا يجوز ان يعمل في اذا الان اذا مضاف الى ما بعده والمضاف اليه لا يعمل في المضاف لانه من تمامه ليس اللام في لام القسم ولا يجوز
ان يكون لام الابتداء لانها لا تدخل على الفعل الا في باب ان خاصة لانها اخرت الى الخبر لئلا يجتمع حرفان متفقان في المعنى وقوله لبئس ما
كانوا يعملون يدل على ان الحمد والذم يكون بالافعال لانه بئس لبئس العمل عملهم وما يحتمل امرين احدهما ان يكون كافة كما يكون في انما زيد منطلق
وليتما عمرو قائم فلا يكون لها على هذا موضع من الاعراب والثاني ان يكون نكرة موصوفة كانه قيل لبئس شيئا كانوا يعملون ولولا هنا بمعنى هلا
قال علي بن عيسى واصلها التقدير يجب الشيء من الاول فنقلت الى التحضيض على فعل الثاني من اجل الاول وان لم يذكر ولا بد معها من لا
لانه دخلها معنى لم لا يفعل ومتى قيل كيف تدخل لولا على الماضي وهي للتحضيض وفي التحضيض معنى الامر قيل لانها تدخل للتحضيض والتوبيخ
فاذا كانت مع الماضي فهي توبيخ كقوله لولا جاءوا عليه باربعة شهداء **المعنى** ثم اخبر الله سبحانه تعالى عن هؤلاء المنافقين بقوله و
اذا جاءوكم ايها المؤمنون قالوا آمنا اى صدقنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به قيل فيه قولان احدهما انهم قد دخلوا به على النبي صلعم و
خرجوا به من عنده اى دخلوا وخرجوا كافرين والكفر معهم في كلتي حالتهم عن الحسن وقتادة والثاني ان معناه قد دخلوا به في احوالهم وخرجوا
به الى احوال اخر كقولك هو يتقلب في الكفر ويتصرف فيه وقوله وهم قد خرجوا به اكد الكلام بالضمير تعيينا اياهم بالكفر وتمييزا لهم عن غيرهم
بهذه الصفة والله اعلم بما كانوا يكتمون معناه بما يكتمونه من نفاقهم اذا اظهروا بالسنتهم ما اضمروا خلافه في قلوبهم ثم بين سبحانه انهم يضيفون الى
نفاقهم خصالا اخر ذميمة فقال وترى كثيرا منهم قيل المراد بالكثير رؤساؤهم وعلماؤهم يسارعون يبادرون في الاثم والعدوان قيل
الاثم الكفر عن السدي والعدوان مجاوزة حدود الله تعالى وتعديها وقيل ان الاثم كل معصية وهو الاولى والعدوان الظلم اى يسارعون
في ظلم الناس وفي الجرم الذي يعود عليهم بالوبال والخسران واكلهم السحت الرشوة في الحكم عن الحسن وسماها سحتا لانه يؤدي الى الاستيصال
ويقال لانها تذهب بالبركة من المال قال اهل المعاني اكثر ما يستعمل المسارعة في الخير كقوله تعالى يسارعون في الخيرات وفائدة لفظ المسارعة
هنا وان كان لفظ العجلة ادل على الذم انهم يعملونه كانهم محقون فيه ولذلك قال ابن عباس في تفسيره انهم يجترءون على الخطأ لبئس ما كانوا
يعملون اى بئس العمل عملهم لولا ينهاهم اى هلا ينهاهم والكناية في هم تعود الى الكثير الربانيون العلماء بالدين الذين من قبل الرب على تغيير
الاسم كما قالوا روحاني في النسبة الى الروح وبحراني في النسبة الى البحر قال الحسن الربانيون علماء اهل الانجيل والاحبار علماء اهل التورية
وقال غيره كلهم من اليهود لانه يتصل بذكرهم عن قولهم الاثم اى عن تحريفهم الكتاب وقيل عن كل ما قالوه بخلاف الحق واكلهم السحت اى
الحرام والرشوة لبئس ما كانوا يصنعون اى بئس الصنيع صنيعهم حيث اجتمعوا على معصية الله تعالى انزل الله سبحانه على هم بتركهم النكير عليهم
فيما صنعوا منزلتهم فذم هؤلاء بمثل اللفظ التي ذم بها اولئك وفي هذه الاية دلالة على ان تارك النهي عن المنكر بمنزلة مرتكبه وفيه بحث
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر **قوله تعالى** وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق
كيف يشاء وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة كلما اوقدوا
نارا للحرب اطفاها الله ويسعون في الارض فسادا والله لا يحب المفسدين آية **اللغة** اليد تذكر في اللغة على خمسة اوجه الجارحة و
النعمة والقوة والملك وتحقيق اختصاص الفعل فالنعمة قولهم لفلان عندي يد اشكرها اى نعمة قال عدي بن زيد ولن اذكر النعمان
الا بصالح فان له عندي يديا وانعما جمع يدا على يدي كالكليب والعبيد وحسن التكرير لاختلاف اللفظين واليد القوة في نحو قوله
اولى الايدي والابصار اى ذوي القوة والعقول وانشد الاصمعي للغنوي فاعمد لما تعلو فما لك بالذي لا تستطيع من الامور يدان

ليس

ليس لك به قوة وعلى هذا ما ذكره سيبويه من قولهم لا يدين بها لك ومعنى هذه التثنية المبالغة في نفي الاقتدار والقوة على الشيء واليد بمعنى الملك في
نحو قوله تعالى الذي بيده عقدة النكاح اى يملك ذلك وهذه الضيعة في يد فلان اى في ملكه واليد بمعنى التولي للشيء واضافة الفعل في نحو قوله تعالى لما
خلقت بيدي اى توليت خلقه تخصيصا لادم وتشريفا بهذا وان كان جميع المخلوقات هو خالقها لا غير ويقول يدي لك رهن بالوفاء اذا
ضمنت له شيئا وكان معناه اجتهادي وطاقتي ويستعمل اليد بمعنى الصرف وذلك مثل ما جاء في الحديث وهم يد على من سواهم اى يصرفهم
واحدة وكلمتهم مجتمعة على من شق عصاهم قال احمد بن يحيى بن تغلب اليد الجماعة ومنه الحديث وهم يد على من سواهم وقد يستعار اليد للشيء
الذي لا يد له تشبيها من الحيلة قال ابن الاعرابي يد الدهر كله يقال لا آتيه يد الدهر ويد المسند قال ذو الرمة الا طرقت مي هيوما بذكرها
وايدي الثريا جنح في المغارب واصل هذه الاستعارة لثعلبة بن صعير في قوله القت ذكاء يمينها في كافر فجعل للشمس يدا في المغيب
لما اراد ان يصفها بالغروب ثم للبيد في قوله حتى اذا القت يدا في كافر واجن عورات الثغور ظلامها وقد استعار اليد في مواضع كثيرة
يطول ذكرها ولما كان الجواد ينفق باليد والبخيل يمسك باليد عن الانفاق اضافوا الجود والبخل الى اليد فقالوا للجواد مبسوط اليد وقالوا
البنان فياض الكف وللبخيل كز الاصابع مقبوض الكف جعد الانامل في اشياء لهذا كثيرة معروفة في اشعارهم وانكر الزجاج على من ذهب
الى ان معنى اليد في الاية النعمة قال ان هذا ينقض قوله بل يداه مبسوطتان فيكون المعنى بل نعمتاه مبسوطتان ونعم الله اكثر من ان تحصى
قال ابو علي الفارسي قوله نعمتاه مبسوطتان لا يدل على تقليل النعم وعلى ان نعمته نعمتان ثنتان ولكنه يدل على الكثرة والمبالغة فقد جاء التثنية
ويراد بها الكثرة والمبالغة وتعدد الشيء لا المعنى الذي يشفع الواحد المنفرد الا ترى الى قولهم لبيك انما هو اقامة على طاعتك بعد اقامة و
كذلك سعديك انما هو مساعدة بعد مساعدة وليس المراد بذلك طاعتين ثنتين ولا ساعتين ثنتين فكذلك المعنى في الاية ان نعمه ظاهرة
متتابعة فهذا وجه وان شئت حملت المثنى على انه تثنية جنس لا تثنية واحد مفرد ويكون احد جنسي النعم نعمة الدنيا والاخر نعمة الاخرة او
نعمة الدين فلا يكون التثنية على هذا مرادا بها اثنين وقد جاء تثنية اسم الجنس في كلامهم مجيئا واسعا قال الفرزدق وكل رفيقي كل
رحل وان هما تعاطى القنا قوماهما اخوان فتاويل الرفيقين في البيت العموم والشاعر الا ترى انه لا يجوز ان يكون رفيقان اثنان لكل رحل
وبعد فاذا كانوا قد استجازوا تثنية الجمع الذي على بناء الكثرة كقوله لاصبح القوم اوبادا ولم يجدوا عند التفرق في الهيجا جمالين وقوله
سعى عقالا فلم يترك لنا سبدا فكيف لو قد سعى عمرو عقالين وكقول ابي النجم بين رماحي مالك ونهشل ونحو ما حكاه سيبويه عن قولهم لقاحان
سوداوان فان يجوز تثنية اسم الجنس اجدر لانه على لفظ الواحد فالتثنية فيه احسن اذ هو اشبه بالفاظ الافراد **الاعراب** قال ابو علي اعلم
ان يدا كلمة نادرة ووزنها فعل يدلك على ذلك قولهم ايد وجمعهم له على افعل كالكلب وافلس يدل على انه فعل كما دل آباء واخاء على ان وزن
اب واخ فعل واللام منه ياء فهو من باب سلس وقلق ولا نعلم لذلك في الكلام نظيرا والذي يدل على ذلك بيت اليد يديا ولا نعلم في الواو
مثله الا ترى انه لم يجئ مثل حويت وقد جاء في الاسماء ذلك وهو قولهم واو واما قولهم ذهبوا ايادي سبا اذا ارادوا الافتراق وقول
ذي الرمة فيا لك من دار تحمل اهلها ايادي سبا بعدي وطال احتيالها فهو في موضع حال لانه كقولك ذهبوا متفرقين واذا كان كذلك لا
يصلح اضافته لان سبا معرفة فيكون المضاف ايضا معرفة وان كان معرفة وجب ان لا يكون حالا قال والوجه فيها عندي ان لا تقدر فيها الاضافة
ولكن يجعل الاسمان بمنزلة اسم واحد كحضرموت ومن لم يضف وكان القياس ان يحرك اللام من ايادي بالفتح في موضع النصب الا انهم
اسكنوه ولم يحركوه وشبهوه بالحالين الاخيرين وهذا الضرب قد اطرد فيه الاسكان فقالوا معدي كرب وقالي قلا وبادي بدا فاسكنوا
جميع ذلك **المعنى** ثم اخبر سبحانه بعظيم فريتهم فقال وقالت اليهود يد الله مغلولة اى مقبوضة عن العطاء ممسكة عن الرزق فنسبوه
الى البخل عن ابن عباس وقتادة وعكرمة والضحاك قالوا ان الله كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من اكثر الناس مالا واخصبهم ناحية
فلما عصوا الله في محمد صلعم وكذبوه كف الله عنهم ما بسط عليهم من السعة فقال عند ذلك فنحاص بن عازورا يد الله مغلولة ولم يقل الله غل قال
اهل المعاني انما قاله فنحاص ولم ينهه الاخرون ورضوا بقوله فاشركهم الله في ذلك وقيل معناه يد الله مكفوفة عن عذابنا فليس يعذبنا الا
بما يبر به قسمه قدر ما عبد اباؤنا العجل عن الحسن وقيل انه استفهام تقديره أيد الله مغلولة عنا حيث قتر المعيشة علينا وقال ابو القاسم البلخي
يجوز ان يكون اليهود قالوا قولا واعتقدوا مذهبا يؤدي معناه الى ان الله تعالى يبخل في حال ويجود في حال اخرى فحكى عنهم على وجه التعجب منهم و

والتكذيب لهم ويجوز ان يكون قالوه على التعجب والخوف من حيث لم يوسع على النبي صـ وعلى اصحابه وليس ينبغي ان يتعجب من قوم يقولون لموسى اجعل
لنا الها كما لهم آلهة ويتخذون العجل الها ان يقولوا ان الله بخيل تارة وفقير تارة وقال الحسين بن علي المغربي حدثني بعض اليهود بمصر ان طائفة
منهم قالت ذلك غلت ايديهم قيل فيه اقوال احدها انه على سبيل الاخبار اي غلت ايديهم في جهنم عن الحسن واختاره الجبائي ومعناه
شدت الى اعناقهم وتاويلهم جوزوا على هذا القول بهذا الجزاء فعلى هذا يكون في الكلام ضمير الفاء او الواو وتقديره فغلت ايديهم او
وغلت ايديهم لان كلامهم قد تم واستونف بعده كلام آخر ومن عادتهم ان يحذفوا فيما يجري هذا المجرى ومن ذلك قوله واذ قال موسى
لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزوا والمراد فقالوا لان كلام موسى قد تم وثانيها ان القول خرج مخرج الدعاء كما يقول
قاتله الله عن ابي مسلم وعلى هذا فيكون معناه تعليمنا وتوقيفنا على الدعاء عليهم كما علمنا الاستثناء في غير هذا الموضع بقوله لتدخلن المسجد
الحرام ان شاء الله آمنين وثالثها ان معناه جعلوا بخلاء والزموا البخل فهم ابخل قوم فلا تلقى يهوديا ابدا غير لئيم بخيل عن الزجاج
ولعنوا بما قالوا اي وابعدوا عن رحمة الله وثوابه بسبب هذه المقالة وقيل عذبوا في الدنيا بالجزية وفي الآخرة بالنار عن الحسن ثم رد الله
سبحانه بقوله مقالتهم فقال بل يداه مبسوطتان اي ليس الامر كما وصفوه بل هو جواد فليس لذلك هنا معنى غير افادة معنى الجود وانما قال يداه
على التثنية مبالغة في معنى الجود والانعام لان ذلك ابلغ فيه من ان يقول بل يده مبسوطة ويمكن ان يكون المراد باليد النعمة فيكون الوجه في تثنية
النعمة انه اراد نعم الدنيا ونعم الآخرة لان الكل وان كانت نعم الله تعالى من حيث اختص كل منهما بصفة تخالف صفة الاخرى صار كانهما
جنسين ويمكن ان يكون تثنية النعمة انه اريد بها النعم الظاهرة والباطنة كما قال سبحانه واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة وقيل ان
المراد باليدين القوة والقدرة عن الحسن ومعناه قوتاه بالثواب والعقاب مبسوطتان بخلاف قول اليهود ان يده مقبوضة
عن عذابنا ينفق كيف يشاء معناه يعطي كيف يشاء من يشاء من عباده ويمنع من يشاء منهم لانه متفضل بذلك فيفعل على حسب
المصلحة وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا اي يزدادون عند انزال القرآن اليك طغيانا وكفرا يريد الكثير
منهم المقيمين على الكفر وانما ازدادوا واكثر لانه كلما انزل الله سبحانه حكما فاخبر النبي صـ جحدوا فازدادوا بذلك طغيانا وهو الغلو
والمجاوزة من الحق وكفر النعم الى كفرهم وهذا كما يقول القائل وعظتك فكانت موعظتي وبالا عليك وما زادك الا شرا على معنى
انك ازددت عندها شرا وذلك مشهور في الاستعمال والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة اي بين اليهود والنصارى
عن الحسن ومجاهد وقيل يريد بين اليهود خاصة وقد مر تفسيره في اول السورة عند قوله فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى
يوم القيمة كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله اي لحرب محمد صـ عن الحسن ومجاهد وفي هذا دلالة ومعجزة لان الله سبحانه اخبر
فوافق خبره المخبر فقد كانت اليهود اشد اهل الحجاز باسا وامنعهم دارا حتى ان قريشا كانت تعتضد بهم والاوس والخزرج يستبق الى
محالفتهم ويتكثر بنصرهم فاباد الله خضراءهم واستاصل شافتهم واجتث اصلهم فاجلى النبي صـ بني النضير وبني قينقاع وقتل بني قريظة وشرد
اهل خيبر وغلب على فدك ودان له اهل وادي القرى فمحا الله آثارهم صاغرين وقال قتادة معناه ان الله سبحانه اذلهم فلا يعزون بعده
ابدا وانما يطفئ نار حربهم بلطفه وبما يطلع نبيه عليه من اسرارهم ويمن عليه من التاييد والنصرة ويسعون في الارض فسادا بمعصية الله
وتكذيب رسله ومخالفة امره ونهيه واجتهادهم في محو ذكر النبي صـ من كتبهم والله لا يحب المفسدين العاملين بالفساد والمعاصي في ارضه
قوله تعالى ولو ان اهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم جنات النعيم ولو انهم اقاموا التورية والانجيل وما
انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم منهم امة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون آيتان اللغة اصل التكفير التغطية
وستر كفر في السلاح والاقتصاد الاستواء في العمل الذي يؤدي الى الغرض واشتقاقه من القصد لان القاصد الى ما يعرف مكانه فهو يمر على
الاستقامة اليه خلاف الطالب المتحير في طلبه الاعراب ساء ما يعملون يحتمل ان يكون ما مع ما بعدها بمنزلة المصدر ويحتمل ان تكون
ما بمعنى الذي وما بعدها صلة لها والعائد محذوف المعنى ولو ان اهل الكتاب يعني اليهود والنصارى آمنوا بمحمد صـ واتقوا الكفر و
الفواحش لكفرنا عنهم سيئاتهم اي سترناها عليهم وغفرناها لهم ولادخلناهم جنات النعيم ظاهر المعنى ولو انهم اقاموا التورية والانجيل
اي عملوا بما فيهما على ما فيهما دون ان يحرفوا شيئا منهما او يغيروا او يبدلوا كما كانوا يفعلونه ويحتمل ان يكون معناه عملوا بما فيهما بان

اقاموها

باعطاء الارض خيرها وبركتها عن ابن عباس وقتادة ومجاهد وقيل المراد لاكلوا ثمار النخل والاشجار من فوقهم والزرع من تحت ارجلهم

اقاموهما نصب اعينهم لئلا يزلوا في شيء من حدودهما وما انزل اليهم من ربهم يريد به القرآن عن ابن عباس واختاره الجبائي وقيل المراد كل ما دل الله
عليه من امور الدين لاكلوا من فوقهم بارسال السماء عليهم مدرارا ومن تحت ارجلهم والمعنى لتركوا في ديارهم ولم يجلوا عن بلادهم ولم يقتلوا فكانوا
يتمتعون باموالهم وزروعهم وثمارهم وما رزقهم الله من النعم وانما خص سبحانه الاكل لان ذلك معظم الانتفاع وفي هذا تاسيف لليهود على ما فاتهم [illegible]
بعد ما كانوا فيه من نعم الله عليهم وهو جواب تبخيلهم اياه في قولهم يد الله مغلولة وقيل ان المعنى في قوله لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم
التوسعة كما تقول فلان في الخير من قرنه الى قدمه اي ياتيه الخير من كل جهة يلتمسه منها ونظير هذه الآية قوله وان لو استقاموا على الطريقة
لاسقيناهم ماء غدقا ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب جعل الله سبحانه التقوى من اسباب التوسعة في الرزق منهم
امة مقتصدة اي من هؤلاء قوم معتدلون في العمل من غير غلو ولا تقصير قال ابو علي الجبائي وهم الذين اسلموا منهم وتابعوا النبي صـ وبه قال مجاهد و
السدي وابن زيد وهو المروي في تفسير اهل البيت عليهم السلام وقيل يريد به النجاشي واصحابه وقيل انهم قوم لم يناصبوا النبي مناصبة هؤلاء حكاه
الزجاج ويحتمل ان يكون المراد به من يقر منهم بان المسيح عليه السلام عبد الله ولا يدعي فيه الالهية وكثير منهم ساء ما يعملون قبح عملهم اي اكثر هؤلاء اليهود و
النصارى يعملون الاعمال السيئة وهم الذين يقيمون على الكفر والجحد بالنبي صـ قوله تعالى يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم
تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ان الله لا يهدي القوم الكافرين آية القراءة قرا نافع وابن عامر وابو بكر عن عاصم رسالاته على الجمع
والباقون رسالته على التوحيد الحجة قال ابو علي حجة من جمع ان الرسل يرسلون بضروب من الرسائل كالتوحيد والشرائع فلما اختلفت الرسائل
حسن ان يجمع اسماء الاجناس اذا اختلفت الا ترى انك تقول رايت تمورا كثيرة ونظرت في علوم كثيرة فتجمع هذه الاسماء اذا اردت ضروبها
كما تجمع غيرها من الاسماء ومن افرد فلان هذه الاسماء انها تدل على الكثرة وان لم تجمع كما تدل عليها الالفاظ الموضوعة للجمع ومما يدل على ذلك
قوله لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا فوقع الاسم الشايع على الجمع كما يقع على الواحد فكذلك الرسالة الاعراب ارسل فعل
يتعدى الى مفعولين ويتعدى الى الثاني منهما بالجار كقوله انا ارسلنا نوحا الى قومه وارسلناه الى مائة الف او يزيدون ويجوز الاقتصار
على احدهما دون الآخر كقوله ثم ارسلنا رسلنا تترى وانا ارسلناك شاهدا قال فارسل الى هرون فيتعدى الى الثاني والاول مقدر في
المعنى وقال فارسلها العراك ولم يذدها ولم يشفق على نغص الدخال المعنى خلى بين هذه الابل وبين شربها فلم يمنعها من ذلك و
انشد ابو زيد لعمري لقد جاءت رسالة مالك الى جسد بين العوائد مختبل والرسالة هنا بمعنى الارسال والمصدر في تقدير الاضافة الى
الفاعل والمفعول الاول في التقدير محذوف كما كان في قوله وارسل الى هرون محذوفا والتقدير رسالة مالك زيدا الى الجسد والجار والمجرور
في موضع نصب بكونه مفعولا ثانيا والمعنى الى ذي جسد لان الرسالة تاتي الجسد دون سائر المرسل اليه وهذا مثل قوله وبعد عطائك المائة
الرتاعا في وضع العطاء موضع الاعطاء والرسول يكون بمعنى الرسالة ويكون بمعنى المرسل فاما كونه بمعنى الرسالة فكقول الشاعر لقد كذب
الواشون ما بحت عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول اي برسالة وكونه بمعنى المرسل قوله وما محمد الا رسول ومثله في انه فعول بمعنى المفعول
وما زلت خيرا منك مذ عض كارها بلحييك عادي الطريق ركوب يريد انه طريق مركوب مسلوك والعصمة المنع من عصام القربة و
هو وكاؤها الذي يشد به من سير او خيط قال الشاعر وقلت عليكم مالكا ان مالكا سيعصمكم ان كان في الناس عاصم اي يمنعكم و
اعتصم فلان بفلان اي امتنع به المعنى ثم امر سبحانه نبيه صـ بالتبليغ ووعده العصمة والنصرة فقال يا ايها الرسول وهذا نداء تشريف وتعظيم
بلغ اي اوصل اليهم ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته اكثر المفسرون فيه الاقاويل فقيل ان الله تعالى بعثه صـ برسالة ضاق
بها ذرعا وكان يهاب قريشا فازال الله تعالى بهذه الآية تلك الهيبة عن الحسن وقيل يريد به ازالة التوهم من ان النبي صـ كتم شيئا من الوحي للتقية
عن عائشة وقيل غير ذلك وروى العياشي في تفسيره باسناده عن ابن ابي عمير عن ابن اذينة عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس وجابر بن عبد الله
قالا امر الله تعالى نبيه محمدا صـ ان ينصب عليا عليه السلام علما للناس فيخبرهم بولايته فتخوف رسول الله ان يقولوا حابى ابن عمه وان يطعنوا في ذلك عليه فاوحى
الله اليه هذه الآية فقام صـ بولايته يوم غدير خم وهذا الخبر بعينه قد حدثناه السيد ابو الحمد عن الحاكم ابي القاسم الحسكاني باسناده عن ابن ابي عمير
في كتاب شواهد التنزيل لقواعد التفضيل وفيه ايضا بالاسناد المرفوع الى حيان بن علي العنزي عن ابي صالح عن ابن عباس قال نزلت هذه
الآية في علي عليه السلام فاخذ رسول الله بيده فقال من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وقد اورد هذا الخبر بعينه ابو اسحق

احمد بن محمد بن ابرهيم الثعلبي في تفسيره باسناده مرفوعا الى ابن عباس قال نزلت هذه الآية في علي عليه السلم امر النبي صم ان يبلغ فيه فاخذ رسول الله صم بيد
علي عليه السلم فقال من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وقد اشتهرت الروايات عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلم ان الله تعالى
اوحى الى نبيه صم ان يستخلف عليا فكان يخاف ان يشق ذلك على جماعة من اصحابه فانزل الله تعالى هذه الآية تشجيعا له على القيام بما امره باداه والمعنى ان
تركت تبليغ ما انزل اليك وكتمته كنت كانك لم تبلغ شيئا من رسالات ربك في استحقاق العقوبة وقال ابن عباس معناه ان كتمت آية مما انزل اليك فما
بلغت رسالته اي لم تكن ممتثلا لجميع الامر والله يعصمك من الناس اي يمنعك من ان ينالوك بسوء ان الله لا يهدي القوم الكافرين قيل فيه قولان احدهما
ان معنى الهداية انه سبحانه لا يهديهم بالمعونة والتوفيق والالطاف الى الكفر بل انما يهديهم الى الايمان لان من هداه الى غرضه فقد اعانه على بلوغه
عن علي بن عيسى قال ولا يجوز ان يكون المراد لا يهديهم الى الايمان لانه تعالى هداهم الى الايمان لان من هداه الى غرضه فقد اعانه بان دلهم عليه ورغبهم
فيه وحذرهم من خلافه والآخر ان المراد لا يهديهم الى الجنة والثواب عن الجبائي وفي هذه الآية دلالة على صدق النبي صم وصحة نبوته من وجهين احدهما
انه وقع مخبره على ما اخبر به فيه وفي نظائره فدل ذلك على انه من عند عالم الغيوب والسرائر والثاني انه لا يقدم على الاخبار بذلك الا وهو يامن ان يكون
مخبره على ما اخبر به لانه لا داعي له الى ذلك الا الصدق وروي ان النبي صم لما نزلت هذه الآية قال لحراس من اصحابه كانوا يحرسونه منهم سعد وحذيفة
الحقوا بملاحقكم فان الله سبحانه عصمني من الناس قوله تعالى قل يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التورية والانجيل وما انزل اليكم من ربكم و
ليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تاس على القوم الكافرين آية النزول قال ابن عباس جاء جماعة من اليهود الى رسول الله صم
فقالوا الست تقر ان التورية من عند الله قال بلى قالوا فانا نؤمن بها ولا نؤمن بما عداها فنزلت الآية المعنى ثم امر سبحانه النبي صم ان يخاطب
اليهود فقال قل يا محمد يا اهل الكتاب لستم على شيء من الدين الصحيح حتى تقيموا التورية والانجيل وما انزل اليكم من ربكم حتى تقروا بالتورية والانجيل
والقرآن المنزل الى جميع الخلق وقيل معناه حتى تقيموا التورية والانجيل بالتصديق بما فيهما من البشارة بالنبي صم والعمل بما يوجب ذلك فيهما وقيل
معناه الامر باقامة التورية والانجيل وما فيهما وانما كان قبل النسخ بهما عن الجبائي وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا
مر تفسيره قبل فلا تاس على القوم الكافرين اي لا تحزن عليهم وهذا تسلية للنبي صم اي فلا تحزن على ذلك فان تكذيب الانبياء عادتهم ودابهم وقيل
معناه لا تحزن على ذلك الكفر وتجاوز الحد في الظلم منهم فان ضرر ذلك عائد عليهم وقيل معناه لا تحزن على هلاكهم وعذابهم وذلك جزاؤهم بفعالهم
قوله تعالى ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من امن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم آية الاعراب
اختلف في وجه ارتفاع قوله والصابئون فقال الكسائي هو نسق على ما في هادوا قال الزجاج وهذا خطاء من جهتين احدهما ان الصابئ
على هذا القول يشارك اليهودي في اليهودية وليس كذلك فان الصابئ غير اليهودي وان جعل هادوا بمعنى تابوا من قوله انا هدنا اليك
لا من اليهودية ويكون المعنى تابوا هم والصابئون فالتفسير جاء بغير ذلك لان معنى الذين امنوا في هذه الآية انما هو الايمان بافواههم ثم
ذكر اليهود والنصارى فقال من امن منهم بالله فله كذا فجعلهم يهودا ونصارى فلو كانوا مؤمنين لم يحتج الى ان يقول من امن منهم فلهم اجرهم وهذا
قول الفراء والزجاج في الانكار عليه والجهة الاخرى ان العطف على المضمر المرفوع من غير توكيد قبيح وانما ياتي في ضرورة الشعر كما قال عمر بن ابي
ربيعة قلت اذ اقبلت وزهر تهادى كنعاج الملا تعسفن رملا وقال الفراء عطف على ما لم يتبين فيه الاعراب مع ضعف ان قال وهذا
يجوز في مثل الذين والمضمر نحو اني وزيد قائمان ولا يجوز ان زيدا وعمرو قائمان قال الزجاج وهذا غلط لان ان تعمل النصب والرفع وليس في
العربية ناصب ليس معه مرفوع لان كل منصوب مشبه بالمفعول والمفعول لا يكون بغير فاعل وكيف يكون نصب ان ضعيفا وهي تتخطا الظروف
فتنصب ما بعدها نحو ان فيها قوما جبارين ونصب ان من اقوى المنصوبات وقال سيبويه والخليل وجميع البصريين ان قوله والصابئون
محمول على التاخير ومرفوع بالابتداء والمعنى ان الذين امنوا والذين هادوا من امن منهم الى آخر الآية والصابئون والنصارى كذلك ايضا اي
من امن منهم بالله واليوم الآخر فلا خوف عليهم وانشدوا قول بشر بن ابي خازم والا فاعلموا انا وانتم بغاة ما بقينا في شقاق والمعنى فاعلموا
انا بغاة ما بقينا وانتم ايضا كذلك وقول ضابئ البرجمي فمن يك امسى بالمدينة رحله فاني وقيار بها لغريب اي فاني بها لغريب وقيار كذلك
وزعم سيبويه ان قوما من العرب يغلطون فيقولون انهم اجمعون ذاهبون وانك وزيد ذاهبان فجعل سيبويه هذا غلطا وجعله كقول
الشاعر بدا لي اني لست مدرك ما مضى ولا سابق شيئا اذا كان جائيا المعنى قد مضى تفسير هذه الآية مشروحا في سورة البقرة وقد

ذكرناها ان المعنى الذين امنوا في قول الزجاج هم المنافقون ثم ذكر بعده من امن بالقلب وقيل ان من امن محمول على اليهود والنصارى اي من امن منهم
والذين امنوا في الابتداء محمول على ظاهره من حقيقة الايمان وقيل ان من امن يرجع الى الجميع ويكون معناه من يستديم الايمان ويستمر عليه قوله
تعالى لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل وارسلنا اليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون وحسبوا الا تكون
فتنة فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم والله بصير بما يعملون آيتان القراءة قرا ابو عمرو وحمزة والكسائي ان لا تكون
بالرفع والباقون بالنصب ولم يختلفوا في رفع فتنة الحجة من قرا ان لا تكون بالرفع جعل ان مخففة من الثقيلة واضمر الهاء وجعل حسبوا
بمعنى علموا وعلى هذا الوجه ثبت النون في الخط واما النصب فعلى انه جعل ان الناصبة للفعل ولم يجعل حسبوا بمعنى العلم وعلى هذا الوجه يسقط
النون من الخط اللغة الهوى هو لطف محل الشيء من النفس مع الميل اليه بما لا ينبغي فلذلك غلب على الهوى صفة الذم ويقال هوى يهوي
هوى وهوى يهوى هويا اذا انحط من الهوى واهوى بيده اذا انحط بها لياخذ شيئا وهاوية جهنم لانه يهوى فيها وهم يتهاوون في المهواة
اذا سقط بعضهم على بعض والفرق بين الهوى والشهوة ان الشهوة تتعلق بالمدركات فيشتهي الانسان الطعام ولا يهوى الطعام والحسبان هو قوة
احد النقيضين في النفس على الآخر اي هو فيما يحتسب ولا يطرح ومنه الحسب لانه مما يعتد به ولا يطرح لاجل الشرف ومنه قولهم حسبك اي يكفيك لانه
بحساب الكفاية ومنه احتساب الاجر لانه مما يحتسب ولا يلغى والفتنة هنا العقوبة واصله الاختبار ومنه افتتن بفلانة اذا هويها لانه تظهر ما
يطوى من جوهره بها وفتنت الذهب في النار اذا خلصته ليظهر جوهره في نفسه متميزا من شائب غيره الاعراب اللام في لقد لام القسم ونصب فريقا
في الموضعين بانه مفعول به قال ابو علي الافعال على ثلاثة اضرب فعل يدل على ثبات الشيء واستقراره وذلك نحو العلم والتيقن والتبين وفعل
يدل على خلاف الاستقرار والثبات وفعل يجذب مرة الى هذا القبيل ومرة الى هذا القبيل فما كان معناه العلم وقع بعده ان الثقيلة ولم يقع بعده
الخفيفة الناصبة للفعل وذلك ان الثقيلة اثبات الشيء واستقراره والعلم بانه كذلك ايضا واذا وقع عليه واستعمل معه كان وفقه وان الناصبة
للفعل لا تقع على ما كان ثابتا مستقرا فمن استعمال الثقيلة بعد العلم قوله ويعلمون ان الله هو الحق المبين والم يعلم بان الله يرى لان الباء زائدة
واما ما كان معناه ما لم يثبت ولم يستقر فنحو اطمع واخاف وارجو واخشى ونحو ذلك ويستعمل بعده الخفيفة الناصبة للفعل قال تعالى والذي
اطمع ان يغفر لي ويخافون ان يتخطفكم الناس فخشينا ان يرهقهما فاما ما يجذب مرة الى هذا الباب ومرة الى هذا الباب فنحو حسبت وزعمت و
ظننت وهذا النحو يجعل مرة بمنزلة ارجو واطمع من حيث كان امرا غير مستقر ومرة يجعل بمنزلة العلم من حيث يستعمل استعماله ومن حيث كان خلافه في انه
قد يجري مجرى الخلاف نحو عطشان وريان فاما استعمالهم اياه استعمال العلم فنحو انهم قد اجابوه بجواب القسم حكى سيبويه ظننت لتسبقني وظنوا ما لهم من
محيص كما قالوا ولقد علمت لتاتين منيتي ولقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض وكلهم قرا فتنة بالرفع لانهم جعلوا كان بمنزلة وقع
ولو نصب وقال ان لا تكون فتنة على ان لا تكون قولهم فتنة لكان جائزا في العربية وانما رفع لاتباع الاثر وانما احسن وقوع ان الخفيفة بعد الذي
في قراءة من رفع وان كان بعدها فعل لدخول لا ولكونها عوضا من حذف الضمير معه وايلائه ما لم يكن يليه ولو قلت علمت ان يقول لم يحسن حتى ياتي
بما يكون عوضا نحو قد ولا والسين وسوف كما في قوله علم ان سيكون منكم مرضى فان قلت فقد جاء وان ليس للانسان الا ما سعى فلم يدخل بين
ان وليس شيء فانما جاء هذا لان ليس ليس بفعل على الحقيقة واما قوله كثير منهم فيرتفع من ثلاثة اوجه احدها ان يكون بدلا من الواو في عموا وصموا
والثاني ان يكون خبر مبتدا محذوف كانه قال ذوو العمى والصمم كثير منهم والثالث ان يكون على لغة من قال اكلوني البراغيث وعلى قول الشاعر
يلومونني في اشتراء النخيل اهلي فكلهم يعذل وقال الفرزدق والقيناعيان عند العقا اولى فاولى لك ذا واقيه وقال الهذلي
ولكن ديافي ابوه وامه بحوران يعصرن السليط اقاربه المعنى ثم اقسم سبحانه بانه اخذ عليهم الميثاق فقال لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل
الايمان المؤكدة التي اخذها انبياؤهم عليهم في الايمان بمحمد صم والاقرار به وقيل اخذ ميثاقهم على الاخلاص في التوحيد والعدل والعمل بما امر به و
الانتهاء عما نهى عنه والتصديق برسله والبشارة بمحمد صم ووجه الاحتجاج عليهم بذلك وان كان اخذ الميثاق على ابائهم انهم عرفوا ذلك في كتبهم و
اقروا بصحته فالحجة لازمة لهم وعقب الخلف الذين طلعتهم كالحق ابائهم وارسلنا اليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم اي بما لا يوافق
مرادهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون اي كذبوا طائفة وقتلوا طائفة فان قيل لم عطف المستقبل على الماضي فجوابه ليدل على ان ذلك من شانهم
ففيه معنى كذبوا وقتلوا ويكذبون ويقتلون مع ان قوله يقتلون فاصلة يجب ان يكون موافقا لرؤوس الآي ويمكن ان يقال التقدير فريقا كذبوا

٢٨٩

لم يقتلوه وفريقا كذبوا ويقتلون فيكون يقتلون صفة للفريق ولم يكن فيه عطف المستقبل على الماضي وعلى الجواب الاول لم يكن كذبوا ويقتلون صفة
للفريق لان التقدير كذبوا فريقا ويقتلون فريقا وقد ذكرنا تفسير الفريقين في سورة البقرة عند قوله ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون وحسبوا الا
وظنوا ان لا تكون فتنة اي عقوبة على قتلهم وتكذيبهم يريد وظنوا ان الله لا يعذبهم عن عطاء عن ابن عباس وقيل حسب القوم ان لا تكون بلية عن قتادة
والسدي والحسن وقيل فتنة اي شدة وقحط عن مقاتل والكل متقارب وقيل وحسبوا فعلهم غير فاتن لهم وذلك انهم كانوا يقولون نحن ابناء
الله واحباؤه عن الزجاج وقيل معناه وقدروا ان لا تقع بهم فتنة في الاصرار على الكفر وظنوا ان ذلك لا يكون موبقا لهم عن ابن الانباري فعموا و
صموا عن الحق على التشبيه بالاعمى والاصم لانه لا يهتدي الى طريق الرشد في الدين لاعراضه عن النظر كما لا يهتدي هذا الى طريق الرشد في الدنيا
لاجل عماه وصممه ثم تاب الله عليهم يريد ان فريقا منهم تابوا فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا اي عادوا الى ما كانوا عليه يريد فلما انقضت تلك القرون و
نشأت قرون اخر تخلقوا باخلاق ابائهم فعموا عن الحق وصموا عن استماعه وقيل معناه لما تابوا رفع الله عنهم البلاء ثم صار كثير منهم كما كانوا وقيل
اراد بكثير منهم من كان في عصر نبينا ص والله بصير بما يعملون اي عليم باعمالهم وهذا كالوعيد لهم قوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح
بن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وماواه النار وما للظالمين من انصار
لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم افلا يتوبون
الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ثلث ايات اللغة الشرك اصله الاجتماع في الملك فاذا كان الملك بين نفسين فهما شريكان
وكذلك كل شيء من نفسين ولا يلزم على ذلك ما يضاف الى كل واحد منهما منفردا كالعبد يكون ملكا لله وهو ملك للانسان لانه لو بطل ملك
الانسان لكان ملكا لله كما كان لم يزد في ملكه شيء لم يكن والمس معناه ههنا ما يكون معه احساس وهو حلول فيه لان العذاب لا يمس الحيوان
الا احس به وقد يكون المس بمعنى اللمس الاعراب قال الفراء ثالث ثلثة لا يكون الا مضافا ولا يجوز التنوين في ثالث فتنصب ثلثة
وكذلك قوله ثاني اثنين لا يكون الا مضافا لان المعنى مذهب اسم كانك قلت واحد من اثنين وواحد من ثلثة ولو قلت انت ثالث اثنين جاز
الاضافة وجاز التنوين ونصب الاثنين وكذلك رابع ثلثة لانه فعل واقع وزاد الزجاج لهذا بيانا فقال لا يجوز في ثلثة الا الخفض لان المعنى
احد ثلثة فان قلت ثالث اثنين او رابع ثلثة جاز الخفض والنصب اما النصب فعلى قولك كان القوم ثلثة فربعتهم واذا رابعهم غدا و
من خفض فعلى حذف التنوين كما قال عز وجل هديا بالغ الكعبة وتقديره بالغا الكعبة وقوله ان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن فيه دلالة
على اعتماد القسم في مثل قوله ولئن جئتهم باية ليقولن على الفعل الثاني دون الاول الا ترى انه لو كان اعتماد القسم على الاول لما حذفت
اللام من قوله وان لم ينتهوا كما لم تحذف اللام الثانية في موضع وشذ في الشعر قول عارف الطائي واقسمت لا احل لك الا بصهوة
حرام على رحله وشماليه فان لم يغير بعض ما قد صنعتم لانتحين للعظم ذو انا عارقه فان قيل لم لا يجوز ان يكون اعتماد القسم على اللام الاولى
الا انها حذفت كما حذفت من قوله قد افلح من زكيها فجوابه ان ذلك لا يجوز لان اللام انما حذفت من قد افلح لطول الكلام لما اعترض بين القسم
والمقسم عليه ولم يطل في هذا الموضع فيستجاز حذفها وانما هذه اللام بمنزلة ان في قولك والله ان لو فعلت لفعلت بتثبيتها تارة وبحذفها
اخرى والقسم لا يعتمد على هذه اللام كما لا يعتمد على ان هذه انشد سيبويه فاقسم ان لو التقينا وانتم لكان لكم يوم من الشر مظلم فالذي اعتمد
عليه القسم قوله لكان دون ان الا ترى انك تقول اقسم لو جئت لجئت فتحذف ان كما تحذف هذه اللام فهذه اللام من ان زيادتها اذا
دخلت اكدت واذا اسقطت لم يخل سقوطها بالكلام الا ان زيادتها في القسم دون غيره كما ان تزاد في قولهم ما ان في النفي دون غيره وعلى
هذا فيكون المعقود بالقسم في قولك لئن اتيتني لاكرمنك انما هو لاكرمنك ويكون الشرط كالاستثناء من هذه الجملة المعقودة بالقسم كانك
اردت ان تقسم على البتات ان تكرمه ثم بدا لك اذا اردت ذلك ثم علقت اكرامك اياه باتيانه فصار التقدير والله لاكرمنك ان اتيتني اي
ان اتيتني اكرمتك فاستغنيت عن ذكر الجزاء لتقدير تقدم ما يدل عليه فقولك لئن اتيتني متصل بما يدل عليه لاكرمنك من الجزاء هذا
الاتصال وهذه الجملة قد لخصتها من كلام الشيخ ابي علي المعنى ثم عاد سبحانه الى ذكر النصارى فقال لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح
بن مريم وهذا مذهب اليعقوبية منهم لانهم قالوا ان الله تعالى اتحد بالمسيح اتحاد الذات فصار شيئا واحدا وصار الناسوت لاهوتا وذلك
قولهم انه الاله وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم اي خالقي وخالقكم ومالكي ومالككم واني واياكم عبيده انه من يشرك بالله

بان يزعم ان غيره يستحق العبادة مع ما ثبت انه لا يقدر احد على فعل ما يستحق به العبادة سوى الله تعالى فقد حرم الله تعالى عليه الجنة والتحريم هنا
تحريم منع لا تحريم عبادة ومعناه فان الله تعالى يمنعه الجنة وماواه اي مصيره النار وهذا كله اخبار من المسيح لقومه وما للظالمين من انصار ومعنا
انه لا ناصر لهم يخلصهم عما هم فيه من انواع العذاب ثم اقسم سبحانه قسما اخر فقال لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة والقائلون بهذه
المقالة جمهور النصارى من الملكانية واليعقوبية والنسطورية لانهم يقولون ثلثة اقانيم جوهر واحد اب وابن وروح القدس اله واحد
لا يقولون ثلثة الهة ويمنعون من هذه العبارة وان كان يلزمهم ان يقولوا انهم ثلثة الهة فصح ان يحكى عنهم بالعبارة اللازمة وانما قلنا
انه يلزمهم ذلك لانهم يقولون الابن اله والاب اله وروح القدس اله والابن ليس هو الاب وما من اله الا اله واحد اي ليس اله الا
واحد وانما دخلت من للتوكيد وان لم ينتهوا عما يقولون اي ان لم يرجعوا ويتوبوا عما يقولونه من القول بالتثليث اقسم ليمسن الذين كفروا
منهم عذاب اليم انما خص سبحانه منهم الذين يستمرون على كفرهم لانه علم ان بعضهم يؤمن عن ابي علي الجبائي والزجاج وقيل انه عنى بقوله الذين
كفروا الفريقين الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم والذين قالوا ان الله ثالث ثلثة والضمير عائد الى اهل الكتاب وليس في هذا دلالة
على ان في افعال الجوارح ما هو كفر لانه انما يتضمن ان من قال انه ثالث ثلثة فهو كافر ولا خلاف في ذلك فان من قال ان الكفر هو الجحود بالقلب
قال ان في افعال الجوارح ما يدل على الكفر الذي هو الجحود بالقلب مثل هذه المقالة ومثل السجود للصنم وغير ذلك فلا دلالة في الاية على ما قالوه
افلا يتوبون الى الله قال الفراء هذا امر في لفظ الاستفهام وقد يرد الامر بلفظ الاستفهام كقوله فهل انتم منتهون وانما دخلت الى لان
معنى التوبة الرجوع الى طاعة الله لان التائب بمنزلة من ذهب عنها ثم عاد اليها ويستغفرونه الفرق بين التوبة والاستغفار ان
الاستغفار طلب المغفرة بالدعاء والتوبة او غيرها من الطاعة والتوبة الندم على المعصية مع العزم على ان لا يعود الى مثلها في القبح والاستغفار مع الاصرار
على القبيح لا يصح والله غفور رحيم يغفر الذنوب ويسترها رحمة منه لعباده وفي هذه الاية تحريض على التوبة وحث على الاستغفار قوله تعالى
ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا ياكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الايات ثم انظر انى يؤفكون قل ا
تعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا اهواء قوم قد
ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل ثلث ايات اللغة الصديقة المبالغة في الصدق والصديق فعيل من ابنية المبالغة كما يقال رجل سكيت
اي مبالغ في السكوت يقال افكه يافكه افكا اذا صرفه والافك الكذب لانه صرف عن الحق وكل مصروف عن الشيء مافوك عنه وانشد ابن السكيت
ان تك عن احسن المروءة مافوكا ففي اخرين قد افكوا وقد افكت الارض اذا صرف عنها المطر وارض مافوكة لم يصبها مطر والموتفكات
المنقلبات من الرياح وغيرها لانها صرفت عن وجهها والملك القدرة على تصريف ما للقادر عليه ان يصرفه فملك الضر والنفع اخص من
القدرة عليهما لان القادر قد يقدر من ذلك على ما له ان يفعل وقد يقدر منه على ما ليس له ان يفعل والنفع هو فعل اللذة والسرور وما ادى
اليهما او الى احدهما مثل الملاذ التي تحصل في الحيوان والصلة بالمال والوعد باللذة فان جميع ذلك نفع لانه يؤدي الى اللذة والضر هو فعل
الالم او الغم او ما ادى اليهما او الى واحد منهما كالالام التي توجد في الحيوان وكالقذف والسب لان جميع ذلك يؤدي الى الالم والاهواء
جمع هوى النفس مقصور لانه مثل فعل وفعل يجمع افعال الاعراب انتصاب غير الحق على وجهين احدهما ان يكون على الحال من دينكم فكانه قال
لا تغلوا في دينكم مخالفين للحق والثاني ان يكون منصوبا على الاستثناء ومعنى لا تغلوا في دينكم الا الحق فيكون الحق مستثنى من النهي عن الغلو
فيه بان يجوز الغلو فيما هو حق على معنى اتباعه المعنى لما قدم سبحانه ذكر مقالات النصارى عقبه بالرد عليهم والحجاج لهم فقال ما المسيح بن
مريم الا رسول اي ليس هو باله قد خلت من قبله الرسل اي كما ان الرسل الذين مضوا قبله ليسوا بالهة وان اتوا بالمعجزات الباهرة فكذلك المسيح
فمن ادعى له الالهية فهو كمن ادعى لهم الالهية لتساويهم في المنزلة وامه صديقة لانها تصدق بايات ربها ومنزلة ولدها وتصدقه فيما اخبرها
به بدلالة قوله وصدقت بكلمات ربها عن الحسن والجبائي وقيل سميت صديقة لكثرة صدقها وعظم منزلتها فيما تصدق به من امرها كانا
ياكلان الطعام قيل فيه قولان احدهما انه احتجاج على النصارى بان من ولده النساء وهو ياكل الطعام لا يكون الها للعباد لان سبيله سبيلهم في
الحاجة الى الصانع المدبر والمعنى انهما كانا يعيشان بالغذاء كما يعيش سائر الخلق فكيف يكون الها من لا يقيمه الا اكل الطعام وهذا معنى قول
ابن عباس والثاني ان ذلك كناية عن قضاء الحاجة لان من اكل الطعام لا بد له من ان يحدث فلما ذكر الاكل صار كانه اخبر عن عاقبته انظر كيف

٢٩٠

نبين لهم الآيات امر الله سبحانه النبي صم وامته بان تفكروا فيما بين الله سبحانه من الآيات اى الدلالات على بطلان ما اعتقدوه من ربوبية المسيح
ثم انظر امر بان ينظر انى يؤفكون اى كيف يصرفون عن الحق الذى يؤدى اليه تدبر الآيات فالنظر الاول انما هو الى فعله سبحانه الجميل فى نصب
الآيات وازاحة العلل والنظر الثانى الى افعالهم القبيحة وتركهم التدبر للآيات ثم زاد سبحانه فى الاحتجاج عليهم فقال قل يا محمد اتعبدون من
دون الله ما لا يملك لكم نفعا ولا ضرا اى اتوجهون عبادتكم الى من لا يقدر لكم على النفع والضر لان القادر عليهما هو الله سبحانه او من يمكنه الله تعالى
من ذلك والمستحق للعبادة انما هو القادر على اصول النعم والنفع والضر والخلق والاحياء والرزق ولا يقدر على ذلك غير الله فلا يستحق العبادة
سواه والله هو السميع باقوالكم العليم بضمايركم وفى هذا تحذير من الجزاء واستدعاء الى التوبة ثم دعاهم سبحانه الى ترك الغلو فقال قل يا محمد
للنصارى فانهم المخاطبون هنا وقال قوم انه خطاب لليهود والنصارى لان اليهود غلوا ايضا فى تكذيب عيسى ومحمد صم يا اهل الكتاب لا
تغلوا فى دينكم اى لا تجاوزوا الحد الذى حده الله لكم الى الازدياد وضده التقصير وهو الخروج عن الحد الى النقصان والزيادة فى الحد والنقصان
عنه كلاهما فساد ودين الله سبحانه الذى امر به هو بين الغلو والتقصير وهو الاقتصاد غير الحق اى مجاوزين الحق الى الغلو والى التقصير فيفوتكم الحق و
من قال ان الخطاب لليهود والنصارى فغلو النصارى فى عيسى ادعاؤهم له الالهية وغلو اليهود فيه تكذيبهم له ونسبتهم اياه الى انه لغير رشدة
ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل قال ابن عباس كل هوى ضلالة ويعنى بالقوم الذين ضلوا من قبل رؤساء الضلالة من فريقى اليهود و
النصارى والآية خطاب للذين كانوا فى عصر النبى صم نهوا ان يتبعوا اسلافهم فيما ابتدعوه باهوائهم وان يقلدوهم فيما هووا والاهواء هنا
المذاهب التى تدعوا اليها الشهوة دون الحجة لان الانسان قد يستثقل النظر لما فيه من المشقة ويميل طبعه الى بعض المذاهب فيعتقده وهو
ضلال فيهلك فيه والاتباع هو سلوك الثانى طريقة الاول على وجه الاقتداء به وقد يتبع الثانى الاول فى الحق وقد يتبعه فى الباطل وانما يعلم
احدهما بدليل واضلوا كثيرا يعنى به هولاء الذين ضلوا عن الحق اضلوا كثيرا من الخلق ايضا ونسب الاضلال اليهم من حيث كان بدعائهم واغوائهم
وضلوا عن سواء السبيل قيل فى معناه قولان احدهما انهم ضلوا باضلالهم غيرهم عن الزجاج والثانى انهم ضلوا من قبل بكفرهم بعيسى واضلوا غيرهم
من بعد بكفرهم بمحمد صم فلذلك كرروا اعنى سواء السبيل مستقيم الطريق وقيل لسواء لاستمراره على استواء وقيل لانه يستقيم صاحبه الى الجنة
والخلود فى النعيم قوله تعالى لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا
يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم وفى
العذاب هم خالدون ثلث آيات اللغة للتناهى هنا معنيان احدهما انه تفاعل من النهى اى كانوا لا ينهى بعضهم بعضا والثانى انه بمعنى
الانتهاء يقال انتهى عن الامر وتناهى عنه اذا كف عنه الاعراب لبئس يجوز ان يكون ما هنا كافة لبئس كما يكف فى انما ولكنما وبعدما وربما
واللام فيه للقسم ويجوز ان يكون اسما نكرة فكانه قال بئس شيئا فعلوه كما يقول بئس رجلا كان عندك ومحل ان سخط الله عليهم رفع كرفع زيد فى
قولك بئس رجلا زيد فيكون مبتدا وبئس وما عملت فيه خبره او يكون خبر مبتدا محذوف كانه لما قال بئس رجلا قيل من هو فقال زيد اى هو زيد
ويجوز ان يكون محله نصبا على تاويل بئس الشئ ذلك لان سخط الله عليهم المعنى ثم اخبر سبحانه جاريهم على اسلافهم فقال لعن الذين كفروا من
بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم قيل فى معناه اقوال احدها ان معناه لعنوا على لسان داود فصاروا قردة ولعنوا على لسان عيسى فصاروا
خنازير وانما ذكر عيسى وداود لانهما ابنا الانبياء المبعوثين بعد موسى عليهم ولما ذكر داود اغنى عن ذكر سليمان لان قولهما واحد عن الحسن ومجاهد و
قتادة وقال ابو جعفر الباقر عليهم اما داود فانه لعن اهل ايلة لما اعتدوا فى سبتهم وكان اعتداؤهم فى زمانه فقال اللهم البسهم اللعن مثل الرداء و
مثل المنطقة على الحقوين فمسخهم الله قردة واما عيسى فانه لعن الذين انزلت عليهم المائدة ثم كفروا بعد ذلك وثانيها ما قال ابن عباس انه يريد
فى الزبور وفى الانجيل ومعنى هذا ان الله تعالى لعن فى الزبور من يكفر من بنى اسرائيل وفى الانجيل كذلك فلذلك قيل على لسان داود وعيسى و
ثالثها ان يكون داود وعيسى علما ان محمدا صم نبى مبعوث ولعنا من يكفر به عن الزجاج والاول اصح والمراد ان الله سبحانه ايأسهم من المغفرة
مع الاقامة على الكفر لدعاء الانبياء عليهم بالعقوبة ودعوتهم مستجابة وانما ذكر اللعن على لسانهما ازالة للابهام لان لهم منزلة بولادة الانبياء
يجيهم عن العقوبة وذلك اشارة الى اللعن المتقدم ذكره بما عصوا وكانوا يعتدون اى بعصيانهم واعتدائهم ثم بين سبحانه حالهم فقال كانوا لا
يتناهون عن منكر فعلوه اى لم يكن ينهى بعضهم بعضا ولا ينتهون اى لا يكفون عما نهوا عنه قال ابن عباس كان بنى اسرائيل ثلث فرق فرقة

اعتدوا

اعتدوا فى السبت وفرقة نهوهم ولكن لم يدعوا مجالستهم ولا مواكلتهم وفرقة لما رأوهم يعتدون ارتحلوا عنهم وبقيت الفرقتان المعتدية والناهية
المخالطة فلعنوا جميعا ولذلك قال رسول الله صم لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد السفيه ولتأطرنه على الحق اطرا او
ليضربن الله قلوب بعضكم على بعض ويلعنكم كما لعنهم وانما سمى القبيح منكرا لانه ينكره العقل من حيث ان العقل يقبل الحسن ويعرف به ولا يأباه
وينكر القبيح ويأباه وما ينكره العقل فهو الباطل وما يقربه فهو الحق وقيل ان المراد بالمنكر هنا صيدهم السمك يوم السبت وقيل هو اخذهم الرشوة
فى الاحكام وقيل اكلهم الربوا واثمان الشحوم ثم قسم سبحانه فقال لبئس ما كانوا يفعلون اى بئس شيئا فعلهم وترى كثيرا منهم اى من اليهود يتولون
الذين كفروا اريد كفار مكة عنى بذلك كعب بن الاشرف واصحابه حين استجاشوا المشركين على رسول الله صم وذكرنا ذلك عند قوله ويقولون
للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا وقال ابو جعفر الباقر ع يتولون الملوك الجبارين ويزينون لهم اهواءهم ليصيبوا من
دنياهم وفى هذا توبيخ لاولئك القوم وتنبيه على سوء فعالهم وخبث عقايدهم لبئس ما قدمت لهم انفسهم اى بئس ما كانوا يفعلون وقدموا من العمل
لمعادهم فى الآخرة ان سخط الله عليهم اى بسخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون وذهب ابن عباس ومجاهد والحسن الى ان هذه الآية فى
المنافقين من اليهود والكناية فى قوله منهم عائدة اليهم يؤكده ما بعد هذه الآية قوله تعالى ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى وما انزل اليه ما
اتخذوهم اولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون آية المعنى ولو كانوا يؤمنون بالله اى لو كانوا يصدقون بالله والنبى محمد صم وما انزل اليه اى
من القرآن ويعتقدون ذلك على الحقيقة كما يظهرونه ما اتخذوهم يعنى الكافرين اولياء عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقيل المراد بالنبى
موسى ع وما انزل اليه التورية فيكون المراد بهم اليهود الذين جاهروا بالعداوة لرسول الله صم والتولى للمشركين فيكون معنى الموالاة التناصر
والمعاونة على محاربة النبى صم ومعاداته ويجوز ان يكون يريد الموالاة على الحقيقة ولكن كثيرا منهم فاسقون وصفهم بالفسق وان كان الكفر
ابلغ فى باب الذم لامرين احدهما انهم خارجون عن امر الله وهذا المعنى لا يظهر بان يصفهم بالكفر والآخر ان الفاسق فى كفره هو المتمرد فيه و
الكلام يدل على انهم فاسقون فى كفرهم اى خارجون الى التمرد فيه قوله تعالى لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا
ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون واذا سمعوا ما انزل الى
الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق و
نطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين ثلث آيات اللغة قال الزجاج القس والقسيس من رؤساء النصارى فاما القس فى اللغة
فهو النميمة ونشر الحديث يقال قس فلان الحديث قسا قال الفراء ويجمع القسيس قساوسة جمعوه على مهالبة وكانت قساسة فكثرت السينات
فابدلوا احداهن واوا والقسوسة مصدر القس والقسيس وقد تكلمت العرب بها انشد المازنى لو عرضت لايبلى قس اشعث فى هيكله
مندس حن اليها كحنين الطس وقال امية لو كان منقلبا كانت قساوسة يحييهم الله فى ايديهم الزبر والرهبان جمع راهب كراكب وركبان
وفارس وفرسان والرهبانية مصدر والترهب التعبد فى صومعة واصله من الرهبة المخافة وقال جرير رهبان مكة لو رأوك تنزلوا و
العصم من شعف الجبال الفادر قال بعضهم الرهبان يكون واحدا وجمعا فمن جعله واحدا جعله بناء على فعلان وانشد لو عاينت رهبان
دير فى القلل لانحدر الرهبان يمشى ونزل وفيض العين من الدموع امتلاؤها منه كفيض النهر من الماء وفيض الاناء وهو سيلانه عن شدة
امتلائه وفاض صدر فلان بسره وافاض القوم من عرفات الى منى اذا دفعوا وافاضوا فى الحديث اذا اندفعوا فيه والدمع الماء الجارى من
العين ويشبه به الصافى فيقال كانه دمعة والمدامع مجارى الدمع وشجة دامعة تسيل دما والطمع تعلق النفس بما يقوى ان يكون من المحبوب
ونظيره الامل والرجاء والطمع ان يكون معه الخوف وان لا يكون والصالح هو الذى يعمل الصلاح فى نفسه فان عمل فى غيره فهو مصلح ولذلك
يوصف الله سبحانه بانه مصلح ولم يوصف بانه صالح الاعراب اللام فى لتجدن لام القسم والنون دخلت لتفصل بين الحال والاستقبال هذا
مذهب الخليل وسيبويه وعداوة منصوب على التمييز يقولون ربنا فى موضع نصب على الحال وتقديره قائلين ربنا ولا نؤمن فى موضع نصب على
الحال وتقديره اى شئ لنا تاركين للايمان اى فى حال تركنا الايمان ومن الحق معنى من تبيين الاضافة التى تقوم مقام الصفة كانه قيل والجائى لنا
الذى هو الحق وقيل انها للتبعيض لانهم آمنوا بالذى جاءهم على التفصيل النزول والقصة نزلت فى النجاشى واصحابه قال المفسرون ائتمرت
قريش ان يفتنوا المؤمنين عن دينهم فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يؤذونهم ويعذبونهم فافتتن من افتتن وعصم الله سبحانه منهم من شاء و

٢٩١

منع الله ورسوله بعد ابي طالب فلما راى رسول الله صم باصحابه وما يقدر على منعهم ولم يومر بعد بالجهاد امرهم بالخروج الى ارض الحبشة وقال
ان فيها ملكا صالحا لا يظلم ولا يظلم عنده احد فاخرجوا اليه حتى يجعل الله تعالى للمؤمنين فرجا ومخرجا واراد به النجاشي واسمه اصحمه وهو بالحبشية
عطية وانما النجاشي اسم الملك كقولهم كسرى وقيصر فخرج اليها سرا احد عشر رجلا واربع نسوة وهم عثمن بن عفان وامراته رقية بنت رسول
الله صم والزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود وعبد الرحمن بن عوف وابو حذيفة بن عتبه وامراته سهله بنت سهيل بن عمرو وابو سلمة بن
عبد الاسد وامراته ام سلمه بنت اميه ومصعب بن عمير وعثمن بن مظعون وعامر بن ربيعه وامراته ليلى بنت ابي حثمه وحاطب بن عمرو وسهل
بن عمرو بيضا فخرجوا الى البحر واخذوا سفينة الى ارض الحبشة بنصف دينار وذلك في رجب في السنة الخامسة من مبعث رسول الله صم و
هذه هي الهجرة الاولى ثم خرج جعفر بن ابي طالب وتتابع المسلمون اليها وكان جميع من هاجر الى الحبشة من المسلمين اثنين وثمانين رجلا سوى
النساء والصبيان فلما علمت قريش بذلك وجهوا عمرو بن عاص وصاحبه عمارة بن الوليد بالهدايا الى النجاشي والى بطارقته ليردوهم اليهم وكان
عمارة بن الوليد شابا حسن الوجه واخرج عمرو بن العاص اهله فلما ركبوا السفينة شربوا الخمر فقال عمارة لعمرو بن العاص قل لاهلك تقبلني فابى فلما
انتشى عمرو دفع عمارة في الماء ونشب عمرو في صدر السفينة واخرج من الماء والقى الله العداوة بينهما في مسيرهما قبل ان تقدما الى النجاشي فقال
عمرو بن العاص ايها الملك ان قوما خالفونا في ديننا وسبوا الهتنا وساروا اليكم فردهم الينا فبعث النجاشي الى جعفر فجاءه وقال ايها الملك سلهم
اعبيد نحن لهم فقال لا بل احرار قال فسلهم الهم علينا ديون يطالبوننا بها قال لا ما لنا عليكم ديون قال فلكم في اعناقنا دماء تطالبوننا بها قال عمرو لا قال
فما تريدون منا اذيتمونا فخرجنا من بلادكم ايها الملك بعث الله فينا نبيا امرنا بخلع الانداد وترك الاستقسام بالازلام وامرنا بالصلوة والزكوة
والعدل والاحسان وايتاء ذي القربى ونهانا عن الفحشاء والمنكر والبغي فقال النجاشي بهذا بعث عيسى عليه السلم ثم قال النجاشي لجعفر هل تحفظ
مما انزل الله على نبيك شيئا قال نعم فقرا سورة مريم فلما بلغ قوله وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا قال هذا والله هو الحق فقال عمرو انه مخالف
لنا فرده الينا فرفع النجاشي يده وضرب بها وجه عمرو وقال اسكت والله لئن ذكرته بسوء لافعلن بك وقال ارجعوا الى هذا هديته وقال لجعفر
واصحابه امكثوا فانكم سيوم والسيوم الآمنون وامر لهم بما يصلحهم من الرزق فانصرف عمرو واقام المسلمون هناك بخير دار واحسن جوار الى ان هاجر
رسول الله صم وعلا امره وهادن قريشا وفتح خيبر فوافى جعفر الى رسول الله صم بجميع من كان معه فقال رسول الله صم لا ادري انا بفتح خيبر اسر ام
بقدوم جعفر ووافى جعفر واصحابه رسول الله صم في سبعين رجلا منهم اثنان وستون من الحبشة وثمانية من اهل الشام وفيهم بحيرا الراهب فقرا عليهم رسول الله صم سورة يس الى آخرها فبكوا حين سمعوا القرآن وآمنوا وقالوا ما اشبه هذا بما كان ينزل على عيسى فانزل
فيهم هذه الآيات وقال مقاتل والكلبي كانوا اربعين رجلا اثنان وثلثون من الحبشة وثمانية من اهل الشام وقال عطا كانوا ثمانين رجلا اربعون
من اهل نجران من بني الحرث بن كعب واثنان وثلثون من الحبشة وثمانية رومیون من اهل الشام المعنى ثم ذكر سبحانه معاداة اليهود للمسلمين
فقال لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا وصف اليهود والمشركين بانهم اشد الناس عداوة للمؤمنين لان اليهود ظاهروا
المشركين على المؤمنين مع ان المؤمنين آمنوا بنبوة موسى ع والتورية التي اتى بها فكان ينبغي ان يكونوا الى من وافقهم في الايمان بنبيهم وكتابهم اقرب
وانما جعلوا ذلك حسدا للنبي صم ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى يعني الذين قدمنا ذكرهم من النجاشي ملك الحبشة واصحابه
عن ابن عباس وسعيد بن جبير وعطا والسدي او الذين جاءوا مع جعفر مسلمين عن مجاهد ذلك بان منهم اي من النصارى قسيسين اي عبادا
عن ابن زيد وقيل علماء عن قطرب وقيل ان النصارى ضيعت الانجيل وادخلوا فيه ما ليس فيه وبقي من علمائهم واحد على الحق والاستقامة وهو
قسيسا فمن كان على هديه ودينه فهو قسيس ورهبانا اي اصحاب الصوامع وانهم لا يستكبرون معناه ان هؤلاء النصارى الذين آمنوا لا يستكبرون
عن اتباع الحق والانقياد له كما استكبر اليهود وعباد الاوثان وانفوا عن قبول الحق اخبر الله سبحانه في هذه الآية عن عداوة مجاوري النبي صم من
اليهود ومودة النجاشي واصحابه الذين اسلموا معه من الحبشة لان الهجرة كانت الى المدينة وبها اليهود والى الحبشة وبها النجاشي واصحابه ثم وصفهم فقال
واذا سمعوا ما انزل الى الرسول من القرآن ترى اعينهم تفيض من الدمع حزنا مما عرفوا من الحق اي لمعرفتهم بان المتلو عليهم كلام الله تعالى وانه حق يقولون
ربنا آمنا اي صدقنا بانه كلامك انزلته على نبيك فاكتبنا اي فاجعلنا بمنزلة من قد كتب ودون وقيل فاكتبنا في ام الكتاب وهو اللوح المحفوظ مع الشاهدين
اي مع محمد صم وامته الذين يشهدون بالحق عن ابن عباس وقيل مع الذين يشهدون بالايمان عن الحسن وقيل مع الذين يشهدون بتصديق نبيك

وكتابك عن الجبائي وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق معناه لاي عذر لا نؤمن بالله وهذا جواب لمن قال لهم من قومهم تعنيفا لهم لم آمنتم عن الزجاج
وقيل انهم قدروا في انفسهم كان سائلا سالهم عنه فاجابوا بذلك والحق هو القرآن والاسلام ووصف المجيء مجاز كما ان نزل وانما نزل به الملك
جاء به الملك وقيل ان جاء بمعنى حدث نحو قوله وجاءت سكرة الموت بالحق ونطمع اي نرجو ونامل ان يدخلنا ربنا اي في الجنة لايماننا بالحق
ثم حذف لدلالة الكلام عليه مع القوم الصالحين المؤمنين من امة محمد صم قوله تعالى فاثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك
جزاء المحسنين والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم آيتان اللغة اثابهم اي جازاهم واصل الثواب الرجوع والاحسان ايصال
النفع الحسن الى الغير وضده الاساءة وهي ايصال الضرر القبيح اليه وليس كل من كان من جهته احسان فهو محسن مطلقا فالمحسن فاعل الاحسان
بشرط ان يكون خاليا من وجوه القبح والجحيم النار الشديدة الاتقاد وهو هنا اسم من اسماء جهنم وجحم فلان النار اذا شدد ايقادها ويقال
لعين الاسد جحمة لشدة ايقادها قال والحرب لا يبقى لجاحمها التخيل والمراح المعنى فاثابهم الله اي جازاهم الله بما قالوا اي بالتوحيد عن الكلبي
وعلى هذا فانما علق الثواب بمجرد القول لانه قد سبق من وصفهم ما يدل على اخلاصهم فيما قالوه وهو المعرفة في قوله مما عرفوا من الحق والبكاء المؤذن
بحقيقة الاخلاص واستكانة القلب ومعرفته والقول اذا اقترن بالمعرفة والاخلاص فهو الايمان الحقيقي الموعود عليه الثواب وقيل ان المراد
بما قالوا اي بما سالوا يعني قوله فاكتبنا مع الشاهدين ونطمع ان يدخلنا الآية عن عطا عن ابن عباس وعلى هذا فيكون القول معناه المسالة الجنة
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها مر تفسيره وذلك جزاء المحسنين اي المؤمنين عن الكلبي والموحدين عن ابن عباس والذين كفروا
وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم لما ذكر سبحانه الوعد للمؤمنين ذكر الوعيد لمن كفر منهم وكذب واطلق اللفظ به ليكون لهم ولمن جرى مجراهم في
الكفر وانما شرط في الوعيد على الكفر التكذيب بالآيات وان كان كل واحد منهما يستحق به العقاب لان صفة الكفار من اهل الكتاب انهم يكذبون
بالآيات فلم يصلح هنا وكذبوا لانهم جمعوا الامرين وليس من شرط المكذب ان يكون عالما بان ما كذب به صحيح بل اذا اعتقد ان الخبر كذب سمي
مكذبا وان لم يعلم انه كذب ايضا وانما يستحق به الذم لانه جعل الطريق الى ان يعلم صحة ما كذب به قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا
طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون آيتان النزول
والقصة قال المفسرون جلس رسول الله صم يوما فذكر الناس ووصف القيمة فرق الناس وبكوا واجتمع عشرة من الصحابة في بيت عثمن بن مظعون
الجمحي وهم علي ع وابو بكر وعبد الله بن مسعود وابوذر الغفاري وسالم مولى ابي حذيفه وعبد الله بن عمر والمقداد بن الاسود وسلمن الفارسي و
معقل بن مقرن اتفقوا على ان يصوموا النهار ويقوموا الليل ولا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم ولا الودك ولا يقربوا النساء والطيب ويلبسوا
المسوح ويرفضوا الدنيا ويسيحوا في الارض وهم بعضهم ان يجب مذاكيره فبلغ ذلك رسول الله صم فاتى دار عثمن فلم يصادفه فقال لامراته ام حكيم
بنت ابي امية واسمها حولاء وكانت عطارة احق ما بلغني عن زوجك واصحابه فكرهت ان تكذب رسول الله صم وكرهت ان تبدي على زوجها
فقالت يا رسول الله ان كان اخبرك عثمن فقد صدقك فانصرف رسول الله صم فلما دخل عثمن فاخبرته بذلك فاتى رسول الله صم هو واصحابه
فقال لهم رسول الله صم الم انبئكم انكم اتفقتم على كذا وكذا قالوا بلى يا رسول الله وما اردنا الا الخير فقال رسول الله اني لم اومر بذلك ثم قال ان
لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم وآتي النساء ومن رغب عن سنتي فليس مني ثم
جمع الناس وخطبهم وقال ما بال اقوام حرموا النساء والطيب والطعام والنوم وشهوات الدنيا اما اني لست آمركم ان تكونوا قسيسين ورهبانا
فانه ليس في ديني ترك اللحم والنساء ولا اتخاذ الصوامع وان سياحة امتي الصوم ورهبانيتهم الجهاد اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وحجوا واعتمروا و
اقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وصوموا رمضان واستقيموا يستقم لكم فانما هلك من قبلكم بالتشديد شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم فاولئك
بقاياهم في الديارات والصوامع فانزل الله سبحانه هذه الآية وروي عن ابي عبد الله ع انه قال نزلت في علي ع وبلال وعثمن بن مظعون فاما علي
عليه السلم فانه حلف ان لا ينام بالليل ابدا الا ما شاء الله واما بلال فانه حلف ان لا يفطر بالنهار ابدا واما عثمن بن مظعون فانه حلف ان لا ينكح ابدا المعنى
لما تقدم ذكر الرهبان وكانوا قد حرموا على انفسهم الطيبات نهى الله سبحانه المؤمنين عن ذلك فقال يا ايها الذين آمنوا اي يا ايها المؤمنون لا تحرموا
طيبات ما احل الله لكم وهو يحتمل وجوها منها ان يريد لا تعتقدوا تحريمها ومنها ان يريد لا تظهروا تحريمها ومنها ان يريد لا تحرموها على غيركم بالفتوى
والحكم ومنها ان يريد لا تجروها مجرى المحرمات في شدة الاجتناب ومنها ان يريد لا تظهروا تحريمها ومنها ان يريد لا تلتزموا تحريمها بنذر او يمين

فوجب حمل الامر على جميع الوجوه والطيبات اللذيذات التي تشتهيها النفوس وتميل اليها القلوب وقد يق الطيب بمعنى الحلال كما يق يطيب
كذا اي يحل لك كذا ولا يليق ذلك بهذا الموضع ولا تعتدوا اي لا تعتدوا حدود الله واحكامه وقيل معناه ولا تجبوا انفسكم فسمى الخصاء اعتداء عن ابن
عباس ومجاهد وقتادة ولما ولى الامر فان ان الله لا يحب المعتدين معناه يبغضهم ويريد الانتقام منهم وكلوا مما رزقكم الله لفظ الامر والمراد
به الاباحة حلالا طيبا اي مباحا لذيذا وفيه لطيفة هو انه اذا كان الرزق لا يكون الا حلالا فلم قيد هنا فقال حلالا والجواب انه انما ذكره على وجه
التأكيد كما قال الله تعالى وكلم الله موسى تكليما وقد اطلق سبحانه في موضع آخر على وجه المدح وهو قوله ومما رزقناهم ينفقون وقال ابن عباس يريد من
طيبات الرزق اللحم وغيره واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون وهذا استدعاء الى التقوى بالطف الوجوه وتقديره ايها المؤمنون بالله لا تضيعوا ايمانكم
بالتقصير في التقوى فيكون عليكم الحسرة العظيمة واتقوا في تحريم ما احل الله لكم وفي جميع معاصيه من به تؤمنون وهو الله سبحانه وفي هاتين الآيتين
دلالة على كراهة التخلي والتفرد والتوحش والخروج عما عليه الجمهور في التأهل وطلب الولد وعمارة الارض وقد روي ان النبي ص كان يأكل الدجاج و
الفالوذ وكان يعجبه الحلواء والعسل وقال ان المؤمن حلو يحب الحلاوة وقال في بطن المؤمن زاوية لا يملأها الا الحلواء وروي ان الحسن كان
يأكل الفالوذ فدخل عليه فرقد السبخي فقال يا فرقد ما تقول في هذا فقال فرقد لا آكله ولا احب اكله فاقبل الحسن على غيره كالمتعجب وقال لعاب النحل بلباب
البر مع سمن البقر هل يعيبه مسلم قوله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته اطعام عشرة مساكين من اوسط
ما تطعمون اهليكم او كسوتهم او تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلثة ايام ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم واحفظوا ايمانكم كذلك يبين الله لكم آياته
لعلكم تشكرون آية القراءة قرأ ابن عامر وحده عاقدتم برواية ابن ذكوان وقرأ اهل الكوفة غير حفص عقدتم بالتخفيف والباقون عقّدتم بالتشديد
وروي عن قراءة جعفر بن محمد ع تطعمون اهاليكم الحجة قال ابو علي من قرأ عقّدتم شدد القاف احتمل امرين احدهما ان يكون لتكثير الفعل
والآخر ان لا يراد به التكثير كما ان ضاعفت لا يراد به فعل اثنين ومن قرأ عقدتم خفيف جاز ان يراد به التكثير من الفعل والقليل الا ان فعّل يختص بالتكثير
كما ان الركبة يختص بالحال التي يكون عليها الركوب ومن قرأ عاقدتم احتمل امرين احدهما ان يكون يراد به عقدتم كما ان عافاه الله وعاقبت اللص وطارقت
النعل بمنزلة فعلت فيكون على هذا قراءته كقراءة من خفف ويحتمل ان يراد بعاقدتم فاعلتم الذي يقتضي فاعلين فصاعدا كأنه قال يؤاخذكم بما
عاقدتم عليه اليمين ولما كان عاقد في المعنى قريبا من عاهد عدّاه بعلى كما يعدّى عاهد بها قال ومن اوفى بما عاهد عليه الله واتسع فحذف الجار ووصل
الفعل الى المفعول ثم حذف من الصلة الضمير الذي كان يعود الى الموصول كما حذف من قوله فاصدع بما تؤمر ومثله قول الشاعر كأنهم واضحى
الاقراب في لجج امسى بهن وعرية الاماليس انما هو عرت عليه فاتسع والتقدير يؤاخذكم بالذي عاقدتم عليه الايمان ثم عاقدتموه الايمان فحذف
الراجع ويجوز ان يجعل ما مع الفعل بمعنى المصدر فيمن قرأ عقدتم وعقّدتم فلا يقتضي راجعا كما لا يقتضيه في قوله ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون
وقوله فاليوم ننسيهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون فاما قوله اهاليكم فان اهالي كليالي كان واحدها اهلاة وليلاة وانشد
ابن الاعرابي في كل يوم ما وكل ليلاه يا ويحه من جمل ما اشقاه ومن قال اهالي جمع اهلون فقد ابعد لان هذا الجمع لا يكسر اللغة اللغو في
اللغة ما لا يعتد به قال الشاعر وما نتجعل اولادها لغوا وعرض المائة الجلد اي الذي يعارضها في قوم الجلد يعني بالمائة نوقا اي
لا يعتد باولادها ولغو اليمين هو الحلف على وجه الغلط من غير قصد مثل قول القائل لا والله وبلى والله على سبق اللسان هذا هو المروي
عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام ويق عقد الحبل والعهد واليمين عقدا قال الحطيئة قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم البيت وقال
في بيت آخر وان عاهدوا اوفوا وان عاقدوا شدوا واعقدت العسل فهو معقد وعقيد والحرير عن الحرير قال الفرزدق ابني جرير
انني حرمتكم فوهبتكم لعطية بن جعال بن يلا اعتقتكم من ذل الهجاء ولنعم العاد النزول قيل لما نزلت لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم قالوا يا
رسول الله فكيف نصنع بايماننا فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل نزلت في عبد الله بن رواحة كان عنده ضيف فاخرت زوجته عشاءه فحلف
لا يأكل من الطعام وحلفت المرأة لا تأكل ان لم يأكل وحلف الضيف لا يأكل ان لم يأكلا فأكل عبد الله بن رواحة فأكلا معه فاخبر النبي ص بذلك
فقال له احسنت عن ابن زيد المعنى لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم يعني الكلام في لغو اليمين وحكمه في سورة البقرة ولا كفارة فيه عند اكثر
المفسرين والفقهاء الا ما روي عن ابرهيم النخعي انه قال فيها الكفارة ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان ان جعلت ما موصولة فمعناه بالذي
عقدت عليه الايمان فان جعلته مصدرية فمعناه بعقدكم او بتعقيدكم الايمان او بمعاقدتكم الايمان وتفسيره ان يقصد الامر ثم يحلف بالله فيعقد

عليه

عليه اليمين عن عطا وقيل هو ما عقدت عليه قلبك وتعمدته عن مجاهد فكفارته اي كفارة ما عقدتم اذا حنثتم واستغنى عن ذكره لانه مدلول عليه لان
الامة قد اجمعت على ان الكفارة لا تجب الا بعد الحنث اطعام عشرة مساكين واختلف في مقدار ما يعطى كل مسكين فقال الشافعي مد وهو رطل وثلث
من وقال ابو حنيفة نصف صاع من حنطة او صاع من شعير او تمر وكذلك سائر الكفارات وقال اصحابنا يعطى كل واحد مدين او مدا و
المد رطلان وربع ويجوز ان يجمعهم على ما هذا قدره ليأكلوه ولا يجوز ان تعطى خمسة ما يكفي عشرة فان كان المساكين ذكورا او اناثا
جاز ذلك ولكن وقع بلفظ التذكير لانه مغلب في كلام العرب من اوسط ما تطعمون اهليكم قيل فيه قولان احدهما الخبز والادم لان افضله
الخبز واللحم وادونه الخبز والملح واوسطه الخبز والسمن والزيت والآخر ان الاوسط في المقدار اي تعطيهم كما تعطي اهلك في اليسر والعسر عن
ابن عباس او كسوتهم قيل لكل واحد منهم ثوب ثوب عن الحسن ومجاهد وعطا وطاوس وهو مذهب الشافعي وقال ابو حنيفة ما يقع عليه اسم
الكسوة والذي رواه اصحابنا ان لكل واحد ثوبين مئزرا وقميصا وعند الضرورة يجزي قميص واحد او تحرير رقبة معناه عتق رقبة عبد او
امة والرقبة يعبر بها عن جملة الشخص وهو كل رقبة سليمة من العاهات صغيرة كانت او كبيرة مؤمنة كانت او كافرة لان اللفظ مطلق فيه
الا ان المؤمن افضل وهذه الثلثة واجبة على التخيير وقيل ان الواجب فيها واحد لا بعينه وفائدة هذا الخلاف والكلام في شرحها وفي الادلة
على صحة المذهب الاول مذكور في اصول الفقه فمن لم يجد فصيام ثلثة ايام معناه فكفارته صيام ثلثة ايام فيكون صيام مرفوعا بالابتداء والخبر
وحده من ليس بواجد هو من ليس عنده ما يفضل عن قوته وقوت عياله يومه وليلته وبه قال الشافعي ويجب التتابع في صوم هذه الايام الثلثة
وبه قال ابي وابن عباس ومجاهد وقتادة واكثر الفقهاء وفي قراءة ابن مسعود وابي ثلثة ايام متتابعات واليمين على ثلثة اقسام احدها ما يكون
عقدها طاعة وحلها معصية فهذا يتعلق بحنثها الكفارة بلا خلاف وهو كما لو قيل والله لا شربت خمرا والثاني ان يكون عقدها مباحا وحلها
مباحا كما يق والله لا لبست هذا الثوب فهذا يتعلق بحنثه الكفارة بلا خلاف ايضا ذلك اشارة الى ما تقدم ذكره من الكفارة كفارة ايمانكم
اذا حلفتم وحنثتم لان الكفارة لا تجب بنفس اليمين وانما تجب باليمين والحنث وقيل تجب بالحنث بشرط تقدم اليمين واختلف فيمن كفر عن اليمين
قبل الحنث فقال ابو حنيفة لا يجزي وقال الشافعي يجزي واحفظوا ايمانكم قيل في معناه قولان قال ابن عباس يريد لا تحلفوا وقال غيره واحفظوا ايمانكم
من الحنث فلا تحنثوا وهو اختيار الجبائي وهذا هو الاقوى لان الحلف مباح الا في معصية بلا خلاف وانما الواجب ترك الحنث وفيه دلالة على ان
اليمين في المعصية لا تنعقد لانها لو انعقدت للزم حفظها واذا كان لا تنعقد فلا تلزم فيها الكفارة كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون ومعناه
كما يبين امر الكفارة وجميع الاحكام يبين الله لكم آياته وفروضه لتشكروه على تبيينه لكم اموركم ونعمه عليكم قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا انما الخمر و
الميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر
ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة فهل انتم منتهون آيتان اللغة الخمر عصير العنب المشتد وهو العصير الذي يسكر كثيره وسمي خمرا لانها بالسكر
تغطي على العقل واصله في الباب التغطية من قولهم خمرت الاناء اذا غطيته ودخل في خمار الناس اذا خفي فيما بينهم والميسر القمار كله من تيسر امر
الجزور بالاجتماع على القمار فيه واصله من اليسر خلاف العسر وسميت اليد اليسرى فقالا بتيسير العمل بها وقيل لانها تعين اليد اليمنى فيكون
العمل ايسر والانصاب الاصنام واحدها نصب وناصبه العداوة لانتصاب لعداوة قال الاعشى وذا النصب المنصوب لا تنسكنه ولا تعبد
الشيطان والله فاعبدا والازلام القداح وهي سهام كانوا يجيلونها للقمار وقد ذكرنا ما قيل فيها في اول السورة والرجس اسم هو العقاب واصل
الرجس تتابع الحركات يق ناقة رجس اذا كانت ترتعد قوائمها في ناحية قال الزجاج الرجس في اللغة اسم لكل ما استقذر من عمل يق رجس رجس
ورجس يرجس اذا عمل عملا قبيحا والرجس بفتح الراء شدة الصوت ورعد رجاس شديد الصوت فكان الرجس الذي يقبح ذكره ويرتفع في القبح
ثم عطف سبحانه على ما بين من الاحكام بالنهي عن افعال اهل الجاهلية والنقل عنها الى شريعة الاسلام فقال يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر و
قد مر معناهما في سورة البقرة وقال ابن عباس يريد بالخمر جميع الاشربة التي تسكر وقد قال رسول الله الخمر من تسع من البتع وهو العسل ومن العنب
ومن الزبيب ومن التمر ومن الحنطة ومن الذرة والشعير والسلت وقال في الميسر يريد القمار وهو في اشياء كثيرة انتهى كلامه والانصاب و
الازلام ذكرناهما في اول السورة رجس من عمل الشيطان لا بد من ان يكون في الكلام حذف والمعنى شرب الخمر وتناولها والتصرف فيه وعبادة الانصاب
والاستقسام بالازلام رجس اي خبث من عمل الشيطان وانما نسبها الى الشيطان وهي اجسام من فعل الله تعالى بأمر الشيطان بها من الفساد فيها

٢٩٣

اللغة م

بشربها المسكر المزيل للعقل ويأمر بالقمار المستعمل فيها الأخلاق الدنية ويأمر بعبادة الأصنام لما فيها من الشرك بالله ويأمر بالأزلام لما فيها من ضعف الرأي
والاتكال على الاتفاق وقال الباقر عليه السلام يدخل في الميسر اللعب بالشطرنج والنرد وغيره من أنواع القمار حتى إن لعب الصبيان بالجوز من القمار فاجتنبوه
أي كونوا على جانب منه أي في ناحية لعلكم تفلحون معناه كي تفوزوا بالثواب وفي هذه الآية دلالة على تحريم الخمر وهذه الأشياء من أربعة أوجه أحدها أنه
سبحانه وصفها بالرجس وهو النجس والنجس محرم بلا خلاف والثاني أنه نسبها إلى عمل الشيطان وذلك يوجب تحريمها والثالث أنه أمر باجتنابها والأمر يقتضي
الإيجاب والرابع أنه جعل الفوز والفلاح في اجتنابها والهاء في قوله فاجتنبوه راجعة إلى عمل الشيطان وتقديره اجتنبوا عمل الشيطان وكل واحد من شرب
الخمر وتعاطي القمار واتخاذ الأنصاب والأزلام من عمل الشيطان ويجوز أن يكون الهاء عائدة إلى الرجس والرجس واقع على الخمر وما ذكر بعدها وقرن
الله سبحانه الخمر بعبادة الأوثان تغليظا في تحريمها فلذلك قال صلى الله عليه وآله مدمن الخمر كعابد الوثن وفي هذا دلالة على تحريم سائر المسكرات في الخمر بالشرب والبيع
والشراء والاستعمال على جميع الوجوه ثم بين سبحانه أنه إنما نهى عن الخمر لما يعلم في اجتنابها من الصلاح وخير الدارين فقال إنما يريد الشيطان أن يوقع
بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر قال ابن عباس يريد سعد بن أبي وقاص ورجلا من الأنصار كان مواخيا لسعد فدعاه إلى الطعام فأكلوا وشربوا
نبيذا مسكرا فوقع بين الأنصاري وسعد مراء ومفاخرة فأخذ الأنصاري لحي جمل فضرب به سعدا ففزر أنفه فأنزل الله ذلك فيهما والمعنى يريد الشيطان
إيقاع العداوة بينكم بالإغراء المزين لكم حتى إذا سكرتم زالت عقولكم وأقدمتم من القبائح على ما كان يمنعه منه عقولكم قال قتادة إن الرجل كان يقامر في
ماله وأهله فيقمر ويبقى حزينا سليبا فيكسبه ذلك العداوة والبغضاء ويصدكم عن ذكر الله أي يمنعكم عن الذكر لله بالتعظيم والشكر على آلائه وعن الصلاة
التي هي قوام دينكم فهل أنتم منتهون صيغته الاستفهام ومعناه النهي وإنما جاز في صيغة الاستفهام أن يكون على معنى النهي لأن الله تعالى ذم هذه
الأفعال وأظهر قبحها وإذا ظهر قبح الفعل للمخاطب ثم استفهم عن تركه لم يسعه إلا الإقرار بالترك فكأنه قيل له أتفعله بعد ما قد ظهر من قبحه
ما ظهر فصار المنهي بقوله فهل أنتم منتهون في محل من عقد عليه ذلك بإقراره وكان هذا أبلغ في باب النهي من أن يقول انتهوا ولا تشربوا قوله
تعالى وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين آية المعنى لما أمر سبحانه باجتناب الخمر وما
بعدها عقبه بالأمر بالطاعة له فيه وفي غيره فقال وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول والطاعة هي امتثال الأمر والانتهاء عن المنهي عنه و
لذلك يصح أن يكون الطاعة طاعة لاثنين بأن يوافق مرادهما وإرادتهما فاحذروا أو هذا أمر منه تعالى بالحذر عن المحارم والمناهي أي
يريد واحذروا معاصي الله والحذر هو امتناع القادر من الشيء لما فيه من الضرر فإن توليتم أي أعرضتم ولم تعملوا بما أمركم به فاعلموا أنما على رسولنا
البلاغ المبين معناه الوعيد والتهديد كأنه قال فاعلموا أنكم قد استحققتم العقاب لتوليكم عما أدى رسولنا إليكم من البلاغ المبين يعني
الأداء الظاهر الواضح فوضع كلام موضع كلام للإيجاز ولو كان الكلام على صيغته من غير هذا التقدير لم يصح لأن عليهم أن يعلموا ذلك
تولوا أو لم يتولوا وما في قوله إنما كافة لأن عن عملها قوله تعالى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح أي إثم وحرج فيما طعموا من الخمر والميسر
قبل نزول التحريم وفي تفسير أهل البيت عليهم السلام فيما طعموا من الحلال وهذه اللفظة صالحة للأكل والشرب جميعا إذا ما اتقوا شربها بعد التحريم
وآمنوا بالله وعملوا الصالحات أي الطاعات ثم اتقوا أي داموا على الاتقاء وآمنوا أي داموا على الإيمان ثم اتقوا بفعل الفرائض وأحسنوا
بفعل النوافل وعلى هذا يكون الاتقاء الأول اتقاء الشرب بعد التحريم والاتقاء الثاني هو الدوام على ذلك والاتقاء الثالث اتقاء جميع
المعاصي وضم الإحسان إليه وقيل إن الاتقاء الأول هو اتقاء المعاصي العقلية التي تختص المكلف ولا تتعداه والإيمان الأول الإيمان بالله
تعالى وبما أوجب الإيمان به والإيمان بقبح هذه المعاصي ووجوب تجنبها والاتقاء الثاني هو اتقاء المعاصي السمعية والإيمان بقبحها ووجوب
تجنبها والاتقاء الثالث يختص بمظالم العباد وبما يتعدى إلى الغير من الظلم والفساد وقال أبو علي الجبائي إن الشرط الأول يتعلق بالزمان الماضي
والشرط الثاني يتعلق بالدوام على ذلك والاستمرار على فعله والشرط الثالث يختص بمظالم العباد واستدل على أن هذا الاتقاء يختص بالمظالم
بقوله وأحسنوا فإن الإحسان إذا كان متعديا وجب أن يكون المعاصي التي أمروا باتقائها قبله أيضا متعدية وهذا ضعيف لأنه لا تصريح
في الآية بأن المراد به الإحسان المتعدي ولا يمتنع أن يريد بالإحسان فعل الحسن والمبالغة فيه وإن اختص الفاعل ولا يتعداه كما يقولون لمن
بالغ في فعل الحسن أحسنت وأجملت ثم لو سلم أن المراد به الإحسان المتعدي فلم لا يجوز أن يعطف فعل متعد على فعل لا يتعدى ولو صرح
سبحانه فقال اتقوا القبائح كلها وأحسنوا إلى غيرهم لم يمتنع ولعل أبا علي إنما عدل في الشرط الثالث عن ذكر الأحوال لما ظن أنه لا يمكن فيه

ما أمكن

ما أمكن في الأول والثاني وهذا ممكن غير ممتنع بأن يحمل الشرط الأول على الماضي والشرط الثاني على الحال والثالث على النظر في المستقبل
ومتى قيل إن المتكلمين عندهم لا واسطة بين الماضي والمستقبل فإن الفعل إما أن يكون موجودا فيكون ماضيا وإما أن يكون معدوما فيكون
مستقبلا وإنما ذكر الأحوال الثلاثة النحويون فجوابه أن الصحيح أنه لا واسطة بين العدم والوجود كما ذكروه غير أن الموجود في أقرب الزمان لا يمتنع
أن يسمى حالا ويفرق بينه وبين الغابر السالف والغابر المنتظر ووجدت السيد الأجل المرتضى علي بن الحسين الموسوي قدس الله روحه ذكر
في بعض مسائله أن المفسرين تشاغلوا بإيضاح الوجه في التكرار الذي تضمنته هذه الآية وظنوا أنه المشكل فيها وتركوا ما هو أشد إشكالا من
التكرار وهو أنه تعالى نفى الجناح عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيما يطعمونه بشرط الاتقاء والإيمان وعمل الصالحات والإيمان وعمل الصالحات
ليس بشرط في نفي الجناح فإن المباح إذا وقع من الكافر فلا إثم عليه ولا وزر قال ولنا في حل هذه الشبهة طريقان أحدهما أن يضم إلى المشروط
المصرح به كلام غيره حتى يظهر تأثير ما شرط فيكون تقدير الآية ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا وغيره إذا ما اتقوا وآمنوا
وعملوا الصالحات لأن الشرط في نفي الجناح لا بد من أن يكون له تأثير حتى يكون متى انتفى ثبت الجناح وقد علمنا أن باتقاء المحارم ينتفي الجناح فيما
يطعم فهو الشرط الذي لا زيادة عليه ولما ولي ذكر الاتقاء الإيمان وعمل الصالحات ولا تأثير لهما في نفي الجناح علمنا أنه أضمر ما تقدم ذكره ليصح الشرط
ويطابق المشروط لأن من اتقى الحرام فيما يطعم لا جناح عليه فيما يطعمه لكنه قد يصح أن يثبت عليه الجناح فيما أخل به من واجب وضيعه من فرض
فإذا شرطنا أنه وقع اتقاء القبيح ممن آمن بالله وعمل الصالحات ارتفع الجناح عنه من كل وجه وليس بمنكر حذف ما ذكرناه لدلالة الكلام عليه
فمن عادة العرب أن يحذفوا ما يجري هذا المجرى ويكون قوة الدلالة عليه مغنية عن النطق به ومنه قول الشاعر تراه كأن الله يجدع أنفه
وعينيه إن مولاه بات له وفر لما كان الجدع لا يليق بالعين وكانت معطوفة على الأنف الذي يليق الجدع به أضمر ما يليق بالعين من البخص وما
يجري مجراه والطريق الثاني وهو أن يجعل الإيمان وعمل الصالحات هنا ليس بشرط حقيقي وإن كان معطوفا على الشرط فكأنه تعالى لما أراد أن يبين
وجوب الإيمان وعمل الصالحات عطفه على ما هو واجب من اتقاء المحارم لاشتراكهما في الوجوب وإن لم يشتركا في كونهما شرطا في نفي الجناح فيمن
يطعم وهذا توسع في البلاغة يحار فيه العقل استحسانا واستغرابا انتهى كلام المرتضى وقد قيل أيضا في الجواب عن ذلك أن المؤمن يصح أن يطلق عليه بأنه لا
جناح عليه والكافر مستحق للعقاب مغمور به فلا يطلق عليه هذا اللفظ وأيضا فإن الكافر قد سد على نفسه طريق معرفة التحريم والتحليل فلذلك تخصص
المؤمن بالذكر وقوله والله يحب المحسنين يريد ثوابهم وإجلالهم وإكرامهم وتبجيلهم ويروى أن قدامة بن مظعون شرب الخمر في أيام عمر بن الخطاب فأراد
أن يقيم عليه الحد فقال ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الآية فأراد عمر أن يدرأ عنه الحد فقال علي عليه السلام أديروه على الصحابة
فإن لم يسمع أحد منهم قرأ عليه آية التحريم فادرؤوا عنه الحد وإن كان قد سمع فاستتيبوه وأقيموا عليه الحد فإن لم يتب وجب عليه القتل قوله تعالى
يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم يا
أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة
طعام مساكين أو عدل ذلك صياما ليذوق وبال أمره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام آيتان القراءة قرأ أهل الكوفة
ويعقوب فجزاء بتنوين مثل رفع والباقون فجزاء مثل ما قتل بالإضافة وقرأ أهل المدينة وابن عامر أو كفارة بغير تنوين طعام بالإضافة والباقون
بالتنوين طعام بالرفع ولم يختلفوا في مساكين أنه جمع وروي في الشواذ قراءة أبي عبد الرحمن فجزاء منون مثل بالنصب وقرأ محمد بن علي الباقر وجعفر
بن محمد الصادق عليهما السلام يحكم به ذو عدل منكم الحجة قال أبو علي حجة من رفع المثل أنه صفة للجزاء والمعنى فعليه جزاء من النعم مماثل للمقتول
والتقدير فعليه جزاء أي فاللازم له أو فالواجب عليه جزاء من النعم مماثل ما قتل من الصيد ومن النعم على هذه القراءة صفة للنكرة التي هي جزاء
وفيه ذكر له ولا ينبغي إضافة جزاء إلى المثل لأن عليه جزاء المقتول لا جزاء مثله ولا جزاء عليه لمثل المقتول الذي لم يقتله ولا يجوز أن يكون قوله
من النعم على هذه القراءة متعلقا بالمصدر كما جاز أن يكون الجار متعلقا به في قوله جزاء سيئة بمثلها لأنك قد وصفت الموصول وإذا وصفته
لم يجز أن تعلق به بعد الوصف شيئا كما أنك إذا عطفت عليه أو أكدته لم يجز أن يتعلق به شيء بعد العطف عليه والتأكيد له فأما في قراءة من أضاف
الجزاء إلى مثل فإن قوله من النعم يكون صفة للجزاء كما كان في قول من نون ولم يضف صفة له ويجوز فيه وجه آخر لا يجوز في قول من نون وهو
أن تقدره متعلقا بالمصدر ولا يجوز على هذا القول أن يكون فيه ذكر كما يتضمن الذكر لما كان صفة وإنما جاز تعلقه بالمصدر على قول من أضاف لأنك لم

تضيف الموصول كما وصفته في قول من نون فيمتنع تعلقه به وطاس اضاف الجزاء الى مثل فانه وان كان عليه جزاء المقتول لا جزاء مثله فانهم قد يقولون
انا اكرم مثلك يريدون انا اكرمك فلذلك اذا قال فجزاء مثل ما قتل فالمراد جزاء ما قتل واذا كان كذلك كانت الاضافة في المعنى كغير الاضافة ولو قدرت
الجزاء تقدير المصدر فاضفته الى المثل كما تضيف المصدر الى المفعول به لكان جائزا في قول من جر مثلا على الاتساع الذى ذكرنا الا ترى ان المعنى فجزاء
مثل ما قتل على ما قرأه ابو عبد الرحمن اى يجازى مثل ما قتل ومثله قول الشاعر بضرب بالسيوف ذو ومام ازال هامهن على المقيل لما نون
المصدر اعمله واما الوجه في قراءة من رفع طعام مساكين اى يجعله عطفا على الكفارة عطف بيان لان الطعام هو الكفارة ولم يضف الكفارة الى
الطعام ومن اضاف الكفارة الى الطعام فلانه لما خير المكلف بين ثلثة اشياء الهدى والطعام والصيام استجاز الاضافة لذلك فكانه قال
كفارة طعام لا كفارة هدى او صيام فاستقامت الاضافة واما ذو عدل فقد قال ابو الفتح فانه لم يوحد ذو لان الواحد يكفى لكنه اراد معنى من
اى يحكم به من يعدل ومن يكون للاثنين كما يكون للواحد كقوله نكن مثل من يا ذئب يصطحبان واقول ان هذا الوجه الذى ذكره ابن جنى
بعيد غير مفهوم وقد وجدت في تفسير اهل البيت منقولا عن السيدين عليهما السلم ان المراد بذى العدل رسول الله صلعم والولى الامر من بعده وكفى بهما حجة
القراءة خيرا بمعنى اللغة البلاء الاختبار والامتحان واصله اظهار باطن الحال ومنه البلاء النعمة لانه يظهر باطن حال المنعم عليه في الشكر
او الكفر والبلى الخلوقة لظهور تقادم العهد فيه والغيب ما غاب عن الحواس ومنه الغيبة وهو الذكر بظهر الغيب والحرم جمع حرام ورجل
حرام ومحرم بمعنى وحلال ومحل كذلك واحرم الرجل دخل في الشهر الحرام واحرم ايضا دخل الحرم واحرم اهل بالحج والحرم الاحرام ومنه الحديث
كنت اطيبه لحله وحرمه واصل الباب المنع وسميت النساء حرما لانها تمنع والمحروم الممنوع الرزق والمثل والمثل والشبه والشبه واحد والنعم في اللغة
هى الابل والبقر والغنم وان افردت الابل قيل لها نعم وان افردت البقر والغنم لم تسم نعما ذكره الزجاج قال الفراء العدل بفتح العين ما عادل الشئ من
غير جنسه والعدل بالكسر المثل تقول عندى عدل غلامك او شاتك اذا كانت شاة او غلاما يعدل غلاما فاذا اردت قيمته من غير جنسه فتحت فقلت
عدل وقال البصريون العدل والعدل في معنى المثل كان من الجنس او غير الجنس والوبال ثقل الشئ في المكروه ومنه قولهم طعام وبيل وماء وبيل
اذا كانا ثقيلين غير ناجعين في المال ومنه قوله تعالى فاخذناه اخذا وبيلا اى ثقيلا شديدا ويقال لخشبة القصار وبيل من هذا قال طرفة بن عبد
فمرت كهاة ذات خيف جلالة عقيلة شيخ كالوبيل يلندد الاعراب ليبلونكم هذه اللام لام القسم ومن في قوله من الصيد للتبعيض ويحتمل وجهين
احدهما ان يكون عنى صيد البر دون البحر والاخر ان يكون لما عنى الصيد ما دام في الاحرام وكان ذلك بعض الصيد ويجوز ان يكون من لتبيين الجنس
بالجنس كما تقول لا تتحمل بشئ من الورق اى لا تتحمل بالجنس الذى هو ورق كقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان والاوثان كلها رجس فالمعنى
اجتنبوا الرجس الذى هو وثن واراد بالصيد المصيد بدلالة قوله تناله ايديكم ورماحكم ولو كان الصيد مصدرا لكون معناه حدثا فلا يوصف بنيل
اليد والرمح وانما يوصف بذلك ما كان عينا وقوله بالغيب في محل النصب على الحال والمعنى من يخافه غائبا كما في قوله من خشى الرحمن بالغيب
ويخشون ربهم بالغيب وقوله وانتم حرم في موضع نصب على الحال هديا بالغ الكعبة منصوبا على الحال والمعنى مقدرا ان يهدى قال الزجاج قال و
بالغ الكعبة لفظه لفظ معرفة ومعناه النكرة اى بالغا الكعبة وحذف التنوين استخفافا واقول يعنى بذلك ان هذه الاضافة لفظية غير
محضة فيكون في تقدير الانفصال والمضاف اليه وان كان مجرورا في اللفظ فهو منصوب في المعنى لكن لما حذف التنوين في الاول طلبا للخفة انجر الثانى
في اللفظ وقوله صياما منصوب على التمييز المعنى ومثل ذلك من الصيام وقوله فينتقم الله منه فيه اضمار مقدر كانه قال ومن عاد فهو ينتقم الله منه
لان الفاء لا يدخل في جواب الشرط على الفعل اذا كان مستغنيا عن جزم الفعل ويكون موضع الفاء مع ما بعدها جزما المعنى لما تقدم في اول السورة تحريم
الصيد على المحرم مجملا بين سبحانه ذلك ههنا فقال يا ايها الذين امنوا خص المؤمنين بالذكر وان كان الكفار ايضا مخاطبين بالشرايع لانهم القابلون
لذلك المنتفعون به وقيل لانه لم يعتد بالكفار ليبلونكم الله اى ليختبرن الله طاعتكم من معصيتكم بشئ من الصيد اى بتحريم شئ من الصيد وانما بعض لانه
عنى صيد البر خاصة عن الكلبى وقد ذكرنا فيما قبل معنى ومعنى الاختبار من الله تعالى ان يامر وينهى ليظهر المعلوم ويصح الجزاء قال اصحاب المعانى
امتحن الله امة محمد صلعم بصيد البر كما امتحن امة موسى بصيد البحر تناله ايديكم ورماحكم فيه اقوال احدها ان المراد تحريم صيد البر والذى تناله
الايدى فراخ الطير وصغار الوحش والبيض والذى تناله الرماح الكبار من الصيد عن ابن عباس ومجاهد وهو المروى عن ابى جعفر عليه السلم وثانيها
ان المراد به صيد الحرم تناله بالايدى والرماح لانه يانس بالناس ولا ينفرون فيه كما ينفر في الحل وذلك اية من ايات الله عن ابى على الجبائى وثالثها

ان المراد

ان المراد به ما قرب من الصيد وما بعد ليعلم الله من يخافه بالغيب معناه ليعاملكم معاملة من يطلب ان يعلم ظاهرة في العدل وقيل ليظهر المعلوم وهو ان
يخاف بظهر الغيب فينتهى عن صيد الحرم طاعة له سبحانه وقيل ليعلم وجود خوف من يخافه بالوجود لانه لم يزل عالما بانه سيخاف فاذا وجد الخوف علم ذلك حقيقة
وهما معلوم واحد وان اختلفت العبارة عنه في الحدوث انما يحمل على الخوف لا على العلم وقوله بالغيب معناه في حالة الخلوة والتفرد وقيل معناه ان يخشى
عقابه اذا توارى بحيث لا يقع عليه الحس عن الحسن وقال ابو القاسم البلخى ان الله تعالى وان كان عالما بما يفعلونه فيما لم يزل فانه لا يجوز ان يثيبهم ولا
يعاقبهم على ما يعلم منهم وانما يستحقون ذلك اذا علم واقعا منهم على الوجه الذى كلفهم عليه فاذا لا بد من التكليف والابتلاء فمن اعتدى بعد ذلك
اى من تجاوز حد الله وخالف امره بالصيد في الحرم وفي حال الاحرام فله عذاب اليم اى مولم ثم ذكر سبحانه عقيب ذلك ما يجب على هذا الاعتدا من الجزاء
فقال يا ايها الذين امنوا لا تقتلوا الصيد اختلف في المعنى بالصيد فقيل هو كل الوحش اكل او لم يوكل وهو قول اهل العراق واستدلوا بقول على عليه السلم صيد
الملوك ثعالب وارانب واذا ركبت فصيدى الابطال وهو مذهب اصحابنا رض وقيل ما يوكل لحمه وهو قول الشافعى وانتم حرم اى وانتم محرمون
بحج او عمرة وقيل معناه وانتم في الحرم قال الجبائى الاية تدل على تحريم قتل الصيد على الوجهين معا وهو الصحيح وقال على بن عيسى يدل على الاحرام بالحج
والعمرة فقط ومن قتله منكم متعمدا قيل هو ان يتعمد القتل ناسيا للاحرام عن الحسن ومجاهد وابن زيد وابن جريج وابرهيم قالوا فاما اذا تعمد القتل
ذاكرا للاحرام فلا جزاء فيه لانه اعظم من ان يكون له كفارة وقيل هو ان يتعمد القتل وان كان ذاكرا للاحرام عن ابن عباس وعطا والزهرى وهو قول
اكثر الفقهاء فاما اذا قتل الصيد خطا او ناسيا فهو كالمتعمد في وجوب الجزاء عليه وهو مذهب عامة اهل التفسير والعلم وهو المروى عن ائمتنا عليهم السلم
قال الزهرى نزل القران بالعمد وجرت السنة في الخطا فجزاء مثل ما قتل من النعم قد ذكرنا معناه في القراءتين قال الزجاج ويجوز ان يكون المعنى
فجزاء ذلك الفعل مثل ما قتل فيكون جزاء مبتدا ومثل خبره واختلف في هذه المماثلة اهى في القيمة او الخلقة فالذى عليه معظم اهل العلم ان المماثلة
معتبرة في الخلقة ففى النعامة بدنة وفى حمار الوحش وشبهه بقرة وفى الظبى والارنب شاة وهو المروى عن ائمة اهل البيت عليهم السلم وهو قول
ابن عباس والحسن ومجاهد والسدى وعطا والضحاك وغيرهم وقال ابرهيم النخعى تقوم الصيد قيمة عادلة ثم يشترى بثمنه مثله من النعم فاعتبر
المماثلة بالقيمة والصحيح القول الاول يحكم به ذوا عدل منكم قال ابن عباس يريد يحكم في الصيد بالجزاء رجلان صالحان منكم اى من اهل ملتكم
ودينكم فقيهان عدلان فينظران الى اشبه الاشياء به من النعم فيحكمان به هديا بالغ الكعبة اى يهديه هديا يبلغ الكعبة قال ابن عباس يريد
اذا اتى مكة ذبحه وتصدق به وقال اصحابنا ان كان اصاب الصيد وهو محرم بالعمرة ذبح جزاءه او نحره بمكة قبالة الكعبة وان كان محرما
بالحج ذبحه او نحره بمنى او كفارة طعام مساكين قيل في معناه اقوال احدها ان يقوم عدله من النعم ثم يجعل قيمته طعاما ويتصدق به عن عطا وهو الصحيح و
الاخر ان يقوم الصيد المقتول حيا ثم يجعل طعاما عن قتادة او عدل ذلك صياما وفيه ايضا قولان احدهما ان يصوم عن كل مد يقوم من الطعام
يوما عن عطا وهو مذهب الشافعى والاخر ان يصوم عن كل مدين يوما وهو المروى عن ائمتنا عليهم السلم وهو مذهب ابى حنيفة واختلفوا في هذه
الكفارات الثلث فقيل انها مرتبة عن ابن عباس والشعبى والسدى قالوا وانما دخلت او لانه لا يخرج حكمه عن احدى الثلث وقيل انها على التخيير عن ابن
عباس في رواية اخرى وعطا والحسن وابرهيم وهو مذهب ابى حنيفة والشافعى وكلا القولين رواه اصحابنا ليذوق وبال امره اى عقوبة ما فعله في
الحرم ان لم يتب وقيل معناه ليذوق وخامة عاقبة امره وثقله بما يلزمه من الجزاء وان سال سائل فقال كيف يسمى الجزاء وبالا وانما هى
عبادة واذا كانت عبادة فهى نعمة ومصلحة فالجواب ان الله سبحانه شدد عليه التكليف بعد ان عصاه فثقل عليه ذلك كما حرم الشحم
على بنى اسرائيل لما اعتدوا في السبت فثقل ذلك عليهم وان كان مصلحة لهم عفا الله عما سلف من امر الجاهلية عن الحسن وعطا وقيل عفا
الله عما سلف من الدفعة الاولى في الاسلام اى قبل التحريم ومن عاد فينتقم الله منه اى من عاد الى قتل الصيد محرما فان الله سبحانه يكافيه
عقوبة بما صنع واختلف في لزوم الجزاء بالمعاودة فقيل انه لا جزاء عليه عن ابن عباس والحسن وهو الظاهر في روايات اصحابنا وقيل انه
يلزم الجزاء عن عطا وسعيد بن جبير وابرهيم وبه قال بعض اصحابنا والله عزيز ذو انتقام معناه قادر غالب ذو انتقام ينتقم ممن يتعدى امره
ويرتكب نهيه قوله تعالى احل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما واتقوا الله الذى اليه تحشرون
اللغة البحر جمع المياه والعرب تسمى النهر بحرا ومنه قوله ظهر الفساد في البر والبحر والاغلب على البحر ان يكون ماؤه ملحا ولكن
اذا اطلق دخل فيه الانهار والسيارة المسافرون الاعراب متاعا نصب على المصدر لان قوله احل لكم يدل على انه قد متعهم به كما انه لما

حرمت عليكم اتبعها ثم كان دليلا على انه كتب عليهم فقال كتاب الله عليكم **المعنى** ثم بين سبحانه ما يحل من الصيد وما لا يحل فقال احل لكم صيد البحر اي ابيح لكم
صيد الماء وانما احل بهذه الاية الطري من صيد البحر لان العتيق لا خلاف في كونه حلالا عن ابن عباس وزيد بن ثابت وسعيد بن جبير وسعيد بن المسيب
وقتاده ومجاهد وطعامه يعني طعام البحر ثم اختلف فيه فقيل يريد به ما قذفه البحر ميتا عن ابن عباس وابن عمر وقتاده وقيل يريد به المملوح عن ابن عباس
في رواية اخرى وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير ومجاهد وهو الذي يليق بمذهبنا وانما سمي طعاما لانه يدخر ليطعم فصار كالمقتات من الاغذية فيكون
المراد بصيد البحر الطري وطعامه المملوح لان عندنا لا يجوز اكل ما يقذف به البحر ميتا المحرم ولغير المحرم وقيل المراد بطعامه ما ينبت بريه من الزرع والثمار
متاعا لكم وللسياره قيل معناه منفعة للمقيم والمسافر عن قتاده والحسن وابن عباس وقيل لاهل الامصار واهل القرى وقيل للمحل والمحرم وحرم عليكم صيد
البر ما دمتم حرما هذا يقتضي تحريم الاصطياد في حال الاحرام وتحريم الاكل لما صاده الغير وبه قال علي ع وابن عباس وابن عمر وسعيد بن جبير وقيل ان
لحم الصيد لا يحرم على المحرم اذا صاده غيره عن عمر وعثمن والحسن والصيد قد يكون عبارة عن الاصطياد فيكون مصدرا ويكون عبارة عن المصيد فيكون
اسما فيجب حمل الاية على الامرين وتحريم الجميع فاتقوا الله الذي اليه تحشرون هذا امر منه تعالى بان يتقي جميع معاصيه ويجتنب جميع محارمه لانا اليه
نرجع في الوقت الذي لا يملك احد فيه ضرا ولا نفعا سواه وهو يوم القيمة فيجازي المحسن باحسانه والمسيء باساءته **قوله تعالى** جعل الله الكعبة
البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض وان الله بكل شيء عليم آية
القراءه قرا ابن عامر وحده قيما للناس بغير الف والباقون بالالف **الحجه** القيام مصدر كالصيام والعياذ واما القيم فيجوز ان يكون مصدرا
كالشبع ويجوز ان يكون حذف الالف من القيام كما يقصر الممدود وهذا انما يجوز في الشعر دون حال السعة واذا كان مصدرا فانما اعل ولم يصحح كما
صحح العوض والحول لان المصدر يعل اذا اعتل فعله لان المصدر يجري على فعله فاذا صح حرف العلة في الفعل صح في مصدره نحو اللواذ والجوار واذا
اعتل في الفعل اعتل في مصدره نحو الصيام والقيام **اللغه** سميت الكعبة كعبة لتربيعها وانما قيل لمربع كعبة لنتوه وابانه المربع والكعوب النتو
ومنه كعب الانسان لنتوه وكعبت المراة اذا نتا ثديها وكعبت بعناه (?) والعرب تسمي كل بيت مربع كعبة وقيل سميت كعبة لانفرادها من البنيان
ايضا يرجع الى الاول لان المنفرد من البنيان كعبة لنتوه من الارض قال الزجاج والبيت الحرام سمي بذلك لان الله حرم ان يصاد عنده وان يعضد
شجره وان يختلى خلاه ولانه عظم حرمته وفي الحديث مكتوب في اسفل المقام اني انا الله ذو بكة حرمتها يوم خلقت السموات والارض ويوم وضعت هذين
الجبلين وحففتها بسبعة املاك حنفاء من جاءني زائرا لهذا البيت عارفا بحقه مذعنا لي بالربوبية حرمت جسده على النار **المعنى** لما ذكر سبحانه حرمة
الحرم عقبه بذكر البيت الحرام والشهر الحرام فقال جعل الله الكعبة البيت الحرام اي جعل الله حج الكعبة او نصب الكعبة قياما للناس اي لمعاش الناس
ومكاسبهم لانه مصدر قاموا كان المعنى قاموا بنصبه ذلك لهم فاستتبت معايشهم واستقامت احوالهم به لما يحصل لهم في زيارتها من التجارة وانواع البركة
ولهذا قال سعيد بن جبير من اتى هذا البيت يريد شيئا للدنيا والاخرة اصابه وهو المروي عن ابي عبد الله ع وقال ابن عباس معناه جعل الله الكعبة امنا
للناس بها يقومون اي يامنون ولولاها لفنوا وهلكوا وما قاموا وكان اهل الجاهلية يامنون به فلو لقي الرجل قاتل ابيه وابنه في الحرم ما قتله وقيل
ان معنى قوله قياما للناس انهم لو تركوا عاما واحدا لا يحجونه ما نوظروا ان يهلكوا عن عطا ورواه علي بن ابرهيم عنهم عليهم السلام قال ما دامت الكعبة يحج
الناس اليها لم يهلكوا فاذا هدمت وتركوا الحج هلكوا والشهر الحرام يعني الاشهر الحرم الاربعة واحد فرد وثلثة سرد فالفرد رجب والسرد ذو القعدة
وذو الحجة والمحرم وانما خرج مخرج الواحد لانه ذهب به مذهب الجنس وهو عطف على المفعول الاول لجعل كانه قال جعلت زيدا منطلقا وعمرا والهدي
والقلائد مر ذكرها في اول السورة وانما ذكر هذه الجملة بعد ذكر البيت لانها من اسباب حج البيت فدخل في جملته وذكرت معه وكان اهل الجاهلية لا يغزون
في الشهر الحرم وكانوا ينصلون فيها الاسنة ويتدع (?) الناس فيها الى معايشهم وكان الرجل يقلد بعيره او نفسه قلادة من لحاء شجر الحرم فلا يخاف وكانوا
قد توارثوه من دين اسمعيل فبقوا عليه حتى انقض الله لخلقه الى ان قام الاسلام فحجزهم عن البغي والظلم قال ابو بكر بن الانباري فتحصل في الاية طريقان
احدهما ان الله تعالى امتن على المسلمين بان جعل الكعبة صلاحا لدينهم ودنياهم وقياما لها والثاني انه اخبر عما فعل من امر الكعبة في الجاهلية ذلك لتعلموا ان
الله يعلم ما في السموات وما في الارض وان الله بكل شيء عليم قد اعترض على هذا فقيل اي تعلق لهذا بقوله جعل الله الكعبة الاية والجواب عنه من وجوه
احدها ان في ما جعل الله تعالى في البلد الحرام والشهر الحرام من الايات والاعاجيب دلالة على انه تعالى لا يخفى عليه شيء وذكر انه جعل الحرم امنا يسكن فيه
كل شيء فالظبي يانس فيه بالسبع والذئب ما دام في الحرم واذا اخرج من الحرم خاف وطلبه السبع وهرب منه الظبي حتى يرجع الى الحرم فاذا رجع اليه كف عنه

السبع وكذلك الطير والحمام يانس بالانسان فاذا اخرج من الحرم خاف مع امور كثيرة وعجايب شهيرة ذكرنا بعضها في آل عمران عند قوله فيه آيات بينات
فيكون ما دبره الله سبحانه من ذلك دالا على انه عالم بمصالح الخلق وبكل شيء وثانيها انه سبحانه علم ان العرب يكونون اصحاب غارات وطوائل وانهم
يكونون حول الكعبة فلما خلق السموات والارض جعل الكعبة موضع امن وعظم حرمتها في القلوب وبقيت تلك الحرمة الى يومنا هذا فلولا كونه سبحانه عالما
بالاشياء قبل كونها لما كان هذا التدبير وفقا للصلاح وثالثها انه تعالى لما اخبر في هذه السورة بقصة عيسى ع وموسى ع والتورية والانجيل وما فيهما من
الاحكام والاخبار وذلك كله مما لم يشاهده نبينا صلعم ولا احد في عصره قال فيما بعد ذلك ليعلموا ان الله تعالى يعلم ومعناه لولا انه سبحانه بكل شيء عليم لما
جاز ان يخبركم منهم فقوله ذلك اشارة الى ما انباهم به من علم الغيب والعلم بالكائنات **قوله تعالى** اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم
ما على الرسول الا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون آيتان **اللغه** العلم ما اقتضى سكون النفس وان شئت قلت هو اعتقاد الشيء على ما هو
به مع سكون النفس الى ما اعتقده والاول اوجز ولا يجوز ان تحد العلم بالمعرفة لان المعرفة هي العلم فكيف يحد الشيء بنفسه والعلم تبين الشيء على ما
هو به وكذلك الروية والفرق بينهما ان العلم يتعلق بالمعلوم على وجوه والروية لا تتعلق بالموجود الا على وجه واحد والعلم معنى يحل القلب والروية
ليست معنى على الحقيقة لكن للرائي صفة بكونه رائيا والعقاب هو الضرر المستحق المقارن للاستخفاف والاهانة ولو اقتصرت على ان تقول هو الضرر
المستحق لكان كافيا وكذلك لو قلت هو الضرر الذي يقارنه استخفاف واهانة لكفى وانما سمي عقابا لانه يستحق عقيب الذنب الواقع من صاحبه
والمغفرة هي ستر الخطيئة برفع عقابها واصل الرسول من الارسال وهو الاطلاق يقال ارسل الطير اذا اطلقه وترسل في القراءة اذا اتئد فيها واصل
استرسل الشيء اذا اسلس والرسل اللبن لارساله من الضرع والفرق بين الارسال والانباء ان الانباء عن الشيء قد يكون من غير تحميل النبا والارسال
لا يكون الا بتحميل الرسالة والبلاغ وصول المعنى الى غيره وهو هنا وصول الانذار الى نفوس المكلفين واصل البلاغ البلوغ ومنه البلاغة وهي ايصال
المعنى الى النفس في احسن صورة من اللفظ والبلاغ الكفاية لانه يبلغ مقدار الحاجة **المعنى** لما تقدم بيان الاحكام عقبه سبحانه بذكر الوعد والوعيد
فقال اعلموا ان الله شديد العقاب لمن عصاه وان الله غفور رحيم لمن تاب واناب واطاع وجمع بين المغفرة والرحمة ليعلم انه لا يقتصر على وضع العقاب
عنه بل ينعم عليه بفضله فلما انذر وبشر في هذه الاية عقبها بقوله ما على الرسول الا البلاغ اي ليس على الرسول الا اداء الرسالة وبيان الشريعة فاما القبول
والامتثال فانه يتعلق بالمكلفين المبعوث اليهم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون اي لا يخفى عليه شيء من احوالكم التي تظهرونها وتخفونها وفيه غاية
الزجر والتهديد وفي قوله سبحانه اعلموا ان الله شديد العقاب دلالة على وجوب معرفة العقاب والثواب لكونهما لطفا في باب التكليف **قوله تعالى**
لا يستوي الخبيث والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا اولي الالباب لعلكم تفلحون آية **اللغه** الاستواء على اربعة اقسام استواء في المقدار
واستواء في المكان واستواء في الذهاب واستواء في الانفاق والاستواء بمعنى الاستيلاء راجع الى الاستواء في المكان لانه تمكن واقتدار والخبيث اصله
الردي ماخوذ من خبث الحديد وهو رديه بعد ما تخلص بالنار جيده فالحديد امتزاج جيده برديه والاعجاب سرور بما يتعجب منه والعجب والاعجاب والتعجب
من اصل واحد والعجب مذموم لانه كبر يدخل على النفس بحال يتعجب منها وعجب الذنب اصله ومجبوب الرحل واخره لانفراده عن جملته كانفراد ما يتعجب
منه **المعنى** لما بين سبحانه الحلال والحرام بين انهما لا يستويان فقال سبحانه قل يا محمد لا يستوي اي لا يتساوى الخبيث والطيب اي الحلال والحرام عن
الحسن والجبائي وقيل الكافر والمؤمن عن السدي ولو اعجبك ايها السامع او ايها الانسان كثرة الخبيث اي كثرة ما تراه من الحرام لانه لا يكون في الكثير
من الحرام بركة ويكون في القليل من الحلال بركة وقيل ان الخطاب للنبي صلعم والمراد غيره فاتقوا الله اي فاجتنبوا ما حرم الله عليكم يا اولي الالباب يا ذوي
العقول لعلكم تفلحون اي لتفلحوا وتفوزوا بالثواب العظيم والنعيم المقيم **قوله تعالى** يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم
وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفور حليم آية **اللغه** ابدى الشيء اذا اظهره وبدا يبدو بدوا اذا ظهر وبدا له بداء
اذا تغير رايه لانه ظهر له والبادية خلاف الحاضرة والبدو خلاف الحضر من الظهور ومنه قوله تعالى وبدا لهم سيئات ما عملوا وبدا لهم من الله
ما لم يكونوا يحتسبون ولم يجيء في اقوال العرب البداء بمعنى الندامة وتغير الراي واذا كان لفظ البداء يطلق على الله سبحانه فالمراد به الارادة والظهور
دون ما يظن قوم من الجهال وعليه يشهد اقوال العرب واشعارهم فمن ذلك قولهم بدا للشمس من زهده من كذب حتى احتم ولد في غير صماء وامثال
ذلك والله اعلم **الاعراب** اشياء في موضع جر الا انها فتحت لانها لا تنصرف قال الكسائي اشبه آخرها آخر حمراء وكثر استعمالها فلم تصرف وقد اجمع
البصريون على ان قوله هذا خطأ والزموه ان لا يصرف ابناء واسماء قال الخليل ان اشياء اسم الجمع كان اصله شيئاء على فعلاء مثل الطرفاء والقصباء

٢٩٦

والحلفاء فى انها على لفظ الاحاد والمراد الجمع فاستثقلت الهمزتان بينهما الف وليس بحاجز قوى لانه ساكن ومن جنس الهمزة المنقلبة عنها اذا حركت
فقدموا الهمزة التى هى لام الفعل الى اول الكلمة فقالوا اشياء ووزنها لفعاء كما قالوا انوق اينق وفى قووس قسى وهو مذهب سيبويه والمازنى وجميع البصريين
قالوا والدلالة على ان اشياء اسم مفرد ما روى من تكسيرها على اشاوى كما كسروا صحراء على صحارى حيث كانت مثلها فى الافراد وقال الاخفش ابو الحسن سعيد بن
مسعدة والفراء اصل اشياء اشيئاء على افعلاء فحذفت الهمزة التى هى لام كما حذفت من قولهم سواية حيث قالوا سواية ولزم حذفها فى افعلاء لامرين احدهما
تقارب الهمزة واذا كانوا قد حذفوا الهمزة مفردة فاذا تكررت لزم الحذف والاخر ان الكلمة جمع وقد يستثقل فى الجمع ما لا يستثقل فى الاحاد فوزن اشياء على
هذا القول افعاء وذكروا ان المازنى ناظر الاخفش فى هذا الباب فقال كيف تصغر اشياء فقال اشياء فقال له لو كانت افعلاء لردت فى التصغير الى واحدها
فقيل شييات كما قالوا فى تصغير اصدقاء صديقات فقطع الاخفش واجاب غيره عن ابى على الفارسى فقال ان افعلاء فى هذا الموضع جاز تحقيرها وان لم تحقر فى
غير هذا الموضع لانها صارت بدلا من افعال بدلالة استجازتهم اضافة العدد القليل اليها كما اضيف الى افعال ويدل على كونها بدلا من افعال تذكيرهم العدد
المضاف اليها نحو ثلاثة اشياء فجاز تصغيرها كما يجوز تصغير افعال وقوله ان تبد لكم تسؤكم جملة شرطية فى موضع جر لكونها صفة لاشياء النزول
اختلف فى نزولها فقيل سأل الناس رسول الله ص حتى احفوه بالمسألة فقام مغضبا خطيبا وقال سلونى فوالله لا تسألونى عن شىء الا بينته لكم فقام
رجل من بنى سهم يقال له عبد الله بن حذافة وكان يطعن فى نسبه فقال يا نبى الله من ابى قال ابوك حذافة بن قيس فقام اليه رجل اخر فقال يا رسول الله
اين ابى قال فى النار فقام عمر بن الخطاب وقبل رجل رسول الله ص فقال انا يا رسول الله حديثو عهد بجاهلية وشرك فاعف عنا يا رسول الله
عفا الله عنك فسكن غضبه فقال اما والذى نفسى بيده لقد صورت لى الجنة والنار انفا فى عرض هذا الحائط فلم ار كاليوم فى الخير والشر عن الزهرى
وقتادة عن انس وقيل كان قوم يسألون رسول الله ص استهزاء مرة وامتحانا مرة فيقول له بعضهم من ابى ويقول الاخر اين ابى ويقول الاخر اذا
ضلت ناقته اين ناقتى فانزل الله عز وجل هذه الاية عن ابن عباس وقيل خطب رسول الله ص فقال ان الله كتب عليكم الحج فقام عكاشة بن محصن
ويروى سراقة بن مالك وقال افى كل عام يا رسول الله فاعرض عنه حتى عاد مرتين او ثلثا فقال رسول الله ويحك وما يؤمنك ان اقول نعم والله
لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم ولو تركتم لكفرتم فاتركونى ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم
فاذا امرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شىء فاجتنبوه عن على بن ابى طالب عليه السلم وابى امامة الباهلى وقيل نزلت حين سألوا رسول الله
ص عن البحيرة والسائبة والوصيلة والحام عن مجاهد المعنى يا ايها الذين امنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم خاطب الله المؤمنين
ونهاهم عن المسألة عن اشياء لا يحتاجون اليها فى الدين اذا ابديت واظهرت ساءت وحزنت وذلك نحو ما مضى ذكره من الرجل الذى سأل عن
ابيه واشباه ذلك من امور الجاهلية وقيل ان تقديره لا تسألوا عن اشياء عفا الله عنها ان تبد لكم تسؤكم فقدم واخر فعلى هذا يكون قوله عفا الله
عنها صفة لاشياء ايضا ومعناه كف الله عن ذكرها ولم يوجب فيها حكما وكلام الزجاج يدل على هذا لانه قال اعلم الله عز وجل ان السؤال عن مثل
هذا الجنس لا ينبغى ان يقع فانه اذا ظهر فيه الجواب ساء ذلك وخاصة فى وقت سؤال النبى ص على جهة تبيين الايات فنهى الله عز وجل عن ذلك
واعلم انه قد عفا عنها ولا وجه لمسألة ما عفا الله عنه ولعل فيه فضيحة على السائل ان ظهر والى هذا المعنى اشار امير المؤمنين على عليه السلم فى قوله ان
الله تعالى افترض عليكم فرائض فلا تضيعوها وحد لكم حدودا فلا تعتدوها ونهاكم عن اشياء فلا تنتهكوها وسكت لكم عن اشياء ولم يدعها نسيانا
فلا تكلفوها وقال مجاهد كان ابن عباس اذا سئل عن الشىء لم يجئ فيه اثر يقول هو من العفو ثم يقرأ هذه الاية وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن
تبد لكم معناه وان الححتم وسألتم عنها عند نزول القران اظهر لكم جوابها اذا لم تقصدوا التعنت على [illegible] فلا تتكلفوا السؤال عنها فى الحال وقيل
معناه وان تسألوا عن اشياء حين ينزل القران تحتاجون اليها فى الدين من بيان مجمل ونحو ذلك تكشف لكم وهذه الاشياء غير الاشياء الاولى
الا انه قال وان تسألوا عنها لانه كان قد سبق ذكر الاشياء وقيل ان الهاء راجعة الى الاشياء الاولى فبين لهم انكم ان سألتم عنها حين نزول
القران فى الوقت الذى يأتيه الملك بالقران يظهر لكم ما يسوءكم [illegible] فى ذلك الوقت فلا تسألوه ودعوه مستورا ثم قال عفا الله عنها
اى عفا الله من شيعة سؤالكم ويكون تقديره عفا الله عن مسألتكم التى سلفت منكم مما كرهه النبى ص لانه غفور حليم فلا تعودوا الى مثلها وهذا
قول ابن عباس فى رواية عطا واما على ما ذكرناه من قوله عفا الله عنها على التقديم فيكون تقدير الاية لا تسألوا عن اشياء ترك الله ذكرها و
بيانها لانكم لا تحتاجون اليها فى التكليف ان تظهر لكم تحزنكم وتغمكم وقال بعضهم انها نزلت فيما سألت الامم انبياءها من الايات ونحوها الاية

التى بعدها النظم قيل فى اتصال هذه الاية بما قبلها وجوه احدها انه يتصل بقوله لعلكم تفلحون لان من الفلاح ترك السؤال عما لا يحتاج اليه وثانيها
انه يتصل بقوله ما على الرسول الا البلاغ المبين فانه يبلغ ما فيه المصلحة فلا تسألوه عما يغنيكم وثالثها انه يتصل بقوله والله يعلم ما تبدون وما
تكتمون اى لا تظهروه وتسألوه فتظهر سرائركم قوله تعالى قد سألها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة و
لا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب واكثرهم لا يعقلون ايتان اللغة البحر الشق وبحرت اذن الناقة ابحرها بحرا
اذا شققتها شقا واسعا والناقة بحيرة وهى فعيلة بمعنى المفعول مثل النطيحة والذبيحة واصل الباب السعة ومنه البحر لسعته وفرس بحر واسع
الجرى وفى الحديث انه قال على عليه السلم لفرس له وجدته بحرا والسائبة فاعلة من ساب الماء اذا جرى على وجه الارض ويقال سيبت الدابة اى تركتها
تسيب حيث شاءت وقيل للعبد يعتق ولا ولاء عليه لمعتقه سائبة لانه يضع ماله حيث شاء واصله التخلية وهى المسيبة اخذت من قولهم سيبت
الحية وانسابت اذا مضت مسترسلة والوصل نقيض الفصل ولعن رسول الله ص الواصلة وهى التى تصل شعر المرأة بشعر اخر فالوصيلة بمعنى الموصولة
كانها وصلت بغيرها ويجوز ان يكون بمعنى الواصلة لانها وصلت اخاها وهذا اظهر فى الاية وانشد اهل اللغة فى البحيرة محرمة لا يأكل الناس
لحمها ولا نحن فى شىء كذاك البحائر وانشدوا فى السائبة وسائبة لله مالى تشكرا ان الله عافى عامرا ومجاشعا وانشدوا فى الوصيلة لتأبط شرا
اجدك ما كنت فى الناس ناعقا تراعى بأعلى ذى المجاز الوصائلا وانشدوا فى الحامى حماها ابو قابوس فى غير كنهه كما قد حمى اولاد اولاده الفحلا
المعنى ثم اخبر سبحانه ان قوما سألوا مثل سؤالهم فلما اجيبوا اليها سألوا كفروا فقال قد سألها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين وفيه اقوال احدها
انهم قوم عيسى ع سألوه انزال المائدة ثم كفروا بها عن ابن عباس وثانيها انهم قوم صالح سألوه الناقة ثم عقروها وكفروا بها وثالثها انهم قريش حين
سألوا النبى ص ان يحول الصفا ذهبا عن السدى ورابعها انهم كانوا سألوا النبى ص عن مثل هذه الاشياء يعنى من ابى ونحوه فلما اخبرهم بذلك
قالوا ليس الامر كذلك فكفروا به فيكون على هذا نهيا عن سؤال النبى ص عن انساب الجاهلية لانهم لو سألوا عنها ربما ظهر الامر فيها على خلاف
حكمهم فيحملهم ذلك على تكذيبه عن ابى على الجبائى فان قيل ما الذى يجوز ان يسأل عنه وما الذى لا يجوز فالجواب ان الذى يجوز السؤال عنه
هو ما يجوز العمل عليه فى الامور الدينية والدنيوية وما لا يجوز العمل عليه فى امور الدين والدنيا لا يجوز السؤال عنه فعلى هذا لا يجوز ان يسأل
الانسان من ابى لان الشريعة قد قضت ان يحكم على كل من ولد على فراش انسان بانه ولده وان لم يكن مخلوقا من مائه فالمسألة بخلاف ذلك سفه
لا يجوز ثم ذكر سبحانه الجواب عما سألوا عنه وقيل انما تقدم ذكر الحلال والحرام بين حال ما يعتقده اهل الجاهلية من ذلك فقال ما جعل الله من
بحيرة يريد ما حرمها على ما حرمها اهل الجاهلية ولا امر بها والبحيرة هى الناقة التى كانت اذا نتجت خمسة ابطن وكان اخرها ذكرا بحروا اذنها
وامتنعوا من ركوبها ونحرها ولا تطرد عن ماء ولا تمنع من مرعى واذا لقيها المعيى لم يركبها عن الزجاج وقيل انهم كانوا اذا نتجت الناقة خمسة ابطن
نظروا الى البطن الخامس فان كان ذكرا نحروه فاكلت الرجال والنساء جميعا وان كانت انثى شقوا اذنها فتلك البحيرة ثم لا يجز لها وبر ولا يذكر
عليها اسم الله ان ركبت ولا حمل عليها وحرم على النساء ان يذقن من لبنها شيئا ولا ان ينتفعن بها وكان لبنها ومنافعها للرجال خاصة دون النساء
حتى تموت فاذا ماتت اشترك الرجال والنساء فى اكلها عن ابن عباس وقيل ان البحيرة بنت السائبة عن محمد بن اسحق والسائبة وهى ما كانوا
يسيبونه فان الرجل اذا نذر لقدوم من سفر او برء من علة وما اشبه ذلك قال ناقتى سائبة فكانت كالبحيرة فى ان لا ينتفع بها وان لا تخلى عن ماء
ولا يمنع من مرعى عن الزجاج وهو قول علقمة وقيل هى التى تسيب للاصنام اى تعتق لها وكان الرجل يسيب من ماله ما يشاء فيجىء به الى السدنة
وهم خدم الهتهم فيطعمون من لبنها ابناء السبيل ونحو ذلك عن ابن عباس وابن مسعود وقيل ان السائبة هى الناقة اذا تابعت بين عشر اناث
ليس فيهن ذكر سيبت فلم يركبوها ولم يجزوا وبرها ولم يشرب لبنها الا ضيف فما نتجت بعد ذلك من انثى شقوا اذنها ثم يخلى سبيلها مع امها وهى البحيرة
عن محمد بن اسحق والوصيلة هى فى الغنم كانت الشاة اذا ولدت انثى فهى لهم واذا ولدت ذكرا جعلوه لالهتهم فان ولدت ذكرا وانثى قالوا وصلت
اخاها فلم يذبحوا الذكر لالهتهم عن الزجاج وقيل كانت الشاة اذا ولدت سبعة ابطن فاذا كان السابع جديا ذبحوه لالهتهم ولحمه للرجال دون النساء
وان كان عناقا استحيوها وكانت من عرض الغنم وان ولدت فى البطن السابع جديا وعناقا قالوا ان الاخت وصلت اخاها فحرمته علينا
فحرما جميعا فكانت المنفعة واللبن للرجال دون النساء عن ابن مسعود ومقاتل وقيل الوصيلة الشاة اذا اتأمت عشر اناث فى خمسة ابطن ليس
فيها ذكر جعلت وصيلة فقالوا قد وصلت فكان ما ولدت بعد ذلك للذكور دون الاناث عن محمد بن اسحق والحام وهو الذكر من الابل كانت

٢٩٧

العرب اذا انتجت من صلب الفحل عشرة ابطن قالوا قد حمى ظهره فلا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى عن ابن عباس وابن مسعود وهو قول ابى
عبيدة والزجاج وقيل انه الفحل اذا لقح ولد ولده قيل حمى ظهره فلا يركب عن الفراء اعلم الله انه لم يحرم من هذه الاشياء شيئا وقال المفسرون
روى ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم ان عمرو بن لحى بن قمعة بن خندف كان قد ملك مكة وكان اول من غير دين اسمعيل عم فاتخذ الاصنام ونصب الاوثان
وبحر البحيرة وسيب السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحامى قال رسول الله فلقد رايته فى النار يؤذى اهل النار ريح قصبه ويروى يجر قصبه
فى النار ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب هذا اخبار منه سبحانه ان الكفار يكذبون على الله بادعائهم ان هذه الاشياء من فعل
الله تعالى وامره وان اكثرهم لا يعقلون حصل الاكثر بانهم لا يعقلون لانهم اتباع فهم لا يعقلون ان ذلك كذب وافتراء كما يعقله الرؤساء عن
قتادة والشعبى وقيل معناه ان اكثرهم لا يعقل ما حرم عليهم وما حلل لهم يعنى ان المعاند هو الاقل منهم عن ابى على الجبائى وفى هذه الاية دلالة
على بطلان مذهب المجبرة لانه سبحانه نفى ان يكون جعل البحيرة وغيرها وعندهم انه سبحانه هو الجاعل لذلك والخالق له ثم بين ان هؤلاء قد كفروا
بهذا القول وافتروا على الله الكذب بان اضافوا اليه ما ليس بفعل له وهذا واضح **قوله تعالى** واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا
حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا اولو كان اباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون اية **المعنى** ثم اخبر سبحانه عن الكفار الذين جعلوا البحيرة
وغيرها ويفترون على الله الكذب من كفار قريش وغيرهم فقال واذا قيل لهم تعالوا اى هلموا الى ما انزل الله من القران واتباع ما فيه والاقرار
بصحته والى الرسول وتصديقه والاقتداء به وبافعاله قالوا فى الجواب عن ذلك حسبنا اى كفانا ما وجدنا عليه اباءنا يعنى مذاهب اباءنا ثم اخبر
سبحانه منكرا عليهم اولو كان اباؤهم اى انهم يتبعون اباءهم فيما كانوا عليه من الشرك وعبادة الاوثان وان كان اباؤهم لا يعلمون شيئا من الدين
ولا يهتدون اليه وقيل فى معنى لا يهتدون قولان احدهما انه يذمهم بانهم ضلال والاخر انهم عمى عن الطريق فلا يهتدون طريق العلم وفى
هذه الاية دلالة على فساد التقليد وانه لا يجوز العمل فى شئ من امور الدين الا بحجة وفى هذه الاية دلالة ايضا على وجوب المعرفة وانها ليست ضرورية
على ما قاله اصحاب المعارف لانه سبحانه بين الحجاج عليهم فيها ليعرفوا صحة ما دعاهم الرسول اليه ولو كانوا يعرفون الحق ضرورة لم يكونوا مقلدين
لاباءهم ونفى سبحانه عنهم الاهتداء والعلم معا لان بينهما فرقا فان الاهتداء لا يكون الا عن حجة وبيان والعلم قد يكون ابتداء عن ضرورة **قوله
تعالى** يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون اية **القراءة** روى فى الشواذ
عن الحسن لا يضركم وعن ابرهيم لا يضركم **الحجة** وفى ذلك اربع لغات ضاره يضيره وضاره يضوره وضره يضره وضره يضره وهى عربية اعنى
يفعل فى المضاعف متعدية واما جزم يضركم ويضركم فلانه جواب الامر وهو قوله عليكم انفسكم ويجوز ان يكون لا هاهنا بمعنى النهى فيكون يضركم
مجزوما به **الاعراب** قال الزجاج عليكم انفسكم اجريت مجرى الفعل فاذا قلت عليك زيدا فتاويله الزم زيدا وعليكم انفسكم معناه الزموا
امر انفسكم وقال غيره العرب تامر من الصفات بعليك ودونك وعندك فتعديها الى المفعول وتقيمها مقام الفعل فتنصبها على الاغراء تقول
عليك زيدا كانه قال خذ زيدا فقد علاك اى اشرف عليك وعندك زيدا اى حضرك فخذه ودونك اى قرب منك فخذه وقد تقدر العرب غيرها
من الحروف مقام الفعل لكن لا تعديها الى مفعول وذلك نحو قولهم اليك عنى اى تاخر ووراءك بمعناه قال ولا يجوز ذلك الا فى الخطاب لو قلت
عليه زيدا لم يجز وقوله لا يضركم الاجود ان يكون اعرابه رفعا ويكون على جهة الخبر ويجوز ان يكون موضعه جزما ويكون الاصل لا يضرركم الا
ان الراء الاولى ادغمت فى الثانية فضمت الثانية لالتقاء الساكنين ويجوز فى العربية لا يضركم بفتح الراء ولا يضركم بكسرها فالضم لاتباع الضم
الضم والفتح للخفة ولان اصل التقاء الساكنين الكسرة وهذا النهى لفظه غائب يراد به المخاطبون اذا قلت لا يضررك كفر الكافر فمعناه لا تعدن
انت كفره ضررا كانك اذا قلت لا ارينك هاهنا فالنهى فى اللفظ لنفسك ومعناه للمخاطب ومعناه لا تكونن هنا **المعنى** لما بين الله سبحانه حكم
الكفار الذين قلدوا اباءهم واسلافهم وتركوا الحق ذمهم بانهم عقبه بالامر بالطاعة وبيان ان المطيع لا يواخذ بذنوب العاصى فقال يا ايها الذين
امنوا عليكم انفسكم معناه احفظوا انفسكم من ملابسة المعاصى والاصرار على الذنوب عن الفراء وغيره وقيل معناه الزموا امر انفسكم فانما الزمكم
الله امرها عن الزجاج وهذا موافق لما روى عن ابن عباس ان معناه اطيعوا امرى واحفظوا وصيتى لا يضركم من ضل اذا اهتديتم اى لا
يضركم ضلال من ضل من اباءكم وغيرهم اذا كنتم مهتدين ويقال هل يدل هذه الاية على جواز ترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وجوابه
ان فى هذا وجوها احدها ان الاية لا تدل على ذلك بل توجب ان المطيع لربه لا يواخذ بذنوب العاصى وثانيها ان الاقتصار على الاهتداء

باتباع امره الا فى حال التقية او حال لا يجوز تاثير الكلام فيها او يتعلق بانكاره مفسدة وروى ان ابا ثعلبة سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الاية
فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا رايت دنيا موثرة وشحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذى راى برايه فعليك بخويصة نفسك وذر
عوامهم وثالثها ان هذه الاية كالاية فى وجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لان الله سبحانه خاطب بها المؤمنين فقال عليكم انفسكم يعنى عليكم اهل
دينكم كما قال لا تقتلوا انفسكم لا يضركم من ضل من الكفار وهذا قول ابن عباس فى رواية عطا عنه قال يريد يامر بعضكم بعضا وينهى بعضكم بعضا ويعلم
بعضكم بعضا ما يقربه الى الله ويبعده من الشيطان ولا يضركم من ضل من المشركين والمنافقين واهل الكتاب الى الله مرجعكم جميعا اى مصيركم ومصير
من خالفكم فينبئكم بما كنتم تعملون اى يجازيكم باعمالكم وفى هذا غاية الزجر والتهديد وفى الاية دلالة على فساد قول من قال ان الله سبحانه يعذب الاطفال
ويعذب الميت ببكاء الحى عليه **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم او اخران من
غيركم ان انتم ضربتم فى الارض فاصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد الصلوة فيقسمان بالله ان ارتبتم لا نشترى به ثمنا ولو كان ذا قربى
ولا نكتم شهادة الله انا اذا لمن الاثمين اية **القراءة** روى فى الشواذ عن الحسن والشعبى والاعرج شهادة بينكم بالنصب وروى عن على عم والشعبى
بخلاف ونعيم بن ميسرة انهم قرأوا شهادة الله بنصب شهادة والمد فى الله وهو قراءة يعقوب برواية روح وزيد وروى شهادة الله مقصورة عن
الحسن ويحيى بن يعمر وسعيد بن جبير والكلبى والشعبى **الحجة** اما قوله شهادة بالرفع بينكم بالنصب فعلى نحو القراءة المشهورة شهادة بينكم الا
انه حذف التنوين فانجر الاسم ويجوز ان يكون المضاف محذوفا من اخر الكلام اى شهادة بينكم شهادة اثنين اى ينبغى ان يكون الشهادة المعتمدة
هكذا واما قوله شهادة بينكم بالنصب والتنوين فعلى اضمار فعل اى ليقم شهادة بينكم اثنان ذوا عدل واما قوله ولا نكتم شهادة فهى اعم من قراءة
الجماعة شهادة الله بالاضافة واما المد فى الله فعلى ان همزة الاستفهام صارت عوضا من حرف القسم وقرهمزة الله عن الحذف الذى كان يجب
فيها من حيث كانت موصولة ثم فصل بين الهمزتين بالف كما فى قوله االذكرين حرم ام الانثيين واما الله مقصورة بالجر فعلى ما حكاه سيبويه ان منهم
من يحذف حرف القسم ولا يعوض منه همزة الاستفهام فيقول الله لقد كان كذا وذلك لكثرة الاستعمال واما تقدير الكلام فعلى انه يقول اقسم
بالله اى اتقدم على هذا اليمين وهذا انما يكون على وجه الاعظام لليمين والتهيب لها **الاعراب** قال الزجاج شهادة بينكم يرتفع من وجهين
احدهما ان يرتفع بالابتداء ويكون خبرها اثنان والمعنى شهادة هذه الحالة شهادة اثنين فيحذف شهادة ويقام اثنان مقامها والاخر ان يكون
التقدير وفيما فرض عليكم فى شهادتكم ان يشهد اثنان فيرتفع اثنان بشهادة وهو قول الفراء واختار ابو على الفارسى القول الاول قال واتسع فى
بين فاضيف اليه المصدر وهذا يدل على قول من قال الظرف يستعمل اسما فى غير الشعر الا ترى انه قد جاء ذلك فى التنزيل وهو لقد تقطع بينكم
بالرفع كما جاء فى الشعر نحو قوله فصادف بين عينيه الجبوبا واما قوله اذا حضر احدكم الموت فيجوز ان يتعلق بالشهادة فيكون معمولها ولا
يجوز ان يتعلق بالوصية لامرين احدهما ان المضاف اليه لا يعمل فيما قبل المضاف لانه لو عمل فيه للزم ان يقدر وقوعه فى موضعه واذا قدر ذلك
لزم تقديم المضاف اليه على المضاف ومن ثم لم يجز القتال زيدا حين ياتى والاخر ان الوصية مصدر فلا يتعلق به ما تقدم عليه واما قوله حين الوصية
فلا يجوز حمله على الشهادة لانه اذا عمل فى ظرف من الزمان لم يعمل فى ظرف اخر منه ولكن يحمل على احد ثلثة اوجه احدها اما ان يتعلق بالموت كانه قال الموت
فى ذلك الحين وهذا انما يكون على ما قرب منه كقوله حتى اذا حضر احدهم الموت قال انى تبت الان وهذا القول انما يكون قبل الموت واما ان
يتعلق بحضر اى اذا حضر فى هذا الحين واما ان يكون محمولا على البدل من اذ لان ذلك الزمان فى المعنى هو هذا الزمان فتبدله منه كما تبدل الشئ
من الشئ اذا كان اياه وقوله منكم صفة لقوله اثنان كما ان ذوا عدل صفة لهما وفى الظرف ضمير هما وقوله او اخران من غيركم تقديره او شهادة
اخرين ومن غيركم صفة لاخرين كما كان منكم صفة لاثنين ان انتم ضربتم فى الارض فاصابتكم مصيبة الموت اعتراض بين الصفة والموصوف وعلم
بان شهادة الاخرين اللذين هما من غير اهل ملتنا انما يجوز فى السفر فاستغنى عن جواب ان بما تقدم من قوله او اخران من غيركم لانه وان كان
على لفظ الخبر فالمعنى على الامر كان المعنى ينبغى ان تشهدوا اذا ضربتم فى الارض اخرين من غير اهل ملتكم ويجوز ايضا ان يستغنى عن جواب اذا فى
قوله اذا حضر احدكم الموت بما تقدمها فى قوله شهادة بينكم فان جعلت اذا بمنزلة حين فلم يحتج الى جواب كان بمنزلة الحين وينتصب الموضع
بالمصدر الذى هو شهادة بينكم كما تقدم وان قدرت له جوابا كان قوله شهادة بينكم يدل عليه ويكون موضع اذا فى قوله اذا حضر احدكم الموت
نصبا بالجواب المقدر المستغنى عنه بقوله شهادة بينكم لان المعنى ينبغى ان تشهدوا وقوله تحبسونهما من بعد الصلوة صفة ثانية لقوله او اخران

وقوله من بعد الصلوة يتعلق بتحبسونهما فيقسمان بالله الفاء لعطف جملة على جملة وان شئت جعلت الفاء للجزاء كما في قول ذي الرمة وانسان عيني
يحسر الماء مرة فيبدو وتارات يجم فيغرق تقديره عندهم اذا حبس بدا فكذلك اذا حبستموهما اقسما وقوله لا نشتري به ثمنا جواب ما يقتضيه
قوله فيقسمان بالله لان القسم ونحوه يتلقى بما يتلقى به الايمان والتقدير لا نشتري بتحريف شهادتنا ثمنا اي ذا ثمن فحذف المضاف في الموضعين
وانما ذكر الشهادة لان الشهادة قول كما قال واذا حضر القسمة ثم قال فارزقوهم منه لما كان القسمة يراد به المقسوم الا ترى ان القسمة التي هي افراز
الانصباء لا يرزق منه وانما يرزق من التركة المقسومة ولو كان ذا قربى التقدير ولو كان المشهود له ذا قربى واضاف الشهادة الى الله لامره
باقامتها ونهيه عن كتمانها في قوله واقيموا الشهادة لله وقوله ومن يكتمها فانه آثم قلبه هذا كله ماخوذ من كلام ابي علي الفارسي وناهيك
به فارسا في هذا الميدان نقابا يخبر عن مكنون هذا العلم بواضح البيان **النزول** سبب نزول هذه الايات ان ثلثة نفر خرجوا تجارا من المدينة الى
الشام تميم بن اوس الداري واخوه عدي وهما نصرانيان وابن ابي مارية مولى عمرو بن العاص السهمي وكان مسلما حتى اذا كانوا ببعض الطريق مرض
ابن ابي مارية فكتب وصية بيده ودسها في متاعه واوصى اليهما ودفع المال اليهما وقال ابلغا هذا اهلي فلما مات فتحا المتاع واخذا ما اعجبهما منه ثم
رجعا بالمال الى الورثة فلما فتش القوم المال فقدوا بعض ما كان خرج به صاحبهم ونظروا الى الوصية فوجدوا المال فيها تاما فكلموا تميما وصاحبه
فقالا لا علم لنا به وما دفع الينا ابلغناه كما هو فرفعوا امرهم الى النبي صلعم فنزلت الاية عن واقدي عن اسامة بن زيد عن ابيه وجماعة المفسرين
وهو المروي عن ابي جعفر ع **المعنى** لما قدم سبحانه الامر بالرجوع الى ما انزل عقبه بذكر هذا الحكم المنزل فقال يا ايها الذين آمنوا اي يا ايها المؤمنون
شهادة بينكم قيل في معنى الشهادة هنا اقوال احدها انها الشهادة التي يقام بها الحقوق عند الحكام وقد تقدم ذكر ما قيل في تقدير الاية على هذا
المعنى وهو قول ابن عباس وثانيها انها بمعنى الحضور كما يقال شهدت وصية فلان ومنه قوله فليشهد عذابهما طائفة ام كنتم شهداء اذ حضر
يعقوب الموت فيكون تقديره ليشهدكم في سفركم اذا حضركم الموت واردتم الوصية اثنان ذوا عدل منكم اي وصيان من اهل العدل ادخلهما
اثنان تاكيدا للامر في الوصية عن ابن الانباري وهو قول سعيد بن جبير وابن زيد والثالث انها شهادة ايمان بالله ان ارتابت الورثة
بالوصيين من قول القائل في اللعان اشهد بالله اني لمن الصادقين والاول اقوى واليق بالاية قال صاحب كتاب نظم القرآن شهادة مصدر
بمعنى المشهود كما يقال رجل عدل ورضى ورجلان عدل ورضى ثم قد حذف المضاف فيكون المعنى عدة شهود بينكم اثنان كقوله الحج اشهر معلومات
اي وقت الحج اشهر وقال ابن جني ويجوز ان يكون التقدير مقيم شهادة بينكم اثنان فيكون على هذين القولين حذف المضاف من المبتدا
وعلى قول الزجاج وابي علي من الخبر اذا حضر احدكم الموت حين الوصية اي حضر اسباب الموت من مرض وغيره وقال الزجاج معناه ان الشهادة
في وقت الوصية هي الموت ليس ان الموت حاضر وهو يوصي انما يقول الموصي صحيحا كان او غير صحيح اذا حضرني الموت او اذا امت فافعلوا
واصنعوا اثنان ذوا عدل منكم اي من اهل دينكم وملتكم او آخران من غيركم اي من غير اهل ملتكم عن ابن عباس وسعيد بن المسيب وسعيد
بن جبير وشريح ومجاهد وابن سيرين وابن زيد وابرهيم وهو المروي عن الباقر والصادق عليهما السلام فيكون معنى او هنا للتفصيل لا للتخيير
لان المعنى او آخران من غيركم ان لم تجدوا شاهدين منكم وقيل معناه ذوا عدل من عشيرتكم او آخران من غير عشيرتكم عن الحسن والزهري و
عكرمة والاصم قالوا لان عشيرة الموصي اعلم باحوالهم من غيرهم واحرى وان لا ينسوا ما شهدوا عليه وقالوا لا تجوز شهادة كافر في سفر و
لا حضر واختاره الزجاج وذهب جماعة الى ان الاية كانت في شهادة اهل الذمة ثم نسخت سورة المائدة نقلها النسخ وانها في محكم القرآن واخرها
نزل ان انتم ضربتم في الارض فاصابتكم مصيبة الموت ومعناه فاصابكم الموت فعلم الله سبحانه ان من الناس من يسافر فيصحبه في سفره اهل
الكتاب دون المسلمين وينزل القرية التي لا يسكنها غيرهم ويحضره الموت فلا يجد من يشهده من المسلمين فقال او آخران من غيركم اي من غير
دينكم ان انتم سافرتم فاصابتكم مصيبة الموت فالعدلان من المسلمين للحضر والسفر ان امكن اشهادهما في السفر والذميان في السفر خاصة
اذا لم يوجد غيرهما ثم قال تحبسونهما من بعد الصلوة فيقسمان بالله ان ارتبتم المعنى تحبسونهما من بعد صلوة العصر لان الناس كانوا يحلفون
بالحجاز بعد صلوة العصر لاجتماع الناس وتكاثرهم في ذلك الوقت وهو المروي عن ابي جعفر ع وقتادة وسعيد بن جبير وغيرهم وقيل هي
صلوة العصر او الظهر عن الحسن وقيل بعد صلوة اهل دينهما يعني الذميين عن ابن عباس والسدي ومعنى تحبسونهما تقفونهما وتقيمونهما
كما يقال مر بي فلان على فرس فحبس علي دابته اي وقفه وقيل معناه تصبرونهما على اليمين وهو ان يحمل على اليمين وهو غير متبرع بها ان ارتبتم

نسخت وقد بين ابو عبيد هذه الاقاويل
ثم قال جل العلماء [illegible] في اهل الله
ويرونها محكمة ويقوي هذا القول تتابع
الاثار في [illegible]

في شهادتهما وشككتم وخشيتم ان يكونا قد غيرا او بدلا او كتما وخانا والخطاب في تحبسونهما للورثة ويجوز ان يكون خطابا للقضاة ويكون يعني
الامراء فاحبسوهما ذكره ابن الانباري وكان يقف على قوله مصيبة الموت ويبتدئ بقوله تحبسونهما ويحتمل ان يكون اراد به من وصي الميت اذا
ارتاب بهما الورثة وادعوا انهما استبدا بشيء من التركة فيصيران مدعى عليهما فيحلفان بالله لا نشتري به ثمنا اي لا نشتري بتحريف شهادتنا ثمنا
والتقدير لا نشتري به ذا ثمن الا ترى ان الثمن لا يشترى وانما يشترى المبيع دون ثمنه وقيل ان الهاء في به يعود الى القسم بالله وقيل معناه لا
نبيعه بعرض من الدنيا لان من باع شيئا فقد اشترى ثمنه ونريد ان لا نحابي في شهادتنا احدا ولو كان المشهود له ذا قربى وخص ذا القربى بالذكر
لميل الناس الى قراباتهم ومن يناسبونه ولا نكتم شهادة الله اي شهادة لزمنا اداؤها بامر الله تعالى انا اذا لمن الآثمين اي انا ان فعلنا ذلك كنا
من الآثمين **قوله تعالى** فان عثر على انهما استحقا اثما فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الاوليان فيقسمان بالله لشهادتنا
احق من شهادتهما وما اعتدينا انا اذا لمن الظالمين ذلك ادنى ان ياتوا بالشهادة على وجهها او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم واتقوا الله
واسمعوا والله لا يهدي القوم الفاسقين آيتان **القراءة** قرا ابو بكر عن عاصم وحمزة وخلف ويعقوب استحق بضم التاء الاولين جمع وقرا
حفص عن عاصم استحق بفتح التاء والحاء الاوليان بالالف تثنية الاولى وقرا الباقون استحق بضم التاء الاوليان بالالف **الحجة والاعراب**
قال الزجاج هذا الموضع من اصعب ما في القرآن في الاعراب والاوليان في قول اكثر البصريين يرتفعان على البدل مما في يقومان المعنى
فليقم الاوليان بالميت مقام هذين الخائنين فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما فاذا ارتفع الاوليان على البدل فالذي في استحق
من الضمير معنى الوصية المعنى فليقم الاوليان من الذين استحقت الوصية او الايصاء عليهم وجائز ان يرتفعا باستحق ويكون معناها الاولى
باليمين اي بان يحلفا من يشهد بعدهما فان جاز شهادة النصرانيين كان الاوليان على هذا القول النصرانيين والآخران من غير اهل بيت
الميت وقال ابو علي لا يخلو ارتفاعه من ان يكون على الابتداء وقد اخر كانه في التقدير فالاوليان بامر الميت آخران من اهله او من اهل دينه
يقومان مقام الخائنين اللذين عثر على خيانتهما كقولهم تميمي انا او يكون خبر مبتدا محذوف كانه قال وآخران يقومان مقامهما الاوليان او
يكون بدلا من الضمير الذي في يقومان او يكون مسندا اليه استحق وقد اجاز فيها ابو الحسن فيه شيئا آخر وهو ان يكون الاوليان صفة لقوله
فآخران من غيركم لانه لما وصف آخران اختص فوصف لاجل الاختصاص الذي صار له بما يوصف به المعارف ومعنى الاوليان الاوليان
بالشهادة على وصية الميت وانهما الاوليان ممن اتهم بالخيانة لانهما اعرف باحوال الميت وامواله ولانهما من المسلمين الا ترى ان وصفهما بانه
استحق عليهم يدل على انهم مسلمون لان الخطاب من اول الاية مصروف اليهم فاما ما اسند اليه استحق فلا يخلو من ان يكون الايصاء او
الوصية او الاثم او الجار والمجرور وانما جاز استحق الاثم لان آخذه باخذه آثم فسمي اثما كما سمي ما يؤخذ منك بغير حق مظلمة قال سيبويه المظلمة
اسم ما اخذ منك فلذلك سمي هذا الماخوذ باسم المصدر فاما قوله عليهم فيحتمل ثلثة اضرب احدها ان يكون على فيه بمنزلة قولك استحق على
زيد مال بالشهادة اي لزمه ووجب عليه الخروج منه لان الشاهدين لما عثر على خيانتهما استحق عليهما ما ولياه من امر الشهادة والقيام بها
ووجب عليهما الخروج منها وترك الولاية فيها فصار اخراجهما منها مستحقا عليهما كما يستحق على المحكوم عليه الخروج مما وجب عليه هذا كلام ابي علي
واقول ان الظاهر ان الذين استحق عليهم في الاية هم ورثة الميت والمفهوم من كلام ابي علي هذا ان الشاهدين اللذين من غيرنا هما
الجانيان بذلك على ما قرره والذي يصح في معنى ان التقدير من الذين استحقت عليهم الوصية او استحق عليهم الايصاء وهم عشيرة
الميت والآخران يكون على فيه بمنزلة من كانه من الذين استحق منهم الاثم ومثل هذا قوله اذا اكتالوا على الناس اي من الناس والثالث
ان يكون على فيه بمنزلة في كانه استحق فيهم وقام على مقام في كما قام في مقام على في قوله لاصلبنكم في جذوع النخل والمعنى من الذين استحق
عليهم بشهادة الآخرين اللذين هما من غيرنا واقول ان هذا المعنى ايضا انما يلائم الضرب الاول والذي يلائم هذا الضرب ان يقال
المعنى من الذين استحق فيهم الاثم اي بسببهم استحق الآخران من غيرنا اللذان خانا في الوصية فيهم الاثم بخيانتهما ويمينهما الكاذبة ثم قال
ابو علي فان قلت هل يجوز ان يسند استحق الى الاوليان فالقول في ذلك انه لا يجوز لان المستحق انما يكون الوصية او شيئا منها ولا
يجوز ان يستحقا فيسند استحق اليهما فاما من قرا من الذين استحق عليهم الاولين على الجمع فهو نعت لجميع الورثة المذكورين في قوله من
الذين استحق عليهم وتقديره من الاولين الذين استحق عليهم الايصاء والاثم وانما قيل لهم الاولين من حيث كانوا اولين في الذكر الا

ترى انه قد تقدم يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم وكذلك اثنان ذوا عدل منكم ذكرا في اللفظ قبل قوله او آخران من غيركم واحتج من قرأ
الاولين على من قرأ الاوليان بان قال أرأيت ان كان الاوليان صغيرين اراد انهما اذا كانا صغيرين لم يقوما مقام الكبيرين في الشهادة
ولم يكونا لصغرهما اولى بالميت وان كانا كبيرين كانا اولى به فيقسمان بالله اي يقسم الآخران اللذان يقومان مقام الشاهدين هما آخران
من غيرنا وقوله لشهادتنا احق من شهادتهما يتعلق به فيقسمان بالله ومن قرأ استحق عليهم الاوليان فاستحق هنا بمعنى حق اي وجب
فالمعنى فآخران من الذين وجب عليهم الايصاء بتوصية ميتهم وهم ورثته وقال ابو علي تقديره من الذين استحق الاوليان بالميت وصيته
التي اوصى بها الى غير اهل دينه والمفعول محذوف وحذف المفعول في نحو هذا كثير قال الامام محمود الزمخشري معناه من الورثة الذين
استحق عليهم الاوليان من بينهم بالشهادة ان يجردوهما للقيام بالشهادة ويظهروا بهما كذب الكاذبين وهذا احسن الاقوال اللغة
عثر الرجل على الشيء يعثر عثورا اذا اطلع على امر لم يطلع عليه غيره واعثرت فلانا على امري اطلعته عليه ومنه قوله وكذلك اعثرنا عليهم
واصل الوقوع بالشيء من قولهم عثر الرجل عثارا اذا وقعت اصبعه بشيء صدمته وعثر الفرس عثارا قال الاعشى بذات لوث عفرناة
اذا عثرت فالتعس اولى لها من ان يقال لعا والعثير الغبار لانه يقع على الوجه وعثيره والعاثور حفرة تحفر ليعثر به الاسد فيصطاد
والاستحقاق والاستيجاب قريبان واستحق عليه كانه ملك عليه حق وحققت عليه القضاء حقا واحققته اذا اوجبته ويكون حق بمعنى
استحق النزول قالوا لما نزلت الآية الاولى صلى رسول الله صلعم العصر ودعا بتميم وعدي فاستحلفهما عند المنبر بالله ما قبضنا له غير هذا
ولا كتمناه وخلى رسول الله صلعم سبيلهما ثم اطلعوا على اناء من فضة منقوش بذهب معهما فقالوا هذا من متاعه فقالا اشتريناه منه
ونسينا ان نخبركم فرفعوا امرهما الى رسول الله صلعم فنزلت قوله فان عثر على انهما استحقا اثما الخ فقام رجلان من اولياء الميت احدهما عمرو
بن العاص والآخر مطلب بن ابي وداعة السهمي فحلفا بالله انهما خانا وكذبا فدفع الاناء اليهما والى اولياء الميت فكان تميم الداري بعد
ما اسلم يقول صدق الله ورسوله انا اخذت الاناء فاتوب الى الله واستغفره المعنى ثم بين سبحانه الحكم بعد ظهور الخيانة من الوصيين
او الشاهدين فقال فان عثر اي اطلع وظهر على انهما يعني الشاهدين عن ابن عباس والوصيين عن سعيد بن جبير استحقا اي استوجبا
اثما اي ذنبا بايمانهما الكاذبة وخيانتهما وقصدهما في شهادتهما الى غير الاستقامة وقيل معناه استحقا عقوبة اثم من قوله تعالى اني اريد ان
تبوء باثمي واثمك اي بعقوبة اثم قتلي وعقوبة معاصيك المتقدمة عن الجبائي فآخران يقومان مقامهما اي مقام الشاهدين اللذين هما
من غيرنا وقيل مقام الوصيين من الذين استحق عليهم الاوليان والمعنى ليقسم الاوليان بالميت من الذين استحقت عليهم الوصية
او يكون التقدير فالاوليان بامر الميت آخران من اهله يقومان مقام الخائنين اللذين عثر على خيانتهما وقد بينا ما قيل فيه وفي القراءتين
الاخريين فيما قبل ويجوز ان يكون الاوليان بدلا من قوله آخران فقد يجوز ابدال المعرفة من النكرة ومعنى الاوليين هو الاقربان الى
الميت ويجوز ان يكون معناهما الاوليان باليمين وانما كانا اوليين باليمين لان الوصيين ادعيا ان الميت باع الاناء فانتقل اليمين
الى الوليين لانهما صارا مدعى عليهما ان مورثهما باع الاناء وهذا كما لو اقر انسان لآخر بدين وادعى قضاءه حكم برد اليمين الى الذي ادعى الدين
لانه صار مدعى عليه انه استوفى وقيل معناه الاوليان بالشهادة من المسلمين عن ابن عباس وشريح فيقسمان بالله لشهادتنا احق من
شهادتهما قيل انه على لفظ اي شهادتنا وقولنا ووصية صاحبنا احق بالقبول والصدق من شهادتهما وقولهما وقيل يريد فيقولان والله
ليميننا خير من يمينهما عن ابن عباس وسميت اليمين هنا شهادة لان اليمين كالشهادة على ما يحلف عليه انه كذلك وما اعتدينا
اي ما جاوزنا الحق فيما طلبناه من حقنا عن ابن عباس وقيل فيما قلنا من ان شهادتنا احق من شهادتهما انا اذا لمن الظالمين تقديره
انا ان اعتدينا لمن جملة الظالمين لنفوسنا وهذه الآية مع الآية التي قبلها من اعوص آيات القرآن اعرابا ومعنى وحكما ولست تجدها
في شيء من مظانها اوفر فائدة واغزر عائدة واجمع علما ومعنى مما لخصته لك وسقته اليك وبالله التوفيق ثم بين سبحانه وجه الحكمة
استحلاف اليهود فقال ذلك ادنى اي ذلك الاحلاف والاقسام او ذلك الحكم اقرب الى ان يأتوا بالشهادة على وجهها اي حقا وصدقا لا
يكتمون شيئا ولا يزيدون شيئا لان اليمين تردع عن امور كثيرة لا يرتدع عنها مع عدم اليمين او يخافوا اي اقرب الى ان يخافوا ان ترد ايمان الى
اولياء الميت بعد ايمانهم فيحلفوا على خيانتهم وكذبهم فيفتضحوا ويغرموا فربما لا يحلفون كاذبين ويتحفظون في الشهادة مخافة رد اليمين و

الشهادة الى المستحق عليهم واتقوا الله ان تحلفوا ايمانا كاذبة او تخونوا امانة واسمعوا الموعظة والله لا يهدي القوم الفاسقين الى ثوابه وجنته
قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب آية الاعراب يوم ينتصب على تقدير واتقوا
يوم يجمع ويتصل بقوله واسمعوا عن الزجاج وقيل انه يتعلق بقوله لا يهدي القوم الفاسقين يوم يجمع الله الرسل عن المغربي وقيل انه يتعلق
بمحذوف على تقدير واحذروا واذكروا ذلك اليوم المعنى يوم يجمع الله الرسل هو كقوله واتقوا الله يوما ترجعون فيه الى الله وانما انتصب
يوما على انه مفعول به ولم ينتصب على الظرف لانهم لم يؤمروا بالتقوى في ذلك اليوم والمعنى واتقوا عقاب يوم يجمع الله فيه الرسل لان اليوم لا يتقى لا
بحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه فيقول لهم ماذا اجبتم اي ماذا اجابكم قومكم فيما دعوتموهم اليه وهذا تقرير في صورة الاستفهام
على وجه التوبيخ للمنافقين عند اظهار فضيحتهم على رؤوس الاشهاد قالوا لا علم لنا قيل فيه اقوال احدها ان للقيمة اهوالا حتى تزول القلوب
من مواضعها فاذا رجعت القلوب الى مواضعها شهدوا لمن صدقهم وعلى من كذبهم يريد انه عزبت عنهم افهامهم من هول يوم القيمة فقالوا
لا علم لنا عن عطا عن ابن عباس والحسن ومجاهد والسدي والكلبي وهو اختيار الفراء وثانيها ان المراد لا علم لنا كعلمك لانك تعلم باطنهم و
لسنا نعلم غيبهم وباطنهم وهذا هو الذي يقع عليه الجزاء عن الحسن في رواية اخرى واختاره الجبائي وانكر القول الاول وقال كيف يجوز ذهولهم
من هول يوم القيمة مع قوله سبحانه لا يحزنهم الفزع الاكبر وقوله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ويمكن ان يجاب عن ذلك بان الفزع الاكبر دخول
النار وقوله لا خوف عليهم انما هو كالبشارة بالنجاة من اهوال ذلك اليوم مثل ما يقال للمريض لا بأس عليك ولا خوف عليك وثالثها ان معناه
لا حقيقة لعلمنا اذ كنا نعلم جوابهم وما كان من افعالهم وقت حيوتنا ولا نعلم ما كان منهم بعد وفاتنا وانما الجزاء والثواب يستحقان بما تقع به الخاتمة
مما يموتون عليه عن ابن الانباري ورابعها ان المراد لا علم لنا الا ما علمتنا فحذف لدلالة الكلام عليه عن ابن عباس في رواية اخرى وخامسها
ان المراد تحقيق فضيحتهم اي انت اعلم بحالهم منا ولا تحتاج في ذلك الى شهادتنا انك انت علام الغيوب انما قال علام للمبالغة لا للتكثير وقيل
اراد به تكثير المعلوم والمراد انت تعلم ما غاب وما بطن ونحن انما نعلم ما نشاهد وفي هذه الآية دلالة على اثبات المعاد والحشر والنشر وذكر
الحاكم ابو سعيد في تفسيره انها تدل على فساد قول الامامية ان الائمة يعلمون الغيب ومن وصف مخلوقا بذلك فقد فارق الدين والشيعة
الامامية برآء من هذا القول فمن نسبهم الى ذلك فالله سبحانه فيما بينهم وبينه قوله تعالى اذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى
والدتك اذ ايدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا واذ علمتك الكتاب والحكمة والتورية والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة
الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني وتبرئ الاكمه والابرص باذني واذ تخرج الموتى باذني واذ كففت بني اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات
فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين آية القراءة قرأ اهل الكوفة غير عاصم ساحر مبين بالالف وكذلك في سورة يونس وهود والصف و
قرأ ابن كثير وعاصم في سورة يونس لساحر بالالف فقط وقرأ اهل المدينة والبصرة والشام سحر مبين بغير الف في جميع ذلك كله الحجة من قرأ الا
سحر جعله اشارة الى ما جاء به كانه قال ما هذا الذي جئت به الا سحر ومن قرأ الا ساحر اشار الى الشخص لا الى الحدث الذي اتى به وكلاهما حسن
لاستواء كل واحد منهما في انه ذكر قد تقدم غير ان الاختيار سحر لوقوعه على الحدث والشخص اما وقوعه على الحدث فظاهر واما وقوعه على الشخص
فهو ان يراد به ذو سحر كما جاء ولكن البر من آمن اي ذا البر وقالوا انما انت سير وانما هي اقبال وادبار وقد يجيء ايضا فاعل يراد به الكثرة في
حروف ليست بالكثيرة نحو عائذا بالله من شرها اي عياذا او نحو العافية ولم تكثر هذه الحروف من الكثرة بحيث يقاس عليها الاعراب العامل
في اذ يجوز ان يكون احدهما الابتداء عطفا على قوله يوم يجمع الله الرسل ثم قال واذكر اذ قال فيكون موضعه رفعا كما يقول القائل كانك بنا قد
وردنا بلد كذا وصنعنا فيه وفعلنا اذ صاح بك صائح فاجبته وتركتني والثاني اذكر اذ قال الله فيكون موضعه نصبا يا عيسى بن مريم يجوز ان
يكون عيسى مضموما في التقدير لانه منادى مفرد فيكون منادیين وتقديره يا عيسى يا ابن مريم او يكون وصفت المضموم بمضاف فتنصب المضاف
كقول الشاعر يا زبرقان اخا بني خلف ويجوز ان يكون عيسى مبنيا مع الابن على الفتح في التقدير لوقوع الابن بين علمين وهذا كما انشد النحويون
من قول الشاعر يا حكم بن المنذر بن الجارود انت الجواد ابن الجواد ابن الجود روي في حكم الضم والفتح تكلم الناس في موضع نصب على الحال و
كهلا عطف على موضع في المهد وهو جملة ظرفية في موضع نصب على الحال من يكلم والمعنى ويكلم الناس صغيرا وكبيرا المعنى لما عرف الله سبحانه يوم
القيمة باوصاف من جمع الرسل فيه عطف عليه بذكر المسيح فقال اذ قال الله ومعناه اذ يقول الله في الآخرة وذكر لفظ الماضي تقريبا للقيمة لان ما هو

أت فكان قد اتى يا عيسى بن مريم وهذا اشارة الى بطلان قول النصارى لان من له ام فلا يكون الها اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اى اذكر ما
انعمت به عليك وعلى امك واشكرها افرد النعمة في اللفظ ويريد به الجمع كما قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وانما جاز ذلك لانه مضاف يصلح
للجنس ثم فسر نعمته بان قال اذ ايدتك بروح القدس وهو جبرئيل ع وقد مضى تفسيره في سورة البقرة عند قوله وايدناه بروح القدس تكلم الناس
في المهد وكهلا اى في حال ما كنت صبيا في المهد وفي حال ما كنت كهلا وقال الحسن المهد حجر امه واذ علمتك الكتاب قيل الكتاب يعني الخط والحكمة
يعني العلم والشريعة وقيل اراد الكتب فيكون الكتاب اسم جنس ثم فصله بذكر التورية والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني اى واذكر ذلك
ايضا اذ تصور الطين كهيئة الطير الذي تريد اى كخلقته وصورته وسماه خلقا لانه كان بتقديره وقوله باذني اى تفعل ذلك باذني وامري فتنفخ فيها
اى تنفخ فيها الروح لان الروح جسم يجوز ان ينفخه المسيح بامر الله فيكون طيرا باذني والطير يؤنث ويذكر فمن انث فعلى الجمع ومن ذكر فعلى اللفظ و
واحد الطير طاير فيكون مثل ضاين وضان وراكب وركب ويجوز ان يكون مصدرا فيكون طيرا باذني اى اذا نفخ المسيح فيها الروح قلبها الله لحما ودما و
يخلق فيها الحيوة فصارت طيرا باذن الله اى بامره وارادته لا بفعل المسيح ع وتبرئ الاكمه اى تصح الاكمه الذي ولد اعمى والابرص من برص
مستحكم باذني اى بامري ومعناه انك تدعوني حتى ابرئ الاكمه والابرص ونسب ذلك الى المسيح لما كان بدعائه وسؤاله واذ تخرج الموتى باذني
اذكر اذ تدعوني فاحيي الموتى عنده عادتك فاخرجهم من القبور حتى يشاهدهم الناس احياء ونسب ذلك الى المسيح ايضا لما كان بدعائه واذ كففت
بني اسرائيل عنك اى عن قتلك واذ ذلك اذ جئتهم اى حين جئتهم بالبينات مع كفرهم وعنادهم ويجوز ان يكون تعالى كفهم عنه بالطافه التي لا
يقدر عليها غيره ويجوز ان يكون كفهم بالمنع والقهر كما منع من اراد قتل نبينا ص ومعنى جئتهم بالبينات اى اتيتهم بالحجج والمعجزات فقال الذين كفروا
منهم ان هذا الا سحر مبين يعنون به عيسى وسحر مبين بين يريد ان ما جاء به سحر ظاهر واضح وينبغي ان يكون قوله سبحانه في اول الاية اذ قال
الله يا عيسى اذكر نعمتي اخبر بها قومك الذين كذبوا عليك ليكون حجة عليهم لانهم ادعوا عليه انه اله ثم عدد النعم فيه نعمة على انبيائه قوله تعالى
واذ اوحيت الى الحواريين ان آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون آية اللغة الوحي القاء المعنى الى النفس على وجه يخفى ثم ينقسم فيكون
بارسال الملك ويكون بمعنى الالهام قال الشاعر الحمد لله الذي استقلت باذنه السماء واطمأنت اوحى لها القرار فاستقرت اى القى اليها وهو وحي لها
القرار والفرق بين اوحى ووحى من وجهين احدهما ان اوحى جعلها على صفة ووحى بمعنى جعل فيها معنى الصفة لان افعل اصله التعدية وقيل انهما
لغتان والحواري خالصة الرجل وخلصانه من الخبز الحواري لانه اخلص لبه من كل شيء يشوبه واصله الخلوص ومنه حار يحور اذا رجع الى حال الخلق
ثم كثر حتى قيل لكل راجع المعنى ثم بين سبحانه تمام نعمته على عيسى ع فقال واذ اوحيت اى واذكر اذ اوحيت الى الحواريين اى الهمتهم وقيل
القيت اليهم بالحجج والبيان وقد مضى معنى الكلام في الحواريين في سورة آل عمران وهم وزراء عيسى عن قتادة وانصاره عن الفراء ان آمنوا بي و
برسولي اى صدقوا بي وبصفاتي وبعيسى انه عبدي ونبيي قالوا اى قال الحواريون آمنا اى صدقنا واشهد باننا مسلمون قوله تعالى اذ قال
الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين قالوا نريد ان نأكل منها وتطمئن قلوبنا
ونعلم ان قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين آيتان القراءة قرأ الكسائي وحده هل تستطيع ربك بالنصب والباقون هل يستطيع بالياء
ربك بالرفع وادغم الكسائي اللام في التاء الحجة وجه قراءة الكسائي ان المراد هل تستطيع سؤال ربك وذكروا الاستطاعة في سؤالهم
لا انهم شكوا في استطاعته ولكن كانهم ذكروه على وجه الاحتجاج عليه منهم كانهم قالوا انك تستطيع فما يمنعك ومثل ذلك قولك لصاحبك اتستطيع
ان تذهب عني فاني مشغول اى اذهب لانك غير عاجز عن ذلك وان ينزل على هذه القراءة متعلق بالمصدر المحذوف لا يستقيم الكلام الا على
تقدير ذلك الا ترى انه لا يصح ان تقول هل تستطيع ان يفعل غيرك وان ينزل في موضع نصب بانه مفعول به والتقدير هل تستطيع ان تسأل ربك
انزال مائدة من السماء علينا وروي عن ابي عبد الله ع ما يقارب هذا التقدير قال يعني هل تستطيع ان تدعو ربك واما ادغام اللام في التاء
فانه حسن لان ابا عمرو ادغم اللام في التاء في هل ثوب الكفار والتاء اقرب الى اللام من الثاء وللادغام الحسن في المتقاربين وانشد سيبويه
فذر ذا ولكن هتعين متيما على ضوء برق آخر الليل ناصب اللغة الفرق بين الاستطاعة والقدرة ان الاستطاعة انطباع الجوارح للفعل
والقدرة هي ما اوجبت كون القادر عليه قادرا ولذلك لا يوصف الله تعالى بانه مستطيع ويوصف بانه قادر والمائدة الخوان قال الازهري في
تهذيب اللغة هي في المعنى مفعولة ولفظها فاعلة لانها من العطاء وقد ماده يميده اذا اعطاه وقيل ماد يميد اذا تحرك فهي فاعلة ويقال لها

وميدة

وميدة قال الشاعر وميدة كثيرة الالوان تصنع للاخوان والجيران ومادت البحر يميد فهو مائد اى تحرك به وماد يميد اذا تبختر وماد اهله اذا مارهم
واصله الحركة المعنى ثم اخبر سبحانه عن الحواريين وسؤالهم فقال اذ قال الحواريون والعامل في اذ قوله اوحيت ويحتمل ان يكون معناه واذكر اذ قال
الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء قيل فيه اقوال احدها هل يفعل لك ربك بمسألتك اياه ليكون
علما على صدقك ولا يجوز ان يكونوا شكوا في قدرة الله سبحانه على ذلك لانهم كانوا عارفين مؤمنين وكانهم سألوه ذلك ليعرفوا صدقه وصحة امره من حيث
لا يعترض عليه فيه اشكال ولا شبهة ومن ثم قالوا وتطمئن قلوبنا كما قال ابرهيم ولكن ليطمئن قلبي عن ابي علي الفارسي وثانيها معناه هل يقدر ربك
وكان هذا في ابتداء امرهم قبل ان يستحكم معرفتهم بالله تعالى ولذلك انكر عليهم عيسى فقال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين لانهم لم يستكمل ايمانهم وقت ما قالوا
وثالثها ان معناه هل يستجيب لك ربك واليه ذهب السدي في قوله يريد هل يطيعك ربك ان سألته هذا وعلى ان يكون استطاع بمعنى
اطاع كما يكون استجاب بمعنى اجاب قال الزجاج يحتمل مسألة الحواريين عيسى ع المائدة ضربين احدهما ان يكونوا ارادوا ان يزدادوا تثبيتا كما
قال ابرهيم ع رب ارني كيف تحيي الموتى وجاز ان يكون مسألتهم المائدة قبل علمهم انه ابرأ الاكمه والابرص واحيى الموتى قال اتقوا الله ان
كنتم مؤمنين معناه اتقوا الله ان تسألوه شيئا لم يسأله الامم قبلكم وقيل ان معناه الامر بالتقوى مطلقا كما امر الله سبحانه المؤمنين بها في قوله يا
ايها الذين آمنوا اتقوا الله عن ابي علي الفارسي وقيل امرهم ان لا يقترحوا الايات وان لا يقدموا بين يدي الله ورسوله لان الله تعالى قد
اراهم البراهين والمعجزات باحياء الموتى وغيره ما هو اوكد مما سألوه وطلبوه عن الزجاج قالوا اى قال الحواريون نريد ان نأكل منها قيل في
معناه قولان احدهما ان يكون الارادة التي هي من افعال القلوب ويكون التقدير فيه ان السؤال من اجل هذا الذي ذكرنا والاخر ان يكون الارادة
هنا بمعنى المحبة التي هي ميل الطباع اى نحب ذلك وتطمئن قلوبنا يجوز ان يكونوا قالوا ذلك وهم مستبصرون في دينهم ومعناه يريد ان يزداد يقينا وذلك ان
الدلايل كلما كثرت مكنت المعرفة في النفس عن عطا ونعلم ان قد صدقتنا بانك رسول الله وهذا يقوي قول من قال ان هذا كان في ابتداء امرهم والصحيح
انهم طلبوا المعاينة والعلم الضروري والتاكيد في الايجاب ونكون عليها من الشاهدين لله بالتوحيد ولك بالنبوة وقيل من الشاهدين لك عند بني
اسرائيل اذا رجعنا اليهم قوله تعالى قال عيسى بن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لاولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا
وانت خير الرازقين قال الله اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين آيتان القراءة قرأ اهل المدينة
والشام وعاصم منزلها بالتشديد والباقون منزلها بالتخفيف الحجة حجة التخفيف قوله انزل علينا مائدة والاولى ان يكون الجواب موافقا للسؤال
والوجه في التشديد ان نزل وانزل بمعنى واحد اللغة العيد اسم لما عاد اليك من شيء في وقت معلوم حتى قالوا للخيال عيد لما يعود اليك من الحزن
عيد قال الشاعر فوا كبدي من لاعج الهم والهوى اذا اعتاد قلبي من اميمة عيدها وقال الليث العيد كل يوم مجمع قال العجاج كما يعود العيد
نصراني قال المفضل عادني اى عاودني وانشد عاد قلبي من الطويلة عيدي واما قول تأبط شرا يا عيد مالك من شوق وايراق فانه اراد الخيال الذي
يعتاده الاعراب يكون لنا في موضع النصب صفة لمائدة ولنا في موضع الحال لان تقديره يكون عيدا لنا فقوله لنا صفة لعيد فلما تقدم
انتصب على الحال وقوله لاولنا وآخرنا بدل من قوله لنا المعنى ثم اخبر سبحانه عن سؤال المسيح ع اياه فقال قال عيسى بن مريم عن قومه لما التمسوا
منه وقيل انما سال ذلك حين اذن له في السؤال اللهم ربنا انزل علينا مائدة اى خوانا عليه طعام من السماء تكون لنا عيدا قيل في معناه
قولان احدهما نتخذ اليوم الذي ينزل فيه عيدا لنعظمه نحن ومن يأتي من بعدنا عن السدي وقتادة وابن جريج وهو قول ابي علي الجبائي والثاني
ان معناه يكون عائدة فضل من الله علينا ونعمة منه لنا والاول هو الوجه لاولنا وآخرنا اى لاهل زماننا ومن يجيء من بعدنا وقيل معناه يأكل
منها آخرهم كما يأكل اولهم عن ابن عباس وآية منك اى دلالة منك عظيمة الشان في ازعاج قلوب العباد الى الاقرار بمدلولها والاعتراف
بالحق الذي يشهد بظاهرها تدل على توحيدك وصحة نبوة نبيك وارزقنا اى واجعل ذلك رزقا لنا وقيل معناه وارزقنا الشكر عليها عن
الجبائي وانت خير الرازقين وفي هذا دلالة على ان العباد قد يرزق بعضهم بعضا لانه لو لم يكن كذلك لم يصح ان يقول سبحانه انت خير الرازقين
كما لا يجوز ان يقول انت خير الالهة لما لم يكن غيره سبحانه الها قال الله مجيبا له الى ما التمسه اني منزلها يعني المائدة عليكم فمن يكفر بعد منكم اى
بعد انزالها عليكم فاني اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين قيل في معناه اقوال احدها انه اراد عالمي زمانه فجحد القوم وكفروا بعد نزول
المائدة فمسخوا قردة وخنازير عن قتادة وروي عن ابي الحسن موسى بن جعفر ع انهم مسخوا خنازير وثانيها انه اراد عذاب الاستيصال و

ثالثها انزاله جنسا من العذاب لا يعذب به احدا غيرهم وانما استحقوا هذا النوع من العذاب بعد نزول المائدة لانهم كفروا بعد ما راوا الاية التي هي من ازجر الايات عن الكفر بعد سؤالهم لها فاقتضت الحكمة اختصاصهم بنوع من العذاب العظيم الموجع كما اختصت ايتهم بنوع من الزجر العظيم الموقع القصة

اختلف العلماء في المائدة هل نزلت ام لا فقال الحسن ومجاهد انها لم تنزل وان القوم لما سمعوا الشرط استعفوا عن نزولها وقالوا لا نريدها ولا حاجة لنا فيها فلم تنزل والصحيح انها نزلت لقوله سبحانه اني منزلها عليكم ولا يجوز ان يقع في خبره الخلف ولان الاخبار قد استفاضت عن النبي صلعم والصحابة والتابعين في انها نزلت قال كعب انها نزلت يوم الاحد ولذلك اتخذه النصارى عيدا واختلفوا في كيفية نزولها وما عليها فروي عن عمار بن ياسر عن النبي صلعم قال نزلت على المائدة خبز ولحم وذلك انهم سالوا عيسى طعاما لا ينفد يأكلون منها قال فقيل لهم فانها مقيمة لكم ما لم تخونوا وتخبأوا وترفعوا فان فعلتم ذلك عذبتكم قال فما مضى يومهم حتى خبأوا ورفعوا وخانوا وقال ابن عباس ان عيسى عم قال لبني اسرائيل صوموا ثلثين يوما ثم اسألوا الله ما شئتم يعطكموه فصاموا ثلثين يوما فلما فرغوا قالوا يا عيسى انا لو عملنا لاحد من الناس فقضينا عمله لاطعمنا طعاما وانا صمنا وجعنا فادع الله ان ينزل علينا مائدة من السماء فاقبلت الملئكة بمائدة يحملونها عليها سبعة ارغفة وسبعة احوات حتى وضعتها بين ايديهم فاكل منها اخر الناس كما اكل اولهم وهو المروي عن ابي جعفر ع وروى عطاء بن السايب عن زاذان وميسرة قالا كانت اذا وضعت المائدة لبني اسرائيل اختلفت عليهم الايدي من السماء بكل طعام الا اللحم وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال انزل على المائدة كل شيء الا الخبز واللحم وقال عطاء نزل كل شيء الا الطعام الا السمك واللحم وقال عطية العوفي نزلت من السماء سمكة فيها طعم كل شيء وقال عمار وقتادة كان عليها ثمر من ثمار الجنة وقال قتادة كانت تنزل عليهم بكرة وعشيا حيث كانوا كالمن والسلوى لبني اسرائيل وقال يمان بن رياب كانوا ياكلون منها ما شاؤا وروى عطاء بن ابي رباح عن سلمان الفارسي انه قال والله ما تبع عيسى ع شيئا من المساوي قط ولا انتهر شيئا ولا قهقه ضحكا ولا ذب ذبابا عن وجهه ولا اخذ على انفه من نتن شيء قط ولا عبث قط ولما سال الحواريون ان ينزل عليهم المائدة لبس صوفا وبكى وقال اللهم انزل علينا مائدة من السماء فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة فوقها وغمامة تحتها وهم ينظرون اليها وهي تهوى منقضة حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى ع وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة واليهود ينظرون اليها ينظرون الى شيء لم يروا مثله قط ولم يجدوا ريحا اطيب من ريحه فقام عيسى وتوضا وصلى صلوة طويلة ثم كشف المنديل عنها وقال بسم الله خير الرازقين فاذا هو سمكة مشوية وليس عليها فلوسها تسيل سيلا من الدسم وعند راسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول ما عدا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله امن طعام الدنيا هذا ام من طعام الاخرة فقال عيسى ليس شيء مما ترون من طعام الدنيا ولا من طعام الاخرة ولكنه شيء افتعله الله بالقدرة العالية كلوا مما سالتم يمددكم ويزدكم من فضله قال الحواريون يا روح الله لو اريتنا من هذه الاية اليوم اية اخرى فقال عيسى يا سمكة احيي باذن الله تعالى فاضطربت السمكة وعاد عليها فلوسها وشوكها ففزعوا منها فقال عيسى ما لكم تسألون اشياء اذا اعطيتموها كرهتموها ما اخوفني عليكم ان تعذبوا يا سمكة عودي كما كنت باذن الله تعالى فعادت السمكة مشوية كما كانت فقالوا يا روح الله كن اول من ياكل منها ثم ناكل نحن فقال عيسى معاذ الله ان اكل منها ولكن ياكل منها من سالها فخافوا ان ياكلوا منها فدعا لها عيسى ع اهل الفاقة والزمنى والمرضى والمبتلين فقال كلوا منها ولكم المهنا ولغيركم البلاء فاكل منها الف وثلثمائة رجل وامراة من فقير ومريض ومبتلى وكلهم شبعان يتجشأ ثم نظر عيسى الى السمكة فاذا هي كهيئتها حين نزلت من السماء ثم طارت المائدة صعدا وهم ينظرون اليها حتى توارت عنهم فلم ياكل منها يومئذ زمن الا صح ولا مريض الا برء ولا فقير الا استغنى ولم يزل غنيا حتى مات وندم الحواريون ومن لم ياكل منها وكانت اذا نزلت اجتمعت الاغنياء والفقراء والصغار والكبار يتزاحمون عليها فلما راى ذلك عيسى جعلها نوبة بينهم فلبثت اربعين صباحا تنزل ضحى فلا تزال منصوبة يؤكل منها حتى اذا فاء الفيء طارت صعدا وهم ينظرون في ظلها حتى توارت عنهم وكانت تنزل غبا يوما ويوما لا فاوحى الله الى عيسى اجعل مائدتي للفقراء دون الاغنياء فعظم ذلك على الاغنياء حتى شكوا وشككوا الناس فيها فاوحى الله تعالى الى عيسى اني شرطت على المكذبين شرطا ان من كفر بعد نزولها اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين فقال عيسى ع ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فمسخ منهم ثلثمائة وثلثة وثلثون رجلا باتوا من ليلتهم على فرشهم مع نسائهم في ديارهم فاصبحوا خنازير يسعون في الطرقات والكناسات وياكلون العذرة في الحشوش فلما راى الناس فزعوا الى عيسى وبكوا وبكى على الممسوخين اهلوهم فعاشوا ثلثة ايام حتى هلكوا وفي تفسير اهل البيت عليهم السلم وكانت المائدة تنزل عليهم فيجتمعون عليها وياكلون منها ثم ترفع فقال كبراؤهم ومترفوهم لا ندع سفلتنا ياكلون منها

معنا فرفع الله المائدة بغيهم ومسخوا قردة وخنازير وإذ قال الله يا عيسى بن مريم ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك انك انت علام الغيوب ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم النفس يقع على وجوه فالنفس نفس الانسان وغيره من الحيوان وهي التي اذا فارقها خرج من كونه حيا ومنه قوله كل نفس ذائقة الموت والنفس ايضا ذات الشيء الذي يخبر عنه كقولهم فعل ذلك فلان نفسه والنفس ايضا الارادة كما في قول الشاعر فنفساي نفس قالت ائت ابن بحدل تجد فرجا من كل غم تهابها ونفس تقول اجهد نجاءك لا تكن كخاضبة لم يغن شيئا خضابها وقال النمر بن تولب اما خليلي فانني سمجلة حتى تواري نفسه كازعما نفس لحر من نفوس القوم صالحة تعطي الجزيل ونفس ترضع الغنما يريد انه بين نفسين نفس تامره بالجود واخرى تامره بالبخل وكني برضاع الغنم عن البخل كما يقال لئيم راضع والنفس العين التي تصيب الانسان وروي ان رسول الله صلعم كان يرقي فيقول بسم الله ارقيك والله يشفيك من كل داء هو فيك من عين عاين ونفس نافس وحسد حاسد وقال ابن الاعرابي النفوس الذي يصيب الانسان بالنفس وذكر رجلا فقال كان حسودا نفوسا كذوبا وقال ابن قيس الرقيات يتقي اهلها النفوس عليها فعلى نحرها الرقى والتميم وقال مضرس واذا نموا صعدا فليس عليهم منا الخيال ولا نفوس الحسد والنفس الغيب يقال اني لا اعلم نفس فلان اي غيبه وعلى هذا تاويل الاية ويقال النفس ايضا العقوبة وعليه حمل بعضهم قوله سبحانه ويحذركم الله نفسه والرقيب اصله من الترقب وهو الانتظار ومعناه الحافظ ورقيب القوم حارسهم والشهيد الشاهد لما يكون ويجوز ان يكون بمعنى العليم

حقيقة اذ ان يكون لما مضى وهذا معطوف على ما قبله فكانه قال يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم وذلك ان يقول يا عيسى وقيل انه سبحانه انما قال له ذلك حين رفعه اليه فيكون القول ماضيا عن البلخي وهو قول السدي والصحيح الاول لان الله تعالى عقب هذه الاية بقوله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم واراد به يوم القيمة وانما خرج هذا مخرج الماضي وهو المستقبل تحقيقا لوقوعه كقوله سبحانه ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ومثل قوله ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت يريد اذ يفزعون وكذلك قوله ولو ترى اذ وقفوا على النار وقال ابو النجم ثم جزاه الله عني اذ جزى جنات عدن في العلالي العلا من دون الله من زائدة موكدة للمعنى وقوله ان كنت قلته المعنى ان اكن الان قلته فيما مضى ولم يكن فيه على المضي لان الشرط والجزاء لا يقعان الا فيما يستقبل وحرف الجزاء يصير معنى الماضي الى الاستقبال الاصح هذا قول المحققين وقوله اعبدوا الله ذكر في محله وجوه احدها النصب بدلا من ما امرتني به والثاني ان يكون مجرورا الموضع بدلا من الهاء في به والثالث ان يكون مفسرة لما امر به بمعنى اي وعلى هذا فلا موضع لها من الاعراب ثم عطف سبحانه على ما تقدم من امر المسيح ع فقال واذ قال الله والمعنى اذ يقول الله يوم القيمة لعيسى يا عيسى بن مريم ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله هذا وان خرج مخرج الاستفهام فهو تقريع وتهديد لمن ادعى ذلك عليه من النصارى كما جرى في العرف بين الناس ان من ادعى على غيره قولا فيقال لذلك الغير بين يدي المدعي عليه ذلك القول انت قلت هذا القول ليقول لا فيكون ذلك استعظاما لذلك القول وتكذيبا لقائله وذكر فيه وجه اخر وهو ان يكون الغرض بهذا القول تعريف عيسى ع ان قوما قد اعتقدوا فيه وفي امه انهما الهان لانه يمكن ان يكون عيسى لم يعرف ذلك الا في تلك الحال عن البلخي والاول اصح وقد اعترض على قوله الهين فقيل لا يعلم في النصارى من اتخذ امه الها والجواب عنه من وجوه احدها انهم لما جعلوا المسيح الها لزمهم ان يجعلوا والدته ايضا الها لان الولد يكون من جنس الوالدة فهذا على طريق الالزام لهم والثاني انهم لما عظموهما تعظيم الالهة اطلق اسم الالهة عليهما كما اطلق اسم الرب على الاحبار والرهبان في قوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله لما عظموهم تعظيم الرب والثالث انه يحتمل ان يكون فيهم من قال بذلك ويعضد هذا القول ما حكاه الشيخ ابو جعفر قدس الله روحه عن بعض النصارى انه قد كان فيما مضى قوم يقال لهم المريمية يعتقدون في مريم انها الهة فعلى هذا يكون القول فيه كالقول في الحكاية عن اليهود في قولهم عزير ابن الله قال يعني عيسى سبحانك يريد جلالك وتعظمت وتعاليت عن ان يتخذ وقيل معناه تنزيها لك وبراءة مما لا يجوز عليك وقيل تنزيها لك من ان تبعث رسولا يدعي الهية لنفسه ويكفر بنعمتك فجمع بين التوحيد والعدل ثم تبرا من قول النصارى فقال ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق اي لا يجوز لي ان اقول لنفسي ما لا يحق لي فامر الناس بعبادتي وانا عبد مثلهم وانما تجوز العبادة لك لقدرتك على اصول النعم ثم

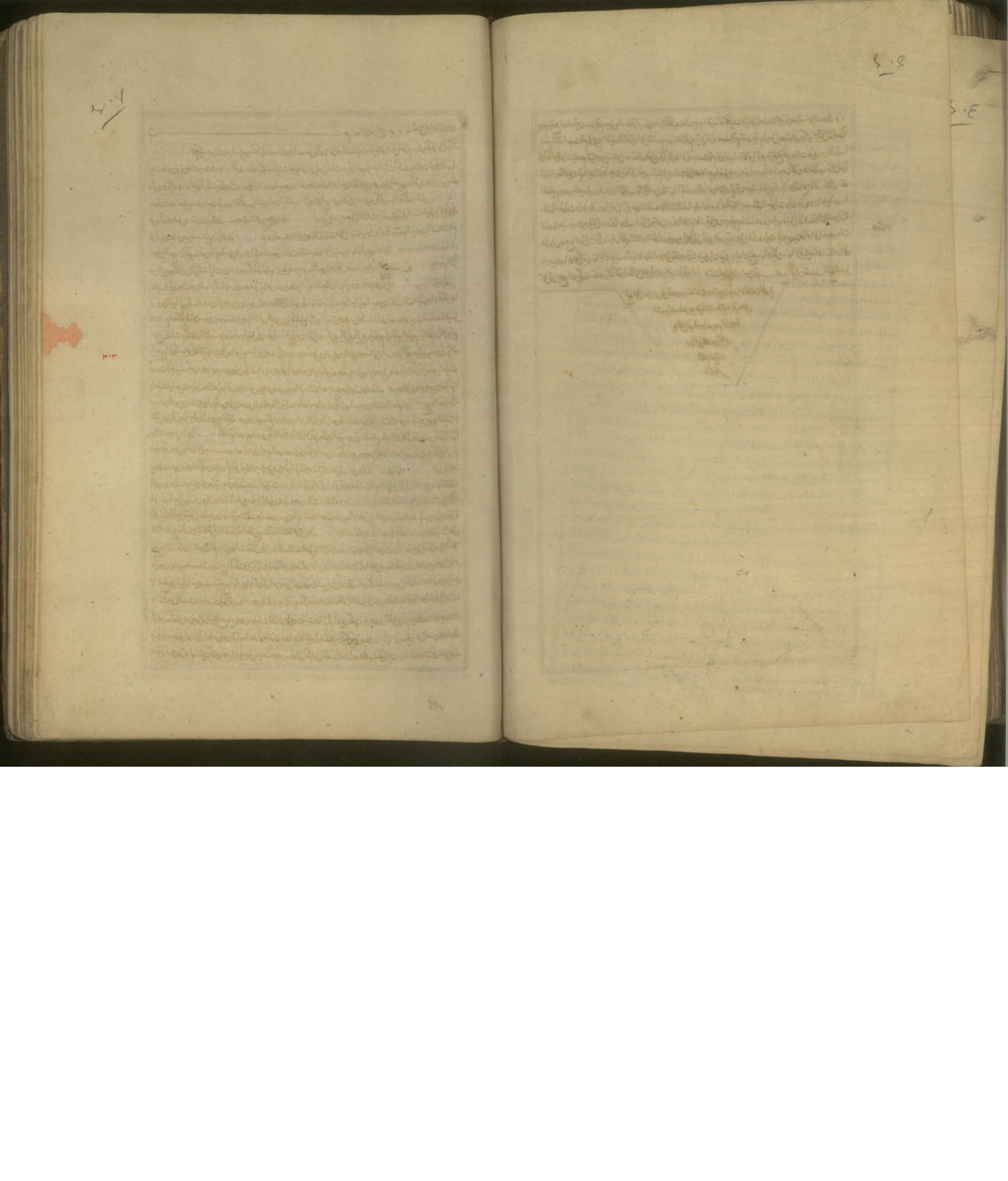
استشهد سبحانه على براءته من ذلك القول فقال ان كنت قلته فقد علمته يريد انى لم اقله لانى لو كنت قلته لما خفى عليك لانك علام الغيوب تعلم
ما فى نفسى ولا اعلم ما فى نفسك اى تعلم غيبى وسرى ولا اعلم غيبك وسرك عن ابن عباس وانما ذكر النفس لمزاوجة الكلام والعادة جارية بان
الانسان يسر فى نفسه فصار قوله ما فى نفسى عبارة عن الاخفاء ثم قال ما فى نفسك على جهة المقابلة والا فالله سبحانه منزه عن ان يكون له نفس او
قلب تحل فيه المعانى ويقوى هذا التاويل قوله سبحانه انك انت علام الغيوب لانه علل علمه بما فى نفس عيسى بانه علام الغيوب وعيسى ليس
كذلك فلذلك لم يعلم ما يختص الله بعلمه ثم قال حكاية عن عيسى فى جواب ما قرره سبحانه عليه ما قلت لهم الا ما امرتنى به ان اعبدوا الله ربى
وربكم اى لم اقل للناس الا ما امرتنى به من الاقرار لك بالعبودية وانك ربى وربهم واله وانهى والههم فامرتهم ان يعبدوك وحدك ولا يشركوا معك
غيرك فى العبادة وكنت عليهم شهيدا اى شاهدا ما دمت حيا فيهم بما شاهدته منهم وعلمته وبما ابلغتهم من رسالتك التى حملتنيها وامرتنى بادائها
اليهم فلما توفيتنى اى قبضتنى اليك وامتنى عن الجبائى وقيل معناه وفاة الرفع الى السماء عن الحسن كنت انت الرقيب عليهم اى الحفيظ عليهم
عن السدى وقتادة وانت على كل شئ شهيد اى انت عالم بجميع الاشياء لا يخفى عليك خافية ولا يغيب عنك شئ قال الجبائى وفى هذه الاية
دلالة على انه سبحانه امات عيسى وتوفاه ثم رفعه اليه لانه بين انه كان شهيدا عليهم ما دام فيهم فلما توفاه الله سبحانه كان هو الشهيد عليهم وهذا
ضعيف لان التوفى لا يستفاد من اطلاقه الموت الا ترى الى قوله سبحانه الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فبين انه سبحانه
يتوفى الانفس التى لم تمت ان تعذبهم فانهم عبادك لا يقدرون على دفع شئ من انفسهم وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فى هذا
تسليم للامر الى مالكه وتفويض الى مدبره وتبرؤ من ان يكون اليه شئ من امور قومه كما يقول الواحد منا اذا تبرأ من تدبير امر من الامور ويريد
تفويضه الى غيره هذا الامر لا مدخل لى فيه فان شئت فافعله وان شئت فاتركه مع علمه وقطعه على ان احد الامرين لا يكون منه وقيل ان المعنى
ان تعذبهم فباقامتهم على كفرهم وان تغفر لهم فبتوبة منهم عن الحسن فكانه اشترط التوبة وان لم يكن الشرط ظاهرا فى الكلام وانما لم يقل فانك
انت الغفور الرحيم لان الكلام لم يخرج مخرج السؤال ولو قال ذلك لاوهم الدعاء بالمغفرة لهم على ان قوله العزيز الحكيم ابلغ فى المعنى وذلك ان المغفرة
قد تكون حكمة وقد لا تكون والوصف بالعزيز الحكيم يشتمل على معنى الغفران والرحمة اذا كانا صوابين ويزيد عليهما باستيفاء معان كثيرة لان
العزيز هو المنيع القادر الذى لا يضام والقاهر الذى لا يرام وهذا المعنى لا يفهم من الغفور الرحيم والحكيم هو الذى يضع الاشياء فى
مواضعها ولا يفعل الا الحسن الجميل فالمغفرة والرحمة ان اقتضتهما الحكمة دخلتا فيه ويزداد معنى هذا اللفظ عليهما من حيث اقتضى وصف الحكمة
فى نيابة الله تعالى **قوله تعالى** قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضى
الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شئ قدير آيتان **القراءة** قرأ نافع وحده
يوم ينفع بالنصب والباقون بالرفع **الحجة** قال ابو على من رفع يوما جعله خبر المبتدأ الذى هو هذا واضاف يوما الى ينفع والجملة التى
من المبتدأ والخبر فى موضع نصب بانه مفعول القول كما تقول قال زيد عمرو اخوك ومن قال هذا يوم ينفع احتمل امرين احدهما ان يكون مفعول
قال تقديره قال الله هذا القصص او هذا الكلام يوم ينفع الصادقين صدقهم فيوم ظرف للقول وهذا اشارة الى ما تقدم ذكره من قوله اذ قال
الله يا عيسى بن مريم وجاء على لفظ المضى وان كان المراد به الاتى كما قال ونادى اصحاب الجنة ونحو ذلك وليس ابعد قال حكاية فهذا الوجه
كما كان اياها فى الوجه الاخر ويجوز ان يكون المعنى على الحكاية وتقديره قال الله تعالى هذا يوم ينفع الصادقين اى هذا الذى اقتصصنا يقع او
يحدث يوم ينفع او خبر المبتدأ الذى هو هذا الظرف لانه اشارة الى حدث وظروف الزمان تكون اخبارا عن الاحداث والجملة فى موضع نصب
بانها فى موضع مفعول قال ولا يجوز ان يكون فى موضع رفع وقد فتح لان المضاف اليه معرب وانما يكتسى البناء من المضاف اليه اذا كان
المضاف اليه مبنيا والمضاف مبهما كما يكون ذلك فى هذا الضرب من الاسماء واذا اضيف الى ما كان مبنيا نحو ومن خزى يومئذ ومن عذاب
يومئذ وصار فى المضاف البناء للاضافة الى المبنى كما صار فيه للاستفهام للاضافة الى المستفهم به نحو غلام من انت وكما صار فيه الجر نحو غلام
من تضرب اضرب وليس المضارع فى هذا كالماضى فى نحو قوله على حين عاتبت المشيب على الصبى فقلت الما تصح والشيب وازع لان
الماضى مبنى والمضارع معرب فاذا كان معربا لم يكن شئ يحدث من اجله البناء فى المضاف والاضافة الى الفعل نفسه فى الحقيقة لا الى المصدر
ولو كانت الاضافة الى المصدر لم يبن المضاف لبناء المضاف اليه **المعنى** لما بين عيسى عليه السلام بطلان ما عليه النصارى قال الله سبحانه هذا

يوم ينفع الصادقين صدقهم يعنى ما صدقوا به فى دار التكليف لان يوم القيمة لا تكليف فيه على احد ولا يخبر احد فيه الا بالصدق ولا
ينفع الكفار صدقهم فى يوم القيمة اذا اقروا على انفسهم بسوء اعمالهم وقيل المراد بصدقهم تصديقهم لرسل الله تعالى وكتبه وقيل انه الصدق
فى الاخرة وانه ينفعهم لقيامهم فيه بحق الله تعالى فعلى هذا يكون المراد به صدقهم فى الشهادة لانبيائهم بالبلاغ لهم جنات تجرى من تحتها
الانهار خالدين فيها ابدا اى دائمين فيها فى نعيم مقيم لا يزول رضى الله عنهم بافعالهم ورضوا عنه بما اعطاهم من الجزاء والثواب ذلك الفوز
العظيم وهو ما يحصلون فيه من الثواب قال الحسن فازوا بالجنة ونجوا من النار ثم بين سبحانه عظيم قدرته واتساع مملكته فقال لله
ملك السموات والارض وما فيهن نزه سبحانه نفسه عما قالت النصارى ان معه الها فقال لله ملك السموات والارض دون كل ما سواه
لقدرته عليه وحده وقيل ان هذا جواب لسؤال مضمر فى الكلام كانه قيل من يعطيهم ذلك الفوز العظيم فقيل الذى له ملك السموات و
الارض وجمع السموات والارض تفخيما لشان السموات وهو على كل شئ قدير فهو يقدر على المقدورات بان يوجدها وعلى الموجودات
بان يعدمها وعلى كثير منها بان يعيدها بعد الافناء وعلى مقدورات غيره بان يقدر عليها ويمنع منها ويمكن منها وقيل معناه انه قادر على
كل شئ يصح ان يكون مقدورا له كقوله خالق كل شئ عن ابى على الجبائى تمت الجزء الاول من كتاب مجمع البيان تصنيف الشيخ الجليل

شيخ على الطبرسى فى شهور سنه ثلث وتسعين بعد الالف من الهجرة
النبوية المصطفوية عليها الف سلام وتحية على
يد اقل العباد واحوجهم الى رحمة
ربه الغنى محمد حسن الطبسى
اللهم اغفر له
ولوالديه

وحدهم

٣٠٢



بسم الله الرحمن الرحيم و به نثق واعتمادي

سورة الانعام مكية عن ابن عباس غير ست آيات وما قدروا الله حق قدره الى آخر ثلث آيات قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الى آخر ثلث آيات فانهن نزلن بالمدينة وفي رواية اخرى عنه غير ثلث آيات قل تعالوا الى آخر الثلاث وباقي السورة كلها نزلت بمكة وروي عن ابي بن كعب وعكرمة وقتادة انها كلها نزلت بمكة جملة واحدة ليلا ومعها سبعون الف ملك قد ملأوا ما بين الخافقين لهم زجل بالتسبيح والتحميد فقال النبي صلم سبحان الله العظيم وخر ساجدا ثم دعا الكتاب فكتبوها من ليلتهم واكثرها حجاج على المشركين وعلى من كذب بالبعث والنشور **عدد آيها** هي مائة وخمس وستون آية كوفي ست بصري شامي سبع حجازي **اختلافها** اربع آيات وجعل الظلمات والنور حجازي لست عليكم بوكيل كوفي كن فيكون والى صراط مستقيم غير الكوفي **فضلها** ابي بن كعب عن النبي ص قال انزلت على الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأها صلى عليه اولئك السبعون الف ملك بعدد كل آية من الانعام يوما وليلة جابر بن عبد الله الانصاري عن النبي ص قال من قرأ ثلث آيات من اول سورة الانعام الى قوله ويعلم ما تكسبون وكل الله به اربعين الف ملك يكتبون له مثل عبادتهم الى يوم القيمة وينزل ملك من السماء السابعة ومعه مرزبة من حديد فاذا اراد الشيطان ان يوسوس او يوحي في قلبه شيئا ضربه بها الى آخر الخبر وروى العياشي باسناده عن ابي بصير عن ابي عبد الله ع قال ان سورة الانعام نزلت جملة وشيعها سبعون الف ملك فعظموها وبجلوها فان اسم الله تعالى فيها في سبعين موضعا ولو يعلم الناس ما فيها من الفضل ما تركوها ثم قال ع من كانت له الى الله حاجة يريد قضاءها فليصل اربع ركعات بفاتحة الكتاب والانعام وليقل في صلوته اذا فرغ من القراءة يا كريم يا كريم يا كريم يا عظيم يا عظيم يا عظيم يا اعظم من كل عظيم يا سميع الدعاء يا من لا تغيره الليالي والايام صل على محمد وآل محمد وارحم ضعفي وفقري وفاقتي ومسكنتي يا من رحم الشيخ يعقوب حين رد عليه يوسف قرة عينه يا من رحم ايوب بعد طول بلائه يا من رحم محمدا ص ومن اليتم آواه ونصره على جبابرة قريش وطواغيتها وامكنه منهم يا مغيث يا مغيث يا مغيث يقول ذلك مرارا فوالذي نفسي بيده لو دعوت بها ثم سألت الله جميع حوائجك لاعطاك وروى علي بن ابرهيم بن هاشم عن ابيه عن الحسن بن خالد عن ابي الحسن علي بن موسى الرضا ع قال نزلت الانعام جملة واحدة شيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتهليل والتكبير فمن قرأها سبحوا له الى يوم القيمة وروى ابو صالح عن ابن عباس قال من قرأ سورة الانعام في كل ليلة كان من الآمنين يوم القيمة ولم ير النار بعينه ابدا **تفسيرها** لما ختم الله سبحانه سورة المائدة بانه على كل شيء قدير افتتح سورة الانعام بما يدل على كمال قدرته من خلق السموات والارض وغيرها فقال بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون هو الذي خلقكم من طين ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده ثم انتم تمترون آيتان عراقي شامي وثلث آيات حجازي **اللغة** العدل خلاف الجور وعدلت به غيره اي سويته به وعدلت عنه اعرضت وعدلت الشيء فاعتدل اي قومته فاستقام والاجل الوقت المضروب لانقضاء الامد فاجل الانسان وقت انقضاء عمره واجل الدين محله وهو وقت انقضاء وقت التاخير واصله التأخير يقال اجله تاجيلا وعجله تعجيلا والآجل نقيض العاجل والامتراء الشك واصله من مريت الناقة اذا مسحت ضرعها لاستخراج اللبن ومنه ماريته مراء ومماراة اذا استخرجت ما عنده بالمناظرة والامتراء استخراج الشبهة المشكلة من غير حل **المعنى** بدأ الله تعالى هذه السورة بالحمد لنفسه اعلاما بانه المستحق لجميع المحامد لان اصول النعم وفروعها منه تعالى ولان له الصفات العلى فقال الحمد لله الذي خلق السموات والارض يعني اخترعهما بما اشتملا عليه من عجائب الصنعة وبدائع الحكمة وقيل انه في لفظ الخبر ومعناه الامر اي احمدوا الله وانما جاء على صيغة الخبر وان كان فيه معنى الامر لانه ابلغ في البيان من حيث انه يجمع الامرين وقد ذكرنا من معنى الحمد لله وتفسيره في الفاتحة ما فيه كفاية وجعل الظلمات والنور يعني الليل والنهار عن السدي وجماعة وقيل الجنة والنار عن قتادة وانما قدم ذكر الظلمات لانه خلق الظلمة قبل النور وكذلك خلق السموات قبل الارض ثم تعجب تعالى ممن جعل له شريكا مع ما يرى من الآيات الدالة على وحدانيته فقال ثم الذين كفروا اي جحدوا الحق بربهم يعدلون اي يسوون به غيره بان جعلوا له اندادا مأخوذ من قولهم ما اعدل بفلان احدا اي لا نظير له عندي وقيل معنى يعدلون يشركون به غيره عن الحسن ومجاهد ودخول ثم في قوله ثم الذين كفروا دليل على معنى لطيف وهو انه تعالى انكر على الكفار العدل به وعجب المؤمنين من ذلك ومثله في المعنى قوله

فيما بعد ثم انتم تمترون والوجه في التعجيب ان هؤلاء الكفار مع اعترافهم بان اصول النعم منه وانه هو الخالق لها الرازق عبدوا غيره ونقضوا ما اعترفوا به وايضا فانهم عبدوا ما لا ينفع ولا يضر من الحجارة والموات هو الذي خلقكم من طين يعني به آدم والمعنى انشأ اباكم واخترعه من طين وانتم من ذريته فلما كان آدم ع اصلنا ونحن من نسله جاز ان يقول لنا خلقكم من طين ثم قضى اجلا اي كتب وقدر اجلا والقضاء يكون بمعنى الحكم وبمعنى الامر وبمعنى الخلق وبمعنى الاتمام والاكمال واجل مسمى عنده قيل فيه اقوال احدها انه يعني بالاجلين اجل الحيوة الى الموت واجل الموت الى البعث وقيام الساعة عن الحسن وسعيد بن المسيب وقتادة والضحاك واختاره الزجاج وروى ايضا عطا عن ابن عباس قال قضى اجلا من مولده الى مماته واجل مسمى عنده من الممات الى البعث لا يعلم ميقاته احد سواه فاذا كان الرجل صالحا واصلا لرحمه زاد الله له في اجل الحيوة من اجل الممات الى البعث واذا كان غير صالح ولا واصل نقصه الله من اجل الحيوة وزاد في اجل البعث قال وذلك قوله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب وثانيها انه الاجل الذي يحيى به اهل الدنيا الى ان يموتوا واجل مسمى عنده يعني الآخرة لانه اجل دائم ممدود لا آخر له وانما قال مسمى عنده لانه مكتوب في اللوح المحفوظ وهو الموضع الذي لا يملك فيه الحكم على الخلق سواه عن الجبائي وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد وثالثها ان اجلا يعني به اجل من مضى من الخلق واجل مسمى عنده يعني به آجال الباقين عن ابي مسلم ورابعها ان قوله اجلا يعني به النوم يقبض الروح فيه ثم يرجع الى صاحبه عند اليقظة واجل مسمى عنده هو اجل موت الانسان وهو المروي عن ابن عباس ويؤيده قوله ويرسل الاخرى الى اجل مسمى والاصل في الاجل هو الوقت فاجل الحيوة هو الوقت الذي يكون فيه الحيوة واجل الموت او القتل هو الوقت الذي يحدث فيه الموت او القتل وما يعلم الله تعالى ان المكلف يعيش اليه لو لم يقتل لا يسمى اجلا حقيقة ويجوز ان يسمى ذلك مجازا وما جاء في الاخبار من ان صلة الرحم يزيد في العمر والصدقة تزيد في الاجل وان الله تعالى زاد في آجال قوم ونقص من آجال آخرين وما اشبه ذلك فلا مانع منه وقوله ثم انتم تمترون خطاب للكفار الذين شكوا في البعث والنشور واحتجاج عليهم بانه تعالى خلقهم ونقلهم من حال الى حال وقضى عليهم الموت وهم يشاهدون ذلك ويقرون بانه لا محيص عنه ثم بعد هذا يشكون ويكذبون بالبعث ومن قدر على ابتداء الخلق فلا ينبغي ان يشك في انه يصح منه اعادتهم وبعثهم قوله تعالى وهو الله في السموات وفي الارض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون آية **الاعراب** هو لا يشبه ان يكون ضمير القصة والحديث وتقديره الامر الله يعلم في السموات وفي الارض سركم وجهركم فالله مبتدأ ويعلم خبره وفي السموات وفي الارض في موضع النصب بيعلم وسركم مفعوله ايضا ولا يكون الظرف الذي هو الجار والمجرور منصوب الموضع بالمصدر وان جعلت الظرف متعلقا باسم الله سبحانه في قياس قول من قال ان اصل الله الاله فيكون المعنى هو المعبود في السموات وفي الارض يعلم وتقديره الامر المعبود في السموات وفي الارض يعلم سركم وجهركم ومن جعل اسم الله بمنزلة اسماء الاعلام فلا يجوز ان يتعلق الظرف به الا ان يقدر فيه ضربا من معنى الفعل ويجوز ان يكون هو مبتدأ والله خبره والعامل في قوله في السموات وفي الارض اسم الله على ما قلناه ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر **المعنى** ثم عطف تعالى على ما تقدم فقال وهو الله في السموات وفي الارض يعلم سركم وجهركم فيه وجوه على ما ذكرناه في الاعراب فعلى التقدير الاول يكون معناه الله يعلم في السموات وفي الارض سركم وجهركم ويكون الخطاب لجميع الخلائق لان الخلق اما ان يكونوا ملائكة فهم في السماء او بشرا وجنا فهم في الارض فهو تعالى عالم بجميع اسرارهم واحوالهم ومتصرفاتهم لا يخفى عليه شيء منها ويعلم ما تكسبون اي يعلم جميع ما تعملونه من الخير والشر فيجازيكم على حسب اعمالكم وعلى التقدير الثاني يكون معناه انه المعبود في السموات وفي الارض والمتفرد بالتدبير في السموات وفي الارض يعلم سركم وجهركم فلا يخفى عليه منكم خافية ويكون الخطاب لبني آدم وان جعلت اسم الله علما على هذا التقدير ثم علقت به قوله في السموات وفي الارض لم يجز وان علقته بمحذوف يكون خبر الله او حالا اعترضه وهم بان يكون الباري سبحانه في محل تعالى عن ذلك علوا كبيرا وقال ابو بكر السراج ان الله وان كان علما ففيه معنى الثناء والتعظيم اللذين يقرب بهما من الفعل فيجوز ان يوصل الظرف بالمحل وتاويله هو المعظم او المحمود في السموات وفي الارض ثم قال يعلم سركم وجهركم ومثل ذلك قوله تعالى وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله قال الزجاج لو قلت هو زيد في البيت والدار لم يجز الا ان يكون في الكلام دليل على ان زيدا يدبر امر البيت والدار فيكون المعنى هو المدبر في البيت والدار ولو قلت هو المعتضد الخليفة في الشرق والغرب او قلت هو المعتضد في الشرق والغرب جاز وعلى مقتضى ما قاله ابو بكر والزجاج يكون في متعلقة بما دل عليه اسم الله تعالى ويكون هو الله مبتدأ وخبرا والمعنى هو المتفرد بالالهية في السموات وفي الارض لا اله فيهما غيره ولا مدبر لهما سواه وان جعلت في السموات خبرا بعد خبر فيكون التقدير وهو الله وهو في السموات وفي الارض بمعنى انه في كل مكان فلا يكون الى مكان اقرب منه الى مكان ثم اخبر

تعالى عن هذا المعنى مبينا لذلك ومؤكدا له بقوله يعلم سركم وجهركم اى الخفى المكتوم والظاهر المكشوف منكم ويعلم ما تكسبون والمعنى يعلم نياتكم
واحوالكم واعمالكم وهذا الترتيب الذى ذكرت فى معانى هذه الاية التى استنبطتها من وجوه الاعراب مما لم اسبق اليه وهو فى استقامة فصوله
ومطابقة اصول الدين لحصوله كما تراه لا غبار عليه وفيها دلالة على فساد قول من قال ان الله تعالى فى مكان دون مكان تعالى الله عن ذلك
وفى قوله يعلم سركم وجهركم دلالة على انه تعالى عالم لنفسه لان من كان عالما بعلم لا يصح ذلك منه قوله تعالى وما تأتيهم من آية من آيات ربهم
الا كانوا عنها معرضين فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزؤن ايتان الاعراب من الاولى مزيدة وهى
التى تقع فى النفى لاستغراق الجنس وموضعه رفع والثانية للتبعيض المعنى ثم اخبر تعالى عن الكفار المذكورين فى اول الاية فقال وما تأتيهم
من آية اى لا تأتيهم حجة من آيات ربهم اى من حججه وبيناته كانشقاق القمر وآيات القرآن وغير ذلك من المعجزات الا كانوا عنها معرضين
لا يقبلونها ولا يستدلون بها على ما دلهم الله عليه من توحيده وصدق رسوله فقد كذبوا بالحق الذى اتاهم به محمد صلى الله عليه وآله
من القرآن وساير امور الدين فسوف يأتيهم انباء اى اخبار ما كانوا به يستهزؤن والمعنى اخبار استهزائهم وجزاؤه وهو عقاب الاخرة
وقيل معناه سيعلمون ما يؤل اليه استهزاؤهم عن ابن عباس والحسن وقال الزجاج ومعنى الاستهزاء ايهام التفخيم فى معنى التحقير قوله تعالى
الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الارض ما لم نمكن لكم وارسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الانهار تجرى من تحتهم
فاهلكناهم بذنوبهم وانشانا من بعدهم قرنا آخرين اللغة القرن اهل كل عصر ماخوذ من اقرانهم فى العصر قال الزجاج والقرن ثمانون
سنة وقيل سبعون قال والذى عندى ان القرن اهل كل مدة كان فيها نبى او كان فيها طبقة من اهل العلم قلت السنون او كثرت فى
الدليل عليه قول النبى صلى الله عليه وآله خيركم قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم والتمكين اعطاء ما به يصح الفعل كائنا ما كان من الة
او غيرها والاقدار اعطاء القدرة خاصة ومفعال من اسماء المبالغة يقال ديمة مدرار اذا كان مطرها غزيرا دارا وهو كقولهم امرأة مذكار
اذا كانت كثيرة الولادة للذكور وكذلك مئناث فى الاناث واصل الادرار من در اللبن اذا اقبل على الحالب منه شئ كثير ودرت السماء
اذا امطرت والدر اللبن ويقال لله دره اى عمله وفى الذم لا در دره اى لا كثر خيره الاعراب كم نصب باهلكنا لا بقوله يروا لان الاستفهام له
صدر الكلام فلا يعمل فيه ما قبله وهو تعليق ومعنى التعليق ان الاستفهام ابطل عمل يرى فى اللفظ وقد عمل فى معناه وانتقل من الخبر
الى الخطاب بقوله ما لم نمكن لكم اتساعا فى الكلام وقد قال مكناهم فى الارض وانما لم يقل ما لم نمكنكم لان العرب تقول مكنته ومكنت له
كما تقول نصحته ونصحت له المعنى ثم حذرهم تعالى ما نزل بالامم قبلهم فقال الم يروا اى الم يعلم هؤلاء الكفار كم اهلكنا من قبلهم من قرن
اى من امة وكل طبقة مقترنين فى وقت قرن مكناهم فى الارض ما لم نمكن لكم معناه جعلناهم ملوكا واغنياء كانه تعالى اخبر النبى صلى الله عليه وآله
عنهم فى صدر الكلام ثم خاطبه معهم وقال ابن عباس يريد اعطيناهم ما لم نعطكم والمعنى وسعنا عليهم فى كثرة العبيد والاموال والولاية
والبسطة وطول العمر ونفاذ الامر وانتم تسمعون اخبارهم وترون ديارهم وآثارهم وارسلنا السماء عليهم مدرارا قال ابن عباس
يريد به الغيث والبركة والسماء معناه المطر ههنا وجعلنا الانهار اى ماء الانهار تجرى من تحتهم فاهلكناهم بذنوبهم ولم يغن ذلك
عنهم شيئا لما طغوا واجترؤا علينا وانشانا من بعدهم قرنا آخرين اى خلقنا من بعد اهلاكهم جماعة اخرى وفى هذه الاية دلالة على
وجوب التفكر والتدبر والاحتجاج على منكرى البعث بان من اهلك من قبلهم وانشا قوما آخرين قادر على ان يفنى العالم وينشئ عالما
آخر ويعيد الخلق بعد الافناء قوله تعالى ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين
النزول نزلت فى النضر بن الحرث وعبد الله بن ابى امية ونوفل بن خويلد قالوا يا محمد لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله
ومعه اربعة من الملائكة يشهدون عليه انه من عند الله وانك رسوله عن الكلبى المعنى ثم اخبر تعالى عن عنادهم فقال ولو نزلنا
يا محمد كتابا فى قرطاس اى كتابة فى صحيفة واراد بالكتاب المصدر وبالقرطاس الصحيفة وقيل كتابا معلقا من السماء الى الارض عن ابن عباس
فلمسوه بايديهم اى فعاينوا ذلك معاينة ومسوه بايديهم عن قتادة وغيره قالوا والمس باليد ابلغ فى الاحساس من المعاينة ولذلك
قال فلمسوه بايديهم دون ان يقول فعاينوه لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين اخبر تعالى انهم يدفعون الدليل حتى لو اتاهم
الدليل مدركا بالحس لنسبوا ذلك الى السحر لعظيم عنادهم وقساوة قلوبهم وفى هذه الاية دلالة على ما يقوله اهل العدل فى

اللطف لانه تعالى بين انه انما لم يفعل ما سالوه حيث علم انهم لا يؤمنون عنده قوله تعالى وقالوا لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا
لقضى الامر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق
بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن ثلث آيات اللغة قال الزجاج قضى فى اللغة على ضروب كلها ترجع الى معنى انقطاع الشئ و
تمامه وقد ذكرنا معانى القضاء فى سورة البقرة عند قوله واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون يقال لبست الامر على القوم البسه لبسا اذا
شبهته عليهم وجعلته مشكلا قال ابن السكيت يقال لبست عليه الامر اذا خلطته عليه حتى لا يعرف جهته ومعنى اللبس منع النفس من ادراك
الشئ بما هو كالستر له واصله من الستر بالثوب ومنه لبس الثوب لانه يستر النفس يقال لبست الثوب البسه لبسا ولباسا والحيق ما يشتمل على
الانسان من مكروه فعله يقال حاق بهم يحيق حيقا وحيوقا وحيقانا بفتح الياء المعنى ثم اخبر تعالى عن هؤلاء الكفار انهم قالوا لولا اى هلا انزل
عليه اى على محمد ملك نشاهده فنصدقه ثم اخبر تعالى عن عظم عنادهم فقال ولو انزلنا ملكا على ما اقترحوه لما امنوا به اقتضت الحكمة
استيصالهم وان لا ينظرهم ولا يمهلهم وذلك معنى قوله لقضى الامر ثم لا ينظرون اى لاهلكوا بعذاب الاستيصال عن الحسن وقتادة والسدى
وقيل معناه لو انزلنا ملكا فى صورته لقامت الساعة اذ وجب استيصالهم عن مجاهد ثم قال ولو جعلناه ملكا اى لو جعلنا الرسول ملكا
او الذى ينزل عليه ليشهد بالرسالة كما يطلبون لجعلناه رجلا لانهم لا يستطيعون ان يروا الملك فى صورته لان اعين الخلق تحار عن رؤية
الملائكة الا بعد التجسيم بالاجسام الكثيفة ولذلك كانت الملائكة تاتى الانبياء فى صورة الانس وكان جبرئيل ياتى النبى صلى الله عليه وآله
فى صورة دحية الكلبى وكذلك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب واتيانهم ابرهيم ولوطا فى صورة الضيفان من الادميين وللبسنا عليهم
ما يلبسون قال الزجاج كانوا هم يلبسون على ضعفتهم فى امر النبى صلى الله عليه وآله فيقولون انما هذا بشر مثلكم فقال لو انزلنا ملكا
فراوا هم الملك رجلا لكان يلحقهم فيه من اللبس مثل ما لحق ضعفتهم منهم اى فانما طلبوا حال لبس لا حال بيان وهذا احتجاج عليهم بان الذى
طلبوه لا يزيدهم بيانا بل يكون الامر فى ذلك على ما هم عليه من الحيرة وقيل معناه لو انزلنا ملكا لما عرفوه الا بالتفكر وهم لا يتفكرون فيبقون
فى اللبس الذى كانوا فيه واضاف اللبس الى نفسه لانه يقع عند انزاله الملائكة ثم قال على سبيل التسلية لنبيه صلى الله عليه وآله من تكذيب المشركين
اياه واستهزائهم به ولقد استهزئ برسل من قبلك يقول لقد استهزأت الامم الماضية برسلها كما استهزأ بك قومك فلست
باول رسول استهزئ به ولا هم اول امة استهزأت برسولها فحاق بالذين سخروا منهم اى فحل بالساخرين منهم ما كانوا به يستهزؤن
من وعيد انبيائهم بعاجل العقاب فى الدنيا وقيل معنى حاق بهم احاط عن الضحاك وهو اختيار الزجاج اى احاط بهم العذاب الذى هو جزاء
استهزائهم فهو من باب حذف المضاف اذا جعلت ما فى قوله ما كانوا به يستهزؤن عبارة عن القرآن والشريعة وان جعلت ما عبارة عن
العذاب الذى توعدهم النبى صلى الله عليه وآله ان لم يؤمنوا استغنيت عن تقدير حذف المضاف ويكون المعنى فحاق بهم العذاب الذى
كانوا يسخرون من وقوعه قوله تعالى قل سيروا فى الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين قل لمن ما فى السموات والارض قل لله
كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم الى يوم القيمة لا ريب فيه الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون وله ما سكن فى الليل والنهار
وهو السميع العليم ثلث آيات الاعراب قال الاخفش الذين خسروا انفسهم بدل من الكاف والميم فى ليجمعنكم وقال الزجاج هو فى
موضع رفع على الابتداء وخبره فهم لا يؤمنون لان ليجمعنكم مشتمل على ساير الخلق على الذين خسروا وغيرهم قال واللام فى ليجمعنكم لام قسم
فجاز ان يكون تمام الكلام كتب ربكم على نفسه الرحمة ثم استانف فقال ليجمعنكم والمعنى والله ليجمعنكم وجاز ان يكون ليجمعنكم بدلا من الرحمة
مفسرا لها لانه لما قال كتب ربكم على نفسه الرحمة فسر رحمته بانه يمهلهم الى يوم القيمة ليتوبوا المعنى ثم خاطب تعالى نبيه صلى الله عليه وآله فقال
قل يا محمد لهؤلاء الكفار سيروا فى الارض اى سافروا فيها ثم انظروا والنظر طلب الادراك بالبصر والفكر والاستدلال ومعناه ههنا
فانظروا بابصاركم وتفكروا بقلوبكم كيف كان عاقبة المكذبين المستهزئين وانما امرهم بذلك لان ديار المكذبين من الامم السالفة
كانت باقية واخبارهم فى الخسف والهلاك كانت شايعة فاذا سار هؤلاء وسمعوا اخبارهم وعاينوا آثارهم دعاهم ذلك الى الايمان
وزجرهم عن الكفر والطغيان ثم قال قل يا محمد لهؤلاء الكفار لمن ما فى السموات والارض لله الذى خلقها ام للاصنام فان اجابوك
فقالوا لله والا فقل انت لله اى ملكهما وخلقهما والتصرف فيهما كيف يشاء كتب على نفسه الرحمة اى اوجب على نفسه الانعام

على خلقه وقيل معناه اوجب على نفسه الثواب لمن اطاعه وقيل اوجب على نفسه الرحمة بانظار عباده وامهاله اياهم ليتداركوا ما فرطوا فيه ويتوبوا
عن معاصيهم وقيل اوجب على نفسه الرحمة لامة محمد صلى الله عليه وآله بان لا يعذبهم عند التكذيب كما عذب من قبلهم من الامم الماضية
والقرون الخالية عند التكذيب بل يؤخرهم الى يوم القيمة عن الجبائي ليجمعنكم الى يوم القيمة اي ليؤخرن جمعكم الى يوم القيمة فيكون تفسيرا
للرحمة على ما ذكرنا ان المراد امهال العاصي ليتوب وقيل ان هذا احتجاج على من انكر البعث والنشور يقول ليجمعنكم الى يوم القيمة الذي انكروه
كما تقول جمعت هؤلاء الى هؤلاء اي ضممت بينهم في الجمع يريد يجمع اولكم وآخركم قرنا بعد قرن الى يوم القيمة وهو الذي لا ريب فيه وقيل معناه ليجمعن
هؤلاء المشركين الذين خسروا انفسهم الى هذا اليوم الذي يجحدونه ويكفرون به عن الاخفش وسأل على هذا فقال كيف يحتج على المشركين
بالبعث وهم لا يصدقون به والجواب انه جار مجرى الالزام وايضا فانه تعالى انما ذكر ذلك عقيب الدليل وقال كيف نفى الريب مطلقا
فقال لا ريب فيه والكافر مرتاب فيه والجواب ان الحق حق وان ارتاب فيه المبطل وايضا فان الدلائل تزيل الشك والريب فان نعم الدنيا تعم
المحسن والمسيء ولا بد من دار يتميز فيها المحسن من المسيء وايضا فقد صح ان التكليف تعريض للثواب واذا لم يمكن ايصال الثواب في الدنيا لان
شانه ان يكون صافيا من الشوائب فلا يكون مقترنا بالتكليف لان التكليف لا يعري من المشقة فلا بد من دار اخرى وايضا فان التمكين
من الظلم من غير انتصاف في العاجل وانزال الامراض من غير استحقاق ولا ايصال عوض في العاجل يوجب قضية العقل في ذلك ان يكون
دار اخرى يوفى فيها الاعواض وينتصف للمظلوم من الظالم الذين خسروا انفسهم اي اهلكوها بارتكاب الكفر والعناد فهم لا يؤمنون اي
لا يصدقون بالحق ولما ذكر تعالى ملك السموات والارض عقبه بذكر ما فيهما فقال وله ما سكن اي له كل متمكن ساكن في الليل و
النهار خلقا وملكا وملكا وانما ذكر الليل والنهار هنا وذكر السموات والارض فيما قبل لان الاول يجمع المكان والثاني يجمع الزمان وهما
ظرفان لكل موجود فكانه اراد الاجسام والاعراض وعلى هذا فلا يكون السكون في الاية ما هو خلاف الحركة بل المراد به الحلول كما قال ابن
الاعرابي انه من قولهم فلان يسكن بلد كذا اي يحله وهذا موافق لقول ابن عباس وله ما استقر في الليل والنهار من خلق وقيل معناه
ما سكن في الليل للاستراحة وتحرك في النهار للمعيشة وانما ذكر الساكن دون المتحرك لانه اعم واكثر ولان عاقبة التحرك السكون ولان
النعمة في السكون اكثر والراحة فيه اعم وقيل المراد الساكن والمتحرك وتقديره وله ما سكن وتحرك الا ان العرب قد تذكر احد وجهي الشيء
وتحذف الاخر لان المذكور ينبه على المحذوف كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر والمراد الحر والبرد ومتى قيل لماذا ذكر الحركة والسكون
من بين سائر المخلوقات فالجواب لما في ذلك من التنبيه على حدوث العالم واثبات الصانع لان كل جسم لا ينفك من الحوادث
التي هي الحركة والسكون فاذا لا بد من محرك ومسكن لاستواء الوجهين في الجواز ولما نبه على اثبات الصانع عقبه بذكر صفته
فقال وهو السميع العليم والسميع هو الذي على صفة يصح لاجلها ان يسمع المسموعات اذا وجدت وهو كونه حيا لا آفة به
ولذلك يوصف به فيما لم يزل والعليم هو العالم بوجوه التدبير في خلقه وبكل ما صح ان يعلم وانما جعل الليل والنهار في هذه الاية
كالمسكن لما اشتملا عليه لانه ليس يخرج منهما شيء فجمع كل الاشياء بهذا اللفظ القليل الحروف وهذا من افصح ما يمكن قال النابغة
فانك كالليل الذي هو مدركي وان خلت ان المنتاى عنك واسع فجعل الليل مدركا له اذا كان مشتملا عليه قوله تعالى
قل اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض وهو يطعم ولا يطعم قل اني امرت ان اكون اول من اسلم ولا تكونن من
المشركين قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم ايتان القراءة روي في الشواذ قراءة عكرمة والاعمش ولا
يطعم بفتح الياء ومعناه ولا ياكل اللغة الفطرة ابتداء الخلقة قال ابن عباس ما كنت ادري معنى الفاطر حتى احتكم الي اعرابيان
في بئر فقال احدهما انا فطرتها اي ابتدات حفرها واصل الفطر الشق ومنه اذا السماء انفطرت اي انشقت قال الزجاج فان قال
قائل كيف يكون الفطر في معنى الخلق والانفطار في معنى الانشقاق قيل انهما يرجعان الى شيء واحد لان معنى فطرهما خلقهما خلقا
قاطعا الاعراب غير نصب لانه مفعول لاتخذ ووليا مفعول ثان وقوله ان عصيت ربي فيه وجهان احدهما انه اعتراض بين الكلام
كما يكون الاعتراض بالاقسام فعلى هذا لا موضع له من الاعراب والاخر انه في موضع نصب على الحال كانه قيل اني اخاف
عاصيا ربي عذاب يوم عظيم ويكون جواب الشرط محذوفا وعلى الوجهين جميعا النزول قيل ان اهل مكة قالوا للرسول

يا محمد تركت ملة قومك وقد علمنا انه لا يحملك على ذلك الا الفقر فانا نجمع لك من اموالنا حتى تكون من اغنانا فنزلت الاية
المعنى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين سبق ذكرهم اغير الله اتخذ وليا اي مالكا ومولى وولي الشيء مالكه الذي هو اولى به من غيره
والمعنى لا اتخذ غير الله وليا الا ان اخراجه على لفظ الاستفهام ابلغ من سائر الفاظ النفي فاطر السموات والارض اي خالقهما ومنشئهما
من غير احتذاء على مثال وهو يطعم ولا يطعم اي يرزق ولا يرزق والمراد يرزق الخلق ولا يرزقه احد وقيل انما ذكر الاطعام لان
حاجة العباد اليه اشد ولان نفيه عن الله ادل على نفي شبهه بالمخلوقين لان الحاجة الى الطعام لا تجوز الا على الاجسام واحتج تعالى
بهذا على الكفار لان من خلق السموات والارض وانشاهما وما فيهما واحكم تدبيرهما واطعم من فيهما وهم فقراء اليه معلوم انه الذي ليس كمثله
شيء وهو القادر القاهر الغني الحي فلا يجوز لمن عرف ذلك ان يعبد غيره قل يا محمد اني امرت اي امرني ربي ان اكون اول من اسلم اي
من استسلم لامر الله ورضي بحكمه وقيل معناه امرت ان اكون اول من اخلص العبادة من اهل هذا الزمان عن الكلبي وقيل اول من اسلم من امتي
وامن بعد الفترة عن الحسن وانما كان اول لانه خص بالوحي وقيل معناه اول من خضع ولمن وعرف الحق من قومي وان اترك ما هم عليه من
الشرك ونظيره قول موسى سبحانك اني تبت اليك وانا اول المؤمنين اي بانك لا ترى من سالك ان تريه نفسك وقول السحرة انا نطمع
ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا اول المؤمنين بان هذا ليس بسحر وانه الحق اي اول المؤمنين من السحرة ولا تكونن من المشركين المعنى
بالامرين جميعا اي امرت بالايمان ونهيت عن الشرك وتقديره وقيل لي لا تكونن من المشركين وصار امرت بدلا من ذلك لانه حين قال
امرت اخبر انه قيل له ذلك فقوله ولا تكونن معطوف على ما قبله في المعنى قل يا محمد اني اخاف وقيل معناه اوقن واعلم وقيل هو من الخوف
ان عصيت ربي اي بترك امره وترك نهيه وقيل بعبادة غيره وقيل باتخاذ غيره وليا عذاب يوم عظيم يعني يوم القيمة ومعنى العظيم
هنا انه شديد على العباد وعظيم في قلوبهم قوله تعالى من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز المبين اية القراءة
قرا حمزة والكسائي وخلف ويعقوب وابو بكر عن عاصم من يصرف بفتح الياء وكسر الراء وقرا الباقون يصرف بضم الياء وفتح الراء
الحجة قال ابو علي فاعل يصرف الضمير العائد الى ربي وينبغي ان يكون حذف الضمير العائد الى العذاب والمعنى من يصرفه عنه وكذلك
هو في قراءة ابي فيما زعموا وليس حذف هذا الضمير بالسهل وليس بمنزلة الضمير الذي يحذف من الصلة لان من جزاء ولا يكون صلة
على ان الضمير انما يحذف من الصلة اذا عاد الى الموصول نحو اهذا الذي بعث الله رسولا وسلام على عباده الذين اصطفى اي
بعثه واصطفاهم ولا يعود الضمير المحذوف هنا الى موصول ولا الى من التي للجزاء وانما يرجع الى العذاب في قوله عذاب يوم
عظيم وليس هذا بمنزلة قوله والحافظين فروجهم والحافظات لان هذا فعل واحد قد تكرر وعدي الاول منهما الى المفعول فعلم
بتعديته الاول ان الثاني بمنزلته واما قراءة من يصرف فالمسند اليه الفعل المبني للمفعول ضمير العذاب المقدم ذكره والذكر العائد الى
المبتدا الذي هو في القراءتين جميعا الضمير الذي في عنه ومما يقوي قراءة من قرا يصرف بفتح الياء ان ما بعده من قوله فقد رحمه
مسند الى ضمير اسم الله تعالى فقد اتفق الفعلان في الاسناد والى هذا الضمير ومما يقوي ذلك ايضا ان الهاء المحذوفة من يصرفه لما كانت في
حيز الجزاء وكان ما في حيزه في انه لا يتسلط على ما تقدمه بمنزلة ما في الصلة في انه لا يجوز ان يتسلط على الموصول حسن حذف الهاء منه
كما حسن حذفها من الصلة المعنى من يصرف العذاب عنه يومئذ فقد رحمه الله يريد من غفر له فانه يثيبه الله لا محالة وذكر تعالى
الرحمة مع صرف العذاب لئلا يتوهم انه ليس له الا صرف العذاب عنه فقط وذلك الفوز اي الظفر بالبغية المبين الظاهر البين ويحتمل
ان يكون معنى الاية انه لا يصرف العذاب عن احد الا برحمة الله كما روي ان النبي صلى الله عليه وآله قال والذي نفسي بيده ما من الناس من
احد يدخل الجنة بعمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمة منه وفضل ووضع يده على فوق راسه
وطول بها صوته رواه الحسن في تفسيره قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فهو على كل
شيء قدير وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير ايتان المعنى ثم بين تعالى انه لا يملك النفع والضر الا هو فقال وان يمسسك
الله بضر اي ان يصبك بفقر او مرض او مكروه فلا كاشف له الا هو اي لا مزيل ولا مفرج له عنه ولا يملك كشفه سواه مما يعبده
المشركون وان يمسسك بخير اي وان يصبك بغنى او سعة في الرزق او صحة في البدن او شيء من محاب الدنيا فهو على كل شيء من

الخبير والضير قدير ولا يقدر احد على دفع ما يريد لعباده من مكروه او محبوب فان قيل ان المس من صفات الاجسام فكيف قال ان يمسسك الله
قلنا الباء للتعدية والمراد ان امسك الله ضرا اى جعل الضر يمسك فالفعل للضر وان كان فى الظاهر قد اسند الى اسم الله تعالى و
الضر اسم جامع لكل ما يتضرر به من المكاره كما ان الخير اسم جامع لكل ما ينتفع به وهو القاهر ومعناه القادر على ان يقهر غيره فوق
عباده معنى فوق هنا قهره واستعلاؤه عليهم فهم تحت تسخيره وتذليله بما علاهم به من الاقتدار الذى لا ينفك منه احد ومثله
قوله تعالى يد الله فوق ايديهم يريد انه اقوى منهم وهو الحكيم الخبير معناه انه مع قدرته عليهم لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة والخبير العالم
بالشئ وتاويله انه العالم بما يصح ان يخبر به والخبر علمك بالشئ تقول لى به خبر اى علم واصله من الخبر لانه طريق العلم فاذا كان القاهر
على ما ذكرناه بمعنى القادر صح وصفه تعالى فيما لم يزل بانه قاهر وقال بعضهم لا يسمى قاهرا الا بعد ان يقهر غيره فعلى هذا يكون من صفات
الافعال فلا يصح وصفه فيما لم يزل به قوله تعالى قل اى شئ اكبر شهادة قل الله شهيد بينى وبينكم واوحى الى هذا القران لانذركم
به ومن بلغ ائنكم لتشهدون ان مع الله الهة اخرى قل لا اشهد قل انما هو اله واحد واننى برئ مما تشركون الذين
اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون ايتان الاعراب شهادة نصب على
التمييز ومن بلغ فى محل نصب للانذار والعايد من الصلة الى الموصول محذوف وائنكم كتب بالياء لان الهمزة التى قبلها همزة تخفف بان
يجعل بين بين فاذا كانت مكسورة يجعل بين الهمزة والياء فكتب بالياء الذين اتيناهم الكتاب رفع بالابتداء ويعرفونه خبره الذين خسروا
انفسهم رفع بكونه نعتا للذين الاولى ويجوز ان يكون رفعا بالابتداء وقوله فهم لا يؤمنون خبره النزول قال الكلبى اتى اهل مكة
رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا اما وجد الله غيرك ما نرى احدا يصدقك فيما تقول ولقد سالنا عنك اليهود والنصارى
فزعموا انه ليس لك عندهم ذكر فارنا من يشهد انك رسول الله كما تزعم فانزل الله تعالى المعنى قل يا محمد لهؤلاء الكفار اى شئ اكبر
اى اعظم شهادة واصدق قرضا يكم به وادلكم بذلك على انى صادق وقيل معناه اى شئ اكبر شهادة حتى يشهد لى بالبلاغ وعليكم
بالتكذيب عن الجبائى وقيل معناه اى شئ اعظم حجة واصدق شهادة عن ابن عباس فان قالوا الله والا فقل لهم الله شهيد بينى و
بينكم يشهد لى بالرسالة والنبوة وقيل يشهد لى بتبليغ الرسالة اليكم وتكذيبكم اياى واوحى الى هذا القران اى انزل الى حجة
وشهادة على صدقى لانذركم به اى لاخوفكم به من عقاب الله تعالى ومن بلغ اى ولاخوف من بلغه القران الى يوم القيمة وروى الحسن
فى تفسيره عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال من بلغه انى ادعو الى ان لا اله الا الله فقد بلغته يعنى بلغته الحجة وقامت عليه وقال
محمد بن كعب من بلغه القران فكانما راى محمدا صلى الله عليه وآله وسمع منه وقال مجاهد حيث ما ياتى القران فهو داع ونذير
وقرا هذه الاية وفى تفسير العياشى قال ابو جعفر وابو عبد الله عليهما السلم معناه من بلغ ان يكون اماما من آل محمد صلى الله عليه وآله
فهو ينذر بالقران كما انذر به رسول الله وعلى هذا فيكون قوله ومن بلغ فى موضع رفع عطفا على الضمير فى انذر وفى الاية دلالة على
ان الله تعالى يجوز ان يسمى شيئا لان قوله قل اى شئ اكبر شهادة جاء جوابه قل الله ومعنى الشئ انه ما يصح ان يعلم ويخبر عنه فالله تعالى
شئ لا كالاشياء بمعنى انه معلوم لا كالمعلومات التى هى الجواهر والاعراض والاشتراك فى الاسم لا يوجب التماثل وفى قوله ومن بلغ
دلالة على انه صلى الله عليه وآله خاتم الانبياء ومبعوث الى الكافة ثم قال تعالى موبخا لهم قل يا محمد لهم ائنكم لتشهدون ان
مع الله الهة اخرى هذا استفهام معناه الجحد والانكار وتقريع كيف تشهدون ان مع الله الهة اخرى بعد وضوح الادلة
وقيام الحجة بوحدانية الله تعالى وانما قال اخرى ولم يقل آخر لان الالهة جمع والجمع مونث فهو كقوله ولله الاسماء الحسنى وقوله فما بال
القرون الاولى ولم يقل الاول ثم قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله قل انت يا محمد لا اشهد بمثل ذلك وان شهدتم باثبات الهة
لله تعالى بعد قيام الحجة بوحدانية الله تعالى والشاهد هو المبين لدعوى المدعى ثم قال قل يا محمد لمن شهد ان معه الهة اخرى انما هو اله
واحد واننى برئ مما تشركون به وبعبادته من الاوثان وغيرها ولهذا قال العلماء يستحب لمن اسلم ان ياتى بالشهادتين و
يتبرا من كل دين سوى الاسلام ثم ذكر تعالى ان الكفار بين جاهل ومعاند فقال الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون
ابناءهم وهذا مفسر فى سورة البقرة الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون مفسر فى هذه السورة فان حملته على انه صفة

الذين

للذين الاولى فالمعنى به اهل الكتاب وان حملته على الابتداء فانه يتناول جميع الكفار قال ابو حمزة الثمالى لما قدم النبى صلى الله عليه وآله
المدينة قال عمر لعبد الله بن سلام ان الله تعالى انزل على نبيه صلى الله عليه وآله ان اهل الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فكيف هذه المعرفة
فقال عبد الله بن سلام نعرف نبى الله بالنعت الذى نعته الله اذا رايناه فيكم عرفناه كما يعرف احدنا ابنه اذا راه مع الغلمان وايم الله
يحلف به ابن سلام لانا بمحمد اشد معرفة منى بابنى فقال له كيف قال عبد الله بما نعته الله لنا فى كتابنا فاشهد انه هو فاما ابنى فانى
لا ادرى ما احدثت امه فقال قد وفقت وصدقت واصبت قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته
انه لا يفلح الظالمون ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ايتان القراءة ويوم
يحشرهم ثم يقول بالياء فيهما قراءة يعقوب وحده وكذلك فى الفرقان وفى سبا وقرا فى سائر القران بالنون وقرا حفص هنا وفى يونس بالنون
وفى سائر القران بالياء وقرا ابو جعفر وابن كثير فى الفرقان بالياء وفى سائر القران بالنون وقرا الباقون بالنون فى جميع القران الحجة من
قرا بالياء رده الى الله فى قوله على الله كذبا ومن قرا بالنون ابتدا والياء فى المعنى كالنون الاعراب ويوم نحشرهم العامل فيه محذوف على
معنى واذكر يوم نحشرهم وقيل انه معطوف على محذوف كانه قيل لا يفلح الظالمون ابدا ويوم نحشرهم والعايد الى الموصول محذوف من
الذين كنتم تزعمون وتقديره تزعمون انهم شركاء او تزعمونهم شركاء فحذف مفعول الزعم لدلالة الكلام عليه المعنى ثم بين تعالى ما يلزمهم
من التوبيخ والتهجين بالاشراك فقال ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا معناه ومن اكفر ممن اختلق على الله كذبا فاشرك به الالهة
عن ابن عباس وهذا استفهام معناه الجحد اى لا احد اظلم منه لان جوابه كذلك فاكتفى من الجواب بما يدل عليه او كذب باياته اى بالقران و
بمحمد صلى الله عليه وآله ومعجزاته انه لا يفلح الظالمون اى لا يفوز برحمة الله وثوابه ورضوانه ولا بالنجاة من النار الظالمون والظالم ههنا
هو الكافر بنبوة محمد صلى الله عليه وآله المكذب باياته الجاحد لها بقوله ما نصب الله اية على نبوته ويوم نحشرهم جميعا يعنى بهم من تقدم ذكرهم
من الكفار لانه تعالى يحشرهم يوم القيمة من قبورهم الى موضع الحساب ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون اختلف فى
وجه هذا السؤال فقيل ان المشركين اذا راوا تجاوز الله عن اهل التوحيد قال بعضهم لبعض اذا سئلتم فقولوا انا موحدون فلما جمعهم
قال لهم اين شركاؤكم ليعلموا ان الله تعالى يعرف انهم اشركوا به فى دار الدنيا وانه لا ينفعهم الكتمان عن مقاتل وقيل ان المشركين كانوا يزعمون ان
الهتهم تشفع لهم عند الله فقيل لهم يوم القيمة اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون انها تنفعكم توبيخا لهم وتبكيتا على ما كانوا يدعونه
عن اكثر المفسرين وانما اضاف الشركاء اليهم لانهم اتخذوها لانفسهم ومعنى تزعمون تكذبون قال ابن عباس كل زعم فى كتاب الله كذب
وفى هذه الاية دلالة واضحة على بطلان مذهب الجبر وعلى اثبات المعاد وحشر جميع الخلق قوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا
والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ايتان القراءة قرا اهل المدينة وابو عمرو
وابو بكر عن عاصم وخلف ثم لم تكن بالتاء فتنتهم بالنصب وقرا ابن كثير وابن عامر وحفص عن عاصم ثم لم تكن بالتاء ايضا فتنتهم بالرفع
وقرا حمزة والكسائى ويعقوب ثم لم يكن بالياء فتنتهم بالنصب وقرا حمزة والكسائى وخلف والله ربنا بالنصب وقرا الباقون ربنا
بالجر الحجة من قرا تكن بالتاء فتنتهم بالنصب فانه انث ان قالوا لما كان القول الفتنة فى المعنى كما قال فله عشر امثالها فانث الامثال
لما كانت فى معنى الحسنات ومما جاء فى الشعر قول لبيد فمضى وقدمها وكانت عادة منه اذا هى عردت اقدامها فانث الاقدام لما
كانت العادة فى المعنى قال الزجاج ويجوز ان يكون الا ان قالوا الا مقالتهم ومن قرا تكن بالتاء فتنتهم بالرفع اثبت علامة التانيث
فى الفعل المسند الى الفتنة والفتنة مونثة وعلى هذه القراءة يكون قوله ان قالوا فى موضع نصب بكونه خبر كان ومن قرا لم يكن
بالياء فتنتهم نصبا جعل قوله ان قالوا اسم كان والاولى والاقوى ان يكون فتنتهم نصبا وان قالوا الاسم لان ان اذا وصلت لم
توصف فاشبهت بامتناع وصفها المضمر فكما ان المضمر اذا كان مع المظهر كان ان يكون المضمر الاسم احسن فكذلك اذا كانت مع اسم غيرها
كانت ان تكون الاسم اولى واما من قرا والله ربنا فانه جعل الاسم المضاف وصفا للمفرد ومثل ذلك رايت زيدا صاحبنا وقوله
ما كنا مشركين جواب القسم ومن قرا ربنا بالنصب فصل بالاسم المنادى بين القسم وبين المقسم عليه والفصل به لا يمتنع وقد فصل بالنداء
بين الصلة والموصول لكثرة النداء فى الكلام وذلك مثل قول الشاعر ذاك الذى وابيك يعرف مالك والحق يدفع

ترهات الباطل ويجوز ان يكون نصبه على المدح بمعنى اعني ربنا او اذكر ربنا اللغة الزهري وجماعة الفتنة في كلام العرب الامتحان
ماخوذ من قولك فتنت الفضة والذهب اذا اذبتهما بالنار واحرقتهما وقد فتن الرجل بالمرأة وافتتن وقد فتنته المرأة وافتنته
قال الشاعر لئن فتنتني لهي بالامس افتنت عقيلا فامسى قد قلى كل مسلم الاعراب العامل في كيف قوله كذبوا ولا يجوز ان يعمل فيه
انظر لان الاستفهام له صدر الكلام فلا يجوز ان يعمل فيه ما قبله المعنى ثم بين تعالى جواب القوم عند توجه التوبيخ اليهم فقال ثم
لم تكن فتنتهم اختلف في معنى الفتنة هنا على وجوه احدها ان معناه ثم لم تكن معذرتهم الا ان قالوا عن ابن عباس وقتادة وهو المروي
عن ابي عبد الله عليه السلم وهذا راجع الى معنى الجواب ايضا وثانيها ما قاله الزجاج ان تاويله حسن لطيف لا يعرفه الا من عرف معاني
الكلام وتصرف العرب في ذلك والله تعالى ذكر في هذه الايات الاقاصيص التي جرت لامر المشركين وانهم مفتونون بشركهم ثم اعلم انه لم
يكن افتتانهم بشركهم واقامتهم عليه الا ان تبرأوا منه وانتفوا منه فحلفوا انهم ما كانوا مشركين ومثل ذلك في اللغة ان ترى انسانا
يحب غاويا فاذا وقع في هلكة تبرأ منه فيقول له ما كانت محبتك فلانا الا ان انتفيت منه فالفتنة ههنا بمعنى الشرك والافتتان
بالاوثان ويؤيد ذلك ما رواه عطا عن ابن عباس قال فتنتهم يريد شركهم في الدنيا وهذا القول في التاويل يرجع الى حذف المضاف
لان المعنى لم تكن عاقبة فتنتهم الا البراءة منها بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين ويسال فيقال كيف يجوز ان يكذبوا في الاخرة و
يحلفوا على الكذب في الدار وليست بدار تكليف وكل الناس ملجؤون فيها الى ترك القبيح لمشاهدة الحقائق وزوال عوارض الشبه
والشكوك لمعرفتهم بالله تعالى ضرورة والجواب ان معناه ما كنا مشركين في الدنيا عند انفسنا وفي اعتقادنا وتقديرنا وذلك ان
المشركين في الدنيا يعتقدون كونهم مصيبين فيحلفون على هذا في الاخرة فعلى هذا يكون قولهم وحلفهم يقعان على وجه الصدق
وقيل ايضا انهم يحلفون على ذلك لزوال عقولهم لما لحقتهم من الدهشة من اهوال يوم القيمة ثم ترجع عقولهم فيقرون ويعترفون
ويجوز ان ينسوا شركهم في الدنيا بما لحقتهم من الدهشة عند مشاهدة الاهوال انظر المعنى يقول الله تعالى عند حلف هؤلاء انظر
يا محمد كيف كذبوا على انفسهم هذا وان كان لفظه لفظ الاستفهام فالمراد به التنبيه على التعجب منهم ومعناه انظر الى
اخبارهم عن افترائهم كيف هو فانه لا يمكن النظر الى ما يوجد في الاخرة وانما كذبهم الله تعالى في قولهم وان كانوا صادقين عند
انفسهم لان الكذب هو الاخبار بالشيء لا على ما هو به علم المخبر بذلك او لم يعلم فلما كان قولهم ما كنا مشركين كذبا في الحقيقة
جاز ان يقال كذبوا على انفسهم وقيل معناه انظر كيف كذبوا على انفسهم في دار الدنيا لانهم كذبوا في الاخرة لانهم كانوا مشركين على
الحقيقة وان اعتقدوا انهم على الحق عن الجبائي وضل عنهم ما كانوا يفترون اي ضلت عنهم اوثانهم التي كانوا يعبدونها و
يفترون الكذب بقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله غدا فذهبت عنهم في الاخرة فلم يجدوها ولم ينتفعوا بها عن الحسن وقيل
انه عام في كل ما يعبد من دون الله تعالى فانها تضل عن عابديها يوم القيمة ولا يغني عنهم شيئا واختلف اهل العدل في
ان اهل الاخرة هل يجوز ان يقع منهم الكذب فالاصح انه لا يجوز على ما قلناه وقال بعضهم يجوز ذلك لما لحقتهم من الدهش و
الحيرة في القيمة فاذا استقر اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار فلا يجوز ان يقع منهم القبيح والكذب ويكون جميعهم ملجئين الى
ترك القبيح وبه قال ابو بكر بن الاخشيد واصحابه وقال بعضهم انه يجوز وقوعه منهم في جميع الاحوال قوله تعالى ومنهم من يستمع
اليك وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها حتى اذا جاؤك يجادلونك
يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاولين اية اللغة الاكنة جمع كنان وهو ما وقى شيئا وستره مثل عنان
واعنة قال الليث كل شيء وقى شيئا فهو كنانه وكنه والفعل منه كننت واكننت والكنة امرأة الابن او الاخ لانها في كنه
واستكن الرجل من الحر واكتن استتر الوقر الثقل في الاذن والوقر بكسر الواو الحمل قال ابو زيد وقرت اذنه توقر وقرا وقال
الكسائي وقرت اذنه فهي موقورة قال الشاعر وكلام سيء قد وقرت اذني منه وما بي من صمم واساطير واحدها اسطورة
واسطار ماخوذ من سطر الكتاب وهو سطر وسطر فمن قال سطر جمعه اسطار ومن قال سطر فجمعه في القليل اسطر وفي الكثير سطور
قال رؤبة اني واسطار سطرن سطرا لقائل يا نصر نصر نصرا وجمع اسطار اساطير قال الزجاج وتاويل السطر في اللغة ان يجعل

شيئا ممتدا مؤلفا وقال الاخفش اساطير جمع لا واحد له نحو ابابيل ومذاكير وقال بعضهم واحد الابابيل ابيل بالتشديد وكر الا
والجدال الخصومة سمي بذلك لشدته وقيل انه مشتق من الجدالة وهي الارض لان احدهما يلقي صاحبه على الارض الاعراب
ان يفقهوه قال الزجاج يريد انه حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويجادلونك في موضع النصب على الحال النزول
قيل ان نفرا من مشركي مكة منهم النضر بن الحرث وابو سفيان بن حرب والوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة واخوه شيبة وغيرهم
جلسوا الى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقرأ القران فقالوا للنضر ما يقول محمد فقال اساطير الاولين مثل ما كنت احدثكم
عن القرون الماضية فانزل الله هذه الاية المعنى ثم وصف الله تعالى حالهم عند استماع القران فقال ومنهم اي من الكفار الذين تقدم
ذكرهم من يستمع اليك يريد يستمعون الى كلامك قال مجاهد يعني قريشا وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا
وقد ذكرنا الكلام فيه في سورة البقرة عند قوله ختم الله على قلوبهم وقال القاضي ابو عاصم العامري اصح الاقوال فيه ما روي ان النبي
كان يصلي بالليل ويقرأ القران في الصلوة جهرا رجاء ان يستمع الى قراءته انسان فيتدبر معانيه ويؤمن به فكان المشركون اذا سمعوه آذوه
ومنعوه عن الجهر بالقراءة فكان الله تعالى يلقي عليهم النوم او يجعل في قلوبهم اكنة ليقطعهم عن مرادهم وذلك بعد ما بلغهم ما تقوم به
الحجة وينقطع به المعذرة وبعد ما علم الله تعالى انهم لا ينتفعون بسماعه ولا يؤمنون به فشبه القاء النوم عليهم بجعل الغطاء
على قلوبهم وبوقر اذانهم لان ذلك كان يمنعهم من التدبر كالوقر والغطاء وهذا معنى قوله واذا قرأت القران جعلنا بينك وبين
الذين لا يؤمنون بالاخرة حجابا مستورا وهو قول ابي علي الجبائي ويحتمل ذلك وجها اخر وهو انه تعالى عاقب هؤلاء الكفار الذين علم
انهم لا يؤمنون بعقوبات يجعلها في قلوبهم تكون موانع من ان يفقهوا ما يسمعونه ويحتمل ايضا ان يكون سمى الكفر الذي في قلوبهم كنا
تشبيها ومجازا واعراضهم عن تفهم القران وقرا توسعا لان مع الكفر والاعراض لا يحصل الايمان والفهم كما لا يحصلان مع الكن والوقر
ونسب ذلك الى نفسه لانه الذي شبه احدهما بالاخر كما يقال احدنا لغيره اذا اثنى على انسان وذكر مناقبه جعلته فاضلا وبالضد
اذا ذكر مقابحه وفسقه يقول جعلته فاسقا وكما يقال جعل القاضي فلانا عدلا وكل شيء يراد به الحكم عليه بذلك والابانة عن حاله
كما قال الشاعر جعلتني باخلا كلا ورب منى اني لاسمح كفا منك في الكرب ومعناه سميتني باخلا وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها يريد
ان يروا كل عبرة لم يصدقوا بها عن ابن عباس وقيل معناه وان يروا كل علامة ومعجزة دالة على نبوتك لا يؤمنوا بها لعنادهم عن الزجاج
ولو اجري معنى الاية على ظاهرها لم يكن لهذا معنى لان من لا يمكنه ان يسمع ويفقه لا يجوز ان يوصف بذلك وكان لا يصح ان يصفهم
بانهم كذبوا باياته وغفلوا عنها وهم ممنوعون عن ذلك والذي يزيل الاشكال انه تعالى قال في وصف بعض الكفار واذا تتلى عليه اياتنا
ولى مستكبرا كان لم يسمعها الاية ولو كان في اذنيه وقر مانع من السماع مزيل للقدرة لكان لا معنى لقوله كان في اذنيه وقرا ولكان لا
يستحق المذمة لانه لم يعط الة السمع فكيف يذم على ترك السمع حتى اذا جاؤك يجادلونك يعني انهم اذا دخلوا عليك بالنهار يجيئون
مجيء مخاصمين مجادلين رادين عليك قولك ولم يجيئوا مجيء من يريد الرشاد والنظر في الدلالة الدالة على توحيد الله ونبوة نبيه صلى
الله عليه وآله يقول الذين كفروا ان هذا اي ما هذا القران الا اساطير الاولين اي احاديث الاولين التي كانوا يسطرونها
عن الضحاك وقيل معنى الاساطير الترهات والبسابس مثل حديث رستم واسفنديار مما لا فائدة فيه ولا طائل تحته وقال بعضهم
ان جدالهم هذا القول منهم وقيل هو مثل قولهم اتاكلون مما تقتلونه بايديكم ولا تاكلون مما قتله الله تعالى قوله تعالى وهم ينهون
عنه وينأون عنه وان يهلكون الا انفسهم وما يشعرون اية اللغة النأي البعد يقال نأيت عنه انأى نأيا
ومنه اخذ النؤي وهو الحاجز حول البيت لئلا يدخل الماء المعنى ثم كنى عن الكفار الذين تقدم ذكرهم فقال وهم ينهون عنه و
ينأون عنه اي ينهون الناس عن اتباع النبي صلى الله عليه وآله ويتباعدون عنه فرارا منه عن ابن عباس ومحمد بن الحنفية
والحسن والسدي وقيل معناه ينهون الناس عن استماع القران لئلا يقع في قلوبهم صحته ويتباعدون عن استماعه عن قتادة
ومجاهد واختاره الجبائي وقيل عني به ابا طالب بن عبد المطلب ومعناه يمنعون الناس عن اذى النبي صلى الله عليه وآله ولا
يتبعونه عن عطا ومقاتل وهذا لا يصح لان هذه الاية معطوفة على ما تقدمها وما تاخر عنها معطوف عليها وكلها في ذم الكفار

للعائذين النبي صلى الله عليه وآله هذا وقد ثبت اجماع اهل البيت عليهم السلم على ايمان ابي طالب واجماعهم حجة لانهم احد الثقلين اللذين
امر النبي صلى الله عليه وآله بالتمسك بهما بقوله ان تمسكتم بهما لن تضلوا ويدل على ذلك ايضا ما رواه ابن عمر ان ابا بكر جاء بابيه ابي قحافة
يوم الفتح الى رسول الله صلى الله عليه وآله فاسلم فقال صلى الله عليه وآله الا تركت الشيخ فآتيه وكان اعمى فقال ابو بكر اردت ان ياجره الله
والذي بعثك بالحق نبيا لانا كنت باسلام ابي طالب اشد فرحا مني باسلام ابي التمس بذلك قرة عينك فقال صلى الله عليه وآله صدقت
وروى الطبري باسناده ان رؤساء قريش لما راوا ذب ابي طالب عن النبي صلى الله عليه وآله اجتمعوا اليه وقالوا جئناك بفتى قريش
جمالا وجودا وشهامة عمارة بن الوليد ندفعه اليك وتدفع الينا ابن اخيك الذي فرق جماعتنا وسفه احلامنا فنقتله فقال والله
ما انصفتموني تعطونني ابنكم فاغذوه واعطيكم ابني تقتلونه بل فليات كل امرئ منكم بولده فاقتله وقال منعنا الرسول رسول
المليك ببيض تلالا كلمع البروق اذود واحمي رسول المليك حماية حام عليه شفيق واقواله واشعاره المنبئة عن اسلامه كثيرة
مشهورة لا تحصى فمن ذلك قوله الم تعلموا انا وجدنا محمدا نبيا كموسى خط في اول الكتب اليس ابونا هاشم شد ازره واوصى بنيه
بالطعان وبالحرب وقوله من قصيدة وقالوا لاحمد انت امرؤ خلوف اللسان ضعيف السبب الا ان احمد قد جاءهم بحق ولم ياتهم بالكذب
وقوله في حديث الصحيفة وهو من معجزات النبي صلى الله عليه وآله وكان في امر الصحيفة عبرة متى ما يخبر غائب القوم يعجب محى الله منها
كفرهم وعقوقهم وما نقموا من ناطق الحق معرب وامسى ابن عبد الله فينا مصدقا على سخط من قومنا غير معتب وفي قصيدة وهو
يحض اخاه حمزة على اتباع النبي صلى الله عليه وآله والصبر في طاعته صبرا ابا يعلى على دين احمد وكن مظهرا للدين وفقت صابرا
فقد سرني اذ قلت انك مؤمن فكن لرسول الله في الله ناصرا وقوله من قصيدة اقيم على نصر النبي محمد اقاتل عنه بالقنا والقنابل
وقوله يحض النجاشي على نصر النبي صلى الله عليه وآله تعلم مليك الحبش ان محمدا وزير لموسى والمسيح بن مريم اتى بهدى مثل
الذي اتيا به وكل بامر الله يهدي ويعصم وانكم تتلونه في كتابكم بصدق حديث لا حديث الترجم فلا تجعلوا لله ندا واسلموا
فان طريق الحق ليس بمظلم وقوله في وصيته وقد حضرته الوفاة اوصي بنصر النبي الخير مشهده عليا ابني وشيخ القوم عباسا وحمزة
الاسد الحامي حقيقته وجعفرا ان يذودوا دونه الناسا كونوا فداء لكم امي وما ولدت في نصر احمد دون الناس اتراسا في امثال هذه
الابيات مما هو موجود في قصائده المشهورة ووصاياه وخطبه يطول بها الكتاب على ان ابا طالب لم يناء عن النبي صلى الله عليه وآله
قط بل كان يقرب منه ويخالطه ويقوم بنصرته فكيف يكون المعني بقوله وينأون عنه وان يهلكون الا انفسهم وما يشعرون
اي وما يعلمون اهلاكهم اياها بذلك قوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون
من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون ايتان القراءة قرا ولا نكذب
ونكون بالنصب حفص عن عاصم وحمزة ويعقوب وقرا ابن عامر ونكون بالنصب وقرا الباقون بالرفع فيهن الحجة قال ابو علي من
بالرفع جاز فيه وجهان احدهما ان يكون معطوفا على نرد فيكون قوله ولا نكذب ونكون داخلا في التمني دخول نرد فيه على هذا تمنى الرد
وان لا نكذب والكون من المؤمنين ويحتمل الرفع وجها آخر وهو ان يقطعه من الاول ويكون التقدير يا ليتنا نرد ونحن لا نكذب
ونكون من المؤمنين وقال سيبويه هو على قولك فانا لا نكذب كما يقول القائل دعني ولا اعود اي فاني ممن لا اعود فانما يسال
الترك وقد اوجب على نفسه ان لا يعود ترك او لم يترك ولم يرد ان يسال ان يجمع له الترك وان لا يعود وحجة من نصب فقال ولا
نكذب ونكون انه ادخل ذلك في التمني لان التمني غير موجب فهو كالاستفهام والامر والنهي في انتصاب ما بعد ذلك كله من الافعال اذا
دخلت عليها الفاء والواو على تقدير ذكر المصدر من الفعل الاول كانه في التقدير يا ليتنا يكون لنا رد وانتفاء التكذيب والكون
من المؤمنين ومن رفع ولا نكذب ونصب ونكون فان الفعل الذي هو لا نكذب يحتمل وجهين احدهما ان يكون داخلا في التمني
فيكون في المعنى كالنصب والآخر ان يخبر على الثبات ان لا نكذب رد او لم يرد ومن نصبهما جميعا جعلهما داخلا في التمني اللغة
يقال وقفت الدابة وقفا ووقفته غيره يقفه وقفا وحكي عن ابي عمرو انه اجاز ما اوقفك ههنا مع اخباره انه لم يسمعه من العرب
وبدا يبدو بدوا اذا ظهر وفلان ذو بدوات اذا بدا له الراي بعد الراي وبدا لي في هذا الامر بداء والبداء لا يجوز على الله تعالى

لانه العالم بجميع المعلومات لم يزل ولا يزال الاعراب ولو ترى جوابه محذوف وتقديره لرأيت امرا هائلا ونحوه قوله تعالى ولو ان قرآنا
سيرت به الجبال يريد لكان هذا القرآن وهذه الاجوبة انما تحذف لتعظيم الامر وتفخيمه ومثله قول امرئ القيس وجدك لو شيء اتانا رسوله
سواك ولكن لم نجد لك مدفعا وتقديره لو اتانا رسول غيرك لما جئنا وسال فقال لم جاز ولو ترى اذ وقفوا واذ هي للماضي في
الجواب ان الخبر لصحته وصدق المخبر به صار بمنزلة ما وقع المعنى ثم بين تعالى ما ينال هؤلاء الكفار يوم القيمة من الحسرة وتمني الرجعة
فقال ولو ترى يا محمد او ايها السامع اذ وقفوا على النار فهذا يحتمل ثلاثة اوجه جاز ان يكون المعنى عاينوا العذاب وجاز ان يكونوا عليها
وهي تحتهم قال الزجاج والاجود ان يكون معناه ادخلوها فعرفوا مقدار عذابها كما تقول في الكلام قد وقفت على ما عند فلان تريد قد
فهمته وتبينته وهذا وان كان بلفظ الماضي فالمراد به الاستقبال وانما جاز ذلك لان كل ما هو كائن يوما ما لم يكن بعد فهو عند الله
كان وانشد في مثله ستندم اذ ياتي عليك رعيلنا باروع جرار كثير صواهله فوضع اذ موضع اذا وقد توضع اذا موضع اذ ايضا كما في
قول الشاعر وندمان يزيد الكاس طيبا سقيت اذا تعرضت النجوم فقالوا اي فقال الكفار حين عاينوا العذاب وندموا على ما فعلوا
يا ليتنا نرد الى الدنيا ولا نكذب بآيات ربنا اي بكتب ربنا ورسله وجميع ما جاءنا من عنده ونكون من المؤمنين يعني من جملة
المؤمنين بآيات الله بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل اختلف فيه على اقوال احدها ان معناه بل بدا لبعضهم من بعض ما كان علماؤهم
يخفونه عن جهالهم وضعفائهم مما في كتبهم فبدا للضعفاء عنادهم وثانيها ان المراد بل بدا من اعمالهم ما كانوا يخفونه فاظهره الله وشهدت
جوارحهم عن ابي روق وثالثها ان المعنى ظهر للذين اتبعوا الغواة ما كان الغواة يخفونه عنهم من امر البعث والنشور لان المتصل بهذا
قوله وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا الآية عن الزجاج وهو قول الحسن ورابعها ان المراد بل بدا لهم وبال ما كانوا يخفونه من الكفر عن المبرد
وكل هذه الاقوال يعني ظهرت فضيحتهم في الآخرة وتهتكت استارهم ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه اي لو ردوا الى الدنيا والى
التكليف كما طلبوه لعادوا الى ما نهوا عنه من الكفر والتكذيب وانهم لكاذبون ويسال على هذا فيقال ان التمني كيف يصح فيه الكذب
وانما يقع الكذب في الخبر والجواب ان من الناس من حمل الكلام كله على وجه التمني وصرف الكذب الى غير الامر الذي تمنوه وقال ان معناه
هم كاذبون فيما يخبرون به عن انفسهم في الدنيا من الاصابة واعتقاد الحق او يكون المعنى انهم كاذبون ان اخبروا عن انفسهم بانهم متى
ردوا آمنوا وان كان ما حكي عنهم من التمني ليس بخبر وقد يجوز ان يحمل على غير الكذب الحقيقي بان يكون المراد انهم تمنوا ما لا سبيل اليه
فكذب املهم وتمنيهم وهذا مشهور في كلام العرب يقولون كذبك املك لمن تمنى ما لا يدرك وقال الشاعر كذبتم وبيت الله لا
تنكحونها بني شاب قرناها تصر وتحلب وقال الآخر كذبتم وبيت الله لا تاخذونها مراغمة ما دام للسيف قائم والمراد ما ذكرناه من الخيبة
في الامل والتمني فان قال كيف يجوز ان يتمنوا الرد الى الدنيا وقد علموا انهم لا يردون فالجواب عنه من وجوه احدها انا لا نعلم
ان اهل الآخرة يعرفون جميع احكام الآخرة وانما نقول انهم يعرفون الله تعالى معرفة لا يتخالجهم فيها الشك لما يشاهدونه من الآيات
الملجئة لهم الى المعارف واما التوجع والتمني للخلاص والدعاء للفرج فيجوز ان يقع منهم ذلك على السلحى وثانيها ان التمني قد يجوز
فيما يعلم ان لا يكون ولهذا قد يقع التمني على ان لا يكون ما قد كان وان لا يكون فعل ما قد فعله وتقضى وقته وثالثها انه لا
مانع من ان يقع منهم التمني للرد لان يكونوا من المؤمنين عن الزجاج وفي الناس من جعل بعض الكلام تمنيا وبعضه اخبارا وعلق
تكذيبهم بالخبر دون ليتنا وهذا انما يتاتى في قراءة من رفع ولا نكذب ونكون على معنى فانا لا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين
فيكونون قد اخبروا بما علم الله تعالى انهم كاذبون وان لم يعلموا من انفسهم مثل ذلك فلهذا كذبهم وقد ذكر ان ابا عمرو بن العلا استدل
على قراءته بالرفع في الجميع بان قوله انهم لكاذبون فيه دلالة على انهم اخبروا بذلك عن انفسهم ولم يتمنوا لان التمني لا يقع فيه الكذب
قوله تعالى وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا على ربهم قال اليس هذا بالحق قالوا بلى و
ربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون آيتان المعنى ثم اخبر الله تعالى عن الكفار الذين تقدم ذكرهم قبل هذه الآية
وانكارهم البعث والنشور والحشر والحساب فقال وقالوا ان هي اي ما هي الا حياتنا الدنيا عنوا بذلك انه لا حياة لنا في
الآخرة وانما هي هذه التي حيينا بها في الدنيا وما نحن بمبعوثين اي لسنا بمبعوثين بعد الموت ثم خاطب تعالى نبيه صلى الله عليه وآله

فقال ولو ترى يا محمد اذ وقفوا على ربهم ليس يصح في هذه الآية شيء من الوجوه التي ذكرناها في قوله ولو ترى اذ وقفوا على النار الا وجها واحدا
وهو ان المعنى عرفوا ربهم ضرورة كما يقال وقفته على كلام فلان اي عرفته اياه وقيل ايضا ان المعنى وقفوا على ما وعدهم ربهم من العذاب
الذي يفعله بالكفار والثواب الذي يفعله بالمؤمنين في الآخرة وعرفوا صحة ما اخبرهم به من الحشر والحساب ويجوز ان يكون المعنى
حبسوا على ربهم ينتظر بهم ما يأمر به وخرج الكلام مخرج ما جرت به العادة من وقوف العبد بين يدي سيده لما في ذلك من الفضيحة
والافضاح بالمعنى والتنبيه على عظم الامر قال اي يقول الله لهم وجاء على لفظ الماضي لانه لتحققه كانه واقع وقيل معناه يقول الملائكة
لهم بامر الله تعالى أليس هذا بالحق كما قالت الرسل وهذا سؤال توبيخ وتقريع وقوله هذا اشارة الى الجزاء والحساب والبعث قالوا اي فيقول
هؤلاء الكفار مقرين بذلك مذعنين له بلى هو حق وربنا قسم ذكروه واكدوا اعترافهم به قال الله تعالى او الملك بامره فذوقوا العذاب
بما كنتم تكفرون اي بكفركم وانما قال ذوقوا لانهم في كل حال يجدون ذلك وجدان الذائق المذوق في شدة الاحساس من غير ان يصيروا الى
حال من يتم الطعام في نقصان الادراك قوله تعالى قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا
يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم الا ساء ما يزرون وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو وللدار
الآخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون القراءة قرأ ابن عامر ولدار الآخرة بلام واحدة وجر الآخرة على الاضافة والباقون
بلامين ورفع الآخرة وقرأ اهل المدينة وابن ذكوان وابن عامر ويعقوب وسهل افلا تعقلون بالتاء هاهنا وفي الاعراف ويوسف
برواية حفص الا في رواية حماد ويحيى عن ابي بكر في يوسف وقرأ الباقون جميع ذلك بالياء الحجة من قرأ للدار الآخرة فالآخرة
صفة للدار يدل على ذلك قوله تعالى وللآخرة خير لك من الاولى وان الدار الآخرة لهي الحيوان وتلك الدار الآخرة نجعلها ومن
اضاف دار الى الآخرة فانه لم يجعل الآخرة صفة للدار فان الشيء لا يضاف الى نفسه لكنه جعلها صفة للساعة فكانه قال ولدار
الساعة الآخرة وجاز وصف الساعة بالآخرة كما وصف اليوم بالآخر في قوله وارجوا اليوم الآخر قال ابو علي انما حسن اضافة الدار الى
الآخرة ولم يقبح ذلك من حيث استقبح اقامة الصفة مقام الموصوف لان الآخرة صارت كالابطح والابرق الا ترى انه قد جاء و
للآخرة خير لك من الاولى واستعملت استعمال الاسماء ولم يكن مثل الصفات التي استعملت استعمال الاسماء ومثل الآخرة في
انها استعملت استعمال الاسماء قولهم الدنيا لما استعملت استعمال الاسماء حسن ان لا يلحق لام التعريف في نحو قوله في سعي دنيا
طال ما قد مدت واما وجه القراءة بالياء في افلا يعقلون فهو انه قد تقدم ذكر الغيبة في قوله للذين يتقون ووجه القراءة بالتاء
انه يصلح ان يكون خطابا متوجها اليهم ويصلح ان يراد الغيب والمخاطبون فغلب الخطاب اللغة كل ما اتى فجاءة فقد بغت يقال
بغته الامر يبغته بغتة قال الشاعر ولكنهم بانوا ولم اخش بغتة، وافظع شيء حين يفجاك البغت والحسرة شدة الندم حتى يحسر
النادم كما يحسر الذي يقوم به دابته في السفر البعيد والتفريط التقصير واصله التقديم فالافراط التقديم في مجاوزة الحد والتفريط
التقديم في العجز والتقصير والوزر الثقل في اللغة واشتقاقه من الوزر وهو الجبل الذي يعتصم به ومنه قيل وزير كانه يعتصم الملك به
ومثله قوله تعالى واجعل لي وزيرا من اهلي ويزرون يفعلون من وزر يزر وزرا اذا اثم وقيل وزر فهو موزور اذا فعل به ومنه الحديث
في النساء يتبعن جنازة قيل لهن ارجعن موزورات غير ماجورات والعامة تقول مازورات والعقل والنهى والحجى متقاربة في المعنى
فالعقل الامساك عن القبيح وقصر النفس وحبسها على الحسن قال الاصمعي وبالدهناء خبراء يقال لها معقلة قال وترينها وانما
سميت معقلة لانها تمسك الماء كما يعقل الدواء البطن والنهى لا يخلو اما ان يكون مصدرا كالهدى او جمعا كالظلم وهو في معنى
ثبات وحبس ومنه النهي والنهية للمكان الذي ينتهي اليه الماء فيستنقع فيه لتسفله ومنع ارتفاع ما حوله من ان يسيح على وجه الارض و
الحجى اصله من الحجو وهو احتباس وتمكث قال فهن يعكفن به اذا حجا وحجيت بالشيء وتحجيت به يهمز ولا يهمز اي تمسكت عن الازهري
قال ابو علي فكان الحجى مصدر كالشبع ومن هذا الباب الحجيا اللغز لتمكث الذي يلقى عليه حتى يستخرجه الاعراب يقال ما معنى
الغاية في قوله حتى اذا جاءتهم الساعة وما عامل الاعراب فيها والجواب ان منتهى تكذيبهم الحسرة يوم القيمة والعامل فيها كذبوا
اي كذبوا الى ان ظهرت الساعة بغتة فندموا حيث لا ينفعهم الندامة ويقال ما دعا الحسرة وهي مما لا يعقل والجواب

ان العرب اذا اجتهدت في المبالغة في الاخبار عن امر عظيم يقع فيه جعلته نداء فلفظه لفظ ما ينبه والمنبه غيره مثل قوله يا حسرة
على العباد وقوله يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله ويا ويلتى أألد وهذا ابلغ من ان يقول انا احسر على التفريط قال الزجاج وقال
سيبويه انك اذا قلت يا عجباه فكانك قلت احضر وتعال يا عجب فانه من ازمانك وتاويل يا حسرتاه انتبهوا على انا قد خسرنا فخرج
مخرج النداء للحسرة فالمعنى على النداء لغيرها تنبيها على عظم شانها وقيل انها بمعنى الاستغاثة فكانه قيل يا حسرتنا تعالي فهذا اوانك كما
يقال يا للعجب وقوله ساء ما يزرون تقديره بئس الشيء شيء يزرونه وقد ذكرنا علة نعم وبئس فيما مضى المعنى ثم اخبر تعالى عن هؤلاء الكفار
فقال قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله يعني بلقاء ما وعد الله تعالى به من الثواب والعقاب وقد جعل لقاءهم لذلك لقاء له تعالى
مجازا عن ابن عباس والحسن وقيل المراد بلقاء الله جزاء الله كما يقال للميت لقي فلان عمله اي لقي جزاء عمله ونظيره الى يوم يلقونه بما
اخلفوا الله ما وعدوه حتى اذا جاءتهم الساعة اي القيمة بغتة اي فجاة من غير ان علموا وقتها قالوا عند معاينة ذلك اليوم
اهواله وتباين ثواب اهل الثواب وعقاب اهل العقاب يا حسرتنا على ما فرطنا فيها اي على ما تركنا وضيعنا في الدنيا من تقديم امر الآخرة عن ابن
عباس وقيل ان الهاء يعود الى الساعة عن الحسن والمعنى على ما فرطنا في العمل للساعة والتقدمة لها وقيل ان الهاء تعود الى الجنة في
طلبها والعمل لها عن السدي ويدل عليه ما رواه الاعمش عن ابي صالح عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وآله في هذه الآية قال يرى
اهل النار منازلهم من الجنة فيقولون يا حسرتنا وقال محمد بن جرير الهاء تعود الى الصفقة لانه لما ذكر الخسران دل على الصفقة
ويجوز ان يكون الهاء تعود الى معنى ما في قوله ما فرطنا اي يا حسرتنا على الاعمال الصالحة التي فرطنا فيها فعلى هذا الوجه يكون ما موصولة
بمعنى الذي وعلى الوجوه المتقدمة يكون ما بمعنى المصدر ويكون تقديره على تفريطنا وهم يحملون اوزارهم اي اثقال ذنوبهم على
ظهورهم وقال ابن عباس يريد آثامهم وخطاياهم وقال قتادة والسدي ان المؤمن اذا خرج من قبره استقبله احسن شيء صورة و
اطيبه ريحا فيقول انا عملك الصالح طالما ركبتك في الدنيا فاركبني انت اليوم فذلك قوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا
اي ركبانا وان الكافر اذا خرج من قبره استقبله اقبح شيء صورة واخبثه ريحا فيقول انا عملك السيء طالما ركبتني في الدنيا فانا
اركبك اليوم وذلك معنى قوله وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم وقال الزجاج وهذا مثل جائز ان يكون جعل ما ينالهم من العذاب
بمنزلة اثقل ما يحمل لان الثقل كما يستعمل في الوزن يستعمل في الحال ايضا كما تقول ثقل علي خطاب فلان ومعناه كرهت كراهة اشتدت
علي فعلى هذا يكون المعنى انهم يقاسون عذاب آثامهم مقاساة تثقل عليهم ولا تزايلهم والى هذا المعنى اشار امير المؤمنين علي عليه السلام
في قوله تخففوا تلحقوا فانما ينتظر باولكم آخركم الا ساء ما يزرون اي بئس الحمل حملهم عن ابن عباس وقيل معناه ساء ما ينالهم جزاء
لذنوبهم واعمالهم السيئة اذ كان ذلك عذابا ونكالا ثم رد عليهم قولهم ما هي الا حيوتنا الدنيا وبين تعالى ان ما يتمتع به من الدنيا يزول
ويبيد فقال وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو اي باطل وغرور اذا لم يجعل ذلك طريقا الى الآخرة وانما عنى بالحيوة الدنيا اعمال الدنيا
لان نفس الدنيا لا توصف وما فيه رضاء الله من عمل الآخرة لا يوصف به ايضا لان اللعب ما لا يعقب نفعا واللهو ما يصرف من
الجد الى الهزل وهذا انما يتصور في المعاصي وقيل المراد باللعب واللهو ان الحيوة تنقضي وتفنى ولا تبقى فيكون لذة فانية عن قريب
كاللعب واللهو وللدار الآخرة وما فيها من انواع النعيم والجنان خير للذين يتقون معاصي الله لانها باقية دائمة لا يزول عنهم
نعيمها ولا يذهب عنهم سرورها افلا يعقلون ان ذلك كما وصف لهم فيزهدوا في شهوات الدنيا ويرغبوا في نعيم الآخرة ويفعلوا
ما يوصلهم الى ذلك من الاعمال الصالحة وفي هذه الآية تسلية للفقراء بما حرموه من متاع الدنيا وتقريع للاغنياء اذا ركنوا الى حطامها
ولم يعملوا لغيرها قوله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون و
لقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتيهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من
نبأ المرسلين القراءة قرأ نافع ليحزنك بضم الياء وكسر الزاي والباقون يحزنك بفتح الياء وضم الزاي وقرأ نافع والكسائي
والاعشى عن ابي بكر لا يكذبونك خفيفة وهو قراءة علي عليه السلام وهو المروي عن جعفر الصادق عليه السلام والباقون يكذبونك
بفتح الكاف والتشديد الحجة قال ابو علي قال سيبويه قالوا حزن الرجل وحزنته وزعم الخليل انك حيث تقول حزنته لم ترد ان

جعلته حزنا كما انك حيث قلت ادخلته اردت جعلته داخلا ولكنك اردت ان تقول جعلت فيه حزنا كما تقول كحلته جعلت فيه
كحلا ودهنته جعلت فيه دهنا ولم ترد بفعلته ههنا تعدي قوله حزن ولو اردت ذلك لقلت احزنته وحجة نافع انه اراد ان يمكّن
حزن فنقله بالهمز والاستعمال في حزنته اكثر منه في احزنته فالى كثرة الاستعمال ذهب عامة القراء واما قوله يكذبونك فمن ثقّل فهو
من فعّلته اذا نسبته الى الفعل مثل زنّيته وفسّقته نسبته الى الزنا والفسق وقد جاء في هذا المعنى افعلته قالوا اسقيته اي
قلت له سقاك الله قال ذو الرمة وأسقيه حتى كاد مما ابثه تكلمني احجاره وملاعبه فيجوز على هذا ان يكون معنى القرائتين واحدا
ويجوز ان يكون لا يكذبونك اي لا يصادفونك كاذبا تقول احمدته اذا اصبته محمودا ويدل على الاول قول الكميت فطائفة قد
اكفرتني بحبكم وطائفة قالت مسيء ومذنب اي نسبتني الى الكفر قال احمد بن يحيى كان الكسائي يحكي عن العرب اكذبت الرجل اذا اخبرت
انه جاء بكذب وكذبته اذا اخبرت انه كذاب المعنى ثم سلّى تعالى نبيه صلى الله عليه واله على تكذيبهم اياه بعد قيام الحجة عليهم فقال قد
نعلم يا محمد انه ليحزنك الذي يقولون اي ما يقولون انك شاعر او مجنون واشباه ذلك فانهم لا يكذبونك و
دخلت الفاء في انهم لان الكلام الاول يقتضيه كانه قيل اذ كان قد يحزنك قولهم فاعلم انهم لا يكذبونك واختلف في معناه على
وجوه احدها ان معناه لا يكذبونك بقلوبهم اعتقادا وان كانوا يظهرون بافواههم التكذيب عنادا وهو قول اكثر المفسرين عن
ابي صالح وقتادة والسدي وغيرهم قالوا يريد انهم يعلمون انك رسول الله ولكن يجحدون بعد المعرفة ويشهد بهذا الوجه ما روى
سالم بن مسكين عن ابي يزيد المدني ان رسول الله صلى الله عليه واله لقي ابا جهل فصافحه ابو جهل فقيل له في ذلك فقال والله اني لاعلم
انه صادق ولكنا متى كنا تبعا لعبد مناف فانزل الله تعالى الاية وقال السدي التقى اخنس بن شريق وابو جهل بن هشام فقال له يا ابا الحكم
اخبرني عن محمد اصادق هو ام كاذب فانه ليس ههنا احد غيري وغيرك يسمع كلامنا فقال ابو جهل ويحك ان محمدا لصادق وما
كذب قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والحجابة والسقاية والندوة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش وثانيها ان المعنى لا يكذبونك
بحجة ولا يتمكنون من ابطال ما جئت به ببرهان ويدل عليه ما روي عن علي عليه السلم انه كان يقرأ لا يكذبونك ويقول ان المراد
بها انهم لا ياتون بحق هو احق من حقك وثالثها ان المراد لا يصادفونك كاذبا تقول العرب قاتلناكم فما اجبناكم اي ما
اصبناكم جبناء وقال الاعشى اثوى وقصر ليلة ليزودا فمضى واخلف من قتيلة موعدا اراد صادف منها خلفا للوعد
وقال ذو الرمة تريك بياض لبتها ووجها كقرن الشمس افتق ثم زالا اي وجد فتقا من السحاب ولا يختص هذا الوجه بالقراءة
بالتخفيف دون التشديد لان افعلت وفعّلت يجوزان في هذا الموضع وافعلت هو الاصل فيه ثم يشدد تاكيدا مثل كرّمت في
اكرمت واعظمت وعظّمت الا ان التخفيف اشبه بهذا الوجه ورابعها ان المراد لا ينسبونك الى الكذب فيما اتيت به لانك
كنت عندهم صادقا امينا وانما يدفعون ما اتيت به ويقصدون التكذيب بايات الله ويقوي هذا الوجه قوله ولكن الظالمين
بايات الله يجحدون وقوله وكذب به قومك ولم يقل وكذبك قومك وما روي ان ابا جهل قال للنبي صلى الله عليه واله ما نتهمك و
لا نكذبك ولكنا نتهم الذي جئت به ونكذبه وخامسها ان المراد انهم لا يكذبونك بل يكذبونني فان تكذيبك راجع الي ولست مختصا
لانك رسولي فمن رد عليك فقد رد علي ومن كذبك فقد كذبني وذلك تسلية منه تعالى لنبيه صلى الله عليه واله ولكن الظالمين
بايات الله يجحدون اي بالقران والمعجزات يجحدون بغير حجة سفها وجهلا وعنادا ودخلت الباء في بايات الله والجحد يتعدى بغير الجار
لان معناه هنا التكذيب اي يكذبون بايات الله وقال ابو علي الباء يتعلق بالظالمين والمعنى ولكن الظالمين برد ايات الله وانكار
ايات الله يجحدون ما عرفوه من صدقك وامانتك ومثله قوله تعالى واتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها اي ظلموا بردها
او الكفر بها ثم زاد تعالى في تسلية نبيه تعالى بقوله ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا اي صبروا على
ما نالهم من التكذيب والاذى في اداء الرسالة حتى اتاهم نصرنا اياهم على المكذبين وهذا امر منه تعالى لنبيه صلى الله عليه واله
بالصبر على كفار قومه الى ان ياتيه النصر كما صبرت الانبياء ولا مبدل لكلمات الله معناه لا احد يقدر على تكذيب خبر الله
على الحقيقة ولا على اخلاف وعده وانما اخبر الله تعالى به ان يفعل بالكفار فلا بد من كونه لا محالة وما وعدك به من نصره

فلابد من حصوله لانه لا يجوز الكذب في اخباره ولا الخلف في وعده وقال الكلبي وعكرمة يعني بكلمات الله تعالى الايات التي وعد فيها نصر
الانبياء نحو قوله تعالى كتب الله لاغلبن انا ورسلي وقوله انهم لهم المنصورون ولقد جاءك من نبإ المرسلين اي من خبرهم في القران
كيف انجيناهم ونصرناهم على قومهم قال الاخفش من ههنا صلة كما تقول اصابنا من مطر اي مطر وقال غيره من النحويين لا يجوز ذلك لان
من لا تزاد في الموجب وانما تزاد في النفي ومن ههنا للتبعيض وفاعل جاء مضمر يدل المذكور عليه وتقديره ولقد جاءك من نبإ المرسلين نبأ
فيكون المعنى انه اخبره صلى الله عليه واله ببعض اخبارهم على حسب ما علم من المصالح ويؤيد ذلك قوله ومنهم من لم نقصص عليك
قوله تعالى وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء فتاتيهم باية ولو شاء الله
لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم اليه يرجعون وقالوا لولا نزل
عليه اية من ربه قل ان الله قادر على ان ينزل اية ولكن اكثرهم لا يعلمون اللغة النفق سرب في الارض له مخلص الى مكان
اخر واصله الخروج ومنه المنافق لخروجه من الايمان الى الكفر ومنه النفقة لخروجها من اليد والسلم الدرج وهو ماخوذ من السلامة
قال الزجاج لانه الذي يسلمك الى مصعدك والاستجابة من الجوب وهو القطع وهل عندك جائبة خبر اي يجوب البلاد والفرق بين يجيب
ويستجيب ان يستجيب فيه قبول لما دعي اليه وليس كذلك يجيب لانه يجوز ان يجيب بالمخالفة كما ان السائل يقول اتوافق هذا المذهب ام تخالف
فيقول المجيب اخالف عن علي بن عيسى وقيل ان اجاب واستجاب بمعنى الاعراب جواب ان محذوف وتقديره ان استطعت ذلك فافعل
قال الفراء وانما يفعله العرب في كل موضع يعرف فيه معنى الجواب الا ترى انك تقول للرجل ان استطعت ان تتصدق ان رايت ان تقوم
معنا فترك الجواب للمعرفة فاذا قلت ان تقم تصب خيرا فلا بد من الجواب لان معناه لا يعرف اذا طرح الجواب المعنى ثم بين تعالى ان هؤلاء
الكفار لا يؤمنون فقال مخاطبا لنبيه صلى الله عليه واله وان كان كبر اي عظم واشتد عليك اعراضهم وانصرافهم عن الايمان
وقبول دينك وامتناعهم من اتباعك وتصديقك فان استطعت اي قدرت وتهيأ لك ان تبتغي اي تطلب وتتخذ نفقا في الارض
اي سربا ومسلكا في جوف الارض او سلما في السماء اي مصعدا الى السماء ودرجا فتاتيهم باية اي بحجة تلجئهم الى الايمان وتجمعهم على ترك الكفر
فافعل ذلك وقيل فتاتيهم باية افضل مما اتيناهم به فافعل عن ابن عباس يريد لا اية افضل واظهر من ذلك ولو شاء الله لجمعهم على
الهدى بالالجاء واما اخبر عز اسمه عن كمال قدرته وانه لو شاء لالجأهم الى الايمان ولم يفعل ذلك لانه ينافي التكليف ويسقط استحقاق
الثواب الذي هو الغرض بالتكليف وليس في الاية ان الله تعالى لا يشاء منهم ان يؤمنوا مختارين او لا يشاء ان يفعل ما يؤمنوا عنده مختارين
وانما نفى المشية لما يلجئهم الى الايمان ليتبين ان الكفار لن يغلبوه بكفرهم فانه لو اراد ان يحول بينهم وبين الكفر لفعل لكنه يريد ان يكون
ايمانهم على الوجه الذي يستحق به الثواب ولا ينافي التكليف فلا تكونن من الجاهلين قيل معناه فلا تجزع في مواطن الصبر فيقارب
حالك حال الجاهلين بان تسلك سبيلهم عن الجبائي وقيل ان هذا نفي للجهل عنه اي لا تكن جاهلا بعد ان اتاك العلم باحوالهم وانهم
لا يؤمنون والمراد فلا تجزع ولا تتحسر لكفرهم واعراضهم عن الايمان وغلظ الخطاب زجرا وتبعيدا عن هذه الحالة ثم بين تعالى الوجه الذي
لا يجتمع هؤلاء الكفار على الايمان فقال انما يستجيب الذين يسمعون معناه انما يستجيب الى الايمان بالله وما انزل اليك من يسمع
كلامك ويصغي اليك والى ما تقرؤه عليه من القران ويتفكر في اياتك فان من لم يتفكر ولم يستدل بالايات بمنزلة من لم يسمع
كما قيل لقد اسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي وقال الاخر اصم عما ساءه سميع والموتى يبعثهم الله يريد ان الذين لا
يصغون اليك من هؤلاء الكفار ولا يتدبرون فيما تقراه عليهم وتبينه لهم من الايات والحجج بمنزلة الموتى فكما ايست ان تسمع
الموتى كلامك الى ان يبعثهم الله فكذلك فايس من هؤلاء ان يستجيبوا لك وتقديره انما يستجيب المؤمن السامع للحق فاما الكافر
فهو بمنزلة الكافر لا يجيب الا ان يبعثه الله يوم القيمة فيلجئه الى الايمان وقيل معناه انما يستجيب من كان قلبه حيا فاما من كان
قلبه ميتا فلا ثم وصف الموتى بانه يبعثهم ويحكم فيهم ثم اليه اي الى حكمه يرجعون وقيل معناه يبعثهم الله من القبر ثم يرجعون الى
موقف الحساب ثم عاد تعالى الى حكاية اقوال الكفار وقال عاطفا على ما تقدم وقالوا لولا انزل عليه اية من ربه هذا اخبار
عن رؤساء قريش لما عجزوا عن معارضته فيما اتى من القران اقترحوا عليه مثل ايات الاولين كعصا موسى وناقة ثمود فقال تعالى

في موضع آخر اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب وقال ههنا قل يا محمد ان الله تعالى قادر على ان ينزل آية اي آية تجمعهم على الهدى عن الزجاج
وقيل آية كما يسألونها ولكن اكثرهم لا يعلمون ما في انزالها من وجوب الاستيصال لهم اذا لم يؤمنوا عند نزولها وما في الاقتصار بهم على ما
اوتوه من الآيات من المصلحة وقيل معناه ولكن اكثرهم لا يعلمون ان فيما انزلنا من الآيات مقنعا وكفاية لمن نظر وتدبر وقد اعترض بعض الملحدة
على المسلمين بهذه الآية فقالوا انها تدل على ان الله تعالى لم ينزل على محمد آية اذ لو انزلها لذكرها عند سؤال المشركين اياها فيقال لهم قد بينا
انهم اقترحوا آية مخصوصة وتلك لم يؤتوها لان المصلحة منعت من ايتائها وقد انزل الآيات الدالة على نبوته من القرآن واتاهم من المعجزات
الباهرة التي شاهدوها ما لو نظروا فيها او في بعضها حق النظر لعرفوا صدقه وصحة نبوته وقد بين في آية اخرى انه لو انزل عليهم ما التمسوه
لم يؤمنوا فقال ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الى قوله ما كانوا ليؤمنوا وفي موضع آخر وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه قل انما الآيات عند الله
يعني في قدرة الله ينزل منها ما يشاء فقطعنا ما اعترضوا به قوله تعالى وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا
فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ اللغة الدابة كل ما يدب من الحيوان واصله الصفة من دب يدب دبيبا اذا مشى مشيا فيه تقارب خطو والدبوب
الديبوب النمام وفي الحديث لا يدخل الجنة ديبوب ولا قلاع فالديبوب النمام لانه يدب بالنميمة والقلاع الواشي بالنميمة بالرجل ليقلعه قال
الازهري تصغير الدابة دويبة الياء مخففة وفيها اشمام الكسر وفي الحديث ايتكن صاحبة الجمل الادبب تنبحها كلاب الحوأب اراد الادب
فاظهر التضعيف وهو الكثير الوبر وقد دب يدب دببا والجناح احدى ناحيتي الطير اللذين يتمكن بهما من الطيران في الهواء واصله الميل الى
ناحية الاعراب من زائدة وتأويله وما دابة ويجوز في غير القرآن ولا طائر بالرفع عطفا على موضع من دابة وقوله من شيء من زائدة ايضا وهيد
التعميم اي ما فرطنا شيئا وصم وبكم كلاهما خبر الذين كقولهم هذا حلو حامض ودخول الواو لا يمنع من ذلك فانه بمنزلة قولك صم بكم المعنى
لما بين الله تعالى انه قادر على ان ينزل آية عقبه بذكر ما يدل على كمال قدرته وحسن تدبيره وحكمته فقال وما من دابة في الارض اي ما من حيوان
يمشي على وجه الارض ولا طائر يطير بجناحيه جمع بهذين اللفظين جميع الحيوانات لانها لا تخلو من ان تكون مما يطير بجناحيه او يدب وانما
يسأل عنه ان يقال لم قال يطير بجناحيه وقد علم ان الطائر لا يطير الا بالجناح والجواب ان هذا انما جاء للتوكيد ورفع اللبس لان
الطائر قد يقول طر في حاجتي اي اسرع فيها وقال الشاعر قوم اذا الشر ابدى ناجذيه لهم طاروا اليه زرافات ووحدانا وانشد
سيبويه فطرت بمنصلي في يعملات دوامي الايد يخبطن السريحا وقيل انما قال بجناحيه لان السمك يطير في الماء ولا اجنحة لها وانما
خرج السمك عن الطائر لانه من دواب البحر وانما اراد تعالى ما في الارض وما في الجو الا امم اي اصناف مصنفة تعرف باسمائها يشتمل
كل صنف على العدد الكثير عن مجاهد امثالكم قيل انه يريد اشباهكم في ابداع الله تعالى اياها وخلقه لها ودلالتها على ان لها صانعا
وقيل انما مثلت الامم من غير الناس بالناس في الحاجة الى مدبر يدبرهم في اغذيتهم واكلهم ولباسهم ونومهم ويقظتهم وهدايتهم الى مراشدهم
الى ما لا يحصى كثرة من احوالهم ومصالحهم وانهم يموتون ويحشرون وبين بهذا انه لا يجوز للعباد ان يتعدوا في ظلم شيء منها فان الله تعالى
خالقها والمنتصف لها ما فرطنا في الكتاب من شيء اي ما تركنا وقيل معناه ما قصرنا واختلف في معنى الكتاب على اقوال احدها انه
يريد بالكتاب القرآن لانه ذكر جميع ما يحتاج اليه فيه من امور الدين والدنيا اما مجملا او مفصلا والمجمل قد بينه على لسان نبيه صلى الله عليه وآله
وامر باتباعه بقوله وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وهذا مثل قوله تعالى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وروي
عن عبد الله بن مسعود انه قال ما لي لا العن من لعنه الله في كتابه يعني الواشمة والمستوشمة والواصلة والمستوصلة فقرأت المرأة التي
سمعت ذلك منه جميع القرآن ثم اتته وقالت يا ابن ام عبد تلوت البارحة ما بين الدفتين فلم اجد فيه لعن الواشمة فقال لو تلوتيه
لوجدتيه قال الله تعالى ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وان مما آتانا الرسول ان قال لعن الله الواشمة والمستوشمة
وهذا القول اكثر المفسرين وهذا القول اختيار البلخي وثانيها ان المراد بالكتاب ههنا الكتاب الذي هو عند الله عز وجل المشتمل على
ما كان ويكون وهو اللوح المحفوظ وفيه آجال الحيوان وارزاقه وآثاره ليعلم ابن آدم ان عمله اولى بالاحصاء والاستقصاء عن
الحسن وثالثها ان المراد بالكتاب الاجل اي ما تركنا شيئا الا اوقتنا وجعلنا له اجلا ثم يحشرون جميعا عن ابي مسلم وهذا الوجه بعيد

إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ معناه يحشرون الى الله بعد موتهم يوم القيمة كما يحشر العباد فيعوض الله ما يستحق العوض منها وينتصف لبعضها
من بعض وفيما رووه عن ابي هريرة انه قال يحشر الله يوم القيمة البهائم والدواب والطير وكل شيء فيبلغ من عدل الله يومئذ ان يأخذ للجماء
من القرناء ثم يقول كوني ترابا فلذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وعن ابي ذر قال بينا انا عند رسول الله صلى الله عليه وآله اذ انتطحت
عنزان فقال النبي صلى الله عليه وآله اتدرون فيما انتطحا فقالوا لا ندري قال لكن الله يدري وسيقضي بينهما وعلى هذا فانما جعلت
امثالنا في الحشر والاقتصاص واختاره الزجاج فقال يعني امثالكم في انهم يبعثون ويؤيده قوله تعالى واذا الوحوش حشرت ومعنى الى ربهم
الى حيث لا يملك النفع والضر الا الله تعالى اذ لم يمكن منه كما مكن في الدنيا واستدلت جماعة من اهل التناسخ بهذه الآية على ان البهائم
والطيور مكلفة لقوله امم امثالكم وهذا باطل لانا قد بينا انها من اي وجه تكون امثالنا ولو وجب حمل ذلك على العموم لوجب ان تكون
امثالنا في كونها على مثل صورنا وهيأتنا وخلقنا واخلاقنا فكيف يصح تكليف البهائم وهي غير عاقلة والتكليف لا يصح الا مع كمال العقل
والذين كذبوا بآياتنا اي بالقرآن وقيل بسائر الحجج والبينات صم وبكم قد بينا معناهما في سورة البقرة في الظلمات اي في ظلمات الكفر
والجهل لا يهتدون الى شيء من منافع الدين وقيل اراد صم وبكم في الظلمات في الآخرة على الحقيقة عقابا لهم على كفرهم لانه ذكرهم عند ذكر
الحشر عن ابي علي الجبائي من يشأ الله يضلله وهذا مجمل قد بينه في قوله وما يضل به الا الفاسقين ويضل الله الظالمين والذين اهتدوا
زادهم هدى يهدي الله به من اتبع رضوانه سبل السلام والمعنى من يشأ الله يخذله بان يمنعه الطافه وفوائده وذلك اذا اوتر عليه
الادلة واوضح له الحجج فاعرض عنها ولم يمعن النظر فيها ويجوز ان يريد من يشأ الله اضلاله عن طريق الجنة ونيل ثوابها يضلله عنه ومن
يشأ يجعله على صراط مستقيم اي ومن يشأ ان يرحمه ويهديه الى الجنة يجعله على الصراط الذي يسلكه المؤمنون الى الجنة قوله تعالى
قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ
إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ القراءة قرأ اهل المدينة ارايتكم وارايتم وارايت واشباه ذلك بتخفيف الهمزة كل القرآن
وقرأ الكسائي وحده اريتكم واريت واريتم كل القرآن بترك الهمزة وقرأ الباقون بالهمزة في الجميع كل القرآن الحجة قال ابو علي من حقق الهمزة
فوجه قراءته بين لانه فعلت من الرؤية فالهمزة عين الفعل ومن قرأ بالالف في كل القرآن من غير همز على مقدار ذوق الهمزة فانه يجعل الهمزة بين بين
اي بين الالف والهمزة واما الكسائي فانه حذف الهمزة حذفا الا ترى ان التخفيف القياسي فيها ان يجعل بين بين وهذا حذف الهمزة كما قالوا
ويلمه وكما انشد احمد بن يحيى ان لم اقاتل فالبسوني برقعا وكقول ابي الاسود يا ابا المغيرة رب امر معضل ومما جاء على ذلك قول الآخر
اريت ان جئت به املودا مرجلا ويلبس البرودا ومما يقوي ذلك قول الشاعر ومن رأى مثل معدان بن ليلى اذا ما النسع طال على المطية
الاعراب ارايتكم الكاف فيه للخطاب مجردا ومعنى الاسم مخلوع منه لانه لو كان اسما لوجب ان يكون الاسم الذي بعده في نحو ارايتك هذا
الذي كرمت علي وارايتك زيدا ما صنع هو الكاف في المعنى لان رايت يتعدى الى مفعولين يكون الاول منهما هو الثاني في المعنى وقد علمنا
انه ليس الكاف في المعنى وان لم يكن اسما كان حرفا للخطاب مجردا من معنى الاسمية كالكاف في ذلك وهنالك وكالتاء في انت واذا ثبت انه
للخطاب فالتاء في رايت لا يجوز ان يكون للخطاب لانه لا يجوز ان يلحق الكلمة علامتان للخطاب كما لا يلحقها علامتان للتأنيث ولا علامتان
للاستفهام فلما لم يجز ذلك افردت التاء في جميع الاحوال لما كان الفعل لا بد له من فاعل وجعل في جميع الاحوال على لفظ واحد لان ما يلحق
الكاف من معنى الخطاب يبين الفاعلين فيخصص التأنيث من التذكير والتثنية من الجمع ولو لحق علامة التأنيث والجمع التاء اجتمعت
علامتان للخطاب ما لحق التاء وما لحق الكاف فكان يؤدي الى ما لا نظير له فرفض وهذا من كلام ابي علي الفارسي وجواب ان في قوله
ان اتاكم عذاب الله الفعل الذي دخل عليه حرف الاستفهام كما تقول ان اتاك زيد اتكرمه وموضع ان وجوابه نصب لانه في موضع
مفعولي رايت وقوله ان كنتم صادقين جوابه محذوف يدل عليه قوله ارايتكم لانه في معنى اخبروا فكانه قال ان كنتم صادقين فاخبروا من تدعون
عند نزول البلاء بكم المعنى ثم امر تعالى نبيه صلى الله عليه وآله بمحاجة الكفار فقال قل يا محمد لهؤلاء ارايتكم ان اتاكم عذاب الله
في الدنيا كما نزل بالامم قبلكم مثل عاد وثمود او اتتكم الساعة اي القيمة قال الزجاج الساعة اسم للوقت الذي يصعق فيه العباد
واسم للوقت الذي يبعث فيه العباد والمعنى او اتتكم الساعة التي وعدتم فيها بالبعث والفناء لان قبل البعث يموت الخلق كلهم

أغير الله تدعون أي أتدعون فيها الكشف ذلك عنكم هذه الأوثان التي تعلمون انها لا تقدر ان تنفع انفسها ولا غيرها او تدعون الله الذي هو
خالقكم ومالككم لكشف ذلك عنكم ان كنتم صادقين في ان هذه الأوثان آلهة لكم احتج عليهم بما لا يدفعونه لانهم كانوا اذا مسهم الضر
دعوا الله ثم قال بل اياه تدعون وبل استدراك وايجاب بعد نفي اعلمهم الله تعالى انهم اذا لحقتهم الشدائد في البحار والبراري والقفار تضرعوا
اليه ويقبلون عليه والمعنى لا تدعون غيره بل تدعونه فيكشف ما تدعون اليه ان شاء اي يكشف الضر الذي من اجله دعوتم ان شاء ان
يكشفه وتنسون ما تشركون اي تتركون دعاء ما تشركون من دون الله لانه ليس عندهم ضر ولا نفع عن ابن عباس ويكون العائد الى الموصول
محذوفا للعلم على تقديره ما تشركون به وقيل معناه انكم في ترككم دعاءهم بمنزلة من قد نسيهم عن الزجاج وهو قول الحسن لانه قال تعرضون عنه
اعراض الناسي اي لليأس من النجاة من قبله ويجوز ان يكون ما مع تشركون بمنزلة المصدر فيكون بمنزلة وتنسون شرككم قوله تعالى ولقد ارسلنا
الى امم من قبلك فاخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم
الشيطان ما كانوا يعملون فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون
فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين اربع آيات القراءة قرأ ابو جعفر فتحنا بالتشديد في جميع القرآن ووافقه ابن عامر
الا قوله ولو فتحنا عليهم بابا وحتى اذا فتحنا عليهم بابا فانه خففهما ووافقهما يعقوب في القمر وقرأ الباقون في جميع ذلك بالتخفيف الا مواضع
قد اختلفوا فيها سنذكرها ان شاء الله تعالى اذا بلغنا الى مواضعها الحجة من ثقل اراد التكثير والمبالغة ومن خفف لم يرد ذلك اللغة
البأساء من البؤس والخوف والضراء من الضر وقد يكون البأساء من البؤس والتضرع التذلل يقال تضرع فلان لفلان اذا بخع له وسأله
ان يعطيه والمبلس الشديد الحسرة وقال الفراء المبلس المنقطع الحجة قال رؤبة وحضرت يوم الخميس الاخماس وفي الوجوه صفرة وابلاس دابر
القوم الذي يدبرهم ويدبرهم لغتان وهو الذي يتلوهم من خلفهم ويأتي على اعقابهم وانشد المهلب جزى الله دارهم اضحوا رمادا فلا اصل
ولا طرف وقال الاصمعي الدابر الاصل يقال قطع الله دابره اي اصله وانشد فدى لكما رحلي ورحلي وناقتي غداة الكلابي اذ تجز الدوابر
اي يقتل القوم فتذهب اصولهم فلا يبقى لهم اثر وقال غيره دابر الامر آخره وروي عن عبد الله انه قال من الناس من لا يأتي الصلوة الا دبريا
بضم الدال والباء يعني في آخر الوقت كذا تقوله اصحاب الحديث وقال ابو زيد الصواب دبريا بفتح الدال والباء الاعراب لولا للتحضيض
ولا تدخل الا على الفعل ومعناه هلا تضرعوا ولكن قست قلوبهم معطوف على تأويل الكلام الاول فان في قوله هلا تضرعوا دلالة على انهم لم
يتضرعوا وقوله بغتة مصدر وقع موقع الحال اي اخذناهم مباغتين المعنى ثم اعلم الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله حال الامم الماضية في
مخالفة رسله وبين ان حال هؤلاء اذا سلكوا طريق المخالفة كحالهم في نزول العذاب بهم فقال ولقد ارسلنا وههنا محذوف وتقديره
رسلا الى امم من قبلك فخالفوهم فاخذناهم وحسن الحذف للايجاز والاختصار من غير اخلال لدلالة مفهوم الكلام عليه بالبأساء و
الضراء يريد بالفقر والبؤس والاسقام والاوجاع عن ابن عباس والحسن لعلهم يتضرعون ومعناه لكي يتضرعوا قال الزجاج لعل ترج
وهذا الترجي للعباد المعنى فاخذناهم بذلك ليكون ما يرجو العباد منهم من التضرع كما قال في قصة فرعون لعله يتذكر او يخشى قال سيبويه
المعنى اذهبا انتما على رجائكما فالله عالم بما يكون من وراء ذلك اخبر الله تعالى انه ارسل الرسل الى قوم بلغوا من القسوة الى ان اخذوا بالشدة في انفسهم
واموالهم ليخضعوا ويذلوا لامر الله تعالى فلم يخضعوا ولم يتضرعوا وهذا كالتسلية للنبي صلى الله عليه وآله فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا
معناه فهلا تضرعوا اذ جاءهم بأسنا ولكن قست قلوبهم واقاموا على كفرهم فلم تنجع فيهم العظة وزين لهم الشيطان بالوسوسة
والاغراء بالمعصية لما فيها من عاجل اللذة ما كانوا يعملون يعني اعمالهم وفي هذه حجة على من قال ان الله لم يرد من الكافر الايمان لانه
تعالى بين انه انما فعل ذلك بهم ليتضرعوا وبين ان الشيطان هو الذي زين الكفر للكافر بخلاف ما قالته المجبرة من انه سبحانه هو المزين
لهم ذلك فلما نسوا ما ذكروا به اي تركوا ما وعظوا به عن ابن عباس وتأويله تركوا العمل بذلك وقيل تركوا ما دعاهم اليه الرسل عن مقاتل
فتحنا عليهم ابواب كل شيء اي كل نعمة وبركة من السماء والارض عن ابن عباس وقيل ابواب كل شيء كان مغلقا عنهم من الخير عن مقاتل
والمعنى انه تعالى امتحنهم بالشدائد لكي يتضرعوا ويتوبوا فلما تركوا ذلك فتح عليهم ابواب النعم والتوسعة في الرزق ليرغبوا بذلك في نعيم
الآخرة وانما فعل ذلك وان كان الموضع موضع العقوبة والانتقام دون الاكرام والانعام ليدعوهم ذلك الى الطاعة فان الدعاء

اذا فرحوا بما

٣١٣

الى الطاعة تكون تارة بالعنف وتارة باللطف ولتشديد العقوبة عليهم بالنقل من النعيم الى العذاب الاليم حتى اذا فرحوا بما اوتوا من النعيم واشتغلوا
بالتلذذ واظهروا السرور بما اعطوه ولم يروه نعمة من الله تعالى حتى يشكروه اخذناهم اي احللنا بهم العقوبة بغتة اي مفاجأة من حيث لا
يشعرون فاذا هم مبلسون اي آيسون من النجاة والرحمة عن ابن عباس وقيل اذلة خاضعون عن البلخي وقيل متحيرون منقطعو الحجة والمعاني
متقاربة والمراد بقوله ابواب كل شيء التكثير والتفخيم دون التعميم وهو مثل قوله واوتيت من كل شيء والمراد فتحنا عليهم ابواب اشياء كثيرة
وآتيناهم خيرا كثيرا وروي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال اذا رأيت الله تعالى يعطي على المعاصي فان ذلك استدراج منه تعالى ثم تلا هذه
الآية ونحوه ما روي عن امير المؤمنين علي عليه السلم انه قال يا ابن آدم اذا رأيت ربك يتابع عليك نعمه فاحذره فقطع دابر القوم الذين ظلموا
معناه فاستؤصل الذين ظلموا بالعذاب فلم يبق لهم عقب ولا نسل والحمد لله رب العالمين على اهلاك اعدائه واعلاء كلمة رسله
حمد الله تعالى نفسه بان استأصل شأفتهم وقطع دابرهم لانه تعالى ارسل اليهم الرسل وانظرهم بعد كفرهم واخذهم بالبأساء والضراء واختبرهم بالمحنة
والبلاء ثم بالنعمة والرخاء وبالغ في الاعذار والامهال والانظار فهو محمود على كل حال وفي هذا تعليم للمؤمنين ليحمدوا الله على كفايته اياهم
شر الظالمين ودلالة على ان اهلاكهم نعمة من الله تعالى يجب حمده عليها وروى عن علي بن ابرهيم عن ابيه عن القسم بن محمد عن سليمن بن داود المنقري
عن فضيل بن عياض عن ابي عبد الله عليه السلم قال سألته عن الورع فقال الورع الذي يتورع عن محارم الله ويجتنب هؤلاء واذا
لم يتق الشبهات وقع في الحرام وهو لا يعرفه واذا رأى المنكر ولم ينكره وهو يقدر عليه فقد احب ان يعصى الله ومن احب ان يعصى الله
فقد بارز الله بالعداوة ومن احب بقاء الظالمين فقد احب ان يعصى الله وان الله تعالى حمد نفسه على اهلاك الظالمين فقال
فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين قوله تعالى قل ارأيتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم من اله
غير الله يأتيكم به انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون قل ارأيتكم ان اتاكم عذاب الله بغتة او جهرة هل يهلك الا القوم
الظالمون وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين فمن آمن واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا
يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون اربع آيات اللغة صدف عن الشيء صدوفا اذا مال عنه والصدف والصدفة الجانب
والناحية والصدف كل بناء مرتفع وفي الحديث كان صلى الله عليه وآله اذا مر بصدف مائل اسرع المشي الاعراب من اله مبتدأ
وغير صفة له وهذه الجملة في موضع مفعول ارأيتم ومن استفهام علق الفعل الذي هو ارأيتم فلم يعمل في مفعوليه لفظا وقوله ان اخذ الله
سمعكم جوابه محذوف وتقديره فمن يأتيكم به الا انه اغنى عنه قوله من اله غير الله يأتيكم به الذي هو مفعول ارأيتم في المعنى وموضع
جهرة نصب على الحال كما تقول لاضربنه ان ذهب او مكث فان قولك ان ذهب او مكث وقع موقع ذاهبا او ماكثا وتقديره مقيما
ذهابه او مكثه ويدل على انه في موضع الحال مشابهة المفرد لانه لا يستقل بنفسه كما يستقل الجمل وان كان جملة في المعنى فانه بدخول حرف
الشرط قد صار بمنزلة المفرد في الحاجة الى ما يستند اليه كما احتاج المفرد ويدل على قوة اتصاله بما قبله حاجته الى ما قبله كما احتاج ما وقع
موقعه الى ما قبله وليس شيء من الفضلات يقع الجملة موقعه غير الحال فثبت انه في موضع منصوب هو حال فان قيل الجزاء مقدم
والشرط المذكور في اللفظ مع الجزاء كلام مستقل وانما كان هذا الاستدلال لا يسوغ لو كان الجزاء غير مقدر قبل الجزاء وان كان متقدما
لا حكم له لانه لا يجوز اظهاره وانما هو شيء ثبت من جهة التقدير فضعف امره ولو جاز اظهاره لكان في موضع الحال وهذا مأخوذ
من كلام ابي علي الفارسي ذكره في العسكريات مع كلام كثير في معناه قد تقدم فيه ولم يسبق اليه وقوله يأتيكم به في موضع رفع بانه صفة
اله المعنى ثم زاد تعالى في الاحتجاج فقال قل يا محمد لهؤلاء الكفار ارأيتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم اي ذهب بهما واصمكم
واعماكم وختم على قلوبكم اي طبع عليها وقيل اذهب عقولكم وسلب عنكم التمييز حتى لا تفقهون شيئا وانما خص هذه الاشياء بالذكر
لان بها تتم النعم دينا ودنيا من اله غير الله يأتيكم به قال الزجاج هذه الهاء تعود الى معنى الفعل المعنى من اله غير الله يأتيكم بما اخذ منكم
قال ويجوز ان يكون عائدا الى السمع ويكون ما عطف على السمع داخلا في القصة معه اذا كان معطوفا عليه قال ابن عباس يريد لا
يقدر هؤلاء الذين يعبدون ان يجعلوا لكم اسماعا وابصارا وقلوبا تعقلون بها وتفهمون اي ان اخذها الله منكم فمن يردها عليكم
بين سبحانه بهذا انه كما لا يقدر على ذلك غير الله فكذلك يجب ان لا يعبد سواه انظر كيف نصرف الآيات اي نبين لهم في القرآن الآيات

عن الكلبي وقيل تصريف الآيات توجيهها في الجهات التي يظهرها تم الاظهار مرة في جهة النعمة ومرة في جهة الشدة وقيل تصريف الآيات احداثها
دالة على وجوده كما ان الآية المعجزة تدل على فاعلها وعلى قدرته وعلمه وعلى نبوة النبي صلى الله عليه وآله وصدقه ثم هم يعني الكفار يصدفون
اي يعرضون من تامل الآيات والفكر فيها وقيل اعراضهم عنها كفرهم بها وانما قال انظر لانه تعالى عجب ولامن تابع نبيه عليهم وضربت دلايله
من تصريف الآيات واسباب الاعتبار ثم عجب ثانيا من اعراضهم عنها ثم زاد سبحانه في الحجاج فقال قل ارأيتكم اي اعلمتم ان اتاكم عذاب الله
اي عقوبة الله بعد اعذاره اليكم وارساله الرسل بغتة اي مفاجاة او جهرة اي علانية وانما قابل البغتة بالجهرة لان البغتة يتضمن معنى
الخفية لانه ياتيهم من حيث لا يشعرون وقيل البغتة ان ياتيهم ليلا والجهرة ان ياتيهم نهارا عن الحسن هل يهلك اي لا يهلك بهذا العذاب الا
القوم الظالمون اي الكافرون الذين يكفرون بالله ويفسدون في الارض وقيل انهم كانوا يستدعون العذاب فبين انه اذا انزل
لا يهلك به الا الكافرون فان هلك فيه مؤمن او طفل فانما يهلك محنة ويعوضه الله على ذلك اعواضا كثيرة يصغر ذلك في
جنبها والمراد بذلك عذاب الدنيا دون عذاب الآخرة ثم بين سبحانه انه لا يبعث الرسل اربابا يقدرون على كل شيء يسئلون عنه
من الآيات وانما يرسلهم لما يعلمه من المصالح فقال وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين ثم ذكر ثواب من صدقهم في اول الآية وعقاب
من كذبهم في الآية الثانية فقال فمن آمن اي صدق الرسل واصلح اي عمل صالحا في الدنيا فلا خوف عليهم في الآخرة ولا هم يحزنون
كما يحزن اهل النار وقيل لا يحزنون على ما خلفوا وراءهم في الدنيا والذين كذبوا بآياتنا اي ادلتنا وحججنا وقيل بمحمد ومعجزاته يمسهم العذاب
اي يصيبهم العذاب يوم القيامة بما كانوا يفسقون اي بفسقهم وخروجهم عن الايمان قوله تعالى قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا
اعلم الغيب ولا اقول لكم اني ملك ان اتبع الا ما يوحى الي قل هل يستوي الاعمى والبصير افلا تتفكرون اللغة الخزائن جمع خزانة
وهي اسم المكان الذي يخزن فيه الشيء وخزن الشيء احرازه بحيث لا تناله الايدي ومنه خزن اللحم يخزن خزنا اذا تغير لانه يخبا حتى ينتن المعنى
ثم امر النبي صلى الله عليه وآله ان يقول لهم بعد ما تقدم ذكر الآيات اني لا ادعي الربوبية وانما ادعي النبوة فقال قل يا محمد لا اقول لكم ايها
الناس عندي خزائن الله يريد خزائن رحمة الله عن ابن عباس وقيل خزائن مقدوراته عن الجبائي وقيل ارزاق الخلق حتى تؤمنوا طمعا في المال
ولا اعلم الغيب الذي يختص الله تعالى بعلمه وانما اعلم قدر ما يعلمني الله تعالى من امر البعث والنشور والجنة والنار وغير ذلك وقيل عن
عاقبة ما تصيرون اليه عن ابن عباس ولا اقول لكم اني ملك لاني انسان تعرفون نسبي يريد لا اقدر على ما يقدر عليه الملك وقد استدل
بهذا على ان الملائكة افضل من الانبياء وهذا بعيد لان الفضل الذي هو كثرة الثواب لا معنى له هاهنا وانما المراد لا اقول اني ملك
فاشاهد من امر الله وغيبه عن العباد ما تشاهد الملائكة ان اتبع الا ما يوحى الي يريد لا اخبركم الا بما انزله الله الي عن ابن عباس وقال
الزجاج اي ما انبئكم به من غيب فيما مضى وفيما سيكون فهو بوحي من الله عز وجل ثم امره سبحانه فقال قل لهم يا محمد هل يستوي الاعمى و
البصير اي هل يستوي العارف بالله سبحانه العالم بدينه والجاهل به وبدينه فجعل الاعمى مثلا للجاهل والبصير مثلا للعارف بالله
وبنبيه صلى الله عليه وآله هذا قول الحسن واختاره الجبائي وفي تفسير اهل البيت عليهم السلام هل يستوي من يعلم ومن لا يعلم وقيل
معناه هل يستوي من صدق على نفسه واعترف بحاله التي هو عليها من الحاجة والعبودية لخالقه ومن ذهب عن البيان وعمي عن الحق
عن البلخي افلا تتفكرون فتنصفوا من انفسكم وتعملوا بالواجب عليكم من الاقرار بتوحيد الله ونفي التشبيه وهذا استفهام يريد به الاخبار
يعني انهما لا يستويان قوله تعالى وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون الاعراب
الهاء في به يعود الى ما من قوله ما يوحى الي وليس مع اسمه وخبره في موضع نصب على الحال من يخافون كانه قيل متخلين من ولي و
شفيع المعنى ثم امره تعالى بعد تقديم البينات بالانذار فقال وانذر اي عظ وخوف به اي بالقرآن عن ابن عباس وقيل بالله
عن الضحاك الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم يريد المؤمنين يخافون يوم القيامة وما فيها من شدة الاهوال عن ابن عباس والحسن وقيل معناه
يعلمون عن الضحاك وقيل يخافون ان يحشروا علما بانه سيكون عن الفراء قال ولذلك فسره المفسرون بيعلمون قال الزجاج المراد بهم
كل معترف بالبعث من مسلم وكتابي وانما خص الذين يخافون الحشر دون غيرهم وهو صلى الله عليه وآله ينذر جميع الخلق لان الذين
يخافون الحشر الحجة عليهم اوجب لاعترافهم بالمعاد وقال الصادق عليه السلام انذر بالقرآن من يرجون الوصول الى ربهم يرغبهم فيما عنده

فان القرآن شافع مشفع ليس لهم من دونه اي غير الله ولي ولا شفيع عن الضحاك وقال الزجاج ان اليهود والنصارى ذكرت انهما ابناء الله
واحباؤه فاعلم الله عز اسمه ان اهل الكفر ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع وهذا الذي قاله ظاهر في اهل الكفر والمفسرون على ان الآية
في المؤمنين ويكون معنى قوله ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع على ان شفاعة الانبياء وغيرهم للمؤمنين انما يكون باذن الله لقوله سبحانه
من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه فلذلك راجع الى الله تعالى لعلهم يتقون كي يخافوا في الدنيا وينتهوا عما نهيتهم عنه عن ابن عباس
قوله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك
عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا اليس الله
باعلم بالشاكرين آيتان القراءة قرا ابن عامر بالغدوة والعشي في كل القرآن بواو والباقون بالغداة بالالف الحجة قال ابو علي الوجه
الغداة لانها تستعمل نكرة وتتعرف باللام واما غدوة فمعرفة لم تتنكر وهو علم صيغ له قال سيبويه غدوة وبكرة جعل كل واحد منهما اسما
للجنس كما جعلوا ام حبين اسما للدابة معرفة قال وزعم يونس عن ابي عمرو وهو القياس انك اذا قلت لقيته يوما من الايام غدوة او بكرة
وانت تريد المعرفة لم تنون فهذا يقوي قراءة من قرا بالغداة والعشي ووجه قراءة ابن عامر ان سيبويه قال زعم الخليل انه يجوز ان يقول
اتيتكم اليوم غدوة وبكرة فجعلهما بمنزلة ضحوة ومن حجته ان بعض اسماء الزمان جاء معرفة من غير الف ولام نحو ما حكاه ابو زيد
من قولهم لقيته فينة غير مصروفة والفينة بعد الفينة فالحق لام المعرفة ما استعمل معرفة ووجه ذلك ان يقدر فيه التنكير والشياع
كما يقدر فيه ذلك اذا ثني وذلك مستمر في جميع هذا الضرب من المعارف ومثل ذلك ما حكاه سيبويه من قول العرب هذا يوم
اثنين مباركا فيه واتيتك يوم اثنين مباركا فجاء معرفة بلا الف ولام كما جاء بالالف واللام ومن ثم انتصب الحال ومثل ذلك
قولهم هذا ابن عرس مقبلا اما ان يكون جعل عرسا نكرة وان كان علما واما ان يكون اخبر عنه بخبرين الاعراب فتطردهم جواب
للنفي في قوله ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء وقوله فتكون نصب لانه جواب النهي وهو قوله
ولا تطرد اي ولا تطردهم فتكون من الظالمين وقد بينا تقديره في مواضع النزول روى الثعلبي باسناده عن عبد الله بن مسعود
قال مر الملأ من قريش على رسول الله صلى الله عليه وآله وعنده صهيب وخباب وبلال وعمار وغيرهم من ضعفاء المسلمين فقالوا
يا محمد ارضيت بهؤلاء من قومك افنحن نكون تبعا لهم اهؤلاء الذين من الله عليهم اطردهم عنك فلعلك ان طردتهم اتبعناك
فانزل الله تعالى ولا تطرد الخ وقال سلمان وخباب فينا نزلت هذه الآية جاء الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري
وذووهم من المؤلفة قلوبهم فوجدوا النبي صلى الله عليه وآله قاعدا مع بلال وصهيب وعمار وخباب في ناس من ضعفاء المؤمنين
فحقروهم فقالوا يا رسول الله لو نحيت هؤلاء عنك حتى نخلو بك فان وفود العرب تاتيك فنستحيي ان يرونا مع هؤلاء الاعبد
ثم اذا انصرفنا فان شئت فاعدهم الى مجلسك فاجابهم النبي الى ذلك فقالوا له اكتب لنا بهذا على نفسك كتابا فدعا بصحيفة
واحضر عليا عليه السلام ليكتب قال ونحن قعود في ناحية اذ نزل جبرئيل بقوله ولا تطرد الى قوله اليس الله باعلم بالشاكرين فنحى رسول الله
الصحيفة واقبل علينا ودنونا منه وهو يقول كتب ربكم على نفسه الرحمة فكنا نقعد معه فاذا اراد ان يقوم قام وتركنا فانزل الله تعالى
واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم الآية قال فكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقعد معنا ويدنو حتى كادت ركبتنا تمس
ركبته فاذا بلغ الساعة التي يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم وقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني ان اصبر نفسي مع قوم من امتي
معكم المحيا ومعكم الممات المعنى ثم نهى سبحانه رسوله عن اجابة المشركين فيما اقترحوه عليه من طرد المؤمنين فقال ولا تطرد
الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريد يعبدون ربهم بالصلوة المكتوبة يعني صلوة الصبح والعصر عن ابن عباس و
الحسن ومجاهد وقتادة وقيل ان المراد بالدعاء هاهنا الذكر اي يذكرون ربهم طرفي النهار عن ابرهيم وروي عنه ايضا ان
هذا من الصلوات الخمس يريدون وجهه يعني يطلبون ثواب الله ويعملون ابتغاء مرضات الله لا يعدلون بالله شيئا
عن عطا قال الزجاج شهد الله لهم بتصديق النيات وانهم مخلصون في ذلك لله اي يقصدون الطريق الذي امرهم بقصده
فكانه ذهب في معنى الوجه الى الجهة والطريق ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء يريد ما

عليك من حساب المشركين شيء ولا عليهم من حسابك شيء انما الله الذي يثيب اولياءه ويعاقب اعداءه عن ابن عباس في رواية عطا
واكثر المفسرين يردون الضمير الى الذين يدعون ربهم وهو الاشبه وذكروا فيه وجهين احدهما ما عليك من عملهم ومن حسابهم عليهم
من شيء عن الحسن وابن عباس وهذا كقوله سبحانه في قصة نوح ان حسابهم الا على ربي وهذا لان المشركين ازدروهم لفقرهم وحاجتهم
الى الاعمال الدنية وهمّ عليه السلام بدفع المشركين عليهم في المجلس فقيل له ما عليك من حسابهم من شيء اي لا يلزمك عار لعملهم فتطردهم
ثم قال وما من حسابك عليهم من شيء تاكيدا لمطابقة الكلام وان كان مستغنى عنه بالاول والوجه الثاني ما عليك من حساب
رزقهم من شيء فتملهم وتطردهم اي ليس رزقهم عليك ولا رزقك عليهم وانما يرزقك واياهم الله الرازق فدعهم يدنون منك ولا تطردهم
فتكون من الظالمين لهم بطردهم عن ابن زيد وقيل فتكون من الضارين لنفسك بالمعصية عن ابن عباس قال ابن الانباري عظم الامر
في هذا على النبي صلى الله عليه واله وخوف الدخول في جملة الظالمين لانه كان قد هم بتقديم الرؤساء واولي الاموال على الضعفاء مقدرا
انه يستجر باسلامهم اسلام قومهم ومن لف لفهم وكان صلى الله عليه واله لم يقصد في ذلك الا قصد الخير ولم ينو به ازدراء بالفقراء
فاعلمه الله تعالى ان ذلك غير جائز ثم اخبر الله سبحانه انه يمتحن الفقراء بالاغنياء والاغنياء بالفقراء فقال وكذلك فتنا بعضهم ببعض
اي كما ابتلينا قبلك الغني بالفقير والشريف بالوضيع ابتلينا هؤلاء الرؤساء من قريش بالموالي فاذا نظر الشريف الى الوضيع قد آمن
قبله حمى انفا ان يسلم ويقول سبقني هذا بالاسلام فلا يسلم وانما قال سبحانه فتنا وهو لا يحتاج الى الاختبار لانه عاملهم معاملة
المختبر ليقولوا هذه لام العاقبة المعنى فعلنا هذا ليصبروا ويشكروا فال امرهم الى هذه العاقبة اهؤلاء من الله عليهم من بيننا والالف
معناه الانكار كانهم انكروا ان يكونوا سبقوهم بفضيلة او خصوا بمنة وقال ابو علي الجبائي المعنى في فتنا شددنا التكليف على اشراف
العرب بان الزمناهم بالايمان وبتقديم هؤلاء الضعفاء على نفوسهم لتقدمهم اياهم في الايمان وهذا امر كان شاقا عليهم فلذلك
سماه الله فتنة وقوله ليقولوا اي فعلنا هذا بهم ليقول بعضهم لبعض على وجه الاستفهام لا على وجه الانكار اهؤلاء من الله عليهم
بالايمان اذ راوا النبي صلى الله عليه واله يقدم هؤلاء عليهم وليرضوا بذلك من فعل رسول الله صلى الله عليه واله ولم يجعل هذه الفتنة
والشدة في التكليف ليقولوا ذلك على وجه الانكار ولان انكارهم لذلك كفر بالله ومعصية والله سبحانه لا يريد ذلك ولا يرضيه ولانه لو
اراد ذلك وفعلوه كانوا مطيعين لله لا عاصين وقد ثبت خلافه وقوله اليس الله باعلم بالشاكرين هذا استفهام تقرير اي انه كذلك
كقول جرير الستم خير من ركب المطايا وفي هذا دليل واضح على ان فقراء المؤمنين وضعفاءهم اولى بالتقديم والتقريب والتعظيم من
اغنيائهم ولقد قال امير المؤمنين عليه السلام من اتى غنيا فتواضع لغناه ذهب ثلثا دينه قوله تعالى واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا
فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل سوءا بجهالة ثم تاب من بعده واصلح فانه غفور رحيم اية القراءة
قرا اهل المدينة انه من عمل بالفتح فانه بالكسر وقرا عاصم وابن عامر ويعقوب انه بفتح الالف فيهما وقرا الباقون انه فانه بالكسر فيهما
الحجة قال ابو علي من كسر فقال انه من عمل جعله تفسيرا للرحمة كما ان قوله لهم مغفرة واجر عظيم تفسير للوعد واما من كسر فانه غفور رحيم
فلان ما بعد الفاء حكمه الابتداء ومن ثم حمل قوله فينتقم الله منه على ارادة الابتداء بعد الفاء وحذفه واما من فتح ان في قوله انه فانه
جعل ان الاولى بدلا من الرحمة كانه قال كتب ربكم على نفسه انه من عمل واما من فتحها بعد الفاء فعلى انه اضمر له خبرا وتقديره فله انه غفور
رحيم اي فله غفرانه او اضمر مبتدا يكون انه خبره اي فامره انه غفور رحيم وعلى هذا التقدير يكون الفتح في قول من فتح الم يعلموا انه من يحادد
الله ورسوله فان له نار جهنم تقديره فله ان له نار جهنم الا ان اضماره هنا احسن لان ذكره قد جرى في قوله ان له وان شئت قدرت
فامره ان له نار جهنم فيكون خبر هذا المبتدا المضمر واما قراءة كتب ربكم انه فانه فالقول فيها انه من بدل من الرحمة ثم استانف ما بعد الفا
اللغة قال المبرد السلام في اللغة اربعة اشياء مصدر سلمت سلاما وجمع سلامة واسم من اسماء الله عز وجل وشجر في قوله
الا سلام وحرمل ومعنى السلام الذي هو مصدر انه دعاء للانسان بان يسلم من الافات والسلام اسم من اسماء الله تعالى وتاويله
ذو السلام اي الذي يملك السلام الذي هو التخلص من المكروه واما السلام الشجر فهو شجر قوي سمي بذلك لسلامته من الافات
والسلام الحجارة سميت بذلك لسلامتها من الرخاوة والصلح يسمى السلام والسلم لان معناه السلامة من الشر والسلام الدلو لها عروة

وامن

واحدة كانها اسلم الله لا من الافات النزول اختلف فيمن نزلت فيه هذه الاية فقيل نزلت في الذين نهى الله عز وجل نبيه عن طردهم
فكان النبي صلى الله عليه واله اذا رآهم بداهم بالسلام وقال الحمد لله الذي جعل في امتي من امرني ان ابداهم بالسلام عن عكرمة وقيل
نزلت في جماعة من الصحابة منهم حمزة وجعفر ومصعب بن عمير وعمار وغيرهم عن عطا وقيل ان جماعة اتوا رسول الله صلى الله عليه واله فقالوا
انا اصبنا ذنوبا كثيرة فسكت عنهم رسول الله صلى الله عليه واله فنزلت الاية عن انس بن مالك وقيل نزلت في التائبين وهو المروي
عن ابي عبد الله عليه السلام المعنى ثم امر سبحانه نبيه بتعظيم المؤمنين فقال واذا جاءك يا محمد الذين يصدقون باياتنا اي بحججنا وبراهيننا
فقل سلام عليكم ذكر فيه وجوه احدها انه امره صلى الله عليه واله ان يسلم عليهم من الله تعالى فهو تحية من الله على لسان نبيه صلى الله عليه واله
عن الحسن وثانيها ان الله امر نبيه صلى الله عليه واله ان يسلم عليهم تكرمة لهم عن الجبائي وثالثها ان معناه اقبل عذرهم واعترافهم
وبشرهم بالسلامة مما اعتذروا عنه عن ابن عباس كتب ربكم اي اوجب ربكم على نفسه الرحمة ايجابا مؤكدا عن الزجاج قال انما خوطب
الخلق بما يعقلون وهم يعقلون ان الشيء المؤخر انما يحفظ بالكتاب وقيل معناه كتبه في اللوح المحفوظ وقد سبق بيان هذا في اول السورة
انه من عمل منكم سوءا بجهالة قال الزجاج يحتمل الجهالة هنا وجهين احدهما انه عمله وهو جاهل بمقدار المكروه فيه اي لم يعرف ان فيه
مكروها والاخر انه علم ان عاقبته مكروهة ولكنه آثر العاجل فجعل جاهلا بانه آثر النفع القليل على الراحة الكثيرة والعاقبة الدائمة
وهذا اقوى ومثله قوله انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة الاية وقد ذكرنا ما فيه هناك ثم تاب من بعده واصلح
اي رجع عن ذنبه ولم يصر على ما فعل واصلح عمله فانه غفور رحيم قوله تعالى وكذلك نفصل الايات ولتستبين سبيل المجرمين اية
القراءة قرا اهل المدينة ولتستبين بالتاء سبيل بالنصب وقرا اهل الكوفة غير حفص وليستبين بالياء سبيل بالرفع وقرا زيد عن
يعقوب وليستبين بالياء سبيل بالنصب وقرا الباقون ولتستبين بالتاء سبيل بالرفع الحجة من قرا ولتستبين بالتاء سبيل رفعا
جعل السبيل فاعلا وانثه كما في قوله قل هذه سبيلي قال سيبويه استبان الشيء واستبنته ومن قرا ولتستبين بالتاء سبيل نصبا
ففي الفعل ضمير المخاطب وسبيل مفعوله وهو على ذلك استبنت الشيء ومن قرا بالياء سبيل رفعا فالفعل مسند الى السبيل الا انه ذكره
كما في قوله يتخذوه سبيلا والمعنى وليستبين سبيل المؤمنين وسبيل المجرمين فحذف لان ذكر احد السبيلين يدل على الاخر ومثله
سرابيل تقيكم الحر ولم يذكر البرد لدلالة الحر عليه ومن قرا بالياء ونصب اللام فقدره وليستبين السائل سبيل المجرمين الاعراب
كذلك الكاف في موضع نصب بانه مفعول نفصل وذلك مجرور الموضع باضافة الكاف اليه ويقال ما المشبه وما المشبه به في قوله
وكذلك وفيه جوابان احدهما التفصيل الذي تقدم في صفة المهتدين وصفة الضالين شبه بتفصيل الدلائل على الحق من الباطل
في صفة غيرهم من كل ما فيه الحق والثاني ان المعنى كما فصلنا ما تقدم من الايات نفصله لكم المعنى ثم عطف سبحانه على الايات
التي احتج بها على مشركي العرب وغيرهم فقال وكذلك اي كما قدمنا نفصل الايات وهي الحجج والدلالات اي نميزها ونبينها
ونشرحها على صحة قولكم وبطلان ما يقول هؤلاء الكفار ولتستبين سبيل المجرمين بالرفع اي ليظهر طريق من عاند بعد
البيان او ذهب عن فهم ذلك بالاعراض عنه لمن اراد الفهم لذلك من المؤمنين ليتجانبوها ويسلكوا غيرها وبالنصب ليعرف
السامع او السائل او لتعرف انت يا محمد سبيلهم وسبيلهم ما هم عليه من الكفر والعناد والاقدام على المعاصي والجرائم المودية
الى النار وقيل المراد بسبيلهم ما عاجلهم الله به من الاذلال باللعن والبراءة منهم والامر بالقتل والسبي ونحو ذلك والواو في
ولتستبين للعطف على مضمر محذوف والتقدير ليفهموه او لتستبين سبيل المجرمين والمؤمنين وجاز الحذف لان فيما بقي
دليلا على ما القي قوله تعالى قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله قل لا اتبع اهواءكم قد ضللت
اذا وما انا من المهتدين اية القراءة روى في الشواذ عن يحيى بن وثاب ضللت بكسر اللام والقراء كلهم على فتحها الحجة
وهما لغتان ضللت تضل وضللت تضل قال ابو عبيدة واللغة الغالبة الفتح الاعراب معنى من في قوله من دون الله
اضافة الدعاء الى دون بمعنى ابتداء الغاية ومعنى اذا الجزاء والمعنى قد ضللت ان عبدتها المعنى ثم امر سبحانه نبيه
بان يظهر البراءة مما يعبدونه فقال قل يا محمد اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله يعني الاصنام التي تعبدونها

وتدعونها الهة وقل يا محمد لا اتبع اهواءكم في عبادتها انما عبدتموها على طريق الهوى لا على طريق البينة والبرهان عن الزجاج وقيل
معناه لا اتبع اهواءكم في طرد المؤمنين قد ضللت اذا اي اذا فعلت ذلك عن ابن عباس وما انا من المهتدين اي الذين سلكوا سبيل
الدين وقيل معناه وما انا من النبيين الذين سلكوا طريق الهدى قوله تعالى قل اني على بينة من ربي وكذبتم به ما عندي ما
تستعجلون به ان الحكم الا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين قل لو ان عندي ما تستعجلون به لقضي الامر بيني وبينكم والله
اعلم بالظالمين القراءة قرا اهل الحجاز وعاصم يقص الحق بالصاد والباقون يقضي الحق الحجة حجة من قرا يقضي قوله والله يقضي
بالحق وحكي عن ابي عمرو انه استدل بقوله وهو خير الفاصلين في ان الفصل في الحكم ليس في القصص وحجة من قرا يقص قوله والله يقول الحق
قالوا وقد جاء الفصل في القول ايضا في نحو قوله انه لقول فصل واما قوله الحق فيحتمل امرين يجوز ان يكون صفة مصدر محذوف
تقديره يقضي القضاء الحق او يقص القصص الحق ويجوز ان يكون مفعولا به مثل يفعل الحق كقوله وعليهما مسرودتان قضاهما داود
او صنع السوابغ تبع اللغة البينة الدلالة التي تفصل بين الحق والباطل والبيان هو الدلالة وقيل هو العلم الحادث والاستعجال
طلب الشيء في غير وقته والحكم فصل الامر على التمام الاعراب يقال لم قال كذبتم به والبينة مؤنثة قيل لان البينة بمعنى البيان فالهاء
كناية عن البيان عن الزجاج وقيل كناية عن الرب في قوله ربي وقوله كذبتم قد مضمر معه لانه في موضع الحال والحال لا يكون بالفعل
الا ومعه قد اما مضمرة او مظهرة المعنى لما امر النبي صلى الله عليه واله بان يتبرأ مما يعبدونه عقب ذلك سبحانه بالبيان انه على حجة
من ذلك وبينة وانه لا بينة لهم فقال قل يا محمد لهؤلاء الكفار اني على بينة من ربي اي على امر بين لا متبع لهوى عن الزجاج و
قال الحسن البينة النبوة اي على نبوة من ربي وقيل على حجة من معجزة دالة على نبوتي وهي القرآن عن الجبائي وقيل على يقين من ربي
عن ابن عباس وكذبتم به اي بما اتيتكم به من البيان يعني القرآن ما عندي اي ليس عندي ما تستعجلون به قيل معناه الذي تطلبونه
من العذاب كانوا يقولون يا محمد ائتنا بالعذاب الذي تعدنا وهو كقوله ويستعجلونك بالعذاب عن ابن عباس والحسن وقيل هي الايات
التي اقترحوها عليه استعجلوه بها فاعلم الله سبحانه ان ذلك عنده فقال ان الحكم الا لله يريد ان ذلك عند ربي عن ابن عباس يعني
ليس الحكم في الفصل بين الحق والباطل وفي انزال الايات الا لله يقضي الحق اي يفصل الحق من الباطل ويقص الحق اي يقوله ويخبر به وهو خير
الفاصلين لانه لا يظلم في قضاياه ولا يجور عن الحق وهذا يدل على بطلان قول من يزعم ان الظلم والقبائح بقضائه لان من المعلوم ان
ذلك كله ليس بحق قل يا محمد لهؤلاء الكفار لو ان عندي اي برائي وارادتي ما تستعجلون به من انزال العذاب بكم لقضي الامر بيني وبينكم
اي لفرغ من الامر بان اهلككم واستريح منكم غير ان الامر فيه الى الله تعالى والله اعلم بالظالمين وبوقت عذابهم وبما يصلحهم وفي هذا دلالة
على انه سبحانه يؤخر العقوبة لضرب من المصلحة اما لان يؤمنوا او لغير ذلك من المصالح فهو يدبر ذلك على حسب ما تقتضيه المصلحة
قوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض
ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى اجل مسمى ثم
اليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون اللغة المفاتح جمع مفتح ومفتح بالفتح والكسر المفتاح الذي يفتح به والمفتح بفتح
الميم الخزانة وكل خزانة كانت لصنف من الاشياء فهو مفتح قال الفراء في قوله ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة يعني خزائنه والتوفي قبض الشيء
على التمام يقال توفيت الشيء واستوفيته بمعنى والجرح العمل بالجارحة والاجتراح الاكتساب الاعراب ولا حبة تقديره ولا تسقط
من حبة ثابتة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين الجار والمجرور في موضع رفع لانه خبر الابتداء تقديره الا هو في كتاب
مبين ولا بد من هذا التقدير لانه لو لم يكن محمولا على هذا الوجه لا يعلمها في كتاب مبين وهو سبحانه يعلم ذلك في كتاب مبين والاستثناء
منقطع المعنى لما ذكر سبحانه انه اعلم بالظالمين بين عقيبه انه لا يخفى عليه شيء من الغيب ويعلم اسرار العالمين فقال وعنده مفاتح
الغيب لا يعلمها الا هو معناه عنده خزائن الغيب الذي فيه علم العذاب المستعجل به وغير ذلك لا يعلمها احد الا هو ومن اعلمه به
وعلمه اياه وقيل معناه وعنده مقدورات الغيب يفتح بها على من يشاء من عباده باعلامه به وتعليمه اياه وتيسير السبيل اليه ونصب
الدلالة له ويغلق عمن يشاء بان لا ينصب الادلة له وقال الزجاج يريد عنده الوصلة الى علم الغيب وكل ما لا يعلم اذا استعلم

فيه انه على وقال ابن عمر مفاتح الغيب خمس ثم قرا ان الله عنده علم الساعة الاية وقال ابن عباس معناه وعنده خزائن الغيب من
الارزاق والاعمار وتاول الاول ان الله تعالى عالم بكل شيء من مبتدآت الامور وعواقبها فهو يعجل ما تعجيله اصوب واصلح ويؤخر ما تاخيره
اصوب واصلح وانه الذي يفتح باب العلم لمن يريد من الانبياء والاولياء لانه لا يعلم الغيب سواه ولا يقدر احد ان يفتح باب العلم به للعباد
الا الله ويعلم ما في البر والبحر من حيوان وغيره وقال مجاهد البر القفار والبحر كل قرية فيها ماء وما تسقط من ورقة الا يعلمها قال الزجاج
المعنى انه يعلمها ساقطة وثابتة وانت تقول ما يجيئك احد الا وانا اعرفه فليس تاويله الا وانا اعرفه في حال مجيئه فقط وقيل يعلم
ما يسقط من ورق الاشجار وما بقي ويعلم كم انقلبت ظهرا لبطن عند سقوطها ولا حبة في ظلمات الارض معناه وما تسقط من حبة
في باطن الارض الا يعلمها وكنى بالظلمة عن باطن الارض لانه لا يدرك كما لا يدرك ما حصل في الظلمة وقال ابن عباس يعني تحت الصخرة
في اسفل الارضين السبع او تحت حجر او شيء ولا رطب ولا يابس قد جمع الاشياء كلها في قوله ولا رطب ولا يابس لان الاجسام كلها لا
تخلو من احد هذين وهو بمنزلة قولك ولا مجتمع ولا متفرق لان الاجسام لا تخلو من ان تكون مجتمعة او متفرقة وقيل يريد ما ينبت وما لا
ينبت عن ابن عباس وعنه ايضا ان الرطب الماء واليابس البادية وقيل الرطب الحي واليابس الميت وروي عن ابي عبد الله عليه السلام قال انه
الورقة السقط والحبة الولد وظلمات الارض الارحام والرطب ما يحيى واليابس ما يقبض الا في كتاب مبين معناه الا وهو مكتوب في كتاب
مبين اي في اللوح المحفوظ وانما كتبها في اللوح المحفوظ ليحفظها ويبين بها انه كان عالما بها قبل ان يكتبها ولكي يعارض الملائكة الحوادث
على الايام بالمكتوب فيه فيجدونها موافقة للمكتوب فيه فيزدادون علما ويقينا بصفات الله تعالى وايضا فان المكلف اذا علم
ان اعماله مكتوبة في اللوح المحفوظ تطالعها الملائكة قويت دواعيه الى الاعمال الحسنة وترك القبائح وقال الحسن هذا تاكيد في
الزجر عن المعاصي والحث على البر لان هذه الاشياء التي لا ثواب فيها ولا عقاب اذا كانت محصاة عنده محفوظة فالاعمال التي فيها
الثواب والعقاب اولى بالحفظ وقيل ان قوله في كتاب مبين معناه انه محفوظة غير منسي ولا مغفول عنه كما يقول القائل لغيره ما تصنعه
عندي مسطر مكتوب وانما يريد بذلك انه حافظ له يريد مكافاته عليه وانشد ان للسلمى عندنا ديوانا عن البلخي قال الجرجاني
صاحب النظم تم الكلام عند قوله ولا يابس ثم استانف خبرا اخر بقوله الا في كتاب مبين يعني وهو في كتاب مبين ايضا لانك لو جعلت
قوله الا في كتاب متصلا بالكلام الاول لفسد المعنى ولما نبه سبحانه بهذه الاية على انه عالم لذاته من حيث انه لو كان عالما بعلم لكان
احد ثلاثة اشياء كلها فاسدة اما ان يكون له علوم غير متناهية واما ان يكون معلومه متناهية او يتعلق علم واحد بمعلومات
غير متناهية وكلها باطل بالدليل نبه في الاية التي تليها على انه قادر لذاته من حيث انه قادر على الاحياء والاماتة فقال وهو الذي
يتوفاكم بالليل اي يقبض ارواحكم عن التصرف عن ابن عباس وغيره واختاره علي بن عيسى وقيل معناه يقبضكم بالنوم كما يقبضكم
بالموت فيكون كقوله الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها عن الزجاج والجبائي ويعلم ما جرحتم بالنهار اي كسبتم
من الاعمال على التفصيل بالنهار على كثرته وكثرتكم وفيه اشارة الى رحمته حيث يعلم مخالفتهم اياه ثم لا يعاجلهم بعقوبة ولا يمنعهم
فضله ورحمته ثم يبعثكم فيه اي ينبهكم من نومكم في النهار عن الزجاج والجبائي جعل انتباههم من النوم بعثا ليقضى اجل مسمى
معناه لتستوفوا اجالكم وترتيب الاية وهو الذي يتوفاكم بالليل ثم يبعثكم في النهار على علم بما تجترحون بالنهار ليقضى اجل مسمى
فاللام متصل بقوله ثم يبعثكم فيه الا انه قدم ما لاجله بعثنا بالنهار لانه اهم والعناية به اشد عن علي بن عيسى ومعنى القضاء فصل
الامر على تمام ومعنى قضاء الاجل فصل مدة العمر من غيرها بالموت وفي هذا حجة على النشاة الثانية لان منزلتها بعد الاولى كمنزلة
اليقظة بعد النوم في ان من قدر على احدهما فهو قادر على الاخر ثم اليه مرجعكم يريد اذا تمت المدة المضروبة لكل نفس نقله الى الدار
الاخرة ومعنى اليه اي الى حكمه وجزائه والى موضع ليس لاحد سواه فيه امر ثم ينبئكم يخبركم بما كنتم تعملون اي بما عملتم من
اعمالكم وفي هذه الاية دلالة على البعث والاعادة نبه الله سبحانه على ذلك بالنوم واليقظة فان كلا منهما لا يقدر عليه غيره
فاما ما يصح اعادته من الاشياء فالصحيح من مذهب اهل العدل فيه ان يكون الشيء من فعل القديم سبحانه القادر لذاته وان
يكون مما يبقى وان يكون مما يتولد عن سبب قوله تعالى وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء احدكم

الا له الحكم

الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ثم ردوا الى الله مولىهم الحق الا له الحكم وهو اسرع الحاسبين ايتان القراءة قرا حمزة وحده توفه
والباقون بالتاء وقرا الاعرج يفرطون فى الشواذ الحجة حجة من قرا بالتاء قوله فقد كذبت رسل وقالت رسلهم وحجة حمزة انه فعل
متقدم مسند الى مونث غير حقيقى وانما التانيث للجمع فهو مثل وقال نسوة فى المدينة وان كانت الكتابة فى المصحف بالياء فليس ذلك بخلاف
لان الالف الممالة قد كتبت بياء وقراءة الاعرج من افرط فى الامر اذا زاد فيه وقراءة العامة من فرط فى الامر بمعنى قصر فيه فهو بمعنى لا
يقصرون فيما يومرون به من توفى من يحضر منيته وذلك بمعنى لا يزيدون على ذلك ولا ينقصون الا من امروا بتوفيه ونظيره وفى
وكل شىء عنده بمقدار المعنى ثم زاد سبحانه فى بيان كمال قدرته فقال وهو القاهر فوق عباده معناه والله المقتدر المستعلى على عباده
الذين هو فوقهم لا بمعنى انه فى مكان مرتفع فوقهم وفوق مكانهم لان ذلك من صفة الاجسام والله تعالى منزه عن ذلك ومثله
فى اللغة امر فلان فوق امر فلان اى هو اعلى امرا وانفذ حكما ومثله قوله يد الله فوق ايديهم والمراد به اقوى واقدر منهم وانه القاهر لهم
وقيل هو فوقهم فى العلم اى اعلم منه وفوقه فى الجود اى اجود منه فعبر عن تلك الزيادة بهذه العبارة للبيان ويرسل عليكم حفظة
عطف على صلة الالف واللام فى القاهر وتقديره وهو الذى يقهر عباده ويرسل حفظة اى ملائكة يحفظون اعمالكم ويحصونها عليكم
ويكتبونها وفى هذا لطف للعباد لينزجروا عن المعاصى اذا علموا ان عليهم حفظة من عند الله يشهدون بها عليهم يوم القيمة
حتى اذا جاء احدكم الموت توفته اى يقبض روحه رسلنا يعنى اعوان ملك الموت عن ابن عباس والحسن وقتادة قالوا وانما
يقبضون الارواح بامره ولذلك اضاف التوفى اليه فى قوله قل يتوفيكم ملك الموت وقال الزجاج يريد بالرسل هنا الحفظة فيكون
المعنى يرسلهم للحفظ فى الحيوة والتوفية عند مجىء الممات وحتى هذه هى التى تقع بعدها الجملة وهم لا يفرطون اى لا يضيعون عن
ابن عباس والسدى وقيل لا يغفلون ولا يتوانون عن الزجاج قال ومعنى التفريط تقدمة العجز فالمعنى انهم لا يعجزون ثم بين سبحانه
ان هولاء الذين توفهم رسله يرجعون اليه فقال ثم ردوا الى الله اى الى الموضع الذى لا يملك الحكم فيه الا هو مولىهم الحق قدم معنا
عند قوله انت مولانا والحق اسم من اسماء الله تعالى واختلف فى معناه فقيل المعنى ان امره كله حق لا يشوبه باطل وجد لا يمازجه هزل
فيكون مصدرا وصف به نحو قولهم رجل عدل وفى قول زهير متى يشتجر قوم تقل سرواتهم هم بيننا فهم رضى وهم عدل وقيل
الحق بمعنى المحق كما قيل غياث بمعنى مغيث وقيل ان معناه الثابت الباقى الذى لا فناء له وقيل معناه ذو الحق يريد ان اقواله و
افعاله حق الا له الحكم اى القضاء فيكم يوم القيمة لا يملك الحكم فى ذلك اليوم سواه كما قد يملك الحكم فى الدنيا بتمليكه اياه
وهو اسرع الحاسبين اى اذا حاسب فحسابه سريع وقد مضى معناه فى سورة البقرة عند قوله سريع الحساب وروى عن امير
المومنين على عليه السلام انه سئل كيف يحاسب الله الخلق ولا يرونه قال كما يرزقهم ولا يرونه وروى انه سبحانه يحاسب جميع
عباده على مقدار حلب شاة وهذا يدل على انه لا يشغله محاسبة احد عن محاسبة غيره ويدل على انه سبحانه يتكلم بلا لسان و
لهوات ليصح ان يحاسب الجميع فى وقت واحد قوله تعالى قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن
انجينا من هذه لنكونن من الشاكرين قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم انتم تشركون ايتان القراءة قرا ابو بكر عن
عاصم خفية بكسر الخاء هنا وفى الاعراف والباقون خفية بالضم وقرا قل من ينجيكم خفيفة يعقوب وسهل وقرا الباقون ينجيكم
وقرا اهل الكوفة لئن انجانا بالالف الا ان عاصما قرا بالتفخيم والباقون بالامالة وقرا غيرهم من القراء لئن انجيتنا وقرا اهل
الكوفة وابو جعفر وهشام عن ابن عامر قل الله ينجيكم بالتشديد والباقون ينجيكم بالتخفيف الحجة اما خفية فان ابا عبيدة قال
خفية اى تخفون فى انفسكم وحكى غيره خفية وخفية لغتان واما خيفة فعلة من الخوف انقلبت الياء عن الواو للكسرة التى
قبلها فصارت على زنة وتصرف فى القلب وجمعها خيفا وهو جمع خيفة واما قوله ينجيكم فانهم قالوا انجا زيد فاذا نقل الفعل حسن
نقله بالهمزة كما حسن نقله بالتضعيف وفى التنزيل فانجيه الله من النار فانجيناه والذين امنوا وفيه ونجينا الذين امنوا
فاستوى القراءتان فى الحسن واما من قرا انجانا فانه حمله على الغيبة لان ما قبله تدعونه وما بعده قل الله ينجيكم وكلاهما
للغيبة ومن قرا لئن انجيتنا فانه واجه بالخطاب ولم يراع من المشاكلة ما راعاه الكوفيون الاعراب تدعونه فى موضع

نصب على الحال تقديره قل من ينجيكم داعين وقائلين لئن انجيتنا تضرعا نصب بانه حال ايضا من تدعونه وكذلك خفية والمعنى
تدعونه مظهرين الضراعة ومضمرين الحاجة اليه او معلنين ومسرين المعنى ثم عاد سبحانه الى حجاج الكفار فقال قل يا محمد لهولاء
الكفار من ينجيكم اى من يخلصكم ويسلمكم من ظلمات البر والبحر اى من شدائدهما واهوالهما عن ابن عباس قال الزجاج العرب تقول
لليوم الذى تلقى فيه شدة يوم مظلم حتى انهم يقولون يوم ذو كواكب اى قد اشتدت ظلمته حتى صار كالليل وانشد بنى اسد هل تعلمون بلاءنا
اذا كان يوم ذو كواكب اشهب وقال الاخر فدى لبنى ذهل بن شيبان ناقتى اذا كان يوم ذو كواكب اشنعا وقيل ظلمات البر ظلمة الليل
وظلمة الغيم وظلمة التيه والحيرة فى البر والبحر فجمع لفظه ليدل على معنى الجمع تدعونه اى تدعون الله عند معاينة هذه الاهوال تضرعا
وخفية اى علانية وسرا عن ابن عباس والحسن وقيل معناه تدعونه مخلصين متضرعين تضرعا بالسنتكم وخفية فى انفسكم
وهذا اظهر لئن انجيتنا اى فى شدة وهم قلتم لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين لانعامك علينا وهذا يدل
على ان السنة فى الدعاء التضرع والاخفاء وروى عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال خير الدعاء الخفى وخير الرزق ما يكفى ومر عليه السلام
بقوم رفعوا اصواتهم بالدعاء فقال انكم لا تدعون اصم ولا غائبا وانما تدعون سميعا قريبا قل يا محمد الله ينجيكم اى ينعم عليكم
بالنجاة والفرج ويخلصكم من هذه الظلمات ومن كل كرب اى ويخلصكم الله من كل غم ثم انتم تشركون بالله تعالى بعد قيام الحجة
عليكم ما لا يقدر على الانجاء من كل كرب وان خف قوله تعالى قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم او من تحت
ارجلكم او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض انظر كيف نصرف الايات لعلهم يفقهون اية اللغة لبست عليهم الامر البسه
اذا لم ابينه وخلطت بعضه ببعض ولبست الثوب البسه واللبس اختلاط الامر واختلاط الكلام ولابست الامر خالطته والشيع
الفرق وكل فرقة شيعة على حدة وشيعت فلانا اتبعته والتشيع هو الاتباع على وجه التدين والولاء للمتبوع والشيعة صارت
فى العرف اسما لمتبعى امير المومنين على عليه السلام على سبيل الاعتقاد لامامته بعد النبى صلى الله عليه وآله بلا فصل من الامامية
والزيدية وغيرهم ولا يقع اطلاق هذه اللفظة على غيرهم من المتبعين سواء كان متبوعهم محقا او مبطلا الا ان تسقط عنه
لام التعريف ويضاف بلفظ من التبعيض فيقال هولاء شيعة بنى العباس او بنى فلان المعنى ثم عطف سبحانه على ما تقدم
من الحجج التى حاج بها الكافرين ونبه على الاعتبار والانذار فقال قل يا محمد لهولاء الكفار هو القادر على ان يبعث اى يرسل
عليكم عذابا من فوقكم او من تحت ارجلكم قيل فيه وجوه احدها ان عذابا من فوقكم يعنى به الصيحة والحجارة والطوفان و
الريح كما فعل بعاد وثمود وقوم شعيب وقوم لوط او من تحت ارجلكم يعنى به الخسف كما فعل بقارون عن سعيد بن جبير ومجاهد و
ثانيها ان المراد بقوله من فوقكم من قبل كباركم او من تحت ارجلكم من سفلتكم عن الضحاك وثالثها ان من فوقكم السلاطين الظلمة
ومن تحت ارجلكم العبيد السوء ومن لا خير فيه عن ابن عباس وهو المروى عن ابى عبد الله عليه السلام او يلبسكم شيعا او يخلطكم
فرقا مختلفى الاهواء لا تكونون شيعة واحدة وقيل ان يكلهم الى انفسهم فلا يلطف لهم اللطف الذى يومنون عنده ويخليهم
من الطافه فيهم الشائعة وقيل عنى به يضرب بعضكم ببعض حتى يفنى بعضكم بعضا بما يلقيه بينكم من العداوة والعصبية وهو
المروى عن ابى عبد الله عليه السلام ويذيق بعضكم باس بعض اى قتال بعض وحرب بعض ومعناه يقتل بعضكم بعضا حتى يفنى
بعضكم بعضا كما قال وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون وقيل هو سوء الجوار عن ابى عبد الله عليه السلام قال
الحسن هو التهديد بانزال العذاب والخسف تناول الكفار وقوله او يلبسكم شيعا يتناول اهل الصلوة وقال قال رسول الله صلى الله عليه وآله
سالت ربى ان لا يظهر على امتى اهل دين غيرهم فاعطانى وسالته ان لا يهلكهم جوعا فاعطانى وسالته ان لا يجمعهم على ضلالة
فاعطانى وسالته ان لا يلبسهم شيعا فمنعنى وفى تفسير الكلبى انه لما نزلت هذه الاية قام النبى صلى الله عليه وآله فتوضا واسبغ
وضوءه ثم قام وصلى فاحسن صلوته ثم سال الله سبحانه ان لا يبعث على امته عذابا من فوقهم ولا من تحت ارجلهم ولا يلبسهم
شيعا ولا يذيق بعضهم باس بعض فنزل جبرئيل فقال يا محمد ان الله سمع مقالتك وانه قد اجارهم من خصلتين ولم يجرهم من خصلتين
اجارهم من ان يبعث عليهم عذابا من فوقهم او من تحت ارجلهم ولم يجرهم من الخصلتين الاخريين فقال صلى الله عليه وآله

ما هي آتي مع قول بعضهم لبعض اشاموا وعاد الى الدعاء فنزل لما احب الناس ان يتركوا ان يقولوا الايتين فقال لا بد من فتنة
يبتلى بها الامة بعد نبيها ليتبين الصادق من الكاذب لان الوحي انقطع وبقي السيف وافتراق الكلمة الى يوم القيمة وفي الخبر انه
صلى الله عليه وآله قال اذا وضع السيف في امتي لم يرفع عنها الى يوم القيمة وقال ابي بن كعب سيكون في هذه الامة بين يدي الساعة
خسف وقذف ومسخ ثم اكد سبحانه الاحتجاج عليهم بقوله انظر كيف نصرف الايات اي انظر يا محمد كيف نردد الايات ونظهرها
مرة بعد اخرى بوجوه ادلتها حتى تزول الشبهة لعلهم يفقهون اي لكي يعلموا الحق فيتبعوه والباطل فيجتنبوه واذا كان البعث في
الاية محمولا على التسليط فالمراد به التمكين ورفع الحيلولة دون ان يفعل سبحانه ذلك او يامر به تعالى عن ذلك وفي هذه الاية
دلالة على انه سبحانه قادر على ما المعلوم انه لا يفعله قوله تعالى وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لكل نبا
مستقر وسوف تعلمون ايتان كوفي واية واحدة عند غيرهم المعنى لما ذكر سبحانه تصريف الايات قال عقيب ذلك وكذب به
اي بما تصرف من الايات عن الجبائي والبلخي وقال الازهري الهاء تعود الى القران وهو قول الحسن وجماعة قومك يعني قريش
والعرب وهو الحق اي القران او تصريف الايات حق يعني انه يدل على الحق وان ما فيه حق ثم بين سبحانه ان عاقبة تكذيبهم تعود
عليهم فقال قل يا محمد لست عليكم بوكيل اي لم اومر بمنعكم من التكذيب بايات الله وان احفظكم من ذلك واحول بينكم وبينه لان
الوكيل على الشيء هو القائم بحفظه والذي يدفع الضرر عنه عن الجبائي وقيل معناه لست بحافظ لاعمالكم لاجازيكم بها انما انا منذر
والله سبحانه هو المجازي عن الحسن وقيل معناه لم اومر بحربكم ولا اخذكم بالايمان كما ياخذ الموكل بالشيء الذي يلزمه بلوغ آخره
لكل نبا مستقر اي لكل خبر من اخبار الله ورسوله حقيقة كائنة اما في الدنيا واما في الآخرة عن ابن عباس ومجاهد وقيل
معناه لكل خبر قرار على غاية ينتهي اليها ويظهر عندها قال السدي استقر يوم بدر ما كان يعدهم من العذاب وسمي الوقت مستقرا
لانه ظرف للفعل الواقع فيه وقيل معناه لكل عمل مستقر عند الله حتى يجازى به يوم القيمة عن الحسن وسوف تعلمون فيه تهديد
ووعيد لهم اما بعذاب الآخرة واما بالحرب واخذهم بالايمان شاؤا او ابوا وتقديره وسوف تعلمون ما يحل بهم من العذاب
وحذف لدلالة الكلام عليه قوله تعالى واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره واما
ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن
ذكرى لعلهم يتقون ايتان القراءة قرا ابن عامر وحده ينسينك بالتشديد والباقون ينسينك بالتخفيف الحجة حجة
من خفف قوله وما انسانيه الا الشيطان وحجة ابن عامر انه يجوز نقل الفعل تضعيف العين كما يجوز نقله بالهمزة كما يقال
غرمته واغرمته الاعراب ذكرى يجوز ان يكون في موضع نصب على معنى ولكن ذكروهم ذكرى ويجوز ان يكون في موضع رفع
على احد وجهين اما ان يكون على معنى ولكن الذي تامرونهم به ذكرى فيكون خبر المبتدا واما ان يكون عليكم ذكرى اي عليكم ان
تذكروهم كما قال ان عليك الا البلاغ وعلى هذا يكون ذكرى مبتدا النزول قال ابو جعفر عليه السلم لما نزلت فلا تقعد بعد
الذكرى مع القوم الظالمين قال المسلمون كيف نصنع ان كان كلما استهزأ المشركون بالقران قمنا وتركناهم فلا ندخل اذا
المسجد الحرام ولا نطوف بالبيت الحرام فانزل الله تعالى وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء امرهم بتذكيرهم وتبصيرهم
ما استطاعوا المعنى ثم امر سبحانه بترك مجالستهم عند استهزائهم بالقران فقال واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا
خاطب النبي صلى الله عليه وآله اي اذا رايت هؤلاء الكفار وقيل الخطاب له والمراد غيره ومعنى يخوضون يكذبون باياتنا
ودينا عن الحسن وسعيد بن جبير والخوض التخليط في المفاوضة على سبيل العبث واللعب وترك التفهم والتبيين فاعرض
عنهم اي اتركهم ولا تجالسهم حتى يخوضوا في حديث غيره اي يدخلوا في حديث غير الاستهزاء بالقران وانما امره عليه السلم
بالاعراض عنهم لان من حاج من هذه حاله فقد وضع الشيء غير موضعه وحط من قدر البيان والحجاج واما ينسينك
الشيطان المعنى وان انساك الشيطان نهينا اياك عن الجلوس معهم وبال على هذا فيقال كيف اضاف النسيان الى الشيطان
وهو فعل الله تعالى والجواب انما اضافه الى الشيطان لانه تعالى اجرى العادة بفعل النسيان عند الاعراض عن الفكر وتراكم الخواطر

الردية والوساوس الفاسدة من الشيطان فجاز اضافة النسيان اليه لما حصل عند فعله كما ان من القى غيره في البرد حتى مات جاز ان
يضاف الموت اليه لانه عرضه لذلك وكان كالسبب فيه فلا تقعد بعد الذكرى اي بعد ذكرك نهينا وما يجب عليك
من الجبائي وقيل معناه بعد ان تذكرهم بدعائك اياهم الى الدين عن ابي مسلم فكانه قال اعرض في حال الياس وذكر في حال الطمع
مع القوم الظالمين يعني في مجالس الكفار والفساق الذين يظهرون التكذيب بالقران والايات والاستهزاء بذلك
وبه قال سعيد بن جبير والسدي واختاره البلخي وقال كان ذلك في اول الاسلام وكان يختص النبي صلى الله عليه وآله ومحض
المؤمنين في ذلك ثم لما عز الاسلام وكثر المسلمون نهوا عن مجالستهم ونسخ هذه الاية بقوله فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في
حديث غيره انكم اذا مثلهم عن الجبائي قال وفي هذه الاية دلالة على بطلان قول الامامية في جواز التقية على الانبياء
والائمة وان النسيان لا يجوز على الانبياء وهذا القول غير صحيح ولا مستقيم لان الامامية انما يجوزوا التقية على الامام
فيما يكون عليه دلالة قاطعة توصل الى العلم ويكون المكلف مزاح العلة في تكليفه ذلك فاما ما لا يعرف الا بقول الامام
من الاحكام ولا يكون على ذلك دليل الا من جهته فلا يجوز عليه التقية فيه وهذا كما اذا تقدم من النبي صلى الله عليه وآله بيان
في شيء من الاشياء الشرعية فانه يجوز منه ان لا يبين في حال اخرى لامته ذلك الشيء اذا اقتضاه المصلحة الا ترى الى ما
روي عن عمر بن الخطاب سأله عن الكلالة فقال يكفيك اية الصيف واما النسيان والسهو فلم يجوزوهما عليهم فيما
يؤدونه عن الله تعالى فاما ما سواه فقد جوزوا عليهم ان ينسوه او يسهوا عنه ما لم يؤد ذلك الى الاخلال بالعقل وكيف لا يكون
كذلك وقد جوزوا عليهم النوم والاغماء وهما من قبيل السهو وهذا ظن منه فاسد وبعض الظن اثم وما على الذين يتقون من حسابهم
من شيء اي ليس على المؤمنين الذين اتقوا معاصي الله سبحانه من حساب الكفرة شيء بحضورهم مجلس الخوض ولكن ذكرى
لعلهم يتقون اي نهوا عن مجالستهم ليزدادوا تقى وامروا ان يذكروهم وينبهوهم على خطاياهم لكي يتقي المشركون اذا راوا اعراض
هؤلاء المؤمنين عنهم وتركهم مجالستهم فلا يعودون لذلك عن اكثر المفسرين وقيل معناه ليس على المتقين من الحساب يوم القيمة
مكروه ولا تبعة ولكنهم ايضا محاسبون وحكم بذلك عليهم لكي يعلموا ان الله محاسبهم فيتقوا عن البلخي والهاء والميم على الوجه
الاول يعود الى الكفار وفي الثاني الى المؤمنين قوله تعالى وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحيوة الدنيا و
ذكر به ان تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله من ولي ولا شفيع وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها اولئك الذين
ابسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون اية اللغة يقال ابسلته بجريرته اي اسلمته بها
والمستبسل المستسلم الذي يعلم انه لا يقدر على التخلص قال الشاعر وابسالي بني بغير جرم بعوناه ولا بدم مراق اي اسلامي اياهم
والبعو الجناية قال الاخفش تبسل اي تجازى وقيل تبسل اي ترهن والمعاني متقاربة وهذا بسل عليك اي حرام عليك ويجوز
ان يكون اسد باسل من هذا اي انه لا يقدر عليه ويجوز ان يكون من الاول بمعنى ان معه والعقل الحفظ من الاقدام ما يستبسل له
قرنه ويقال اعط الراقي بسلته اي اجرته وتاويله انه عمل في الشيء الذي قد استبسل صاحبه معه والعدل الفداء واصله المثل و
الحميم الماء الحار الذي حتى انتهى غليانه ومنه الحمام الاعراب ان تبسل في موضع نصب بانه مفعول له وهو من باب حذف المضاف
تقديره كراهة ان تبسل وقوله ليس لها من دون الله صفة لنفس والتقدير نفس عادمة وليا وشفيعا بكسبها اولئك الذين
ابسلوا مبتدا وخبر وقوله لهم شراب من حميم يجوز ان يكون خبرا ثانيا لاولئك ويجوز ان يكون كلها مستانفا المعنى ثم عاد سبحانه
الى صفة من تقدم ذكرهم من الكفار فقال وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا اي ذرهم واعرض عنهم وانما اراد به اعراض
انكار لانه قال بعد ذلك وذكر يريد دع ملاطفتهم ومجالستهم ولا تدع مذاكرتهم ودعوتهم ونظيره في سورة النساء فاعرض عنهم
وعظهم وغرتهم الحيوة الدنيا يعني بما غروا بحيوتهم وذكر به اي عظ بالقران وقيل بيوم الدين وقيل بالحساب ان تبسل
نفس بما كسبت اي لكي لا تسلم نفس للهلكة بما كسبت اي بما عملت عن الحسن ومجاهد والسدي واختاره الجبائي و
الفراء وقيل ان معنى تبسل تهلك عن ابن عباس وقيل تحبس عن قتادة وقيل تفضح عن ابن زيد وقيل تسلم الى خزنة

جهنم عن عطية العوفي وقيل تجازى عن الاخفش ليس لها من دون الله ولي اي ناصر ينجيها من العذاب ولا شفيع يشفع لها وان تعدل كل عدل
وان تفد كل فداء لا يؤخذ منها وقيل معناه وان تقسط كل قسط في ذلك اليوم لا يقبل منها لان التوبة هناك غير مقبولة وانما تقبل في الدنيا
اولئك الذين ابسلوا اي اهلكوا وقيل اسلموا الى الهلكة ولا مخلص له وقيل ارتهنوا وقيل جوزوا بما كسبوا اي بكسبهم وعملهم لهم
شراب من حميم اي ماء مغلي حار وعذاب اليم مولم بما كانوا يكفرون اي بكفرهم جزاء على كفرهم واختلف في الاية فقيل هي منسوخة
باية السيف عن قتادة وقيل ليست منسوخة وانما هي تهديد ووعيد عن مجاهد وغيره وفيها دلالة على الوعيد العظيم لمن كانت
هذه سبيله في الاستهزاء بالقران واياته وتحذير عن سلوك طريقتهم قال الفراء ما من امة الا ولهم عيد يلعبون فيه ويلهون الا
امة محمد صلى الله عليه واله فان اعيادهم صلوة ودعاء وعبادة قوله تعالى قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد
على اعقابنا بعد اذ هدينا الله كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران له اصحاب يدعونه الى الهدى ائتنا قل ان
هدى الله هو الهدى وامرنا لنسلم لرب العالمين اية القراءة قرا حمزة وحده استهواه بالالف ممالة والباقون بالتاء المعجمة من فوق
الحجة قال ابو علي كلا المذهبين حسن قال الشاعر وكان ورثناه على عهد تبع طويلا سواريه شديدا دعائمه اللغة استهواه من قولهم
استهوى من شاهق اذا تردى منه ويشبه به الذي زل عن الطريق المستقيم كان قوله زل انما هو في المكان قال قام على مرتبة
زلخ فزل ثم يشبه به المخطي في طريقه مثل قوله فازلهما الشيطان فكذلك هوى واهواه غيره فيقال اهويته واستهويته بمعنى
كما يقال ازله الشيطان واستزله بمعنى وكذلك استجابه بمعنى اجابه قال فلم يستجبه عند ذاك مجيب والحيران المتردد فلم يهتد
الى المخرج منه والفعل منه حار يحار حيرة وحيرانا ورجل حائر وحيران وقوم حيارى الاعراب كالذي استهوته في موضع نصب بانه
صفة لمصدر محذوف وتقديره اندعوا من دون الله دعاء مثل دعاء الذي استهوته الشياطين في الارض حيران وحيران نصب على
الحال من مفعول استهوته له اصحاب وصف لحيران ويدعونه صفة لاصحاب اي اصحاب داعون له الى الهدى قائلون له ائتنا وهنا
منتهى الكلام وقوله امرنا لنسلم تقول العرب امرتك لتفعل وامرتك ان تفعل وامرتك بان تفعل فمن قال امرتك بان تفعل فالباء
للالصاق فالمعنى وقع الامر بهذا الفعل ومن قال امرتك ان تفعل حذف الجار ومن قال امرتك لتفعل فالمعنى امرتك للفعل وقال
الزجاج والقدر امرنا كي نسلم قال الشاعر اريد لانسى ذكرها فكانما تمثل لي ليلى بكل سبيل اي كي انسى المعنى ثم امر سبحانه نبيه صلى الله عليه واله
او المؤمنين بخطاب الكفار فقال قل يا محمد لهؤلاء الكفار الذين يدعون الى عبادة الاصنام او قل ايها الانسان او ايها الكافر
اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ان عبدناه ولا يضرنا ان تركنا عبادته ونرد على اعقابنا هذا مثل يقولون لكل خائب لم
يظفر بحاجته رد على عقبيه ونكص على عقبيه وتقديره انرجع القهقرى في مشينا فالمعنى انرجع عن ديننا الذي هو خير الاديان
بعد اذ هدينا الله كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران اي لا يهتدي الى طريق وقيل معناه استغوته الغيلان في
المهامه عن ابن عباس وقيل معناه دعته الشياطين الى اتباع الهوى وقيل اهلكته وقيل ذهبت به عن قطوية وقيل اضلته
عن ابي مسلم له اصحاب يدعونه الى الهدى اي الى الطريق الواضح يقولون له ائتنا ولا يقبل منهم ولا يصير اليهم لانه قد تحير لاستيلاء
الشيطان عليه يهوى ولا يهتدي ثم امره سبحانه فقال قل لهؤلاء الكفار قل ان هدى الله هو الهدى اي دلالة الله لنا على
توحيده وامر دينه هو الهدى الذي يؤدي المستدل بها الى الصلاح والرشاد في دينه وهو الذي يجب ان نعمل عليه و[illegible]
نترك ذلك الى ما تدعون اليه وامرنا لنسلم لرب العالمين معناه وامرنا ان نسلم وقيل معناه ان نسلم امورنا ونفوضها الى الله
ونتوكل عليه فيها قوله تعالى وان اقيموا الصلوة واتقوه وهو الذي اليه تحشرون وهو الذي خلق السموات والارض بالحق
ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير اية كوفي وثلث
الى في الباقين عد واكن فيكون اية الاعراب يحتمل وان اقيموا وجهين احدهما ان يكون التقدير امرنا لان نسلم ولان نقيم الصلوة والثاني
ان يكون محمولا على المعنى لان معناه امرنا بالاسلام وباقامة الصلوة وموضع ان نصب لانه لما سقطت الباء افضى الفعل فنصب
عالم الغيب رفع لانه نعت الذي في قوله وهو الذي خلق السموات والارض ويحتمل ان يكون فاعل فعل يدل عليه الفعل المبني للمفعول به وهو

قوله ينفخ وهذا كما تقولون كل طعام ملك عند الله والتقدير كله عند الله قال الشاعر ليبك يزيد ضارع لخصومة ومختبط
مما تطيح الطوائح والاول اجود المعنى وان اقيموا الصلوة هذا موصول بما قبله اي قيل لنا اقيموا الصلوة واتقوه اي واتقوا
رب العالمين اي تجنبوا معاصيه فتتقوا عقابه وهو الذي اليه تحشرون اي تجمعون اليه يوم القيمة فيجازي كل عامل منكم بعمله
وهو الذي خلق السموات والارض بالحق فيه قولان احدهما ان معناه خلقهما للحق لا للباطل عن الحسن والزجاج وغيرهما ومعناه
خلقهما حقا وصوابا لا باطلا وخطا كما قال وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا وادخلت الباء والالف واللام كما دخلت في
نظائرها يقال فلان يقول بالحق بمعنى انه يقول حقا الا ان الحق معنى غير القول والتقدير ان خلقهما حكمة وصواب من حكم الله وهو موصوف
بالحكمة في خلقهما وخلق ما سواهما من جميع خلقه لان هناك حقا سوى خلقهما خلقهما به والقول الاخر ما قاله قوم ان معناه خلق
السموات والارض بكلامه الحق وهو قوله ائتيا طوعا او كرها فالحق صفة قوله وكلامه والاول هو الصحيح ويوم يقول كن فيكون ذكر في
نصب يوم وجوه احدها ان يكون عطفا على الهاء في واتقوه اي واتقوا يوم يقول كن فيكون كما قال سبحانه واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس
شيئا والثاني ان يكون على معنى واذكر يوم يقول كن فيكون لان ما بعده واذ قال ابرهيم لابيه ازر عطفا على ذلك قال الزجاج وهو
الاجود والثالث ان يكون معطوفا على السموات والارض والمعنى وهو الذي خلق السموات والارض بالحق وخلق يوم يقول كن فيكون فان
قيل ان يوم القيمة لم يات بعد فجوابه ان ما انبا الله بكونه فحقيقته واقع لا محالة واما قوله كن فقد قيل انه خطاب للصور والمعنى يوم
يقول للصور كن فيكون وما ذكر من الصور يدل عليه وقيل ان قوله كن فيه اضمار جميع ما يخلق في ذلك الوقت والمعنى ويوم يقول للشيء
كن فيكون وهذا انما ذكر ليدل على سرعة امر البعث والساعة فكانه يقول ويوم يقول للخلق موتوا فيموتون وانتشروا فينتشرون اي لا
يتعذر عليه ذلك ولا يتاخر عن وقت ارادته وقيل معناه ويوم يقول كن فيكون قوله الحق اي يامر فيقع امره اي ما وعدوا به من الثواب
حذروا به من العقاب والحق من صفة قوله فاعل يكون كما تقول قد قلت فكان قولك وليس المعنى انك قلت فكان الكلام انما
المعنى انه كان ما دل عليه القول وانما على القول المقدم فيكون قوله مبتدا والحق خبره وقد ذكرنا تفسير قوله كن فيكون في سورة البقرة مستقصى
وله الملك يوم ينفخ في الصور قيل في نصب يوم هنا وجوه احدها ان يكون متعلقا بله الملك وتقديره ان الملك قد وجب له
في ذلك اليوم الذي فيه ينفخ في الصور فقد خص ذلك اليوم بان الملك له فيه كما خصه في قوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار
والوجه فيه انه لا يبقى ملك من ملكه الله في الدنيا او يغلب عليه بل يتفرد سبحانه بالملك والثاني ان يكون يوم ينفخ في الصور مبنيا على قوله
ويوم يقول كن فيكون والثالث ان يكون منصوبا بقوله الحق والمعنى قوله الحق يوم ينفخ في الصور والوجه في اختصاصه بذلك اليوم
وان كان قوله حقا في كل وقت ما بيناه في الوجه الاول وهو مثل قوله والامر يومئذ لله ولا شك ان الامر في كل وقت لله تعالى والمراد
ان ذلك اليوم يوم لا يخالف الله في اوامره لانها محتومة ليس فيها تخيير ولا يقدر احد على معصيته واما الصور فقيل انه قرن ينفخ فيه
اسرافيل نفختين فيفنى الخلائق كلهم بالنفخة الاولى ويحيون بالنفخة الثانية فيكون النفخة الاولى لانتهاء الدنيا والثانية لابتداء
الاخرة وقال الحسن هو جمع صورة كما ان السور جمع سورة وعلى هذا فيكون معناه يوم ينفخ الروح في الصور ويؤيد القول الاول ما رواه
ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه واله انه قال كيف انعم وقد التقم صاحب القرن القرن وحنى جبينه واصغى سمعه ينتظر ان يؤمر
بنفخ الصور قالوا كيف نقول يا رسول الله قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل والعرب تقول نفخ في الصور ونفخ الصور قال الشاعر
لولا ابن جعدة لم يفتح قهندزكم ولا خراسان حتى ينفخ الصور عالم الغيب والشهادة اي يعلم ما لا يشاهده الخلق وما يشاهدونه
ما لا يعلمه الخلق وما يعلمونه لا يخفى عليه شيء من ذلك وهو الحكيم في افعاله الخبير العالم بعباده وافعالهم قوله تعالى واذ قال
ابرهيم لابيه ازر اتتخذ اصناما الهة اني اراك وقومك في ضلال مبين وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات
والارض وليكون من الموقنين ايتان القراءة القراءة الظاهرة ازر بالفتح وقرا يعقوب الحضرمي ازر بضم الراء وهو قراءة
الحسن وابن عباس ومجاهد والضحاك الحجة من قرا بالفتح جعل ازر في موضع جر بدلا من ابيه او عطف بيان ومن قرا بالضم
جعله منادى مفردا وتقديره يا ازر اللغة الاصنام جمع صنم والصنم ما كان صورة والوثن ما كان غير مصورة والالهة جمع اله

مثل اثرام واثرم والمبين هو البين الظاهر والملكوت بمنزلة الملك غير ان هذا اللفظ ابلغ لان الواو والتاء تزادان للمبالغة ومثله الرغبوت
والرهبوت ووزنه فعلوت وفي المثل رهبوت خير من رحموت اي لان ترهب خير من ان ترحم الاعراب العامل في اذ محذوف وتقديره و
اذكر اذ قال وقيل انه يتصل بقوله بعد اذ هدانا الله اي وبعد اذ قال ابرهيم والكاف في كذلك كاف التشبيه والمعنى كما اريناه ابرهيم قبح ما كان
عليه ابوه وقومه كذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض للاعتبار وقيل شبه رؤية ابرهيم برؤية محمد صلى الله عليه وآله والمعنى
كما اريناك يا محمد اريناه ابرهيم وقوله وليكون عطف على محذوف وتقديره نريه الملكوت ليستدل به وليكون من الموقنين وقيل انه
جملة مستانفة اي وليكون من الموقنين اريناه فاللام يتعلق باريناه المحذوف وقيل الواو زايدة ومعناه ليكون وهذا بعيد المعنى
واذ قال ابرهيم اي اذكر اذ قال ابرهيم لابيه آزر فيه اقوال احدها انه اسم اب ابرهيم عن الحسن والسدي والضحاك وثانيها ان اسم
اب ابرهيم تارخ قال الزجاج ليس بين الناس اختلاف في ان اسم اب ابرهيم تارخ والذي في القرآن يدل على ان اسمه آزر وقيل آزر عندهم ذم
في لغتهم كانه قال واذ قال ابرهيم لابيه يا مخطئ واذا كان كذلك فالاختيار الرفع وجاز ان يكون وصفا له كانه قال لابيه المخطئ وقيل
آزر اسم صنم عن سعيد بن المسيب ومجاهد قال الزجاج فاذا كان ذلك فموضعه نصب على اضمار الفعل كانه قال واذ قال ابرهيم
لابيه اتتخذ آزر وجعل اصناما بدلا من آزر واشباهه وقال بعد ان قال اتتخذ آزر الها اتتخذ اصناما آلهة وهذا الذي قاله الزجاج
يقوي ما قاله اصحابنا ان آزر كان جد ابرهيم لامه او كان عمه من حيث صح عندهم ان آباء النبي صلى الله عليه وآله الى آدم كلهم كانوا موحدين
واجمعت الطائفة على ذلك ورووا عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال لم يزل ينقلني الله تعالى من اصلاب الطاهرين الى ارحام المطهرات
حتى اخرجني في عالمكم هذا لم يدنسني بدنس الجاهلية ولو كان في آبائه كافر لم يصف جميعهم بالطهارة مع قوله سبحانه انما المشركون نجس
ولهم في ذلك ادلة ليس هذا موضع ذكرها وقوله اتتخذ اصناما آلهة استفهام المراد به الانكار اي لا تفعل ذلك اني اراك وقومك
في ضلال عن الصواب مبين ظاهر وفي الاية حث النبي صلى الله عليه وآله على محاجة قومه الذين يدعون الى عبادة الاصنام و
الاقتداء بابيه ابرهيم عليه السلام فيه وتسلية له بذلك وكذلك نري ابرهيم اي مثل ما وصفنا من قصة ابرهيم وقوله لابيه ما قال
نريه ملكوت السموات والارض اي القدرة التي تقوى بها دلالته على توحيد الله عز وجل وقيل معناه كما اريناك يا محمد اريناه آثار
قدرتنا فيما خلقنا من الشمس والقمر والنجوم وما في الارض من البحار والجبال والمياه والرياح ليستدل بها وهذا معنى قول ابن عباس وقتادة
وقيل يعني بالملكوت آيات السموات والارض عن مجاهد ايضا وقيل ان ملكوت السموات والارض ملكهما بالنبطية عن مجاهد ايضا
وقيل ملكوت السموات والارض ما يشاهد من الحوادث الدالة على ان الله سبحانه مالك لهما والله المالك لهما ولكل شيء بنفسه
لا يملكه سواه فاجري الملكوت على المملوك الذي هو في السموات والارض مجازا عن ابي علي الجبائي قال ابو جعفر عليه السلام كشط الله له عن
الارضين حتى راهن وما فيهن وما تحتهن وعن السموات حتى راهن وما فيهن من الملائكة وحملة العرش وروى ابو بصير عن ابي عبد الله عليه السلام
قال لما راى ابرهيم ملكوت السموات والارض راى رجلا يزني فدعا عليه فمات ثم راى آخر فدعا عليه فمات ثم راى ثلاثة فدعا عليهم
فماتوا فاوحى الله تعالى يا ابرهيم ان دعوتك مستجابة فلا تدع على عبادي فاني لو شئت ان اميتهم بدعائك ما خلقتهم اني خلقت خلقي
على ثلاثة اصناف صنف يعبدني ولا يشرك بي شيئا فاثيبه وصنف يعبد غيري فليس يفوتني وصنف يعبد غيري فاخرج
من صلبه من يعبدني وليكون من الموقنين اي من المتيقنين بان الله سبحانه هو خالق ذلك والمالك له النظم وجه اتصال الآية
بما قبلها انه لما عاب عليهم وذم آلهتهم واحتج عليهم بما سلف ذكره بين ان دين ابرهيم وللناس الف بدين الآباء لا سيما اذا كان الاب
ذا قدم وقيل انها تتصل بقوله ادعوا من دون الله ما لا ينفعنا الى قوله بعد اذ هدانا الله ثم قال وبعد اذ قال ابرهيم كما وكما عن علي
قوله تعالى فلما جن عليه الليل راى كوكبا قال هذا ربي فلما افل قال لا احب الآفلين فلما راى القمر بازغا قال هذا ربي
فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين فلما راى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر فلما
افلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين
اربع آيات القراءة قرا ابو عمرو وورش من طريق البخاري راى كوكبا بفتح الراء وكسر الهمزة حيث كان وقرا ابن عامر وحمزة و

والكسائي وخلف ويحيى عن ابي بكر راى بكسر الراء والهمزة وقرا الباقون بفتح الراء والهمزة الحجة قد ذكر ابو علي الوجه في قراءة من
لم يمل وقراءة من امال واورد في ذلك كلاما كثيرا تركنا ذكره خوفا للاطالة اللغة يقال جن عليه الليل وجنه الليل واجنه
الليل اذا اظلم حتى يستره بظلمته ويقال لكل ما ستر قد جن واجن ومنه اشتقاق الجن لانهم استجنوا عن اعين الناس وقال الهذلي
ولما وردت قبيل الكرى وقد جنه السدف الادهم ويقال الجنة لميت وجننته اذا واريته في اللحد والافول الافول ولا اذا غاب
قال ذو الرمة مصابيح ليست باللواتي يقودها نجوم ولا بالآفلات الدوالك والبزوغ الطلوع يقال بزغت الشمس اذا طلعت
وتسمى ثلاث ليال من اول الشهر هلالا ثم يسمى قمرا الى آخر الشهر وانما يسمى قمرا لبياضه وحمار اقمر ابيض والحنيف المائل الى الحق
السؤال يقال لم قال هذا ربي ولم يقل هذه كما قال بازغة والجواب ان التقدير هذا النور الطالع ربي ليكون الخبر والمخبر عنه
جميعا على التذكير كما كانا جميعا على التانيث في راى الشمس بازغة وقال ابن هشام المجاشعي قوله راى الشمس بازغة اخبار من الله تعالى
وقوله هذا ربي من كلام ابرهيم والشمس مؤنثة في كلام العرب فاما في كلام سواهم فيجوز ان لا يكون مؤنثة وابرهيم عليه السلام لم يكن
عربيا فحكى الله تعالى كلامه على ما كان في لغته ويقال لم انث الشمس وذكر القمر والجواب ان تانيثها تفخيم لها لكثرة ضيائها على
حد قولهم نسابة وعلامة وليس القمر كذلك دونها في الضياء ويقال لم دخلت الالف واللام فيها وهي واحدة ولم تدخل في زيد وعمرو
قيل لان شعاع الشمس يقع عليه اسم الشمس فاحتيج الى التعريف اذا قصد الى جرم الشمس او الى الشعاع على طريق الجنس او الواحد من الجنس
وليس زيد ونحوه كذلك المعنى لما تقدم ذكر الآيات التي اراها الله تعالى ابرهيم بين سبحانه كيف استدل بها وكيف عرف الحق من
جهتها فقال فلما جن عليه الليل اي اظلم عليه وستر بظلامه كل ضياء راى كوكبا واختلف في الكوكب الذي رآه فقيل هو الزهرة
وقيل هو المشتري قال هذا ربي فلما افل اي غرب قال لا احب الآفلين واختلف في تفسير هذه الآيات على اقوال احدها ان ابرهيم
انما قال ذلك عند كمال عقله في زمان مهلة النظر وخطور الخاطر الموجب عليه النظر بقلبه لانه عليه السلام لما اكمل الله عقله وحرك
دواعيه على الفكر والتامل راى الكوكب فاعظمه واعجبه نوره وحسنه وقد كان قومه يعبدون الكواكب فقال هذا ربي على سبيل
الفكر فلما غاب علم ان الافول لا يجوز على الله تعالى الاله واستدل بذلك على انه محدث مخلوق وكذلك كانت حاله في رؤية القمر و
الشمس فانه لما راى افولهما قطع على حدوثهما واستحالة الهيتهما وقال في آخر كلامه يا قوم اني بريء مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر
السموات والارض وكان هذا القول منه عقيب معرفته بالله تعالى وعلمه بان صفات المحدثين لا يجوز عليه وهذا اختيار ابي القاسم البلخي
وغيره قال وزمان مهلة النظر اكثر من ساعة واقل من شهر وما يعلم ما بينهما الا الله تعالى وثانيها انه عليه السلام انما قال ذلك قبل
بلوغه وانه لما قارب كمال العقل حركته الخواطر فيما شاهده من هذه الحوادث فلما راى الكوكب ونوره واشراقه وزهوه ظن انه
ربه فلما افل وانتقل من حال الى حال قال لا احب الآفلين فلما راى القمر بازغا عند طلوعه وراى كبره واشراقه وانبساط نوره وضيائه
في الدنيا قال هذا ربي فلما افل وصار مثل الكوكب في الافول والغيبوبة وعلم انه لا يجوز ان يكون ذلك صفة الاله قال لئن لم
يهدني ربي الى رشدي ولم يوفقني ويلطف لي في اصابة الحق من توحيده لاكونن من القوم الضالين بعبادة هذه الحوادث فلما
راى الشمس بازغة اي طالعة قد ملات الدنيا نورا وراى عظمها وكبرها قال هذا ربي هذا اكبر من الكوكب والقمر فلما افلت قال
لقومه اني بريء مما تشركون مع الله الذي خلقني وخلقكم في عبادته من آلهتكم فلما اكمل الله عقله وضبط بفكره النظر في حدوث
الاجسام بان وجدها غير منفكة من المعاني المحدثة وانه لا بد لها من محدث قال حينئذ لقومه اني وجهت وجهي اي نفسي للذي فطر السموات
والارض حنيفا اي مخلصا مائلا عن الشرك الى الاخلاص وما انا من المشركين وهذا اختيار ابي علي الجبائي ودل على القول الاول
كيف قال هذا ربي مخبرا وهو غير ما يخبر به والاخبار بما لا يامن المخبر ان يكون فيه كاذبا قبيح والجواب عنه من وجهين احدهما انه لم يقل
ذلك مخبرا وانما قاله فارضا ومقدرا على سبيل التامل كما يفرض احدنا اذا نظر في حدوث الاجسام كونها قديمة ليتبين ما يؤدي
اليه الفرض من الفساد ولا يكون بذلك ثابتا الحقيقة والآخر انه اخبر عن ظنه وقد يجوز ان يظن المتفكر في حال فكره ونظره ما لا اصل

له ثم يرجع عند الادلة سؤال اخر كيف تعجب ابرهيم من روية هذه الاشياء تعجب من لم يكن راها وكيف يجوز ان يكون مع كمال عقله
لم يشاهد السماء والكواكب والجواب انه لا يمتنع ان يكون عليه السلم ما راى السماء الا في ذلك الوقت لانه قد روى ان امه كانت
ولدته في مغارة خوفا من ان يقتله النمرود ومن يكون في المغارة لا يرى السماء فلما قارب البلوغ وبلغ حد التكليف خرج من المغارة وراى
السماء وقد يجوز ان يكون راى السماء قبل ذلك الا انه لم يفكر في اعلامها لان الفكر لم يكن واجبا عليه وحين كمل عقله فكر في ذلك
وثانيها ان ابرهيم عليه السلم لم يقل هذا ربي على طريق الشك بل كان عالما موقنا ان ربه سبحانه لا يجوز ان يكون بصفة الكواكب وانما
قال ذلك على سبيل الانكار على قومه والتنبيه لهم على ان من يكون الها معبودا لا يكون بهذه الصفة الدالة على الحدوث ويكون
هذا ربي محمولا على احد وجهين اما انه كذلك عندكم وفي مذاهبكم كما يقول احدنا للمشبه هذا ربه جسم يتحرك ويسكن واما على ان يكون
قال ذلك مستفهما واسقط حرف الاستفهام للاستغناء عنه وقد كثر مجيء ذلك في كلام العرب قال اوس بن حجر لعمرك ما ادري وان كنت
داريا شعيث بن سهم ام شعيث بن منقر وقال الاخطل كذبتك عينك ام رايت بواسط غلس الظلام من الرباب خيالا
وقال عمر بن ابي ربيعة ثم قالوا تحبها قلت بهرا عدد القطر والحصى والتراب اي اتحبها وقال الهذلي رفوني وقالوا يا خويلد لم ترع
فقلت وانكرت الوجوه هم هم اي اهم هم وروى عن ابن عباس انه قال في قوله فلا اقتحم العقبة معناه افلا اقتحم العقبة فحذف حرف
الاستفهام وثالثها انه عليه السلم انما قال ذلك استدراجا للقوم ليريهم قصور علمهم وبطلان عبادتهم لمخلوق جاز عليه اغراض الحوادث
فانهم كانوا يعبدون الشمس والقمر والكواكب وبعضهم يعبدون النيران وبعضهم يعبدون الاوثان فلما راى الكوكب الذي كانوا
يعبدونه قال لهم هذا ربي في زعمكم كما قال اين شركائي الذين كنتم تزعمون فاضافهم الى نفسه حكاية لقولهم فكانه قال لهم هذا ربي في
قولكم وقيل انه نوى في قلبه الشرط اي ان كان هذا الحجر ربكم كما تزعمون فهذا الكوكب وهذا القمر والشمس ربي ولم يكن الحجر ربهم ولا
الكوكب ربه وفي هذه الاية دلالة على حدوث الاجسام واثبات الصانع وانما استدل ابرهيم عليه السلم بالافول على حدوثها لان
حركاتها بالافول اظهر ومن الشبهة ابعد واذا جازت عليها الحركة والسكون فلا بد ان يكون مخلوقة محدثة واذا كانت محدثة فلا
بد لها من محدث والمحدث لا بد ان يكون قادرا لصح منه الاحداث واذا احدثها على غاية الانتظام والاحكام فلا بد ان يكون عالما
واذا كان قادرا عالما وجب ان يكون حيا موجودا وفيها تنبيه لمشركي العرب وزجر لهم عن عبادة الاصنام وحث لهم على سلوك طريقة
ابيهم ابرهيم في النظر والتفكر لانهم كانوا يعظمون اباهم فاعلمهم سبحانه ان اتباع الحق من دين ابيهم ابرهيم الذي يقرون بفضله اوجب عليهم
القصة ذكر اهل التفسير والتاريخ ان ابرهيم عليه السلم ولد في زمان نمرود بن كنعان وزعم بعضهم ان نمرود كان من ولاة كيكاوس
وبعضهم قال كان ملكا برأسه وقيل للنمرود انه يولد في بلدك هذه السنة مولود يكون هلاكك وزوال ملكك على يده ثم اختلفوا
فقال بعضهم انما قالوا ذلك من طريق التنجيم والكهانة وقال اخرون بل وجد ذلك في كتب الانبياء وقال اخرون راى نمرود كان كوكبا
طلع فذهب بضوء الشمس والقمر فسال عنه فعبر بانه يولد غلام يذهب ملكه على يده عن السدي فعند ذلك امر بقتل كل غلام
يولد تلك السنة وامر بان تعزل الرجال النساء وان يتفحص عن احوال النساء فمن وجدت حبلى تحبس حتى تلد فان كان غلاما قتل
وان كانت جارية خليت حتى حبلت ام ابرهيم فلما دنت ولادة ابرهيم خرجت امه هاربة فذهبت به الى الغار ولفته في خرقة ثم
جعلت على باب الغار صخرة ثم انصرفت عنه فجعل الله رزقه في ابهامه فجعل يمصها فتشخب لبنا وجعل يشب في اليوم كما يشب غيره
في الجمعة ويشب في الجمعة كما يشب غيره في الشهر ويشب في الشهر كما يشب غيره في السنة فمكث ما شاء الله ان يمكث وقيل كانت تختلف
اليه امه فكان يمص اصابعه فوجدته يمص من اصبع ماء ومن اصبع لبنا ومن اصبع عسلا ومن اصبع تمرا ومن اصبع سمنا
عن ابي روق ومحمد بن اسحق ولما خرج من السرب نظر الى النجم وكان اخر الشهر فراى الكوكب قبل القمر ثم راى القمر ثم راى الشمس فقال
ما قال ولما راى قومه يعبدون الاصنام خالفهم وكان يعيب الهتهم حتى فشا امره وجرت المناظرات قوله تعالى وحاجه
قومه قال اتحاجوني في الله وقد هدان ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما

افلا

افلا تتذكرون وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فاي الفريقين احق
بالامن ان كنتم تعلمون القراءة قرا اهل المدينة وابن عامر في رواية ابن ذكوان اتحاجوني خفيفة النون والباقون بالتشديد
الحجة قال ابو علي لا نظر في قول من شدد ادغاما ووجه التخفيف انه حذف النون الثانية لالتقاء النونين والتضعيف يكره فوصل
الى ازالته تارة بالحذف نحو علما بنو فلان وتارة بالابدال نحو لا املاه حتى تفارقا ونحو ديوان وقيراط فحذفوا النون الثانية كراهية
التضعيف ولا يجوز ان يكون المحذوفة الاولى لان الاستثقال يقع بالتكرير في الثانية وفي الاولى ايضا انها دلالة الاعراب وانما حذفت
الثانية كما حذفها في نحو قوله اذ قال ليتي اصادفه ويذهب بعض مالي وقوله تراه كالثغام يعل مسكا يسوء الفاليات
اذا فليني فالمحذوفة المصاحبة للياء ليسلم سكون لام الفعل وما يجري مجريها او حركتها ولا يجوز ان يكون المحذوفة الاولى لان الفعل
يبقى بلا فاعل كما لا يحذف الاولى في اتحاجوني لانها الاعراب ويدل على ان المحذوفة الثانية انها حذفت مع الجار في نحو قوله قدني
من نصر الخبيبين قدي وقد جاء حذف هذه النون في كلامهم قال الشاعر ابالموت الذي لا بد اني ملاق لا اباك تخوفيني وقال
تذكرونا اذ نقاتلكم اذ لا يضر معدما عدمه الاعراب موضع ان يشاء نصب اي لا اخاف الا مشية الله وهذا استثناء منقطع
وقيل متصل وتقديره لا اخافهم الا ان يشاء ربي احياءهم واقدارهم وعلما منصوب على التمييز المعنى ثم ذكر سبحانه محاجة ابرهيم ع
مع قومه فقال وحاجه قومه اي خاصموه وجادلوه في الدين وخوفوه من ترك عبادة الهتهم قال اي ابرهيم لهم اتحاجوني في
الله اي في توحيده وقد هداني لمعرفته ولطف لي في العلم بتوحيده وترك الشرك واخلاص العبادة له ولا اخاف ما تشركون به اي لا اخاف منه ضررا
ان كفرت به ولا ارجو نفعا ان عبدته لانه بين صنم قد كسر فلم يدفع عن نفسه وبين جماد افوله على حدوثه فكيف تحاجونني وتدعونني
الى عبادة من لا يخاف ضره ولا يرجى نفعه الا ان يشاء ربي شيئا فيه قولان احدهما ان معناه الا ان يقلب الله هذه الاصنام
التي تخوفونني بها فيحييها ويقدرها فتضر وتنفع فيكون ضرها ونفعها اذ ذاك دليلا على حدوثها ايضا وعلى توحيد الله وعلى انه
المستحق للعبادة دون غيره وانه لا شريك له في ملكه ثم اثنى على الله سبحانه فقال وسع ربي كل شيء علما اي هو عالم بكل شيء ثم
امرهم بالتذكر والتدبر فقال افلا تتذكرون والثاني قول الحسن ان معناه لا اخاف الاوثان الا ان يشاء ربي ان يعذبني ببعض
ذنوبي او يشاء الاضرار بي ابتداء والاول اجود ثم احتج عليه السلام عليهم واكد الحجاج بقوله وكيف اخاف ما اشركتم اي كيف ترونني
ان اخاف ما اشركتم به من الاوثان المخلوقة وقد تبين حالهم في انهم لا يضرون ولا ينفعون ولا تخافون انكم اشركتم بالله اي لا
تخافون من هو القادر على الضر والنفع بل تجترئون عليه بان اشركتم اي جعلتم له شركاء في ملكه وتعبدونهم من دونه وقيل معناه كيف
اخاف شرككم وانا منه بريء والله تعالى لا يعاقبني بفعلكم وانتم لا تخافونه وقد اشركتم به فيكون على هذا ما في قوله ما اشركتم مصدرية
ما لم ينزل به عليكم سلطانا اي حجة على صحته وهذا يدل على ان كل من قال قولا واعتقد مذهبا بغير حجة فهو مبطل فاي الفريقين
احق بالامن المحق وقد عرفنا الله بادلته ووجهنا العبادة نحوه ام انتم وقد اشركتم بالله بعبادة غيره من الاصنام ولو لا طرح
العصبية والحمية لما وجدتم لهذا الحجاج سدادا ان كنتم تعلمون اي تستعملون عقولكم وعلومكم فتميزون الحق من الباطل والدليل
من الشبهة قوله تعالى الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون اية اللغة قال الاصمعي
الظلم في اللغة وضع الشيء في غير موضعه قال الشاعر يمدح قوما هرت الشقاشق ظلامون للجزر يريد انهم عرقبوها في غير
النحر غير موضعه قال النابغة والنؤي كالحوض بالمظلومة الجلد يريد الارض التي صرف عنها المطر وانما سماها مظلومة لانهم حفروا
فيها حوضا لم يحكموا صنعه ولم يضعوا موضعه لكونهم مسافرين المعنى لما تقدم قوله سبحانه اي الفريقين احق بالامن اي
بان يامن من العذاب الموحد ام المشرك عقبه ببيان من هو احق به فقال الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم معناه الذين
عرفوا الله وصدقوا به وبما اوجبه عليهم ولم يخلطوا ذلك بظلم والظلم هو الشرك عن ابن عباس وسعيد بن المسيب وقتادة
ومجاهد واكثر المفسرين وروي عن ابي بن كعب انه لم يسمع قوله سبحانه ان الشرك لظلم عظيم وهو المروي عن سلمان الفارسي
وحذيفة بن اليمان وروي عن عبد الله بن مسعود قال لما نزلت هذه الاية شق على الناس وقالوا يا رسول الله واينا

٣٢١

لم يظلم نفسه فقال صلى الله عليه وآله انه ليس الذي تعنونه الم تسمعوا الى ما قال العبد الصالح يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم
وقال الجبائي والبلخي يدخل في الظلم كل كبيرة تحبط ثواب الطاعة قال البلخي ولو اختص الشرك على ما قالوه لوجب ان يكون مرتكب الكبيرة
اذا كان مؤمنا كان آمنا وذلك خلاف القول بالارجاء وهذا الالزام لا نقول به لان مرتكب الكبيرة غير آمن وان كان ذلك
معلوما بدليل آخر أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ من الله بحصول الثواب والامان من العقاب وَهُمْ مُهْتَدُونَ اي محكوم لهم بالاهتداء الى الحق
والدين وقيل الى الجنة واختلف في هذه الآية فقيل انه من تمام قول ابرهيم وروي ذلك عن علي عليه السلام وقيل ان هذا القول من الله تعالى على
فصل القضاء بذلك بين ابرهيم وقومه عن محمد بن اسحق وابن زيد والجبائي قوله تعالى وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ
نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ
دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ
وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ القراءة قرأ اهل الكوفة ويعقوب درجات منونا والباقون درجات من نشاء بالاضافة وقرأ اهل الكوفة غير عاصم
والليسع بتشديد اللام وفتحها وسكون الياء ههنا وفي ص والباقون واليسع بسكون اللام وفتح الياء الحجة من اضاف درجات ذهب
الى ان المرفوعة هي الدرجات لمن يشاء ومن نوّن ذهب الى ان المرفوع صاحب الدرجات ويقوي قراءة من اضاف قوله تلك الرسل فضلنا
بعضهم على بعض فمن فضل على غيره فقد رفع درجته عليه ويدل على قراءة من نون قوله ورفع بعضهم درجات لانه في ذكر الرسل واما قوله ورفعنا
بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا فانه في الرتب وارتفاع الاحوال في الدنيا واتضاعها الا ان قبله نحن قسمنا بينهم
معيشتهم في الحيوة الدنيا واما من قرأ الليسع باللام فان هذه اللام زائدة وقال ابو علي اعلم ان اللام المعرفة تدخل الاسماء على ضربين
احدهما للتعريف والآخر زيادة زيدت كما تزاد الحروف والتعريف على ضروب منها ان يكون اشارة الى معهود بينك وبين المخاطب
نحو الرجل الذي اردت به رجلا عرفتماه بعهد كان بينكما والآخر ان يكون اشارة الى ما في نفوس الناس من علمهم بالجنس فهذا الضرب وان كان
معروفا كالاول فهو مخالف له من حيث كان الاول قد علم حسا وهذا المعلم كذلك انما يعلم معقولا فاما نحو مررت بهذا الرجل
فانما اشير به الى الشاهد الحاضر لا الى الغائب المعلوم بعهد الا ترى انك تقول ذلك فيما لا عهد بينك فيه وبين مخاطبك ويدل على ذلك
قولك في النداء يا ايها الرجل فتشير به الى المخاطب الحاضر واما نحو العباس والحارث والحسن فانما دخلت الالف واللام فيها على تنزيل انها
صفات جارية على موصوفين وهذا يعني الخليل بقوله جعلوه الشيء بعينه فاذا لم ينزل هذا التنزيل لم يلحقها الالف واللام فقالوا حارث
وعباس على كلا المذهبين جاء ذلك في كلامهم جاء ذلك في كلامهم قال الفرزدق يقدمهم لعراق حذيم بعد ما دعا اليتم اذن
العلى والمكارم وقال ثلث مئين للملوك وفى بها ردائي وجلت عن وجوه الاهاتم فجعل ارقم اسما بمنزلة اضحاء واضاح وجعله صفة
بمنزلة احمر وحمر وجمع الاعشى بين الامرين في قوله اتاني وعيد الحوص من آل جعفر فيا عبد عمرو لو نهيت الاحاوصا واما قوله واليتم
الأم من يمشي والأم ذهل بن تيم بنو السود المدانس فانه يحتمل الامرين يجوز ان يكون بمنزلة العباس والحسن لان اليتم مصدر والمصادر
قد اجريت مجرى اسماء الفاعلين فوصف بها كما وصف باسماء الفاعلين وجمع جمعها في نحو عدد ونواد وسيل وسوايل وعلى هذا قالوا
الفضل في اسم رجل كانهم جعلوه الشيء الذي هو خلاف النقص والآخر ان يكون تيمي وتيم كزنجي وزنج واما الالف واللام في الليسع فلا
يخ ان تكون زائدة او غير زائدة فلا يخ ان يكون على حد الرجل الذي اريد به المعهود والجنس نحو ان الانسان لفي خسر او على حد دخولها في
العباس فلا يجوز ان يكون على واحد من ذلك فثبت انه زيادة ومما جاءت اللام فيه زائدة ما انشده احمد بن يحيى يا ليت ام العمرو كانت صاحبي
مكان من انشا على الركائب ومما جاء الالف واللام فيه زائدة الخمسة العشر درهما حكاه ابو الحسن الاخفش الا ترى انهما اسم واحد
ولا يجوز ان يعرف اسم واحد بتعريفين كما لا يجوز ان يعرف بعض الاسم دون بعض وذهب ابو الحسن الى ان اللام في اللات زائدة
اللات معرفة فاما العزى فبمنزلة العباس وقياس قول ابي الحسن هذا ان يكون اللام في اليسع ايضا زائدة لانه علم مثل اللات
وليس بصفة ومما جاءت اللام فيه زائدة قول الشاعر وجدنا الوليد بن اليزيد مباركا شديدا باحناء الخلافة كاهله فاما

تعالى اليسع فانه يكون اللام على حد ما في الحرث الا ترى انه على وزن الصفات الا انه وان كان كذلك فليس له مزية على القول الآخر الا
ترى انه لم يجئ في الاسماء الاعجمية المنقولة في حال التعريف نحو اسمعيل واسحق شيء على هذا النحو فيه لام التعريف واذا كان
كذلك كان الليسع بمنزلة اليسع في انه خارج عما عليه الاسماء الاعجمية المختصة المعربة الاعراب قوله تلك حجتنا تلك مبتداء وحجتنا
خبره والظاهر ان قوله على قومه من صلة حجتنا اي وتلك حجتنا على قومه واذا جعلت آتيناها من صفة حجتنا كان فصلا بين الصلة
والموصول وذلك لا يجوز فينبغي ان يكون متعلقا بمحذوف هذا الظاهر تفسيره كذا نقل عن ابي علي المعنى ثم بين سبحانه ان الحجج التي
ذكرها ابرهيم عليه السلام لقومه آتاه اياها واعطاها اياه بمعنى انه هداه لها واحتج بها بامره فقال وَتِلْكَ حُجَّتُنَا اي ادلتنا آتيناها
ابرهيم واخطرناها بباله وجعلناها حججا على قومه من الكفار حتى تمكن من ايرادها عليهم عند المحاجة نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ من المؤمنين
الذين يصدقون الله ورسوله ويطيعونه ونفضل بعضهم على بعض بحسب احوالهم في الايمان واليقين إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ
يجعل التفاوت بينهم على ما توجبه حكمته ويقتضيه علمه وقيل معناه نرفع درجات من نشاء على الخلق بالاصطفاء للرسالة
وَوَهَبْنَا لَهُ اي لابرهيم إِسْحَاقَ وهو ابنه من سارة وَيَعْقُوبَ بن اسحق كُلًّا هَدَيْنَا اي كل الثلاثة فضلنا بالنبوة كما قال الله سبحانه
ووجدك ضالا فهدى اي وجدك ضالا عن النبوة فهداك اليها وقيل معناه كلا هدينا بنيل الثواب والكرامات عن الجبائي منّ الله
سبحانه على ابرهيم بان رزقه الولد وولد الولد فان من افضل النعم على العبد ان يرزقه الله ولدا يدعو له بعد موته فكيف اذا
رزق الولد وولد الولد وهما نبيان مرسلان وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ اي من قبل هؤلاء وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ اي من ذرية نوح لانه اقرب
المذكورين اليه ولانه يمتنع عدّهم من ليس من ذرية ابرهيم وهو لوط والياس وقيل المراد من ذرية ابرهيم دَاوُودَ وهو داود بن ايشا
وَسُلَيْمَانَ ابنه وَأَيُّوبَ وهو ايوب بن اموص بن تارخ بن روم بن عيص بن اسحق بن ابرهيم وَيُوسُفَ بن يعقوب بن اسحق بن
ابرهيم وَمُوسَىٰ بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وَهَارُونَ اخاه وكان اكبر منه بسنة وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ
بنيل الثواب والكرامات وقيل المراد به كما فضلنا على هؤلاء الانبياء بالنبوة فكذلك نفضل على المحسنين بنيل الثواب
والكرامات وَزَكَرِيَّا وهو زكريا بن اذن بن بركيا وَيَحْيَىٰ وهو ابنه وَعِيسَىٰ وهو ابن مريم بنت عمران بن ياشهم بن امون بن حزقيا
وَإِلْيَاسَ واختلف فيه فقيل انه ادريس كما قيل ليعقوب اسرائيل عن عبد الله بن مسعود وقيل هو الياس بن بشير بن فنحاص بن
العيزار بن هرون بن عمران نبي الله عن ابن اسحق وقيل هو الخضر عن كعب كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ اي من الانبياء والمرسلين وَ
إِسْمَاعِيلَ وهو ابن ابرهيم وَالْيَسَعَ بن اخطوب بن العجوز وَيُونُسَ بن متى وَلُوطًا وهو لوط بن هرون ابن اخي ابرهيم وقيل هو ابن خاله
وَكُلًّا اي وكل واحد منهم فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ اي على عالمي زمانه ومن قال ان الهاء في قوله ومن ذريته كناية عن ابرهيم قال انه
سمى ذريته الى قوله وكذلك نجزي المحسنين ثم عطف قوله وزكريا ويحيى على قوله ونوحا هدينا ولا يمتنع ايضا ان يكون غلب الاكثر
الذين هم من نسل ابرهيم على ان الرواية التي جاءت عن ابن مسعود ان الياس ادريس وهو جد نوح عليه السلام اذا لم يضعف قول
من قال ان الهاء كناية عن نوح فكذلك اذا لم يكن لوط من ذرية ابرهيم لم يضعف قول من قال ان الهاء كناية عن ابرهيم وقال
الزجاج يجوز ان يكون من ذريته ذرية نوح ويجوز ان يكون من ذرية ابرهيم لان ذكرهما جميعا قد جرى واسماء الانبياء التي
جاءت بعد قوله ونوحا نسق على نوح واذ جعل الله سبحانه عيسى بن مريم من ذرية ابرهيم او نوح ففي ذلك دلالة واضحة وحجة
قاطعة على ان اولاد الحسن والحسين عليهما السلام من ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله على الاطلاق وانهما ابنا رسول الله
وقد صح في الحديث انه قال لهما عليه السلام ابناي هذان امامان قاما او قعدا وقال للحسن ان ابني هذا سيد وان الصحابة
كانت تقول لكل منهما ومن اولادهما يا ابن رسول الله وَمِنْ آبَائِهِمْ يعني ومن آباء هؤلاء الانبياء وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ
جماعة فضلناهم وقال الزجاج معناه لكل منهم وهدينا هؤلاء وهدينا بعض آبائهم واخوانهم وَاجْتَبَيْنَاهُمْ اي اصطفيناهم
واخترناهم للرسالة وهو ماخوذ من جبيت الماء في الحوض اذا جمعته وَهَدَيْنَاهُمْ اي سددناهم وارشدناهم فاهتدوا إِلَىٰ
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ اي طريق بين لا اعوجاج فيه وهو الدين الحق قوله تعالى ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ

٣٢٣

ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون اولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا اسألكم عليه اجرا ان هو الا ذكرى للعالمين ثلث آيات القراءة قرأ ابن عامر وحده اقتدهي بكسر الهاء مشبعة والباقون اقتده ساكنة الهاء الا ان حمزة والكسائي ويعقوب وخلفا يحذفون الهاء في الوصل ويثبتونها في الوقف والباقون يثبتونها في الوصل والوقف الحجة قال ابو علي الوجه الوقف على الهاء لاجتماع الجمهور على اثباتها ولا ينبغي ان توصل والهاء ثابتة لان هذه الهاء في السكت بمنزلة همزة الوصل في الابتداء في ان الهاء للوقف كما ان همزة الوصل للابتداء بالساكن فكما لا تثبت الهمزة في الوصل كذلك ينبغي ان لا تثبت الهاء ووجه قراءة ابن عامر ان يجعل الهاء كناية عن المصدر لا التي تلحق الوقف وحسن اضماره لذكر الفعل الدال عليه ومثل ذلك قول الشاعر فجال على وحشية وتخاله على ظهره سبا جديدا يمانيا كانه قال وتخال الخيال على ظهره سبا فعلى متعلق بمحذوف والتقدير ثابتا على ظهره ومثله قول الشاعر هذا سراقة للقرآن يدرسه والمرء عند الرشا ان يلقها ذئب فالهاء كناية عن المصدر ودليله الدرس ولا يجوز ان يكون ضمير القرآن لان الفعل قد يتعدى اليه باللام فلا يجوز ان يتعدى اليه والى ضميره المعنى ثم بين سبحانه اكرامه لانبيائه عليهم السلم ثم امر نبيه بالاقتداء بهم فقال ذلك وهو اشارة الى ما تقدم ذكره من التفضيل والاجتباء والهداية والاصطفاء هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ممن اراد هدايتهم في هذه الآيات والهداية هنا الارشاد الى الثواب دون الهداية التي هي نصب الادلة الا ترى الى قوله وكذلك نجزي المحسنين وذلك لا يليق الا بالثواب الذي يختص المحسنين دون الدلالة التي يشترك فيها المؤمن والكافر وقوله ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون يدل ايضا على ذلك ومعناه انهم لو اشركوا لبطلت اعمالهم التي كانوا يوقعونها على خلاف الوجه الذي يستحق به الثواب لتوجيههم الى غير الله تعالى وليس في ذلك دلالة على ان الثواب الذي استحقوه على طاعتهم المقدمة ليحبط اذ ليس في ظاهر الآية ما يقتضي ذلك على انا قد علمنا بالدليل ان الكفر لا يكون معه ثواب اصلا واجتمعت الامة على ذلك اولئك يعني به من تقدم ذكرهم من الانبياء الذين آتيناهم اي اعطيناهم الكتاب اراد الكتب ووحد لانه عني به الجنس والحكم معناه والحكم بين الناس وقيل الحكمة والنبوة اي الرسالة فان يكفر بها اي بالكتاب والحكم والنبوة هؤلاء يعني به الكفار الذين جحدوا نبوة النبي صلى الله عليه وآله في ذلك الوقت فقد وكلنا بها اي بمراعاة امر النبوة وتعظيمها والاخذ بهدى الانبياء قوما ليسوا بها بكافرين واختلف في المعنيين بذلك فقيل عني به الانبياء الذين جرى ذكرهم آمنوا بما اتى النبي صلى الله عليه وآله قبل وقت مبعثه عن الحسن واختاره الزجاج والطبري والجبائي وقيل عني به الملائكة عن ابي رجاء العطاردي وقيل عني به من آمن من اصحاب النبي صلى الله عليه وآله في وقت مبعثه وقيل عني بقوله فان يكفر بها كفار قريش وبقوله قوما ليسوا بها بكافرين اهل المدينة عن الضحاك واختاره الفراء وانما قال وكلنا بها ولم يقل فقد قام بها قوم تشريفا لهم بالاضافة الى نفسه وقيل معناه فقد الزمناها قوما فقاموا بها وفي هذا ضمان من الله تعالى ان ينصر نبيه صلى الله عليه وآله ويحفظ دينه اولئك الذين هدى الله اي هداهم الله الى الصبر فبهداهم اقتده معناه اقتد بهم في الصبر على اذى قومك واصبر كما صبروا حتى تستحق من الثواب ما استحقوه وقيل معناه اولئك الذين قبلوا هدى الله واهتدوا بالطاف الله الذي فعله بهم فاقتد بطريقتهم في التوحيد والادلة واداء الرسالة والاشارة باولئك الى الانبياء الذين تقدم ذكرهم عن ابن عباس والسدي وابن زيد وقيل الى المؤمنين المؤكلين بحفظ دين الله لانه في ذكرهم عن الحسن وقتاده وعلى هذا فلم يكرر لفظ الهداية وفي القول الاول اعاد ذكر الهداية لطول الكلام ويكون معنى قوله فبهداهم اقتده اقتد بصبر ايوب وسخاء ابرهيم وصلابة موسى وزهد عيسى ثم فسر بعض ما يقتدى بهم فيه بقوله قل يا محمد لا اسألكم عليه اجرا اي لا اطلب منكم على تبليغ الوحي واداء الرسالة جعلا كما لم يسأل ذلك الانبياء قبلي فان اخذ الاجر عليه ينفر الناس عن القبول ان هو اي ما هو الا ذكرى اي تذكير للعالمين بما يلزمهم اتيانه واجتنابه وفي هذه الآية دلالة على انه لا يخلو كل زمان من حافظ للدين اما نبي واما امام لقوله فقد وكلنا بها قوما واسند التوكيل الى

الى نفسه وقد استدل قوم بالآية على ان النبي وامته كانوا متعبدين بشرايع من قبلهم الا ما قام الدليل على نسخه وهذا لا يصح لان الآية وردت فيما اتفقوا عليه على ما تقدم ذكره وذلك لا يليق الا بالتوحيد ومكارم الاخلاق فاما الشرايع فانها تختلف فلا يصح الاقتداء بجميع الانبياء فيها وتدل الآية على ان نبينا صلى الله عليه وآله مبعوث الى كافة العالمين وان النبوة مختومة به ولذلك قال ان هو الا ذكرى للعالمين قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون آية القراءة قرأ ابن كثير وابو عمرو يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون بالياء والباقون بالتاء في الجميع الحجة من قرأ بالياء فلان ما قبله وما قدروا الله على الغيبة ومن قرأ بالتاء فعلى الخطاب من قوله قل من انزل الكتاب وقوله فيما بعد وعلمتم ما لم تعلموا الاعراب حق قدره منصوب على المصدر تبدونها وتخفون كثيرا يجوز ان يكون صفة القراطيس لان النكرات توصف بالجمل ويجوز ان يكون حالا من ضمير الكتاب في تجعلونه على ان تجعل القراطيس الكتاب في المعنى لانه مكتوب فيها وانما رفع قوله يلعبون لانه لم يجعله جوابا لقوله ذرهم ولو جعله جوابا لجزمه كما قال سبحانه ذرهم ياكلوا وموضع يلعبون نصب على الحال والتقدير ذرهم لاعبين في خوضهم النزول جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن الضيف يخاصم النبي صلى الله عليه وآله فقال له النبي صلى الله عليه وآله انشدك بالذي انزل التورية على موسى اما تجد في التورية ان الله سبحانه يبغض الحبر السمين وكان سمينا فغضب وقال والله ما انزل الله على بشر من شيء فقال له اصحابه ويحك ولا على موسى فنزلت الآية عن سعيد بن جبير وقيل ان الرجل كان فنحاص بن عازورا وهو قائل هذه المقالة عن السدي وقيل ان اليهود قالت يا محمد انزل الله عليك كتابا قال نعم قالوا والله ما انزل الله من السماء كتابا فنزلت الآية عن ابن عباس وفي رواية اخرى عنه انها نزلت في الكفار انكروا قدرة الله عليهم فمن اقر ان الله على كل شيء قدير فقد قدر الله حق قدره وقيل نزلت في مشركي قريش المعنى لما تقدم ذكر الانبياء والنبوة عقبه سبحانه بالتهجين لمن انكر النبوة فقال وما قدروا الله حق قدره اي ما عرفوا الله حق معرفته وما عظموه حق عظمته وما وصفوه بما هو اهل ان يوصف به اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء اي ما ارسل الله رسولا ولم ينزل على بشر شيئا مع ان المصلحة والحكمة يقتضيان ذلك والمعجزات الباهرة تدل على بعثة كثير منهم ثم امر سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله فقال قل يا محمد لهم من انزل الكتاب الذي جاء به موسى يعني التورية وانما احتج بذلك عليهم لان القائل لذلك من اليهود ومن قال ان المعني بالآية مشركوا العرب قال احتج عليهم بالامر الظاهر فبين ان منزلة محمد صلى الله عليه وآله في ذلك كمنزلة موسى عليه السلم نورا اي يستضاء به في الدين كما يستضاء بالنور في الدنيا وهدى للناس اي دلالة يهتدون به تجعلونه قراطيس اي كتبا وصحفا متفرقة وقال ابو علي الفارسي معناه يجعلونه ذا قراطيس اي يودعونه اياها تبدونها وتخفون كثيرا اي تبدون بعضها وتكتمون بعضها وهو ما في الكتب من صفات النبي صلى الله عليه وآله والاشارة اليه والاشادة به وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم قيل انه خطاب للمسلمين يذكرهم ما انعم به عليهم عن مجاهد وقيل انه خطاب لليهود اي علمتم التورية فضيعتموه ولم تنتفعوا به وقيل معناه علمتم بالقرآن ما لم تعلموا عن الحسن قل يا محمد الله اي الله انزل ذلك وهذا كما ان الانسان اذا اراد البيان والاحتجاج بما يعلم ان الخصم مقر به ولا يستطيع دفعه ذكر ذلك ثم تولى الجواب عنه بما علم انه لا جواب لخصمه ثم ذرهم في خوضهم يلعبون اي دعهم وما يختارونه من العناد وما خاضوا فيه من الباطل واللعب وليس هذا على اباحة ترك الدعاء والانذار بل على ضرب من التوعد والتهديد كانه قال دعهم فسيعلمون عاقبة امرهم قوله تعالى وهذا كتاب انزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر ام القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلوتهم يحافظون آية القراءة قرأ ابو بكر عن عاصم لينذر بالياء والباقون بالتاء الحجة من قرأ بالتاء فوجه قراءته قوله وانذر به الذين يخافون وانما انت منذر من يخشيها ومن قرأ بالياء جعل المنذر هو الكتاب ويؤيده قوله ولينذروا به وانما انذركم بالوحي فلا يمتنع اسناد الانذار اليه على وجه التوسع الاعراب

انزلناه جملة مرفوعة الموضع صفة الكتاب ومبارك صفة له ايضا المعنى لما احتج سبحانه بانزال التورية على موسى عليه السلم بين
ان سبيل القرآن سبيلها فقال وهذا كتاب يعني القرآن انزلناه من السماء الى الارض لان جبرئيل اتى به من السماء مبارك وانما
سماه مباركا لانه ممدوح مستسعد به فكل من تمسك به نال الفوز عن ابي مسلم وقيل ان البركة ثبوت الخير على النماء والزيادة ومنه تبارك
الله اى ثبت له ما يستحق به التعظيم لم يزل ولا يزال فالقرآن مبارك لان قراءته خير والعمل بما فيه خير وفيه علم الاولين والآخرين وفيه
مغفرة للذنوب وفيه الحلال والحرام وقيل البركة الزيادة فالقرآن مبارك لما فيه من زيادة البيان على ما في الكتب المتقدمة لانه
ناسخ لا يرد عليه نسخ لبقائه الى آخر التكليف مصدق الذي بين يديه من الكتب كالتورية والانجيل وغيرهما عن الحسن و
تصديقه الكتب على وجهين احدهما انه يشهد بانها حق والثاني انه ورد بالصفة التي نطقت بها الكتب المتقدمة ولتنذر ام القرى
ومن حولها يعني بام القرى مكة ومن حولها اهل الارض كلهم عن ابن عباس وهو من باب حذف المضاف يريد لتنذر اهل ام القرى
انما سميت مكة ام القرى لان الارض دحيت من تحتها فكان الارض نشأت منها وقيل لانه اول بيت في الدنيا وضع بمكة فكان
القرى نشأت منها عن السدي وقيل لان على جميع الناس ان يستقبلوها ويعظموها لانها قبلتهم كما يجب تعظيم الام عن الزجاج و
الجبائي والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به اى بالقرآن ويحتمل ان يكون كناية عن محمد صلى الله عليه وآله ولا لدلالة الكلام عليه
وهم على صلاتهم اى على اوقات صلوتهم يحافظون اى يراعونها ليؤدوها فيها ويقوموا باتمام ركوعها وسجودها وجميع اركانها
وفي هذا دلالة على ان المؤمن لا يجوز ان يكون مؤمنا ببعض ما اوجب الله دون بعض وفيها دلالة على عظم قدر الصلوة ومنزلتها
لانه سبحانه خصها بالذكر من بين سائر الفرائض ونبه على ان من كان مصدقا بالقيمة وبالنبي لا يخل بها ولا يتركها قوله تعالى ومن اظلم
ممن افترى على الله كذبا او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء ومن قال سانزل مثل ما انزل الله ولو ترى اذ الظالمون في غمرات
الموت والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته
تستكبرون آية اللغة اصل الافتراء القطع من فريت الاديم افريه فريا فكان الافتراء هو القطع على خبر لا حقيقة له والغمرة الشدة
وغمرة كل شيء معظمه وغمرات الموت شدائده قال الشاعر الغمرات ثم ينجلينا ثم يذهبن ولا يجينا واصله الشيء يغمر الاشياء فيغطيها
والهون بضم الهاء الهوان قال ذو الاصبع العدواني اذهب اليك فما امي براعية ترعى المخاض ولا اغضي على الهون والهون بفتح
الهاء الدعة والرفق ومنه يمشون على الارض هونا وقال هونكما لا يرد الدهر ما فاتا لا تهلكا اسفا في اثر من ماتا الاعراب من قال
سانزل في موضع جر على العطف كانه قال ومن اظلم ممن قال ذلك وجواب لو من قوله ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت محذوف
اى لرايت عذابا عظيما النزول اختلفوا فيمن نزلت فيه هذه الآية فقيل نزلت في مسيلمة حين ادعى النبوة الى قوله ولم يوح اليه
شيء وقوله سانزل مثل ما انزل الله في عبد الله بن سعد بن ابي سرح فانه كان يكتب الوحي للنبي صلى الله عليه وآله وكان اذا قال
له اكتب عليما حكيما كتب غفورا رحيما واذا قال له اكتب غفورا رحيما كتب عليما حكيما وارتد ولحق بمكة وقال اني سانزل مثل ما
انزل الله عن عكرمة وابن عباس ومجاهد والسدي واليه ذهب الفراء والزجاج والجبائي وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلم
وقال قوم نزلت في ابن ابي سرح خاصة وقال قوم نزلت في مسيلمة خاصة المعنى لما تقدم ذكر نبوة النبي صلى الله عليه وآله وذكر
انزال الكتاب عليه عقبه سبحانه بذكر تهجين الكفار الذين كذبوه وادعوا انهم ياتون بمثل ما ياتي به فقال ومن اظلم ممن
افترى على الله كذبا هذا استفهام في معنى الانكار اى لا احد اظلم ممن كذب على الله وادعى انه نبي وليس بنبي او قال اوحي الي
ولم يوح اليه شيء اى يدعي الوحي ولا ياتيه ولا يجوز في حكمة الله تعالى ان يبعث كذابا وهذا وان كان داخلا في الافتراء
فانما افرده بالذكر تعظيما ومن قال سانزل مثل ما انزل الله قال الزجاج هذا جواب لقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا فادعوا ثم
لم يفعلوا وبذلوا النفوس والاموال فاستعملوا سائر الحيل في اطفاء نور الله وابى الله الا ان يتم نوره وقيل المراد به عبد الله بن سعد بن
ابي سرح املى عليه رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الى قوله ثم انشاناه
خلقا آخر فجرى على لسان ابن ابي سرح فتبارك الله احسن الخالقين فامله عليه وقال هكذا انزل فارتد عبد الله وقال ان كان

محمد صادقا فلقد اوحي الي كما اوحي اليه ولئن كان كاذبا فلقد قلت كما قال وارتد عن الاسلام وهدر رسول الله صلى الله عليه وآله
دمه فلما كان يوم الفتح جاء به عثمان وقد اخذ بيده ورسول الله صلى الله عليه وآله في المسجد فقال يا رسول الله اعف عنه فسكت
رسول الله ثم اعاد فسكت ثم اعاد فقال هو لك فلما مر قال رسول الله صلى الله عليه وآله لاصحابه الم اقل من رآه فليقتله فقال عباد بن بشر
كانت عيني اليك يا رسول الله ان تشير اليه فاقتله فقال عليه السلم الانبياء لا يقتلون بالاشارة ثم اخبر سبحانه عن حال هؤلاء فقال
ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت اى شدائد الموت عند النزع وقيل في اشد العذاب في النار والملائكة الذين يقبضون الارواح
وقيل يريد به ملائكة العذاب باسطوا ايديهم لقبض ارواحهم وقيل يبسطون اليهم ايديهم بالعذاب يضربون وجوههم وادبارهم
اخرجوا انفسكم اى يقولون اخرجوا انفسكم من سكرات الموت ان استطعتم وصدقتم فيما قلتم وادعيتم وقيل اخرجوا انفسكم من
اجسادكم عند معاينة الموت ارهاقا لهم وتغليظا عليهم وان كان اخراجها من فعل غيرهم وقيل على التاويل الاول يقولون لهم يوم القيمة
اخرجوا انفسكم من عذاب النار ان استطعتم اى خلصوها منه اليوم تجزون عذاب الهون اى عذابا تلقون فيه الهوان بما كنتم تقولون
على الله غير الحق اى في الدنيا وكنتم عن آياته تستكبرون اى تانفون من اتباع آياته قوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم
اول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم
وضل عنكم ما كنتم تزعمون آية القراءة قرا اهل المدينة والكسائي وحفص بينكم بالنصب والباقون بالرفع الحجة قال ابو علي
استعمل هذا الاسم على ضربين احدهما ان يكون اسما متصرفا كالافتراق والآخر ان يكون ظرفا والمرفوع في قراءة من قرا لقد تقطع بينكم هو الذي
كان ظرفا ثم استعمل اسما والدليل على جواز كونه اسما قوله ومن بيننا وبينك حجاب وهذا فراق بيني وبينك فلما استعمل اسما في هذه المواضع
جاز ان يسند اليه الفعل الذي هو تقطع في قول من رفع والذي يدل على ان هذا المرفوع هو الذي استعمل ظرفا انه لا يخلو من ان يكون الذي كان
ظرفا اتسع فيه ويكون الذي هو مصدر فلا يجوز ان يكون المصدر لان تقديره يكون لقد تقطع افتراقكم وهذا خلاف المعنى المراد
لان المراد لقد تقطع افتراقكم وصلكم وما كنتم تتالفون عليه فان قلت كيف جاز ان يكون بمعنى الوصل واصله الافتراق والتباين
قيل انه لما استعمل مع الشيئين المتلابسين في نحو بيني وبينه شركة وبيني وبينه رحم وصداقة صارت لاستعمالها في هذه المواضع
بمنزلة الوصلة على خلاف الفرقة فلهذا جاء لقد تقطع بينكم بمعنى تقطع وصلكم فاما من نصب بينكم ففيه مذهبان احدهما انه اضمر الفاعل
في الفعل ودل عليه ما تقدم من قوله وما نرى معكم شفعاءكم لان هذا يدل على التقاطع وذلك المضمر هو الوصل فكانه قال لقد تقطع
وصلكم بينكم وقد حكى سيبويه انهم قالوا اذا كان غدا فاتني واضمر ما كانوا فيه من رخاء او بلاء لدلالة الحال عليه والمذهب الآخر
انه انتصب على شيء يراه ابو الحسن فانه يذهب الى ان معناه معنى المرفوع فلما جرى في كلامهم منصوبا ظرفا تركوه على ما كان يكون عليه في اكثر
الكلام وكذلك تقول في قوله يوم القيمة يفصل بينكم وقوله انا منا الصالحون ومنا دون ذلك ودون في موضع رفع عنده
وان كان منصوب اللفظ كما يقال منا الصالح ومنا الطالح اللغة فرادى جمع فرد وفريد وفرد والعرب تقول فرادى وفراد
فلا يصرفونها تشبيها بثلاث ورباع قال الشاعر ترى النعرات الزرق تحت لبانه فراد ومثنى اصعقتها صواهله وقال النابغة
من وحش وجرة موشي اكارعه طاوي المصير كسيف الصيقل الفرد ومثل الفرادى الردافى والقرانى والتخويل الاعطاء واصله
تمليك الخول كما ان التمويل هو تمليك الاموال وخوله الله اعطاه مالا وفلان خولي مال وخال مال وخايل مال اذا كان يصلح
المال وهم خول فلان اى اتباعه والواحد خايل والزعم قد يكون حقا وقد يكون باطلا قال الشاعر يقول هلكنا ان هلكت فانما
على الله ارزاق العباد كما زعم والبين مصدر بان يبين اذا فارق قال الشاعر بان الخليط برامتين فودعوا او كلما ظعنوا البين
تجزع قال ابو زيد بان الحي بينونة وبينا اذا ظعنوا وتباينوا اى تفرقوا بعد ان كانوا جميعا الاعراب فرادى نصب على
الحال وما خولناكم موصول وصلة في موضع نصب بانه مفعول تركتم النزول نزلت في النضر بن الحرث بن كلدة حين قال سوف
يشفع لي اللات والعزى عن عكرمة المعنى ثم بين سبحانه تمام ما يقال عليهم على سبيل التوبيخ فقال ولقد جئتمونا فرادى هذا
من كلام الله تعالى يخاطب به عباده اما عند الموت او عند البعث وقيل هذا من كلام الملائكة يؤدونه عن الله تعالى الى الذين

يقبضون ارواحهم فرادى اى وحدانا لا مال لكم ولا خول ولا ولد ولا حشم عن الجبائى وقيل واحدا واحدا على حدة عن الحسن وقيل كل واحد منكم
منفرد من شريكه فى الغى وشقيقه عن الزجاج كما خلقناكم اول مرة اى كما خلقناكم فى بطون امهاتكم فلا ناصر لكم ولا معين عن الجبائى
وقيل معناه ما روى عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال يحشرون حفاة عراة غرلا والغرل هم الغلف وروى ان عائشة قالت لرسول الله
صلى الله عليه وآله حين سمعت ذلك واسوأتاه اينظر بعض الى سوءة بعض من الرجال والنساء فقال صلى الله عليه وآله لكل امرئ منهم يومئذ
شان يغنيه ويشغل بعضهم عن بعض وقال الزجاج معناه كما بدأناكم اول مرة اى يكون بعثكم كخلقكم وتركتم ما خولناكم معناه ما ملكناكم
فى الدنيا مما كنتم تتباهون به من الاموال وراء ظهوركم اى خلف ظهوركم فى الدنيا والمراد تركتم الاموال وحملتم من الذنوب الاحمال
استمتع غيركم بما خلفتم وحوسبتم عليه فيا لها من حسرة وما نرى معكم شفعاءكم اى ليس نرى معكم من كنتم تزعمون انهم يشفعون لكم
عند الله يوم القيمة وهى الاصنام الذين زعمتم انهم فيكم شركاء معناه زعمتم انهم شركاؤنا فيكم وشفعاؤكم يريد وما نفعكم عبادة
الاوثان التى كنتم تقولون انها فيكم شركاء وانها تشفع لكم عند الله تعالى وهذا عام فى كل من عبد غير الله واعتمد غيره يرجو خيره ويخاف
ضيره فى مخالفة الله تعالى لقد تقطع بينكم اى وصلكم وجمعكم ومن قرأ بالنصب فمعناه لقد تقطع الامر بينكم او تقطع وصلكم بينكم
وضل عنكم ما كنتم تزعمون اى ضاع وتلاشى ولا تدرون اين ذهب من جعلتم شفعاءكم من الهتكم ولم تنفعكم عبادتها وقيل
معناه ما تزعمون من عدم البعث والجزاء حث الله تعالى فى هذه الآية على اقتناء الطاعات التى بها ينال الفوز ويدرك النجاة
دون اقتناء المال الذى لا شك فى تركه وعدم الانتفاع به بعد الممات قوله تعالى ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحى من
الميت ومخرج الميت من الحى ذلكم الله ربكم فانى تؤفكون فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا
ذلك تقدير العزيز العليم آيتان القراءة قرأ اهل الكوفة وجعل الليل والباقون وجاعل الليل بالالف والرفع الليل بالجر الحجة
وجه قول من قال وجاعل الليل ان قبله اسم فاعل وهو قوله فالق الحب وفالق الاصباح ليكون فاعل المعطوف مثل فاعل المعطوف عليه
الا ترى ان حكم الاسماء ان يعطف على اسم مثله لان الاسم بالاسم اشبه من الفعل بالاسم ويقوى ذلك قولهم للبس عباءة وتقر عينى
احب الى من لبس الشفوف فنصب وتقر ليكون فى تقدير اسم باضمار ان فيكون قد عطف اسما على الاسم وقوله ولولا رجال
من رزام ومازن وآل سبيع او اسوءك علقما ومن قرأ وجعل فلان اسم الفاعل الذى قبله بمعنى المضى فلما كان فاعل بمعنى فعل
عطف عليه فعل لموافقته له فى المعنى ويدلك على انه بمنزلة فعل انه نزل منزلته فيما عطف عليه وهو قوله والشمس والقمر حسبانا
الا ترى انه لما كان المعنى فعل حمل المعطوف على ذلك فنصب الشمس والقمر على فعل لما كان فاعل كفعل ويقوى ذلك قولهم هذا
معطى زيد درهما امس فالدرهم محمول على اعطى لان اسم الفاعل اذا كان للماضى لم يعمل عمل الفعل فاذا كان معط بمنزلة اعطى كذلك
جعل فالق بمنزلة فلق لان اسم الفاعل للماضى فعطف عليه فعل لما كان بمنزلته اللغة الفلق الشق يقال فلقه فانفلق و
الفلق الصبح لان الظلام ينفلق عنه والفلق المطمئن من الارض كانه منشق عنها والحب جمع حبة وهو كل ما لا يكون له نوى
كالبر والشعير والنوى جمع نواة والاصباح والصبح واحد وهو مصدر اصبحنا اصباحا وقد روى عن الحسن انه قرأ فالق
الاصباح بالفتح يريد صبح كل يوم وما قرأ به غيره والسكن الذى يسكن اليه وحسبانا جمع حساب مثل شهاب وشهبان
وقيل هو مصدر حسبت الحساب احسب حسابا وحسبانا وحكى عن بعض العرب على الله حسبان فلان وحسبته اى حسابه
والحسبان بكسر الحاء جمع حسبانة وهى وسادة صغيرة والحسبان والمحسبة مصدر حسبت فلانا عاقلا احسبه واحسبه الاعراب
النصب فى الشمس والقمر مفعول فعل يدل عليه قوله وجاعل الليل سكنا وتقديره وجعل الشمس والقمر حسبانا وحسبانا المفعول
الثانى منه ولا يجوز جاعل الليل سكنا الا ان اسم الفاعل اذا كان ماضيا لا يعمل عمل الفعل واضيف الى ما بعده لا غير تقول هذا
ضارب زيد امس لا غير المعنى ثم عاد الكلام الى الاحتجاج على المشركين بعجائب الصنع ولطائف التدبير فقال سبحانه ان الله
فالق الحب والنوى اى شاق الحبة اليابسة الميتة فيخرج منها النبات وشاق النواة اليابسة فيخرج منها النخل والشجر عن
الحسن وقتادة والسدى وقيل معناه خالق الحب والنوى ومنشئهما ومبدئهما عن ابن عباس والضحاك وقيل المراد به ما فى

الحبة

الحبة والنواة من الشق وهو من عجيب قدرة الله تعالى فى استوائه عن مجاهد وابى مالك يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى اى
يخرج النبات الغض الطرى الخضر من الحب اليابس ويخرج الحب اليابس من النبات الحى النامى عن الزجاج والعرب تسمى الشجر ما دام غضا قائما بانه حى
فاذا يبس او قطع او قلع سمته ميتا وقيل معناه يخلق الحى من النطفة التى هى موات ويخلق النطفة وهى موات من الحى عن الحسن وقتادة وابن زيد
وغيرهم وهذا الصحيح وقيل معناه يخرج الطير من البيض والبيض من الطير عن الجبائى وقيل يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن ذلكم الله
اى فاعل ذلك كله الله فانى تؤفكون اى تصرفون عن الحق وتذهب بكم عن هذه الادلة الظاهرة الى الباطل فلا تتدبرون فتعلمون
انه لا ينبغى ان تجعل لمن انعم عليكم بفلق الحب والنوى واخراج الزرع من الحب والشجر من النوى شريك فى عبادته فالق الاصباح اى شاق
عمود الصبح عن ظلمة الليل وسواده عن اكثر المفسرين وقيل معناه خالق الاصباح عن ابن عباس وجعل الليل سكنا تسكنون فيه وتسكن
فيه عن ابن عباس ومجاهد واكثر المفسرين نبه الله تعالى على عظم نعمته بان جعل الليل للسكون والنهار للتصرف ودل بتعاقبهما على كمال
قدرته وحكمته ثم قال والشمس والقمر حسبانا اى جعلهما يجريان فى افلاكهما بحساب لا يتجاوزانه حتى ينتهيا الى اقصى منازلهما فتقطع
الشمس جميع البروج الاثنى عشر فى ثلثمائة وخمسة وستين يوما وربع والقمر فى ثمانية وعشرين يوما وبنى عليهما الليالى والايام
والشهور والاعوام كما قال سبحانه والشمس والقمر بحسبان وقال كل فى فلك يسبحون عن ابن عباس والسدى وقتادة ومجاهد
اشار سبحانه بذلك الى ما فى حسابهما من مصالح العباد فى معاملاتهم وتواريخهم واوقات عباداتهم وغير ذلك من امورهم الدينية
والدنياوية ذلك اشارة الى ما وصف سبحانه من فلق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا تقدير العزيز الذى عز
سلطانه فلا يقدر احد على الامتناع عنه العليم بمصالح خلقه وتدبيرهم قوله تعالى وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا
بها فى ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون وهو الذى انشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد
فصلنا الآيات لقوم يفقهون آيتان القراءة قرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب برواية روح وزيد فمستقر بكسر القاف والباقون
بفتح القاف الحجة قال ابو على من كسر القاف كان المستقر بمعنى القار واذا كان كذلك وجب ان يكون خبره المضمر منكم اى فمنكم مستقر
كقولك بعضكم مستقر اى مستقر فى الارحام ومن فتح فليس على انه مفعول الا ترى ان استقر لا يتعدى ولما لم يتعد لم يبن منه
اسم مفعول به واذا لم يكن مفعولا به كان اسم مكان فالمستقر بمنزلة المقر كما كان المستقر بمعنى القار واذا كان كذلك جعلت الخبر
المضمر لكم والتقدير فمستقر لكم واما المستودع فان استودع فعل يتعدى الى مفعولين تقول استودعت زيدا الفا واودعت
زيدا الفا فاستودع مثل اودع كما ان استجاب بمعنى اجاب فالمستودع يجوز ان يكون للانسان الذى استودع ذلك المكان
ويجوز ان يكون المكان نفسه ومن قرأ فمستقر بفتح القاف جعل المستودع مكانا ليكون مثل المعطوف عليه اى فلكم مكان
استقرار واستيداع ومن قرأ فمستقر فالمعنى منكم مستقر فى الارحام ومنكم مستودع فى الاصلاب فالمستودع اسم المفعول به
فيكون مثل المستقر فى انه اسم لغير المكان المعنى ثم ذكر سبحانه ما يقارب فى المعنى الآية المتقدمة فيما يدل على وحدانيته و
عظيم قدرته فقال وهو الذى جعل اى خلق لكم اى لنفعكم النجوم لتهتدوا بها اى بضوءها وطلوعها ومواضعها فى
ظلمات البر والبحر لان من النجوم ما يكون بين يدى الانسان ومنها ما يكون خلفه ومنها ما يكون عن يمينه ومنها ما يكون
عن يساره ويهتدى بها فى الاسفار وفى البلاد وفى القبلة واوقات الليل والى الطرق فى مسالك البرارى والبحار
قال البلخى ليس فى قوله لتهتدوا بها ما يدل على انه لم يخلقها لغير ذلك بل خلقها سبحانه لامور جليلة عظيمة ومن فكر فى
صغر الصغير منها وكبر الكبير واختلاف مواقعها ومجاريها واتصالاتها وسيرها وظهور منافع الشمس والقمر فى نشو الحيوان
والنبات علم ان الامر كذلك ولو لم يخلقها الا للاهتداء لما كان لخلقها صغارا وكبارا واختلافها فى السير معنى وفى تفسير على
بن ابرهيم بن هاشم النجوم آل محمد صلى الله عليه وآله قد فصلنا الآيات اى بينا الحجج والبينات لقوم يعلمون اى يتفكرون فيعلمون
وهو الذى انشأكم اى ابدعكم وخلقكم من نفس واحدة اى من آدم عليه السلم لان الله تعالى خلقنا جميعا منه وخلق امنا حوا من
ضلع من اضلاعه ومن علينا بهذا لان الناس اذا رجعوا الى اصل واحد كان اقرب الى التواد والتعاطف والتالف فمستقر و

مستودع فقد ذكرناهما في الحجة واختلف في معناهما فقيل مستقر في الرحم الى ان يولد ومستودع في القبر الى ان يبعث عن عبد الله بن مسعود
وقيل مستقر في بطون الامهات ومستودع في اصلاب الاباء عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس وقيل مستقر على ظهر الارض في الدنيا
ومستودع عند الله في الآخرة عن مجاهد وقيل مستقرها ايام حياتها ومستودعها حيث تموت وحيث تبعث عن ابي العالية وقيل
مستقر في القبر ومستودع في الدنيا عن الحسن وكان يقول يا ابن آدم انت وديعة في اهلك ويوشك ان تلحق بصاحبك وانشد قول
لبيد وما المال والاهلون الا ودايع ولا بد يوما ان ترد الودايع وقال سليمان بن زيد العدوي في هذا المعنى فجع الاحبة
بالاحبة قبلنا فالناس مفجوع به ومفجع مستودع او مستقر فيه مدخلا فالمستقر يزوره المستودع قد فصلنا الآيات اي بينا الحجج
وميزنا الادلة لقوم يفقهون بمواقع الحجة ومواضع العبرة وانما خص الذين يعلمون ويفقهون لانهم المنتفعون بها كما قال هدى
للمتقين وكرر قوله قد فصلنا الآيات حثا على النظر وتنبيها على ان كلا مما ذكر آية ودلالة تدل على توحيد الله تعالى وصفاته العلى
قوله تعالى وهو الذي انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شيء فاخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل
من طلعها قنوان دانية وجنات من اعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه
ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون آية القراءة قرأ ابو بكر عن عاصم برواية ابي يوسف الاعشى والبرجمي وجنات بالرفع وهو قراءة
امير المؤمنين علي عليه السلام وعبد الله بن مسعود والاعمش ويحيى بن يعمر وقرأ الباقون وجنات على النصب وقرأ حمزة والكسائي
وخلف وثمره بضمتين وكذلك كلوا من ثمره وفي سورة يس ليأكلوا من ثمره وقرأ الباقون ثمره في الجميع بفتحتين الحجة من قرأ
وجنات فانه عطفها على قوله خضرا اي فاخرجنا من الماء خضرا وجنات من اعناب ومن قرأ وجنات بالرفع فانه عطفها على قنوان
لفظا وان لم يكن من جنسها كقول الشاعر متقلدا سيفا ورمحا ومن قرأ الى ثمره فالمراد جمع ثمرة مثل بقرة وبقر وشجرة وشجر ومن قرأ
ثمره بضمتين فيحتمل وجهين احدهما ان يكون جمع ثمرة وثمر مثل خشبة وخشب واكمة واكم قال الشاعر نحن الفوارس يوم ديسقة
المغشو الكماة غوارب الاكم ونظيره من المعتل قارة وقور وناقة ونوق وساحة وسوح قال الشاعر وكان سيان الا يسرحوا نعما
او يسرحوه بها واغبرت السوح والآخر ان يكون جمع ثمار على ثمر فيكون ثمر جمع الجمع اللغة خضر بمعنى اخضر يقال اخضر فهو خضر واخضر
اعور فهو عور واعور وفي الحديث ان الدنيا حلوة خضرة اي غضة ناعمة وذهب دمه خضرا مضرا اي باطلا واخذ الشيء خضرا
مضرا اي مجانا بغير ثمن وقيل غضا طريا وفلان اخضر الجلدة واخضر المنكب اي ذو سعة وخصب وقال الفضل بن عباس بن عتبة
بن ابي لهب وانا الاخضر من يعرفني اخضر الجلدة في بيت العرب من يساجلني يساجل ماجدا يملأ الدلو الى عقد الكرب ورسول الله
وابني عمه وعباس بن عبد المطلب وكتيبة خضراء اذا كان عليها سواد الحديد والعرب تسمي الاسود الاخضر وسمي سواد العراق
سوادا لكثرة خضرته ومتراكب متفاعل من الركوب وطلع النخل اول ما يبدو من ثمره وقد اطلع النخل والقنوان جمع قنو وهو العذق
بكسر العين اي الكباسة والعذق بفتح العين النخلة وقنوان وقنوان بكسر القاف وضمها لغتان وقنيان بالياء لغة تميم ودانية قريبة المتناول
والينع النضج يقال ينع الثمر ينعا وينعا وينوعا واينع اذا ادرك قال الشاعر في قباب وسط دسكرة حولها الزيتون قد ينعا وقيل الينع
جمع يانع مثل صاحب وصحب وتاجر وتجر المعنى ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال وهو الذي انزل من السماء ماء يريد من السحاب والعرب
تقول كل ما علاك واظلك فهو سماء فاخرجنا به نبات كل شيء والمعنى فاخرجنا بالماء الذي انزلناه من السماء من غذاء الانعام
والطير والوحش وارزاق بني آدم ما يتغذون به ويأكلون فينبتون عليه وينمون يريد بنبات كل شيء ما ينبت به كل شيء وينمو عليه
ويحتمل ان يكون المراد فاخرجنا به نبات جميع انواع النبات ليكون كل شيء هو اصناف النبات كقوله ان هذا لهو حق اليقين عن الفراء
والاول احسن وانما قال به لانه سبحانه جعله سببا مؤديا الى النبات لا مولدا له وقد يمكن الانبات بغيره فلا يقال انه علة ولا سبب
مولد فاخرجنا منه اي من الماء وقيل من النبات خضرا اي زرعا رطبا اخضر وهو ساق السنبلة نخرج منه اي من ذلك الزرع
الخضر حبا متراكبا قد تركب بعضه على بعض مثل سنبلة الحنطة والسمسم وغير ذلك ومن النخل اي ويخرج من النخل من طلعها قنوان
اي عذاق الرطب دانية اي قريبة التناول ولم يقل ومنها قنوان بعيدة لان في الكلام دليلا على ان البعيدة السحيقة من النخل

قد

قد كانت غير سحيقة فاجتزأ بذكر القريبة عن ذكر السحيقة كما قال سرابيل تقيكم الحر ولم يقل تقيكم البرد لان في الكلام دليلا على انها تقي
البرد لان ما ستر عن الحر ستر عن البرد عن الزجاج وقيل دانية دنت من الارض لكثرة ثمرها وثقل حملها وتقديره ومن النخل من طلعها
ما قنوانه دانية وانما خص الطلع بالذكر لما فيه من المنافع والاغذية الشريفة التي ليست في اكمام الثمار وجنات من اعناب اي بساتين من
اعناب ومن رفعه فتقديره ويخرج به جنات من اعناب والزيتون والرمان اي واخرجنا به الزيتون والرمان اي شجر الزيتون والرمان
وقرن الزيتون والرمان لانهما شجرتان تعرف العرب ان ورقهما يشتمل على الغصن من اوله الى آخره قال الشاعر بورك الميت الغريب
كما بورك نضح الرمان والزيتون ومعناه ان ورقهما يشتمل على العود كله مشتبها وغير متشابه اي مشتبها شجره يشبه بعضه بعضا
وغير متشابه في الطعم وقيل مشتبها ورقه مختلفا ثمره عن قتادة وقيل مشتبها في الخلق مختلفا في الطعم وقيل مشتبها ما كان من جنس واحد
وغير متشابه اذا اختلف جنسه عن الجبائي والاولى ان يقول ان جميع ذلك متشابه من وجوه مختلف من وجوه فيدخل فيه جميع ما تقدم انظروا
الى ثمره اذا اثمر اي انظروا الى خروج الثمار نظر الاعتبار وينعه اي نضجه ومعناه انظروا ابتداء خروجه اذا اثمر الى انتهائه اذا اينع وادرك كيف
ينتقل عليه الاحوال في الطعم واللون والرائحة والصغر والكبر لتستدلوا بذلك على ان له صانعا ومدبرا ان في ذلكم لآيات اي في خلق
هذه الثمار والزروع مع اتفاق جواهرها اجناسا مختلفة لا يشبه بعضها بعضا لدلالات على ان لها خالقا قاصدا الى تمييزها بينها
قبل خلقها عالما بها وانها تكونت بخلقه وتدبيره لقوم يؤمنون لانهم بها يستدلون وبمعرفة مدلولها ينتفعون قوله تعالى وجعلوا
لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون بديع السماوات والارض انى يكون له ولد
ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم آيتان القراءة قرأ اهل المدينة وخرقوا بالتشديد والباقون وخرقوا بالتخفيف
الحجة قال احمد بن يحيى خرق وخرّق واخترق بمعنى وقال ابو الحسن التخفيفة اعجب الي لانها اكثر والمعنى في القراءتين كذبوا وقد روي
في الشواذ عن ابن عباس وحرفوا بالحاء والفاء وهذا شاهد بكذبهم ايضا ومثله يحرفون الكلم عن مواضعه اللغة البديع بمعنى المبدع
والفرق بين الابداع والاختراع ان الابداع فعل ما لم يسبق الى مثله والاختراع فعل ما لم يوجد سبب له ولذلك يقال للبدعة
لما خالف السنة لانه احداث ما لم يسبق اليه ولا يقدر احد على الاختراع غير الله تعالى لان حده ما ابتدئ في غير محل القدرة عليه والقادر
بقدرة اما ان يفعل مباشرا وهو ما ابتدئ في محل القدرة او متولدا وهو ما يقع بحسب غيره ولا يقدر على الاختراع اصلا الاعراب
انتصاب الجن من وجهين احدهما ان يكون مفعولا اي جعلوا الجن لله شركاء ويكون شركاء مفعولا ثانيا كما قال وجعلوا الملائكة الذين
هم عباد الرحمن اناثا والآخر ان يكون الجن بدلا من شركاء ومفعولا اول سبحانه نصب على المصدر كانه قال تسبيحا لله وبديع خبر مبتدأ محذوف
تقديره وهو بديع السماوات ويجوز ان يكون مبتدأ وخبره انى يكون له ولد وانما تعدى بديع وهو فعيل لانه معدول عن مفعل
والصفة تعمل عمل ما عدلت عنه واذا لم تكن معدولة لم يتعد نحو طويل وقصير المعنى ثم رد سبحانه على المشركين وعجب من كفرهم
مع هذه البراهين والبينات فقال وجعلوا يعني المشركين لله شركاء الجن اخبر سبحانه انهم اتخذوا معه آلهة جعلوهم له اندادا
كما قال وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا واراد بالجن الملائكة وانما سماهم جنا لاستتارهم عن الاعين وهذا كما قال وجعلوا
الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا عن قتادة والسدي وقيل ان قريشا كانوا يقولون ان الله تعالى صاهر الجن فحدث بينهما
الملائكة فيكون على هذا القول المراد بالجن المعروف وقيل المراد بالجن الشياطين لانهم اطاعوا الشياطين في عبادة الاوثان عن الحسن
وخلقهم الهاء والميم عائدة عليهم اي جعلوا الذين خلقهم شركاء لا يخلقون ويجوز ان يكون الهاء والميم عائدة على الجن فيكون
المعنى والله خلق الجن فكيف يكونون شركاء له ويجوز ان يكون المعنى وخلق الجن والانس جميعا وروي ان يحيى بن يعمر قرأ وخلقهم
بسكون اللام اي وخلق الجن يعني ما يخلقونه ويأفكون فيه ويكذبونه كانه قال جعلوا للجن شركاء وافكهم شركاء لانه له شركا
له عنى بذلك الاصنام ونحوها وقيل ان المعني بالآية المجوس اذ قالوا يزدان واهرمن وهو الشيطان عندهم فنسبوا خلق
المؤذيات والشرور والاشياء الضارة الى اهرمن وجعلوه بذلك شريكا له ومثلهم الثنوية القائلون بالنور والظلمة.

وخرقوا له بنين وبنات اي اختلقوا وموهوا وافتروا الكذب على الله ونسبوا البنين والبنات الى الله فان المشركين قالوا الملائكة بنات الله
والنصارى قالوا المسيح ابن الله واليهود قالوا العزير ابن الله بغير علم اي بغير حجة ويجوز ان يكون معناه بغير علم منهم بما عليهم عاجلا واجلا
ويجوز ان يكون معناه بغير علم منهم بما قالوا على حقيقة لكن جهلا منهم بالله تعالى وبعظمته سبحانه اي تنزيها لله عما يقولون وتعالى عما يصفون
من ادعائهم له شركاء واختراقهم له بنين وبنات اي هو عال من ان يوصف بما وصفوه به وانما صار اتخاذ الولد نقصا لانه لا يخلو
من ان يكون ولادة او تبنيا وكلاهما يوجب التشبيه ومن اشبه المحدث كان على صفة نقص بديع السموات والارض اي مبدعهما
ومنشئهما بعلمه ابتداء لا من شيء ولا على مثال سبق وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلام انى يكون له ولد اي كيف يكون له ولد ومن اين يكون
ولم تكن له صاحبة اي زوجة وانما يكون الولد من الصاحبة فيما يتعارفون وخلق كل شيء اي ففي الصاحبة والولد فان من خلق الاشياء
لا يكون شيء من خلقه صاحبة له ولا ولدا له لان الاشياء كلها مخلوقة له فكيف يتعزز بالولد ويتكثر به وهو بكل شيء عليم يعلم الاشياء
كلها موجودها ومعدومها لا يخفى عليه خافية ومن قال ان في قوله وخلق كل شيء دلالة على خلق افعال العباد فجوابه ان المفهوم منه
انما اراد المخلوقات كلها كما يفهم المأكولات من قول من قال اكلت كل شيء والمخلوقات كلها بما فيها من التقدير العجيب يضاف فعلها
اليه سبحانه على انه سبحانه قد نزه نفسه عن افعال العباد وكذبهم فلو كان خلقا له لما نزه عنه قوله تعالى ذلكم الله ربكم لا اله
الا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير آيتان
اللغة الوكيل على الشيء هو الحافظ الذي يحوطه ويدفع الضرر عنه وانما وصف سبحانه نفسه بانه وكيل مع انه مالك للاشياء
لانه لما كانت منافعها لغيره ولا يستحق المنافع عليه والمضار صحت هذه الصفة له وقيل الوكيل من توكل اليه الامور يقال وكلت اليه هذا
الامر اي وليته تدبيره والمؤمن يتوكل على الله اي يفوض امره اليه والادراك واللحاق واحد يقال ادرك قتادة الحسن اي لحقه وادرك
الطعام نضج وادرك الزرع بلغ منتهاه وادرك الغلام بلغ ولحق حال الرجولية وادركته ببصري لحقته ببصري وتدارك القوم
تلاحقوا ولا يكون الادراك بمعنى الاحاطة لان الجدار محيط بالدار وليس بمدرك لها والبصر الحاسة التي تقع بها الرؤية الاعراب
خالق كل شيء خبر مبتدأ محذوف ويجوز ان يكون صفة ربكم وكان يجوز نصبه على الحال لانه نكرة اتصل بمعرفة بعد تمام المعنى
لما قدم سبحانه ذكر الادلة على وحدانيته عقبه بتنبيه عباده على انه لا اله المستحق للطاعة العبادة وتعليمهم الاستدلال بها فنبه عليه
فقال ذلكم اي ذلك الذي خلق هذه الاشياء ودبر هذه التدابير لكم ايها الناس هو الله ربكم اي خالقكم ومالككم ومدبركم و
سيدكم لا اله الا هو خالق كل شيء اي كل مخلوق من الاجسام والاعراض التي لا يقدر عليها غيره فاعبدوه لانه المستحق للعبادة
وهو على كل شيء وكيل اي حافظ ومدبر وحفيظ على خلقه فهو وكيل على الخلق ولا يقال وكيل لهم لا تدركه الابصار اي لا تراه
العيون لان الادراك متى قرن بالبصر لم يفهم منه الا الرؤية كما انه اذا قرن بآلة السمع فقيل ادركته باذني لم يفهم منه الا السماع
وكذلك اذا اضيف الى كل واحد من الحواس افاد ما تلك الحاسة آلة فيه فقولهم ادركته بفمي معناه وجدت طعمه وادركته بانفي
معناه وجدت رائحته وهو يدرك الابصار تقديره ولا تدركه ذوو الابصار وهو يدرك ذوي الابصار اي المبصرين ومعناه
انه يرى ولا يرى وبهذا خالف سبحانه جميع الموجودات لان منها ما يرى ويرى كالاحياء ومنها ما يرى ولا يرى كالجمادات
والاعراض المدركة ومنها ما لا يرى ولا يرى كالاعراض غير المدركة فالله سبحانه خالف جميعها وتفرد بان يرى ولا يرى و
تمدح سبحانه في الاية بمجموع الامرين كما تمدح في الاية الاخرى بقوله وهو يطعم ولا يطعم وروى العياشي باسناده المتصل
ان الفضل بن سهل ذا الرياستين سال ابا الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام فقال اخبرني عما اختلف الناس فيه من الرؤية
فقال من وصف الله بخلاف ما وصف به نفسه فقد اعظم الفرية على الله لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهذه
الابصار ليست هي الاعين انما هي الابصار التي في القلوب لا يقع عليه الاوهام ولا يدرك كيف هو وهو اللطيف الخبير
وقيل في معناه وجوه احدها انه اللطيف بعباده بسبوغ الانعام عليهم عدل عن وزن فاعل الى فعيل للمبالغة والثاني

ان

ان معناه لطيف التدبير الا انه حذف لدلالة الكلام عليه والثالث ان اللطيف الذي يستقل الكثير من نعمه ويستكثر القليل من
طاعة عباده والرابع ان اللطيف الذي اذا دعوته لباك وان قصدته آواك وان احببته ادناك وان اطعته كافاك وان عصيته
عافاك وان اعرضت عنه دعاك وان اقبلت اليه هداك والخامس اللطيف من يكافي الوافي ويعفو عن الجافي والسادس اللطيف
من يعز المفتقر اليه ويغني المفتقر اليه والسابع اللطيف ان يكون عطاؤه خيرة ومنعه ذخيرة الخبير العليم بكل شيء من مصالح عباده
فيدبرهم عليها وبافعالهم فيجازيهم عليها قوله تعالى قد جاءكم بصائر من ربكم فمن ابصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما انا
عليكم بحفيظ وكذلك نصرف الايات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون آيتان القراءة قرا ابن كثير وابو عمرو
دارست وقرا ابن عامر ويعقوب وسهل درست بفتح السين وسكون التاء والباقون درست وفي قراءة عبد الله وابي درس اي
ليقولوا درس محمد وروي عن ابن عباس درست الحجة من قرا دارست فمعناه انك دارست اهل الكتاب وذاكرتهم ويقويه قوله
واعانه عليه قوم آخرون ومن قرا درست فحجته ان ابن مسعود قرا درس فاسند الفعل فيه الى الغيبة كما اسند الى الخطاب في من
قرا درست فهو من الدروس الذي هو تعفي الاثر اي امحت ويكون اللام في ليقولوا على هذا بمعنى كراهة ان يقولوا او لان لا
يقولوا انها اخبار قد تقدمت وطال العهد بها وباد من كان يعرفها لان تلك الاخبار لا تخلو من خلل فاذا سلم الكتاب منه لم
يكن لطاعن فيه مطعن واما على القراءتين الاولتين فاللام في ليقولوا كالتي في قوله ليكون لهم عدوا وحزنا ولم يلتقطوه لذلك
كما لم يصرف الايات ليقولوا درست او دارست ولكن لما قالوا ذلك اطلق على هذا الاتساع واما قراءة ابن عباس درست ففيه
ضمير الايات ومعناه درستها انت يا محمد ويجوز ان يكون معناه عفت وتنوسيت فيكون كقولهم ان هذا الا اساطير الاولين
اللغة البصيرة البينة والدلالة التي يبصر بها الشيء على ما هو به والبصائر جمعها والبصيرة مقدار الدرهم من الدم
والبصيرة الترس والبصيرة الثأر والدية قال الشاعر جاؤوا بصائرهم على اكتافهم وبصيرتي يعدو بها عتد وأى اي اخذوا
الديات فصارت عارا وبصيرتي على فرسي اطلب بها ثاري وقيل اراد دماءهم على اكتافهم لم يثأروا بها وقال الازهري البصيرة
ما اعتقد في القلب من تحقيق الشيء والثقة تكون على الحجاب والابصار الادراك بحاسة البصر والدرس استمرار التلاوة ودرس الاثر
دروسا اذا امحى لاستمرار الزمان به ودرست الريح الاثر درسا محته باستمرارها عليه الاعراب وكذلك موضع الكاف منه نصب
يكون صفة للمصدر اي تصريفا مثل ذلك التصريف واللام في ليقولوا معطوف على محذوف تقديره ليجحدوا او ليقولوا درست واللام
لام العاقبة المعنى ثم بين سبحانه انه بعد هذه الايات قد ازاح العلة للمكلفين فقال قد جاءكم ايها الناس بصائر بينات ودلالات
من ربكم تبصرون بها الهدى من الضلال وتميزون بها بين الحق والباطل ووصف البينة بانها جاءت تفخيما لشأنها كما تقول جاءت
العافية وانصرف المرض واقبل السعد فمن ابصر فلنفسه اي من تبين هذه الحجج بان نظر فيها حتى اوجبت له العلم فمنفعة ذلك
يعود عليه ولنفسه نظر ومن عمي فلم ينظر فيها وصدف عنها حتى جهل فعليها اي على نفسه وباله وبها اضر اياها ضرر ثم امر سبحانه
نبيه صلى الله عليه وآله ان يقول لهم وما انا عليكم بحفيظ اي لست انا الرقيب على اعمالكم قال الزجاج معناه لست آخذكم بالايمان
اخذ الحفيظ عليكم والوكيل وهذا قبل الامر بالقتال فلما امر النبي صلى الله عليه وآله حفيظا عليهم ومسيطرا على من تولى وكذلك
اي وكما صرفنا الايات قبل نصرف هذه الايات قال علي بن عيسى التصريف اجراء المعنى الدائر في المعاني المتعاقبة فلما كانت
الاية دائرة في وجوه المعاني المتعاقبة كان ذلك تصريفا لها وكذلك كل معنى تصرف في المعاني المتعاقبة ليصح فيه وجوه الفائدة
وليقولوا درست ذلك يا محمد اي تعلمته من اليهود قال الزجاج وهذه اللام تسميها اهل اللغة لام الصيرورة اي ان السبب الذي
اداهم الى ان قالوا درست هو تلاوة الايات وكذلك دارست اي دارست اهل الكتاب وقارأتهم وذاكرتهم عن الحسن ومجاهد
والسدي وابن عباس ولنبينه لقوم يعلمون معناه لنبين الذي هذه الايات دالة عليه للعلماء الذين يعقلون ما نورد
عليهم وانما خصهم بذلك لانهم انتفعوا به دون غيرهم قوله تعالى اتبع ما اوحي اليك من ربك لا اله الا هو واعرض عن
المشركين ولو شاء الله ما اشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا وما انت عليهم بوكيل آيتان اللغة الاتباع ان يسير في

الاول الثاني بتصرف الاول والنبي صلى الله عليه وآله كان يتصرف في الدين بتصرف الوحي فلذلك كان متبعا وكذلك كل متدبر سديد
فهو متبع له والايحاء هو القاء المعنى الى النفس على وجه يخفى والاعراض اصله الانصراف بالوجه الى جهة العرض ومنه واعرضت اليمامة
واشمخرت كاسياف بايدي مصلتينا اي ظهرت كالظهور بالعرض ومنه المعارضة لظهور المساواة بها كالظهور بالعرض والاعراض
المنع من الشيء بحاجز عنه عرضا ومنه العرض الذي يظهر كالظهور بالعرض ثم لا يلبث وحد ايضا بانه ما يظهر في الوجود ولا يكون
له لبث كلبث الجواهر المعنى ثم امر سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله باتباع الوحي فقال اتبع ايها الرسول ما اوحي اليك من ربك
لا اله الا هو انما اعاد هذا المراد دعهم الى انه لا اله الا هو عن الحسن وقيل معناه ما اوحي اليك من انه لا اله الا هو واعرض عن المشركين
قال ابن عباس نسخ ذلك آية القتال وقيل معناه اهجرهم ولا تخالطهم ولا تلاطفهم ولم يرد به الاعراض عن دعائهم الى الله تعالى وحكمه ثابت
ولو شاء الله ما اشركوا اي لو شاء الله ان يتركوا الشرك قهرا او اجبارا لاضطرهم الى ذلك لكنه لم يضطرهم اليه بما ينافي التكليف
امرهم بتركه اختيارا ليستحقوا الثواب والمدح عليه فلم يتركوه فاتوا من قبل نفوسهم وفي تفسير اهل البيت عليهم السلام لو شاء الله ان يجعلهم
كلهم مؤمنين معصومين حتى كان لا يعصيه احد لما كان يحتاج الى جنة ولا نار لكنه امرهم ونهاهم وامتحنهم واعطاهم ما له عليهم به
الحجة من الآلة والاستطاعة ليستحقوا الثواب والعقاب وما جعلناك عليهم حفيظا مراقبا لاعمالهم وما انت عليهم بوكيل
اي لست بموكل عليهم بذلك وانما انت رسول عليك البلاغ وعلينا الحساب وجمع بين حفيظ ووكيل لاختلاف معنى اللفظين
فان الحافظ للشيء هو الذي يصونه عما يضره والوكيل على الشيء هو الذي يجلب الخير اليه قوله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من
دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل امة عملهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون آية القراءة
قرأ يعقوب عدوا بضم العين والدال وتشديد الواو وهو قراءة الحسن وابي رجاء وقتادة وقرأ الباقون عدوا بفتح العين وسكون
الدال الحجة العدو والعدو جميعا الظلم والتعدي للحق ومثلهما العدوان والعداء وانما انتصب عدوا لانه مصدر في موضع
الحال اللغة السب الذكر القبيح ومثله الشتم والذم واصله السبب كانه تسبب الى ذكره بالقبيح وسبك الذي يسابك
قال لا تسبنني فلست بسبي ان سبي من الرجال الكريم وقيل اصل السب القطع النزول قال ابن عباس لما نزلت انكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم قال المشركون يا محمد لتنتهين عن سب آلهتنا او لنهجون ربك فنزلت الآية وقال قتادة كان المسلمون
يسبون اصنام الكفار فنهاهم الله عن ذلك لئلا يسبوا الله فانهم قوم جهلة المعنى ثم نهى الله سبحانه المؤمنين ان يسبوا الاصنام
لما في ذلك من المفسدة فقال ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله اي لا تخرجوا من دعوة الكفار ومحاجتهم الى ان تسبوا ما يعبدون
من دون الله فان ذلك ليس من الحجاج في شيء فيسبوا الله عدوا اي ظلما بغير علم وانتم اليوم غير قادرين على معاقبتهم بما يستحقون
لان الدار دارهم ولم يؤذن لكم في القتال وانما قال من دون الله لان المعنى يدعونها آلهة وفي هذا دلالة على انه لا ينبغي لاحد ان يفعل
او يقول ما يؤدي الى معصية غيره وسئل ابو عبد الله عليه السلام عن قول النبي صلى الله عليه وآله ان الشرك اخفى من دبيب النمل
على صفوانة سوداء في ليلة ظلماء فقال كان المؤمنون يسبون ما يعبد المشركون من دون الله فكان المشركون يسبون ما يعبد المؤمنون
فنهى الله المؤمنين عن سب آلهتهم لكي لا يسب الكفار اله المؤمنين فيكون المؤمنون قد اشركوا من حيث لا يعلمون كذلك
كذلك زينا لكل امة عملهم قيل في معناه اقوال احدها ان المراد كما زينا لكم اعمالكم زينا لكل امة من قبلكم اعمالهم من الدعاء
الى الله تعالى وترك السب للاصنام ونهيناهم ان يأتوا من الافعال ما ينفر الكفار عن قبول الحق عن الحسن والجبائي وسمي ما يجب على
الانسان ان يعمله بانه عمله كما تقول لولدك او لامك اعمل عملك اي ما ينبغي لك ان تفعله وثانيها ان معناه كذلك زينا لكل امة
عملهم بميل الطبائع اليه ولكن قد عرفناهم الحق معه ليأتوا الحق ويجتنبوا الباطل وثالثها ان المراد زينا عملهم بذكر ثوابه وهو كقوله
ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان بما يجب الايمان بذكر ثوابه ومدح فاعله
على فعله وكره الكفر بذكر عقابه وذم فاعله على فعله ولم يرد سبحانه انه زين على الكافرين لان ذلك يقتضي الدعاء اليه والله تعالى
ما دعا احدا الى معصيته لكن نهى عنها وذم فاعلها وقد قال سبحانه وزين لهم الشيطان اعمالهم ولا خلاف ان المراد بذلك

الكفر والمعاصي وفي ذلك دلالة على ان المراد به في الآية تزيين اعمال الطاعة ثم الى ربهم مرجعهم اي مصيرهم فينبئهم بما كانوا
يعملون اي اعمالهم من الخير والشر نهى الله سبحانه في هذه الآية عن سب الاصنام لئلا يؤدي ذلك الى سبه فاذا كان سبحانه لا يريد
ما ربما يكون سببا الى سبه فلان لا يريد سب نفسه اولى واجدر وايضا فاذا لم يرد سب الاصنام اذ كان زيادة في كفر الكافرين
فلان لا يريد كفرهم احرى فبطل قول المجبرة قوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الآيات
عند الله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون
آيتان القراءة قرأ ابن كثير واهل البصرة وابو بكر عن عاصم ونصير عن الكسائي وخلف انها بكسر الالف وقرأ الباقون انها بفتح الالف
وقرأ ابن عامر وحمزة لا تؤمنون بالتاء والباقون يؤمنون بالياء وفي الشواذ ويذرهم بالياء والجزم قراءة الاعمش الحجة قال ابو علي
وما يشعركم ما فيه استفهام وفاعل يشعركم ضمير ما ولا يجوز ان يكون نفيا لان الفعل فيبقى بلا فاعل فان قلت يكون ما نفيا وفاعل يشعركم
ضمير اسم الله تعالى قيل ذلك لا يصح لان التقدير يصير وما يشعركم الله انتفاء ايمانهم وهذا لا يستقيم لان الله تعالى قد اعلمنا انهم لا يؤمنون
بقوله ولو اننا نزلنا الآية واذا قدرت ان يكون ما للنفي بقيت انها للاستفهام ويكون اسما فيصير في الفعل ضميره ويكون المعنى وما يدريكم
ايمانهم فحذف المفعول وحذف المفعول كثير ثم قال انهم لا يؤمنون مع مجيء الآية فمن كسر الهمزة فانه استأنف على القطع بانهم لا يؤمنون
ومن فتح الهمزة جاز ان يكون يشعركم مفعولا من شعرت الشيء وشعرت به مثل دريته ودريت به في انه يتعدى مرة بحرف ومرة بلا حرف فاذا
عديته بالحرف جاز ان يكون ان في قول من جعلها بمعنى لعل في موضع جر لان الكلام لما طال صار كالبدل منه وجاز ان يكون في موضع
نصب فالوجه في هذه القراءة على تأويلين احدهما ان يكون بمعنى لعل كقول الشاعر وهو دريد بن الصمة ذريني اطوف في البلاد لعلني ارى
ما ترين او بخيلا مخلدا وقال الآخر عوجوا بنا لانا نرى العرصات او اثر الخيام وقال عدي بن زيد اعاذل ما يدريك ان
منيتي الى ساعة في اليوم او في ضحى الغد اي لعل منيتي فالمعنى وما يشعركم لعلها اذا جاءت لا يؤمنون وهذا ما فسره الخليل
بقولهم ائت السوق انك تشتري لنا شيئا اي لعلك وقد جاء في التنزيل لعل بعد العلم قال سبحانه وما يدريك لعله يزكى وما يدريك
لعل الساعة قريب والتأويل الآخر الذي لم يذهب اليه الخليل وسيبويه ان يكون لا في قوله لا يؤمنون زائدة والتقدير وما يشعركم
انها اذا جاءت يؤمنون ومثل لا هذه في كونها في تأويل زائدة وفي آخر غير زائدة قول الشاعر ابى جوده لا البخل واستعجلت به نعم
من فتى لا يمنع الجوع قاتله ينشد ابى جوده لا البخل ولا البخل فمن نصب البخل جعلها زائدة كانه قال ابى جوده البخل ومن قال لا
البخل اضاف لا الى البخل ووجه القراءة بالياء في يؤمنون ان المراد بهم قوم مخصوصون بدلالة قوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الآية
وليس كل الكفار بهذه الصفة اي يؤمن هؤلاء المقسمون ووجه القراءة بالتاء انه انصراف من الغيبة الى الخطاب والمراد بالمخاطبين
هم الغيب المقسمون الذين اخبر عنهم انهم لا يؤمنون ومن قرأ ويذرهم فانه اسكن المرفوع تخفيفا اللغة الجهد بالفتح المشقة وبالضم
الطاقة وقيل الجهد بالفتح المبالغة وقوله جهد ايمانهم اي بالغوا في اليمين واجتهدوا فيه وهو منصوب على المصدر لانه مضاف
الى المصدر والمضاف الى المصدر مصدر والايمان جمع اليمين واليمين هي القسم والتقدير واقسموا اقساما جهد ايمانهم النزول
قالت قريش يا محمد تخبرنا ان موسى كان معه عصا ضرب بها الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا وتخبرنا ان عيسى كان يحيي الموتى
وتخبرنا ان ثمود كانت لهم ناقة فأتنا بآية من الآيات حتى نصدقك فقال رسول الله صلى الله عليه وآله اي شيء تحبون ان آتيكم به
قالوا اجعل لنا الصفا ذهبا وابعث لنا بعض موتانا حتى نسألهم عنك احق ما تقول ام باطل وارنا الملائكة يشهدون لك او ائتنا
بالله والملائكة قبيلا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله فان فعلت بعض ما تقولون اتصدقونني قالوا نعم والله لئن فعلت
لنتبعنك اجمعين وسأل المسلمون رسول الله صلى الله عليه وآله ان ينزلها عليهم حتى يؤمنوا فقام رسول الله صلى الله عليه وآله
يدعو ان يجعل الصفا ذهبا فجاء جبرئيل فقال له ان شئت اصبح الصفا ذهبا ولكن ان لم يصدقوا عذبتهم وان شئت تركتهم
حتى يتوب تائبهم فقال صلى الله عليه وآله بل يتوب تائبهم فانزل الله تعالى هذه الآية عن الكلبي ومحمد بن كعب القرظي المعنى ثم بين
سبحانه حال الكفار الذين سألوه الآيات فقال واقسموا بالله اي حلفوا بالله جهد ايمانهم اي مجدين مجتهدين مظهرين الوفاء

لئن جاءتهم اية عاينوها ليؤمنن بها قل يا محمد انما الايات اى الاعلام والمعجزات عند الله واسعا ملكها والقادر عليها فلو علم صلاحا
في انزالها لانزلها وما يشعركم الخطاب متوجه الى المشركين عن مجاهد وابن زيد وقيل هو متوجه الى المؤمنين عن الفراء وغيره لانهم ظنوا
انهم لو اجيبوا الى الايات لامنوا انها اذا جاءت لا يؤمنون قد مر معناه ونقلب افئدتهم وابصارهم اخبر سبحانه انه يقلب افئدة هؤلاء
الكفار وابصارهم عقوبة لهم وفي كيفية تقليبهما قولان احدهما انه يقلبهما في جهنم على لهب النار وحر الجمر كما لم يؤمنوا به اول مرة في الدنيا
عن الجبائي قال وجمع بين صفتهم في الدنيا وصفتهم في الاخرة كما قال وجوه يومئذ خاشعة يعني في الاخرة عاملة ناصبة يعني في الدنيا
فان المعنى نقلب افئدتهم وابصارهم بالحيرة التي تعم وتزعج النفس وقوله كما لم يؤمنوا به اول مرة قيل انه متصل بما قبله وتقديره واقسموا بالله
ليؤمنن بالاية والله تعالى قد قلب قلوبهم وابصارهم وعلم ان فيها خلاف ما يقولون فقال قد قلب هذه المثلة وقلب هنا الامر اذا عرف
حقيقته ووقف عليه وما يدريكم انها اذا جاءت لا يؤمنون كما لم يؤمنوا به بما انزل من الايات اول مرة عن ابن عباس ومجاهد وقيل معناه
لو اعيدوا الى الدنيا ثانية لم يؤمنوا به كما لم يؤمنوا به اول مرة في الدنيا كما قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه عن ابن عباس في رواية اخرى
وقيل معناه يجازيهم في الاخرة كما لم يؤمنوا به في الدنيا عن الجبائي والهاء في به يحتمل ان يكون عائدة الى القران وما انزل من الايات
ويحتمل ان يكون عائدة الى النبي صلى الله عليه واله ونذرهم في طغيانهم اى نخليهم وما اختاروه فلا نحول بينهم وبينه يعمهون اى يترددون
قال الحسين بن علي المغربي قوله ونقلب افئدتهم وابصارهم حشو بين الجملتين ومعناه انا نحيط علما بذات الصدور وخائنة الاعين
اى نختبر قلوبهم فنجد باطنها بخلاف ظاهرها قوله تعالى ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا
ليؤمنوا الا ان يشاء الله ولكن اكثرهم يجهلون اية القراءة قرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب قبلا بضمتين هنا وفي الكهف
قبلا بكسر القاف وفتح الباء وقرا ابو جعفر هنا بكسر القاف وفي الكهف بالضم وقرا نافع وابن عامر قبلا بكسر القاف في الموضعين وقرا
الكوفيون بضم القاف في السورتين الحجة قال قبلا يحتمل ان يكون جمع قبيل يعني الكفيل ويجوز ان يكون بمعنى الصنف كما فسره ابو عبيدة ويجوز
ان يكون بمعنى قبل اى مواجهة كما فسره ابو زيد في قوله لقيت فلانا قبلا وقبلا وقبلا ومقابلة وقبيلا كله واحد وهو المواجهة
فالمعنى على القراءتين في قوله واحد وان اختلف اللفظان اللغة الحشر الجمع مع سوق وكل جمع حشر المعنى ثم بين سبحانه انهم في
عنادهم وترددهم في طغيانهم وكفرهم فقال ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة حتى يروهم عيانا يشهدون لنبينا صلى الله عليه واله بالرسالة
وكلمهم الموتى اى واحيينا الموتى حتى كلموهم بالتوحيد وشهدوا لمحمد بالرسالة وحشرنا اى جمعنا عليهم كل شيء اى كل اية وقيل كل ما
سالوه قبلا اى معاينة ومقابلة حتى يواجهوها عن ابن عباس وقتادة ومعناه انهم من شدة عنادهم وتركهم الانقياد والاذعان
للحق يشكون في المشاهدات التي لا يشك فيها ومثله قوله وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم وقبلا اى قبيلا
قبيلا يعني جماعة جماعة عن مجاهد هذا اذا حملت قبلا على جمع القبيل الذي هو الصنف وانما كانت تحسن هذه الاية لانه ليس في
العرف ان يجتمع جميع الاشياء ويحشر الى موضع وقيل كفلا عن الفراء وهذا الوجه فيه بعد لانهم اذا لم يؤمنوا عند انزال الملائكة
اليهم وكلام الموتى فان لا يؤمنوا بالكفالة اجدر الا ان يكون المراد حشر كل شيء وفي الاشياء المحشورة ما لا ينطق فاذا نطق بالكفالة
ما لا ينطق كان خارقا للعادة ما كانوا ليؤمنوا عند هذه الايات الا ان يشاء الله ان يجبرهم على الايمان عن الحسن وهو
المروي عن اهل البيت عليهم السلام والمعنى انهم لا يؤمنون مختارين الا ان يكرهوا ولكن اكثرهم يجهلون ان الله تعالى قادر على
ذلك وقيل معناه يجهلون انهم لو اوتوا ما سالوا لم يؤمنوا طوعا وقيل معناه يجهلون مواضع المصلحة فيطلبون ما لا فائدة فيه وفي
الاية دلالة على ان الله سبحانه لو علم انه اذا فعل ما اقترحوه عليه من الايات امنوا لفعل ذلك ولكان ذلك من الواجب في حكمته
لانه لو لم يجب ذلك لم يكن لتعليله بانه لم يظهر هذه الايات لعلمه بانه لو فعلها لم يؤمنوا معنى وفيها ايضا دلالة على ان الارادة
محدثة لان الاستثناء يدل على ذلك اذ لو كانت قديمة لم يجز هذا الاستثناء ولم يصح كما كان لا يصح لو قال ما كانوا
ليؤمنوا الا ان يعلم الله والا ان يقدر لان الله لم يزل هاتين الصفتين فيما لم يزل ومتى قيل ولم لا يقال انهم لم يؤمنوا
لانه سبحانه يعلم انه لم يشاء فالقول فيه انه لو كان كذلك لكان وقوع الايمان منهم موقوفا على المشية سواء كانت الايات

اولم تكن وفي هذا ابطال الايات قوله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض
زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالاخرة
وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون اية القراءة في الشواذ عن الحسن ولتصغى وليرضوه وليقترفوا بسكون اللام في الجميع وفي القراءة
الظاهرة بكسر اللام في سائرها الحجة قال ابو الفتح هذه اللام هي الجارة اعني لام كي وهي معطوفة على الغرور من قوله يوحي بعضهم الى بعض
زخرف القول غرورا اى للغرور ولان تصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالاخرة وليرضوه وليقترفوا الا ان اسكان هذه اللام شاذ في
الاستعمال على قوته في القياس لان هذا الاسكان انما كثر عنهم في لام الامر نحو قوله وليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا وانما
سكنت تخفيفا لثقل الكسرة فيها وفرقوا بينها وبين لام كي بان لم يسكنوها وكانهم انما اختاروا السكون للام الامر والتحريك
للام كي من حيث كانت لام كي نائبة في اكثر الامر عن ان وهي ايضا في جواب كان سيفعل اذا قلت ما كان ليفعل محذوف مع اللام البتة
فلما نابت عنها قووها باقرار حركتها فيه لان الحرف المتحرك اقوى من الساكن والاقوى اشبه بان ينوب عن غيره من الاضعف
اللغة المزخرف المزين يقال زخرفه زخرفة اذا زينه والزخرف كمال حسن الشيء وفي الحديث انه عليه السلام لم يدخل الكعبة حتى
امر بالزخرف فنحي قيل كانت نقوش وتصاوير زينت الكعبة بها وقيل المراد بالزخرف الذهب والغرور ما له ظاهر تحبه وفيه
باطن مكروه والشيطان غرور لانه يحمل على محاب النفس ووراءه سوء العاقبة وبيع الغرر ما لا يكون على ثقة وصغوت
اليه اصغو صغوا وصغوا وصغيت اليه ايضا واصغيت اليه اصغاء بمعنى قال الشاعر ترى السفيه به عن كل محكمة
زيغ وفيه الى التشبيه اصغاء ويقال اصغيت الاناء اذا املته ليجتمع ما فيه ومنه الحديث كان رسول الله صلى الله عليه واله
يصغي الاناء للهرة والاصل فيه الميل الى الشيء لغرض من الاغراض والاقتراف اكتساب الاثم ويقال خرج يقترف لاهله اى يكتسب
لهم وقارف فلان هذا الامر اذا واقعه وعمله وقرفني بالذنب واقترفه عليه وقرفه بما ادعاه عليه اى رماه بالريبة وقرف القرحة
اى قشر منها واقترف كذبا الاعراب نصب عدوا على احد وجهين اما ان يكون مفعول جعلنا وشياطين بدلا منه ومفسرا له
وعدو في معنى اعداء واما ان يكون اصله جرا ويكون هنا مفعولا ثانيا لجعلنا على تقدير جعلنا شياطين الانس والجن عدوا
اى اعداء وقوله غرورا نصب على المصدر من معنى الفعل المتقدم لان معنى ايحاء الزخرف من القول معنى الغرور فكانه قال
يغرون غرورا عن الزجاج وقيل انه مفعول له عن ابن جني وقيل نصب على البدل من زخرف عن ابي مسلم المعنى ثم بين سبحانه
ما كان عليه حال الانبياء مع اعدائهم تسلية لنبيه صلى الله عليه واله فقال وكذلك جعلنا لكل نبي شياطين
الانس والجن اى وكما جعلنا لك شياطين الانس والجن اعداء كذلك جعلنا لمن تقدمك من الانبياء واممهم وقيل
في معنى قوله وجعلنا هنا وجوه احدها ان المراد كما امرناك بعداوة قومك من المشركين فقد امرنا من قبلك بمعاداة
اعدائهم من الجن والانس ومتى امر الله رسوله بمعاداة قوم من المشركين فقد جعلهم اعداء له وقد يقول الامير لمبارزة عن عسكره
جعلت فلانا قرنك في المبارزة وانما يعني بذلك انه امره بمبارزته لانه اذا امره بمبارزته فقد جعل من يبارزه قرنا له
وثانيها ان معناه حكمنا بانهم اعداء واخبرنا بذلك ليعاملوهم معاملة الاعداء في الاحتراز عنهم والاستعداد لدفع شرهم
وهذا كما يقال جعل القاضي فلانا عدلا وفلانا فاسقا اذا حكم بعدالة هذا وفسق ذاك وثالثها ان المراد خلينا بينهم وبين
اختيارهم العداوة لم نمنعهم من ذلك كرها ولا جبرا لان ذلك يزيل التكليف ورابعها انه سبحانه انما اضاف ذلك الى
نفسه لانه لما ارسل اليهم الرسل وامرهم بدعائهم الى الاسلام والايمان وخلع ما كانوا يعبدونه من الاصنام والاوثان
نصبوا عند ذلك العداوة لانبيائه ومثله قوله سبحانه مخبرا عن نوح فلم يزدهم دعائي الا فرارا والمراد بشياطين الانس
والجن مردة الكفار من الفريقين عن الحسن وقتادة ومجاهد وقيل ان شياطين الانس الذين يغوونهم وشياطين
الجن الذين هم من ولد ابليس عن السدي وعكرمة وفي تفسير الكلبي عن ابن عباس ان ابليس جعل جنده فريقين فبعث فريقا
منهم الى الانس وفريقا الى الجن فشياطين الانس والجن اعداء الرسل والمؤمنين فتلتقي شياطين الانس وشياطين الجن كل

حين فيقول بعضهم لبعض اضللت صاحبى بكذا فاضل صاحبك بمثلها فذلك وحى بعضهم الى بعض وروى عن ابى جعفر عليه السلام انه قال الشياطين يلقى بعضهم بعضا فيلقى اليه ما يغوى به الخلق يعنى يتعلم بعضهم من بعض يوحى اى يوسوس ويلقى خفية بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا اى المموه المزين الذى يحسن ظاهره ولا حقيقة له ولا اصل غرورا اى يغرونهم بذلك اى ليغروهم بذلك ولو شاء ربك ما فعلوه اخبر سبحانه انه لو شاء ان يمنعهم من ذلك جبرا ويحول بينهم وبينه لقدر على ذلك ولو حال بينهم وبينه لما فعلوه ولكنه خلى بينهم وبين اختيارهم ابقاء للتكليف وامتحانا للمكلفين وقيل معناه لو شاء ربك لمنعهم بان ينزل عليهم عذابا واية فظل اعناقهم لها خاضعين فذرهم وما يفترون اى دعهم وافتراءهم الكذب فانى اجازيهم واعاقبهم امر سبحانه نبيه صلى الله عليه واله بان يخلى بينهم وبين ما اختاروه ولا يمنعهم منه بالقهر تهديدا لهم كما قال اعملوا ما شئتم دون ان يكون امرا واجبا او ندبا ولتصغى اليه اى ولتميل الى هذا القول او الى هذا القول المزخرف افئدة اى قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة والعامل فى قوله ولتصغى قوله يوحى ولا يجوز ان يكون العامل فيه جعلنا لان الله سبحانه لا يجوز ان يريد اصغاء القلوب الى الكفر ووحى الشياطين الا ان يجعلها لام العاقبة كما فى قوله فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا على انه غير معلوم ان كل من اراد وامنه الصغو قد صغى الى كلامهم ولم يصح ذلك فى قولهم ايضا وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون لانه غير معلوم حصول ذلك وعلى ما قلناه يكون جميع ذلك معطوفا بعضه على بعض والمراد بالافئدة اصحاب الافئدة ولكن لما كان الاعتقاد فى القلب وكذلك التمنى اسند الصغو الى القلب وليرضوه اى وليرضوا ما اوحى اليهم من القول المزخرف وليقترفوا اى وليكتسبوا من الاثم والمعاصى ما هم مقترفون اى مكتسبون فى عداوة النبى صلى الله عليه واله والمؤمنين عن ابن عباس والسدى وقال ابو على الجبائى ان اللام فى قوله ولتصغى وما بعده لام الامر والمراد بها التهديد كما قال سبحانه اعملوا ما شئتم واستفزز من استطعت وهذا غلط فاحش لانه لو كان كذلك لكانت ولتصغ بحذف الالف وقال البلخى اللام فى ولتصغى لام العاقبة وما بعده لام الامر الذى يراد به التهديد وهذا جائز الا ان فيه تعسفا فالاصح ما ذكرناه قوله تعالى افغير الله ابتغى حكما وهو الذى انزل اليكم الكتاب مفصلا والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين القراءة قرا ابن عامر وحفص منزل بالتشديد والباقون بالتخفيف الحجة حجة التشديد قوله سبحانه تنزيل الكتاب من الله وما اشبهه وحجة التخفيف انا انزلنا عليك الكتاب وما اشبهه المعنى ثم امر سبحانه نبيه صلى الله عليه واله ان يقول لهؤلاء الكفار الذين مضى ذكرهم افغير الله ابتغى حكما اى اطلب سوى الله حاكما والحكم والحاكم بمعنى واحد الا ان الحكم امدح لان معناه من يستحق ان يتحاكم اليه فهو لا يقضى الا بالحق وقد يحكم الحاكم بغير حق والمعنى هل يجوز لاحد ان يعدل عن حكم الله رغبة عنه او هل يجوز ان يكون حكم سوى الله يساويه فى حكمه وهو الذى يعنى والله الذى انزل اليكم الكتاب اى القران مفصلا فصل فيه جميع ما يحتاج اليه وقيل فصل فيه بين الصادق والكاذب فى الدين وقيل فصل بين الحلال والحرام والكفر والايمان عن الحسن ومعنى التفصيل تبيين المعانى بما ينفى التخليط المعمى للمعنى وينفى ايضا التداخل الذى يوجب نقصان البيان عن المراد والذين اتيناهم الكتاب يعنى بهم مؤمنى اهل الكتاب والكتاب هو التورية والانجيل وقيل يعنى بهم كبراء الصحابة واصحاب به والكتاب هو القران عن عطا يعلمون انه اى ان القران منزل من ربك بالحق يعنى ببيان الحق اى يعلمون ان كل ما فيه بيان عن الشىء على ما هو به فترغيبه وترهيبه ووعده ووعيده وقصصه وامثاله وغير ذلك جميعه بهذه الصفة وقيل ان معنى بالحق بالبرهان الذى تقدم لهم حتى علموه به فلا تكونن من الممترين اى من الشاكين فى ذلك والخطاب للنبى صلى الله عليه واله والمراد به الامة وقيل الخطاب لغيره اى لا تكن ايها الانسان او ايها السامع وقيل الخطاب له عليه السلام والمراد به الزيادة فى شرح صدره وتثبيته وطمانينة قلبه وتسكينه كقوله سبحانه فلا يكن فى صدرك حرج منه عن ابى مسلم قوله تعالى وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم القراءة كلمة ربك بالتوحيد عراقى غير ابى عمرو والباقون كلمات ربك الحجة من قرا كلمة ربك قال وقع المفرد على الكثرة فلذلك اغنى عن الجمع قالوا ان زهيرا قال فى كلمته يعنون قصيدته وقال قس فى كلمته يعنون خطبته ومن قرا بالجمع فلانه لما كان جمعا فى المعنى جمعوا اللغة التبديل وضع الشىء مكان غيره والصدق الخبر الذى مخبره على ما هو به

اخبره

اخبر به والعدل ضد الجور وقيل ان افعال الله تعالى كلها عدل لانها كلها على الاستقامة وقيل انما يوصف بذلك فيما يعامل به عباده الاعراب صدقا وعدلا نصب على التمييز وقيل انهما مصدران انتصبا على الحال من الكلمة وتقديره صادقة وعادلة عن ابى على الفارسى وقد تقدم مثل هذا فيما مضى المعنى ثم بين سبحانه صفة الكتاب المنزل فقال وتمت اى كملت على وجه لا يمكن احدا الزيادة فيه والنقصان منه كلمة ربك اى القران عن قتادة وغيره وقيل معناه انزلت شيئا بعد شىء حتى كملت على ما تقتضيه الحكمة وقيل ان المراد بالكلمة دين الله كما فى قوله وكلمة الله هى العليا عن ابى مسلم وقيل المراد بها حجة الله على الخلق صدقا وعدلا اى ما فى القران من الاخبار فهو صدق لا يشوبه كذب وما فيه من الامر والنهى والحكم والاباحة والحظر فهو عدل لا مبدل لكلماته اى لا مغير لاحكامه عن قتادة لانه وان امكن التغيير والتبديل فى اللفظ كما بدل اهل الكتاب التورية والانجيل فانه لا يعتد بذلك قال وقد تطلق الكلمة بمعنى الحكم قال سبحانه وكذلك حقت كلمة ربك اى حكم ربك ويقال عقوبة ربك وقال النبى صلى الله عليه واله فى صفة النساء انهن عوان بينكم استحللتم فروجهن بكلمة الله تعالى وقيل معناه ان القران محروس عن الزيادة والنقصان فلا يغير لشىء وذلك لان الله تعالى ضمن حفظه فى قوله وانا له لحافظون ولا يجوز ان يعنى بالكلمات الشرايع كما عنى بقوله وصدقت بكلمات ربها لان الشرايع قد يجوز فيها النسخ والتبديل وهو السميع لما يقولونه العليم بما يضمرونه قوله تعالى وان تطع اكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين اللغة الفرق بين الاكثر والاعظم ان الاعظم قد يوصف به واحد ولا يوصف بالاكثر واحد بحال ولهذا يقال فى صفة الله تعالى عظيم واعظم ولا يوصف بالاكثر وانما يقال الكبير بمعنى اعظم والخرص الكذب يقال خرص يخرص خرصا وتخرص واخترص واصله القطع قال الشاعر ترى قصد المران فيهم كانه تذرع خرصان بايدى الشواطب يعنى جريدا يقطع طولا ويتخذ منه الحصر ومنه خرص النخل يخرص خرصا اذا حزره والخرص حبة القرط اذا كانت منفردة والخرص العود لانقطاعه عن نظائره بطيب ريحه ولفظة اعلم اذا لم يكن معها من فله معنيان احدهما اعلم من الكل والجزئ عن ذكر من كقولهم الله اكبر اى من كل شىء والثانى بمعنى فعيل كقول الفرزدق ان الذى سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه اعز واطول اى عزيز وطويل الاعراب موضع من يضل عن سبيله وجوه احدها انه نصب على حذف الباء حتى يكون مقابلا لقوله وهو اعلم بالمهتدين والثانى ان موضعه رفع بالابتداء ولفظها لفظ الاستفهام والمعنى ان ربك هو اعلم اى الناس يضل عن سبيله وهذا مثل قوله تعالى لنعلم اى الحزبين احصى عن الزجاج وفى هذه المسئلة خلاف وسياتى شرح ذلك فى موضعه ان شاء الله تعالى والثالث ان موضعها نصب بفعل مضمر يدل عليه قوله اعلم فكانه قال ان ربك هو اعلم يعلم من يضل عن سبيله وصيغة افعل من كذا لا يتعدى لانها غير جارية على الفعل ولا معدولة عن الجارية على الفعل كما عدل ضروب عن ضارب ومنحار من ناحر عن ابى على الفارسى وزعم قوم ان اعلم ههنا بمعنى يعلم كما قال حاتم الطائى فحالفت طىء من دوننا حلفا والله اعلم ما كنا لهم خذلا وقالت الخنساء القوم اعلم ان جفنته تغدو غداة الريح او تسرى وهذا فاسد لانه لا يطابق قوله تعالى وهو اعلم بالمهتدين ولا يجوز ان يكون من فى موضع جر باضافة اعلم اليه لان اعلم لا يضاف الا الى ما هو بعضه وجل ربنا وتقدس عن ان يكون بعض الضالين او بعض المضلين المعنى لما تقدم ذكر الكتاب بين سبحانه فى هذه الاية ان من اتبع غير الكتاب ضل واضل فقال وان تطع يا محمد خاطبه به والمراد غيره وقيل المراد هو وغيره والطاعة هى امتثال الامر وموافقة المطيع المطاع فيما يريده منه اذا كان المريد فوقه والفرق بينها وبين الاجابة ان الاجابة عامة فى موافقة الارادة الواقعة موقع المسئلة ولا يراعى فيها الرتبة اكثر من فى الارض يعنى الكفار واهل الضلالة وانما ذكر الاكثر لانه علم سبحانه ان منهم من يؤمن ويدعو الى الحق ويذب عن الدين ولكنهم الاقل والاكثر الضلال يضلوك عن سبيل الله اى عن دينه وفى هذه الاية دلالة على انه لا عبرة فى دين الله تعالى ومعرفة الحق بالقلة والكثرة لجواز ان يكون الحق مع الاقل وانما الاعتبار فيه بالحجة دون القلة والكثرة ان يتبعون الا الظن اى ما يتبع هؤلاء المشركون فيما يعتقدونه ويدعون اليه الا الظن وان هم الا يخرصون اى ما هم الا يكذبون وقيل معناه

انهم لا يقولون عن علم ولكن عن حزر وتخمين وقال ابن عباس كانوا يدعون النبي صلى الله عليه وآله والمؤمنين الى اكل الميتة ويقولون
اتاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتل ربكم فهذا اضلالهم إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ خاطب سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله
وان عنى به جميع الامة وقال فيقال كيف جاز في صفة القديم سبحانه اعلم مع انه سبحانه لا يخ من ان يكون اعلم بالمعنى ممن يعلمه
او لا يعلمه وكلاهما لا يصح فيه افعل والجواب ان المعنى هو اعلم به ممن يعلمه لانه يعلمه من وجوه يخفى على ذلك انه يعلم ما يكون منه
وما كان وما هو كائن الى يوم القيمة على جميع الوجوه التي يصح ان يعلم الاشياء عليها وليس كذلك غيره لان غيره لا يعلم جميع الاشياء
وما يعلمه لا يعلمه من جميع وجوهها واما من هو غير عالم اصلا فلا يقال الله سبحانه اعلم منه لان لفظة اعلم يقتضي الاشتراك في العلم
وزيادة لمن وصف بانه اعلم وهذا لا يصح فيمن ليس بعالم اصلا الا مجازا وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ المعنى انه سبحانه اعلم بمن يسلك
سبيل الضلال المؤدي الى الهلاك والعقاب وبمن يسلك سبيل الهدى المفضي به الى النجاة والثواب وفي هذا دلالة على ان الضلال
والاضلال من فعل العبد خلافا لما يقوله اهل الجبر وعلى انه لا يجوز التقليد واتباع الظن في الدين والاغترار بالكثرة والى هذا
اشار امير المؤمنين علي عليه السلم حيث قال للحرث الهمداني يا حار الحق لا يعرف بالرجال اعرف الحق تعرف اهله قوله تعالى فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ
اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا
مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ
إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ثلث آيات القراءة قرا اهل الكوفة غير حفص فصل لكم بالفتح ما حرم بالضم
وقرا اهل المدينة وحفص ويعقوب وسهل فصل لكم ما حرم كلاهما بالفتح وقرا الباقون فصل لكم ما حرم بالضم فيهما وقرا ابن كثير
وابو عمرو ويعقوب ليضلون بفتح الياء هنا وفي يونس ليضلوا عن سبيلك وفي ابرهيم ليضلوا عن سبيله وفي الحج ليضل عن سبيل الله وفي
لقمن والزمر في المواضع الستة وقرا اهل الكوفة بضم الياء في هذه المواضع وقرا الباقون هنا وفي يونس بفتح الياء وفي الاربعة
بعد هذين الموضعين بضم الياء الحجة حجة من ضم الفاء من فصل والحاء من حرم قوله حرمت عليكم الميتة والدم فهذا تفصيل لهذا
العام المجمل بقوله حرم وقوله هو الذي انزل عليكم الكتاب مفصلا فمفصل يدل على فصل وحجة من قرا فصل وحرم بفتح الفاء والحاء
قوله قد فصلنا الآيات وقوله اتل ما حرم ربكم وقوله الذين يشهدون ان الله حرم هذا وحجة من ضم الياء من يضلون ويضلوا
انه ابلغ في ان الموصوف بذلك في الضلالة اذهب ومن الهدى ابعد الا ترى ان كل مضل ضال وليس كل ضال مضلا لان الضلال
قد يكون مقصورا على نفسه لا يتعداه الى سواه ومن قرا بفتح الياء فانه يريد انهم يضلون في انفسهم من غير ان يضلوا غيرهم من اتباعهم
بامتناعهم من اكل ما ذكر اسم الله عليه وغير ذلك اي يضلون باتباع اهوائهم الاعراب وذروا الواو للعطف وانما استعمل
منه الامر والمستقبل ولا يستعمل وذر ولا وادر لغير ذلك كراهية الابتداء بالواو حتى لم يزيد وها هنا الا صلا مع زيادتهم
اخواتها واستغني فيه بترك وتارك وهذا كما استعملوا الماضي دون المستقبل واسم الفاعل في عسى والظاهر الكائن على وجه يمكن
ادراكه والباطن هو الكائن على وجه يتعذر ادراكه والكسب ما يفعل لاجتلاب النفع او دفع الضرر وانما يوصف به العبد دون
الله تعالى لاستحالة النفع والضرر عليه سبحانه والكواسب الجوارح من الطير لانها تكسب ما تنتفع به وقد بينا ان معنى الاقتراف الاكتساب
المعنى ثم عطف سبحانه على ما تقدم من الكلام فقال فَكُلُوا واختلف في ذلك فقيل انه لما ذكر المهتدين فكانه قال ومن الهداية
ان تحلوا ما احل الله وتحرموا ما حرم الله فكلوا وقيل ان المشركين لما قالوا للمسلمين تاكلون ما قتلتم انتم ولا تاكلون ما قتل
ربكم فكانه قال سبحانه لهم اعرضوا عن جهلهم فكلوا والمراد به الاباحة وان كانت صيغته صيغة الامر مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ يعني ذكر
اسم الله عند ذبحه دون الميتة وما ذكر عليه اسم الاصنام والذكر هو قول بسم الله وقيل هو كل اسم يختص الله تعالى به او صفة
تخصه كقول بسم الرحمن او بسم القديم او بسم القادر لنفسه او العالم لنفسه او ما يجري مجراه والاول مجمع على جوازه والظاهر
يقتضي جواز غيره لقوله سبحانه قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ يعني ان
كنتم مؤمنين بان عرفتم الله ورسوله وصحة ما اتاكم به من عند الله فكلوا ما احل دون ما حرم وفي هذه الآية دلالة على

وجوب التسمية على الذبيحة وعلى ان ذبائح الكفار لا يجوز اكلها لانهم لا يسمون الله عليها ومن سمى منهم لا يعتقد وجوب ذلك
ولانه يعتقد ان الذي يسميه هو الذي ابد شرع موسى او عيسى فاذا لا يذكرون الله تعالى حقيقة وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ
اللَّهِ عَلَيْهِ قد ذكرنا الخلاف في سورة البقرة عند قوله وما لنا ان لا نقاتل في سبيل الله وتقديره اي شيء لكم في ان لا تاكلوا فيكون ما للاستفهام
وهو اختيار الزجاج وغيره من البصريين ومعناه ما الذي يمنعكم ان تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه عند ذبحه وقيل معناه ليس لكم الا
تاكلوا فيكون ما للنفي وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ اي بين لكم مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ قيل هو ما ذكر في سورة المائدة من قوله حرمت عليكم الميتة والدم
الآية واعترض على هذا بان سورة المائدة نزلت بعد الانعام بمدة فلا يصح ان يقال انه فصل الا ان يحمل على انه بين على لسان الرسول
وبعد ذلك نزل القرآن وقيل انه ما فصل في هذه السورة في قوله قل لا اجد فيما اوحي الي محرما الآية إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ومعناه
الا ما خفتم على نفوسكم الهلاك من الجوع ان تركتم التناول فيبيح لكم تناوله وان كان مما حرم الله واختلف في مقدار ما
يسوغ تناوله عند الاضطرار فعندنا لا يجوز ان يتناول الا ما يمسك الرمق وقال قوم يجوز ان يشبع المضطر منها وان يحمل منها
معه حتى يجد ما ياكل وقال الجبائي وفي هذه الآية دلالة على ان ما يكره على اكله من هذه الاجناس يجوز اكله لان المكره يخاف على
نفسه مثل المضطر وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ اي باتباع اهوائهم ومن قرا بالضم اراد انهم يضلون اشياعهم فحذف المفعول به
وفي امثال الكثرة وانما جعل النكرة اسما لان لان الكلام اذا طال احتمل ذلك ودل بعضه على بعض وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ
امر سبحانه بترك الاثم مع قيام الدلالة على كونه اثما ونهى عن ارتكابه سرا وعلانية وهو قول قتادة ومجاهد والربيع بن انس وقيل اراد
بالظاهر افعال الجوارح وبالباطن افعال القلوب عن الجبائي وقيل الظاهر من الاثم الزنا والباطن اتخاذ الاخدان عن السدي
والضحاك وقيل الظاهر الاثم امراة الاب وباطنه الزنا عن سعيد بن جبير وقيل ان اهل الجاهلية كانت ترى ان الزنا اذا ظهر كان
فيه اثم واذا استتر به صاحبه لم يكن اثما ذكره الضحاك والاصح القول الاول لانه يعم الجميع إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ اي يعملون المعاصي
التي فيها الآثام ويرتكبون القبائح سَيُجْزَوْنَ اي سيعاقبون بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ بما كانوا يكسبون ويرتكبونه قوله تعالى وَلَا تَأْكُلُوا
مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ آية المعنى
ثم اكد سبحانه ما تقدم بقوله وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ يعني عند الذبح من الذبائح وهذا تصريح في وجوب التسمية على الذبيحة
لانه لو لم يكن كذلك لكان ترك التسمية غير محرم لها وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ يعني وان اكل ما لم يذكر اسم الله عليه لفسق وفي هذا دلالة على تحريم
اكل الذبائح كلها كلهم اهل الكتاب وغيرهم من سمى منهم ومن لم يسم لانهم لا يعرفون الله تعالى على ما ذكرناه من قبل فلا يصح منهم القصد
الى ذكر اسمه فاما ذبيحة المسلم اذا لم يسم الله تعالى عليها فقد اختلف في ذلك فقيل لا يحل اكلها سواء ترك التسمية عمدا او نسيانا
عن مالك وداود وروي ذلك عن الحسن وابن سيرين وبه قال الجبائي وقيل يحل اكلها في الحالين عن الشافعي وقيل يحل اكلها اذا ترك
التسمية ناسيا بعد ان يكون معتقدا لوجوبها ويحرم اكلها اذا تركها متعمدا عن ابي حنيفة واصحابه وهو المروي عن ائمتنا عليهم السلم
وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ يعني علماء الكافرين ورؤساءهم المتمردين في كفرهم لَيُوحُونَ اي يومئون ويشيرون إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ الذين اتبعوهم
من الكفار لِيُجَادِلُوكُمْ في استحلال الميتة قال الحسن كان مشركوا العرب يجادلون المسلمين فيقولون لهم كيف تاكلون مما تقتلون
انتم ولا تاكلون مما يقتله الله تعالى وقيل الله اولى بالاكل من قتلكم فهذه مجادلتهم وقال عكرمة ان قوما من مجوس فارس كتبوا الى
مشركي قريش وكانوا اولياءهم في الجاهلية ان محمدا واصحابه يزعمون انهم يتبعون امر الله ثم يزعمون ان ما ذبحوه حلال وما قتله الله
حرام فوقع ذلك في نفوسهم فذلك ايحاؤهم اليهم وقال ابن عباس معناه وان الشياطين من الجن وهم ابليس وجنوده ليوحون الى
اوليائهم من الانس والوحي القاء المعنى الى النفس من وجه خفي وهم يلقون الوسوسة الى قلوب اهل الشرك ثم قال سبحانه وان اطعتموهم
ايها المؤمنون فيما يقولونه من استحلال الميتة وغيره انكم اذا لمشركون لان من استحل الميتة فهو كافر بالاجماع ومن اكلها محرما لها
مختارا فهو فاسق وهو قول الحسن وجماعة من المفسرين وقال عطا انه مختص بذبائح العرب التي كانت تذبحها للاوثان قوله تعالى
أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ

ما كانوا يعملون وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون الا بانفسهم وما يشعرون اللغة القراءة
قرا اهل المدينة ويعقوب ميتا بالتشديد والباقون ميتا بالتخفيف الحجة قال ابو عبيدة الميت مخفف مثقل ومعناهما واحد وقال
ابو العلاء الغساني ليس من مات فاستراح بميت انما الميت ميت الاحياء انما الميت من يعيش كئيبا كاسفا باله قليل الرجاء
والمحذوف من الياءين الثانية المنقلبة عن الواو اعلت بالحذف كما اعلت بالقلب اللغة الاكابر جمع الاكبر وقد قالوا الاكابرة
والاصاغرة كما قالوا الاساورة والاجامرة قال الشاعر ان الاجامرة السلاة اهلكت مالي وقد كنت لهن قدما مولعا
الخمر والشحم السمين احبه والزعفران فقد اتيت مرتعا واصل المكر الفتل ومنه جارية ممكورة اي ملتفة البدن فكان المكر
معناه الفتل الى خلاف الرشد الاعراب او من هذه همزة الاستفهام دخلت على واو العطف وهو استفهام يراد به التقرير
وموضع الكاف في قوله وكذلك جعلنا نصب معطوف على ما قبلها وهو قوله كذلك زين للكافرين مجرميها يجوز ان يكون
منصوبا على التقديم والتاخير تقديره جعلنا في كل قرية مجرميها اكابر ويجوز ان يكون منصوبا باضافة الاكابر اليه النزول
الاية الاولى قيل انها نزلت في حمزة بن عبد المطلب وابي جهل بن هشام وذلك ان ابا جهل اذى رسول الله صلى الله عليه واله فاخبر
بذلك حمزة وهو على دين قومه فغضب وجاء ومعه قوس فضرب بها راس ابي جهل وامن عن ابن عباس وقيل انها نزلت في عمار بن
ياسر حين امن وابي جهل عن عكرمة وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلام وقيل نزلت في عمر بن الخطاب عن الضحاك وقيل انها عامة
في كل مومن وكافر عن الحسن وجماعة وهذا اولى لانه اعم فائدة فيدخل فيه جميع الاقوال المذكورة المعنى ثم ذكر سبحانه مثل
الفريقين فقال او من كان ميتا فاحييناه اي كافرا فاحييناه بان هديناه الى الايمان عن ابن عباس والحسن ومجاهد شبه
سبحانه الكفر بالموت والايمان بالحيوة وقيل معناه من كان نطفة فاحييناه كقوله وكنتم امواتا فاحياكم وجعلنا له نورا
يمشي به في الناس قيل فيه وجوه احدها ان المراد بالنور العلم والحكمة سمى سبحانه ذلك نورا والجهل ظلمة لان العلم يهتدى به
الى الرشاد كما يهتدى بالنور في الطرقات وثانيها ان المراد بالنور هنا القران عن الحسن وثالثها ان المراد به الايمان عن ابن
عباس كمن مثله في الظلمات لم يقل سبحانه كمن هو في الظلمات لان تقديره كمن مثله مثل من هو في الظلمات يعني به
الكافر الذي هو في ظلمة الكفر وقيل معناه كمن هو في ظلمات الكفر ليس بخارج منها الكفر ذكره بلفظ المثل ليبين انه ابلغ في
الكفر والحيرة غاية تضرب بها المثل فيها وانما سمى الله سبحانه الكافر ميتا لانه لا ينتفع بحيوته ولا ينتفع غيره بحيوته فهو اسوء
حالا من الميت اذ لا يوصف من الميت ما يعاقب عليه ولا يتضرر غيره به وسمى المومن حيا لان له ولغيره المصلحة والمنفعة في حيوته
ولذلك سمى الكافر ميتا والمومن حيا في عدة مواضع مثل قوله انك لا تسمع الموتى ولينذر من كان حيا وقوله وما يستوي
الاحياء ولا الاموات وسمى القران والايمان والعلم نورا لان الناس يبصرون بذلك ويهتدون به من ظلمات الكفر وحيرة
الضلالة كما يهتدى بسائر الانوار وسمى الكفر ظلمة لان الكافر لا يهتدي بهداه ولا يبصر امر رشده وهذا كما سمى الكافر اعمى
في قوله افمن يعلم انما انزل اليك الحق كمن هو اعمى وقوله وما يستوي الاعمى والبصير كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون وجه
التشبيه بالكاف ان معناه زين لهولاء الكفر فعملوه مثل ما زين لاولئك الايمان فعملوه فشبه حال هولاء في التزيين
بحال اولئك فيه كما قال سبحانه كل حزب بما لديهم فرحون وروي عن الحسن انه قال زينه والله لهم الشيطان وانفسهم ويشهد له
بقوله وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم وقوله زين لا يقتضي مزينا غيرهم لانه بمنزلة قوله تعالى انى تؤفكون وانى تصرفون
وقول العرب اعجب فلان بنفسه واولع بكذا ومثله كثير وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر اي مثل ذلك الذي قصصنا
عليك زين للكافرين عملهم ومثل ذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها وجعلنا ذا المكر من المجرمين كما جعلنا ذا النور
من المومنين فكلما فعلنا بهولاء فعلنا باولئك الا ان اولئك اهتدوا بحسن اختيارهم وهولاء ضلوا بسوء اختيارهم
لان في كل واحد منهما الجعل بمعنى الصيرورة الا ان الاول باللطف والثاني بالتمكين من المكر وانما خص اكابر المجرمين
بذلك دون الاصاغر لانه اليق بالاقتدار على الجميع لان الاكابر اذا كانوا في قبضة القادر فالاصاغر اولى بذلك

احدهما واللام في ليمكروا لام العاقبة وتسمى لام الصيرورة كما في قوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا وكما قال الشاعر فاقسم لو قتلوا مالكا
حية واحدة ولم سماك فلا تجزعي فللموت ما تلد الوالدة وما يمكرون الا بانفسهم لان عقاب ذلك يحل بهم ولا يصح ان يمكر الانسان نفسه
على الحقيقة لانه لا يصح ان يخفي عن نفسه معنى ما يحتال به عليها ويصح ان يخفي ذلك عن غيره وفائدة الاية ان اكابر مجرميها المكر والمومنين
على وجه المغالبة لله اذ هم كانه سبحانه جعلهم ليمكروا وهذه مبالغة في انتفاء صفة المغالبة قوله تعالى واذا جاءتهم اية قالوا لن نومن
حتى نوتى مثل ما اوتي رسل الله الله اعلم حيث يجعل رسالته سيصيب الذين اجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما
كانوا يمكرون اية القراءة قرا ابن كثير وحفص رسالته على التوحيد ونصب التاء والباقون رسالاته على الجمع الحجة من وحد فلان الرسالة
تدل على القلة والكثرة لكونها مصدرا ومن جمع فلما تكرر من رسالات الله سبحانه مرة بعد اخرى اللغة الاجرام الاقدام على القبيح بالانقطاع
اليه لان اصل الجرم القطع فكانه قطع ما يجب ان يوصل من العمل ومنه قيل للذنب الجرم والجريمة والصغار الذل الذي يصغر الى المرء نفسه
يقال صغر الانسان يصغر صغارا وصغرا الاعراب الله اعلم حيث يجعل رسالاته لا يخلو حيث هنا من ان يكون ظرفا متضمنا الحرف
او غير ظرف فان كان ظرفا فلا يجوز ان يعمل فيه اعلم لانه يصير المعنى اعلم في هذا الموضع او في هذا الوقت ولا يوصف الله تعالى بانه اعلم في
مواضع او في اوقات كما يقال زيد اعلم في مكان كذا منه في مكان كذا فاذا كان الامر كذلك لم يجز ان يكون حيث هنا ظرفا كان اسما وكان
انتصابه انتصاب المفعول به على الاتساع ويقوي ذلك دخول الجار عليها فكان الاصل الله تعالى اعلم بموضع رسالاته ثم حذف الجار كما قال
سبحانه اعلم من يضل عن سبيله وفي موضع اخر اعلم بمن يضل عن سبيله فمن في موضع نصب بفعل مضمر دل عليه اعلم ولا يجوز ان يكون معمول اعلم لان
المعاني لا تعمل في مواضع الاستفهام ونحوه وانما تعمل فيها الافعال التي تلغى فتعلق كما تلغى ومثل ذلك فانه لا يكون الا محمولا على فعل
قوله واضرب منا بالسيوف القوانسا فالقوانس منصوب بفعل مضمر دل عليه قوله اضرب لان المعاني لا تعمل في المفعول به ومما جعل
حيث فيه اسما متمكنا غير ظرف متضمن المعنى في قول الشاعر كان منها حيث تلوي المنطقا حقفا نقا مالا على حقفي نقا الا ترى انه
حيث هنا في موضع نصب بكان وحقفا نقا المرفوع بانه خبره وقال القاضي ابو سعيد السيرافي في شرح كتاب سيبويه ان من العرب
من يضيف حيث الى المفرد فيجر ما بعدها انشد ابن الاعرابي بيتا اخره حيث لي العمائم وانشد ايضا ابو سعيد وابو علي فاخرج
حيث من حد الظرفية بالاضافة اليها الى حد الاسماء المحضة قول الشاعر يصف شجاعا تقتل القمل بهز الهرانع عقده عند الحصى
باذل حيث يكون من يتذلل ومن ذلك قول الفرزدق فحيى به عذبا رضابا غروبه دقاقا واعلى حيث ركبن اعجف وقوله صغار
عند الله قال الزجاج عند متصلة بيصيب اي سيصيبهم عند الله صغار وجاز ان يكون عنده متصلة بصغار فيكون المعنى سيصيب
الذين اجرموا صغار ثابت عند الله ولا يصلح ان يكون من محذوفة من عند انما المحذوف من عند في اذا قلت زيد عند عمرو
فالمعنى زيد في حضرة عمرو قال ابو علي اذا قلت ان عنده معمول الصغار لم يحتج الى تقدير محذوف في الكلام لكون نفس المصدر متناولا له
ويعمل فيه ويكون التقدير ان يصغروا عند الله فلا وجه لتقدير ثابت في الكلام فان قدرت صغارا موصوفا بعند لم يكن معمول
الصغار ولكن يكون متعلقا بمحذوف فلا بد على هذا من تقدير ثابت ونحوه مما يكون في الاصل صفة ثم حذف واقيم الظرف مقامه
للدلالة عليه وهذا كقولك وانت تريد الصفة هذا رجل عندك فالمعنى ثابت عندك او مستقر او نحوه وكلا الوجهين جائز
النزول نزلت في الوليد بن المغيرة قال والله لو كانت النبوة حقا لكنت اولى بها لاني اكبر منك سنا واكثر منك مالا وقيل
نزلت في ابي جهل بن هشام قال زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نومن
ولا نتبعه ابدا الا ان ياتينا وحي كما ياتيه عن مقاتل المعنى ثم حكى سبحانه عن الاكابر الذين تقدم ذكرهم اقتراحاتهم الباطلة
فقال واذا جاءتهم اية اي دلالة معجزة من عند الله تعالى تدل على توحيده وصدق نبيه صلى الله عليه واله قالوا لن
نومن اي لن نصدق بها حتى نوتى اي نعطى اية معجزة مثل ما اوتي اي اعطي رسل الله حسدا منهم للنبي صلى الله عليه واله
ثم اخبر سبحانه على وجه الانكار عليهم بقوله الله اعلم حيث يجعل رسالاته انه اعلم منهم ومن جميع الخلق بمن يصلح
لرسالاته ويتعلق صالح الخلق ببعثته ولمن يعلم من يقوم باعباء الرسالة ومن لا يقوم بها فيجعلها عند من يقوم بادائها

ويتحمل ما يلحقه من المشقة والاذى على تبليغها ثم توعدهم سبحانه فقال سيصيب الذين اجرموا اى انقطعوا الى الكفر واقدموا عليه يعنى بهم المشركين من اكابر القرى الذين سبق ذكرهم صغار عند الله اى يصيبهم ذل وهوان وان كانوا اكابر فى الدنيا عن الزجاج ويجوز ان يكون المعنى سيصيبهم صغار معد لهم عند الله او سيصيبهم ان يصغروا عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون فى الدنيا اى جزاء على مكرهم قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد فى السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون اية القراءة قرا ابن كثير ضيقا بتخفيف الياء وسكونها ههنا وفى الفرقان والباقون بتشديدها وكسرها وقرا اهل المدينة وابو بكر وسهل حرجا بكسر الراء والباقون بفتحها وقرا ابن كثير يصعد بتخفيف الصاد والعين وسكون الصاد وقرا ابو بكر يصاعد بتشديد الصاد والف بعدها وتخفيف العين والباقون يصعد بتشديد الصاد والعين وفتح الصاد اللغة الضيق والضيق بمعنى مثل الميت والميت ومن فتح الراء من حرج فقد وصف بالمصدر كما قيل قمن وقمن ودنف ونحوهما من المصادر التى توصف بها ومن كسر الراء من حرج فهو مثل دنف وقمن وقراءة ابن كثير يصعد من الصعود ومن قرا يصعد يتصعد اراد يتصعد فادغم ومعنى يتصعد انه يثقل الاسلام عليه فكانه يتكلف عليه شيئا بعد شىء كقولهم يتعفف ويتحرج ونحو ذلك مما يتعاطى فى الفعل شيئا بعد شىء ويصاعد مثل يصعد فى المعنى فهو مثل ضاعف وضعف وناعم ونعم وهما من المشقة وصعوبة الشىء ومن ذلك قوله يسلكه عذابا صعدا وقوله سارهقه صعودا اى ساغشيه عذابا صعودا او عقبة صعودا اى شاقة ومن ذلك قول عمر بن الخطاب ما تصعدنى شىء كما تصعدنى خطبة النكاح اى ما شق على شىء مشقتها اللغة الحرج والحرج الضيق والضيق قال ابو زيد وحرج عليه السحور حرجا اذا اصبح قبل ان يتسحر وحرم عليه حرما وهما بمعنى واحد وحرجت على المراة الصلوة وحرمت بمعنى واحد وحرج فلان اذا هاب ان يتقدم على الامر وقاتل فصبر وهو كاره وقد ذكرنا وجوه معانى الهداية والهدى و الضلال والاضلال فى سورة البقرة وما يجوز اسناده الى الله تعالى من كلا الامرين وما لا يجوز عند قوله وما يضل به الا الفاسقين المعنى لما تقدم ذكر المؤمنين والكافرين بين عقيبه ما يفعله سبحانه بكل من الفريقين فقال ومن يرد الله ان يهديه وقد ذكر فى تاويل الاية وجوه احدها ان معناه ومن يرد الله ان يهديه الى الثواب وطريق الجنة يشرح صدره فى الدنيا للاسلام بان يثبت عزمه عليه ويقوى دواعيه على التمسك به ويزيل عن قلبه وساوس الشيطان وما يعرض فى القلوب من الخواطر الفاسدة وانما يفعل ذلك لطفا له ومنا عليه وثوابا على اهتدائه بهدى الله وقبوله اياه ونظيره قوله سبحانه والذين اهتدوا زادهم هدى ويزيد الله الذين اهتدوا هدى ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا يعنى ومن يرد ان يضله عن ثوابه وكرامته يجعل صدره فى كفره ضيقا حرجا عقوبة له على ترك الايمان من غير ان يكون سبحانه مانعا له عن الايمان وسالبا اياه القدرة عليه بل ربما يكون ذلك سببا داعيا له الى الايمان فان من ضاق صدره بالشىء كان ذلك داعيا الى تركه والدليل على ان شرح الصدر قد يكون ثوابا قوله سبحانه الم نشرح لك صدرك الايات ومعلوم ان وضع الوزر ورفع الذكر يكون ثوابا على تحمل اعباء الرسالة وكلفها فكذلك ما قرن به من شرح الصدر والدليل على ان الهدى قد يكون الى الثواب قوله والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل اعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم ومعلوم ان الهداية بعد القتل لا تكون الا الى الثواب فليس بعد الموت تكليف وقد وردت الرواية الصحيحة انه لما نزلت هذه الاية سئل رسول الله صلى الله عليه واله عن شرح الصدر فقال نور يقذفه الله فى قلب المؤمن فينشرح له صدره وينفسح قالوا فهل لذلك من امارة تعرف بها قال صلعم نعم الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت وثانيها ان معنى الاية فمن يرد الله ان يثبته على الهدى يشرح صدره من الوجه الذى ذكرناه جزاء له على ايمانه واهتدائه وقد يطلق لفظ الهدى ويراد به الاستدامة كما قلنا فى قوله اهدنا الصراط المستقيم ومن يرد ان يضله اى يخذله ويخلى بينه وبين ما يريده لاختياره الكفر وتركه الايمان يجعل صدره ضيقا حرجا بان يمنعه الالطاف التى ينشرح لها صدره لخروجه عن قبولها باقامته على كفره فان قيل انا نجد الكافر غير ضيق الصدر بما هو فيه ونراه طيب القلب على كفره فكيف يصح الخلف فى خبره سبحانه قلنا انه سبحانه بين انه يجعل صدره ضيقا ولم يقل فى كل حال ومعلوم من حاله فى احوال كثيرة انه يضيق صدره بما هو فيه

اى بسالهم

الحجة

من ورود الشبهة والشكوك عليه وعند ما يجازى الله سبحانه المؤمن على استعمال الادلة الموصلة الى الايمان وهذا الفقه هو الذى يقتضيه الظاهر وثالثها ان معنى الاية من يرد الله ان يهديه زيادة الهدى التى وعدها المؤمن يشرح صدره لتلك الزيادة لان من حقها ان يزيد المؤمن بصيرة ومن يرد ان يضله عن تلك الزيادة بمعنى يذهبه عنها من حيث اخرج هو نفسه من ان يصح عليه يجعل صدره ضيقا حرجا لمكان فقد تلك الزيادة لانها اذا اقتضت فى المؤمن ما قلناه اوجب فى الكافر ما يضاده ويكون الفائدة فى ذلك الترغيب فى الايمان والزجر عن الكفر وهذا التاويل قريب مما تقدمه وقد روى عن ابن عباس انه قال انما سمى قلب الكافر حرجا لانه لا يصل الخير الى قلبه وفى رواية اخرى لا تصل الحكمة الى قلبه ولا يجوز ان يكون المراد بالاضلال فى الاية الدعاء الى الضلال ولا الامر به ولا الاجبار عليه لاجماع الامة على ان الله تعالى لا يامر بالضلال ولا يدعو اليه فكيف يجبر عليه والدعاء اليه اهون من الاجبار عليه وقد ذم الله سبحانه فرعون والسامرى على اضلالهما عن دين الهدى فى قوله واضل فرعون قومه وما هدى وقوله واضلهم السامرى ولا خلاف فى ان اضلالهما اضلال امر واجبار ودعاء وقد ذمهما الله سبحانه عليه مطلقا فكيف يتمدح بما ذم عليه غيره وقوله كانما يصعد فى السماء فيه وجوه احدها ان معناه كانه قد كلف ان يصعد الى السماء اذا دعى الى الاسلام من ضيق صدره عنه او كان قلبه يصعد فى السماء نبوا عن الاسلام والحكمة عن الزجاج وثانيها ان معنى يصعد كانه يتكلف مشقة فى ارتقاء صعود وعلى هذا قيل عقبة عنود وكؤود عن ابى على قال ولا يكون السماء فى هذا القول المظلة للارض ولكن كما قال سيبويه القيد ود الطويل فى غير سماء اى فى غير ارتفاع صعدا وقريب منه ما روى عن سعيد بن جبير كانه لا يجد مسلكا الا صعدا وثالثها ان معناه كانما ينزع قلبه الى السماء لشدة المشقة عليه فى مفارقة مذهبه كذلك يجعل الله الرجس اى العذاب عن ابن زيد وغيره من اهل اللغة وقيل ما لا خير فيه عن مجاهد على الذين لا يؤمنون وفى هذا دلالة على صحة التاويل الاول لانه سبحانه بين ان الاضلال المذكور فى الاية كان على وجه العقوبة على الكفر ولو كان المراد به الاجبار على الكفر لقال كذلك لا يؤمن من جعل الله الرجس فى قلبه ووجه التشبيه فى قوله كذلك يجعل الله الرجس انه يجعل الرجس على هؤلاء كما يجعل ضيق الصدر فى قلوب اولئك وان كان ذلك على وجه الاستحقاق وروى العياشى باسناده عن ابى بصير عن خيثمة قال سمعت ابا جعفر عليه السلم يقول ان القلب ينقلب من لدن موضعه الى حنجرته ما لم يصب الحق فاذا اصاب الحق قر ثم قرا هذه الاية قوله تعالى وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الايات لقوم يذكرون لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون اية المعنى ثم اشار سبحانه الى ما تقدم ذكره من البيان فقال وهذا صراط ربك اى طريق ربك وهو القران عن ابن مسعود والاسلام عن ابن عباس وانما اضافه الى نفسه لانه هو الذى دل عليه وهدى اليه مستقيما لا اعوجاج فيه وانما انتصب على الحال وانما وصف الصراط الذى هو ادلة الحق بالاستقامة مع اختلاف وجوه الادلة لانها مع اختلافها تؤدى الى الحق فكانها طريق واحد لسلامة جميعها عن التناقض والفساد قد فصلنا الايات اى بيناها وميزناها لقوم يذكرون واصله يتذكرون وخص المتذكرين بذلك لانهم المنتفعون بالحجج كما قال هدى للمتقين لهم دار السلام اى للذين تذكروا وتدبروا وعرفوا الحق وتبعوه دار السلامة الدائمة الخالصة من كل افة وبلية وهى الجنة عن الزجاج والجبائى وقيل ان السلام هو الله سبحانه وداره الجنة عن الحسن والسدى عند ربهم اى هى مضمونة لهم عنده يوصلهم اليها لا محالة كما يقول الرجل لغيره لك عندى هذا المال اى فى ضمانى وقيل معناه لهم دار السلام فى الاخرة يعطيهم اياها وهو وليهم يعنى الله يتولى ايصال المنافع اليهم ودفع المضار عنهم وقيل وليهم ناصرهم على اعدائهم وقيل يتولاهم فى الدنيا بالتوفيق وفى الاخرة بالجزاء بما كانوا يعملون المراد جزاء ما كانوا يعملون من الطاعات فحذف لظهور المعنى فان من المعلوم انه لا يكون طاعة من الاعمال فلا ثواب عليه قوله تعالى ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال اولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا اجلنا الذى اجلت لنا قال النار مثويكم خالدين فيها الا ما شاء الله ان ربك حكيم عليم وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون ايتان القراءة قرا حفص وروح وهو يحشرهم بالياء والباقون بالنون الحجة من قرا بالياء فلقوله عند ربهم والياء كالنون فى المعنى ويقوى النون قوله وحشرناهم

٣٣٣

محشرهم يوم القيمة اعني الاعراب قال الزجاج خالدين فيها منصوب على الحال والمعنى النار مقامكم في حال خلود دائم وقال ابو علي
المثوى عندي في الاية اسم للمصدر دون المكان لحصول الحال في الكلام معملا فيها الا ترى انه لا يخلو من ان يكون موضعا او مصدرا
فلا يجوز ان يكون موضعا لان اسم الموضع لا يعمل عمل الفعل لانه لا معنى للفعل فيه واذا لم يكن موضعا ثبت انه مصدر والمعنى النار
ذات اقامتكم فيها خالدين اي اهل ان تقيموا فيها وتثووا خالدين فيها والكاف والميم في المعنى فاعلون وان كان في اللفظ خفض بالاضافة
المعنى ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال ويوم يحشرهم جميعا اي نجمعهم يريد جميع الخلق وقيل الانس والجن لانه تعقبه حديثهم
وقيل يريد الكفار وانتصب اليوم بالقول المضمر لان المعنى ويوم نحشرهم جميعا نقول يا معشر الجن اي يا جماعة الجن قد استكثرتم من الانس
اي قد استكثرتم ممن اضللتموه من الانس عن الزجاج وهو ماخوذ من قول ابن عباس معناه من اغواء الانس واضلالهم وقال اولياؤهم
اي متبعوهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض اي انتفع بعضنا ببعض وقد قيل فيه اقوال احدها ان استمتاع الجن بالانس
ان اتخذهم الانس قادة ورؤساء فاتبعوا اهواءهم واستمتاع الانس بالجن انتفاعهم في الدنيا بما زين لهم الجن من اللذات ودعوهم
اليه من الشهوات وثانيها ان استمتاع الانس بالجن ان الرجل كان اذا سافر وخاف الجن في سلوك طريق قال اعوذ بسيد هذا
الوادي ثم يسلك فلا يخاف وكانوا يرون ذلك استجارة بالجن وان الجن يجيرهم كما قال سبحانه وانه كان رجال من الانس يعوذون
برجال من الجن فزادوهم رهقا واستمتاع الجن بالانس ان الجن اذا اعتقدوا ان الانس يعوذون بهم يعتقدون انهم ينفعونهم ويضرونهم
كان في ذلك لهم سرور ونفع عن الحسن وابن جريج والزجاج وغيرهم وثالثها ان المراد بالاستمتاع طاعة بعضهم لبعض وموافقة
بعضهم بعضا عن محمد بن كعب قال البلخي ويحتمل ان يكون الاستمتاع مقصورا على الانس فيكون الانس استمتع بعضهم ببعض دون الجن و
قوله وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا يعني بالاجل الموت عن السدي والحسن وقيل البعث والحشر لان الحشر اجل الجزاء كما ان الموت
اجل استدراك ما مضى قال الجبائي وفي هذا دلالة على انه لا اجل الا واحد لانه لو كان اجلان لكان الرجل اذا اقتطع دون الموت
بان يقتل لم يكن بلغ اجله والاية تتضمن انهم اجمع قالوا بلغنا اجلنا الذي اجلت لنا وقال علي بن عيسى وغيره من البغداديين
لا دلالة في الاية على ذلك بل لا يمتنع ان يكون للانسان اجلان احدهما ما يقع فيه الموت والاخر ما يقع فيه الحشر او ما كان يجوز ان
يعيش اليه قال الله تعالى لهم النار مثواكم اي مقامكم والثواء الاقامة خالدين فيها اي دائمين مؤبدين فيها معذبين الا
ما شاء الله قيل في معنى هذا الاستثناء اقوال احدها ما روي عن ابن عباس انه قال كان وعيد الكفار مبهما غير مقطوع
ثم قطع به بقوله سبحانه ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وثانيها ان الاستثناء انما هو من يوم القيمة
لان قوله يوم نحشرهم جميعا هو يوم القيمة فقال خالدين فيها مذ يوم يبعثون الا ما شاء الله من مقدار حشرهم من قبورهم
ومقدار مدتهم في محاسبتهم عن الزجاج قال وجائز ان يكون الا ما شاء الله ان يعذبهم به من اصناف العذاب وثالثها ان
الاستثناء راجع الى غير الكفار من عصاة المسلمين الذين هم في مشية الله تعالى ان شاء عذبهم بذنوبهم بقدر استحقاقهم عدلا وان
شاء عفى عنهم فضلا ورابعها ان معناه الا ما شاء الله ممن آمن منهم عن عطا ان ربك حكيم عليم اي محكم لافعاله عليم بكل شيء
وقيل حكيم في عقاب من يختار ان يعاقبه والعفو عمن يختار ان يعفو عنه عليم بمن يستحق الثواب وبمقدار ما يستحقه وكذلك
نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون الكاف للتشبيه اي كذلك المهل بتخلية بعضهم مع بعض للامتحان الذي
معه يصح الجزاء على الاعمال تولينا بعض الظالمين بعضا بان يجعل بعضهم يتولى امر بعض للعقاب الذي يجري على الاستحقاق
عن علي بن عيسى وقيل معناه انا كما وكلنا هؤلاء الظالمين من الجن والانس بعضهم الى بعض يوم القيمة وتبرانا منهم فكذلك نكل
بعضهم الى بعض في يوم القيمة ونكل الاتباع الى المتبوعين ونقول للاتباع قولوا للمتبوعين حتى يخلصوكم من العذاب
عن ابي علي الجبائي قال والغرض بذلك اعلامهم انه ليس لهم يوم القيمة ولي يدفع عنهم شيئا من العذاب وقال غيره لما حكى
الله سبحانه ما يجري بين الجن والانس من الخصام والجدال في الاخرة قال وكذلك اي كما فعلنا بهؤلاء من الجمع بينهم في النار
وتولية بعضهم بعضا نفعل مثله بالظالمين جزاء على اعمالهم القبيحة وقال ابن عباس اذا رضي الله عن قوم ولى امرهم خيارهم

واذا

واذا سخط على قوم ولى امرهم شرارهم بما كانوا يكسبون من المعاصي اي جزاء على اعمالهم القبيحة وذلك معنى قوله ان الله لا يغير ما
بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم ومثله ما رواه الكلبي عن مالك بن دينار قال قرات في بعض كتب الحكمة ان الله يقول اني انا الله مالك
الملوك قلوب الملوك بيدي فمن اطاعني جعلتهم عليه رحمة ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة فلا تشغلوا انفسكم بسب الملوك ولكن
توبوا الي اعطفهم عليكم وقيل معنى قوله نولي بعضهم بعضا نخلي بينهم وبين ما يختارونه من غير نصرة لهم وقيل معناه نتابع بعضهم
بعضا في النار من الموالاة التي هي المتابعة اي يدخل بعضهم النار عقيب بعض عن قتادة قوله تعالى يا معشر الجن والانس الم ياتكم
رسل منكم يقصون عليكم اياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على انفسنا وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا
على انفسهم انهم كانوا كافرين ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون ولكل درجات مما عملوا وما
ربك بغافل عما تعملون ثلث ايات القراءة قرا ابن عامر عما تعملون بالتاء والباقون بالياء اللغة الغفلة عن المعنى والسهو عنه في
العزوب عنه نظاير وضد الغفلة اليقظة وضد السهو الذكر وضد العزوب الحضور الاعراب موضع ذلك يحتمل ان يكون رفعا
على تقدير الامر ذلك ويحتمل ان يكون نصبا على تقدير فعلنا ذلك وان لم يكن ان هذه هي المخففة من المثقلة وتقديره لانه لم يكن كما قال الشاعر
في فتية كسيوف الهند قد علموا ان هالك كل من يحفى وينتعل وان المفتوحة لا بد لها من اضمار الهاء لانه لا معنى لها في الابتداء
وانما هي بمعنى المصدر المبني على غيره والمكسورة لا يحتاج الى الهاء لانها تصح ان يكون حرفا من حروف الابتداء فلا يحتاج الى اضمار وانما
لم تبن كل اذا حذف منه المضاف اليه كما بني قبل وبعد لان ما حذف منه المضاف اليه مثل قبل وبعد لم يكن في حال الاعراب على التمكن
التام فانه لا يدخله الرفع في تلك الحال فلما انضاف الى ذلك نقصان التمكن بحذف المضاف اليه اخرج الى البناء وليس كذلك كل
لانه متمكن على كل حال فلذلك لم يبن المعنى ثم بين سبحانه تمام ما يخاطب به الجن والانس يوم القيمة بان يقول يا معشر الجن و
الانس والمعشر الجماعة التامة من القوم التي تشتمل على اصناف الطوائف ومنه العشرة لانها تمام العقد الم ياتكم رسل منكم هذا
احتجاج عليهم بان بعث اليهم الرسل اعذارا وانذارا وتاكيدا للحجة عليهم واما قوله منكم وان كان خطابا لجميعهم والرسل من الانس
خاصة فانه يحتمل ان يكون لتغليب احدهما على الاخر كما قال سبحانه يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وان كان اللؤلؤ يخرج من الملح
دون العذب وكما تقول اكلت الخبز واللبن وانما تاكل الخبز وتشرب اللبن وهو قول اكثر المفسرين والزجاج والرماني وقيل انه ارسل
رسلا الى الجن كما ارسل الى الانس عن الضحاك وقال الكلبي كان الرسل يرسلون الى الانس ثم بعث محمد الى الانس والجن وقال ابن عباس
انما بعث الرسل من الانس ثم كان يرسل هو الى الجن رسولا من الجن وقال مجاهد الرسل من الانس والنذر من الجن يقصون اي يتلون
ويقرؤون عليكم اياتي اي حججي ودلائلي وبيناتي وينذرونكم اي يخوفونكم لقاء يومكم هذا اي لقاء ما تستحقونه من العقاب في
هذا اليوم وحصولكم فيه يعني يوم القيمة قالوا شهدنا على انفسنا بالكفر والعصيان في حال التكليف ولزوم الحجة وانقطاع
المعذرة واعترفنا بذلك وغرتهم الحيوة الدنيا اي تزينت لهم بظاهرها حتى اغتروا بها وشهدوا على انفسهم في الاخرة انهم
كانوا كافرين في الدنيا اي اقروا بذلك وشهدوا باستحقاقهم العذاب ذلك حكم [illegible] ان لم يكن اي لانه لم يكن ربك مهلك
القرى بظلم واهلها غافلون وهذا يجري مجرى التعليل اي لاجل انه لم يكن الله سبحانه ليهلك القرى بظلم يكون منهم حتى يبعث
اليهم رسلا ينبهونهم على حجج الله تعالى ويزجرونهم ويذكرونهم ولا يؤاخذهم بغتة وهذا انما يكون منه سبحانه على وجه الاستظهار في
الحجة دون ان يكون ذلك واجبا لان ما فعلوه من الظلم قد استحقوا به العقاب وقيل معناه انه سبحانه لا يهلكهم بظلم منه على
غفلة منهم من غير تنبيه وتذكير عن الفراء والجبائي ومثله قوله سبحانه وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون
وفي هذا دلالة واضحة على انه سبحانه منزه عن الظلم ولو كان الظلم من خلقه لما صح تنزهه سبحانه عنه ولكل اي ولكل عامل
بطاعة او معصية درجات مما عملوا اي مراتب في عمله على حسب ما يستحقه فيجازى عليه ان كان خيرا فخير وان كان شرا فشر
وانما سميت درجات لتفاضلها كتفاضل الدرج في الارتفاع والانحطاط وانما يعبر عن تفاضل اهل الجنة بالدرج
وعن تفاضل اهل النار بالدرك الا انه لما جمع بينهم عبر عن تفاضلهم بالدرج تغليبا لصفة اهل الجنة وما ربك

يا محمد او ايها السامع بغافل اي ساه عما يعملون اي لا يشذ شيء من ذلك عن علمه فيجازيهم على حسب ما يستحقونه من الجزاء وفي هذا تنبيه وتذكير
للخلق في كل امورهم قوله تعالى وربك الغني ذو الرحمة ان يشا يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما انشاكم من ذرية
قوم آخرين انما توعدون لآت وما انتم بمعجزين قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة
الدار انه لا يفلح الظالمون ثلث آيات القراءة قرا ابو بكر عن عاصم مكاناتكم على الجمع والباقون مكانتكم على التوحيد وقرا
حمزة والكسائي من يكون بالياء والباقون بالتاء الحجة وجه قراءة مكانتكم على التوحيد انه مصدر والمصادر في اكثر الامر
مفردة ووجه الجمع انه قد يجمع المصدر كقولهم الحلوم والاحلام قال فاما اذا جلسوا فاني الندي فاحلام عاد وايد هضم ومن قرا
يكون بالياء فلان العاقبة مصدر كالعافية وتانيثه غير حقيقي فمن انث فهو كقوله فاخذتهم الصيحة ومن ذكر فكقوله واخذ
الذين ظلموا الصيحة وكلا الامرين جائز اللغة الانشاء الابتداء انشا الله الخلق اذا خلقهم وابتداهم ومنه قولهم انشا فلان قصيدة
والنشا الاحداث من الاولاد قال نصيب ولولا ان يقال صبا نصيب لقلت بنفسي النشا الصغار وتوعدون من الايعاد
ويحتمل ان يكون من الوعد والوعد في الخير والايعاد في الشر وقال ابو زيد المكانة المنزلة يقال رجل مكين عند السلطان من قوم مكناء
وقد يكون مكانة الاعراب الكاف في قوله كما انشاكم في موضع نصب اي مثل ما انشاكم ومن في قوله ويستخلف من بعدكم للبدل
كقولهم اعطيتك من دينارك ثوبا اي مكان دينارك وبدله ومن في قوله من ذرية قوم آخرين لابتداء الغاية وما في قوله انما
توعدون بمعنى الذي ومن في قوله من تكون له عاقبة الدار في موضع رفع بالابتداء وخبره تكون له عاقبة الدار وتقديره اينا
تكون له عاقبة الدار ويكون تعليقا ويحتمل ان يكون موضعه نصبا بيعلمون ويكون في معنى الذي المعنى لما امر سبحانه بطاعته
وحث عليها ونهى عن معصيته [illegible] بين انه لم يامر بها لحاجة لانه يتعالى عن النفع والضر فقال وربك اي خالقك وسيدك الغني
عن اعمال عباده لا ينفعه طاعتهم ولا يضره معصيتهم لان الغني عن الشيء هو الذي يكون وجود الشيء وعدمه وصحته وفساده
عنده بمنزلة ذو الرحمة اي صاحب النعمة على عباده بين سبحانه انه مع غناه عن عباده ينعم عليهم وان انعامه وان كثر لا ينقص
من ملكه ولا من غناه ثم اخبر سبحانه عن قدرته فقال ان يشا يذهبكم اي يهلككم وتقديره يذهبكم بالاهلاك ويستخلف من بعدكم
ما يشاء اي وينشئ بعد هلاككم خلقا غيركم يكونوا خلفا لكم كما انشاكم في الاول من ذرية قوم آخرين تقدموكم وهذا خطاب
لمن سبق ذكرهم من الجن والانس ويحتمل ان يكون معناه ويستخلف جنسا آخر اي كما قدر على اخراج الجن والانس فهو قادر على ان يخرج
قوما آخرين لا من الجن ولا من الانس وفي هذه الاية دلالة على ان خلاف المعلوم يجوز ان يكون مقدورا لانه سبحانه بين انه قادر على
ان ينشئ خلقا خلاف الجن والانس ولم يفعل ذلك انما توعدون من القيامة والحساب والجنة والنار والثواب والعقاب وتفاوت
اهل الجنة في الدرجات وتفاوت اهل النار في الدركات لآت لآت وما انتم بمعجزين هاهنا قيل بناجين وقيل بفائتين وقيل بخارجين
من ملكه وقدرته والاعجاز ان ياتي الانسان بشيء يعجز خصمه عنه ويقصر دونه فيكون قد جعله عاجزا عنه فعلى هذا يكون المعنى
لستم بمعجزين الله سبحانه عن الانشاء بالبعث والعقاب قل يا محمد يا قوم اعملوا على مكانتكم على قدر منزلتكم وتمكنكم من الدنيا
ومعناه اثبتوا على ما انتم عليه من الكفر وهذا تهديد ووعيد بصيغة الامر وقيل على مكانتكم على طريقتكم وقيل على حالتكم عن
الجبائي اي اقيموا على حالتكم التي انتم عليها فاني مجازيكم اني عامل اخبار عن النبي صلى الله عليه وآله اي عامل بما امرني الله تعالى به
وقيل اخبار عن الله تعالى اني عامل ما وعدتكم به من البعث والجزاء عن ابي مسلم والاول الصحيح فسوف تعلمون من تكون له عاقبة
الدار اي فستعلمون اينا تكون له العاقبة المحمودة في دار السلام عند الله تعالى وقيل المراد عاقبة دار الدنيا في النصر عليكم
انه لا يفلح الظالمون اي لا يظفر الظالمون بمطلوبهم وانما لم يقل الكافرون وان كان الكلام في ذكرهم لانه سبحانه قال
في موضع آخر والكافرون هم الظالمون وقال ان الشرك لظلم عظيم قوله تعالى وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام
نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء
ما يحكمون آية القراءة قرا الكسائي بزعمهم بضم الزاي وهو قراءة يحيى بن وثاب والاعمش وقرا الباقون بفتح الزاي الحجة القول فيهما

لغتان

لغتان وقيل ان الكسر لغة ومثله الفتك والفتك والفتك والود والود والود اللغة الذرء الخلق على وجه الاختراع
واصله الظهور ومنه ملح ذرآني وذراني لظهور بياضه والذراة ظهور الشيب قال وقد علتني ذرأة بادي بدا وذرئت لحيته
اذا شابت والحرث الزرع والحرث الارض التي تثار للزرع والانعام جمع النعم ماخوذ من نعمة الوطء ولا يقال لذوات الحافر انعام
المعنى ثم عاد الكلام الى حجاج المشركين وبيان اعتقاداتهم الفاسدة فقال سبحانه وجعلوا لله يعني كفار مكة ومن تقدمهم من المشركين
والجعل هنا بمعنى الوصف والحكم مما ذرا من الحرث اي مما خلق من الزرع والانعام اي المواشي من الابل والبقر والغنم نصيبا اي حظا
وهاهنا حذف يدل الكلام عليه وهو وجعلوا للاوثان منه نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا يعني الاوثان و
انما جعل الاوثان شركاءهم لانهم جعلوا لها نصيبا من اموالهم ينفقونه عليها فشاركوها في نعمهم فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله
وما كان لله فهو يصل الى شركائهم قيل في معناه اقوال احدها انهم كانوا يزرعون لله زرعا وللاصنام زرعا فكان اذا زكى الزرع
الذي زرعوه لله ولم يزك الزرع الذي زرعوه للاصنام جعلوا بعضه للاصنام وصرفوه اليها ويقولون ان الله غني والاصنام
احوج وان زكى الزرع الذي جعلوه للاصنام ولم يزك الزرع الذي زرعوه لله لم يجعلوا منه شيئا لله تعالى وقالوا هو غني وكانوا يقسمون
النعم فيجعلون بعضه لله وبعضه للاصنام فما كان لله اطعموه الضيفان وما كان للصنم انفقوه عليه عن الزجاج وغيره وثانيها
انه كان اذا اختلط ما جعل للاصنام بما جعل لله تعالى ردوه واذا اختلط ما جعل لله بما جعل للاصنام تركوه وقالوا الله اغنى واذا انخرق
الماء من الذي لله في الذي للاصنام لم يسدوه واذا انخرق الماء من الذي للاصنام في الذي لله سدوه وقالوا الله اغنى عن ابن
عباس وقتادة وهو المروي عن ائمتنا عليهم السلام وثالثها انه اذا هلك ما جعل للاصنام بدلوه بما جعل لله واذا هلك ما جعل لله
لم يبدلوه بما جعل للاصنام عن الحسن والسدي ساء ما يحكمون اي ساء الحكم حكمهم هذا قوله تعالى وكذلك زين لكثير من المشركين
قتل اولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون آية القراءة قرا
ابن عامر وحده زين بضم الزاي قتل بالنصب اولادهم بالنصب شركائهم بالجر والباقون زين بالفتح قتل بالنصب اولادهم بالجر شركاؤهم
بالرفع الحجة شركاؤهم في قراءة الاكثرين فاعل زين وقتل اولادهم مفعوله ولا يجوز ان يكون شركاء فاعل المصدر الذي هو قتل اولادهم
لان زين حينئذ يبقى بلا فاعل ولان الشركاء ليسوا قاتلين انما هم مزينون القتل لهم واضيف المصدر الذي هو قتل الى المفعول الذين
هم اولاد وحذف الفاعل وتقديره قتلهم اولادهم كما حذف ضمير الانسان في قوله لا يسام الانسان من دعاء الخير والمعنى من دعائه الخير
واما قراءة ابن عامر وكذلك زين فانه اسند زين الى القتل وعمل المصدر عمل الفعل واضافه الى الشركاء الفاعل ونظير ذلك قوله ولولا دفع
الله الناس بعضهم ببعض فاسم الله هنا فاعل كما ان الشركاء في الاية فاعلون والمصدر مضاف الى الشركاء الذين هم فاعلون والمعنى
قتل شركائهم اولادهم وتقديره ان قتل شركاؤهم اولادهم وفصل بين المضاف والمضاف اليه بمفعول به والمفعول مفعول المصدر
وهذا قبيح في الاستعمال قال ابو علي ووجه ذلك على ضعفه انه قد جاء في الشعر الفصل قال الطرماح يطفن بحوزي المراتع لم يرع
بواديه من قرع القسي الكنائن وزعموا ان ابا الحسن انشد زج القلوص ابي مزادة فهو شاذ مثل قراءة ابن عامر وذكر سيبويه في هذه
الاية قراءة اخرى وهي قوله وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم وهو قراءة ابي عبد الرحمن السلمي فحمل الشركاء فيها على فعل
مضمر غير هذا الظاهر كانه لما قيل وكذلك زين قيل من زينه قال زينه شركاؤهم ومثل ذلك قوله ليبك يزيد ضارع لخصومة ومختبط
مما تطيح الطوائح كانه لما قيل ليبك يزيد قيل من يبكيه قال يبكيه ضارع اللغة الارداء الاهلاك ردي يردى اذا هلك وردي
ترديا والمرداة الحجر يردى من رامه المعنى ثم بين سبحانه خصلة اخرى من خصالهم الذميمة فقال وكذلك اي كما جعل اولئك في
الحرث والانعام ما لا يجوز كذلك زين لكثير من المشركين اي مشركي العرب قتل اولادهم شركاؤهم يعني الشياطين الذين زينوا
لهم قتل البنات ووادهن احياء خيفة العيلة والفقر والعار عن الحسن ومجاهد والسدي وقيل ان المزينين لهم ذلك قوم كانوا
يخدمون الاوثان عن الفراء والزجاج وقيل هم الغواة من الناس وقيل كان السبب في تزيين قتل البنات ان النعمان بن المنذر
اغار على قوم فسبى نساءهم وكان فيهن بنت قيس بن عاصم ثم اصطلحوا فارادت كل امراة منهن عشيرتها غير بنت قيس فانها ارادت من سباها

سبا فالحلف قيل ان لا تولد له بنت الا وادها فصارت تلك سنة فيما بينهم ليردوهم اي ليهلكوهم واللام لام العاقبة فانهم
لم يكونوا مغالبين لهم فيقصدوا الى ان يردوهم عن ابي علي الجبائي وقال غيره يجوز ان يكون فيهم المعاند فيكون ذلك على التغليب وليلبسوا
عليهم دينهم اي يخلطوا عليهم دينهم ويدخلوا عليهم الشبهات فيه ولو شاء الله ما فعلوه معناه ولو شاء الله ان يمنعهم من ذلك
او يضطرهم الى تركه لفعل او لو فعل المنع والحيلولة لما فعلوه ولكن كان ذلك منافيا للتكليف فذرهم وما يفترون اي اتركهم ودعهم
وافتراءهم اي كذبهم على الله تعالى فانه يجازيهم وفي هذا غاية الزجر والتهديد كما يقول القائل دعه وما اختاره وفي هذه الآية دلالة واضحة
على ان تزيين القتل والقتل فعلهم وانهم في اضافة ذلك الى الله سبحانه كاذبون قوله تعالى وقالوا هذه انعام وحرث حجر لا يطعمها
الا من نشاء بزعمهم وانعام حرمت ظهورها وانعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون آية
القراءة قرأ في الشواذ حرج روي ذلك عن ابي بن كعب وابن مسعود وابن الزبير والاعمش وعكرمة وعمرو بن دينار الحجة الحرج يمكن ان
يؤول معناه الى الحجر وانهما يرجعان في الاصل الى معنى الضيق فان الحرام سمي حجرا لضيقه والحرج ايضا الضيق فعلى هذا يكون لغة في حجر
مثل جبذ وجذب فهو من المقلوب اللغة الحجر الحرام والحجر العقل وفلان في حجر القاضي من حجرت حجرا اي منع القاضي اياه من الحكم في ماله
وحجر المرأة وحجرها بالفتح والكسر حضنها الاعراب افتراء منصوب بقوله لا يذكرون وهو مفعول له ويجوز ان يكون لا يذكرون بمعنى
يفترون فكانه قال يفترون افتراء المعنى ثم حكى سبحانه عنهم عقيدة اخرى من عقايدهم الفاسدة فقال وقالوا يعني المشركين هذه انعام
اي مواشي وهي الابل والبقر والغنم وحرث اي زرع حجر اي حرام يعني بذلك الانعام والزرع اللذين جعلوهما لآلهتهم واوثانهم لا يطعمها
الا من نشاء بزعمهم اي لا ياكلها الا من نشاء ان ناذن له في اكلها واعلم سبحانه ان هذا التحريم زعم منهم لا حجة لهم فيه ولا برهان وكانوا
لا يحلون ذلك الا لمن قام بخدمة اصنامهم من الرجال دون النساء وانعام حرمت ظهورها يعني الانعام التي حرموا الركوب عليها وهي
السائبة والبحيرة والحام عن الحسن ومجاهد وقيل هي الحامي الذي حمى ظهره اذا ركب ولد ولده عندهم فلا يركب ولا يحمل عليها وانعام لا
يذكرون اسم الله عليها قيل كانت لهم من انعامهم طائفة لا يذكرون اسم الله عليها ولا في شيء من شأنها عن مجاهد وقيل انهم كانوا
لا يحجون عليها عن ابي وائل وقيل هي التي اذا ذكوها اهلوا عليها باصنامهم فلا يذكرون اسم الله عليها عن الضحاك افتراء عليه
اي كذبا على الله تعالى لانهم كانوا يقولون ان الله امرهم بذلك وكانوا كاذبين عليه سبحانه سيجزيهم بما كانوا يفترون ظاهر المعنى قوله تعالى
وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم انه
حكيم عليم آية القراءة قرأ ابن كثير وان يكن بالياء ميتة بالرفع وقرأ ابن عامر وابو جعفر تكن بالتاء ميتة رفع وقرأ ابو بكر عن عاصم تكن
بالتاء ميتة نصب والباقون يكن بالياء ميتة نصب وفي الشواذ قراءة ابن عباس بخلاف وقتادة والاعرج خالصة بالنصب وقرأ سعيد
بن جبير خالصا وقراءة ابن عباس بخلاف والزهري والاعمش خالص بالرفع وقراءة ابن عباس وابن مسعود والاعمش بخلاف خالصه مرفوع مضاف الحجة
وجه قراءة الاكثر ان يحمل على ما فيكون تقديره ان يكن ما في بطون الانعام ميتة ووجه قراءة ابن كثير انه لما لم يكن تأنيث الميتة تأنيث
ذوات الفروج جاز تذكير الفعل كقوله فمن جاءه موعظة ويكون كان تامة وتقديره ان وقع ميتة ومن انث الفعل فكقوله سبحانه
قد جاءتكم موعظة ووجه قراءة ابي بكر ان ما في بطون الانعام من الانعام فلذلك انثها واما خالصة بالرفع على القراءة المشهورة
فتقديره ما في بطون الانعام خالصة لنا اي خالص فادخلت الهاء للمبالغة في الخلوص كما يقال فلان خالصة فلان اي صفيه والبالغ في
الصفاء والثقة عنده والتاء فيه للمبالغة ويكون ايضا بلفظ المصدر نحو العاقبة والعافية والمصدر الى الجنسية فيكون اعم
واوكد ويدل على ذلك قراءة من قرأ خالصه واما من نصب خالصة وخالصا ففيه وجهان احدهما ان يكون حالا من الضمير في الظرف
الذي جرى صلة على ما فيكون كقولهم الذي في الدار قائما زيد ويكون قوله لذكورنا خبر المبتدأ الموصول والآخر ان يكون حالا
من ما على مذهب ابي الحسن في اجازته تقديم الحال على العامل فيها اذا كان معنى بعد ان يتقدم صاحب الحال عليها كقولنا زيد قائما
في الدار واحتج بقوله سبحانه والارض جميعا قبضته يوم القيامة المعنى ثم حكى الله سبحانه عنهم مقالة اخرى فقال وقالوا
يعني هؤلاء الذين تقدم ذكرهم ما في بطون هذه الانعام يعني البان البحاير والسيب عن ابن عباس والشعبي وقتادة وقيل

يعني اجنة البحاير والسيب ما ولد منها حيا فهو خالص للذكور دون النساء وما ولد منها ميتا اكله الرجال والنساء عن مجاهد والسدي
وقيل المراد به كلاهما خالصة لذكورنا لا يشركهم فيها احد من الاناث من قولهم فلان يخلص العمل لله ومنه اخلاص التوحيد وسمي الذكر
من الذكر الذي هو الشرف والذكر انبه واذكر من الانثى ومحرم على ازواجنا اي نسائنا وان يكن ميتة معناه ان يكن جنين الانعام ميتة
فهم فيه شركاء اي الذكور والاناث فيه سواء ثم قال سبحانه سيجزيهم وصفهم اي سيجزيهم العقاب بوصفهم فلما اسقط الباء نصب
وصفهم وقيل تقديره سيجزيهم جزاء وصفهم فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه عن الزجاج انه حكيم فيما يفعل بهم من العقاب عاجلا
وفي امهالهم آجلا عليم بما يفعلونه لا يخفى عليه شيء منها وقد عاب الله سبحانه الكفار في هذه الآية من وجوه اربعة احدها ذبحهم الانعام
بغير اذن الله وثانيها الكذب على ادعاء التذكية افتراء على الله وثالثها تحليلهم للذكور وتحريمهم على الاناث تفرقة بين ما لا يفترق الا بحكم
من الله ورابعها تسويتهم بينهم في الميتة من غير رجوع الى سمع يوثق به قوله تعالى قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم
وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين آية القراءة قرأ ابن كثير وابن عامر قتلوا بتشديد التاء
والباقون بالتخفيف الحجة التشديد للتكثير والتخفيف يدل على القلة والكثرة وقد تقدم بيان ذلك الاعراب قوله
سفها وافتراء على الله نصب على الوجهين اللذين ذكرناهما في قوله افتراء عليه المعنى ثم جمع سبحانه بين الفريقين اللذين قتلوا
اولادهم والذين حرموا الحلال فقال قد خسر الذين قتلوا اولادهم خوفا من الفقر وهربا من العار ومعناه هلكت نفوسهم
باستحقاقهم على ذلك عقاب الابد والخسران هلاك راس المال سفها اي جهلا وتقديره سفهوا بما فعلوه سفها والفرق بين السفه
والنزق ان السفه عجلة يدعو اليها الهوى والنزق عجلة من جهة حدة الطبع والغيظ بغير علم وهذا تاكيد لجهلهم وذهابهم عن الصواب
وحرموا ما رزقهم الله يعني الانعام والحرث اللذين زعموا انها حجر عن الحسن واعترض علي بن عيسى على هذا فقال الانعام كانت محرمة
من السمع فما قاله غير صحيح وهذا الاعتراض بعيد من حيث ان الركوب لا يحتاج الى السمع وان احتاج الذبح اليه لان الركوب مباح اذا
قام بمصالحها ولان اكلها ايضا بعد الذبح مباح افتراء اي كذبا على الله سبحانه قد ضلوا اي ذهبوا عن طريق الحق بما فعلوه وحكموا بحكم
الشيطان فيما حكموا فيه وما كانوا مهتدين الى شيء من الدين والخير والرشاد وفي هذه الآية دلالة على بطلان مذهب المجبرة لانه
سبحانه اضاف القتل والافتراء والتحريم اليهم ونزه نفسه عن ذلك وذمهم على قتل الاطفال بغير جرم فكيف يعاقبهم سبحانه عقاب
الابد على غير جرم قوله تعالى وهو الذي انشا جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا اكله والزيتون
والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره اذا اثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين آية
القراءة قرأ اهل البصرة والشام وعاصم حصاده بالفتح والباقون حصاده بالكسر الحجة هما لغتان قال سيبويه جاؤوا بالمصادر
حين ارادوا انتهاء الزمان على مثال فعال ومثل ذلك الصرام والجداد والجزاز والقطاع والحصاد وربما دخلت اللغتان
في بعض فكان فيه فعال وفعال اللغة الانشاء احداث الفعل ابتداء لا على مثال سبق وهو كالاختراع والاختراع هو احداث
الافعال في الغير من غير سبب والخلق هو التقدير والترتيب والجنات البساتين التي تجنها الشجر من النخل وغيره والروضة هي الخضرة
بالنبات والزهر المشرق باختلاف الالوان الحسنة والعرش اصله الرفع ومنه سمي السرير عرشا لارتفاعه والعرش السقف والملك
وعرش الكرم رفع بعض اغصانها على بعض والعريش شبه الهودج يتخذ للمرأة والاسراف مجاوزة الحد وقد يكون المجاوزة الى
الزيادة وقد يكون بالتقصير وهو ان يجاوز حد الحق والعدل قال الشاعر اعطوا هنيدة يحدوها ثمانية ما في عطائهم من
ولا سرف اي لا تقصير وقيل معناه ولا افراط الاعراب مختلفا اكله نصب على الحال من انشا وانما انتصب على الحال وان كان
يؤكل بعد ذلك بزمان لامرين احدهما ان المعنى مقدرا اختلاف اكله كما في قولهم مررت برجل معه صقر صائدا به غدا اي مقدرا الصيد
به غدا والثاني ان يكون معنى الحال انه الذي يصلح ان يؤكل منه المعنى لما حكى الله سبحانه عن المشركين انهم جعلوا بعض الاشياء للاوثان
عقب ذلك البيان بانه الخالق لجميع الاشياء فلا يجوز اضافة شيء منها الى الاوثان ولا تحليل ذلك ولا تحريمه الا باذنه فقال وهو
الذي انشا اي خلق وابتدع لا على مثال جنات اي بساتين فيها الاشجار المختلفة معروشات مرفوعات بالدعائم قيل هو ما

عرشه الناس من الكروم ونحوها عن ابن عباس والسدي وقيل عرشها ان يجعل لها حظاير كالحيطان عن ابي علي واصله الرفع ومنه قوله تعالى
خاوية على عروشها يعني على اعاليها وما ارتفع منها لو تدك فتستوي بالارض وغير معروشات يعني ما خرج من قبل نفسه في البراري و
الجبال من انواع الاشجار عن ابن عباس وقيل معناه غير مرفوعات بل قائمة على اصولها مستغنية عن التعريش عن ابي مسلم والنخل والزرع
اي وانشأ النخل والزرع مختلفا اكله اي طعمه وقيل ثمره وقيل هذا وصف النخل والزرع جميعا فخلق سبحانه بعضها مختلف اللون و
الطعم والرائحة والصورة وبعضها مختلفا في الصورة متفقا في الطعم وبعضها مختلفا في الطعم متفقا في الصورة وكل ذلك يدل على
توحيده وعلى انه قادر على ما يشاء عالم بكل شيء والزيتون والرمان اي وانشأ الزيتون والرمان متشابها في الطعم واللون و
الصورة وغير متشابه فيهما وانما قرن الزيتون الى الرمان لانهما متشابهان باكتناز الاوراق في اغصانهما كلوا من ثمره المراد به
الاباحة بلفظ الامر قال الجبائي وجماعة هذا يدل على جواز الاكل من الثمر وان كان فيه حق الفقراء وآتوا حقه يوم حصاده هذا
امر بايتاء الحق يوم الحصاد على الجملة والحق الذي يجب اخراجه يوم الحصاد فيه قولان احدهما انه الزكوة العشر او نصف العشر عن
ابن عباس ومحمد بن الحنفية وزيد بن اسلم والحسن وسعيد بن المسيب وقتادة والضحاك وطاوس والثاني انه ما تيسر مما يعطى
المساكين عن جعفر بن محمد عن ابيه وعطا ومجاهد وابن عمر وسعيد بن جبير والربيع بن انس وروى اصحابنا انه الضغث بعد الضغث
والحفنة بعد الحفنة وقال ابرهيم والسدي الآية منسوخة بفرض العشر ونصف العشر لان هذه الآية مكية وفرض الزكوة انما نزل
بالمدينة ولما روي ان الزكوة نسخت كل صدقة قالوا ولان الزكوة لا تخرج يوم الحصاد قال علي بن عيسى وهذا غلط لان يوم حصاده
ظرف لحقه وليس بظرف للايتاء المامور به ولا تسرفوا اي لا تجاوزوا الحد وفيه اقوال احدها انه خطاب لارباب الاموال اي لا
تسرفوا بان تتصدقوا بالجميع ولا تبقوا للعيال شيئا كما فعل ثابت بن قيس بن شماس فانه صرم خمسين نخلا وتصدق بالجميع ولم يدخل
منه شيئا في داره لاهله عن ابي العالية وابن جريج وثانيها ان معناه لا تقصروا بان تمنعوا الواجب والتقصير سرف عن سعيد بن
المسيب وثالثها ان المعنى لا تسرفوا في الاكل قبل الحصاد كيلا يؤدي الى بخس حق الفقراء عن ابي مسلم ورابعها ان معناه لا تنفقوا في
المعصية ولا تضعوه في غير موضعه وفي جميع هذه الاقوال الخطاب لارباب الاموال وخامسها ان الخطاب للائمة ومعناه لا تاخذوا
ما يجحف بارباب الاموال ولا تاخذوا فوق الحق عن ابن زيد وسادسها ان الخطاب للجميع بان لا يسرفوا بالمال في الاعطاء والا
في الاخذ وصرف ذلك الى غير مصارفه وهذا اعم فائدة انه لا يحب المسرفين ظ المعنى قوله تعالى ومن الانعام حمولة وفرشا
كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين ثمانية ازواج من الضان اثنين ومن المعز
اثنين قل الذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين نبئوني بعلم ان كنتم صادقين ومن
الابل اثنين ومن البقر اثنين قل الذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين ام كنتم شهداء اذ وصيكم
الله بهذا فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين ثلث آيات القراءة
قرا ابن كثير الا ابن فليح وابن عامر واهل البصرة من المعز بفتح العين والباقون بسكونها الحجة قال ابو علي من قرا المعز فانه جمع
ماعز مثل خادم وخدم وحارس وحرس وطالب وطلب وقال ابو الحسن هو جمع على غير واحد وكذلك المعزى وحكى ابو زيد الامعوز
وقالوا معيز كالكليب والضئين ومن قرا المعز فانه جمع ايضا مثل صاحب وصحب وتاجر وتجر وراكب وركب وابو الحسن يرى هذا
الجمع مستمرا ويرده في التصغير الى الواحد فيقول في تحقير ركب رويكبون وفي تجر تويجرون وسيبويه يراه اسما من اسماء الجموع
وانشد ابو عثمن في الاحتجاج لسيبويه اخشى ركيبا او رجيلا عاديا فتحقيره له على لفظه يدل على انه اسم للجمع وانشد وابن ركيب
واضعون رحالهم اللغة الحمولة الابل تحمل عليها الاثقال ولا واحد لها من لفظها كالركوبة والجزورة والحمولة بضم الحاء
الاحمال وهي الحمول ايضا وانما قيل للصغار فرش لامرين احدهما الاستواء اسنانها في الصغر والانحطاط كاستواء ما يفرش
والثاني انه من الفرش وهي الارض المستوية التي يتوطاها الناس والزوج يقع على الواحد الذي يكون معه آخر وعلى الاثنين
كما يقال للواحد وللاثنين خصم وعدل والاشتمال اصله الشمول يقال شملهم الامر يشملهم وشملهم يشملهم شمولا اذا عمهم

ومنه الشمال لشمولها على ظ الشيء وباطنه بقوتها ولطفها ومنه الشمول الخمر لاشتمالها على العقل وقيل لان لها عصفة كعصفة
الشمال الاعراب حمولة عطف على جنات اي وانشأ من الانعام حمولة واثنين محمول على انشأ ايضا اي ثمانية ازواج اثنين من كذا
واثنين من كذا فثمانية ازواج بدل من حمولة وفرشا واثنين من كذا واثنين من كذا بدل من ثمانية او عطف بيان وقوله الذكرين
حرم دخلت همزة الاستفهام على همزة الوصل وفصل بينهما بالف ولم يسقط همزة الوصل لئلا يلتبس الاستفهام بالخبر ولو اسقطت
لجاز لان ام تدل على الاستفهام وعلى هذا اجاز سيبويه ان يكون قول الشاعر فوالله ما ادري وان كنت داريا شعيث بن سهم
ام شعيث بن منقر استفهاما فيكون بتقدير اشعيث وما في قوله اما اشتملت في موضع نصب لكونه عطفا على الانثيين
وانما قال الانثيين فثنى لانه اراد من الضان والمعز المعنى ثم عطف سبحانه على ما عد فيما تقدم من عظيم الانعام ببيان نعمته
في انشاء الانعام فقال ومن الانعام اي وانشأ من الانعام حمولة وفرشا وقد قيل فيه اقوال احدها ان الحمولة كبار الابل و
الفرش صغارها عن ابن عباس وابن مسعود والحسن بخلاف فيه ومجاهد وثانيها ان الحمولة ما يحمل عليه من الابل والبقر والفرش الغنم عن الحسن
في رواية اخرى وقتادة والربيع والسدي والضحاك وابن زيد وثالثها ان الحمولة كل ما حمل من الابل والبقر والخيل والبغال
والحمير والفرش الغنم عن ابن عباس في رواية اخرى فكانه ذهب الى انه يدخل في الانعام الحافر على وجه التبع ورابعها ان معناه ما
ينتفعون به في الحمل وما يفترشونه في الذبح فمعنى الافتراش الاضطجاع للذبح عن ابي مسلم قال وهو كقوله فاذا وجبت جنوبها
وروي عن الربيع بن انس ايضا ان الفراش ما يفرش للذبح وخامسها ان الفراش ما يفرش من اصوافها واوبارها ويرجع الصفتان
الى الانعام اي من الانعام ما يحمل عليه ومنها ما يتخذ من اوبارها واصوافها ما يفرش ويبسط عن ابي علي الجبائي كلوا مما رزقكم الله
اي استحلوا الاكل مما اعطاكم الله ولا تحرموا شيئا منها كما فعله اهل الجاهلية في الحرث والانعام وعلى هذا يكون الامر على ظاهره
ويمكن ان يكون اراد نفس الاكل فيكون بمعنى الاباحة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين مضى تفسيره في سورة
البقرة ثم فسر سبحانه الحمولة والفرش فقال ثمانية ازواج تقديره وانشأ ثمانية ازواج انشأ من الضان اثنين ومن
المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين وانما اجمل ثم فصل الجمل لانه اراد ان يقرر على كل شيء منه ليكون اشد في التوبيخ
من ان يذكر ذلك دفعة واحدة ومعناه ثمانية افراد لان كل واحد من ذلك يسمى زوجا فالذكر زوج الانثى والانثى زوج الذكر
كما قال سبحانه امسك عليك زوجك وقيل معناه ثمانية اصناف من الضان اثنين يعني الذكر والانثى ومن المعز اثنين الذكر
والانثى والضان ذوات الصوف من الغنم والمعز ذوات الشعر منه وواحد الضان ضائن كقولهم تجر وتاجر والانثى ضائنة
وواحد المعز ماعز وقيل ان المراد بالاثنين الاهلي والوحشي من الضان والمعز والبقر والمراد بالاثنين من الابل العراب والبخاتي
وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلم وانما خص هذه الثمانية لانها جميع الانعام التي يحرمون منها ما يحرمونه على ما تقدم ذكره
قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يحرمون ما احل الله تعالى الذكرين من الضان والمعز حرم ام الانثيين منهما اما اشتملت
عليه ارحام الانثيين اي ام حرم ما اشتملت عليه رحم الانثى من الضان والانثى من المعز وانما ذكر الله سبحانه هذا على وجه
الاحتجاج عليهم بين به فريتهم وكذبهم على الله تعالى فيما ادعوا من ان ما في بطون هذه الانعام حلال للذكور حرام للاناث
وغير ذلك مما حرموه فانهم لو قالوا حرم الذكرين لزمهم ان يكون كل ذكر حراما ولو قالوا حرم الانثيين لزمهم ان يكون كل انثى
حراما ولو قالوا حرم ما اشتملت عليه رحم الانثى من الضان والمعز لزمهم تحريم الذكور والاناث فيلزمهم بزعمهم تحريم هذا
الجنس صغارا وكبارا ذكورا واناثا ولم يكونوا يفعلون ذلك بل كانوا يخصون بالتحريم بعضا دون بعض فقد لزمتهم الحجة
ثم قال نبئوني بعلم ان كنتم صادقين معناه اخبروني بعلم عما ذكرتموه من تحريم ما حرمتموه وتحليل ما حللتموه ان كنتم صادقين
في ذلك ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين هذا تفصيل لتمام الازواج الثمانية قل يا محمد الذكرين حرم ام الانثيين
اما اشتملت عليه ارحام الانثيين قد تقدم معناه ام كنتم شهداء اي حضورا اذ وصيكم الله بهذا اي امركم به وحرم
عليكم حتى تضيفوه اليه وانما ذكر ذلك لان طرق العلم اما الدليل الذي يشترك العقلاء في ادراك الحق به او المشاهدة التي يختص

٣٣٧

الله منهم

بها بعضهم دون بعض فاذا لزم كل واحد من الامرين سقط المذهب والمراد بذلك اعلمتموه بالسمع والكتب المنزلة وانتم لا تقرون بذلك ام
شاهدتم الله تعالى به فعلمتموه واذا لم يكن واحد منهما فقد علم بطلان ما ذهبتم اليه فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا اى من اظلم لنفسه ممن كذب
على الله واضاف اليه تحريم ما لم يحرمه وتحليل ما لم يحلله ليضل الناس اى ليعمل عمل القاصد الى اضلالهم من اجل دعائه اياهم الى ما لا يثق
بصحته مما لا يأمن ان يكون فيه هلاكهم وان لم يقصد اضلالهم ان الله لا يهدى القوم الظالمين الى الثواب لانهم يستحقون العقاب
الدائم بكفرهم وضلالهم قوله تعالى قل لا اجد فيما اوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير فانه
رجس او فسقا اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم القراءة قرا ابن كثير وحمزة تكون بالتاء ميتة
بالنصب وقرا ابو جعفر وابن عامر تكون بالتاء ميتة بالرفع والباقون بالياء ونصب ميتة وكلهم خففوا ميتة غير ابى جعفر فانه شددها
الحجة قال ابو على قراءة ابن كثير وحمزة محمولة على المعنى كانه قال الا ان يكون العين او النفس ميتة الا ترى ان المحرم لا يخلو من جواز العبارة عنه
باحد هذه الاشياء وليس قوله الا ان يكون كقولك جاءنى القوم لا يكون زيدا وليس زيدا فى ان الضمير الذى يتضمن من الاستثناء لا
لا يظهر ولا يدخل الفعل علامة التانيث لان الفعل انما يكون عاريا من علامة التانيث ومن ان يظهر معه الضمير اذا لم يدخل عليه ان
فاما اذا دخله ان فعلى حكم سائر الافعال ومن قرا بالياء ونصب ميتة فانه جعل فيه ضميرا لما تقدم وهو اقيس مما تقدم ذكره اى الا ان يكون
الموجود ميتة ومن قرا الا ان تكون ميتة فالحق علامة التانيث بالفعل كما الحق فى قوله قد جاءتكم موعظة وتقديره الا ان تقع ميتة
المعنى لما تقدم سبحانه ذكر ما حرمه المشركون عقبه ببيان المحرمات فقال قل يا محمد لهؤلاء الكفار لا اجد فيما اوحى الى اى اوحاه
الله تعالى الى شيئا محرما على طاعم يطعمه اى آكل يأكله الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا اى مصبوبا وانما خص المصبوب بالذكر
لان ما يختلط باللحم منه مما لا يمكن تخليصه منه معفو عنه مباح او لحم خنزير وانما خص الاشياء الثلاثة ههنا بذكر التحريم
مع ان غيرها محرم فانه سبحانه ذكر فى المائدة تحريم المنخنقة والموقوذة والمتردية وغيرها لان جميع ذلك يقع عليه اسم الميتة
فيكون فى حكمها فاجمل ههنا وفصل هناك واجود من هذا ان يقال انه سبحانه خص هذه الاشياء بالتحريم تعظيما لحرمتها
وبين تحريم ما عداها فى مواضع اخر اما بنص القرآن واما بوحى غير القرآن وايضا فان هذه السورة مكية والمائدة مدنية
فيجوز ان يكون ما فى الاية من المحرمات انما حرم فيما بعد والميتة عبارة عما كان فيه حياة فقدت من غير تذكية شرعية فانه
رجس اى نجس والرجس اسم لكل مستقذر منفور عنه والرجس ايضا العذاب والهاء فى قوله فانه عائد الى ما تقدم ذكره
او فسقا عطفه على قوله او لحم خنزير فلذلك نصبه اهل لغير الله به اى ذكر عليه اسم الاصنام والاوثان ولم يذكر اسم الله
عليه وسمى ما ذكر عليه اسم الصنم فسقا لخروجه عن امر الله سبحانه واصل الاهلال رفع الصوت بالشىء وقد ذكرناه فى سورة المائدة
فمن اضطر الى تناول شىء مما ذكرناه غير باغ ولا عاد وقد سبق معناه فى سورة البقرة فان ربك غفور رحيم حكم بالرخصة
كما حكم بالمغفرة والرحمة قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا
ما حملت ظهورهما او الحوايا او ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون فان كذبوك فقل ربكم ذو
رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين اللغة الظفر ظفر الانسان وغيره ورجل اظفر اذا كان طويل
الاظفار كما يقال الاشعر لطويل الشعر والحوايا المباعر قال الزجاج واحدها حاوية وحاويا وحوية وهى ما تحوى فى البطن فاجتمع
واستدار الاعراب موضع الحوايا يحتمل ان يكون رفعا عطفا على الظهور وتقديره او ما حملت الحوايا ويحتمل ان يكون نصبا
عطفا على ما فى قوله الا ما حملت فاما قوله او ما اختلط بعظم فان ما هذه معطوفة على ما الاولى ذلك يجوز ان يكون منصوب
الموضع بانه مفعول ثان لجزيناهم التقدير جزيناهم ذلك ببغيهم ولا يجوز ان يرتفع بالابتداء لانه يصير التقدير ذلك جزيناهموه فيكون
كقولهم زيد ضربت اى ضربته وهذا انما يجوز فى ضرورة الشعر المعنى ثم بين سبحانه ما حرمه على اليهود فقال وعلى الذين هادوا
اى على اليهود فى ايام موسى حرمنا كل ذى ظفر اختلف فى معناه فقيل هو كل ما ليس بمنفرج الاصابع كالابل والنعام والاوز والبط عن
ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة ومجاهد والسدى وقيل هو الابل فقط عن ابن زيد وقيل يدخل فيه كل السباع والكلاب والسنانير

وما

وما يصطاد بظفره عن الجبائى وقيل كل ذى مخلب من الطير وكل ذى حافر من الدواب عن القتيبى والبلخى ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما
اخبر سبحانه انه كان حرم عليهم شحوم البقر والغنم من الثرب وشحم الكلى وغير ذلك مما فى اجوافها واستثنى من ذلك فقال الا ما حملت ظهورهما
من الشحم وهو اللحم السمين فانه لم يحرمه عليهم او الحوايا اى ما حملته الحوايا من الشحم فانه غير محرم عليهم ايضا والحوايا هى المباعر عن ابن عباس والحسن
وسعيد بن جبير وقتادة ومجاهد والسدى وقيل هى بنات اللبن عن ابن زيد وقيل هى الامعاء التى عليها الشحوم عن الجبائى او ما اختلط بعظم
هذا ايضا مستثنى من جملة ما حرم وهو شحم الجنب والالية لانه على العصعص عن ابن جريج والسدى وقيل الالية لم تدخل فى ذلك لانها لم تستثن
عن الجبائى فكانه لم يعتد بعظم العصعص قال الزجاج او دخلت ههنا على طريق الاباحة كما قال سبحانه ولا تطع منهم آثما او كفورا والمعنى
ان كل هؤلاء اهل ان يعصى فاعص هذا واعص هذا واو بليغة فى هذا المعنى لانك اذا قلت لا تطع زيدا وعمرا فجائز ان تكون نهيتنى
عن طاعتهما فى حال معا فان اطعت زيدا على حدته لم اكن عصيتك واذا قلت لا تطع زيدا او عمرا او خالدا فالمعنى ان هؤلاء كلهم اهل الا
يطاع فلا تطع واحدا منهم ولا تطع الجماعة ومثله جالس الحسن او ابن سيرين او الشعبى ذلك جزيناهم ببغيهم المعنى حرمنا ذلك عليهم عقوبة
لهم بقتلهم الانبياء واخذهم الربا واستحلالهم اموال الناس بالباطل فهذا بغيهم وهذا كقوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم
طيبات احلت لهم وقيل بغيهم ظلمهم على انفسهم بارتكابهم المحظورات وقيل ان ملوك بنى اسرائيل كانوا يمنعون فقراءهم من اكل لحوم الطير
والشحوم فحرم الله ذلك ببغيهم على فقرائهم ذكره على بن ابراهيم فى تفسيره ويسأل فيقال كيف يكون التكليف عقوبة وهو تابع للمصلحة و
معرض للثواب وجوابه انه انما سمى جزاء وعقابا لان عظيم ما فعلوه من المعاصى اقتضى تحريم ذلك وتغيير المصلحة فيه ولولا عظم جرمهم
لما اقتضت المصلحة ذلك وانا لصادقون اى فى الاخبار عن التحريم وعن بغيهم وفى كل شىء وفى ان ذلك التحريم عقوبة لاوائلهم ومصلحة
لمن بعدهم الى وقت النسخ فان كذبوك يا محمد فيما تقول فقل ربكم ذو رحمة واسعة لذلك لا يعجل عليكم بالعقوبة بل يمهلكم ولا يرد
اى لا يدفع عذابه اذا جاء وقته عن القوم المجرمين اى المكذبين قوله تعالى سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا
ولا حرمنا من شىء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن و
ان انتم الا تخرصون قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم اجمعين قل هلم شهداءكم الذين يشهدون ان الله حرم
هذا فان شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع اهواء الذين كذبوا باياتنا والذين لا يؤمنون بالاخرة وهم بربهم يعدلون
ثلث آيات الاعراب هلم قال الزجاج انها ها ضمت اليها لم وجعلتا كلمة واحدة واكثر اللغات ان يقال هلم للواحد وللاثنين
وللجماعة جاء بذلك القرآن نحو قوله هلم الينا ومعنى هلم شهداءكم هاتوا شهداءكم ومن العرب من يثنى ويجمع ويذكر ويؤنث فيقول للذكر
هلم وللاثنين هلما وللجماعة هلموا وللمؤنث هلمى وللنسوة هلممن وفتحت لانها مدغمة كما فتحت رد يا هذا فى الامر لالتقاء الساكنين ولا
يجوز فيها هلم للواحد بالضم كما يجوز فى رد الفتح والضم والكسر لانها لا تتصرف قال ابو على هى فى اللغة الاولى بمنزلة رويد وصه ومه
ونحو ذلك من الاسماء التى سميت بها الافعال وفى الاخرى بمنزلة رد فى ظهور علامات الفاعلين فيها كما يظهر فى رد واما ها
اللاحق بها فهى التى للتنبيه لحقت اولا لان لفظ الامر قد يحتاج الى استعطاف المامور واستدعاء اقباله على الامر فهو بذلك
يقرب من المنادى ومن ثم دخل حرف التنبيه فى الا يسجدوا الا ترى انه امر كما ان هذا امر وقد دخل فى جمل اخر نحو ها انتم هؤلاء فكما
دخل فى هذه المواضع كذلك لحقت لم الا انه كثر الاستعمال معها فغير بالحذف لكثرة الاستعمال كما اشياء تغير لذلك نحو لم ابل ولا ادر
ولم يك وما اشبه ذلك مما غير للكثرة المعنى لما تقدم الرد على المشركين اعتقاداتهم الباطلة رد عليهم سبحانه هنا مقالتهم الفاسدة
فقال سيقول الذين اشركوا اى سيحتج هؤلاء المشركون فى اقامتهم على شركهم وفى تحريمهم ما احل الله تعالى بان يقولوا لو شاء
الله ما اشركنا اى لو شاء الله ان لا نعتقد الشرك ولا نفعل التحريم ولا آباؤنا واراد منا خلاف ذلك ما اشركنا ولا آباؤنا
ولا حرمنا من شىء اى شيئا من ذلك فكذبهم الله تعالى فى ذلك بقوله كذلك اى مثل هذا التكذيب الذى كان من هؤلاء فى
منكر كذب الذين من قبلهم وانما قال كذب بالتشديد لانهم بهذا القول كذبوا رسول الله صلى الله عليه وآله فى قوله لهم ان الله
سبحانه امركم بالتوحيد وترك الاشراك به وترك التحريم بهذه الانعام فكانوا يقولون لهم ان الله تعالى اراد منا ذلك وشاءه ولو اراد غيره ما فعلنا

مكذبين للرسول صلى الله عليه وآله كما كذب من تقدمهم انبياءهم فيما اتوا به من عند الله تعالى حتى ذاقوا بأسنا اى حتى نالوا عذابنا وقيل
معناه حتى اصابوا العذاب المعجل ودل بذلك على ان لهم عذابا مدخرا عند الله تعالى لان الذوق اول ادراك الشيء قل يا محمد جوابا عما قالوه
من ان الشرك بمشية الله هل عندكم من علم اى حجة تؤدي الى علم وقيل معناه هل عندكم علم فيما تقولونه فتخرجوه لنا اى فتخرجوا ذلك العلم
وتلك الحجة لنا اى تبينوه لنا وبين سبحانه بهذا انه ليس عندهم علم ولا حجة فيما يضيفونه الى الله تعالى وان ما قالوه باطل ثم اكد سبحانه الرد عليهم وتكذيبهم في
مقالتهم بقوله ان تتبعون الا الظن اى ما تتبعون فيما تقولونه الا الظن والتخمين وان انتم الا تخرصون اى تكذبون في هذه المقالة
على الله تعالى وفي هذه الاية دلالة واضحة على ان الله سبحانه لا يشاء المعاصي والكفر وتكذيب ظاهر لمن اضاف ذلك الى الله سبحانه هذا مع قيام
الادلة العقلية التي لا يدخلها الاحتمال والتأويل على انه سبحانه يتعالى عن ارادة القبيح وجميع صفات النقص علوا كبيرا قل يا محمد اذ عجز هؤلاء عن اقامة
حجة على ما قالوه فلله الحجة البالغة والحجة البينة الصحيحة المصححة للاحكام وهي التي تقصد الى الحكم بشهادته مأخوذ من حج اذا قصد والبالغة
هي التي تبلغ قطع عذر المحجوج بان تزيل كل لبس وشبهة عمن نظر فيها واستدل بها وانما كانت حجة الله صحيحة بالغة لانه لا يحتج الا بالحق وبما
يؤدي الى العلم فلو شاء لهديكم اجمعين اى لو شاء لالجأكم الى الايمان وهداكم جميعا اليه بفعل الالجاء الا انه لم يفعل ذلك
وان كان فعله حسنا لان الالجاء ينافي التكليف وهذه المشية بخلاف المشية المذكورة في الاية الاولى لان الله تعالى اثبت هذه و
نفى تلك وذلك لا يستقيم الا على الوجه الذي ذكرناه فالاولى مشية الاختيار والثانية مشية الالجاء وقيل المراد به لو شاء لهديكم الى نيل
الثواب ودخول الجنة ابتداء من غير تكليف ولكنه سبحانه لم يفعل ذلك بل كلفكم وعرضكم للثواب الذي لا يحسن الابتداء بمثله ولو كان الامر
على ما قاله اهل الجبر من ان الله سبحانه شاء منهم الكفر لكانت الحجة للكفار على الله تعالى من حيث انهم فعلوا ما شاء الله تعالى ولكانوا
بذلك مطيعين لان الطاعة هي امتثال الامر المراد ولا يكون الحجة لله عليهم على قولهم من حيث انه خلق فيهم الكفر واراد منهم الكفر فاي حجة له
عليهم مع ذلك ثم بين سبحانه ان الطريق الموصل الى صحة مذاهبهم منسد غير ثابت من جهة حجة عقلية ولا سمعية وما هذه صفته فهو
فاسد لا محة فقال قل يا محمد لهم هلم شهداءكم اى احضروا وهاتوا شهداءكم الذين يشهدون بصحة ما تدعونه من ان الله حرم
هذا اى هذا الذي ذكر مما حرمه المشركون من البحيرة والسائبة والوصيلة والحرث والانعام وغيرها فان شهدوا فلا تشهد معهم
معناه فان لم يجدوا شاهدا يشهد لهم على تحريمها غيرهم فشهدوا بانفسهم فلا تشهد انت معهم وانما نهاه عن الشهادة معهم
لان شهادتهم تكون شهادة بالباطل فان قيل كيف دعاهم الى الشهادة ثم قال فلا تشهد معهم فالجواب انه امرهم ان يأتوا بالعدول
والذين يشهدون بالحق فاذا لم يجدوا ذلك وشهدوا لانفسهم فلا ينبغي ان تقبل شهادتهم او تشهد معهم لانها ترجع الى دعوى مجردة
بعيدة من الصواب وقيل انه سبحانه اراد هاتوا شهداءكم من غيركم ولم يكن احد غير العرب يشهد على ذلك لانه كان للعرب شرايع شرعوها
لانفسهم ولا تتبع اهواء الذين كذبوا باياتنا الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله والمراد امته اى ولا تعتقد مذهب من اعتقد مذهبه هوى
ويمكن ان يتخذ الانسان المذهب هوى من وجوه منها ان يهوى من سبق اليه فيقلده فيه ومنها ان يدخل عليه شبهة فيتخيله بصورة الصحيح
مع ان في عقله ما يمنع منه ومنها ان يقطع النظر دون غايته للمشقة التي تلحقه فيعتقد المذهب الفاسد ومنها ان يكون نشأ على شيء والفه
واعتاده فيصعب عليه مفارقته وكل ذلك متميز مما استحسنه بعقله والذين لا يؤمنون بالاخرة اى ولا تتبع اهواء الذين لا يؤمنون
بالاخرة وانما ذكر الفريقين وان كانوا كلهم كفارا ليفصل وجوه كفرهم لان منه ما يكون مع الاقرار بالاخرة كحال اهل الكتاب ومنه ما يكون
مع الانكار كحال عبدة الاوثان وهم بربهم يعدلون اى يجعلون له عدلا وهو المثل وفي الاية دلالة على فساد التقليد لانه سبحانه ذم
الكفار على صحة مذهبهم وجعل عجزهم عن الاتيان بها دليلا على بطلان قولهم وايضا فانه سبحانه اوجب اتباع الدليل دون اتباع الهوى
قوله تعالى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم
واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون
اية اللغة تعالوا اشتق من العلو على ان الداعي في المكان العالي وان كان في مستو من الارض كما تقول للانسان ارتفع الى صدر المجلس
والتلاوة مثل القراءة والمتلو مثل المقروء والتلاوة غير المتلو كما ان الحكاية غير المحكي فالمتلو والمحكي هو الكلام الاول والتلاوة

والحكاية هي الثاني منه على طريق الاعادة والاملاق الافلاس من المال والزاد ومنه الملق والتملق لانه اجتهاد في تقرب المفلس
للطمع في العطية والفواحش جمع فاحشة وهي القبيح العظيم القبح والقبيح يقع على الصغير والكبير لانه يقال القرد قبيح الصورة ولا يقال
فاحش الصورة وضد القبيح الحسن وليس كذلك الفاحش الاعراب ما حرم ربكم في موضع نصب بقوله اتل المعنى اتل الذي حرم
ربكم عليكم فيكون ما موصولة وجاز ان يكون في موضع نصب بحرم لان التلاوة بمنزلة القول فكانه قال اقول اى شيء حرم ربكم
عليكم اهذا ام هذا فجاز ان يكون الذي تلاه عليهم قوله الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا ويكون ان لا تشركوا منصوبة بمعنى طرح
اللام اى بين لكم الحرام لان لا تشركوا لانهم اذا حرموا ما احل الله فقد جعلوا غير الله في القبول منه بمنزلة الله سبحانه فصاروا بذلك
مشركين ويجوز ان يكون الا تشركوا به شيئا محمولا على المعنى فيكون المعنى اتل عليكم ان لا تشركوا اى اتل عليكم تحريم الشرك ويجوز ان يكون
على معنى اوصيكم ان لا تشركوا به شيئا لان قوله وبالوالدين احسانا محمول على معنى اوصيكم بالوالدين احسانا هذا كله قول الزجاج ولا تشركوا
يجوز ان يكون منصوبا بان ويكون لا للنفي ويجوز ان يكون مجزوما بلا على النهي واذا كان منصوبا فيكون قوله ولا تقتلوا اولادكم
عطفا للنهي على الخبر وجاز ذلك كما جاز في قوله قل اني امرت ان اكون اول من اسلم ولا تكونن من المشركين وقال جامع العلوم النحوي الاصفهاني
يجوز ان يقف على عليكم ثم يبتدئ بان لا تشركوا اى هو ان لا تشركوا اى هو الاشراك اى المحرم الاشراك ولا زيادة ويجوز ان يكون
ما استفهاما فيقف على قوله ربكم ثم يبتدئ فيقول عليكم ان لا تشركوا اى عليكم ترك الاشراك وهذا وقف بيان وتمام قوله قل
تعالوا عند قوله بلقاء ربهم يؤمنون لان قوله وان هذا صراطي مستقيما فيمن فتح معطوف على قوله ما حرم اى اتل هذا وهذا ومن كسر
فالتقدير وقل ان هذا صراطي وكذلك ثم آتينا اى وقل ثم آتينا وهذا كله داخل في التلاوة والقول المعنى لما حكى سبحانه عنهم تحريم
ما حرموه عقبه بذكر المحرمات فقال قل يا محمد لهؤلاء المشركين تعالوا اى اقبلوا وادنوا اتل اى اقرأ ما حرم ربكم عليكم اى
منعكم عنه بالنهي مبتدئا بالتوحيد فقال الا تشركوا به شيئا اى امركم الا تشركوا ولا فرق بين ان يقول لا تشركوا به شيئا وبين
ان يقول لا تشركوا به شيئا وبين ان يقول حرم ربكم ان تشركوا به شيئا اذ النهي يتضمن التحريم وقد ذكرنا ما يحتمله من المعاني في
الاعراب وقد قيل ايضا ان الكلام قد تم عند قوله حرم ربكم ثم قال عليكم ان لا تشركوا به كقوله سبحانه عليكم انفسكم وبالوالدين احسانا
اى وامر بالوالدين احسانا اى واوصى بالوالدين احسانا ويدل على ذلك ان في حرم كذا معنى وصى بتحريمه وامر بتجنبه ولما كانت نعم
الوالدين تالية نعم الله سبحانه في التربية امر بالاحسان اليهما بعد الامر بعبادة الله تعالى ولا تقتلوا اولادكم من املاق اى خوفا
من الفقر عن ابن عباس وغيره نحن نرزقكم واياهم اى فان رزقكم ورزقهم جميعا علينا ولا تقربوا الفواحش اى المعاصي
والقبائح كلها ما ظهر منها وما بطن اى ظاهرها وباطنها عن الحسن وقيل انهم كانوا لا يرون بالزنا سرا باسا ويمنعون منه علانية
فنهى الله سبحانه عنه في الحالين عن ابن عباس والضحاك والسدي وقريب منه ما روي عن ابي جعفر عليه السلام ان ما ظهر هو الزنا
وما بطن هو المخالة وقيل ان ما ظهر افعال الجوارح وما بطن افعال القلوب فالمراد ترك المعاصي كلها وهذا اعم فائدة ولا تقتلوا
النفس التي حرم الله الا بالحق اعاد ذكر القتل وان كان في الفواحش تفخيما لشأنه وتعظيما لامره والنفس المحرم قتلها هي نفس المسلم
والمعاهد دون الحربي والحق الذي يستباح به قتل النفس المحرم قتلها ثلثة اشياء القود والزنا بعد الاحصان والكفر بعد الايمان
ذلكم خطاب لجميع الخلق اى ما ذكر في هذه الاية وصاكم به لعلكم تعقلون اى لكي تعقلوا ما امركم الله تعالى به فتحللوا ما حلله لكم و
تحرموا ما حرم عليكم ودل قوله سبحانه وصاكم به على ان الوصية مضمرة في اول الاية على ما قلناه وفي قوله سبحانه ان لا تشركوا به
شيئا دلالة على ان التكليف قد يتعلق بان لا يفعل كما يتعلق بالفعل وعلى انه يستحق الثواب والعقاب على ان لا يفعل وهو الصحيح من المذهب
قوله تعالى ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده واوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا الا وسعها
واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله اوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه
ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ايتان القراءة قرأ اهل الكوفة الا ابا بكر تذكرون
بتخفيف الذال حيث وقع والباقون بالتشديد وقرأ اهل الكوفة غير عاصم وان هذا بكسر الهمزة والباقون بفتحها وكلهم شدد النون

٣٣٩

الا ابن عامر ويعقوب فانهما قرءا ان بالتخفيف وكلهم سكنوا الياء من صراطي الا ابن عامر فانه فتحها وقرأ ابن عامر وابن كثير صراطي بالسين
وقرأ حمزة بين الصاد والزاي الحجة القراءتان في تذكرون متقاربتان والاصل تتذكرون فمن خفف حذف التاء الاولى ومن شدد
ادغم الثانية في الذال فاما من فتح وان هذا فانه حملها على فاتبعوه على قياس قول سيبويه في قوله لايلاف قريش وقوله وان هذه امتكم
امة واحدة وانا ربكم فاعبدون وقوله وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا فيكون على تقدير ولان هذا صراطي مستقيما ومن خفف
فقال وان هذا فان الخفيفة في قوله يتعلق بما يتعلق به الشديدة وموضع هذا رفع بالابتداء وخبره صراطي وفي ان ضمير القصة و
الحديث وعلى هذه الشريطة تخفف وليت المفتوحة كالمكسورة اذا خففت وعلى هذا قول الاعشى في فتية كسيوف الهند قد علموا
ان هالك كل من يحفى وينتعل والفاء في قوله فاتبعوه على قول من كسر ان عاطفة جملة على جملة وعلى قول من فتح زائدة اللغة
الاشد واحدها شد مثل الاشر في جمع شر والاضر في جمع ضر والشد القوة وهو استحكام قوة الشباب والسن كما ان شد النهار
هو ارتفاعه قال عنترة عهدي به شد النهار كانما خضب البنان وراسه بالعظلم وقيل هو جمع شدة مثل نعمة وانعم وقال بعض
البصريين الاشد واحد فيكون مثل الآنك قال سيبويه الذكر والذكر بمعنى وذكر فعل يتعدى الى مفعول واحد فاذا ضاعفت
العين يتعدى الى مفعولين كما في قوله يذكرنيك حنين العجول ونوح الحمامة تدعو هديلا وتقول ذكرته فتذكر فتفعل مطاوع
فعل كما ان تفاعل مطاوع فاعل المعنى ثم ذكر سبحانه تمام ما يتلو عليهم فقال ولا تقربوا مال اليتيم والمراد بالقرب التصرف فيه
وانما خص مال اليتيم بالذكر لانه لا يستطيع الدفاع عن نفسه ولا عن ماله فيكون الطمع في ماله اشد ويد الرغبة اليه امد فاكد سبحانه
النهي عن التصرف في ماله وان كان ذلك واجبا في مال كل احد الا بالتي هي احسن اي بالخصلة الحسنى ولذلك انث وقد قيل في
معناه اقوال احدها ان معناه الا بتثمير ماله بالتجارة عن مجاهد والضحاك والسدي وثانيها بان ياخذ القيم عليه الاكل بالمعروف
دون الكسوة عن ابن زيد والجبائي وثالثها بان يحفظ عليه حتى يكبر حتى يبلغ اشده اختلف في معناه فقيل انه بلوغ الحلم
عن الشعبي وقيل هو ان يبلغ ثماني عشرة سنة وقال السدي هو ان يبلغ ثلثين سنة ثم نسخها قوله حتى اذا بلغوا النكاح الاية وقال
ابو حنيفة اذا بلغ خمسا وعشرين سنة دفع المال اليه وقبل ذلك يمنع منه اذا لم يؤنس منه الرشد وقيل انه لا حد له بل هو ان يبلغ ويكمل
عقله ويؤنس منه الرشد فيسلم اليه ماله وهذا اقوى الوجوه وليس بلوغ اليتيم اشده مما يبيح قرب ماله بغير الاحسن ولكن تقديره ولا
تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن على الابد حتى يبلغ اشده فادفعوه اليه بدليل قوله ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا واوفوا اي اتموا الكيل
والميزان بالقسط اي بالعدل والوفاء من غير بخس لا نكلف نفسا الا وسعها اي الا ما يسعها ولا تضيق عنه ومعناه هنا انه لما كان
التعديل في الوزن والكيل على التحديد من اقل القليل متعذرا بين سبحانه انه لا يلزم في ذلك الا الاجتهاد في التحرز من النقصان
واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى اي فقولوا الحق وان كان على ذي قرابة لكم وانما خص القول بالعدل دون الفعل لان من عادته العدل في
القول دعاه ذلك الى العدل في الفعل ويكون ذلك من اكد الدواعي اليه وقيل معناه اذا شهدتم او حكمتم فاعدلوا في الشهادة والحكم
وان كان المقول عليه او المشهود له او عليه قرابتك وهذا من الاوامر البليغة التي يدخل فيها مع قلة حروفها الاقارير والشهادات
والفتاوى والقضايا والاحكام والمذاهب والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وبعهد الله اوفوا قيل في معنى عهد الله قولان احدهما
ان كل ما اوجبه الله تعالى على العباد فقد عهد اليهم بايجابه عليهم وبتقديم القول فيه والدلالة عليه والآخر ان المراد به النذر واليمين والعهود
في غير معصية الله والمراد واوفوا بما عاهدتم الله عليه من ذلك ذلكم اي ذلك الذي تقدم ذكره من ترك مال اليتيم وان لا تقربوا الا
بالحق وايفاء الكيل واجتناب البخس والتطفيف وتحري الحق فيه على مقدار الطاقة والقول بالحق والصدق والوفاء بالعهد وصاكم
الله سبحانه به لعلكم تذكرون اي لتتذكروه وتاخذوا به فلا تطرحوه ولا تغفلوا عنه فتتركوا العمل به والقيام بما يلزمكم منه وان
هذا صراطي مستقيما اي ولان هذا صراطي ومن خفف فتقديره وانه هذا صراطي يريد ان ما ذكره في هذه الآيات من الواجب والمحرم صراطه لانه
دلت على ما امر به مؤدية الى الثواب والجنة فهو طريق اليها والى النعيم فيها مستقيما اي قيما لا عوج فيه ولا تناقض وهو منصوب على
الحال فاتبعوه اي اقتدوا به واعملوا به واعتقدوا صحته واحلوا حلاله وحرموا حرامه ولا تتبعوا السبل اي طرق الكفر والبدع

والشبها

٣٤٠

الشبهات عن مجاهد وقيل يريد اليهودية والنصرانية والمجوسية وعبادة الاوثان عن ابن عباس فتفرق بكم واصله فتتفرق بكم عن
سبيله اي فتشتت وتميل وتخالف بكم عن دينه الذي ارتضى وبه اوصى وقيل عن طريق الدين ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون لكي
تتقوا عقابه باجتناب معاصيه قال هذه الآيات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب وهي محرمات على بني آدم كلهم وهن ام الكتاب
من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وقال كعب الاحبار والذي نفس كعب بيده ان هذا لاول شيء في التورية بسم الله الرحمن
الرحيم قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الآيات قوله تعالى ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي احسن وتفصيلا لكل شيء
وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون القراءة
في الشواذ قراءة يحيى بن يعمر على الذي احسن بالرفع الحجة قال ابن جني هذا مستضعف الاعراب عندنا لانه حذف المبتدا العائد على
الذي لان تقديره على الذي هو احسن وانما تحذف من صلة الذي الهاء المنصوبة بالفعل الذي هو صلتها نحو مررت بالذي ضربت
اي ضربته ومن المفعول به وطال الاسم بصلته فحذفت الهاء لذلك وليس المبتدا بنيف ولا فضلة فيحذف تخفيفا لا سيما
وهو عائد الى الموصول وعلى هذا فقد جاء نحوه عنهم حكى سيبويه عن الخليل انه سمع ما انا بالذي قائل لك شيئا وسوءا اي
بالذي هو قائل وقال لم ار مثل الفتيان في غبن الايام يدرون ما عواقبها اي يدرون الذي هو عواقبها ويجوز ان يكون يدرون
معلقا كما علقوا نقيضتها التي هي يعلمون فيكون ما استفهاما وعواقبها خبرا كقولك قد علمت من ابوك وعلى الوجه الاول عند
اصحابنا وقال الزجاج تماما منصوب بانه مفعول له وكذلك تفصيلا وما بعده والمعنى آتيناه لهذه العلة اي للتمام والتفصيل
انزلناه في موضع رفع بانه صفة كتاب المعنى ثم آتينا موسى الكتاب قيل في معنى ثم آتينا موسى الكتاب مع ان كتاب موسى
قبل القرآن وثم تقتضي التراخي وجوه احدها ان فيه حذفا وتقديره ثم قل يا محمد آتينا موسى الكتاب بدلالة قوله قل تعالوا اتل
وثانيها ان تقديره ثم اتل عليكم آتينا موسى الكتاب ويكون عطفا على معنى التلاوة والمعنى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم
ثم اتل عليكم ما آتاه الله موسى عن الزجاج وثالثها انه عطف خبر على خبر لا عطف معنى على معنى وتقديره ثم اخبركم انه اعطى موسى
الكتاب والذي يشهد به قول الشاعر ولقد ساد ثم ساد ابوه ثم قد ساد قبل ذلك جده ورابعها انه متصل بقوله في
قصة ابراهيم ووهبنا له اسحق ويعقوب فعدد سبحانه نعمه عليه بما جعل في ذريته من الانبياء ثم عطف عليه بذكر ما انعم
عليه بما آتى موسى من الكتاب والنبوة وهو ايضا من ذريته عن ابي مسلم واستحسنه المغربي تماما على الذي احسن قيل فيه
وجوه احدها تماما على احسان موسى فكانه قال ليكمل احسانه الذي يستحق به كمال ثوابه في الآخرة عن الربيع والفراء وثانيها
تماما على المحسنين الذي هو واحدهم والنون قد تحذف من الذين كما في البيت وان الذي حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل
القوم يا ام خالد ويجوز ان يكون الذي للجنس ومعناه معنى من احسن وثالثها ان معناه تماما على احسان الله الى انبيائه عن
ابن زيد ورابعها ان معناه تماما للكرامة في الجنة على احسانه في الدنيا عن الحسن وقتادة وقال تقديره من احسن في الدنيا تمت عليه
كرامة الله في الآخرة وخامسها ان معناه تماما على الذي احسن الله سبحانه الى موسى بالنبوة وغيرها من الكرامة عن الجبائي وسادسها
ما قاله ابو مسلم انه متصل بقصة ابراهيم فيكون المعنى تماما للنعمة على ابراهيم ولجزائه على احسانه في طاعة ربه وذلك من لسان الصدق
الذي سأل الله سبحانه ان يجعله له ولفظة على تقتضي المضاعفة عليه ولو قال تماما ولم يات بقوله على الذي احسن لدل على نقصانه
قبل تكمله وتفصيلا لكل شيء اي وبيانا لكل شيء يحتاج اليه الخلق وهدى اي ودلالة على الحق والدين يهتدى بها الى التوحيد و
العدل والشرائع ورحمة اي نعمة على سائر المكلفين لما فيه من الامر والنهي والوعد والوعيد والاحكام لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون
معناه لكي يؤمنوا بجزاء ربهم فسمى الجزاء لقاء الله تفخيما لشأنه مع ما فيه من الايجاز والاختصار وقيل معنى اللقاء الرجوع الى ملكه وسلطانه
يوم لا يملك لاحد سواه شيئا وهذا كتاب يعني القرآن وصفه بهذا الوصف لبيان انه مما ينبغي ان يكتب لانه اجل الحكم انزلناه
يعني انزل جبرئيل الى محمد صلى الله عليه وآله فاضاف النزول الى نفسه توسعا مبارك وهو ما ياتي من قبله الخير الكثير عن الزجاج والبركة
ثبوت الخير بزيادته ونموه واصله الثبوت ومنه براكاء القتال في قوله وما ينجي من الغمرات الا براكاء القتال او الفرار منه تبارك الله

اى تعالى بصفة اثبات لا اول له ولا آخر وهذا تعظيم لا يستحقه غير الله تعالى فاتبعوه اى اعتقدوا صحته واعملوا به وكونوا من اتباعه
واتقوا معاصى الله ومخالفته ومخالفة كتابه لعلكم ترحمون اى لكى ترحموا وانما قال لعلكم ترحمون مع انهم اذا اتقوا رحموا لا محالة
لامرين احدهما انه اتقوا على رجاء الرحمة لانكم لا تدرون بما توافون فى الآخرة والثانى اتقوا لترحموا اى ليكن الغرض بالتقوى منكم طلب
ما عند الله من الرحمة والثواب قوله تعالى ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين او
تقولوا لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن اظلم ممن كذب بآيات الله
وصدف عنها سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون آيتان الاعراب قال الزجاج ان تقولوا
معناه عند البصريين كراهة ان تقولوا وهم لا يجيزون اضمار لا فلا يقولون جئت ان اكرمك اى لان لا اكرمك ولكن يجوز فعلت ذلك
ان اكرمك على اضمار ان اكرمك او كراهة ان اكرمك ويكون الحال ينبئ عن الضمير و يقولوا نصب يقولوا بانه معطوف على ان تقولوا
اى وكراهة ان يقولوا واقول انه اراد انه مفعول له على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه فاذا كان حذف المضاف يطرد جوازه
مع غير ان فلان يجوز مع ان لجده مع طول الكلام بالصلة وقال الكسائى موضع ان تقولوا نصب باتقوا اى اتقوا يا اهل مكة ان تقولوا
ولو انا فتحت ان بعد لو مع انه لا يقع فيه المصدر لان الفعل مقدر بعد لو فكانه قيل لو وقع الينا انا انزل الكتاب علينا الا ان هذا
الفعل لا يظهر من اجل طول الكلام بان بالصلة ولا يحذف مع المصدر الا فى الشعر قال لو غيركم علق الزبير بحبله ادى الجوار الى بنى العوام
المعنى ثم بين سبحانه انه انما انزل القرآن قطعا للمعذرة وازاحة للعلة فقال ان تقولوا اى كراهة ان تقولوا يا اهل مكة او لئلا تقولوا
انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا اى جماعتين وهم اليهود والنصارى عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة والسدى
وانما خصهما بالذكر لشهرتهما وظهور امرهما اى انزلنا عليكم هذا الكتاب لنقطع حجتكم وان كنا عن دراستهم لغافلين والمعنى انا كنا
غافلين عن تلاوة كتبهم وما كنا غافلين عن دراستهم ولم ينزل علينا الكتاب كما انزل عليهم ولانهم كانوا اهله دوننا ولو اريد منا
ما اريد منهم لانزل الكتاب علينا كما انزل عليهم او تقولوا يا اهل مكة لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم فى المبادرة الى
قبوله والتمسك به لانا اجود اذهانا واثقب معرفة منهم فان العرب كانوا يدلون بجودة الفهم وذكاء الحدس وحدة الذهن وقد يكون العالم
بالشئ اهدى اليه من عارف آخر بان يعرفه من وجوه لا يعرفها هو وبان يكون ما يعرفه به اثبت مما يعرفه به الآخر ثم قال سبحانه فقد جاءكم
بينة من ربكم اى حجة واضحة ودلالة ظاهرة وهو القرآن وهدى يهتدى به الخلق الى النعيم المقيم والثواب العظيم ورحمة اى نعمة
لمن اتبعه وعمل به فمن اظلم لنفسه ممن كذب بآيات الله وصدف عنها اى اعرض عنها غير مستدل بها ولا مفكر عن ابن عباس و
مجاهد وقتادة والسدى سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب اى شدة العذاب وهو ما اعد الله للكفار نعوذ بالله منه
بما كانوا يصدفون اى جزاء بما كانوا يصدفون عن القرآن ومن اتى به وهو محمد صلى الله عليه وآله وفى هذا دلالة على ان انزال القرآن
لطف للمكلفين وانه لو لم ينزله لكان لهم الحجة واذا كان فى منع اللطف عذر وحجة للمكلف فمنع القدرة وخلق الكفر اولى بذلك فان قيل
فهل للذين ماتوا قبل من خوطب بقوله ان تقولوا حجة وعذر قيل له ان عذر اولئك كان مقطوعا بالعقل وبما تقدم من الاخبار و
الكتب وهؤلاء ايضا لو لم يأتهم الكتاب والرسول لم يكن لهم حجة لكن الله تعالى لما علم ان المصلحة تعلقت بذلك فعله ولو علم مثل
ذلك فيمن تقدم لانزل عليهم مثل ما انزل على هؤلاء واذا لم ينزل عليهم علمنا ان ذلك لم يكن من مصالحهم قوله تعالى هل ينظرون
الا ان تأتيهم الملائكة او يأتى ربك او يأتى بعض آيات ربك يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل
او كسبت فى ايمانها خيرا قل انتظروا انا منتظرون آية القراءة قرأ حمزة والكسائى وخلف يأتيهم بالياء ههنا وفى النحل وقرأ الباقون
تأتيهم بالتاء وقد مضى الكلام فى امثال ذلك المعنى ثم توعدهم سبحانه فقال هل ينظرون معناه هل ينتظرون يعنى هؤلاء الكفار
الذين تقدم ذكرهم وقال ابو على الجبائى معناه هل ننتظر يا محمد انت واصحابك الا هذا وهو وان انتظروا غيره فذلك لا يعتد به
من حيث ما ينتظرونه من هذه الاشياء المذكورة لعظم شانها فهو مثل قوله وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وكما قال تكلم
فلان ولم يتكلم اذا تكلم بما لا يعتد به الا ان تأتيهم الملائكة لقبض ارواحهم عن مجاهد وقتادة والسدى وقيل لانزال العذاب

والخسف بهم وقيل عذاب القبر او يأتى ربك فيه اقوال احدها او يأتى امر ربك بالعذاب فحذف المضاف ومثله وجاء ربك
عن الحسن وجاز الحذف كما جاز فى قوله ان الذين يؤذون الله يعنى اولياء الله وقال ابن عباس يأتى امر ربك فيهم بالقتل وثانيها او يأتى امر
ربك بجلائل آياته فيكون حذف الجار ثم وصل الفعل ثم حذف المفعول له لدلالة الكلام عليه وهو قيام الدليل فى العقل على ان الله سبحانه
لا يجوز عليه الانتقال ولا يختلف عليه الحال وثالثها ان المعنى او يأتى اهلاك ربك اياهم بعذاب عاجل او آجل او بالقيمة وهو كقولنا
قد نزل فلان ببلد كذا وقد اتاهم فلان اى قد اوقع بهم عن الزجاج او يأتى بعض آيات ربك وذلك عند خروج الدابة او طلوع الشمس
من مغربها عن مجاهد وقتادة والسدى وروى عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال بادروا بالاعمال ستا طلوع الشمس من مغربها
والدابة والدجال والدخان وخويصة احدكم اى موته وامر العامة يعنى القيمة يوم يأتى بعض آيات ربك التى تضطرهم الى المعرفة
ويزول التكليف عندها لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل لانه ينسد باب التوبة بظهور آيات القيمة ويضطر الله كل احد الى
معرفته ومعرفة المحسنات والمقبحات ضرورة ويعرفهم انه ان حاول القبيح وترك الحسن حيل بينه وبينه فيصير ملجأ الى فعل الحسن و
ترك القبيح او كسبت فى ايمانها خيرا عطف على قوله آمنت وقيل فى معناه اقوال احدها انه انما قال ذلك على وجه التغليب لان اكثر
من ينتفع بايمانه من كسب فى ايمانه خيرا وثانيها انه لا ينفع احدا فعل الايمان او فعل خير فيه فى تلك الحال لانها حال زوال التكليف
وانما ينفع ذلك قبل تلك الحال عن السدى فيكون معناه لا ينفعه ايمانه وان كسب فى ايمانه خيرا اى طاعة وبرا لان الايمان و
اكتساب الخير انما ينفعان من قبل وثالثها ان الابهام فى احد الامرين والمعنى انه لا ينفع فى ذلك اليوم ايمان نفس اذا لم تكن آمنت
قبل ذلك اليوم او ضمت الى ايمانها افعال الخير فانها اذا آمنت قبل نفعها ايمانها وكذلك اذا ضمت الى الايمان طاعة نفعتها ايضا
ويريد انه لا ينفع ح ايمان من آمن من الكفار ولا طاعة من اطاع من المؤمنين ومن آمن من قبل نفعه ايمانه بانفراده وكذلك من
اطاع من المؤمنين ينفعه طاعته ايضا وهذا اقوى الاقوال واوضحها قل انتظروا اتيان الملائكة ووقوع هذه الآيات
انا منتظرون بكم وقوعها وفى هذه الآية حث على المسارعة الى الايمان والطاعة قبل الحال التى لا تقبل فيها التوبة وفيها ايضا
حجة على من يقول ان الايمان اسم لاداء الواجبات او الطاعات فانه سبحانه قد صرح فيها بان اكتساب الخيرات غير الايمان المجرد
لعطفه سبحانه كسب الخيرات والطاعات فى الايمان على فعل الايمان فكانه قال لا ينفع نفسا لم تؤمن قبل ذلك اليوم ايمانها
فى ذلك اليوم وكذا لا ينفع نفسا لم تكن كاسبة خيرا فى ايمانها قبل ذلك اليوم كسبها الخير فى ذلك اليوم وقد عكس الحاكم ابو سعيد فى
تفسيره الامر فيه فقال هو خلاف ما قوله المرجئة لانه يدل على ان الايمان بمجرده لا ينفع حتى يكون معه اكتساب الخيرات وليت شعرى
كيف تدل الآية على ما قاله وكيف حكم لنفسه على خصمه فيما الحكم لخصمه عليه وهل هذا الا عدول عن سنن العدل والانصاف
قوله تعالى ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شئ انما امرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون آية
القراءة قرأ حمزة والكسائى ههنا وفى الروم فارقوا بالالف وهو المروى عن على عليه السلام والباقون فرقوا بالتشديد الحجة
قال ابو على من قرأ فرقوا فتقديره يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض كما قال افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض وقال ويريدون
ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ومن قرأ فارقوا دينهم فالمعنى باينوا وخرجوا عنه وهو يؤول الى
معنى فرقوا الا ترى انهم لما آمنوا ببعضه وكفروا ببعضه فارقوه كله فخرجوا عنه ولم يتبعوه اللغة الشيع الفرق التى يمالى بعضهم بعضا
على امر واحد مع اختلافهم فى غيره وقيل ان اصله من الظهور يقال شاع الخبر يشيع شيوعا ظهر وشيعت النار اذا القيت عليها الحطب
فكانك تظهرها وقال الزجاج اصله الاتباع يقال شاعكم السلم واشاعكم السلم اى تبعكم السلام قال الا يا نخلة من ذات عرق
برود الظل شاعكم السلام وتقول آتيك غدا او شيعه اى واليوم الذى يتبعه فمعنى الشيعة الذين يتبع بعضهم بعضا قال
الكميت وما لى الا آل احمد شيعة وما لى الا مشعب الحق مشعب المعنى ثم عطف سبحانه على ما قدم من الوعيد فقال
ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا اختلف فى المعنيين بهذه الآية على اقوال احدها انهم الكفار واصناف
المشركين عن السدى والحسن ونسختها آية السيف وثانيها انهم اليهود والنصارى لانه يكفر بعضهم بعضا عن قتادة وثالثها

انهم اهل الضلالة واصحاب الشبهات والبدع من هذه الامة ورواه ابو هريرة وعايشة مرفوعا وهو المروى عن الباقر عليه السلم جعلوا
دين الله اديانا لاكفار بعضهم بعضا وصاروا احزابا وفرقا لست منهم في شيء هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وآله واعلام له انه
ليس منهم في شيء وانه على المباعدة التامة من ان يجتمع معهم في معنى من مذاهبهم الفاسدة وليس كذلك بعضهم مع بعض لانهم يجتمعون
في معنى من المعاني الباطلة وان افترقوا في غيره فليس منهم في شيء لانه بريء من جميعه وقيل ان معناه لست من مخالطتهم في شيء وانما
هو نهي للنبي صلى الله عليه وآله عن مقاربتهم وامر له بمباعدتهم عن قتادة وقيل معناه لست من قتالهم في شيء ثم نسختها آية القتال
عن الكلبي والحسن انما امرهم الى الله في مجازاتهم على سوء افعالهم وقيل امرهم في الانظار والاستيصال الى الله وقيل الحكم بينهم في
اختلافهم الى الله ثم ينبئهم اي يخبرهم ويجازيهم بما كانوا يفعلون يوم القيمة فيظهر المحق من المبطل قوله تعالى من جاء بالحسنة
فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون آية القراءة قرا يعقوب عشر منون امثالها مرفوع
اللام وهو قراءة الحسن وسعيد بن جبير والباقون عشر مضاف امثالها مجرورة الحجة من قرا عشر امثالها فالمعنى له عشر حسنات امثالها
فيكون امثالها صفة للموصوف الذي اضيف اليه عشر ومن قرا عشر امثالها فيكون امثالها صفة العشر هذا قول الزجاج وحذف
الموصوف واقامة الصفة مقامه ضعيف عند النحويين واكثر ما ياتي ذلك في الشعر والاولى ان يكون امثالها غير صفة في قوله عشر
امثالها بل يكون محمولا على المعنى فانث الامثال لما كان في معنى الحسنات وحكى عن ابي عمرو انه سمع اعرابيا يقول فلان لغوب
جاءته كتابي فاحتقرها قال فقلت له اتقول جاءته كتابي فقال نعم اليس بصحيفة اللغة الحسنة اسم للاعلى في الحسن ودخلت
الهاء للمبالغة قال علي بن عيسى دخول الهاء يدل على انها الطاعة اما واجب او ندب وليس كل حسن كذلك لان في الحسن ما هو مباح
لا يستحق عليه مدح ولا ثواب واقوى من ذلك ان يقال دخول لام التعريف فيها يدل على انها المامور بها لانه لام العهد والله سبحانه
لا يامر بالمباح المعنى لما ذكر سبحانه الوعيد على المعاصي عقبه بذكر الوعد وتضعيف الجزاء في الطاعات فقال من جاء بالحسنة
فله عشر امثالها اي من جاء بالخصلة الواحدة من خصال الطاعة فله عشر امثالها من الثواب ومن جاء بالسيئة بالخصلة
الواحدة من خصال الشر فلا يجزى الا مثلها وذلك من عظيم فضل الله تعالى وجزيل انعامه على عباده حيث لا يقتصر في الثواب
على قدر الاستحقاق بل يزيد عليه وربما يعفو عن ذنوب المؤمن منا منه عليه وتفضلا وان عاقب عاقب على قدر الاستحقاق
عدلا وقيل المراد بالحسنة التوحيد وبالسيئة الشرك عن الحسن واكثر المفسرين وعلى هذا فان اصل الحسنات التوحيد واسوء
السيئات الكفر وهم لا يظلمون بالزيادة على مقدار ما استحقوا من العقاب ثم اختلف الناس في ان هذه الحسنات العشر التي
وعدها الله من جاء بالحسنة هل يكون كلها ثوابا ام لا فقال بعضهم لا يكون كلها ثوابا وانما يكون الثواب منها الواحدة والتسع
الزائدة يكون تفضلا ويؤيده قوله ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله فيكون على هذا معنى عشر امثالها في النعيم واللذة لا في
عظم المنزلة ويجوز ان يكون التفضل مثل الثواب في الكثرة واللذة وان تميز منه الثواب بمقارنة التعظيم والاجلال اللذين لولاهما
لما حسن التكليف وهذا هو الصحيح وقال قوم لا يجوز ان يساوي الثواب التفضل على وجه فيكون زائدا وهم كلها ثوابا قال
الزجاج ان المجازاة من الله عز وجل على الحسنة بدخول الجنة شيء لا يبلغ وصف مقداره فاذا قال عشر امثالها وقال كمثل حبة انبتت
سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة وقال فيضاعفه له اضعافا كثيرة فالمعنى في هذا كله ان جزاء الله سبحانه على الحسنات على
التضعيف للمثل الواحد الذي هو النهاية في التقدير في النفوس فيضاعف الله سبحانه ذلك بما بين عشرة اضعاف الى سبعمائة
ضعف الى اضعاف كثيرة وقد قيل ايضا في ذلك ان المعنى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها المستحق عليها والمستحق لا يعلم مقداره
الا الله تعالى وليس المراد امثال ذلك في العدد وهذا كما يقول الانسان لاجيره لك من الاجر مثل ما عملت اي مثل ما تستحقه بعملك
وقد وردت الرواية عن المعرور بن سويد عن ابي ذر قال حدثني الصادق المصدوق ان الله تعالى قال الحسنة عشر او ازيد والسيئة
واحدة او اغفرها فالويل لمن غلبت آحاده اعشاره قوله تعالى قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابرهيم
حنيفا وما كان من المشركين قل ان صلوتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك امرت

وانا اول المسلمين ثلاث آيات كوفي واربع عند غيرهم القراءة قرا ابن عامر واهل الكوفة قيما مكسورة القاف خفيفة الياء و
الباقون قيما مفتوحة القاف مشددة الياء وقرا اهل المدينة محياي ساكنة الياء ومماتي بفتحها والباقون محياي بفتح الياء
ومماتي ساكنة الياء الحجة من قرا قيما فالقيم هو المستقيم فيكون وصفا للدين كما ان القيم في قوله دين القيمة دين الملة القيمة
لان الملة هي مثل الدين ومن قرا قيما فانه مصدر كالصغر والكبر الا انه لم يصحح كما صحح حول وعوض وكان القياس ولكنه شذ كما
شذ نحو ثيرة في جمع ثور وجياد في جمع جواد وكان القياس الواو وقال الزجاج قيما اعل قيم لانه من قام فلما اعتل قام اعل
قيم لانه جرى عليه واما حول فانه جاء على غير فعل واما اسكان الياء في محياي فانه شاذ عن القياس والاستعمال فان الساكنين
لا يلتقيان على هذا الحد واذا كان ما قبلها متحركا نحو ومماتي فالفتح جائز والاسكان جائز قال ابو علي والوجه في محياي تحريك
الياء مع شذوذه ما حكي عن بعض البغداديين انه سمع التقت حلقتا البطان باسكان الالف مع سكون لام المعرفة ومثل
هذا ما جوزه يونس في قوله اضربان زيدا واضربنان زيدا وسيبويه ينكر هذا من قول يونس وقال علي بن عيسى ولو وصل على
نية الوقف جاز كما جاز قوله بهديهم اقتده فانما زاد هذه الهاء في الوقف كما سكن الياء في الوقف اللغة الملة الدينية
ماخوذة من الاملاء كانه ما ياتي به الشرع ويورده الرسول من الشرايع المتجددة فيمله على امته ليكتب او يحفظ فاما التوحيد
والعدل فواجبان بالعقل لا يكون فيهما اختلاف والشرايع تختلف ولهذا يجوز ان يقال ديني دين الملائكة ولا يقال ملتي ملة الملائكة
وكل ملة دين وليس كل دين ملة والنسك العبادة ورجل ناسك ومنه النسيكة الذبيحة والمنسك الموضع الذي يذبح فيه
النسائك قال الزجاج فالنسك كل ما تقرب به الى الله تعالى الا ان الغالب عليه امر الذبح وقول الناس فلان ناسك ليس يراد به ذابح
انما يراد به انه يؤدي المناسك اي يؤدي ما افترض عليه مما يتقرب به الى الله عز وجل الاعراب دينا قال ابو علي يحتمل نصبه ثلاثة
اوجه احدها انه لما قال هداني ربي الى صراط مستقيم استغنى بجري ذكر الفعل عن ذكره ثانيا فقال دينا قيما كما قال اهدنا الصراط
المستقيم وان شئت نصبته على اعرفوا لان هدايتهم اليه تعريف لهم فحمله على اعرفوا دينا قيما وان شئت حملته على الاتباع
كانه قال اتبعوا دينا قيما والزموه كما قال اتبعوا ما انزل اليكم قال الزجاج ملة ابرهيم بدل من دينا قيما حنيفا منصوب على الحال
من ابرهيم والمعنى هداني وعرفني ملة ابرهيم في حال حنيفيته المعنى ثم امر سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله فقال قل يا محمد لهؤلاء
الكفار وللخلق جميعا انني هداني ربي اي دلني وارشدني الى صراط مستقيم وقيل اراد لطف بي ربي في الاهتداء ووفقني لذلك
وقد بينا معنى الصراط المستقيم في سورة الحمد دينا قيما اي مستقيما على نهاية الاستقامة وقيل ثابتا دائما لا ينسخ ملة
ابرهيم وانما وصف دين النبي صلى الله عليه وآله بانه ملة ابرهيم ترغيبا فيه للعرب لجلالة ابرهيم في نفوسها ونفوس كل اهل الاديان
ولانتساب العرب اليه واتفاقهم على انه كان على الحق حنيفا اي مخلصا في العبادة لله سبحانه عن الحسن وقيل مايلا الى الاسلام
ميلا لازما لا رجوع معه من قولهم رجل احنف اذا كان مائل القدم من خلفه عن الزجاج وقيل مستقيما وانما جاء احنف
على التفاول عن الجبائي وما كان من المشركين يعني ابرهيم ع كان يدعو الى عبادة الله وينهى عن عبادة الاصنام قل ان صلوتي
قد فسرنا معنى الصلوة فيما تقدم ونسكي اي ذبيحتي للحج والعمرة عن سعيد بن جبير ومجاهد وقتادة والسدي وقيل نسكي ديني
عن الحسن وقيل عبادتي عن الزجاج والجبائي وانما ضم الصلوة الى اصل الواجبات من التوحيد والعدل لان فيها التعظيم لله
عند التكبير وفيها تلاوة القرآن الذي يدعو الى كل بر وفيها الركوع والسجود وفيها الخضوع لله سبحانه والتسبيح الذي هو تنزيه له
ومحياي ومماتي اي حيوتي وموتي لله رب العالمين وانما جمع بين صلوته وحياته واحدهما من فعله والآخر من فعل الله لانهما
جميعا بتدبير الله تعالى وقيل معناه صلوتي ونسكي له عبادة وحياتي ومماتي له ملكا وقدرة عن القاضي وقيل ان عبادتي له
لانه هداني لها ولطفه ومحياي ومماتي له لانه بتدبيره وخلقه وقيل معنى قوله محياي ومماتي لله لان الاعمال الصالحة التي تتعلق
بالحيوة في فنون الطاعات وما يتعلق بالممات من الوصية والختم بالخيرات لله وفيه تنبيه على انه ينبغي ان يجعل الانسان
حياته لطاعته ومماته لورثته لا شريك له اي لا ثاني له في الالهية وقيل لا شريك له في العبادة وفي الاحياء والاماتة وبذلك

أمرت اي وبهذا امرني ربي وانا اول المسلمين من هذه الامة فان ابرهيم كان اول المسلمين ومن بعده تابع له في الاسلام عن الحسن
وقتادة وفيه بيان فضل الاسلام وبيان وجوب اتباعه على الاسلام اذ كان صلى الله عليه وآله اول من سارع الى البر ولانه انما امر بذلك ليتاسى
به ويقتدى بفعله قوله تعالى قل اغير الله ابغي ربا وهو رب كل شيء ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى
ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون وهو الذي جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات
ليبلوكم فيما آتاكم ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم اللغة الرب اذا اطلق افاد المالك لتصريف الشيء
باتم التصريف واذا اضيف فقيل رب الدار ورب الضيعة فمعناه المالك لتصريفه باتم تصريف للعباد واصله التربية وهي
تنشئة الشيء حالا بعد حال حتى يصير الى الكمال والفرق بين الرب والسيد ان السيد المالك لتدبير السواد الاعظم والرب المالك
لتدبير الشيء حتى يصير الى الكمال مع اجرائه على تلك الحال ووزر يزر وزرا ووزر يوزر وزرا فهو موزور واصله من الوزر الذي
هو الملجأ فحال الموزور كحال الملتجي الى غير ملجأ ومنه الوزير لان الملك يلتجئ اليه في الامور وقيل ان اصله الثقل ومنه قوله تعالى
ووضعنا عنك وزرك وكلاهما محتمل وواحد الخلائف خليفة مثل صحيفة وصحائف وسفينة وسفائن وخلف فلان
فلانا يخلفه فهو خليفة اذا قام مقامه بعده الاعراب في نصب درجات ثلثة اقوال احدها ان يقع موقع المصدر فكانه قال
رفعة بعد رفعة والثاني انه الى درجات فحذفت الى كما حذفت في قولك دخلت البيت وتقديره الى البيت والثالث ان
يكون مفعولا من قولك ارتفع درجة ورفعته درجة مثل اكتسى ثوبا وكسوته ثوبا المعنى لما امر سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله
ببيان الاخلاص في الدين عقبه بامره ان يبين لهم بطلان مذهب المشركين فقال قل يا محمد لهؤلاء الكفار على وجه الانكار
اغير الله ابغي ربا وهو رب كل شيء وتقديره ايجوز ان اطلب غير الله ربا واطلب الفوز بعبادته وهو مربوب مثلي واترك عبادة من
خلقني ورباني وهو مالك كل شيء وخالقه ومدبره وليس بمربوب امر هذا قبيح في العقول وهو لازم لكم على عبادتكم الاوثان
ولا تكسب كل نفس الا عليها اي لا تكسب كل نفس جزاء كل عمل من طاعة او معصية الا عليها فعليها عقاب معصيتها ولها
ثواب طاعتها ووجه اتصاله بما قبله انه لا ينفعني في ابتغاء رب غيره ما انتم عليه من ذلك لانه ليس يعذر في اكتساب الاثم
اكتساب غيره له لانه لا تزر وازرة وزر اخرى اي لا يحمل احد ذنب غيره ومعناه ولا يجازى احد بذنب غيره قال الزجاج معنى
لا تؤخذ نفس آثمة باثم اخرى وقيل ان الكفار قالوا للنبي صلى الله عليه وآله اتبعنا وعلينا وزرك ان كان خطا فانزل الله هذا وفيه دلالة
على فساد قول المجبرة ان الله تعالى يعذب الطفل بكفر ابيه ثم الى ربكم مرجعكم اي مآلكم ومصيركم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون
اي يخبركم بالحق فيما اختلفتم فيه فيظهر المحسن من المسيء وهو الذي جعلكم خلائف الارض اخبر سبحانه انه الذي جعل الخلق خلائف في
الارض ومعناه ان اهل كل عصر يخلفون اهل العصر الذي قبله كلما مضى قرن خلفهم قرن يجري ذلك على انتظام واتساق حتى تقوم
الساعة على العصر الاخير ولا يخلفه عصر وهذا لا يكون الا من عالم مدبر عن الحسن والسدي وجماعة وقيل المراد بذلك امة
نبينا محمد صلى الله عليه وآله جعلهم الله خلفاء لسائر الامم ونصرهم على سائر الخلق ورفع بعضكم فوق بعض درجات في الرزق عن السدي و
قيل في الصورة والعقل والعمر والمال والقوة وهذا اولى لان الاول يدخل فيه ووجه الحكمة في ذلك مع انه سبحانه خلقهم
ابتداء من غير استحقاق بما اوجب التفاضل بينهم ما فيه من الالطاف الداعية الى الواجبات والصادفة عن المقبحات لان من كان
غنيا في ماله شريفا في نسبه ربما دعاه ذلك الى طاعة من يملكه رغبة في امثاله ومن كان على ضد ذلك ربما دعاه الى الطاعة
رهبة من امثاله ورجاء ان ينتقل عن هذه الحال الى الحال الجليلة يغبط عليها ليبلوكم فيما آتاكم اي ليختبركم فيما اعطاكم اي يعاملكم
معاملة المختبر مظاهرة في العدل وانتفاء من الظلم ومعناه لينظر الغني الى الفقير فيشكر وينظر الفقير الى الغني فيصبر ويفكر
العاقل في الادلة فيعلم ويعمل بما يعلم ان ربك سريع العقاب انما وصف نفسه بذلك مع انه معاقب في الآخرة من حيث كل ما هو آت
قريب فهو اذا سريع وقيل معناه انه سريع العقاب لمن استحقه في دار الدنيا فيكون تحذيرا لمواقع الخطيئة على هذه وقيل انه قادر
على تعجيل العقاب فاحذروا معاجلته بالهلاك في الدنيا وانه لغفور رحيم قابل سبحانه بين العقاب والغفران ولم يقابل

بالثواب

بالثواب لان ذلك ادعى الى الاقلاع عما يوجب العقاب لانه لو ذكر الثواب لجاز ان يتوهم انه لمن لم يكن
منه عصيان وقيل انه سبحانه افتتح السورة بالحمد على نفسه تعليما وختمها بالمغفرة
والرحمة ليحمد على ذلك ه لقد تم تفسير سورة الانعام من كتاب
مجمع البيان بعون الملك العلام في اواخر محرم الحرام
سنة ثلاث وتسعين بعد الالف على
يد افقر الى الله الغني ابن محمد علي
محمد امين [illegible]
مصليا
حامدا

سورة الاعراف هي مكية وقد روي عن قتادة والضحاك انها مكية غير قوله واسألهم عن القرية الى قوله بما كانوا يفسقون فانها نزلت بالمدينة
عدد آيها مائتان وست آيات حجازي كوفي وخمس بصري شامي اختلافها خمس آيات المص كوفي بدأكم تعودون كوفي مخلصين له الدين
بصري شامي ضعفا من النار والحسنى على بني اسرائيل حجازي فضلها ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال من قرأ سورة الاعراف جعل الله
بينه وبين ابليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيمة وروى العياشي باسناده عن ابي بصير عن ابي عبد الله عليه السلام قال من قرأ سورة الاعراف في كل
شهر كان يوم القيمة من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فان قرأها في كل يوم جمعة كان ممن لا يحاسب يوم القيمة قال ابو عبد الله عليه السلام اما ان فيها
آيا محكمة فلا تدعوا قراءتها وتلاوتها والقيام بها فانها تشهد يوم القيمة لمن قرأها عند ربه تفسيرها لما ختم الله تبارك وتعالى سورة الانعام
بالرحمة افتتح هذه السورة بانه انزل كتابا فيه معالم الدين والحكمة فقال بسم الله الرحمن الرحيم المص كتاب انزل اليك فلا يكن في صدرك حرج
منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء قليلا ما تذكرون ثلث آيات كوفي آيتان في الباقين
القراءة قرأ ابن عامر يتذكرون بياء وتاء وقرأ اهل الكوفة غير ابي بكر تذكرون خفيفة الذال وقرأ الباقون تذكرون [illegible]
بتشديد الذال والكاف الحجة قال ابو علي من قرأ تذكرون مشددة اراد تتذكرون فادغم التاء في الذال وادغامها فيها حسن لان التاء مهموسة
والذال مجهورة والمجهورة ازيد صوتا واقوى من المهموس فحسن ادغام الانقص في الازيد ولا يسوغ ادغام الازيد في الانقص وما في قوله ما تذكرون
موصولة بالفعل وهي معه بمنزلة المصدر والمعنى قليلا تذكركم ولا ذكر في الصلة يعود اليها كما لا يكون في صلة ان ذكر ومن قرأ تذكرون فانه
حذف التاء التي ادغمها من شدد الذال وذلك حسن لاجتماع ثلاثة احرف متقاربة ويقوي ذلك قولهم اسطاع يسطيع فحذفوا احد الثلاثة
المتقاربة ومن قرأ يتذكرون بياء وتاء فوجهه انه خاطب النبي صلى الله عليه وآله فقال قليلا ما يتذكر هؤلاء اللغة قد تقدم ذكر الحروف المقطعة في اوايل
السور في اول سورة البقرة وذكرنا الاقوال في معانيها واعرابها فلا معنى لاعادتها وبينا ان حروف الهجاء توصل على نية الوقف فانها [illegible]
فصل المعاني فعلى هذا لو ثبت حيث يراد بالمص ونحوه الحكاية وان سميت نصبا او رفعا لم يجب ذلك لان ص وقاف لهما نظير في الاسماء المفردة [illegible]
المص بمنزلة الجملة اذ ليس له نظير في الاسماء المفردة واما عد الكوفيين المص آية ولم يعدوا ص لان المص بمنزلة الجملة مع اخوته ثلاثة احرف بمنزلة
فلما اجتمع هذان السببان وكل واحد يقتضي عدة آية عدوه ولم يعدوا الر لانها لا تشبه المردف ولم يعدوا ص لانه بمنزلة اسم مفرد وكذلك ق ون
من قال ان هذه الحروف في اوايل السور اسماء للسور فعلى قوله انما جيء بها ولم تتم بالاسماء المعقولة لانها تتضمن معاني اخر مضافة الى التسمية وهو انها
فاتحة لما هو منها وانها فاصلة بينها وبين ما قبلها ولا يأتي من التأليف بعدها ما هو معجز مع ان تأليف كتأليفها فهذه المعاني من اسرارها والذكرى مصدر
ذكر يذكر تذكيرا وهو اسم للتذكير وفيه مبالغة مثل الرجعى الاعراب قال الزجاج اجمع النحويون على ان قوله كتاب انزل اليك مرفوع بغير هذه الحروف فالمعنى
هذا كتاب انزل اليك ومن قال ان كتاب يرتفع بالمص فقد ابطل لانه يكون المعنى المص بعض حروف كتاب انزل اليك فيكون تقديره
المضاف وما اضيف اليه وهذا ليس بجائز فان قال قائل فقد تقول ا ب ت ث ثمانية وعشرون حرفا وانما ذكرت اربعة فمن اين جاز ذلك قيل
فقد صار اسم هذه الحروف كلها ا ب ت ث كما تقول الحمد سبع آيات فالحمد اسم لجملة السورة وليس اسم الكتاب الر ولا اسم القرآن طسم وهذا فرق بين فلا
والذي اختاره في تفسير المص قول ابن عباس ان المص انا الله اعلم وافصل فيكون يرتفع بعض هذه الحروف ببعض والجملة لا موضع لها وقوله فلا يكن في صدرك
حرج دخول الفاء فيه يحتمل وجهين احدهما ان يكون عاطفة جملة على جملة وتقديره هذا كتاب انزلناه اليك فلا يكن بعد انزاله في صدرك حرج والآخر ان يكون
جوابا وتقديره اذا كان انزل اليك الكتاب لتنذر به فلا يكن في صدرك حرج منه فيكون محمولا على معنى اذا وذكرى قال الزجاج يصلح ان يكون في موضع نصب ورفع
وخفض فالنصب على معنى انزل اليك لتنذر به وذكرى لان في انزل معنى التذكير وهذا كما يقال جئتك للاحسان وشوقا اليك فيكون مفعولا له واما الرفع
فعلى تقدير وهو ذكرى واما الخفض فعلى معنى لتنذر لان في لتنذر معنى للانذار والذكرى قال علي بن عيسى وهذا الوجه ضعيف لانه لا يجوز ان يحمل الكلام على
التأويل كما لا يجوز [illegible] المعنى وما قيل فيه كتاب انزل اليك اي هذا الذي اوحي اليك كتاب انزل اليك اي انزله الملائكة اليك
بامر الله تعالى فلا يكن في صدرك حرج منه ذكر في معناه اقوال احدها ما ذكره الحسن ان معنى الحرج الضيق فمعناه لا يضيق صدرك لتشعب الفكر خوفا من ان لا تقوم
بتبليغ ما انزل اليك حق القيام فليس عليك اكثر من الانذار وثانيها ان معنى الحرج الشك عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي فمعناه فلا يكن في صدرك شك
فيما يلزمك من القيام بحقه فانما انزل اليك لتنذر به وثالثها ان معناه فلا يضيقن صدرك من قومك ان يكذبوك ويجبهوك بالسوء فيما انزل اليك [illegible]

٣٣٠

فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا عن الفراء وقد روي في الخبر ان الله تعالى لما انزل القرآن الى رسوله صلى الله عليه وآله قال اني اخشى
ان يكذبني الناس ويثلغوا رأسي فيتركوه كالخبزة فأزال الله الخوف عنه بهذه الآية وقوله لتنذر به اي بالقرآن قال الفراء والزجاج وأكثر العلماء انه
على التقديم والتأخير وتقديره كتاب انزل اليك لتنذر به وذكرى للمؤمنين فلا يكن في صدرك حرج منه وقال الآخرون هو متصل بقوله فلا يكن في صدرك حرج منه
اي كن على انشراح صدر بالانذار ومعناه لتخوف بوعده ووعيده وامثاله والامر والنهي وليتذكروا وانما خص المؤمنين لانهم المنتفعون به
ثم خاطب الله المكلفين فقال اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ويحتمل ان يكون المراد قل لهم يا محمد اتبعوا ما انزل اليكم لانه قد تقدم ذكر لتنذر به والاتباع نوعان
الثاني يجري على الاول وتدبيره بتدبيره والاول امام والثاني مؤتم ووجوب الاتباع فيما انزل الله يدخل فيه الواجب والندب والمباح لانه يجب ان يعتقد
في كل منها ما امر الله سبحانه كما يجب ان يعتقد في الحرام وجوب اجتنابه ولا تتبعوا من دونه اولياء اي ولا تتخذوا غيره اولياء تطيعونهم في معصية الله لانه لا يتبع المراد
فانما يتبع الغير اذا من الشيطان والاوثان امر سبحانه باتباع القرآن ونهى عن اتباع الشيطان ليعلموا ان الاتباع لسعادته قليلا ما تذكرون وما في قليلا يا معشر المشركين تذكركم
وانما الحكم ... في التذكر وخرج مخرج الخبر والمراد به الامر معناه تذكروا واكثروا انما يلزمكم من امر دينكم وما اوجبه الله فمعنى التذكر ان تأخذ في الذكر شيئا
بعد شيء مثل التفقه والتعلم قوله تعالى وكم من قرية اهلكناها فجاءها بأسنا بياتا او هم قائلون فما كان دعواهم اذ جاءهم بأسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين الاعراب كم
لفظة موضوعة للتكثير ورب للتقليل وانما كان كذلك لان رب حرف وكم اسم والتقليل من باب النفي وكم يدخل في الخبر بمعنى التكثير فاما في الاستفهام فلا
لان الاستفهام موكول الى بيان المجيب وانما دخلها التكثير لان استفهام العدد ... انما يكون للكثير في غالب الامر وكم شبهة قد
الفرزدق كم عمة لك يا جرير وخالة فدعاء قد حلبت علي عشاري على كثرة العمات والخالات وموضع كم في الآية رفع بالابتداء وخبرها اهلكناها
ولو جعلتها في موضع نصب جاز كما تقول زيدا ضربته وكل شيء خلقناه بقدر والاول الوجه وقيل في دخول الفاء في قوله فجاءها بأسنا بياتا اربعة اقوال
احدها اهلكناها في حكمنا فجاءها بأسنا والثاني اهلكناها بارسال ملائكة العذاب اليها فجاءها بأسنا والثالث انه مثل زرتني فاكرمتني فان نفس الزيارة
من الزيادة ... علي بن عيسى وليس هذا مثل ذلك لان هذا انما جاز لانه قصد الثاني ثم الاكرام بها والرابع اهلكناها فحكم انه جاءها بأسنا وقال الفراء
ان الفاء هنا بمعنى الواو ورد عليه علي بن عيسى ... قيل وقال لا يجوز ... او هم قائلون قال الفراء والحال مقدرة فيه وتقديره
او وهم قائلون وانما حذفت استثقالا قال الزجاج وهذا لا يحتاج الى ضمير الواو ولو قلت جاءني زيد راجلا او هو فارس او جاءني زيد هو فارس لم يحتج
الى الواو لان الذكر قد عاد الى الاول ومعنى بياتا ليلا والبيات اسم ... والمصدر في الاصل بيات بياتا وانما سمي البيت بيتا لانه يبات
فيه وهم قائلون اي وجاءهم بأسنا نهارا في وقت القائلة ... على جهة ... امر كذا او امر كذا في الخير
هنا بمنزلة او في الاباحة اذا قلت جالس الحسن او ابن سيرين اي كل واحد منهما اهل ان يجالس ولو قلت جالس الحسن وابن سيرين لان الواو يقتضي اجتماع الشيئين ولو قلت
ضرب القوم قياما وقعودا لاوجب انهم على حالتين ولو قلت منهم قياما ومنهم قعودا ولم تكن ... فان العرب تقول
ضربتهم مرة على هذه الحالة ومرة على هذه الحالة فيكون بمعنى ... وقائلين فيكون حالا من الهاء والميم في جاءهم وموضع ان قالوا الاختيار ان يكون دعواهم
يكون دعواهم في موضع نصب كقوله فما كان جواب قومه الا ان قالوا ويجوز ان يكون في موضع نصب ويكون الدعوى في موضع رفع الا ان الدعوى اذا كانت في
موضع رفع فالاكثر في اللفظ فما كانت دعواهم كذا لان الدعوى مؤنثة وهو اسم للادعاء ويصلح ان يكون بمعنى الدعاء حكى سيبويه اللهم اشركنا في صالح دعوى المسلمين
... المعنى لما تقدم الامر منه سبحانه للمكلفين باتباع القرآن والتحذير من مخالفته والتذكر عقب ذلك بتذكيرهم ما نزل بهم
من العذاب وتحذيرهم ان ينزل بهم ما نزل باولئك فقال وكم من قرية اي من اهل قرية فحذف المضاف لان الكلام يدل عليه اهلكناها بالاستئصال فجاءها بأسنا اي عذابنا
بياتا اي ليلا او هم قائلون اي في حال القيلولة وهو نصف النهار وانما خص هذين الوقتين لان الاخذ فيهما اشد ... في وقت الراحة
اعظم في العقوبة فلذلك خص الوقتين بالذكر فما كان دعواهم اذ جاءهم بأسنا اي لم يكن دعاء هؤلاء الذين اهلكناهم عند نزول العذاب بهم في الوقت الذي
جاءهم شدة عذابنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين يعني اعترافهم بما كانوا فيه واقرارهم به وهذا القول كان منهم عند معاينة البأس ... ويجوز
ان يكون قالوه حين لا ينفعهم ... وهذه دلالة على ان الاعتراف والتوبة عند معاينة البأس لا ينفع قوله تعالى فلنسألن الذين ارسل اليهم
ولنسألن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا
انفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون اربع آيات اللغة السؤال طلب الجواب باداة في الكلام كما ان الامر طلب الفعل باداة في الكلام ... ما يتلو بعضه بعضا ومنه

المقتول لانه يتبع اثره ... ومنه القصة من الشعر والقصة من الكتاب ومنه القصاص ... ومنه المقاصة في الحق لانه يقتص
ماله قصاصا بما عليه والوزن في اللغة هو مقابلة احد الشيئين بالآخر حتى يظهر مقداره وقد استعمل في غير ذلك تشبيها به فمنها وزن الشعر بالعروض
ومنها قوله فلان يزن كلامه وزنا قال الاخطل واذا وضعت اباك في ميزانهم رجحوا وشال ابوك في الميزان والحق وضع الشيء موضعه على وجه تقتضيه
الحكمة وقد استعمل بمعنى العدل وهذا هو الحق ... ذلك في العدد ... سبحانه ذلك بان الله هو الحق ... في الوصف والثقل عبارة عن الاعتماد اللازم
سفلا ويقتضيه الخفة وهي الاعتماد اللازم علوا الاعراب الفاء في قوله فلنسألن عاطفة جملة وانما دخلت الفاء وهي موجبة للتعقيب مع تراخي
ما بين الاول والثاني وذلك ليدل على تقريب ما بينهما كما قال سبحانه اقتربت الساعة وقال وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب وقال اولم ير الانسان انا
خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين واذا للمفاجأة ويومئذ مبني في الاعراب والبناء لانه اضافة الى مبني ... من الاسماء
المركبة واضافته الى الجملة تقرب من الاضافة الحقيقية ولانه قد قطع عن الاضافة ... التنوين ... عن الاضافة المعنى لما ذكر سبحانه بالعذاب في
الدنيا عقبه بالاخبار عن عذاب الآخرة فقال فلنسألن الذين ارسل اليهم ولنسألن المرسلين اقسم الله سبحانه انه يسأل المكلفين الذين ارسل اليهم رسله واقسم انه
يسأل المرسلين الذين بعثهم فيسأل الامم عن الاجابة وتسأل الرسل عن الابلاغ ... وان كان عالما بما كان منهم فلما اخرج الكلام مخرج التهديد
والزجر ليتأهب العباد ... الاستعداد لذلك السؤال وقيل انه يسأل الامم عن الاجابة ويسأل الرسل ماذا عملت امتهم فيما جاءوا به وقيل ان الامم يسألون سؤال
توبيخ والانبياء يسألون شهادة على المؤمنين والمنافقين ... السؤال فيها اشياء منها ان يعلم الخلائق انه سبحانه ارسل الرسل وازاح العلة وانه لا يظلم احدا
ومنها ان يعلم ان الكفار استحقوا العذاب بافعالهم ومنها ان يزداد سرور اهل الايمان بالثناء الجميل عليهم ويزداد غم الكفار بما يظهر من افعالهم القبيحة
ومنها ان ذلك لطف للمكلفين اذا اخبروا به ومما يسأل على هذا ان يقال كيف يجمع بين قوله ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون وقوله فيومئذ لا يسأل عن ذنبه
انس ولا جان وقوله ولنسألن الذين ارسل اليهم فوربك لنسألنهم اجمعين والجواب عنه من وجوه احدها انه سبحانه نفى ان يسألهم سؤال استرشاد
واستعلام وانما يسألهم سؤال تبكيت وتقريع ولذلك قال عقيبه يعرف المجرمون بسيماهم وسؤال الاستعلام مثل قولك اين زيد ومن عندك وهذا لا يجوز على
سبحانه وسؤال التوبيخ والتقريع كقولك الم احسن اليك فكفرت نعمتي ومنه قوله الم اعهد اليكم يا بني آدم الم يأتكم رسل منكم وكقول الشاعر ...
اكبر السن وهذا توبيخ منه لنفسه اي كيف اطرب مع الكبر والشيب وقد يكون السؤال للتقرير كقول الشاعر الستم خير من ركب المطايا واندى العالمين بطون
راح اي انتم كذلك ومثله قوله وهل يجازى الا الكفور ... واما سؤال المرسلين فليس بتقريع ولا توبيخ لهم ولكنه توبيخ للكفار وتقريع
لهم وثانيها انهم انما يسألون يوم القيامة كما قال وقفوهم انهم مسؤولون ثم تنقطع مسألتهم عند حصولهم في العقوبة وعند دخولهم النار فلا يسألون عن ذنوبهم
بل هو اثبات السؤال في وقت ونفيه في وقت آخر وثالثها ان في القيامة مواقف ففي بعضها يسأل فلا تضاد بين الآيات واما الجمع بين قوله فلا انساب
بينهم يومئذ ولا يتساءلون وقوله فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون ... لانها تتحدث عن الحال التي ... بعضهم لتشاغلهم عن ذلك وكل
امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه والثاني معناه يسأل بعضهم بعضا سؤال تلاوم وتوبيخ كما قال في موضع آخر ... وهذا اكثر من ان يحصى الآية
ومثل ذلك كثير في القرآن ثم بين سبحانه ما ذكرناه من انه لا يسألهم سؤال الاستعلام بقوله فلنقصن عليهم اي لنخبرنهم بجميع اعمالهم ليعلموا ان اعمالهم كانت محفوظة وليعلم
كل منهم جزاء عمله وانه لا ظلم عليه وليظهر لاهل الموقف احوالهم بعلم قيل معناه نقص عليهم اعمالهم بانا عالمون بها وقيل معناه بمعلوم كما قال ولا يحيطون بشيء من علمه اي
من معلومه وقال ابن عباس معناه فلنقصن عليهم ينطق عليهم كتاب اعمالهم كقوله سبحانه هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق وما كنا غائبين عن علم ذلك وقيل عن الرسل فيما بلغوا
وعن الامم فيما اجابوا ... احوالهم والمعنى انهم لا يخفى عليه شيء والوزن يومئذ الحق ذكر فيه اقوال احدها ان الوزن عبارة عن العدل في الآخرة وانه
لا ظلم فيها على احد عن مجاهد والضحاك وهو قول الحسن والبلخي وثانيها ان الله تعالى ينصب ميزانا له كفتان يوم القيامة فيوزن به اعمال العباد الحسنات والسيئات عن ابن عباس
والحسن وبه قال الجبائي واختلفوا في كيفية الوزن لان الاعمال اعراض لا يجوز عليها الاعادة ولا يكون لها وزن ولا تقوم بانفسها فقيل توزن صحائف الاعمال
عن عبد الله بن عمر وجماعة وقيل يظهر علامات للحسنات وعلامات للسيئات في الكفتين فيراها الناس عن الجبائي وقيل يظهر للحسنات صورة حسنة و
للسيئات صورة سيئة عن ابن عباس وقيل توزن نفس المؤمن والكافر عن عبيد بن عمير قال يؤتى بالرجل العظيم الجثة فلا يزن جناح بعوضة وثالثها ان المراد
بالوزن ظهور مقدار المؤمن في العظم ومقدار الكافر في الذلة كما قال سبحانه فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا فمن اتى بالعمل الصالح يثقل وزنه اي يعظم قدره فقد افلح
ومن اتى بالعمل السيء الذي لا وزن له ولا قدر فقد خسر عن ابي مسلم واحسن الاقوال القول الاول وبعده الثاني وانما قلنا ذلك لانه ...

كلام فلان موزون وافعاله موزونة يريدون بذلك انها واقعة بحسب الحاجة لا يكون ناقصة عنها ولا زائدة عليها زيادة مضرة او داخلة في باب
العبث قال مالك بن اسماء الفزاري وحديث الذه هو مما ينعت الناعتون يوزن وزنا منطق صائب وتلحن احيانا وخير الحديث ما كان لحنا اي تعرض في الكلام
ولا يصرح به وقيل ان معنى اللحن هو سرعة الفهم والفطنة وعلى هذا فيكون معنى الوزن قيام النفس مساويا للعدل كما يقوم الوزن في مرأة العين كذلك
وانما احسن القول الاول لان في ظاهر الاخبار الوارد فيه والجري على ظاهره فمن ثقلت موازينه انما جمع الموازين لانه يجوز ان يكون لكل نوع من انواع الطاعات
يوم القيمة ميزان ويجوز ان يكون كل ميزان صنفا من اصناف اعماله ويؤيد هذا ما جاء في الخبر ان الصلاة ميزان فمن وفى استوفى فاولئك هم المفلحون
اي الفائزون بثواب الله ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم بان يستحقوا عذاب الابد بما كانوا باياتنا يظلمون اي يجحدون ما جاء به
محمد صلى الله عليه وآله من اياتنا وحججنا والخسران ذهاب راس المال ومن اعظم راس المال النفس فاذا اهلك نفسه بسوء عمله فقد خسر نفسه قوله تعالى
ولقد مكناكم في الارض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس لم يكن
من الساجدين ايتان القراءة قراءة القراء معايش بغير همز وروى بعضهم عن نافع معائش ممدودا مهموزا الحجة قال ابو علي معايش جمع معيشة والمعيشة
لانه على وزن معيشة وزيادة زيادة تختص الاسم دون الفعل فلم يحتج الى الفصل بين الاسم والفعل كما احتيج اليه فيما كانت الزيادة مشتركة نحو الهمزة في اخاف
وهو اخوف منك وموافقة الاسم لبناء الفعل يوجب في الاسم الاعتلال الا ترى انهم اعلوا بابا ونابا ويوم راح لما كان على وزن الفعل وصححوا نحو جول وحوكة و
لومة لما لم يكن على بناء الفعل ففيه موافقة الفعل في البناء الا ترى ان مثل معيشة في البناء مثل يعيش فقد علم بذلك ان الذي اوجب الاعلال
في الواحد في الجمع فلزم التصحيح في التكسير لزوال المشابهة في اللفظ ولان التكسير معنى لا يكون في الفعل انما يختص به الاسم واذا كانوا قد صححوا نحو الجولان والهيمان مع قلة
بناء الفعل به لما لحقه من الزيادة التي تختص بها الاسم فتصحيح قولهم معايش الذي قد زال شابهة الفعل عنه في اللفظ والمعنى لا اشكال فيه وفي وجوب العدول عن الاعلال
اهل همزه فانه على وجه الغلط وهو ان معيشة على وزن مصيبة فتوهمها فعيلة فهمزها كما همز مصائب ومثله ما حمله على هذا قولهم في جمع مسيل امسلة فتوهمه فعيلا
وانما هو مفعل وذكر المحققون ان الهمزة في هذه الياء انما يكون اذا كانت زائدة نحو صحيفة وصحائف وعجائب الياء الزائدة لا حظ لها في الحركة وقد قرب من
اخر الكلمة ولزمها الحركة وجبوا فيها الهمزة واذا جمعت مقاما قلت مقاوم وانشدوا واني لقوام مقاوم لم يكن جرير ولا مولى جرير يقومها اللغة التمكين اعطاء ما
يصح به الفعل مع رفع المنع لان الفعل لا يحتاج الى القدرة فقد يحتاج الى الة والى دلالة والى سبب ويحتاج الى ارتفاع المنع فالتمكين عبارة عن جميع ذلك والجعل
ايجاد ما به يكون الشيء على خلاف ما كان عليه مثل ان تقول جعلت الساكن متحركا لانك فعلت فيه الحركة ونظيره التصيير وجعل الشيء اعم من حدوثه لانه قد يكون بحدوث
ما يتغير به والمعيشة ما يكون وصلة الى ما فيه الحيوة من جهة المطعم والمشرب والملبس والخلق احداث الشيء على تقدير تقتضيه الحكمة والتصوير جعل الشيء على صورة من الصور
والصورة بنية مقومة على هيئة ظاهرة والسجود اصله الانخفاض وحقيقته وضع الجبهة على الارض الاعراب قليلا نصب بتشكرون وتقديره تشكرون قليلا وما زائدة
ويجوز ان يكون ما مع ما بعدها في حكم المصدر بمنزلة المصدر فيكون تقديره قليلا شكركم المعنى ثم ذكر سبحانه نعمه على البشر بالتمكين في الارض وما خلق فيها من الانواع وصارت
النعمة السابغة عليهم باتيان الكتب وارسال الرسل فقال ولقد مكناكم في الارض اي مكناكم من التصرف فيها وملكناكموها وجعلنا لكم قرارا وجعلنا لكم فيها معايش
اي ما تعيشون به من انواع الرزق ووجوه النعم والمنافع وقيل يريد المكاسب والاقتدار عليها بالعلم والقدرة والالات قليلا ما تشكرون اي انتم مع هذه
النعم التي انعمتها عليكم قليلا تشكرون ثم ذكر سبحانه نعمته في ابتداء الخلق فقال ولقد خلقناكم ثم صورناكم وقال الاخفش ثم ههنا في معنى الواو وقال الزجاج وهذا
خطأ لا يجيزه الخليل وسيبويه وجميع من يوثق بعلمه انما ثم للشيء الذي يكون بعد المذكور وقبله لا غير وانما المعنى في هذا الخطاب ذكر ابتداء الخلق اولا فالمراد انا خلقنا
ادم ثم صورناه فابتداء خلقكم من التراب ثم وقعت الصورة بعد ذلك فهذا معنى خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لادم بعد الفراغ من خلق ادم وانما جاز
لما يعقله ... من كلام العرب فعلنا بكم كذا وكذا وهم يعنون اسلافهم وفي التنزيل واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور اي ميثاق اسلافكم وقيل وفيه
اقوال اخر احدها ان معناه خلقنا ادم ثم صورناكم في ظهره ثم قلنا للملائكة عن ابن عباس ومجاهد والربيع وقتادة والسدي وثانيها ان الترتيب وقع في الاخبار فكانه قال خلقناكم
ثم صورناكم ثم انا نخبركم انا قلنا للملائكة اسجدوا لادم كما يقول القائل انا راجل ثم انا مسرع وهذا قول جماعة من النحويين منهم علي بن عيسى والقاضي السعيد ابن البراج
وغيرهما وعلى هذا فقد قيل ان المعنى خلقناكم في اصلاب الرجال ثم صورناكم في ارحام النساء عن عكرمة وقيل خلقناكم في الرحم ثم صورناكم بشق السمع والبصر وسائر
الاعضاء عن يمان وثالثها ان الترتيب ... معناه ... ثم الام وقوله فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين قد مضى الكلام
في سورة البقرة قوله تعالى قال ما منعك الا تسجد اذ امرتك قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فاهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها فاخرج انك

من الصاغرين ايتان اللغة الصاغر الذليل بصغر القدر يقال صغر يصغر صغرا وصغارا فهو صاغر اذا رضي بالضيم ومن الصغر ضد الكبر صغر يصغر
فلا يصغر في لدليه اي اصغرهم الاعراب ما في قوله ما منعك رفع بالابتداء والمعنى اي شيء منعك ولا في قوله الا تسجد المعنى ما منعك ان تسجد ويشبه
قوله سبحانه لئلا يعلم معناه لان يعلم وقال الشاعر ابى جوده لا البخل واستعجلت به نعم من فتى لا يمنع الجود قاتله قال معناه ابى جوده البخل وقال ابو عمرو بن العلاء الرواية
ابى جوده لا البخل بالجر والمعنى ابى جوده لا التي يبخل الانسان قال الزجاج وارى فيه وجها اخر حسنا وهو ان يكون لا غير لغو ويكون البخل منصوبا بدلا من لا والمعنى
ابى جوده لا التي هي البخل كانه قال ابى جوده البخل وقد قيل انما دخل لا في قوله الا تسجد لان معناه ما دعاك الى ان لا تسجد المعنى
ثم حكى سبحانه خطابه لابليس حين امتنع من السجود لادم بقوله ما كان قال الله تعالى ما منعك ان لا تسجد اي ما دعاك الى ان لا تسجد وما اضطرك اليه وما منعك ان تسجد
اذ امرتك بالسجود لادم قال ابليس انا خير منه اي من ادم خلقتني من نار وخلقته من طين وهذا الجواب غير مطابق لانه كان يجب ان يقول منعني كذا لان قوله انا خير
جواب لمن يقول ايكما خير ولكن فيه معنى الجواب ويجري ذلك مجرى ان يقول القائل لغيره كيف كنت فيقول انا صالح وكان يجب ان يقول كنت صالحا لكنه جاز ذلك
لانه اذا افاد انه صالح في الحال مع انه كان صالحا فيما مضى قال ابن عباس اول من قاس ابليس فاخطأ القياس فمن قاس الدين بشيء من رأيه قرنه الله بابليس قال ابن سيرين
اول من قاس ابليس وما عبدت الشمس والقمر الا بالمقاييس ووجه دخول الشبهة على ابليس انه ظن ان النار اذا كانت اشرف من الطين لم يجز ان يسجد الاشرف للادون
وهذا خطأ لان ذلك تابع لما يعلم الله سبحانه من مصالح العباد وقد قيل ان الطين خير من النار لانه اكثر منافع للخلق من حيث ان الارض مستقر الخلق وفيها معايشهم
ومنها تخرج انواع ارزاقهم والخيرية انما يراد بها كثرة المنافع دون كثرة الثواب لان الثواب لا يكون الا للمكلف المأمور به دون الجماد قال اي فقال
سبحانه لابليس فاهبط منها اي انزل واهبط منها اي من السماء عن الحسن وقيل من الجنة وقيل معناه انزل عما انت عليه من الدرجة الرفيعة والمنزلة الرفيعة التي
هي درجة متبعي امر الله وحافظي حدوده الى الدرجة الدنية التي هي درجة العاصين المضيعين امر الله فما يكون لك ان تتكبر عن امر الله فيها اي في الجنة
او في السماء فانها ليست بموضع المتكبرين وانما موضعهم النار كما قال اليس في جهنم مثوى للمتكبرين فاخرج من المكان الذي انت فيه او المنزلة التي
انت عليها انك من الصاغرين من الاذلاء بالمعصية في الدنيا لان العاصي ذليل عند من عصاه او بالعذاب في الاخرة لان المعذب ذليل وهذا الكلام
انما صدر من الله سبحانه على لسان بعض الملائكة عن الجبائي وقيل ان ابليس راى معجزة تدله على ان ذلك كلام الله وقوله سبحانه فما يكون لك ان تتكبر فيها
لا يدل على انه يجوز التكبر في غير الجنة فان التكبر لا يجوز بحال لانه اظهار كبر النفس على جميع الاشياء وهذا في صفة العباد ذم وفي صفة الله سبحانه مدح
الا ابليس ... الجنة ... قوله تعالى قال انظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين
قال فبما اغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد اكثرهم شاكرين اربع ايات اللغة الانظار
والامهال والتأخير والتأجيل نظائر وبينها فروق وضد الامهال الاعجال والبعث الاطلاق في الامر والبعث والحشر والنشر والجمع نظائر الاعراب
لاقعدن جواب القسم والقسم محذوف لان غرضه بالكلام التأكيد ومثله قوله ص والقرآن ذي الذكر فانه حذف الجواب هناك وبقي القسم لان
الغرض تعظيم المقسم ونصب صراطك على الحذف دون الظرف وتقديره على صراطك كما قيل ضرب زيد الظهر والبطن اي على الظهر والبطن قال الشاعر لدن بهز
الكف يعسل متنه فيه كما عسل الطريق الثعلب ... المعنى ثم حكى سبحانه عن ابليس انظرني اي
اخرني في الاجل ولا تمتني الى يوم يبعثون اي يبعث الخلق من قبورهم للجزاء وقيل معناه انظرني في الجزاء الى يوم القيمة فانه خاف ان يعاجله الله سبحانه بالعقوبة
عليه قوله الى يوم يبعثون ولم يقل الى يوم يموتون ومعلوم ان الله تعالى لا يبقي احدا حيا الى يوم القيمة قال الكلبي اراد الخبيث ان لا يذوق الموت في النفخة الاولى
مع من يموت فاجيب بالانظار الى يوم الوقت المعلوم وهو النفخة الاولى ليذوق الموت بين النفختين وهو اربعون سنة واما الوجه في مسألة ابليس الانظار مع
علمه بانه مطرود ملعون فلعلمه بان الله عز وجل ... المعصية عن المسألة والطمع في الاجابة قال اي قال
الله سبحانه لابليس انك من المنظرين اي من المؤخرين قال ابليس لما لعنه الله سبحانه وطرده ثم سأله الانظار فاجابه الله تعالى الى ذلك فبما اغويتني اي فبالذي
اغويتني قيل في معناه اقوال احدها ان معناه بما خيبتني من رحمتك وجنتك كما قال الشاعر فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما اي من يخب
ان المراد امتحنتني بالسجود لادم فغويت عنده فكانه قال اغويتني كما قال فزادتهم رجسا الى رجسهم وثالثها ان معناه حكمت بغوايتي كما قال اضللتني اي حكمت
بضلالتي عن ابن عباس وابن زيد ورابعها ان معناه اهلكتني بلعنك اياي كما قال الشاعر معطفة الاثناء ليس فصيلها برازئها درا ولا ميت غوى اي ولا
هالك لما يعتوره من شرب اللبن ومنه قوله فسوف يلقون غيا اي هلاكا وقال الغوى الفصيل اذا فقد اللبن فمات والمصدر غوى يغوى والوجه الاخير ان يكون الكلام

على ظاهره من الغواية ولا يبعد ان يكون ابليس قد اعتقد ان الله تعالى يغوي الخلق بان يضلهم ويكون ذلك من جملة ما كان اعتقده من الشر لاقعدن لهم اي لاجلسن لهم
اي لاولاد آدم صراطك المستقيم اي طريقك المستوي وهو طريق الحق لاصدنهم عنه بالاغواء حتى اصرفهم الى الطريق الباطل كيدا لهم ومخالفة وفيه دليل على انه لو كان ما
يفعل به الايمان هو بعينه ما يفعل به الكفر لكان قوله فبما اغويتني مساويا للقول لو قال فبما اصلحتني بعد بان صفة الالة اذا اوقع بها الكفر جاز ان يقع معها اذا
وقع بها الايمان وان كانت الالة واحدة كما ان السيف واحد يصلح لان يستعمل في قتل المؤمن كما يصلح ان يستعمل في قتل الكافر ولا يجب من ذلك ان يكون الصنفان
واحدا من اجل انه واحد فلا يمتنع ان يكون من استعمل آلة الايمان في الضلالة لذلك الكفر يسمى اغواء وان استعملت في الايمان سميت هداية وان كانت مما يصح
به الايمان هو بعينه ما يصح به الكفر والضلالة ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم قيل في ذلك اقوال احدها ان المعنى من قبل دنياهم وآخرتهم
ومن جهة حسناتهم وسيئاتهم عن ابن عباس وقتادة والسدي وابن جريج وتفصيله آتيهم في الدنيا واخوفهم بالفقر واقول لهم لا جنة ولا نار ولا بعث ولا حساب واثبطهم
عن الحسنات واشغلهم عنها واحبب اليهم السيئات واحثهم عليها قال ابن عباس وانما لم يقل من فوقهم لان فوقهم جهة نزول الرحمة من السماء فلا سبيل له الى ذلك ولم يقل
من تحت ارجلهم لان الاتيان منه موحش وثانيها ان المعنى من بين ايديهم وعن ايمانهم من حيث يبصرون ومن خلفهم وعن شمائلهم من حيث لا يبصرون عن مجاهد وثالثها ما روي
عن ابي جعفر عليه السلام قال ثم لآتينهم من بين ايديهم معناه اهون عليهم امر الآخرة ومن خلفهم آمرهم بجمع الاموال والبخل بها عن الحقوق لتبقى لورثتهم وعن ايمانهم افسد عليهم امر
دينهم بتزيين الضلالة وتحسين الشبهة وعن شمائلهم بتحبيب اللذات اليهم وتغليب الشهوات على قلوبهم وانما دخلت من في القدام والخلف وعن في اليمين والشمال لان في
القدام والخلف معنى طلب النهاية وفي اليمين والشمال الانحراف عن الجهة ولا تجد اكثرهم شاكرين هذا اخبار من ابليس ان الله تعالى لا يجد اكثر خلقه شاكرين وقيل انه
يمكن ان يكون قد قال ذلك من احد وجهين اما من جهة الملائكة باخبار الله تعالى اياهم واما عن ظن منه كما قال سبحانه ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فانه لما استنزل
آدم ظن ان ذريته يجيبونه لكونهم اضعف منه والقول الاول اختيار الجبائي والثاني عن الحسن وابي مسلم قوله تعالى قال اخرج منها مذؤوما مدحورا لمن تبعك
منهم لاملأن جهنم منكم اجمعين ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري
عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين اربع آيات القراءة في الشواذ قراءة الزهري مذوما
على تخفيف الهمزة وسوّاتهما بتشديد الواو وهو قراءة الحسن والزهري وقرأ ابو جعفر من هذي الشجرة الحجة الوجه في تخفيف السوءة انه يحذف الهمزة
ويلقي حركتها على الواو فيقال السوة ومنهم من يقول السوّة وهو ادى الى التخفيف واما هذي الشجرة فانه الاصل في الكلمة وانما الهاء في هذه بدل من الياء في هذي
واما الياء اللاحقة لهذي فهي في هذي [illegible] لحقت بعد الكاف التي لحقها الاضمار نحو ضربتيه اللغة الذام والذيم اشد العيب يقال ذامه يذيمه اذا عابه
وذامه يذومه ذوما وذاما فهو مذوم قال الشاعر [illegible] والدحر الدفع على وجه الهوان
والاذلال دحره يدحره دحرا ودحورا والوسوسة الدعاء الى الامر بصوت خفي كالهينمة والخشخشة قال رؤبة وسوس يدعو مخلصا رب الفلق سرا وقد اوّن تاوين
العقق وقال الاعشى تسمع للحلي وسواسا اذا انصرفت كما استعان بريح عشرق زجل والابداء الاظهار وهو جعل الشيء على صفة ما يصح ان يدرك وضده الاخفاء [illegible]
[illegible] والمواراة جعل الشيء وراء ما يستره ومثله المساترة وضده المكاشفة ولم يهمز ووري لان الثانية مدة ولولا ذلك لوجب همز
الواو المضمومة والسوءة الفرج لانه يسوء صاحبه اظهاره واصل السوء من القبح [illegible]
والمقاسمة لا يكون الا من اثنين والقسم كان من ابليس لهما دون آدم نحو باب عاقبت اللص وطارقت النعل وناولت [illegible] وقيل ان في جميع ذلك معنى المقابلة
فالمعاقبة مقابلة بالجزاء وكذلك المعافاة مقابلة المرض بالسلامة وكذلك المقاسمة المقابلة في المبادرة باليمين والنصح نقيض الغش يقال نصحه نصحه
وهو اخلاص الفاعل ضميره فيما يظهره من قوله الاعراب لمن تبعك منهم اللام الاولى لام الابتداء والثانية لام القسم ومن شرطية وهي في موضع رفع بالابتداء
ولا يجوز ان يكون بمعنى الذي لانها لا تقلب الماضي الى الاستقبال وحذف الجزاء في قوله لمن تبعك لان جواب القسم اولى بالذكر من جواب الجزاء من حيث ان صدر الكلام وله
القسم في حشو الكلام لكان الجزاء احق بالذكر من جواب القسم كقولك انا آتيك والله ان تاتني ويجوز ان يقال والله لمن جاءك لاضربنه لا اضربه ولا يجوز بمعنى
لاضربن لان الايجاب لا بد فيه من نون التاكيد مع اللام واما قوله منكم فعلى التغليب للخطاب على الغيبة والمعنى لاملأن جهنم منهم كما قال في موضع آخر قوله الا ان
تكونا تقديره الا كراهة ان تكونا ملكين فحذف المضاف فهو في موضع نصب بانه مفعول له وقيل تقديره لئلا تكونا والاول الصحيح وقوله اني لكما لمن
الناصحين تقديره اني لكما ناصح ثم فسر ذلك بقوله لمن الناصحين ولا يكون قوله لكما متعلقا بالناصحين لان ما في الصلة لا يجوز ان يتقدم على الموصول ومثله قوله
وانا على ذلكم من الشاهدين ومنه قوله من الزاهدين المعنى ثم بين سبحانه ما فعله بابليس من الاهانة والاذلال بعدما اتاه آدم من الاكرام والاجلال

بقوله

بقوله قال اخرج منها اي من الجنة او من السماء او من المنزلة الرفيعة مذؤوما اي مذموما عن ابن زيد وقيل معيبا عن الجبائي وقيل مهانا لعينا عن ابن
عباس وقتادة مدحورا اي مطرودا عن مجاهد والسدي لمن تبعك منهم اي من بني آدم معناه من اطاعك واقتدى بك من بني آدم لاملأن جهنم
منكم اي منك ومن ذريتك وكفار بني آدم اجمعين وانما جمعهم في الخطاب لانه لا يكون في جهنم الا ابليس وحزبه من الشياطين وكفار الانس و
ضلالهم الذين اغواهم ولم يتركوا امر الله لاتباعه ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة هذا امر السكنى والكون ولم يقل اذهب فانه لا
اليه قد دلت عن ذكره واتيت من معناه فكان الحذف احسن لما فيه من الايجاز من غير اخلال بالمعنى فكلا من حيث شئتما اباح سبحانه لهما ان ياكلا
من حيث شاءا وما شاءا ولا تقربا هذه الشجرة بالاكل فتكونا من الظالمين اي من الباخسين نفوسهم الثواب العظيم وقد مضى تفسير هذه الآية في
سورة البقرة فوسوس لهما اي لآدم وحواء الشيطان والفرق بين وسوس اليه ووسوس له ان معنى وسوس اليه القى اليه المعنى بصوت خفي ومعنى وسوس
له اوهمه النصيحة له في ذلك ليبدي لهما اي ليظهر لهما ما ووري عنهما من سوآتهما اي عوراتهما وهذا الظاهر يوجب ان يكون الاكل من هذه الشجرة
حيث عورته لا يترك في الجنة فاحتال في اخراجهما منها بالوسوسة وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة اي عن اكل هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من
الخالدين والمراد اوهمهما انهما اذا اكلا من هذه الشجرة تغيرت صورتهما الى صورة الملك وان الله تعالى قد حكم بذلك وبان لا يبيد حياتهما اذا اكلا منها
وروي عن يحيى بن ابي كثير انه قرا ملكين بكسر اللام قال الزجاج قوله هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى يدل على ملكين واحسبه قد قرئ ويحتمل ان
يكون المراد بقوله الا ان تكونا ملكين انه اوهمهما ان المنهي عن تناول الشجرة الملائكة خاصة والخالدين دونهما فيكون كما يقول احدنا لغيره ما نهيت عن كذا الا ان
تكون فلانا وانما يريد ان المنهي انما هو فلان دونك وهذا المعنى اوكد في الشبهة والتلبيس عليهما ذكره المرتضى قدس الله روحه وقاسمهما اي حلف لهما بالله
حتى خدعهما عن قتادة اني لكما لمن الناصحين في دعائكما الى التناول من هذه الشجرة ولذلك تأكدت الشبهة عندهما انهما ظنا ان احدا لا يقدم على
اليمين بالله تعالى الا صادقا فدعاهما ذلك الى تناول الشجرة واستدل جماعة من المعتزلة بقوله الا ان تكونا ملكين على ان الملائكة افضل من الانبياء قالوا لان ابليس
رغبهما بالتناول من الشجرة في منزلة الملائكة حتى تناولا ولا يجوز ان يرغبهما عاقل في ان يكونا على منزلة دون منزلته فحملهما على ذلك على معصية الله تعالى
واجاب عنه المرتضى رضه بان قال ما انكرتم ان يكون الآية محمولة على الوجه الثاني الذي ذكرناه دون ان يكون معناها ان تنقلبا الى صفة الملائكة واذا
كانت الآية محتملة لما ذكرناه لم يرتفع هذه الشبهة ان يقال انما اكرمهما ان يكونا راغبين الى صفة الملائكة وخلقهم لما رغبهما ابليس الى ذلك ولا بد لهذا الترغيب من
[illegible] على ان الملائكة افضل منهما فان الثواب انما يستحق على الطاعات دون الصور والهيآت ولا يمتنع ان يكونا راغبين الى صور الملائكة وهيئتها ولا يكون ذلك
في الثواب ولا الفضل الا ترى انهما رغبا في ان يكونا من الخالدين وليس الخلود مما يقتضي مزية في الثواب ولا الفضل قوله تعالى فدلاهما بغرور فلما
ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين
قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين قال فيها تحيون
وفيها تموتون ومنها تخرجون اربع آيات القراءة قرأ اهل الكوفة غير عاصم تخرجون بفتح التاء هاهنا وفي الروم وفي الزخرف وقرأ الباقون بضم
التاء وفتح الراء الحجة من قرأ بالفتح فحجته انه في الجميع في قوله ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون بفتح التاء وقوله الى ربهم ينسلون يوفضون
قوله كما بدأكم تعودون ومن قرأ بالضم فحجته قوله ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون وقوله كذلك يخرج الموتى اللغة دلاهما اصله
تدلية الدلو وهو ارسالها في البئر والغرور اظهار النصح مع ابطان الغش واصله الغر للثوب بعد الطي على غره اي على كسرته فالغرور بمنزلة ما فيه من
اظهار حال واخفاء حال وطفق يفعل كذا بمعنى جعل يفعل ومثله ظل يفعل وابدأ يفعل واخذ يفعل والخصف اصله الضم والجمع ومنه خصف النعل والمخصف
الثقب الذي يخصف به النعل ومنه قيل [illegible] خاصف النعل وفي الخبر يعني عليا عليه السلام والاخصاف سرعة العدو لانه يقلب به [illegible] والبعض
احد قسمي العدد فاحد فرد العشرة بعضها واحد شطر الاثنين كذلك ولا بعض للواحد لانه لا ينقسم قال علي بن عيسى العدو هو النابي بضربه في وقت الحاجة الى المعونة
والولي هو الذي ينصره في وقت الحاجة اليه والمستقر هو موضع الاستقرار وهو ايضا الاستقرار بعينه لان المصدر يجيء على وزن المفعول والمطلع
بما فيه فاحل الاستقرار والحين الوقت قصيرا كان او طويلا الا انه استعمل هاهنا لطول الوقت وليس باصل فيه المعنى فدلاهما بغرور اي اوقعهما في المكروه بان
غرهما بيمينه او قيل معناه دلاهما من الجنة الى الارض وقيل معناه حطهما وحط هما من قولهم تدلى من الجبل او السطح اذا نزل الى جهة السفل عن ابي عبيدة
اي حطهما من درجتهما بغروره فلما ذاقا الشجرة اي ابتدا بالاكل [illegible] قليلا من ثمر الشجرة

على خوف شديد لان الذوق ابتداء الاكل والشرب لتعرف الطعم وفي هذا دلالة على ان ذوق الشيء المحرم يوجب الذم فكيف استيفاؤه وقضاء الوطر
منه بدت لهما سوآتهما اي ظهرت لهما عوراتهما وظهر لكل واحد منهما عورة صاحبه قال الكلبي فلما اكلا منها تهافت لباسهما عنهما فابصر كل منهما سوءة
صاحبه فاستحييا وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة اي اخذا يجعلان ورقة على ورقة ليسترا سوآتهما عن الزجاج وقيل معناه جعلا يرقعان ويصلان
عليهما من ورق الجنة وهو ورق التين حتى صار كهيئة الثوب عن قتادة وهذا انما كان لان المصلحة اقتضت اخراجهما من الجنة واهباطهما الى الارض لا على
وجه العقوبة فان الانبياء لا يستحقون العقوبة وقد مضى الكلام فيه في سورة البقرة وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة اي عن تلك الشجرة لكن لما خاطبهما
قال تلكما والكاف حرف الخطاب واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين ظاهر العداوة قالا اي آدم وحوا لما عاتبهما الله سبحانه ووبخهما على ارتكاب المنهي عنه ربنا ظلمنا انفسنا
ومعناه بخسناها الثواب بترك المندوب اليه والظلم هو النقص ومن ذهب الى انهما فعلا صغيرة فانه يحمل الظلم على نقص الثواب اذ كانت الصغيرة تنقص
من ثواب الطاعات فاما من قال ان الصغيرة تقع مكفرة من غير ان تنقص من ثواب فاعلها شيئا فلا يتصور هذا المعنى عنده ولا يثبت في الآية فائدة فلا خلاف
ان آدم وحوا لم يستحقا العقاب وانما قالا ذلك لان من جل في الدين قدره كثر على سر الذليل بذنبه وقيل معناه ظلمنا انفسنا بالنزول الى الارض ومفارقة العيش الرغد
وان لم تغفر لنا معناه وان لم تستر علينا لان المغفرة هي الستر علينا ما تقدم منا وترحمنا اي ولم تتفضل علينا بنعمتك التي تتم بها ما فوتناه من الثواب وبضروب
لنكونن من الخاسرين اي ممن خسر ولم يربح والانسان يجوز ان يظلم نفسه بان يحمل عليها ما لا يستحق ولا يدفع بها ضررا اعظم منه ولا يجلب منفعة توفى
عليه ولا يجوز ان يكون ظالما لنفسه قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين وقد مر تفسيره في سورة البقرة قال الله تعالى فيها تحيون
اي في الارض تعيشون وفيها تموتون ومنها تخرجون يعد البعث يوم القيمة قال الجبائي في الآية دلالة على ان الله سبحانه يخرج العباد من هذه الارض التي حيوا فيها
بعد موتهم وانه يفنيها بعد ان يخرج العباد منها يوم الحشر واذا فنيها رجعهم بها الى حيث يصيرهم الى الجنة او النار ويبقى هذه كما قد قال واهم
بالساهرة قوله تعالى يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون يا بني آدم لا يفتننكم
الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون واذا
فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها قل ان الله لا يامر بالفحشاء اتقولون على الله ما لا تعلمون ثلاث آيات القراءة قرا اهل المدينة وابن عامر
والكسائي ولباس بالنصب والباقون بالرفع الحجة قال ابو علي من نصب فلانه حمله على انزلنا اي انزلنا عليكم لباسا ولباس التقوى ذلك على هذا مبتدأ وخبره خير
ومن رفع فقال ولباس التقوى قطع اللباس من الاول فاستانف به فجعله مبتدأ وذلك صفة او بدل او عطف بيان ومن قال ان ذلك لغو لم يكن في قوله ذلك
لا يجوز ان يكون على حد ما ذكرنا وخبر خير اللباس والمعنى لباس التقوى خير لصاحبه اذا اخذ به واقرب الى الله تعالى مما خلق من الثياب والرياش التي
يتجمل بها واضيف اللباس الى التقوى كما اضيف في قوله فاذاقها الله لباس الجوع اي الجوع والخوف اللغة اللباس كل ما يصلح للبس من ثوب وغيره من نحو الدرع وما يغشى
البيت من نطع او كسوة واصله المصدر يقول لبسه يلبسه ولباسا وكل اللازم قال الشاعر فلما كشف اللبس عنه بحد بالطرب ظلا وقد هلا سوغها والفيل الشاعد والرياش
المال والريش والاثاث من متاع البيت من فراش او دثار وقيل الريش ما فيه الجمال ومنه ريش الطائر وقيل انه المصدر والشيوه دينا وانشد سيبويه دبني ستكم
وهوى معكم وان كانت زيارتكم لماما قال الزجاج الريش كل ما ستر الرجل في جسمه ومعيشته يقال تريش فلان اي صار له ما يعيش به ويقول العرب اعطيته رحلا بريشه
اي بكسوته وقال ابو عبيدة الريش والرياش ما ظهر من اللباس والفتنة الابتلاء والامتحان يقال فتنت الذهب بالنار امتحنته وقبيله اي جنوده قال الشاعر رجم الكلام قطيع
القيام امسى فؤادي بها فاتنا القبيل الجماعة من قبائل شتى واذا كانوا من اب واحد فهم قبيلة المعنى لما ذكر سبحانه نعمته على آدم في مونة الدار والمستقر عقبه بذكر النعمة
في الملابس والستر فقال يا بني آدم وهو خطاب عام لجميع اهل الارض من المكلفين كما توصي الانسان ولده وولد ولده بتقوى الله ويجوز خطاب المعدوم اذا كان المعلوم
انه سيوجد ويتكامل فيه شروط التكليف قد انزلنا عليكم لباسا قيل انه انزل ذلك مع آدم وحوا حين امرا بالاحياء وهو الله وقيل معناه انبت بالمطر الذي ينزل من
السماء عن الحسن وقيل لان البركات تنسب الى انها تاتي من السماء كقوله وانزلنا الحديد فيه باس شديد عن علي بن عيسى وقيل معنى انزلنا عليكم اعطيناكم ووهبنا لكم وكل ما اعطاه
الله تعالى لعبده فقد انزله عليه ليس ان هناك علوا وسفلا ولكنه يجري مجرى التعظيم كما يقال رفعت حاجتي ورفعت قصتي الى الامير عن ابي مسلم وقيل معناه خلقنا لكم كما
قال وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وانزلنا الحديد عن ابي علي الفارسي لباسا يواري سوآتكم اي يستر عوراتكم وريشا اي اثاثا مما تحتاجون اليه وقيل مالا عن ابن
عباس ومجاهد والسدي وقيل جمالا عن ابن زيد وقيل خصبا ومعاشا عن الاخفش وقيل حبرا وكما قاله المفسرون فانه يتحلى به الان كلامهم حتى بعض الخبر بالذكر و
لباس التقوى وهو العمل الصالح عن ابن عباس وقيل هو الحياء الذي يكسبكم التقوى عن الحسن وقيل ثياب النسك والتواضع اذا اقتصر عليه كلباس الصوف والخشن من الثياب عن الجبائي

وقيل هو لباس الحرب الدرع والمغفر والآلات التي يتقى بها من العدو عن زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام وابي مسلم وقيل هو خشية الله تعالى عن عروة بن الزبير
وقيل هو ستر العورة يتقي الله فيواري عورته عن ابن زيد وقيل هو الايمان عن قتادة والسدي ولا مانع من حمله على الجميع ذلك خير اي لباس التقوى خير من جميع
ما يلبس ذلك من آيات الله اي الذي خلقه الله وانزله من حجج الله التي تدل على توحيده لعلهم يذكرون معناه لكي يتفكروا فيها فيؤمنوا بالله ويبصروا الحق
وينتهوا عن معاصيه ثم خاطبهم سبحانه مرة اخرى فقال يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان اي لا يضلنكم عن الدين ولا يصرفنكم عن الحق بان يدعوكم الى المعاصي التي تميل اليها
النفوس وانما قال ذلك لان الانسان بصيغة النهي للشيطان لانه ابلغ في التحذير من حيث يقتضي بالمكروه ويقصدنا بالعداوة فالنهي له يدخل في النهي لنا عن ترك الحذر
كما اخرج ابويكم من الجنة نسب الاخراج اليه لما كان باغوائه وان كان خروجهما بامر الله تعالى وخروجه لا يجري مجرى امر لفرعون بان يذبح ابناءهم واياهم المراد بذلك تحقيق
الذم فيه الى جميع الصالحين ولكنه يذكر بصيغة الصفة ليان منزلته في عظم الفاحشة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما وكانه لما البسهما من ثياب الجنة وقيل كان لباسهما الظفر
عن ابن عباس اي كان يحيط الظفر على خلقه وقيل كان لباسهما نورا عن وهب بن منبه ليريهما سوآتهما انه يراكم هو وقبيله وانما انه يعني الشيطان يراكم هو وقيل اي نسله عن الحسن وابن زيد
يدل عليه قوله افتتخذونه وذريته من دوني وقيل اتباعه وجنوده من الجن والشياطين من حيث لا ترونهم قال ابن عباس ان الله تعالى جعلهم يجرون من بني آدم
مجرى الدم وصدور بني آدم مساكن لهم كما قال الذي يوسوس في صدور الناس فهم يرون بني آدم وبنو آدم لا يرونهم قال قتادة والله ان عدوا يراك من حيث
لا تراه لشديد المؤنة الا من عصم الله وانما قال ذلك لانا اذا كنا لا نراهم لا نعرف قصدهم لنا بالكيد والاغواء فينبغي ان نكون على حذر في الحذر في انفسنا من الوساوس
خيفة ان يكون ذلك من الشيطان وانما لا يراهم البشر لان اجسامهم شفافة لطيفة يحتاج في رؤيتها الى فضل شعاع وقال ابو الهذيل وابو بكر بن الاخشيد يجوز ان يمكنهم
الله سبحانه فيتكثفوا فيراهم من بحضرتهم واليه ذهب علي بن عيسى وقال انهم ممكنون من ذلك وهو الذي نصره الشيخ المفيد ابو عبد الله رحمه الله قال الشيخ ابو جعفر
قدس الله روحه وهو الاقوى عندي وقال الجبائي لا يجوز ان يرى الشيطان والجن لان الله عز اسمه قال لا ترونهم وانما يجوز ان يرى في زمن الانبياء بان
يكثف الله اجسادهم على الانبياء وان يرى الناس الملائكة في زمن الانبياء انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون اي حكمنا بذلك لانهم يتناصرون
على الباطل كما قال وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اي حكموا بذلك حكما باطلا والمخصوص الذين لا يؤمنون يشهدا على انهم مع اجتهادهم لا يتمكنون
من خيار المؤمنين المتقين منهم وانما يتمكنون من الكفرة والجهال والفسقة الاضلال واذا فعلوا فاحشة كني بها عن المشركين الذين كانوا يبدون سوآتهم في طوافهم
الرجال والنساء عراة يقولون نطوف كما ولدتنا امهاتنا ولا نطوف في الثياب التي قارفنا فيها الذنوب وهم الحمس قال الفراء كانوا يعملون شيئا من سور يعلم
يشدونه على حقويهم فيسمى حوفا وان عمل من صوف سمي رهطا وكان تضع المراة على قبلها النسعة فتقول اليوم يبدو بعضه او كله وما بدا منه فلا احله يعني
الفرج لانه لا يستر ستر تاما وفي الآية حذف تقديره واذا فعلوا فاحشة فنهوا عنها قالوا وجدنا عليها آباءنا وقيل ومن اين اخذتم آباءكم قالوا الله امرنا
بها فحكى سبحانه عن هؤلاء الكفار انهم اذا فعلوا ما يعظم قبحه اعتذروا لفعلهم بانا وجدنا آباءنا يفعلونها وبانهم فعلوا ذلك من قبل الله وقال الحسن انهم كانوا
اهل اجبار فقالوا لو كره الله ما نحن عليه لنقلنا عنه فلهذا قالوا والله امرنا بها فرد الله سبحانه عليهم قولهم بان قال ان الله لا يامر بالفحشاء ثم انكر عليهم من وجه
آخر فقال اتقولون على الله ما لا تعلمون لانهم ان قالوا لا نقضوا مذهبهم وان قالوا نعم افتضحوا في قولهم قال الزجاج اتقولون على الله معناه اتكذبون عليه قوله
تعالى قل امر ربي بالقسط واقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بداكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة
انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله ويحسبون انهم مهتدون آيتان القراءة تمام الآية الاولى تعودون عند الكوفيين ومخلصين له الدين
في البصري اللغة اصل القسط العدول فاذا كان الى جهة الحق فهو عدل ومنه قوله ان الله يحب المقسطين واذا كان الى جهة الباطل فهو جور ومنه قوله
واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا واصل الاخلاص اخراج كل شائب من الجنس ومنه اخلاص الدين لله وهو توجيه العبادة اليه خالصا دون غيره والبدء
فعل الشيء اول مرة والعود فعله ثاني مرة وقد يكون فعل اول كل خصلة منه بدأ كبدء الصلوة وبدء القراءة وبدأ وابداء لغتان والفريق جماعة انفصلت من جماعة و
الاتخاذ افتعال من الاخذ بمعنى اعداد الشيء لامر من الامور والحسبان بمعنى الظن وهو ما قوي عند الظان كون المظنون على ما ظنه مع تجويزه ان يكون على غيره وانه
يتميز من اعتقاد التقليد والتخمين والتحري بتمييز من العلم لانه مع العلم القطع الاعراب واقيموا عطف على ما تقدم من قوله لا يفتننكم الشيطان فتقديره احذروا الشيطان
واقيموا وجوهكم عن ابي مسلم وقيل تقديره قل امر ربي بالقسط وقل اقيموا وقوله كما بداكم تعودون معناه تعودون خلقكم كما بداكم ثم حذف المضاف واقيم المضاف
مقامه وقال الحاطبون فاعلين وفريقا حق عليهم الضلالة نصب ليعطف فعلا على فعل وتقديره فريقا اضل لانه قد جرى ما يعدله من ذكره وتقديره قوله يدخل من يشاء في
رحمته والظالمين اعد لهم عذابا اليما وقال الفراء وفريقا منصوب على الحال من يعود وفريقا الثاني عطف عليه ولو وقع على تقدير احدهما كذا والآخر كذا جاز كما قال

لكراية في قتيل القتادة يقاتل في سبيل الله واخرى كافرة المعنى لما بين سبحانه انه لا يأمر بالفحشاء وهو اسم جامع للقبائح والسيئات عقبه ببيان ما يأمر به
من القسط وهو اسم جامع لجميع الخيرات وقال قل امر ربي بالقسط اي بالعدل والاستقامة عن مجاهد وقتادة واكثر المفسرين وقيل بالتوحيد عن الضحاك وقيل لا
اله الا الله عن ابن عباس وقيل بجميع الطاعات والقرب عن ابي مسلم واقيموا وجوهكم عند كل مسجد قيل فيه وجوه احدها ان معناه توجهوا الى قبلة كل مسجد في
الصلوة على استقامة عن مجاهد والسدي واكثر المفسرين وثانيها ان معناه اقيموا وجوهكم الجهة التي امركم الله بالتوجه اليها في صلوتكم وهي الكعبة والمراد
بالمسجد اوقات السجود وهي اوقات الصلوة عن الجبائي وغيره وثالثها ان المراد اذا ادركتم الصلوة في مسجد فصلوا ولا تقولوا حتى ارجع الى مسجدي والمراد بالمسجد
موضع السجود عن الفراء وهو اختيار المغربي ورابعها ان معناه اقصدوا المسجد في وقت كل صلوة امرا بالجماعة لها ندبا عند الاكثرين وحتما عند الاقلين وخامسها ان
معناه اخلصوا وجوهكم لله تعالى في الطاعة فلا تشركوا به وثنا ولا غيره عن الربيع وادعوه مخلصين له الدين وهذا امر بالدعاء والتضرع اليه سبحانه على وجه الا
اي ارغبوا اليه في الدعاء بعد اخلاصكم له الدين وقيل معناه واعبدوه مخلصين له الايمان كما بدأكم تعودون قيل في وجه اتصاله بما قبله وجوه احدها
ان معناه وادعوه مخلصين فانكم مبعوثون ومجازون وان بعد ذلك في عقولكم فاعتبروا بالابتداء واعلموا انه كما بدأكم في الخلق الاول فانه يبعثكم فتعودون
اليه في الخلق الثاني وثانيها انه يتصل بقوله فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون فقال كما بدأكم تعودون وثالثها يعني كما بدأكم من التراب عن الزجاج قال
وانما ذكره على وجه الحجاج عليهم لانهم كانوا لا يقرون بالبعث ورابعها انه كلام مستأنف اي يعيدكم بعد الموت فيجازيكم عن ابي مسلم قال قتادة بدأهم من التراب
واليه يعودون كما كان بدء خلقكم وقيل معناه كما بدأكم لا تملكون شيئا كذلك يبعثون يوم القيمة وروي عن النبي صلى الله عليه وآله قال
تحشرون يوم القيمة عراة حفاة غرلا كما بدأنا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين وقيل معناه يبعثون على ما مات عليه المؤمن على ايمانه والكافر على كفره عن
ابن عباس وجابر فريقا اي جماعة هدى اي حكم لهم بالاهتداء بقبولهم الهدى ولطف لهم بما اهتدوا به او هداهم الى طريق الثواب كما تكرر بيانه في مواضع
وفريقا حق اي وجب عليهم الضلالة اذ لم يقبلوا الهدى او حق عليهم الخذلان لانه لم يكن لهم لطف ينشرح له صدورهم او حق عليهم العذاب والهلاك
بكفرهم ويؤيد هذا القول الاخير انه سبحانه ذكر الهدى والضلالة بعد العود والبعث ثم قال انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله بين سبحانه انه
لم يبدأهم بالعقوبة ولكن جازاهم على عصيانهم واتباعهم الشياطين وانما اتخذوهم اولياء بطاعتهم لهم فيما دعوهم اليه ويحسبون انهم مهتدون
معناه وهم مع ذلك يظنون انهم في ذلك على هداية وحق قوله تعالى يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه
لا يحب المسرفين قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا خالصة يوم القيمة كذلك نفصل الآيات
لقوم يعلمون القراءة قرأ نافع وحده خالصة بالرفع والباقون بالنصب الحجة قال ابو علي من رفعه جعله خبر المبتدأ الذي هو هي ويكون للذين
آمنوا تبيينا للخلوص ولا شيء فيها على هذا ومن قال هذا جاز ان يكون للذين آمنوا خبرا وخالصة خبرا آخر ومن نصب خالصة كان حالا عما في قوله للذين
آمنوا الا ترى ان فيه ذكرا يعود الى المبتدأ الذي هو هي فخالصة حال عن ذلك الذكر والعامل في الحال ما في اللام من معنى الفعل وحجة من رفع ان المعنى هي خالصة
للذين آمنوا يوم القيمة وان شركهم فيها غيرهم من الكافرين في الدنيا ومن نصب فالمعنى عنده هي ثابتة للذين آمنوا في حال خلوصها يوم القيمة لهم وانتصاب خالصة
على الحال شبيه بقوله ان المتقين في جنات وعيون آخذين ونحو ذلك مما انتصب الاسم فيه على الحال بعد الابتداء وخبره وما يجري مجراه اذا كان فيه معنى فعل
قال الزجاج من نصب خالصة فهو حال على ان العامل في قولك في الحيوة الدنيا في تأويل الحال كانك تقول هي ثابتة للمؤمنين مستقرة في الحيوة الدنيا
خالصة يوم القيمة ويكون خبر هي قوله للذين آمنوا ويكون في الحيوة الدنيا ظرفا والعامل فيه الاستقرار الذي هو قوله للذين آمنوا والتقدير هي في الحيوة الدنيا للمؤمنين
مقدرة اخلاصها يوم القيمة فهو على هذا الوجه يجوز تقديمها مقدمة على اللام الجارة لانه ظرف للذين آمنوا وكان العامل فيها المعنى فلا يتقدم عليها ما قبله
مجرى الاحوال ويحتمل ان يكون قوله في الحيوة الدنيا متصلا بالصلة فموضعه على هذا نصب بآمنوا ويجوز ان يكون في الحيوة الدنيا في موضع حال وصاحب الحال
هو هي والعامل في الحال معنى الفعل وهو قوله للذين آمنوا والمعنى قل هي لهم مستقرة في الحيوة الدنيا خالصة يوم القيمة ولا يجوز في هذا الوجه الذي قبله تقديم
في الحيوة على قوله للذين آمنوا اما في الوجه الاول فلان قوله في الحيوة في صلة الذين ولا يجوز تقديم الصلة على الموصول واما في الوجه الاول فلانه في موضع
الحال والحال يجوز تقديمها اذا كان العامل فيها معنى الفعل وهذا الوجه الثالث ذكره ابو علي واما قوله من قرأ خالصة بالنصب جعله منصوبا على الحال لان
العامل في قوله في الحيوة الدنيا على ما وبل الحال الآخر كلاما ينبغي ان يعلم ان من نصب خالصة وفي قراءته جاز ان يكون في الحيوة الدنيا ظرفا للذين والعامل
فيه معنى الفعل وجاز ان يكون متعلقا بآمنوا ظرفا له وجاز ان يكون في موضع الحال كما ذكر فالوجهان الاولان لا يحتاج معهما الى التقدير حتى يعمل ما قبله

اما كان ظرفا فاللام الجارة معنى الفعل يعمل فيه كما يقول لك ثوب كل يوم واذا كان في الصلة فمعنى الفعل لا يعمل فيه فاما اذا جعلته حالا فانه ينبغي ان يقدر ضمارا او
اسم فاعل يكون في موضع الحال ويكون في الحيوة متعلقا به فاذا بوهنك قول ابي اسحق الذي ذكرناه انه يلزم ان يعمل قوله في الحيوة الدنيا في تقدير الحال لانه
اذا جعلت خالصة منصوبا على الحال فان الوجهين الاخيرين كل واحد منهما مع نصب خالصة على الحال مانع جائز المعنى لما تقدم ذكر ما انعم الله سبحانه على عباده
من اللباس والرزق امرهم في اثرها بتناول الزينة والشرب والاقتصاد في المأكل والمشرب فقال يا بني آدم وهو خطاب لسائر المكلفين خذوا زينتكم
عند كل مسجد اي خذوا ثيابكم التي تتزينون بها للصلوة في الجمعات والاعياد عن ابي جعفر الباقر عليه السلام وقيل عند كل صلوة وروى العياشي باسناده قال الحسن
علي بن ابي طالب عليهما السلام كان اذا قام الى الصلوة لبس اجود ثيابه فقيل له يا ابن رسول الله لم تلبس اجود ثيابك فقال ان الله جميل يحب الجمال فاتجمل لربي وهو
يقول خذوا زينتكم عند كل مسجد فاحب ان البس اجود ثيابي وقيل معناه خذوا ما تسترون به عوراتكم وانما قال ذلك لانهم كانوا يتعرون من ثيابهم للطواف
على ما تقدم بيانه وكان يطوف الرجال بالنهار والنساء بالليل فامرنا بلبس الثياب في الصلوة والطواف عن جماعة من المفسرين وقيل ان اخذ الزينة هو التمشط
عند كل صلوة روي ذلك عن الصادق عليه السلام كلوا واشربوا صورته صورة الامر والمراد الاباحة وهو عام في جميع المباحات ولا تسرفوا اي ولا تجاوزوا
الحلال الى الحرام قال مجاهد لو انفقت مثل احد في طاعة الله لم يكن سرفا ولو انفقت درهما او مدا في معصية الله كان اسرافا وقيل معناه لا تخرجوا عن حد
الاستواء في زيادة المقدار وقد حكي ان الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق فقال ذات يوم لعلي بن الحسين بن واقد ليس في كتابكم من علم الطب شيء والعلم
علمان علم الاديان وعلم الابدان فقال له علي قد جمع الله الطب في نصف آية من كتابه وهو قوله كلوا واشربوا ولا تسرفوا وجمع نبينا صلى الله عليه وآله في قوله
المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء واعط كل بدن ما عودته فقال الطبيب ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا وقيل معناه ولا تأكلوا حراما ولا
بالحلال على وجه لا يحل واكل الحرام وان قل اسراف ومجاوزة الحد ما [illegible] وقال ابن عباس عليكم [illegible]
الورد ويطرح فيه المسك وكذلك الابدال الادبار فيشتري انه لا يحب المسرفين لانه سبحانه ذمهم به ولو كان يحبهم
لا يحبهم ولا يبغضهم لم يكن ذما لهم ولا مدحا ولما حث سبحانه على تناول الزينة عند كل مسجد ونبه على اباحة الاكل والشرب ونهى عن الاسراف وكان قوم من العرب
يحرمون كثيرا من هذا الجنس حتى انهم كانوا يحرمون السمن واللبان في الاحرام وكانوا يحرمون السوائب والبحائر انكر عليهم ذلك فقال قل يا محمد
من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق اي من حرم الثياب التي يتزين بها الناس مما اخرجها الله من الارض لعباده والطيبات من الرزق قيل هي
المستلذات من الرزق وقيل هي الحلالات والاول اظهر خلوصها يوم القيمة للمؤمنين قل هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا خالصة يوم القيمة قال ابن عباس يعني ان المؤمنين
يشاركون المشركين في الطيبات في الدنيا فاكلوا من طيبات طعامهم ولبسوا من جياد ثيابهم ونكحوا من صالح نسائهم ثم يخلص الله الطيبات في الآخرة للذين آمنوا و
ليس للمشركين فيها شيء قال الفراء معناه هي للذين آمنوا مشتركة في الدنيا وهي لهم خالصة يوم القيمة وهذا معنى قول ابن عباس وقيل معناه قل هي في الحيوة الدنيا للذين آمنوا
غير خالصة من الهموم والاحزان والمشقة وهي خالصة يوم القيمة من ذلك عن الجبائي كذلك نفصل الآيات اي كما نميز لكم الآيات ونذكركم على ما فيه صلاح دينكم
كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون وفي هذه الآية دلالة على جواز لبس الثياب الفاخرة واكل الاطعمة الطيبة من الحلال وروى العياشي باسناده عن الحسن بن زيد عن عمه
عمر بن علي عن ابيه زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام انه كان يشتري كساء الخز بخمسين دينارا فاذا اصاف تصدق به لا يرى بذلك باسا ويقول قل من حرم زينة الله التي
وباسناده عن يوسف بن ابراهيم قال دخلت على ابي عبد الله عليه السلام وعلي جبة خز وطيلسان خز فنظر الي فقلت جعلت فداك علي جبة خز وطيلسان خز ما تقول فيه فقال لا باس بالخز قلت وسداه
ابريسم قال لا باس فقد اصيب الحسين عليه السلام وعليه جبة خز ثم قال ان عبد الله بن عباس لما بعثه امير المؤمنين عليه السلام الى الخوارج لبس افضل ثيابه وتطيب بافضل طيبه
وركب افضل مراكبه فخرج اليهم فواقفهم فقالوا يا ابن عباس بينا انت خير الناس اذ اتيتنا في لباس الجبابرة ومراكبهم فتلا هذه الآية قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده فالبس وتجمل فان الله
جميل يحب الجمال وليكن من حلال وفي هذه الآية دلالة على ان الاشياء على الاباحة لقوله من حرم والنهي قوله تعالى قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر
منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون ولكل امة اجل فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون
ساعة ولا يستقدمون اللغة التحريم هو المنع من الفعل باقامة الدليل على وجوب تجنبه وضده التحليل وهو الاطلاق في الفعل بالبيان عن جواز تناوله
واصل التحريم المنع من قولهم حرم فلان الرزق حرمانا ومنه المحروم والمحرم القرابة التي لا يحل تزويجها
الدنيا كان حسن فتها والفواحش جمع فاحشة وهي اقبح القبائح وهي الكبائر والبغي الاستطالة على الناس واصل الطلب وسبيل كل
اي حواله ان يطلب والسلطان والبيان والبرهان والفرقان نظائر وحدودها مختلفة فالبيان اظهار المعنى للنفس والبرهان اظهار صحة المعنى

وافساد نقيضه والفرق بين الهادي والمعوج ما البين والسلطان الحجة وما [illegible] على [illegible] بالابطال والامة الجماعة التي يعمها معنى ولجماعة من [illegible] اذا
فصله والامة الجماعة التي على مقصد واحد والاجل الوقت المضروب لانقضاء المهل لان بين العقد الاول والذي تضرب لحلول الاجل وبين الوقت الآخر مهلة مثل اجل الدين
واجل الرهن واجل الوعد واجل العمر **المعنى** ثم بين سبحانه المحرمات فقال قل يا محمد انما حرم ربي الفواحش اي جميع القبائح والكبائر من [illegible] ما ظهر منها وما بطن
اي ما علن منها وما خفي وذكرنا ما قيل في سورة الانعام ومعناه لم يحرم ربي الفواحش الا ما قد بينا ان لفظ انما تختص لما ذكر بانه [illegible] فذكر القبائح على الاجمال
ثم فصل البيان والاثم والبغي بغير الحق اي حرم ربي الفواحش التي منها الاثم ومنها البغي ومنها الاشراك بالله وقيل ان الفواحش هي الزنا وهو الذي بطن منها والتعري في
الطواف وهو الذي ظهر عن مجاهد وقيل هي الطواف [illegible] طواف الرجال بالنهار وما بطن طواف النساء بالليل والاثم قيل هي الذنوب والمعاصي عن الجبائي
وقيل الاثم ما دون الحد عن الفراء وقيل الاثم الخمر عن الحسن وانشد الاخفش شربت الاثم حتى ضل عقلي كذاك الاثم يذهب بالعقول وقد [illegible] ان يعرف
[illegible] ان [illegible] الاثم الذي يوجب الوزر والبغي الظلم والفساد وقوله بغير الحق تأكيد كقوله ويقتلون النبيين بغير حق وقيل [illegible] البغي من كونه ظلما الا ان
بسبب جائز في الشرع كالقصاص وان تشركوا بالله اي وحرم الشرك بالله ما لم ينزل به سلطانا اي لم يقم عليه حجة وكل اشراك بالله فهو بهذه الصفة ليس عليه حجة
ولا برهان وان تقولوا على الله ما لا تعلمون اي وحرم القول على الله بغير علم ثم [illegible] تعالى [illegible] للنبي صلى الله عليه وآله في تأخير عذاب الكفار فقال ولكل امة
اجل اي لكل جماعة واهل عصر وقت لاستيصالهم عن الحسن ولم يقل لكل احد لان ذكر الامة يقتضي تقارب اعمار اهل العصر وجماعتهم وهو انه يقتضي اهلاكهم في الزمان
[illegible] باتيان الرجل [illegible] المراد بالاجل هنا اجل العمر الذي هو مدة الحيوة وهذا اقوى لانه يعم جميع الامم فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة اي لا يتأخرون
عن ذلك الوقت ولا يستقدمون اي لا يتقدمون ساعة على ذلك وقيل معناه لا يطلبون التأخر عن ذلك الوقت [illegible] ولا يطلبون التقدم عليه [illegible] اجلهم
[illegible] اذا قارب وقته **قوله تعالى** يا بني آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون آيتان **الاعراب** اما اصلها ان الجزاء دخلت عليها ما [illegible] دخلت النون الثقيلة
في يأتينكم ولو قال ان يأتينكم لم يجز وقد شرحنا هذا في سورة البقرة [illegible] وقال سيبويه ان حرف واما [illegible] الامالة لان [illegible] الالفات الزم الفتح
لانها اواخر حروف جاءت [illegible] بينها وبين اواخر الاسماء التي فيها الالف [illegible] الا ان حركتها بالياء لانها مثل [illegible] حرف فاشبهت [illegible]
واما التي للتحرير [illegible] التي [illegible] الفا ما كتبت بالالف واذا كتبت بالالف لانها لو كتبت بالياء لاشبهت الى **المعنى** لما تقدم ذكر النعم الدنيوية عقب
بذكر النعم الدينية فقال يا بني آدم خطاب يعم جميع المكلفين من بني آدم من جاء بالرسول منهم ومن جاز ان يأتيه الرسول [illegible] امته اما يأتينكم
رسل منكم اي من جنسكم يقصون عليكم آياتي يعرضون عليكم ويعرفونكم [illegible] الرسل والآيات واصلح عمله وقيل من اتقى المعاصي واجتنبها والتقوى
اسم جامع لذلك وتقديره فمن اتقى منكم واصلح فلا خوف عليهم في الآخرة ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا اي حججنا واستكبروا عنها اي عن قبولها اولئك
اصحاب النار الملازمون لها هم فيها خالدون باقون على وجه الدوام والتأبيد **قوله تعالى** فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته اولئك ينالهم
نصيبهم من الكتاب حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا اين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين آية
اللغة النيل وصول النفع الى العبد اذا اطلق [illegible] وقع على الضر لان اصله الوصول الى الشيء من [illegible] البلاد [illegible] جماعة ذو يرد اويذا
وفاد وما يليه اذا اصحا واذا اسكره النوم قبض الشيء بتمامه يقال توفيته واستوفيته **المعنى** ثم ذكر سبحانه وعيد المكذبين فقال فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا
اي لا احد اظلم منه صورة صورة الاستفهام والمراد به الاخبار وانما جاء بلفظ الاستفهام ليكون ابلغ او كذب بآياته الدالة على توحيده وصدق رسله
اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب اي من العذاب الا انه كنى عن العذاب بالكتاب لان الكتاب ورد به كقوله ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين عن الحسن و
ابي صالح وقيل معناه ينالهم نصيبهم من العمر والرزق وما كتب لهم من الخير والشر لا يقطع عنهم رزقهم بكفرهم عن الربيع وابن زيد وقيل ينالهم جميع ما كتب لهم
وعليهم عن مجاهد وعطية حتى اذا جاءتهم رسلنا يعني الملائكة اي حتى اذا استوفوا ارزاقهم وجاء ملك الموت مع اعوانه يتوفونهم اي يقبضون ارواحهم
وقيل معناه حتى اذا جاءتهم الملائكة لحشرهم يتوفونهم الى النار يوم القيمة عن الحسن قالوا يعني الملائكة اين ما كنتم تدعون من دون الله من الاوثان والاصنام و
يقال لهم توبيخا اين الذين تعبدونهم من دون الله هل يدفعون عنكم ما نزل بكم من العذاب قالوا يعني الكفار ضلوا عنا اي ذهبوا عنا فلا يقدرون على الدفع وبطلت عبادتنا اياهم
وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين اي اقروا على انفسهم بالكفر **قوله تعالى** قال ادخلوا في امم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار كلما دخلت امة لعنت
اختها حتى اذا اداركوا فيها جميعا قالت اخراهم لاولاهم ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون وقالت اولاهم لاخراهم

فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون آيتان **القراءة** قرأ ابو بكر لا يعلمون بالياء والباقون بالتاء **الحجة** وجه القراءة بالياء انه
حمل الكلام على كل لانه وان كان للمخاطبين فهو اسم ظاهر موضوع للغيبة فحمل على اللفظ دون المعنى **اللغة** الدخول انما الشيء من مكانه يقال دخل عن البيت وكذلك
خلت تخلو مضت لانها اذا مضت بالهلاك فقد خلت منها مكانها الجن جنس من الحيوان مستترون عن اعين البشر لرقتهم يغلب عليهم التمرد في افعالهم كما يغلب على
الملائكة افعال الخير والضعف المثل الزائد على مثله فاذا قال القائل اضعف هذا الدرهم فمعناه اجعل معه درهما آخر لا دينارا وكذلك اذا قال اضعف الاثنين
فمعناه اجعلها اربعة وحكي ان الضعف في الكلام ما كان ضعفين والمضاعف ما كان اكثر من ذلك فاداركوا اصله تداركوا فادغمت التاء في الدال واجتلب
الف الوصل ليمكن النطق بالساكن **المعنى** قال ادخلوا هذه حكاية عن قول الله تعالى للكفار يوم القيمة وامرهم بالدخول ويجوز ان يكون اخبارا عن
جعلهم اياهم في جملة اولئك من غير ان يكون هناك قول كما قال كونوا قردة خاسئين والمراد انه جعلهم كذلك في امم قد خلت اي جملة اقوام وجماعات
قد مضت من قبلكم من الجن والانس على الكفر في النار وقيل ان في بمعنى مع اي ادخلوا مع امم كافرة كلما دخلت امة من هذه الامم النار لعنت اختها يعني التي
سبقتها الى النار وهي اختها في الدين لا في النسب يريد انهم يلعنون من كان قبلهم عن ابن عباس وقيل يلعن الاتباع القادة والرؤساء اذا حصلوا في العذاب بعدما كانوا
يتوادون في الدنيا يقولون انتم اوردتمونا هذه الموارد فلعنكم الله عن ابي مسلم حتى اذا اداركوا اي تلاحقوا واجتمعوا فيها اي في النار جميعا اي كان هذا حالهم
حتى اجتمعوا فيها فلما اجتمعوا فيها قالت اخراهم لاولاهم اي قالت اخراهم دخولا النار وهم الاتباع لاولاهم دخولا وهم القادة والرؤساء ربنا هؤلاء اضلونا
اي شرعوا لنا ان نتخذ من دونك الها عن ابن عباس وقيل معناه دعونا الى الضلال وحملونا عليه ومنعونا عن اتباع الحق فان الضلال قد يطلبه التابع بحسب
الجهد فآتهم عذابا ضعفا اي عظمه بامضاعفته ابن مسعود اراد بالضعف هنا الحيات والافاعي وقيل اراد باحد الضعفين عذابهم على الكفر وبالآخر
عذابهم على الاغواء قال الله تعالى لكل ضعف اي للتابع والمتبوع عذاب مضاعف لانهم قد دخلوا في الكفر جميعا ولكن لا تعلمون ايها المبلون والمخاطبون
لكل فريق منكم من العذاب وقالت اولاهم لاخراهم اي المتبوعون للتابعين فما كان لكم علينا من فضل اي تفاوت في الكفر حتى تطلبوا من الله ان يزيد في
عذابنا وينقص من عذابكم وقيل معناه قالت الامة السابقة للامة المتأخرة ما كان لكم علينا من فضل في الرأي والعقل وقد بلغكم ما نزل بنا
من العذاب فلم اتبعتمونا وقيل من فضل اي من تخفيف في العذاب فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون من الكفر باختياركم لا باختيارنا لكم **قوله تعالى**
ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم
غواش وكذلك نجزي الظالمين آيتان **القراءة** قرأ حمزة والكسائي وخلف لا يفتح بالياء والتخفيف وقرأ ابو عمرو بالتاء والتخفيف والباقون بالتاء
والتشديد وروي في الشواذ عن ابن عباس وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد والشعبي وابن محيصن حتى يلج الجمل بالضم والتشديد وعن ابن عباس وسعيد
بن جبير في رواية اخرى وعبد الكريم وحنظلة الجمل بالضم والتخفيف وعن ابن عباس ايضا الجمل بضم الجيم وسكون الميم والجمل بضمتين وعن ابي السمال الجمل بفتح
الجيم وسكون الميم **الحجة** حجة من قرأ لا تفتح بالتشديد قوله جنات عدن مفتحة لهم الابواب وحجة من خفف قوله فتحنا ابواب السماء بماء منهمر واما الجمل
بالضم والتشديد والجمل بالتخفيف وكلاهما الحبل الغليظ من القنب وقيل هو حبل السفينة وقيل الحبال المجموعة واما الجمل فيجوز ان يكون جمع جمل مثل اسد واسد
ووثن ووثن وكذلك الجمل مثل اسد واسد وقال ابن جني فاما الجمل فعدل يكون مخففا من جمل كحجة الفتحة وان كان فرحا منهم قوله وما كل شاع
وليس [illegible] منه ما فعوا انه يريد **اللغة** السم بفتح السين وضمها الثقب ومنه السم القاتل لانه ينفذ بلطفه في مسام البدن حتى يصل الى القلب
فينقض بنيته وكل ثقب في البدن لطيف فهو سم وجمعه سموم قال الفرزدق فنفست عن سميه حتى تنفسا وقلت له لا تخش شيئا ورائيا ويقال ايضا سمي
وجمع السم القاتل سمام والخياط والمخيط الابرة كالحاف والملحف والقناع والمقنع والازار والمئزر والقرام والمقرم ذكره الفراء وجهنم اسم من اسماء النار
واشتقاقها من الجهومة وهي الغلظ وقيل اخذ من قولهم بئر جهنام اي بعيدة القعر والمهاد الوطاء الذي يفترش ومنه مهد الصبي وقد مهدت له هذا الامر
وطأته والغواشي جمع غاشية وهو كل ما يغشاك اي يسترك ومنه غاشية السرج الفرس وفلان يغشى فلانا اي يأتيه **الاعراب** قال ابو علي النحويون في نحو
غواش وجوار قولان احدهما مذهب سيبويه والخليل وهو ان الياء حذفت حذفا لالتقاء الساكنين فلما حذفت الياء انقلبت الاسم عن الزنة التي كان التنوين
لا يجتمع معها فدخلها وانما حذفت الياء لا لالتقاء الساكنين كما يحذف في الجمع في الوقف نحو والليل اذا يسر وذلك كما كان وقد حذف في الوصل ايضا
وكان الذي جرى ذلك الحذف انها قد صارت بمنزلة الحركات لانها قد صارت عوضا منها فجاز لذلك ما جاز فيها وما يحذف في الموضع الذي يحذف فيه الحركة كما قوي الحذف
فيها وكثر وكان هذا الجمع خارجا عن الابنية الاول وثانيها الزم الحذف والقول الآخر ما حكيت البرح عن المبرد عن المازني قال يعلم بن الجوي وابو زيد

والخائن الى الحواري وبابه فما كان من المخيط لا يلجه الثوب لم يلجه في العقل وما كان يلجه الثوب في المخيط الحقيقي في العقل قال والذي عليه العرقون
قول الاول [المعنى] ثم عاد الكلام الى الوعيد فقال سبحانه ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها اي تكبروا عن قبولها لا تفتح لهم ابواب السماء اي لا تفتح ابواب السماء
لارواحهم كما تفتح لارواح المؤمنين عن ابن عباس والسدي وقيل لا تفتح لاعمالهم وعنهم عن الحسن ومجاهد عن ابن عباس في رواية اخرى وروي عن ابي جعفر الباقر انه
قال اما المؤمنون فترفع اعمالهم وارواحهم الى السماء فتفتح لهم ابوابها واما الكافر فيصعد بعمله وروحه حتى اذا بلغ الى السماء نادى مناد اهبطوا به الى سجين وهو واد
بحضرموت يقال له برهوت وقيل لا تفتح لهم ابواب السماء لدخول الجنة لان الجنة في السماء عن الجبائي ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط اي حتى يدخل البعير في ثقب الابرة
والمعنى لا يدخلون الجنة ابدا وسئل ابن مسعود عن الجمل فقال هو زوج الناقة كانه استجهل من سأله عن الجمل وهذا كما يقول العرب لا افعل كذا حتى يشيب الغراب وحتى يبيض القار
وحتى يؤوب القارظان قال الشاعر اذا شاب الغراب اتيت اهلي وصار القار كاللبن الحليب وقال اخر فرجي الخير وانتظري ايابي اذا ما القارظ العنزي آبا وتعليق
الحكم بما لا يتوهم وجوده ولا يتصور حصوله تاكيد له وتحقيق لليأس من وجوده وكذلك نجزي المجرمين اي ومثل ما جزينا هؤلاء نجزي سائر المجرمين المكذبين
باياتنا فقال لهم اي لهؤلاء من جهنم مهاد اي فراش ومضجع ومن فوقهم غواش مثل قوله لهم ظلل من النار وقيل المراد به لحف والمعنى ان النار محيطة بهم من اعلاهم
واسفلهم وكذلك نجزي الظالمين قال ابن عباس يريد الذين اشركوا واتخذوا من دونه الها [قوله تعالى] والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا
الا وسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الانهار وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي
لولا ان هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون آيتان [القراءة] قرأ ابن عامر ما كنا لنهتدي بغير
واو وكذلك هي في مصاحف اهل الشام والباقون مع الواو وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي اورثتموها مدغمة [الحجة] قال ابو علي وجه الاستغناء
عن حرف العطف ان الجملة ملتبسة بما قبلها فاغنت التباسها بها عن حرف العطف وقد تقدم ذكر امثاله ومن ترك الادغام في اورثتموها فلان الحرفين
كان المنفصلين في حكم الانفصال وان كانا من كلمة واحدة الا ترى انهم لم يدغموا ولو شاء الله ما اقتتلوا وان كان مثلين لما لم يكونا لازمين الا ترى ان
التاء التي للفاعل تقع بعدها غير الثاء فكذلك الثاء قد تقع بعدها غير التاء فلا يجب الادغام ووجه الادغام ان الثاء والتاء مهموستان
متقاربتان فاستحسن الادغام لذلك [اللغة] الغل الحقد الذي يتغلغل بلطفه الى صميم القلب ومنه الغلول وهو الوصول بالحيلة الى دقيق الخيانة ومنه الغل
يجمع اليدين والعنق بانغلاله فيها والصدر ما يصدر من جهة التدبير والرأي ومنه قيل للرئيس صدر والجريان انحدار الماء ومنه الجاري لانه يجري
والدواء الشفاء بطريقة يا فلان [الاعراب] لا نكلف نفسا الا وسعها جملة في موضع رفع بانه خبر الذين آمنوا وحذف العائد الى المبتدأ فكانه قيل منهم لا
[illegible] ويجوز ان يكون اعتراضا بين المبتدأ والخبر ويكون الخبر هي اولئك اصحاب الجنة فاذا كان اعتراضا فلا موضع له من الاعراب
وان تلكم الجنة يجوز ان يكون ان بمعنى اي لتفسير النداء فيكون المعنى نودوا اي على وجه التهنية بكلام هذا معناه ويجوز ان يكون مخففة من الثقيلة والهاء
مضمرة والتقدير بانه تلكم الجنة قال الشاعر [illegible] [المعنى] لما تقدم وعيد الكفار بالخلود في النار اتبع ذلك
بالوعد للمؤمنين بالخلود في الجنان فقال والذين آمنوا اي صدقوا بالله واعترفوا بوحدانيته ونبوة انبيائه وعملوا الصالحات اي ما اوجبه الله تعالى عليهم او
ندبهم اليه لا نكلف نفسا الا وسعها التكليف من الله سبحانه هو ارادة ما فيه المشقة من الكلفة التي هي المشقة لا يلزم نفسا الا قدر طاقتها وما دونها لان الوسع
دون الطاقة ووجه اتصاله بما قبله اذا جعلته خبرا لان معناه لا نكلف احدا منهم من الطاعات الا ما يقدر عليه واذا كان اعتراضا بين الكلامين
فكانه لما وعد المؤمنين بالجنان والخلود بين انه لا يكلف احدا منهم الا ما في وسعه وان من لحق النار فمن قبل نفسه اتى اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون
يبقون ونزعنا ما في صدورهم من غل اي واخرجنا ما في قلوبهم من حقد وحسد وعداوة في الجنة حتى لا يحسد بعضهم بعضا وان رأى ارفع درجة منه تجري
من تحتهم الانهار قيل انه في موضع الحال اي تجري ماء الانهار من تحت ابنيتهم واشجارهم في حال نزعنا الغل من صدورهم وقيل هو استئناف وقالوا الحمد لله الذي
هدانا لهذا اي هدانا للعمل الذي استوجبنا به هذا الثواب بان دلنا عليه وعرضنا له بتكليفه ايانا وقيل معناه هدانا لثبوت الايمان في قلوبنا وقيل
نزع الغل من صدورنا وقيل هدانا لمجاوزة الصراط ودخول الجنة وما كنا لنهتدي لما يصيرنا الى هذا النعيم المقيم والثواب لولا ان هدانا
الله هذا اعتراف من اهل الجنة بنعمة الله سبحانه اليهم ومنه عليهم في دخول الجنة على سبيل الشكر والتلذذ بذلك لانه لا تكليف هناك لقد جاءت رسل ربنا بالحق هذا
اقرار منهم بان ما جاءت به الرسل اليهم من جهة الله فهو حق ونودوا اي ويناديهم مناد من جهة الله تعالى ويجوز ان يكون ذلك خطابا من الله
سبحانه لهم ان تلكم الجنة اي هذه الجنة وانما قال تلكم لانهم وعدوا بها في الدنيا فكانه قيل لهم هذه تلكم التي وعدتم بها ويجوز ان يكونوا عاينوها فقال لهم

قبل ان يدخلوها ثم قال لهم ان تلكم الجنة اورثتموها اي اعطيتموها ارثا وصارت اليكم كما يصير الميراث لاهله وقيل معناه جعلها الله سبحانه بدلا لكم
عما كان اعده للكفار لو آمنوا وروي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال ما من احد الا وله منزل في الجنة ومنزل في النار فاما الكافر فيرث المؤمن منزله من
النار والمؤمن يرث الكافر منزله من الجنة فذلك قوله اورثتموها بما كنتم تعملون اي توحدون الله وتعملون بطاعته [قوله تعالى] ونادى اصحاب الجنة
اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين الذين يصدون
عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون آيتان [القراءة] قرأ الكسائي وحده نعم بكسر العين كل القرآن والباقون بالفتح وقرأ اهل المدينة
والبصرة وعاصم ان مخففة لعنة الله بالرفع والباقون بالتشديد لعنة الله بالنصب [الحجة] قال الاخفش نعم ونعم لغتان والكسرة لكنانة وهذيل والفتح
لغة باقي العرب وان التي تقع بعد العلم انما هي المشددة والمخففة منها واذن مؤذن معناه اعلم معلم ان لعنة الله ومن خففها فعلى ارادة اضمار القصة و
الحديث تقديره انه لعنة الله ومثله وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين التقدير انه ولا تخفف ان هذه الا واضمار القصة والحديث يراد معها في الكلام
اذا خففت الا يكون كذلك والفصل بينها ان المفتوحة موصولة والموصول يقتضي صلته فصارت لاقتضائها الصلة اشد اتصالا بما بعدها من المكسورة وقد
بعدها المضمر الذي من جملتها صلتها وليست المكسورة كذلك [الاعراب واللغة] قال سيبويه نعم عدة وتصديق فاذا استفهمت اجبت بنعم قال ابو علي
الذي يراد بقوله عدة وتصديق انه يستعمل عدة ويستعمل تصديقا وليس يريد انه يجمع التصديق مع العدة الا ترى انه اذا قال اتعطيني فقلت نعم كان عدة ولا تصديق
في هذا وان قال قد كان كذا فقلت نعم فقد صدقته ولا عدة في هذا ونظير هذا القول من سيبويه قوله في اذا انها جواب وجزاء لانها تكون جوابا في الموضع الذي
يكون فيه جزاء وقوله اذا استفهمت اجبت بنعم يريد اذا استفهمت عن موجب اجبت بنعم ولو كان مكان الايجاب النفي قلت بلى ولم تقل نعم كما تقول في جواب الموجب في
الست بربكم قالوا بلى والذين يصدون في موضع جر بانه صفة الظالمين ويجوز ان يكون منصوبا بانه مفعول به يبغون لها العوج ويجوز ان يكون منصوبا
على المصدر يعني يطلبون لها هذا الضرب من الطلب كما يقول رجع القهقرى اي رجع هذا الضرب من الرجوع وكذلك بعد السكون واحد العوج بالكسر يكون في
الدين او في القول وبالفتح يكون في الخلقة يقول في ساقه عوج بفتح العين وفي دينه عوج بالكسر [المعنى] ثم حكى سبحانه ما يجري بين اهل الجنة والنار بعد استقرارهم
في الدارين فقال ونادى اي وسينادي اصحاب الجنة اصحاب النار اي اهل الجنة اهل النار وانما ذكر بلفظ الماضي لتحقيق المعنى فجعل ما سيكون كانه قد كان لانه
كائن لا محالة وذلك ابلغ في الردع ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا من الثواب في كتبه وعلى السنة رسله حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم من العقاب حقا وانما اضافوا
الوعد بالجنة الى نفوسهم لان الكفار ما وعدهم الله بالجنة الا بشرط ان يؤمنوا فلما لم يؤمنوا فكانهم لم يوعدوا بالجنة وانما سألوهم هذا السؤال لان الكفار
كانوا يكذبون المؤمنين فيما يدعون لانفسهم من الثواب ولهم من العقاب فهو سؤال توبيخ وشماتة يزيد به سرور اهل الجنة وحسرة اهل النار قالوا نعم اي قال
اهل النار وجدنا ما وعدنا ربنا من العقاب حقا وصدقا فاذن مؤذن بينهم اي نادى مناد بينهم اسمع الفريقين ان لعنة الله على الظالمين اي غضب الله
وسخطه واليم عقابه على الكافرين لانه وصف الظالمين بقوله الذين يصدون عن سبيل الله اي يعرضون عن الطريق الذي دل الله سبحانه على انه يؤدي الى الجنة
وقيل يمنعون غيرهم عن سبيل الله الى دينه والحق الذي دعى اليه ويبغونها عوجا قال ابن عباس معناه يصلون لغير الله ويعظمون ما لم يعظمه الله وقيل
يطلبون لها العوج بالشبه التي يلبسون بها ويوهمون انها تقدح فيها وهي معوجة عن الحق بتناقضها وهم بالآخرة اي بالدار الآخرة يعني القيمة و
البعث والجزاء كافرون جاحدون وقيل ان المؤذن انه مالك خازن النار وروي عن ابي الحسن الرضا عليه السلام ان المؤذن امير المؤمنين عليه السلام ذكره
علي بن ابراهيم في تفسيره قال حدثني ابي عن محمد بن فضيل عن الرضا عليه السلام ورواه الحاكم ابو القاسم عن محمد بن الحنفية عن علي عليه السلام انه قال انا ذلك
المؤذن وباسناده عن ابي صالح عن ابن عباس ان لعلي في كتاب الله اسماء لا يعرفها الناس قوله فاذن مؤذن بينهم فهو المؤذن بينهم يقول الا
لعنة الله على الذين كذبوا بولايتي واستخفوا بحقي [قوله تعالى] وبينهما حجاب وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا اصحاب الجنة ان سلام
عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين آيتان [اللغة] الحجاب الحاجز المانع
من الادراك ومنه قيل للضرير محجوب وحاجب الامير وحاجب العين والاعراف الامكنة المرتفعة اخذ من عرف الفرس ومنه عرف الديك وكل مرتفع من
الارض عرف لانه بظهوره اعرف مما انخفض قال الشماخ وظلت باعراف تعالى كانها رماح نحاها وجهة الريح راكز وقيل [illegible]
كالعلم المرتفع عليه الاعراف يعني شيئا بين الارض والسماء والسيماء العلامة وهو فعلى من سام ابله تسويما اذا ارسلها في المرعى معلمة وهي السائمة وقيل ان وزنه عفلى
من وسمت فقلبت كما قالوا له سيما وسيماء بالمد والقصر وسيمياء على وزن كبرياء قال الشاعر له سيمياء ما تشق على البصر والتلقاء جهة اللقاء وهو جهة المقابلة

٣٥٢

ختام

ولذلك كان ظرفا من ظروف المكان يقول وهو تلقاءك اي حذاءك والابصار جمع بصر وهو الحاسة التي يدرك بها المبصر وقد يستعمل بمعنى المصدر يقال له بصر
بالاشياء اي علم بها وهو بصير بالامور اي عالم **المعنى** ثم ذكر سبحانه الفريقين والجزاء فقال وبينهما حجاب اي بين الفريقين اهل الجنة واهل النار ستر وهو الاعراف سور بين الجنة
والنار عن ابن عباس ومجاهد والسدي بل فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب وقيل الاعراف شرف ذلك السور عن الجبائي وقيل الاعراف
الصراط عن الحسن بن الفضل وعلى الاعراف رجال اختلف في المراد بالرجال هنا على اقوال فقيل انهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فحالت حسناتهم بينهم وبين النار و
حالت سيئاتهم بينهم وبين الجنة فجعلوا هناك حتى يقضي الله فيهم ما يشاء ثم يدخل الجنة عن ابن عباس وابن مسعود وذكر ابو بكر بن عبد الله المزني قال الحسن بلغني
انهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فضرب الحسن بيده على فخذه فقال هؤلاء قوم جعلهم الله على تعريفنا اهل الجنة واهل النار يميزون بعضهم من بعض والله لا ادري لعل
بعضنا في هذا البيت وقيل ان الاعراف موضع عال على الصراط عليه حمزة وعباس وعلي وجعفر يعرفون محبيهم ببياض الوجوه ومبغضيهم بسواد الوجوه عن الضحاك عن ابن عباس
رواه الثعلبي بالاسناد في تفسيره وقيل انهم الملائكة في صورة الرجال يعرفون اهل الجنة والنار ويكونون خزنة الجنة والنار جميعا او يكونون حفظة الاعمال
الشاهدين بها في الاخرة عن ابي مجلز وقيل انهم فضلاء المؤمنين عن الحسن ومجاهد وقيل انهم الشهداء وهم عدول الاخرة عن الجبائي وقال ابو جعفر الباقر عليه السلام
لا يدخل الجنة الا من عرفهم وعرفوه ولا يدخل النار الا من انكرهم وانكروه وقال ابو عبد الله عليه السلام لا يدخل الجنة الا من عرفهم وعرفوه ولا يدخل النار الا من انكرهم
وانكروه وقال ابو عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام الاعراف كثبان بين الجنة والنار فيوقف عليها كل نبي وكل خليفة نبي مع المذنبين من اهل زمانه كما يقف صاحب الجيش
مع الضعفاء من جنده وقد سبق المحسنون الى الجنة فيقول ذلك الخليفة للمذنبين الواقفين معه انظروا الى اخوانكم المحسنين قد سيقوا الى الجنة فيسلم المذنبون عليهم
وذلك قوله ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم ثم اخبر سبحانه انهم لم يدخلوها وهم يطمعون يعني هؤلاء المذنبين لم يدخلوا الجنة وهم يطمعون ان يدخلهم الله
اياها بشفاعة النبي والامام وينظر هؤلاء المذنبون الى اهل النار فيقولون ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ثم ينادي اصحاب الاعراف وهم الانبياء والخلفاء
اهل النار مقرعين لهم ما اغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون اهؤلاء الذين اقسمتم يعني هؤلاء المستضعفين الذين كنتم تحقرونهم وتستطيلون بدنياكم
عليهم ثم يقولون لهؤلاء المستضعفين عن امر من الله لهم بذلك ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون ويؤيده ما رواه عمر بن شيبة وغيره ان عليا عليه السلام
قسيم النار والجنة ورواه ايضا باسناده عن النبي صلى الله عليه انه قال يا علي كاني بك يوم القيمة وبيدك عصا عوسج تسوق قوما الى الجنة وآخرين الى النار
وروى ابو القاسم الحسكاني باسناده يرفعه الى الاصبغ بن نباتة قال كنت جالسا عند علي عليه السلام فاتاه ابن الكوا فسأله عن هذه الآية فقال ويحك يا ابن الكوا
نحن نقف يوم القيمة بين الجنة والنار فمن نصرنا عرفناه بسيماه فادخلناه الجنة ومن ابغضنا عرفناه بسيماه فادخلناه النار وقوله يعرفون كلا بسيماهم
يعني هؤلاء الرجال الذين هم على الاعراف يعرفون جميع الخلق بسيماهم ويعرفون اهل الجنة بسيما المطيعين واهل النار بسيما العصاة ونادوا اهل
الجنة يعني هؤلاء الذين على الاعراف ينادون باصحاب الجنة ان سلام عليكم وهذا سلام تهنئة وسرور بما وجب الله لهم لم يدخلوها اي لم يدخلوا
الجنة بعد عن ابن عباس وابن مسعود والحسن وقتادة وهم يطمعون ان يدخلوها وقيل ان الطمع هنا طمع يقين مثل قول ابرهيم والذي اطمع ان يغفر
لي خطيئتي وهو قول الحسن وابي علي الجبائي واذا صرفت ابصارهم يعني ابصار الذين على الاعراف تلقاء اصحاب النار اي نحوهم لينظروا اليهم وانما قال صرفت
ابصارهم لان نظرهم نظر عداوة فلا ينظرون اليهم الا اذا صرفت وجوههم اليهم قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين اي لا تجمعنا واياهم في النار وفي
ان في قراءة عبد الله بن مسعود وسالم اذا قلبت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا ربنا عائذا بك ان تجعلنا مع القوم الظالمين وروى ذلك عن ابي عبد الله
عليه السلام **قوله تعالى** ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما اغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم
الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون آية **اللغة** النداء امتداد الصوت ورفعه ونادى نظيره الا ان الدعاء قد يكون
بعلامة من غير صوت ولا كلام ولكن باشارة تنبئ عن معنى تعال ولا يكون النداء الا برفع الصوت وهو مشتق من الندى والخوف توقع المكروه
وهو ضد الامن والحزن الغم باتقاء المكروه **الاعراب** هؤلاء مبتدأ وخبره الذين والاولى ان يكون الذين اقسمتم خبر مبتدأ محذوف والتقدير هؤلاء
الذين اقسمتم وقوله لا ينالهم الله برحمة جواب اقسمتم وهو داخل في صلة الذين لان الذين هنا فصل بالقسم وجوابه ولا يجوز ان يكون الذين صفة لهؤلاء
من وجهين احدهما ان المبهم لا توصف بالمضمر والآخر انه يبقى المبتدأ بلا خبر **المعنى** ثم بين سبحانه خطاب اصحاب الاعراف لاصحاب الاعراف فقال
لاصحاب النار ونادى اي وينادي اصحاب الاعراف رجالا من اصحاب النار يعرفونهم بسيماهم بعلامتهم يدعونهم باسمائهم وكناهم ويقولون روساء المشركين
عن ابن عباس وقيل بعلاماتهم التي جعلها الله لهم من سواد الوجوه وتشويه الخلق وزرقة العين عن الجبائي وقيل بصورهم التي كانوا يعرفونهم بها في الدنيا عن ابي

وقالوا

وقالوا ما اغنى عنكم جمعكم الاموال والعدد في الدنيا وما كنتم تستكبرون وتكبركم واستنكافكم عن عبادة الله تعالى وعن قبول الحق وقد كان فيهما كرما لما لم
تجمع المال وتكبر فلم يسلموا انتبا فاين ذلك المال واين ذلك الكبر وقيل معناه ما اغنى عنكم جماعتكم التي استكثرتم بها وتكبركم عن الانقياد لانبياء الله في
الدنيا عن الجبائي اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة اي حلفتم انهم لا يصيبهم الله برحمة وخير ولا يدخلون الجنة كذبتم ثم يقولون لهؤلاء ادخلوا
الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون اي لا خائفين ولا محزونين على اكمل سرور واتم كرامة والمراد بهذا تقريع الذين ذروا على ضعفاء المؤمنين حتى
حلفوا انهم لا خير لهم عند الله وقد اضطرب اقوال المفسرين في القائل بهذا القول فقال الاكثرون انه كلام اصحاب الاعراف وقيل هو من كلام الله تعالى وقيل كلام
الملائكة والصحيح ما ذكرناه لانه المروي عن الصادق **قوله تعالى** ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم
الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحيوة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا
يجحدون آيتان **اللغة** الافاضة اجراء المائع من علو ومنه قولهم افاضوا في الحديث اي اخذوا فيه من اوله لانه بمنزلة اعلاه وافاضوا من عرفات الى مزدلفة
صاروا اليها واللهو طلب صرف الهم بما لا يحسن ان يطلب واللعب طلب المدح بما لا يحسن ان يطلب واشتقاقه من اللعاب وهو المرور على غير استواء **الاعراب**
قال افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله ثم قال حرمهما ولم يقل حرمه وان كان التقدير افيضوا احد هذين لانه جاء على قولهم جالس الحسن او ابن سيرين فيجوز
مجالستهما جميعا وقوله الذين اتخذوا يجوز ان يكون في موضع جر صفة للكافرين ويحتمل ان يكون رفعا بالابتداء ويكون اخبارا من الله تعالى على وجه الذم لهم
المعنى ثم ذكر سبحانه كلام اهل النار وما اظهروه من الافتقار بدلا مما كانوا عليه من الاستكبار فقال ونادى اي وسينادي اصحاب النار وهم الخالدون في النار
وعذابها اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء اي صبوا علينا من الماء نسكن به العطش او ندفع به حر النار او مما رزقكم الله اي اعطاكم الله من الطعام عن السدي
قالوا يعني اهل الجنة جوابا لهم ان الله حرمهما على الكافرين وبيان قال كيف تنادى اهل الجنة واهل النار واهل الجنة في السماء على ما جاءت به الرواية واهل
النار في الارض وبينهما ابعد الغايات من البعد واجيب عن ذلك بانه يجوز ان يزيل الله تعالى عنهم ما يمنع من السماع ويجوز ان يقوي الله اصواتهم ليسمع بعضهم كلام
بعض الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا اي اتخذوا دينهم الذي امرهم الله تعالى به اللهو واللعب دون التدين وقيل معناه اتخذوا دينهم الذي كان يلزمهم التدين به و
التجنب من المحظورات لعبا ولهوا فحرموا ما شاؤا واستحلوا ما شاؤا وغرتهم الحيوة الدنيا اي غرتهم وطول البقاء بها فكانت الدنيا غرتهم فاليوم ننساهم
كما نسوا لقاء يومهم هذا اي نتركهم في العذاب كما تركوا التاهب والعمل للقاء هذا اليوم عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقيل معناه نعاملهم معاملة المنسي في النار فلا
نجيب لهم دعوة ولا نرحم لهم عبرة كما تركوا الاستدلال حتى نسوا العلم وتعرضوا للنسيان عن الجبائي وما كانوا بآياتنا يجحدون اي وكما كانوا بآياتنا يجحدون
كما نسوا لقاء يومهم هذا وكونهم جاحدين لآياتنا واختلف في هذه الآية فقيل انه كلام الله تعالى على وجه الحكاية عن اهل الجنة وتم كلام اهل الجنة عند قوله
حرمهما على الكافرين وقيل انه من كلام اهل الجنة الى قوله الحيوة الدنيا ثم يستأنف سبحانه الكلام بقوله فاليوم ننساهم **قوله تعالى** ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم
هدى ورحمة لقوم يؤمنون هل ينظرون الا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا او نرد
فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون آيتان **اللغة** الكتاب صحيفة فيها كتابة والكتاب حروف مسطورة تدل على معان
مفهومة والتبيين والتفصيل والتقسيم نظائر وينظرون وينتظرون والانتظار هو الاقبال على ما يأتي بالتوقع له واصله الاقبال على الشيء من الوجوه والتأويل ما
يؤول اليه حال الشيء والنسيان ذهاب المعنى عن النفس واختلف المتكلمون فيه فقال ابو علي الجبائي انه معنى وقال ابو هاشم الجبائي وانما هو من قبيل السهو وقال
الشامي هو ذهاب العلم الضروري واليه ذهب المرتضى **الاعراب** هدى ورحمة يجوز ان يكون حالا ويجوز ان يكون مفعولا له وقال ابو مسلم مصدر وضع
موضع الحال وقوله فيشفعوا بالرفع على الاستئناف او بالجر على الرد الا ان القراءة بالنصب فيشفعوا نصب لانه جواب التمني بالفاء وتقديره هل يكون لنا
شفعاء فشفاعة او نرد على تقدير او هل نرد فنعمل اي هل يكون لنا رد فان نعمل اي نعمل شيئا غير ما كنا نعمله **المعنى** لما ذكر حال الفريقين اخذ
في ذكر الكتاب والحجة فقال ولقد جئناهم بكتاب وهو القرآن وفصلناه على علم اي ونحن عالمون ولما كانت لفظة عالم ماخوذة من العلم جاز ان يذكر العلم لتدل
على العالم كان الوجود في صفة الموجود وكذلك هدى ورحمة لقوم يؤمنون اي دلالة ترشدهم الى الحق وتنجيهم من الضلالة ونعمة على جميع المؤمنين لانهم المنتفعون
به هل ينظرون الا تأويله اي هل ينتظرون الا عاقبة الجزاء عليه وما يؤول اليه امرهم عن الحسن وقتادة ومجاهد والسدي وانما اضاف اليهم مجازا
لانهم كانوا جاحدين لذلك غير متوقعين له وانما كان ينتظرهم المؤمنون لايمانهم بذلك ولظهور ذلك وقيل ان تأويله ما وعدوا به من البعث والنشور
والحساب والعقاب عن الجبائي يوم يأتي تأويله اي يوم يأتي عاقبته وما وعدوا به يقول الذين نسوه من قبل الذين تركوا العمل به ترك الناسي له اعرضوا عنه عن مجاهد

والزجاج وقد جاءت رسل ربنا بالحق اعترفوا بان ما جاءت به الرسل كان حقا والحق ما يشهد بصحته العقل فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا تمنوا ان يكون
لهم شفعاء يشفعون لهم في ازالة العقاب او نرد اي او هل نرد الى الدنيا فنعمل غير الذي كنا نعمل من الشرك والمعصية قد خسروا انفسهم اي اهلكوها بالعذاب
وضل عنهم ما كانوا يفترون على الاصنام بقولهم انها آلهة وانها تشفع لنا قوله تعالى ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى
على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين آية القراءة قرأ اهل الكوفة غير حفص
ويعقوب يغشي بالتشديد وكذلك في الرعد والباقون بالتخفيف وقرأ ابن عامر والشمس والقمر والنجوم مسخرات كله بالرفع والباقون بالنصب الحجة
قال ابو علي غشي فعل يتعدى الى مفعول واحد فاذا نقلته بالهمزة او التضعيف تعدى الى مفعولين وقد جاء التنزيل بالامرين قال فغشاها ما غشى
فما في موضع نصب بانه المفعول الثاني وقال فاغشيناهم فهم لا يبصرون فهذا منقول بالهمزة والمفعول الثاني محذوف والمعنى فاغشيناهم العمى وفقد الرؤية
عنهم فاذا جاء التنزيل بالامرين فكلا القراءتين مما جاء في التنزيل وقوله يغشي الليل النهار كل واحد من الليل والنهار منتصب بانه مفعول والفعل قبل النقل غشي
الليل النهار ولم يقل يغشي النهار الليل كما قال سرابيل تقيكم الحر ولم يقل تقيكم البرد للعلم بذلك من الحر ومثل هذا الاتيان وحجة من نصب الشمس والقمر والنجوم
انه حمله على خلق كانه قال واعبدوا الله الذي خلقهن وحجة ابن عامر قوله وسخر لكم ما في السموات وما في الارض وما في السماء الشمس والقمر فاذا جرى تسخير
بتسخيرها حسن الاخبار عنها به كانك اذا قلت ضربت زيدا استقام ان زيد مضروب اللغة قد بينا معنى الاستواء في سورة البقرة عند قوله ثم
استوى الى السماء والعرش السرير ومنه ولها عرش عظيم والعرش الملك يقال ثل عرشه والعرش السقف ومنه قوله فهي خاوية على عروشها والحثيث السريع بالسوق
واصله البركة الثبات ومنه براكاء القتال الاعراب قوله حثيثا يجوز ان يكون حالا من الفاعل او المفعول او منهما جميعا ومنه قوله فاتت به قومها
تحمله بان تحمله لذلك ومنه قول الشاعر متى ما تلقني فردين ترجف روانف اليتيك وتستطارا المعنى لما ذكر الله سبحانه الكفار وعبادتهم غير الله سبحانه احتج عليهم
بمقدوراته ومصنوعاته ودلهم على انه لا معبود سواه فقال مخاطبا لجميع الخلق ان ربكم الله اي سيدكم ومالككم ومنشئكم ومحدثكم هو الله
الذي خلق السموات اي انشاها واخترعها لا من شيء ولا على مثال ثم امسكها بعمد بعدها والارض اي وانشا الارض واوجدها كذلك في ستة
ايام من ايام الدنيا ولا شبهة انه سبحانه يقدر على خلق امثال ذلك في لحظة ولكنه خلقها في هذه المدة لمصلحة ورتبها على الايام الستة فالابتداء بالاحد
والاثنين والثلثاء والاربعاء والخميس والجمعة فاجتمع له الخلق يوم الجمعة فلذلك سمي جمعة عن مجاهد وقيل ان ترتيب الحوادث على انشائها شيئا بعد شيء
على ترتيب ادل على كون فاعله عالما مدبرا يصرفه على اختياره ويجريه على مشيئته وقيل انه سبحانه علم الملائكة التثبت والرفق في الامور عن سعيد بن جبير ثم استوى
على العرش اي استوى امره على الملك عن الحسن يعني استقر ملكه واستقام بعد خلق السموات والارض فظهر ذلك للملائكة وانما اخرج ذلك على التعارف من كلام
العرب لقولهم استوى الملك على عرشه اذا انتظمت امور مملكته واذا اختل امر ملكه قالوا ثل عرشه ولعل ذلك الملك لا يكون له سرير ولا يجلس عليه ابدا
قال الشاعر اذا ما بنو مروان ثلت عروشهم واودت كما اودت اياد وحمير وقال آخر ان يقتلوك فقد ثللت عروشهم بعتيبة بن الحارث بن شهاب وقيل معناه
استولى بان رفعه من الجبار وقيل معناه ثم قصد الى خلق العرش عن الفراء وجماعة والقاضي قال لقوله ثم ان خلق العرش كان بعد خلق السماء ولا
وروي عن مالك بن انس انه قال الاستواء غير مجهول وكيفيته معلومة والسؤال عنه بدعة وروي عن ابي حنيفة انه قال اقرؤه كما جاء اي لا تفسروه
يغشي اي يلبس الليل النهار يعني يأتي باحدهما بعد الآخر فيجعل ظلمة الليل بمنزلة الغشاوة للنهار ولم يقل يغشي النهار الليل لان الكلام يدل عليه وقد
ذكر ذلك في موضع آخر يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل يطلبه حثيثا اي يتلوه فيدركه سريعا وهذا توسع يريد انه يأتي في اثره كانما يطلبه
والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره اي مذللات جاريات في مجاريها بتدبيره وصنعه خلقهن لمنافع العباد ومن قرأ مسخرات بالنصب
فانه معطوف على خلق الا له الخلق والامر انما فصل بين الخلق والامر لان فائدتهما مختلفة لانه يريد بالخلق ان له الاختراع وبالامر ان له ان يأمر في خلقه
بما احب ويفعل بهم ما شاء تبارك الله اي تعالى الله بالوحدانية فيما لم يزل ولا يزال فهو بمعنى تعالى بدوام الثبات وقيل معناه تعالى عن صفات
المخلوقين والمحدثين وقيل تعالى بدوام البركة اي البركة في ذكر اسمه رب العالمين اي خالقهم ومالكهم وسيدهم قوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية
انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها وادعوه خوفا وطمعا ان رحمة الله قريب من المحسنين آيتان القراءة قرأ ابو بكر عن عاصم خفية
بكسر الخاء والباقون بضمها وهما لغتان اللغة التضرع التذلل وهو اظهار الذل الذي في النفس ومثله التخشع ومنه الطلب من الامور واصل التضرع
الميل في الجهات ذلا من قولهم ضرع الرجل يضرع ضرعا اذا مال باصبعه يمينا وشمالا ذلا وخوفا ومنه ضرع الشاة لان اللبن يميل اليه ومنه المضارعة المشابهة

لانها تميل الى شبه والضريع نبت لا يسمن لانه يميل مع كل داء والخفية خلاف العلانية والهمزة في الاخفاء منقلبة من الياء كما ان الهمزة في القضاء
منقلبة من الياء بدلالة القضية وقالوا خفيت الشيء اذا اظهرته وقال يخفي التراب باظلاف ثمانية في اربع مسهن الارض تحليل ويمكن ان يكون اخفيت
الشيء اي اظهرته واذا اردت اظهاره فقد كشفته كما انك اذا اشكيته بمعنى ازلت شكايته والخفية الاخفاء والخيفة الخوف والرهبة والطمع توقع المحبوب
وضده اليأس وهو القطع بانتفاء المحبوب الاعراب تضرعا وخفية مصدران وضعا موضع الحال اي ادعوه متضرعين ومخفين وقوله خوفا و
طمعا في موضع الحال اي خائفين عقابه وطامعين في رحمته قال الفراء انما ذكر قريب ولم يؤنث ليفصل بين القريب من القرابة والقريب من القرب قال
الزجاج وهذا غلط لان كل ما قرب في مكان او نسب فهو جار على ما يصيبه من التأنيث والتذكير والوجه في تذكيره هنا ان الرحمة والغفران والعفو
في معنى واحد وكذلك كل تأنيث ليس بحقيقي وقال الاخفش جائز ان يكون اراد بالرحمة هنا المطر فلذلك ذكره قال الشاعر يا ايها الراكب المزجي مطيته
سائل بني اسد ما هذه الصوت اي ما هذه الصيحة وقال الآخر ان السماحة والمروة ضمنا قبرا بمرو على الطريق الواضح المعنى ثم امر سبحانه بعد ذكر دلائل
توحيده بدعائه على وجه الخشوع كما امر بتوحيده فقال ادعوا ربكم تضرعا وخفية اي تخشعا وسرا عن الحسن قال بين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون
ضعفا ان كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به جاره وان كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير وما يعرف به الناس وان كان الرجل ليصلي الصلوة الكثيرة
في بيته وعنده الزور وما يشعرون ولقد ادركنا اقواما ما كان على الارض من عمل يقدرون ان يعملوه في السر فيكون علانية ابدا ولقد كان المسلمون
يجتهدون في الدعاء ما يسمع لهم صوت ان كان الا همسا بينهم وبين ربهم وروي ان النبي صلى الله عليه وآله كان في غزاة فاشرفوا على واد فجعل الناس
يهللون ويكبرون ويرفعون اصواتهم فقال صلى الله عليه وآله يا ايها الناس اربعوا على انفسكم اما انكم لا تدعون اصم ولا غائبا انكم تدعون سميعا قريبا انه
معكم وقيل ان التضرع رفع الصوت والخفية السر يعني ادعوه علانية وسرا عن ابي مسلم ورواه علي بن ابراهيم في تفسيره انه لا يحب المعتدين في الدعاء وقيل هو ان
يطلب منازل الانبياء فيجاوز الحد في الدعاء عن ابي مجلز وقيل هو الصياح في الدعاء عن ابن جريج وقيل معناه لا يحب المجاوزين الحد المرسوم في جميع العبادات
والدعوات ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها ومعناه النهي عن قتل المؤمنين واضلالهم والعمل بالمعاصي في الارض بعد ان اصلحها الله تعالى بالرسل والكتب
عن الحسن والسدي والضحاك والكلبي وقيل بعد ان امر الله بالاصلاح فيها قال الحسن واصلاحها اتباع اوامر الله تعالى فيها وروي عن ابيه انه قال لا
تفسدوها بقتل المؤمن بعد اصلاحها بايمانه وقيل لا تفسدوها بالظلم بعد اصلاحها بالعدل وقيل لا تعصوا في الارض فيمسك الله المطر ويهلك الحرث
بمعاصيكم عن عطية وعلى هذا يكون معنى قوله بعد اصلاحها بعد اصلاح الله اياها بالمطر والخصب وروي عن ابي جعفر عليه السلام في هذه الآية قال ان الارض كانت
فاسدة فاصلحها الله بنبيه صلى الله عليه وآله وادعوه خوفا من عقابه وطمعا في ثوابه وقيل خوفا من الرد وطمعا في الاجابة وقيل خوفا من عدله و
طمعا في فضله عن ابن جريج وقيل معناه خوفا من النيران وطمعا في الجنان عن عطاء ان رحمة الله قريب من المحسنين معناه ان انعام الله قريب الى فاعل الاحسان
وقيل ان رحمة الله اي ثوابه قريب من المطيعين عن سعيد بن جبير وقيل المراد بالرحمة المطر عن الاخفش ويؤيده قوله فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيي الارض بعد
موتها والاحسان هو النفع الذي يستحق به الحمد والاساءة هي الضرر الذي يستحق به الذم ومن قال المراد بالمحسنين من خلصت افعاله من الاساءة وكانت كلها حسنة
فالظاهر لا يقتضي ذلك بل الذي يقتضيه ان رحمة الله واصلة الى من فعل الاحسان وليس فيه انه لا يصل الى من جمع الاحسان والاساءة وذلك موقوف
على الدلالة قوله تعالى وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى اذا اقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فانزلنا به الماء فاخرجنا به من كل الثمرات
كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون آيتان القراءة
قرأ ابن كثير الريح واحدة ونشرا مضمومة النون والشين وقرأ اهل المدينة والبصرة الرياح جمع نشرا بضم النون والشين حيث كان وقرأ اهل الكوفة غير عاصم
الريح نشرا بفتح النون وسكون الشين وقرأ ابن عامر الرياح نشرا بضم النون وسكون الشين وقرأ عاصم الرياح بشرا بالباء ساكنة الشين وقرأ ابو جعفر الا نكدا
بفتح الكاف والباقون بالكسر الحجة قال ابو علي اصل الريح اسم على فعل والعين منه واو فانقلبت في الواحد للكسرة فاما في الجمع القليل فصحت لانه لا شيء
يوجب الاعلال الا ترى ان الفتحة لا توجب الاعلال ومن ثم صحت الواو في نحو قوم وقول واما في الجمع الكثير فرياح انقلبت بالكسرة التي قبلها واذا كانت انقلبت في
نحو ديمة وديم وحيلة وحيل فانه ينقلب في رياح اجدر لوقوع الالف بعدها والالف تشبه الياء والياء اذا تأخرت عن الواو وجب فيها الاعلال وكذلك
الالف لشبهها بها وقد يجوز ان يكون الريح على لفظ الواحد ويراد بها الكثرة كقولهم كثر الدرهم والدينار والشاء وان الانسان لفي خسر ثم قال الا الذين آمنوا
وكذلك من قرأ الريح نشرا فافرد ووصفه بالجمع فانه حمله على المعنى وقد اجاز ابو الحسن ذلك وقد فيها اثنان واربعون حلوبة سودا كخافية الغراب الاسحم

ومن نصب حمله على المعنى لان المفرد يراد به الجمع وهذا وجه قراءة ابن كثير وهو قول من جمع الريح اذا وصفها بالجمع الذي هو نشرا حسن لان الحمل على المعنى ليس بكثرة
كالحمل على اللفظ واما ما جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله انه كان يقول اذا هبت الريح اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا فلان عامة ما جاء في التنزيل على
لفظ الرياح السقيا والرحمة كقوله تعالى وارسلنا الرياح لواقح وان يرسل الرياح مبشرات وما جاء بخلاف ذلك جاء على الافراد كقوله فاهلكوا بريح صرصر
فيها عذاب اليم وقيل [illegible] من كل جانب وقال ابو زيد [illegible] انشر الله الريح مثل احياها فنشرت هي اي حييت والدليل على ان
انشار الريح احياها قول المرار الفقعسي وهبت له ريح الجنوب واحييت له ريدة يحيي المياه نسيمها والريدة والريد الريح قال اودت به ريدة صرصر ومن قرا
نشرا يحتمل ضربين يجوز ان يكون جمع ريح نشور وريح ناشر ويكون على معنى النسب فاذا جعلته جمع نشور احتمل امرين احدهما ان يكون النشور بمعنى المنشر كان الركوب
بمعنى المركوب فكان المعنى ريح او رياح منشرة ويجوز ان يكون جمع نشور يراد به الفاعل مثل الطهور ونحوه من الصفات ويجوز ان يكون نشر جمع ناشر كشاهد
وشهد ونادر وندر وقاتل وقتل وقول الاعشى انا لامثالكم يا قومنا قتل وقول ابن عباس يحتمل الوجهين ان يكون على فعول وفاعل [illegible] كما خففت في كتب
رسل ويكون جمع فاعل كبازل وبزل وعائط وعوط واما من قرا نشرا فانه يحتمل ضربين احدهما ان يكون المصدر حالا من الريح فاذا جعلته حالا منها احتمل امرين احدهما
ان يكون النشر الذي هو خلاف الطي كانها كانت بانقطاعها كالمطوية ويجوز ان يكون على تأويل الرجعة ان يكون متفرقة في وجوهها والاخر ان يكون النشر الذي هو
الحياة في نحو قوله يا عجبا للميت الناشر فاذا حملته على ذلك فالوجه كان المصدر يراد به الفاعل كما تقول اتانا ركضا اي راكضا ويجوز ان يكون المصدر يراد به
المفعول كان نشرت الريح انشارا اي احياها فحذف الزوائد من المصدر كما قال عمرك الله [illegible] فذلك كان [illegible] والضرب الاخر ان يكون نشرا
منتصبا انتصاب المصدر من باب صنع الله لانه اذا قال يرسل الرياح دل هذا الكلام على نشرت الرياح نشرا [illegible]
كما بشرت وقراءة عاصم بشرا جمع بشير وبشر من قوله يرسل الرياح مبشرات اي تبشر بالمطر والرحمة وجمع بشير على بشر ككتاب وكتب والوجه في قراءة الجمع [illegible]
لكذا [illegible] الزجاج ويجوز فيه وجهان اخران نكدا ونكدا الا انه لم يقرأ بهما رواية **اللغة** الاقلال حمل الشيء برمته حتى يقل في طاقة الحامل بقوة جسمه فقلا
استقل بحمله استقلالا واقله اقلالا والسحاب الغيم الجاري في السماء [illegible] والسوق حث الشيء من بين يديه [illegible] والبلد هو الارض
التي يجمع الخلق الكثير والبادية كالبلد للاعراب ونحوهم من الاكراد والنكد العسر الممتنع من اعطاء الخير على وجه البخل يقال نكد ينكد نكدا ونكدا فهو نكد ونكد
قيل نكد اذا سئل [illegible] قال الشاعر واعط ما اعطيته طيبا لا خير في المنكود والناكد **المعنى** لما احتج سبحانه في الاية المتقدمة بان خلق السموات والارض
وما فيهما من البدائع عطف على ذلك بقوله وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته فعدد النعم على بريته اي يطلقها ويجريها منتشرة في الارض
او معه للارض او مبشرة بالغيث على ما تقدم بيانه امام رحمته وهو المطر [illegible] وقيل بعث سحابا ثقالا بالماء سقناه لبلد ميت اي البلد [illegible] الذي تعفو
ودروس مشاربه لا نبات فيه ولا زرع [illegible] السحاب والرياح تجمع السحاب من المواضع المختلفة حتى اذا استقل السحاب انزل المطر فانزلنا به
الماء يجوز ان يكون الضمير في به راجعا الى البلد اي فانزلنا بالبلد الماء ويجوز ان يكون راجعا الى السحاب اي فانزلنا بالسحاب الماء فاخرجنا به اي بهذا الماء المنزل او
بهذا البلد من كل الثمرات يحتمل ان يكون من للتبعيض ويحتمل ان يكون لتبيين الجنس كذلك نخرج الموتى اي كما اخرجنا الثمرات كذلك نخرج الموتى اي نحييها بعد موتها لعلكم تذكرون
اي لكي تتذكروا وتتفكروا وتعتبروا بان من قدر على انشاء الاشجار والثمار في البلد الذي لا ماء فيه ولا زرع بريح يرسلها فانه يقدر على احياء الاموات باعادتها الى
ما كانت عليه وخلق الحياة والقدرة فيها واستدل ابو القاسم البلخي بهذه الاية على ان كثيرا من الاشياء يكون بالطبع قال لان الله تعالى بين انه يخرج الثمرات بالماء الذي ينزله من السماء
ثم قال [illegible] ان ننكر ذلك وانما ننكر قول من يقول بقدم الطبائع واما من قال ان الله تعالى هو الفاعل لهذه الاشياء [illegible] تارة
مخترعة بلا وسائط وتارة يفعلها بوسائط فلا كراهة في ذلك كما نقول في السبب والمسبب وانكر عليه هذا القول اكثر اهل العدل وقالوا ان الله سبحانه اجرى العادة
باخراج النبات عند انزال المطر مع قدرته على انشائه من غير ذلك من غير طريق يقتضيه الحكمة من وجوه المصالح الدينية والدنيوية ثم بين سبحانه حال الارض التي ياتيها المطر فقال والبلد
الطيب معناه والارض الطيبة التراب يخرج نباته اي زروعه خروجا حسنا ناميا زاكيا من غير كد ولا عناء باذن ربه بامر الله تعالى وانما قال باذن ربه ليكون ادل
على العظمة ونفوذ الارادة من غير تعب ولا نصب والذي خبث لا يخرج الا نكدا اي والارض السبخة التي خبث ترابها لا يخرج ريعها الا شيئا قليلا لا ينتفع به
ومعناه الا عسرا ممتنعا عن الخروج ولو اراد سبحانه ان يخرج من الارض النكدة كما يخرج من الارض الطيبة لامكنه الا انه اجرى العادة باخراجه من الارض الطيبة
باعثا للانسان على طلب الخير من مظانه ودالا على وجوب الاجتهاد في الطاعات فاذا حمله على ابتغاء [illegible] الخير الذي لا يدوم [illegible]
الدائم الذي لا يفنى ولا يبيد بالاعمال الصالحة اولى كذلك نصرف الايات اي كذلك نبين الدلالات المختلفة لقوم يشكرون معناه كما بينا هذا المثل [illegible]

وقيل كما صرفنا الايات لكم بالاتيان باية بعد اية وحجة بعد حجة اخرى نصرفها لقوم يشكرون الله على انعامه عليهم ومن انعامه عليهم هدايته اياهم لما فيه نجاتهم
ومصيرهم سبيل اهل الضلالة [illegible] وروي عن ابن عباس ومجاهد والحسن ان هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر فاخبر بان الارض
كلها جنس واحد الا انها تطيب بالمطر فيخرج نباتها ويكثر ريعها ومنها سبخة لا تنبت شيئا وان انبتت فلا منفعة فيه وكذلك القلوب كلها لحم ودم ثم منها
لين يقبل الوعظ ومنها قاس جاف لا يقبل الوعظ فليشكر الله تعالى من لان قلبه لذكره **قوله تعالى** لقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله
ما لكم من اله غيره اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم قال الملا من قومه انا لنراك في ضلال مبين قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم
رسالات ربي وانا لكم ناصح امين او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون فكذبوه فانجيناه والذين معه في الفلك و
اغرقنا الذين كذبوا باياتنا انهم كانوا قوما عمين ايات **القراءة** قرا ابو جعفر والكسائي من اله غيره بخفض الراء حيث وقع والباقون بالرفع
وقرا ابو عمرو وحده ابلغكم بتخفيف اللام والباقون بتشديدها **الحجة** قال ابو علي وجه قراءة من جر جعل غيره صفة لاله مستقرا ومن جعله غير مستقر
اضمر الخبر والخبر الكون في الوجود في العالم او نحو ذلك لا بد من هذا الاضمار اذا لم يكن مستقرا لان الصفة والموصوف لا يستقل بهما كلام وحجة من
رفع قوله ما من اله الا الله فكما ان قوله الا الله بدل من اله كذلك قوله غيره يكون بدلا من قوله من اله وغيره يكون بمنزلة الاسم الذي بعد الا وهذا الذي
ذكرناه اولى ان يحمل عليه من ان يجعل غيره صفة لاله على الموضع [illegible] ان يكون الا الله صفة لقوله من اله على الموضع كما كان قوله لو كان فيهما الهة
الا الله صفة لالهة قيل الا انه يكون استثناء معرفة والاكثر ان يكون صفة فما جعلته صفة على الشيء بعينه فاذا كان الاستثناء اولى جعلنا هل
هل من خالق غير الله على الاستثناء من المنفي في المعنى لان قوله هل من خالق غير الله بمنزلة ما من خالق غير الله ولا بد من اضمار الخبر كانه ما من خالق للعالم
غير الله ويقوي ذلك لا اله الا الله هذا استثناء من منفي مثل لا احد في الدار الا زيد واما قراءة حمزة والكسائي هل من خالق غير الله فعلى ان جعله صفة للخالق واضمر
الخبر كما تقدم والباقون جعلوه استثناء بدلا من المنفي وهو الاولى لما تقدم من الاستشهاد عليه من قوله وما من اله الا الله واما ابلغكم فالقول فيه ان بلغ
يتعدى الى مفعول [illegible] فاذا نقلته تعدى الى مفعولين فالنقل يكون بالهمزة وبتضعيف العين وكلا الامرين جاء به التنزيل قال سبحانه يا ايها الرسول
بلغ ما انزل اليك [illegible] رسالته وقال فان تولوا فقد ابلغتكم وليعلم ان قد ابلغوا **اللغة** الملا الجماعة من الرجال خاصة ومثله القوم والنفر و
الرهط [illegible] وسموا بذلك لانهم يملأون المحافل والقوم الجمع الذي يقوم بالامر [illegible] والابلاغ ايصال ما فيه بيان وافهام ومنه البلاغة وهو ايصال
المعنى الى النفس باحسن صورة من اللفظ والبليغ الذي يأتي بالبلاغة لا الذي يأتي بها على وجه الحكاية والفرق بين الابلاغ والاداء ان الاداء ايصال الشيء على الوجه
الذي يجب فيه ومنه فلان ادى الدين اداء وفلان يحسن الاداء [illegible] والرسالات جمع رسالة وهي جملة من البيان يحملها القائم
ليؤديها الى غيره [illegible] على الواحد وعلى الجمع واصله الالوك مشتق من قولهم [illegible]
استداره ومنه المألك والمألكة **الاعراب** حذف ياء الاضافة من قوله يا قوم [illegible] حتى يحذف للترخيم فلما جاز ان يحذف في غير النداء للاجتزاء بالكسرة منها
يحذف فيه لاجتماع الشيئين [illegible] حذف النون لاجتماع [illegible] ويجوز الاجماع في غير القرآن لانه الاصل وكذلك [illegible] فلا يجوز الا اثبات
النون لانه لم يعرض فيه علة الحذف واما [illegible] الوجهان لانه قريب من النون [illegible] رسول من رب العالمين من لابتداء الغاية اي هو ابتداء بالرسالة وكذلك ابتدأ
[illegible] من يكون لابتداء الغاية **المعنى** لما بين الله سبحانه الادلة على وحدانيته ذكر بعده حال من عاند وكذب رسله تسلية للنبي صلى الله عليه وآله
وتثبيتا [illegible] احتمال الاذى من قومه وتحذيرا لهم من الاقتداء باولئك فيحل بهم ما حل بهم فابتدأ بقصة نوح فقال لقد ارسلنا نوحا الى قومه اللام للقسم وتأكيد
الكلام وتقديره حقا اقول انا ارسلنا نوحا الى قومه [illegible] الرسالة [illegible] القيام بها وهي منزلة جليلة شريفة يستحق الرسول بتقبلها اداءها والقيام بها
من التعظيم والاجلال ما لا يستحق بغيره وهو نوح بن ملك بن متوشلخ بن اخنوخ النبي وهو ادريس عليه السلام وهو اول نبي بعد ادريس وقيل انه كان نجارا وولد في العام الذي
مات فيه آدم عليه السلام قبل موت آدم في الالف الاول وبعث في الالف الثانية وهو ابن اربعمائة وقيل بعث وهو ابن خمسين سنة ولبث في قومه
الف سنة الا خمسين عاما وكان في ذلك الالف ثلاثة قرون عاشهم وعمر فيهم وكان يدعوهم ليلا ونهارا فلا يزيدهم دعاؤه الا فرارا وكان يضربه قومه
حتى يغشى عليه فاذا افاق قال اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون ثم شكاهم الى الله تعالى ففرغت له الدنيا وعاش بعد ذلك تسعين سنة وروي اكثر من ذلك
ايضا فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره اخبر سبحانه انه امرهم بعبادة الله وحده لانه لا اله غيره ولا معبود لهم سواه ثم اوعدهم على مخالفته فقال اني اخاف
عليكم عذاب يوم عظيم انما قال اخاف ولم يقطع لانه جوز ان يؤمنوا ثم ذكر سبحانه جوابهم فقال قال الملا من قومه اي الجماعة من [illegible] وقيل الاشراف والرؤساء

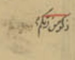
٣٥٥

الذين يلاقون الصدود وهيبة وجلالا قال الملأ من قومه انا لنراك في ضلال مبين قيل معناه رؤية القلب الذي هو العلم انا لنعلمك في ذهاب عن الحق من
ظاهر لطاعته ايانا الى ترك عبادة الاصنام وقيل معناه رؤية البصر اي نراك بابصارنا على هذه الحالة وقيل انه من الرأي الذي هو غالب الظن
فكانه قال انا لنظنك قال يا قوم ليس بي ضلالة هذا اخبار عما اجابهم به نوح عليه السلام اي ليس بي عدول عن الحق ولا ذهاب عن الصواب يقتضي ضلالة
لان معناه خرج ذلك كله ولا يجوز ان يكون معرفة لانها ليست مما يعرض لصاحبها ولكن ينفي الذهاب بجميع وبعض ولكني رسول من رب العالمين
الذي يملك كل شيء ابلغكم رسالات ربي اي اؤدي اليكم ما حملني ربي من الرسالات وانصح لكم في تبليغكم رسالاته على وجهها من غير زيادة ولا نقصان
واعلم من الله اي من صفات الله وتوحيده وعدله وحكمته ما لا تعلمون وقيل اعلم من دين الله وقيل اعلم من قدرته وسلطانه وشدة عقابه ما لا تعلمون
فالحذف محتمل وقيل انما قال ذلك لان قوم نوح عليه السلام لم يسمعوا قط ان الله تعالى يعذب قوما وقد سمعت الامم بعد ذلك من يعلم الاثر الى
هود ان جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وقال شعيب مثل ما اصاب قوم نوح اوعجبتم هذه همزة استفهام دخلت على واو العطف على جهة الانكار
فبقيت الواو مفتوحة كما كانت فالكلام مستأنف من جهة متصل من وجه ان جاءكم ذكر اي لان جاءكم بيان وقيل نبوة ورسالة من ربكم
على رجل منكم لينذركم اي على لسان رجل منكم ليخوفكم ان لم تؤمنوا وقيل ان على هنا بمعنى مع اي مع رجل منكم تعرفون مولده ومنشأه ليعلمكم موضع المخافة
وانما انكر عليهم التعجب لانه ليس في ارسال الله اليهم ليخوفهم العذاب وليدعوهم الى ما فيه صلاحهم موضع التعجب وانما العجب من اهمالهم ووجوب الرسالة اذا كان تكليفهم
مصلحة لهم وقد اقتضت الحكمة ودعا اليه العقل ولتتقوا اي ولتتقوا الشرك والمعاصي ولعلكم ترحمون اي ولكي ترجوا الرحمة ولتتقوه رجاء ان يرحمكم
فكذبوه اي فكذبوا نوحا فيما دعاهم اليه فانجيناه والذين معه في الفلك اي خلصناه والذين معه في السفينة وهم المؤمنون من عذاب الغرق واغرقنا الذين كذبوا باياتنا
اي واهلكنا الذين كذبوا بادلتنا بالماء انهم كانوا قوما عمين عن الحق اي ذاهبين عنه جاهلين به يقال رجل عم اذا كان اعمى القلب ورجل اعمى في البصر
قال زهير ولكنني عن علم ما في غد عمي **قصة نوح عليه السلام** قد ذكرنا فيه وكان من قصته ما رواه الشيخ ابو جعفر بن بابويه باسناده في كتاب
النبوة مرفوعا الى ابي عبد الله عليه السلام قال لما بعث الله عز وجل نوحا دعا قومه علانية فلما سمع عقب هبة الله من نوح تصديق ما في ايديهم من العلم وعرفوا
ان العلم الذي في ايديهم هو العلم الذي جاء به نوح صدقوه ونصروه وتابعوه واما ولد قابيل فانهم كذبوه وقالوا لو ان الجن كانوا قبلنا لبعث الله اليهم ملكا ولو اراد
ان يبعث الينا لبعث ملكا من الملائكة حنان بن سدير عن ابي عبد الله عليه السلام قال آمن مع نوح من قومه ثمانية نفر وفي حديث وهب بن منبه ان نوحا عليه السلام كان اول
نبي بعثه الله عز وجل بعد ادريس وكان الى الادمة ما هو دقيق الوجه في رأسه طول عظيم العينين دقيق الساقين طويلا جسيما دعا قومه الى الله حتى انقرضت ثلاثة
قرون منهم كل قرن ثلاثمائة سنة يدعوهم سرا وجهرا فلا يزيدهم دعاؤه الا فرارا ولا يأتي منهم قرن الا كان اعتى على الله من الذين قبلهم وكان الرجل منهم يأتي بابنه وهو
صغير فيقيمه على رأس نوح فيقول يا بني ان بقيت بعدي فلا تطيعن هذا المجنون وكانوا يثورون الى نوح فيضربونه حتى يسيل مسامعه دما وحتى لا يعقل
شيئا مما يصنع به فيحمل فيرمى به في بيت او على باب داره مغشيا عليه فاوحى الله تعالى اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فعندها اقبل على الدعاء
عليهم ولم يكن دعا عليهم قبل ذلك فقال رب لا تذر على الارض الى آخر الآية فاعقم الله تعالى اصلاب الرجال وارحام النساء فلبثوا اربعين سنة لا يولد لهم
ولد وقحطوا في تلك الاربعين سنة حتى هلكت اموالهم واصابهم الجهد والبلاء ثم قال لهم نوح عليه السلام استغفروا ربكم انه كان غفارا الآيات فاعذر اليهم
فلم يزدادوا الا كفرا فلما يئس منهم اقصر عن كلامهم ودعائهم فلم يؤمنوا وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا الآية يعنون آلهتهم التي كانوا
يعبدونها فلما كان بعد خروج نوح من السفينة وعبد الناس الاصنام سموا اصنامهم باسماء اصنام قوم نوح فاتخذ اهل اليمن يغوث ويعوق واهل دومة الجندل
صنما سموه ودا واتخذت حمير صنما سموه نسرا وهذيل صنما سموه سواعا فلم يزالوا يعبدونها حتى جاء الاسلام وسنذكر قصة السفينة والغرق في سورة هود
ان شاء الله تعالى وروى الشيخ ابو جعفر بن بابويه عن علي بن احمد بن موسى قال حدثنا محمد بن عبد الله الكوفي قال حدثنا سهل بن زياد الادمي قال حدثنا عبد العظيم
بن عبد الله الحسني قال سمعت علي بن محمد عليهما السلام يقول عاش نوح عليه السلام الفين وخمسمائة سنة وكان يوما في السفينة نائما فهبت الريح فكشفت عورته فضحك حام
ويافث فزجرهما سام ونهاهما عن الضحك وكان كلما غطى سام ما تكشفه الريح كشفه حام ويافث فانتبه نوح فرآهم يضحكون فقال ما هذا فاخبره سام بما كان فرفع
نوح يده الى السماء يدعو فقال اللهم غير ماء صلب حام حتى لا يولد له الا السودان اللهم غير ماء صلب يافث فغير ماء صلبهما فجميع السودان من صلب حام حيث كانوا
وجميع الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج والصين من يافث وجميع البيض من سواهم من سام وقال نوح عليه السلام لحام ويافث جعل الله ذريتكما
خولا لذرية سام الى يوم القيامة لانه برّ بي وعققتماني فلا زالت سمة عقوقكما في ذريتكما ظاهرة وسمة البر في ذرية سام ظاهرة ما بقيت الدنيا قال الشيخ

قصة نوح عليه السلام

ابو جعفر بن بابويه رحمه الله ذكر يافث في هذا الخبر غريب لم اروه الا من هذا الطريق وجميع الاخبار التي رويتها في هذا المعنى فيها ذكر حام وحده
وانه ضحك لما انكشفت عورة ابيه وان ساما ويافثا كانا في ناحية فبلغهما ما فعل فاقبلا ومعهما ثوب وهما معرضان والقيا عليه الثوب وهو نائم
فلما استيقظ اوحى الله عز وجل اليه ما الذي صنع حام فلعن حاما ودعا عليه وروى علي بن ابراهيم بن هاشم عن علي بن الحكم عن بعض اصحابنا عن ابي عبد الله
عليه السلام قال عاش نوح الفي سنة وخمسمائة سنة منها ثمانمائة وخمسين قبل ان يبعث والف سنة الا خمسين عاما وهو في قومه يدعوهم ومائتي
عام في عمل السفينة وخمسمائة عام بعدما نزل من السفينة ونضب الماء فمصر الامصار واسكن ولده البلدان ثم ان ملك الموت جاءه وهو في الشمس فقال
السلام عليك فرد عليه نوح وقال ما جاء بك يا ملك الموت فقال جئت لاقبض روحك فقال دعني اتحول من الشمس الى الظل فقال له نعم فتحول نوح ثم قال
يا ملك الموت كان ما مر بي من الدنيا مثل تحولي من الشمس الى الظل فامض لما امرت به قال فقبض روحه صلى الله على نبينا وعليه **قوله تعالى** والى عاد اخاهم هودا
قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون قال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنراك في سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بي سفاهة
ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح امين اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا اذ جعلكم خلفاء
من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا ان
كنت من الصادقين قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا اني معكم
من المنتظرين فانجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا باياتنا وما كانوا مؤمنين ثماني آيات **اللغة** السفاهة خفة الحلم وثوب سفيه
اذا كان خفيفا قال مؤرج السفاهة الجنون بلغة حمير والفرق بين العجب والعجب ان العجب [illegible] ما ينبغي ان يعجب منها وليس كذلك
العجب بفتح الجيم لانه قد يكون حسنا وفي المثل الآخر ... لا تعجب من العجب وان دل انه المتعجب من غير عجب وخلفاء جمع خليفة وهو الكائن بدل
غيره ليقوم مقامه في تدبيره وهذا الجمع على التذكير لا على اللفظ مثل ظريف وظرفاء ويجوز ان يجمع على خلائف على اللفظ مثل ظريفة وظرائف والآلاء النعم
واحدها ألي على وزن معى وإلى مثل قفا وإلي مثل ... قال الاعشى ابيض لا يرهب الهزال ولا يقطع رحما ولا يخون إلا وقال
اراد بقوله إلا ... وهو الإل ايضا القرابة والعهد والمعقود على الشيء والرجس العذاب وقيل هو الرجز قلبت الزاي سينا كما قيل في قول
الشاعر الا لحى الله بني السعلاة عمرو بن يربوع شرار النات ليسوا اعفاء ولا اكيات يريد الناس واكياس **الاعراب** انتصب اخاهم هودا بفعل ارسلنا
في اول الكلام لان تفصيل القصص يقتضي ذلك والتقدير وارسلنا الى عاد اخاهم هودا ويعرف هذا بالحذف كما حذفت جمل كثيرة يا قوم موضع قوم نصب لانه
نداء مضاف ولو وصفته لم يجز في وصفه الا النصب قوله ولكني رسول استدراك لان بمعنى ما ذكرنا [illegible] ولكن دعا الى الله
المعنى ثم عطف سبحانه على قصة نوح قصة هود عليه السلام فقال والى عاد اخاهم وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح اخاهم يعني في النسب لا في الدين
هودا وهو هود بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح عن محمد بن اسحق وقيل هو هود بن عبد الله بن رباح بن حلوث بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عن غيره
وكذا هو في كتاب النبوة وانما قال اخاهم لانه ابلغ في الحجة عليهم اذ الحجة اليهم من هو منهم ليكونوا اليه اسكن وبه آنس وعنه افهم قال يا هودا يا
قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد مر تفسيره افلا تتقون استفهام يراد به التقرير قال الملأ الذين كفروا من قومه قد مر تفسيره انا لنراك يا هود في سفاهة اي جهالة
ومعناه نراك سفيها الا انه قال في سفاهة حمل اللفظ على ان السفه في سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين اي كذابا فيما تدعيه من الرسالة الزجاج
وقيل ان المراد بالظن هنا العلم كما في قول الشاعر ... وقيل المراد هنا الظن ... قال يا قوم ليس بي سفاهة اي لم يحملني على هذا
السفاهة وهذا تعليم من رب العالمين بان لا يقابل السفاهة بالكلام القبيح ولا يقتصر الا على نفي ما اضافوا اليه ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي
انما قال رسالات وفيما تقدم ابلغ لان الرسالة تضمنت لاشياء كثيرة من الامر والنهي والترغيب والترهيب والوعد والوعيد وغير ذلك فان قيل لم يقل قد عليها
وما قال رسالة ربي بلفظ الواحد ان لفظة مشتملة على هذه الاشياء بطريق الاجمال وانا لكم ناصح فيما ادعوكم اليه من طاعة الله وتوحيده امين اي ثقة مأمون في
تأدية الرسالة فلا اكذب ولا اغير عن الضحاك والجبائي وقيل معناه كنت مأمونا فيكم فكيف تكذبوني عن الكلبي اوعجبتم ان جاءكم ذكر اي لا تعجبوا ان جاءكم نبوة وقيل
حجة وبيان على رجل منكم في النسب خاصة وقيل ان معناه كيف تتعجبون من نبوة رجل منكم ولا تتعجبون من عبادة حجر لينذركم ليخوفكم واذكروا اذ جعلكم خلفاء
من بعد قوم نوح وعلاكم بالعبادة وزادكم في الخلق بسطة اي طولا وقوة عن ابن عباس ومجاهد قال الكلبي كان اطولهم مائة ذراع واقصرهم ستين ذراعا وقيل
كان اقصرهم اثنا عشر ذراعا وقال ابو جعفر الباقر عليه السلام كانوا كانهم النخل الطوال وكان الرجل منهم يأتي الجبل بيده فيهدم منه قطعة وقيل معناه وزادكم في خلقكم

٣٥٦



ذكر من ربكم

نبلة فكانوا اطول من غيرهم بمقدار ان يمد الانسان يده فوق رأسه باسطا فاذكروا آلاء الله اي نعم الله لعلكم تفلحون اي لكي تفوزوا بنعم الدنيا والآخرة
قالوا يا هود اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا من الاصنام فأتنا بما تعدنا من العذاب ان كنت من الصادقين في انك
رسول الله الينا وفي نزول العذاب بنا لو لم نترك عبادة الاصنام قال هود لقومه جوابا عما قالوا قد وقع عليكم اي وجب عليكم وحل بكم لا محالة فهو
كالواقع من ربكم رجس اي عذاب وغضب والغضب من الله ارادة العقاب لمستحقه ومثله اتجادلونني في اسماء اي في اشياء وتخاصمونني في اسماء
سميتموها انتم وآباؤكم اي في اصنام صنعتموها انتم وآباؤكم واخترعتم لها اسماء سميتموها آلهة وما فيها من معنى الالهية شيء وقيل معناه تسميتهم
لبعضها انه يسقيهم المطر والآخر انه يأتيهم بالرزق والآخر انه يشفي المرضى والآخر انه يصحبهم في السفر ما نزل الله بها من سلطان اي حجة وبرهان وبينة وعليكم الحجة
بما ادعيتم وحجتم وليس على الحكم بالبينة على ما تعبدون من دون الله بل ذلكم عليكم وعلى ابائكم بطلانه مبين ان الله تعالى هو المعبود ولا معبود سواه
واني رسوله فانتظروا عذاب الله انه نازل بكم اني معكم من المنتظرين لنزوله بكم عن الحس والعيان والمفسرين فانجيناه والذين معه برحمة منا اي خلصنا
هودا والذين كانوا آمنوا معه من العذاب باخراجنا اياهم من بينهم قبل نزول العذاب بهم وقطعنا دابر القوم الذين كذبوا بآياتنا اي واستأصلنا الذين
كذبوا بحججنا بعذاب الاستيصال فلم يبق لهم نسل ولا ذرية وما كانوا مؤمنين بالله ورسوله وانما قال ذلك ليبين انه كان في المعلوم من حالهم انه لو ابقاهم
ما كانوا ليؤمنوا كما قال في موضع آخر ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا وفي هذه الآية دلالة ان
قوم هود استؤصلوا فاذ عقبهم **قصة هود** جملة ما ذكره السدي ومحمد بن اسحق وغيرهما من المفسرين في قصة هود ان عادا كانوا ينزلون اليمن وكانت مساكنهم
منها بالشحر والاحقاف وهي رمال يقال لها رمل عالج والدهناء ويبرين ما بين عمان الى حضرموت وكانت لهم زروع ونخل ولهم اعمار طويلة واجساد عظيمة وكانوا اصحاب
اصنام يعبدونها فبعث الله تعالى اليهم هودا نبيا وكان من اوسطهم نسبا وافضلهم حسبا فدعاهم الى التوحيد وخلع الانداد فابوا عليه وكذبوه وآذوه فامسك
الله عنهم المطر سبع سنين وقيل ثلاث سنين حتى قحطوا وكان الناس في ذلك الزمان اذا نزل بهم بلاء او جهد التجأوا الى بيت الله الحرام بمكة مسلمهم وكافرهم
واهل مكة يومئذ العماليق من ولد عمليق بن لاود بن سام بن نوح وكان سيد العماليق اذ ذاك بمكة رجلا يقال له معاوية بن بكر وكانت امه من عاد وبعث الى مكة
ليستسقوا لهم فنزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا من الحرم فاكرمهم وانزلهم واقاموا عنده شهرا يشربون الخمر فلما رأى معاوية طول مقامهم وقد
بعثهم يتغوثون من البلاء الذي نزل بهم شق ذلك عليه وقال هلك اخوالي وهؤلاء مقيمون عندي وهم ضيفي استحيي ان آمرهم بالخروج الى ما بعثوا اليه و
شكا ذلك الى قينتين كانتا تغنيانهم وهما الجرادتان فقالتا قل شعرا نغنيهم به لا يدرون من قاله فقال معاوية بن بكر الا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يسقينا
غماما فيسقي ارض عاد ان عادا قد امسوا ما يبينون الكلاما وان الوحش تأتيهم جهارا ولا تخشى لعادي سهاما وانتم هاهنا فيما اشتهيتم نهاركم وليلكم التماما فقبح
وفدكم من وفد قوم ولا لقوا التحية والسلاما فلما غنتهم الجرادتان بهذا قال بعضهم لبعض انما بعثكم قومكم يتغوثون بكم من هذا البلاء فادخلوا هذا الحرم واستسقوا
لهم فقال رجل منهم قد آمن بهود سرا والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم سقيتم فزجروه وخرجوا الى مكة يستسقون لعاد وكان قيل بن عنز يقول
وعاد يقولون اللهم ان كان هود صادقا فاسقنا فانا قد هلكنا فانشأ الله تعالى سحابا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك
فاختار السحابة السوداء التي فيها العذاب فساق الله سبحانه تلك السحابة بما فيها من النقمة الى عاد فلما رأوها استبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا قال الله
عز وجل بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم تدمر كل شيء فسخرها الله تعالى عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما اي دائمة فلم تدع من عاد احدا الا هلك واعتزل هود ومن معه من
المؤمنين في حظيرة ما يصيبه ومن معه الا ما يلين على الجلود وتلذ الانفس وانها لتمر من عاد بالظعن ما بين السماء الى الارض وتدمغهم بالحجارة فاهلكهم الله وروى ابو حمزة
الثمالي عن سالم عن ابي جعفر عليه السلام قال ان لله تعالى ريح يقال لها العقيم لو ارسلت لاذرت ما بين السماء والارض وما ارسل على قوم عاد الا قدر الخاتم وكان هود وصالح و
شعيب واسمعيل ونبينا صلى الله عليه وآله يتكلمون بالعربية **قوله تعالى** والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة
من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في ارض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب اليم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم
في الارض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن
منهم أتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوا انا بما ارسل به مؤمنون قال الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون فعقروا الناقة وعتوا عن امر ربهم
وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي
ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين سبع آيات **القراءة** قرأ ابن عامر وحده وقال الملأ باثبات الواو والباقون بغير واو **الحجة** قد تقدم القول

قصة هود عليه السلام

الآلاء

في نحوه في الواو واثباتها حسن وحذفها حسن **اللغة** البينة العلامة الفاصلة بين الحق والباطل من جهة شهادتها وايضاحها والناقة اصلها من التنوق
والتذليل قالوا بعير منوق اي مذلل موطأ وتنوق في العمل جوده والآية والعبرة والدلالة والعلامة نظائر والتبوئة التمكين من المنازل يقال تبوأ منزلا
اذا امكنه ليأوي اليه واصله من الرجوع قال الشاعر وبوئت في صميم معشرها فتم في قومها مبوأها اي اثوت ومكنت والقصور جمع قصر وهو الدار التي
لها سور يكون به مقصورة واصل القصر الحبس الذي هو الحبس على منزله دون منزله ومنه القصر لانه دون غيره والقصر الغاية ومنه قصرك الموت والعثي اشد الفساد
يقال عثى يعثى وعاث يعيث بمعنى والعقر الجرح الذي يأتي على اصل النفس وهو من عقر الحوض اصله قال امرؤ القيس اذا الحوض ... والعتو تجاوز الحد
في الفساد والرجفة الاضطراب يقال رجف بهم السقف يرجف رجوفا اذا اضطرب من تحتهم وارجف الناس بالشيء اذا خاضوا فيه واضطربوا والجثوم
البروك على الركبة يقال جثم يجثم جثوما قال جرير عرفت المنتأى وعرفت منها مطايا القدر كالحدأ الجثوم **الاعراب** ثمود جاء مصروفا وغير مصروف فمن صرفه
جعله اسم حي مذكر ومن ترك صرفه جعله اسم القبيلة كما قال الا ان ثمودا كفروا ربهم الا بعدا لثمود فصرف الاول ولم يصرف الثاني آية منصوب على الحال
لان معنى قوله هذه ناقة الله انظروا الى هذه الناقة آية اي علامة وتأكل في موضع نصب على الحال اي آكلة ومفسدين نصب على الحال وقوله لمن آمن منهم
موضعه نصب بدل من قوله للذين استضعفوا باعادة العامل من اللام الا انه اعيد فيه حرف الجر وقوله يا صالح ائتنا وصله همزة وان بدأت به لم تهمز
بل تقول ايتنا وانما كان كذلك لان اصله ائتنا بهمزتين فكرهوا اجتماعهما فقلبوا الثانية ياء لكسرة ما قبلها واذا وصل سقط همزة الوصل فظهرت الاصل
المعنى ثم عطف سبحانه على ما تقدم قصة صالح فقال والى ثمود اخاهم صالحا اي وارسلنا الى ثمود وثمود هنا القبيلة وهو ثمود بن عاثر بن ارم بن نوح
وصالح من ولد ثمود قال يا قوم اعبدوا الله وحده ما لكم من اله غيره فتعبدوه قد جاءتكم بينة من ربكم اي دلالة معجزة شاهدة على صدقي هذه
ناقة الله لكم آية اشار الى ناقة بعينها اضافها الى الله سبحانه تفضيلا وتخصيصا نحو بيت الله وقيل انما اضافها اليه لانه خلقها بلا واسطة وجعلها
دلالة على توحيده وصدق رسوله لانها خرجت من صخرة ملساء تمخضت بها كما تمخض المرأة ثم انفلقت عنها على الصفة التي طلبوها وكان لها
شرب يوم تشرب فيه ماء الوادي كله وتسقيهم اللبن بدله ولهم شرب يوم يخصهم لا تقرب فيه ماءهم عن السدي وابن اسحق وجماعة وقيل انما اضافها
الى الله لانه لم يكن لها مالك سواه تعالى عن الجبائي قال الحسن كانت ناقة من النوق وكان وجه الاعجاز فيها انها كانت تشرب ماء الوادي كله في يوم على
ما شرحنا فذروها اي اتركوها تأكل في ارض الله ولا تمسوها بسوء اي بعقر ونحر فيأخذكم اي فيأخذكم عذاب اليم اي مؤلم واذكروا اذ جعلكم خلفاء
من بعد عاد اي واذكروا نعم الله تعالى عليكم في ان اورثكم الارض ومكنكم فيها من بعد عاد وبوأكم في الارض اي انزلكم فيها وجعل لكم فيها مساكن وبيوتا
تأوون اليها تتخذون من سهولها قصورا والسهل خلاف الجبل وهو ما ليس فيه مشقة على النفس اي تبنون في سهولها الدور والقصور وانما اتخذوها
في السهول ليصيفوا فيها وتنحتون الجبال بيوتا قال ابن عباس كانوا يبنون القصور بكل موضع ويتخذون من الجبال بيوتا ليكون مساكنهم في الشتاء
احصن وادفأ وروي انهم لطول اعمارهم يحتاجون الى ان ينحتوا بيوتا في الجبال لان السقوف والابنية كانت تبلى قبل فناء اعمارهم فاذكروا آلاء الله اي نعم الله عليكم
بما اعطاكم من القوة وطول العمر والتمكن في الارض ولا تعثوا في الارض مفسدين اي ولا تضطربوا بالفساد في الارض ولا تبالغوا فيه قال الملأ الذين استكبروا
اي تكبروا ورفعوا انفسهم فوق مقدارها بجحود الحق لاجل اتباع الرئيس الاعلى من قومه اي من قوم صالح للذين استضعفوا اي للذين استضعفوهم من المؤمنين لمن آمن منهم
انما ذكره ليكون المستضعفين انهم كانوا مؤمنين لانه يكون المستضعف مستضعفا في دينه ولا يكون مؤمنا فازال سبحانه هذه الشبهة أتعلمون ان صالحا
مرسل من ربه اي هل تعلمون ان الله سبحانه ارسل صالحا قالوا انا بما ارسل به مؤمنون اي مصدقون قال الذين استكبروا حين جمعوا بين الايمان والاقرار بنبوة
صالح انا بالذي آمنتم به اي صدقتم به كافرون جاحدون ثم اخبر سبحانه عما فعله المستكبرون بقوله فعقروا الناقة اي نحروا الناقة قال الازهري العقر عند العرب
قطع عرقوب البعير ثم جعل النحر عقرا لان ناحر البعير يعقره ثم ينحره وعتوا عن امر ربهم اي تجاوزوا الحد في الفساد في المعصية وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا من
العذاب على قتل الناقة ان كنت من المرسلين ثم اخبر سبحانه بما حل بهم من العذاب بقوله فاخذتهم الرجفة اي الصيحة عن مجاهد والسدي وقيل
الصاعقة وقيل الزلزلة اهلكوا بها عن ابي مسلم وقيل كانت صيحة زلزلت بها الارض واصل الرجفة الحركة المزعجة بشدة الزعزعة فاصبحوا في دارهم
اي في بلدهم ولذلك وحد وقيل في ديارهم فلما وحد لانه اراد الجنس كقوله ان الانسان لفي خسر وقد ذكر في موضع آخر في ديارهم بالجمع جاثمين
اي صرعى ميتين ساقطين لا حركة بهم وقيل كالرماد الجاثم لانهم احترقوا بالصاعقة فتولى عنهم صالح اي اعرض عنهم لانه لما كان يقبل عليهم لدعائهم الى الايمان وقال
يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم اي اديت النصح بتبليغ الرسالة ولكن لا تحبون الناصحين اي ولكنكم لا تحبون من نصح لكم لان من احب قبل منه

٣٥٧

استضعفوا

قصة صالح عليه السلام

قصة صالح ع‍م وكان من قصة صالح وقومه على ما ذكره اصحاب التواريخ ان عادا لما هلكت وتقضى امرها عمرت ثمود بعدها واستخلفوا في الارض
وكثروا وعمروا وكانوا في سعة من معايشهم فعتوا على الله وافسدوا في الارض وعبدوا غير الله فبعث الله اليهم صالحا وكان من اوسطهم نسبا و
كانوا قوما عربا وروي عن الحسن انه لما بعث كان ابن ستة عشر سنة فلبث فيهم يدعوهم الى الله تعالى حتى بلغ عشرين ومائة سنة لا يجيبونه الى خير
وكان لهم سبعون صنما يعبدونها فلما راى ذلك منهم قال لهم انا اعرض عليكم امرين ان شئتم فاسألوني حتى اسأل الهي فيجيبكم فيما تسألون وان شئتم
سألت آلهتكم فان اجابوا خرجت عنكم فقد شنئتكم وشنئتموني فقالوا انصفت فاتعدوا اليوم يخرجون فيه فخرجوا باصنامهم الى عيدهم فاكلوا وشربوا
فلما فرغوا دعوه فقالوا يا صالح سل فسألها فلم تجبه فقال لا ارى آلهتكم تجيبني فاسألوني حتى اسأل الهي فيجيبكم الساعة فقالوا يا صالح اخرج لنا من هذه
الصخرة اشاروا الى صخرة منفردة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة ما شاكل البخت من الابل فان فعلت صدقناك وآمنا بك فسأل الله تعالى ذلك
صالح فانصدعت الصخرة صدعا كادت عقولهم تطير منه ثم اضطربت كالمرأة يأخذها الطلق ثم انصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم
ما بين جنبيها عظما الا الله وهم ينظرون ثم نتجت سقبا مثلها في العظم فآمن به رهط من قومه ولم يؤمن اكابرهم فقال لهم صالح هذه ناقة لها شرب ولكم شرب
يوم معلوم وقد تقدم ذلك قيل يومها وضعت راسها في مائهم فما ترفعه حتى تشرب ماءهم ثم ترفع راسها فيفحج لهم فيحتلبون ما شاؤوا من لبن فيشربون ويدخرون حتى يملؤوا
اوانيهم كلها قال الحسن بن محبوب حدثني رجل من اصحابنا يقال له سعيد بن يزيد قال اتيت ارض ثمود فذرعت مصدر الناقة بين الجبلين ورأيت اثر جنبيها في الجبلين
ثمانين ذراعا وكانت تصدر من غير الفج الذي منه وردت لا تقدر على ان تصدر من حيث ترد يضيق عليها فكانوا في سعة ودعة منها وكانوا يشربون الماء
يوم الناقة من الجبال والمغارات فشق ذلك عليهم وكانت مواشيهم تنفر منها لعظمها فهموا بقتلها قالوا وكانت امرأة جميلة يقال لها صدوق ذات مال من ابل وبقر
وغنم وكانت اشد الناس عداوة لصالح فدعت رجلا من ثمود يقال له مصدع بن مهرج وجعلت له نفسها على ان يعقر الناقة وامرأة اخرى يقال لها عنيزة دعت قدار بن
سالف وكان احمر ازرق قصيرا وكان ولد زنا ولم يكن لسالف الذي يدعى اليه ولكنه ولد على فراشه وقالت له اعطيك اي بناتي شئت على ان تعقر الناقة وكان قدار عزيزا منيعا
في قومه فانطلق قدار بن سالف ومصدع فاستغويا غواة ثمود فاتبعهم سبعة نفر واجمعوا على عقر الناقة قال السدي اوحى الله تعالى الى صالح ان قومك
سيعقرون ناقتك فقال ذلك لقومه فقالوا ما كنا نفعل قال صالح انه سيولد في شهركم هذا غلام يعقرها ويكون هلاككم على يديه فقالوا لا يولد لنا ابن في هذا
الشهر الا قتلناه فولد لتسعة منهم في ذلك الشهر فذبحوا ابناءهم ثم ولد للعاشر فابى ان يذبح ابنه وكان لم يولد له قبل ذلك شيء وكان ابن العاشر ازرق احمر فنبت نباتا
سريعا فكان اذا مر بالتسعة فرأوه قالوا لو كان ابناؤنا احياء لكانوا مثل هذا فغضب التسعة على صالح لانه كان سبب قتلهم ابناءهم فتقاسموا بالله لنبيتنه واهله
قالوا نخرج فيرى الناس انا قد خرجنا الى سفر فنأتي الغار فنكون فيه حتى اذا كان الليل وخرج صالح الى مسجده اتيناه فقتلناه ثم رجعنا الى الغار فكنا فيه ثم رجعنا
فقلنا ما شهدنا مهلك اهله وانا لصادقون فيصدقوننا يعلمون انا قد خرجنا الى سفر وكان صالح لا ينام معهم في القرية وكان يبيت في مسجد يقال له مسجد صالح
فاذا اصبح اتاهم فوعظهم واذا امسى خرج الى المسجد فبات فيه فانطلقوا فلما دخلوا الغار وارادوا ان يخرجوا من الليل سقط عليهم الغار فقتلهم فانطلق رجال ممن قد
اطلع على ذلك منهم فاذا هم رضخ فرجعوا وجعلوا يصيحون في القرية اي عباد الله اما رضي صالح ان امرهم بقتل اولادهم اذ قتلهم فاجتمع اهل القرية على عقر الناقة وقال ابن اسحق
انما كان تقاسم التسعة على صالح بعد عقر الناقة وانذار صالح اياهم بالعذاب قال السدي ولما ولد قدار وكبر جلس مع اناس يصيبون من الشراب فارادوا ماء يمزجون
شرابهم وكان ذلك اليوم شرب الناقة فوجدوا الماء قد شربته الناقة فاشتد ذلك عليهم فقال قدار هل لكم في ان اعقرها لكم قالوا نعم وقال كعب كان سبب عقرهم الناقة ان
امرأة يقال لها ملكا كانت قد ملكت ثمود فلما اقبل الناس على صالح وصارت الرياسة اليه حسدته فقالت لامرأة يقال لها قطام وكانت معشوقة قدار بن سالف ولامرأة اخرى
يقال لها قبال كانت معشوقة مصدع وكان قدار ومصدع يجتمعان معهما كل ليلة ويشربون الخمر فقالت لهما ملكا ان اتاكما الليلة قدار ومصدع فلا تطيعاهما وقولا لهما ان
ملكا حزينة لاجل الناقة ولاجل صالح فنحن لا نطيعكما حتى تعقرا الناقة فلما اتياهما قالتا هذه المقالة لهما فقالا نحن نكون من وراء عقرها قالوا فانطلق قدار ومصدع
واصحابهما السبعة فرصدوا الناقة حين صدرت من الماء وقد كمن لها قدار في اصل صخرة على طريقها وكمن لها مصدع في اصل اخرى فمرت على مصدع فرماها بسهم فانتظم به عضلة
ساقها وخرجت عنيزة وامرت ابنتها وكانت احسن الناس فاسفرت لقدار ثم دمرته فشد على الناقة بالسيف فكشف عرقوبها فخرت ورغت رغاة واحدة تحذر سقبها
ثم طعن في لبتها فنحرها وخرج اهل البلدة واقتسموا لحمها وطبخوه فلما راى الفصيل ما فعل بامه ولى هاربا حتى صعد جبلا ثم رغا رغاء تقطع منه قلوب القوم واقبل صالح فخرجوا يعتذرون
اليه انما عقرها فلان ولا ذنب لنا فقال صالح انظروا هل تدركون فصيلها فان ادركتموه فعسى ان يرفع عنكم العذاب فخرجوا يطلبونه في الجبل فلم يجدوه وكانوا
عقروا الناقة ليلة الاربعاء فقال لهم صالح تمتعوا في داركم يعني في محلتكم في الدنيا ثلاثة ايام فان العذاب نازل بكم ثم قال يا قوم انكم تصبحون غدا ووجوهكم مصفرة

فاليوم

واليوم الثاني وجوهكم محمرة واليوم الثالث وجوهكم مسودة فلما كان اول يوم اصبحت وجوههم مصفرة فقالوا جاءكم ما قال صالح ولما كان اليوم الثاني
احمرت وجوههم واليوم الثالث اسودت وجوههم فلما كان نصف الليل اتاهم جبرئيل فصرخ بهم صرخة خرقت اسماعهم وفلقت قلوبهم وصدعت اكبادهم وقد
تحنطوا وتكفنوا وعلموا ان العذاب نازل بهم فماتوا اجمعين في طرفة عين صغيرهم وكبيرهم فلم يبق الله منهم ثاغية ولا راغية ولا شيئا يتنفس الا اهلكها فاصبحوا في ديارهم
موتى ثم ارسل الله اليهم مع الصيحة النار من السماء فاحرقتهم اجمعين فهذه قصتهم وفي كتاب علي بن ابراهيم فبعث الله عليهم صيحة وزلزلة فهلكوا وروى الثعلبي باسناده
مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وآله قال يا علي اتدري من اشقى الاولين قال قلت الله ورسوله اعلم قال عاقر الناقة قال اتدري من اشقى الاخرين قال قلت الله ورسوله اعلم قال
قاتلك وفي رواية اخرى قال اشقى الاخرين من يخضب هذه من هذا واشار الى لحيته وراسه وروى ابو الزبير عن جابر بن عبد الله قال لما مر النبي صلى الله عليه وآله بالحجر في
غزوة تبوك قال لا يدخلن احد منكم القرية ولا تشربوا من مائهم ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم الذي اصابهم ثم قال اما بعد فلا تسألوا
نبيكم الآيات هؤلاء قوم صالح سألوا نبيهم ان يبعث الله لهم الناقة وكانت ترد من هذا الفج فتشرب ماءهم يوم ورودها ومن ثم الفصيل حين ادركوا الناقة فعتوا عن امر ربهم
فعقروها فاهلك الله من تحت اديم السماء منهم في مشارق الارض ومغاربها الا رجلا واحدا يقال له ابو رغال وهو ابو ثقيف كان في حرم الله فمنعه حرم الله
من عذاب الله فلما خرج اصابه ما اصاب قومه فدفن ودفن معه غصن من ذهب واراهم قبر ابي رغال فنزل القوم وابتدروه باسيافهم وحثوا عنه فاستخرجوا ذلك
الغصن ثم قنع رسول الله صلى الله عليه وآله راسه واسرع السير حتى جاز الوادي **قوله تعالى** ولوطا اذ قال لقومه اتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين
انكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم مسرفون وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم انهم اناس يتطهرون فانجيناه واهله
الا امرأته كانت من الغابرين وامطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين آيات **القراءة** قرأ اهل المدينة وحفص وسهل انكم لتأتون وكذلك مذهبهم في
الاستفهامين يجتمعان يكتفون بالاستفهام الاول من الثاني في كل القرآن وهو مذهب الكسائي الا في قصة لوط والباقون يهمزون الثانية مكسورة ويخففها
اهل الكوفة الا حفصا ويفصل بينهما بالف ابن كثير وابو عمرو ورويس يخففون الاولى ويلينون الثانية الا ان ابا عمرو يفصل بينهما بالف **الحجة** قال ابو علي كل واحد
من الاستفهامين جملة مستقلة لا تحتاج في تمامها الى شيء فمن الحق حرف الاستفهام فقطعه من الجملة الى الاخبار ومن الحقها بما قبل الجزء اذا كان كذلك فمن قرأ
انكم لتأتون الرجال جعله تفسيرا للفاحشة كما ان قوله للذكر مثل حظ الانثيين تفسير للوصية **اللغة** قال الزجاج لوط اسم غير مشتق لانه اعجمي ليس من العرب وكذلك
ذلك لانه لم يات الاصل في اسماء الانبياء وقيل انه من لطت الحوض اذا الزقت عليه الطين وملسته به ويقال هذا الوط بقلبي من ذلك اي الصق والليط القشر للصوقه بما
اتصل به والشهوة مطالبة النفس بفعل ما فيه اللذة وليس كالارادة لانها تدعو الى الفعل من جهة الحكمة والشهوة ضرورية فيها من فعل الله تعالى والارادة من فعلنا
يقال اشتهى شهوة قال واشعب يشتهي النعم قلت له اذ تخلى اذا ما النجوم اعرضت واسبكرت فقام عجلا يدلو ان يشبه يقال له حدها يكتنك حرث والاسراف الخروج
عن حد الحق الى الفساد والغابر الباقي قال الاعشى عض بما ابقى المواسي له من امه في الزمن الغابر **الاعراب** انما صرف لوط لخفته لكونه على ثلاثة احرف ساكن الاوسط
فقامت الخفة احد السببين ويجوز في قوله جواب قومه الرفع الا ان الاجود النصب وعليه القراءة شهوة مصدر وضع موضع الحال وقوله الا امرأته
استثناء متصل لانه لا يجوز ان تدخل الزوجة في الاهل على التغليب في الجملة دون التفصيل ولم يقل من الغابرات لانه اراد انها بقيت مع الرجال
ومطرا مصدر ذكر للتأكيد كقولهم ضربته ضربا **المعنى** ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال ولوطا وقيل تقديره واذكر لوطا قال الاخفش يحتمل الوجهين
جميعا ولم يحتمل في قصة عاد وثمود الا ارسلنا لان فيها ذكر النبي وهو لوط بن هاران بن تارخ ابن اخي ابراهيم الخليل عليه السلام وقيل انه كان ابن خالة ابراهيم عليه السلام
وكانت سارة امرأة ابراهيم اخت لوط اذ قال لقومه اتأتون الفاحشة اي السيئة العظيمة القبح يعني اتيان الرجال في ادبارهم ما سبقكم بها من احد من العالمين قيل
ما نزا ذكر على ذكر قبل قوم لوط عن عمرو بن دينار وقال الحسن وكانوا يفعلون ذلك بالغرباء ثم بين تلك الفاحشة فقال انكم لتأتون الرجال شهوة من دون
النساء معناه اتأتون الرجال في ادبارهم اشتهاء منكم اي شهوتكم فتأتونهم وتتركون اتيان النساء التي اباحها الله لكم بل انتم قوم مسرفون اي متجاوزون
عن الحد في الظلم والفساد ومسرفون جميع المعايب اتيان الذكران وغيره وما كان جواب قومه اي لم يجيبوه بما فيه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم
فقالوا اخرجوا لوطا ومن آمن به من بلدكم والمراد بالقرية البلدة كان قال ابو عمرو بن العلاء ما رأيت قرويين افصح من الحسن البصري والحجاج يريد بالقروي
من يسكن المدن انهم اناس يتطهرون اي يتحرجون عن ادبار الرجال وعابوهم بما يجب ان يمدحوا به عن ابن عباس ومجاهد وقتادة معناه يتنزهون عن
من افعالكم وطرائقكم فانجيناه واهله اي خلصنا لوطا من الهلاك واهل المختصين به واهل الرجل من يختص به اختصاص القرابة الا امرأته كانت من الغابرين
اي من الباقين والمتخلفين عن لوط حتى هلكت لانها كانت على دينهم فلم تؤمن به وقيل معناه كانت من الباقين في عذاب الله عن الحسن وقتادة وامطرنا عليهم مطرا

٣٥٨

الوعظيم

ان ارسلنا عليهم الحجارة كالمطر كما قال وامطرنا عليهم حجارة من سجيل فانظر كيف كان عاقبة المجرمين معناه تفكر وانظر بعين العقل
كيف كان مآل المجرمين من اللواط والمتقطعين اليها وعاقبة نجاتهم من عذاب الدنيا بالاستئصال قبل عذاب الآخرة بالخلود في النار قصة لوط مع قومه
فيما روى عن ابي حمزة الثمالي وابي بصير عن ابي جعفر عليه السلام ان لوطا لبث في قومه ثلثين سنة وكان نازلا فيهم ولم يكن منهم يدعوهم الى الله تعالى وينهاهم عن الفواحش
ويحثهم على الطاعة فلم يجيبوه ولم يطيعوه وكانوا لا يتطهرون من الجنابة اشحاء على الطعام فاعقبهم البخل الداء الذي لا دواء له في فروجهم وذلك انهم كانوا على طريق
السيارة الى الشام ومصر وكان ينزل بهم الضيفان فدعاهم البخل الى ان كانوا اذا نزل بهم الضيف فضحوه وانما فعلوا ذلك لتنكل النازلة عليهم من غير شهوة بهم الى
ذلك فاوردهم البخل هذا الداء حتى صاروا يطلبونه من الرجال ويعطون عليه الجعل وكان لوط سخيا كريما يقرى الضيف اذا نزل به فنهوه عن ذلك فقالوا
لا تقرين ضيفا جاء ينزل بك فانك ان فعلت فضحنا ضيفك فكان لوط اذا نزل به الضيف كتم امره مخافة ان يفضحه قومه ولما اراد الله سبحانه عذابهم
بعث اليهم رسلا مبشرين ومنذرين فلما عتوا عن امره بعث الله اليهم جبرئيل عليه السلام في نفر من الملائكة فاقبلوا الى ابراهيم عليه السلام قبل لوط فلما
رآهم ابراهيم ذبح عجلا حنيذا فلما رأى ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة قالوا يا ابراهيم انا رسل ربك ونحن لا نأكل الطعام انا
ارسلنا الى قوم لوط وخرجوا من عند ابراهيم فوقفوا على لوط وهو يسقي الزرع فقال من انتم قالوا نحن ابناء السبيل اضفنا هذه الليلة فقال لوط ان
اهل هذه القرية قوم سوء ينكحون الرجال في ادبارهم ويأخذون اموالهم قالوا انا قد ابطأنا فاضفنا فجاء لوط الى اهله وكانت كافرة فقال لها
قد اتاني اضياف في هذه الليلة فاكتمي امرهم قالت افعل وكانت العلامة بينها وبين قومها انه اذا كان عند لوط ضيف بالنهار تدخن فوق
السطح واذا كان بالليل توقد النار فلما دخل جبرئيل والملائكة معه بيت لوط وثبت امرأته على السطح فاوقدت نارا فاقبل القوم من كل ناحية
يهرعون اليه اي يسرعون ودار بينهم ما قصه الله تعالى في مواضع من كتابه فضرب جبرئيل بجناحه على عيونهم فطمسها فلما رأوا ذلك علموا انه
قد اتاهم العذاب فقال جبرئيل عليه السلام للوط اخرج من بينهم انت واهلك الا امرأتك فقال كيف اخرج وقد اجتمعوا حول داري فوضع بين
يديه عمودا من نور وقال اتبع هذا العمود ولا يلتفت منكم احد فخرجوا من القرية فلما طلع الفجر ضرب جبرئيل عليه السلام بجناحه في طرف القرية
فقلعها من تخوم الارضين السابعة ثم رفعها في الهواء حتى سمع اهل السماء نباح كلابهم وصراخ ديوكهم ثم قلبها عليهم وهو قول الله عز وجل فجعلنا
عاليها سافلها وذلك بعد ان امطر الله عليهم حجارة من سجيل وهلكت امرأته بان ارسل الله عليها صخرة فقتلتها وقيل قلبت المدينة على الحاضرين فجعل
عاليها سافلها وامطرت الحجارة على الغائبين فاهلكوا وقال الكلبي اول من عمل عمل قوم لوط ابليس الخبيث لان بلادهم اخصبت فانتجعها اهل البلدان
فتمثل لهم ابليس في صورة شاب ثم دعا ابليس في صورة ابي درة فنكح في دبره ثم عبثوا بذلك العمل فلما كثر ذلك فيهم عجت الارض الى ربها فسمعت السماء فعجت
الى ربها فسمع العرش فعج الى ربه فامر الله السماء ان تحصبهم وامر الارض ان تخسف بهم **قوله تعالى** والى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا
الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فاوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها ذلكم خير لكم ان كنتم
مؤمنين ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة
المفسدين وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين **اللغة** الايفاء اتمام
الحق على التمام ومنه ايفاء العهد وهو اتمامه بالعمل به والكيل تقدير الشيء بالمكيال حتى يظهر مقداره منه والوزن تقديره بالميزان والمساحة تقديره
بالذراع عليه او نحوه والبخس النقص عن الحد الذي يوجبه الحق والافساد اخراج الشيء الى حد لا ينتفع به بدلا من حال ينتفع بها وضده الاصلاح والقعود
الصرف عن الفعل بالانحراف فيه كما يصد الشيطان عن ذكر الله وعن الصلوة يقال صده عن الشيء يصده اي منعه والعوج بكسر العين في الدين وكل ما لا يرى و
العوج بفتح العين في العود وكل ما يرى كالحائط ونحوه والطائفة الجماعة من الناس وهو من الطواف ومأخوذة من انها تجتمع على الطواف **الاعراب** مدين
اسم للمدينة او القبيلة لا ينصرف للتعريف والتأنيث وجاز ان يكون عن الزجاج بكل صراط بمعنى على كل صراط ويجوز تعاقب الحروف الثلثة هنا الباء وعلى وفي
تقول لا تقعد بكل صراط وعلى كل صراط وفي كل صراط لانه اجتمع الاحرف الثلثة فيه فان الباء للالصاق وهو يلاصق المكان وعلى للاستعلاء وهو قد علا
المكان وفي للحلول وهو قد حل المكان ومن آمن في موضع نصب لانه مفعول اي تصدون المؤمنين بالله واما قوله فاصبروا فجعل الصبر جزاء وهو لا بد على كل حال لان
المعنى فسيقع جزاء كل فريق بما يستحقه من ثواب وعقاب لانه قد علم ثم سيتوعد وتكل على حكم الله بذلك **المعنى** ثم عطف سبحانه على ما تقدم من القصص قصة
شعيب فقال والى مدين اي ارسلنا الى مدين اخاهم شعيبا وقيل ان مدين ابن ابراهيم الخليل نسب القبيلة اليه قال عطا هو شعيب بن توبة بن مدين بن ابراهيم

وقال قتادة شعيب بن نويب وقال الحجي هو شعيب بن ميكيل بن يشجر بن مدين بن ابراهيم وام ميكيل ابنة لوط وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن
مراجعته قومه وهو اصحاب الايكة قال قتادة ارسل شعيب مرتين الى مدين مرة والى اصحاب الايكة مرة فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم
بينة من ربكم قد مر تفسيره فاوفوا الكيل والميزان اي اتموا ما تكيلونه على الناس بالمكيال وما توزنونه عليهم بالميزان ومعناه ادوا حقوق الناس على التمام
في المعاملات ولا تبخسوا الناس اشياءهم اي لا تنقصوهم حقوقهم وقال قتادة والسدي البخس الظلم ومنه المثل تحسبها حمقاء وهي باخس ولا تفسدوا
في الارض بعد اصلاحها يعني لا تعملوا في الارض بالمعاصي واستحلال المحارم بعد ان اصلحها الله تعالى بالامر والنهي وبعثة الانبياء وتعريف الخلق مصالحهم
وقيل لا تفسدوا بان لا تؤمنوا فيهلك الله الحرث والنسل ذلكم اي الذي امرتكم به خير لكم واعود عليكم ان كنتم مؤمنين مصدقين وانما علق خيريته بالايمان
وان كان هو خيرا على كل حال من حيث ان من لا يكون مؤمنا بالله وعارفا بنبيه لا يمكنه ان يعلم ان ذلك خير له فكانه قال لهم كونوا موقنين لتعلموا ان
ذلك خير لكم ويمكن ان يكون المراد لا ينفعكم ايفاء الكيل الا بعد ان تكونوا مؤمنين وقال الفراء لم يكن لشعيب معجزة على نبوته لان الله تعالى لم يذكره وذلك
في القرآن وهذا غلط لانه لا يجوز ان يخلي الله تعالى نبيا من معجزة وقد ذكر سبحانه قد جاءتكم بينة من ربكم فاوفوا الكيل بالفاء جوابا للجزاء ويجوز
ان يكون له معجزات وان لم يذكر في القرآن كما ان اكثر آيات نبينا صلى الله عليه وآله ومعجزاته غير مذكورة في القرآن ولم يوجب ذلك نفيها ولا تقعدوا
بكل صراط توعدون قيل فيه معان احدها انهم كانوا يقعدون على طريق من قصد شعيبا للايمان به يخوفونه بالقتل عن ابن عباس والحسن ومجاهد
وثانيها انهم كانوا يقطعون الطريق فنهاهم عنه عن ابي هريرة وعبد الرحمن بن زيد ويمكن ان يكون اراد انهم كانوا يقطعون الطريق على الناس من قصد شعيب
فيرجع المعنى الى القول الاول وثالثها ان المراد لا تقعدوا بكل طريق من طرق الدين فتطلبون له العوج بايراد الشبهة ويقولون لمن قصد شعيب انه كذاب فلا يفتننكم
عن الدين ويتوعدونه وتصدون عن سبيل الله من آمن به اي تمنعون عن دين الله من اراد الايمان من الناس وتبغونها عوجا الهاء راجعة الى السبيل اي
تبغون السبيل عوجا عن الحق وهو ان يقولوا هذا كذاب ونحو ذلك عن قتادة وقيل معناه لا تبتغون على طريق الهدى وقيل تريدون الاعوجاج و
العدول عن القصد عن الزجاج واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم اي كثر عددكم قال ابن عباس وذلك ان مدين بن ابراهيم تزوج بنت لوط فولدت حتى كثر اولادها
قال الزجاج وجائز ان يكون كثركم جعلكم اغنياء بعد ان كنتم فقراء وجائز ان يكون جعلكم ذوي مقدار بعد ان كنتم اذلة وجائز ان يكون عددهم قليلا فكثرهم
وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين يخوفكم بآيات الله في عواقب ارم وعاد وثمود ولوط وانزال العذاب بهم واستيصالهم وما حل بهم من البوار وان كان
طائفة اي جماعة منكم آمنوا بالذي ارسلت به اي صدقوني في رسالتي وقبلوا قولي وطائفة لم يؤمنوا لم يصدقوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا حكم الله
ومعناه لا يعجبكم تفرق الناس عني فان حسن العاقبة لي وسيجزي الله كل واحد من الفريقين بما يستحقه على عمله في الدنيا او في الآخرة او في الدنيا وهو خير الحاكمين
لانه لا يجوز عليه الجور ولا المحاباة في الحكم وهذا وعيد لهم قال البلخي امرهم في هذه الآية بالكف عما كانوا يفعلون من الصد عن الدين والايعاد عليه والكف عنهم
خير ورشد ولم يأمرهم بالقبائح الكفر وفي ذلك دلالة على انه ليس كل افعال الكفار كفرا ومعصية كما يذهب اليه بعض اهل النظر **قوله تعالى** قال الملأ
الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا قال اولو كنا كارهين قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في
ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير
الفاتحين **اللغة** العود الرجوع وهو مصير الشيء الى حال كان عليها ومنه الاعادة اعادة الله تعالى الخلق واستعمل لفظة الاعادة في فعل مرة ثانية
حقيقة وفي فعل مثله مجازا وكلام مبتدأ اعادة يقول اعدت الكتابة والقراءة ومعناه فعلت مثله قال الزجاج يقال قد عاد علي من فلان مكروه وان لم يكن
تقدمه مكروه قبل ذلك وتأويله انه قد لحقني منه مكروه قال الشاعر لئن كانت الايام احسن مرة الي فقد عادت لهن ذنوب والافتراء مشتق من فري الاديم
وهو مثل الاختلاق والافتعال والملة الديانة التي يجتمع على العمل بها فرقة عظيمة والاصل فيه تكرار الامر من قولهم طريق مليل اذا تكرر سلوكه حتى توطأ ومنه الملل
وهو تكرار الشيء على النفس حتى تضجر والملة الرماد الحار تدفن فيه الخبز حتى ينضج لتكرر الحمى عليها والفتح الحكم والفاتح والفتاح الحاكم لانه يفتح باب العلم الذي انغلق على غيره
وفلان مفتح في كذا اي قاضيه قال ابن عباس ما كنت ادري ما الفتح حتى سمعت بنت سيف بن ذي يزن وقد جرى بيني وبينها كلام فقالت انطلق اقاضك الى القاضي
اي احاكمك اليه **المعنى** ثم اخبر سبحانه عما دار بينه وبين قومه فقال قال الملأ الذين استكبروا من قومه اي رفعوا انفسهم فوق مقدارها لنخرجنك يا شعيب
والذين آمنوا معك من قريتنا اي نخرجك واتباعك من المؤمنين بك من البلد التي هي وطنك ومنشأك او لتعودن في ملتنا او لترجعن الى ملتنا التي كنا عليها الآن

لانه كان عدم منه قبل تم انه كان قبل ذلك على دينهم فلذلك المنقول لفظ العود وقد كان عليه السلام يخفي دينه فيهم ويحتمل انه اراد به قومه فادخلوه معهم
في الخطاب ويحتمل ان يكون المراد او لتدخلن في ديننا وطريقتنا لان العود يذكر ويراد به الابتداء كما قاله الزجاج ويكون بمعنى الصيرورة ومنه قول الشاعر تلك
المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد ابوالا وحقيقة المعنى انا لا نمكنك من المقام في بلدنا او ان تعود على جرملتنا فاما ان تخرج من بلدتنا او تدخل في ملتنا قد
قال اولو كنا كارهين قال شعيب لهم افتعيدوننا في ملتكم وتردوننا اليها ولو كنا كارهين للدخول فيها والمعنى انا مع كراهيتنا الملة الملعونة من طائفة لا نرجع
فادخل همزة الاستفهام على واو وقيل المعنى انكم لا تقدرون على ردنا الى دينكم على كره منا فنكون على هذا كارهين بمعنى مكرهين قد افترينا على الله كذبا ان
عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها اي ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها اي ان عدنا في ملتكم بان نحل ما تحلونه ونحرم ما تحرمونه وننسب
الى الله تعالى ما تنسبونه بعد اذ نجانا الله منها بان اقام الدليل والحجة على بطلانها واوضح الحق لنا فقد اختلقنا على الله كذبا فيما دعوناكم اليه
وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا قيل في معنى هذه المشية مع حصول انه سبحانه لا يشاء عبادة الاصنام اقوال احدها ان المراد بالملة
الشريعة وليس المراد بها ما يرجع الى الاعتقاد في الله تعالى سبحانه وصفاته مما يجوز ان يختلف العبادة به وفي شريعتهم اشياء يجوز ان يتعبد الله تعالى
بها فكانه قال ليس لنا ان نعود في ملتكم الا ان يشاء الله ان يتعبدنا بها وينقلنا اليها وينسخ ما نحن فيه من الشريعة عن الجبائي والقاضي وثانيها انه سبحانه
علق ما لا يكون بما علم انه لا يكون على وجه التبعيد كما قال ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكقول الشاعر اذا شاب الغراب اتيت اهلي وصار القار
كاللبن الحليب فيكون معناه كما لا يشاء الله عبادة الاصنام والقبائح لان ذلك لا يليق بحكمته كذلك لا نعود في ملتكم عن جعفر بن حرب وثالثها ان المراد
الا ان يشاء الله ان يمكنكم من اكراهنا ويخلي بينكم وبينه فنعود الى اظهارها مكرهين ويقوي هذا قوله اولو كنا كارهين ورابعها ان تعود الهاء التي
في قوله فيها الى القرية لا الى الملة لان ذكر القرية قد تقدم كما ان ذكر الملة قد تقدم فيكون تحقيق الكلام انا سنخرج من قريتكم ولا نعود فيها الا ان يشاء الله
بما ينجزه لنا من الوعد في الاظهار عليكم والظفر بكم فنعود فيها وخامسها ان يكون المعنى الا ان يشاء الله ان يردكم الى الحق فنكون جميعا على ملة واحدة غير مختلفة
لانه لما قال لنخرجنك يا شعيب او لتعودن في ملتنا كارهين او لنكونن على ملة واحدة غير مختلفة عن الحسن او نعود من بعد الا ان يشاء الله ان يجمعكم معنا على ملة واحدة
فان قيل فكان الله تعالى ما شاء ان يرجع الكفار الى الحق قلنا بلى قد شاء ذلك الا انه انما شاء ان يؤمنوا مختارين ليستحقوا الثواب ولم يشا على كل حال لانه لا يجوز
ان لا يقع ولا يشاء ذلك فكانه قال ان ملتنا لا يكون واحدة ابدا الا ان يشاء الله ان يلجئكم الى الاجتماع معنا على ملتنا وسع ربنا كل شيء علما نصب علما على التمييز وتقديره
وسع علم ربنا كل شيء فنقل الفعل الى ربنا لما فيه من جزالة اللفظ وفخامة المعنى وقيل في وجه اتصاله بما قبله ان الملة انما تعبدنا بها على حسب ما في المعلوم من المصلحة
فالمعنى انه سبحانه عالم بما هو اصلح لنا فتعبدنا به وقيل ان المراد به انه عالم بما يكون منا من عود او ترك على الله توكلنا في الانتصار منكم وفي كل امورنا ربنا افتح
بيننا وبين قومنا بالحق هذا سؤال من شعيب ورغبة منه الى الله تعالى في ان يحكم بينه وبين قومه بالحق على سبيل الانقطاع اليه سبحانه وان كان من المعلوم انه
سيفعله وقيل معناه اكشف بيننا وبين قومنا على حق وهذا استعجال منه للنصر وانت خير الفاتحين اي خير الحاكمين والفاصلين قوله تعالى وقال الملأ الذين كفروا
من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم
الخاسرون فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين اربع آيات اللغة غني بالمكان يغنى غنى اذا اقام به يستغني
به عن المكان من غيره والمغاني المنازل واصل الباب الغنى قال حاتم غنينا زمانا بالتصعلك والغنى فكلا سقاناه بكاسيهما الدهر فما زادنا بغيا ولا ازرى
باحسابنا الفقر والاسى شدة الحزن يقال اسى يأسى اسى قال العجاج يقولون لا تهلك اسى وتجلد الاعراب انكم اذا لخاسرون جواب القسم وقد سد مسد الجزاء من قوله لئن
واذا هنا ملغاة لانها وقعت حشو الكلام وما بعدها معتمد على ما قبلها الذين كذبوا شعيبا الاول في موضع رفع بالابتداء وخبره كان لم يغنوا فيها وانما اعيد
خبره من غير كناية لتغليظ الامر في تكذيبهم شعيبا مع البيان انهم الذين حصلوا على الخسران لا من نسبوه الى ذلك من اهل الايمان وهم في قوله هم
الخاسرون فصل وانما دخل الفصل مع ان الخبر لا يوصف لانه يحتاج فيه الى التوكيد ليمكن معناه في النفس وان الذي بعده من المعرفة لا يخرجه ذلك
من معنى الخبر لكونه في الاصل في الخبر النكرة المعنى ثم حكى سبحانه ما قالت الجماعة الكافرة الجاحدة بآيات الله فقال سبحانه وقال الملأ الذين كفروا
من قومه اي من قوم شعيب للباقين منهم لئن اتبعتم شعيبا في دينه وتركتم دينكم اعتقادا لامره ونهيه لان الاتباع هو طلب الثاني موافقة الاول فيما دعى اليه انكم
اذا لخاسرون والخسران ذهاب راس المال فكانهم قالوا انكم بمنزلة من ذهب راس ماله وقيل خاسرون مغبونون عن ابن عباس وقيل هالكون

فاخذتهم

فاخذتهم الرجفة فاخذ قوم شعيب الزلزلة من الحلق وقيل ارسل الله عليهم ومدة وحرا شديدا فاخذ بانفاسهم ودخلوا اجواف البيوت فدخل عليهم
فلم ينفعهم ظل ولا ماء وانضجهم الحر فبعث الله سبحانه فيها ريحا طيبة فوجدوا برد الريح وطيبها وظل السحاب فنادوا عليكم بها فخرجوا الى البرية فلما اجتمعوا تحت السحابة
الهبها الله عليهم نارا ورجفت بهم الارض فاحترقوا كما يحترق الجراد المقلي وصاروا رمادا وهو عذاب يوم الظلة عن ابن عباس وغيره من المفسرين وقيل
بعث الله عليهم صيحة واحدة فماتوا عن ابي عبد الله عليه السلام وقيل انه كان لشعيب قومان قوم اهلكوا بالرجفة وقوم هم اصحاب الظلة فاصبحوا في دارهم
اي مساكنهم جاثمين اي ميتين ملقين على وجوههم الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها اي كانهم لم يقيموا فيها لان المهلك يصير كان لم يكن وقيل كان لم يعيشوا
فيها كان لم يعيشوا فيها مستغنين عن قتادة وقيل كان لم ينعموا فيها عن ابن عباس الذين كذبوا شعيبا اعاد اللفظ تاكيدا وتغليظا كانوا هم الخاسرين
ومعناه بين سبحانه انهم الخاسرون دون من آمن به فتولى عنهم شعيب اي اعرض عنهم لما رأى اقبال العذاب عليهم اعراض الآيس منهم وقال يا قوم
لقد ابلغتكم رسالات ربي فيما امرني فلم تؤمنوا ونصحت لكم فلم تقبلوا ومعناه انما نزل بكم من البلاء وان كان عظيما فقد استوجبتم ذلك
بما كنتم عليه فكيف آسى اي فكيف احزن على قوم كافرين حل العذاب بهم مع استحقاقهم له وقوله فكيف آسى وان كان على لفظ الاستفهام فالمراد به النفي
لان حاله في هذا الموضع لا يصح الا بالنفي وانما يدخله معنى الانكار كما قال العجاج اطربا وانت قنسري وهذا اصل من يتعجب مما يذكر من حاله وانما حزن
وتأويه لرسالة ربه اليهم وانه لا ينبغي ان يأسى عليهم مع تمردهم في كفرهم وتهديده بنزول العذاب وفي هذا دلالة على انه لا يجوز للمسلم ان يدعو للكافر بالخير
فانه لا يجوز الحزن على هلاك الكافرين والظالمين قوله تعالى وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون ثم بدلنا
مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون آيتان اللغة التبديل وضع احد الشيئين مكان الآخر و
اصل العفو الترك من قوله فمن عفي له من اخيه شيء فمعنى قوله عفوا اي تركوا حتى كثروا وقال ولكنا نعض السيف منها باسوق عافيات الشحم كوم والبغتة الفجاءة وهي
الاخذ على غرة من غير تقدمة تؤذن بالشيء وبغت قال وانكأ ما يكون حين يجاوب البغت الاعراب اصل يضرعون يتضرعون فادغمت التاء في الضاد
ولا تدغم الضاد في التاء لان في الضاد استطالة وانما يدغم الناقص في الزائد ولا يدغم الزائد في الناقص لما في ذلك من الاخلال به وهو في موضع رفع بانه خبر
لعل وبغتة مصدر وضع موضع الحال المعنى ثم ذكر سبحانه بعدما اقتص من قصص الانبياء وتكذيب اممهم اياهم وما نزل بهم من العذاب سنته في
امثالهم تسلية لنبينا صلى الله عليه وآله فقال وما ارسلنا في قرية من القرى التي اهلكناها بالعذاب في سائر القرون من نبي وهو من يؤدي عن الله بلا واسطة
من البشر فلم يؤمنوا به بعد قيام الحجة عليهم الا اخذنا اهلها يعني اهل تلك القرية بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون اي لينتبهوا ويعلموا انه مقدمة العذاب ويتضرعوا
ويتوبوا من كفرهم وما هم عليه ويعني بالبأساء ما نالهم من الشدة في انفسهم وبالضراء ما نالهم في اموالهم وقيل ان البأساء الجوع والضراء الفقر عن السدي ثم بدلنا
مكان السيئة الحسنة اي رفعنا ووضعنا الحسنة مكانها والسيئة الشدة والحسنة الرخاء عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد وسميت سيئة لانها
تسوء صاحبها قال الجبائي يجري في هذا الموضع على سبيل التوسع والمجاز حتى عفوا اي كثروا عن ابن عباس ومجاهد والسدي وقيل حسنوا عن الحسن وقيل
عن ابي مسلم وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء اي لعظم بطرهم هكذا عادة الدهر وكذلك ما اصاب آباءنا لم يكن ما مسنا عقوبة من الله فلم ينتقلوا عما هم عليه فاخذناهم
بغتة اي فجاءة حين لم يعلموا وهم لا يشعرون اي لا يعلمون بالعذاب فانه لم يكن لهم علم به وحقيقة المعنى في الآية انه سبحانه يدبر خلقه الذين يعصونه
بان يأخذهم تارة بالشدة وتارة بالرخاء فاذا افسدوا على الامرين اخذهم فجاءة ليكون ذلك اعظم في الحسرة وابلغ في العقوبة نعوذ بالله من سخطه قوله
تعالى ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون افامن اهل القرى ان
يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون اوامن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون افامنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون اربع
آيات القراءة اوامن بفتح الواو عن ابي ... والباقون اوامن بسكون الواو الا ان ورشا قرأه على اصله في القاء حركة الهمزة على الساكن قبلها قال ابو
الحجة قال ابو علي حرف او يستعمل على ضربين احدهما ان يكون لاحد الشيئين او الاشياء في الخبر والاستفهام والآخر ان يكون للاضراب عما قبلها في الخبر والاستفهام
كام المنقطعة في الاستفهام والخبر كذلك فاما التي تكون لاحد الشيئين او الاشياء فقولك في الخبر زيد او عمرو جاء وزيدا او عمرا ضربت كما تقول احدهما او كلا
ضربته وهي اذا كانت للاباحة كذلك ايضا وهو قولك جالس الحسن او ابن سيرين واما او التي تجيء بعدها الاضراب بعد الخبر والاستفهام فكقولك انا اخرج ثم تقول
او اقيم اضربت عن الخروج واثبت الاقامة كانك قلت لا بل اقيم كما انك في قولك انها لابل ام شاء اضربت عن الاول ولا تقع بعدها هذه ومن ثم قال سيبويه
في قوله ولا تطع منهم آثما او كفورا انك لو قلت ولا تطع كفورا انقلب المعنى وانما كان ذلك كذلك لانه اذا قال لا تطع منهم آثما او كفورا انك لو قلت ولا تطع

٣٦٠

كفسوا امثل المعنى وانما كان يجتلب المعنى لانه اذا قال لا تطع منهم آثما او كفورا فكانه قال لا تطع هذا الضرب ولا تطع هؤلاء فانما الذي يريد انه لا يطيع
واحدا منهما من الاخر في وجوب ترك الطاعة له كما انا اذا قلنا لا تجمع بين مجالسة الحسن وابن سيرين لان كل واحد منهما اهل للمجالسة ومجالسة كل واحد منهما
كمجالسة الاخر ولو قال لا تطع منهم آثما او لا تطع كفورا كان بقوله او لا تطع قد اضرب عن ترك طاعة الاول وكان يجوز ان يطيعه في جواز ذلك انقلاب
المعنى ووجه قراءة من قرأ او امن انه جعل او للاضراب لا على انه ابطل الاول ولكن كقوله الم تنزيل الكتاب ثم قال ام يقولون افتراه فجاء هذا ليبصروا
ضلالتهم فكان المعنى او امنوا هذه الضروب من معاقبتهم والاخذ لهم وان شئت جعلته او التي في قولك ضربت زيدا او عمرا كانك اردت افامنوا احدى هذه
العقوبات ووجه قراءة من قرأ او امن انه ادخل همزة الاستفهام على حرف العطف كما دخل في نحو قوله اثم اذا ما وقع وقوله او كلما عاهدوا عهدا
ووجه من قرأ ذلك انه اشبه بما قبله وما بعده الا ترى ان قبله افامن اهل القرى وبعده افامنوا مكر الله اولم يهد للذين يرثون فكان هذه
الاشياء عطف جرى دخل عليها حرف الاستفهام كذلك يكون او امن **اللغة** البركات الخيرات النامية واصله الثبوت والامن والثقة والطمانينة نظائر
في اللغة وضد الامن الخوف وضد الثقة الريبة وضد الطمانينة الانزعاج والامن ثقة بالسلامة من الخوف والباس العذاب والبؤس الفقر واصله
الشدة ورجل بئيس شديد في القتال والنوم يغشى اليقظة وهو سهو يغشى القلب ويغشى العين ويضعف الحس ونيام في العلم يقال نام الرجل ينام نوما و
هو حسن النيمة اذا كان حسن هيئة النوم ورجل نومة بسكون الواو اذا كان خاملا لا يؤبه به ورجل نومة بفتح الواو اذا كان كثير النوم والنيم الفرو
لان من شانه ان ينام فيه او لانه يغشى كما يغشى النوم والضحى صدر النهار وقت انبساط الشمس واصله الظهور من قولهم ضحى للشمس يضحى ضحوا وضحى
ذلك الامر ضاحية اذا اصله ظاهرة والاضحية لانها تذبح عند الضحى يوم العيد في الجليل المكر الاحتيال بالظهار خلاف الاضمار وقيل ان اصل المكر
الالتفاف ومنه ساق ممكورة اي ملتفة حسنة فلاذ والومة عجزا ممكورة حصانة فلو عنها الوشاح ثم الجسم والقصب المكور يحرسلت قال الشاعر
ملتو في مكورة ومعنى في المكر فلان يمكر مكرا اتفق تدبيره على مكروه لصاحبه **الاعراب** لو نشاء تعليق الاول بالثاني الذي يجب الثاني بوجوبه ويتبين
بانتفائه من طريقه كان وادي فيها هذا المعنى على طريقه والفرق بينهما ان ان يعلق الثاني بالاول الذي يمكن ان يكون ويمكن ان لا يكون كقولك ان جئتني
استحق الثواب وهذا معنى وليس كذلك لو لانه تدخل على ما لا يمكن ان يكون لو كان الجسم قديما لاستغنى عن صانع وانما فتحت ان بعدها لانها وقعت
في الموضع الذي يختص بالفعل فان لو ليس يدخل الا على الفعل وان مع اسمها وخبرها في تاويل اسم مفرد فيكون تقديره لو وقع ان اهل القرى امنوا فيكون ان مع
ما بعده في موضع رفع بالفعل المقدر بعد لو وانما دخلت همزة الاستفهام على حرف العطف من قوله افامن او امن مع ان الاستفهام له الاستئناف
والعطف خلافه لانهما انما يتنافيان في المفرد لان الثاني اذا عمل فيه الاول كان من الكلام الاول والاستئناف فخارج من ان يكون منه واما في
عطف جملة على جملة فيجوز لانه على استئناف جملة بعد جملة **المعنى** ثم بين سبحانه ان الذين اهلكهم من الامم المتقدم ذكرهم انما اتوا ذلك من قبل نفوسهم فقال
ولو ان اهل القرى اهلكناها بتكذيبهم وجحودهم وعنادهم آمنوا وصدقوا رسلنا واتقوا الشرك والمعاصي لفتحنا عليهم بركات اي خيرات نامية من السماء بالامطار
والمطر والارض باخراج النبات والثمار كما وعد نوح بذلك امته فقال يرسل السماء عليكم مدرارا الايات وقيل بركات السماء اجابة الدعاء وبركات الارض
تيسير الحوائج ولكن كذبوا الرسل فاخذناهم بما كانوا يكسبون من المعاصي وتكذيب الرسل بحبس السماء عليهم واخذناهم بالضيق عقوبة لهم
على فعلهم افامن اهل القرى المكذبين لك يا محمد ان ياتيهم باسنا اي عذابنا بياتا اي ليلا وهم نائمون في فرشهم ومنازلهم كما اتى المكذبين قبلهم و
امن اهل القرى ان ياتيهم باسنا ضحى اي عذابنا نهارا عند ارتفاع الشمس وهم يلعبون اي وهم في غير ما ينفعهم او يعود عليهم بنفع فان من اشتغل بدنياه واعرض
عن اخرته فهو كاللاعب والمعنى ان اهل القرى اهل كل قرية يقيم على معاصي الله في كل وقت وزمان فان نزلت في اهل القرى الظالم اهلها في زمن النبي
صلى الله عليه وآله وانما خص سبحانه هذين الوقتين لان اتيان الاهلاك يا امن البلاد ولانها اعم الحس افامنوا مكر الله اي بعد هذا الامن عذاب الله
ان ياتيهم من حيث لا يشعرون عن الحيل له حلمنا المغيث من العذاب مكرا لانه ياتيهم من حيث لا يعلمون كان المكر من جهة الماكر من حيث لا يعلمه
وقيل ان مكر الله استدراجه اياهم بالصحة والسلامة وطول العمر وتظاهر النعمة فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون قيل هذا فما بال الانبياء و
والمعصومين امنوا مكر الله وليسوا بخاسرين وجوابه من وجوه احدها ان معناه لا يامن من عذاب الله العصاة الا الخاسرون والمعصومون لا يامنون عذاب الله
للعصاة ولهذا سلموا من مواقعة الذنوب وثانيها لا يامن عقاب الله جهلا بحكمته الا الخاسرون ومعنى الاية الايه ما يجب ان يكون عليه المكلف من الخوف لعقاب الله
ليسارع الى الطاعة واجتناب معاصيه ولا يستشعر الامن من ذلك فيكون متحيرا في دنياه واخرته بالتهاون في القبائح **قوله تعالى** اولم يهد للذين يرثون

الارض

الارض من بعد اهلها ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون تلك القرى نقص عليك من انبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات
فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين وما وجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا اكثرهم لفاسقين ثلث ايات
القراءة قرأ يعقوب برواية زيد اولم نهد بالنون وكذلك في طه والسجدة وبه قرأ ابو عبد الرحمن السلمي وقتادة والباقون بالياء **الحجة** من
قرأ بالنون فانه للتعظيم وهذا يقوي ان المعنى في قوله اولم يهد بالياء اولم يبين الله لهم دون ان يكون المعنى اولم يهد لهم مشيئتنا واهلاكنا
لمن اهلكناه **اللغة** القصص اتباع الحديث يقال فلان يقص الاثر اي يتبعه ومنه المقصلة تتبع في القطع اثر القطع والنبأ الخبر عن امر عظيم الشان و
لذلك اخذ منه اسم النبي والوجدان والالفاء والادراك والمصادفة نظائر **الاعراب** نطبع ليس بمحمول على اصبناهم لانه لو حمل عليه لكان وطبعنا
ولكنه على الاستئناف او وهو نطبع من عهد من هذه للتبعيض لانه اذا لم يوجد بعض العهد لم يوجد الجميع والاولى ان يكون من مزيدة للتعميم واستغراق
الجنس وقيل ان اصلها الابتداء الغاية فدخلت على البعد لجنس النهاية وان وجدنا اكثرهم لفاسقين ان هذه هي المخففة من الثقيلة واذا خففت جاز الغاؤها
من العمل وان يليها الفعل لانها قد صارت خارجة من شبه الفعل **المعنى** ثم ذكر سبحانه عظم نعم الاعتبار بمن تقدم من الامم فقال اولم يهد اي اولم يتبين
بيان يدبره التقرير اي ولم يبين الله وبالنون اولم نبين لهم عن ابن عباس ومجاهد والسدي وقيل معناه اولم يهد ما نتلو من انباء القرى وقيل اولم يهد
اولم يبين لهم مشيئتنا لانه قوله ان لو نشاء اصبناهم في موضع رفع بانه فاعل يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها معناه للذين خلفوا في الارض
من بعد اهلها الذين اهلكهم الله بتكذيبهم الرسل ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم معنى اولم يبين انا لو شئنا اهلكناهم بعقاب ذنوبهم كما اهلكنا الامم الماضين
قبلهم ونطبع على قلوبهم قد ذكرنا معنى الطبع والختم في سورة البقرة فهم لا يسمعون الوعظ ولا يقبلونه ثم اخبر سبحانه عن اهل القرى التي ذكرها
وقص خبرها فقال تلك القرى المخاطب للنبي صلى الله عليه وآله نقص عليك من انبائها نتلو عليك من اخبارها لتتفكر فيها وتخبر قومك بها ليتذكروا ويعتبروا ويحذروا
من الاصرار وعلى مثل حال اولئك المغترين بطول الامهال في النعم السابغة والمنن المتظاهرة ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات اي الدلالات والحجج وانما
اضاف الرسل اليهم مع انهم رسل الله لان الرسل بما تلك الرسالة انه وقد مال العباد والانتفاع بها والاهتداء بما فيها من البيان فما كانوا ليؤمنوا بما
كذبوا من قبل معناه فما اهلكناهم الا وقد كان في معلومنا انهم لا يؤمنون ابدا عن مجاهد وقيل وسعيد يقوله من قبل الهلاك ومثله قوله ولو ردوا
لعادوا لما نهوا عنه وقيل معناه ان العتو لكفرهم وتمردهم فيه يحملهم على ان لا يؤمنوا فما كانوا ليؤمنوا بعد اذ جاءتهم الرسل بالمعجزات
بما كذبوا به من قبل رؤيتهم تلك البينات عن الحسن وقيل معناه ما كان هؤلاء الخلف ليؤمنوا بما كذب به اوائلهم من الامم قال الاخفش بما كذبوا
معناه بتكذيبهم فجعلها مصدرية كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين قيل ان الله سبحانه شبه الكفر والضلال لانه يمنع العقول عن علائة الايمان ونور الاسلام
كما يذهب الصدأ بنور السيف وصفاء المرآة ولما صار ولعلمه الله بهم بالايات الى الكفر جاز ان يضيف الله سبحانه الطبع الى نفسه كما قال فزادتهم رجسا
الى رجسهم وان كانت السورة لم تزدهم ذلك من حيث هي بل بالنسبة وجه التشبيه في الكاف ومعناه ان دلالتنا انهم لا يؤمنون كالطبع في قلوب
الكافرين الذين في مثل صفتهم وقيل معناه كما دل الله لكم بالاخبار على انهم لا يؤمنون وكذلك يدل الملائكة بالطبع على قلوبهم انهم لا يؤمنون وما وجدنا
لاكثرهم اي لاكثر المهلكين من عهد اي من وفاء بعهد كايمان فان لا عهد له اي لا وفاء له بالعهد وليس بحافظ للعهد ويجوز ان يكون المراد بهذا العهد
ما اودع الله العقول من وجوب شكر المنعم وطاعة المالك المحسن واجتناب القبائح ويجوز ان يكون المراد به ما اخذ الخلق على السنة الانبياء ان يعبدوه
ولا يشركوا به شيئا وهو قول الحسن وان وجدنا اكثرهم لفاسقين اللام لام التاكيد والمعنى وانا وجدنا اكثرهم ناقضين للعهد مخالفين للوعد قيل فاذا قال
كيف قال اكثرهم مشركين وكلهم فسقة وكيف يجوز ان يكون كافرا غير فاسق والجواب قد يكون الكافر عدلا في دينه غير مرتكب لما يحرم في طريقته فعلى هذا
يكون المعنى ان اكثرهم مع كفرهم فاسقون في دينهم غير لازم لمذهب ناقض للعهد قليل الوفاء بالعهد **قوله تعالى** ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا
الى فرعون وملائه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق
قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معي بني اسرائيل قال ان كنت جئت باية فات بها ان كنت من الصادقين فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده
فاذا هي بيضاء للناظرين ست ايات **القراءة** قرأ نافع وحده حقيق علي بتشديد الياء والباقون بتخفيفها **الحجة** قال ابو علي حجة في قوله حقيق
علي وايصاله بعلى من وجهين احدهما ان حقيق الذي هو فعل يتعدى بعلى قال تعالى فحق علينا قول ربنا والاخر ان حقيق بمعنى واجب فكما ان وجب يتعدى بعلى كذلك
يتعدى حقيق ومن قرأ حقيق على فجاز تعديته بعلى من الوجهين اللذين ذكرناهما وقد قالوا هو حقيق بكذا فيجوز على هذا ان يكون على بمعنى الباء قال ابو الحسن كما و

في قوله تجاوز الحد دون موقع على كذلك ووقف على ما موقع الباء. **اللغة** البعث الارسال وهو في الاصل الاثارة باعثا ويوجب الاسراع في المشي
فالبعث بعد الموت نقل الى حالة الحيوة والبعث للانبياء نقلهم الارسال من حال الى حال النبوة والعصا عود كالقضيب واصله الاتساع سمي به
عصى بالسيف اذا تسع في الحرب بعضا السيوف ونحوه كذا يعصي بها ما العيون وذلك فعل القبيل ويقال عصي بالسيف اي حمله حمل العصا ويقال للذي استقر
بعد تنقل الرحل قد القى عصاه قال فالقت عصاها واستقرت بها النوى كما قر عينا بالاياب المسافر وليست العصية مشتقة من العصا لان العصا يائية الواو والعصية من
الياء. قال الجاحظ نسج العنكبوت كانه على عصويها ساوى طرق واصل القوم من اللفظ الذي هو الاصالة كقوعها وان اذا ضمنا ناعا كالثعلب والثعبان
الحية الضخمة الطويلة قال الفراء الثعبان اعظم الحيات وهو الذكر وهو مشتق من ثعبت الماء اذا فجرته والمثعب موضع انفجار وسمي ثعبانا لانه يجري كجري الماء
عند الانفجار والنزع ازالة الشيء عن مكانه الا انه لمكن بعد كنزع الرداء عن الانسان والنزع والقلع والجذب نظائر. **الاعراب** موضع كيف في قوله كيف كان
نصب لانه خبر كان وتقديره انظر اي شيء كان عاقبة المفسدين وموسى على وزن مفعل والميم زائدة لكثرة زيادتها اولا كالهمزة حتى صارت اغلب
زيادة الالف اخيرا وافعى على وزن افعل لهذه العلة وموسى لا ينصرف لانه اسم اعجمي معرفة وموسى الحديد اذا سمي به رجلا لم ينصرف لانه مؤنث
ومعرفة على اكثر من ثلاثة احرف كالوجه بعناق لم ينصرف وفرعون على وزن فعلول مثل برذون فالواو زائدة لانها جاءت مع سلامة الاصول
الثلاثة والنون زائدة للروي ما وفرعون لا ينصرف لانه اعجمي معرفة عرب في حال تعريفه لانه نقل من اسم العلم ولو عرب في حال تنكيره لانصرف كما ينصرف
ياقوت في اسم رجل الا الحق نصب بانه مفعول القول على غير الحكاية بل على معنى الترجمة عن المعنى دون الحكاية اللفظ قوله ان كنت جئت باية قال ابو العباس
المبرد ان هنا لم ينقل الماضي الى معنى الاستقبال من اجل قوة كان لانها ام الافعال ولا يجوز ذلك في غيرها وقال ابو بكر السراج المعنى ان تكن جئت باية
اي ان يصح ذلك قال اذا امكن اجراء الحروف على اصله لم يجز اخراجه عنه وان ينقل اللفظ فيقلب الى الشرط والاستقبال كان لم ينقل الفعل الى الشرط
الماضي وضمير المخاطب في جميع الكلام ولا يجوز ذلك في الغيبة لان الذي غاب حقه ان يعود الى ضمير الغائب فقد جاز وقد اتصلت كناية المتكلم نحو
قول الشاعر وانا الذي قتلت بكرا بالقنا وتركت تغلب غير ذات سنام ونحو ما روي عن امير المؤمنين عليه السلام من قوله انا الذي سمتني امي حيدره كليث غابات غليظ
القصرة وعلى هذا يجوز انت الذي ضربت عمرو والوجه يضرب عمرو فان جاز وقوع الامر لجواب الشرط لان فيه معنى ان كنت جئت باية فأت بها فاذا
ان بر فقد قال انه وجب الثاني بوجوب الاول قوله فاذا هي ثعبان مبين اذا هذه ظرف مكان يسمى ظرف المفاجاة وهو خلاف اذا التي هي ظرف
زمان وفيها معنى الشرط ويعمل فيها جوابها وقال اذا التي هي ظرف المكان في قولهم خرجت فاذا الناس وقوف فاذا في موضع نصب بكونه ظرف لوقوف لان الوقوف
وتقديره فبالحضرة الناس وقوف ويجوز ان ينصب وقوف على الحال لان اذا الظرف مكان وظروف المكان يجوز اخبارا عن الجثث وهذه المسئلة وقعت بين
سيبويه والكسائي لما اجتمعا عند يحيى بن خالد البرمكي فيما رواه علي بن سليمان الاخفش قال حدثنا احمد بن يحيى ثعلب ومحمد بن يزيد المبرد قالا لما ورد سيبويه
بغداد شق امره على الكسائي فاتى جعفر بن يحيى والفضل بن يحيى فقال انا وليكما وصاحبكما وهذا الرجل قد قدم ليذهب بمحلي قالا فاحتل لنفسك فانا سنجمع
بينكما فجمعا عندهما وحضر سيبويه وحده وحضر الكسائي ومعه الفراء وعلي الاحمر وغيرهما من اصحابه فسالوه كيف تقول كنت اظن ان العقرب اشد لسعة
من الزنبور فاذا هو هي او فاذا هو اياها قال اقول فاذا هو هي ولا يجوز النصب فقال والله اخطأت ولحنت فقال يحيى هذا موضع مشكل حتى اما ما يصر بكما من
يحكم بينكما قال الكسائي واصحابه العرب الذين على الباب فادخل ابو الجراح ومن وجد معه ممن كان الكسائي واصحابه يحملون عنهم فقالوا نقول هي اياها وانصرف
المجلس على ان سيبويه اخطأ وحكموا عليه بذلك فاعطاه البرامكة واخذوا له من الرشيد وبعثوا به الى البلد قال فما لبث بعد هذا الا يسيرا حتى مات ويقال انه
مات كمدا قال علي بن سليمان واصحاب سيبويه الى هذه الغاية لا اختلاف بينهم يقولون ان الجواب على ما قال سيبويه فاذا هو هي وهذا موضع الرفع وهو كما قال
علي بن سليمان ولهذا ان النصب انما يكون على الحال نحو خرجت فاذا الناس وقوفا جاز النصب هنا لان وقوفا نكرة والحال لا يكون الا نكرة فاذا اضمرت
بطل امر الحال فان المضمر معرفة لا يكون حالا موجبا العدول عن النصب الى الرفع لا تقول فاذا الناس وقوف. **المعنى** ثم عطف سبحانه بقصة موسى على ما تقدم
من قصة الانبياء عليهم السلام فقال ثم بعثنا من بعدهم اي من بعد الرسل الذين ذكرناهم او من بعد الامم الذين ذكرنا اهلاكهم موسى باياتنا اي بحججنا ودلالاتنا
ومعجزاتنا الى فرعون وملائه اي اشراف قومه وروساء امرهم فظلموا بها اي ظلموا انفسهم بجحدها من الحسد والبغي وقيل فظلموا بوضعها غير موضعها
فجعلوا بدل الايمان بها الكفر والجحود لان الظلم وضع الشيء في غير موضعه الذي هو حقه فذهب موسى فادى اليهم الرسالة فكذبوه لان في قوله فظلموا بها
دلالة عليه فانظر كيف كان عاقبة المفسدين يعني بما ال اليه امرهم في الهلاك وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين هذه حكاية قول موسى

فرعون

لفرعون وبغاية له اني رسول اليك من قبل رب العالمين مبعوث اليك والى قومك قال وهب كان اسم فرعون الوليد بن مصعب وهو فرعون
يوسف وكان بين اليوم الذي دخل يوسف مصر واليوم الذي دخل موسى بنو اسرائيل اربعمائة عام حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق قال الزجاج معناه
على ترك القول على الله الا الحق وقال الامام العلامة الزمخشري يقول انا حقيق على قول الحق اي واجب على قول الحق ان اكون القائم به وقال بعض
مثل ان المقابه ومنه قول العرب فلان يدعيه العلم بالطرق فوق ما يدعي هو العلم بها وقال الفراء معناه حقيق بان لا اقول على الله الا الحق وتكون
على بمعنى الباء كما يقولون رميت على القوس وبالقوس وجاء فلان على حالة حسنة وبحالة حسنة وقيل معناه حريص على ان لا اقول على الله الا الحق
وما فيه على من الهدى عن ابي عبيدة قد جئتكم ببينة اي بحجة ومعجزة من ربكم اي اعطانيها ربكم فارسل معي بني اسرائيل اي فاطلق بني اسرائيل من عقال
التسخير وخلهم يرجعوا الى الارض المقدسة دون ذلك ان فرعون والقبط كانوا قد استعبدوا بني اسرائيل واعتقلوهم لاستخدامهم في الاعمال الشاقة مثل بناء
الابنية وحمل الماء ونقل التراب وما اشبه ذلك قال فرعون ان كنت جئت باية اي بحجة ودلالة تشهد لك على ما تقول فات بها ان كنت من الصادقين
في انك رسول الله فالقى عصاه الفاء في الجواب اي فكان جوابه لفرعون ان القى عصاه من يده فاذا هي ثعبان مبين اي حية عظيمة بين ظاهر انه
ثعبان بحيث لا يشتبه على الناس ولم يكن مما يخيل انه حية وليس بحية وقيل ان العصا لما صارت حية احدث فيه فرعون من فكيها وكان ما بينهما ثمانون ذراعا
فتضرع فرعون الى موسى بعد ان ... من ربه وهرب واحدث وهرب الناس ودخل فرعون البيت فصاح يا موسى خذها وانا اؤمن بك فاخذها موسى
فعادت عصا عن ابن عباس والسدي وقيل كان بين لحييها ثمانون ذراعا ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين هناك قيل ان فرعون قال له هل معك اية اخرى قال
نعم فادخل يده في جيبه وقيل تحت ابطه ثم نزعها اي اخرجها منه واظهرها فاذا هي بيضاء للناظرين اي لونها ابيض نوري ولها شعاع يغلب نور
الشمس وكان موسى عليه السلام ادم فيما روي ثم اعاد اليد الى كمه فعادت الى لونها الاول عن ابن عباس والسدي ومجاهد سؤال قيل كيف قال سبحانه ههنا
فاذا هي ثعبان مبين وقال في موضع اخر فلما رآها تهتز كانها جان والثعبان الحية العظيمة والجان الحية الصغيرة فاختلف الوصفان والقصة
واحدة والجواب ان الايتين ليستا خبرا عن قصة واحدة بل الحالتان مختلفتان فالحالة الاولى كانت العصا بصفة الجان كانت في ابتداء النبوة
والحالة التي كانت بصفة الثعبان كانت عند لقائه فرعون وعلى هذا فلا سؤال واجيب ايضا عن ذلك بانه شبهها بالجان لسرعة حركتها ونشاطها
وخفتها مع انها في جسم الثعبان وكبر خلقه وهذا ابهر في باب الاعجاز. **قصة العصا** قد ذكرنا في قصة عيسى عليه السلام في سورة البقرة وانما اعطاه
وقيل اعطاه الملك حين توجه الى مدين وقيل ان عصا ادم من اس الجنة حين هبط وكانت بيد اولاده حتى انتهت النبوة الى شعيب فكان ميراثا
له مع اربعين عصا كانت لابائه فلما استاجر شعيب موسى امره بدخول بيته وقال له خذ عصا من تلك العصي فوقع تلك العصا بيد موسى عليه السلام
فاستدركه شعيب وقال خذ غيرها حتى فعل ذلك ثلث مرات وكل مرة يقع يده عليها دون غيرها فتركها في يده في المرة الرابعة فلما خرج من عنده متوجها
العصورة اي ناظرا الى الشجرة فناداه الله تعالى ان يا موسى اني انا الله وامره بالقائها فصارت حية فولى هاربا فناداه الله سبحانه خذها ولا تخف فادخل
يده بين لحييها فعادت عصا فلما اتى فرعون القاها بين يديه على ما تقدم بيانه وقيل كان الانبياء يأخذون العصا تخلصا من الخيلاء وقال رسول الله
صلى الله عليه واله تعصوا فانها من سنن اخواني المرسلين وقال امير المؤمنين علي عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه واله من خرج في سفر ومعه عصا
لوز مر وتلا هذه الاية ولما توجه تلقاء مدين الى قوله على ما نقول وكيل امنه الله من كل سبع ضار ومن كل لص عاد ومن كل ذات حمة حتى يرجع
الى اهله ومنزله وكان له سبعة وسبعون من المعقبات يستغفرون له حتى يرجع ويضعها وقيل ان اول من اخذ العصا عند الخطبة في العرب قس بن ساعدة

قوله تعالى قال الملا من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا تامرون قالوا ارجه واخاه وارسل في المدائن حاشرين
ياتوك بكل سحار عليم اربع ايات **القراءة** قرا اهل المدينة والكسائي وخلف ارجه بكسر الهاء بغير همزة بين الجيم والهاء الا ان نافعا والكسائي وخلفا
يشبعون كسرة الهاء ولا يشبع ابو جعفر وقالون عن نافع بل يكسران الهاء وقرا عاصم وحمزة ارجه بغير همزة وسكون الهاء وقرا الباقون ارجئه بالهمزة
وضم الهاء وفي الشعراء مثله وقرئ بكل سحار بالف بعد الحاء هنا وفي يونس وقرا الباقون ساحر بالالف قبل الحاء في السورتين ولم يختلفوا في الشعراء
انه بالالف بعد الحاء. **الحجة** قال ابو علي ارجه افعل من الارجاء وهو التاخير ولا بد من ضم الهاء ولا يجوز غيره وان لا يبلغ الواو احسن لان
الهاء خفية فلو بلغ بها الواو لكان كانه جمع بين الساكنين ومن قال ارجهو فالحق الواو فلان الهاء متحركة ولم يلتقيا كما لان الهاء تفصل بينهما
ولو كان مع الهاء حرف لين لكان وصلها بالواو اقبح نحو عليهو لاجتماع حروف متقاربة مع ان الهاء ليس بحاجز قوي ومن قرا ارجهي فوصل الهاء بياء فلان

فالدن هذه الهاء توصل في الادراج بواو وياء نحو بهو وبهي وضربهو ومن قرا ارجه فالدن في ارجات لغتين ارجات وارجيت فاذا قال ارجه كان
من ارجيت قال الزجاج زعم الحذاق بالنحو ان هذه الهاء لا يجوز اسكانها اعني هاء الاضمار وزعم بعض النحويين ان اسكانها جايز وان هاء التانيث يجوز اسكانها
واستشهد ببيت مجهول وهو لما راى ان لا دعة ولا شبع مال الى ارطاة حقف واضطجع قال وهذا شعر لا يعرف قايله والشاعر قد يجوز ان يخطي ومن حجة
من قرا ساحر قوله فالقي السحرة ولما تبع السحرة والسحرة جمع ساحر وكذلك قوله سحروا اعين الناس وحجة من قرا سحار انه قد وصفه بعليم وذلك
يدل على تناهيه فيه وحذقه فحسن لذلك ان يذكروا بالاسم الدال على المبالغة في السحر **اللغة** السحر لطف الحيلة في اظهار اعجوبة توهم المعجزة وقال
الازهري السحر صرف الشي عن حقيقته الى غيره واصل السحر خفاء الامر والسحر اخر الليل لخفاء الشخص بظلمته والسحر الرية لخفاء امرها ويقال سحر المطر
الارض اذا جردها فقطعها فلا ينتفع بها من اصوله فقلب الارض ظهرا لبطن سحرها سحرا والارض مسحورة فشبه سحر الساحر بذلك لتخييله الى من سحره انه يرى
الشي بخلاف ما هو به **الاعراب** فماذا تامرون موضع ما يحتمل ان يكون رفعا ويكون ذا بمعنى الذي فيكون بمعنى فما الذي تامرون ويحتمل ان يكون
نصبا ويكون ما وذا اسما واحدا فيكون بمعنى فاي شي تامرون وياتوك مجزوم لانه جواب الامر وعامل الاعراب فيه محذوف وتقديره فانك
ان ترسل ياتوك والباء في قوله بكل ساحر يحتمل ان يكون بمعنى مع اي ياتون معهم كل ساحر فيكون في موضع الحال ويحتمل ان يكون للتعدية فيقول ذهب واذهبته
واتيته به واتيته **المعنى** ثم حكى سبحانه ما قاله اشراف قوم فرعون لمن دونهم في الرتبة من الحاضرين ان هذا الساحر عليم بالسحر يريد ان يخرجكم من ارضكم معناه
انه يريد ان يستميل قلوب بني اسراييل اليه ويتقوى بهم فيغلبكم بهم ويخرجكم من بلدكم فماذا تامرون قيل ان هذا قول الاشراف بعضهم لبعض على سبيل
المشورة ويحتمل ان يكون قالوا ذلك لفرعون وانما قالوا تامرون بلفظ الجمع على خطاب الملوك ويحتمل ايضا ان يكون قول فرعون لقومه فيكون تقديره
قال فرعون لهم ماذا تامرون وهو قول الفراء والبلخي قالوا ارجه واخاه اي قالوا لفرعون اخره واخاه هرون ولا تعجل بالحكم فيهما بشي فيكون تعجلك
حجة عليك عن الزجاج وقيل احبسه والاول اصح لانه كان يعلم انه لا يقدر على حبسه مع راى تلك الايات وارسل في المداين التي حولك حاشرين
جامعين للسحرة يحشرون من يعلمونه منهم ... وقيل ... وكانوا اثنين وسبعين رجلا عن ابن عباس ياتوك بكل ساحر عليم
يجيوا اليك السحرة ليجتمعوا فيعارضوا موسى فيغلبوه **قوله تعالى** وجاء السحرة فرعون قالوا ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم لمن
المقربين قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين قال القوا فلما القوا سحروا اعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم اربع ايات **القراءة** قرا
اهل الحجاز وحفص ان لنا لاجرا بهمزة واحدة على الخبر وقرا ابن عامر واهل الكوفة غير حفص وقرا ابو عمرو ... بهمزة ممدودة وقرا
يعقوب غير روح بهمزة غير ممدودة **الحجة** قال ابو علي الاستفهام اشبه بهذا الموضع لانهم يستفهمون عن الاجر وليسوا يقطعون على ان لهم الاجر ويقوي ذلك اجماعهم
في الشعراء ... وربما حذفت همزة الاستفهام ... قال ابو الحسن في قوله وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسراييل ان من الناس من يذهب الى انه على الاستفهام ... وجاء
ذلك في الشعر ... قال افرح ان ارزا الكرام وان اورث ذودا ... وهذا اقبح من قوله واصحب فيهم ... الاكثر الى قول ... ربيعة او مضر ... نحن
على الجمع **الاعراب** نحن يحتمل ان يكون موضعه رفعا ويكون تاكيدا للضمير المتصل وكذا يحتمل في النون وانما جاز الوقف على كل واحد منهما لانه كلام جواب لما
يستغني به لان ... عليه ما يتصل به والواو في قوله وانكم واو العطف كانه قال لكم ذلك وانكم لمن المقربين وهو في مخرج الكلام كانه معطوف على الجواب وكرت
الالف من انكم لانه موضع استيناف بالوعد ولم يكن لدخول اللام في الخبر ... ولو لم تكن اللام لكانت مكسورة وانما دخلت ان في قوله اما ان تلقي ولم تدخل في اما
يعذبهم واما يتوب عليهم لان فيه معنى الامر كانه قال اختر اما ان تلقي اي اما الالقاء واما الفاء اما ... موضع ان نصب ويجوز ايضا ان يكون التقدير اما الالقاء ...
واما الالقاء فاما الموضع اي على هذا يكون نصبا **المعنى** وجاء السحرة فرعون في الكلام حذف كثير تقديره فارسل فرعون في المداين حاشرين يحشرون السحرة فحشروهم
فجاء السحرة فرعون فكانوا خمسة عشر الف ساحر عن ابن اسحق وقيل ثمانين الف ساحر عن ابن المنكدر وقيل سبعين الف ساحر عن عكرمة وقيل بضع وثلاثين الف ساحر عن السدي وقيل كانوا اثنين و
سبعين ساحرا اثنان من القبط وهما القوم وسبعون من بني اسراييل عن مقاتل وقيل كانوا سبعين عن الكلبي قالوا لفرعون انما لم يقل فقالوا حين جاء السائل الا ... لا يحدد
لان المعنى لما جاءوا قالوا ولو قال فقالوا لصلح دخول الفاء على هذا الوجه ان لنا لاجرا اي عوضا على عملنا وجزاء ان كنا نحن الغالبين لموسى قال نعم اي قال فرعون نعم لكم
الاجر ... وانكم لمن المقربين اي ولكم مع حصول الاجر لكم المنزلة الرفيعة عندي والمراتب الجليلة التي لا ... يحظى بها الا الخاص
وفي هذا دلالة على حاجة فرعون وذلته لو استدل القوم به فاحسن ... لان من المعلوم انه ... السحرة الا ... وضعفه ... قالت السحرة
يا موسى ... ما معك من العصا اولا واما ان نكون نحن الملقين لما معنا من الحبال والعصي اولا ... ما انتم ملقون

وهذا امر تهديد وتقريع كقوله سبحانه اعملوا ما شئتم وقيل معناه القوا على ما يصح ويجوز لا على ما يفسد ويستحيل وقيل معناه ان كنتم محقين فالقوا **فلما القوا**
سحروا اعين الناس ... القى السحرة ما عندهم من السحر احتالوا في تحريك العصا والحبال بما جعلوا فيها من الزيبق حتى تحركت بحرارة الشمس وغير ذلك من الحيل وانواع التمويه
والتلبيس وخيل الى الناس انها تتحرك على ما تتحرك الحية وانما سحروا اعين الناس لانهم اروهم شيا لم يعرفوا حقيقته وخفي ذلك عليهم لبعده منهم فانهم لم يخلوا الناس يدخلون
فيما بينهم وفي هذا دلالة على ان السحر لا حقيقة له لانها لو صارت حيات حقيقة لم يقل الله سبحانه سحروا اعين الناس بل كان يقول فلما القوا صارت
حيات وقد قال سبحانه ايضا يخيل اليه من سحرهم انها تسعى **واسترهبوهم** اي استدعوا رهبتهم حتى رهبهم الناس عن الزجاج وقيل معناه ارهبوهم وافزعوهم عن المبرد
وجاءوا بسحر عظيم وصف سحرهم بالعظم لبعد مرام الحيلة فيه وشدة التمويه فهو لذلك عظيم الشان عند من يراه من الناس ولانه على ما ذكرنا في عدة السحرة وكثرتهم
كان مع كل واحد منهم عصا او حبال فالقوا وخيل الناس انها تسعى فاستعظموا ذلك وخافوا **قوله تعالى** واوحينا الى موسى ان الق عصاك فاذا هي
تلقف ما يافكون فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين والقي السحرة ساجدين قالوا امنا برب العالمين رب موسى وهرون
ست ايات **القراءة** قرا حفص عن عاصم تلقف خفيفة وفي طه والشعراء مثله والباقون تلقف بتشديد القاف في جميعها **الحجة** تلقف وتلقم واحد واصله تتلقف
فحذف التاء التي للمطاوعة في تفعل ... التي للمضارعة ... وتلقف ساكنة ... مضارع لقف يلقف قال الشاعر انت عصى موسى التي لم تزل تلقف ما يافكه الساحر
اللغة الافك قلب الشي عن وجهه في الاصل ومنه الافك الكذب لانه قلب المعنى عن جهة الصواب اصل الوقوع السقوط كسقوط الحايط والطاير والماء
النازل من السماء قال علي بن عيسى الوقوع ظهور الشي بوجوده نازلا الى مستقره والحق كون الشي في موضعه الذي اقتضته الحكمة والباطل الذاهب بحيث يؤدي
الى الهلاك وهو نقيض الحق فالحق كون الشي بحيث يؤدي الى النجاة والغلبة الظفر بالبغية من العدو في حال المنازعة والصاغر الذليل والصغر والصغار
الذلة يقال صغر الشي يصغر صغرا وصغرا وصغارا واصله صغر القدر **الاعراب** ان الق يجوز ان يكون ان مع ما بعده من الفعل بمنزلة المصدر فيكون
تقديره واوحينا الى موسى بان الق اي بالالقاء ويجوز ان يكون بمعنى اي لانه تفسير ما اوحي اليه ما يافكون ما بمعنى الذي وتقديره تلقف ما يافكونه
اي تلقف ما قولنا لهذا حالة الافك ومثله واشتغلكم وما تعملون بمعنى وما تعملون فيه وما كانوا يعملون يحتمل ان يكون ما بمعنى المصدر اي وبطل عملهم
ويحتمل ان يكون ما بمعنى الذي اي وبطل الحبال والعصي التي عملوا بها السحر وما اذا كانت بمعنى المصدر لم يعمل فيه كما يعمل في ... اذا كانت بمعنى المصدر لانه يتبعه الفعل
تاويل المصدر والى الاستقبال ولا ينقله ما الى الاستقبال تقول يعجبني ما يصنع الان ويعجبني ان يصنع الجزء وهنالك دخلت اللام فيه لتدل على بعد المشار اليه
كما دخلت في ذلك ليدل على البعد المشار اليه هنا لما قرب فلما وصل ... لما كان اشد بعدا وهو ظرف مبهم وفيه معنى الاشارة كما ان ذا مبهم وانما دخلت كاف الخطاب
مع بعد الاشارة الى المخاطب لتنبيه على بعد المشار اليه من المكان والبعيد احق بعلامة التنبيه من القريب **المعنى** ثم اخبر سبحانه عن نفسه فقال واوحينا الى
موسى ان الق عصاك التي معك فاذا هي تلقف ما يافكون معناه فالقاها فصارت ثعبانا فاذا هي تبتلع ما يكذبون فيه انه حيات
عن مجاهد فوقع الحق اي ظهر الحق وهو امر موسى وصحة نبوته ومعجزته عن الحسن ومجاهد وقيل فوقع الحق بان صارت العصا حية في الحقيقة وبطل ما كانوا يعملون
اي بطل تمويههم وانما ظهر ذلك لهم لانهم لما راوا تلك الايات الباهرة والمعجزات القاهرة في العصا على امر يستحيل ولا يقدر على ... غير الله تعالى من تلك الايات
قلب العصا حية ومنها اكلها حبالهم وعصيهم مع كثرتها ومنها فناء حبالهم وعصيهم في بطنها اما بالتفريق واما بالفناء عند من جوزه ومنها عود العصا كما كانت
ولا ينقص ... من هذه الامور يعلم انها لا يقدر عليها احد من البشر فاعترفوا بالتوحيد والنبوة وصار اسلامهم حجة على فرعون وقومه فغلبوا هنالك اي
غلب فرعون وقومه في ذلك المجمع ... وانقلبوا صاغرين اي انصرفوا اذلاء مقهورين والقي السحرة ساجدين يعني ان السحرة
لما شاهدوا تلك الايات علموا انها من عند الله تعالى ... وسجدوا ... وقيل الهمهم الله ذلك ... موسى وهرون سجدا لله شكرا على ظهور الحق فاقتدوا
بهما ... ولم يدعهم الكفار ...
الهم ... قالوا امنا برب العالمين فانما ... ولو لم يقولوا رب موسى وهرون ... بانه رب السموات
والارض وما بينهما رب موسى وهرون وخصوصهما بالذكر بعد دخولهما في جملة العالمين لانهما دعوا الى الايمان بالله تعالى وشرفهما بذكرهما وتفضيلهما على غيرهما
على طريق المدحة والتعظيم لهما وقيل انهم ... لو قالوا امنا برب العالمين ... فرعون ثم قال رب موسى وهرون لان فرعون كان يدعي
انه ربنا ... الا ... الايهام ... رب العالمين فرعون ... على موسى ... ويجب ... سبحانه ... لا ... ما كانا

لم يزل حيا ولا يعيب اسمه الا ان اضافة تجري جارية على الفعل كما تجري صفة مالك على ملك يملك فالعبد وهو المملوك ولا يطلق الرب الا على الله تعالى لانه يستحق ان يرب كل شيء يصح ملكه ويقال في غيره رب الدار ورب الفرس ومثله خالق لا يطلق الا عليه سبحانه ويقال في غيره خالق الاديم **قوله تعالى** آمنتم به قبل ان آذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها اهلها فسوف تعلمون لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ثم لاصلبنكم اجمعين قالوا انا الى ربنا منقلبون وما تنقم منا الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين اربع آيات **القراءة** قرا حفص عن عاصم آمنتم بهمزة واحدة على الخبر حيث كان والباقون بهمزتين على الاستفهام الا ان اهل الكوفة الا حفصا يحققون الهمزتين وغيرهم يخففون الاولى ويلينون الثانية ولم يفصل احد بين الهمزتين بالف **الحجة** وجه الخبر انه يخبرهم بايمانهم على وجه التقريع بايمانهم والانكار عليهم ووجه الاستفهام انه على جهة التقريع والتوبيخ لهم ومن حقق الهمزتين فانه على الاصل ومن خففها [illegible] والهمزة الثانية ممدودة لان الالف المنقلبة من الهمزة التي هي فاء الفعل [illegible] بها ومن حذف الهمزة الثانية تخفيفا لم يجعل بين **اللغة** الصلب الشد على الخشبة وغيرها واصله من صلابة الشيء والقراء كلهم على تشديد اللام من التصليب الازهري يقال نقم على الرجل انقم ونقمت والفصيح نقمت ابن الاعرابي النقمة العقوبة والانكار قال علي بن عيسى النقمة ضد النعمة والفرق بين النقمة والاساءة ان النقمة قد يكون بحق جزاء على كفر النعمة والاساءة لا تكون الا قبيحة والمسيء مذموم لا محالة الافراغ صب ما في الاناء اجمع حتى يخلو مشتق من الفراغ والصبر حبس النفس عن اظهار الجزع والصبر على الحق عز كما ان الصبر على الباطل ذل **المعنى** ثم حكى سبحانه ما صدر من فرعون عند ايمان السحرة فقال سبحانه قال فرعون آمنتم به اي اقررتم له بالصدق [illegible] قبل ان آذن لكم اي من قبل امري اياكم بالايمان واذني لكم في ذلك ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها اهلها اراد فرعون بهذا القول التلبيس على الناس وايهامهم ان ايمان السحرة لم يكن على علم منه ولكن لتواطؤ منهم ليذهبوا بما [illegible] وملككم وقيل معناه ان هذا الصنيع صنيع تواطأتم عليه انتم وموسى في مصر قبل خروجكم الى هذا الموضع لتستولوا على مصر فتخرجوا منها اهلها فسوف تعلمون ما امري وهذا وعيد لهم ثم بين الوعيد فقال لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اي من كل شق طرفا وقال الحسن هو ان يقطع اليد اليمنى مع الرجل اليسرى وقال غيره وكذلك اليد اليسرى مع الرجل اليمنى ثم لاصلبنكم اجمعين اي لا ادع واحدا منكم الا صلبته وقيل ان اول من قطع الرجل فرعون وصلبهم في جذوع النخل على شاطئ نهر مصر [illegible] قالوا انا الى ربنا منقلبون اي راجعون الى ربنا بالتوحيد والاخلاص عن ابن عباس والانقلاب الى الله هو الانقلاب الى جزائه [illegible] هذا القول تسلي في الصبر على الشدة لما فيه من المثوبة مع مقابلة الوعيد بوعيد اشد منه وهو عقاب الله وما تنقم منا الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا معناه ولا تطعن علينا ولا تنكر منا الا ايماننا بالله وتصديقنا بآياته التي جاءتنا قال ابن عباس معناه ما لنا عندك من ذنب ولا ركبنا منك مكروها تعذبنا عليه الا ايماننا بآيات ربنا وهو ما اتى به موسى عليه السلام من المعجزات الظاهرة وانها من عند الله لا يقدر على مثلها الا هو ربنا افرغ علينا صبرا اي اصبب علينا الصبر عند القطع والصلب حتى لا نرجع كفارا والمراد الطف لنا بلطف نصبر على عذاب فرعون ونتشجع عليه ولا نفزع منه وتوفنا مسلمين اي وفقنا للثبات على الايمان والاسلام الى وقت الوفاة وقيل [illegible] حتى [illegible] قالوا [illegible] فرعون [illegible] فكانوا اول النهار كفارا سحرة وآخر النهار شهداء بررة وقيل انه لم يصل اليهم وعصمهم الله منه **قوله تعالى** وقال الملأ من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض ويذرك وآلهتك قال سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم وانا فوقهم قاهرون آية **القراءة** روي عن علي عليه السلام وابن مسعود وابن عباس وانس بن مالك وعلقمة وغيرهم ويذرك والاهتك وعن نعيم بن ميسرة والحسن بخلاف ويذرك [illegible] ويذرك بسكون الراء والقراءة المشهورة ويذرك وآلهتك وقرا اهل الحجاز سنقتل ابناءهم بالتخفيف والباقون سنقتل **الحجة** اما الالاهة فالربوبية او العبادة فمن قرا والاهتك فمعناه ويذرك وربوبيتك عن الزجاج وقيل عبادتك عن ابن عباس [illegible] الالهة والاهة لانهم كانوا يعبدونه ومن قرا ويذرك بالرفع [illegible] ويذرك بسكون الراء والقراءة المشهورة ويذرك والهتك وقرا اهل الحجاز [illegible] على الاستئناف اي وهو يذرك واما من اسكن فقال ويذرك فانه كقراءة ابي عمرو ان الله يأمركم [illegible] ومن نصب ويذرك فانه على جواب الاستفهام بالفاء فيكون المعنى ايكون منك ان تذر موسى وان يذرك ويجوز ان يكون عطفا على ليفسدوا ومن قرا سنقتل بالتخفيف [illegible] يقع على القليل والكثير [illegible] **المعنى** ثم اخبر سبحانه عن قوم فرعون فقال سبحانه وقال الملأ من قوم فرعون لما اسلم السحرة تحريضا له على موسى اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض اي اتتركهم احياء ليظهروا خلافك ويدعوا الناس الى مخالفتك [illegible] فيفسدوا [illegible] ملكك وامرك وقيل ليفسدوا في الارض بعبادة غيرك والدعاء الى خلاف دينك وقيل ليفسدوا فيها بالغلبة عليها واخذ [illegible] من بني اسرائيل [illegible] ويذرك والهتك قال الحسن كان فرعون يستعبد الناس ويعبد الاصنام بنفسه وكان الناس يعبدونه [illegible]

ثم

وقال السدي كان يعبد ما يستحسن من البقر وروي انه كان يأمرهم بعبادة البقر ولذلك اخرج السامري لهم عجلا جسدا له خوار وقال هذا الهكم واله موسى وقال الزجاج كانت له اصنام يعبدها قومه تقربا اليه ومن قرا والاهتك فانه كان فرعون يستعبد الناس بنفسه ولا يعبد شيئا وروي عن مجاهد انه قال كان فرعون يعبد ولا يعبد قال فرعون سنقتل ابناءهم الذين يكون فيهم النجدة والقوة ويصلحون للقتال ونستحيي نساءهم اي نبقيهن ولا يكون فيهن نجدة وقوة للمهنة والخدمة استذلالا لهن وكان فرعون قد انقطع طمعه من قتل موسى فلم يقل سنقتل موسى وقومه لما راى من علو امره وشانه فنقل العذاب الى المستضعفين منهم وهم بنو اسرائيل وبين انهم لم يزالوا له كذلك فهم ابدا وانا فوقهم قاهرون ظاهرون عالون **قوله تعالى** قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين قالوا اوذينا من قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون آيتان **المعنى** قال ابن عباس كان فرعون يقتل ابناء بني اسرائيل فلما كان من امر موسى ما كان امر باعادة القتل عليهم فشكا ذلك بنو اسرائيل الى موسى فعند ذلك قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا واطلبوا [illegible] ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده اي يعطيها [illegible] فلعل المواهب يملككم بعد هلاك فرعون كما اورث فرعون [illegible] ليكون داعيا لهم الى الصبر والعاقبة للمتقين ومعناه تمسكوا بالتقوى في الدنيا فان حسن العاقبة في الدارين للمتقين والعاقبة ما يؤدي اليه البادئة الا انه اذا قيل العاقبة له فهو الخير واذا قيل العاقبة عليه فهو الشر كما يقال الدائرة له وعليه والدبرة له وعليه قالوا اي قال بنو اسرائيل لموسى اوذينا من قبل ان تأتينا اي بعذاب فرعون بقتل الابناء واستخدام النساء قبل ان تأتينا بالرسالة وقيل قبل ان تجيئنا ومن بعد ما جئتنا اليوم وقيل [illegible] اموالنا وتكلفنا الاعمال الشاقة فلم تنقطع [illegible] فيهم القتل والتعذيب مرتين وقال الحسن كان فرعون يأخذ الجزية قبل مجيء موسى وبعده من بني اسرائيل [illegible] قالوا اوذينا من قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئتنا وهذا الذي قالوه انما قالوه استبطاء منهم لما وعدهم موسى عليه السلام من النجاة من فرعون وقومه فجدد عليه السلام لهم الوعد [illegible] قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم قال الزجاج عسى طمع واشفاق الا ان ما يطمع الله فيه فهو واجب وهو معنى قول المفسرين عسى من الله واجب ومعناه اوجب ربكم على نفسه ان يهلك فرعون وقومه ويستخلفكم في الارض اي يملككم ما كانوا يملكون في الارض من بعدهم فينظر كيف تعملون اي فيرى ذلك بوقوعه منكم لان الله تعالى لا يجازي عباده على ما يعلمه منهم وانما يجازيهم على ما يقع منهم عن الزجاج وقيل يعلم ذلك ومعناه فيظهر معلومه اي يبتليكم بالنعمة ليظهر شكركم كما ابتلاكم بالمحنة ليظهر صبركم ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين وموضع كيف نصب وتقديره اعملا حسنا تعملون ام قبيحا او شاكرين تكونون لنعمه ام كافرين وقد حقق الله سبحانه هذا الوعد فاورث بني اسرائيل ارض مصر ونواحيها بعد ان اهلك عدوهم **قوله تعالى** ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه الا انما طائرهم عند الله ولكن اكثرهم لا يعلمون آيتان **القراءة** في الشواذ قراءة الحسن الا انما طيرهم عند الله بغير الف **الحجة** الطير جمع طائر في قول ابي الحسن وفي قول صاحب الكتاب الطائر اسم جمع بمنزلة الجامل والباقر [illegible] فيكون واحدا كما ان الطائر واحد ويجوز ان يكون الطائر جمعا كالجامل انشد ابن الاعرابي كانه تهتان يوم ماطر [illegible] الطائر **اللغة** العرب يقولون اخذتهم السنة اذا كانت مجدبة ويقال اسنت القوم اذا اجدبوا وانما قيل للسنة المجدبة ولم يقل المخصبة [illegible] في الانفراد بالجدب والنادر [illegible] بالافراد بالذكر لانفراده بالمعنى الذي جرى [illegible] قالوا وجدنا البلاد [illegible] الشام [illegible] المواضع والوقت [illegible] الناس [illegible] والتطير الطيرة من الشيء وهو التشأم واشتقاقه من الطير [illegible] لان العرب كانت تزجر الطير فتتشأم بالبارح وهو الذي يأتي من جهة الشمال وتتبرك بالسانح وهو الذي يأتي من قبل اليمين [illegible] زجرت لها طير الشمال [illegible] فازلت منك [illegible] **المعنى** ثم بين سبحانه ما فعله بآل فرعون واقسم عليه فقال ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين اللام للقسم [illegible] معا ولقد عاقبنا آل فرعون بالجدوب والقحوط ونقص من الثمرات اي واخذناهم مع القحط [illegible] لعلهم يذكرون اي [illegible] الله [illegible] قال الزجاج انما اخذناهم بالضراء لان احوال الشدة ترق القلوب [illegible] فاذا جاءتهم الحسنة يعني الخصب والنعمة والسعة في الرزق والسلامة والعافية قالوا لنا هذه اي انا نستحقه [illegible]

٣٦٣

مثل العادة الجارية لنا من خصبنا وسعة ارزاقنا في بلادنا ولم يعلموا انه من عند الله فيشكروه عليه ويؤدوا شكر النعمة فيه وان تصبهم سيئة اي جوع وبلاء
وقحط المطر وضيق الرزق وهلاك الثمار والمواشي يطيروا بموسى ومن معه اي يتطيروا فقالوا ما اصابنا ذلك الا بشؤمهم عن الحسن وقتادة ومجاهد وابن زيد
وقالوا ما رأينا شرا ولا اصابنا بلاء حتى رأيناكم الا انما طائرهم عند الله الا انما الشؤم الذي يلحقهم هو الذي وعدوا به من العقاب عند الله يفعله بهم في الآخرة لا ما
ينالهم في الدنيا عن الزجاج وقيل معناه ان الله تعالى هو الذي يأتي بطائر البركة وطائر الشؤم من الخير والشر والنفع والضر ولو عقلوا لطلبوا الخير والسلامة
من الله من قبله وقال الحسن معناه الا انما شؤمهم عند الله حتى يجازيهم الله به يوم القيامة ولكن اكثرهم لا يعلمون ولا يتفكرون فيعلموا قوله تعالى وقالوا
مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين فارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين
آيتان القراءة في الشواذ قرأ الحسن القمل بفتح القاف وسكون الميم وهو المعروف اللغة الطوفان السيل الذي يعم بتغريقه الارض وهو مأخوذ من الطوف فيها
وقيل هو مصدر كالرجحان قال الاخفش واحده طوفانة قال ابو عبيدة الطوفان من السيل البعاق ومن الموت الذريع والقمل صغار القراد قال ابو عبيدة الحمنان واحدة
حمنة وحنانة الاعراب مهما قال الخليل اصلها ما ما الاولى للجزاء والثانية ادخلوا ما كما يدخلونها على حروف الجزاء فيقولون اما ومتى ما فقبحوا التكرار لتوالي لفظ
واحد فابدلوا [illegible] ما بالهاء وقال غيره اصلها مه التي بمعنى الكف دخلت على ما التي للجزاء والعرب من مهما وما الاسمية خالصة وموضعها نصب
[illegible] تأتنا [illegible] وعلامة الجزم فيه سقوط الياء واما تسحرنا مجزوم فيه المد [illegible] وهي مجازاة في موضع
الاعراب [illegible] في موضع الحال [illegible] نصب على الحال المعنى وقالوا يعني قوم فرعون لموسى عليه السلام مهما تأتنا به من آية اي معجزة [illegible] القرآن الى ان يدعوهم
على الكفر وانهم لا يصدقونه في جميع الآيات ثم ذكر سبحانه في الآيات [illegible] فقال فارسلنا عليهم الطوفان فاختلف فيه فقيل هو الماء
الغالب الخارج عن العادة وقيل هو الطاعون بلغة اليمن ارسل الله على آل فرعون فاهلكهم فلم يبق منهم انسان ولا دابة عن وهب بن منبه وهو
المجدري وهم اول من عذبوا به فبقي في الارض بقية وقيل هو امر من الله تعالى طاف بهم عن ابن عباس رواه ابو ظبيان عنه ثم قوي وطاف عليهم طائف من ربك
وهم نائمون والجراد هو المعروف والقمل اختلف فيه فقيل هو الدبى وهو صغار الجراد التي لا اجنحة لها والجراد الطيارة التي لها اجنحة عن ابن عباس ومجاهد
والسدي وقتادة والكلبي وقيل القمل بنات الجراد عن عكرمة وقيل القمل البراغيث وقيل دواب سود صغار عن سعيد بن جبير والحسن وعطاء الخراساني قال
قرأ الحسن والقمل هو السوس الذي يخرج من الحنطة عن سعيد بن جبير والضفادع والدم آيات مفصلات اي بعضها منفصل من بعض وقيل مفصلات اي معجزات
بينات ظاهرات وادلة واضحات عن مجاهد فاستكبروا اي تكبروا عن قبول الحق والايمان بالله وكانوا قوما مجرمين عاصين كافرين القصة قال ابن عباس
وسعيد بن جبير وقتادة ومحمد بن اسحاق بن يسار ورواه علي بن ابراهيم باسناده عن ابي جعفر عليه السلام وابي عبد الله عليه السلام دخل حديث بعضهم في بعض قالوا لما آمنت السحرة
ورجع فرعون مغلوبا وابى هو وقومه الا الاقامة على الكفر قال هامان لفرعون ان الناس قد آمنوا بموسى فانظر من دخل في دينه فاحبسه فحبس كل من آمن به
من بني اسرائيل فتابع الله عليهم بالآيات واخذهم بالسنين ونقص من الثمرات ثم بعث عليهم الطوفان فخرب دورهم ومساكنهم حتى خرجوا الى البرية وضربوا الخيام وامتلأت
بيوت القبط ولم يدخل بيوت بني اسرائيل من الماء قطرة وقام الماء على وجه ارضهم لا يقدرون ان يحرثوا فقالوا لموسى ادع لنا ربك ان يكشف عنا المطر فنؤمن لك ونرسل
معك بني اسرائيل فدعا ربه فكشف عنهم الطوفان فلم يؤمنوا وقال هامان لفرعون لئن خليت بني اسرائيل غلبك موسى وازال ملكك وانبت الله لهم في تلك السنة من
الكلأ والزرع والثمر ما اعشبت به الارض واخصبت فقالوا ما كان هذا الماء الا نعمة علينا وخصبا فانزل الله عليهم في السنة الثانية عن علي بن ابراهيم وفي الشهر الثاني عن
المفسرين الجراد فجردت زروعهم واشجارهم حتى كانت تجرد شعورهم ولحاهم وتأكل الابواب والثياب والامتعة وكانت لا تدخل بيوت بني اسرائيل ولا يصيبهم من ذلك
شيء فعجوا وضجوا وجزع فرعون من ذلك جزعا شديدا وقال يا موسى ادع لنا ربك ان يكشف عنا الجراد حتى اخلي عن بني اسرائيل فدعا موسى ربه فكشف عنهم الجراد بعدما اقام عليهم
سبعة ايام من السبت الى السبت وقيل ان موسى عليه السلام برز الى الفضاء فاشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجع الجراد من حيث جاءت حتى كان لم يكن قط ولم يدع
هامان فرعون ان يخلي عن بني اسرائيل فانزل الله عليهم في السنة الثالثة في رواية علي بن ابراهيم وفي الشهر الثالث عن غيره من المفسرين القمل وهو الجراد الصغار التي لا اجنحة لها
وهو شر ما يكون واخبثه فاتى على زروعهم كلها واجتثها من اصلها فذهبت زروعهم ولحس الارض كلها وقيل امر موسى عليه السلام ان يمشي الى كثيب اعفر بقرية من قرى مصر تدعى عين
الشمس فاتاه فضربه بعصاه فانثال عليهم قملا فكان يدخل بين ثوب احدهم فيعضه وكان يأكل احدهم الطعام فيمتلئ قملا قال سعيد بن جبير القمل السوس الذي يخرج من الحبوب
وكان الرجل يخرج عشرة اجربة الى الرحى فلا يرد منها ثلاثة اقفزة فلم يصابوا بلاء كان اشد عليهم من القمل واخذت اشعارهم وابشارهم واشفار عيونهم وحواجبهم ولزمت

جلودهم كانه الجدري عليهم ومنعهم النوم والقرار فصرخوا وصاحوا فقال فرعون لموسى ادع لنا ربك لئن كشفت عنا القمل لا كفن عن بني اسرائيل فدعا موسى عليه السلام
حتى ذهب القمل بعدما اقام عندهم سبعة ايام من السبت الى السبت فانزل الله عليهم في السنة الرابعة وقيل في الشهر الرابع الضفادع فكانت تكون في طعامهم وشرابهم
وامتلأت منها بيوتهم وآنيتهم فلا يكشف احد ثوبا ولا اناء ولا طعاما ولا شرابا الا وجد فيه الضفادع وكان الرجل يجلس الى ذقنه في الضفادع ويهم ان يتكلم فيثب
الضفدع في فيه ويفتح فاه لاكلته فيثب الضفدع اكلته الى فيه فلقوا منها اذى شديدا فلما رأوا ذلك بكوا وشكوا الى موسى وقالوا هذه المرة نتوب ولا نعود فادع الله ان يذهب عنا الضفادع فانا نؤمن بك ونرسل معك
بني اسرائيل فاخذ عهودهم ومواثيقهم ثم دعا ربه فكشف عنهم الضفادع بعدما اقام عليهم سبعا من السبت الى السبت ثم نقضوا العهد وعادوا لكفرهم فلما كانت السنة الخامسة
ارسل الله عليهم الدم فسال ماء النيل عليهم دما فكان القبطي يراه دما والاسرائيلي يراه ماء فاذا شربه الاسرائيلي كان ماء واذا شربه القبطي كان دما وكان القبطي يقول للاسرائيلي
خذ الماء في فيك وصبه في في فكان اذا صبه في فم القبطي تحول دما وان فرعون اعتراه العطش حتى انه ليضطر الى مضغ الاشجار الرطبة فاذا مضغها يصير ماؤها في فيه دما
فمكثوا في ذلك سبعة ايام لا يأكلون الا الدم ولا يشربون الا الدم قال زيد بن اسلم الدم الذي سلط عليهم كان الرعاف فأتوا موسى فقالوا ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم
فنؤمن لك ونرسل معك بني اسرائيل فلما رفع الله عنهم الدم لم يؤمنوا ولم يخلوا عن بني اسرائيل قوله تعالى ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك
لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه اذا هم ينكثون فانتقمنا منهم فاغرقناهم في اليم بانهم كذبوا بآياتنا
وكانوا عنها غافلين ثلاث آيات اللغة اصل الرجز الميل ومنه الرجز فالرجز عبادة الوثن والعذاب رجز لانه عقوبة على الميل عن الحق والرجز رعدة في رجل الناقة
كانها تضطرب في سيرها والرجز ضرب من الشعر اخذ من رجز الناقة لانه متحرك وساكن ثم متحرك وساكن في كل اجزائه فهو كالرعدة في رجل الناقة تتحرك بها
ثم تسكن ثم تتحرك على ذلك والنكث نقض العهد الذي يلزم الوفاء به واليم البحر قال ذو الرمة دوية ودجى ليل كانهما يم تراطن في حافاته الروم والعقد حال الغيرة
مال العلية والعقل الاعراب اذا المفاجأة على ما تقدم بيانه وليست مضافة الى الجملة بل هي بمنزلة هناك وقد يكون بالاسم كما تقول خرجت فاذا زيد ويقع
حالا والمتوقع منهم لانه ان نكثوا فنقض العهد لا من الوفاء فكانه قال اذا الذي يجب من نكثهم واذا هذه جواب لما وتسد مسد الفاء في جواب الجزاء كقوله وان تصبهم سيئة بما قدمت
ايديهم اذا هم يقنطون ولا يجوز ان تجاب الشرط بإذ لان اذ لا يكون الا للوقت الماضي والجواب انما يكون بعد الاول وكذلك يصلح الفاء ولا يصلح الواو وحرف الجزاء انما
يقلب الفعل الى الاستقبال دون الوقت المعنى ثم اخبر سبحانه عنهم ايضا فقال ولما وقع عليهم الرجز اي العذاب عن الحسن وقتادة ومجاهد وهو ما نزل بهم من الطوفان وغيره
وقيل هو الطاعون اصابهم فمات من القبط سبعون الف انسان وهو العذاب السادس عن سعيد بن جبير ورواه اصحابنا عن ابي عبد الله عليه السلام اصابهم ثلج احمر ولم يروه قبل
ذلك فماتوا فيه وجزعوا واصابهم ما لم يعهدوه قبله قالوا يعني فرعون وقومه يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك اي بما تقدم اليك ان تدعوه به فانه يجيبك كما اجابك
في آياتك وقيل بما عهد عندك ان لو آمنا لرفع عنا العذاب وقيل بما عهد عندك من النبوة عن ابي مسلم فعلى هذا يكون الباء باء القسم والمعنى بحق ما آتاك الله من النبوة لما
ادعت لتكشف هذا عنا لئن كشفت عنا الرجز اي العذاب لنؤمنن لك اي لنصدقنك في انك نبي ورسول الله ولنرسلن معك بني اسرائيل اي نطلقهم من الاستخدام وتكليف الاعمال
الشاقة فلما كشفنا عنهم الرجز اي رفعنا عنهم العذاب الى اجل هم بالغوه يعني الى اجل الذي اجلهم الله فيه وقيل هو الاجل المقدر من الحسن اذا هم في اليم اي في البحر بانهم كذبوا
بآياتنا اي فعلنا ذلك بهم جزاء بتكذيبهم بآياتنا وجحودها ومعجزاتنا الدالة على صدق موسى وصحة نبوته وجحودهم بها وكانوا عنها غافلين معناه انه انزل عليهم العذاب
وكانوا غافلين عن نزول ذلك بهم وقيل معناه انا عاقبناهم بتكذيبهم وتعرضهم الاسباب الغفلة وعملهم عمل الغافل عنها فيكون وعيدا لهم على الاعراض عن الآيات
قوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمت ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا و
دمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون آية القراءة قرأ ابن عامر وابو بكر يعرشون بضم الراء والباقون بكسرها الحجة هما لغتان
صحيحتان والكسر افصح ابو عبيدة يعرشون يبنون قال العرش مكة اي بناؤها الاعراب يجوز ان يكون مشارق الارض ومغاربها انما انتصب لانه مفعول اورثنا
ويجوز ان يكون ظرفا على تقدير واورثناهم الارض في مشارقها ومغاربها وقيل انما انتصب مشارق الارض ومغاربها على الظرف للاستضعاف والتقدير واورثنا
القوم الذين كانوا يستضعفون في مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها وعلى هذا فالهاء التي فيها تعود الى التي والتي صفة للارض المحذوفة وموضعها
نصب باورثنا المعنى ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون يعني بني اسرائيل كان القبط كانوا يستضعفونهم فاهلكهم
بان مكنهم وحكم لهم بالتصرف واباح لهم ذلك بعد اهلاك فرعون وقومه القبط فكانوا اورثوهم مشارق الارض ومغاربها التي كانوا فيها بين جهات الشرق والغرب
منها يريد به ملك فرعون من ادناه الى اقصاه وقيل هي ارض الشام شرقها وغربها عن قتادة وقيل ارض مصر عن الجبائي قال الزجاج كان من بني اسرائيل داود وسليمان ملكوا الارض

يكون تام قام

باركنا

التي باركنا فيها باخراج الزروع والثمار وسائر ضروب النبات والاشجار وتفجير العيون والانهار وضروب المنافع وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل معناه مضى كلام ربك بانجاز الوعد باهلاك عدوهم واستخلافهم في الارض وانما كان الانجاز تماما للكلام لتمام النعمة به وقيل ان الكلمة الحسنى قوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض الى قوله يحذرون وقيل الحسنى وان كانت صفة للكلمة لانه وعد بما يحبون وقال الحسن اراد وعد الله لهم بالجنة بما صبروا على اذى فرعون وقومه وتكليفه اياهم ما لا يطيقون من الاستعباد والاعمال الشاقة ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه اي اهلكنا ما كانوا يبنون من الابنية والقصور والدور والبناء وما كانوا يعرشون من الاشجار ومن الاعناب والثمار وقيل يعرشون يسقفون من القصور والبيوت عن ابن عباس **قوله تعالى** وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون قال اغير الله ابغيكم الها وهو فضلكم على العالمين ثلث آيات **القراءة** يعكفون بكسر الكاف كوفي غير عاصم والباقون بضم الكاف وهما لغتان **اللغة** المجاوزة الاخراج عن الحد وجاز الوادي يجوزه جوازا اذا قطعه وخلفه وراءه وجاوزه مجاوزة وجوازا واجتازه اجتيازا واصل الجواز [illegible] والعكوف الاقبال على الشيء والاقامة عليه ولازمه ومنه الاعتكاف وهو لزوم المسجد للعبادة والمتبر من التبار وهو الهلاك ومنه التبر للذهب [illegible] **الاعراب** كما لهم آلهة ما هذه كافة للكاف [illegible] وقال البصير وهو الحد [illegible] فلا يجوز ان يكون [illegible] الذي [illegible] وما كانوا يعملون فاعل الباطل اغير الله ابغيكم الها [illegible] مفعولين [illegible] ويكون الها مفعولا ثانيا ويكون غير منصوبا على الحال التي لو تأخرت لكانت صفة للنكرة وتقديره ابغيكم الها غير الله وقد يجوز ان يكون بمعنى ابغي لكم ويكون غير الله منصوبا بانه مفعول ابغي وتقديره ابغي لكم غير الله معبودا ويكون الها منصوبا على الحال **المعنى** ثم اخبر سبحانه عن احوال بني اسرائيل فقال وجاوزنا ببني اسرائيل اي قطعنا بهم البحر بعد مضي تعجيلهم طريقا يابسة حتى عبروا واغرقنا فرعون وقومه فاتوا على قوم اي مروا على قوم يعكفون على اصنام لهم اي يقبلون عليها ملازمين لها مقيمين عندها يعبدونها قال قتادة كان اولئك القوم من لخم وكانوا نزولا بالرقة وقال ابن جريج كانت تماثيل بقر وذلك اول شان العجل قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة اي اصنع لنا شيئا نعبده كما لهم اوثان يعبدونها وهذا كفر منهم [illegible] الايمان [illegible] ويكون مثلما لغيره [illegible] والجواب [illegible] لانهم لا يكونوا الهة [illegible] ان يتقرب الى الله سبحانه بعبادة غيره وان اعتقدوا انه لا يشبه الاشياء [illegible] سبحانه عن ذلك قال انكم قوم تجهلون هذا حكاية عما اجابهم به موسى عليه السلام اي تجهلون نعم الله عليكم [illegible] هذا القول عن الجاهل [illegible] ان هؤلاء يعني القوم الذين يعبدون الاصنام متبر اي مدمر مهلك ما هم فيه من عبادة الاصنام وباطل ما كانوا يعملون اي [illegible] لا يجدي عليهم شيئا ولا يدفع عنهم ضررا [illegible] لان الاول [illegible] والثاني [illegible] قال اغير الله ابغيكم الها [illegible] العالمين اي على عالمي زمانكم [illegible] واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم **قوله تعالى** واذ انجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم آية **القراءة** قرا ابن عامر انجاكم على لفظ الماضي والباقون انجيناكم وقرأ نافع وحده يقتلون بالتخفيف والباقون يقتلون بالتشديد **الحجة** [illegible] **المعنى** ثم خاطب الله سبحانه بني اسرائيل الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وآله فقال لهم على وجه الامتنان عليهم بالنعمة على اسلافهم واذ انجيناكم اي اذكروا اذ خلصناكم من آل فرعون يسومونكم اي يولونكم ويحملونكم اشد العذاب يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم اي يستبقونهن للخدمة [illegible] وفي ذلكم اي فيما فعل بكم من النجاة [illegible] عظيم [illegible] وقيل معناه [illegible] ابلاء عظيم وقد مر تفسير مثل هذه الآية في سورة البقرة **قوله تعالى** وواعدنا موسى ثلثين ليلة واتممناها بعشر فتم ميقات ربه اربعين ليلة وقال موسى لاخيه هرون

اخلفني في قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين آية **اللغة** الفرق بين الميقات والوقت ان الميقات ما قدر ليعمل فيه عمل من الاعمال والوقت وقت الشيء قدره مقدره او لم يقدره ولذلك قيل مواقيت الحج وهي المواضع التي قدرت للاحرام فيها **المعنى** ثم ذكر سبحانه تمام نعمته على بني اسرائيل فقال وواعدنا موسى ثلثين ليلة وتممناها بعشر ولم يقل اربعين ليلة كما قال في سورة البقرة لفائدة زائدة ذكر فيها وجوه احدها ان العدة كانت ذا القعدة وعشر ذي الحجة ولو قال اربعين ليلة لم يعلم ان الابتداء اول الشهر ولا ان الايام كانت متوالية ولا ان الشهر شهر بعينه عن الفراء وهو معنى قول مجاهد وابن عباس وابن جريج ومسروق واكثر المفسرين وثانيها انه سبحانه واعد موسى ثلثين ليلة ليصوم فيها ويتقرب بالعبادة ثم اتمت بعشر الى وقت المناجاة وقيل هي العشر التي نزلت التورية فيها فلذلك افردت بالذكر وثالثها ان موسى عليه السلام قد قال لقومه اني اتاخر عنكم ثلثين يوما ليتسهل عليهم ثم زاد عليهم عشرا وليس في ذلك خلف لانه اذا تاخر عنهم اربعين ليلة فقد تاخر ثلثين قبلها عن ابي جعفر الباقر عليه السلم وفيه تنبيه ما روي عن الحسن ان الوعد كان اربعين ليلة في الاصل فجاء هنا مفصلا وهناك على وجه التاكيد فتم ميقات ربه اربعين ليلة انما قال هذا مع ان ما تقدم دل على هذه العدة للبيان والتفصيل الذي يحسن في الكلام المقصود ولو لم يذكر لجاز ان يتوهم ان تمام الثلثين بعشر منها على معنى كملنا الثلثين بعشر حتى كملت بالعشر [illegible] وقد مر معنى المواعدة والوعد في سورة البقرة وقيل ان اربعين منتصب على الحال وتقديره معدودة اربعين ليلة وقال موسى وقت خروجه الى الميقات لاخيه هرون اخلفني في قومي اي كن خليفتي في قومي واصلح فيما بينهم واجر على طريقتك في الصلاح وقيل معناه واصلح فاسدهم وقيل معناه احملهم على الطاعة ولا تتبع سبيل المفسدين اي لا تسلك طريقة العاصين ولا تكن عونا للظالمين وانما اراد بذلك اصلاح قومه وان كان الخطاب لاخيه وانما امره عليه السلام اخاه بان يخلفه وينوب عنه في قومه ان هرون كان نبيا مرسلا لان الرياسة كانت لموسى عليه وعلى امته ولم يكن يجوز ان يقوم هرون لموسى مثل ذلك وفي هذا دلالة على ان منزلة الامامة منفصلة عن النبوة وغير داخلة فيها وانما اجتمع الامران والامامة لانبياء **قوله تعالى** ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب ارني انظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما افاق قال سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين آية **القراءة** جعله دكاء بالمد ههنا وفي الكهف كوفي غير عاصم ووافقهم عاصم في الكهف والباقون دكا بالقصر والتنوين في الموضعين **الحجة** قال الزجاج جعله دكا بالتنوين معناه جعله مدقوقا مع الارض والدكاء والدكاوات والروابي التي مع الارض ناشزة عنها لا تبلغ ان تكون جبلا قال ابو الحسن في قوله جعله دكا مكدوكة قال دكه وارد جعله ذا دك وقال ابو عبيدة جعله دكا اي مندكا وناقة دكاء اي ذاهبة السنام كانه جعلها كالناقة الدكاء فبقي اكثر والدك السوي واشد للتغلب على قوله عارفا بما قد دلوا [illegible] دكا مستويا بالارض [illegible] **اللغة** التجلي الظهور ويكون تارة بالظهور وتارة بالدلالة قال الشاعر [illegible] حشونه والقنا وقد كان من وقع الاسنة نائبا او [illegible] وقال السيد هو ابن جلا اي لا يخفى امره لشهرته وفي خطبة الحجاج انا ابن جلا وطلاع الثنايا متى اضع العمامة تعرفوني قال سيبويه جلا فعل ماض فكانه قال انا ابن الذي جلا اي اوضح **المعنى** ثم ذكر سبحانه حديث الميقات فقال ولما جاء موسى لميقاتنا معناه ولما اتى موسى الى المكان الذي وقتنا له وامرناه بالمصير اليه ليكلمه وننزل عليه التورية ويمكن ان يكون المراد بالميقات الزمان الذي وقته الله له بان ذلك [illegible] على الزمان يقع على المكان كمواقيت الاحرام فانها الامكنة التي لا يجوز تجاوزها لاهل الآفاق الا وهم محرمون وكلمه ربه [illegible] الانبياء على السنة الملائكة ولم يعلم موسى من يكلمه [illegible] من الشجرة [illegible] لان الكلام [illegible] وقيل في هذا الموضع [illegible] كلامه [illegible] قال رب ارني انظر اليك اي ارني نفسك انظر اليك اختلف العلماء في وجه مسئلته الرؤية مع علمه عليه السلم بانه سبحانه لا يدرك بالحواس على اقوال احدها ما قاله المرتضى وهو الاقوى انه لم يسئل الرؤية لنفسه وانما سالها لقومه حين قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولذلك قال عليه السلم اتهلكنا بما فعل السفهاء منا واضاف ذلك الى السفهاء ويسال على هذا فيقال لو جاز ان يسال الرؤية مع علمه باستحالة الرؤية عليه تعالى لجاز ان يسال لقومه سائر ما يستحيل عليه من كونه جسما وما اشبه ذلك متى شكوا فيه والجواب عن ذلك ان الشك في الرؤية لا يمنع من كونه [illegible] جسما يمكن معرفة السمع وانه سبحانه حكيم صادق فيصح ان يعرفوا بالجواب الوارد من جهته تعالى استحالة ما شكوا في صحته وجوازه ومع الشك في كونه جسما لا يصح معرفة السمع من حيث ان السمع لا يجوز ان يكون عبثا ولا ان يكون لا يحيط بجميع المعلومات ولا بد في العلم بصحة السمع من ذلك فلا يصح [illegible] وقد يجوز العلماء ان كان يجوز ان يسال موسى لقومه ما يعلم استحالته وان كان دلالة السمع لا يثبت قبل معرفته متى كان المعلوم انه في ذلك كان صلاحا للمكلفين في دينهم وان في ورود الجواب من جهة [illegible] النبي وسئلته ذلك نفعا لا استحالة ما سالوا عنه وان غرضه في السؤال وورود الجواب ليكون اللطف وقد نبه الله عليه السلم طلب الرؤية بالبصر ولكن سال ان يعلمه ضرورة باظهار بعض اعلام الآخرة تضطره الى المعرفة فتزول عنه الدواعي والشكوك ويستغني عن الاستدلال فتخف المحنة عليه بذلك كما سال ابراهيم رب ارني كيف

نحو الخطا الموت لما لحقهم الحقة ومن كان عرف ذلك بالاستدلال والسؤال وان وقع بلفظ الرؤية فعند العلم كما يفيد العلم الادراك بالبصر بين الله سبحانه ان ذلك لا يكون في الدنيا من القائم الحق وثالثها انه سأل الرؤية بالبصر على وجه الشبه من الحس والريح والشك وذلك لان معرفة التوحيد يصح مع الجهل بمسألة الرؤية ومعرفة السمع يصح ابتداء معه وهذا ضعيف لان الامر وان كان على ما ذكروه فلان الانبياء لا يجوز ان يخفى عليهم مثل هذا مع جلالة قدرهم وعلو درجتهم قوله لن تراني هذا جواب من الله تعالى ومعناه لا تراني ابدا لان لن تنفي على وجه التأبيد كما قال ولن يتمنوه ابدا بما قدمت وقال لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني علق رؤيته باستقرار الجبل الذي علم انه لم يستقر وهذه طريقة معروفة في استبعاد الشيء لانهم يعلقونه بما يعلم انه لا يكون [illegible] لكان الغرض [illegible] التبعيد فعلقه سبحانه بامر يستحيل كما علق دخول الجنة بامر يستحيل من ولوج الجمل في سم الخياط فجرى الله سبحانه على جواز الرؤية باستقرار الجبل في تلك الحال التي جعله فيها دكا وبذلك يستحيل لما فيه من اجتماع الضدين فلما تجلى ربه للجبل اي ظهر امر ربه لاهل الجبل فحذف والمعنى ان سبحانه اظهر من الآيات ما استدل من كان عند الجبل على ان رؤيته غير جائزة وقيل معناه ظهر ربه بآياته التي احدثها في الجبل لاهل الجبل كما يقال الحمد لله الذي تجلى لنا بقدرته فجعل آية حدثها الله سبحانه فكانه تجلى للعباد بها فلما اظهر الآيات العجيبة في الجبل صار كانه ظهر لاهله وقيل ان تجلى بمعنى جلى [illegible] حدث به ويحدث وتقديره جلى ربه امر الجبل اي ابرز في ملكوته للجبل ما تدكدك به ويؤيده ما جاء في الخبر ان الله تعالى ابرز من العرش مقدار الخنصر فتدكدك به الجبل وقال ابن عباس معناه ظهر نور ربه للجبل وقال الحسن لما ظهر وحي ربه للجبل جعله دكا اي مستويا بالارض وقيل ترابا عن ابن عباس وقيل ساخ في الارض حتى فني عن الحسن وقيل تقطع اربع قطع قطعة ذهبت نحو المشرق وقطعة ذهبت نحو المغرب وقطعة سقطت في البحر وقطعة صارت رملا وقيل صار الجبل ستة اجبل وقعت ثلاثة بالمدينة وثلاثة بمكة فالتي بالمدينة احد وورقان ورضوى والتي بمكة ثور وثبير وحراء وروي ذلك عن النبي صلى الله عليه وآله وخر موسى صعقا اي سقط مغشيا عليه عن ابن عباس والحسن وابن زيد ولم يمت بدلالة قوله فلما افاق. الميت [illegible] وانما يقال [illegible] واما السبعون الذين كانوا معه فقد ماتوا كلهم بدلالة قوله ثم بعثناكم من بعد موتكم وروي عن ابن عباس انه قال اخذته الغشية عشية يوم الخميس يوم عرفة وافاق عشية الجمعة وفيها نزلت عليه التوراة وقيل معناه خر ميتا عن قتادة فلما افاق من صعقته ورجع اليه عقله قال سبحانك اي تنزيها لك عن ان يجوز عليك ما لا يليق بك وقيل تنزيها من ان يأخذني بما فعل السفهاء من سؤال الرؤية تبت اليك من التقدم في المسألة قبل الاذن فيها وقيل انه قاله على وجه الانقطاع الى الله سبحانه كما يذكر التسبيح والتهليل ونحو ذلك من الالفاظ عند ظهور الامور الجليلة وانا اول المؤمنين بانك لا يراك احد من خلقك عن ابن عباس والحسن وروي عن ابي عبد الله عليه السلام وقيل معناه انا اول من آمن وصدق بانك لا ترى وقيل معناه انا اول المؤمنين من قومي باستعظام سؤال الرؤية عن الجبائي وقيل اول المؤمنين بانك لا تجلي [illegible] لا يرى [illegible] قوله تعالى قال يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأريكم دار الفاسقين القراءة قرأ اهل الحجاز وروح برسالتي على التوحيد والباقون برسالاتي على الجمع وقد مضى الكلام فيه اللغة اللوح صحيفة مهيأة للكتابة واصله من اللوح وهو اللمع يقال لاح يلوح اذا لمع وتلألأ والتلويح والوجه المشرق تغير ابيض عليه [illegible] لان ما يلوح يتراءى واللوح الهواء لانه كالابيض في صفته فاللوح يلوح المعاني بالكتابة والموعظة التحذير بما يزجر عن القبيح ويبصر مواقع الخوف المعنى ثم اخبر سبحانه عن عظيم نعمته على موسى بالاصطفاء وباجلال القدر وامره اياه بالشكر بقوله قال اي قال الله سبحانه يا موسى اني اصطفيتك اي اخترتك واتخذتك صفوة وفضلتك على الناس برسالاتي من غير كلام وبكلامي من غير سفارة وخص التأويل كلم له الملائكة ولم يكلم احدا من الناس بلا واسطة سوى موسى وقيل انه سبحانه كلم موسى على الطور وكلم نبينا صلى الله عليه وآله عند سدرة المنتهى فخذ ما آتيتك اي تناوله ما اتيتك من التوراة وتمسك بما امرتك وكن من الشاكرين اي المعترفين بنعمتي القائمين بشكرها على حسب رتبتها ولما كانت النعمة اعظم واجل وجب ان يقابل من الشكر بما يكون اتم واكمل والوجه في تشريف موسى عليه السلام بالاختصاص بالكلام ان ذلك نعمة عظيمة وشرف جسيم منه تعالى عليه لانه كله وهو من غير واسطة بينه وبينه ومن اخذ العلم من العالم المعظم كان اجل رتبة ممن اخذه ممن هو دونه وكتبنا له يعني لموسى في الالواح يريد الواح التوراة عن ابن عباس وقيل كانت من خشب نزلت من السماء عن الحسن وقيل كانت من زمرد وطولها عشرة اذرع عن ابن جريج وقيل كانت من زبرجدة خضراء وياقوتة حمراء عن الكلبي وقيل انها كانا لوحين قال الزجاج ويجوز في اللغة ان يقال للوحين الواح ويجوز ان يكون الواح جمع اكثر من اثنين من كل شيء قال الزجاج اعلم الله سبحانه انه اعطاه من كل شيء ما يحتاج اليه في الدين من الاوامر والنواهي والحلال والحرام وذكر الجنة والنار وغير ذلك من العبر والاخبار مما فيه من احسن المحاسن وهي الفرائض والنوافل فانها احسن موعظة وتفصيلا لكل شيء تفسير لقوله كل شيء فخذها بقوة اي بجد واجتهاد وقيل بصحة عزيمة وقوة قلب وأمر قومك يأخذوا

بأحسنها يعني بما فيها من احسن المحاسن وهي الفرائض والنوافل فانها احسن من المباحات وقيل معناه يأخذوا بالناسخ دون المنسوخ عن الجبائي وهذا ضعيف لان المنسوخ قد خرج من ان يكون حسنا وقيل ان المراد بالاحسن الحسن وكلها حسن كقوله سبحانه وهو اهون عليه وكقوله ولذكر الله اكبر وقوله سأريكم دار الفاسقين يعني سأريكم جهنم عن الحسن ومجاهد والجبائي والمراد فلتكن منكم على ذكر لتحذروا ان تكونوا منهم وهذا تهديد لمن خالف امر الله تعالى وقيل يريد ديار فرعون وقومه بمصر عن عطية العوفي وقيل معناه سادخلكم الشام فاريكم منازل القرون الماضية ممن خالف امر الله تعالى لتعتبروا بها عن قتادة وفي تفسير علي بن ابراهيم ان معناه يجيئكم قوم فساق يكون الدولة لهم قوله تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت اعمالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون القراءة قرأ اهل الكوفة غير عاصم الرشد بفتح الراء والشين والباقون الرشد بضم الراء وسكون الشين الحجة وهما لغتان وحكي ان ابا عمرو فرق بينهما فقال الرشد الصلاح والرشد في الدين مثل قوله مما علمت رشدا وتحروا رشدا فهذا في الدين وقوله فان آنستم منهم رشدا فهو في اصلاح المال والحفظ له وقد جاء الرشد في غير الدين في قوله يا قوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد [illegible] اللغة الرشد سلوك طريق الحق يقال رشد يرشد رشدا ورشادا ومنه الغي يقال غوى يغوي غيا وغواية والحبوط سقوط العمل حتى يصير بمنزلة ما لم يعمل واصله الفساد من الحبط وهو داء يأخذ البعير في بطنه من فساد الكلام عليه وقد حبطت الابل تحبط حبطا اذا اصابها ذلك واذا عمل الانسان عملا على خلاف الوجه الذي امر به يقال حبط المعنى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض قد ذكر في معناه وجوه احدها انه اراد سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض وذكر في معناه وجوه من نيل الكرامة المتعلقة بآياتي والاعتزاز بها كما يناله المؤمنون في الدنيا والآخرة المتكبرين في الارض بغير الحق كاهل قوم موسى وقوم فرعون فان موسى كان يقتل من القبط وكان احد منهم لا يجترئ ان يناله بمكروه خوفا من التقيا ذكره بني اسرائيل وعز فرعون وقومه على الجبائي وان الآيات على هذا التأويل يحتمل ان يكون سائر الادلة ويحتمل ان يكون معجزات الانبياء عليهم السلام وقوله ذلك بانهم كذبوا بآياتنا انه صرفهم عن الآيات يستحق بتكذيبهم وثانيها ان معناه سأصرفهم عن زيادة المعجزات التي اظهرها على الانبياء عليهم السلام بعد قيام الحجة بما تقدم من المعجزات التي تثبت بها النبوة لان هذا الضرب من المعجزات انما يظهر اذا كان في المعلوم انه يؤمن عنده من لا يؤمن بما تقدم من المعجزات فيكون الصرف بان لا يظهرها جملة وبان يصرفهم عن مشاهدتها ويظهرها بحيث غيرهم وهذا الوجه اختاره القاضي لان ما بعده يليق به من قوله وان يروا سبيل الرشد الخ وثالثها ان معناه ما منع المتكبرين آياتي من معجزاتي واصرفهم عنها واخص بها الانبياء فلا اظهرها الا عليهم واذا صرفهم عنها فقد صرفها عنهم وكل اللفظين يفيد معنى واحدا فليس لاحد ان يقول كيف قال سأصرف آياتي عن الذين يتكبرون وهذا يبطل قول من قال ان الله تعالى جعل النيل في امر فرعون فكان يجري بامره ويقف بامره وما شاكل ذلك ورابعها ان يكون الصرف معناه المنع من ابطال الآيات والحجج والقدح فيها بما يخرجها عن كونها ادلة وحججا ويكون تقدير الآية اني اصرف المبطلين والمكذبين عن القدح في دلالة آياتي بما اوردها واحكمه من الحجج والبيان ويجري ذلك مجرى قول احدنا ان فلانا منع اعداءه بافعاله الجميلة واخلاقه الكريمة من ذمه وعيبه والخوض السنتهم عن الطعن عليه وانما يريد المعنى الذي ذكرناه ويكون على هذا قوله ذلك بانهم كذبوا بآياتنا راجعا الى ما قبله بلا فصل من قوله وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا ولا يرجع الى قوله سأصرف وخامسها ان المراد سأصرف عن ابطال آياتي والمنع من تبليغها هؤلاء المتكبرين بالاهلاك والمنع من غير اهلاك فلا يقدرون على القدح فيها ولا على قصر بلغها ولا على منع المؤمنين من اتباعها والايمان بها وهو نظير قوله والله يعصمك من الناس ويكون الآيات في هذا الوجه القرآن وما جرى مجراه من كتب الله تعالى التي تحملها الانبياء عليهم السلام ويكون قوله ذلك بانهم كذبوا بآياتنا على هذا متعلقا ايضا بقوله وان يروا سبيل الرشد الى ما بعده وحمل قوله الذين يتكبرون في الارض انهم يرون انهم افضل الخلق وان لهم من الحق ما ليس لغيرهم مثله فيحملهم على ترك اتباع الانبياء انفة من اتباع الانبياء دونهم والتبوك منهم وقوله بغير الحق تأكيد وبيان ان التكبر لا يكون الا بغير الحق كقوله ويقتلون النبيين بغير حق وقد مضى ذكر امثاله وان يروا كل آية اي كل حجة ودلالة تدل على توحيد الله وصحة نبوة انبيائه لا يؤمنوا بها هذا اخبار من الله تعالى عن هؤلاء المتكبرين انهم لا يؤمنون به وبكتبه ورسله وبيان لتمام خبرهم عن ايمانه لذلك وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا يعني ان يروا طريق الهدى والحق لا يتخذوه طريقا لانفسهم وان يروا سبيل الغي اي طريق الضلال يتخذوه سبيلا اي طريقا لانفسهم ويميلون اليه وقيل الرشد الايمان والغي الكفر وقيل الرشد كل امر محمود والغي كل امر قبيح مذموم ذلك اشارة الى ما تقدم من الاباء وقيل اشارة الى اتخاذهم طريق الغي وتركهم طريق الرشد وتقديره امرهم ذلك بانهم كذبوا بآياتنا اي بحججنا ومعجزات رسلنا وكانوا عنها غافلين اي يتعرضون بها ولا يتفكرون فيها والوجه فيها [illegible] لا للغفلة بل قوله صم بكم عمي وذلك لانهم لما اعرضوا عن الانتفاع بالآيات والتأمل فيها اشبهت حالهم حال من كان غافلا عنها فحسن ان يصفهم الله سبحانه بذلك ثم قال والذين كذبوا بآياتنا

ولقاء الآخرة يعني البعث والنشور حبطت اعمالهم التي عملوها فلا يستحقون بها مدحا ولا ثوابا لانها وقعت على خلاف الوجه المأمور به فصارت
بمنزلة ما لم يعمل هل يجزون الا ما كانوا يعملون صورته صورة الاستفهام والمراد به الانكار والتوبيخ معناه ليس يجزون الا ما عملوا ان خيرا فخير
وان شرا فشر النظم قيل وجه اتصال الآية بما قبلها وجوه احدها انه تقدم ذكر المعجزات وما رام فرعون من ابطالها فبين بقوله سأصرف
عن آياتي انه يمنع من ابطال المعجزات فيتصل بما تقدم من قصة موسى وفرعون وثانيها انه لما تقدم ذكر معجزات موسى عقبه على انه سبحانه لا يظهر المعجزة على
من ليس بنبي وانما يظهر على من صدق موسى ومحمد صلى الله عليه وآله لمكان المعجزة وثالثها انه خطاب لموسى عليه السلام وزيادة في البيان عن اتمام ما وعده في
اهلاك اعدائه وصرفهم عن الاعتراض على آياته ومعناه جردها من طعن الطاعنين فان سارفه ورابعها ان الآيتين اعتراض بين قصة موسى والخطاب
لنبينا محمد صلى الله عليه وآله والمراد انه يصرف المتكبرين عن آياته كما صرف فرعون عن موسى قوله تعالى واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا
له خوار الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين آية القراءة قرأ حمزة والكسائي من حليهم بكسر الحاء واللام وقرأ يعقوب
حليهم بفتح الحاء وسكون اللام وقرأ الباقون حليهم بضم الحاء وكسر اللام الحجة من قرأ بضم الحاء فانه جمع حلي مثل ثدي وثدي وجمعه لانه اضافه
الى الجمع ومن قرأ بكسر الحاء اتبع الكسرة الكسرة وكره الخروج من الضمة الى الكسرة فاجراه مجرى عصي ونحوه ومن قرأ حليهم فالحلي اسم جنس يقع على القليل والكثير
اللغة الاتخاذ اجتباء امر من الامور فهؤلاء اتخذوا العجل للعبادة والحلي ما اتخذ للزينة من الذهب والفضة يقال الحلي التي تزين حلي يحلى وحلي في عيني
حلاوة وحليت الرجل تحلية اذا وصفته بما يرى منه وتحلى بكذا اذا تزين به وتحسن والجسد جسم الحيوان مثل البدن وهو روح وجسد فالروح ما لطف والجسد
ما كثف والجسم يقع على جسد الحيوان وغيره من الجمادات والخوار صوت الثور وهو صوت غليظ وبناء فعال يدل على الآفة نحو الصراخ والسعال والعطاس
الاعراب موضع من حليهم نصب تقديره اتخذوا من حليهم عجلا جسدا بدلا من عجل المعنى ثم عاد الكلام الى قصة بني اسرائيل وما احدثوه بعد خروج
موسى عليه السلام الى ميقات ربه فقال سبحانه واتخذ قوم موسى يعني السامري ومن جرى على طريقته وقيل يعني جميعهم لان منهم من صاغ العجل ومنهم من عبده
ومنهم من لم ينكر وانما انكر ذلك القليل منهم فخرج الكلام على الغالب من بعده اي من بعد خروج موسى الى الميقات عن الجبائي وغيره من حليهم التي استعاروها
من قوم فرعون وكان بنو اسرائيل بمنزلة اهل الجزية في القبط وكان لهم يوم عيد يتزينون فيه ويستعيرون من القبط الحلي فوافق ذلك اليوم عيدهم فاستعاروا
حلي القبط فلما اخرجهم الله من مصر وغرق فرعون بقيت تلك الحلي في ايديهم فاتخذ السامري منها عجلا وهو ولد البقرة عجلا جسدا اي مجسدا لا روح فيه وقيل لحما
ودما عن الحسن له خوار اي صوت وروي في الشواذ جؤار بالجيم والهمزة وهو الصوت ايضا وكيفية خوار العجل مع انه مصوغ من ذهب خلاف فقيل اخذ
السامري قبضة من تراب اثر فرس جبرئيل عليه السلام يوم قطع البحر فقذف ذلك التراب في فم العجل فتحول لحما ودما وكان ذلك معتادا غير خارق للعادة وجاز
ان يفعل الله تعالى ذلك ليجري العادة عن الحسن وقيل انه احتال بادخال الريح كما يعمل هذه الآلات التي تصوت بالحيل عن الجبائي والبلخي وانما اضاف سبحانه
الصوت اليه لانه كان عند دخول الريح جوفه وكان السامري عندهم محبا انخدعوا بما سمعوا فاخبرت ان موسى عليه السلام قد مات لما لم يرجع على رأس الثلاثين ليلة
الى عبادة العجل فاطاعوه ولم يطيعوا هرون وعبدوا العجل على ما ذكر في سورة البقرة ثم ذكر سبحانه ذلك لتقريعهم فقال الم يروا اي الم يعلموا انه لا يكلمهم بما يجر لهم
نفعا او يدفع عنهم ضرا ولا يهديهم سبيلا اي لا يهديهم الى خير ليأتوه ولا الى شر ليجتنبوه دل سبحانه بهذا على فساد ما ذهبوا اليه فان من لا يتكلم بخير ولا يهدي
الطريق فهو جماد لا ينفع ولا يضر فكيف يكون الها معبودا اتخذوه الها وعبدوه وكانوا ظالمين باتخاذهم له الها ووضعهم العبادة في غير موضعها قوله تعالى
ولما سقط في ايديهم ورأوا انهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين آية القراءة لئن لم ترحمنا بالتاء ربنا بالنصب وتغفر لنا بالتاء
كوفي غير عاصم والباقون يرحمنا ويغفر لنا بالياء ربنا بالرفع الحجة من قرأ بالياء جعل الفعل للغيبة وارتفع ربنا به ويغفر لنا فيه ضمير ربنا ومن قرأ بالتاء ففيه
ضمير الخطاب وربنا نداء وحذف حرف النداء معه لان عامة ما في التنزيل حذف حرف النداء معه نحو قوله ربنا انك من تدخل ربنا وآتنا ما وعدتنا
اللغة معنى سقط في ايديهم وقع البلاء في ايديهم اي وجدوه وجدان من يده فيه فقال ذلك النادم عند ما يجده مما كان يحجز عليه ويقال سقط في يده واسقط
في يده وبغير الف افصح وقيل معناه صار الذي كان يضربه ملقى في يده ثم اخبر سبحانه انهم ندموا على عبادة العجل فقال ولما سقط في ايديهم اي لما لحقتهم الندامة ورأوا
قد ضلوا اي علموا ضلالهم عن الصواب وطريق الحق بعبادة العجل حين رجع اليهم موسى وبين لهم ذلك قالوا لئن لم يرحمنا ربنا بقبول توبتنا ويغفر لنا ما قدمناه من
عبادة العجل لنكونن من الخاسرين باستحقاق العقاب قال الحسن انهم كلهم عبدوا العجل الا هرون بدلالة قول موسى رب اغفر لي ولاخي ولو كان هناك مؤمن
غيرهما لدعا له وقال غيره انما عبده بعضهم قوله تعالى ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا قال بئسما خلفتموني من بعدي اعجلتم امر ربكم والقى الالواح واخذ برأس

اخيه يجره اليه قال ابن ام ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الاعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين قال رب اغفر لي ولاخي وادخلنا في رحمتك
وانت ارحم الراحمين آيتان القراءة قرأ ابن عامر واهل الكوفة غير حفص ابن ام بالكسر ههنا وفي طه وقرأ الباقون ابن ام نصبا في الموضعين وروي في الشواذ
عن مجاهد ولا يشمت بالياء الحجة من قرأ ابن ام بالفتح فلكثرة استعمالهم هذا الاسم قالوا يا ابن ام ويا ابن عم جعلوهما اسما واحدا نحو خمسة عشر قال سيبويه
قالوا يا ابن ام ويا ابن عم فجعلوا ذلك بمنزلة اسم لان هذا اكثر في كلامهم من يا ابن ابي ويا غلام ابي ومن العرب من يقول يا ابن امي باثبات الياء قال الشاعر يا ابن امي و
يا شقيق نفسي انت خليتني لدهر شديد وقال ابو علي بني الاسمان على الفتح والفتحة في ابن ليست الفتحة التي كانت تكون في الاسم المضاف المنادى لكن هي على الحركة
التي كانت للاعراب كما ان قولهم لا رجل كذلك وكان بمنزلة ما اذا اردت به الامر لا تكون الفتحة فيه الفتحة التي كانت فيه وهو ظرف ولكنه على حد الفتحة في رويد
قال فيجوز ان لا تكون الفتحة فيه والمراد يا ابن اما فحذف الالف كما حذف الياء في الاضافة في يا غلامي قيل له ليس هذا مثله الا ترى ان من حذف الياء من يا غلامي
اثبتها في يا غلام غلامي فلو كانت الالف مقدرة في يا ابن ام لم يكن يحذف كما لم يحذف في قوله يا ابنة عما لا تلومي واهجعي فالالف لا تحذف حيث تحذف الياء
الا ترى ان من قال ما كنا نبغ والليل اذا يسر يحذف الياء من الفواصل وما اشبه الفواصل من الكلام التام لم يكن يحذف في نحو قوله والليل اذا يغشى والنهار
اذا تجلى الا الاثبات فان قلت تقدر حذف الالف في نحو قوله رهط ابن مرجوم ورهط ابن المعل يريد المعلى وانشد ابو الحسن فلست بمدرك ما فات مني بلهف
ولا بليت ولا لو اني يريد بلهفي قيل والالف والقول فيه ان ذلك في الشعر ولا يكون في الاختيار وحال السعة ولا ينبغي ان يحمل قوله ابن ام على هذا وقياس من جاز
ذلك ان يكون فتحة الابن نصبة والفتحة في ام ليست كالتي في خمسة عشر ويكون مثل الفتحة التي في الميم من يا ابنة عما قال الزجاج ومن قرأ ابن ام بالكسر فانه
اضاف الى نفسه بعد ان جعله اسما واحدا اللغة الاسف الغضب الذي فيه تأسف على فوت ما سلف والاسف الحزن والتلهف ايضا ويقال خلفه بما يحب وبما
يكره اذا عمل خلفه ذلك العمل والعجلة التقدم بالشيء قبل وقته والسرعة عمله في اول وقته ولذلك صارت العجلة مذمومة ويقال عجلته اي سبقته واعجلته استحثثته
والشماتة سرور العدو بنزول الفاقة يقال شمت به شماتة واشمته اشماتا عرضه لتلك الحال المعنى ثم اخبر سبحانه عما فعله موسى عليه السلام حين رجع من مناجاة
ربه ورأى عكوف قومه على عبادة العجل فقال ولما رجع موسى الى قومه يعني بني اسرائيل غضبان اسفا اي حزينا عن ابن عباس وقيل الاسف الشديد الغضب عن ابي الدرداء
وقيل معنى الغضب والاسف واحد وانما كررهما للتأكيد واختلاف اللفظين كما قال الشاعر متى ادن منه ينأ عني ويبعد وقيل معناه غضبانا
على قومه اذ عبدوا العجل اسفا حزينا متلهفا على ما فاته من مناجاة ربه قال بئسما خلفتموني من بعدي اي بئس ما عملتم خلفي وبئس الفعل فعلكم بعد ذهابي الى ميقات
ربي اعجلتم امر ربكم اي ميعاد ربكم فلم تصبروا له عن ابن عباس ونحوه قال الحسن وعد ربكم الذي وعدني من الاربعين ليلة وذلك انهم قدروا انه
قد مات لما لم يأت على رأس ثلثين ليلة وقيل اعجلتم بعبادة العجل قبل ان يأتيكم امر من ربكم عن الكلبي وقيل معناه استعجلتم وعد الله فلما لم تروه عدلتم الى عبادة
غيره عن الجبائي والقى الالواح معناه انه القاها لما ناله من شدة الغضب والجزع على عبادة قومه العجل عن ابن عباس وروي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال يرحم الله اخي
موسى ليس الخبر كالمعاين لقد اخبره الله بفتنة قومه وقد عرف ان ما اخبره به حق وانه على ذلك لمتمسك بما في يديه فرجع الى قومه ورآهم فغضب والقى الالواح
واخذ برأس اخيه يجره اليه قيل في معناه وجوه احدها ان موسى عليه السلام انما فعل ذلك مستعظما لفعلهم متفكرا فيما كان منهم كما يفعل الانسان
بنفسه مثل ذلك عند الغضب وشدة الفكر فيقبض على لحيته ويعض على شفته فاجرى موسى عليه السلام اخاه مجرى نفسه فصنع به ما يصنع الانسان بنفسه
عند حالة الغضب والفكر عن ابي علي الجبائي وهذا امر يختلف احكامه بالعادات فيكون ما هو اكرام في موضع استخفافا في غيره ويكون ما هو
استخفاف في موضع اكراما في آخر وثانيها انه عليه السلام اراد ان يظهر ما اعتراه من الغضب على قومه لاكباره منهم ما صاروا اليه من الكفر والارتداد
فصدر ذلك منه للتألم بضلالهم واعلاما لهم عظم الحال عنده لينزجروا عن مثله في مستقبل الاحوال ذكره الشيخ المفيد ابو عبد الله بن النعمان رضي الله عنه
وثالثها انه ادناه الى نفسه ليناجيه ويستبين حال القوم وهذا الظاهر فلما ظهر هرون براءة نفسه دعا له ولنفسه ورابعها انه لما رأى
هرون بمثل ما به من الجزع والقلق اخذ برأسه متوجعا له مشفقا فكره هرون ان يظن الجهال ذلك استخفافا فاظهر براءته ودعا له موسى لازالة التهمة
وقد انكر على هرون ما رآه في قوله ما منعك اذ رأيتهم ضلوا الا تتبعن الآية عن ابي مسلم قال يعني قال هرون ابن ام قال الحسن والله لقد كان
اخاه لابيه وامه الا انه قال ابن ام لان ذكر الام ابلغ في الاستعطاف ان القوم استضعفوني يعني ان القوم الذين خلفتني بينهم اتخذوني ضعيفا و
كادوا يقتلونني اي هموا بقتلي وقربوا ان يقتلوني لشدة انكاري عليهم فلا تشمت بي الاعداء اي لا تسرهم بان تفعل بي ما يوهم ظاهره خلاف التعظيم ولا تجعلني
مع القوم الظالمين اي لا تجعلني بمعية العجل ومن جملتهم في اظهار الغضب والموجدة على قال موسى حين تبين له ما نبه هرون عليه من نفي التهمة ووجود الشبهة

القوم رب اغفر لي ولاخي وهذا على وجه الانقطاع الى الله سبحانه والتقرب اليه لا ان كان وقع منه او من اخيه قبيح كبير او صغير يحتاج ان يستغفر منه فان
الدليل قد دل على ان الانبياء لا يجوز ان يقع منهم شيء من القبيح وقيل انه عليه السلام بعد الى هرون لانه لم يرد به اليه لغضبان وجدته وانما فعله كما يفعل
الانسان بنفسه عند شدة غضبه على غيره من الجنايات وادخلنا في رحمتك اي نعمتك وجنتك وانت ارحم الراحمين تمام المعنى وانما يذكر في اخر الدعاء ليا ر...
الرجاء من جهته فان الابتداء بالنعمة يوجب الاتمام بالرحمة وسعة الرحمة يقتضي الزيادة فيها فقال ارحم الراحمين لاستدعاء الرحمة من جهته
كما يقال اجود الاجودين لاستدعاء الجود من قبله **قوله تعالى** ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الدنيا وكذلك نجزي
المفترين والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وامنوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم ولما سكت عن موسى الغضب اخذ الالواح وفي نسختها هدى
ورحمة للذين هم لربهم يرهبون ثلث ايات **اللغة** النيل اللحوق واصله من النيل الذي يليه وسبقهم لهم لقولك ان يفعل كذا ان ينبغي ان يفعله فانه يلحقه
جزيه وسكت اي سكن والسكوت هو الامساك عن الكلام بهيئة منافية لسببه وهو تسكين آلة الكلام وانما قيل سكت الغضب توسعا ومجازا لانه لما كان
تقويره الاحوال في المغضوب عليه كان بمنزلة الناطق بذلك فاذا سكنت تلك الفورة كان بمنزلة الساكت عما كان متكلما به فالسكوت في هذا الموضع احسن
من السكون لتضمنه معنى سكوته عن المعاتبة مع سكون غضبه **الاعراب** في للذين هم لربهم يرهبون ولا يجوز يرهبون ربهم لانه اذا تقدم المفعول ضعف عمل الفعل فيه فصار
بمنزلة ما لا يتعدى في دخول اللام عليه وقيل انه اذا كان بمعنى من اجله جاز دخول اللام عليه تقدم او تأخر كما قال هم لربهم **المعنى** ثم اوعدهم سبحانه تعالى
ان الذين اتخذوا العجل فيه حذف اي اتخذوه الها ومعبودا من دون الله سينالهم غضب يستحقهم على عبادتهم اياه عقوبة من ربهم وانما ذكر الغضب مع الوعيد
بالنار لانه ابلغ في الزجر عن القبيح وذلة في الحيوة الدنيا يعني صغار النفس والمهانة في الرجاج والذل ما امروا به من قتل النفس وقيل ان الذلة اخذ الجزية واخذ الجزية
لم يقع فيمن عبد العجل وانما اراد اسنادهم من النسل وكذلك نجزي المفترين اي مثل هذا الوعيد والعذاب والغضب نجزي الكاذبين والمخرصين وانما سموا مفترين
لانهم عبدوا وجحدوا وقالوا هذا الهكم واله موسى ثم عطف سبحانه على ذلك بقوله والذين عملوا السيئات اي الشرك والمعاصي ثم تابوا من بعدها وتنسوا
اي واستانفوا عمل الايمان وقيل معناه تابوا وآمنوا بان الله قابل التوبة ان ربك يا محمد من بعدها اي من بعد التوبة وقيل من بعد السيئات لغفور لذنوبهم
رحيم بهم ولما سكت اي سكن عن موسى الغضب وقيل معناه زال غضبه ولم يزل الغضب لانهم لم يخلصوا وقيل معناه زال الغضب لانهم تابوا اخذ الالواح
التي كانت فيها التورية وفي نسختها اي فيما نسخ فيها وكتب من الحلال والحرام وقيل في نسختها التي كتبت ونسخت منها هدى اي دلالة وبيان لما يحتاج اليه من امور الدين
ورحمة اي نعمة ومنفعة للذين هم لربهم يرهبون اي يخشون ربهم فلا يعصونه ويعملون بما فيها وفي الاية دلالة على انه لو القاء ما في التورية الغضب الذي
نظر بالقائها ثم اخذها لحكم التي فيها من غير ان يكون القاؤها يعقبها **قوله تعالى** واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة
قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي اتهلكنا بما فعل السفهاء منا ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي بها من تشاء انت ولينا فاغفر لنا
وارحمنا وانت خير الغافرين اية **اللغة** الاختيار ارادة ما هو خير الخير من امرين فاختار واحدهما والاختيار والايثار بمعنى واحد والفتنة الكشف
والاختبار في المسبك تخليص او تمحيص ناسق فات له بغير تمام اي تكشفه وتبرزه **الاعراب** واختار موسى قومه واختار موسى من قومه
تحذف من فوصل الفعل فنصب وانما يحذف من لدلالة الفعل عليه مع ايجاز اللفظ قال الفرزدق ومنا الذي اختير الرجال سماحة وجودا اذا هب الرياح
الزعازع وقال غيلان وانت التي اخترت المذاهب كلها بوهبين اذ ردت على الاباعر وقال اخر فقلت له اخترها قلوصا سمينة ونابا علينا مثل نابك في
الحيا **المعنى** ثم اخبر سبحانه عن اختيار موسى من قومه من وفد وجه الى ميقات ربه فقال واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا واختلف في سبب
اختياره اياهم ووقته فقيل انه اختارهم حين خرج الى الميقات ليكلمه الله سبحانه بحضرتهم ويعطيه التورية فيكونوا شهداء له عند بني اسرائيل لما لم يثقوا بخبره
ان الله سبحانه يكلمه فلما حضروا الميقات وسمعوا كلامه تعالى سألوا الرؤية فاصابتهم الصاعقة ثم احياهم الله فابتدأ سبحانه بتجديد الميقات ثم اعترض
حديث العجل ثم عاد الى بقية القصة وهذا الميقات هو الميعاد الاول الذي تقدم ذكره عن ابي علي الجبائي وابي مسلم وجماعة من المفسرين وهو المروي عن
علي بن ابراهيم في تفسيره وقيل انه اختارهم بعد الميقات الاول للميقات الثاني بعد عبادة العجل ليعتذروا من ذلك فلما سمعوا كلام الله تعالى قالوا ارنا
الله جهرة فاخذتهم الرجفة وهي الرعدة والحركة الشديدة حتى كادت ان تبين مفاصلهم وخاف موسى عليهم الموت فبكى ودعا وخاف ان يتهمه بنو اسرائيل
على السبعين اذا عاد اليهم ولم يصدقوه بانهم ماتوا عن السدي والحسن وقال ابن عباس ان السبعين الذين قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم
الصاعقة كانوا قبل السبعين الذين اخذتهم الرجفة وانما امره الله تعالى ان يختار من قومه سبعين رجلا فاختارهم وبرز بهم ليدعوا ربهم فكان فيما دعوا ان قالوا

اللهم اعطنا ما لم تعطه احدا قبلنا ولا تعطه احدا بعدنا فكره الله ذلك من دعائهم فاخذتهم الرجفة وروي عن علي بن ابي طالب عليه السلام
انه قال انما اخذتهم الرجفة من اجل دعواهم على موسى قتل هرون وذلك ان موسى وهرون وشبيرا وشبرا ابني هرون انطلقوا الى سفح جبل فنام هرون
على سرير فتوفاه الله فلما مات دفنه موسى فلما رجع الى بني اسرائيل قالوا له اين هرون قال توفاه الله فقالوا لا بل انت قتلته حسدته على خلقه
ولينه قال فاختاروا من شئتم فاختاروا منهم سبعين رجلا وذهب بهم الى القبر قال موسى يا هرون اقتلت ام مت فقال هرون ما قتلني احد
ولكن توفاني الله فقالوا لن تعصى بعد اليوم فاخذتهم الرجفة وقيل انهم ماتوا ثم احياهم الله وجعلهم انبياء وقال وهب لم تكن تلك الرجفة موتا
ولكن القوم لما رأوا تلك الهيئة اخذتهم الرعدة وقلقوا ورجفوا حتى كادت ان تبين مفاصلهم وتنقض ظهورهم فلما رأى ذلك موسى رحمهم وخاف عليهم
الموت فاشتد عليه فقدهم وكانوا له وزراء على الخير سامعين له مطيعين فعند ذلك دعا وبكى وناشد ربه فكشف الله عنهم تلك الرجفة والرعدة
فسكنوا واطمأنوا وسمعوا كلام ربهم فذلك قوله قال موسى رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي لو شئت اهلكت هؤلاء السبعين من قبل هذا الموقف
واهلكتني معهم فالآن ماذا اقول لبني اسرائيل اذا رجعت اليهم اتهلكنا بما فعل السفهاء منا معناه النفي وان كان بصورة الانكار والمعنى انك لا تهلكنا
بما فعل السفهاء منا فبهذا نسألك رفع المحنة بالاهلاك عنا وما فعله السفهاء هو عبادة العجل ظن موسى عليه السلام انهم اهلكوا لاجل
عبادة بني اسرائيل العجل فهم السفهاء وقيل هو سؤال الرؤية يعني جماعة من المفسرين ان هي الا فتنتك معناه ان الرجفة ما هي الا اختبارك
وابتلاؤك ومحنتك اي تشديد التعبد والتكليف علينا بالصبر على ما انزلته بنا عن سعيد بن جبير وابي العالية والربيع ومثله قوله اولا
انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين يعني بذلك الامراض والاسقام التي شدد الله بها التعبد على عباده وانما سمى ذلك فتنة لانه
يشتد الصبر عليها ومثله الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون اي لا تنالهم شدائد الدنيا وقيل ان المراد من الا
عذابك عن ابن عباس وقد يسمى العذاب فتنة في قوله يوم هم على النار يفتنون اي يعذبون فكانه قال ليس هذا الا عذابك لهم بما فعلوه
من الكفر وعبادة العجل وسؤالهم الرؤية تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء وقيل معناه تضل بترك الصبر على فتنتك وترك الرضا بها من تشاء
من نيل ثوابك ودخول جنتك وتهدي بالرضا بها والصبر عليها من تشاء انت ولينا معناه انت ناصرنا والاولى بنا فاحفظنا
فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين اي خير الساترين على عباده والمتجاوزين لهم عن جرمهم **قوله تعالى** واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي
الاخرة انا هدنا اليك قال عذابي اصيب به من اشاء ورحمتي وسعت كل شيء فساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكوة والذين هم باياتنا يؤمنون
اية **القراءة** في الشواذ قراءة الحسن وابي عمرو الاسواري من اساء والقول المشهور من اشاء والوجه فيه ظاهر **المعنى** هذا تمام ما قاله
موسى عليه السلام في دعائه واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة سأل الله سبحانه ان يكتب لهم الحسنة في الدنيا وهي النعمة وانما سمي النعمة حسنة وان
كانت الحسنة اسم الطاعة لله لامرين احدهما ان النعمة تقبلها النفس كما ان الطاعة تقبلها العقل والاخر انها ثمرة الطاعة لله وانما ذكر بلفظ الكتابة وقيل
واجعل لنا واوجب لنا لان الكتابة ابت وادوم يقال كتب رزق فلان في الديوان فيدل ذلك على دوامه وجريه على مرور الازمان وفي الاخرة
حسنة اي كما اعطيتنا في الدنيا حسنة ففي الاخرة حسنة وقيل الحسنة في الدنيا الثناء الجميل وفي الاخرة الرحمة وقيل هي في الدنيا التوفيق للاعمال
الصالحة وفي الاخرة المغفرة والجنة انا هدنا اليك اي رجعنا بتوبتنا اليك والهود الرجوع قال الله تعالى مجيبا لموسى عليه السلام عذابي اصيب به من اشاء ممن
استحقه بعصيانه وانما علقه بالمشية لجواز الغفران في العقل ورحمتي وسعت كل شيء قال الحسن وقتادة ان رحمته في الدنيا وسعت البر والفاجر وهي يوم القيمة
للمتقين خاصة وقال عطية العوفي وسعت كل ولكن لا تجب الا للذين يتقون وذلك لان الكافر يرزق ويدفع عنه بالمؤمن لسعة رحمة الله للمؤمن فيعيش
فيها فاذا صار في الاخرة وجبت للمؤمنين خاصة كالمستضيء بنار غيره اذا ذهب صاحب السراج بسراجه وقيل معناه انها تسع كل شيء ان دخلوها فلو دخل
الجميع فيها لوسعتهم الا ان فيهم من لا يدخل فيها لضلاله وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وآله قام في الصلوة فقال اعرابي وهو في الصلوة اللهم ارحمني ومحمدا
ولا ترحم معنا احدا فلما سلم رسول الله صلى الله عليه وآله قال للاعرابي لقد تحجرت واسعا يريد رحمة الله عز وجل اورده البخاري في الصحيح فساكتبها للذين
يتقون اي ساوجبها حتما للذين يتقون الشرك اي يجتنبونه وقيل يجتنبون الكبائر والمعاصي ويؤتون الزكوة اي يخرجون زكوة اموالهم لانها من اشق الفرائض
وقيل معناه يطيعون الله ورسوله عن ابن عباس والحسن وانما ذهبا الى تزكية النفس وتطهيرها والذين هم باياتنا يؤمنون اي يصدقون بحججنا وبيناتنا قوله
وروي عن ابن عباس وقتادة وابن جريج انه لما نزلت ورحمتي وسعت كل شيء قال ابليس انا من ذلك الشيء فنزعها الله من ابليس بقوله فساكتبها للذين

٣٦٩

تمام

يقول الحق الا برقاب اليهود والنصارى من يتقي ويؤتي الزكوة ويؤمن بآيات ربنا فنزعها عنهم وجعلها لهذه الامة بقوله الذين يتبعون الرسول
النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم
اصرهم والاغلال التي كانت عليهم والذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون **القراءة** قرأ ابن عامر
وحده آصارهم على الجمع والباقون اصرهم على التوحيد **الحجة** قال ابو علي الاصر مصدر يقع على الكثير مع افراد لفظه يدل على ذلك قوله اصرهم فاضيف وهو مفرد
الى الكثرة ولا يجمع وقال ربنا ولا تحمل علينا اصرا وقال لا ينظرون من طرف خفي ولا يرتد اليهم طرفهم فالوجه الافراد كما افرد في غير هذا الموضع ووجه ابن عامر كان اراد
ضروبا من المآثم مختلفة فجمع لاختلافها والمصادر تجمع اذا اختلف ضروبها واذا كان قد جمع ما يكون ضربا واحدا في قوله هل من حلوم لاقوام فتنهاهم
ما جرب الناس من عضي وضرسي فان لم يجمع ما يختلف من المآثم احرى ويقوي ذلك وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم والثقل مصدر كالسمع والصغر والكبر
اللغة قال الزجاج اختلف اهل اللغة في معنى قوله عزروه فقالوا في قولهم عزرت فلانا اعزره وعزره عزرا فقيل معناه اعنته وقيل معناه منعته وعزرته بالشد
ونصرته وقيل انه من منعته عزرته منعته وعدله من الكفرة وقيل بضربه والمعنى قريب لان منع الاعداء نصرة ومعنى عزرت فلانا اذا ضربته ضربا
دون الحد يمنعه بضربه اياه من معاودة مثل فعله ويجوز ان يكون من عزرته اي رددته فقصته عما يريد من المعصية **الاعراب** قال الزجاج قوله يأمرهم
بالمعروف يجوز ان يكون على تقدير يجدونه مكتوبا عندهم انه يأمرهم بالمعروف مستأنفا قال ابو علي الاوجه لقوله يجدونه مكتوبا يأمرهم ان كان يعني
ان ذلك مراد لانه لا شيء يدل على حذفه ولانا لا نعلمهم حذفوا هذا في نحو هذا وتفسيره ان وجدت هنا هو المتعدي الى مفعولين ومكتوبا مفعول ثان والمعنى يجدون
ذكره مكتوبا عندهم في التورية واسمه فالمفعول الاول قام مقامه المضاف وانما قلنا ذلك لان المكتوب هو الاسم والذكر والمفعول الثاني في هذا الباب
الاول في المعنى فاما قوله يأمرهم بالمعروف فهو عندي تفسير لما كتب كما ان قوله لهم مغفرة واجر عظيم تفسير لوعدهم وكان قوله خلقه من تراب تفسير للمثل
فان قلت لم لا يجعله حالا من المفعول الاول قلنا ان ذلك يمتنع في المعنى الا ترى ان المعنى اذا كان يجدون ذكره او اسمه مكتوبا لم يجز ان يكون يأمرهم حالا لان
الاسم والذكر لا يأمران انما يأمر المذكور والمسمى ولا يجوز ان يكون حالا من مكتوب من الضمير الذي هو المفعول الاول في المعنى **المعنى** ثم وصف سبحانه الذين
يتقون بصفة اخرى فقال الذين يتبعون الرسول النبي اي يؤمنون به ويعتقدون نبوته يعني نبينا محمدا صلى الله عليه واله الامي ذكر في معناه اقوال
احدها انه الذي لا يكتب ولا يقرأ وثانيها انه منسوب الى الامة والمعنى انه على جبلة الامة قبل استفادة الكتابة وقيل ان المراد بالامة العرب لانها لم تكن تحسن
الكتابة وثالثها انه منسوب الى الام والمعنى انه على ما ولدته امه قبل تعلم الكتابة ورابعها انه منسوب الى ام القرى وهي مكة وهو المروي عن ابي جعفر الباقر عليه السلام
الذي يجدونه مكتوبا في التورية والانجيل معناه يجدون نعته وصفته ونبوته مكتوبا في الكتابين لانه مكتوب في التورية في السفر الخامس اني اقيم
لهم نبيا من اخوتهم مثلك واجعل كلامي في فيه فيقول لهم كلما اوصيته به وفيها مكتوب ايضا ان الله قد بارك على اسمعيل وسيلد اثني عشر عظيما و
اجعله لامة عظيمة وفيها ايضا اتاه الله من سيناء واشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران وفي الانجيل بشارة بالفارقليط في مواضع منها نعطيكم فارقليط
آخر يكون معكم آخر الدهر كله وفيه ايضا قول المسيح للحواريين انا اذهب وسيأتيكم الفارقليط روح الحق الذي لا يتكلم من قبل نفسه انه نذيركم بجميع الحق ويخبركم بالامور
المزمعة ويمدحني ويشهد لي وفيه ايضا انه اذا جاء فند اهل العالم يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر يجوز ان يكون هذا مكتوبا في التورية والانجيل فيكون موصولا
بما قبله وبيانا لمن يكتب له رحمة الولاية والجنة ويجوز ان يكون ابتداء من قوله تعالى مدحا للنبي صلى الله عليه والمعروف الحق والمنكر الباطل لان الحق معروف الصحة
في العقول والباطل منكر الصحة في العقول وقيل المعروف مكارم الاخلاق وصلة الارحام والمنكر عبادة الاوثان وقطع الارحام عن ابن عباس وهذا القول داخل
في القول الاول ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث معناه يبيح لهم المستلذات الحسنة ويحرم عليهم القبائح وما تعافه الانفس وقيل يحل لهم ما اكتسبوه
من وجه طيب ويحرم عليهم ما اكتسبوه من وجه خبيث وقيل يحل لهم ما حرمه عليهم رهبانهم واحبارهم وما كان يحرمه اهل الجاهلية من البحاير والسوايب وغيرها
ويحرم عليهم الميتة والدم ولحم الخنزير وما ذكر معها ويضع عنهم اصرهم اي ثقلهم شبه ما كان على بني اسرائيل من التكليف الشديد بالثقل وذلك ان الله سبحانه جعل
توبتهم ان يقتل بعضهم بعضا وجعل توبة هذه الامة الندم بالقلب حرمة للنبي صلى الله عليه واله وقيل الاصر هو العهد الذي كان سبحانه اخذه على بني اسرائيل
ان يعملوا بما في التورية عن ابن عباس والضحاك والسدي ومجاهد وسعيد بن جبير قال الضحاك الاصر عهد من عهد الله والاغلال التي كانت عليهم معناه ويضع عنهم العهود
التي كانت في ذمتهم وجعل تلك العهود بمنزلة الاغلال التي تكون في الاعناق للزومها كما يقال هذا طوق في عنقك وقيل يريد بالاغلال ما امتحنوا به من
قتل نفوسهم في التوبة وقرض ما يصيبه البول من اجسادهم وما اشبه ذلك من تحريم السبت وتحريم العروق والشحوم وقطع الاعضاء الخاطئة ووجوب القصاص

دون الدية عن اكثر المفسرين فالذين آمنوا به يعني بالنبي وصدقوه في نبوته وعزروه اي عظموه ووقروه ونصروه عليهم واتبعوا النور معناه القرآن الذي
هو نور في القلوب كالضياء نور في العيون ويهتدى به الخلق في امور الدين كما يهتدون بالنور في امور الدنيا الذي انزل معه اي انزل عليه وقد يقام مع
مقام على وقيل معناه انزل في زمانه وعلى عهده وروي ان النبي صلى الله عليه واله قال لاصحابه اي الخلق اعجب ايمانا قالوا الملائكة فقال صلى الله
عليه واله الملائكة عند ربهم فما لهم لا يؤمنون قالوا فالنبيون فقال النبيون يوحى اليهم فما لهم لا يؤمنون قالوا نحن يا نبي الله فقال انا فيكم فما لكم لا تؤمنون
انما هم قوم يكونون بعدكم يجدون كتابا في ورق فيؤمنون به فهو معنى قوله واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون اي الظافرون بالمراد الناجون
من العقاب الفائزون بالثواب **قوله تعالى** قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيي ويميت
فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون **الاعراب** جميعا نصب على الحال من ضمير المخاطب الذي على حرف الاضافة
فيه والعامل في الحال معنى الفعل في رسول الله والحال لا يجوز ان يتقدم على حرف الاضافة لانه صارت بمنزلة العامل **المعنى** ثم امر الله سبحانه
نبيه صلى الله عليه واله ان يخاطب جميع الخلق من العرب والعجم فقال قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم ادعوكم الى توحيده وطاعته واتباعي فيما اؤديه اليكم
وانما ذكر جميعا للتأكيد وليعلم انه مبعوث الى الكافة الذي له ملك السموات والارض معناه الذي له التصرف في السموات والارض من غير دافع ومانع
لا اله الا هو اي لا معبود الا هو ولا شريك له في الهيته يحيي الاموات ويميت الاحياء لا يقدر احد على الاماتة والاحياء سواه لانه لو قدر احد على الاماتة لقدر
على الاحياء لان من قدر على الشيء قدر على ضده فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله بعد ما امركم بالايمان حتى امن هو عليه بزيادة
التكليف من اداء الرسالة وبيان الشرايع والقيام بالدعوة وكلماته اي يؤمن بكلماته من الكتب المتقدمة والوحي والقرآن واتبعوه لعلكم تهتدون اي لكي
تهتدوا الى الثواب والجنة **قوله تعالى** ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون وقطعناهم اثنتي عشرة اسباطا امما واوحينا الى موسى اذ
استسقاه قومه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وانزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من
طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون **اللغة** قال الازهري السبط الفرقة لا يثنى ولا يجمع ولا يذكر ولا يؤنث وقد جمع فقيل اسباط
واشتقاقه من السبط وهو شجر الواحد سبطة ورجل سبط الشعر وامرأة سبطة وقد سبط شعره سبوطة وهو الذي لا جعودة فيه ورجل سبط الاصابع لطولها
وسبط الكف سمحها وطرح سبط وسبطة واراد وسباطة والسبط في كلام العرب خاصة الاولاد قال الزجاج قال بعضهم السبط القرن الذي يجيء بعد قرن
والصحيح ان الاسباط في ولد اسحق بمنزلة القبايل في ولد اسمعيل فولد كل من ولد من ولد يعقوب سبط وولد كل ولد من ولد اسمعيل قبيلة وانما سموا هؤلاء بالقبايل
وهؤلاء بالاسباط ليفصل بين ولد اسمعيل وولد اسحق ومعنى القبايل الجماعة ويقال لكل جماعة من اب واحد قبيل فكذلك الاسباط من السبط كان يجعل اسحق بمنزلة الشجرة وكذلك يجعل
يجعلون الوالد بمنزلة الشجرة والاولاد بمنزلة اغصانها ويقولون طوبى لفرع فلان وفلان من شجرة مباركة فهذا معنى السبط والاسباط **الاعراب** اثنتي عشرة
اسباطا يعني اثنتي عشرة في موضع المميز ولذلك انث ولا يجوز ان يكون اسباطا بدلا من اثنتي عشرة وتقديره وقطعناهم اسباطا وجعلناهم اسباطا ويجوز ذكر الشين في عشرة وهي قراءة
الاعمش ويحيى بن وثاب وامما نعت الاسباط **المعنى** ثم عاد الكلام الى قصص بني اسرائيل فقال سبحانه ومن قوم موسى امة يهدون بالحق اي جماعة يدعون
الى الحق ويرشدون الى الهدى وبه يعدلون اي وبالحق يحكمون ويعدلون في حكمهم واختلف في هذه الآية من هم على اقوال احدها انهم قوم من وراء الصين و
بينهم وبين الصين واد جار من الرمل لم يغيروا ولم يبدلوا عن ابن عباس والسدي والربيع والضحاك وعطاء وهو المروي عن ابي جعفر الباقر عليه السلام والوا ليس لاحد
منهم مال دون صاحبه يمطرون بالليل ويضحون بالنهار ولا يصل اليهم منا احد ولا منهم الينا وهم على الحق قال ابن جريج بلغني ان بني اسرائيل لما قتلوا انبياءهم وكفروا
وكانوا اثني عشر سبطا تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله تعالى ان يفرق بينهم وبينهم ففتح الله لهم نفقا في الارض فساروا فيه سنة ونصف حتى
خرجوا من وراء الصين فهم هنالك حنفاء مسلمين يستقبلون قبلتنا وقيل ان جبرئيل عليه السلام انطلق بالنبي صلى الله عليه واله ليلة المعراج اليهم فقرأ عليهم
من القرآن عشر سور نزلت بمكة فآمنوا به وصدقوه وامرهم ان يقيموا مكانهم ويتركوا السبت وامرهم بالصلوة والزكوة ولم تكن نزلت فريضة غيرهما ففعلوا قال ابن
عباس وذلك قوله وقلنا من بعده لبني اسرائيل اسكنوا الارض فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا يعني عيسى بن مريم يخرجون معه وروى اصحابنا انهم يخرجون
مع قائم آل محمد وروي ان ذا القرنين رآهم وقال لو امرت بالمقام لسرني ان اقيم بين اظهركم وثانيها انهم قوم من بني اسرائيل تمسكوا بالحق وبشريعة موسى عليه السلام في
وقت ضلالة القوم وقتلهم انبياءهم وكان ذلك قبل نسخ شريعتهم بشريعة عيسى عليه السلام فيكون تقدير الآية ومن قوم موسى امة كانوا يهدون بالحق عن ابي علي الجبائي
ولكن القول الاول ... لانهم لو كانوا باقين لكانوا قد ادركوا نبوة محمد صلى الله عليه واله وليس هذا بشيء لانه لا يمتنع ان يكون قوم لم تبلغهم دعوة النبي صلى الله عليه واله

٣٧٠

ثلاثم يكفرهم ويمكن ان يكون بلغهم خبر النبي واسلموا وثانيها انهم الذين اسلموا بالنبي صلى الله عليه وآله مثل عبد الله بن سلام وابن صوريا وغيرهما وفي حديث
ابي حمزة الثمالي والحكم بن ظهير ان موسى لما اخذ الالواح قال رب اني اجد في الالواح امة هي خير امة اخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فاجعلهم
امتي قال تلك امة احمد قال رب اني اجد في الالواح امة هم الآخرون في الخلق السابقون في دخول الجنة فاجعلهم امتي قال تلك امة احمد قال رب اني اجد في الالواح امة كتبهم
في صدورهم يقرأونها فاجعلهم امتي قال تلك امة احمد قال رب اني اجد في الالواح امة يؤمنون بالكتاب الاول والكتاب الآخر فاجعلهم امتي قال تلك امة
احمد قال رب اني اجد في الالواح امة اذا هم احدهم بحسنة لم يعملها كتب له حسنة وان عملها كتبت له عشر امثالها واذا هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه
وان كان عملها كتبت عليه سيئة واحدة فاجعلهم امتي قال تلك امة احمد قال رب اني اجد في الالواح امة هم الشافعون وهم المشفوع لهم فاجعلهم امتي قال تلك امة احمد قال
موسى عليه السلام رب اجعلني من امة احمد قال ابو حمزة فاعطي موسى عليه السلام آيتين لم يعطوها يعني امة احمد قال الله يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي
وبكلامي وقال ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون قال فرضي موسى كل الرضا. وفي حديث غير ابي حمزة قال النبي صلى الله عليه وآله ومن خلقنا امة يهدون
بالحق وبه يعدلون هذه لكم وقد اعطى الله موسى مثلها وقطعناهم اثنتي عشرة اسباطا امما وفرقنا بني اسرائيل اثنتي عشرة فرقة اسباطا اي اولاد يعقوب عليه السلام فانهم كانوا اثني
عشر وكان لكل واحد منهم اولاد ونسل فصار كل فرقة منهم سبطا وامة وانما جعلهم سبحانه كذا ليتميزوا في مشربهم ومطعمهم ويرجع كل امة منهم الى رئيسهم فيخف الامر على موسى
ولا يقع بينهم اختلاف وتباغض واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه اي طلبوا منه السقيا ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست الانبجاس خروج الماء الجاري بقلة والانفجار خروجه
بكثرة وكان يبتدئ الماء من الحجر بقلة ثم يتسع حتى يصير الى الكثرة فلذلك ذكر هنا الانبجاس وفي سورة البقرة الانفجار والآية الى آخرها مفسرة هناك فلا معنى لاعادتها **قوله تعالى**
واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من
السماء بما كانوا يظلمون ايتان **القراءة** قرأ اهل المدينة وابن عامر ويعقوب وسهل تغفر بالتاء مضمومة وفتح الفاء والباقون نغفر بالنون وكسر الفاء وقرأ اهل المدينة ويعقوب
وسهل خطيئاتكم على جمع السلامة ورفع التاء وابن عامر خطيئتكم وقرأ ابو عمرو خطاياكم بغير همز على التكسير والباقون خطيئاتكم على جمع السلامة وكسر التاء **الحجة** من قرأ بغير النون فهو على
واذ قيل لهم ادخلوا تغفر لكم اي دخلكم عراما والتي في البقرة نغفر والنون هناك احسن لقوله وادخلوا واما قراءة من قرأ تغفر بالتاء مضمومة فانه قد اسند الفعل الى الخطايا
هو مؤنث ذات وبني الفعل للمفعول وهو اشبه بقوله واذ قيل لهم وقد مضى تفسير مثل هذه الآيتين في سورة البقرة فلا وجه لاعادته **قوله تعالى** واسألهم عن القرية
التي كانت حاضرة البحر اذ يعدون في السبت اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون واذ قالت امة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم
عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون ايتان **القراءة** قرأ حفص معذرة بالنصب والباقون بالرفع وفي الشواذ عن شهر بن حوشب وابي نهيك يعدون من
الحروب بضم الياء **الحجة** من قرأ معذرة بالرفع فتقديره وعظتنا معذرة فيكون خبر مبتدأ محذوف ومن قرأ بالنصب فعلى معنى نعتذر معذرة بالنصب وقال
سيبويه لو قال رجل لرجل معذرة الى الله واليك من كذا وكذا لنصب ومن قرأ يعدون اراد يعتدون فاسكن التاء ونقل فتحتها الى العين فصار يعدون ومن قرأ يسبتون
فمعناه يدخلون في السبت كما يقال اشهرنا دخلنا في الشهر واجمعنا دخلنا في الجمعة ومن فتح الياء اراد يفعلون السبت ويعظمون السبت فالسبت على هذا مصدر سبت يسبت
سبتا اذا عظم يوم السبت **اللغة** حيتان جمع حوت واكثر ما تسمي العرب السمك الحيتان والنون وعدا فلان يعدو عدوا وعدوانا واعتداء وعدوا وتعدى في الظلم واصله مجاوزة الحد
والشرع اصله الظهور ومنه الشريعة والشرعة وهو الطريق المستقيم من المذهب ومنه المشرعة والشريعة لكونها في مكان ظاهر من النهر ومنه شرع السفينة لظهورها والمعذرة
والعذر والعذرى والعذرة واحد مصدر عذرته اعذره والمعذر الذي له عذر صحيح والمعذر بالتشديد الذي لا عذر له وهو يري انه معذور وهو المقصر بالحق له عذر
ولمن لا عذر له وقولهم من يعذرني في معناه من يقوم بعذري **الاعراب** اذ يعدون موضع اذ نصب على معنى سلهم عن عدوهم اي عن وقت ذلك اذ تأتيهم في موضع نصب ايضا
معدو المعنى سلهم اذ عدوا في وقت الاتيان شرعا نصب على الحال من الحيتان وموضع الكاف في كذلك نبلوهم نصب بنبلوهم ويجوز ان يكون على ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك اي لا تأتيهم
شرعا فيكون الكاف في موضع نصب على الحال من تأتيهم ويكون نبلوهم مستأنفا والقول الاول اجود ولم تعظون اصله لما ولكن هذه الالف تحذف مع حروف الجر نحو لم وبم
وعلام وعم **المعنى** ثم قال ابتداء سبحانه خبرا عن اخبار بني اسرائيل فقال لنبيه صلى الله عليه وآله واسألهم اي سل اليهود يا محمد وهو سؤال توبيخ وتقريع لا سؤال استفهام
عن القرية التي كانت حاضرة البحر اي مجاورة البحر وقريبة من البحر على شاطئ البحر وهي ايلة عن ابن عباس وقيل هي مدين قرية بين ايلة والطور وقيل هي طبرية عن الزهري اذ يعدون في
اي يظلمون فيه بصيد السمك ويجاوزون الحد الذي امروا به في السبت اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا اي ظاهرة على وجه الماء عن ابن عباس وقيل متتابعة
عن الضحاك وقيل رافعة رؤوسها قال الحسن كانت تشرع الى ابوابهم مثل الكباش البيض لانها كانت آمنة يومئذ ويوم لا يسبتون لا تأتيهم اي يوم لا يكون السبت
كانت تغوص في الماء واختلف في انهم كيف اصطادوا فقيل انهم القوا الشبكة في الماء يوم السبت حتى كان يقع فيها السمك ثم كانوا لا يخرجون الشبكة من الماء الى يوم الاحد

وهذا

وهذا تسبب محظور وفي رواية عكرمة عن ابن عباس اتخذوا الحياض فكانوا يسوقون الحيتان اليها ولا يمكنها الخروج منها فيأخذونها يوم الاحد وقيل انهم اصطادوها
وتناولوها باليد في يوم السبت عن الحسن كذلك نبلوهم اي مثل ذلك الاختبار الشديد نختبرهم بما كانوا يفسقون اي بفسقهم وعصيانهم وعلى المعنى الآخر لا تأتيهم
الحيتان مثل ذلك الاتيان الذي كان منها يوم السبت ثم استأنف فقال نبلوهم واذ قالت امة منهم اي جماعة من بني اسرائيل الذين لم يصطادوا وكانوا ثلاث فرق
فرقة قانصة وفرقة ساكتة وفرقة واعظة فقال الساكتون للواعظين والناهين لم تعظون قوما الله مهلكهم اي يهلكهم الله ولم يقولوا ذلك كراهية لوعظهم
ولكن يأسا منهم ان يقبل اولئك القوم الوعظ فان الامر بالمعروف انما يجب عند عدم اليأس من القبول عن الجبائي ومعناه ما ينفع الوعظ من لا يقبل الله مهلكهم
في الدنيا بمعصيتهم او معذبهم عذابا شديدا في الآخرة قالوا اي قال الواعظون في جوابهم معذرة الى ربكم معناه موعظتنا اياهم معذرة الى الله وتأدية لفرض النهي
عن المنكر لئلا يقول لنا لم لا تعظونهم ولعلهم بالوعظ يتقون ويرجعون **قوله تعالى** فلما نسوا ما ذكروا به انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين
ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين ايتان **القراءة** قرأ اهل المدينة بعذاب بيس بكسر الباء من غير همز على
فعل وقرأ ابن عامر بئس مهموز على وزن فعل ايضا وقرأ ابو بكر عن عاصم بيئس على وزن فيعل والباقون بئيس على وزن فعيل وروي في الشواذ عن ابن عباس بئيس على وزن
فيعل وعن زيد بن ثابت بئس على وزن فعل وعن يحيى الليثي بئاس وعن طلحة بن مصرف بيس وروي ايضا عن نافع وروي عن مجاهد بائس على وزن فاعل وعن الحسن
بيس بكسر الباء وفتح السين **الحجة** قال ابو علي من قرأ بيس فانه يحتمل امرين احدهما ان يكون فعلا من بؤس يبؤس اذا كان شديد البأس فيكون مثل بعذاب شديد وان يكون
مسندا الى فعيل نحو النبي والنكير وقولهم هذا على من هو وان كان نواحي الارض فوصف بالمصدر والتقدير بعذاب ذي بأس اي ذي بؤس ومن قرأ بعذاب
بيس فانه جعله بيس الذي هو فعل اسما فوصف به الذي هو فعل اسما فوصف به ومثل ذلك قوله ان الله نهى عن قيل وقال ومثله مررت برجل ... فلما
استعملت هذه الالفاظ اسماء وافعالا وكذلك من جعله اسما بعد ان كان فعلا صار وصفا ومن قرأ بيئس فانه يكون وصفا مثل ضيغم وحيدر ولا يجوز كسر العين
منه لان فيعل بناء اختص بما كان عينه واوا او ياء مثل سيد وطيب ولم يجئ مثل ضيغم وقد جاء في المعتل صيقل قال سيبويه ما كان عينه كالعين المعتلة
فينبغي ان يحمل على مرود واو على الوهم قال ابن جني وكانها اغلاط في الهمزة لما يشبهها حرف العلة واما بئس على فعل فانه جاء على بئس الرجل بأسه اذا جمع عليه
عذاب مهين عليم ويجوز ان يكون مقصورا من بئيس فيكون مثل لين من لين واما بيس في وزن حلس فكانه اراد بئس فخفف الهمزة فصارت بين بين فلما قاربها
الياء اسكنها طلب الخفة فصارت في اللفظ ياء ونحوه من ذلك قول ابن ميادة فكان يومئذ لها حكمها اراد يومئذ فخفف واما بائس فاسم الفاعل من بئس وانكر
ابو حاتم قراءة الحسن بيس وقال لو كان كذا لما كان بد من ما بئس ما كنتم **اللغة** قال ابو زيد يقال بؤس الرجل يبؤس بأسا اذا كان شديد البأس وبئس
وهو الفقير بئس الرجل يبأس بؤسا وبئسا وبأسا والبأساء الاسم والعتو الخروج الى الجفا في الذنوب والعاتي المبالغ في المعاصي والليل العاتي الشديد الظلمة و
الخاسئ المطرود المبعد عن الخير مثل خسأ الكلب اذا اقصيته **المعنى** فلما نسوا ما ذكروا به اي فلما ترك اهل هذه القرية ما ذكرهم الواعظون
به ولما جهوا عن ارتكاب المعصية بصيد السمك انجينا الذين ينهون عن السوء خلصنا الذين ينهون عن المعصية واخذنا الذين ظلموا انفسهم بعذاب بئيس اي شديد
بما كانوا يفسقون اي بفسقهم وذلك العذاب حل بهم قبل ان مسخوا قردة عن الجبائي ولم يذكر حال الفرقة الثالثة هل كانت من الهالكة ام الناجية وروي عن ابن
عباس فيهم ثلاثة اقوال احدها انه نجت الفرقتان وهلكت الثالثة وبه قال السدي والثاني انه هلكت الفرقتان ونجت الفرقة الناهية وبه قال ابن زيد وروي
ذلك عن ابي عبد الله عليه السلام والثالث التوقف فيه وروى عن عكرمة قال دخلت على ابن عباس وبين يديه المصحف وهو يبكي ويقرأ هذه الآية ثم قال قد علمت ان
الله تعالى اهلك الذين اخذوا الحيتان وانجى الذين نهوهم ولا ادري ما صنع بالذين لم ينهوهم ولم يواقعوا المعصية وهذه حالنا واختاره الجبائي وقال الحسن
انجى الفرقة الثالثة لانه ليس شيء ابلغ من الامر بالمعروف والوعظ من ذكر الوعيد وهم قد ذكروا الوعيد فقالوا الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا وقيل لان المؤمن اعظم
من كل انسان فلما عتوا عما نهوا عنه اي عن ترك ما نهوا عنه لم يتركوا ما نهوا عنه وتمردوا في الفساد والجرأة على المعصية وابوا ان يرجعوا عنها قلنا لهم
كونوا قردة اي جعلناهم قردة خاسئين مبعدين مطرودين وانما ذكر كن على انه سبحانه لا يمتنع عليه شيء واجاز الزجاج ان يكون قيل لهم ذلك بكلام سمعوه فيكون
ذلك ابلغ في الآية النازلة بهم وحكي ذلك عن ابي الهذيل قال قتادة صار والقردة لها اذناب تعاوى بعد ان كانوا رجالا ونساء وقيل انهم بقوا ثلاثة ايام
ينظر اليهم الناس ثم هلكوا ولم يتناسلوا عن ابن عباس قال ولم يمكث مسخ فوق ثلاثة ايام وقيل عاشوا سبعة ايام لم ياكلوا ولم يشربوا وقيل انهم توالدوا عن الحسن
وليس بالوجه لان من المعلوم ان القردة ليست من ولد آدم كما ان الكلاب ليست منهم وقد وردت الرواية عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان الله

لم يسع شيئا لجعل الله نكالا وعقابا (القصة) قيل كانت هذه القصة في زمن داود عليه السلام وعن ابن عباس قال امروا باليوم الذي امرتم به يوم الجمعة فتركوه واختاروا
يوم السبت فابتلوا به وحرم عليهم الصيد فيه وامروا بتعظيمه وكانت الحيتان تأتيهم يوم السبت شرعا بيضا سمانا كأنها الماخض من كثرتها فتكون كذلك ما شاء الله لا يصيدون ثم
اتاهم الشيطان وقال انما نهيتم عن اخذها يوم السبت فاتخذوا الحياض والشبكات فكانوا يسوقون اليها الحيتان يوم السبت ثم يأخذونها يوم الاحد وعن ابن زيد
قال اخذ رجل منهم حوتا وربط في ذنبه خيطا وشده الى الساحل ثم اخذه يوم الاحد وشواه فلاموه على ذلك ولما لم يأته العذاب اخذ واكل واكلوا وباعوا
وكان في المواضع التي يسكنها اهل الشك فصار الناس ثلث فرق على ما تقدم ذكره فاعتزلهم الفرقة الناهية ولم يساكنوهم فاصبحوا يوما ولم يخرج من العاصية احد فنظروا فاذا هم
قردة ففتحوا الباب ودخلوا فكانت القردة تعرفهم وهم لا يعرفونها فجعلت تبكي فاذا قالوا لهم الم ننهكم قالت برؤسها ان نعم قال قتادة صارت الشبان قردة والشيوخ
خنازير (قوله تعالى) واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيمة من يسومهم سوء العذاب ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم وقطعناهم في الارض امما
منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون آيتان (الاعراب) ومنهم دون ذلك في موضع الرفع بالابتداء وكذا
جاء منصوبا لتمكنه من الظرفية ومثله على قول ابي الحسن لقد تقطع بينكم وهو في موضع الرفع وجاء منصوبا بهذا المعنى وكذلك في قوله يوم القيمة يفصل بينكم
رفع لقيامه مقام الفاعل وان كان التقدير ومنهم جماعة دون ذلك فحذف الموصوف واقام الصفة مقامه (المعنى) ثم خاطب سبحانه النبي صلى الله
عليه واله وقال واذ تأذن ربك معناه واذكر يا محمد اذ آذن واعلم ربك فان تأذن واذن بمعنى وقيل معناه اذ قال ربك اقسم القسم الذي يجب بالاذن
وقيل معناه قال ربك عن ابن عباس ليبعثن عليهم اي على اليهود الى يوم القيمة من يسومهم سوء العذاب اي يذيقهم ويولّيهم شدة العذاب بالقتل واخذ الجزية منهم
والمعني به محمد صلى الله عليه واله وامته عن ابن عباس وغيره وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلام وهذا يدل على ان اليهود لا يكون لهم دولة الى يوم القيمة ولا عز واما المعنى ليبعثنها
فهو الامر والاطلاق والمعونة وقيل معناه التخلية وان وقع على وجه المعصية كقوله سبحانه انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم
ازا ان ربك لسريع العقاب لمن يستوجبه على المعصية وانه لغفور رحيم ظاهر المعنى وانما قال سريع العقاب وان كان العقاب متأخرا الى يوم القيامة
لان كل آت فهو قريب وقيل معناه سريع العقاب لمن اراد ان يعاقبه في الدنيا وقطعناهم في الارض امما معناه وفرقناهم في البلاد فرقا مختلفة وجماعات
شتى يعني اليهود عن ابن عباس ومجاهد وانما فرقهم تفريقا حتى افترقوا في البلاد وتفرقهم ذلهم بمنزلة اخذ الجزية لا يمتنعون ولا يجتمعون وقيل
انهم فرقهم لما علم سبحانه من الصلاح لهم في دينهم ثم اخبرهم فقال منهم الصالحون اي من هؤلاء الصالحون يعني بني اسرائيل وهم الذين يؤمنون بالله
ورسوله ويطيعونه ومنهم دون ذلك اي دون الصالح في الدرجة والمنزلة وهم الذين اشتغلوا ببعض الاوامر دون بعض وبعض المعاصي وانما وصفهم بما كانوا عليه
قبل ارتدادهم وكفرهم وذلك قبل ان يبعث فيهم عيسى عليه السلام وقيل معناه منهم المؤمنون بمحمد وعيسى عليه السلام ومنهم الكافرون عن عطا ومجاهد وبلوناهم بالحسنات
والسيئات معناه اختبرناهم بالرخاء في العيش والحظ في الدنيا والدعة والسعة في الرزق وبالشدائد في العيش والمصائب في الانفس والاموال فكانه قال
فبلوناهم بالنعم والنقم والرخاء والشدة فان فضل النعم يقتضي الرغبة الى الله تعالى في ابقائها وفضل النقم يقتضي الرغبة الى الله تعالى في كشفها لعلهم يرجعون
اي لكي يرجعوا الى الله تعالى ويعودوا الى طاعته والانابة اليه ومتى قيل كيف يصح الرجوع الى ما لم يكونوا عليه قلنا القول فيه ان الذاهب عن الشيء قد يقال رجع اليه وان لم
يكن كان عليه من قبل كما يقال لمن اتبع الطريق المستقيم بعد خروجه عن الضلال وقيل ان معناه لعلهم يرجعون الى ما عليه اهل النظر (قوله تعالى)
فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وان يأتهم عرض مثله يأخذوه الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله
الا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلوة انا لا نضيع اجر المصلحين آيتان (القراءة)
قرأ ابو بكر يمسكون بتسكين الميم والباقون بفتحها وتشديد السين وعاصم في احدى الروايتين وفي الشواذ قراءة السلمي وادّرسوا ما فيه اراد وتدارسوا فادغم (اللغة) قال
الزجاج يقال للقرن الذي يجيء في اثر قرن خلف والخلف ما اخلف عليك بدلا مما اخذ منك قال الفراء يقال هو خلف صدق وخلف سوء قال لبيد ذهب الذين
يعاش في اكنافهم وبقيت في خلف كجلد الاجرب وقيل الخلف بسكون اللام في موضع الذم وبفتحها في المدح وقيل الخلف القرن الاول والخلف الثاني
تابع والاغلب في الفتح ان يستعمل في المدح والعرض ما يعرض ويقل لبثه ومنه سمي العرض الذي بالجسم عرضا لانه يعرض في الوجود ولا يجب له من اللبث ما يجب
للاجسام والدرس تكرار الشيء يقال درس الكتاب اذا كرر قراءته ودرس المنزل اذا كثر عليه مرور الامطار والرياح حتى انمحى اثره وامسك ومسك وتمسك و
استمسك بالشيء بمعنى اي اعتصم (الاعراب) يأخذون عرض هذا الادنى في موضع النصب على الحال من المضمر في ورثوا الكتاب صفة لخلف ودرسوا ما فيه

عطف على ورثوا وقوله الم يؤخذ عليهم الى قوله الا الحق اعتراض بين ورثوا ودرسوا ولا يجوز الوقف من اول الآية الى قوله ما فيه وخبر الذين يمسكون
قوله انا لا نضيع اجر المصلحين منهم فحذف منهم لدلالة الكلام عليه كما في قوله السمن منوان بدرهم ويحتمل ان يكون التقدير لا نضيع اجرهم لانا لا نضيع اجر
المصلحين هم الذين يمسكون بالكتاب في المعنى ويجوز ان يكون الخبر محذوفا وتقديره نعطيهم اجرهم انا لا نضيع اجر المصلحين فاستغنى بذكر العلة عن ذكر
(المعنى) ثم ذكر سبحانه الاخلاف بعد ذكر الاسلاف فقال فخلف من بعدهم خلف معناه ذهب اولئك وقام مقامهم قوم آخرون ورثوا الكتاب
يعني التورية فالميراث ما صار للباقي من جهة البادي يأخذون عرض هذا الادنى ومعناه ما اشرف لهم من الدنيا اخذوه عن ابن عباس يقال
الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر وجميع متاع الدنيا عرض وقيل انهم كانوا يرتشون ويحكمون بجور وقيل انهم كانوا يرتشون ويحكمون بحق وكل
ذلك دنيء خسيس واراد بقوله هذا الادنى الاخبار عن حرصهم على الدنيا واصرارهم على الذنوب اذا اشرف لهم شيء من الدنيا اخذوه حلالا او حراما ويتمنون
على الله المغفرة وان يأتهم عرض مثله يأخذوه اي وان وجدوا من الغد مثله اخذوه وهذا دليل على اصرارهم وانهم تمنوا المغفرة مع الاصرار وقيل معناه
وان جاءهم حرام من الرشوة وغير ذلك اخذوه واستحلوه ولم يرتدعوا عنه عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقيل معناه لا يشبعهم شيء عن الحسن
الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق معناه الم يؤخذ على هؤلاء المرتشين في الاحكام القائلين سيغفر لنا اذا عوتبوا على ذلك الميثاق في التورية
الا يكذبوا على الله تعالى ولا يضيفوا اليه الا ما انزله على رسوله موسى عليه السلام في التورية من الوعد والوعيد وغير ذلك وليس فيها ميعاد المغفرة مع الاصرار ودرسوا
ما فيه اي وقرأوا ما فيه فهم ذاكرون لذلك وقيل انه معطوف على قوله ورثوا الكتاب والمعنى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ودرسوا ما فيه فضيعوه
وتركوا العمل به والدار الآخرة خير للذين يتقون معناه ما اعده الله لاوليائه في الدار الآخرة من النعيم والثواب للعاملين بطاعته خير للذين يجتنبون
معاصي الله افلا يعقلون من قرأ بالياء فمعناه افلا يعقل هذه الطائفة ومن قرأ بالتاء فمعناه قل لهم افلا تعقلون ان الامر على ما اخبر الله به والذين يمسكون
بالكتاب اي يتمسكون به والكتاب التورية اي لا يحرفونه ولا يكتمونه عن مجاهد وابن زيد وقيل الكتاب القرآن والتمسك به امة محمد صلى الله عليه واله
عن عطا واقاموا الصلوة انما خص الصلوة بالذكر لجلالة موقعها وشرفها بالذكر انا لا نضيع اجر المصلحين اي جزاء عملهم وثوابهم على ما يتمسكون به (قوله تعالى)
واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة وظنوا انه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون آية (اللغة) النتق قلع الشيء من الاصل وكل شيء قلعته
ثم رميت به فقد نتقته وقيل للمرأة الكثيرة الاولاد ناتق لانها ترمي بالاولاد رميا هذا قول ابي عبيدة وقيل اصل النتق الرفع ومنه امرأة ناتق لرفعها الاولاد
نتقت المرأة فهي ناتق ومنتاق اذا كثر ولدها وهو قول ابن الاعرابي وقيل اصله الجذب يقال نتقت الغرب من البئر جذبته عن ابي مسلم والظلة كل ما اظلك
من سقف او سحابة او جناح حائط (المعنى) عاد الكلام الى قوم موسى عليه السلام فقال واذ نتقنا الجبل فوقهم اي رفعناه فوقهم كانه ظلة اي غمامة وقيل سقيفة عن عطا وظنوا انه
واقع بهم اي علموا وتيقنوا عن الحسن ومعناه على الظاهر من الظن اي قوي في نفوسهم ذلك خذوا ما آتيناكم بقوة اي قلنا لهم خذوا ما آتيناكم بقوة اي خذوا ما الزمناكم
من احكام كتابنا وفرائضه فاقبلوه بجد واجتهاد منكم في كل اوان من غير تقصير ولا توان واذكروا ما فيه من العهود والمواثيق التي اخذناها عليكم بالعمل بما فيه لعلكم
تتقون اي لكي تتقوا وتخافوا عقابه وقد مضى تفسير هذه الآية في سورة البقرة مشروحا (قوله تعالى) واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم
على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين او تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم افتهلكنا بما
فعل المبطلون وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون ثلث آيات (القراءة) قرأ ابن كثير واهل الكوفة ذريتهم على التوحيد والباقون ذرياتهم على الجمع وقرأ
ابو عمرو ان يقولوا او يقولوا بالياء والباقون بالتاء (الحجة) قال ابو علي الذرية قد يكون جمعا وقد يكون واحدا فمما جاء فيه جمعا قوله وكنا ذرية
من بعدهم وذرية من حملنا مع نوح فمن افرده جعله جمعا فاستغنى عن جمعه لوقوعه على الجمع ومما جاء فيه واحدا قوله رب هب لي من لدنك ذرية طيبة فدلالة
بشره بيحيى فهذا مثل قوله هب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب واما قراءة ابي عمرو ان يقولوا بالياء فلان الذي تقدم من الكلام على الغيبة ومن قرأ
بالتاء فلانه جرى في الكلام خطاب ايضا فقال الست بربكم وكلا الوجهين حسن لان الغيب هم المخاطبون في المعنى (الاعراب) من ظهورهم بدل من قوله من بني آدم والمعنى
اخذ ربك من ظهورهم ذريتهم وقد ذكرنا الذرية وما قيل فيها واشتقاقها فيما تقدم وقوله ان تقولوا كراهة ان تقولوا او لئلا تقولوا وقد سبق الكلام في امثاله
(المعنى) ذكر سبحانه ما اخذ على الخلق من المواثيق بعقولهم عقيب ما ذكره من المواثيق التي في الكتب فقال واذ اخذ
اي واذكر لهم يا محمد اذ اخرج ربك من بني آدم من ظهورهم اي من ظهور بني آدم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى واختلف العلماء من العام والخاص
في معنى هذه الآية وفي هذه الاخبار على وجوه احدها ان الله تعالى اخرج ذرية آدم من صلبه كهيئة الذر فعرضهم على آدم وقال اني آخذ على ذريتك

قوله تعالى واذ نتقنا الجبل فوقهم معناه واذكر يا محمد اذ قلعنا الجبل من اصله فرفعناه فوق بني اسرائيل

بأنا قهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وعلى إقرارهم ثم قال ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أنك ربنا فقال للملائكة اشهدوا فقالوا
شهدنا وقيل إن الله تعالى جعلهم فهماء عقلاء يسمعون خطابه ويعقلونه ثم ردهم إلى صلب آدم والناس محبوسون بأجمعهم حتى يخرج كل من خرجه في
ذلك الوقت وكل من ثبت على الإسلام فهو على الفطرة الأولى وكل من كفر وجحد فقد تغير عن الفطرة الأولى عن جماعة من المفسرين ورووا في ذلك آثارا بعضها
مرفوعة وبعضها موقوفة يجعلونها تأويلا للآية ورد المحققون هذا التأويل وقالوا إنه مما يشهد ظاهر القرآن بخلافه لأن الله تعالى قال وإذ أخذ ربك
من بني آدم ولم يقل من آدم وقال من ظهورهم ولم يقل من ظهره وقال ذريتهم ولم يقل ذريته ثم أخبر تعالى بأنه فعل ذلك لئلا يقولوا إنا كنا عن ذلك غافلين أو يقولوا إنما أشرك
آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم وهذا يقتضي أن يكون لهم آباء مشركون فلا يتناول ذلك الظاهر ولد آدم لصلبه وأيضا فإن هذه الذرية المخرجة من صلب آدم لا يخلو إما أن
جعلهم الله عقلاء أو لم يجعلهم كذلك فإن لم يجعلهم عقلاء فلا يصح أن يعرفوا التوحيد وأن يفهموا خطاب الله تعالى وإن جعلهم عقلاء وأخذ عليهم الميثاق فيجب أن
يتذكروا ذلك ولا ينسوه لأن أخذ الميثاق لا يكون حجة على المأخوذ عليه إلا أن يكون ذاكرا له فيجب أن نذكر عن الميثاق ولأنه لا يجوز أن ينسى الجمع الكثير والجم
الغفير من العقلاء شيئا كانوا عرفوه وميزوه حتى لا يذكره واحد منهم وإن طال العهد ألا ترى أن أهل الآخرة يعرفون كثيرا من أحوال الدنيا حتى يقول أهل الجنة لأهل النار قد
وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ولو جاز أن ينسوا ذلك مع هذه الكثرة لجاز أن يكون الله تعالى كلف الخلق فيما سلف ثم أعادهم ليثيبهم أو ليعاقبهم ونسوا ذلك وذلك يؤدي
إلى التجاهل والبحث مذهب التناسخية وحكي عن علي بن عيسى عن أبي بكر ابن الإخشيد أنه جوز أن يكون ... ليس تأويل الآية على ذلك ويكون تأويله
إنما فعل بهم ذلك ... الإقرار بالربوبية ويذكر النعمة والإقرار لله سبحانه بالربوبية كما روي أنهم ولدوا على الفطرة وحكى أبو الهذيل في كتاب الحجة أن الحسن البصري وأصحابه
يذهبون إلى أن نعيم الأطفال في الجنة ثواب عن إيمان في الذر وثانيها أن المراد بالإيقان أن الله سبحانه أخرج بني آدم من أصلاب آبائهم إلى أرحام أمهاتهم ثم رقاهم درجة
درجة علقة ثم مضغة ثم أنشأ كلا منهم بشرا سويا ثم حيا مكلفا وأراهم آثار صنعته ومكنهم من معرفة دلائله حتى كأنه أشهدهم وقال ألست بربكم فقالوا بلى فعلى هذا يكون معنى
أشهدهم على أنفسهم دلهم بخلقه على توحيده وإنما أشهدهم على أنفسهم بذلك لما جعل في عقولهم من الأدلة الدالة على وحدانيته وركب فيهم من عجائب خلقه وغرائب صنعته
وفي غيرهم فكأنه سبحانه بمنزلة المشهد لهم على أنفسهم وكانوا في مشاهدة ذلك وظهوره فيهم على الوجه الذي أراده الله وتعذر امتناعهم منه بمنزلة المعترف المقر
وإن لم يكن هناك إشهاد صورة وحقيقة ونظيره قوله تعالى فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين وإن لم يكن منه سبحانه قول ولا منهما
جواب ومنه قوله تعالى شاهدين على أنفسهم بالكفر ومعلوم أن الكفار لم يعترفوا بالكفر بألسنتهم لكنه لما ظهر منهم ظهورا لا يتمكنون من دفعه فكأنهم اعترفوا
به ومثله في الشعر قد قالت العينان سمعا وطاعة وحدرتا كالدر لما يثقب وكما يقال جوارحي تشهد بنعمتك وكما روي عن بعض الخطباء من قوله سل الأرض
من شق أنهارك وغرس أشجارك وأينع ثمارك فإن لم تجبك حوارا أجابتك اعتبارا ومثله كثير في كلام العرب واستعمالهم ونظمهم ونثرهم وهو قول الرماني وأبي مسلم
وابن الإخشيد وثالثها أنه تعالى إنما عنى بذلك جماعة من ذرية آدم خلقهم وأكمل عقولهم وقررهم على ألسنة رسله عليهم السلام بمعرفته بما يجب من طاعته فأقروا بذلك
وأشهدهم على أنفسهم لئلا يقولوا يوم القيمة إنا كنا عن هذا غافلين أو يقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وتقدم إليهم في ذلك فنبه سبحانه على أنه لا يعاقب من لم
تقم عليه حجة من خلقه وكونوا ... ولا يكون ذلك قوم خاصة من بني آدم ولا يدخل جميعهم فيه لأن المؤمن لا يدخل فيه لأن المأخوذ منهم كان لهم سلف
في الشرك وهذا لا يدخل الأولاد لصلبه لم يتخذوا من ظهور بني آدم فقد خرجوا من ذلك وهذا اختيار الجبائي والقاضي وقوله شهدنا حكاية عن قول الملائكة
إنهم يقولون ذلك أي شهدنا لئلا يقولوا ذكره الأزهري عن بعضهم وقال إن قوله قالوا بلى تمام الكلام وهذا خلاف الظاهر وما عليه المفسرون لأن الكل قالوا
شهدنا من قول من قال وإن اختلفوا في كيفية الشهادة على أن الملائكة لم يجر لها ذكر في الآية فيبعد أن يكون أخبارا عنهم أن تقولوا يوم القيمة معناه لئلا يقولوا يوم القيمة
إذا صاروا إلى العذاب يوم القيمة إنا كنا عن هذا غافلين لم ننبه عليه ولم تقم لنا حجة به ولم نجعل عقولنا الفكر فيه أو تقولوا أي يقول قوم منهم إنما أشرك
آباؤنا من قبل حين بلغوا وعقلوا وكنا ذرية من بعدهم أي أطفالا صغارا لا نعقل ولا نصلح للفكرة والنظر والتدبير على التأويل الآخر فمعناه أي إنما قررتكم بهذا
لئلا تقولوا ... ولا تقولوا يوم القيمة إنا كنا عن هذا غافلين عما الملائكة من الميثاق على لسان الأنبياء أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل فنشأنا على دينهم احتجاجا
بالتقليد وتعويلا عليه أي تحقق قطعت حجتكم هذه بما قررتكم به من معرفتي وأشهدكم على أنفسكم بإقراركم بمعرفتكم أفتهلكنا بما فعل المبطلون ومعناه
ولئلا تقولوا أفتهلكنا بما فعل آباؤنا من الشرك وتصديقه أنا لا نهلككم بما فعلوه وإنما نهلككم بفعلكم أنتم وكذلك نفصل الآيات معناه أنا كما بينا لكم هذه الآيات
كذلك نفصلها للعباد ونبينها لهم وتفصيل الآيات ليسهل التمكن من الاستدلال بكل واحدة منها ولعلهم يرجعون أي ليرجعوا من الحق إلى الباطل
قوله تعالى واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع

هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ساء مثلا القوم الذين كذبوا
بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون أربع آيات اللغة النبأ الخبر عن الأمر العظيم ومنه اشتقاق
النبوة نبأه الله جعله نبيا وأخلد إلى كذا وخلد إليه سكن إليه وأخلد أكثر وأصله اللزوم على الدوام ورجل مخلد إذا أبطأ عنه الشيب وأخلد إلى الأرض
لصق بها قال مالك بن نويرة بأبناء حي من قبائل مالك وعمرو بن يربوع أقاموا فأخلدوا واللهث أن يدلع الكلب لسانه من العطش واللهاث حر العطش وفي
سعيد بن جبير في الرأي اللهثان الخطيئة في رمضان وقيل هو النفس الشديد من شدة الإعياء الإعراب ساء مثلا نصب لأنه تفسير للضمير في ساء التقدير ساء مثلا بمعنى بئس فيكون
فعلا ماضيا غير متصرف مقتضيا تمييزا المثل مثلا وفي الكلام حذف التقدير ساء المثل مثلا مثل القوم ثم حذف المثل الأول لدلالة المنصوب عليه
وحذف الثاني لقيام المضاف إليه مقامه ولأن المعنى مفهوم المعنى ثم أمر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله أن يقرأ عليهم قصة أخرى من أخبار بني إسرائيل
فقال واتل عليهم أي واقرأ عليهم يا محمد نبأ الذي آتيناه آياتنا أي أعطيناه آياتنا أي حججنا وبيناتنا فانسلخ منها أي خرج من العلم بها بالجهل كالحية التي تنسلخ من جلدها
فأتبعه الشيطان أي تبعه وأتبع واتبع وتبع بمعنى وقيل معناه لحقه الشيطان وأدركه حتى أضله فكان من الغاوين أي من الهالكين وقيل من الخائبين عن الجنان واختلف
في المعني به فقيل بلعام بن باعوراء عن ابن عباس وابن مسعود وكان رجلا على دين موسى عليه السلام وكان في المدينة التي قصدها موسى وكانوا كفارا وكان عنده اسم الله
الأعظم إذا دعا الله به أجابه وقيل هو بلعم بن باعور من بني هاب بن لوط عن أبي حمزة الثمالي ومسروق وقال أبو حمزة وبلغنا أيضا والله أعلم أنه أمية بن أبي الصلت الثقفي الشاعر
وروي ذلك عن عبد الله بن عمرو وسعيد بن المسيب وزيد بن أسلم وأبي روق وكان قصته أنه قرأ الكتب وعلم أن الله سبحانه مرسل رسولا في ذلك الوقت ورجا أن يكون هو
ذلك الرسول فلما أرسل محمدا صلى الله عليه وآله حسده ومر على قتلى بدر فسأل عنهم فقيل قتلهم محمد فقال لو كان نبيا ما قتل أقرباءه واستنشد رسول الله أخته شعره بعد موته فأنشدت
لك الحمد والنعماء والفضل ربنا ولا شيء أعلى منك جدا وأمجد مليك على عرش السماء مهيمن لعزته تعنو الوجوه وتسجد وهي قصيدة طويلة حتى أتت على آخرها ثم أنشدته قصيدته
التي فيها وقف الناس للحساب جميعا فشقي معذب وسعيد والتي عند ذي العرش يعرضون عليه يعلم الجهر والسر والخفيا يوم يأتي الرحمن وهو رحيم إنه كان وعده مأتيا رب إن
تعف فالمعافاة ظني أو تعاقب فلم تعاقب بريا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله آمن شعره وكفر قلبه وأنزل الله فيه واتل عليهم نبأ الذي آتيناه الآية وقيل إنه أبو عامر بن نعمان
بن صيفي الراهب الذي سماه النبي صلى الله عليه وآله الفاسق وكان قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح فقدم المدينة فقال للنبي صلى الله عليه وآله ما هذا الذي جئت به قال جئت بالحنيفية
دين إبراهيم عليه السلام قال فأنا عليها فقال لست عليها ولكنك أدخلت فيها ما ليس منها فقال أبو عامر أمات الله الكاذب منا طريدا وحيدا فخرج إلى الشام وأرسل إلى المنافقين أن
استعدوا السلاح ثم أتى قيصر وأتى بجند ليخرج النبي صلى الله عليه وآله فمات بالشام طريدا وحيدا عن سعيد بن المسيب وقيل المعني به منافقوا أهل الكتاب الذين كانوا
يعرفون النبي كما يعرفون أبناءهم ويكون معنى فانسلخ منها أعرض عن آيات الله وتركها فأتبعه الشيطان أي خذله الله وخلى بينه وبين الشيطان عن الحسن ... وقيل
المعني به ... لم يعرف عليه الهدى فأعرض عنه عن قتادة وقال أبو جعفر عليه السلام الأصل في ذلك بلعم ثم ضربه الله مثلا لكل مؤثر هواه على هدى الله من أهل القبلة وقيل آتيناه
في الآيات التي ... الآيات النبوة والمعجزات الدالة على صدق الأنبياء عليهم السلام فلم يقبلها وغوى عنها يعني فرعون عن أبي مسلم فكأنه قال واتل عليهم نبأ
فرعون إذ آتيناه الحجج الدالة على صدق موسى عليه السلام فلم يقبلها ومنها أن الآيات الإيمان والهدى والدين عن الحسن ومنها أنها النبوة عن مجاهد وهذا لا يجوز لأن
الأنبياء منزهون عن ذلك فإنهم حجج الله على خلقه ولو شئنا لرفعناه بها أي بتلك الآيات والهاء في رفعناه يعود إلى الذي آتاه الله فانسلخ منها معناه ولو شئنا
لرفعنا منزلته بإيمانه ومعرفته قبل أن يكفر ولكن بقيناه ليزداد الإيمان فكفر عن الجبائي وقيل معناه لو شئنا لحلنا بينه وبين ما اختاره من المعصية وهذا
إخبار عن القدرة عن البلخي والزجاج ولكنه أخلد إلى الأرض أي ركن إلى الدنيا ومال إليها عن سعيد بن جبير والسدي ومعناه ولكنه مال إلى الدنيا بإيثار الراحة والدعة
في دعة واتبع هواه أي وانقاد هواه من الركون إلى الدنيا وإيثارها على الآخرة ثم ضرب لهذا مثلا فقال فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث فمعنى الصفة
كصفة الكلب إن طردته وشددت عليه يخرج لسانه من فمه وإن تركته ولم تطرده يخرج لسانه من فمه أيضا وتحمل عليه من الحمل لا من الحمل والمعونة وعلته فهو ضال
وإن لم يعظه فهو ضال في كل حال كما أن الكلب يلهث في كل حال فإنما يلهث في حال الإعياء والكلال إلا الكلب فإنه يلهث في كل حال ومثل قوله سبحانه سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم
صامتون وقيل إنما شبهه بالكلب في الخسة وقصور الهمة وسقوط المنزلة ووصف الكلب باللهث عادة العرب في تشبيه الشيء بالشيء ثم يأخذون في وصف المشبه به
وإن لم يكن ذلك الوصف في المشبه وذلك كثير في كلامهم عن أبي مسلم وقيل شبهه بالكلب إذ أخرج لسانه لأنه دلع الناس بلسانه ...
فلما أخرج لسانه من الفم مثل الكلب ولهثه في هذا الموضع مباحه وما حرمه وقيل إن هذا مثل الذي يقرأ القرآن فلا يعمل به عن مجاهد ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا
معناه ذلك صفة الذين يكذبون بآيات الله قال ابن عباس يريد أهل مكة كانوا يتمنون هاديا يهديهم ويدعوهم إلى طاعة الله فلما جاءهم من لا يشكون في صدقه

٣٧٣

كذبوا به ولم يهتدوا ولا تركوا او لما يهتدوا لما دعوا الى الرسول والكتاب فاقصص القصص اي ما قصص عليهم اخبار الماضين لعلهم يتفكرون فيعتبرون ولا يفعلون
مثل فعلهم حتى لا يحل بهم ما حل بهم ثم وصف الله سبحانه هذا المثل الذي ضربه وذكره بانه ساء مثلا اي بئس مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا ومعناه بئس الصفة المضروب
بها المثل وقبح حال المضروب فيه المثل لان المثل حسن وحكمة وصواب وانما القبيح صفتهم وانفسهم كانوا يظلمون اي وانما نقصوا بذلك انفسهم ولم ينقصونا لان عقاب ما يفعلونه
من المعاصي يحل بهم والله سبحانه لا يضره كفرهم ومعصيتهم ولا ينفعه ايمانهم وطاعتهم من يهد الله فهو المهتدي كتبت هنا بالياء ليس في القرآن غيره بالياء
واثبت الياء هنا في اللفظ جميع القراء ومعناه من يهديه الله الى نيل الثواب كما يهدي المؤمن الى ذلك والى دخول الجنة فهو المهتدي للايمان والخير
ومن يضلله الله عن طريق الجنة وعن نيل الثواب عقوبة على فسقه وكفره فاولئك هم الخاسرون خسروا الجنة ونعيمها وخسروا انفسهم والانتفاع بها وقيل المهتدي هو
الذي هداه الله فقبل الهداية واجاب اليها والذي اضله الله هو الذي اختار الضلالة فخلى الله بينه وبين ما اختاره ولم يمنعه منه بالجبر قوله تعالى ولقد
ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون
ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسمائه سيجزون ما كانوا يعملون وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون ثلث آيات القراءة
قرأ حمزة يلحدون بفتح الياء حيث كان وافقه الكسائي وخلف في النحل والباقون يلحدون بضم الياء وكسر الحاء الحجة قال ابو علي لحد والحد لغتان والمد في الكلام
الكثرة قال الشاعر ليس الامام بالشحيح الملحد وفي القرآن ومن يرد فيه بالحاد اللغة الذرء والانشاء والاحداث والخلق نظائر قال علي بن عيسى الاسم كلمة تدل على المعنى دلالة
الاشارة والصفة كلمة تدل على المعنى دلالة الافادة والصفة كلمة مأخوذة للمذكور من اصل من الاصول جارية عليه تابعة له والالحاد العدول عن الاستقامة والانحراف
عنها ومنه اللحد الذي يحفر في جانب القبر خلاف الضريح الذي يحفر في وسطه وروى ابو عبيدة عن الاحمر لحدت جرت وملت والحدت ماريت وجادلت ابو عبيدة لحدت
والحدت بمعنى واحد الاعراب اللام في قوله لجهنم لام العاقبة كما في قوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وانما التقطوه ليكون لهم قرة عين كما قالت امرأة
فرعون قرة عين لي ولك ومثله قول الشاعر ام سماك فلا تجزعي فللموت ما تلد الوالدة وقال الآخر وللموت تغذو الوالدات سخالها كما لخراب الدهر تبنى المساكن وقال
الآخر اموالنا لذوي الميراث نجمعها ودورنا لخراب الدهر نبنيها وقال الآخر [illegible] ولدة الموت ما تلده قال علي بن عيسى هي لام الاضافة
تذكر مرة على معنى العلة ومرة على معنى شبه العلة المعنى لما بين سبحانه امر الكفار وضرب لهم الامثال عقبه ببيان حالهم في الجهل والضلال فقال ولقد ذرأنا اي خلقنا لجهنم يعني خلقناهم
على ان عاقبتهم المصير الى جهنم بكفرهم وسوء اختيارهم وقد دل على هذا المعنى قوله سبحانه وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فاخبر انه خلقهم للعبادة فلا يجوز
ان يكون خلقهم للنار وقوله وما ارسلنا من رسول الا ليطاع [illegible] لذكر [illegible] والمراد بالآية كل من علم الله سبحانه انه لا يؤمن ويصير الى النار
لهم قلوب لا يفقهون بها الحق لانهم لا يتدبرون ادلة الله سبحانه وبيناته ولهم اعين لا يبصرون بها الرشد ولهم آذان لا يسمعون بها الوعظ لانهم يعرضون عن ذلك
اصلا من غير ان يكون بهم آفة الادراك وقد مر تفسيره في سورة البقرة عند قوله صم بكم عمي الآية اولئك كالانعام اي هؤلاء الذين لا يتدبرون آيات الله ولا يستدلون بها
على وحدانيته وصدق انبيائه اشباه الانعام والبهائم التي لا تفقه ولا تعقل بل هم اضل من البهائم فانها اذا زجرت انزجرت واذا ارشدت الى طريق اهتدت وهؤلاء لكفرهم
وعنادهم لا يهتدون الى شيء من الخيرات مع ما ركب الله فيهم من العقول الدالة على الرشاد الصارفة عن الفساد ولم يذكر بل هنا للرجوع عن الاول ولكن للاضراب عنه مع
بقائه وقيل انما قال بل هم اضل من الانعام لانها لا تقدر على المعرفة والتمييز فلا تطلبها وهؤلاء اعطوا القدرة والتمييز فضيعوها ولم ينتفعوا بها ولان الانعام والبهائم
مطيعة لم تكن عاصية وهؤلاء عصاة [illegible] اولئك هم الغافلون [illegible] عن الاستدلال بها والتفكر فيها دون البهائم التي سخرت [illegible] وقيل
الغافلون عما يحل في الآخرة من العذاب ولله الاسماء الحسنى اخبر سبحانه ان له الاسماء الحسنى معناها مثل الجواد والرحيم والرؤوف والكريم [illegible] جميع اسمائه
فان كلها حسنة [illegible] فمنها ما يرجع الى صفات ذات كالعالم والقادر والحي والاله والقديم والسميع والبصير ومنها ما هي صفات فعل كالخالق
والرازق والمبدئ والمحيي والمميت ومنها ما يفيد التنزيه ونفي صفات النقص عنه كالغني والواحد والقدوس ونحو ذلك وقيل المراد بالحسنى ما تميل اليه النفوس من ذكر
العفو والرحمة دون السخط والنقمة فادعوه بها اي بهذه الاسماء الحسنى ودعاؤه بها ان يقال يا الله يا رحيم يا خالق السموات والارض وكل اسم لله سبحانه فهو صفة
مفيدة لان اللقب لا يجوز عليه فانه بمنزلة الاشارة الى الحاضر وقد ورد في الحديث ان لله تسعة وتسعين اسما مائة الا واحدة من احصاها دخل الجنة
الله وتر يحب الوتر وقد اوردها [illegible] وذروا الذين يلحدون في اسمائه اي ذروا الذين يعدلون باسماء الله تعالى عما هي عليه فيسمون بها اصنامهم ويغيرونها
بالزيادة فيها والنقصان فاشتقوا اللات من الله والعزى من العزيز ومناة من المنان عن ابن عباس ومجاهد وقيل ان معنى يلحدون في اسمائه يصفونه بما لا يليق ويسمونه
بما لا يجوز تسميته به وهذا الوجه احسن [illegible] لانه لا يجوز ان يسمى الله سبحانه الا بما سمى به نفسه سيجزون

ما كانوا يعملون في الآخرة وقيل في الدنيا والآخرة وممن خلقنا امة يهدون بالحق اخبر سبحانه ان من جملة ما خلقه عصبة وجماعة
يدعون الناس الى توحيد الله تعالى والى دينه وهو الحق ويرشدونهم اليه وبه يعدلون اي وبالحق يحكمون وروى ابن جريج عن النبي صلى الله
عليه واله انه قال هي لامتي بالحق يأخذون وبالحق يعطون وقد اعطي القوم بين ايديكم مثلها ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون
قال الربيع بن انس قرأ النبي صلى الله عليه واله هذه الآية فقال ان من امتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى بن مريم وروى العياشي باسناده
عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام انه قال والذي نفسي بيده لتفترقن هذه الامة على ثلث وسبعين فرقة كلها في النار الا فرقة وممن خلقنا امة
يهدون بالحق وبه يعدلون فهذه التي تنجو وروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام انهما قالا نحن هم النظم قيل في وجه اتصال هذه الآية
بما قبلها وجهان احدهما انه لما بين في الآية المتقدمة حال قوم من الكفار يعدلون عن الحق بين في هذه الآية ان من جملة ما خلق من يهدي الى الحق
ويحكم بالعدل والآخر انه يتصل بقوله ذرأنا فكأنه قال خلقنا قوما صفتهم كذا وقوما صفتهم كذا قوله تعالى والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم
من حيث لا يعلمون واملي لهم ان كيدي متين او لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ان هو الا نذير مبين او لم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما
خلق الله من شيء وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون خمس آيات
القراءة قرأ اهل العراق ويذرهم في طغيانهم بالياء والجزم كوفي غير عاصم والباقون ونذرهم بالنون والرفع الحجة من قرأ بالنون فالتقدير فانا نذرهم
ومن قرأ بالياء رده الى اسم الله تعالى اي وهو يذرهم ويكون مقطوعا عن الاول على الوجهين ولم يكن جوابا ومن جزمه فانه عطفه على موضع الفاء وما بعدها
من قوله فلا هادي له ومثله في الحمل على الموضع قوله فاصدق واكن لانه لو لم تجئ الفاء لقيل لولا اخرتني اصدق فلا معنى لان معنى لولا اخرتني
اخرني اصدق ومثله قول الشاعر [illegible] فاني [illegible] وقول ابي دواد فابلوني بليتكم لعلي اصالحكم واستدرج نويا
لو حمل استدرج على موضع الفاء المحذوفة من قوله فلعلي اصالحكم وموضعه جزم اللغة الاستدراج اصله من الدرجة وهو ان يؤخذ قليلا قليلا
ولا يباغت كما يرتقي الراقي في الدرجة فيتدرج شيئا بعد شيء حتى يصل الى العلو وقيل اصله من الدرج الذي يطوى فكانه يطوى منزلة بعد منزلة كما يطوى الدرج
ويقال درج القوم اذا مات بعضهم في اثر بعض والاملاء التأخير [illegible] ملي من الدهر وملاوة من الدهر بضم الميم وفتحها وكسرها اي قطعة منه
واصل الاملاء الاستمرار على العمل [illegible] من املاء الكتاب [illegible] والمتين القوي والشديد واصله
من المتن وهو اللحم الغليظ الذي عن جانب الصلب [illegible] والكيد والمكر [illegible] والجنة الجنون واصله الستر والملكوت هو الملك الاعظم
المعنى لما ذكر سبحانه المؤمنين من امة محمد صلى الله عليه واله الهادين بالحق ذكر بعده المكذبين بآياته فقال والذين كذبوا بآياتنا التي هي في القرآن والمعجزات الدالة
على صدق النبي صلى الله عليه واله وكفروا بها سنستدرجهم من حيث لا يعلمون الى الهلكة حتى يقعوا فيه بغتة كما قال سبحانه بل تأتيهم بغتة فلا يستطيعون ردها
وقال فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون وقيل يجوز ان يريد عذاب الآخرة اي نقربهم درجة درجة الى ان يقعوا فيه وقيل هو من الدرجة
وهو الطريق ودرج اذا مشى سريعا اي سناخذهم من حيث لا يعلمون اي طريق سلكوا فان الطرق كلها علي ومرجع الجميع الي لا يغلبني غالب ولا يسبقني سابق
لا يفوتني هارب وقيل انه من الدرج اي نطويهم في الهلاك ونرفعهم عن وجه الارض يقال طويت فلانا وطويت امر فلان اذا تركته وهجرته وقيل معناه كلما
جددوا معصية جددنا لهم نعمة عن الضحاك ولا يصح قول من قال ان معناه نستدرجهم الى الكفر والضلال لان الآية وردت في الكفار وتضمنت انه يستدرجهم في
المستقبل فان السين يختص المستقبل ولانه جعل الاستدراج جزاء على كفرهم وعقوبة فلابد ان يريد معنى آخر غير الكفر وقوله واملي لهم معناه وامهلهم
ولا اعاجلهم بالعقوبة فانهم لا يفوتوني ولا يفوتني عذابهم ان كيدي متين اي عذابي قوي منيع لا يمنعه مانع ولا يدفعه دافع وسماه كيدا لنزوله بهم من حيث لا
يشعرون وقيل اراد ان جزاء كيدهم متين والقول هو الاول او لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة معناه او لم يتفكر هؤلاء المكذبون بمحمد صلى الله عليه واله وتروية
في اقواله وافعاله فيعلموا انه صلى الله عليه واله ليس بمجنون اذ ليس في افعاله واقواله ما يدل على الجنون وتم الكلام عند قوله او لم يتفكروا ثم ابتدأ
فقال ما بصاحبهم من جنة اي ليس به جنون وذلك ان رسول الله صلى الله عليه واله صعد الصفا وكان يدعوهم فخذا فخذا الى توحيد الله ويخوفهم عذاب الله
فقال المشركون ان صاحبكم قد جن بات ليلا يصوت الى الصباح فانزل الله هذه الآية عن الحسن وقتادة ان هو الا نذير مبين اي ما هو الا معلم بموضع المخافة
ليتقى وبموضع الامن ليحرى ومعنى مبين يبين لهم ما امامهم من جهنم ثم قال او لم ينظروا معناه او لم يتفكروا في ملكوت السموات والارض
فيعتبروا بها ويتفكروا فيها نظر المستدل المعتبر فيعرفوا بان لها خالقا مالكا ويستدلوا عليه بذلك وما خلق الله من شيء اي ويتفكروا فيما خلق الله من اصناف

خلق فيعلموا بذلك انه سبحانه خالق جميع الاجسام فان في كل شيء خلقه الله تعالى دلالة واضحة على اثباته وتوحيده وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم اي او لم يتفكروا وينظروا في ان عسى ان يكون قد قرب اجلهم وهو اجل موتهم فيدعوهم ذلك الى ان يحتاطوا لدينهم ولانفسهم مما يصيرون اليه بعد الموت من امور الآخرة ويزهدوا في الدنيا وفيما يطلبونها من فخرها وشرفها وعزها ومعناه لعل اجلهم قريب وهم لا يعلمون فبأي حديث بعده اي بعد القرآن يؤمنون مع وضوح الدلالة على انه كلام الله اذ لم يقدر احدهم ان يأتي بسورة مثله وسماه حديثا لانه محدث غير قديم من يضلل الله فلا هادي له قد ذكرنا معناه ويذرهم في طغيانهم يعمهون معناه وتركهم في ضلالتهم يتحيرون والعمه في القلب كالعمى في العين قوله تعالى

يسألونك عن الساعة ايان مرساها قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت في السموات والارض لا تأتيكم الا بغتة يسألونك كأنك حفي عنها قل انما علمها عند الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون آية اللغة ايان معناه متى وهو سؤال عن الزمان على وجه الظرف للفعل قال الشاعر ايان تقضي حاجتي ايانا اما ترى نجحها ايانا والساعة هنا الساعة التي تموت فيها الخلق والارساء الاثبات ومرساها مثبتها ومرسى الشيء مثبته وهو ارسى اذا ثبت و [illegible] والحفي المستقصي في السؤال [illegible] في المسئلة اذا اكثر عليه والح قال الاعشى فان تسألي عني فيا رب سائل حفي عن الاعشى به حيث اصعدا ومنه احفى شاربه اذا استقصى اخذه وحفيت الدابة تحفى حفى مقصور اذا اكثر عليها المشي [illegible] الاعراب الكاف في يسألونك المفعول الاول ومن الثاني في موضع المفعول الثاني وايان مرساها يتعلق بمدلول السؤال والتقدير قائلين ايان مرساها ومرساها في موضع الرفع بالابتداء و ايان خبره وبغتة مصدر في موضع الحال من الضمير في يأتيكم النزول قيل جاء قوم من اليهود فقالوا يا محمد اخبرنا عن الساعة متى هي ان كنت نبيا فنزلت الاية عن ابن عباس وقيل قالت قريش يا محمد متى الساعة فنزلت الاية عن الحسن وقتادة المعنى لما تقدم الوعيد بالساعة سأل الناس عنها فقال سبحانه يسألونك يا محمد عن الساعة وهي الساعة التي تموت فيها الخلق عن الزجاج وقيل هي القيامة وهو وقت قيام الناس والحشر عن اكثر المفسرين وقيل هو وقت فناء الخلق عن الجبائي ايان مرساها اي متى وقوعها وكونها عن الزجاج وقيل مرساها منتهاها عن ابن عباس وقيل قيامها عن قتادة والسدي قل يا محمد انما علمها عند ربي اي انما علم وقت قيامها ومجيئها عند الله تعالى ولم يطلع عليه احدا من خلقه وانما لم يخبر بوقتها ليكون العباد على حذر منه فيكون ذلك ادعى لهم الى الطاعة وازجر عن المعصية لا يجليها لوقتها الا هو اي لا يظهرها ولا يكشف عن علمها ولا يبين وقتها الا هو ولا يعلم احد سواه متى يكون قبل كونها وقيل معناه لا يأتي بها الا هو عن مجاهد ثقلت في السموات والارض ذكر فيه وجوه احدها ثقل علمها على اهل السموات والارض لان من خفي عليه علم شيء كان ثقيلا عليه عن السدي وابي علي الفارسي واصل هذا قولهم [illegible] كأنه يثقل ما لا تعلمه عليك وثانيها ان معناه عظمت على اهل السموات والارض صفتها لما يكون فيها من انتثار النجوم وتكوير الشمس وتسيير الجبال وغيرها عن الحسن وابن جريج وثالثها ثقل وقوعها على اهل السموات والارض لعظمها وشدتها ولما فيها من المحاسبة والمجازاة عن الجبائي وابي مسلم وجماعة ورابعها ان المراد نفس السموات والارض اي لا يطيق السموات والارض حملها لعظمها وشدتها عن قتادة والمعنى انها لو كانت احياء لثقلت عليها تلك الاحوال من انفطار السموات وانكدار النجوم وتسيير الجبال وغيرها لا تأتيكم الا بغتة اي فجأة لتكون اعظم واهول يسألونك كأنك حفي عنها معناه يسألونك كأنك حفي بها اي عالم بها قد اكثرت المسئلة عنها عن مجاهد والضحاك واصله من احفيت السؤال عن الشيء حتى علمته اي استقصيت به وروي عن ابن عباس انه قرأ كأنك حفي بها فعلى هذا يكون الجار والمجرور الذي هو عنها محذوفا والدلالة عليه ما يكون في التقدير الاول يكون الجار والمجرور الذي هو بها محذوفا والدلالة عليه الا ترى انه اذا كان حفيا بها فلا بد ان يسأل عنها كما انه اذا سأل عنها فليس ذلك الا لحفاوة بها وقيل فيه معنى آخر وهو ان يكون تقديره يسألونك عنها كأنك حفي بهم اي بار بهم فرح بسؤالهم والحفاوة في المسئلة عنها او فيما سألوا فعلتها قل يا محمد انما علمها عند الله لا يعلمها الا هو وانما اعاد سبحانه هذا القول لانه وصل بقوله ولكن اكثر الناس لا يعلمون وقيل اراد بالاول علم وقت قيامها وبالثاني علم كيفيتها وهيآتها وتفصيل ما فيها عن الجبائي وهذا يدل على بطلان قول الرافضة ان الائمة منصوص عليهم [illegible] اماما بعد امام الى يوم القيمة لانه لو كان كذلك لوجب ان يعلم آخر الائمة ان القيمة تقوم بعده وذلك خلاف قوله قل انما علمها عند الله وهذا ضعيف لانه يمتنع ان يعلم آخر الائمة انه لا امام بعده وان لم يعلم وقت قيام الساعة لانه لا يعلم وقت وفاته بعينه هذا اذا قيل ان الساعة وقت فناء الخلق او موتهم واذا قيل ان الساعة عبارة عن وقت الحشر فقد زالت الشبهة لانه اذا علم انه يفنى الخلق بعده لا يجب ان يعلم متى يحشر الخلق على انه قد وردت الرواية ان التكليف يزول بعد موت آخر الائمة لظهور شرايط الساعة واماراتها مثل طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة وغير ذلك ومع ذلك يجوز ان لا يعلم وقت قيام الساعة قوله تعالى قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون آية

التوحيد

التوحيد قيل ان اهل مكة قالوا يا محمد الا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل ان يغلو فتشتريه وتربح عليه وبالارض التي يريد ان تجدب فترتحل منها الى ارض قد اخصبت فانزل الله هذه الاية المعنى قل يا محمد لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ان يملكنيه فاملكه [illegible] ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء [illegible] الا ما شاء الله ان يعلمنيه ولو كنت اعلم الغيب لادخرت من السنة المخصبة للسنة المجدبة ولاشتريت وقت الرخص لوقت الغلاء وقيل معناه لاستكثرت من الاعمال الصالحة قبل قرب الاجل ولم اشتغل بغيرها ولاخترت الافضل فالافضل عن مجاهد وابن جريج وقيل معناه لو كنت اعلم ما تسألون عنه من الغيب لاستكثرت من الخير اي لاجبت في كل ما تسألون عنه من الغيب في امر الساعة وغيرها عن الزجاج وما مسني السوء اي وما اصابني الضر والفقر وقيل معناه ما يجوز كما تزعمون فيكون ابتداء وقيل معناه وما مسني التكذيب منكم لاني اذا كنت عالما بكل شيء اجبت عن كل شيء ما تسألون فلا تكذبون وقيل وما مسني سوء من جهة الاعداء لاني كنت اعلم ذلك فاحترز منه ان انا الا نذير مخوف بالعقاب وبشير مبشر بالثواب لقوم يؤمنون خصهم بالذكر لانهم المنتفعون بذلك [illegible] وان كان نذيرا لغيرهم ايضا وفي قوله الا ما شاء الله دلالة على فساد مذهب المجبرة لان الافعال والحركات كلها مخلوقة لله لما صح الاستثناء لان احدهم لا يملك عنده شيئا وفي قوله لو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير دلالة على ان القدرة قبل الفعل لا مع الفعل لانها لو كانت مع الفعل لما امكنه الاستكثار من الخير اذا علم الغيب النظم وجه اتصال الاية بما قبلها انه لما تقدم اجابة القوم بانه لا يعلم الغيب عقبه بان علم الغيب يختص به المالك للنفع والضر وهو الله سبحانه عن ابي مسلم وقيل ان الاية في معنى جواب سؤالهم اليه فكانه قال اذا انا لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا ان ادفع عنها فكيف اعلم الغيب قوله تعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة و

جعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما اثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما صالحا جعلا له شركا فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصرا ولا انفسهم ينصرون وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون خمس آيات القراءة قرأ اهل المدينة وابو بكر شركا بكسر الشين والتنوين على المصدر لا على الجمع وهو قراءة الاعرج وعكرمة والباقون شركاء بفتح الشين والمد على الجمع وروي في الشواذ قراءة يحيى بن يعمر فمرت به خفيفة وقرأ نافع لا يتبعوكم وفي الشعراء يتبعهم بالتخفيف والباقون يتبعوكم بالتشديد الحجة من قرأ شركا فانه حذف المضاف وتقديره جعلا له ذا شرك او ذوي شرك فالقراءتان على هذا تؤولان الى معنى واحد فاذا معنى جعلا له شركا جعلا له ذوي شرك والضمير في له يعود الى اسم الله ومن قرأ فمرت به خفيفة فانه ينبغي ان يكون اصله التشديد كقراءة الجماعة الا انه حذف تخفيفا لثقل التضعيف قالوا استمرت به اي مشت به وقال ابو زيد [illegible] من المطايا الحسن [illegible] السوق اي حسن وقيل انه من المرية اي شكت احملت ام لا وعن الحسن شكت اغلام ام جارية وروي عن عبد الله بن عمرو فمارت به وهو من قولهم مار يمور اذا ذهب وجاء وقرأ ابن عباس فاستمرت ومعناه مرت به مكلفة نفسها ذلك لان استفعل يأتي في اكثر الامر بمعنى الطلب ومن قرأ لا يتبعوكم فانه في المعنى مثل القول الاخر قال ابو زيد رأيت القوم فاتبعتهم اتباعا اي ذهبت معهم واتبعتهم اتباعا اذا سبقوك فاسرعت نحوهم وتبعتهم مثل اتبعتهم في المعنى تبعتهم تبعا المعنى لما تقدم ذكر الله سبحانه ذكر عقيبه ما يدل على وحدانيته فقال هو الذي خلقكم والخطاب لبني آدم من نفس واحدة يعني آدم عليه السلام وخلق منها زوجها يعني حواء ليسكن آدم اليها ويأنس بها فلما تغشاها اي فلما اصابها كما يصيب الرجل زوجته يعني وطأها وجامعها حملت حملا خفيفا وهو الماء الذي حصل في رحمها فمرت به اي استمرت بالحمل على الخفة تقوم وتقعد وتجيء وتذهب كما كانت من قبل لم يمنعها ذلك الحمل من شيء من التصرف فلما اثقلت اي صارت ذات ثقل كما يقال اثمرت الشجرة اي صارت ذات ثمر وقيل معناه دخلت في الثقل كما يقال اصاف دخل في الصيف واشتى دخل في الشتاء المعنى لما كبر الحمل في بطنها وتحرك وصارت ثقيلة به دعوا الله ربهما يعني آدم وحوا سألا الله تعالى عند كبر الولد في بطنها لئن آتيتنا صالحا اي اعطيتنا ولدا صالحا عن ابي مسلم وقيل نسلا [illegible] صالحا اي معافى سليما صحيح الخلقة عن الجبائي وقيل بشرا سويا عن ابن عباس وقيل [illegible] ما ذكره ابن عباس لنكونن من الشاكرين لنعمتك علينا عن الجبائي وانما قالا ذلك لانهما ارادا ان يكون لهما ولد يؤنسهما في الموضع الذي كانا لانهما كانا فردين مستوحشين وكانا اذا غاب احدهما عن الاخر مستوحشا بلا مؤنس ويحتمل ايضا ان يكون ارادا بقوله صالحا مطيعا فاعلا للخير مصلحا غير مفسد فلما آتاهما الله صالحا كما التمسا جعلا له شركا فيما آتاهما اختلف في من يرجع الضمير الذي في جعلا له على وجوه احدها انه يرجع الى النسل الصالح اي الى الذكر و الانثى لا الى آدم وحواء لان حواء كانت تلد في كل بطن ذكرا وانثى يعني ان هذا النسل الذي هو ذكر وانثى جعلا له شركا فيما اعطاهما من النعمة فاضافا تلك النعم الى الذين اتخذوهم آلهة مع الله من الاصنام والاوثان عن الجبائي وثانيها انه يرجع الى النفس وزوجها من ولد آدم لا الى آدم وحواء عن الحسن وقتادة وهو قول الاصم قال ويكون المعنى في قوله خلقكم من نفس واحدة خلق كل واحد منكم من نفس واحدة ولكل نفس زوج هو منها اي من جنسها كما قال

ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها فلما تغشيها حملت حملا خفيفا وهو ماء الفحل فلما اثقلت بصيرورة ذلك
الماء لحما ودما وعظاما دعا الرجل والمراة ربهما لئن اتيتنا صالحا جعلا له شركا فيما اتاهما لانهما كانوا يسمون عبد اللات وعبد العزى وعبد مناة ثم رجعت الحكاية
الى الجمع في قوله فتعالى الله عما يشركون فالكناية في جميع ذلك غير متعلقة بادم وحوا ولو كانت متعلقة بهما لقال عما يشركان وقال ابو مسلم تقدير الاية
هو الذي خلقكم والخطاب لجميع الخلق من نفس واحدة يعني ادم وجعل من ذلك النفس زوجها وهي حوا ثم انقضى حديث ادم وحوا وخص بالذكر المشركين
من اولاد ادم الذين سألوا ما سألوا وجعلوا له شركاء فيما اتاهما قال ويجوز ان يذكر العموم ثم يخص البعض بالذكر ومثله كثير في الكلام قال سبحانه
هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة فخاطب الجماعة بالتسيير ثم خص راكب البحر بالذكر وكذلك هذه الاية اخبرت
عن جملة البشر بانهم مخلوقون من ادم وحوا ثم عاد الذكر الى الذين سألوا الله تعالى ما سألوا فلما اعطاهم اياه ادعوا له الشركاء في عطيته قال ويجوز ان يكون عنى بقوله
هو الذي خلقكم من نفس واحدة المشركين خصوصا اذا كان كل واحد من بني ادم مخلوقا من نفس واحدة وزوجها وقد جاء مثله في قول الاصم قال ويكون مثله في التنزيل
ويجري في الكلام والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم والمعنى فاجلدوا كل واحد منهم وثالثها ان الضمير يرجع الى ادم وحوا ويكون
التقدير في قوله جعلا له شركاء جعل اولادهما له شركاء فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فصار جعلا وهذا مثل قوله سبحانه ثم اتخذتم العجل واذ قتلتم نفسا
والتقدير واذ قتل اسلافكم نفسا واتخذ اسلافكم العجل فحذف المضاف وعلى هذا الوجه يكون الكناية من اول الكلام الى اخره راجعة الى ادم وحوا
ويقويه قوله سبحانه فتعالى الله عما يشركون ورابعها ما رويه العامة انه يرجع الى ادم وحوا وانهما جعلا لله تعالى شريكا في التسمية وذلك انهما اقاما
زمانا لا يولد لهما فمر بهما ابليس ولم يعرفاه فشكوا اليه فقال لهما ان اصلحت حالكما حتى يولد لكما اتسميانه باسمي قالا نعم وما اسمك قال الحرث فولد لهما فسمياه عبد الحرث
ذكره ابن فضال وقيل ان حوا حملت اول ما حملت فاتاها ابليس في غير صورته فقال لها يا حوا ما يؤمنك ان يكون في بطنك بهيمة فقالت لادم لقد اتاني
آت فاخبرني ان الذي هو في بطني بهيمة واني لاجد له ثقلا فلم يزالا في هم من ذلك ثم اتاها فقال ان سالت الله ان يجعله خلقا سويا مثلك ويسهل عليك
خروجه اتسميه عبد الحرث ولم يزل بها حتى غرها فسمته عبد الحرث برضا ادم عليه السلام وكان اسم ابليس عند الملائكة الحرث وهذا الوجه بعيد
تاباه العقول وتنكره فان البراهين الساطعة التي لا يصح فيها الاحتمال ولا يتطرق اليها المجاز والاتساع قد دلت على عصمة الانبياء عليهم السلام فلا يجوز عليهم
الشرك والمعاصي وطاعة الشيطان فلو لم يعلم تاويل الاية لعلمنا على الجملة ان لها وجها يطابق دلالة العقل فكيف وقد ذكرنا الوجوه الصحيحة الواضحة
في ذلك على ان الرواية الواردة في ذلك قد طعن العلماء في سندها بما هو مذكور في مواضعه ولا يحتاج الى اثباته فان الاية تقتضي انهم اشركوا الاصنام
التي تخلق ولا تخلق لقوله ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون وفي خبرهم انهما اشركا ابليس اللعين في ما ولد لهما بان سمياه عبد الحرث وليس في ظاهر
الاية لابليس ذكر وحكى البلخي عن جماعة من العلماء انهم قالوا لو صح الخبر لم يكن في ذلك الا اشراكا في التسمية وليس ذلك بكفر ولا معصية واختاره [illegible]
وروى العياشي باسناده في تفسيره عنهم عليهم السلام ان كان شركهما شرك طاعة ولم يكن شرك عبادة وقوله ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون
توبيخ وتعنيف للمشركين بانهم يعبدون مع الله تعالى جمادا لا يخلق شيئا من الاجسام ولا ما يستحق به العبادة ومع ذلك هم مخلوقون محدثون ولهم
خالق خلقهم واخرج الكلام مخرج الاستفهام ولفظة ما انما تستعمل فيما لا يعقل فيدل ذلك على ان المراد بقوله جعلا له شركاء انهم اشركوا الاصنام مع الله تعالى
لا ما ذكروه من اشراك ابليس وانما قال وهم يخلقون على لفظ العقلاء وان كانت الاصنام جمادا لانه اراد به الاصنام والعابدين جميعا فغلب ما يعقل
ويجوز ان يكون على انهم يعظمونها تعظيم من يعقل ويصورونها على صورة من يعقل فكنى عنهم كما يكنى عن العقلاء كقوله والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين ولا
يستطيعون لهم نصرا ولا انفسهم ينصرون اي ويشركون به ويعبدون معه من لا يستطيع نصر عابديه ولا نصر نفسه بان يدفع عن نفسه من اراد به الضر
ومن هذه صورته فهو في غاية العجز فكيف يكون الها معبودا وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم قيل وان تدعوا الاصنام التي عبدوها الى الهدى فانها
لا تقبل الهدى ولا تدل على الحيات بين بذلك صغر امرها بانها لا تهدي غيرها ولا تهتدي بانفسها فان دعيت الى الهدى وقيل معناه ان دعوتم المشركين
الذين اصروا على الكفر الى دين الحق لم يؤمنوا وهو نظير قوله سواء عليهم اانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون عن الحسن سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون
اي سواء عليكم دعاؤكم لهم والسكوت عنهم وانما قال ام انتم صامتون ولم يقل ام صمتم فيكون في مقابلة ادعوتموهم ليفيد الماضي والحال فان المقابلة كانت
يدل على الماضي فحسب وصورة اللفظ تدل على معنى الحال ومثله قول الشاعر سواء عليك الفقر ام بت ليلة باهل القباب من نمير بن عامر **قوله تعالى** ان الذين
تدعون من دون الله عباد امثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون

بها ام لهم اذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون آيتان **القراءة** قرأ ابو جعفر وحده يبطشون بضم الطاء هنا وفي القصص و
والدخان بضم الطاء والباقون بكسرها وقرأ هشام ويعقوب كيدوني بالياء في الوقف والوصل ووافقهما ابو جعفر وابو عمرو واسمعيل في
الوصل والباقون بغير ياء في الحالين وقرأ يعقوب تنظروني بياء في الحالين **الحجة** بطش يبطش ويبطش والكسر افصح وقال ابو علي الفواصل
من الكلام التام يجري مجرى القوافي لاجتماعهما في ان الفاصلة اخر الاية كما ان القافية اخر البيت وقد الزموا القوافي حذف هذه اليا [illegible]
فهل يمنعني ارتيادي البلاد من حذر الموت انياتين والياء التي هي لام كذلك نحو قوله يلتمس الاجلاس في منزله منه كالهبرزي المصلي [illegible]
الامات **المعنى** ثم احتج سبحانه على المشركين بقوله ان الذين تدعون من دون الله يعني الاصنام التي تدعونها آلهة عباد امثالكم اي
مخلوقون امثالكم عن الحسن وقيل مملوكون امثالكم عن الكلبي وقيل امثالكم في التسخير اي انهم مسخرون مذللون لامر الله عن الاخفش ولما كانت
الاصنام غير ممتنعة مما يريد الله كانت في معنى العباد فان التعبيد التذليل وطريق معبد مذلل فادعوهم هذا الدعاء ليس الدعاء الاول تعبدونهم [illegible]
ومنه قوله وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل اي ذللتهم واتخذتهم عبيدا فادعوهم هذا الدعاء ليس الدعاء الاول والمراد
فادعوهم في مهماتكم وتكشف الاسواء عنكم فليستجيبوا لكم هذا لام الامر على معنى التعجيز والتبكيت كما قال فاتوا بسورة مثله ان كنتم صادقين
قال ابن عباس معناه فاعبدوهم هل يثيبونكم او يجازونكم ان كنتم صادقين بان لكم عندها منفعة وثوابا وشفاعة ونصرة ثم فضل سبحانه
بني ادم عليهم فقال الهم ارجل يمشون بها اي لهؤلاء الاصنام ارجل يمشون بها في مصالحكم ام لهم ايد يبطشون بها اي ياخذون بها ويدفعون
عنكم ومعنى البطش التناول والاخذ بشدة ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون بها اي ليس لهم هذه الحواس ولكم هذه الحواس
فانتم افضل منهم فكيف تعبدونهم وعبدتم من له الحيوة ومنافع الحواس افضل من الذي لا يكون كذلك لانها مخلوقة مربوبة فكيف تعبدون من هو افضل منه ثم زاد
في تعجيزهم فقال قل يا محمد ادعوا شركاءكم اي هذه الاوثان التي تدعونها آلهة فتشركونها في اموالكم فتجعلون لها حظا من الحرث وغيرها و
ترجون منها [illegible] كما ان الله لها ثم كيدون باجمعكم ولا تنظرون اي لا تؤخروني ومعناه ان معبودي ينصرني ويدفع كيد الكائدين عني ومعبودكم
لا يقدر على نصركم فان قدرتم على ضري فاجتمعوا انتم واصنامكم وتظاهروا على كيدي ولا تمهلوني في الكيد والاضرار فان معبودي يدفع
كيدكم عني **قوله تعالى** ان وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون
وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون ثلث ايات **المعنى** ثم بين سبحانه بعد ذلك ناصره وحافظه وامر نبيه ان يقول
ان يقول للمشركين ان وليي اي حافظي وناصري ودافع شركم عني الله الذي نزل الكتاب اي القران يؤيد في نصره كما انزله علي وهو يتولى الصالحين
اي ينصر المطيعين المجتنبين معاصيه تارة بالدفع عنهم واخرى بالحجة والذين تدعون من دون الله آلهة لا يستطيعون نصركم اي لا يقدرون
على ان ينصروكم ولا ان يدفعوا عنكم ولا انفسهم ينصرون وتكرر هذا لان ما تقدم ذكر على وجه التقريع والتوبيخ وما ذكره هيهنا فانه على وجه الفرق بين صفة
من يجوز له العبادة وصفة من لا يجوز له العبادة فكانه قال ان ناصري الله ومن تعبدونه لا يقدر على نصركم ولا على نصر نفسه وان تدعوهم يعني ان تدعوا
هؤلاء الذين يعبدونهم من الاصنام الى الهدى اي الى الرشد والنافع عن الجبائي والفراء وقيل معناه وان دعوتم المشركين الى الدين لا يسمعوا دعاءكم
وتراهم فاعينهم تحكي على ما صورتموهم عليه من الصورة لمن كان جعل الله الصناع عيونهم في مقابلتهم تظن انها تنظر اليهم مجازا لان النظر تقليب الحدقة الصحيحة نحو
المرئي طلبا لرؤيته وذلك لا يتاتى في الجماد ويقال للناظر الحائط دار فلان ناظر الى دار فلان اذا قابلها وقيل معناه لا يقبلوا وان سمعوه الله لم يحب وتراهم ينظرون اليك وهم
لا يبصرون الحجة يعني مشركي العرب عن السدي ومجاهد **قوله تعالى** خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين واما ينزغنك من الشيطان نزغ
فاستعذ بالله انه هو السميع العليم آيتان **اللغة** قد مر معنى العفو عند قوله قل العفو في سورة البقرة والعرف ضد النكر ومثله المعروف والعارفة و
كل خصلة حميدة يعرف صوابها العقول وتطمئن اليها النفوس قال الشاعر لا يذهب العرف بين الله والناس والنزغ الازعاج بالاغراء واكثر ما يكون
عند الغضب واصل الازعاج بالحركة نزغه ينزغه نزغا وقيل النزغ الفساد ومنه نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي اي افسد وقال الزجاج النزغ ادنى حركة تكون
ومن الشيطان ادنى وسوسة **المعنى** لما امر سبحانه نبيه بالدعاء اليه وتبليغ الرسالة علمه محاسن الافعال ومكارم الاخلاق فقال خذ العفو
اي خذ يا محمد ما عفى من اموال الناس اي ما فضل من النفقة فكان رسول الله صلى الله عليه وآله ياخذ الفضل من اموالهم ليس فيها شيء موقت ثم نزلت اية الزكوة فصار

منسوخاً بما كان مثل السورة مكية عن ابن عباس والسدي والضحاك وقيل معناه خذ العفو من اخلاق الناس واقبل الميسور منها عن مجاهد والحسن ومعناه ايضاً التساهل وترك الاستقصاء في القضاء والاقتضاء وهذا يكون في الحقوق الواجبة لله وللناس وفي غيرها وهو في معنى الخبر المرفوع احسانك عما باعياً وشارياً وقاضياً ومقتضياً وقيل هو العفو في قبول العذر من المعتذر وترك المؤاخذة بالاساءة وروي انه لما نزلت هذه الاية سأل رسول الله صلى الله عليه وآله جبرئيل عن ذلك فقال لا ادري حتى اسأل العالم ثم اتاه فقال يا محمد ان الله يأمرك ان تعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك وأمر بالعرف يعني بالمعروف وهو كل خصلة حسنت في العقل فعلها او في الشرع ولم يكن منكراً ولا قبيحاً عند العقلاء وقيل لكل خصلة حميدة واعرض عن الجاهلين معناه واعرض عنهم عند قيام الحجة عليهم والاياس من قبولهم ولا تقابلهم بالسفه صيانة لقدرك فان مجاراة السفيه تضع من القدر ولا يقال ان الاية منسوخة باية القتال لانها عامة خص منها الكافر الذي يجب قتله بدليل ولما نزلت هذه الاية قال النبي صلى الله عليه وآله كيف يا رب والغضب فنزل قوله واما ينزغنك من الشيطان نزغ ومعناه يا محمد اما يصيبنك من الشيطان نزغ اي وسوسة ونخسة في القلب بما يسول للانسان وقيل معناه ان عرض لك من الشيطان عارض عن ابن عباس وقيل معناه ان نزغك الشيطان بغضب يحملك على مجاوزة ما امرتك به من هذه الاشياء فاستعذ بالله اي سل الله ان يعيذك منه انه سميع عليم بالمسموعات عليم بالخفيات وقيل سميع لدعائك عليم بما عرض لك وقيل ان النزغ اول الوسوسة والمس لا يكون الا بعد التمكن ولذلك فصل الله سبحانه بين النبي وغيره فقال للنبي صلى الله عليه وآله واما ينزغنك من الشيطان وقال للناس اذا مسهم طائف من الشيطان قوله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون واذا لم تأتهم باية قالوا لولا اجتبيتها قل انما اتبع ما يوحى الي من ربي هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ثلث ايات القراءة قرأ اهل البصرة وابن كثير والكسائي طيف بغير الف وهو قراءة النخعي والاسود بن يزيد وقرأ الباقون طائف بالالف وقرأ اهل المدينة يمدونهم بضم الياء وكسر الميم والباقون بفتح الياء وضم الميم وفي الشواذ عن الجحدري يمادونهم وعن عيسى بن عمر يقصرون بفتح الياء وضم الصاد الحجة الطيف مصدر من طاف الخيال يطيف طيفاً اذا الم في المنام فمعناه اذا مسهم خطرة من الشيطان ويكون الطائف معناه طيف كالخطرة وطائف كالخاطر والطيف اكثر [illegible] الطيف الخيال [illegible] وعن الاعشى ويصح حمل السوسي وكان ابن عباس طائف الجن او الوسوسة [illegible] في التنزيل اذا مد يمد ومد [illegible] فيما يحمد [illegible] من مال وبنين وامددنا هم بفاكهة وامددناكم بالدم وما كان بخلافه [illegible] في طغيانهم يعمهون [illegible] ومن قرأ يمدونهم مثل [illegible] والله اعلم ويمادونهم تفاعل [illegible] يقصر يقصر اذا ترك من قدره وقصر اذا ضعف عنه اللغة المس الذي [illegible] والمس من الشيطان [illegible] والاصطفاء وهو [illegible] الاجتباء [illegible] على وزن [illegible] وقيل اصله الجمع من جبيت الماء في الحوض جبايته فالحوض جابية للماء قال الفراء اجتبيت الكلام واختلقته وارتجلته اذا افتعلته من قبل نفسك [illegible] قال ابو زيد هذه الحروف تقولها العرب [illegible] الرجل الكلام لم يكن [illegible] ذلك في نفسك والبصائر الحجج جمع بصيرة والبصائر ايضاً طرائق الدم [illegible] والبصيرة الدرع وجمعها بصائر قال الزجاج وجميع هذا معناه ظهور الشيء وبيانه الاعراب اذا الاولى ظرف زمان ويكون لها جواب بمنزلة الجزاء واذا الثانية ظرف مكان بمعنى المفاجأة كقولك خرجت فاذا زيد المعنى ثم ذكر سبحانه طريقة المتقين اذا عرض لهم وساوس الشيطان فقال ان الذين اتقوا الله باجتناب معاصيه اذا مسهم طائف من الشيطان اي اغواهم بمعاصيه تذكروا ما عليهم من العقاب بذلك فيجتنبونه ويتركونه وهو معنى قول ابن عباس والسدي والحسن يعني اذا طاف عليهم الشيطان بوسوسته وقال سعيد بن جبير هو الرجل يغضب الغضبة فيذكر فيكظم وقال مجاهد وروي عن ابي جعفر عليه السلام هو الرجل يهم بالذنب فيذكر الله فيتركه وقيل طائف غضب وطيف جنون وقيل معناهما واحد فاذا هم مبصرون للرشد واخوانهم يمدونهم في الغي معناه واخوان المشركين من شياطين الجن والانس يمدونهم في الضلالة والمعاصي اي يزيدونهم ويزينون ما هم فيه ثم لا يقصرون ثم لا يكفون يعني الشياطين عن اغوائهم ولا يرحمونهم عن قتادة وقيل معناه واخوان الشياطين من الكفار يمدونهم الشياطين في الغي ثم لا يقصرون اي لا يقصرون مع ذلك كما يقصر الذين اتقوا عن ابن عباس والسدي والجبائي وقيل معناه لا يقصر الشياطين عن اغوائهم ولا يقصرون هم عن ارتكاب الفواحش واذا لم تأتهم باية قالوا لولا اجتبيتها معناه يا محمد اذا جئتهم باية كذبوا بها واذا ابطأت عنهم يقترحونها ويقولون هلا احدثتها من قبل نفسك فليس كل ما تقوله وحياً من السماء عن قتادة ومجاهد والزجاج وقيل معناه اذا لم تأتهم باية مقترحة قالوا هلا اخترعتها من قبل نفسك

او هلا اقترحتها على ربك ان يأتيك بها عن ابن عباس والجبائي ومجاهد بن مسلم قل يا محمد انما اتبع ما يوحى الي من ربي ليس لي ان آتي بالايات من عندي وانما يفعلها الله ويظهرها على حسب ما يعلم من المصلحة في ذلك لا بحسب الاقتراح وانما اتبع الوحي ولا اتعداه وليس في ان اسأله انزال الايات الا بعد الاذن في السؤال هذا بصائر من ربكم اي هذا القرآن دلائل ظاهرة وحجج واضحة وبراهين ساطعة من ربكم يبصر الناس بها امور دينهم ومعارفهم وهدى ورحمة يعني دلالة هادية الى الرشد ونعمة في الدين والدنيا لقوم يؤمنون خص المؤمنين بالذكر لانهم المنتفعون بها دون غيرهم من الكفار وفي هذه الاية دلالة على ان افعال النبي صلى الله عليه وآله تابعة للوحي وانه لا يجوز ان يعمل بالرأي والقياس النظم قيل ان هذه الاية اتصلت بقوله يسألونك عن الساعة وتقديره ويسألونك عن الايات فاذا لم تأتهم بها قالوا لولا اجتبيتها عن ابي مسلم وقيل اتصلت بما قبلها من قوله واخوانهم يمدونهم ومعناه يمدون في الضلال فاذا لم تأتهم باية يسألونك عنها قالوا كذا قوله تعالى واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون ثلث ايات اللغة الانصات السكوت مع استماع قال ابن الاعرابي نصت وانصت وانتصت استمع الحديث وسكت وانصت الرجل سكت وانصته غيره عن الازهري والآصال جمع اصل واصل جمع اصيل وتضرعا وخيفة مصدران وضعا موضع الحال اي متضرعين وخائفين ودون الجهر عطف عليه فيجب ان يكون في موضع الحال اي واخفضوا اصواتكم حتى يبلغ حد الجهر المعنى ثم امر سبحانه بالاستماع للقرآن عند قراءته فقال واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا اختلف في الوقت المأمور بالانصات للقرآن والاستماع له فقيل انه في الصلوة خاصة خلف الامام الذي يؤتم به اذا سمعت قراءته عن ابن عباس وابن مسعود وابن جبير وسعيد بن المسيب ومجاهد والزهري وروي ذلك عن ابي جعفر عليه السلام قالوا وكان المسلمون يتكلمون في صلوتهم ويسلم بعضهم على بعض واذا دخل داخل فقال لهم كم صليتم اجابوه فنهوا عن ذلك وامروا بالاستماع وقيل انه في الخطبة امر بالانصات والاستماع الى الامام يوم الجمعة عن عطاء وعمرو بن دينار وزيد بن اسلم وقيل انه في الخطبة والصلوة جميعاً عن الحسن وجماعة قال الشيخ ابو جعفر قدس الله روحه واقوى الاقوال الاول لانه لا حال يجب فيها الانصات لقراءة القرآن الا حال قراءة الامام في الصلوة فان على المأموم الانصات والاستماع فاما خارج الصلوة فلا خلاف ان الانصات والاستماع غير واجب وروي عن ابي عبد الله عليه السلام انه قال يجب الانصات للقرآن في الصلوة وغيرها قال وذلك على وجه الاستحباب وفي كتاب العياشي باسناده عن ابي كهمس عن ابي عبد الله عليه السلام قال قرأ ابن الكوا خلف امير المؤمنين عليه السلام لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين فانصت له امير المؤمنين عليه السلام وعن عبد الله بن ابي يعفور عن ابي عبد الله عليه السلام قال قلت له الرجل يقرأ القرآن ايجب على من سمعه الانصات له والاستماع قال نعم اذا قرئ عندك القرآن وجب عليك الانصات والاستماع قال الزجاج ويجوز ان يكون فاستمعوا له وانصتوا اي اعملوا بما فيه ولا تجاوزوه لان معنى قول القائل سمع الله لمن حمده اجاب الله دعاءه لان الله سميع عليم وقال الجبائي انها نزلت في ابتداء التبليغ ليعلموا ويتفقهوا وقال احمد بن حنبل اجمعت الامة على انها نزلت في الصلوة لعلكم ترحمون اي لترحموا بذلك وباعتباركم به واتعاظكم بمواعظه واذكر ربك في نفسك خطاب للنبي صلى الله عليه وآله والمراد به عام وقيل هو خطاب لمستمع القرآن والمعنى واذكر ربك في نفسك بالكلام من التسبيح والتهليل والتحميد وروى زرارة عن احدهما انه قال معناه اذا كنت خلف امام تأتم به فانصت وسبح في نفسك يعني فيما لا يجهر فيه بالقراءة وقيل معناه واذكر نعمة ربك بالتفكر في نفسك وقيل اراد ذكره في نفسك بصفاته العليا واسمائه الحسنى تضرعا وخيفة يعني بتضرع وخوف يعني في الدعاء فان الدعاء بتضرع اصواتكم قليلا ولا تجهروا ولا تخافتوا بها جميعا حتى يكون عدلا بين ذلك كما قال ولا تجهر بصلوتك ولا تخافت بها وقيل انه امر للامام ان يرفع صوته في الصلوة بالقراءة مقدار ما يسمع من خلفه عن ابن عباس بالغدو والآصال اي بالغدوات والعشيات والمراد به دوام الذكر واتصاله وقيل انما خص هذين الوقتين لانهما حال فراغ عن طلب المعاش فيكون الذكر فيهما الصق بالقلب ولا تكن من الغافلين عما امرتك به من الدعاء والذكر وقيل ان الاية متوجهة الى من امر بالاستماع للقرآن والانصات وكانوا اذا سمعوا القرآن رفعوا اصواتهم بالدعاء عند ذكر الجنة والنار عن ابن زيد ومجاهد وابن جريج وقال الجبائي وفي الاية دليل على ان الذين يرفعون اصواتهم عند الدعاء ويجهرون مخطئون وعلى خلاف الصواب ثم ذكر سبحانه ما يبعث الى الذكر ويدعو اليه فقال ان الذين عند ربك وهم الملائكة عن الحسن وغيره لا يستكبرون عن عبادته معناه انهم مع جلالة قدرهم يعبدون الله ويذكرونه وفائدته انكم اذا استكبرتم عن عبادته فمن هو اعظم حالا منكم لا يستكبرون عنها وانما قال عند ربك تشريفا للملائكة باضافتهم اليه ولم يرد به قرب المكان تعالى عن ذلك وتقدس وقيل معناه انهم في المكان الذي شرفه الله تعالى ولا يملك عليهم الحكم الا الله تعالى بخلاف البشر فانهم

كذا وكذا من الجد والمراد انهم في حكمه وتحت امره وبحضرة ملائكته كذا من المال ولا يراد به المنحرف وقال الزجاج من قرب من رحمة الله وفضله فهو عند الله اي هو قريب من فضله واحسانه ويسبحونه اي ينزهونه عما لا يليق به وله يسجدون اي يخضعون وقيل يصلون وقيل يسجدون في الصلوة عن الحسن ولا خلاف ان هاهنا سجدة وهي اول سجدات القرآن واختلف في سجدة التلاوة هل هي واجبة فعند ابي حنيفة وعند الشافعي سنة مؤكدة واليه ذهب اصحابنا

سورة الانفال هي مدنية عن ابن عباس وقتادة غير سبع آيات نزلت بمكة واذ يمكر بك الذين كفروا الى آخرهن وقيل نزلت بأسرها في غزوة بدر

عدد آيها هي سبع وسبعون آية شامي وست بصري وحجازي وخمس كوفي اختلافها ثلث آيات ثم يغلبون بصري شامي مفعولا الاول غير الكوفي بنصره والمؤمنين غير البصري فضلها ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله قال من قرأ سورة الانفال وبراءة فانا شفيع له وشاهد له يوم القيمة انه بريء من النفاق واعطي من الاجر بعدد كل منافق ومنافقة في دار الدنيا عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات وكان العرش وحملته يصلون عليه ايام حيوته في الدنيا وروى العياشي باسناده عن ابي بصير عن ابي عبد الله عليه السلام قال من قرأ الانفال وبراءة في كل شهر لم يدخله نفاق ابدا وكان من شيعة امير المؤمنين عليه السلام حقا وكان من رفقائهم في الجنة معهم حتى يفرغ الناس من الحساب وعن محمد بن مسلم عن ابي جعفر عليه السلام قال في سورة الانفال جدع الانوف تفسيرها لما ختم الله سبحانه سورة الاعراف بقصص الانبياء وختمها بذكر نبينا صلى الله عليه وآله افتتح سورة الانفال بذكره ثم ذكر ما جرى بينه وبين قومه فقال

بسم الله الرحمن الرحيم يسئلونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم واطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين القراءة قرأ ابن مسعود وسعد بن ابي وقاص وعلي بن الحسين وابو جعفر محمد بن علي الباقر وزيد بن علي وجعفر بن محمد الصادق عليه السلام وطلحة بن مصرف يسئلونك الانفال الحجة قال ابن جني هذه القراءة بالنصب مؤدية عن السبب للقراءة الاخرى التي هي الانفال وذلك انهم انما سألوه عنها تعرضا لطلبها واستعلاما حالها هل يسوغ طلبها وهذه القراءة بالنصب اصرح بالتماس الانفال وبيان عن الغرض في السؤال عنها فان قلت هل يحسن حملها على حذف حرف الجر كانه قال يسئلونك عن الانفال فلما حذف عن نصب المفعول كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت به قيل هذا شاذ انما يحملها الشعر فاما القرآن فيختار له افصح اللغات وان كان قد جاء واختار موسى قومه واقعدوا لهم كل مرصد فان الامر فيه انه للغة الانفال جمع نفل والنفل الزيادة على الشيء تقول نفلتك كذا اذا زدته تطوعا ويقوى بما خير النفل وباذن الله ريثي والعجل وقيل النفل العطية ونفلتك اي اعطيتك والنافلة عطية الطوع من حيث لا يجب ومنه نوافل الصلوة والنوفل الرجل الكثير العطية المعنى يسئلونك يا محمد جماعة من اصحابك عن الانفال اختلف المفسرون في الانفال هيهنا فقيل هي الغنائم التي غنمها رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر وهو المروي عن عكرمة عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد وقيل هي انفال السرايا عن الحسن بن صالح بن حي وقيل هو ما شذ من المشركين الى المسلمين من عبد او جارية او غير ذلك او ما اشبه ذلك من عطاء وقال هو الخمس خاصة يجعل به مالك وقيل هو ما سقط من المتاع بعد قسمة الغنائم من الفرس والدرع والرمح عن ابن عباس في رواية اخرى وروى عنه ايضا انه سلب الرجل وفرسه ينفل النبي صلى الله عليه وآله من شاء وقيل هو الخمس الذي جعله الله لاهل الخمس عن مجاهد في رواية اخرى وصحت الرواية عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام انهما قالا ان الانفال كل ما اخذ من دار الحرب من غير قتال وكل ارض انجلى اهلها عنها بغير قتال ويسميها الفقهاء فيئا وميراث من لا وارث له وقطائع الملوك اذا كانت في ايديهم من غير غصب والآجام وبطون الاودية والارضون الموات وغير ذلك مما هو مذكور في مواضعه وقالا هي لله وللرسول وبعده لمن قام مقامه يصرفه حيث شاء من مصالحه ومصالح نفسه ليس لاحد فيه شيء الا ان غنائم بدر كانت للنبي صلى الله عليه وآله خاصة فسألوه ان يعطيهم وقد صح ان قراءة اهل البيت عليهم السلام يسئلونك الانفال فقال الله سبحانه قل يا محمد الانفال لله والرسول وكذلك ابن مسعود وغيره انما قرأوا كذلك على التأويل فلما ذكرنا اختلفوا في كيفية سؤالهم ان يقسم غنيمة بدر بينهم فاعلمهم الله سبحانه ان ذلك لله ولرسوله دونهم وليس لهم في ذلك شيء وروي ذلك ايضا عن ابن عباس وابن جريج والضحاك وعكرمة والحسن واختاره الطبري وقالوا عن صلة ومعناه يسئلونك الانفال ان تعطيهم ويؤيد هذا القول قوله فاتقوا الله الآية ثم اختلف هؤلاء فقال بعضهم هي منسوخة بآية الغنيمة وهي قوله واعلموا انما غنمتم من شيء وقال بعضهم ليست بمنسوخة وهو الصحيح لان النسخ يحتاج الى دليل ولا تنافي بين هذه الآية وآية الخمس وقيل انهم سألوا النبي صلى الله عليه وآله عن الانفال وعلموا انها لو الحق الانفال وقدره وقيل يسئلونك عن الانفال هي ولهذا جاء الجواب بقوله قل الانفال لله والرسول وقيل انهم سألوه عن حال الغنائم وقسمتها وانها حلال ام حرام كما كانت حراما على من قبلهم فبين لهم انها حلال لهم واختلفوا

في سبب سؤالهم فقال ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وآله قال يوم بدر من جاء بكذا فله كذا ومن جاء باسير فله كذا فتسارع الشبان وبقي الشيوخ تحت الرايات فلما انقضى الحرب طلب الشبان ما كان قد نفلهم النبي صلى الله عليه وآله به فقال الشيوخ كنا ردءا لكم ولو وقعت الهزيمة لرجعتم الينا وجرى بين ابي اليسر بن عمرو الانصاري اخي بني سلمة وبين سعد بن معاذ كلام فنزع الله تعالى الغنائم منهم وجعلها لرسوله يفعل بها ما يشاء فقسمها بينهم بالسوية وقال عبادة بن الصامت اختلفنا في النفل وساءت فيه اخلاقنا فانتزعه الله من ايدينا فجعله الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقسمه بيننا على السواء وكان ذلك في تقوى الله وطاعته وصلاح ذات البين وقال سعد بن ابي وقاص قتل اخي عمير يوم بدر فقتلت سعيد بن العاص بن امية واخذت سيفه وكان يسمى ذا الكتيفة فجئت به الى النبي صلى الله عليه وآله فاستوهبته منه فقال ليس هذا لي ولا لك اذهب فاطرحه في القبض فطرحت ورجعت وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبي وقلت عسى ان يعطى هذا لمن لم يبل بلائي فما جاوزت الا قليلا حتى جاءني الرسول وقد انزل الله يسئلونك الآية فخفت ان يكون نزل فيّ شيء فلما انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وآله قال يا سعد انك سألتني السيف وليس لي وانه قد صار لي فاذهب وخذه فهو لك وقال علي بن طلحة عن ابن عباس كانت المغانم لرسول الله صلى الله عليه وآله خاصة ليس لاحد فيها شيء وما اصاب سرايا المسلمين من شيء اتوه به فمن حبس منه ابرة وسلكا فهو غلول فسألوا رسول الله صلى الله عليه وآله ان يعطيهم منها فنزلت الآية وقال ابن جريج اختلف من شهد بدرا من المهاجرين والانصار في الغنيمة فكانوا اثلاثا فنزلت الآية وملكها الله رسوله يقسمها كما اراد الله وقال مجاهد هو الخمس وذلك ان المهاجرين قالوا لم يرفع منا هذا الخمس لم يخرج منا فقال الله تعالى قل الانفال لله والرسول يقسمانها كما شاءا او ينفلان منها ما شاءا او يرضخان منها ما شاءا فاتقوا الله باتقاء معاصيه واتباع ما يأمركم به رسوله واحذروا مخالفة امره واصلحوا ذات بينكم اي اصلحوا ما بينكم من الخصومة والمنازعة وقوله ذات بينكم كناية عن المنازعة والخصومة والذات هي الخلقة والبنية يقال فلان في ذاته صالح اي في خلقته وبنيته يعني اصلحوا نفس كل شيء بينكم او اصلحوا حال كل نفس بينكم وقيل معناه واصلحوا وصلكم لقد تقطع بينكم اي وصلكم والمراد كونوا مجتمعين على ما امر الله ورسوله وكذلك معنى اللهم اصلح ذات البين اي اصلح الحال التي بها يجتمع المسلمون عن الزجاج وهذا نهي من الله تعالى عن الاختلاف فيما اختلفوا فيه من امر الغنيمة يوم بدر عن ابن عباس ومجاهد والسدي واطيعوا الله ورسوله اي اقبلوا ما امرتم به في الغنائم وغيرها عن الزجاج ومعناه واطيعوهما فيما يأمرانكم به وينهيانكم عنه ان كنتم مؤمنين مصدقين للرسول فيما يأتيكم به من قبل الله كما تدعون وفي تفسير الكلبي ان الخمس لم يكن مشروعا يومئذ وانما شرع يوم احد وفيه انه لما نزلت هذه الآية عرف المسلمون انه لا حق لهم في الغنيمة وانها لرسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا يا رسول الله سمعا وطاعة فاصنع ما شئت فنزل قوله واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه اي ما غنمتم بعد بدر وروي ان رسول الله صلى الله عليه وآله قسم غنائم بدر عن بواء اي على سواء ولم يخمس قوله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم ثلث آيات اللغة الوجل الخوف والفزع والواحد يقال وجل يوجل ويجل وياجل بالالف وبيجل اربع لغات حكاه سيبويه واجودها يوجل قال الشاعر لعمرك ما ادري واني لاوجل على ايّنا تعدو المنية اول والتوكل الثقة بالله في كل ما يحتاج اليه العباد وكل الامر الى فلان اذا جعل اليه القيام به والوكيل القائم بالامر لغيره الاعراب حقا منصوب بمعنى دل عليه الجملة التي هي قوله اولئك هم المؤمنون والمعنى احق ذلك حقا المعنى لما قال سبحانه ان كنتم مؤمنين بين صفة المؤمنين بقوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم اي خافت عقابه ومثاله ذكرتهم عقوبته وعدله ووعيده على المعاصي بالعذاب واقتداره عليه فاما اذا ذكروا نعمه على عباده واحسانه اليهم وفضله ورحمته عليهم وثوابه على الطاعات اطمأنت قلوبهم وسكنت نفوسهم الى عفوه كما قال سبحانه الا بذكر الله تطمئن القلوب فلا تنافي بين الآيتين اذ وردتا في حالتين ومعناه انه ينبغي للمؤمن ان يكون من صفته انه اذا نظر في نعم الله عليه ومنته لديه وعظم مغفرته ورحمته اطمأن اليه وحسن بالله ظنه واذا ذكر معاصيه وترك اوامره وارتكاب نواهيه وجل عليه واضطربت نفسه والوجل الخوف من شدة الحزن وانما يستعمل على الغالب في القلب واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا معناه واذا قرئ عليهم القرآن زادتهم آياته تبصرة ويقينا على يقين عن الضحاك وقيل زادتهم تصديقا مع تصديقهم بما انزل اليهم قبل ذلك عن ابن عباس والمعنى انهم يصدقون بالاولى والثانية والثالثة وكلما يأتي من عند الله فيزداد تصديقهم وعلى ربهم يتوكلون اي يفوضون امورهم الى الله فيما يخافونه من السوء في الدنيا وفيما يرجونه من قبول اعمالهم في الآخرة الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون قد مر تفسيره في سورة البقرة وانما خص الصلوة والزكوة

لعظم شانها وتاكد امرها وليكون داعيا الى المواظبة على فعلها اولئك هم المؤمنون حقا اى هؤلاء المجموعون بهذه المسائل والحائزون لهذه الصفات
هم الذين استحقوا هذا الاسم على الحقيقة لهم درجات عند ربهم يعنى درجات الجنة يرتقونها باعمالهم عن عطا وقيل لهم اعمال رفيعة وفضائل استحقوها
فى ايام حياتهم عن مجاهد ومغفرة لذنوبهم ورزق كريم اى خطير كثير وهو فى الجنة وقيل كريم دائم كثير لا ينقصه كدورة ولا يعتريه ضرر ولا يخاف عليه فناء
ولا نفادا ولا حسابا من قولهم فلان كريم ان كانت اخلاقه محمودة واستدل من قال ان الايمان يزيد وينقص وان افعال الجوارح من الايمان بهذه الآيات
فقالوا ان الله تعالى نفى ان يكون غير متصف بهذه الصفات مؤمنا فكانه قال لا يكون احد مؤمنا الا ان يكون بهذه الصفات والجواب عنه
ان هذه صفات خيار المؤمنين وافاضلهم فكانه قال انما خيار المؤمنين من له هذه الاوصاف وليس يمتنع ان يتفاضل المؤمنون فى الطاعات وان
لم يتفاضلوا فى الايمان يدل على ذلك ان الاجماع حاصل على ان وجل القلب ليس بواجب وانما هو من المندوبات وان الصلوة قد دخل فيه الفرايض والنوافل
والانفاق كذلك فعلمنا ان الاشارة بالآية الى خيار المؤمنين وافاضلهم فلا دلالة فيها على ان من كان دونهم فى المنزلة خارج عن الايمان وعن ابن عباس
انه قال اراد ان المنافق لا يدخل قلبه خشية الله وان هذه الاوصاف المذكورة منتفية عنه قوله تعالى كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا
من المؤمنين لكارهون يجادلونك فى الحق بعد ما تبين كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون
ان غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله ان يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون اربع آيات اللغة المجادلة
المنازعة التى يتصل بها من مذهب الى مذهب بحجة من اللغة واصل الجدل شدة الفتل ومنه الاجدل الصقر لشدته وزمام جديل شديد الفتل وقيل اصله من
الجدالة وهى الارض يقال جدله اى رماه على الارض فكان المتجادلين يريد كل واحد منهما ان يرمى بخصمه الى الارض والسوق الحث على السير والشوكة الحدة يقال
لشدة شوكة بنى فلان وفلان ذو شوكة فى السلاح وشائك وشاك السلاح وشاكى مقلوب مثل قولهم كبش صاف كثير الصوف مثل صايف قال الشاعر فقلت تحرز
انى فانا لكم شاك سلاحى فى الحوادث واصله من الشوك ودابر الامر آخره ودابر الرجل عقبه والحق وقوع الشى فى موضعه الذى هو له فاذا اعتقد شى بضرورة
او بحجة فهو حق لانه وقع موقعه الذى هو له وعكسه الباطل الاعراب الكاف فى قوله كما اخرجك ربك يتعلق بما دل عليه قل الانفال لله والرسول لان فى
هذا معنى نزعها من ايديهم بالحق كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وقيل تقديره قل الانفال ثابتة لله والرسول ثبوتا مثل ما اخرجك ربك اى هذا كائن لامر كما ان
كان لا خارج وقيل يتعلق بيجادلونك وتقديره يجادلونك فى الحق كما كرهوا اخراجك من بيتك بالحق وقيل انه يتعلق بمعنى الحق وتقديره هذا الذكر الحق كما اخرجك
ربك من بيتك بالحق وقوله انها لكم فى موضع نصب على البدل من احدى الطائفتين وتقديره يعدكم ان احدى الطائفتين لكم ونظيره هل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم
المعنى كما اخرجك ربك من بيتك يا محمد معناه على التقدير الاول قل الانفال لله ينزعها عنكم مع كراهتكم ومشقته عليكم لان ذلك اصلح لكم كما اخرجك ربك من بيتك مع كراهة
فريق من المؤمنين ذلك لان الخروج كان اصلح لكم من كونكم فى بيوتكم والمراد بالبيت هنا المدينة يعنى خروج النبى صلى الله عليه واله الى بدر ويكون معنى اخرجك
ربك دعاك الى الخروج وامرك به وحملك عليه كما يقال اخرجه نهاره واما على التقدير الثانى وهو ان يكون اتصاله بما بعده فيكون معناه يجادلونك
فى الحق كارهين له كما جادلوك يا محمد حين اخرجك ربك كارهين للخروج كرهوا كراهية الطباع فقال بعضهم كيف نخرج ونحن قليل والعدو كثير وقال بعضهم كيف
نخرج على عمياء لا ندرى الى العير نخرج ام الى القتال فجدالهم فى خروجهم لان القوم جادلوه بعد خروجهم كما جادلوه عند الخروج فقالوا هلا اخبرتنا بالقتال فكنا نستعد
لذلك فهذا هو جدالهم على قول مجاهد واما على التقدير الثالث فمعناه ان هذا خير لكم كما ان اخراجك من بيتك وقوله بالحق اى بالوحى وذلك ان جبرئيل
عليه السلام اتاه وامره بالخروج وقيل معناه اخرجك ومعك الحق وقيل معناه اخرجك بالحق الذى وجب عليك وهو الجهاد وان فريقا من المؤمنين اى طائفة منهم
لكارهون لذلك للمشقة التى لحقتهم يجادلونك فى الحق معناه يجادلونك فيما دعوتهم اليه بعد ما عرفوا صحته وصدقك بما ظهر عليك من المعجزات
ومجادلتهم قولهم هلا اخبرتنا بذلك وهم يعلمون انك لا تامرهم عن الله تعالى الا بما هو حق وصواب وكانوا يجادلون فيه شفقة عليهم يطلبون بذلك
رخصة لهم فى التخلف عنه او فى تاخير الخروج الى وقت آخر وقيل معناه يجادلونك فى القتال يوم بدر بعد ما تبين صوابه وانهم مامورون به عن ابن عباس وقيل
بعد ما تبين لهم انك يا محمد لا تصنع الا ما امرك الله به كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون معناه كان هؤلاء الذين يجادلونك فى لقاء العدو لشدة القتال
عليهم حيث لم يكونوا مستعدين له ولكراهتهم له من جهة الطبع كانوا بمنزلة من يساق الى الموت وهم يرونه عيانا او ينظرون اليه والى اسبابه واذ يعدكم
الله احدى الطائفتين انها لكم يعنى اذكروا واشكروا الله اذ يعدكم احدى الطائفتين اما العير واما النفير وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم اى تودون
ان يكون لكم العير وصاحبها ابو سفيان بن حرب لئلا تلحقكم مشقة دون النفير وهو الجيش من قريش فى الحرب وكان المسلمون يريدون العير ورسول الله يريد ذات الشوكة كرها الحرب

الحرب من الشوكة عن قطرب وقيل ذات الشوكة ذات السلاح ويريد الله ان يحق الحق بكلماته ومعناه والله اعلم بالمصالح منكم فاراد ان يظهر الحق بلطفه ويعز الاسلام
ويظفركم على وجوه قريش ويهلكهم على ايديكم بكلماته السابقة وعداته فى قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقوله
ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وقيل بكلماته اى بامره لكم بالقتال ويقطع دابر الكافرين اى يستأصلهم فلا يبقى منهم احدا يعنى كفار العرب ليحق الحق اى انما يفعل ذلك
ليظهر الاسلام ويبطل الباطل اى الكفر باهلاك اهله ولو كره المجرمون اى الكافرون ذكر الحسن ان قوله وان يعدكم الله الآية نزلت قبل قوله كما اخرجك ربك
من بيتك بالحق وهى فى القراءة بعدها **قصة غزاة بدر** قال اصحاب السير وذكر ابو حمزة وعلى بن ابراهيم فى تفسيرهما دخل حديث بعضها
فى بعض اقبل ابو سفيان بعير قريش من الشام وفيها اموالهم فى اللطيمة وفيها اربعون راكبا من قريش فندب النبى اصحابه للخروج اليها لياخذوها وقال
لعل الله ان ينفلكموها فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعضهم ولم يظنوا ان رسول الله صلى الله عليه وآله يلقى كيدا ولا حربا فخرجوا لا يريدون الا
ابا سفيان والركب لا يرونها الا غنيمة لهم فلما سمع ابو سفيان بمسير النبى صلى الله عليه واله استاجر ضمضم بن عمرو الغفارى فبعثه الى مكة وامره ان ياتى قريشا
فيستنفرهم ويخبرهم ان محمدا قد تعرض لعيرهم فخرج ضمضم سريعا الى مكة وكانت عاتكة بنت عبد المطلب رات فيما يرى النائم قبل قدوم ضمضم بن عمرو بثلاث ليال ان رجلا
اقبل على بعير ينادى يا آل غالب اغدوا الى مصارعكم ثم وافى بجمله على ابى قبيس فاخذ حجرا فدهدهه من الجبل فما ترك دارا من دور قريش الا اصابته منه فلذة فانتبهت
فزعة من ذلك فاخبرت العباس بذلك فاخبر العباس عتبة بن ربيعة فقال عتبة هذه مصيبة تحدث فى قريش وفشت الرؤيا فيهم وبلغ ابا جهل فقال هذه نبية ثانية فى بنى عبد المطلب
واللات والعزى لننظرن ثلاثة ايام فان كان ما رات حقا والا لنكتبن كتابا بيننا انه ما من اهل بيت اكذب رجالا ولا نساء من بنى هاشم فلما كان اليوم الثالث اتاهم
ضمضم ينادى باعلى الصوت يا آل غالب يا آل غالب اللطيمة اللطيمة العير العير ادركوا وما اراكم تدركون ان محمدا والصباة من اهل يثرب قد خرجوا يتعرضون لعيركم فتهيئوا
للخروج وما بقى احد من عظماء قريش الا خرج الا ابا لهب فانه جهز العاص وقالوا من لم يخرج نهدم داره وخرج معهم العباس بن عبد المطلب ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب وعقيل
بن ابى طالب واخرجوا معهم القينات يضربون بالدفوف وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله فى ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا فلما كان بقرب بدر اخذ عينا للقوم فاخبره
بهم وفى حديث ابى حمزة بعث رسول الله صلى الله عليه وآله عينا له على العير اسمه عدى فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله اخبره اين فارق العير ونزل
جبرئيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله فاخبره بنفير المشركين من مكة فاستشار اصحابه فى طلب العير وحرب النفير فقام ابو بكر فقال يا رسول الله انها
قريش وخيلاؤها ما آمنت منذ كفرت ولا ذلت منذ عزت ولم نخرج على هيئة الحرب وفى حديث ابى حمزة قال ابو بكر انا عالم بهذا الطريق فارق عدى العير بكذا
وكذا وسار العير وسرنا فنحن والقوم على ماء بدر يوم كذا وكذا كانا فرسا رهان فقال صلى الله عليه واله اجلس فجلس ثم قام عمر بن الخطاب فقال مثل ذلك فقال
صلى الله عليه واله اجلس فجلس ثم قام المقداد فقال يا رسول الله انها قريش وخيلاؤها وقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به حق والله لو امرتنا ان نخوض
جمر الغضا وشوك الهراس لخضناه معك والله ما نقول لك ما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكنا نقول امض لامر ربك فانا
معك مقاتلون فجزاه رسول الله خيرا على قوله ذلك ثم قال اشيروا على ايها الناس وانما يريد الانصار لان اكثر الناس منهم ولانهم حين بايعوه بالعقبة قالوا انا برآء
من ذمتك حتى تصل الى دارنا ثم انت فى ذمتنا نمنعك مما نمنع ابناءنا ونساءنا فكان عليه السلام يتخوف ان لا يكون الانصار ترى عليها نصرته الا ممن دهمه بالمدينة
من عدو وان ليس عليهم ان ينصروه خارج المدينة فقام سعد بن معاذ فقال بابى انت وامى يا رسول الله كانك اردتنا فقال نعم فقال بابى انت وامى يا رسول الله انا قد
آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به حق من عند الله فمرنا بما شئت وخذ من اموالنا ما شئت واترك منها ما شئت والله لو امرتنا ان نخوض هذا البحر لخضناه معك
ولعل الله عز وجل ان يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح بذلك رسول الله صلى الله عليه واله وقال سيروا على بركة الله فان الله قد وعدنى احدى
الطائفتين ولن يخلف الله وعده والله لكانى انظر الى مصرع ابى جهل وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وفلان وفلان وامر رسول الله صلى الله عليه وآله
بالرحيل وخرج الى بدر وهو بئر وفى حديث ابى حمزة الثمالى وبدر رجل من جهينة والماء ماؤه فانما سمى الماء باسمه واقبلت قريش وبعثوا عبيدها ليستقوا من الماء فاخذهم
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وقالوا لهم من انتم قالوا نحن عبيد قريش قالوا فاين العير قالوا لا علم لنا بالعير فاقبلوا يضربونهم وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يصلى فانفتل من صلاته
وقال ان صدقوكم ضربتموهم وان كذبوكم تركتموهم فاتوه بهم فقال لهم من انتم قالوا يا محمد نحن عبيد قريش قال كم القوم قالوا لا علم لنا بعددهم قال كم ينحرون فى كل
يوم من جزور قالوا تسعة الى عشرة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله القوم تسعمائة الى الف رجل وامر رسول الله صلى الله عليه وآله بهم فحبسوا وبلغ ذلك قريشا ففزعوا
وندموا على مسيرهم ولقى عتبة بن ربيعة ابا البخترى بن هشام فقال اما ترى هذا البغى والله ما ابصر موضع قدمى خرجنا لنمنع عيرنا فقد افلتت فجئنا بغيا وعدوانا

والله ما افلح قوم قط ولوددت ان لي العير من اموالي بن عبد مناف ذهب ولم ار هذا المسير فقال له ابو البختري انك سيد من سادات قريش فرد الناس
وتحمل العير الذي اصابها محمد صلى الله عليه وآله واصحابه بنخلة ودم ابن الحضرمي فانه حليفك فقال لعلي ذلك ما على احد منا خلاف الا ابن الحنظلية يعني
ابا جهل فصر اليه واعلمه اني حملت العير ودم الحضرمي وهو حليفي وعلي عقله قال فقصدت خباءه [illegible] ولقيت ذلك فقال انتفخ سحره [illegible] من بني عبد مناف [illegible] يريد
ان يخل بين الناس لا واللات والعزى حتى يقحم عليهم يثرب او ناخذهم اسارى فندخلهم مكة وتسامع العرب بذلك وكان ابو حذيفة بن عتبة مع رسول الله صلى الله عليه وآله
وكان ابو سفيان لما جاء بالعير بعث الى قريش ان قد نجى الله عيركم فارجعوا ودعوا محمدا والعرب وادفعوا بالراح ما اندفع وان لم ترجعوا فردوا القيان
فلحقهم الرسول بالجحفة فاراد عتبة ان يرجع فابى ابو جهل وبنو مخزوم وردوا القيان من الجحفة قال وفزع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله لما بلغهم كثرة قريش
واستغاثوا وتضرعوا فانزل الله اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم وما بعده قوله تعالى اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم
بالف من الملائكة مردفين وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم اذ يغشيكم النعاس امنة منه وينزل
عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين آمنوا سالقي
في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله فان الله شديد العقاب ذلكم فذوقوه
وان للكافرين عذاب النار ست آيات وعند الاقدام آية كلها آية بلا خلاف **القراءة** قرأ اهل المدينة ويعقوب مردفين بفتح الدال والباقون مردفين
بكسر الدال وقرأ اهل المدينة يغشيكم بضم الياء وسكون الغين النعاس بالنصب وقرأ ابن كثير وابو عمرو يغشاكم بالالف وفتح الياء النعاس بالرفع والباقون يغشيكم
بضم الياء وفتح الغين والتشديد النعاس بالنصب وفي الشواذ قراءة الشعبي ما ليطهركم ما بمعنى الذي **الحجة** قال ابو علي مردفين يحتمل وجهين احدهما ان يكون
مردفين مثلهم كما قالوا اردفته بمعنى اتبعته فيكون في الآية المفعول الثاني محذوفا والآخر ان يكونوا جاءوا خلفهم كقول العرب بنو فلان يردفوننا اي يجيئون بعدنا
وقال ابو عبيدة مردفين جاءوا بعد وردفني واردفني واحد قال الشاعر اذا الجوزاء اردفت الثريا ظننت بآل فاطمة الظنونا وهذا الوجه كانه ابين لقوله
اذ تستغيثون ربكم الى قوله مردفين اي جائين بعد لاستغاثتكم ربكم وامداده اياكم مردفين على هذا صفة الالف وقال الزجاج معناه ياتون فرقة
بعد فرقة ومردفين على اردفوا الناس اي انزلوا بعدهم فيجوز على هذا ان يكون حالا من الضمير المنصوب في ممدكم مردفين بالف من الملائكة وقرئ مردفين ومردفين
والاصل فيه مرتدفين فادغم التاء في الدال [illegible] لالتقاء الساكنين [illegible] وكسرت ثانية اتباعا [illegible] لان الساكنين يحرك بالكسر
قراءة يغشاكم ويغشيكم فانه اشبه بما بعده من قوله وينزل عليكم فكما انه مسند الى ضمير اسم الله كذلك يغشي ويغشي ومن قرأ يغشاكم فانه اسند الفعل الى النعاس
كما في قوله امنة نعاسا يغشى [illegible] معناهما واحد وقد جاء بهما التنزيل في قوله فاغشيناهم وفي قوله فغشاها ما غشى [illegible]
موصولة وصلتها حرف الجر بما بعده فكانه قال ما للطهور كقولك ثوب الذي لدفع البرد وهذه اللام في قراءة الجماعة ماء ليطهركم به هي لام المفعول له
وهي كقوله انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله وتتعلق بنحو الفعل واللام التي في قراءة من قرأ ماء ليطهركم به اي الذي للطهارة تتعلق بمحذوف وقد وقعت
صلة لتعلقها بالمحذوف **اللغة** الرعب الخوف يقال رعبته ارعبه رعبا ورعبا والرعب انزعاج النفس بتوقع [illegible] واصله التقطيع من قولهم رعبت السنام ترعيبا
اذا قطعته مستطيلا والرعب يقطع حال السرور بضده من انزعاج النفس بتوقع المكروه ورعب السيل فهو راعب اذا ملأ الوادي لانه يقطع الى كل
جهة والبنان الاطراف من اليدين والرجلين والواحدة بنانة ويقال للاصبع بنان واصله اللزوم [illegible] قال الشاعر [illegible]
بنانة [illegible] والشقاق العصيان واصله الانفصال [illegible] الكلام لانه انفصال
الكلمة مما يحمله في الاصل **الاعراب** العامل في اذ من قوله اذ تستغيثون قوله ويبطل الباطل وقيل بمحذوف وتقديره واذكروا اذ فعلى الوجه الاول يكون متعلقا
بما قبله وعلى الوجه الثاني يكون مستأنفا والهاء في جعله عائدة على الامداد [illegible] الكلام وقيل عائدة على الخبر بالمدد [illegible]
عائدة الى الارداف وامنة انتصب بانه مفعول له والعامل فيه يغشي اذ يوحي في موضع نصب على يغشي [illegible] فيكون كما قال الشاعر [illegible]
[illegible] ويجوز ان يكون منصوب الموضع [illegible]
لا موضع له من الاعراب لانه حرف الخطاب وان للكافرين يحتمل ان يكون موضعه نصبا وجرا ورفعا فالرفع بالعطف على ذلكم فكانه قال الامر ذلكم وان للكافرين
عذاب النار والنصب بالعطف على قوله اني معكم ومعناه اذ يوحي ربك اني معكم وان للكافرين والجر على ان يكون معطوفا على قوله بانهم شاقوا الله [illegible]

التضعيف

التضعيف مع الحركة لغة اهل الحجاز [illegible] **النزول** قال ابن عباس لما كان يوم بدر واصطف القوم للقتال قال ابو جهل اللهم اولانا بالنصر فانصره واستغاث المسلمون فنزلت
الملائكة ونزل قوله اذ تستغيثون ربكم الى آخر الآيات وقيل ان النبي صلى الله عليه وآله لما نظر الى كثرة عدد المشركين وقلة عدد المسلمين استقبل القبلة وقال اللهم انجز لي ما وعدتني
اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال يهتف ربه مادا يديه حتى سقط رداؤه من منكبيه فانزل الله اذ تستغيثون ربكم الآية عن عمر بن
الخطاب والسدي وابي صالح وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلام ولما امسى رسول الله صلى الله عليه وآله القى الله على اصحابه النعاس وكانوا قد نزلوا في موضع كثير الرمل
لا تثبت فيه قدم فانزل الله عليهم المطر [illegible] حتى ثبتت اقدامهم وكان المطر على قريش مثل العزالي والقى الله في قلوبهم الرعب كما قال سالقي في قلوب الذين
كفروا الرعب الآية **المعنى** ثم ذكر سبحانه ما آتى المسلمين من النصر فقال اذ تستغيثون ربكم اي تستجيرون بربكم يوم بدر من اعدائكم وتسالونه النصر عليهم لقلتكم
وكثرتهم فلم يكن لكم مفزع الا التضرع اليه والدعاء له في كشف الضر عنكم والاستغاثة طلب المعونة والغوث وقيل معناه تستنصرون والفرق بين المستنصر والمستغيث
ان المستنصر طالب الظفر والمستغيث طالب الخلاص فاستجاب لكم والاستجابة هي العطية على موافقة المسألة فمعناه فاعانكم واجاب دعاءكم اني ممدكم بالف من الملائكة
مردفين اي متبعين الفا آخرين من الملائكة لان كل واحد منهم ردف لآخر [illegible] وقيل متتابعين وكانوا الفا بعضهم في اثر بعض عن ابن عباس وقتادة
والسدي وقيل معناه بالف من الملائكة جاءوا [illegible] وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم معناه وما جعل الله تعالى الامداد
بالملائكة الا بشرى لكم بالنصر ولتسكن به قلوبكم وتزول الوسوسة عنها والا فملك واحد كاف للتدمير عليهم كما فعل جبرئيل بقوم لوط فاهلكهم بريشة واحدة و
اختلف في ان الملائكة قاتلت يوم بدر ام لا فقيل ما قاتلت ولكن شجعت وكثرت سواد المسلمين وبشرت بالنصر عن الجبائي وقيل انها قاتلت قال مجاهد لما امدهم الله بالف
من الملائكة [illegible] وقد ذكرنا هناك ما قيل فيه وروي عن ابن مسعود [illegible] كان يأتينا
الضرب ولا نرى الشخص [illegible] عن ابن عباس [illegible] يوم بدر [illegible] وما النصر الا من عند الله معناه انه لم يكن النصر من قبل الملائكة وانما كان
من قبل الله لانهم عباده وينصرهم من يشاء [illegible] ويحتمل ان يكون المعنى ولا النصر بكثرة العدد ولكن النصر من عند الله ينصر من يشاء [illegible] ان الله عزيز
لا يمنع من مراده حكيم في افعاله يجريها على ما يقتضيه الحكمة اذ يغشيكم النعاس قد ذكرنا تفسيره عند قوله ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا والنعاس اول النوم
قبل ان يثقل [illegible] امنة منه اي امنا من العدو وقيل من الله فان الانسان لا ياخذه النوم في حال الخوف فآمنهم الله تعالى بزوال الرعب عن قلوبهم كما يقال الامن منيم
والخوف [illegible] وايضا فانه قواهم بالاستراحة على القتال من الغد وينزل عليكم من السماء ماء اي مطرا ليطهركم به وذلك لان المسلمين قد سبقهم الكفار الى الماء
فنزلوا على كثيب رمل واصبحوا محدثين ومجنبين واصابهم الظمأ ووسوس لهم الشيطان فقال ان عدوكم قد سبقكم الى الماء وانتم تصلون مع الجنابة والحدث وتسوخ اقدامكم
في الرمل فمطرهم الله حتى اغتسلوا به من الجنابة وتطهروا به من الحدث وتلبدت به ارضهم واوحلت ارض عدوهم ويذهب عنكم رجز الشيطان اي وسوسته بما مضى ذكره عن ابن عباس
وقيل معناه ويذهب عنكم بقوله ليس لكم بهؤلاء طاقة عن ابن زيد وقيل معناه ويذهب عنكم الجنابة التي اصابتكم وليربط على قلوبكم اي وليشد على قلوبكم ومعناه
يشجع قلوبكم ويزيد في قوتها [illegible] وسكون نفس [illegible] ويثبت به الاقدام اي اقدامكم في الحرب بتلبد الرمل عن ابن عباس ومجاهد وجماعة وقيل بالصبر وقوة القلب [illegible]
والهاء في به ترد الى الماء المنزل وقيل الى ما تقدم من الربط على القلوب اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم يعني الملائكة الذين امد بهم المسلمين اي معكم بالمعونة والنصرة
كما يقال فلان مع فلان على فلان [illegible] والايحاء القاء المعنى الى النفس من وجه يخفى وقد يكون بنصب دليل يخفى الا على من القي اليه من الملائكة فثبتوا الذين آمنوا ابشروهم
بالنصر فكان الملك يسير امام الصف في صورة الرجل ويقول ابشروا فان الله ناصركم عليهم [illegible] وقيل معناه قاتلوا معهم المشركين عن الحسن وقيل ثبتوهم باشياء تلقونها في قلوبهم
يقوونهم [illegible] عن الزجاج سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب اي الخوف من اوليائي فاضربوا فوق الاعناق يعني الرؤوس لانها فوق الاعناق قال عطاء يريد [illegible] وجاز ان
يكون هذا امر للمؤمنين وجاز ان يكون امر للملائكة وهو الظاهر قال ابن الانباري ان الملائكة حين امرت بالقتال لم تعلم اين تقصد بالضرب فعلمهم الله تعالى واضربوا منهم كل بنان يعني
الاطراف من اليدين والرجلين عن ابن عباس وابن جريج والسدي وقيل الاطراف الاصابع اكتفى بها من جملة اليد والرجل عن ابن الانباري ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله معناه ذلك
العذاب لهم والامر بضرب الاعناق والاطراف وتمكين المسلمين منهم بسبب انهم خالفوا الله ورسوله قال ابن عباس معناه حاربوا الله ورسوله ثم اوعد المخالف فقال ومن يشاقق
الله ورسوله فان الله شديد العقاب في الدنيا بالاهلاك وفي الآخرة بالتخليد في النار ذلكم فذوقوه اي هذا الذي اعددت لكم من الاسر والقتل في الدنيا فذوقوه عاجلا وان
للكافرين في المعاد عذاب النار [illegible] ذلكم حكم الله فذوقوه في الدنيا [illegible] ولسائر الكافرين في الآخرة عذاب النار ومعناه كونوا للعذاب كالذائق للطعام
وهو الطالب لادراك الطعم [illegible] **تمام القصة** ولما راى رسول الله صلى الله عليه وآله اصحابه [illegible] وكان في عسكره فرسان فرس للزبير بن
العوام وفرس للمقداد بن الاسود وكان في عسكره سبعون جملا كانوا يتعاقبون عليها وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي بن ابي طالب عليه السلام ومرثد بن ابي مرثد الغنوي يتعاقبون

علی جمل احمر بین ایدیهم وکان فی عسکر قریش ... فلما نظرت قریش الی قلة اصحاب رسول الله صلی الله علیه وآله قال ما هم الا اکلة راس لو بعثنا الیهم عبیدنا
لاخذوهم اخذا بالید فقال عتبة بن ربیعة اتری لهم کمینا او مددا فبعثوا عمیر بن وهب الجمحی وکان فارسا فجال بفرسه حتی طاف علی عسکر رسول الله ثم رجع فقال ما لهم کمین
ولا مدد ولکن نواضح یثرب قد حملت الموت الناقع اما ترونهم خرسا لا یتکلمون یتلمظون تلمظ الافاعی ما لهم ملجأ الا سیوفهم وما اراهم یولون حتی یقتلوا ولا یقتلون
حتی یقتلوا بعددهم فارتأوا رأیکم فقال ابو جهل کذبت وجبنت فانزل الله وان جنحوا للسلم فاجنح لها فبعث الیهم رسول الله صلی الله علیه وآله فقال یا معشر قریش انی
اکره ان ابدأکم فخلونی والعرب وارجعوا فقال عتبة ما رد هذا قوم قط فافلحوا ثم رکب جملا له احمر فنظر الیه رسول الله صلی الله علیه وآله یجول بین العسکرین وینهی عن القتال
فقال علیه السلام ان یکن عند احد خیر فعند صاحب الجمل الاحمر وان یطیعوه یرشدوا وخطب عتبة فقال فی خطبته یا معشر قریش اطیعونی الیوم واعصونی الدهر ان محمدا له ال
وذمة وهو ابن عمکم فخلوه والعرب فان یک صادقا فانتم اعلی عینا به وان یک کاذبا کفتکم ذؤبان العرب امره فغاظ ابا جهل قوله وقال انتفخ سحرک فقال یا مصفر استه
مثلی یجبن ستعلم قریش اینا الالأم واجبن واینا المفسد لقومه ولبس درعه وتقدم هو واخوه شیبة وابنه الولید وقال یا محمد اخرج الینا اکفاءنا من قریش فبرز الیهم ثلاثة
من الانصار وانتسبوا لهم فقالوا ارجعوا ما نرید الا الاکفاء من قریش فنظر رسول الله صلی الله علیه وآله الی عبیدة بن الحرث وکان له یومئذ سبعون سنة فقال له قم یا عبیدة ثم
نظر الی حمزة فقال له قم یا عم ثم نظر الی علی بن ابی طالب علیه السلام فقال له قم یا علی وکان اصغر القوم فاطلبوا بحقکم الذی جعله الله لکم فقد جاءت قریش بخیلائها وفخرها ترید
ان یطفئوا نور الله ویأبی الله الا ان یتم نوره ثم قال یا عبیدة علیک بعتبة بن ربیعة وقال لحمزة علیک بشیبة وقال لعلی علیه السلام علیک بالولید فمروا حتی انتهوا الی القوم فقالوا
اکفاء کرام فحمل عبیدة علی عتبة فضربه علی راسه ضربة فلقت هامته وضرب عتبة عبیدة علی ساقه فاطنها فسقطا جمیعا وحمل شیبة علی حمزة فتضاربا بالسیفین حتی انثلما وحمل
امیر المؤمنین علیه السلام علی الولید فضربه علی حبل عاتقه فاخرج السیف من ابطه فقال علی علیه السلام لقد اخذ الولید یمینه بیساره فضرب بها هامتی فظننت ان السماء وقعت علی الارض
ثم اعتنق حمزة وشیبة فقال المسلمون یا علی اما تری الکلب قد نهز عمک فحمل علیه علی علیه السلام ثم قال یا عم طأطئ راسک وکان حمزة اطول من شیبة فادخل حمزة راسه فی صدره فضربه
علی فطرح نصفه ثم جاء الی عتبة وبه رمق فاجهز علیه وفی روایة اخری انه برز حمزة لعتبة وبرز عبیدة لشیبة وبرز علی للولید فقتل حمزة عتبة وقتل عبیدة شیبة وقتل علی علیه السلام
الولید وضرب شیبة رجل عبیدة فقطعها فاستنقذه حمزة وعلی وحمل عبیدة حمزة وعلی حتی اتیا به رسول الله صلی الله علیه وآله فاستعبر فقال یا رسول الله الست شهیدا قال
بلی انت اول شهید من اهل بیتی وقال ابو جهل لا تعجلوا ولا تبطروا کما بطر ابنا ربیعة علیکم باهل یثرب فاجزروهم جزرا وعلیکم بقریش فخذوهم اخذا حتی ندخلهم مکة فنعرفهم
ضلالتهم التی هم علیها وجاء ابلیس فی صورة سراقة بن مالک فقال لهم انا جار لکم ادفعوا الی رایتکم فدفعوا الیه رایة المیسرة وکان اللواء مع بنی عبد الدار فنظر الیه رسول الله
صلی الله علیه وآله فقال لاصحابه غضوا ابصارکم وعضوا علی النواجذ ورفع یده فقال یا رب ان تهلک هذه العصابة لا تعبد ثم اصابه الغشی فسری عنه وهو یسلت العرق عن وجهه
فقال هذا جبرئیل علیه السلام قد اتاکم فی الف من الملائکة مردفین وروی عن ابی امامة بن سهل بن حنیف عن ابیه قال لقد رأیتنا یوم بدر وان احدنا یشیر بسیفه الی المشرک
فیقع راسه عن جسده قبل ان یصل الیه السیف قال ابن عباس حدثنی رجل من بنی غفار قال اقبلت انا وابن عم لی حتی صعدنا علی جبل یشرف بنا علی بدر ونحن مشرکان ننتظر الوقعة
علی من تکون الدبرة فبینا نحن هناک اذ دنت منا سحابة فسمعنا فیها حمحمة الخیل وسمعت قائلا یقول اقدم حیزوم قال فاما ابن عمی فانکشف قناع قلبه فمات مکانه واما انا فکدت
اهلک ثم تماسکت وروی عکرمة عن ابن عباس ان النبی صلی الله علیه وآله قال یوم بدر هذا جبرئیل آخذ برأس فرسه علیه اداة الحرب اورده البخاری فی الصحیح قال عکرمة
قال ابو رافع مولی رسول الله کنت غلاما للعباس بن عبد المطلب وکان الاسلام قد دخلنا اهل البیت واسلمت ام الفضل واسلمت وکان العباس یهاب قومه ویکره ان یخالفهم
وکان یکتم اسلامه وکان ذا مال کثیر متفرق فی قومه وکان ابو لهب عدو الله قد تخلف عن بدر وبعث مکانه العاص بن هشام بن المغیرة وکذلک صنعوا لم یتخلف رجل الا
بعث مکانه رجلا فلما جاء الخبر عن مصاب اصحاب بدر من قریش کبته الله واخزاه ووجدنا فی انفسنا قوة وعزا وکنت رجلا ضعیفا وکنت اعمل القداح انحتها فی حجرة زمزم فوالله
انی لجالس فیها انحت القداح وعندی ام الفضل جالسة وقد سرنا ما جاءنا اذ اقبل الفاسق ابو لهب یجر رجلیه حتی جلس علی طنب الحجرة وکان ظهره الی ظهری فبینا هو جالس
اذ قال الناس هذا ابو سفیان بن الحرث بن عبد المطلب قد قدم فقال ابو لهب هلم الی یا ابن اخی فعندک الخبر فجلس الیه والناس قیام علیه فقال یا ابن اخی اخبرنی کیف کان امر الناس قال لا
والله ان کان الا ان لقیناهم فمنحناهم اکتافنا یقتلوننا ویأسروننا کیف شاؤوا وایم الله مع ذلک ما لمت الناس لقینا رجالا بیضا علی خیل بلق بین السماء والارض ما
تلیق شیئا ولا یقوم لها شیء قال ابو رافع فرفعت طنب الحجرة بیدی ثم قلت تلک الملائکة قال فرفع ابو لهب یده فضرب وجهی ضربة شدیدة فثاورته فاحتملنی فضرب بی الارض
ثم برک علی یضربنی وکنت رجلا ضعیفا فقامت ام الفضل الی عمود من عمد الحجرة فاخذته فضربته به ضربة فلقت راسه شجة منکرة وقالت تستضعفه ان غاب عنه سیده
فقام مولیا ذلیلا فوالله ما عاش الا سبع لیال حتی رماه الله بالعدسة فقتلته ولقد ترکه ابناه لیلتین او ثلاثا ما یدفنانه حتی انتن فی بیته وکانت قریش تتقی العدسة کما یتقی الناس
الطاعون حتی قال لهما رجل من قریش ویحکما الا تستحییان ان اباکما قد انتن فی بیته لا تغیبانه فقالا انا نخشی هذه القرحة قال فانطلقا فانا معکما فما غسلوه الا قذفا بالماء علیه

من بعید ما یمسونه ثم احتملوه فدفنوه باعلی مکة الی جدار وقذفوا علیه الحجارة حتی واروه وروی مقسم عن ابن عباس قال کان الذی اسر العباس ابا الیسر کعب بن عمرو
اخو بنی سلمة وکان ابو الیسر رجلا مجموعا وکان العباس رجلا جسیما فقال رسول الله صلی الله علیه وآله لابی الیسر کیف اسرت العباس یا ابا الیسر فقال یا رسول الله صلی الله علیه وآله
لقد اعاننی علیه رجل ما رأیته قبل ذلک ولا بعده هیئته کذا وکذا فقال رسول الله صلی الله علیه وآله لقد اعانک علیه ملک کریم **قوله تعالی** یا ایها الذین آمنوا اذا
لقیتم الذین کفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ومن یولهم یومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحیزا الی فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصیر فلم تقتلوهم
ولکن الله قتلهم وما رمیت اذ رمیت ولکن الله رمی ولیبلی المؤمنین منه بلاء حسنا ان الله سمیع علیم الایات **اللغة** اللقاء الاجتماع علی وجه المقاربة
لان الاجتماع قد یکون علی غیر وجه المقاربة فلا یکون لقاء کاجتماع الاعراض فی المحل الواحد والزحف الدنو قلیلا قلیلا والتزاحف التدانی یقال زحف یزحف زحفا وازدحف
القوم اذا دنوا الیهم لقتالهم ... وجمعه زحوف والتولیة جعل الشیء یلی غیره یقال ولاه دبره اذا
جعله یلیه فهو یتعدی الی مفعولین ومنه ولاء النسب ... وتولی عنه ... واولاه نعمة لانه جعلها تلیه والتحرف الزوال عن جهة الاستواء
الی جهة الحرف ومنه الاحتراف وهو ان یقصد جهة الحرف لطلب الرزق والمحارف المحدود المحروم عن جهة الرزق ومنه حروف الهجاء لانها اطراف الکلمة کحرف الجبل ونحوه
والتحیز طلب حیز یتمکن فیه والحیز المکان الذی فیه الجوهر والفئة القطعة من الناس وهی جماعة منقطعة عن غیرها وذکر الفئة فی هذا الموضع حسن جدا وهو من فأوت
رأسه بالسیف اذا قطعته **الاعراب** زحفا نصب علی المصدر وهو موضع الحال لان معناه زاحفین متزاحفین ومتحرفا او متحیزا نصب علی الحال الا انه یجوز
ان یکون النصب فیها علی الاستثناء ای الا ان یکون رجلا متحرفا لیکون منفردا او لیکون مع الفئة ویومئذ یجوز اعرابه وبناؤه فالاعراب لانه اسم یبنی علی
تقدیر الاضافة الحقیقیة کقولک هذا یوم ذلک واما البناء فلانه اضیف الی مبنی اضافة غیر حقیقیة **المعنی** لما امد سبحانه المسلمین بالملائکة ووعدهم النصر والظفر
بالکفار نهاهم عن الفرار فقال سبحانه یا ایها الذین آمنوا قیل انه خطاب لاهل بدر وقیل هو عام اذا لقیتم الذین کفروا زحفا ای متدانین لقتالکم قال الزجاج
معناه اذا واقفتموهم للقتال فلا تولوهم الادبار ای فلا تجعلوا ظهورکم مما یلیهم ای فلا تنهزموا ومن یولهم یومئذ دبره ای ومن یجعل ظهره الیهم یوم القتال و
وجهه الی جهة الانهزام واراد بقوله یومئذ ذلک الوقت ولم یرد به بیاض النهار خاصة دون اللیل الا متحرفا لقتال ای الا تارکا موقفا الی موقف آخر اصلح للقتال
من الاول عن الحسن وقیل معناه الا مستطردا یطلب عورة یمکنه اصابتها فیتحرف عن وجهه ویری انه یفر ثم یکر والحرب کر وفر او متحیزا الی فئة ای منحازا الی
الجماعة من المسلمین یریدون العود الی القتال لیستعین بهم فقد باء بغضب من الله ای احتمل غضب الله واستحقه وقیل رجع بغضب من الله ومأواه جهنم ای مرجعه
الجحیم وبئس المصیر واکثر المفسرین علی ان هذا الوعید خاص بیوم بدر خاصة ولیس لهم یومئذ ان یتحاوزوا وانه لم یکن فی الارض یومئذ فئة للمسلمین فاما بعد ذلک
فان المسلمین بعضهم فئة لبعض وهو قول ابی سعید الخدری وابن عباس فی روایة الکلبی والحسن وقتادة والضحاک وورد الخبر عن ابن عمر قال بعثنا رسول الله
صلی الله علیه وآله فی سریة فلقوا العدو فحاص الناس حیصة فاتینا المدینة ففتحنا بابها وقلنا یا رسول الله نحن الفرارون فقال بل انتم العکارون وانا فئتکم
وقیل انه عام فی جمیع الاوقات وانما فر من الزحف فی الوعید وانما یصح المسلمین لحقه الوعید عن ابن عباس فی روایة اخری وهو قول الجبائی وابی مسلم
ثم نفی سبحانه ان یکون المسلمون قتلوا المشرکین یوم بدر فقال فلم تقتلوهم ولکن الله قتلهم واضاف الفعل عمن هو فعله علی الحقیقة ونسبه الی نفسه من حیث
کانت افعاله تعالی کالسبب لهذا الفعل والمؤدی الیه من اقداره ایاهم ومعونته لهم وتشجیع قلوبهم والقاء الرعب فی قلوب اعدائهم المشرکین حتی قتلوا وما رمیت اذ رمیت
ولکن الله رمی خطاب للنبی صلی الله علیه وآله ذکر جماعة من المفسرین کابن عباس وغیره ان جبرئیل علیه السلام قال للنبی صلی الله علیه وآله یوم بدر خذ قبضة من تراب فارمهم بها
فقال رسول الله صلی الله علیه وآله لما التقی الجمعان لعلی علیه السلام اعطنی قبضة من حصا الوادی فناوله کفا من حصی علیه تراب فرمی به فی وجوه القوم وقال شاهت
الوجوه فلم یبق مشرک الا دخل فی عینه وفمه ومنخریه منها شیء ثم ردفهم المؤمنون یقتلونهم ویأسرونهم وکانت تلک الرمیة سبب هزیمة القوم وقال قتادة وابن زید ذکر
لنا ان رسول الله صلی الله علیه وآله اخذ یوم بدر ثلاث حصیات فرمی بحصاة فی میمنة القوم وحصاة فی میسرة القوم وحصاة بین اظهرهم وقال شاهت الوجوه فانهزموا
فعلی هذا انما اضاف الرمی الی نفسه لانه لا یقدر احد غیره علی مثله فانه من عجایب المعجزات ولیبلی المؤمنین منه بلاء حسنا ای لینعم علیهم نعمة حسنة ای فعل ذلک
انعاما علی المؤمنین والضمیر فی منه راجع الی النصر ... ویجوز ان یکون راجعا الی الله ان الله سمیع لدعائکم علیم بافعالکم وضمائرکم والابتلاء ههنا
بالنعمة لان اصل البلاء ما یظهر به الامر من الشکر والصبر فیبلو سبحانه عباده بالنعم لیظهر شکرهم علیها وبالمحن والشدائد لیظهر صبرهم علیها فیستحقون الاجر والبلاء الحسن
هنا هو النصر والغنیمة والاجر والمثوبة **النظم** وقیل فی وجه اتصال هذه الآیة بما قبلها وجهان احدهما انه سبحانه لما امرهم بالقتال فی الآیة المتقدمة ذکر بعدها
ان ما کان من الفتح یوم بدر وقهر المشرکین انما کان بنصرته ومعونته تذکیرا للنعمة عن ابی مسلم والآخر انهم لما امروا بالقتال ثم کان بعضهم یقول انا قتلت فلانا وانا فعلت کذا

ترك الا على وجه التشبيه لانهم يعموا ابا غالم قوله تعالى ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وان تنتهوا فهو خير لكم وان تعودوا
نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت وان الله مع المؤمنين يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وانتم تسمعون اربع آيات القراءة قرأ
اهل الحجاز وابو عمرو ويعقوب برواية روح موهن بالتشديد كيد بالنصب وقرأ اهل المدينة وابن عامر وحفص وان الله مع المؤمنين بفتح الالف كالفرح وقرأ
وكلاهما حسن ومن قرأ وان الله بكسر الهمزة فانه قطعه مما قبله ويقويه انهم زعموا ان في حرف عبد الله والله مع المؤمنين ومن فتح الهمزة فوجهه ان يكون على تقدير
ولان الله مع المؤمنين اي لذلك لن تغني عنكم فئتكم اللغة الاستفتاح طلب الفتح وهو النصر الذي يفتح به بلاد العدو والفتح ايضا الحكم ويقال للقاضي الفتاح واصل
الباب من الفتح الذي هو ضد الاغلاق والانتهاء ترك الفعل لاجل النهي عنه يقال نهيته فانتهى واخبره فاخبر الاعراب موضعه رفع وكذلك ان في
في موضع رفع وتقديره الامر ذلكم والامر ان الله موهن وكذلك الوجه فيما تقدم من قوله ذلكم فذوقوه وان للكافرين عذاب النار ومن قال ان ذلكم مبتدأ فذ
وان للكافرين عذاب النار ومن قال ان ذلكم مبتدأ فذوقوه خبره فقد اخطأ لان ما بعد الفاء لا يكون خبر المبتدأ لا يجوز زيد فمنطلق ولا زيد فاضربه الا
ان تضمر هذا تريد هذا زيد فاضربه المعنى ذلكم اشارة الى بلاء المؤمنين خاطبهم سبحانه بعد ان اخبرهم ومعناه الامر ذلكم الانعام او ذلكم الذي
ذكرت وان الله موهن كيد الكافرين بالقاء الرعب في قلوبهم وتفريق كلمتهم قال ابن عباس يقول اني قد اوهنت كيد عدوكم حتى قتلت جبابرتهم واسرت اشرافهم
ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح قيل انه خطاب للمشركين فان ابا جهل قال يوم بدر حين التقى الفئتان اللهم اقطعنا للرحم واتانا بما لا نعرف فانصره عليه عن الحسن ومجاهد
والزهري والضحاك والسدي وفي حديث ابي حمزة قال ابو جهل اللهم ربنا ديننا القديم ودين محمد الحديث فاي الدينين كان احب اليك وارضى عندك فانصر اهله اليوم فعلى
هذا فيكون معناه ان تستنصروا لاحد الفئتين فقد جاءكم الفتح اي نصر محمد واصحابه وقيل انه خطاب للمؤمنين عن عطا وابي علي الجبائي ومعناه ان تستنصروا
على اعدائكم فقد جاءكم الفتح اي النصر بالنبي صلى الله عليه وآله قال الزجاج ويجوز ان يكون معناه ان تحكموا او تستقضوا فقد جاءكم القضاء والحكم من الله وان تنتهوا
اي تمتنعوا من الكفر وقتال اليهود والمؤمنين فهو خير لكم وان تعودوا نعد اي ان تعد المشركون الى قتال المسلمين نعد الى نصرهم عليكم وتأمرهم بقتالكم ولن تغني عنكم
فئتكم اي ولن تدفع عنكم جماعتكم شيئا ولو كثرت وان الله مع المؤمنين بالنصر والحفظ يمكنهم منهم ويظهرهم عليكم عن جماعة من المفسرين وقيل معناه وان
تنتهوا ايها المسلمون مما سألكم في الغنائم وفي الاسارى من مخالفة الرسول فهو خير لكم وان تعودوا الى ذلك الطمع نعد الى الانكار عليكم ونترك نصرتكم
ولن تغني عنكم جمعكم شيئا اذ منعناكم النصر عن عطا والجبائي ثم امر سبحانه بالطاعة التي هي سبب النصرة فقال يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله
حث المؤمنين بطاعة الله ورسوله وان كانت واجبة على غيرهم ايضا لانه لم يعتد بغيرهم لاعراضهم عما وجب عليهم ويجوز ان يكون انما خصهم اجلالا لهم وتعظيما
وبعلو مرتبتهم ولا تولوا عنه اي ولا تعرضوا عن رسول الله وانتم تسمعون دعاءه لكم وامره ونهيه ذكره ابن عباس وقيل معناه وانتم تسمعون الحجة الموجبة
للطاعة لله وطاعة الرسول عن الحسن ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون في الكلام حذف ومعناه ولا تكونوا كالمشركين في قولهم هذا الذكر حذف المقول له لان القول
لما العليه في ذلك لغاية البلاغة ومعنى قولهم سمعنا وهم لا يسمعون انهم سمعوه سماع عالم قائل له وليس كذلك والسماع بمعنى القبول كما في قوله سمع الله لمن حمده وقيل
هم المنافقون عن ابن اسحاق ومقاتل وابن جريج والجبائي وقيل هم اهل الكتاب من اليهود وقريظة والنضير عن ابن عباس والحسن وقيل انهم مشركو العرب لانهم قالوا قد سمعنا
لو نشاء لقلنا مثل هذا قوله تعالى ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون آيتان اللغة الشر
الضرر السيء الذي يبلغ من صاحبه وهو نقيض الخير وقيل الشر الضرر القبيح والخير النفع الحسن وقيل الشر الضرر الشديد والخير النفع الكثير وهذا ليس بالوجه لانه
قد يكون ضررا لا يكون شرا بان يعقب خيرا واصل الشر الاظهار من قوله اذا قيل اي الناس شر قبيلة اشرت كليب بالاكف الاصابع والدواب جمع دابة وهو ما دب
على وجه الارض الا انه تخصص في العرف بالخيل المعنى ثم ذم سبحانه الكفار فقال ان شر الدواب اي شر من دب على وجه الارض من الحيوان الصم البكم الذين
لا يعقلون يعني هؤلاء المشركين الذين لم ينتفعوا بما يسمعون من الحق ولا يتكلمون به ولا يعتقدونه فكانهم صم بكم ولا يتفكرون ايضا فيما يسمعون فكأنهم لم ينتفعوا
بعقولهم وصاروا كالدواب وقال الباقر عليه السلام نزلت هذه الآية في بني عبد الدار ولم يكن اسلم منهم غير مصعب بن عمير وحليف لهم يقال له سويبط وقيل نزلت
في النضر بن الحرث بن كلدة من بني عبد الدار بن قصي ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم معناه لو علم الله فيهم قبولا للهدى واقبالا على الحق لاسمعهم ما يذهبون عنه
من الحسن وقيل معناه لاسمعهم الجواب عن كل ما يسألون عنه عن الزجاج وقيل معناه لاسمعهم قول قصي بن كلاب فانهم قالوا احي لنا قصي بن كلاب ليشهد بنبوتك عن الجبائي و
ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون اي اعرضوا وفي هذا دلالة على ان الله تعالى لا يمنع احدا من المكلفين اللطف وانما يخل لمن يعلم انه لا ينتفع به قوله تعالى
يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تحشرون واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا

منكم خاصة واعلموا ان الله شديد العقاب آيتان القراءة قرأ امير المؤمنين عليه السلام وزيد بن ثابت وابو جعفر الباقر عليه السلام والربيع بن انس
لتصيبن والقراءة المشهورة لا تصيبن الحجة قال ابن جني من هاتين القراءتين ضدان كما ترى لان احدهما لتصيبن الذين ظلموا خاصة والاخرى لا تصيبن
ويمكن ان يكون حذف الالف من لا تصيبن تخفيفا واكتفى بالفتحة منها كما قالوا ام والله لتكونن كذا فحذفوا الالف من اما وذهب ابو عثمان في قوله
يا ابت بفتح التاء الى انه اراد يا ابتا فحذف الالف تخفيفا فان قلت فهل يجوز ان تحمله على القراءة لتصيبن ثم اشبع الفتحة فانشأ عنها الفا كقول عنترة ينباع
من ذفرى غضوب جسرة وانه اراد ينبع ومثل قول ابن هرمة فانت من الغوائل حين ترمى ومن ذم الرجال بمنتزاح اي بمنتزح وزعم بعض النحويين ان هذا
الكلام جزاء فيه طرف من النهي فاذا قلت انزل عن الدابة لا تطرحك فهذا جواب الامر بلفظ النهي والمعنى ان تنزل عنها لا تطرحك فاذا اتيت
بالنون الخفيفة والثقيلة كان اوكد للكلام ومثله قوله يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان والمعنى ان تدخلوا لا يحطمنكم ويجوز
ان يكون نهيا بعد امر فيكون المعنى اتقوا فتنة ثم نهى بعد فقال لا تصيبن الفتنة الذين ظلموا اي لا يتعرض الذين ظلموا لما ينزل بهم معه العذاب ومثله
يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم انما امرت بالدخول ثم نهاهم ان يحطمهم سليمان فقال لا يحطمنكم سليمان وجنوده فلفظ النهي للجنود ومعناه للنمل كما تقول
لا ارينك هاهنا قال ابو علي ان حمل القول الاول على جهة احتمال الاية كاحتمال القول الثاني فاما القول الثاني فقول الحسن ولا يصح عندنا الا قول ابي الحسن
لان قوله لا تصيبن لا يخلو اما ان يكون جواب شرط ولا يجوز ذلك لان دخول النون فيه يكون لضرورة الشعر كما انشده سيبويه ومما شاء منه قراءة يمنعا واما ان يكون
نهيا بعد امر واستغنى عن استعمال حرف العطف معه لاتصال الجملة الثانية بالاولى كما استغنى ذكر ابتداء من قوله ثلاثة رابعهم كلبهم فاولئك اصحاب النار
هم فيها خالدون وهذا هو الصحيح دون الاول قال بعضهم الا ان يكون جواب الامر بلفظ النهي كما يجعل ان يكون جواب الشرط بلفظ النهي لان جواب الامر في الحقيقة
جواب الشرط ولا يجوز ايضا ان يكون اللفظ لفظ النهي والمعنى معنى الجزاء لان الجزاء خبر فحكمه ان يكون على لفظ الاخبار والفاظ الاخبار لا تجيء على لفظ الامر الا فيما
لمن قولهم اكرم به ومما يدل على انه ليس بجزاء دخول النون فيه والنون لا يدخل في الجزاء كما ذكرنا انه خبر ولا يجوز دخول النون في الجزاء الا في ضرورة الشعر وربما
اوقف على بعض قوافيها الا ت المعنى ثم امر سبحانه بطاعة الرسول صلى الله فقال يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اي اجيبوا الله والرسول
فيما يأمركم فما جاء الله والرسول لطاعتهما فيما يدعوان اليه اذا دعاكم لما يحييكم قيل فيه اقوال احدها معناه اذا دعاكم الى الجهاد واللام بمعنى الى قال القتيبي هو
الشهادة فان الشهداء احياء عند ربهم قال الجبائي اي دعاكم الى الحياة كاملة لكم واعزاز وسكنكم بجهاد عدوكم مع نصر الله اياكم وهو معنى قول الفراء
وثانيها ان معناه اذا دعاكم الى الايمان فانه حياة القلب والكفر موته عن السدي وقيل الى الحق عن مجاهد وثالثها ان معناه اذا دعاكم الى القرآن والعلم في الدين
لان الجهل موت والعلم حياة والقرآن سبب الحياة بالعلم وفيه النجاة والعصمة عن قتادة ورابعها ان معناه اذا دعاكم الى الجنة لما فيها من الحياة الدائمة
ونعيم الابد عن ابي مسلم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه اي يحول بين المرء وبين الانتفاع بقلبه بالموت فلا يمكنه استدراك ما فات فبادروا
الى الطاعات قبل الحيلولة ودعوا التسويف عن الجبائي قال ويحث على الطاعة قبل حلول المانع وقيل معناه انه سبحانه اقرب اليه من قلبه ونظيره قوله
ونحن اقرب اليه من حبل الوريد فان الحائل بين الشيء وغيره اقرب الى ذلك الشيء من ذلك الغير عن الحسن وقتادة قالا وفيه تحذير شديد وقيل معناه انه
يملك تقليب القلوب من حال الى حال كما جاء في الدعاء يا مقلب القلوب فكانهم خافوا من القتال فاعلمهم سبحانه انه يبدل خوفهم امنا بان يحول بينهم
وبين ما يتفكرون فيه من اسباب الخوف وروى يونس بن عمار عن ابي عبد الله عليه السلام ان الله يحول بين المرء وقلبه معناه لا يستيقن القلب ان الحق باطل ابدا
ولا يستيقن القلب ان الباطل حق ابدا وروى هشام بن سالم عنه عليه السلام قال معناه يحول بينه وبين ان يعلم ان الباطل حق وروى العياشي في تفسيره وقال معنى
استحق معناه لا يستطيع القلب ان يكتم الله شيئا وهذا المعنى في الحسن وانه اليه تحشرون معناه فاعلموا انكم تحشرون اي تبعثون للجزاء على اعمالكم يوم القيامة ان خيرا
فخير وان شرا فشر واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة حذرهم الله سبحانه من هذه الفتنة وامرهم ان يتقوها فكأنه قال اتقوا فتنة لا
تصيبن الذين ظلموا ان تقربوها فتصيبكم لانه قوله لا تصيبن نهي مسوق على الامر ولفظ النهي واقع على الفتنة وهو في المعنى للمأمورين بالاتقاء كقوله
لا تموتن الا وانتم مسلمون اي احذروا ان يدرككم قيل ان تسلموا واختلف في معنى الفتنة هنا فقيل هي العذاب امر الله المؤمنين ان لا يقروا المنكر بين اظهرهم فيعمهم الله
بالعذاب والخطاب لاصحاب النبي صلى الله عليه وآله خاصة عن ابن عباس والجبائي وقيل البلية التي يظهر بها الانسان يختبر عن الحسن قال وقد نزلت في علي عليه السلام وعمار
وطلحة والزبير قال الزبير ولقد قرأنا هذه الآية زمانا وما اردنا انا اهلها فاذا نحن المعنيون بها فخالفنا حتى اصابتنا خاصة وقيل نزلت في اهل بدر خاصة

فاصابتهم يوم الجمل فاقتتلوا عن السدي وقيل هي الضلالة وافتراق الكلمة ومخالفة بعضهم بعضا عن ابن زيد وقيل هي الهرج الذي يركب الناس فيه بالظلم
ويدخل ضرره على كل احد ثم اختلف في اصابة هذه الفتنة على قولين احدهما انها جارية على العموم فتصيب الظالم وغير الظالم اما الظالمون فمعذبون و
المؤمنون ممتحنون ممحصون عن ابن عباس وروي انه سئل عنها فقال ابهموا ما ابهم الله والثاني انها تخص الظالم لان الغرض منع الناس عن الظلم وتقديره واتقوا
عذابا يصيب الظلمة خاصة ويقويه قراءة من قرأ لتصيبن الذين ظلموا واتقوا عذابا يصيب الظلمة خاصة ويقويه قراءة من قرأ لتصيبن الذين
ظلموا منكم خاصة بالالام فتقتصر على هذا المعنى وقيل ان لا في قوله لا تصيبن زائدة ويجوز ان يقال ان الف في لا لاشباع الفتحة على ما تقدم ذكره قال ابو مسلم
احذروا ان يختص الظالم منكم بعذاب اي لا تظلموا فيأتيكم عذاب يختص الامر الظالم بالظلم واعلموا ان الله شديد العقاب لمن عصاه وروى الثعلبي باسناده
عن حذيفة انه قال اتتكم فتن كقطع الليل المظلم يهلك فيها كل شجاع بطل وكل راكب موضع وكل خطيب مصقع وفي حديث ابي ايوب الانصاري ان النبي صلى الله عليه واله
قال لعمار انه سيكون بعدي هنات حتى يختلف السيف فيما بينهم حتى يقتل بعضهم بعضا وحتى يبرأ بعضهم من بعض فاذا رأيت ذلك فعليك بهذا الاصلع عن يميني علي بن
ابي طالب عليه السلام فان سلك الناس كلهم واديا وسلك علي واديا فاسلك وادي علي وخل عن الناس يا عمار ان عليا لا يردك عن هدى ولا يدلك على ردى يا عمار طاعة علي طاعتي
وطاعتي طاعة الله رواه السيد ابو طالب الهروي باسناده عن علقمة والاسود قالا اتينا ابا ايوب الانصاري بالحديث بطوله وفي كتاب شواهد التنزيل للحاكم ابي القاسم الحسكاني
رحمه الله وحدثنا عنه السيد ابو محمد مهدي بن نزار الحسني حدثني محمد بن القاسم بن احمد قال حدثنا ابو سعيد محمد بن الفضل بن محمد قال حدثنا محمد بن صالح العرزمي
قال حدثنا عبد الرحمن بن ابي حاتم قال حدثنا ابو سعيد الاشج عن ابي خالد الاحمر عن ابراهيم بن طهمان عن سعيد ابن ابي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس
قال لما نزلت هذه الاية واتقوا فتنة قال النبي صلى الله عليه واله من ظلم عليا مقعدي هذا بعد وفاتي فكانما جحد نبوتي ونبوة الانبياء قبلي **قوله تعالى** واذكروا اذ انتم
قليل مستضعفون في الارض تخافون ان يتخطفكم الناس فآواكم وايدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون اية **اللغة** الذكر ضد السهو وهو حضور
المعنى للنفس والاستضعاف طلب ضعف الشيء بتوهين حاله والخطف الاخذ بسرعة انتزاع يقال تخطف وخطف واختطف **المعنى** ثم ذكرهم الله سبحانه حالتهم
السالفة في القلة والضعف وانعامه عليهم بالنصر والتأييد والكثرة فقال واذكروا معشر المهاجرين اذ انتم قليل في العدد وكانوا كذلك قبل الهجرة في ابتداء الاسلام
مستضعفين يطلب ضعفكم سعوم امركم في الارض اي في ارض مكة من عباس والحسن تخافون ان يتخطفكم الناس اي يستلبكم المشركون من العرب ان خرجتم منها وقيل ارمى
الناس فارس والروم عن وهب فآواكم اي جعل لكم مأوى ترجعون اليه يعني المدينة دار الهجرة وايدكم بنصره اي قواكم يوم بدر ورزقكم من الطيبات
يعني الغنائم احلها لكم ولم يحلها لاحد قبلكم وقيل هو عام في جميع ما اعطاهم من الاطعمة اللذيذة لعلكم تشكرون اي لكي تشكروا والمعنى فابلوا حالكم التي
انتم عليها الان بتلك الحال المتقدمة ليتبين لكم موضع النعمة فتشكروا عليها **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم
وانتم تعلمون واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة وان الله عنده اجر عظيم ايتان **اللغة** الخيانة منع الحق الذي قد ضمن التادية فيه وهي ضد الامانة
واصلها ان تنقص من ائتمنك امانته قال زهير بارزة الفجة الا تخوان الركاب والاخلاء اي لا تنقص من قرائبها **الاعراب** وتخونوا مجزوم على النهي وتقديره
ولا تخونوا عن الاخفش وهو في معنى قول ابن عباس وقيل انه نصب على الظرف مثل قول الشاعر لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم وهو في معنى
قول السدي **النزول** قال سمعت جابر بن عبد الله يقول ان ابا سفيان خرج من مكة فاتى جبرئيل عليه السلام فقال ان ابا سفيان في مكان كذا وكذا فاخرجوا
اليه واكتموا فكتب اليه رجل من المنافقين ان محمدا يريدكم فخذوا حذركم وانزل الله هذه الاية وقال السدي يسمعون الشيء من النبي صلى الله عليه واله فيفشونه
حتى يبلغ المشركين وقال الكلبي والزهري نزلت في ابي لبابة بن عبد المنذر الانصاري وذلك ان رسول الله صلى الله عليه واله حاصر يهود قريظة احدى وعشرين ليلة
فسألوا رسول الله صلى الله عليه واله الصلح على ما صالح عليه اخوانهم من بني النضير ان يسيروا الى اخوانهم الى اذرعات واريحاء من ارض الشام فابى ان يعطيهم ذلك رسول
الله صلى الله عليه واله الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فقالوا ارسل الينا ابا لبابة وكان مناصحا لهم لان عياله وماله وولده كانت عندهم فبعثه رسول الله صلى الله
عليه واله فاتاهم فقالوا ما ترى يا ابا لبابة انتزل على حكم سعد بن معاذ فاشار ابو لبابة بيده الى حلقه انه الذبح فلا تفعلوا فاتاه جبرئيل عليه السلام
فاخبره بذلك قال ابو لبابة فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت اني قد خنت الله ورسوله فنزلت الاية فيه فلما نزلت شد نفسه على سارية من سواري المسجد
وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام لا يذوق فيها طعاما ولا شرابا حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له يا ابا لبابة
قد تيب عليك فقال والله لا احل نفسي حتى يكون رسول الله هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده ثم قال ابو لبابة ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت

فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال له النبي صلى الله عليه واله يجزيك الثلث ان تصدق به وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام **المعنى** ثم
امر سبحانه بترك الخيانة فقال يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول اي لا تخونوا الله في ترك فرائضه والرسول في ترك سننه وشرائعه عن ابن عباس
وقيل ان من ترك شيئا من الدين وضيعه فقد خان الله ورسوله عن الحسن وتخونوا اماناتكم يعني الاعمال التي ائتمن الله عليها العباد يعني الفرائض يقول
لا تنقصوها عن ابن عباس وقيل انهم اذا خانوا الله والرسول فقد خانوا اماناتهم عن السدي وانتم تعلمون ما في الخيانة من الذم والعقاب وقيل انتم تعلمون انها
امانة من غير شبهة واعلموا اي وتحققوا وايقنوا انما اموالكم واولادكم فتنة اي بلية عليكم ابتلاكم الله بها فان ابا لبابة حمله على ما فعله ماله الذي كان في ايديهم
واولاده الذين كانوا فيهم واولاده الذين كانوا بين اظهرهم وان الله عنده اجر عظيم لمن اطاعه وخرج الى الجهاد ولم يخن الله ورسوله وذلك خير من الاموال
والاولاد بين سبحانه بهذه الاية انه يختبر خلقه بالاموال والاولاد ليتبين الراضي بقسمه ممن لا يرضى به وان كان سبحانه اعلم بهم من انفسهم ولكن ليظهر الافعال التي بها
يستحق الثواب والعقاب والى هذا اشار امير المؤمنين عليه السلام في قوله لا يقولن احدكم اللهم اني اعوذ بك من الفتنة لانه ليس احد الا وهو مشتمل على فتنة ولكن من استعاذ
فليستعذ من مضلات الفتن فان الله سبحانه يقول انما اموالكم واولادكم فتنة وقد روي هذا المعنى عن ابن مسعود ايضا **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله
يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم **المعنى** يا ايها الذين امنوا اي يا ايها المؤمنون ان تتقوا عذاب الله باجتناب معاصيه واداء
فرائضه يجعل لكم فرقانا اي هداية ونورا في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل عن ابن جريج وابن زيد وقيل معناه يجعل لكم مخرجا في الدنيا والاخرة عن مجاهد و
قيل يجعل لكم نجاة عن السدي وقيل يجعل لكم فتحا ونصرا كما قال يوم الفرقان يوم التقى الجمعان عن الفراء وقيل يجعل لكم عزا في الدنيا وثوابا في الاخرة وعقوبة وخذلانا
لاعدائكم ذلا وعقابا كل ذلك يفرق بينكم وبينهم في الدنيا والاخرة من الحياة ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم ذنوبكم والله ذو الفضل العظيم على خلقه بانواع
من انواع النعيم فاذا ابتدأهم بالفضل العظيم من غير استحقاق كرما منه وجودا فانه لا يمنعهم ما استحقوه بطاعتهم له وقيل معناه انه يبتدئهم بنعيم الدنيا من غير استحقاق ويفضل عليهم
ذلك بنعيم الاخرة باستحقاق وغير استحقاق **النظم** قيل اتصلت الاية باول السورة من الامر بالجهاد وتقديره ان تتقوا الله ولجئتم اليه في امره من الجهاد يجعل لكم فرقانا
وقيل لما امر بالطاعة وترك الخيانة بين بعده ما اعد لمن امتثل امره في الدنيا والاخرة **قوله تعالى** واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر
الله والله خير الماكرين اية **اللغة** المكر الميل الى جهة الفساد في خفية قال الازهري المكر من الناس خب وخداع ومن الله جزاء واصل المكر الالتفاف ومن قولهم جارية ممكورة
قال ذو الرمة عجزاء ممكورة خمصانة قلق عنها الوشاح وتم الجسم والقصب ملتفة والفرق بين المكر والغدر ان الغدر نقض العهد الذي يجب الوفاء به والمكر قد يكون ابتداء من غير
عقد والاثبات الحبس يقال رماه فاثبته اي حبسه مكانه واثبته في الحرب اذا جرحه جراحة مثقلة **النزول** قال المفسرون انها نزلت في قصة دار الندوة وذلك ان نفرا من قريش
اجتمعوا فيها وهي دار قصي بن كلاب يتآمرون في امر النبي صلى الله عليه واله فقال عروة بن هشام نتربص به ريب المنون وقال ابو البختري اخرجوه عنكم تستريحوا من اذاه وقال ابو جهل ما هذا برأي
ولكن اقتلوه بان يجتمع عليه من كل بطن رجل فيضربوه باسيافهم ضربة رجل واحد فيرضى حينئذ بنو هاشم بالدية فصوب ابليس هذا الرأي وكان قد جاءهم في صورة شيخ كبير من اهل نجد و
خطأ الاولين فاتفقوا على هذا الرأي واعدوا الرجال والسلاح وجاء جبرئيل فاخبر رسول الله فخرج الى الغار وامر عليا عليه السلام فبات على فراشه فلما اصبحوا و
فتشوا عن الفراش وجدوا عليا وقد رد الله مكرهم فقالوا اين محمد فقال لا ادري فاقتصوا اثره وارسلوا في طلبه فلما بلغوا الجبل ومروا بالغار رأوا على بابه نسج
العنكبوت فقالوا لو كان ههنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه فمكث فيه ثلاثا ثم قدم المدينة **المعنى** واذ يمكر بك الذين كفروا اي واذكر اذ يحتال الكفار في ابطال
امرك ويتدبرون في هلاكك وهم مشركو العرب منهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة والنضر بن الحارث وابو جهل بن هشام وابو البختري بن هشام وزمعة بن الاسود وحكيم بن
حزام وامية بن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج ليثبتوك اي ليقيدوك ويحبسوك في الوثاق عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وقيل ليثبتوك في الحبس ويسحروك عن عطاء والسدي
وقيل معناه ليوهنوك بالجراحة والضرب عن ابان بن تغلب والجبائي وابي حاتم وانشد ويحل ما ذا في صحيفتكم قالوا الخليفة امسى مثبتا وجعا او يقتلوك او
يخرجوك من مكة الى طرف من اطراف الارض وقيل او يخرجوك على بعير ويطردوك حتى يذهب في وجهه ويمكرون ويمكر الله اي ويدبرون في امرك ويدبر الله في امرهم
عن ابي مسلم وقيل ويحتالون في امرك من حيث لا يشعرون وانزل الله بهم ما ارادوا من عذاب من حيث لا يشعرون من الجبائي وقيل يمكرون والله يجازيهم على مكرهم كما قال وجزاء
سيئة سيئة مثلها والله خير الماكرين لانه لا يمكر الا ما هو حق وصواب وهو انزال المكروه بمن يستحقه والعباد قد يمكرون مكرا هو ظلم وباطل ومكرهم الذي هو عذاب
لا يبلغ في المضرة بالمؤمنين مكر الله ملائكته فلذلك قال خير الماكرين وقيل معناه خير الحابسين على المكر **النظم** الاية اتصلت بقوله واذكروا اذ انتم قليل تقديره واذكروا
تلك الحال واذكروا اذ مكر الكفار بمكة عن ابي مسلم وغيره وقيل تتصل بما قبلها من قوله ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا بين يجعل لكم نجاة كما جعل للنبي واصحابه النجاة
من مكر مشركي قريش فاذكروا ذلك **قوله تعالى** واذا تتلى عليهم اياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولين واذ قالوا اللهم ان كان هذا

٣٨٣ [illegible]

هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وما لهم الا
يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا اولياءه ان اولياؤه الا المتقون ولكن اكثرهم لا يعلمون اربع ايات **الاعراب** هو الحق هو فصل لا محل له من
الاعراب وعند الكوفيين عماد والحق منصوب بانه خبر كان ويجوز فيه الرفع ولكن لم يقرأ به واللام في قوله ليعذبهم لام الجحد وسماها لام الاستغراق وانما دخلت
في النفي ولم تدخل في الايجاب لتطابق الحروف التي كانت تدخل وجزما ولم تدخل في خبر الايجاب وموضع ان من قوله ان لا يعذبهم الله نصب لان تقديره وما
لهم في ان لا يعذبهم الله اي شيء لهم في ذلك لكن لما كان حذف الجار على معنى الفعل الذي هو الاستقرار ونحو وانما جاز الحذف مع ان ولم يجز مع المصدر لطول
الكلام بالصلة اللازمة من الفعل والفاعل وليس كذلك المصدر **المعنى** ثم اخبر بما يدل على عناد هؤلاء الكفار وبعدهم عن الحق فقال واذا تتلى عليهم
اياتنا من القرآن قالوا قد سمعنا اي ادركنا باذاننا فان السماع ادراك بحاسة الاذن لو نشاء لقلنا مثل هذا انما قالوا ذلك مع ظهور عجزهم عن الاتيان بسورة
مثله بعد التحدي عداوة وعنادا وقد يحمل الانسان شدة العداوة على ان يقول ما لا يعلم وقيل انما قالوا ذلك لانه لم يتقطع طمعهم عن القدرة عليه في المستقبل
اذ القرآن كان مركبا من كلمات جارية على السنتهم فطمعوا ان يأتوا بمثل ذلك في المستقبل بخلاف صيرورة الفصاحة ثانية فانقطع طمعهم عن الاتيان بمثله اذ
حسن ذلك لم يكن في مقدورهم ان هذا الا اساطير الاولين معناه ما هذا الا اساطير الاولين يتلوها علينا وكان قائل هذا النضر بن الحارث بن كلدة واسر يوم بدر
فقتله رسول الله صلى الله عليه وآله وعقبة بن ابي معيط قال يا علي علي بالنضر فاخذ علي عليه السلام بشعره وكان رجلا جميلا له شعر فجاء الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال
يا محمد اسألك بالرحم بيني وبينك الا اجريتني كرجل من قريش ان قتلتهم قتلتني وان فاديتهم فاديتني فقال صلى الله عليه وآله لا رحم بيني وبينك قطع الله الرحم بالاسلام قدمه
يا علي فاضرب عنقه فضرب عنقه ثم قال يا علي علي بعقبة فاحضر فقال يا محمد الم تقل لا تصبر قريش اي لا تقتلن صبرا قال او انت من قريش انما انت علج من اهل صفورية والله لانت في
الميلاد اكبر من ابيك الذي تدعى له قال فمن للصبية قال لهم النار ثم قال حن قدح ليس منها قال سعيد بن جبير قتل رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاثة من قريش صبرا
ابن عدي والنضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط واذ قالوا اي واذكر يا محمد اذ قالوا اي قال هؤلاء الكفار اللهم ان كان هذا الذي جاء به محمد هو الحق
من عندك دون ما نحن عليه فامطر علينا حجارة من السماء كما امطرتها على قوم لوط او ائتنا بعذاب اليم اي شديد مؤلم والقائل لذلك النضر بن الحارث
عن سعيد بن جبير ومجاهد وروي في الصحيحين ان هذا من قول ابي جهل ويسأل فيقال لم طلبوا العذاب من ثقة بالحق وانما يطلب الحق بالخير والثواب
الجواب انهم كانوا يعتقدون ان ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله ليس بحق من الله فاذا لم يكن حقا لم يصبهم شيء ويقال لم قال امطر من السماء والامطار
لا يكون الا من السماء وفي هذا جوابان احدهما انه يجوز ان يكون امطار الحجارة من مكان غير السماء والثاني انه على طريق البيان ثم قال سبحانه
وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم ذكر سبحانه سبب امهالهم ومعناه وما كان الله ليعذب اهل مكة بعذاب الاستئصال وانت معهم بين اظهرهم لفضلك
ورحمتك يا محمد فان الله تعالى بعثك رحمة للعالمين فلا يعذبهم الا بعد ان يفعلوا ما يستحقون به سلب النعمة باخراجك عنهم قال ابن عباس ان الله لم يعذب قوما حتى
يخرج نبيهم منها وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون معناه وما كان يعذبهم وفيهم بقية من المؤمنين بعد خروجك من مكة وذلك ان النبي
صلى الله عليه وآله لما خرج من مكة بقيت فيها بقية من المؤمنين لم يهاجروا لعذر وكانوا على عزم الهجرة فرفع الله العذاب عن مشركي مكة لحرمة استغفارهم
فلما خرجوا اذن الله في فتح مكة عن ابن عباس وعطية والضحاك واختاره الجبائي وقيل معناه وما يعذبهم الله بعذاب الاستئصال وهم يقولون غفرانك
ربنا وانما يعذبهم على شركهم في الآخرة عن ابن عباس في رواية اخرى ويزيد بن رومان وابي موسى ومحمد بن قيس وفي تفسير علي بن ابراهيم لما قال النبي صلى الله
عليه وآله لقريش اني اقتل جميع ملوك الدنيا واجر الملك اليكم فاجيبوني الى ما ادعوكم اليه تملكون بها العرب وتدين لكم العجم فقال ابو جهل اللهم
ان كان هذا هو الحق الاية حسدا لرسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال غفرانك اللهم فانزل الله وما كان الله ليعذبهم الاية ولما هموا بقتل رسول الله صلى الله
عليه وآله واخرجوه من مكة انزل الله سبحانه وما لهم ان لا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام فعذبهم الله بالسيف يوم بدر وقتلوا وقيل معناه
انهم لو استغفروا لم يعذبوا وفي ذلك استدعاء الى الاستغفار عن ابن عباس في رواية اخرى والسدي وقتادة وابن زيد قال مجاهد وفي اصلابهم
من يستغفر وقال عكرمة وهم يسلمون واراد بالاستغفار الاسلام وقد روي عن امير المؤمنين عليه السلام انه قال كان في الارض امانان من
عذاب الله وقد رفع احدهما فدونكم الاخر فتمسكوا به وقرأ هذه الاية وروي ذلك عن قتادة ايضا وما لهم ان لا يعذبهم الله معناه لم لا يعذبهم
الله واي امر يوجب ترك تعذيبهم وهم يصدون عن المسجد الحرام او يمنعون عن المسجد الحرام اولياءه فحذف لدلالة الكلام عليه وما كانوا اولياءه
اي وما كان المشركون اولياء المسجد الحرام وان سعوا في عمارته ان اولياؤه الا المتقون معناه وما اولياء المسجد الحرام الا المتقون عن الحسن وهو المروي

عن ابي جعفر عليه السلام وقيل معناه وما كانوا اولياء الله الا المتقون الذين يتركون معاصي الله ويجتنبونها والاول احسن فيقال وكيف يجمع بين
الايتين وفي الاولى نفي تعذيبهم وفي الثانية اثبات ذلك وجوابه على ثلاثة اوجه احدها ان المراد بالاول عذاب الاستئصال والاصطلام كما فعل بالامم
الماضية وبالثاني عذاب القتل بالسيف والاسر وغير ذلك بعد خروج المؤمنين من بينهم والاخر انه اراد وما لهم ان لا يعذبهم الله في الاخرة ويريد بالاول
عذاب الدنيا عن الجبائي والثالث ان الاول استدعاء للاستغفار يريد انه لا يعذبهم بعذاب دنيا ولا اخرة اذا استغفروا وتابوا فاذا لم يفعلوا
عذبوا ثم بين ان استحقاقهم للعذاب بصدهم الناس عن المسجد الحرام **قوله تعالى** وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب
بما كنتم تكفرون اية **القراءة** روي في الشواذ عن عاصم وما كان صلاتهم بالنصب الا مكاء وتصدية بالرفع وروي ذلك عن ابان بن تغلب **الحجة**
قال ابن جني لسنا ندفع ان جعل اسم كان نكرة وخبرها معرفة قبيح وانما جاءت منه ابيات شاذة لكن وراء ذلك ما اذكره وهو ان نكرة الجنس تفيد مفاد
معرفته الا تراك تقول خرجت فاذا الاسد بالباب فتجد معناه فاذا الاسد بالباب لا فرق بينهما وقالوا في الموضعين لا تجد لهم احدا من هذا
الجنس واذا جاز هنا الرفع لمكاء وتصدية جوازا قريبا كانه قال وما كان صلاتهم الا هذا الجنس من الفعل ولا يكون مثل ذلك كان قائم اخاك لانه ليس في
معنى الجنسية وايضا فانه يجوز مع النفي ما لا يجوز مع الايجاب الا تراك تقول ما كان انسان خيرا منك ولا تجيز كان انسان خيرا منك **اللغة** المكاء الصفير
والمكاء طائر يجيء الى الحجاز له صفير بالتشديد يقال مكا يمكو مكاء اذا صفر بفيه قال عنترة وحليل غانية تركت مجدلا تمكو فريصته كشدق الاعلم والتصدية التصفيق
وهو ضرب اليد على اليد ومنه الصدا صوت الجبل ونحوه **المعنى** ثم وصف سبحانه صلاتهم فقال وما كان صلاتهم اي صلاة هؤلاء المشركين الصادين
عن المسجد الحرام الا مكاء وتصدية قال ابن عباس كانت قريش يطوفون بالبيت عراة يصفرون ويصفقون وصلاتهم معناه دعاؤهم اي يقيمون المكاء
والتصدية مكان الدعاء والتسبيح وقيل اراد ليس لهم صلاة ولا عبادة وانما يحصل منهم ما هو ضرب من اللهو واللعب والمسلمون يطيعون الله ويعبدونه عند هذا
البيت فلم يمنع المشركين منه وروي ان النبي صلى الله عليه وآله كان اذا صلى في المسجد الحرام قام رجلان من بني عبد الدار عن يمينه فيصفران ورجلان عن يساره
يصفقان بايديهما فيخلطان عليه صلاته فقتلهم الله جميعا ببدر ولهم يقول ولبقية بني عبد الدار فذوقوا العذاب يعني عذاب السيف يوم بدر عن الحسن والضحاك
وقيل عذاب الاخرة وعلى هذا فيكون في الكلام حذف فيقال لهم ذوقوا فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بتوحيد الله **قوله تعالى** ان الذين كفروا ينفقون اموالهم
ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا الى جهنم يحشرون ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض
فيركمه جميعا فيجعله في جهنم اولئك هم الخاسرون ثلاث ايات بصري واية عند غيرهم عد البصري يغلبون اية **اللغة** الحسرة الغم بما انكشف من فوت استدراك
الخطيئة واصله الكشف من قولهم حسر عن ذراعه يحسر حسرا والتمييز اخراج الشيء مما خالفه مما ليس منه والحاقه بما هو منه يقال ميزته تمييزا ومزته ميزا فامتاز وانماز
الازهري الركم جمعك الشيء فوق الشيء حتى تجعله ركاما مركوما كركام الرمل والسحاب ونحو ذلك **النزول** قيل نزلت في ابي سفيان بن حرب استأجر
يوم احد الفين من الاحابيش يقاتل بهم النبي صلى الله عليه وآله سوى من استجاشهم من العرب وفيهم يقول كعب بن مالك فجئنا الى موج من البحر وسطه احابيش
منهم حاسر ومقنع ثلاثة الاف ونحن نصية ثلاث مئين ان كثرن فاربع عن سعيد بن جبير ومجاهد وقيل نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا ابو جهل
بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وابو البختري بن هشام والنضر بن الحارث وحكيم بن حزام وابي بن خلف وزمعة بن الاسود
والحارث بن عامر بن نوفل والعباس بن عبد المطلب وكلهم من قريش وكان يطعم كل واحد منهم عشر جزر وكانت النوبة يوم الهزيمة للعباس عن الكلبي والضحاك
ومقاتل وقيل لما اصيبت قريش يوم بدر فرجع فلهم الى مكة مشى صفوان بن امية وعكرمة بن ابي جهل في رجال من قريش اصيب اباؤهم واخوانهم ببدر فكلموا ابا سفيان
بن حرب ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة فقالوا يا معشر قريش ان محمدا قد وتركم وقتل خياركم فاعينونا بهذا المال الذي افلت على حربه لعلنا ان ندرك
ثأرنا بمن اصيب منا ففعلوا فانزل الله هذه الاية فيهم رواه محمد بن اسحق عن رجاله **المعنى** ثم ذكر سبحانه انفاق المشركين اموالهم في معصية الله تعالى
فقال ان الذين كفروا ينفقون اموالهم في قتال المؤمنين والرسول ليصدوا عن سبيل الله اي ليمنعوا بذلك الناس عن دين الله الذي اتى محمد صلى الله عليه وآله
وانما قال ليصدوا وانما لم يقصدوا ذلك من حيث لا يعلموا ان ذلك دين الله لان فعلهم ذلك كان صدا عن دين الله وان لم يقصدوا ذلك فسينفقونها
معناه سيقع منهم الانفاق لها ثم تكون عليهم حسرة معناه ثم ينكشف لهم ويظهر من ذلك الانفاق ما يكون حسرة عليهم من حيث انهم لا ينتفعون بذلك
الانفاق لا في الدنيا ولا في الاخرة بل يكون وبالا عليهم ثم يغلبون في الحرب اي يغلبهم المؤمنون وفي هذا دلالة على صحة نبوة النبي صلى الله عليه وآله لانه
اخبر بالشيء قبل كونه فوجد على ما اخبر والذين كفروا الى جهنم يحشرون اي يجمعون الى النار بعد حشرهم في الدنيا ووقوع الظفر بهم وقتلهم وانما اعاد قوله والذين

كفروا الا جماعة ممن اتفقوا السلام بعد نحو منهم من مات على كفره بوعيد الآخرة ليميز الله الخبيث من الطيب معناه ليميز الله نفقة الكافرين من نفقة المؤمنين
ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه اي يجمعه جميعا في الآخرة فيجعله في جهنم فيعاقبهم بها كما قال يوم يحمى عليها في نار جهنم الآية وقيل معناه ليميز الله الكافرين من المؤمنين في
الدنيا بالغلبة والنصر والاسماء الحسنة والاحكام المخصوصة وفي الآخرة بالثواب والجنة من اسلم وقيل بان يجعل الكافر في جهنم والمؤمن في الجنة ويجعل
الخبيث بعضه على بعض في جهنم ويضيقها عليهم فيركمه جميعا اي يجمع الخبيث حتى يصير كالسحاب المركوم بان يكون بعضهم فوق بعض في النار مجتمعين فيجعله في جهنم
فيدخله جهنم اولئك هم الخاسرون فخسروا انفسهم لانهم اشتروا بانفاق الاموال في المعصية عذاب الله في الآخرة قوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم
ما قد سلف وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير وان تولوا فاعلموا ان
الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير ثلاث آيات اللغة الانتهاء الاقلاع عن الشيء لاجل النهي يقال نهاه عن كذا فانتهى والسنة والطريقة والسيرة نظائر وهي
ما لا تخرج عن سنن يستمر عليها فاول من سنها من يسيرها والسلوف التقدم والتولي عن الدين والذهاب عنه الى خلافه والتولي فيه هو الذهاب الى جهة الحق ومتابعته الاعراب
وان تولوا شرط وقوله فاعلموا ان الله مولاكم في موضع الجواب وانما جاز ذلك لان فيه معنى الجزاء فكانه قال فواجب عليكم العلم بان الله مولاكم المعنى ثم امر سبحانه نبيه
صلى الله عليه وآله والمؤمنين بدعائهم الى التوبة والايمان فقال قل يا محمد للذين كفروا ان ينتهوا اي يتوبوا مما هم عليه من الشرك ويمتنعوا منه يغفر لهم ما سلف اي مضى من ذنوبهم
وقيل معناه ان ينتهوا عن المحاربة الى الموادعة يغفر لهم ما قد سلف من المعاقبة وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين معناه وان يعودوا الى القتال ولم يتوبوا
على الكفر فقد مضت سنة الله في اهلاككم وعادته في نصر المؤمنين وكبت اعداء الدين والاسر والاسترقاق والاذلال وذكر ذلك تهديدا لهم واضاف السنة اليهم لانها
كانت تجري عليهم وقال سنة من قد ارسلنا فاضاف السنة الى الرسل لانها كانت تجري على ايديهم ثم قال ولا تجد لسنتنا تحويلا فاضاف الى نفسه لانه هو المجري لها
وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وآله والمؤمنين بان يقاتلوا الكفار حتى لا يكون فتنة هذا الشرك عن ابن عباس والحسن ومعناه حتى
لا يكون كافر بغير عهد لان الكافر اذا كان بغير عهد كان عزيزا في قومه ويدعو الناس الى دينه فيكون الفتنة في الدين وقيل حتى لا يفتن مؤمن عن دينه ويكون الدين
كله لله اي ويجتمع اهل الحق واهل الباطل على الدين الحق فيما يعتقدونه ويعملون به فيكون الدين حينئذ كله لله باجتماع الناس عليه وروى زرارة عن ابي عبد الله عليه السلام
انه قال لم يجئ تأويل هذه الآية ولو قد قام قائمنا بعد سيرى من يدركه ما يكون من تأويل هذه الآية وليبلغن دين محمد صلى الله عليه وآله ما بلغ الليل حتى لا يكون مشرك
على ظهر الارض كما قال الله تعالى فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير معناه فان رجعوا عن الكفر وانتهوا عنه فان الله يجازيهم باعمالهم مجازاة البصير بها الذي
لا يخفى عليه منها شيء وان تولوا اي اعرضوا عن دين الله وطاعته فاعلموا ايها المؤمنون ان الله مولاكم اي ناصركم وسيدكم وحافظكم فهو المولى اي نعم
السيد والحافظ ونعم النصير هو ينصر المؤمنين ويعينهم على طاعته ولا يخذل من هو ناصره قوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول
ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير اللغة الغنيمة ما اخذ
من اموال اهل الحرب من الكفار بقتال وهي هبة من الله للمسلمين والفيء ما اخذ بغير قتال وهو قول عطاء ومذهب الشافعي وهو المروي عن ائمتنا وقال قوم الغنيمة والفيء
واحد وادعوا ان هذه الآية ناسخة للتي في الحشر من قوله ما افاء الله على رسوله الآية واليتيم الذي مات ابوه وهو صغير قبل البلوغ وكل حيوان يتيم من قبل
امه الا الانسان فانه من قبل ابيه والمسكين الذي يخل له الصدقة وهو المحتاج الذي من شأنه ان تسكنه الحاجة عما ينهض به الغني وابن السبيل المسافر المنقطع
به في غير وطنه وانما قيل ابن السبيل لان السبيل اخرجه الى هذا المستقر كما اخرجه ابوه الى مستقره الاعراب فان لله خمسه قيل فتح ان لانه لا بد من تقدير يكون فيه على
ان فتقديره فيكون ما عطف عليه ... قوله واعلموا انما غنمتم من شيء يحتمل ان يكون فاعلموا
ان لله خمسه المعنى ثم بين سبحانه حكم الغنيمة فقال مخاطبا للمسلمين واعلموا انما غنمتم من شيء اي مما قل او كثر فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واختلف
العلماء في كيفية قسمة الخمس ومن يستحقه على اقوال احدها ما ذهب اليه اصحابنا وهو ان الخمس يقسم على ستة اسهم فسهم لله وسهم للرسول وهذان السهمان مع سهم
ذوي القربى للامام القائم مقام الرسول صلى الله عليه وآله وسهم ليتامى آل محمد وسهم لمساكينهم وسهم لابناء سبيلهم لا يشركهم في ذلك غيرهم لان الله سبحانه حرم عليهم
الصدقات لكونها اوساخ الناس وعوضهم من ذلك الخمس وروى ذلك الطبري عن علي بن الحسين زين العابدين ومحمد بن علي الباقر عليهما السلام وروى ايضا
عن ابي العالية والربيع انه يقسم على ستة اسهم الا انهما قالا سهم الله للكعبة والباقي لمن ذكره الله وهذا القسم مما يقتضيه ظاهر الكتاب ويقويه والثاني ان الخمس يقسم
على خمسة اسهم وان سهم الله والرسول واحد ويصرف هذا السهم الى الكراع والسلاح وهو المروي عن ابن عباس وابراهيم وقتادة وعطاء والثالث انه يقسم على
اربعة اسهم سهم ذوي القربى لقرابة النبي صلى الله عليه وآله والاسهم الثلاثة ذكرها بعد ذلك من سائر المسلمين وهو مذهب الشافعي والرابع انه يقسم على ثلاثة اسهم لان سهم الرسول

قد سقط بوفاته عندهم لان الانبياء لا يورثون فيما يزعمون وسهم ذوي القربى قد سقط لان ابا بكر وعمر لم يعطيا سهم ذوي القربى ولم ينكر ذلك احد من الصحابة عليهما
وهو مذهب ابي حنيفة واهل العراق ومنهم من قال لو اعطوا فقراء ذوي القربى سهما والآخرين ثلاثة اسهم جاز ولو جعلوا ذوي القربى اسوة الفقراء ولا يفرد لهم
سهم جاز واختلف في ذوي القربى فقيل هم بنو هاشم خاصة من ولد عبد المطلب لان هاشما لم يعقب الا منه عن ابن عباس ومجاهد واليه ذهب اصحابنا وقيل هم بنو هاشم بن عبد مناف
وبنو المطلب بن عبد مناف وهو مذهب الشافعي وروى ذلك عن جبير بن مطعم عن النبي صلى الله عليه وآله وقال اصحابنا ان الخمس واجب في كل فائدة تحصل للانسان
من المكاسب وارباح التجارات وفي الكنوز والمعادن والغوص وغير ذلك مما هو مذكور في الكتب ويمكن ان يستدل بهذه الآية على ذلك فان في
عرف اللغة يطلق على جميع ذلك اسم الغنم والغنيمة ونعود الى تأويل الآية قوله فان لله خمسه قيل افتتح الكلام بالله على جهة التيمن والتبرك لان الاشياء كلها
له عز وجل والمراد مصروف في الجهات المقربة الى الله تعالى والرسول قيل النبي صلى الله عليه وآله والسهم يجعله اسم ليصرفه في مؤنته وما فضل من ذلك يصرفه الى الكراع
والسلاح والمصالح ولذي القربى قال بعضهم سقط هذان السهمان بموت الرسول صلى الله عليه وآله على ما ذكرناه وقال الشافعي يصرف سهم الرسول الى الخيل و
الكراع في سبيل الله وسهم ذوي القربى لبني هاشم وبني المطلب يستحقونه بالاسم والنسب فيشترك فيه الغني والفقير وروى عن الحسن وقتادة ان سهم الله وسهم الرسول وسهم ذي القربى
للامام القائم من بعده ينفقه على نفسه وعياله ومصالح المسلمين وهو مثل مذهبنا واليتامى والمساكين وابن السبيل قال ان هذه الثلاثة الاصناف لا تخص جميع الناس
وانما يقسم على كل فريق منهم بقدر حاجتهم وعندنا ان هذه الثلاثة تختص باليتامى من بني هاشم ومساكينهم وابناء سبيلهم ان كنتم آمنتم بالله وما انزلنا على عبدنا
يوم الفرقان يوم التقى الجمعان اي فايقنوا ان الله ناصركم ان كنتم قد شاهدتم من نصره ما قد شاهدتم ويجوز ان يكون ان كنتم آمنتم بالله معناه اعلموا انما
غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول يامركم فيه بما يريد ان كنتم آمنتم فاقبلوا ما امرتم به من الغنيمة واعملوا به وما انزلنا على عبدنا اي وآمنتم بما انزلنا
على محمد صلى الله عليه وآله من القرآن وقيل من النصر وقيل من الملائكة اي علمتم ان ظفركم على عدوكم كان يوم الفرقان يعني يوم بدر لان الله تعالى فرق فيه بين
المسلمين والمشركين باعزاز هؤلاء وقمع اولئك يوم التقى الجمعان جمع المسلمين وهم ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا وجمع الكفار وهم بين تسعمائة الى الف من صناديد قريش و
رؤسائهم فهزموهم وقتلوا منهم زيادة على السبعين واسروا منهم مثل ذلك وكان يوم بدر يوم الجمعة لسبع عشرة ليلة مضت من شهر رمضان وقد روي ذلك عن ابي عبد الله
عليه السلام والله على كل شيء قدير وقد مر تفسيره في سورة البقرة وفي تفسير الثعلبي قال المنهال بن عمرو سألت علي بن الحسين عليه السلام وعبد الله بن محمد بن علي عن الخمس فقالا هو لنا فقلت
لعلي ان الله يقول واليتامى والمساكين وابن السبيل فقال ايتامنا ومساكيننا وروى العياشي باسناده عن ابي عبد الله عليه السلام قال كتب نجدة الحروري الى ابن عباس يسأله
عن موضع الخمس فكتب اليه ابن عباس اما الخمس فانا نزعم انه لنا ويزعم قومنا انه ليس لنا فصبرنا وعن ابي عبد الله عليه السلام قال ان الله تعالى لما حرم علينا الصدقة انزل لنا
الخمس فالصدقة علينا حرام والخمس لنا حلال والكرامة لنا حلال قوله تعالى اذ انتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب اسفل منكم ولو تواعدتم
لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وان الله لسميع عليم اذ يريكهم الله في
منامك قليلا ولو اراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الامر ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا ويقللكم في
اعينهم ليقضي الله امرا كان مفعولا والى الله ترجع الامور ثلاث آيات كوفي واربع عند غيرهم القراءة قرأ ابن كثير وابو عمرو بالعدوة بكسر العين والباقون بضمها وقرأ
نافع وابو بكر عن عاصم والبرجمي عن ابي بكر حيي باظهار اليائين وقرأ الباقون حي بالادغام الحجة الكسر والضم في العدوة لغتان قال الراعي في الكسر وعينان حمر مآقيهما
كما نظر العدوة الجؤذر وقال اوس بن حجر في الضم وفارس لا يحتل الحي عدوته ولوا سراعا وما هموا باقبال ومن ادغم حي فلاجتماع الحرفين الثاني يجري مجرى رد فادغم
من جاء في الحي المخفف وقد جاء هذا في الشعر وحيوا في عصابة من مواليهم كما عيت ببيضتها الحمامة ومن اختار الاظهار فلان الثاني لا يلزمه الادغام في مضارعه وهو يحيى فاجرى
الماضي على مشاكلة المستقبل اللغة العدوة شفير الوادي والعدوتان جانباه والجمع عدى وعدى والدنيا تأنيث الادنى من دنوت والقصوى
تأنيث الاقصى ومن كان من النعوت على فعلى من بنات الواو فان العرب تحوله الى الياء نحو الدنيا والعليا لاستثقالهم الواو مع ضم الاول الا ان اهل الحجاز قالوا القصوى
فاظهروا الواو وهو نادر وغيرهم يقولون القصيا والاقصى الابعد والقصي البعيد وقصوت عنه واقصيت اي تباعدت والركب جمع راكب مثل تاجر وتجر وصاحب و
صحب والسفول انحدار والسفل قرار والوهم شيء من السهو وهو معنى الجواب والمنام موضع كالمضجع موضع الاضطجاع والقلة نقصان عن عدة
كما ان الكثرة زيادة على العدة والتقليل تصغير العدد والقليل والكثير الاختلاف والنزاع والكل واحد ينازع صاحبه مما هو عليه والسلامة النجاة
من الآفة والسلم الاسلام يدخل في السلامة والسلم الامان مرافقة من السلامة والسلم بالحجاز المجلس من السلامة والصدر الموضع الذي
يكون فيه القلب وصدر المجلس اجله لانه موضع الرئيس والالتقاء الاجتماع الاتصال لان الاجتماع قد يكون بمعنى من غير اتصال كالاجتماع القوم في الدار وان

يكن هنالك القتال وبين العسكرين اذا انضافا التقيا لوقوع الصبر على الصبر **الاعراب** انما نصب اسفل لانه تقديره مكانا اسفل فهو موضع جر فهو غير منصرف ويجوز ان يكون منصوبا على الظرف على تقدير الركب مكانا اسفل منكم قال الزجاج ويجوز ان ترفع اسفل على انك تريد والركب اسفل منكم **المعنى** ثم بين سبحانه نصرة المسلمين ببدر فقال اذ انتم ايها المسلمون بالعدوة الدنيا قال ابن عباس يريد وانتم نزول بشفير الوادي الادنى الى المدينة وهم يعني المشركين بالعدوة القصوى اي نزول بالشفير الاقصى من المدينة والركب يعني ابا سفيان واصحابه وهم العير اسفل منكم اي بساحل البحر قال الكلبي كانوا على شط البحر بثلاثة اميال فذكر الله سبحانه مقاربة الفئتين من غير ميعاد وما كان المسلمون فيه من قلة الماء والرمل الذي توسخ فيه الارجل مع قلة العدد والعدة وما كان المشركون فيه من كثرة العدد وتوردهم على الماء والعير خلفهم وفيها اموالهم ثم مع هذا كله نصر المسلمين عليهم ليعلم ان النصر من عنده سبحانه ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد معناه ولو تواعدتم ايها المسلمون الاجتماع في الموضع الذي اجتمعتم فيه ثم بلغكم كثرة عددهم مع قلة عددكم لتاخرتم فنقضتم الميعاد عن ابن اسحق وقيل معناه لاختلفتم بما يعرض من العوائق والقواطع فذكر الميعاد تاكيدا في الاتفاق ولولا لطف الله مع ذلك لوقع على الاختلاف فكما قال الشاعر جرت الرياح على محل ديارهم فكانهم كانوا على ميعاد ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا معناه ولكن قدر الله التقاءكم وجمع بينكم وبينهم على غير ميعاد منكم ليقضي امرا كان كائنا لا محالة وهو اعزاز الدين واهله واذلال المشركين واهله ومعنى ليقضي ليظهر قضاءه ان الله تعالى قد قضى ما هو كائن ومعنى قوله مفعولا اي واجبا كونه لا محالة فقال للامر الكائن لا محالة هذا امر مفروغ منه وقيل معناه ليتم امرا كان في علمه مفعولا لا محالة من اظهار الاسلام واماتة الكفر على عدة الاصنام ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة اي يهلك ذلك ليموت من مات منهم بعد قيام الحجة عليه بما راى من المعجزات الباهرة للنبي صلى الله عليه وآله في حروبه وغيرها ويعيش من عاش منهم بعد قيام الحجة عليه وقيل ان البينة هي ما وعد الله من النصر للمؤمنين على الكافرين صار ذلك حجة على الناس في صدق النبي صلى الله عليه وآله فيما اتاهم به من عند الله تعالى وقيل معناه ليهلك من ضل بعد قيام الحجة ويكون حيوة الكافر وبقاؤه [illegible] هلاكه ويحيى من اهتدى بعد قيام الحجة عليه ويكون بقاء من بقي على الايمان حياة له وان الله لسميع لاقوالهم عليم بما في ضمائرهم فيجازيهم بحسب ما يكون منهم اذ يريكهم الله العامل في اذ ما تقدم وتقديره اذكر النصر اذ كنتم بشفير الوادي اذ يريكهم الله وقيل العامل فيه محذوف وتقديره واذكر يا محمد اذ المشركين اذ يريكهم الله اي يريك الله يا محمد المشركين في منامك قليلا ولو اراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الامر معناه ويريكم في نومك قليلا لتخبر المؤمنين بذلك فيجترئ المؤمنون على قتالهم وهو قول اكثر المفسرين وهذا جائز لان الرؤيا في النوم هو تصور يتوهم معه الرؤية في اليقظة ولا يكون ادراكا ولا علما بل كثير مما يراه الانسان في نومه يكون تعبيره بالعكس مما راه كما يكون تعبير البكاء ضحكا قال الرماني ويجوز ان يريه الله الشيء في المنام على خلاف ما هو به لان الرؤيا في المنام تخيل المعنى من غير قطع وان جامعه قطع من الانسان فعلى المعنى وانما ذلك على مثل ما تخيل الرأي من غير قطع على الشيء ولا يجوز ان يلهم الشيء على خلاف ما هو به لان ذلك يكون جهلا ولا يجوز ان يفعل الله سبحانه الجهل على ان يعبر المنام رؤيا [illegible] وفيها تاويل ورؤيا من وساوس الشيطان ورؤيا عليها الاخلاط ورؤيا من الامواد [illegible] الرؤيا من قبل الله تعالى الهام في المنام ورؤيا النبي صلى الله عليه وآله هذه كانت بشارة له وللمؤمنين بالغلبة وعن الحسن ان معنى قوله في منامك في موضع نومك اي عينك التي تنام بها وليس في الاية ان النوم وهو قول البلخي وهو بعيد وهو خلاف الظاهر ولو اراكهم كثيرا على ما كانوا عليه لجبنتم عن قتالهم وضعفتم ولتنازعتم في امر القتال فكان يختلف بعضكم في قتالكم ويعرض في القوم ويقول بعضكم لبعض نتقدم الى القتال ويتاخر [illegible] ولكن الله سلم اي سلم المؤمنين من الفشل والتنازع واختلاف الكلمة واضطراب الامر فيه [illegible] حتى [illegible] من عدوهم انه عليم بذات الصدور اي بما في قلوبكم يعلم انكم لو علمتم كثرتهم لجبنتم عن القتال واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله والمؤمنين والهاء والميم كناية عن المشركين اما الرؤيا في المنام للنبي صلى الله عليه وآله لان رؤيا الانبياء لا يكون [illegible] رؤية العين فقلل الله المشركين في اعين المؤمنين ليتجرءوا عليهم ويقللكم في اعينهم [illegible] المؤمنين في اعين المشركين [illegible] ذلك قوله ويقللكم في اعينهم [illegible] الرواية عن ابن مسعود انه قال قلت لرجل الى جنبي اتراهم سبعين قال اراهم مائة [illegible] ابو جهل خذوهم بالايدي اخذا ولا تقتلوهم [illegible] قيل كيف قللهم [illegible] مع رؤيتهم لهم فالقول انه يجوز ذلك ببعض الاسباب الدافعة من الرؤية اما بغبار او [illegible] فيتخيلونهم باعينهم قليلا [illegible] اللطف من الله تعالى ليقضي الله امرا كان مفعولا انما كرره الله سبحانه مع ذكره في الاية الاولى لتكرر الفائدة لان المعنى في الاية الاولى ليجمعكم من غير ميعاد ليقضي الله امرا كان مفعولا من [illegible] على تلك الصفة والمعنى هنا انه قلل كل فريق في عين صاحبه ليقضي الله امرا كان مفعولا من اعزاز الدين بجهادكم [illegible] واراد بالاول الوعد بالنصر [illegible] وقيل انما [illegible] للتاكيد وانما قال مفعولا والمعنى يكون مفعولا في المستقبل لتحقيق كونه لا محالة حتى صار بمنزلة ما قد كان لعلمه سبحانه انه كائن لا محالة والى الله ترجع الامور معناه **قوله تعالى**

يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط ثلث آيات **اللغة** الفئة [illegible] قال عبيد بن الابرص [illegible]

الفئة

افشلوا

يعم النعت [illegible] البطر الخروج عن موجب النعمة من شكرها واصل البطر الشق ومنه البيطار لانه يشق اللحم بالمبضع والرئاء اظهار الجميل ليرى مع ابطان القبيح **الاعراب** يصدون منصوب [illegible] جواب النهي لذلك عطف عليه وتذهب ريحكم ويصدون في محل النصب بالعطف على قوله بطرا ورئاء الناس وهما مصدران وضعا موضع الحال والمعنى بطرين ومرائين وصادين ولا يجوز ان يكون عطفا على خرجوا لانه لا يعطف مستقبل على ماض **المعنى** ثم امر سبحانه بالثبات والقتال في الحرب فقال يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فئة اي جماعة كافرة فاثبتوا لقتالهم ولا تنهزموا وانما اطلق الفئة لانه من المعلوم ان المؤمن لا يقاتل الا الفئة الكافرة او الباغية في حروب الجهاد واذكروا الله كثيرا مستعينين على قتالهم ومستوضحين النصر عليهم وقيل معناه واذكروا ما وعدكم الله من النصر على الاعداء في الدنيا والثواب في الاخرة ليدعوكم ذلك الى الثبات في القتال لعلكم تفلحون اي لكي تظفروا وتفوزوا بالنصر والظفر بهم وبالثواب عند الله يوم القيمة واطيعوا الله ورسوله فيما يامركم به ولا تنازعوا فتفشلوا اي لا تختلفوا في لقاء العدو [illegible] تجبنوا عن عدوكم ولا تضعفوا عن قتالهم وتذهب ريحكم معناه وتذهب صولتكم وقوتكم وقال مجاهد نصرتكم وقال الاخفش دولتكم والريح هنا كناية عن نفاذ الامر وجريانه على المراد تقول العرب هبت ريح فلان اذا جرى امره على ما يريد وركدت ريحه اذا ادبر امره وقيل ان المعنى ريح النصر التي يبعثها الله مع من ينصره على من يخذله عن قتادة وابن زيد ومنه قوله صلى الله عليه وآله نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور واصبروا على قتال الاعداء ان الله مع الصابرين بالنصر والمعونة ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا اي بطرين يعني قريشا خرجوا من مكة ليحموا عيرهم فخرجوا معهم بالقيان والمعازف يشربون الخمور وتعزف عليهم القيان ورئاء الناس قيل انهم كانوا يدينون بعبادة الاصنام فاظهروا التقرب بذلك الى الناس [illegible] والناس انهم لا يبالون بالمسلمين وفي قلوبهم من [illegible] الله سبحانه ذلك ويصدون عن سبيل الله اي يمنعون غيرهم عن دين الله والله بما يعملون محيط اي عالم باعمالهم فيجازيهم عليها لا يخفى عليه شيء منها **النزول** قال ابن عباس لما راى ابو سفيان انه احرز عيره ارسل الى قريش ان ارجعوا فقال ابو جهل والله لا نرجع حتى نرد بدرا وكان بدر موسما من مواسم العرب يجتمع لهم بها سوق كل عام فنقيم بها ثلاثا وننحر الجزر ونطعم الطعام ونسقي الخمر وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا ابدا فوافوها فسقوا بها كؤوس المنايا وناحت عليهم النوائح **قوله تعالى** واذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله والله شديد العقاب **المعنى** واذ زين لهم الشيطان اعمالهم عطف على ما تقدم [illegible] حال المشركين في خروجهم بطرا ورئاء الناس يعني وقت تزيين الشيطان اعمالهم وقيل انه يعني واذكر اذ زين الشيطان للمشركين اعمالهم اي حسنها في نفوسهم وذلك ان ابليس حسن لقريش مسيرهم الى بدر لقتال النبي صلى الله عليه وآله وقال لا غالب لكم اليوم من الناس اي لا يغلبكم احد من الناس لكثرة عددكم وقوتكم واني مع ذلك جار لكم اي ناصر لكم ودافع عنكم السوء وقيل معناه واني عاقد لكم عقد الامان من عدوكم من قوله وهو يجير ولا يجار عليه فلما تراءت الفئتان اي التقى الفريقان نكص على عقبيه اي رجع القهقرى منهزما وراءه وقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اي رجعت [illegible] الامان والسلامة اني ارى من الملائكة الذين جاءوا لنصر المؤمنين ما لا ترون وكان ابليس يعرف الملائكة وهم كانوا يعرفونه اني اخاف الله عذاب الله على ايدي من اراهم والله شديد العقاب اي لا يطاق عقابه وقيل معناه اني اخاف ان يكون قد حل الوقت الذي انظرت اليه فان الملائكة لا ينزلون الا لقيام الساعة او للعقاب وقال قتادة كذب عدو الله ما به مخافة ولكنه علم انه لا قوة له ولا منعة وذلك عادة عدو الله لمن اطاعه حتى اذا التقى الحق والباطل اسلمهم وتبرأ منهم وعلى هذا فيكون قوله اني ارى ما لا ترون معناه اعلم ما لا تعلمون واخاف الله ان يهلكني فيمن يهلك واختلف في ظهوره يوم بدر كيف كان فقيل ان قريشا لما اجتمعت للمسير ذكرت الذي بينها وبين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب فكاد ذلك ان يثنيهم فجاء ابليس في جند من الشياطين فتبدى لهم في صورة سراقة بن مالك بن جعشم الكناني ثم المدلجي وكان من اشراف كنانة فقال لهم لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم اي مجير لكم من كنانة كما قال الشاعر [illegible] فلما راى ابليس الملائكة تنزل من السماء وعلم انه لا طاقة له بهم نكص على عقبيه عن ابن عباس والسدي والكلبي وغيرهم وقيل انهم لما التقوا كان ابليس في صف المشركين اخذا بيد الحرث بن هشام فنكص على عقبيه فقال له الحرث يا سراقة اين اتخذلنا على هذه الحالة فقال له اني ارى ما لا ترون فقال والله ما نرى الا جعاسيس يثرب فدفع في صدر الحرث وانطلق وانهزم الناس فلما قدموا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فقالوا انك اتيتنا يوم كذا فحلف لهم فلما اسلموا علموا ان ذلك كان الشيطان عن الكلبي وروي ذلك عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام وقيل ان ابليس لا يقدر على قلب صورته ولبس صورة سراقة ولكن الله تعالى جعل ابليس في صورة سراقة علما للنبي صلى الله عليه وآله وانما فعل ذلك لانه علم انه لو لم يبق المشركين [illegible] الى قتال المسلمين فانهم لا يخرجون من ديارهم حتى [illegible] من بني كنانة فصوره بصورة سراقة حتى تم المراد في اعزاز المسلمين [illegible] وقيل ان ابليس لم يتصور في صورة انسان وانما قال لهم ذلك على وجه الوسوسة عن الحسن واختاره [illegible] والاول هو المشهور في التفاسير [illegible] كلام الشيخ المفيد ابي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان [illegible] انه يجوز ان [illegible] الله

٣٨٦

الخزي من جودهم على ان يجمعوا او يعقد والبعض جوارحهم على بعض حتى يمكن الناس من رؤيتهم ويختبئوا بغيرهم من انواع الحيوان لان اجسامهم من الرقة على ما لا يمكن
ذلك فيها وقد وجدنا الانسان يجمع الهوى ويفرقه ويغير صور الاجسام الرخوة ضروبا من التغيير واعيانها لم تزد ولم تنقص وقد استفاض الخبر بان ابليس ترائى لاهل
دار الندوة في صورة شيخ من اهل نجد وحضر يوم بدر في صورة سراقة وان جبرئيل عليه السلام ظهر لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله في صورة دحية الكلبي قال وغير
محال ان يغير الله صورهم ويكثفها في بعض الاحوال فيراهم الناس لضرب من الامتحان **قوله تعالى** اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم ومن
يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد
ثلاث آيات **القراءة** من قرأ بالتاء فلاسناد الفعل الى الملائكة ولان التأنيث غير حقيقي **الاعراب** العامل في اذ يجوز ان يكون الابتداء والتقدير ذلك اذ تقول ويجوز ان
يكون التقدير اذكر اذ يقول وجواب لو محذوف وتقديره لرأيت منظرا عظيما وامرا هائلا وحذف الجواب هنا ابلغ فان ذلك يحتمل وجوها ومع الحذف الاحتمال
لوجوه كثيرة وموضع ذلك بما قدمت ايديكم يحتمل وجهين من الاعراب احدهما الرفع بكونه خبر ذلك والثاني النصب ان يكون منصوبا بمحذوف وتقديره ذلك الجزاء او لكم بما قدمت
ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد ويحتمل ان يكون محله نصبا بتقدير وبان الله او جرا على الحذف فيه ويحتمل ان يكون محله رفعا بتقدير وذلك ان الله كما يقوله
المعنى اذ يقول المنافقون هذا يتعلق بما قبله معناه واذ زين لهم الشيطان اعمالهم اذ يقول المنافقون فلذلك الواو وهم الذين يبطنون الكفر ويظهرون الايمان و
الذين في قلوبهم مرض وهم الشاكون في الاسلام مع المنافقين الايمان وقيل انهم فئة من قريش اسلموا بمكة واحتبسهم اباؤهم فخرجوا مع قريش يوم بدر وهم قيس بن الوليد بن
المغيرة وعلي بن امية بن خلف والعاص بن منبه والحارث بن ربيعة وابو قيس بن الفاكه بن المغيرة لما رأوا قلة المسلمين قالوا غر هؤلاء دينهم اي غر المسلمين دينهم حتى خرجوا
مع قلتهم لاجل دينهم الى قتال المشركين مع كثرتهم ولم يحسبوا النظر لانفسهم حين اغتروا بقول نبيهم فبين الله تعالى انهم هم المغرورون ومن يتوكل على الله فان الله
عزيز حكيم معناه ومن يسلم لامر الله ويثق به ويرضى بفعله وان قل عددهم فان الله ينصرهم على اعدائهم وهو عزيز لا يغلب من توكل وهو حكيم يضع الامور في مواضعها
على ما يقتضيه الحكمة ولو ترى يا محمد اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة اي يقبضون ارواحهم عند الموت يضربون وجوههم وادبارهم يريد استاههم ولكن الله حيي
يكني عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقيل وجوههم ما اقبل منهم وادبارهم ما ادبر منهم والمراد يضربون اجسادهم من قدامهم ومن خلفهم والمراد به قتلى بدر عن ابن عباس
ومجاهد وسعيد بن جبير واكثر المفسرين وقيل معناه سيضربهم الملائكة عند الموت قال الرماني وهذا غلط لانه خلاف الظاهر وعن الحسن ان رجلا قال يا رسول الله اني رأيت
بظهر ابي جهل مثل الشراك فقال صلى الله عليه وآله ذاك ضرب الملائكة وروى مجاهد ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وآله اني حملت على رجل من المشركين فذهبت لاضربه
فندر رأسه فقال سبقك اليه الملك وذوقوا عذاب الحريق اي ويقول الملائكة للكفار استخفافا بهم ذوقوا عذاب الحريق بعد هذا في الآخرة وقيل انه كان مع الملائكة
يوم بدر مقامع من حديد كلما ضربوا المشركين بها التهبت النار في جراحاتهم فذلك قوله وذوقوا عذاب الحريق ذلك اي ذلك العقاب لكم بما قدمت ايديكم اي بما قدمتم وفعلتم
وانما اضاف الى اليد على التغليب لان اكثر الافعال تكون باليد والمراد بذلك جناياتكم الكفر والمعاصي وان الله ليس بظلام للعبيد اي لا يظلم عباده في عقوبتهم من جهة
انما عاقبهم بجناياتهم على قدر استحقاقهم وفي هذا دلالة واضحة على بطلان مذهب المجبرة ان الله يخلق الكفر ثم يعذب عليه ولا يجوز ان يعذب من غير ذنب التعذيب
من غير ذنب لان هذا غاية الظلم وقد بالغ عز اسمه في نفي الظلم عن نفسه بقوله ليس بظلام **قوله تعالى** كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فأخذهم الله
بذنوبهم ان الله قوي شديد العقاب ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم وان الله سميع عليم كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم
فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين **اللغة** الدأب العادة والطريقة يقال ما زال ذلك دأبه ودينه وديدنه وقال ابو حاتم الدأب دأبه العمل دأب
يدأب في كذا اذا دام عليه ومنه دليب مثل كدأب يجري مجرى عادة قد احدث ... حتى يجادلته ... وتنازع والتغيير
تصيير الشيء على خلاف ما كان **الاعراب** كدأب الكاف في موضع رفع بانه خبر المبتدأ كانه قال دأبهم كدأب آل فرعون والنصب بالاستقرار
فرعون لم يك اصله يكون فحذفت الواو للجزم ثم حذفت النون استخفافا لكثرة الاستعمال مع انه لا يتم بالحذف خلافا لا في المعنى لان كان ويكون ام الافعال الاترى
ان كل فعل فيه معناها لانك اذا قلت ضرب فمعناه كان ضرب ويضرب معناه يكون ضرب فلما قرب باقام الافعال لكثرة استعمالها احتمل الحذف ولم يحتمل
ذلك مثل يصون **المعنى** ثم بين سبحانه ان حال هؤلاء الكفار كحال الذين من قبلهم فقال كدأب آل فرعون اي عادة هؤلاء المشركين في الكفر بمحمد صلى الله عليه وآله
كعادة آل فرعون والذين من قبلهم في الكفر بالرسل وما نزل اليهم وقيل معناه عقوبة هؤلاء الكفار كعقوبة آل فرعون وآل فرعون اتباعه والقريبين اليه
واصحاب فرعون الاصحاب من الصحبة وكثرة الموافقة في المذهب ولا يقال لا في اصحاب الشافعي وابي حنيفة والمراد الموافقة في المذهب ولا يقال آل الشافعي
الا لمن يرجعون اليه بالنسب والحكم الا قرب الذين كفروا بآيات الله كفر هؤلاء فأخذهم الله اي عاقبهم الله بذنوبهم ان الله قوي اي قادر لا يمتنع عليه شيء ولا ...

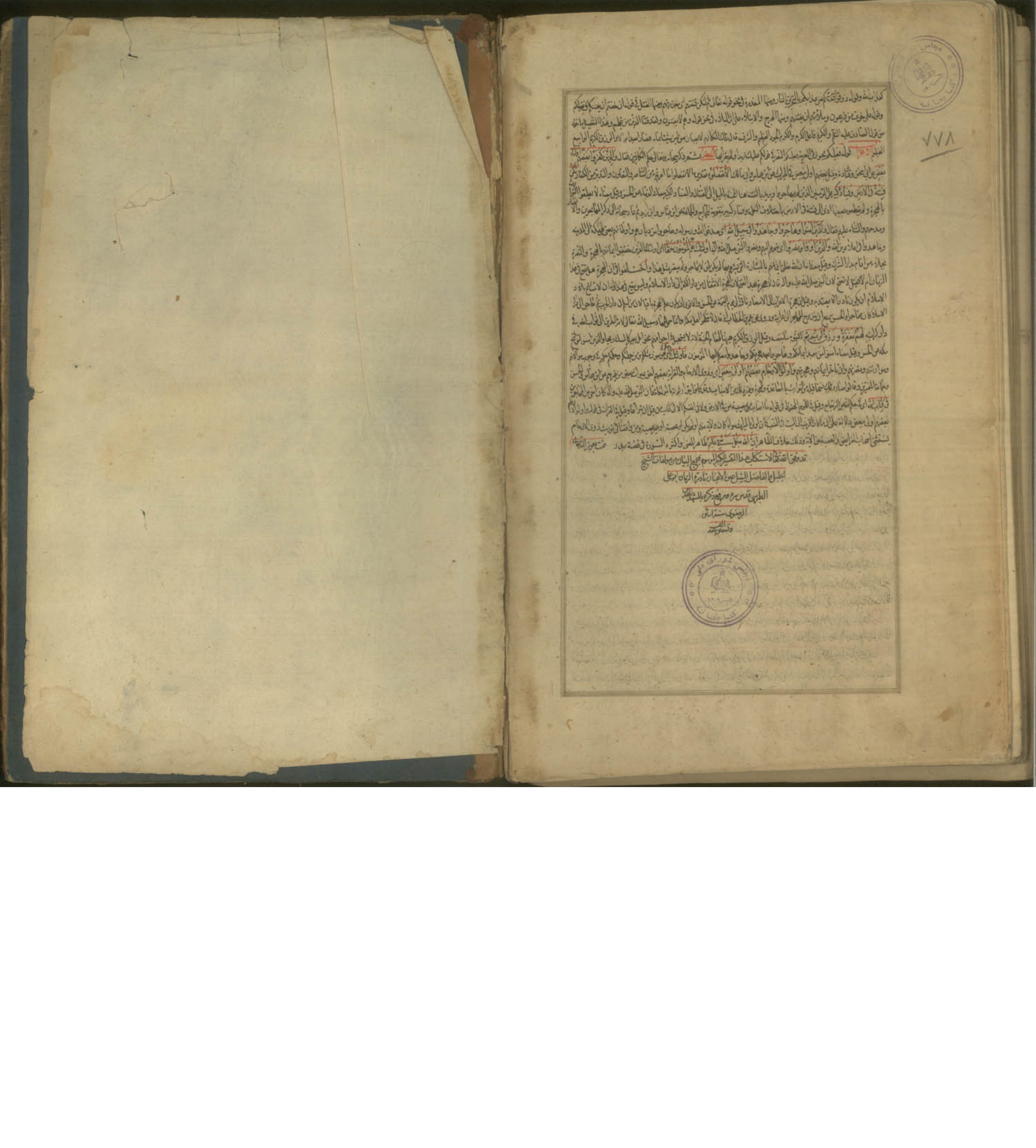
العقاب لمن يستحقه ولا يوصف الله سبحانه بانه شديد لان الشديد هو المتداخل على صعوبة تفككه وانما العقاب بالشدة دون نفسه
شبه حال المشركين في تكذيبهم بآيات الله بحال آل فرعون لان تعجيل العقاب لهؤلاء بالاهلاك كتعجيله لاولئك بعذاب الاستيصال ذلك اي ذلك الاخذ
العقاب لهم بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما من احوالهم المرضية الى حوال لا يحمد لهم ان يغيروا اليها وهو ان يبدلوا المعصية بالطاعة وكفران
النعمة بشكرها وقد يبدل الله النعمة على وجه المصلحة لا وجه العقاب امتحانا بالمصلحة يعلمها في ذلك ويمكن لا يبدلها بافضل النعمة على وجه العقاب لانه
من يستحق العقاب قال السدي النعمة التي انعمها الله محمد صلى الله عليه وآله انعم الله به على قريش فكفروا به وكذبوه فنقله الى الانصار وان الله سميع لاقوالهم عليم
بضمائرهم وبافعالهم كدأب آل فرعون والذين من قبلهم اي كعادتهم وطريقتهم كذبوا بآيات الله عادة هؤلاء كذبوا بآيات ربهم اي بحججه وبيناته فاهلكناهم
بذنوبهم اي استأصلناهم واغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين اي كل هؤلاء المهلكين كانوا ظالمين لانفسهم لا يعاقب في تعاقبهم الا من استحقاق
وانما كرر قوله كدأب آل فرعون لانه اراد بالاول بيان حالهم واستحقاقهم عذاب الآخرة وفي الثاني بيان استحقاق العذاب في الدنيا وقيل ان في الاول تشبيه
حالهم بحالهم في الاستيصال وقيل الاول في اخذهم بالعذاب والثاني في كيفية العذاب وقيل ان فرعون كانوا على حال متقدمة في المعصية فبين ان كذا هؤلاء
ايام في تلك الاحوال **قوله تعالى** ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم
لا يتقون ايتان **الاعراب** فهم لا يؤمنون الفاء لعطف جملة على جملة في الصلة كانه قال كفروا مصممين على الكفر فهم لا يؤمنون والاحسن عطف جملة
اسمية على جملة فعلية لما فيها من الشادة الى معنى الحال وذلك الانسان باتم الكفر واصرارهم عليه ادى الى الحال في انهم لا يؤمنون وقوله ثم ينقضون عطف المستقبل
على الماضي لان المعنى انه من شانهم نقض العهد مرة في مستقبل اوقاتهم بعد العهد اليهم **المعنى** ثم وصف الله سبحانه الكفار فقال ان شر الدواب عند الله
اي شر من يدب على وجه الارض في معلوم الله او في حكم الله الذين كفروا واصروا على كفرهم فهم لا يؤمنون هذا الخبر عن قوم من المشركين وقيل انهم
لا يؤمنون الا ما خرج الخبر عنه في المخبر انهم مشركين ثم وصفهم والذين عاهدت منهم اي من جملتهم والضمير العائد الى الذين محذوف لي الذين عاهدتهم منهم اي من
المشركين وقيل ان من مزيدة وانما دخلت لان معنى عاهدتم اخذت العهد منهم وكما قال ادخلكم لان معنى ادخل قرب فحمل بما يعمل به وقيل معناه عاهد
معهم في لغة هذا ادنيه يهود بني قريظة فانهم كانوا عاهدوا النبي صلى الله عليه وآله على ان لا يضروه ولا يمالوا عليه عدوا ثم مالوا عليه الاحزاب يوم
الخندق واعانوهم عليه بالسلاح وعاهدوا مرة بعد اخرى فنقضوا فانتقم الله منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة اي كلما عاهدتم نقضوا العهد ولم يعوا به ولا
هم لا يتقون نقض العهد وقيل لا يتقون عذاب الله تعالى **قوله تعالى** فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون واما تخافن من قوم خيانة
فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين **اللغة** الثقف الظفر والادراك والتشريد التفريق على اضطراب الجناية نقض يفعله او تفرق عليه والنبذ القاء الخبر على
من لا يعلمه والسواء العدل قال الراجز فاضرب وجوه الغدر الاعداء حتى يجيبوك على السواء اي الى العدل وقيل الوسط سواء لاعتداله الى الجهات قال حسان
يا ويح انصار النبي ورهطه بعد المغيب في سواء الملحد اي في وسطه وقيل معنى قوله على سواء اي على استواء العلم به **الاعراب** اما تثقفنهم اما هي ان دخلت في
التأكيد لما دخلت ما وقولهم تدخلها المحسن دخول النون لان دخولها بالدخول القسم في انه علامة توذن انه من مواضع تأكيد اللطف التصديق لان النون
تدخل في تأكيد الطلب لجلها على الله وهي في ستة مواضع الامر والنهي والاستفهام والعرض والقسم والجزاء مع ما **المعنى** ثم حكى سبحانه في هؤلاء الناقضين
للعهد فقال النبي صلى الله عليه وآله فاما تثقفنهم في الحرب معناه فاما تصادفنهم اي تظفرن بهم وادركتهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم اي فنكل بهم تنكيلا والرجعوا بما نزل
بهم من يعدهم ونظرهم وتتبعهم من نقض العهد بان نظروا اليهم نضروا بهم فلا ينقض العهد ويعتبر في البلاد وتحافة ان نعاملهم به وان يحل بهم ما حل
بهم وهذا معنى قول ابن عباس والحسن وقتادة وسعيد بن جبير والسدي وقال الزجاج معناه افعل بهم فعلا من القتل يفرق به من خلفهم وقيل ان معنى شرد بهم سمع بهم
بلغة قريش قال الشاعر اطوف في الاباطح كل يوم مخافة ان يشرد بي حكيم لعلهم يذكرون اي لكي يتذكروا ويتعظوا وينزجروا عن مثل ذلك واما تخافن من قوم
خيانة معناه وان خفت يا محمد من قوم بينك وبينهم عهد خيانة فيهم لان الخيانة انما تكون نقض العهد ولم يظهر نقض العهد بعد فانبذ اليهم على سواء
اي فالق اليهم ما بينك وبينهم من العهد واعلمهم بانك قد نقضت ما شرطت لهم لتكونوا انت وهم في العلم بالنقض على سواء ولا تبدأهم بالقتال من قبل ان تعلمهم
نقض العهد حتى لا ينسبوك الى الغدر بهم فهذا معنى قوله على سواء على عدل ان كان بينك وبينهم عهد بغير مال واعلمهم بانك قد نقضت عهدهم ان كان العهد
على مال او المال العظيم ثم انقض العهد ان الله لا يحب الخائنين اي ينقضهم معناه فاذا هم بان يبدأهم بالقتال من غير اعلام بنقض العهد وقال الواقدي هذه الآية نزلت

لئن يقتتلوا وبهذه الآية صار النبي صلى الله عليه وآله اليهم. قوله تعالى: ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل
ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون وان جنحوا للسلم فاجنح
لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم ثلاث آيات. القراءة: قرأ ابن عامر وابو جعفر وحمزة وحفص ولا يحسبن بالياء والباقون بالتاء. وقرأ ابن عامر انهم
لا يعجزون بالفتح والباقون انهم بالكسر وقرأ رويس وروح ترهبون بالتشديد والباقون ترهبون بالتخفيف وقرأ ابو بكر السلم بكسر السين والباقون بفتح السين. الحجة: من قرأ
لا تحسبن بالتاء فالذين كفروا المفعول الاول وسبقوا في موضع نصب بكونه المفعول الثاني ومن قرأ بالياء فلا يخلو من ان يكون يجعل الذين كفروا الفاعل
وهذا لا يجوز لان يحسبن لا بد له من مفعولين ولكنه يحمل على احد ثلاثة اشياء. اما ان يكون فاعله النبي صلى الله عليه وآله وتقديره ولا يحسبن النبي الذين كفروا
سبقوا واما ان يكون تقديره على حذف أن كأنه قال ولا يحسبن الذين كفروا ان سبقوا فحذف أن كما حذف في تأويل سيبويه افغير الله تأمروني اعبد كأنه قال
افغير عبادة الله تأمروني قال الزجاج ويقوي هذا الوجه انها في حرف ابن مسعود انهم سبقوا واذا كان كذلك فهو بمنزلة قولك حسبت ان اقوم وحسبت
اقوم على حذف أن واذا وجهته على هذا فقد سد ان سبقوا مسد المفعولين كما ان قوله احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا كذلك واما ان يكون
اضمر المفعول الاول وتقديره ولا يحسبن الذين كفروا اياهم سبقوا وايام سبقوا ومن قرأ انهم لا يعجزون بكسر الالف يكون على الاستيناف كما ان قوله
ساء ما يحكمون منقطع من الجملة التي قبلها وهو ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا ومن قرأ انهم لا يعجزون جعله متعلقا بالجملة الاولى وتقديره لا تحسبنهم
سبقوا لانهم لا يفوتون ومن قرأ ترهبون فهو من قولهم فلان يرهب تعدى تارة بالهمزة وتارة بالتثقيل فقال رهبته وارهبته واما السلم والسلم فان
معناهما الصلح. اللغة: السبق تقدم الشيء على طالب اللحوق به والاعجاز ما يعجز عنه والعجز معنى عند ابي علي وابي القاسم البلخي وليس بمعنى عند ابي هاشم واصحابه بل
هو عدم. وذهب اليه المرتضى والاعداد اتخاذ الشيء لغيره مما يحتاج اليه في امره والاستطاعة معنى يطاع بها الجوارح للفعل مع انتفاع المنع والقوة الممكنة
من الفعل يقال ربط يربط ربطا وربطه ربطا وارتبط ارتباطا ورباطا والارهاب ازعاج النفس بالخوف والجنوح الميل ومنه جناح الطائر لانه
يميل به في احد شقيه ولا جناح عليه اي لا ميل الى مأثم. الاعراب: لا يعجزون بفتح النون هي القراءة ويجوز كسرها على معنى لا يعجزونني وتحذف النون الاولى لاجتماع
النونين كما قال الشاعر: تراه كالثغام يعل مسكا يسوء الفاليات اذا فليني. يريد فلينني وآخرين من دونهم منصوب على تقدير وترهبون ويجوز ان يكون على تقدير واعدوا
لهم ولآخرين فيكون مجرورا عطفا على الهاء والميم. المعنى: لما تقدم الامر بالنكال بالكفار عقبه سبحانه بعد النصر والامر بالاعداد لقتالهم فقال ولا تحسبن
الذين كفروا سبقوا معناه لا تحسبن يا محمد اصحاب الكافرين فتوا وسبقوا امر الله واعجزوه وانهم قد فاتوك فان الله سبحانه يظفرك بهم كما وعدك ويظهرك
عليهم والسبق والفوت بمعنى واحد وقيل معناه لا تحسبن من افلت من هذه الحرب قد سبق الى الحياة عن الزجاج والخطاب للنبي صلى الله عليه وآله والمراد به غيره
وقيل انه سبحانه انما قال له ذلك تطييبا لقلبه في الفارين كما طيب في المقتولين والمأسورين وعلى القراءة بالياء لا يحسبن فالمعنى لا يحسبن الكافرون انهم سبقوا انهم
لا يعجزون الله ولا يفوتونه حتى لا يبعثهم يوم القيامة عن الحسن وقيل معناه انهم لا يعجزونك عن الجبائي واعدوا لهم ما استطعتم من قوة هذا امر منه سبحانه بالاعداد
للسلاح قبل لقاء العدو ومعناه واعدوا للمشركين ما قدرتم مما يتقوى به على القتال من الرجال والات الحرب وروى عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وآله ان القوة الرمي
وعلى هذا يكون معناه انه من القوة وقيل ان القوة الكلمة والثقة بالله تعالى والرغبة في ثوابه وقيل القوة الحصون عن عكرمة ومن رباط الخيل اي ومن ربطها
واقتنائها للغزو وهو من اقوى عدد الجهاد وروي عن النبي صلى الله عليه وآله ارتبطوا الخيل فان ظهورها لكم عز واجوافها كنز وقيل ان القوة ذكور الخيل والرباط الاناث
منها عن الحسن وعكرمة ترهبون به اي تخيفون بما تعدونه لهم عدو الله وعدوكم يعني مشركي مكة وكفار العرب وآخرين من دونهم اي وترهبون به آخرين دون
هؤلاء. واختلفوا في الآخرين فقيل هم بنو قريظة عن مجاهد وقيل هم اهل فارس عن السدي وقيل هم المنافقون لا يعلم المسلمون انهم اعداؤهم وهم اعداؤهم عن الحسن وابن
زيد لا تعلمونهم معناه لا تعرفونهم لانهم يصلون ويصومون ويقولون لا اله الا الله محمد رسول الله ويختلطون بالمؤمنين الله يعلمهم اي يعرفهم لانه المطلع على الاسرار
وقيل هم الجن وهو اختيار الطبري قال لان الاعداد دخل في جميع المتظاهرين بالعداوة ولم يبق الا من لم يظاهر وما تنفقوا من شيء في سبيل الله اي في الجهاد وطاعة الله يوف
اليكم يوفر عليكم في الآخرة وانتم لا تظلمون اي لا ينقصون شيئا منه وان جنحوا للسلم يعني المسالمة فاجنح لها وتوكل على الله اي فوض امرك الى الله انه هو السميع العليم لا يخفى عليه
خافية وقيل ان هذه الآية منسوخة بقوله اقتلوا المشركين وقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله عن الحسن وقتادة وقيل انها ليست منسوخة لانها في الموادعة لاهل
الكتاب والاخرى لعباد الاوثان وهذا هو الصحيح لان قوله اقتل المشركين والآية الاخرى نزلتا في سنة تسع في سورة براءة وصالح رسول الله صلى الله عليه وآله اهل نجران

بعدها. قوله تعالى: وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم لو انفقت ما في الارض جميعا
ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم آية بصري وآيتان في الباقين. اللغة: الخدع والخديعة اظهار المحبوب من الامر مع ابطان المكروه والتأييد
التمكين من الفعل على اتم ما يصح فيه والايد القوة والتأليف الجمع على تشاكل واختلف في التأليف فاثبته بعضهم ونفاه بعضهم والصحيح انه معنى يحل محلين ولا يحصل
من بعد الاول. المعنى: ثم خاطب سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله فقال وان يريدوا ان يخدعوك معناه وان يريدوا الذين يطلبون منك الصلح ان يخدعوك بان
يقصدوا بالتماس الصلح دفع اصحابك والكف عن القتال حتى يقووا ويتأهبوا للقتال من غير استعداد منكم فان حسبك الله اي فان الذي يتولى كفايتك الله هو الذي
ايدك بنصره وبالمؤمنين هو الذي قواك بالنصر من عنده وايدك بالمؤمنين الذين ينصرونك على اعدائك والف بين قلوبهم واراد بالمؤمنين الانصار
وهم الاوس والخزرج عن ابي جعفر عليه السلام والسدي واكثر المفسرين واراد بتأليف القلوب ما كان بين الاوس والخزرج من المعاداة والقتال فانه لم يكن حيان
من العرب بينهما من العداوة مثل ما كان بين هذين الحيين فالف الله بين قلوبهم حتى صاروا متوادين ببركة نبينا صلى الله عليه وآله وقيل اراد كل متحابين في الله عن مجاهد لو انفقت
ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم اي لم يكن يمكنك جمع قلوبهم على الالفة وازالة ضغائن الجاهلية ولكن الله الف بينهم بان هداهم بحسن تدبيره وبالاسلام
الذي هداهم اليه انه عزيز حكيم لا يمتنع عليه شيء يريد فعله ولا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة قال الزجاج وهذا من الآيات العظام وذلك ان النبي صلى الله عليه وآله
بعث الى قوم انفتهم شديدة بحيث لو لطم رجل من قبيلة لطمة قاتل عنه قبيلته فالف الايمان بين قلوبهم حتى قاتل الرجل اباه واخاه فاعلم الله سبحانه ان هذا مما تولاه منهم
قوله تعالى: يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن
منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا
الفين باذن الله والله مع الصابرين ثلاث آيات. القراءة: ان يكن مائة بالياء كوفي الاول بالتاء بصري ضعفا بفتح الضاد كوفي الا الكسائي والباقون بضم
الضاد ولكنهم سكنوا العين الا ابا جعفر فانه قرأ ضعفاء على وزن فعلاء. الحجة: من قرأ بالياء فانه اراد المذكر بدلالة ما بعده قوله يغلبوا وقرأ ابو جعفر
وان يكن منكم صابرة بالياء كانت صفة المائة وهي قوله صابرة كذلك انث الفعل ومن قرأ الجميع بالتاء حمله على اللفظ فاللفظ مؤنث والضعف والضعف لغتان
كالفقر والفقر. اللغة: الاتباع موافقة الداعي فيما يدعو اليه من اجل دعائه والتحريض والحض والحث بمعنى وهو الترغيب في الفعل بما يبعث على المبادرة اليه وضده التثبيط
والصبر حبس النفس عما تنازع اليه مما لا ينبغي ان يكون عليه وضده الجزع قال فان تصبرا فالصبر خير مغبة وان تجزعا فالامر ما تريان والتخفيف رفع المشقة
بالخفة والخفة نقيض الثقل والخفة والسهولة نظيران والضعف نقصان القوة وهو من الضعف لانه ذهاب ضعف القوة. الاعراب: من في موضع من اتبعك رفع على
معنى حسبك الله ويحتمل ان يكون نصبا بمعنى ويكفي من اتبعك على التأويل لان الكاف في حسبك في موضع جر بالاضافة لكنه مفعول به في المعنى فعطف على
المعنى ومثله قوله سبحانه انا منجوك واهلك قال الشاعر: اذا كانت الهيجاء وانشقت العصا فحسبك والضحاك سيف مهند. لا يحسن على الاسم والاسم لا يخرج عن التمكن
بسبب الحرف قال الزجاج عشرون لا يجوز الا بكسر العين وزعم اهل اللغة انه كسر اوله كما كسر اول اثنين لان عشرين من عشرة مثل اثنين من واحد ويدل عليه فتح ثلاثين
لفتح ثلاثة وكسر ثمانين لكسر ثمانية. المعنى: ثم امر سبحانه بقتال الكفار وحث عليه بقوله يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين اي كافيك الله ويكفيك اتباعك
من المؤمنين وقال الحسن معناه الله حسبك وحسب من اتبعك من المؤمنين اي يكفيك ويكفيهم قال الكلبي نزلت هذه الآية بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال يا ايها
النبي حرض المؤمنين اي حث المؤمنين على القتال ورغبهم فيه بان تذكر الثواب الموعود على القتال وما وعدهم الله من النصر والظفر واغتنام الاموال ان يكن منكم
عشرون صابرون على القتال يغلبوا مائتين من العدو وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا اللفظ لفظ الخبر والمراد به الامر ويدل على ذلك قوله فيما تقدم الآن
خفف الله عنكم لان التخفيف لا يكون الا بعد التكليف بانهم قوم لا يفقهون امر الله ولا يصدقون بما وعدهم من الثواب فلا يعلمون ان ذلك يبتني على غرض
المصلحة في ذلك فقال الآن خفف عنكم الحكم في الجهاد من وجوب قتال العشرة على الواحد وثبات الواحد على العشرة وعلم ان فيكم ضعفا اراد به ضعف البصيرة والعزيمة
ولم يرد ضعف البدن فان الذين اسلموا في الابتداء لم يكونوا كلهم اقوياء البدن بل كان فيهم القوي والضعيف ولكن كانوا اقوياء البصيرة واليقين ولما كثر المسلمون
واختلط بهم من كان اضعف يقينا وبصيرة نزل الآن خفف الله عنكم فان يكن منكم مائة صابرة على القتال يغلبوا مائتين من العدو وان يكن منكم الف صابرون يغلبوا
الفين منهم باذن الله اي بعلم الله وقيل بامره فامر الله تعالى الواحد بان يثبت للاثنين وبعض النصرة لهم عليها واعان المسلمين بامن من كان قوي البصيرة بان ثبت
للعشرة ومن كان ضعيف البصيرة بان يثبت للاثنين لانهم كانوا يتهيبون القتال مختلطين وكان لا يمكن التمييز بينهم ولو نص على من كان ضعيف البصيرة كان فيه ادخال
قلوبهم وزيادة ضعفهم والله مع الصابرين اي معونة الله مع الصابرين ومعناه والله معين الصابرين وقيل ان هذه الآية نزلت بعد الآية الاولى بمدة وان قربت

في المصحف وهي لغة الاولى والمعتبر في الناسخ والمنسوخ بالنزول دون التلاوة وقال الحسن ان التغليظ كان على اهل بدر ثم جاءت الرخصة قوله تعالى
ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله
ان الله غفور رحيم ثلث آيات القراءة قرا ابو جعفر ان يكون له بالتاء اسارى وقرا اهل البصرة ان تكون له بالتاء اسرى والباقون ان يكون له بالياء اسرى الحجة من قرا تكون
فلان الجمع مؤنث ومن قرا بالياء فلانهم مذكورون في المعنى وقد وقع الفصل بين الفعل والفاعل قال ابو علي الاسرى اقيس من الاسارى لان اسيرا فعيل بمعنى مفعول وذلك يجمع
على فعلى نحو جريح وجرحى وقتيل وقتلى واستمر هذا الجمع في الباب حتى شبه به ما ليس منه ولكن لموافقته مثل مرضى وهلكى وموتى وذلك ان هذه امور ابتلوا بها
وادخلوا فيها وهم لها كارهون فصار لذلك مشابها مفعولا في الحكم وانما قالوا اسارى على التشبيه بكسالى كما قالوا كسلى على التشبيه باسرى وقال الازهري الاسارى
جمع الاسرى فهو جمع الجمع اللغة الاسر الشد على المحارب بما يصير في قبضته وفلان ماسور اي مشدود وكانوا يشدون الاسير بالقد والاثخان في الارض تغليظ الحال
بكثرة القتل والثخن والغلظ والكثافة نظائر وفلان اثخنه الوصب اذا اشتد عليه واثخنه الجراح اذا اشتدت عليه والعرض متاع الدنيا وسمي عرضا لقلة لبثه
والفرق بين الحلال والمباح ان الحلال من حل العقد في التحريم والمباح من التوسعة في الفعل وان اجتمعا في الحكم والطيب المستلذ فيهما الحلال ... فطيبا عمل
الاعراب الفاء في فكلوا فاء الجزاء والمعنى قد احللت لكم الفداء فكلوا وحلالا طيبا منصوب على الحال المعنى ما كان لنبي اي لم يكن لنبي ولا في عهد الله ان يكون
له اسرى من المشركين ليفديهم او يمن عليهم حتى يثخن في الارض اي حتى يبالغ في قتل المشركين وقهرهم ليرتدع بهم من وراءهم وقال ابو مسلم الاثخان الغلبة على البلدان و
التذليل لاهلها حتى يتمكن في الارض تريدون عرض الدنيا هذا خطاب لمن دون النبي صلى الله عليه وآله من المؤمنين الذين رغبوا في اخذ الفداء من الاسرى في اول وقعة
ورغبوا في الحرب للغنيمة قال الحسن وابن عباس يريد يوم بدر حين اخذوا الفداء من الاسرى في اول وقعة كانت لكم من قبل ان يثخنوا في الارض وعرض الدنيا مال الدنيا
لانه بعرض الزوال والله يريد الآخرة اي تريدون ما فيه الحظ من عرض الدنيا والله يريد لكم ثواب الآخرة والله عزيز لا يغلب لا يغلب ... حكيم
يجري افعاله على ما توجبه الحكمة فصل سبحانه بين ارادة نفسه وارادة عباده ولو كان ما اراده ... لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما
اخذتم عذاب عظيم فيه معناه اقوال احدها لولا ما مضى من حكم الله ان لا يعاقب قوما حتى يبين لهم ما يتقون وانه لم يبين لهم ان لا ياخذوا الفداء لعذبكم باخذ الفداء
وثانيها لولا ان الله حكم لكم باباحة الغنائم والفداء في ام الكتاب وهو اللوح المحفوظ لمسكم فيما استحللتم قبل الاباحة عذاب عظيم فان الغنائم لم تحل لاحد قبلكم
عن ابن عباس وثالثها لولا كتاب من الله سبق وهو القرآن فآمنتم به واستوجبتم بايمانكم الغفران لمسكم العذاب عن الحسن ... ورابعها ان الكتاب
الذي سبق قوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم ومعناه لولا ما كتب الله في القرآن وفي اللوح المحفوظ انه لا يعذبكم والنبي بين اظهركم لعذبكم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا
هذا اباحة منه سبحانه للمؤمنين ان يأكلوا مما غنموا من اموال المشركين واتقوا الله باتقاء معاصيه ان الله غفور رحيم القصة كان القتلى من المشركين
يوم بدر سبعين قتل منهم علي بن ابي طالب عليه السلام سبعة وعشرين وكان الاسرى ايضا سبعين ولم يوسر احد من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فجمعوا الاسارى
وقرنوهم بالحبال وساقوهم على اقدامهم وقتل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله تسعة رجال منهم سعد بن خيثمة وكان من النقباء من الاوس وعن
محمد بن اسحق قال استشهد من المسلمين يوم بدر احد عشر رجلا اربعة من قريش وسبعة من الانصار وقيل ثمانية وقتل من المشركين بضعة واربعون رجلا وعن ابن عباس
قال لما امسى رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر والناس محبوسون بالوثاق بات ساهرا اول الليل فقال له اصحابه ما لك لا تنام فقال سمعت انين عمي العباس في وثاقه
فاطلقوه فسكت فنام رسول الله صلى الله عليه وآله وروى عبيدة السلماني عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال لاصحابه يوم بدر في الاسارى ان شئتم قتلتموهم وان
شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدتهم وكانت الاسرى سبعين فقالوا بل ناخذ الفداء فنستمتع به ونتقوى به على عدونا ويستشهد منا بعدتهم قال عبيدة طلبوا الخيرتين
كلتيهما فقتل منهم يوم احد سبعين وفي كتاب علي بن ابراهيم لما قتل رسول الله صلى الله عليه وآله النضر بن الحرث وعقبة بن ابي معيط خافت الانصار ان يقتل الاسارى فقالوا
يا رسول الله قتلنا سبعين وهم قومك واسرتك اتجذهم خذ يا رسول الله منهم الفداء وقد كانوا اخذوا ما وجدوه من الغنائم في عسكر قريش فلما طلبوا اليه وسألوه
نزلت الآية ما كان لنبي ان يكون له اسرى الآيات فاطلقهم عند ذلك وكان اكثر الفداء اربعة آلاف درهم واقله الف درهم فبعثت قريش بالفداء اولا اولا وبعثت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله
من فداء زوجها ابي العاص ... فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله القلادة قال رحم الله خديجة هذه قلادة ... فاطلقه رسول الله صلى الله عليه وآله
بشرط ان يبعث اليه زينب ولا يمنعها من اللحوق به فعاهده على ذلك ووفى له وروي ان النبي صلى الله عليه وآله كره اخذ الفداء حتى رأى سعد بن معاذ كراهة ذلك في وجهه
فقال يا رسول الله هذا اول حرب لقينا فيه المشركين والاثخان في القتل احب الي من استبقاء الرجال وقال عمر بن الخطاب يا رسول الله كذبوك واخرجوك فقدمهم واضرب اعناقهم ومكن
عليا من عقيل يضرب عنقه ومكني من فلان اضرب عنقه فان هؤلاء ائمة الكفر وقال ابو بكر اهلك وقومك استأنهم واستبقهم وخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار

قال ابن زيد فقال رسول الله صلى الله عليه لو نزل العذاب من السماء ما نجا منهم غير سعد بن معاذ وقال ابو جعفر الباقر عليه السلام كان الفداء يوم بدر
كل رجل من المشركين باربعين اوقية والاوقية اربعون مثقالا الا العباس فان فداءه كان مائة اوقية وكان قد اخذ منه حين اسر عشرون اوقية ذهبا فقال
النبي صلى الله عليه وآله ذلك غنيمة ففاد نفسك وابني اخيك نوفلا وعقيلا فقال ليس معي شيء فقال اين الذهب الذي سلمته الى ام الفضل وقلت ان حدث
لي حدث فهو لك وللفضل وعبد الله وقثم فقال من اخبرك بهذا قال الله تعالى فقال اشهد انك رسول الله ولقد اطلع على هذا الا الله تعالى قوله تعالى
يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله
من قبل فامكن منهم والله عليم حكيم آيتان القراءة قرا ابو جعفر وابو عمرو من الاسارى والباقون من الاسرى وقد ذكرنا الفرق بين الاسرى والاسارى فيما تقدم
المعنى ثم خاطب سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله فقال يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى انما ذكر الايدي لان من كان في وثاقهم بمنزلة من يكون في ايديهم
لاستيلائهم عليه من الاسرى يعني اسرى بدر الذين اخذ منهم الفداء ان يعلم الله في قلوبكم خيرا اي اخلاصا او رغبة في الايمان وصحة نية يؤتكم خيرا اي
يعطكم خيرا مما اخذ منكم من الفداء اما في الدنيا والآخرة واما في الآخرة ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور لمن تاب رحيم روي عن العباس بن عبد المطلب انه قال
نزلت هذه الآية في وفي اصحابي كان معي عشرون اوقية ذهبا فاخذت مني فاعطاني الله مكانها عشرين عبدا كلهم يضرب بمال كثير وادناهم يضرب بعشرين الف درهم واعطاني
زمزم وما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربي قال قتادة ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وآله قدم عليه مال البحرين ثمانون الفا وقد توضأ لصلاة الظهر
فما صلى يومئذ حتى فرقه وامر العباس ان ياخذ منه ويحثي فاخذ فكان العباس يقول هذا خير مما اخذ مني وارجو المغفرة وان يريدوا خيانتك معناه وان يريد الذين
اطلقتهم من الاسارى خيانتك بان يعودوا الى حربك او يميلوا الى عدوك فقد خانوا الله من قبل بان خرجوا الى بدر وقاتلوا مع المشركين وقيل اشركوا بالله ...
فامكن منهم اي فامكنك منهم يوم بدر بان قتلوا واسروا وسيمكنك منهم ثانيا ان خانوك والله عليم حكيم قوله تعالى ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم
وانفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك بعضهم اولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وان استنصروكم
في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير آية القراءة قرا حمزة ولايتهم بكسر الواو وهو قراءة الاعمش ويحيى بن وثاب والباقون
بفتح الواو الحجة قال الزجاج فالولاية في النصرة والنسب بفتح الواو والولاية بمنزلة الامارة مكسورة ليفصل بين المعنيين وقد يجوز كسر الواو في قول بعض النحويين
جنسا من الصناعة والعمل وكلما كان من جنس الصناعة مكسور مثل الخياطة والقصارة وقال ابو عبيدة وابو الحسن من ولايتهم مصدر المولى واما في السلطان فالولاية
بكسر الواو وهي في الاخرى لغة اللغة المهاجرة فراق الوطن الى غيره من البلاد واصله من الهجر ضد الوصل والجهاد تحمل المشاق في قتال الاعداء والذين من جهد ...
... والايواء ... يرجع الى الماوى والولاية عقد النصرة للموافقة في الديانة النزول قيل نزلت
في الميراث وكانوا يتوارثون بالهجرة وجعل الله الميراث للمهاجرين والانصار دون ذوي الارحام وكان الذي آمن ولم يهاجر لم يرث من اجل انه لم يهاجر ولم ينصر وكانوا يعملون
بذلك حتى انزل الله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فنسخت هذه وصار الميراث لذوي الارحام المؤمنين ولا يتوارث اهل ملتين عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد والسدي المعنى
ثم ختم الله سبحانه السورة بايجاب موالاة المؤمنين وقطع موالاة الكافرين فقال ان الذين آمنوا بالله ورسوله وبما جاء به وعملوا واهل مكة الذين هاجروا وجاهدوا
وقاتلوا العدو باموالهم وانفسهم في سبيل الله اي في طاعة الله ولاعزاز دينه والذين آووا اي الرسول والمهاجرين بالمدينة وجعلوا لهم ماوى ومسكنا وهم الانصار ونصروا
اي نصروهم بعد الايواء على عدوهم وبذلوا المهج في نصرتهم اولئك بعضهم اولياء بعض في النصرة وان لم يكن بينهم قرابة من قرابتهم من الكفار وقيل في التوارث عن ابن عباس و
الحسن ومجاهد وقتادة والسدي وقيل في التناصر والتعاون والموالاة في الدين عن الاصم وقيل في نفوذ امان بعضهم على بعض فان واحدا من المسلمين لو امن انسانا نفذ امانه
على سائر المسلمين والذين آمنوا ولم يهاجروا الى المدينة ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا اي لا يحصل بينكم التوارث فان الميراث كان مستحقا في ذلك الوقت بين المهاجرين
وروي عن ابي جعفر عليه السلام انهم كانوا يتوارثون بالمواخاة الاولى وقيل معناه ما لكم من موالاتهم ونصرتهم من شيء اي ليس عليكم نصرتهم وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر معناه
فان طلب المؤمنون الذين لم يهاجروا منكم النصرة لهم على الكفار واعانتهم في الدين فعليكم النصر والمعونة لهم وليس عليكم نصرتهم في امر الدنيا الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق معناه الا
ان يطلبوا منكم النصرة على قوم من المشركين بينكم وبينهم موادعة وعهد فلا تنصروهم عليهم ... والله بما تعملون بصير اي عالم لا يخفى عليه شيء منها قوله تعالى
والذين كفروا بعضهم اولياء بعض الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا
لهم مغفرة ورزق كريم والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله ان الله بكل شيء عليم ثلث آيات اللغة
الفتنة اصلها الامتحان ثم يستعمل في اشياء منها الكفر والشرك وذلك نحو قوله تعالى والفتنة اكبر من القتل وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ومنها العذاب في نحو قوله تعالى جعل فتنة الناس



تمت بعون الله

قد وفق الله تعالى لاستكتاب هذا التفسير الكبير الموسوم بمجمع البيان من مؤلفات الشيخ
الجليل الفاضل النبيل صدر الاعيان نادرة الزمان ابو على
الطبرسي قدس سره ومن فيض ذكره بالمشهد المقدس
الرضوي سنة اثنى
الف
وتسعين بعد



